مَعَانِي القُرآنِ وإِعْرَابُهُ

لِلزَّجَّاجِ

أبي إِسْحٰق إِبْرَاهِيم بن السَّرِيّ

المتوفى سَنة ٣١١ هـ

شَرحُ وتحقِيق

دكتور عبد الجليل عبده شلبي

الجزءُ الأوَّل

عالم الكتب

معانی القرآن و اعرابه

بسم الله الرحمن الرحيم

عالم الكتب
بيروت - المزرعة ، بناية الإيمان - الطابق الأول - ص.ب ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقيا : نابعلبكي - تلكس : ٢٣٣٩٠

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

كتب الزجاج

معاني القرآن

الاشتقاق

خلق الإنسان

فعلت وأفعلت

الأنواء

مختصر النحو

خلق الفرس

شرح أبيات سيبويه

الفرق

القوافي

العروض

النوادر

تفسير جامع النطق

ما ينصرف وما لا ينصرف

مخطوطات الكتاب

١ ـ نسخة ط مصورة في دار الكتب المصرية، تفسير طلعت رقم ٤٦٧ من أول القرآن وتنتهي ببضع آيات من أول سورة هود.

٢ ـ نسخة ب مصورة من المكتبة العمومية باستامبول «بايزيد» رقم ٢٤٧ وبها.

الجزء الأول من الكتاب وينتهي بآخر سورة المائدة.

٣ ـ نسخة ك من معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، وتنتهي ببضع آيات من أول سورة الأنعام.

مصورة من مكتبة كوبا ريللي باستانبول رقم ٤٢.

٤ ـ نسخة أخرى من ب من معهد المخطوطات العربية.

وهي عديمة الفائدة لم نستفد منها كثيراً لرداءَة التصوير والنقص.

٥ ـ نسخة من المعهد البريطاني تبدأ بسورة النساءِ وتنتهي بآخر القرآن الكريم.

٦ ـ نسخة م ـ تبدأ بسورة النساءَ وتنتهي بآخر سورة هود.

وقد اعتبرنا النسخة ط أصلاً حتى نهاية سورة يونس ولكن آثرنا غيرها في مواضع قليلة نبهنا عليها.

مراجع عن الزجاج

أخبار النحويين البصريين	١٠٨
انباه الـرواة	١ ـ ١٥٩
الأنساب	الورقة ٢٧٢
البداية والنهاية	١ ـ ١٤٨
بغية الوعاة	١ ـ ١١
تاريخ أبي الفداء	٢ ـ ٧٢
تاريخ بغداد	٦ ـ ٨٩
تاريخ ابن كثير	١ ـ ١٤٨
تهذيب الأسماء واللغات	٢ ـ ١٧٠
شذرات الذهب	٢ ـ ٢٥٩
طبقات النحويين	١٢١
فهـرست ابن النديم	٦٠ بيروت
مراتب النحويين	٨٣
معجم الأدباء	١/١٣٠
النجوم الزاهرة	٣ـ٢٠٨
نزهة الألباء	٣٠٨

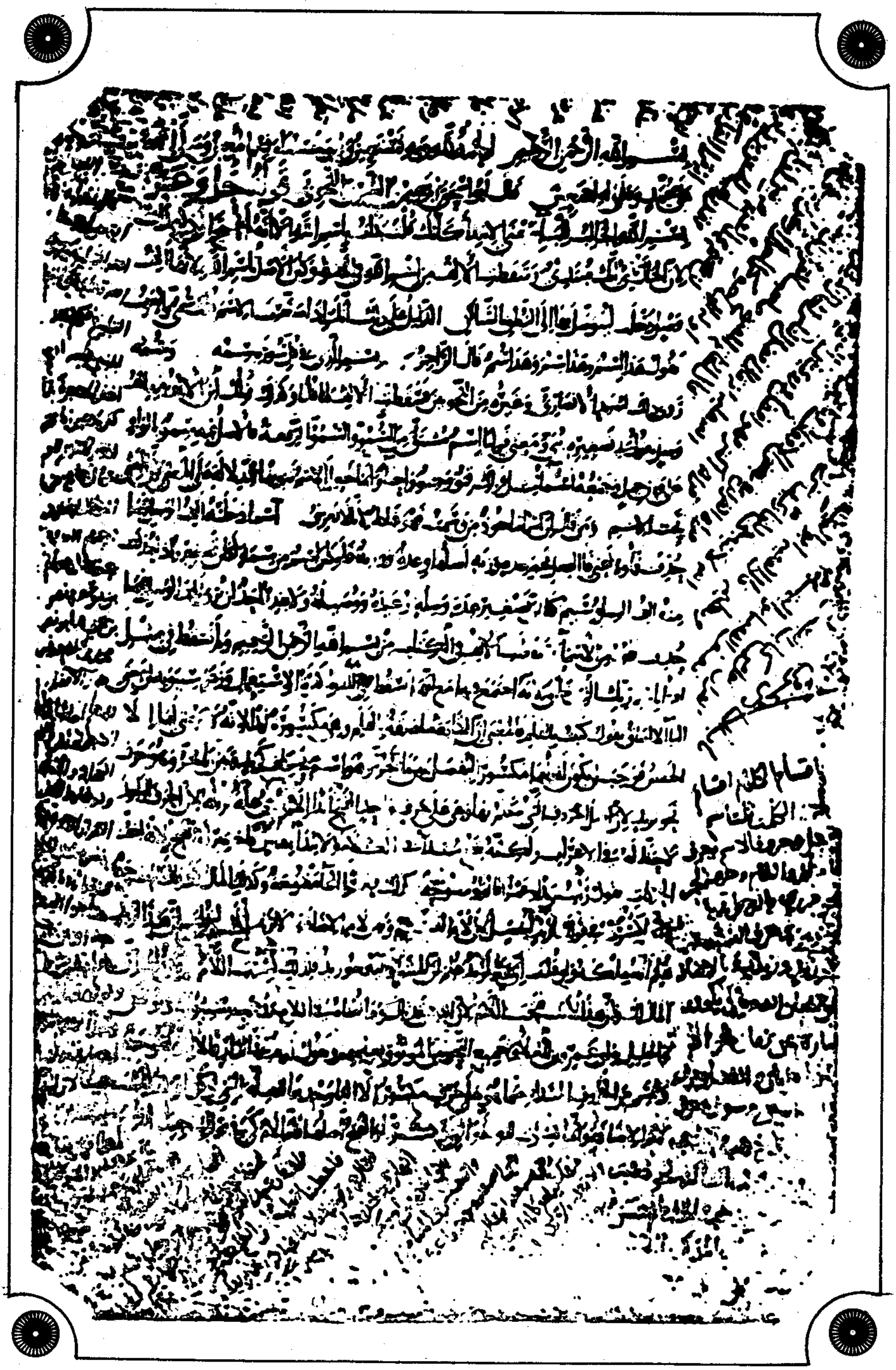
الأقواس ودلالاتها

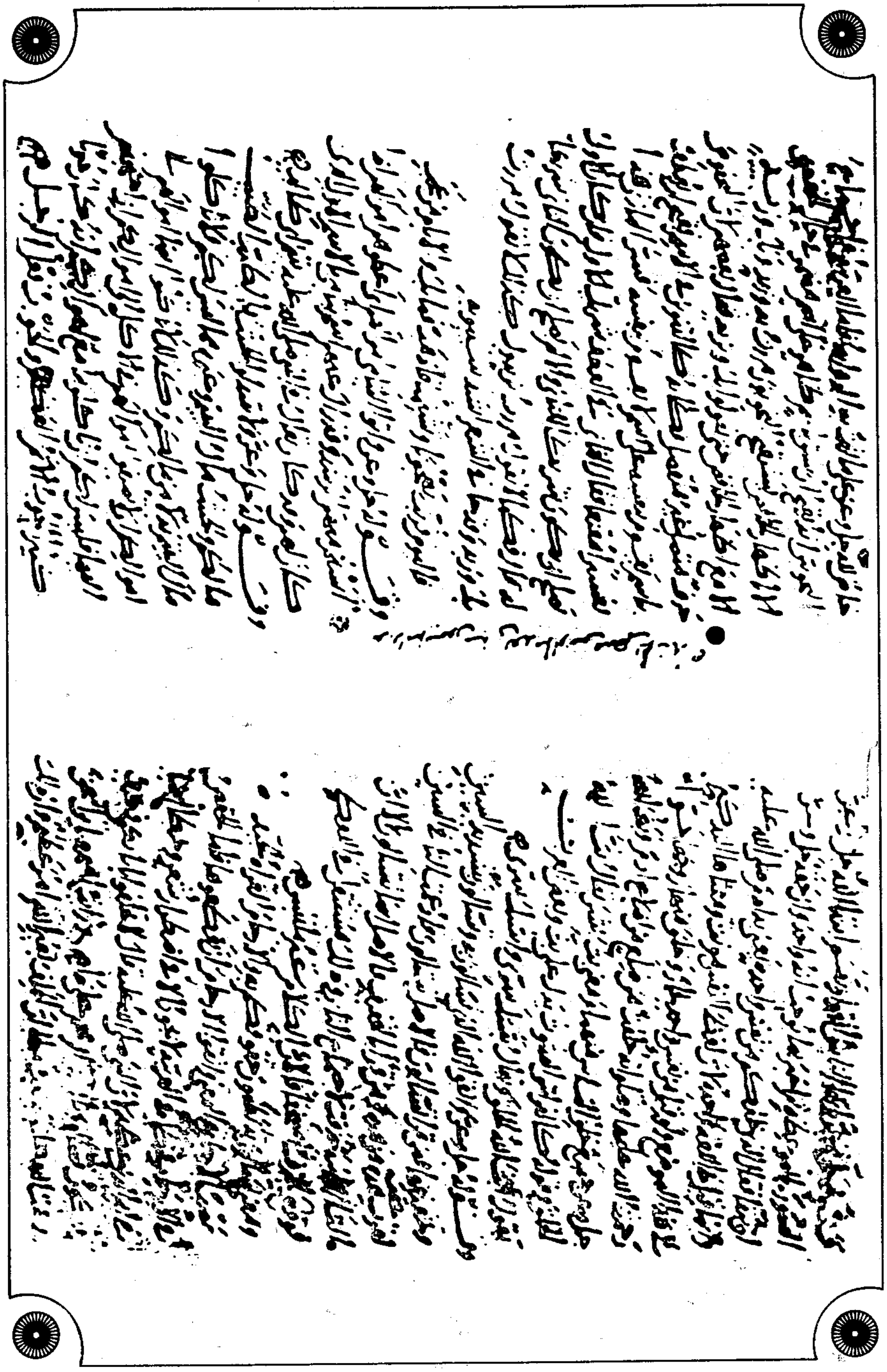
استعملنا الأقواس الآتية :

« » للدلالة على نص أو كلمة يراد لفظها .

( ) للدلالة على أن ما بينهما ورد في بعض النسخ ولم يرد في البعض الآخر، ونبهنا على النسخ التي أوردته في الهامش .

[ ] للدلالة على ما زدناه تتميماً للمعنى أو توضيحاً له .





تفسير

٤٦٦٧

عدد آي القرآن حكى ابو عمرو الداني في كتاب البيان اجماعهم على ان عدد آيات القرآن ستة آلاف آية ومائتا آية وست وثلثون آية ... فكلماته سبع وسبعون الف كلمة وأربعمائة وتسع وثلثون كلمة ... واما حروفه فقال عبد الله بن كثير عن مجاهد انها ثلثمائة الف حرف وأحد وعشرون الف حرف وثمانية وثمانون حرفا ... وقال الفضل عن عطاء ثلثمائة الف حرف وثلثة وعشرون الف حرف وخمسة عشر حرفا ك

جمع القراء والحفاظ والكتاب في زمن الحجاج في اجزاء القرآن على ان نصفه الى الفاء في قوله في الكهف وليتلطف ... وثلثه الاول عند رأس مائة من براءة والثاني على رأس مائة او احدى ومائة من الشعراء ... وسبعه الاول الى قوله فمنهم من آمن به ومنهم من صد ... والثاني الى التاء من قوله في سورة الاعراف حبطت ... والثالث الى الالف الثانية من قوله في الرعد اكلها ... والرابع الى الالف في الحج جعلنا منسكا ... والخامس الى الهاء من قوله في الاحزاب ولا مؤمنة ... والسادس الى الواو من قوله في الفتح الظانين بالله ظن السوء ... وربعه الاول الى اخر الانعام والثاني الى وليتلطف من سورة الكهف والثالث الى اخر الزمر ... وعن اوس ... في حياته كيف تحزبون القرآن قالوا ثلث وخمس وسبع وتسع ... عشرة وثلث عشرة ...

معاني القرآن وإعرابه

للزجاج
أبي إسحق إبراهيم بن السري
المتوفى سنة ٣١١ هـ

شرح وتحقيق
دكتور عبد الجليل عبده شلبي

الجزء الثاني

عالم الكتب

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

معاني القرآن وإعرابه

بسم الله الرحمن الرحيم

عالم الكتب
بيروت - المزرعة، بناية الإيمان - الطابق الأول - ص.ب ٨٧٢٣
تلفون: ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً: نابعلبكي - تلكس: ٢٣٣٩٠

سورة النساء

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿يا أيها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ :

إبتدأ اللَّه السورة بالموعظة. أخبر بما يوجب أنه واحد وأن حقه عزّ وجلّ ـ أن يُتَّقى فقال:

﴿الَّذِي خلقكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَة﴾ :

يعني من آدم عليه السلام، وإنما قيل في اللغة واحدة لأن لفظ النفس مؤنث، ومعناها مذكر في هذا الموضع(١)، ولو قيل من نفس واحد لجاز.

﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ :

حواءَ خُلِقتْ من ضِلْعٍ من أَضْلاع آدَم، وبثَّ اللَّه جميع خلق الناس منها.

ومعنى «بَثَّ» نشر، يقال: بث اللَّه الخلق، وقال ـ عزّ وجلّ ـ ﴿كَالفَرَاشِ المَبْثُوثِ﴾(٢). فهذا يدل على بث. وبعض العرب يقول أبثَّ اللَّهُ الخلقَ، ويُقَال بَثَثْتُك سِرّي وأَبْثثتك سِرّي.

وقوله ـ عزّ وجلّ: ﴿واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَّاءَلُون بِه﴾ :

---

(١) لأن المراد بها آدم.

(٢) القارعة ١٠١ ـ ٤.

بالتشديد، فالأصل تتساءلون. وأُدْغمت التاءُ في السين لقرب مكان هذه من هذه. ومن قرأ بالتخفيف فالأَصل تتساءَلُون، إلا أَن التاءَ الثانية حذفت لاجتماع التَّاءَيْن، وذلك يُستثقل في اللَّفْظ فوقع الحذف استخفافاً، لأَن الكلام غيرُ مُلْبسٍ.

ومعنى ﴿تساءَلُون بِهِ﴾: تَطْلُبُونَ حُقُوقكم بِهِ.

﴿والأَرْحَامَ﴾:

القراءَة الجيّدةُ نصب الأَرحام. المعنى واتقوا الأَرحام أن تقطعوها، فأَما الجرُّ في الأَرحام فخطأ في العربية لا يجوز إلا في اضطرار شعر، وخطأ أيضاً في أَمْر الدين عظيمٌ، لأَن النبي ﷺ قال: لا تحلفوا بآبائكم. فكيف يكون تساءَلون به وبالرحم على ذا؟[1].

رأيت أَبا إسحق إسماعيل بن إسحق يذهب إلى أن الحلف بغير اللَّه أمر عظيم، وأَن ذلك خاص للَّه ـ عزّ وجلّ ـ على ما أَتت به الرواية.

فأَما العربية فإجماع النحويين أنه يَقْبحُ أَنْ يُنسق باسم ظاهر على اسم مضمر في حال الجر إلا بإِظهار الجار، يَسْتَقْبح النحويُّون: مررت به وزيدٍ، وبك وزيدٍ[2]، إلا مع إظهار الخافض حتى يقولوا بك وبزيدٍ، فقال بعضهم: لأَن المخفوض حرف مُتَّصِلٌ غيرُ منفصل، فكأَنَّه كالتنوين في الاسم، فقبح أَن يعطف باسم يقُومُ بنفسه على اسم لا يقوم بنفسه. وقد فسر المازي هذا تفسيراً مُقْنِعاً فقال: الثاني في العطف شريك للأَول[3]، فإن كان الأَول يصلح شريكاً

---

(١) أي كيف يعطف الأرحام على لفظ الجلالة فيكون مقسماً به، أي انكم يسأل بعضكم بعضاً مستحلفاً إياه باللَّه، فكيف يجوز أن يستحلفه بالرحم وهو أمر منهى عنه. إذن لا يجوز أن تخرج الآية على ذلك، بل تنصب الأرحام مفعولاً لاتقوا.

(٢) هو ممنوع لا يجوز.

(٣) المعطوف شريك للمعطوف عليه في تسلط العامل عليهما، فإن جاز جعل المعطوف معطوفاً عليه صح الكلام، وإلا لم يصح.

للثاني(١) وإلا لم يصلح أن يكون الثاني شريكاً له. قال: فكما لا تقول مررت بزيد و «كَ» فكذلك لا يجوز مررت بك وزيدٍ.

وقد جاز ذلك في الشعر، أنشد سيبويه:

فاليوم قرَّبْت تهجُونا وتشتُمنا فاذْهب فما بك والأيَّامِ من عجب(٢)

وقوله: ﴿وآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾:

أي أَعْطوهم أموالهم إذا آنستم منهم رشداً، وإنما يسمَّوْن يَتامَى ـ بعد أن يُؤنس منهم الرُّشُد، وقد زال عنهم اسم يتامى ـ بالاسم الأول الذي كان لهُم، وقد كان يُقالُ في النبي ﷺ يتيم أبي طالب(٣).

وقوله ـ عزّوجلّ ـ: ﴿وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبيثَ بِالطَّيِّبِ﴾:

الطيب مالكم، والخبيث مالُ اليتيم وغيرُه مما ليس لكم، فلا تأكلوا مال اليتيم بدلاً منْ مَالِكم، وكذلك لا تَأْكُلُوا (أيضاً)(٤) أَمْوالَهُمْ إِلَى أَمْوالِكُمْ.

أي لا تُضِيفُوا أَمْوالهم في الأكل إلى أموالكم، أي إن احتجتم إليها فليس لكم أن تأكلوها مع أموالكم.

﴿إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً﴾:

---

(١) جواب الشرط محذوف لوضوحه ـ أي صح العطف.

(٢) البيت للأعشى، وينسب لعمرو بن معد يكرب، ولخفاف بن نُدْبة، ولغيرهم. وقربت من التقريب في السير، وهو الإسراع. أي أسرعت إلى شتمنا وهجونا في زمن سيئ فلا عجب منكما، والشاهد فيه عطف الأيام على الكاف. والبيت من شواهد النحو الشائعة في باب الجر، وانظر ابن يعيش ٣ ـ ٧٩، والكامل ٢ ـ ٣٩ (تجارية) ومن شواهد سيبويه، وعد من الخمسين.

(٣) كان يسمى بهذا حتى بعد أن كبر وزالت عنه صفة اليتم.

(٤) ب فقط.

والحوبُ: الإثم العظيم، والحُوبُ فعلُ الـرَّجل[١]، تقـول: حاب حُـوباً كقولك قدْ خان خُوناً[٢].

وقوله عزّ وجلّ:

﴿وإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾.

قال مجاهد: إن تحرَّجْتُم أن تتركوا ولايةَ اليتامى إيماناً وتصْديقاً فكـذلك تحرَّجوا من الزنا، وقال غيره: وإنْ خفْتم ألَّا تعدلوا في أمْر النساءِ فـانكحوا مـا ذكر اللَّه عزّ وجلّ، وقال بعض المفسِّرين قولاً ثالثاً، قـال أهل البصـرة من أهل العربية: يقول ذلك المفسِّرُ ـ قال إنهم كانوا يتزوَّجُون العَشْر مِنَ اليتامَى ونحـوَ ذلك رغْبةً في مـالِهِنَّ فقال اللَّه ـ جـلّ وعزّ ـ وإن خفتم ألا تُقْسِـطُوا في اليتامَى أي في نكاح اليتامى، ودل عليه[٣]. فانكحوا. كذلك قال أبـو العباس محمـد ابن يزيد، وهو مذهب أهل النظر من أهل التفسير.

﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾:

لم يقـل من طـاب والـوجـه في الآدميين أن يقـال مَنْ، وفي الصِّفـاتِ وأسمـاءِ الأجنـاس أن يقـال «مـا». تقـول: مـا عنـدك؟ فيقـول فـرسٌ وطيبٌ، فالمعنى فانكحوا الطيب الحلال[٤] على هذه العِدَّة التي وصفت[٥]، لأن ليس كـلُّ النسـاءِ طيبـاً، قـال ـ عـزّ وجـلّ ـ: ﴿حُـرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهـاتُكُمْ وَبَنَـاتُكُمْ وأَخـوَاتُكُم وَعَمَّاتُكُمْ وَخَـالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخ وَبَنَـاتُ الأُخْتِ وأُمَّهَـاتُكُمُ الَّـلاتِي

(١) «حوب» يطلق على المصدر وعلى العمل.

(٢) خان خوناً أثم.

(٣) على المحذوف وهو كلمة نكاح.

(٤) أي انكحـوا الأصناف التي تطيب وتحل لكم من النساء،فما هنا معبرة عن أجنـاس وصفـات. ومـا تستعمل لأنواع من يعقل.

(٥) أي عدد أقصاه أربع نساء.

أَرْضَعْنَكُمْ وأَخَـواتُكُم مِّنَ الرَّضَـاعَـةِ وأُمَّهَـاتُ نِسَـائِكم، وَرَبَـائِبُكُمُ الـلاَّتِي في حجُورِكُم مِّن نِسَائِكُم اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فإِنْ لَمْ تَكُـونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَـلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ . . . ﴾[1] فَلَيس ممن ذكر ما يطيبُ[2].

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿مَثْنَى وَثُلاَث وَرُبَاعَ﴾:

بدل من ﴿مَا طَابَ لكُمْ﴾ ومعناه اثنين اثنين، وثلاثاً ثَلاثاً، وأربعاً أَرْبعاً، إِلا أَنه لا ينصرف[3] لجهتين لا أَعلم أَن أَحـداً من النحويين ذكـرهما، وهي أَنـه اجتمـع فيه علتـان أَنَّه معـدُول عن اثنين اثنين، وثلاث ثـلاثٍ، وأَنه عـدل عن تأْنيثٍ.

قـال أَصحابنـا انه اجتمـع فيه عِلتـانَ أَنه عُـدل عن تأْنيث، وأَنـه نكـرة، والنكرة أَصل للأَسماءِ، بهـذا كان ينبغي أَن نخففـه[4]. لأَن النكرة تخفف ولا تعد فرعاً.

وقـال غيرهم هـو معـرفـة وهـذا محـال لأَنـه صفـة للنكـرة، قـال اللَّـه ـ جلَّ وعزّ ـ: ﴿جَاعلِ المَلاَئِكَةِ رُسُـلاً أُولِي أَجْنِحةٍ مَثْنَى وثُـلاَثَ وَرَبَاعُ﴾[5]. فهذا مُحال أَن يكون أُولي أَجنحة الثلاثة والأَربعة وإِنما معناه أولي أَجنحة ثَلاثةً ثَلاَثَةً وأَرْبعةً أَربعة[6].

قال الشاعر:[7]

---

(1) سورة النساء ـ ٢٣.

(2) ليس بينهن من توصف بالطيب أو الصلاح للزواج.

(3) جمهور النحويين البصريين على أنه مبني على الفتح في الكلمتين.

(٤) نمنعه الصرف.

(5) سورة فاطر الآية ١.

(6) فهي حال أو صفة، وفي كلتيهما لا تكون معرفة.

(7) ساعدة بن جؤية يرثى ولده أبا سفيان، وأول القصيد:

ألا بـات من حـولي نيـامـاً ورقـد   وعـاودني حـزني الـذي يتجـدد

والشـاهد في البيت ورود مثنى ومـوحد خبـراً. وتبغى أصله تبتغى حذفت منـه إحدى التـاءين، =

ولـكنـمـا أهـلي بـوادٍ أنـيسُــه ذِئَـابٌ تَبَغَّى النَّاسَ مَثنى ومَـوْحَدُ

فإنْ قال قائل من الـرافضة:[1] إنـه قَدْ أُحِـلَّ لَنا تسْـعٌ، لأَنَّ قوله: «مثنى وثُلاثَ ورُباع» يراد به تِسَعٌ، قيل هـذا يبطل من جهـاتٍ، أَحدهـا في اللغة أن مثنى لا يصلح إلَّا لاثنين اثنين على التفريق.

ومنها أنه يصير أعْيـى[2] كلام. لو قال قـائل في مـوضع تسعـةٍ أُعطيـك اثنين وثلاثة وأَرْبعة يريد تسْعةً، قيل تسعة تغنيـك عن هذا، لأَن تسعة وُضِعتْ لهذا العددِ كله، أَعني من واحد إلى تسعة.

وبعد فيكون ـ على قولهم ـ من تزوج أَقلَّ من تسع أَو واحـدة فعاصٍ[3] لأَنه إذا كان الَّذِي أُبيح لـه تسعاً أَو واحـدةً فليس لنا سبيـل إلى اثنين. لأَنه إذا أَمـرك من تجب عليك طـاعته فقـال أُدخـل هـذا المسجـدَ في اليـوم تسعـاً أَو واحدة، فدخلت غير هاتين اللتين حدَّدهما لك من المرات فقد عصيْته.

هذا قول لا يُعرجُ على مِثله. ولكنَّا ذَكرْنَاهُ ليعْلم المسلمون أَن أَهل هذه المقالة مُباينون لأَهل الإسلام في اعتقادِهم، ويعتقدون في ذلك ما لا يشتبه[4] على أَحد من الخطأ.

= يقال تبغى الشيء إذا ابتغاه وطلبه. أي إن ابنه بواد موحش به ذئاب كـاسرة جمـاعات وأفـراداً. ولو كان إذ مات دفن مع أهله لهان خطبه بعض الهوان.

وسـاعدة من شعـراء هذيـل جاهلي مجيـد شعره مليء بـالغريب والمعـاني الغـامضـة، ويصلح للاستشهاد به في النحو واللغة.

والبيت في ديـوان الهـذليين ١ ـ ٢٧٧، والعيني ٤ ـ ٣٥٠ والقـرطبي ٥ ـ ١٦، وابن يعيش ٨ ـ ٥٧، وشواهد المغني ٣١٧.

(١) الرافضة فـرقة من الشيعـة سميت بذلـك لأنها رفضت رأي زيـد بن علي بن الحسين في صحة خلافة أبي بكر وعمر: وانشقوا عليه. أما الزيدية فيفضلون علياً ولكنهم لا ينكرون صحة خلافة من قبله لأنهم يجيزون إمامة المفضول. انظر ضحى الإسلام جـ ٣ / ١٣٦، ٢٧٥.

(٢) أضعف كلام وأوهنه تركيباً.

(٣) أي فهو عاص.

(٤) لا يلتبس.

فأمَّا قوله: ﴿ذَلِكَ أَدْنى أَلَّا تَعُولُوا﴾:

(فمعناه) ذلك أَقْربُ أَلَّا تجُورُوا. وقيل في التَّفْسير: أَلَّا تميلوا، ومعنى تميلوا تجوروا. فأما من قال: أَلَّا تعُولوا: أَلا تكثُر عيالُكُمْ، فزعم جميع أَهل اللغة أَنَّ هذا خطأً، لأن الواحدة تعول[1]، وإِباحةُ كلِّ ما ملكَتْ اليمينُ أَزْيدُ في العيال من أَربع، ولم يكن في العدد في النكاح حدٌّ حين[2] نزلَتْ هذه الآية.

والدليل على أَنهم كانوا يرغبون في التزويج من اليتامى [لمالهنَّ] أَنهم كانوا لا يبالون أَلَّا يعْدلوا في أَمرهم[3]، وقولُه[4] - عزّوجلّ - ﴿ويَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتيكُم فِيهِنَّ، وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ في الكِتَابِ في يَتامَى النساءِ اللَّاتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وتَرغَبُونَ أَن تَنْكِحُوهُنَّ﴾:

فالمعنى: وإِن خفتم أَلا تقسطوا في نكاح يتامى فأَنكحوا الطيب الذي قد أُحلَّ لكم من غَيْرهنَّ، والمعنى إِن أَمنتُم الجور في اليتامى فأَنكحوا منْهُنَّ كهذه العدة، لأَن النساءَ تشتمل على اليتامى وغيرهن.

وقوله: ﴿وآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾:

يقال هو صَدَاقُ المرأَة، وصدُقةُ المرأَة، وصُدْقَةُ المرأَة. وَصَداقُ المرأَة، مفتوح أَولها، والذي في القرآن جمعُ صدُقة. ومن قال صُدْقَة قال صُدُقاتهنَّ، كما يقول غُرْفة وغُرُفات، ويجوز صُدْقاتهنَّ، وصُدَقَاتهنَّ. بضم الصاد وفتح

---

(١) في الأصل يعولها، والمراد يكثر عيالها.

(٢) ط حتى نزلت هذه الآية، أي آية ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾. فهي التي حددت عدد الزوجات.

(٣) لا يعطونهن حقوقهن وتأكلون مالهن أيضاً.

(٤) أي وهذا دليل أيضاً. الأولى أن يكون التقدير في أمرهن، ويستقم أن طمعهم كان حيفاً على الزوجات وأخوة الزوجات اليتامى.

الدال. ويجوز صُدُقاتهنَّ، ولا تقرأَنَّ من هذا إلا ما قد قُرِئَ به لأن القراءَة سُنة لا ينبغي أن يقرأ فيها بكل ما يجيزه النحويون، وإنْ تتبعْ فالذي روي من المشهورُ في القراءة أَجْودُ عند النحويين، فيجتمع في القراءَة بما قد روى الأتباعُ وإثباتُ ما هو أقوى في الحجة: إن شاءَ اللَّه.

ومعنى قوله: ﴿نِحْلةً﴾:

فيه غير قولٍ، قال بعضُهم فريضةً، وقال بعضهم ديانةً، تقول: فلان ينتحل كذا وكذا، أيْ يدينُ به، وقال بعضهم هي نحلة من اللَّه لهن أنْ جعل على الرجال الصداق، ولم يجعل على المرأة شيئاً من الغُرْم، فتلك نحلة من اللَّه للنساءِ يقال ـ نحلتُ الرجل والمرأة ـ إذا وهَبْتُ له ـ نِحْلةً ونُحْلاً ويقال: قد نَحِلَ جسم فلان ونَحَلَ إذا دقَّ[1]. والنَّحْلُ جائز أن تكون سميت نحلاً، لأن اللَّه جلّ ثناؤه نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها.

وقوله ـ جلَّ وعزّ ـ ﴿فإنْ طِبْنَ لكمْ عَنْ شيْءٍ مِنْهُ نَفْساً﴾:

أي عن شيءٍ من الصداق.

و «لكم» خطاب للأزواج، وقال بعضهم للأولياءِ ههنا. و «نفساً» منصوب على التمييز لأنه إذا قال: طِبْنَ لكم، لم يعلم في أيِّ صنْف وقع الطيبُ، المعنى: فإن طابت أنفسهن بذلك.

وقد شرحناه قبل هذا المكان شرحاً وافياً[2].

وقوله: ﴿فَكُلُوهُ هنِيئاً مَرِيئاً﴾:

يقال: هنأني الطعامُ ومرأني. وقال بعضهم: يقال مع هنأني مرأني، فإذا لم تذكر هنأني قلت أَمْرَأني بالألف. وهذا حقيقته أن مرأني تَبينتُ أنه

---

(١) بوزن علم ونصر في ماضيه ومضارعه.

(٢) انظر ص ٣١٩ جـ ١

سينهضم وأحمد مغبتهُ، فإذا قلت أَمْرأني الطعام فتأْويله أنه قد انهضم وحُمدتْ مغبته.

فإن قال قائل: إنما قيل: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً﴾ فكيف يجوز أَن يقبل الرجل المهر كله، وإنما قيل له منه.؟ فالجواب في ذلك أَن «منه» ههنا للجنس(١) لما قال عزّ وجلّ ـ: ﴿فاجْتَنِبُوا الرجسَ من الأَوْثَانِ﴾(٢). فلم نؤمر أَن نجتنب بعض الأوثان، ولكن المعنى اجتنبوا الرجس الذي هو وثنّ. أي فكلوا الشيءَ الذي هُو مهْرٌ.

وقوله: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ﴾:

قال بعضهم: السفهاءُ النساءُ والصِّبْيانُ، وقال بعضهم: السفهاءُ اليتامى، والسفهاءُ يدل على أَنه لا يعني به النساءُ وحدهن، لأَن النساءَ أَكثر ما يستعمل فيهنَّ جمع سفيهة [وهو] سفائه، ويجوز سفهاءُ، كما يقال فقيرةٌ وفقراءُ.

وقال بعضُهُمْ: معناه لا تهبوا للسفهاء، أَموالكم، وهذا عندي ـ واللَّه أعلم ـ غير جائز. كذلك قالَ أَصْحابنا البصْريُّونَ بل السفيه أَحَقُّ بالهبة لتعذُّر الكسب عليه، ولو مُنِعْنَا منَ الهبَة لهم لما جاز أَنْ نُورِّثُهمْ، وإنما معْنَى: ﴿ولا تؤتوا السفهاءَ أموالكم﴾، لا تُؤتوا السفهاءَ أَمْوالهم، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَارْزُقُوهم فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ وقوله: ﴿ فَإِنْ آنسْتُم مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوالُهمْ﴾، وإنما قيل أَموالكم لأَن معناه الشيءَ الذي به قوام أَمْركم، كما قال اللَّه: ﴿ثُمَّ أَنْتُم هَؤُلَاءِ تقتلُون أَنْفُسَكُمْ﴾(٣) ولم يكن الرجل منهم يقتل نفسه،

---

(١) بيانية.

(٢) سورة الحج آية ٣٠.

(٣) سورة البقرة آية: ٨٥.

ولكن كان بعضهم يقتل بعْضاً، أي تقتلون الجنس الذي هو جنسُكُمْ.

وقرئت «اللَّاتي جعل اللَّهُ لكمْ قياماً»، وقيماً. يقال: هذا قوام الأمْر وملاكه.

المعنى: التي جعلها اللَّه تقيمكم فتقومون بها قياماً، فهو راجع إلى هذا[1]، والمعنى جعلها اللَّه قيمة الأشياءِ فبها يقوم أمْرُكم.

﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾:

أي: علموهم ـ مع إطعامكم إياهم، وكسوتكم إيَّاهم ـ أمْر دينهمْ...

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وابتلُوا الْيَتَامَى﴾:

معناه: اختبروا اليتامى.

﴿حَتَّى إذَا بَلَغُوا النِّكاح فإنْ آنَسْتُم مِنْهُمْ رُشْداً﴾:

معنى: «آنسُتْم»: عَلِمْتُمْ، ومعنى «الرُّشد»: الطريقة المستقيمة التي تَثِقُونَ مَعَهَا بأنَّهم يحْفظُون أَموالهُمْ، فادْفَعُوا إلَيْهمْ أمْوالَهُمْ.

﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إسْرَافاً وَبِدَاراً أنْ يكْبُرُوا﴾:

أي مُبادرة كبرهمْ.

قال بعضهم لا تأْكلوها إسرافاً، لا تأثَّلُوا منْها[2]، وكلوا القوت على قدر نفعكم إيَّاهُمْ في توليكم علَيهمْ.

وقال بعضهم:

معنى: ﴿ومَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

أي يأْكل قرضاً ولا يأْخذ من مال اليتيم شيئاً، لأَنَّ المعروف أن يأْكل

---

(١) فهي إذن مفعول مطلق، وواضح أنها مفعول ثان لجعل.

(٢) لا تثروا: لا تأخذوا للثراء والغنى بل للكفاية.

الإنسانُ مالَه، ولا يأكُل مال غيره قال: والدليل على ذلك قوله: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُم إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيهِمْ﴾.

وقوله: عزّ وجلّ: ﴿لِلرِّجَالِ نصِيبٌ مِمَّا تَركَ الْوَالِدَان وَالأَقْرَبُونَ، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَركَ الوالِدانِ والأَقْرَبُونَ ممَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾.

كانت العرب لا تُورِّثُ إلَّا منْ طَاعن بالرِّماحِ وزاد عن المال وحاز الغنيمة، فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن حق الميراث على ما ذكر من الفرض.

وجاءَت امرأة إلى النبي ﷺ ومعها بنات لها تُوفِّي أَبوهُنَّ وهو زوجُها، وقدْ همَّ عما البنات بأخذ المال فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾ الآية.

فقال العمَّان: يا رسول اللَّه أيرثُ من لا يُطاعن بالرماحِ ولا يَزُودُ عن المال ولا يحُوزُ الغنيمة؟ فقال ﷺ: أعطيا البنات الثلثين، وأعطيا الزوجة ـ وهي أُمُّهن ـ الثُّمن، وما بقي فلكما، فقالا: فمن يتولى القيام بأمرهما؟ فأمرهما النبي ﷺ أنْ يتولَّيا ذَلكَ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾:

هذا منصوب على الحال، المعنى لهؤلاءِ أَنْصِبةٌ على ما ذكرناها في حال الفرض، وهذا كلام مؤكِّدٌ[1] لأن قوله ـ جلّ ثناؤه ـ ﴿للرِّجالِ نَصيبٌ ممَّا تركَ الوالدان والأَقْرَبُونَ، وللنساءِ نصيبٌ. . .﴾ معناه: إنَّ ذلك مفروض لهُنَّ.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُو القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾:

[أي]. فاعطوهم منه.

---

(١) حال مؤكدة، لأن معناها معروف من قبل.

قال الحسن رحمة اللَّه عليه، والنَّخَعِي[١]: أدركنا الناس وهم يَقْسِمون عَلى القَرَاباتِ والمساكين واليَتَامَى من العَين، يَعْنيانِ الوَرِقَ، والذَّهَبَ، فإذا قُسِمَ الوَرق والذهب وصارت القسمةُ إلى الأَرَضِين والرقيق وما أَشْبَهَ ذلك، قالوا لهم قولاً معروفاً. كانوا يقولون لهم: بورك فيكم.

وقال قوم: نَسَخَ الأَمْرَ للمَسَاكينِ ومَنْ ذُكِرَ في هذه الآية الفَرضُ في القِسْمَةِ، وإباحةُ الثلث للميِّتِ يجعله حيثُ شاءَ[٢].

قال أبو إسحق وقد أجمعوا أن الأمر بالقسمة من الميراث للقرابة والمساكين واليتامى قَد أُمِر بهما، ولم يجمعوا على نسخها، والأمر في ذلك على ما أُجْمِعَ عَلَيْه، واللَّه أعلم.

وقوله: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾.

الكلام في ذُرِّيَّة بضم الذَّال، ويجوز ذِرِّيَة، - بكسر الذَّال، وقد قرئ بهما، إلا أن الضمَّ أجودُ وهي منسوبة إلى الذَّرِّ، وهي فُعْلِيَّةٌ منه[٣].

ويجوز أن يكون أصلها ذُرُّورَة، ولكن الراءَ أُبدلت ياءً، وأدغمت الواو فيها[٤]، فأما الكسر في الذال فلكسر الراءِ كما قالوا في عُتِّي: عِتِّي.

وضِعَاف جمع ضعيف وضعيفة، كما تقول ظَريفٌ وظِرافٌ وخبيث

(١) النخعي هو إبراهيم بن يزيد، يكنى أبا عمران - من مدجح، من مشهوري التابعين والصلحاء وحفاظ الحديث، وكان له مذهب فقهي ينسب إليه، وكان من أعداء الحجاج واختفى منه ومات في اختفائه سنة ٩٦ هـ، وقال عنه الشعبي إذ علم بموته: ما ترك بعده مثله، وله ترجمة في الحلية ٤ - ٢١٩، وفي طبقات القراء ١ - ٢٩ وأحاديثه في كثير من كتب التاريخ.

(٢) يباح للمريض الفاني أن يهب من ماله أو يوصي منه فيما لا يزيد على الثلث.

(٣) انظر ص ٣٩٩ جـ ١ تفسير ذرية بعضها من بعض.

(٤) أي بعد قلبها ياء.

وخباث. وإن قيل ضُعفاءُ جاز، تقول ضعيف وضُعفاءُ[١].

قيل: ومعنى[٢] الآية أنهم كانوا يُوصون بأموالهم على قَدْر أهوائهم، ويتركون ضعفة ذراريهم وأَوْلَادِهم فأمرهم اللّه ـ عزّ وجلّ ـ أن يُوصُوا لهم، وأن يُجرُوا ذلك من سدَادٍ. وقيل: قيلَ[٣] لَهُم هَذا بسببِ اليتامى. فوُعظُوا في تولِّيتهم اليتامى بأن يفعلُوا كما يحبونَ أَنْ يُفعل بأولَادِهم من بعدهم.

وكلا القولين جائزٌ حسن، إلا أن تسميةَ الفرائض قد نَسخَ ذلك بما جعلَ من الأقسامِ للأولادِ وذَوِي العصبةِ[٤].

ثم خوّف اللّه عزّ وجلّ وغَلَّظَ في امر اليتامى وأُوعدَ فقال:

﴿إِنَّ الَّذِين يَـأْكُلُونَ أَمـوَالَ الْيتـامَى ظُلْمـاً إِنَّمـا يَـأْكُلُونَ فِي بُـطُونِهِمْ نَـاراً وَسَيَصْلَوْنَ سعيراً﴾.

(يُقْرأُ)[٥] «وَسَيُصَلَوْنَ».

في هذا ـ أعني في قوله « . . يأْكُلونُ أَمْوالَ اليَتامَى » ـ دليلُ أَنَّ مال اليتيم إنْ أُخِذَ منه على قدْرِ القيامِ له ولم يُتجاوزْ ذلك [جاز].

بل يستظهر فيه إن أمكن أَلَّا يُقْرب البَتَّةَ لشـدة الوعيـد فيه، بـأَنْ لا يؤْكل منه إلَّا قَرْضاً، وإن أُخِذَ القَصْدُ وقَدْرُ الحاجةِ على قَـدْر نَفْعِه فـلا بأْس إن شـاءَ اللّه[٦].

---

(١) في الأصل كما يقال وفي ك ـ كما تقول.

(٢) ب وقيل في معنى الآية.

(٣) ط وإنما قيل.

(٤) تقديرها بتعيين حق كل ذي فرض أو عصبة من التركة.

(٥) ب فقط.

(٦) جملة فلا بأس هي جواب الشرط في إن أخذ منه، ولطول الكلام زدنا كلمة ـ جاز.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾.

معنى «يُوصِيكم»: يفرض عليكم، لأن الـوصيـة من اللّه ـ عـزّ وجـلّ ـ فرض، والدليل على ذلك قـوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَـرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقّ ذَلِكُم وَصَّاكُمْ بِهِ﴾[1].

وهذا من المحكم علينا.

﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾:

المعنى: يستقر[2] للذكر مثلُ حظ الأنثيين، له الثلثان وللابنة الثلث.

﴿فَإِنْ كُنَّ نِساءً فَـوْقَ اثْنَتَيْن فَلَهُنَّ ثُلُثا مَـا تَـرَكَ، وإِنْ كَـانَتْ واحـدَةً فَلهَـا النِّصْفُ﴾:

يجوز واحدةً ووَاحِدةٌ ههنا، وقد قـرئ بهمَا جميعاً إلا أن النَّصبَ عندي أجودُ بكثيرٍ، لأن قوله: ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ قد بيَّن أن المعنى فإن كان الأَولادُ نساءً، وكذلك، وإِنْ كانَتْ المَولُودَة واحدةً.

فلذلك اخترنا النصبَ، وعليه أكثر القراءَة.

فـإن قال قـائل إنمـا ذكر لنـا ما فـوق الثنتين وذكرت واحـدةٌ فلم أُعْطِيَتِ البنتان الثلثين فَسُوِّيَ بينَ الثِّنْتَين والجماعةِ؟ فقد قال الناس في هذا غير قول:

قال بعضهم: أُعطيتِ البنتَـانِ الثلثين بدليـلٍ لا تُفْرَضُ لهمـا مُسمَّى[3]، والدليل [هو] قولـه: ﴿يَستَفْتَونَـك قُلِ اللَّه يُفْتِيكُمْ فِي الكَـلَالَةِ، إِنِ امـرُؤٌ هَلَكَ ليس له وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصفُ مَا تَرَكَ﴾[4].

---

(١) سورة الأنعام: ١٥١.

(٢) قدر فعلاً لتأثره بالمذهب الكوفي.

(٣) بدليل استنتاجي لا يعين النص فيه نصيباً.

(٤) سورة النساء ١٧٦.

فقد صار للأخت النصفُ كما أَنَّ للابنةِ النصفَ، ﴿فَإِن كَانَتَا اثْنَتين فَلَهُمَا الثُّلُثانِ﴾[1] فأُعطيت البنتان الثلثين كَمَا أُعطِيتَ الأُختان، وأُعطِيَ جملة الأَخوات الثلثين قياساً على ما ذكر اللَّه - عزّ وجلّ - في جملة البنات، وأعلم اللَّه في مكان آخر أَن حظ الابنتين وما فوقهُمَا حَظ واحِدٌ في قوله: ﴿وَإِن كان رَجلٌ يُورَثُ كلالَةً أَو امرَأَةٌ، وله أَخٌ أَو أُخْتٌ فلكُلِّ وَاحِدٍ مِنهما السُّدُس، فَإِنْ كانوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾.

فدلت هذه الآية أَن حظَّ الجماعة إذا كان الميراث مسمى حظ واحدة، وهذا أَيضاً في العربية كذا قياسُه لأَن منزلة الاثنتين[2] من الثلاث[3] كمنزلة الثلاث من الأربع فالاثنان جمع كما أَنّ الثّلاثَ جمعُ، وَصَلَاةُ الاثْنَيْن وَصَلاة الاثنتين جَماعَةٌ، والاثنان يحجبان كما تحجب الجماعة.

فهذا بيّن واضحٌ.

وهذا جعله اللَّه في كتابه يدل بعضُه على بعضٍ تفْقيهاً لِلمسْلِمينَ وتعليماً، ليعلموا فيما يحزُبُهمْ[4] من الأُمور على هذه الأَدلة.

وقال أَبو العباس محمد بن يزيد، وكذا قال إسماعيل بن إسحق - «أَنه قال»[5]: في الآية نفسها دليلٌ أَنَّ للبنتين الثلثيْن، لأَنه إذا قال: للذكر مثل حَظِّ الأُنثيَيْن، وكان أَوَّلُ العددِ[6] ذكراً وأُنثى، فللذَّكر الثلثان وللأنثى الثلث، فقد بان من هذا أَن لِلبنْتَين الثلثين[7]، واللَّه قد أَعلم أَن ما فوق الثنتين لهما الثلثان.

---

(۱) أي بالقياس. (۲) ب الثنتين.

(۳) في الأصل من الثلاثة.

(٤) يحزبهم يهمهم، وفي ط يجزيهم وهو تحريف.

(٥) كذا في جميع الأصول.

(٦) أي أقل العدد.

(۷) لأن الواحدة لها الثلث.

وجميع هذه الأقوال التي ذكرنا حسن جميل بينٌ، فأما ما ذُكِرَ عن ابن عباس من أن البنتين بمنزلة البنت فهذا لا أحسبه صحيحاً عن ابن عباس وهو يَسْتَحيلُ في القِياسِ (١) لأنَّ منزلة الاثنين منزلة الجمع، فالواحد خارج عن الاثنين.

ويقال ثلُثٌ وربُعٌ وسُدُس، ويجوز تخفيف هذه الأشياءِ لِثقلِ الضَّمِّ، فيقال ثِلْث وَرُبْعٌ وسُدْسٌ. ومنْ زعم أن الأصل فيه التخفيف وأنَّه ثُقِّل فخطأٌ، لأن الكلامَ موضوع على الإيجاز والتخفِيفُ(٢).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولأَبَوَيْهِ لِكُلِ واحِدٍ مِنْهُما السُّدُس مِمَّا تَرَكَ إنْ كَانَ له وَلَدٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَه وَلدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فلأُمِّهِ الثُّلُثُ فإنْ كانَ لَه إخوةٌ فلأُمِّهِ السُّدُس﴾.

فالأم لها في الميراث تسميةٌ من جهتين، تسمية السدس مع الولد، وتسمية السُّدُس مع الأخوة، وتسمية الثلث إن لم يكن له ولد(٣).

والأب يرث من جهة التسمية السدسَ، ويرث بعد التسمية على جهة التعصيب.

والأم يحجبها الأخوة عن الثلث فترث معهم السُّدَس.

قال أبو إسحق: ونذكر من كل شيءٍ من هذا مسألةً، إذْ كان أصل الفرائض في الأموال والمواريث في هذه السورة.

فإن مات رجل أو امْرأةٌ فخلفا أَبَوَيْن، فللأم الثلث، والثلثان الباقيان للأب. بهذا جاءَ التنزيل وعليه اجتمعت الأمة. فإن خلَّف الميت وَلَداً وكان

(١) في قواعد الميراث، والنصوص السابقة.

(٢) ط الآحاد. يريد أن الكلام لا يثقل بعد وضعه بل يخفف لكثرة الاستعمال.

(٣) فرض، أي لها فرض مع الأخوة وفرض مع أولاد الميت.

ذكرا فللأم السدس وللأب السدس، وما بقي فللابن، فإن خلَّف بنتاً وأبوين، فللبنت النصف ولـلأم السـدس، ومـا بقي لـلأب، يـأخـذ الأب سـدساً بحق التسمية، ويأخذ السدس الآخر بحق التعصِيب.

فإن خلَّف الميت ـ وكانت امرأة ـ زوجاً وأبـوين، فللزَّوجِ النصف وللأم ثلث ما بقي وللأب ثُلثا ما بقيَ، وهو ثلث أصل المال.

وقـد ذكر عن ابن عبـاس أنه كـان يعطي الأمَّ الثلث من جميـع المـال، ويعطي الأب السُّدَس. فيفضل الأم على الأب في هذا المـوضعِ. والإجمـاع على خلاف ما روي عنه.

وقال الذين احتجُّوا مع الإجماع[1]: لو أعلَمَنا اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن المال بين الأب والأم ولم يسم لكـل واحد لـوجب أن نقسمـه بينهمـا نصفين، فلمـا أعلمنا اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أنَّ للأمِّ الثُّلثَ علمنا أن للأب الثلثين، فلمـا دخل على الأب والأم داخلٌ أخذَ نِصْف المال، دخل النقص عليهمـا جميعاً، فـوجب أن يكون الميراث للأبوين إنَّما هوَ النصفُ، فصار للأم ثلث النصف، ولـلأب ثلثا النصف[2].

وقيل في الاحتجاج في هذا قول آخر:

قال بعضهم: إنما قيل: ﴿فإن لَمْ يَكُن لَـه ولَدُ وَوَرِثَـهَ أَبَواه فلأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ ولـم يرثه ههنا أبواه فقط، بل ورثه أبواه وورثه مَعَ الأبويْن غيـر الأبويْن، فـرجع ميراث الأم إلى ثلث ما بقي[3].

---

(١) الذين على غير رأي ابن عباس.

(٢) أعطي الذكر مثل حظ الأنثيين، والأب في القياس السابق لضعفها.

(٢) حق الأم الثلث ما لم يكن هناك ولد أو إخوة. والأخوة هنا ردوها إلى السدس ولم يأخذوا شيئاً. فجعل هذا السدس لهم.

(٣) من أدلى للميت بجهة تحجبه تلك الجهة، والأخوة صلتهـم الأبوان فلا يأخذون معهما.

وقـال أصحاب هـذا الاحتجـاج: كيف تفضَّلُ الأم على الأب[١] والأخوة يمنعـون الأم الثلث فيقْتصر بهـا على السُّـدس، ويـوفـر الباقي[٢] على الأب. فيأخذُ الأب خمسة أسْداس، وتأخُذُ الأم سُدُساً.

فإن توفي رجُلٌ أو امرأة، وخلَّف إخوةً ثلاثة فما فـوق، وأُمًّا وأبـاً أخذت الأم السدس وأخذ الأبُ الباقِي. هذا إجماع.

وقد روي عن ابن عباس في هذا شيءٌ شاذ:

رَوَوْا أنـه كان يُعْـطِي الإخـوة هـذا السـدس الـذي منـع الأخـوةُ الأمَّ أن تأخذهُ، فكان يعطي الأمَّ السُّدسَ، والإخـوة السُّـدسَ. ويعطي الأب الثلثين. وهـذا لا يقولـه أحدُ من الفقهـاءِ. وقـد أجمعتِ فقهـاءِ الأمصـار أن الأخـوة لا يأخذون مع الأبوين[٣].

فإنْ توَفِّي رجُلٌ وخلَّف أخوين وأبَـوَيْن، فقد أجمـع الفقهاءِ أن الأخـوين يحجبان الأمَّ عن الثلث، إلا ابنَ عباس فإنه كـان لا يحجب بأخـوين. وحجته أن اللَّه ـ عـزّ وجلّ ـ قـال: ﴿فإن كـان له إخـوةٌ [فلأمـه السدس]. . .﴾[٤] وقال جميـع أهل اللغـة إن الأخوين جمـاعةٌ، كمـا أن الإخـوة جمـاعـة، لأنـك إذا جمعت واحداً إلى واحد فهما جماعة، ويقال لهما إخوةٌ.

وحكى سيبويه أن العرب تقول: قد وضعا رحالهما، يُريدُون رَحليْهمَـا، ومـا كان الشيءُ منـه واحداً فتثنيتـهُ جمع، لأَنَّ الأصـل هو الجمـعُ، قـال اللَّه تعالى: ﴿إن تَتُوبَا إلى اللَّهِ فَقَدْ صَغَت قُلُوبُكُما﴾[٥].

وقال: ﴿لِأَبويه﴾ لأن كل واحد منهما قد ولدُهُ.

---

(١) في الأصل: على أ ب. (٢) في الأصل: السدس.

(٣) أي ان الثلث للأم إن لم يكن للميت ولد. وهنا له ولد.

(٤) وهم هنا اثنان لا جماعة. (٥) سورة التحريم آية ٤.

والأَصل في «أُم» أَن يقال «أَبَةٌ»[1]، ولكن استُغْنِيَ عنها بأُم. وأَبوان تثنية أَبٍ، وأَبة، وكذلك لو ثنيت ابناً وابنة، ـ ولم تخَفِ اللبَس ـ قلت: ابنان.

﴿فلأُمه﴾:

تقرأ بضم الهمزة وهي أَكثر القراءات، وتقرأ بالكسر «فلإِمّهِ»، فأَما إذا كان قبل الهمزة غير كسْرٍ، فالضمُّ لا غيْرُ، مثل قوله: ﴿وجَعَلْنَا ابن مَرْيَمَ وأُمَّه آية﴾[2] لا يجوز وإِمِّه، وكذلك قوله: ﴿مَا هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ﴾[3]، وإنما جاز «لإِمّه»[4]، [و] ﴿فِي إِمِّها رسُولاً﴾[5] بالكسر، لأَن قبل الهمزة كسرة، فاستثقلوا الضمة بعد الكسْرةِ، وليس في كلام العرب مثل: «فِعُل» بكسر الفاءِ وضَمِّ العيْن، فلما اختلطت اللام بالاسم[6] شُبِّهَ بالكلمة الواحدة، فأبدل من الضَّمَّة كسرة، . ومن قال: ﴿فلأُمه﴾ ـ بضم الهمزة. أَتى بها على أَصلها، على أَن اللام تقديرها تقدير الانفصال.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مِن بعْدِ وصِيةٍ يوصِي بها أو دِيْن﴾:

أَي إن هذه الأَنصبة إنما تجب بعد قضاءِ الدين، وإنفاذ وصية الميت في ثلثه.

فإن قال قائل: فلم قال أَوْ دَيْنٍ، وهلا كان «من بَعْدِ وصية يوصي بها وَدَيْن، فالجواب في هذا أَن «أَو» تأْتي للإباحة[7]، فتأْتي لواحد واحدٍ على

---

(١) مؤنث أب.

(٢) سورة المؤمنون ٥٠.

(٣) سورة المجادلة ٢.

(٤) من الآية فلأمه الثلث.

(٥) سورة القصص ٥٩: ﴿وما كانَ ربُّكَ مُهْلِكَ القرى حتى يبعث في أمها رسولاً﴾.

(٦) اتصلت لام الجر بأم.

(٧) سبق أنه يطلق الإباحة على التنويع ـ راجع الآية ﴿أو كصَّيبٍ من السماء﴾ ص ٩٤ جـ ١.

انفراد، وتضم الجماعة فيقال جالس الحسن أو الشعبي، والمعنى كل واحد من هؤلاءِ أهل أن يجالس، فإن جالست الحسن فأنت مصيب[١]، ولو قلت جالس الرجلين فجالست واحداً منهما وتركت الآخر كنت غير متبع ما أُمِرْت به.

فلو كان «مِن بعدِ وصيَّةٍ يُوصِي بهَا ودَيْن»[٢] احتمل اللفظ أن يكون هذا إذا اجتمعت الوصية والدينُ، فإذا انفردا كان حكم آخر، فإذا كانت «أو» دلَّت على أن أحدهما إن كان. فالميراث بعده، وكذلك إن كانا كلاهما[٣]

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿آباؤُكُمْ وأَبْنَاؤُكُمْ لا تدْرُونَ أَيُّهم أقربُ لَكمْ نَفْعاً﴾:

في هذا غير قول:

أما التفسير فإنه يروى أن الابن إنْ كان أرفعَ دَرجةً من أبيه في الجنة سأل أنْ يرفع إليه أبوه فيرفع، وكذلك الأَبُ إن كان أرفعَ درجةً من ابنه سأل أن يُرْفع ابنه إليه فأنتم لا تدرون في الدنيا أيهم أقرب لكم نفعاً.

أي إن اللّه ـ عزّ وجلّ ـ قد فرض الفرائض على ما هي عنده حكمة، ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم لكم أنفع في الدنيا، فوضعْتُم أنتم الأموال على غير حكمة.

﴿إنَّ اللّه كَانَ عليماً حكِيماً﴾.

أي عليم بما يصلح خلقه ـ حكيمٌ فيما فرض من هذه الأموال وغيرها.

وقوله: ﴿فريضةً مِن اللّهِ﴾.

---

(١) أي وإن جالست الشعبي فأنت مصيب، وإن جالستهما فأنت مصيب

(٢) أي لو كان التعبير هو هذه الجملة.

(٣) إن وجدا.

منصوب على التوكيد والحال من. . ولأَبَوَيْهِ. . . [أي] ولهؤلاءِ الورثة ما ذكرنا مفروضاً. ففريضة مؤكدة لقوله ﴿يوصيكم اللّه﴾.

ومعنى ﴿إنَّ اللّه كانَ علِيماً حكِيماً﴾: فيه ثلاثة أقوال:

قال سيبويه: كَان القوم شاهدوا علماً وحكمة ومغفرة وتَفَضُّلا، فقيل لهم إن اللّه كان كذلك ولم يزل، أي لم يزل على ما شاهدتم.

وقال الحسن: كان عليماً بالأَشياءِ قبل خلقها، حكيماً فيما يقدر تدبيره منها.

وقال بعضهم: الخبر عن اللّه في هذه الأَشياءِ بالمُضِيّ، كالخبر بالاستقبال والحال، لأَن الأَشياءَ عند اللّه في حال واحدةٍ، ما مضى وما يكونُ وما هو كائن.

والقولان الأَولان هما الصحيحان لأَن العرب خوطبت بما تعقل، ونزل القرآن بلغتها فما أَشبه من التفسير كلامها فهو أَصح، إذ كان القرآن بلغتها نزل.

وقال بعضهم: الأَب تجب عليه النفقة للابن إذا كان محتاجاً إلى ذلك، وكذلك الأب تجب نفقته على الابن[1] إذا كان محتاجاً إلى ذلك، فهما في النفع في هذا الباب لا يدرى أيهما أقرب نَفْعاً.

والقول الأَول هو الذي عليه أَهل التفسير. .

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كلَالَةً﴾:

يقرأ يُورث ويُورِث. . بفتح الراءِ وكسرها ـ. فمن قرأ يُورِثُ ـ بالكسر ـ [فكلالة]. . مفعول، ومن قرأ «يُورَثُ» فكلالة منصوب على الحال.

زعم أهل اللغة أن الكلالة من قولك «تكلله النسب، أي لم يكن الذي

(١) تجب له النفقة على ابنه.

يَرِثُه ابنَه ولا أَبَاهُ. والكلالة سوى الولَدِ والوَالِدِ[١]، والدليل على أن الأب ليس بكلالة قول الشاعر:

فـإن أبـا المـرءِ أحـمـى لـه ومـولى الكـلالـة لا يـغـضـبُ[٢]

وإنما هو كالإكليل الذي على الرأس. وإنما استُدِلَّ على أن الكلالةَ ههنا الإخوةُ للأم دون الأب بمَا ذُكر في آخر السورة أن للأُختين الثلثين[٣] وأن للإخوة كل المال، فعلم ههنا لما جُعِلَ للواحد السُّدُس ، وللاثنين الثلثَ، ولم يُزادُوا على الثلث شيئاً ما كانوا، عُلِم أنه يعني بهم الإخوةُ للأم.

فإن ماتت امرأةٌ وخلَّفتْ زوجاً وأُمَّاً وإخوةً لأمٍّ فللزوج النصف[٤] وللأم السدس، وللإخوة من الأم الثلث.

فإن خلَّفت زوجاً وأُمَّا وإخوة لأَبٍ وأُمٍّ وإخوة لأمٍ فإن هذه المسألة يسميها بعضهم المسألة المشتركة، وبعضهم يسميها الحمارية. قال بعضهم: إن الثلث الذي بقي للإخوة للأمِّ دون الإخوة للأب والأم، لأن لهؤلاءِ الذين للأم تسمية وهي الثلث وليس للإخوة للأب والأم تسمية، فأعطيناهم الثلث.

كما أنه لو مات رجلٌ وخلَّف أخوين لِأمٍّ، وخلَّف مائة أخ لأَبٍ وأُم لأعطِي الأخوان للأم الثلث وأعطي المائة الثلثين، فقد صار الإخوة للأم يفْضلُون في الأنصباءِ الإخوة للأب والأم الاشقاء.

وقال بعضهم: الأم واحِدةٌ[٥].

(١) كذا قال الفراء ـ الكلالة ما سوى الولد والوالد.

(٢) أي أبو المرء أغضب له إذا ظلم، ومولى الكلالة وهم الأخوة والأعمام وسائر القرابات لا يغضبون من أجله غضب الوالد. (اللسان كلل).

(٣) ط بأن ذكرت في آخر. . . بأن للأختين.

(٤) في الأصل الربع وهو خطأ.

(٥) الأشقاء والذين لأم أمهم واحدة: فلا ينبغي أن يفضل الذين لأم فقط. وقد احتكم قوم لهم مثل هذه الحالة ـ إلى عمر بن الخطاب، وقال أحد الأشقاء: هب أن أبانا كان حماراً أو حجراً. فقضى لهم بالشركة ومن هنا أخذت المسألة هذا الاسم.

وسموها الحمارية بأن قالوا: هَبْ أَبَاهم كان حماراً واشتركوا بينهم، فسمِّيتْ المشتركة.

وقوله عزّ وجلّ: غَيْرَ مُضَار وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ.

غير منصوب على الحال. المعنى يوصي بها غير مضار، فمنع اللَّه عزّ وجلّ من الضِّرارِ في الوصيَّةِ. وروي عن أبي هريرة: من ضارَّ في وَصِيَّة ألقاهُ اللَّه في واد من جَهنَم أو من نارٍ، فالضرار راجع في الوصية إلى الميراث.

﴿واللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.

أي عليم ما دبر من هذه الفرائض، حليم عمَّنْ عصاه بأن أخرَهُ وقبل توبته.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾.

أي الأمكنة التي لا يَنْبَغِي أَنْ تَتَجَاوَزَ.

﴿وَمَنْ يُطع اللَّهَ وَرَسُولَه﴾.

أي يقيم حُدودَه على ما حَدَّ.

﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجرِي مِنْ تَحتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

أي يدخلهم مقدَّرين الخلود فيها، والحال يستقبل بها، تقول: مَرَرْتُ به مَعَهُ بازٍ صَائِداً به غداً، أي مقدراً الصيدَ به غداً.

﴿وَمَنْ يعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ويَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾.

أي يجاوز ما حدّه اللَّه وأمر به.

﴿يُدْخِلْهُ نَاراً خَالداً فِيهَا﴾.

خالداً من نعتِ النار، ويجوز أن يكون منصوباً على الحال أي يدخله مقدَّراً له الخلود فيها.

• قوله جَلَّ وعزّ: ﴿وَاللَّاتي يَأْتِينَ الفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾.

الفاحشة الزنا، والتي يُجْمَعُ اللاتي، واللواتي، قال الشاعر:[١]

مـن اللّواتـي والتـي والـلاتي زَعَـمْن أنّـي كبِـرَتْ لِـدَاتِـي

ويجمع اللاتي بإثبات الياءِ ويُحذَف الياءُ، قال الشاعر:

من اللاءِ لم يحججن يبغينَ حِسْبة ولكن ليقتلن البـريء المغَفَّـلا[٢]

﴿فاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أربَعَةً مِنْكُمْ﴾.

أي من المسلمين.

﴿فَإنْ شَهِدُوا فَأمسِكُوهُنَّ فِي البُيُـوتِ حَتَّى يَتوفَّـاهُنَّ المَوتُ أو يَجْعَـلَ اللَّهُ لَهُنَّ سُبِيلاً﴾.

هـذا كان الفـرضَ في الزنـا قبـل أن ينـزل الجَلْدُ، ويَـأْمُـرَ النبيُّ - ﷺ - بالرَّجْم، فكان يُحبَسُ الزانيان أبداً.

وقال بعضُهم: ﴿أوْ يَجعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ هو الحـد الذي نسـخ التخليد في الحبْس والأذى.

﴿وَاللّذَانِ يأْتِيَانها مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا﴾.

---

(١) لا يعرف القائل، ولكن البيت من شواهد النحو الشائعة يريد أنه أصبح من غيـر سنهن. والبيت في اللسان (لتي)، والقرطبي ٥ ـ ٨، ومجاز أبي عبيدة ١ ـ ١١٩ ومقدمة «الشعر والشعراء» ٣٥ ط ليدن.

(٢) من شعـر العرجي كمـا في الأغاني ١٩ ـ ٢١٦، ٢١٧، وفي زهـر الآداب حـ ١ ـ ٢١٠ للحرث المخزومي، وهو مستبعد، وكلا الشـاعرين من شعـراء الغزل ـ أمـا الحرث فهـو ابن خالـد ابن هشام بن العاصي وجده كان رقاً لأبي لهب لأنه غلبـه في قمار ـ وقتـل يوم بـدر. وكان الحـرث يهوى عائشة بنت طلحة وله فيها أشعار.

وأما العرجي فهـو عبد اللَّه بن عمـرو حفيد عثمـان بن عفّان ـ رضي اللَّه عنـه كان يسكن عـرج الطائف فلقب به، كان من الفرسان الشجعان ولكنـه كان مشغـوفاً بـاللهو والصيـد، ونحا منحى عمر بن أبي ربيعة في مجونه.

قال بعضهم: كان الحبسُ لِلثيِّبَيْنِ، والأَذَى للبِكْرَيْنِ، يوبخان، فيقال لهما زنيتما وفَجَرْتُمَا وانتهكتما حرمات اللَّه، وقال بعضهم: نسخ الأذى لهما مع الحبس، وقال بعضهم: الأذى لا ينبغي أن يكون منسوخاً عنهما إلا أن يتوبا، وإن قوله عزّ وجلّ: ﴿وليشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ المؤْمِنِين﴾[1]. هو من التوبيخ لهما بأن يفضحا على رُؤُوسِ الملأ.

أما ما سلف مما كان في أمر الفاجرين فقد استغنى عنه إلا أَنَّ الفائدة فيه أن الشهادة لم تزل في الزنا شهادةَ أربعة نفَر.

وقوله تعالى: ﴿إنَّمَا التَّوبَةُ على اللَّهِ للَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قرِيبٍ﴾.

ليس معناه أنهم يعملون السوءَ وهُم جُهَّالٌ، غيرُ مُميَّزينَ فإن من لا عقل له ولا تمييز لا حدَّ عليه، وإنما معنى بجهالة أنهم في اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقيةِ جُهال. فليس ذلك الجهل مسقطاً عنهم العذابَ. لو كان كذلك لم يعذب أَحَدٌ ولكنه جهل في الاختيار.

ومعنى ﴿يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ يتوقفون قبل الموت، لأن ما بين الانسان وبين الموت قريب، فالتوبة مقبولة قبل اليقين بالموت.

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوتُ قَال إِنِّي تُبتُ الآن﴾: - إنما لم تكن له التوبة، لأنه تاب في وقت لا يمكن الإقلاع بالتصرف فيما يحقق التوبة[2].

﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾.

أي مؤلماً مُوجِعاً، والمؤلم الذي يبلغ إيجاعُه غاية البُلوغِ.

---

(١) سورة النور آية ٢.

(٢) تتحقق التوبة بالإقلاع عن الإثم والشخص قادر على ارتكابه، وعند حضور الموت لا يستطيع الشخص ذلك.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ:

﴿يَا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا يحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً﴾.

معناه تكرهوهن على التزويج بِكم[1].

وهذه نزلت لأنهم كانوا إذا مات زوج المرأةِ وَلَه ولَدٌ من غيرها ضَرَبَ ابنه عليها حجاباً، وقال: أنا أَحقّ بها، فتزوجها على العقد الذي كان عقده[2] أَبوه من تزوجها ليرثها ما ورثت من أَبيه[3]، فأَعلم اللّه ـ عزّ وجلّ ـ أَن ذلك حرام.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾.

هؤُلاءِ غير أُولئك.

حرم َاللّه أَن تُعْضَل المرأَة، ومعنى تعضل تحبس عن التزوج. كان الرجل منهم إذا تزوج امرأَة ولم تكن من حاجَتِه حَبَسها لتفتدَى منه، فأَعلم اللّه عزّ وجلّ ـ أَن ذلك لا يحل.

و «تعضلوهن» يصلح أَن يكون نصْباً ويصلح أَن يكون جزماً. أَما النصب فعلى: أَن لا يحل لكم أَن ترثوا النساءَ وَلَا أَن تعضلوهن، ويصلح أَن يكون جزماً على النَّهيْ.

﴿إلَّا أَن يَأْتين بِفَاحشةٍ مُبَيَّنةٍ﴾.

والفاحشة الزنا.

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بالمَعرُوف﴾.

أَي بالنصفة في المبيت والنفقة، والإِجمال في القول.

---

(١) (ط) لكم عقداً لنفسه.

(٢) أي لا يعقد عليها عقداً لنفسه اكتفا بعقد أبيه.

(٣) ط عن أبيه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ استبدَال زوجٍ مَكان زوْجٍ﴾.

معناه إذا أردتم تخلية المرأة، إذا أراد[1] الرجل[2] أن يستبدل مكانها ولَمْ تُرِدْ. هذا شدَّدَ اللَّهُ فيه بقوله: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتيتُموهُنَّ﴾.

﴿وَآتَيْتُم إِحْدَاهُنَّ قنطاراً [فَلا تأْخُذُوا منه شيْئاً]﴾.

القنطار المال العظيم، وقد بينا ما قاله الناس فيه في سورة آل عمران[3].

وقوله ـ عزّ وجلّ: ﴿فَلَا تأْخُذُوا منه شيْئاً﴾.

فحرم اللَّه الأخذ من المهر على جهة الإضرار بقوله: ﴿أتأْخُذونه بُهتاناً وَإثماً مُبيناً﴾.

والبهتان الباطلُ الذي يُتحيَّر من بُطلانه، وبهتان حال موضوعة في موضع المصدرِ[4]، المعنى أتأْخذونهُ مُباهتين وآثمين.

﴿وكَيْفَ تأْخُذُونَهُ وَقَد أَفْضَى بَعْضُكُم إِلَى بَعضٍ﴾.

الإفضاءُ أصله الغشيان، وقال بعضهم إذا خَلاَ فقد أفضى، غشيَ أو لم يغش.

﴿وَأَخَذْنَ مِنْكُمُ ميثاقاً غَلِيظاً﴾.

(١) (ب) أراد الرجل أن يستبدل مكانها أو لم يرد.

(٢) ط أراد أن يستبدل الرجل.

(٣) انظر ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣ جـ١ الآية: ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ﴾.

(٤) كونها تمييزاً أوضح ولا حاجة فيه لتأويلها بمشتق ـ أي تأخذونه على جهة البهتان. أو هو مفعول لأجله.

قال بعضهم: هو عقدُ المَهر، وقال بعضهم: الميثاق الغليظ قوله: ﴿فإمسَاكٌ بِمَعرُوفٍ أو تَسْرِيحٌ بإِحْسَان﴾(١) و[قوله] ﴿وَلَا يحلُّ لكُمْ أن تَأْخُذُوا ممَّا آتيتُمُوهُنَّ شيئاً﴾(٢) والتسريح بإِحسان لا يكون بأن تأْخذ منها مهرها. هذا تسريح بإِساءَة لا بإِحسَان.

وقوله ـ جلّ وعزّ ـ ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِنَ النِّسَاءِ إلَّا ما قَدْ سَلف﴾.

المعنى: لا تنكحُوا كما كان مَن قبلكم يَنكحُ ما نَكَح أبُوه، فهذا معنى ﴿إلَّا ما قد سَلف﴾.

﴿إنَّهُ كان فاحشةً﴾.

المعنى إلا ما قد سلف فإنّه كان فاحشةً، أي زناً ﴿ومَقْتاً﴾.

والمقت أشد البُغْض.

﴿وَسَاءَ سَبِيلاً﴾.

أي وبئسَ طريقاً. «أي ذلك الطريق بئس طريقاً»(٣).

فالمعنى أنهم أُعلموا أن ذلك في الجاهلية كان يقال له مقت، وكان المولود عليه يقال له المَقْتِيُّ. فأُعْلِمُوا أن هذا الذي حرم عليهم لم يزل منكراً في قلوبهم ممقوتاً عندهم.

وقال أبو العباس محمد بن يزيد: جائز أن تكون «كان» زائدة، فالمعنى على هذا: إنَّه فاحِشَةٌ ومقتٌ، وأنشد في ذلك قول الشاعر:(٤)

---

(١) سورة البقرة ـ ٢٢٩.

(٢) ط هذا التسريح.

(٣) ليست في ط.

(٤) البيت للفرزدق يمدح هشام بن عبد الملك من قصيدة في ديوانه ـ ٢٣٧ ـ ومن شواهد النحو الشائعة، وهو في الخزانة ٤ ـ ٣٧ وشواهد المغني ٢٣٦، واللسان «كون» والقرطبي ١١ ـ ١٠٢، والعيني ١ ـ ٤٢ وتوضيح ابن هشام.

فكيف إذا حللتُ بـدار قـومٍ وجيـرانٍ لنـا كـانـوا كـرامِ

قال أبو إسـحق: هذا غلط من أبي العباس، لأنَّ «كـان» لو كـانت زائدة لم تنصب خبرها. والدليل على هذا البيتُ الذي أُنشده:

وجيـــران لنـــا كـانــوا كـــرام

ولم يقل: كانوا كراماً(١).

وقوله: ـ جلَّ وعزّ ـ: ﴿حُرِّمَت عليكُم أُمَّهاتُكُم وبَنَاتُكُم وأَخوَاتُكُم وعَمَّـاتُكُم وخَالاتُكُم وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُختِ﴾.

هـذا يسمى التحريمَ المبهم، وكثيـرٌ من أَهل العلم لا يفـرق في المبهم وغير المبهم تفريقاً مقنعاً، وإنما كان يسمى هذا المبهمَ من المحرمـات لأنه لا يحل بوجه ولا سبب، واللَّاحقُ بـه﴿وأُمهاتُكُم الـلَّاتي أَرضَعنكُم وَأَخواتُكُم من الرَّضاعَة﴾: والرضاعة قد أدخلت هذه المحرمات في الإبهام.

﴿وَأُمَّهاتُ نِسَائِكُم﴾.

قد اختلف الناس في هـذه فجعلها بعضهم مبهمـة وجعلها بعضهم غيـر مبهمة. فالذي جعلها مبهمة قال إنَّ الرجل إذا تـزوج المرأة حـرمت عليه أُمُّهـا دخـل بها أو لم يَـدخُل بهـا. واحتج بـأن ﴿اللاتي دخلتم بهن﴾ إنما هو متصـل بالربائب(٢).

وروي عن ابن عباس أنه قال: ﴿وأُمَّهَات نسائكم﴾ من المبهمة(٣).

---

(١) كان في الآية «كان فاحشة» نصبت خبرها، فهي ليست زائدة، أمـا في البيت فلم تنصب خبراً، فهي زائدة، والذي عليه النحويون هو أن في البيت تقديماً وتأخيراً فقط. ولا زيـادة، والتقديـر: وجيران كرام كانوا لنا. أي هم ليسوا جيراناً الآن..

(٢) أي هو قيد في الربائب لا غير.

(٣) من المتشابه الذي لم يعرف معناه.

﴿ورَبَائِبُكُمُ اللاَّتي في حُجُورِكُم من نسَائكُمْ اللاَّتي دَخلتُمْ بِهِنَّ﴾.

قال أبو العباس محمد بن يزيد: ﴿اللاتي دخلتم بهنّ﴾ نعت للنساءِ اللواتي هن أُمهات الربائب لا غير، قال: والدليل على ذلك إجماع الناس أن الربيبة تحل إذا لم يُدْخل بأُمها، وأن من أجاز أن يكون قوله: ﴿من نسَائكُمُ اللاَّتي دخلتم بهنَّ﴾ هو لأُمهات نسائكم، يكون المعنى [على تقديره] وأُمهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهنَّ.

فيخرج أن يكون اللاتي دخلتم بهن لأُمهات الربائب.

والدليل على أن ما قاله أبو العباس هو الصحيح أن الخبرين إذا اختلفا لم يكن نعتهما واحداً. لا يجيز النحويون: مررت بنسائك وهربت من نساءِ زيد الظريفات، على أن تكون الظريفات نعتاً لهؤلاءِ النساءِ وهؤلاءِ النساءِ. والذين قالوا بهذا القول أعني الذين جعلوا أُمهات نسائكم بمنزلة قوله: ﴿من نسائكم اللاتي دخلتم بهن﴾ إنما يجوز لهم أن يكون منصوباً على «أعني» فيكون المعنى أعني اللاتي دخلتم بِهِنَّ، وأن يكون ﴿وأُمهاتُ نسائكم﴾ تمام هذه التحريمات المبهمات، ويكون الربائب هن اللاتي يحللن إذا لم يُدْخل بأُمَّهاتهِنَّ قط دون أُمهات نسائكم هو الجيد البالغ.

فأما الربيبة فبنت امرأة الرجل من غيره، ومعناها مربوبة(١)، لأن الرجل هو يَرُبُّهَا، ويجوز أن تسمى ربيبة لأنه تولى تربيتها، كانت في حجره أو لم تكن تربت في حجره، لأن الرجل إذا تزوج بأُمها سمي ربيبها، والعرب تسمِّي الفاعلين والمفعولين بما يقع بهم ويوقعونه، فيقولون: هذا مقتول وهذا ذبيح، أي قد وقع بهم ذلك. وهذا قاتل أي قد قتل، وهذه أُضْحيَّةُ آلِ فلان لما قد

(١) مربأة ـ يربها زوج أمها.

ضحَّوْا به، وكذلك هذه قَتُوبَةٌ، وهذه حلوبة، أي ما يقتب ويُحْلب[1].

وقوله: ﴿وَحَلائَلُ أَبْنَائِكُمْ﴾.

جمع حليلة وهي امرأة ابن الرجل، لا تحل للأب، وهي من المبهمات[2] وحليلة بمعنى مُحلَّة. مشتق من الحلال.

﴿وإنْ تجْمعوا بَيْنَ الأُخْتيْن﴾.

«أنْ»[3] في موضع رفع، المعنى حرمت هذه الأشياءُ والجمع بين الأُختين.

﴿إلا ما قَدْ سَلَفَ﴾.

المعنى سوى ما قد سلف فإنه مغفور لكم.

وقوله: ﴿والمُحْصَناتُ من النِّسَاءِ﴾.

القراءَة بالفتح. قد أُجْمَعَ[4] على الفتح في هذه، لأن معناها اللاتي أُحْصِنَّ بالأزواج. ولو قرئت والمُحصِناتِ لجاز، لأَنهُنَّ يحْصِنَّ فروجهن بأن يتزوجن. وقد قرئت التي سوى هذه «المحْصَنَاتِ» و«والمحْصِناتِ».

﴿إلا ما ملكتْ أَيْمانُكمْ﴾.

أي إنْ ملك الرجلُ محصنة في بلاد الشرك فله أن يطأها، إلاَّ أن جميع الوطءِ لا يكون في ملك اليمين إلاَّ عنِ اسْتِبرَاء، وقد قال بعضهم: إن الرجل إذا ملك جارية وكانت متزوجة فبيْعُها وملكُها قد أَحَلَّ فَرْجَها، وإن لم تكن

---

(١) ناقة مقتوبة. وضع عليها القتب، وحلوبة تحلب ومثله: ﴿ومن الأنعام حمولة وفرشاً﴾، أي محملة أو مركوبة فهي فعول بمعنى مفعول ولهذا دخلتها الثاء.

(٢) لا ينبغي أن تكون مبهمة. لأن حليلة الولد تحل له بالعقد الصحيح وتحرم على أبيه به.

(٣) من ﴿وأن تجمعوا بين الأختين﴾.

(٤) ط هذا قد أجمع. والمراد فتح الصاد.

أُحْصِنَت في بلاد الشرك، والتفسير على ما وصفنا في ذوات الأزواج في الشرك.

وقوله: ﴿كِتَابَ اللَّهِ عليْكُم﴾.

منصوب على التوكيد محمول على المعنى، لأن معنى قوله: ﴿حُرِّمتْ عليْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾: كتب اللَّه عليكم هذا كتاباً كما قال الشاعر:

ورُضْتُ فذلَّت صعبة أي إذْلَالٍ

لأن معنى رُضْتُ أذللتُ[1].

وقد يجوز أن يكون منصوباً على جهة الأمر، ويكون ﴿عليكُم﴾ مُفَسراً له، فيكون المعنى الزموا كتاب اللَّه. ولا يجوز أن يكون منصوباً بعليكم، لأن قولك: عَلَيْك زيداً، ليس لهُ ناصِبٌ متَصرف فيجوز تقديمُ منصوبه[2]، وقول الشاعر:

يا أيها الماتح دلوي دونكا إني رأيت الناس يحمدونكا[3]

يجوز أن يكون «دلوي» في موضع نصب بإضمار خُذْ دَلْوي، ولا يجوز على أن يكون دونك دلوي لما شرحناه.

---

(١) من مطولة امرئ القيس التي أولها: ألا أنعم صباحاً أيها الطلل البالي وصدر البيت:

وعجنا إلى الحسنى ورق حديثنا

والبيت من الشواهد الشائعة وهو في الديوان ١٥٣ من الستة.

(٢) أي ليس ناصبة متصرفاً حتى يجوز تقدمه عليه.

(٣) ينسب لرجل من بني أسيد بن عمرو من تميم، ويروى أيها، ويا أيها، والمائح من الميح، وهو أن ينزل الرجل البئر فيملأ الدلو، ثم يرفعه شخص آخر، ويروى الماتح من المتح وهو نزح الماء.

انظر الخزانة ٣ ـ ١٧، ومعاني القرآن ١ ـ ٢٦٠، وشرح التبريزي لديوان الحماسة ٢٧٠ ط ليون.

ويجوز أن يكون «دلْـوي» في موضع رفع، والمعنى هذا دلوي دونكا.

ويجـوز أَنْ يكون ﴿كتابَ اللَّه علْيكُمْ﴾ رفعاً على معنى هـذا فـرض اللَّه عليكم، كما قال جلّ وعزّ: ﴿لم يلْبثُـوا إلَّا ساعـةً منْ نهارٍ بَـلاَغٌ﴾[1].

وقوله: ﴿وأُحلَّ لكُمْ ما وراءَ ذَلكُم﴾.

وأُحِلَّ أَيْضاً يُقرآن جميعاً، ومعنى مـا وراءَ ذلكُمْ، ما بعـد ذَلِكُمْ، أي ما بعـد هذه الأَشيـاءِ التي حرمت حـلال، على مـا شـرع اللَّه، إلا أَن السنـة قـد حرمت تزوُّجَ المرأة على عمتها، وكذلك تزوجها على خالتها، ولم يقـل اللَّه - عزّ وجلّ -: لا أُحـرم عليكم غير هذا، وقال عـزّ وجلّ: ﴿وَمَـا آتاكُمُ الـرَّسُولُ فخُذُوهُ﴾[2].

وأَتَوهَّمُ أَن الخالة كالوالدة، وأَن العمَّة كالـوالد، لأَن الـوالد في وجـوب الحقِّ كالوالدة، وتزوجها على عمتها وخالتها من أُعظم العقوق.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَنْ تبْتَّغوا بـأَمْـوالكُمْ﴾.

نصبٌ وإن شئت رفْعٌ[3].

المعنى أُحِلَّ لكم أَن تبتغوا مُحْصِنينَ غيرَ مُسَافِحِينَ.

أَي عاقدين التزويج غير مسافحين. أَي غير زناة، والمسَافِحُ والمسـافحةُ الزانيان غير المُمْتَنِعَيْنِ منَ الزِّنا، فإِذا كانت تزني بواحد فهي ذات خدن.

فحـــرم اللَّه الـزنـــا على الجهـات كلهـــا، على السفـــاح وعلى اتخـــاذ الصديق..

والإِحصان إِحصان الفرج وهو إِعْفَافُه، يقال امْرأَةٌ حَصَـانٌ بينة الحُصن،

---

(١) سورة الأحقاف آية ٣٥.

(٢) سورة الحشر آية ٧.

(٣) الفعل «أُحِلّ» استوفى مفعوله، وهو «ما وراء ذلكم». فالمصدر «ما» منصوب أو بدل من نائب الفاعل.

وفرس حصان بينة (التحصُّن)[1] والتحصين وبناء حصين بَيّنُ الحصَانة. ولو قيل في كله الحِصانة لكان بإجماع.

والسفاح في الزنا اشتق من قولهم سفحت الشيءَ إذا صبَبْتُه، وأمر الزنا سفاح لأنه جارٍ على غير عقْدٍ، كأَنَّه بمنزلة السفُوحِ الذي لا يحبسه شيء.

وقوله: ﴿فمااستمتعْتُم به منْهن فآتُوهُن أُجُورَهُنَّ فريضةً﴾.

هذه آية قد غلط فيها قوم غلطاً عظيماً جداً لجهلهم باللغة. وذلك أنهم ذهبوا إلى أن قوله: ﴿فما اسْتمْتعْتُم به منهُن﴾ من المتعة التي قد أجمع أهل الفقه أنها حرام.

وإنما معنى قوله ﴿فما اسْتَمْتَعْتُم به مِنْهُنَّ﴾ أي فما نكحتموه، على الشريطة التي جرت في الآية، آية الأحْصَانِ: ﴿أَنْ تَبْتَغُوا بأَموالِكُم مُحْصِنينَ﴾، أي عاقدين التزويج الذي جرى ذكره.

﴿فآتوهن أُجورَهُنَّ فَريضةً﴾.

أي مهورهن، فإن استمتع بالدخول بها أعطى المهر تَامَاً، وإن اسْتَمْتَع بعقد النكاح آتى نصف المهر.

والمَتاعُ في اللغة كل ما انتفع به، فهو متاع. وقوله عزّ وجلّ، في غير هذا الموضع: ﴿ومتِّعُوهُنَّ على المُوسِعِ قَدَرُه﴾[2] ليس بمعنى زوِّجُوهُنَّ المُتَعَ، إنما المعنى أعطوهُن ما يَستَمْتِعْنَ به، وكذلك قوله: ﴿للمطلقات متاع بالمعْروف﴾[3]. ومن زَعَم أن قوله: ﴿فما استَمْتَعْتُم بِهِ منهُن﴾ المتعة التي هي الشرط في التمتع الذي تعمله الرافضة فقد أخطأ خطأً عظيماً، لأن الآية واضحة بينة.

---

(١) ليست في ط.

(٢) سورة البقرة آية ٢٣٦.

(٣) سورة البقرة. آية ٢٤١.

وقـولـه عـزّ وجـل: ﴿وَلَا جُنَـاحَ عَلَيْكُمْ فيمـا تَـرَاضَيْتُمْ بـه من بعْـدِ الفريضَةِ﴾.

أي لَا إثم عليكم في أنْ تهب المـرأةُ للرجل مهـرهـا، أو يهب الـرجـل للمرأة التي لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب إلا لمن دخل بها.

﴿إنَّ اللَّهَ كانَ عَليماً حَكِيماً﴾.

أي عليماً بما يصلح أمر العباد ـ حكيماً فيما فرض لهم من عقد النكـاح الذي حفظت به الأموال والأنساب.

وقـوله عـزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَـطِعْ مِنكُمْ طَـوْلًا أَنْ يَنْكِـحَ المحْصَنَـاتِ المؤْمِناتِ﴾.

المحصنات هن الحرائر، وقيل أيضاً العفائف، وقد قال بعض أصحابنا: إنهن الحـرائر خـاصَّـةً. وزعـم من قـال إنهن العفـائـف: حُـرِّم على النـاس أن يتزوجوا بغير العفيفة، وليس ينبغي للإنْسان أن يتزوج بغير عفيفة، واحتج قائل هذا القول بأن قوله عزّ وجلّ: ﴿الزاني لا يَنْكِحُ إلَّا زانيةً أو مُشـركةً والـزَّانيةُ لا يَنْكِحُها إلَّا زانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وحُرِّم ذَلك عَلَى المُؤْمنين﴾[1] منسوخ، وأن قوله:

﴿وأنْكِحُوا الأيامى مِنْكُمْ﴾[2]: يصـلح أن يكون يتزوج الـرجل من أحب من النساء.

والدليل على أن المحصنـات هن العفائف قـوله: ﴿ومـريم ابنة عمـران التي أحصنت فرجها﴾[3] أي أعَفَّتْ فرجْها.

---

(١) سورة النور آية ٣.

(٢) سورة النور آية ٣٢.

(٣) سورة التحريم ١٢.

والطَّوْل: القدرة على المهر. فقوله: ﴿ومن لم يستطع منكم طَوْلاً﴾، أي من لم يقدر على مهر الحرة، يقال: قد طال فلان على فلان طوْلاً، أي كان له فضل عليه في القدرة، وقد طال الشيءُ يطول طُولاً، وأَطلته إطالةً، وقد طال طِوَلُكَ وطِيْلُكَ، وطيَلُك أي طالت مدتك، قال الشاعر:[١]

إنا محيوك فاسْلَمْ أيُّها الطلَلُ   وإنْ بَلَغتَ وإن طَالتْ بكَ الطِّيَلُ

والطِّوَلُ الحبل، وقال الشاعر:

(تعرضُ المُهْرة بالطِّوَل)[٢]

اللام مشددة للقافية.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمِمَّا ملَكتْ أَيْمانُكُمْ منْ فَتَياتِكُمُ المُؤْمناتِ﴾.

الفتيات المملوكات، العرب تقول للأَمة فتاة، وللعبد فتى أي من لم يقدر أَن يتزوج الحرَّة جاز له أَن يتزوج المملوكة إذا خاف على نفسه الفجور.

﴿واللَّهُ أَعْلَمُ بإيمَانِكُم﴾.

أي اعملوا على ظاهركم في الإيمان، فإنكم متعبدون بما ظهر من بعضكم لبعض.

وقوله - عزّ وجلّ - ﴿بعْضُكُم مِن بعْضٍ﴾.

---

(١) القطامي. اللسان (طول). وهو عمير بن شيم بن عمرو بن عباد بن بكر من تغلب شاعر مشهور فحل ولكنه مقل - كان نصرانياً فأسلم. (انظر اللسان - (طول)، وروايته به الطول، وانظر شواهد المغني ٢٢٣. المطبعة البهية.

(٢) لمنظور بن مرثد الأسدي، وفي (ب): في الطول. وقبله:

تعرضت لي بمكان حل   تعرض المهرة بالطول

تعرضاً لم نأل عن قتلى

فشدد للضرورة، انظر الخزانة ٥٨٦/٣، معاني الفراء ٢٦٢/١ - واللسان (قتل) - وابن يعيش ٨٢/٩، ٤٦/١٠، ومعه أبيات أخرى.

قيل في الحسَبِ أي كلكم ولد آدم، ويجوز أن يكون قوله:

﴿بعْضُكُمْ من بَعْضٍ﴾ دينكم واحد لأنه ذكر ههنا المؤمنات من العبيد، وإنما قيل لهم ذلك لأن العرب كانت تطعن في الأنساب، وتفخر بالأحساب وتعيِّر بالهُجْنَة، كانوا يُسمُّون ابن الأمة الهَجِينَ، فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن أمر العبيد وغيرهم مستوفى الإيمان، وإنما كُرِه[1] التزوجُ بالأمة إذا وُجِدَ إلى الحُرةِ سبيلٌ، لأن ولد الحرِّ من الأَمة يصيرون رقيقاً، ولأن الأمة مستخدمة ممتهنة تكثر عِشْرَة الرجال، وذلك شاق على الزوج، فلذلك كُرِه تزوُّجُ الحرِّ بالأمةِ. فأما المفاخرة بالأحساب والتعيير بالأنساب فمن أمر الجاهلية.

يروى عن النبي ﷺ أنه قال: ثلاثٌ من أمْر الجاهلية، الطعن في الأنساب، والمفاخرة بالأحساب، والاستسقاءُ بالأنواءِ. ولَن تُتْرَكَ في الإسلام[2].

وقوله: ﴿فانكِحُوهُنَّ بإذْنِ أَهلِهِنَّ﴾.
أمر اللَّه أن تنكح بإذن مولاها.
وقوله: ﴿فإذا احْصنَّ﴾.
وتقرأ ﴿أُحْصِنَّ﴾ بضم الألف.

﴿فإنْ أتينَ بفاحِشَةٍ فَعلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلى المحْصَنَاتِ مِنَ العذَابِ﴾.

أي عليهن نصف الحد، والحد مائةُ جلدةٍ على الحر والحرة غير المُحَصَنَيْن، وعلى المحصنين الرجم، إلا أن الرجم قتلٌ، والقتلُ لا نِصْفَ لهُ، فإنما عليهن نصف الشيءِ الذي له نصف وهو الجلْدُ.

---

(١) (ب) كره وحرم.

(٢) من الأشياء التي تتجه النفوس إليها ولهذا فإن بعض المسلمين يتبعها رغم تحريمها أو «لن تترك» أي لن يسمح الإسلام ببقائها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾.

أي تَزَوُّج الإماءِ جائز لمن خاف العَنَتَ، والعنَتُ في اللُّغَةِ المشقة الشديدةُ. يقال من ذلك: أَكَمَةٌ عَنُوتٌ إذا كانت شاقة.

قال أبو العبَّاس: ﴿العنَتَ﴾ ههنا الهلاك[1]، وقال غيره: معناه. ذلك لمن خشي أن تحمِله الشهوةُ على الزنا، فيلقى الإثم العظيم في الآخرة والحدَّ في الدنيا، وقال بعضهم معناه أن يعشق الأَمَة، وليس في الآية عشق، ولكنَّ ذا العشق يلقى عنتاً.

وقوله: ﴿ وأَنْ تَصبِرُوا خيْرٌ لَكُمْ ﴾.

أي الصَّبْرُ خيرٌ لكُمْ لما وصفنا من أن الولَد يصيرون عبيداً.

وقوله: ﴿ يُريدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾.

قال الكوفيونَ معنى اللام معنى أن، وأَردْتُ، وأَمرْتُ، تطلبان المستقبل، لا يجوز أن تقول: أَردت أَنْ قمتُ، ولا أَمرت أَنْ قُمْتُ، ولم يقولوا لم لا يجوز ذلك. وهذا غلط أَن تكون لام الجر تقوم مقام «أَن» وتؤدي معناها، لأَن ما كان في معنى أَن دخلتْ عليه اللام. تقول: جئتك لكي تفعل كذا وكذا، وجئت لكي تفعل كذا وكذا. وكذلك اللام في قوله: ﴿يريدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لكُمْ ﴾ كاللاَّم ِ فِي كَيْ.

المعنى: أَراده اللَّه عزّ وجلّ للتبيين لكم، أَنشد أَهل اللغة:

أَردت لكيما لا ترى لي عَبْرةٌ ومَنْ ذا الذي يعطي الكمال فيكمل[2]

---

(١) سبق تفسير العنت جـ ١ ص ٢٩٤ في الآية ﴿ولو شاء اللَّه لأَعْنَتَكم﴾.

(٢) قال الفراء هو لأبي ثروان. يقول: إنك تريدني خالياً من الخطأ والعثرات، ولم يعط أحد الكمال، ويروى «تراني تشيرتي»، وروي في الخزانة لكيما أن.

انظر الخزانة ٣ ـ ٥٨٦، ومعاني الفراء ١ ـ ٢٦٢، وشواهد الهمع ٢ ـ ٥ وشواهد المغني ١٧٣.

وأنشدنا محمد بن يزيد المبرد:

أردت لكيمـا يعلم النـاس أنهـا ... سراويل قيس، والـوفود شهـود[1]

فـأدخل هـذه اللام على «كي»، ولـو كانت بمعنى أَنْ لم تـدخـل الـلام عليها، وكذلك أَرَدْتُ لأن تقوم، وأُمِرْتُ لأن أكُون مُطيعاً. وهذا كقولـه تعالى: ﴿إِنْ كُنتُمْ لِلرُّؤْيـا تَعْبُـرُونَ﴾[2] أي إن كنتم عبـارتكم للرؤيـا، وكـذلـك قـولـه ـ عزّ وجلَّ ـ أيضـاً: ﴿للـذين هُمْ لِـرَبهمْ يرْهبُـونَ﴾[3]. أي الذين هم رهبتهم لربِّهِمْ.

وقوله: ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾.

أي يـدلكم على طـاعتِـهِ كمـا دل الأنبيـاءَ والـذين اتبعـوهم من قبلكم، ومعنى سنن [الـذين من قبلكم]، أي طرق الـذين [من قبلكم] وقد بينـا ذلـك فيما سلف من الكتاب[4].

وقوله: ﴿واللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يتُوبَ عَلَيْكُم﴾.

أي يـدلكم بطاعتـه على ما يكـون سبباً لتـوبتكم التي يغفر لكم بهـا مـا سلف من ذنوبكم.

---

(١) هو قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري. كان ملك الروم قد أرسل إلى معاوية رجلاً طويـلاً مسرف الطول. يتحداه أن يكون لديه مثله، فأرسل معاوية إلى قيس، فخلع قيس سراويله وقال للرومي ألبسه، فلبسه فبلغ ثدييه، وضحك منه الناس، ولام قيساً قـومه في خلع سـراويله، فأنشـد هذا الشعر. انظر القصة والشعر كاملاً في الكامل للمبرد حـ ١ ـ ٣١٨ ط التجارية.
والمعنى أردت أن أشهد الوفود ان سراويلي لها كل هذا الطول فـلا يماري أحـد بعد ذلـك في أني طلت الرومي. ورجال الأدب يفخرون بهذه القصة. . . وبعض منهم يغمزها.

(٢) سورة يوسف ـ ٤٣.

(٣) سورة الأعراف ١٥٤.

(٤) راجع الآية: ﴿قد خلت من قبلكم سنن﴾ ص ٤٧٠ ج ـ١.

﴿ويُريد الَّذين يَتَّبِعُونَ الشَّهَواتِ أن تَميلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾.

أي أن تعدلوا عن القصد.

وقوله: ﴿ وخُلِقَ الإنْسَانُ ضَعِيفاً﴾.

أي يستميله هواه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يـأَيُّهَـا الَّذِينَ آمنُوا لا تأْكُلُوا أَموالكُمْ بَيْنَكُمْ بالبَاطِلِ ﴾.

فحـرم اللَّه ـ جلّ وعـزّ ـ المالَ إلَّا أنْ يُـوجَـدَ على السُّبُـل التي ذكَـر من الفرائض في المواريث والمهور والتسري والبيع والصدقات التي ذكر وجوهها.

﴿إلَّا أَن تكُونَ تجارَةً ﴾.

المعنى: إلا أَن تكـون الأَمـوالُ تجـارة، ومن قـرأ إلا أنْ تكـون تجـارةٌ فمعناه إلا أَن تقع تجارةٌ[1].

﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ، وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾.

فأعلم أَن التجارة تصح برضا البَيعِ[2] والمشْترى.

﴿وَمَنْ يَفْعلْ ذَلِك عُدواناً وظُلْماً﴾.

أي ومن يـأْكلهـا ويقتـل النفس ـ لأن قوله: ﴿ولا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾، أي لا يَقتُل بعضكم بعضاً، فمن فعل ذلك عدواناً وظلماً:

معنى العُـدوان أَن يعْدُوا مـا أُمِرَ بـه، والـظلم أن يضـعَ الشيءَ في غيـر موضعه.

وقوله: ﴿فَسَوْفَ نَصْلِيهِ نَاراً﴾.

و ﴿نُصْليه ناراً﴾. وعد اللَّه ـ جلّ وعـزّ ـ على أَكْـلِ الأَمْـوالِ ظُلمـاً وعلى القِتالِ النارَ.

---

(١) أي «كان» تامة وتجارة فاعل.

(٢) البيع: البائع.

﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾.

أي سهلاً، يقال قد يَسَرَ الشيءُ فهو يسير إذا سهل، وقد عَسَر الشيءُ وعَسِرَ إذا لم يسهل فهو عسير.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنهَوْن عَنْه﴾.

تجتنبوا تتْركوا نِهائياً، والكبائر حقيقتها أنها كل ما وعد اللَّه عليه النار نحو القتل والزنا والسَّرَقِ وأكلِ مالِ اليتيم.

ويروى عن ابن عباس: الكبائر إلى أن تكون سبعين أقرب منها إلى أن تكون سبعاً[١]. قال بعضهم: الكبائر من أول سورة النساءَ إلى رأْس الثلاثين[٢]. والكبائر ما كبُرَ وعظم من الذنوب.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿ونُدْخِلْكُمْ مُدْخَلا كَريماً﴾.

الاسم على أَدْخَلْتُ[٣]، ومن قال: «مَدخلا» بفتح الميم، فهو مبني على دخل مدخلاً، يعني به ههنا الجنة.

وقوله ـ جلّ وعزّ ـ ﴿ولا تَتَمَنَّوْا ما فضَّل اللَّه به بَعضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾.

قيل: لا ينْبغي أن يتمنى الرجل مَالَ غيره ومنْزلَ غيره، فإن ذلك هو الحسدُ، ولكن ليقل: اللهم إني أَسْأَلك من فَضْلِك، وقيل إنْ أُمَّ سلمةَ قالت: لَيْتَنَا كُنَّا رجالاً فجاهَدْنا وغزوْنَا وكان لنا ثوابُ الرجال.

وقال بعضهم: قال الرِّجالُ ليتنا فُضِّلْنَا في الآخرةِ علَى النِّسَاءَ كما فُضِّلنَا في الدُّنْيا.

---

(١) أي انها كثيرة غير محصورة.

(٢) أي ان أشد الكبائر ما يتعلق بأكل مال اليتامى، وما شملته هذه الايات المذكور في أوائل سورة النساء من أول ﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾ حتى نهاية الآية الثلاثين وهي هذه الآية ﴿.. إن تجتنبوا ..﴾،

(٣) كلمة مدخل مضمومة الميم لأنها من رباعي هو أدخل، وهو يناسب ويدخلكم.

وهذا كله يرجع إلى تمني الإنسان ما لِغيره.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَان والأَقْرَبُونَ﴾.

أي جعلنا الميراث لمن هو مَوْلى الميِّتِ، والمـوْلى كلُّ مَنْ يَليـك، وكلُّ مَنْ والاكَ فهو مَوْلى لك في المحبَّة. والمَوْلى مولى نعمةٍ نحو مـولى العبْدِ[١]. والمولى العَبْدُ إذا عَتَقَ[٢].

وقوله: ﴿والَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾.

هؤلاءَ كـانوا في الجـاهلية. كـان الرجـلُ الذليـلَ يأْتي الـرَّجُـلَ العـزيـزَ فيعاقدُه، أَي يحالفه، ويقولُ له أَنا ابنُك تَرِثُنِي وأَرِثُكَ، حرمَتِي حرْمَتُكَ، ودَمِي دَمُك، وثأري ثَأْرُك، وأمرَ اللَّهُ ـ عزّ وجلّ ـ بالوَفـاءِ لهم. وقيل إن ذلـك أُمِرَ بـه قبـل تَسْمِيةِ المَـواريث، وقيل أيضـاً أَمَرَ أَنْ يُـوفَّى لهم بعقْدهم الـذي كـان في الجـاهلية، ولا يعْقِـدُ المسلمون مِثـلَ ذلـك، وقـال بعضهم الـذي يعقـد على الموالاة، ويجب أَنْ يُجْعلَ لـه نصيبٌ في المال يَـذهب إلى أَنَّ ذلك من الثلث الذي هو للميت[٣]. وإجمـاع الفقهاءِ أَنـه لا ميراث لغيـر من وُصِفَ من الآباءِ والأَبناءِ، وذوي العصبةَ والموالي والأَزواج.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾.

الرَّجُلُ قيِّمٌ على المرأَة فيما يجب لها عليه، فـأَما غيـر ذلك فـلا، ويقال هذا قيِّمُ المرأَةِ وقِوَامُها قال الشاعر:[٤]

---

(١) مـولى العبد، سيـده ومالكـه. وكلمة المـولى تطلق على العبـد والسيد، ومـولى النعمة مـوليهـا ومانحها.

(٢) عتق فعل لازم، يقال عتق العبد وأعتقه سيده، وفي الأصول عتق ـ وهو خطأ.

(٣) أي هو وصية، وللميت أن يوصي قبل موته من ماله فيما لا يزيد على الثلث. وفي (ب) يعاقد.

(٤) هو الأحوص، الأغاني حـ ٤ ـ ٢٤٧ والخصائص ٢/١٢٨، وهو محمد بن عاصم بـن ثابت من شعراء الأنصار. **محمد في لغول** والفخر والمدائح وله مـع الوليـد قصص معروفة. إذ نفـاه إلى

الـلَّهُ بيـني وبـيْن قـيِّمـهـا ‌ ‌ ‌ ‌ يـفِــرُّ مِنّـي بـهــا واتّـبــعُ

جعل اللَّه عزّ وجلّ ذلك للرجال لفضلهم في العلم، والتمييز، ولإنْفَاقِهم أموالهم في المهور وأقوات النساءِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فالصَّالحَاتُ قَانِتاتٌ﴾.

أي قيِّماتُ بحقوق أزواجهن.

﴿بمَا حَفِظَ اللَّه﴾.

تأويله ـ واللَّه أعلم ـ بالشيءِ الذي يحفظ أَمْرَ اللَّه ودين اللَّه ويحتمـل أن يكـون على معنى بحفظ[1] اللَّه، أي بـأن يحفَـظْنَ اللَّه، وهـو راجـع إلى أمـر اللَّه[2].

وقوله: ﴿واللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزهُنَّ فعِظُوهُنَّ﴾.

النشوز كراهة أحدهما صاحبه، يقال نشزت المرأة تَنْشِزُ وتنشُزُ[3] جميعـاً وقد قُرئ بهما: ﴿وَإذَا قِيلَ انْشُزُوا فانْشُـزُوا..﴾ انشِزوا وانْشُـزوا، فانشـزوا[4]، واشتقاقه من النَشزِ وهو المكان المرتفع من الأرض، يقال له: نَشْزٌ ونشَزٌ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿واهْجُروهُنَّ في المَضَاجع﴾.

أي في النـوم معهن، والقـرب منهن فـإنهن إن كُنَّ يحببن أزواجهن شق عليهن الهجران في المضاجع وإن كنَّ مُبْغِضَاتٍ وافقهن ذلك فكان دليـلاً على النشوز مِنْهنَّ.

= فدك ـ جزيرة بالبحر الأحمر وأبى عمر بن عبد العزيز إعادته لفحش غزله.

(١) أي «ما» من «بما حفظ اللَّه» مصدرية.

(٢) يحفظن اللَّه أي يحفظن أمره.

(٣) كضرب ونصر.

(٤) وإذا قيل انشزوا فانشزوا.. بالضم والكسر في ثلاثتها.. وهي آية (١١) من سورة المجادلة.

يقال هجرت الإنسان والشيءَ أهجرُهُ هَجراً وَهِجراناً، وأَهْجَرَ فلانٌ منصبَهُ يُهجِرُه إهْجَاراً. . إذا تكلم بالقبيح، وهجر الرجل هجراً إذا هَذَى، وهَجَرْتُ البعير أَهْجُرُه هجراً إذا جعلت له هِجَاراً. والهجار حبل يُشد في حَقْوِ البَعيرِ وفي رُسْغِه، وهَجَّرتُ تهجيراً إذا قمت وقْتَ الهَاجِرة، وهو انتصافُ النهار.

فأمر اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ في النساءِ أن يُبْدَأْن بالموعظة أولًا، ثم بالهجران بعْدُ، فإن لم ينجعا فيهن فالضَّربُ، ولكن لا يكون ضرباً مبرحاً فإن أطعن فيما يُلتَمسُ مِنهُنَّ، فلا يُبْغِي عليهنَّ سبيلاً[١]، أي لا يُطْلُبُ عَلَيهن طريقُ عنتٍ.

﴿إنَّ اللَّه كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً﴾.

أي هو متعال أن يكلف إلَّا بالحق، ومقدار الطاقة.

وقوله جلّ وعزّ ـ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾.

قال بعضهم. . خِفتُمْ ههنا. في معنى أيقنتُم وهذا خطأ، لو علمنا الشقاق على الحقيقة، لم يجنح إلى الحكَمَيْن، وإنما يُخَاف الشقاقُ[٢] والشقاق العداوة، واشتقاقه من المتشاقِّين كل صنف منهن[٣] في شقٍّ، أي في ناحيةٍ، فأمر اللَّه تعالى ـ إنْ خِفْتُم[٤] وُقُوعَ العداوة بينَ المرْءِ وزوجه ـ أَنْ يَبْعَثُوا[٥] حَكمينْ، حكَماً من أهل المرأة وحكماً من أهل الرجل، والحكمُ القَيِّم بما يسند إليه.

يروى عن علي بن أبي طالب ـ رضوان اللَّه عليه. أنه اجتمع إليه فئامٌ

---

(١) ط. سبيلاً.

(٢) الشأن فيه أنه يخشى لا أنه يعلم.

(٣) ب منهما وهو أجود.

(٤) في جميع النسخ «خفتما» وآثرنا لفظ القرآن.

(٥) في الأصول يبعث.

من الناس، ـ أي جمع كثيرٌ مع امرأة وزوجها، قد وقع بينهما اختلاف فأمر حكمين أَنْ يتعَرَّفا أمْرهُمَا، وقال لهما أتَدْرِيانِ ما عليكُمَا؟ إنَّ عليكما إنْ رأيْتُما أن تُفرِّقَا فَرَّقتمَا، وإن رَأَيْتُما أن تجْمعَا جَمعْتُمَا[1].

وقال بعضهم على الحكمين أَنْ يَعظَا ويُعرِّفا ما على كل واحدٍ من الزوج والمرأة في مجاوزةِ الحق، فإن ـ رأيا أن يفرقا فرَّقا، وأن رأيا أن يَجمعَا جمعاً.

وحقيقة أمر الحكمين أنَّهما يقصِدان للإِصْلاح، وليس لهما طلاق وإنما عليهمَا أن يُعرِّفَا الإمامَ حقيقة ما وقفا عليه، فإن رأى الإمام أن يفرِّق فرَّق، أو أن يَجمعَ جَمَعَ، وإن وكَّلَهُما بتفريق أو بجمع فهما بمنزلة، وما فعلَ عليٌّ «رضي اللَّه عنه» فهو فِعْلٌ للإِمَامِ أَنْ يَفعَلَه، وحَسْبُنَا بعلي عليه السَّلامُ إمَاماً. فلما قال لهما إن رأيتما أن تجمعا جمعتما، وإن رأيتما أن تُفرقا فَرَّقْتَمَا، كان قد ولاَّهُما ذلك ووكَّلهمَا فيه.

﴿إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾.

أي عليماً بما فيه الصلاح للخلق خبيراً بذلك.

وقوله: ﴿واعْبُدوا اللَّهَ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾.

أي لا تعبدوا معه غيره، فإن ذلك يفسد عبادته[2].

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إحْساناً﴾.

المعنى أوصاكم اللَّه بعبادته، وأوصاكم بالوالدين إحساناً، وكذلك قوله [تعالى]: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إلَّا إيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إحْسَاناً﴾[3]. لأن معنى قضى ههنا أمَرَ ووَصَّى.

---

(١) في ط: فرقتما وجمعتما بالبناء للمجهول. ولعله يعني كنتما معاً أو منفردين، ولا يناسب ما يأتي بعده.

(٢) يفسد عبادة العبد لربه.

(٣) سورة الإسراء ٢٣.

وقال بعض النحويين ﴿إِحْسَاناً﴾ منصوب على وأَحسنوا بالوالدين إِحْسَاناً، كما تقول: ضرْباً زيداً، المعنى اضرب زيداً ضرباً.

﴿وَبذي القُرْبَى . . ﴾.

أَمَرَ اللّه بالإِحْسَانِ إلى ذوي القُرْبَى بَعْدَ الوالدين، و﴿اليتامَى﴾ في موضع جرّ. المعنى وباليتامى والمساكين أَوْصَاكُم أَيْضاً، وكذلك جميع ما ذكر في هذه الآية، المعنى أَحسنوا بهؤُلاءِ كلهم.

﴿والجَار ذِي القُرْبَى﴾.

أَي الجار الذي يقاربك وتعرفه ويَعْرِفَك.

﴿والجَارِ الجُنُبِ﴾.

والجار القريب المتباعد، قال علقمة:[1]

فلا تحرِمَنّي نائلاً عَنَ جَنَابةٍ ... فإِني امرؤُ وَسْطَ القِبَابِ غَرِيب

وقوله عزّ وجلّ - ﴿وَالصَّاحِبِ بالجَنْبِ﴾.

قيل هو الصاحب في السفر.

﴿وابْنِ السبِيلِ﴾.

الضَّيفُ يجب قِراه، وأَنْ يَبلَّغَ حَيْثُ يريد.

وقوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾.

أَي وأَحسنوا بِمِلْك أَيمَانكم[2]، موضع ما عطف على ما قبلها. وكانت وصية النبي - ﷺ - عند وفاته: «الصلاة وما ملكت أَيمانكمْ».

---

(١) الديوان ١٠٧ من الستة واللسان (جنب) والقرطبي ٥ - ١٨٣، ومجاز أبي عبيدة في الآية نفسها ١ - ١٢٦ أي انني لست من الأقرباء ولكنني غريب في هذا فلا تقطع عني عطاءك لهذا السبب. والقريب المتباعد هو القريب في المسكن البعيد في النسب.

(٢) ملك وملك، بمعنى مملوك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّه لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾.

المختال: الصَّلِفُ التيَّاه الجهولُ. وإنما ذكر الاختيالُ في هذه القصة، لأن المختال يأنف من ذوي قرابَاتِه إذا كانوا فقراءَ، ومن جيرانه إذا كانوا كذلك، فلا يُحْسنُ عِشْرتَهم.

وقوله: ﴿الَّذِين يَبْخلون وَيأْمرونَ النَّاسَ بالبُخْلِ﴾.
والبَخْل جَمِيعاً يُقْرَأانِ[1].

يُعْنَى به اليهودُ لأنهم يَبخلون بعِلْمِ مَا كان عِندَهُم من مَبْعث النبي ﷺ.

﴿وَيَكْتُمونَ مَا آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.
أي ما أعطاهم من العلم برسالة النبي - ﷺ.
وقوله: ﴿وَأَعْتَدنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾.

أي جعلنا ذلك عَتَاداً لهم، أو مُثْبَتاً لهم. فجائز أن يكون موضع الذين نصباً على البدل، والمعنى: إنّ اللّه لا يحب من كان مختالا فخوراً، أي لا يحب الذين يبخلون.

وجائز أن يكونَ رفعُه على الابتداءِ، ويكون الخبر ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، ويكون ﴿وَالّذِينَ يُنْفِقُونَ أَموَالَهُم رِئَاءَ النَّاسِ﴾ عطفاً على ﴿الذين يبخلون﴾. في النصب والرفع.

وهؤلا يُعْنَى بهم المنافِقُون، كانوا يُظهرونَ الإيمانَ ولا يؤمنون باللَّه واليوم الآخر.

﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيطَانُ لَه قَريناً فَسَاءَ قَرِيناً﴾.
أي من يكن عمله بما يُسَوِّلُ له الشيطانُ فبئس العملُ عَمَلُه، ﴿فساءَ قريناً﴾

---

(١) ويقال أيضاً: البخول، والبخل كسكون وكنفق.

منصوب على التفسير، كما تقول: زيدٌ نعم رَجُلاً، وكما قال ﴿سَاءَ مَثَلاً القَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا [بَآياتِنَا]﴾[1].

وقوله: ﴿ ومَاذَا عَلَيْهِمْ [لَوْ آمَنُوا باللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾.

يصلح أن تكون «مَا» و «ذَا» اسْماً واحداً، المعنى وأيُّ شَيءٍ عَلَيْهِمْ. ويجوز أن يكون «ذَا» في معنى الذي، أو تكون «ما» وَحْدَهَا[2] اسْماً. المعنى: وَمَا الَّذِي عَلَيهِم ﴿لَوآمَنُوا بِاللَّه وَاليَومِ الآخِرِ وأَنْفَقُوا مِما رزَقَهُمُ اللَّه﴾.

هذا يدل على أن الذين يبخلون (يبخلون)[3] بما عَلِمُوا، ﴿وكان اللَّه بهم عليماً﴾.

وقوله جلّ ثناؤه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾.

مِثْقَال مِفْعَال من الثِقل، أي ما كان وزنه الذرة وقيل لكل ما يُعمَلُ «وزْنُ مِثْقَالٍ» تمثيلاً، لأن الصلاة والصيام والأعمال لا وَزْن لها. لكنَّ الناسَ خوطبوا فيما في قلوبهم بتمثيل ما يُدْرَكُ بأَبصَارِهم، لأن ذلك - أعني ما يُبصَرُ - أَبينُ لهم.

وقوله - عزّ وجلّ - ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾.

الأَصل في «يكن» «تكون» فسقطت الضَّمةُ للجزم وسقطت الواو لسكونها وسكون النون، فأما سقوط النون من «تكن» فأكثر الاستعمال جاءَ[4] [في] القرآن بإثباتها، وإسقاطِها قليل - قال اللَّه عزّ وجلّ -: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ

(١) سورة الأعراف - ١٧٧.

(٢) ك ويجوز أن تكون.

(٣) ليست في ط.

(٤) هكذا والخبر خال من ضمير يعود على السقوط فزدنا الجار.

أَوْلَى بِهِمَا﴾[1] فاجتمع في النون أنها تشبه حروف اللين، وأنها ساكنة، فحذفت استخفافاً لكثرة الاستعمال كما قالوا ـ لا أَدْرِ، وَلا أُبَلْ، والأجود لم أبال ولا أدري.

و﴿حَسَنةً﴾ يكون فيها الرفع والنصب، المعنى وإن تكن فَعْلَتُه حسنةً يضاعِفْهَا، ومن قرأ وإن تكن حَسَنَةٌ [بالرفع]، رفع على اسم كان[2]، ولا خبر لها وهي ههنا. في مذهب التمام[3] والمعنى وإن تحدث حسنةٌ يضاعِفْها.

﴿وَيُؤتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾.

﴿ويؤتِ﴾ بغير ياءَ. سقطت الياءُ للجزم، معطوف على ﴿يضاعِفْهَا﴾، ووقعت «لَدُنْ» وهي في موضع جرٍّ، وفيها لُغَاتٌ.

يُقَالُ لَدُ ولَدُنْ، وَلَدُنٌ، وَلَدَى. والمعنى واحد ومعناه مِنْ قِبَلِهِ، إلّا أنها لا تتمكن تمكُّنَ عِند، لأنك تقول: «هَذَا القولُ عَندي صَوَابٌ» ولا يقال: الوقت لَدَنيَّ صواب، وتقول: عندي مال عظيم والمال غائب عنك، و «لدن» لما يليك.

قوله ـ جلّ وعزّ ـ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمةٍ بِشَهِيدٍ﴾.

أي فكيف تكون حال هؤلاءِ يومَ القيامة، وحذف «تكون حالُهُم» لأنَّ في الكلام دليلاً على ما حذف، و «كيف» لفظها لفظ الاستفهام، ومعناها معنى التوبيخ.

وقوله: ﴿ وجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً﴾.

---

(١) النساء ـ ١٣٥.

(٢) فاعل كان وهي تامة.

(٣) أي تامة لا تحتاج لخبر، وفي ط وهي ههنا مذهب التمام.

أي نأتِي بكل نبي أُمَّةٍ يشهدُ عَليها ولها.

وقوله: ﴿يَوْمِئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ﴾.

الاختيار الضَّمُّ في الواوِ في عَصَوْا الرسول، لالتقاءِ الساكنين والكسر جائز، وقد فسرناه فيما مضى.

وقوله: ﴿لَو تُسَوَّى بِهِم الأَرْض﴾.

وبِهِم الأَرض بضم الميم وكسرها.

﴿وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّه حَدِيثاً﴾.

أَي يودَون أَنهم لم يبعثوا، وأَنَّهم كانوا والأَرضَ سواءَ.

وقد جاءَ في التفسيرِ أَن البهائم يومَ القيامة تصيرُ تراباً. فيودون[1] أَنهم يصيرون تراباً.

قوله: ﴿وَلا يَكْتُمونَ اللَّهَ حَدِيثاً﴾.

فيه غير قول، قال بعضهم: وَدوا أَن الأَرض سويت بهم وأَنهم لم يكتموا اللَّه حَدِيثاً، لأَنَّ قولهم[2]: ﴿واللَّهِ رَبِّنَا ما كُنا مشرِكين﴾[3] قد كَذَبُوا فيه، وقال بعضهم: ﴿ولا يَكتمون اللَّه حدِيثاً﴾، مستأنف لأَن ما عملوه ظاهر عند اللَّه لا يقدرون على كتمه[4].

وقوله جلّ وعزّ: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْربوا الصَّلاَةَ وأَنْتُمْ سُكَارَى﴾.

قيل في التفسير: إنَّها نزلت قبْل تحريم الخمر، لأَن جماعةً مِنْ أَصحاب النبي - ﷺ - اجتمعوا فشربوا الخمر قبل تحريمها، وتقدم رجلٌ منهم

(١) يود الكفار ذلك، وهم لا يستطيعون أن يكتموا شيئاً من أمرهم لأن اللَّه تعالى عليم بهم.

(٢) ط لأنه قولهم.

(٣) سورة الأنعام ٢٣.

(٤) ك كتمانه.

فصلى بهم فقرأ: ﴿قُلْ يا أَيُّها الكَافِرُونَ أَعْبُد ما تعْبدُونَ، وأَنتم عابدون ما أَعْبـدُ، وأَنا عابد ما عَبَدْتُمْ فنزلت ﴿لا تقربوا الصلاة وأَنتُمْ سُكَارَى﴾.

ويـروى أَنَّ عُمَر بنَ الخـطاب قـال: اللهم ان الخمـر تضُـرًّ بـالعقـول، وتـذهب بالمـال، فأنـزل فيها أمـرك فنزل في سـورة المـائـدة: ﴿إِنَّمـا الخَمْـرُ والمَيْسِرُ والأَنْصَـابُ والأَزْلاَمُ رِجْسٌ﴾[1]، وقـال: ﴿يسـأَلُـونَـكَ عَن الخمْـر والمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾[2]. والتحريم نصٌ بقوله ـ عزّ وجـلّ ـ ﴿قُلْ إِنَّمـا حرَّم رَبِّيَ الفَواحِشَ مَـا ظَهَرَ مِنهـا، وَمَا بَـطَنَ، وَالإِثـمَ والْبَغْيَ بغير الحق﴾[3]. فقد حُرِّمتِ الخمر بأنه قال: إنَّها إثم كبيرٌ. وقـد حرَّم اللَّه ـ عـزّ وجلّ ـ الإِثْمَ، فأَمر اللَّه ـ عـزّ وجلّ ـ في ذلـك الوقت أَلا يَقْـرَبَ الصلاةَ السكـرانُ وحرَّم بعْـدُ ذَلِك السُّكرَ، لأَن إجماع الأُمَّةِ أَن السَّكْرَ حرامٌ.

وإنما حُرِّمَ ذُو السُّكْرِ، لأَن حقيقة السكر أنه لم يزل حرامـاً وقد بينـا هذا في سورة البقرة[4].

وقوله: ﴿حَتى تعْلمُوا ما تَقُولُونَ، وَلاَ جُنُباً إلا عابري سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾.

أَي لا تقـربوا الصـلاة وأَنتم جنُبٌ، إلا عابـري سبيل، أَي إلا مُسَـافِرين لأَن المسافر يُعْوِزُه الماءُ، وكذلك المريض الذي يضُـرُّ به الغُسْـلُ. ويروى أَن قوماً غسلوا مجـدراً فمات، فقـال النبي ـ ﷺ ـ: قتلوه قتَلَهُم اللَّهُ، كان يجـزيه التيمُّم.

وقال قوم: لا تقربوا مَـوْضِعَ الصَّـلاة، حقيقـتُه: لا تُصلّوا إذا كنتم جُنبـاً

---

(١) المائدة ـ ٩٠.

(٢) البقرة ٢١٩.

(٣) الأعراف ٣٣.

(٤) انظر تفسير الآية يسألونك عن الخمر والميسر ص ٢٩١ ج ١ من هذا الكتاب.

حتى تغتسلوا، إلا أنْ لا تقدِرُوا على الماءِ، وإلا أن تخافوا أنْ يَضـرّكم الغسْلُ إضْراراً شديداً، وذلك لا يكونُ إلا في حالِ مَرضٍ.

﴿فتيمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾.

معنى تيمموا أقصِدُوا، والصَّعيد وجهُ الأَرْضِ.

فعلى الإنسان في التيمُّمِ أن يضرب بيديْه ضـربةً واحِـدةً فيمسح بهما جميعاً وجهه، وكذلك يضرب ضربةً واحدةً، فيمسـح بهما يـديه، والـطيبُ هو النظيف الطاهر، ولا يُبَالي أكان في الموضع ترابٌ أَمَ لا، لأَن الصعيد ليس هو التراب، إنما هـو وجه الأَرض، تـراباً كـان أو غيرَه. ولـو أن أَرْضاً كـانت كلُّها صخـراً لا ترابَ عليهـا ثم ضرب المتيممُ يـده على ذلك الصخْـرِ لكـان ذلـك طهُـوراً إذا مسح بـه وجهه. قـال اللَّه عزّ وَجَـلَّ ـ: ﴿فتُصْبحَ صَعِيـداً زلقاً﴾[1] فأَعلمك أَن الصعيد يكون زلَقـاً، والصُّعُداتُ الـطُّرُقاتُ. وإنمـا سمي صعيداً، لأَنَّها نِهايةُ ما يُصْعدُ إليه من باطن الأَرض، لا أَعلم بين أَهْلِ اللُّغَةِ اختلافاً في أَنَّ الصعيد وجهُ الأَرض.

﴿إنَّ اللَّهَ كَان عَفُوًّا غَفُوراً﴾.

أي يقبل منكم العفو ويغفرُ لكم، لأَن قبوله التيمُّم تسهيل عليكم[2].

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِن الكِتابِ﴾.

قال بعْضُهم: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: أَلم تُخْبر. وقال أَهل اللغة أَلم تعلَمْ، المعنى أَلم ينته علمك إلى هؤُلاءِ، ومعناه أعرفْهُم. يُعنَى به علماءُ أَهلِ الكِتَاب، أَعطاهم اللَّه في كِتابِهمْ عِلْمَ نبوَّةِ النبي ـ ﷺ ـ أَنَّه عندهم مكتوبٌ في التوراة والانجيـل يأْمرُهم بالمعروف وينهَاهُم عن المنكر.

---

(١) الكهف آية ٤٠.

(٢) يقبل العفو أي ما سهل عليكم، والتيمم تسهيل مقبول.

وقوله: ﴿يشْترونَ الضَّلاَلَةَ﴾.

أي يؤْثرون التكذيب بأمر النبي - ﷺ - ليأْخذوا على ذلك الرِّشا ويَثْبُتَ لهم رياسَةٌ.

وقوله: ﴿ويُرِيدُون أن تضِلُّوا السَّبِيل﴾.

أي تُضِلُّوا طريق الهُدى، لأن السبيل في اللغة الطريق.

وقوله: ﴿واللَّهُ أَعْلَمُ بأَعْدائِكُمْ﴾.

أي هو أعرف بهم فهو يُعْلِمُكمْ ما هم علَيْه.

﴿وكَفَى باللَّهِ ولِيًّا وكفَى باللَّهِ نَصِيراً﴾.

أي اللَّه ناصركم عليهم. ومعنى الباء التوكيد. المعنى وكفى اللَّه ولياً وكفى اللَّه نصيراً، إلاّ أن الباء دخلت في اسم الفاعل، لأَن معنى الكلام الأَمر، المعنى اكتفوا باللَّه.

وقوله - عزّ وجلّ - ﴿مِنَ الَّذين هَادُوا يُحرّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾.

فيها قولان: جائز أَن تكون مِنْ صلةِ الذين أُوتوا الكتاب، والمعنى أَلم تر إلى الذين أُوتوا نصيباً مِن الكتاب من الذين هادوا. وَيَجُوز أن يكون من الذين هادوا قومٌ يحرفون الكلم. ويكون ﴿يحرِّفون﴾ صفةً، والموصوف محذوف.

أَنشد سيبويه في مثل هذا قول الشاعر: (١)

---

(١) هو تميم بن عقيل. وبعده:

وكلتاهما قد خط لي في صحيفتي ... فلا العيش أهوى لي ولا الموت أروح

أي الدهر ذو حالتين إحداهما أموت بها، والأخرى أود العيش فيها مع كونه شاقاً عسيراً، وكلتاهما مسطر لي في اللوح المحفوظ. فلا الموت أهنأ ولا العيش أحب منه.

انظر شواهد الكشاف حرف الحاء، وسيبويه ٢ - ٣٤٦، والخزانة ٢ - ٣٠٨ ومعاني الفراء ٢ - ١٤٢، وكامل المبرد ٥٣٨.

وما الدهرُ إلا تارتان فمنهما أموت، وأُخرى ابتغي العَيْشَ أكدَحُ

المعنى منهما تارة أموت فيها.

وقال بعض النحويين المعنى: مَنْ الذين هادوا من يحرفونه فجعل يحرفون صلة من. وهذا لا يجوز. لأنه لا يحذف الموصول وتبقى صلته، وكذلك قول الشاعر:(١)

لو قلت ما في قومها لَمْ تِيثَم يفضلها في حَسَب وميسمِ

المعنى ما في قومها أحدٌ يفضلها. وزعم النحويون أن هذا إنما يجوز مع «من» و «في». وهو جائز إذا كان «فيما بقي دليل على ما أُلْقِي»(٢). لو قلت: ما فيهم يقول ذاك أو ما عندهم يقول ذاك جازَا جميعاً جوازاً واحداً. والمعنى ما عندهم أحد يقول ذاك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ويقُولُون سَمِعْنَا وعَصَيْنا واسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾.

كانت اليهود - لُعِنَتْ - تقول للنبي - ﷺ -: اسمَعْ، وتقول في أنفسها لا أسْمِعتَ.

وقيل غَيرَ مسمَعٍ، غير مجاب إلى ما تدعو إليه(٣).

وقوله: ﴿وَرَاعِنَا﴾.

هذه كلمة كانت تجري بينهم على حد السُّخرى(٤) والهزؤ، وقال بعضهم: كانوا يَسُبُّون النبي - ﷺ - بهذه الكلمة. وقال بعضهم: كانوا يقولونها

(١) لحكيم بن معية كما في الخزانة ٢ - ٣١١، ويروى تأثم، وتأثم وهو من شواهد الأشموني ٣ - ٧٠. وانظر معاني الفراء ١ - ٣٧١ والعيني ٤ - ٧١.

(٢) أي ما حذف.

(٣) وهو أيضاً دعاء، أي لا سمعك أحد ولا أجابك أحد.

(٤) السخري - بضم السين وكسرها. بمعنى السخرية. وبهما قرئ ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً.

كِبْراً، كأنهم يقولون: أَرْعِنا[1] سمعَكَ أي إجعل كلامَك لسَمِعْنَا مَرْعًى، وهذا مما لا تخاطب به الأنبياءُ ـ (صلوات اللّه عليهم) ـ إنما يخاطبون بالإجلال والإعظام.

وقوله: ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِم﴾.

أي يفعلون ذلك مُعَانَدةً للحق وطغياناً في الدين. وأصل «لَيًّا» لَوياً ولكن الواو أُدغمت في الياءَ لسبقها بالسكون[2].

وقوله: ﴿فلا يؤمِنُون إلَّا قليلًا﴾.

أي فلا يؤْمنون إلَّا إيماناً قليلًا، لا يجب به أن يُسَمَّوْا المؤْمنين. وقال بعضهم: ﴿فلا يؤمُنونَ إلَّا قليلًا﴾ أي إلا قليلاً منهم، فإنهم آمنوا.

وقوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾.

فيها ثلاثة أقوال. قال بعضهم نجعل وجوههم كأقفائهم. وقال بعضهم نَجعَلُ وجوههم مَنَابت للشَّعرُ كأقفائهم. وقال بعضهم «الوجوه» ههنا تمثيل بأمر الدين. المعنى قبل أن نُضِلَّهُمْ مجازاةً لما هم عليه من المعاندة، فنُضِلَّهُمْ ضلالاً لا يؤمنون معه أبداً.

وقوله ـ جلّ وعزّ ـ ﴿إِنَّ اللَّه لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، ويَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

أجمع المسلمون أن ما دون الكَبَائِر مغفور، واختلفوا في الكبائر فقال بعضهم: الكبائر التي وعد اللَّه عليها النار لا تُغْفَرُ، وقال المشيخةُ[3] من أهل

---

(١) من رعي الماشية ـ وذلك تهكم وسخرية منهم.

(٢) أي قلبت ياء ثم أدغمت.

(٣) الشيوخ الأجلاء.

الفقه والْعِلْمِ: جَائِزٌ أن يَغْفِر كلَّ ما دُونَ ذَلِكَ بالتَّوبة، وبالتَّوبةِ يُغفر الشرك وغيرُه[1].

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ باللَّهِ فقدِ افْتَرَى إثماً عَظِيماً﴾.

افترى اختلق وكذب، إثْماً عظيماً: أي غير مغْفُور.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِين يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾.

ألم تر: ألم تخبر في قول بعضهم. وقال أهل اللغة ألم تعلم وتأويله سؤال فيه معنى الإعلام. تأويله أعلم قصَّتهُم، وعلى مجرى اللغة ألم ينته علمك إلى هؤلاءِ، ومعنى يزكون أنفُسَهم أي تزعمون أنهم أزكياء، وتأويل قولنا: زكاءُ الشَّيْءِ: في اللغة نماؤُه في الصلاح. وهذا أيضاً يعني به اليهُودُ[2]. وكانوا جاؤوا إلى النبي - ﷺ - بأَطْفَالِهِمْ فقالوا: يا محمد أعَلى هؤُلاءِ ذنوبٌ، فقال النبي - ﷺ - لا، فقالوا كذا نحن، ما نعمل باللَّيْلِ يُغْفَرُ باللَّيْلِ، وما نعمل بالنهار يُغْفَرُ بالنهار.

قال اللَّه - عزّ وجلّ -: ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

أي يجعل من يشاء زاكياً.

﴿ولا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾.

تأويله ولا يظلمون مِقْدارَ فَتِيلٍ.

قال بعضهم: الفتيل ما تَفْتُلُه بين إِصْبَعَيْكَ من الوسخ، قال بَعضهم: الفتيل ما كان في باطن النَّواةِ من لِحائِها، وقالوا في التفسير: ما كان في ظهرها وهو الذي تَنْبُتُ منه النخلة، والقِطْمِيرُ جملة ما انْتَفَّ عليها من لحائها.

وقوله - جلّ وعزَّ -: ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ﴾.

---

(١) رد منه لهذا القول.

(٢) أي الذين يزكون أنفسهم يعني به اليهود. كانوا يصفون أنفسهم بما ليس فيهم من الصفات الحسنة.

أي يفعلونه ويختلقونه[١].

ويقال: قد فَرَى الرَّجلُ يَفْرِي إذا عمِلَ، وإذا قَطع ومن هذا: فَرَيْتُ جِلدَه. فتأويله أن هذا القولَ أعني تزكيتَهُمْ أَنْفُسَهُم فِرْيةٌ منهم.

﴿وكَفَى بِهِ إِثماً مبيناً﴾.

أي كفى هو[٢] إثماً. مَنصوبٌ عَلَى التمييز، أي كفى به في الآثام.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتَابِ﴾.

يعني به علماءُ اليهود.

أي أُعطوا علم أَمْرِ النَّبيّ - ﷺ - فكتموه.

﴿يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ والطَّاغُوتِ﴾.

قال أهل اللغة: كل مَعْبُودٍ من دون اللَّه فَهُو جِبْت وطاغوت. وقيل: الجبتُ والطاغوتُ الكهنةُ والشياطينُ. وقيل في بعض التفسير: الجبت والطاغوت ههنا. حُيَيٌّ بَنُ أَخْطَبُ، وكعب بنُ الأَشرف اليهوديان وهذا غير خارج عما قال أهل اللغة، لأنه إذَا اتَّبَعُوا أَمْرَهُمَا فقد أطاعوهما من دون اللَّه - عزّ وجلّ.

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِن الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾.

وهذا برهانٌ ودليلٌ على معاندة اليهود لأنهم زعموا أن الذين لم يُصدِّقُوا بشيء من الكتب وعِبادةَ الأَصنام، أهدى طريقاً من الذين يُجَامِعُونَهم[٣] على كثير مما يصَدِّقُونَ به، وهذا عِنادٌ بيّن.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿سَبِيلاً﴾:

(١) ب - يعتملونه. والمعنى واحد.

(٢) الباء زائدة.

(٣) يوافقونهم ويجتمعون معهم في هذا الايمان.

منصوب على التمييز، كما تقول: هذا أحسن منك وجهاً وهذا أجود منك ثوباً. لأنك في قولك: «هذا أجودُ منك» قد أبهَمْتَ الشيءَ الذي فَضَّلتَه به، إلا أنْ تريد أنَّ جُمْلته أجْوَدُ مِنْ جملتك فتقول: هذا أجود منك. وتمسك(١).

وقوله: ﴿أُولَئِكَ الّذين لعَنهُمُ اللَّهُ﴾.

أي الّذِين بَاعَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِه. وقد بيَّنا أن اللعنة هي المباعدة في جميع اللغة(٢).

وقوله: ﴿وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تجِدَ لَهُ نَصِيراً﴾.

أي من يباعِد اللَّه من رحمته فهو مخذول في دعواه وحجته ومغلوبٌ. واليهود خاصّةً أبْيَنُ خِذْلاناً في أنهم غُلِبُوا من بين جميع سائر أهل الأديان، لأنهم كانوا أكثر عناداً، وأنهم كتموا الحق وهم يعلمونه.

وقوله: ﴿أَمْ لهُمْ نصِيبٌ مِن المُلْكِ﴾.

المعنى بل ألهم نصيب من المُلْكِ(٣).

﴿فإذاً لا يُؤتُون النَّاسَ نقِيراً﴾.

قال بعضهم: (٤) إنما معناه أنهم لو أُعْطُوا الملك، ما أعطوْا الناس نقيراً، وذكر النقير ههنا تمثيل، المعنى لضنُّوا بِالقليل. وأما رفع «يُؤْتُون» فعلى «فلا يؤتون الناس نقِيراً إذنْ» ومن نصب فقال: «فإذا لا يؤتوا الناس» جاز [له] ذلك في غير القراءة فأما الْمصحف فلا يخالف.

---

(١) أي لا تزيد على ذلك.

(٢) راجع الآية: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى . . .﴾ من سورة البقرة ص ٣٣٥ جـ ١.

(٣) ب بل لهم، وهو خطأ.

(٤) في (ب) قال بعضهم: كانوا أصحاب بساتين وأموال وكانوا في غاية البخل، قال بعضهم إنما معناه . . . ألخ.

قال سيبويه: «إذاً» في عوامل الأفعال بمنزلة «أظن» في عوامل الأسماءِ، فإذا ابتدأت إِذَنْ وأنت تريد الاستقبال نصبت لا غير، تقول: إِذَنْ أُكْرِمَكَ، وإن جعلتها معترضة ألغيتها فقلت: أنا إِذَنْ أكرِمُكَ، أي أنا أُكرِمُك إِذَنْ. فإن أتيت بها مع الواو والفاء قلتَ فإذاً أُكرِمُك، وإِن شئت فإِذَنْ أُكرِمَكَ. فمن قال فَإِذَنْ أُكرِمَك نصَب بها وجعل الفاء ملصقة بها في اللفظ والمعنى، ومن قال: فإذن أُكرِمُك جعل إذاً لغواً، وجَعَل الفاء في المعنى معلقةً بأُكرِمُكَ والمعنى فأُكرِمُكَ إِذَنْ.

وتأويل «إذن»: إن كان الأمر كما ذكرتَ، أو كما جرى، يقولُ القائل: زيدٌ يصيرُ إليكَ فتجيبُ فتقولُ إذن أُكرمُه. تأويله إنْ كان الأمر على ما تصِفُ وقع اكرامه فَأَنْ مع أُكرمُه مقدرةٌ بعدَ إِذَنْ[1]. المعنى إكرامك واقع إن كان الأمر كما قلت.

قال سيبويه: حكى بعض أصحاب الخليل عن الخليل أَنَّ «أَنْ» هي العاملة في باب إِذَنْ.

فأما سيبويه فالذي يذهب إليه ونحكيه عنه أن إذن نفسها الناصبة، وذلك أنَّ «إِذَنْ» لما يستقبل لا غير في حال النَّصْبِ، فجعَلَها بمنزلة أَنْ في العمل كما جُعِلَتْ «لكنَّ» نظيرة «إنَّ» فِي العَمَل في الأسماءَ. وكلا القولين حسن جميل إلا أَنّ العامِل ـ عندي[2] ـ النَّصْبَ في سائر الأفعال، «أَنْ»، [وذلك] أجود، إما أن تقع ظاهرة أو مضمرة[3]. لأَنّ رفع المستقبل بالمضارعة فيجب أن يكون نصبه في مضارعه ما ينصب في باب الأسماءَ[4]، تقول أَظُنُّ أَنَّكَ

---

(١) عبارة ب فإن مع أكرمك المعنى إكرامك الخ.

(٢) ب قال أبو إسحاق إلا أن العامل.

(٣) الأجود أن يكون الناصب هو «أن» إما ظاهرة أو مقدرة.

(٤) المضارع فيما يرى الزجاج يرفع بكونه مضارعاً للاسم، فيجب أن يكون عامل النصب فيه ما

منطلق، فالمعنى أظن انطلاقكَ. وتقول أرجُو أن تذهب أي أرجو ذَهَابَك. فَأَنْ الخفيفة مع المستقبل كالمصدر.

كما أن «أَنَّ» الشديدة مع اسمها وخبرها كالمصدر، وهو وجه المضارعة(١).

وقوله عزّوجلّ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾:

معناه بَلْ أَيَحْسدُونَ النَّاسَ. وهنا يعني به النبي - ﷺ - كانت اليهود قد حسدته على ما أتاه اللَّه من النبوَّة، وهم قد علموا أن النبَوَّةَ في آل إبراهيم عليه السلام، فقيل لهم: أتحسدون النبي - ﷺ - وقد كانت النبَوَّةُ في آله وهم آل إبراهيم (عليهما السلام)(٢).

وقيل في التفسير إن اليهود قالت: إن النبي - ﷺ - شأْنه النساء، حسداً لما أُحِلَّ لَه مِنهُنَّ، فأعلم اللَّه - جلّ وعزّ - أن آل إبراهيم قد أُوتوا مُلْكاً عظيماً، وَقَالَ بعضهم(٣) [نالوا من] النساءِ أكثر مما نال محمد - ﷺ - كان لداود مائةُ مرأةٍ، وكان لسليمانَ أَلفُ ما بين حُرَّةٍ ومملُوكَةٍ(٤). فما بالهم حسدوا النبي - ﷺ -.

وقوله: ﴿فمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ به﴾:

أي من آمن بالنبي - ﷺ -.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾:

= ينصب في الأسماء، والأسماء تنصب بأن، فينصب المضارع بأن. لأن كلاً يؤول مع ما بعده بمصدر.

هذا رأيه وقد رده أبو علي الفارسي في كتاب الاغفال.

(١) ب فهذا وجه المضارعة.

(٢) ب فقط.

(٣) قال بعض المفسرين ان النساء كن عند بني إسرائيل أكثر مما كان عند محمد ﷺ منهن.

(٤) كذا في العهد القديم في سفر الملك.

وقيل منهم مَنْ آمن به أي بهذا الخبر عن سليمـان وداود فيما أُعْـطِيَا مِن النِّسَاء[١].

وقوله: ﴿وكفى بجهنم سعيراً﴾:

المعنى كفت جهنم شدةَ توقُّدٍ.

وقوله: ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً﴾:

أي نَشْويهم في نار. ويروى أن يهوديَّة أُهدت إلى النبي ﷺ شاة مَصْلِيَّة أي مشويَّةً.

وقوله: ﴿كلَّمَا نَضِجَتْ جلودهم بدَّلْنَاهم جُلُوداً غَيْرَهَا﴾:

الأحسَنُ إظهـار التاءَ ههنـا مع الجيم. لئـلا تكثر الجيمـات، وإن شئت أَدغمت التـاء في الجيم، لأَن الجيم من وسط اللسان والتـاء من طرفـه، والتاء حرف مهموس فأَدغمته في الجيم[٢].

فإن قال قائِلٌ بدَّل الجلد الذي عَصَى بالجلد الذي غير العاصي، فذلك غلط من القَـول. لأن العاصي والآلم هـو الإنسان لا الجلد. وجَـائز أَنْ يكـونَ بُـدّلَ الجلْدُ النَّضِجُ. وأُعيـد كَمَا كـانَ جلدُه الأَول، كما تقـول: قد صغت من خاتَمِي خاتَمـاً آخر فـأَنت وإن غيرت الصـوغ فالفضـة أَصل وَاحِـدٌ. وقد كـان الجلدُ بلِيَ بَعدَ البَعْثِ، فإنشاؤه بعد النضج كإنشائه بعد البعث.

وقوله: ﴿لِيَذُوقوا العَذَابَ﴾:

أي لِيُبْلِغَ في أَلَمِهِمْ.

وقوله: ﴿إنَّ اللّه كانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾:

---

(١) لا مساغ لهذا إذ لم يسبق ذكر نساء لهما.

(٢) الادغام غير جيد لان الحرفين متقاربان ومختلفان صفة، والادغام ينتج ثلاث جيمات متجاورة.

العزيز البالغ إرادَته، الذي لا يَغْلبُه شيءٌ، وهو مع ذلك حكيم فيما يدبر، لأنّ الملْحدين رُبَّمَا سَأَلوا عن العذَابِ كيف وقع فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن جميع مَا فعله بحكمةٍ.

وقوله: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾:

المعنى تجري من تحتها مياه الأنهار، لأن الجاري على الحقيقة الماءَ.

وقوله: ﴿ونُدْخِلُهُم ظِلاًّ ظليلاً﴾:

معنى ظليل يُظلّ من الريح والحرّ، وليس كل ظل كذلك. أعلم الله ـ عزّوجلّ ـ أن ظِلَّ أهل الجنّة ظليل لا حَرَّ مَعَه ولا بَرْدَ، وكذلك [قوله]: ﴿وظلٍّ مَمْدُودٍ﴾[(١)] لأن ليس كلُّ ظلٍّ مَمْدُوداً.

وقوله: ﴿ إن اللَّه يَأْمرُكُمْ أَنْ تُؤَدّوا الأَمانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾:
هذا أَمرٌ عَامٌّ للنبي (ﷺ) وجميع أُمَّتِه.

ويروى في التفسير أن العباسَ عم النبي (ﷺ) سأل النبي (ﷺ) أن يجعلَ له السِّقَاية والسِّدَانَةَ وهي الحِجبة[(٢)]. وهو أن يجعل له مع السقاية فتح البيت وإغلاقَه، فنازعه شيبةُ بن عثمان فقال يا رسول اللَّه اردُدْ عليَّ ما أَخذْتَ مِنِّي يعني مفتاح الكعبة، فرده (ﷺ) على شَيْبَة[(٣)].

وقوله: ﴿إن اللَّه نِعمّا يَعظُكُمْ بِهِ﴾:

---

(١) سورة الواقعة آية ٣٠.

(٢) خدمة البيت وحراسته ـ ويقال الحجابة.

(٣) كانت مفاتيح الكعبة مع عثمان بن طلحة، وقد أغلق بابها وقال: لو كنت أعلم أنه رسول اللَّه لم أمنعه، فلوى على يده وأخذ المفتاح منه ـ ثم نزلت الآية فأمر رسول اللَّه ﷺ علياً برد المفتاح إلى عثمان. وجعل السدانة والمفتاح في ذريته. أنظر ترجمة عثمان في الإصابة رقم ٥٤٤٠ ـ وتخريج أحاديث الكشاف لابن حجر أيضاً رقم ٣٦٩.

هـذه على أوجه ـ نِعِمَّـا ـ بكسر النـون والعين وإدغـام الميم في الميم، وإن شئت فتحت النون، وإن شئت أسكنت العين فقلت نَعْمًا، إلا أن الأحسنَ عندي الإدْغامُ مع كسرِ العَيْن فأما من قـرأ نِعْمَّ مَا بـإسكان العين والميم، فهـو شيءَ ينكره البَصْرِيُّون، ويزْعُمُون أن اجتماع السـاكنين أعني العين والميم غير جـائز، والـذي قالـوا بَيِّن، وذلك أنَّـه غير ممكن في اللفظ، إنمـا يحتـال فيـه بمشقة في اللفظ(١).

وقوله: ﴿وأُولي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾:

أي أطيعوا أُوْلي الأَمْر مِنكم، فـأمر اللَّه عـزّ وجلّ بـطاعته، فيمـا فرض، وطاعة رسوله وتصديقه فيما أدى عن اللَّه.

وأُولـو الأَمر منهم هم أَصحـابُ رسـول اللَّه (ﷺ) ومن اتبعهم من أهـل العلم، وقيل إنهم همُ الأُمراءُ، والأُمـراءُ إذا كانـوا أُولي علم ودينٍ آخذين بمـا يقوله أهل العلم، فطاعتهم فريضةٌ.

وجُمْلَة أُولي الأَمر من المسلمين من يقول بشأْنهم في أَمر دينهم وجميـع ما أدى إلى صلاح له.

ويقـال: أَديت الشيءَ تأْديـة، والأَداءُ اسم مَمْدود وأَدَوْتُ الـرَّجُل آدو لـه أَدْواً إذا خَتَلْته، قال الشاعر:

أَدَوْت لــه لأَخْـتِــلـه فهيهات الفتى حذرا(٢)

وأَدِيَ اللَّبنُ أَدِيًّا إذا حمض.

---

(١) راجع ما قيل مثل هذا في قوله تعالى: ﴿فتوبوا إلى بارئكم﴾ جـ ١ ص ١٣٥ وما بعدها.

(٢) اللسان. والتاج «أدو».

أدوت لـه: دبرت لـه مكيده ـ وحـذراً منصوب بفعـل مضمر أي لا يـزال حذراً، أو هـو حـال ـ ويروى لآخذه، والمعنى واحد. يقال ـ أدا ـ يأدو أدوا، وأنا آدو له.

وقوله: ﴿فإن تنازعتُم في شَيْءٍ فَرُدُّوه إلَى اللَّه والرَّسُول﴾:
معنى تنازعتم اختلفتم وتجادلتم وقال كل فريق: القولُ قولي.
واشتقاق المنازعة أن كل واحد منهما ينزع الحجة.

وفي هذه الآية أَمْرٌ مؤكد يدل على أَن القصد للاختلاف كُفْرٌ، وأَنَّ الإيمان اتِّباعُ الإجماع والسُّنَّةِ، ولا يخلو قوله عزّ وجلّ:

﴿فَردُّوهُ إلى اللَّه والرَّسُول إنْ كُنتُم تُؤمنون باللَّه والْيوم الآخرِ﴾.

من أحد أمرين: إمَّا أنْ تَرُدُّوا ما اخْتَلَفْتُم فيه إلى كتاب اللَّه وسنة رسوله، أو تقولوا إن لم تعلموه: اللَّه ورسوله أعلم.

﴿ذلك خَيْرٌ وأَحْسَنُ تَأْويلا﴾:

أي إنَّ رَدَّكم ما اختلفتم فيه إلى ما أَتى من عند اللَّه وتركَكم التَّحارُب خيرٌ، وأَحْسَنُ تأْويلاً لَكُم، أي أَحسنُ عاقبةً لكم. وجائزٌ أن يكون أَحسن تأْويلاً أي أَحسن من تأَوُّلِكم أَنتُم. دون رَدِّكم إياه إلى الكتاب والسُّنَّةِ.

وتأْويلاً منصوبٌ على التمييز.

وقوله: ﴿ألم تَرَ إلَى الَّذين يَزْعُمُونَ أَنَّهم آمَنُوا بمَا أُنزلَ إلَيْكَ وَمَا أُنزلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾:

يُعْنى به المنافقون.
﴿أَنَّهم﴾ تنوب عن اسم الزَّعم وَخبره[1].
وقوله: ﴿يُريدونَ أن يَتَحاكَمُوا إلى الطَّاغوت﴾:
إلى الكاهن والشيطان.

---

(١) سدت مسد مفعولي «زعم» - أن واسمها وخبرها تسد مكان المفعولات. وسيأتي هذا عند الآية ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم﴾.

ويروى أَنَّ رَجُلا من المنافقين نازعه رجل من اليهود، فقال اليهودي بيني وبينك أبو القاسم[1] وقال المنافق بيني وبينك الكاهن، فلم يرض اليهودي بالكاهن وصار إلى النبي (ﷺ) فحكم لليهودي على المنافق فقال المنافق لا أرضى. بيني وبينك أبو بكر، فحكم أبو بكر أيضاً لليهودي، فلم يرض المنافق وقال بيني وبينك عمرُ فصارا إلى عمرَ فأخبره اليهودي بأن المنافق قد حَكَمَ عليه النبي (ﷺ) وأبو بكر فلم يرض بحكمهما. فقال عمر للمنافق: أكذاك؟ قال: نَعَمْ، فقال عمر: اصبروا فإن لي حاجةً **أدْخُلُ فأقْضِيهَا** وأخرج إليكما فدخل وأخذ سيفه وخرج إلى المنافق فضربه بالسيف حتى قتله، فجاءَ أهله فشكوا عُمَرَ إلي النبي (ﷺ) فسأله عن قِصَّتِه فقال عمر: إنه ردَّ حُكمَك يا رسولَ اللَّه، فقال رسول اللَّه: أنت الفارُوق..

وقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدونَ عَنْكَ صُدُوداً﴾:

أي يَصدُّون عن حُكْمِكَ.

وقوله:﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ بمَا قَدَّمتْ أَيْدِيهِم﴾:

أي فكيف تكون حالُهم إذا قُتِلَ صَاحِبُهم بما أظهر من الخيانة ورَدِّ حُكْمِ النبي (ﷺ).

وقوله: ﴿ ثُمَّ جَاؤُوكَ يَحْلِفُونَ باللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلا إِحْسَاناً وتَوْفيقاً﴾:

أي ما أَرَدْنا بمُطَالَبَتِنَا بدمِ صاحِبِنَا إِلَّا إِحْسَاناً وطلباً لما يوافق الحقّ:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾:

اللَّه يعلم ما في قلوب أولئك وقلوب غيرهم، ألا أن الفائدة في ذكره

---

(١) يعني رسول اللَّه ﷺ.

ههنــا الــذين يعلم اللَّه مــا في قلوبهم أي أُولئـك الــذين قــد علم اللَّه أنهم منافقون. والفائدة لنا [هي]: إعلموا أَنهم منافقون.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فأَعْرِضْ عَنْهُم وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾:

أي أعلمهم أَنَّهم إن ظهر منهم رَدٌّ لحِكُمكَ وكفـر، فالقتـل حقُّهم. يقال قَولٌ بليغٌ إذا كان يبلغ بعبَارةِ لسـانه كُنْـهَ مَا في قلبـه، ويقال أَحْمَقُ بَلْغٌ وبلْغٌ. وفيه قولان: انّه أَحمَقُ يبلغ حيث يريد[١]، ويكون «أَحمقُ بَلْغٌ وبلْغٌ» قـد بَلَغَ في الحماقة. والقولُ الأَول قول من يُوثَقُ بعِلْمه، والثاني وجه جَيِّدٌ.

وقوله عزّوجلّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بـإِذْنِ اللَّهِ﴾.

[أَي] أُذِنَ في ذلك[٢].

و«مِنْ» دخلت للتوكيد. المعنى وما أَرسلنا رسولاً إلَّا ليطاع بإذن اللَّه.

وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم جَاؤُوكَ فاسْتَغْفَروا اللَّهَ﴾:

«أَنّ» في موضع رفع: المعنى لو وقع مجيئهم في وقت ظلمهم أَنفسهم مع استغفارهم. ﴿لَوَجَدُوا اللَّه تَوَّاباً رَحِيماً﴾.

وقوله: ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾:

يُعنَى به المنافقون.

﴿حَتَّى يُحكِّمُوكَ فِيمَا شَجَر بَيْنَهُمْ﴾:

أَي فيما وقع من الاختلاف بينهم، ﴿ثم لا يجدوا في أَنْفُسِهم حَـرَجَاً ممـا قضيتَ﴾، أَي لاَ تَضِيقُ صدورُهم من قضيتِكَ.

﴿ ويُسلِّمُوا تسليماً﴾:

---

(١) هذا هو الوجه الأول.

أي يصل إليه مع حمقه وبلاهته. و«يكون»: هو الوجه الثاني.

(٢) أعلمه اللَّه أنه مطاع.

أي يسلمون لما يأتي به من حُكْمِكَ[1]، لا يعارضونه بشيء، وتسليماً مصدر مؤكد، والمصادر المؤكدة بمنزلة ذكر الفعل ثانياً، كأنك إذا قلت سلمت تسليماً فقد قُلْت: سَلَّمْتُ سَلَّمْتُ. وحقُّ التَّوْكِيد أن يكون محقَّقاً لما تذكره في صَدْرِ كَلاَمِك، فإذا قُلْتَ ضَربتُ ضرباً، فكأنك قُلْتَ أَحْدَثْتُ ضَرْباً أُحَقُّه ولا أَشك فيه، وكذلك ﴿وَيُسَلِمُوا تَسلِيماً﴾ أي يسلمون لحكمك تسليماً، لا يُدْخِلون على أنفسهم فيه شَكّاً.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلوا أَنْفُسَكُمْ أَو اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾:

«لو» يُمنَعُ بها الشيءُ لامتناع غيره. تقول لَوْ جاءَني زيد لَجِئْتُه، المعنى ان مجيئي امتنع لامتناع مَجِيءِ زَيْدٍ، فحقها أن يَلِهَا الأفعالُ. إلاَّ أَنَّ «أَنَّ» المشَدّدةَ تقع بعدها، لأنّ - «أَنَّ» في اللغة تنوب عن الاسم والخبر، تقول ظننت أنك عالم.

[وهذا] كقولك ظننتك عالماً. والمعنى ظننت علمك. فالمعنى في «أَنَّ» بَعْدَ «لَوْ» أنها نابَتْ عن الفعل والاسم، كما نابت عن الاسم والخبر.

فالمعنى في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ كالمعنى في لو كتبنا عليهم. وجائز أن يكون مضمراً الفعلُ مع «أَنَّ» مع وقوع قابلها.

المعنى ولو وقع وكتبْنَا عليهم أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسكم أَو اخرُجُوا من دِيارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إلا قَليلُ مِنْهُمْ.

وإن شئت كسرتها لالتقاء الساكنين أعني. . «أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكم» وإن شئت قُلْتَ «أَنُ اقتلوا» فضممتها لانضمام التاء. .

(١) يذعنون له ولا يعارضون، ولا يكون في نفوسهم حرج منه.

وأبو عمرو بن العلاء يختار مع النونات خاصة الكَسْرَ ومَعَ سائِر ما في القرآن - إذا كان ما بعدها مضموماً - الضَّمَّ، إلاّ قوله:

﴿وَقَالَتِ اخْرُج عليهن﴾[1]، ﴿وَلَقَدِ اسْتُهزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾[2] ولست أعرف في هذين الحرفين خَاصيةَ أَبِي[3] عمرو إياهُمَا بالكَسْرِ إلا أَنْ يكونَ رَوَى روايةً فاختار الكسرَ لهذه العِلةِ، أو يكون أرادَ أن الكسرَ جازَ أَيْضاً كما جاز الضمُّ - وهذا أَجْوَدُ التأويلين.

وللكسر والضم في هَذِهِ الحروف وجهان جيِّدانِ قد قَرأَتِ القرّاءُ بهما[4].

فأما رفع إلا قَليلٌ مِنْهم. فعلى البدل من الواو. المعنى ما فعله إلا قليل منهم. والنصب جائز في غير القرآن، على معنى ما فعلوه أَسْتَثْنِي قَلِيلاً مِنْهُمْ، وعلى ما فسّرنَا في نصب الاستثناء، فإن كان في النفْيِ نوعانِ مختلِفَان فالاختيارُ النصبُ، والبدَلُ جائز، تقولُ مَا بِالدّارِ أَحَدٌ إلا حِمَاراً قال النابغة الذبياني:

وقفت فيها أُصَيْلاَلاً أُسَائِلها ... عَيَّتْ جواباً ومَا بالربع من أَحَدِ
إلَّا الأوَارِيَّ لأْياً ما أُبَيِّنُها ... والنُّؤيُ كالحوضِ بالمَظْلومةِ الجَلَدِ[5]

---

(١) سورة يوسف ٣١. (٢) سورة الأنعام ١٠.

(٣) خلاصته أن مذهب أبي عمرو في التقاء ساكنين من هذا النوع أن يضم الحرف الأول مراعاة لحركة الضم التي كانت لهمزة الوصل، فهو يقول مثلاً: قد اقتتل في هذا المكان، هل احتضر الرجل قلُ انظروا، لكن إذا كان الحرف الأول نوناً آثر أن تكسر، فهو يقول فمن اضطر في مخمصة، وأن احكم بينهم وقد روي عنه كسر التاء في ﴿وقالت اخرج عليهن﴾، والدال في: ولقد استهزىء. ولا يعرف الزجاج سبباً لإيثارهما بالكسر. وفي ب: لإيثارهما بالكسر (خاصة).

(٤) أما الكسر فهو لالتقاء الساكنين، والضم لنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها.

(٥) في قصيدته: يا دارمية بالعلياء فالسند. وتقدم البيت الثاني ص ١٣٥ ج ١. وأصيلالاً تصغير =

فقال ما بالرَّبـع مِنْ أَحدٍ، أي مـا بالـرَّبعِ أَحَـدٌ إِلَّا أَوَارِيَّ، لأَن الأَواريّ ليست من الناس.

وقـد يجوز الـرفع على البـدل، وإن كان ليس من جنس الأول كمـا قال الشاعر:

وبــلدٌ لــيس بــه أنيسُ[1] إلّا الـيعـافـيرُ وَإلا الـعِيسُ

فجعل اليعافير والعيسَ بدلا من الأنيس.

وجائز أن يكون أنيس ذلك البلد اليعافير والعيس[2].

وقوله: ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾.

يعنى النبيين، لأنه قال:

﴿وَمَنْ يُطعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِك﴾أي المطيعون.

﴿مَع الّذِينَ أَنْعَمَ اللَّه عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّـدِّيقِينَ والشهداءِ وَالصَّـالِحينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفيقاً﴾.

أي الأنبياءَ ومن مَعَهُمْ [حسنوا] رفيقاً.

و«رفيقاً» منصوب على التمييـز، ينوب عن رفقـاء، وقال بعضهم لا ينـوبُ الواحدُ عن الجماعة إلا أن يكُـون من أسماء الفـاعلين. فلو كان «حسُنَ القـومُ رجُلًا» لم يجز عنده. ولا فرق بين رفيق ورَجُل في هذا المعنى لأن الواحد في

= أصيل - في لغة. وانظر شرح العشر للزوزني ١١١.

(١) لجران العود - الديوان ٥٢، والقرطبي ٥ - ٣١٢، والخزانـة - ٢ - ٢٩ والعيني ١ - ٣٢ واليعافيـر جمع يعفور، دابة ذات لون رمادي تشبه الفـأرة الصغيرة. والعيس البيض من الـظباء أو الإبـل - يريد أن البلدة قد هجرت وصارت هذه الحيوانات تمرح بها. وجران هو عامر بن الحـرث - وأكثر الرواية وبلدة ليس بها أنيس، الشاهد رفع المستثنى مع أن الاستثناء منقطع.

(٢) أي هو إذن استثناء متصل فلا شذوذ فيه.

التمييز ينوب عن الجماعة، وكذلك في المواضع التي لا تكـون إلا جماعـةً[١] نحو قولـك هُوَ أحسن فتى وأَجْملُه، المعنى هـو أحسن الفتيان وأجملهم، وإذا كان الموضع الذي لا يُلْبِسُ ذِكْـرُ الواحـد [فيه] فهـو يُنْبِئُ عـن الجماعـة كقول الشاعر:[٢]

بها جيف الحسرى فأما عظامها   فبيض، وأمـا جلدهـا فصليبُ

وقال الآخر:

فـي حَلْقِـكم عَـظْـمٌ وقــد شَـــجينَـا[٣]

يريد في حلوقكم عِظَامٌ، ولو قلت حسُنَ القـوم مجاهـداً في سبيل اللَّه، وحسن القوم رجلاً كان واحداً[٤].

وقوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً﴾.

معناه وكفى اللَّه عليماً، والباء مؤكدة. المعنى اكتفوا باللَّه عليماً.

وقوله: ﴿يَأَيُّها الَّذينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾.

أمر اللَّه أنْ لا يُلْقِيَ المؤمنون بأيديهم إلى التهلكـة وأن يحذروا عـدوَّهم وأن يجـاهـدوا في اللَّه حق الجهـاد، ليبلو اللَّه الأخيـارَ وضمِنَ لهم مـع ذلـك النَّصْرَ، لأنه لو تولى [اللَّه تعـالى] قتل أعدائه بغير سبب للآدميين[٥] لم يكـونوا مُثَابينَ، ولكنه أمر أن يُؤْخَذَ الحذَرُ.

وقال: ﴿فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفُرُوا جَمِيعاً﴾:

---

(١) أي نكرات عامة يفهم منها معنى الجمع.

(٢) تقدم في الجزء الأول ص ٨٣.

(٣) تقدم أيضاً ص ٨٣ جـ ١.

(٤) أي لا فرق بين ما هو اسم فاعل أو غيره.

(٥) من غير عمل منهم.

والثُّباتُ الجماعات المتفرقة، واحدها ثُبَة، قال زهير ابن أبي سلمى:[١]

وقــد أغْـدُو على ثُبَــةٍ كـرامٍ نَشَــاوَى واجـدين لمــا نشـاءُ

قـال سيبويـه ثُبة تجمـعُ ثُبُون وثُبينَ، في الـرفـع والنصب والجـر وإنمـا جُمِعتْ بالواو والنـون ـ وكذلـك عِزَة وعِضَـة ـ كقولـه عزّ وجـلّ ﴿الذين جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ﴾[٢] ـ لأنَّ الواو والنون جُعَلتَا عوضاً من حذف آخر الكلمة، وَثُبة التي هي الجمـاعة محـذُوفُ آخرهـا؛ تُصَغَّرُ ثُبيَّـة، وَثُبة الحـوض وسطُه حيث يثوب الماءُ إليه تُصَغَّر ثُوَيْبَةَ، لأن هذا محذوفـة منه عين الفِعْـل، وإنما اشتقت ثبـة الجماعـة من ثَبَّيْتُ عَلى الرَّجُـلِ إذا أثْنَيت عليه في حيـاته، وتـأويله أنـك جمعت ذكر محاسنه، فأمـا الثُّبَةُ الجمـاعة من فـرقة. فتـأويله انفروا جَمـاعات مُتَفَرِّقةٍ أو انفروا بعضكم إلى بَعْض.

وقال: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾.

أي ممن أظهـر الإيمان لمن يبـطئُ عن القتال، يقـال قد أبـطأ الـرجـل وبَطُوءَ بمعنى، أبطأ تأخر، ومعنى بطوءَ ثقل، إبطاءً، وبُطْئاً.

والـلام الأولى التي في «لَمَنْ» لام إن[٣]، والـلام التي في ليَبــطئَن لام القَسِمُ، ومَنْ موصولـة بالجـالب للقَسِمَ، كأن هـذا لو كـان كلامـاً لقلْتَ إن[٤] منكم لمَن أحْلِف واللَّه لِيُبطِّئن، والنحويون يجمعون على أنّ مَنْ ومَا والذي لا

---

(١) الديوان ٧٢ ـ من قصيدته: عفا من آل فاطمة الجواء.
وثبـة جماعـة، ونشاوى جمـع نشوان، أي طـرب أو سكران من خمـر أو غيره، وواجـدين لما نشاء ـ أي ميسورين لديهم ما يريدون من الشراب وغيره. ـ وسيبويه يجعل جمعها ملحقاً بجمع المذكر السـالم، كسنة وعزة.

(٢) سورة الحجر آية ـ ٩١.

(٣) لام التوكيد التي تأتي في خبر إن.

(٤) ط أني.

يُوصَلْنَ بالأمر والنهي إلا بما يُضْمَر معها من ذكـر الخبر[1]، وأن لام القسم إذا جاءَت مع هذه الحروف فلفظ القَسمِ وما أَشْبَه لفْظَهُ مضمر معها.

وقوله: ﴿فَإِنْ أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ، قال﴾ هذا المُبطِّئُ:

﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً﴾.

أي لم أُشْركهُمْ في مُصِيبَتهم.

﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللهِ﴾ أي ظفِرتم وغَنِمْتُمُ.

﴿لَيَقُولَن ـ كأَنْ لَمْ يكُن بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُ مودةٌ ـ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ﴾.

﴿وَكأَنْ لَم تَكُنْ بيْنَكُم وبينهم مَوَدةٌ﴾: جائز أن يكون وقع ههنـا معترضـاً: المعنى: ولئن أصابكم فضل من اللَّه ليقُولَنَّ.

﴿يَالَيْتَنِي كنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عظِيماً﴾ وَيكُونُ:

«وإِنْ أَصَـابتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَـالَ قَـدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيـداً» «كـأَن لم تكن بينكم وبينهم مَوَدَّةٌ».

ومعنى المودّة ههنا، أي كأنه لم يُعاقِدْكُمْ على الأيمان أي كأنه لم يُظهر لكم المَودَّةَ، وجائز أن يكون ـ واللَّه أعلم ـ ليقُولَنَّ يا ليتني كنت معهم كـأَنْ لم تكن بينكم وبينه مَودَّةُ، أي كأنه لم يعاقدكم على أَنْ يجاهِدَ معكم. فـلا يكون في العربيّةِ فيه عيْبٌ ولا ينقص معنًى. . واللَّه أعلم.

﴿فَـأَفُـوزَ فَـوْزاً عَـظِيمـاً﴾.

فأفوز منصوبٌ على جواب التمنّي بالفاء.

وقـولـه: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

---

(١) صلة الموصول لا تكون طلباً ـ فإذا وقعت كذلك قدرت لها جملة خبرية ـ كما قـدر هنا الفعـل «أحلف». وكذلك صلة الوصول.

أي إنْ كانَتْ بينكم وبينه عقدة أَمَان فليقاتل في سبيـل اللَّه معكم.

﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الحيَاةَ الدُّنْيا بالآخِرَةِ﴾.

أي يبيعون، يقال شريت بمعنى بعتُ، وشَرَيت بمعنى اشتَريْتُ قال يزيد ابن مُفَرغ(١).

وشَـريْـتُ بُـرداً لـيـتـنـي مِن بَعْـد بُـردٍ كنتُ هـامَـهْ

بُرْدٌ غلامه، وشريته بعتُه.

وقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبيلِ اللَّهِ﴾.

«ما» منفصلة. المعنى أي شيءَ لكم تَارِكِينَ القتـالَ. و﴿لاَ تُقَاتِلُونَ﴾ في مـوضـع نَصْبٍ على الحال كقـولـه - عـزّ وجـلّ - ﴿فمـا لهـم عـن التَّـذكِـرةِ مُعْرِضينَ﴾(٢).

﴿والمستضعَفِين﴾: في موضع جَرٍ.

المعنى وما لكم لا تُقَاتِلون في سبيل اللَّه وسبيل المستضعفين.

﴿مِن الرجالِ والنساءِ والوِلْدانِ الذِينَ يَقُولُونَ رَبنا أَخرِجْنا مِن هَذِهِ القـريةِ الظالِمِ أَهْلها﴾.

يعني بالقرية مكة، أي ما لكم لاَ تسعون في خلاص هؤلاءِ.

وقوله: ﴿واجعل لنا مِن لَدنكَ وَلِياً واجعل لنا مِن لَدُنكَ نَصِيراً﴾.

أي تَـولَّنا بنصـرك وخَلِّصْنا من أَهْـلِ مكـة الـظالمِ أَهلُهَـا. [فهـو] نعت للقرية، ووحَّدَ الظالم لأَنه صفة تقع موقع الفِعل تقول مررت بـالقريـة الصالـح أَهلُهَا كقولك التي صَلَحَ أَهْلُهَا.

---

(١) تقدم شرح هذا ص ٢٧٨ ج١.

(٢) سورة المدثر ٤٩.

قال أبو العباس محمد بن يزيد: ﴿والمستضعفين﴾ في موضع جر: مِن وَجْهَين: المعنى ما لكم لا تقاتلون في سبيل اللَّه وفي المستضعفين، قال: وجائز أن يكون عطفاً على اسم اللَّه، أي في سبيل اللَّه وسبيل المستضعفين[١]، قال: وأختار أن يكون على «وفي المستضعفين» لاختلاف السبِيلين، لأن معنى سبيل المستضعفين كأنه خلاصُ المستضعفين، وقول أكثر النحويين كما اخْتار أبو العباس محمد بن يزيد. والوجه الثاني عِندي أشبه بالمعنى، لأن سبيل المستضعفين هي سبيل اللَّه.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿والَّذِين كفروا يقاتِلون فِي سبيلِ الطَّاغُوتِ﴾.

الطاغُوتُ في قول النحويين أجمعين يذكَّر ويؤنَّثُ. وفي القرآن دليل على تذكيره وتأْنيثه، فأما تذكيره فقوله: ﴿يُريدُونَ أن يتحاكموا إلى الطاغوتِ وقد أُمِروا أن يكفروا به﴾[٢]، وأما تأْنيثه فقوله ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿والَّذِينَ اجتَنَبوا الطاغوت أن يَعبُدوهَا﴾[٣]. قال أبو عبيدة: الطاغوت ههنا في معنى جماعة، كما قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿حُرِمَتْ عَليكُمْ المَيْتَةُ والدَّمُ وَلَحمُ الخِنزير﴾[٤] معناه لحم الخنازير كلها.

والطاغوت الشيطان، وكل معبود من دون اللَّهِ فهو طاغوت. والدليل على أن الطاغوت الشيطان قوله: ﴿ويُرِيدُ الشيطان أن يُضِلَّهم ضَلاَلاً بعِيداً﴾.

وقوله: ﴿أَلم تر إِلَى الَّذِينَ قِيل لَهُم كُفُّوا أَيْدِيكُمْ وأَقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾.

قيل كان المسلمون قبل أن يؤمروا بالقتال قالوا للنبي ـ ﷺ ـ: لو أَذِنت

---

(١) المعنى واحد على كلا التقديرين.

(٢) سورة النساء ـ ٦٠.

(٣) سورة الزمر. ١٧.

(٤) سورة المائدة ـ ٣.

لنا أن نعمَلَ مَعَاوِلَ نقاتل بها المشركين، فأُمروا بالكف وأداءَ ما افْتُرِضَ عليهم غيرَ القتال، فلما كُتبَ عليهم القتالُ خشي فريق منهم ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا القِتَالَ لَوْلَا أَخَّرتنا إِلَى أَجل قَرِيبٍ﴾.

المعنى هَلَّا أَخَّرْتَنَا.

فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن متاع الدنيا قليل وأن الآخرة لِأَهْل التُّقَى، وأعلمهم أن آجالهم تخطئُهم ولو تحصنوا بأمنع الحصون فقال:

﴿أينما تكونوا يدرِكْكُم المَوْتُ وَلَو كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ لأن مُفَعَّلة، ومُفعَّل للتكثير، يقال: شاد الرجل بناءَهُ يشيده شَيداً إذا رَفَعه وإذا طَلَاه بالشِّيدِ، وهو ما يطلى به البناءُ من الكِلس والجصِّ وغيرِه، ويقال أيضاً قد أَشَادَ الرجل بِنَاءَهُ. فأما في الذِكْرِ فأشدت بذكْر فُلانٍ لا غير إذا رَفَعْتَ من ذِكرِه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ تُصِبْهم حَسَنة يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّه، وإن تُصِبْهُمْ سيئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾.

قيل كانت اليهود ـ لُعِنَتْ ـ تَشَاءَمَتْ برسول اللَّه ﷺ عند دخوله المدينة فقالت: منذ دخل المدينة نَقَصَتْ ثمارُنا وغلت أسعارنَا، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن الخصْبَ والجَدْبَ من عِندِ اللَّهِ.

وقوله: ﴿مَا أَصَابَكَ مِن حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيئَةٍ﴾.

هذا خطاب للنبي ﷺ يرادُ به الخلق، ومخاطبة النبي ﷺ قد تكون للنَّاسِ جميعاً لأنه عليه السلام لِسانهم، والدليل على ذلك قوله: ﴿يا أيها النَّبِيّ إذا طَلَّقتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهن لِعِدَّتِهِنَّ﴾[1].

فنادى النبي ﷺ وحده وصار الخطابُ شامِلاً له ولسائر أُمَّتِه، فمعنى ما

(١) سورة الطلاق ـ ١.

أصابك من حسنة فمن اللَّه، أي ما أصبتم من غنيمة أو أتاكم من خِصْبٍ فمن تفضلِ اللَّه، وما أَصَابَكَ من سَيئَةٍ أي من جَدْبٍ أو غَلَبَةٍ في حرب فمِنْ نَفْسِك، أي أَصَابَكم ذلك بما كَسَبْتُمْ كما قال اللَّه جلّ وعزّ ﴿وما أَصابكم من مُصيبةٍ فبما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوعَنْ كَثِيرٍ﴾[1].

ومعنى ﴿وأَرْسَلنَاكَ للنَّاسِ رَسُولاً﴾.

معنى الرسول ههنا مؤكدٌ لقوله: ﴿وأَرْسَلنَاكَ﴾ لأن ﴿وأَرْسَلنَاكَ للناس﴾ تدل على أنه رَسُولٌ.

﴿وَكَفَى بـاللَّه شَهِيداً﴾.

أي اللَّه قد شهد أَنَّه صَادِقٌ، وأَنَّه رسوله، و «شهيداً» منصوب على التمييز، لأَنَكَ إذا قلت كفى اللَّه ولم تبين في أي شيء الكفاية كنت مُبْهِماً.

والفاءَ دخلت في قوله جلّ وعزّ: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَة فَمِنَ اللهِ﴾ لأن الكلام في تقدير الجزاءَ، وهو بمنزلة قولك: إنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ فمن اللَّه[2].

وقوله: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّه﴾.

أي من قبل ما أَتى به الرسول فإنَّما قبلَ ما أمر اللَّه به.

وقوله: ﴿وَمَنْ تَوَلَّى فما أَرْسَلنَاكَ عَلَيْهِم حَفِيظاً﴾.

تأْويله ـ واللَّه أَعلم ـ أنك لا تعلم غيبهم إنما لك ما ظهر منهم، والدليل على ذلك ما يتلوه وهو قوله:

﴿ويَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾.

---

(١) سورة الشورى ٣٠.

(٢) الاسم الموصول يشبه الشرط في عمومه واستقباله فتدخل الفاء في خبره. ويجوز أن تكون «ما» ههنا شرطية.

قال النحويون [تقديره] أَمْرنا طاعةٌ. وقال بعضهم مِنَّا طاعةٌ.

والمعنى واحد، إلا أن إضمار أمرنا أجمع في القصة وأحسَنُ.

وقوله: ﴿فإذا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾:

يقال لكل أمر قد قُضِيَ بِلَيْلٍ قد بُيِّتَ. قال الشاعر:[1]

أتــوني فلم أدْرِ مَــا بَيَّـتُـوا   وَكَــانُـوا أتــوني لأَمْــرٍ نُكْــر

أي فلست حفيظاً عليهم تعلم ما يغيب عنك من شأْنِهم، وهـذا ونظائـره في كتـاب اللَّه من أبين آيات النبي ﷺ، لأنهم مـا كانـوا يُخْفونَ عنـه أَمْـراً إلا أظهره اللَّه عليه.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَاللهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾.

فيه وجهان، يجوز أن يكون - واللَّه أعلم - ينزله إليك في كتابه، وجائز أن يكون يكتب ما يُبَيِّتون يحفظه[2] عليهم ليُجَازوا به.

وقوله: ﴿فأَعْرِضْ عَنْهُم وَتَوَكَّل عَلَى اللَّهِ﴾.

أي لَا تُسمِّ هؤلاءِ بأعيَانِهم لمـا أحب اللَّه من ستر أمـر المنافقين إلى أن يستقيم أَمْرُ الإسلام. فأما قوله: ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ منْهُمْ﴾ فذكَّر ولم يقل بيتت، فلأن[3]

---

(١) هو عبيدة بن همام - له ترجمة في الأغاني ١١ - ٥٨ - في خبر الجحاف ونسبه وبعد البيت:

لأنـكـح أيـمـهـم مـنـذراً   وهـل ينكـح العبـد حـراً لـحـر

وينسب البيتان للأسود بن يعفر - انظر اللسان (نكر)، ومجاز أبي عبيدة ١ - ١٣٣ - والكامل ٣٥/٢، ١٠٦ والمعنى أنهم أتوه وقد دبروا شراً لا علم له به، وهذا الشر أن يزوج منذراً هـذه الفتاة وهو غير كفء لها.

(٢) تكتبه الحفظة حتى يحاسبوا عليه يوم القيامة.

(٣) في الأصل لأن - بدون فاء - وهو خطأ.

كل تأنيث غير حقيقي فتعبيره بلفظ التذكير جائز، تقول: قالت طائفة من أهل الكتاب، وقال طائفة من المسلمين لأن طائفة وفريقاً في معنى واحد، فكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فمن جَاءَهُ موعظَةٌ مِنْ رَبِّه﴾(١)، وقوله: ﴿يَا أَيُّها النَّاسُ قَد جَاءَتْكُمْ مَوعِظَة مِنْ رَبِّكُم﴾(٢)، يعني الوعظ إذا قلت فمن جاءه موعظة. وقرأ القرَّاءُ بيَّتْ طَّائفةٌ على إسكان التاءِ وإدْغامها في الطاء، وروي عن الكسائي أن ذلك إذا كان في فعل فهو قبيح، ولا فرق في الإدغام ههنا فِي فعلٍ كان أو في اسم لو قلت بَيَّتُ طائفةً وهذا بَيْتُ طائفة - وأنت تريد بيتٌ طائفةً كان واحداً، وإنما جاز الإدغام لأن التاءَ والطَّاءَ مِن مَخْرجٍ واحدٍ.

وقوله:﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيه اخْتِلَافاً كثيراً﴾.

يُعْنَى بـه المنافقـون، أي لو كـان ما يخبـرونَ به ممـا بيَّتُوا، ومـا يُسِرُّونَ ويُوحَى إلى النبي ﷺ. . لولا أنه من عند اللَّه لما كان الإخبار به غير مختلف، لأن الغيب لا يعلمه إلا اللَّه(٣). وهذا من آيات النبي ﷺ البيِّنَةِ.

ومعنى تدَبَرتُ الشيءَ، نظرتُ في عَاقبته، وقولهم في الخبر: لا تَـدَابَرُوا، أي لا تكونوا أعـداءً، أي لا يُوْلَى بعضُكم دُبُـرَهَ، يقال قـد دَبَر القـومُ يَدْبُـرون دبَـاراً إذَا هَلكُوا، وأَدْبَـرُوا إذا وَلَّى أمرُهم، وإنمـا تأْويله أنـه تقضَّى أمرهم إلى آخره فلم يبق منهم باقية، والدَّبْرُ النَّحلُ سُمِّيَ دَبْراً لأنه يُعْقِبُ(٤) مـا ينتفع بـه، والدِّبرُ المال الكثير سمِّيَ دِبْرا لكثرته، ولأنـه يبقى للأَعْقابِ والأَدْبارِ،

---

(١) البقرة - ٢٧٥.

(٢) يونس - ٥٧.

(٣) يريد أن ما أخبرهم به النبي ﷺ من شؤونهم التي يسرون ويعلنـون إنما هـو وحي من اللَّه تعالى بدليل أنه لا اختلاف فيه.

(٤) يترك ويبقى.

وقوله: ﴿وإذا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمنِ أو الخَوْفِ أَذَاعَوا بِه﴾.

أي أظهروه ونادَوْا به في الناس، قال الشاعر:[1]

أَذاع بــه في النــاس حتى كــأنــه بــعَلْيــاءَ نــارٌ أُوقِــدَتْ بــثُقُــوبِ

وكـان إذا علم النبي ﷺ أنه ظـاهر على قـوم أمن مِنهم، أَوْ أُعْلَمَ تجمع قوم يخاف من جمع مِثلِهم، أَذاع المنافقون ذلك ليحذَر مَنْ يحذر من الكفار، وليقوَى قلب من ينبغي أن يَقْوَى قلبه لما أذاعوا وكان ضَعَفَةُ المُسْلِمين يُشِيعُونَ ذلكَ مَعَهُمْ مِنْ غير علم بالضرَرِ في ذلك، فقال عزّ وجلّ ولو ردوا ذلك إلى أن يأخذوه من قِبَلِ الرســول ومن قبل أُولي الأَمْـرِ منهم، أي من قِبَلِ ذوي العلم والرأي منهم.

وقوله: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَستنبِطونَه مِنهُم﴾.

أي لعلمـه هؤلاءِ الذين أذاعـوا به من ضَعَفِـة المسلمين من[2] النبي ﷺ وذوي العلم، وكانوا يعلمون مع ذلك هَلْ ينبغي أن يُذَاع أو لا يُذَاعَ.

ومعنى «يستنبطونه» في اللغـة يستخرجـونـه، وأَصْله من النبط وهـو المـاءَ الـذي يُخرج من البئر في أول ما يحفـر، يقال من ذلـك: قـد أنبط فـلان في غضـراءَ[3]، أي استنبط المـاءَ من طينٍ حُـرٍّ[4]. والنبط إنّمـا سُمـوا نبـطاً لاستنباطهم ما يخرج من الأرضين.

وقوله: ﴿وَلَوْلا فَضلُ اللَّهِ عَليكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَليلاً﴾.

(١) أبـو الأسود الـدؤلي، الخزانـة ١ ـ ١٥٣، العيني ٢ ـ ٥٣٦، الطبـري ٥ ـ ١١٤ أي أعلن هذا الأمر وشهرد حتى صار كالنار التي توقد بمكان مرتفع يراها كل مار.

(٢) حصلوا على العلم به منهم.

(٣) الغضراء الأرض الطيبة الخضراء.

(٤) طين نقي جيد المعادن.

قال بعضهم: لولا ما أنزله اللَّه عليكم من القرآن، وبيَّنَ لكم من الآيات على لسان نبيه لاتَّبعْتُم الشيطانَ إلَّا قليلاً، أي كان أولكم بجوار الكفر(١)، وهذا ليس قولُ أحد من أهل اللغة، قال أهل اللغة كلُّهم: المعنى: ﴿لَوْلا فضل اللَّه عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إلَّا قليلاً﴾ إنما هو استثناءَ من قوله ﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾إلَّا قليلاً، وقال النحويون: المعنى أذاعوا به إلا قليلاً، وقالوا أن يكون الاستثناءَ من أذاعوا به إلا قليلاً أجود(٢)، لأن مَا عُلِمَ بالاستنباط فليس(٣) الأكثر يعرفه، إنما يستنبط القليل، لأن الفضائل والاستنباط، والاستخراج في القليل من الناس. وهذا في هذا الموضع غلط من النحويين، لأن هذا الاستنباط ليس بشيء يستخرج بنظر وتفكُّر، إنما هو استنباط خبر، فالأكثر يعرف الخبر، إذا خُبِرَ به، وإنما القليل المبالِغُ في البلادة لا يَعْلَمُ ما يُخْبرُ بِه، والقول الأول مع هذين القولين جائزة كلها(٤). واللَّه أعلم.

لأن القرآن قبل أن ينزل والنبي قبل أن يبعث قد كان في الناس القليلُ ممن لم يشاهد القرآن ولا النبيّ ﷺ مؤمناً. وقد يجوز أن يقول القائل إنَّ من كان قبل هذا مؤمناً فبفضل اللَّه وبرحمته آمَنَ، فالفضل والرحمة لا يخلو منهما من نال ثواب اللَّه جلّ وعزّ إلا أن المقصود به في هذا الموضع النبيُّ ﷺ والقرآن.

وقوله جلّ وعزّ ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ الله لا تُكَلَّفُ إلَّا نَفْسَكَ﴾.

هذه الفاءَ جواب قوله جلّ وعزّ: ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أو

---

(١) لانحرف بكم الشيطان انحرافاً يكاد يكون كاملاً، أو لانحرف بكم جميعاً إلا قليلاً منكم.

(٢) تفسير لنوع اتباعهم الشيطان ـ فعلى الأول سببه اتباع من لا قدرة له على الاستنباط، وفي الثاني سببه الإذاعة بهذا الأمر. وكونه استثناء من ﴿الذين يستنبطونه﴾ أو أذاعوا به بعيد.

(٣) الفاء واقعة في خبر الاسم الموصول كما سبق كثيراً.

(٤) أي هذه الأقوال الثلاثة جائزة.

يَغْلِبْ فَسَوفَ نُؤْتيه أَجراً عظيماً﴾، ﴿فَقَاتِلْ في سبيل الله﴾(١).

ويجوز أن يكون متصلاً بقوله: ﴿وما لكم لا تقاتلون في سَبِيل اللَّهِ﴾أي أيُّ شيءٍ لكم في ترك القتال ﴿فقاتل في سبيل الله﴾. فأمره اللَّه بالقتال ولو أنه قاتل وحده، لأنه قد ضمن له النصر.

ويروى عن أبي بكر رحمه اللَّه أنه قال في الردَّةِ، لو خالفتني يميني جاهدتها بشمالي.

وقوله: ﴿عَسَى اللَّهُ أن يَكُفَ بأس الَّذِينَ كَفرُوا، واللَّهُ أَشَدُّ بُأْساً وأَشَدُّ تَنْكيلاً﴾.

البأس الشدة في كل شيءٍ.

وقوله: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا، وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَة يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾.

الكفل في اللغة النصيب، أُخِذَ من قولهم أَكفَلْتَ البعيرَ إذا أَدَرْتَ على سِنَامه أو على موضع من ظهره كساءً، وركبت عليه وإنما قيل له كفْل، وٱكْتُفِلَ البَعِيرُ؛ لأنه لم يُسْتَعْمَلْ الظَّهْرَ كله، إنما اسْتُعْمِلَ نَصيب من الظهر، ولم يستعمل كله.

وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً﴾.

قال بعضهم: المقيت القدير، وقال بعضهم: المقيت الحفيظ، وهو عندي ـ واللَّه أعلم ـ بالحفيظ أشبه، لأنه من القُوتِ مشْتَقٌّ، يقال: قُتَّ الرَّجلَ أَقُوتهُ قوتاً إذا حفظتُ عليه نفسه بما يقوته. والقوتُ اسم ذلك الشيء الذي يحفظ نفسه، ولا فضل فيه على قدرة الحِفْظ، فمعنى المقيت ـ واللَّه أعلم ـ الحفيظ الذي يعطي الشيءَ قدر الحاجة من الحفظ قال الشاعر:(٢)

---

(١) جواب الشرط مذكور في «فسوق» والفاء في «فقاتِلْ» تفريعية، إذا كان الأمر كذلك فقاتل.

(٢) هو السموأل بن عادياء صاحب الحصن، له قصص تروى في الوفاء، وقد جاء البيت مرتين في

أَلِــيَ الــفَــضْــلُ أَمْ عَــلَـى إذا حُوسِبتُ إني عَلى الحِسَابِ مُقِيتُ

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾.

قال النحويون: «أحسن» ههنا صفة لا تنصرف لأنـه على وزن أَفْعَل وهـو صفة.

والمعنى فحيـوا بتحيـة أحسن منهـا، وقيـل في التفسيـر: التحيـة ههنـا السـلام، وهي تفعله - من حيَّيْتُ، ومعنى حيّـوا بـأَحْسَن منهـا: إذا قيـل لكم «السلام عليكم» فقولوا: «وعليكم السلام ورحمة الله»، فالتحيـة التي هي أحسن منهـا، [هي] «وعليكم السلام ورحمـة اللّه وبركاته»، ويقـال لكل شيء منتهىً، ومنتهى السَّلام [كلمة] وبركاته.

ويروى أَنَّ دَاخِلاً دخـل إلى النبي ﷺ فقال: السـلام عليكم ورحمة اللّه وبـركاتـه، فقال النبي ﷺ وعليـك، ودخـل آخـر فقـال: السـلام عليكم فقـال النبي ﷺ وعليكم السلام ورحمة اللّه، ودخل رجل آخر فقال: السـلام عليكم ورحمة اللّه، فقال النبي ﷺ وعليكم السلام ورحمة اللّه وبركاتـه فقام الـداخل الأول فقـال: يا رسـول اللّه سلمت فلم تَـزِدْ على «وعليـك» وقـام هـذا فقـال السلام عليكم فزدته، وقام هذا فقال: السلام عليكم ورحمة اللّه فزدته، فقـال النبي ﷺ: إنك لم تترك من السلام شيئاً، فرددت عليك، وهذان تركا منه شيئاً فزدتهما.

وهذا دليل أَنّ أخر ما في السُّنة من السّلام [كلمة] وبركاته.

القـرطبي، واحـدة في حـ ٥ - ٢٩٦، ومـع بيت آخـر قبله في ١ - ١٢٩، والعيني ٤ - ٣٣٢ واللسان (قوت) ومجاز أبي عبيدة في الآية نفسها، والبيت السابق هو:

لــيـت شـعـري وأشـعـرن إذا مـا قـربـوهـا مـطـويـة ودعـيـت

أي إذا قربوا لي صحيفة أعمالي هل أثاب أم أعاقب، اني في هذا الوقت مدرك كل ما فعلت. ويروى البيت برواية أخرى.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً﴾.

أي يعطي كلَّ شيءٍ من العلم والحفظ والجزاءَ مقدار ما يحسبه، أي يكفيه، تقول حسبك بهذا أي اكتف بهذا، وقوله تعالى: ﴿عَطاءً حِساباً﴾(١) أي كافياً، وإنما سُمِّيَ الحساب في المعاملات حساباً لأنه يعلم ما فيه كفاية ليس فيها زيادة على المقدار ولا نقصان.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ﴾.

هذه لام القسم كقولك: واللَّه ليجمعنكم، ومعنى القيامة في اللغة - والله أعلم - على ضربين، جائز أن تكون سميت القيامة لأن الناس يقومون من قبورهم، قال اللَّه جلّ وعزّ: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الأجدَاثِ كأَنَّهُم جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾(٢)، وجائز أن تكون سُمّيتْ القيامةَ لأن الناس يقومون للحساب، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿يومَ يَقُومُ النَاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾(٣).

ومعنى ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ - واللَّه أعلم - أي يجمعكم في الموت وفي قبوركم، وقوله: ﴿فَمَالَكُم فِي المُنَافِقِينَ فِئَتَين﴾.

هذا خطاب للمسلمين، وذلك أن قوماً من المنافقين قالوا للنبي ﷺ قد اجتوينا(٤) المدينة، فلو أذنت لنا فخرجنا إلى البدو، فلما خرجوا لم يزالوا يرحلون مرحلةً مرحلةً حتى لحقوا بالمشركين، فقال قوم من المسلمين هم كفّار هم كفار، وقال قوم: هُم مُسلِمُونَ حتى نعلم أنهم بدَّلوا، فأمر اللَّه بأن يتفق المسلمون على تكفير من احتال على النبي ﷺ وخالفه فقال - عزّوجلّ -: ﴿فَمَالَكُم فِي المُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾.

---

(١) سورة عم يتساءلون - ٣٦.

(٢) سورة القمر - ٧.

(٣) سورة المطففين - ٦.

(٤) سئمناها ومللنا جوها.

أي أيّ شيء لكم في الاختلاف في أمرهم ﴿وَاللهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾.

وتأويل «أركسهم» في اللغة نَكَّسَهُمْ وردَّهم، يقال أَرْكَسه ورَكَسَهُ.

ومعنى ﴿وَاللهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾ أي ردَّهم إلى حُكم الكفار.

وقوله: ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾.

أي أتقولون إن هؤلاءِ مهتدون واللّه قد أضَلَّهم.

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾.

أي طريقاً إلى الحجة، وقال النحويّون في نصب «فئتين» إنها منصوبة على الحال، وقال سيبويه: إذا قلت مالك قائماً فإنّما معناه لِمَ قُمْتَ ونصب على تأويل أي شيء يستقر لك في هذه الحال، قال غيره إن «قائماً» ههنا منصوبٌ على جهة فِعل «مَالَ»[1] ويجيز مالك قائماً، ومالك القائمَ يا هذا، ومالك القائمَ خطأً، لأن القائم معرفة فلا يجوز أن تقع حالا، و«ما» حرف من حروف الاستفهام لا تعمل عمل كان، ولو جاز مَالَكَ القَائِمَ يا هذا، جاز أن يقول ما عندكَ القائمَ، وما بِكَ القَائِمَ، وبالإجماع أن ما عندك القائمَ خطأً، فمالك القائمَ مثله لا فرق في ذلك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فلا تَتخِذُوا مِنْهُم أولِيَاءَ حَتى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

أي لا تتخذوا من هؤلاءِ الذين احتالوا على النبي ﷺ حتى فارقوه أولياءَ، أي لا تقولوا انهم مؤمنون حتى يهاجروا في سبيل اللّه، أي حتى يرجعوا إلى النبي ﷺ.

وقوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾:

أي تولوا عن أن يهاجروا، ولزموا الإقامة على ما هم عليه ﴿فخذوهُم واقْتُلُوهُم حَيْثُ وَجدتُمُوهُم، ولَا تَتَّخِذُوا مِنْهُم وليًّا ولَا نَصِيراً﴾.

---

(١) أي ما هو بمعناه ـ وينحل إلى معنى أي شيء حدث لك.

وقوله: ﴿إلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَومٍ بَيْنَكُم وَبَيْنَهُم مِيثَاقٌ﴾.

أي فاقتلوهم إلا من اتصل بقوم بينكم وبينهم ميثاق.

ويروى أن هؤلاءِ اتصلوا ببني مُدْلج وكانوا صلحاً[1] للنبي ﷺ.

وقوله: ﴿أَوْجَاءُوكُم حَصِرَتْ صُدُورُهُم أَنْ يُقَاتِلُوكُم أَو يُقَاتِلوا قَوْمَهُمْ﴾.

معناه ضاقت صدورهم عن قتالكم وقتال قومهم، وقال النحويُّون إنَّ ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُم﴾ معناه أوجاءُوكم قد حَصِرَت صُدورُهم، لأن حَصِرَتْ لا يَكونُ حالاً إلا بقد، وقال بعضهم حصرت صدورهم خبر بعد خبر[2]، كأنه قال: أوجاءُوكم، ثم أخبرَ فقال: ﴿حَصِرتْ صُدُورُهُم أَن يُقاتلوكم﴾.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿ولو شاءَ اللَّهُ لسلَّطَهم عليكم فَلَقَاتَلُوكُم﴾ أي ضيق صُدورِهم عن قتالكم إنما هو لقذف اللَّه الرعبَ في صدورهم، وقرأ بعضهم «حصِرةً صُدُورُهُم» على الحال.

وقوله جل وعزّ: ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُم وَيَأْمَنوا قَوْمَهُمْ﴾.

ستجدون من يظهر لكم الصلح ليأمنكم، وإذا سنحت فتنة كانوا[3] مع أهلها عليكم.

وقوله: ﴿كُلَّما رُدُّوا إلى الفِتْنَةِ أُركِسُوا فيها﴾.

أي انتكسوا عن عهدهم الذي عقدوه.

وقوله: ﴿فَإِنْ لَم يعتزِلُوكُم﴾.

أي فإن لم يعتزلوا قتالكم ولم يعاونوا عليكم[4].

---

(١) كان بنو مدلج صلحاً للنبي- فكان بينهم وبين المؤمنين ميثاق -فلا يستحق الذين لحقوا بهم أن يقتلوا.

(٢) أي جملة خبرية مستقلة وليست حالاً.

(٣) ب ـ كانت.

(٤) ولم يتركوا المعاونة عليكم.

﴿ويُلْقوا إلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ .

أي المقادة والاستسلام .

﴿وَيَكُفُّوا أَيْدِيهَم﴾[أي] عن الحرب .

﴿فَخُذُوهُم واقْتُلوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتموهُم وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لكمْ عليهمْ سُلطاناً مُبيناً﴾ .

أي حجة بَيِنَةً بأنهم غَدَرَةٌ[١]، لا يَفُونَ بما يفارقونكم عليه[٢] من الهدنة والصلح .

وقوله :﴿وَمَا كانَ لِمؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مؤْمناً إلا خَطَأً ﴾ .

المعنى ما كان لمؤمن البتّة . و«إلّا خطأً» استثناءُ ليس من الأول[٣] .

المعنى إلا أن يخطئَ المؤمن فكفَّارةُ خَطئِه ما ذكر بَعْدُ .

وقال بعض أهل العلم : ﴿ما كان لمُؤمنٍ أَن يَقْتُلَ مؤمناً إلَّا خَطَأً﴾ على معنى أن دم المسلم إنما يصفح عن أن يؤخذ به القَاتِلُ في الخطأ فقد عفى له عن قتل الخطأ، إلا أن اللّه جلّ ثناؤه فرض في كتابه على القاتل خطأً تحريرَ رقبة وديةً مسلمةً إلى أولياء المقتول، وبيَّن رسول اللّه ﷺ دية الخطأ على العاقِلة[٤]، وعلى القاتل أن يؤدّي في ذلك لقوله عزّ وجلّ : ﴿فَمَنْ لَم يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْن مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ﴾ .

ويحتمل أن يكون الصِّيَامُ بدَلاً مَن الرقَبةِ وبدلاً مما ينبغي أن يؤدّى في الدّيةِ . فَإنْ قتل المُؤمِنُ خَطَأً رَجُلاً مُؤمِناً من قَوْمٍ كفَرةً فعليه تحرير رقبة، ولا

---

(١) جمع غادر .

(٢) بما يفارقونكم وهم متفقون عليه .

(٣) استثناء منقطع .

(٤) عاقلة الرجل أقاربه الذين يشاركونه في دفع الدية وعقل الجناية .

مال للكفار الـذين هم حَربٌ، لأن الـدية في الخـطأ إنما جعلت ـ والله أعلم ـ لِيحَـذَرَ الناسُ حـذراً شديـداً من أن يخطئـوا خـطأ يُؤدّي إلى القَتْـل، لتَـذْهَبَ الضَّغَائنُ بينهُمْ . .

﴿وَإِنْ كَـانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَـاقٌ فَدِيَّـةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِه وَتَحْـرِيرُ رَقَبَةٍ مؤمِنَةٍ﴾.

وإن كان من قوم بينهم وبين المسلمين عَهْـدٌ فتحريـر رقبة وتسليم الـدَّيةِ إلى ذوي الميثاق لئلا تقع ضغينة بين أهل الميثاق والمؤْمنين.

ونَصْبُ ﴿تَوْبَةً مِنَ اللَّه﴾ على[1] جهةِ نصب «فعلْتُ ذلك حذار الشّر» المعنى فعليه صيامُ شهرين وعليه دية إذَا وَجَدَ توبةً من اللَّه[2]، أي فعل ذلك تـوبة من اللَّه.

فـأما قتـل النفس فجزاؤه كمـا قال اللَّه ـ عـزّ وجلّ ـ النَّفْس بـالنَّفْس في الدّنيا، وفي الآخرة جهنم:

قـال اللَّه جلّ وعـزّ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَـزاؤُهُ جَهنَّم خَالِـداً فيها وغَضِبَ اللَّه عليهْ وَلَعَنَهُ وَأَعدّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾.

وهذا وعيد شديد في القتل حظَرَ اللَّه عزّ وجلّ به الدّماءَ.

وقوله: ﴿يأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيل اللَّه فَتَبيَّنُوا﴾.

و﴿فتَثَبَّتُوا﴾ بالثاء والتاء.

ومعنى ضربتم سِرْتم فِي الأرض وغزوتُم.

وقوله: ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً﴾.

---

(١) في الأصل لا جهة نصب والآية هي: ﴿فمن لم يجد فصيام شهرين متتـابعين توبـة من اللَّه وكان اللَّه عليماً حكيماً﴾.

(٢) أي هي مفعول لأجله، وأولى أن تكون مفعولاً مطلقاً.

قرئت السلام بالألف، وقرئت السَّلَمَ. فأما السـلام فيجوز أن يكـون من التسليم، ويجوز أن يكون بمعنى السِّلْمْ، وهـو الاستسلام، والقـاءَ المقادة إلى إرادَةِ المسلمين.

ويـروى في التفسير أن سبب هـذا أن رجلاً انحـاز وأظهر الإسـلام فقتله رجـل من المسلمين وأخذ سَلبَـه[1]. فـأعلم اللَّه عـزّ وجـلّ أن حـقَّ من ألقى السَّلَمَ أن يُتَبين أمْرُه.

ومن قـرأ «فتثبتوا» فحقـه[2] أن يُتَثَبَّتَ في أمره، وأعلم اللَّه جـلّ وعـزّ أن كل من أسلم مِمَّن كان كافِراً فبمنزلة الذي تعوَّذ بالإسلام، فقال عزّ وجلّ:

﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَليكُمْ﴾.

أي مَنَّ عليكم بالإسلام، وبأن قبل ذلـك منكم على ما أظْهـرْتُمْ ثم كرر الأمر بالتبيين فقال عزّ وجلّ:

﴿فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّه كَانَ بِمَا تعمَلُونَ خبيراً﴾.

﴿لَا يَستَوي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ غَيرُ أُولِي الضَّـرَرِ، والمُجَاهـدُونَ في سَبِيلِ اللَّه بأَموَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾.

قرئت ﴿غيرُ أولي الضرر﴾ بالرفع وغيْرَ بالنصب، فـأما الـرّفع فمن جهتين، إحـداهما أن يكـون «غير» صفـةً للقاعـدين، وإن كان أصلهـا أن تكـون صِفـةً للنكرة. المعنى لا يستوي القاعدون الذين هم غير أولى الضرر، أي لا يستوي القاعدون الأصحـاءُ والمجاهـدون وإن كانـوا كلهم مؤْمنين، ويجوز أن يكـون «غير» رفعاً على جهة الاستثناء. المعنى لا يستوي القاعـدون والمجاهـدونَ إلَّا

---

(١) الذي انحاز وأسلم هـو مرداس بن نهيـك من أهل فـدك، ولم يكن أسلم من قومـه غيره، لهـذا هربوا وبقي وكبر وأعلن الشهادة، فلم يصدقه المسلمون، وقتله أسامة بن زيد.

(٢) فالتقدير فيه ذلك.

أولــو الضّرر، فـإنهم يساوونَ المجـاهـدين، لأن الـذي أقعـدهم عن الجهـاد الضرر، والضرر أن يكون ضريراً أو أعمى أو زَمِناً أو مريضاً.

ويـروى أن ابن أمّ مكتوم قـالِ للنبي ﷺ أَعَلَيَّ جهـادٌ، فقـال النبي ﷺ: ﴿انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً﴾[1]، فإما أن تكـون من الخِفَافِ أو من الثقـال فأنـزل اللَّه: ﴿لَيسَ عَلَى الأَعمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى المرِيضِ حرَجٌ﴾[2].

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فَضَّل اللَّهُ المُجَاهِدينَ بِأَمـوَالِهِم وَأَنفُسِهم عَلى القَاعِـدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الحُسنَى﴾.

أي وَعَدَ الجنّة.

﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ المُجَاهِدينَ عَلى القَاعِدين أَجراً عَظِيماً﴾.

ويجوز أن يكون ﴿غيرأولي الضرر﴾ نصباً على الاستثناء من ﴿القاعدين﴾، المعنى: لا يستوي القاعدون إلاَّ أولي الضرر على أصـل الاستثناء النَّصْبُ، ويجـوز أن يكـون «غَيْر» منصـوباً على الحـال، المعنى: لا يستـوي القـاعـدون في حـال صحتهم والمجاهدون، كما تقول: جـاءَني زيد غيـرَ مريض، أي جـاءَني زيد صحيحاً. ويجوز جَرُّ «غيرِ» على الصفـة للمؤمنين، أي لا يستوي القـاعدون من المؤْمنين الأصحـاءِ والمجاهـدونَ. أما الـرفعُ والنصبُ فـالقـراءَة بهمـا كثيـرة، والجرُّ وجهٌ جيّدٌ إلا أنّ أهل الأمصَار لَم يقرأوا بـه وإن كان وجهـاً، لأن القراءَة سنة متبعة.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿دَرَجَاتٍ منه وَمَغْفِرَةً وَرَحمَةً﴾.

«درجات» في موضع نصب بدلاً من قوله.. أَجْـراً عظيمـاً..، وهو مُفسِّـر للآخر، المعنى فَضَّل اللَّه المجاهدين درجاتٍ ومغفرةً ورحمةً. وجائز أن يكون

(١) من سورة التوبة آية ٤١.

(٢) سورة الفتح آية ١٧.

منصوباً على التوكيد لأجراً عظيماً، لأن الأجر العظيم هو رفع الدرجات من اللّه جلّ وعزّ والمغفرة والرحمة، كما تقول لك على ألف درهم، لأن قولك على ألف درهم هو اعتراف فكأنك قلت أعرفها عُرفاً، وكأنه قيل: غفر اللّه لهُمْ مغفرة، وأجَرهم أجراً عظيماً، لأن قوله أجراً عظيماً فيه معنى غَفَر ورَحِم وفَضَّل.

ويجوز الرفع في قوله ﴿درجاتٍ منه ومغفرةً ورحمةً﴾، ولو قيل «دَرَجَاتٌ منه ومغفرة ورحمة» كان جائز جائزاً على إضمار تلك درجات منه ومغفرة كما قال جلّ ثناؤه: ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِن نَهَارٍ بَلَاغٌ﴾[1] أي ذلك بلاغ.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾.

يُعنَى [به] المشركون الذين تخلفوا عن الهجرة إلى النبي ﷺ.

فـ﴿توفاهم﴾ إن شئت كان لفظه ماضياً على معنى إن الذين توفتهم الملائكة وذُكِّرَ الفعلُ لأنه فعل جميع[2]، ويجوز أن يكون على معنى الاستقبال على معنى أن الذين تتوفاهم الملائكة، وحذفت التاءُ الثانية لاجتماع تاءَيْن، وقد شرحنا ذلك فيما تقدم من هذا الكتاب.

وقوله: ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾: نصب على الحال، المعنى تتوفاهم في حال ظلمهم أَنْفُسَهُم، والأصل ظالمين أَنْفُسَهُم إلا أن النون حذفت استخفافاً، والمعنى معنى ثبوتها، كما قال جلّ وعزّ: ﴿هَدْياً بَالِغَ الكَعْبَةِ﴾[3]، والمعنى معنى ثبوت التنوين. معنى بَالِغاً الكعبةَ.

وقوله: [قَالُوا]﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾.

---

(١) سورة الأحقاف ٣٥.

(٢) الملائكة جمع يجوز تأنيث الفعل و. كيره معه.

(٣) سورة المائدة ـ ٩٥ ـ والأصل بالغاً [illegible]عبة.

هذه الواو للملائكة [أيْ] قال الملائكة للمشركين فيم كنتم أي أكنتم في المشركين أم في أصحاب محمد ﷺ. وهذا سؤال توبيخ قد مر نظراؤه مما قد استقصينا شرحه.

وقوله: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ﴾.

فأعلم اللَّه أنهم كانوا مستضعفين (عن)[1] الهجرة. فقالت لهم الملائكة:

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا، فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً. إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾.

﴿المستضعفين﴾ نصب على الاستثناءِ من قوله: ﴿مَأْوَاهُم جَهَنَّمُ... إلا المستضعفين﴾، أي إلا مَنْ صَدَق أنه مستضعَف غيرُ مستطيع حيلةً ولا مهتدٍ سَبيلاً، فأعلم اللَّه أن هؤلاءِ راجون العَفوَ، كما يرجو المؤْمِنُونَ فقال:

﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ﴾:

و«عسى» ترج، وما أمر اللَّه به أن يرجَّى مِن رحمته فبمنزلة الواقع كذلك الظن بأَرْحم الراحمين.

وقوله: ﴿وَكَانَ اللهُ عَفُوّاً غَفُوراً﴾.

تأْويل «كان» في هذا الموضع قد اختلف فيه الناس، فقال الحسن البصري: كان غفوراً لعباده، وعن عباده قبل أن يخلقهم، وقال النحويون البصريون: كأن القوم شاهدوا من اللَّه رحمة فأعلموا أن ذلك ليس بحادثٍ[2]، وأن اللَّه لم يزل كذلك، وقال قوم من النحويين: .. «كان»

---

(١) ليست في ط.

(٢) أي إن رحمته أسبق من ذلك، وعلى هذا «فكان» على معناها

و «فعَلَ» من اللّه بمنزلة ما في الحال، فالمعنى ـ واللّه أعلم ـ والله عُفوّ غفور.

والذي قاله الحسن وغيره أُدخل في اللغة، وأشبه بكلام العرب، وأما القول الثالث فمعناه يُؤول إلى ما قاله الحسن وسيبويه، إلا أن يكون الماضي بمعنى الحال يقِلُّ. وصاحب هذا القول له من الحجة قولنا «غفر اللّه لفُلاَنٍ» بمعنى ليغفر اللّه له فلما كان في الحال دليل على الاستقبال وقع الماضي مؤدياً عنها استخفافاً، لأن اختلاف ألفاظ الأفعال إنما وقع لاختلاف الأوقات، فإذا أُعْلِمت الأحوال والأوقات استُغني بلفظ بعض الأفعال عن لفظ بعض، الدليل على ذلك قوله جلّ وعزّ ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[1] وقوله: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَاباً﴾[2] معناه من يَتُبْ ومن يجئ بالحسنة يعط عشر أمثالها.

وقوله: ﴿وَمَنْ يهَاجِر فِي سَبيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كثيراً وَسَعةً﴾.

معنى مراغم معنى مُهاجَرُ، المعنى يجد في الأرض مُهاجراً، لأن المهاجر لقومه والمراغم بمنزلة واحدة، وأن اختلف اللفظان وقال الشاعر:[3]

إلى بلد غير داني المحل بعيد المُراغَمِ وَالمُضْطَرَب

وقيل المراغَم ههنا المضطرب، وليس المراغم ههنا إلا المضطرب في حال هجرة، وإن كان مشتقاً من الرغام، والرَّغام التُّراب وتأويل قولك رَاغَمْتُ

(١) الأنعام ـ ١٦٠.

(٢) الفرقان ـ ٧١.

(٣) المراغم والمضطرب اسما مكان، أي بلد ناء، وإقامة بعيدة والرحيل إليه طويل. انظر اللسان (رغم) وأنشد ابن الأعرابي للجعدي:

كطود يلاذ بأركانه بعيد المراغم والمهرب

والثاني من شواهد الكشاف. ولم أقف على قائل البيت الأول.

فُلاناً أَي هجرته وَعَاديته، ولم أُبالِ رَغْمَ أَنْفِهِ، أَي وإن لصق أَنفه بالتراب، والرَّغام والرُّغامُ ما يسيل من الأَنف، والأَنف يوصف بالرَّغم فيضرب مثلاً لكل ذليل فيقال على رَغْم أَنفه.

وقوله: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾.

هذه الهاءُ والميم يعودان على المؤْمنين. أَي وإذا كنت أَيها النبي في المؤْمنين في غزواتهم وخوفهم.

﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا﴾.

أَي فإذا سجدت الطائفة التي قامت معك.

﴿فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهم﴾.

جائز أَن يكون - واللَّه أَعلم - ولتأْخذ الجماعة حِذْرَهم وأَسْلحتهُم. ويجوز أَن يكون الذين هم وُجَاه[1] العَدُو يأْخذون أَسلحَتْهم، لأَن من في الصلاة غير مقاتل، وجائز أَن تكون الجماعة أُمرت بحمل السلاح وإن كان بعضُها لا يقاتل لأَنه أَرْهَب للعَدوِّ وأَحرى أَلَّا يقدم علَى الحذِرين المتيقظين المتأَهِبين للحربِ في كل حال.

وقد اختلف الناس في صلاة الخوف فزعم مالك بن أَنس أَن أَحب ما رُوي فيها إليه أَن النبي ﷺ قام يصلي وقامت خلفه طائفة من المؤْمنين وطائفة وُجَاهَ العَدوِّ، فصلى بالطائِفة التي خلفه ركعة وقام فأَتمت الطائفة بركعة أُخْرى وسلَّمت، وهو ﷺ واقف، ثم انصرفت وقامت وجاه العدو، والنبيُّ ﷺ واقف

---

(١) وجاه أي تجاه وهو الأصل في التعبير لأنه من وجه، وجعلت الواو تاء.

في الصلاة، وأتت الطائفة التي كانت وجاه العدو، فَصَلَّى بِهِمْ ركعة ثانية له، وهِي الأُولى لهذه الطائفة الأُخرى ـ وجلس النبي ﷺ وقاموا فصلوا ركعة ثانية وحدهم وهو ﷺ قاعد، وقعدوا في الثانية فسلم وسلمُوا بتسليمه، فصلت كل طائفة منهم ركعتين، وصَلَى النبي ﷺ ركعتين.

وقال مالك: هذا أَحب ما روي في صلاة الخوف إليَّ.

وأَما أَسلحة فجمع سلاح مثل حمار وأَحمرة. وسلاح اسم لجملة ما يدفع الناس به عن أَنفسهم في الحروب مما يقاتل به خاصَّة، لا يقال للدواب وما أَشبهها سلاح.

فأَما ولْيأْخذوا[1] فالقراءَة على سكون اللام ـ . وَلْيَأْخُذُوا» و «ولِيَـأْخُذُوا» هو الأَصل بالكسر[2] إلا أَن الكسر استثقل فيُحْذفُ استخفافاً.

وحكى الفراءُ أَن لام الأَمر قد فتحها بعض العرب في قولك ليجلِس، فقالوا لنجْلِسْ ففتحوا، وهذا خطأٌ. لا يجوز فتح لام الأَمر لئلا تشبه لام التوكيد.

وقد حكى بعض البصريين فتح لام الجر نحو قولك: المالُ لِزَيْدٍ، تقول: المال لَزَيدٍ وهذه الحكاية في الشذوذ كالأُولى، لأَن الإجماع والروايات الصحيحة كسر لام الجر ولام الأَمر، ولا يلتفت إلى الشذوذ، خاصة إذا لم يروه النحويُّون القُدَمَاءُ الذين هم أَصل الرواية، وجميع من ذكرنا من الذين روَوا هذا الشاذ عندنا صادقون في الرواية، إلا أَن الذي سمع منهم مخطئٌ.

وقوله: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾.

---

(١) في الأصول فليأخذوا؛ وآثرنا النص القرآني.

(٢) ب. على سكون اللام والأصل فليأخذوا بكسر اللام إلا أن الكسر ألخ.

الجناح الإثم، وتأويله من جنحت إذا عدَلْتُ عن المكان أي أخَذْتُ جانباً عن القَصْـد، فتأويـل لا جناح عليكم أي لا تَعـدلـون[1] عن الحق إن وضَعتم أسْلِحتكم ﴿إن كَانَ بِكُم أَذًى مِن مَطَرٍ﴾.

و«أذى» مقصورة، تقول أذى يأذى أذًى، مثل فزِعَ يفزعُ فزَعاً. وموضع ﴿أن تضعوا﴾ نصْبٌ. أي لا إثم عليكم في أن تضعوا، فلما سقطت «في» عمل ما قبل «أنْ» فيها، ويجوز أن يكون مَوْضعُها جرًّا بمعنى في.

وقوله: ﴿فإذَا قضيتم الصَّلاَةَ﴾.

يعني به[2] صلاة الخوف هذه.

﴿فَاذْكرُوا اللَّه قِيَاماً وَقُعُوداً﴾.

أي أذكروه بتوحيده وشكره وتسبيحه، وكل ما يمكن أن يتقرب به منه.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فَإذَا اطْمَأْنَنْتُمْ﴾.

أي إذا سكنت قلوبكم، ويقال اطمأن الشيء إذا سكن وطَامنْتُه وطَمـأْنته إذا سكنته، وقد روي «اطبأن» بالباء ولكن لا تقرأ بها لأن المصحف لا يخالف البتة.

وقوله: ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلاَة﴾.

أي فـأتمـوا، لأنهم جُعِـلَ لهم في الخـوف قصـرهـا، وأُمـروا في الأمن بإتمامها.

وقوله: ﴿إنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى المؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾.

أي مفروضاً مؤقتاً فرضه:

---

(١) في الأصل لا تعدلوا.والرفع على تقدير شأنكم أنكم لا تعدلون.

(٢) أي بهذا القول.

وقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابتغَاءِ القَوْمِ﴾.

هذا خطاب للمؤْمنين، والقوم ههنا الكفار الذين هم حربُ المؤْمنين.

وتأْويل: «لا تهِنُوا» في اللغة لا تضعفوا، يقال وَهَن الرجل يهِنُ إذَا ضعف فهو وهِنٌ. ومعنى ابتغاءِ القوم: طلب القوم بالحرب.

وقوله: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَألَمونَ فَإِنَّهُمْ﴾.

أي إن تكونوا توجَعُون فإنهم يجدون من الوجع بما يَنَالَهم من الجراح والتَعَبَ كما تجدون، وأنتم مع ذلك ﴿تُرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يرجُونَ﴾.

أي أنتم ترجون النصر الذي وعدكم اللَّه به، وإظهار دينكم على سائر أديانِ أهل الملل المخالفة لأهل الإسلام وترجُونَ مع ذلك الجنة، وهم - أعني المشركينَ - لا يرجون الجنة لأنهم كانوا غير مقرين بالبعث فأنتم ترجون من اللَّه ما لا يرجون.

قال بعض أهل التفسير: معنى «ترجون» ههنا تَخَافُون، وأجمَعَ أهل اللغة الموثوق بعلمهم: أن الرجاءَ ههنا على معنى الأمل لا على تصريح الخوف، وقال بعضهم: الرجاءُ لا يكون بمعنى الخوف إلا مع الجحدِ، قال الشاعر(١).

لا ترتجي حين تلاقي الذائدا　　أسبعةً لاقَتْ مَعاً أم وَاحِدا

معناه لا تخاف، وكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً﴾(٢) أي لا تخافون للَّه عظمة ولا عظَةً.

وإنما اشتمل الرجاءُ على معنى الخوف لأن الرجاءَ أَمَلٌ قد يخاف ألا يَتِمَّ.

---

(١) غير معروف، والبيت في معاني الفراء ١ ـ ٢٨٦.

(٢) سورة نوح آية: ١٣.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ﴾: أي بالحق الذي أَعْلَمَكَهُ اللّه عزّ وجلّ.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾: أي لا تكن مخاصماً ولا دَافِعاً عن خَائِنٍ.

ويروى أن رجلا من الأنصار كان يقال له أبو طُعْمة أو طِعْمة سرق درعاً وجعله في غِرارَةِ دقيق، وكان فيها خَرْقٌ، فانتثر الدقيق من مكان سرقته[1] إلى منزله فظُنَّ بِهِ أنه سارق الدرع وحيص[2] في أمره، فمضى بالدِّرع إلى رجل من اليهود فأودعها إياه ثم صار إلى قومه فأعلمه أنه لما إتهم بالدّرع اتبع أثرها فعلم أنها عند اليهودِيّ، وأن اليهودي سارقها، فجاءَ قومه أي طُعْمة أو طِعْمة إلى النبي ﷺ فسألوه أن يَعْذِرَهُ عند الناس، وأعلموه أن اليهودي صاحب الدرع، وكان بعضهم قد علم أنّ أَبَا طِعْمَةَ قد رمَى اليهوديَّ وهو بريءٌ من الدرع، فَهَمَّ النبي ﷺ أن يَعْذِرَهُ، فأوحى اللّه إليه وعرفه قصته أي طعمه وأعلمه أنّه خائن، ونهاه أن يحتج له، وأمره بالاستغفار مما هم به، وأن يحكم بما أنزل اللّه في كتابه، فقال:

﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾.

يعني أبا طعمة ومن عاونه من قومه، وهم يعلمون أنه سارق. ويروى أن أبا طعمة هذا هرب إلى مكة وارتد عن الإسلام، وأنه نقب حائطاً بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله.

وقوله: ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾.

كل ما فُكِّرَ فِيه أو خِيضَ[3] فيه بليل فقد بُيِّتَ.

---

(١) في الأصل من مكان سرقه، ويصح على الإضافة، وسرق مصدر.

(٢) حيص في أمره: اضطرب فيه، بعض برأه وبعض اتهمه.

(٣) من خاض في الأمر يخوض. والأمر مخوض فيه.

يعني به هذا السارق، والذي بُيِّتَ من القوم أن قال: أرمِي اليهودِي بأنه سارق الدرع، وأحلِفُ أني لم أسرقها، فتُقْبل يميني لأني على ديني، ولا تقبل يمين اليهودي. فهذا ما بيَّتَ من القول واللَّه أعلم.

وقوله: ﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الحيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

يعني به من احتج عن هذا السارق.

﴿فَمَنْ يُجادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَومَ القيامةِ﴾.

أي في اليوم الذي يؤخذ فيه بالحقائق، وأمر الدُّنيا يَقومُ بالشهادات في الحقوق.، وجائز أن تكون الشهادة غير حقيقة، فكأنه ـ واللَّه أعلم ـ قيل لهم إن يقم الجدال في الدنيا والتغييب عن أمر هذا السارق، فيوم القيامة لا ينفع فيه جدال ولا شهادة.

ومعنى قوله «هَا أَنْتُمْ» ها للتنبيه، وأُعيدت في أولاءِ. والمعنى ـ واللَّه أعلم ـ ها أنتم الذين جادلتم، لأن «هؤلاءِ» و «هذا» يكونان في الإشارة للمخاطبين بمنزلة الذين، نحو قول الشاعر:

وهذا تحملين طليق[1]

أي والذي تحملينه طليق.

وأصل المجادلة والجدال في اللغة شدة المخاصمة، والجدْلُ شدةُ القَتْل، ورَجُل مجدول، أي كأنه قد قُتِلَ، والأَجدَلُ الصقرُ، يقال له أَجدَلُ لأنه من أشد الطيور قوةً..

وأعلم الله ـ جلّ وعزّ ـ أن التوبة مبذولة في كل ذنب دُونَ الشرك فقال جلّ ثناؤه.

---

(١) تقدم هذا الشاهد ص ٢٨٨ ج ١.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَو يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ الله يجِدِ الله غَفُوراً رَحيماً﴾ .

أي يسأله المغفرة مع إقلاعٍ ، لأنه إذا كان مقيماً على الإصرار فليس بتائب .

وقوله :﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فإِنَّما يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِه﴾ .

ولا يُؤْخَذُ الإِثم بالإِثم .

وقوله :﴿وَمَنْ يَكْسِبِ خَطِيئَةً أَو إِثماً ثمَّ يَرمِ به بَرِيئاً﴾ .

قيل «إثماً» لأن اللَّه قد سَمَّى بعضَ المعاصي خطايا، وسمى بَعْضَهَا آثاماً، فأعلم اللَّه جلّ وعزّ أن من كسب خطيئة، ويقع عليها اسم الإثم أو اسم الخطيئة، ثم رَمَى به من لم يعلمه وهو منه بريءٌ . ﴿فقد احتَمَلَ بُهْتَاناً﴾ .

و«البهتان» الكذبُ الذي يُتحيَّرُ من عِظَمِه وبيانه، يقال قد بَهَتَ فلان فلاناً إذا كذب عليه، وقد بُهِت الرجل يُبْهَتُ إذَا تحيَّر قال اللَّه عزّوجلّ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَر﴾[(١)]، ويجوز أن يكون ـ والله أعلم ـ ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثْماً﴾ أي من يقع عليه خَطَأٌ نحو قَتْلِ الخطإِ الذي يقع فيه القوم وَلَا إثم فيه، فيكونُ [أَن] يرمي بذلك غيره فقد احتمل بهتاناً[(٢)] .

وقوله عزّ وجلّ : ﴿وَلَولاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيكَ وَرحْمتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُم أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ .

هذا خطابٌ للنبي ﷺ، والطائِفة هُمْ طُعمَةُ هذا السارق[(٣)]، لأن بعضهم

(١) راجع ص ٣٤١ ج ١ .

(٢) العبارة رديئة كما ترى، وهو يعتبر الخطيئة من الخطأ الذي لا إثم فيه، أي ان من ارتكب خطأ ثم رمى به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وكذلك من ارتكب إثماً، وإذن فجملة ثم يرمي به بريئاً عائد على مرتكب الخطأ فقط وهو رأي كما ترى بعيد عن النص .

(٣) أي ومعاونوه حتى يصح تسميهم بطائفة .

قد كان وقف على أنه سارق، وسأل النبي ﷺ أن يَعذِرَهُ.

فالتأويل ـ والله أعلم ـ لولا فضل الله عليك ورحمتُه بما أوحَى إليك، وأعلمك أمْرَ هذا السارق [لهمت طائفة أن يضلوك] والمعنى في همت طائفة منهم أنْ يُضِلُّوكَ. [أي] فَبِفَضْلِ اللَّه ورحمته صرفَ اللَّه عنك أن تعمل ما هَمَّتْ به الطائفة[١]

وقال بعضهم معنى «أنْ يُضِلُّوكَ» أن يُخَطِّئُوكَ في حُكْمِكَ[٢].

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ﴾.

أي لأنهم هم يعملون عمل الضالين، واللَّه يعصم نبيه ﷺ من متابعتهم، والإضلال راجع عليهم وواقع بهم.

وقوله: ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شيءٍ﴾.

أي مع عصمة اللَّه إياك، ونصره دينه دين الحق.

وقوله: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّه عَلَيكَ الكِتَابَ والحِكْمَةَ﴾.

أي بيَّنَ في كتابِه ما فيه الحكمة التي لا يقع لك مَعها ضَلاَلٌ.

وقوله: ﴿لَا خيرَ فِي كَثيرٍ مِنْ نَجوَاهُمْ﴾.

النجوي في الكلام ما تنفردُ به الجماعة أو الاثنان سِرًّا كان أو ظاهراً، ومعنى نَجوْتُ الشيءَ في اللغة خَلَّصتُه وألقيتُه، يقال نجوت الجِلْدَ إذا ألقيتُه عن البعير وغيره.

قال الشاعر: [٣]

---

(١) أي أن إرادتهم إضلالة لم تتم بفضل اللَّه تعالى.

(٢) إما بمعنى يصرفونك عن الحق إلى الخطأ فهذا واضح، وإما بمعنى ينسبونك إلى الخطأ فيما حكمت به فبعيد.

(٣) أي اكشفا غطاء الجلد عن سنامها وأكتافها فسيعجبكما ما تريان وهو يخاطب ضيفين طرقاه، واعتبر =

فقلت انجوا عنها نجا الجلد إنّه ... سيرضيكما منها سنام وغاربه

وقد نجوت فلاناً إذا استنكَهْتُه(١)، قال الشاعر:(٢)

نجوت مجالداً فوجدت منه ... كريح الكلب مَاتَ حديثَ عهد

ونجوت الوَبَرَ واستنجيته إذا خلَّصتَه، قال الشاعر:(٣)

فتَبَازت فتبازَخْتُ لَهَا ... جِلْسَةَ الأعسر يستنجي الوتر

وأصله كله من النجوة، وهُوَ(٤) ما ارتفع من الأرض قال الشاعر:(٥)

فمن بنجوته كمن بعقوته ... والمستكِنُّ كمن يمشي بقِرْواح

= الفراء إضافة نجا إلى الجلد من إضافة الشيء إلى نفسه، أي اكشفا عنها غطاءها الذي هو الجلد، (اللسان ـ نجو)، وانظر الخزانة ٤/ ٢٧٠، الشاهد ٣٠٩، والعيني ٣/ ٢٧٣ ونسبه الفرا لأبي الجراح، وقيل هو لأبي الغمر الكلابي.

(١) تشممت رائحته.

(٢) أي شممته فوجدته قذر الرائحة، كالكلب الميت الذي لم تمض عليه مدة يجف فيها جسمه وتذهب رائحته.

(٣) تبازت أبرزت عجيزتها وأخرجت صدرها هزؤاً وتدللاً، والبزخ مثله خروج الصدر ودخول الظهر ـ رجل أبزخ وامرأة بزخاء وتبازخ فعل ذلك أو تقاعس، ويروى. جلسة الجازر، ويروى الأعسر. يقال استنجى الجازر وتر المتن أي قطعه، وأصله الذي يتخذ أوتار القسي، لأنه يخرج ما في المصارين من النجو، والشعر لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت. اللسان (بزخ. نجا).

يصف حالة إيناس له مع زوجه، وقبله:

سائلاً فية هل نبهتها ... آخر الليل بعرد ذي عجر

والعرد الذكر المنتشر، وانظر الخصائص جـ ١/ ٨.

(٤) ذكر لمعنى الكلام. والأصل وهي.

(٥) لعبيد بن الابرص، ـ والقرواح والقرياح الفضاء من الأرض، لا نبات أو شجر بها ولا تمسك ماء، المستكن المستتر. والذي بالقرواح ظاهر لا يخفيه شيء. (انظر اللسان ـ نجا ـ) وينسب لأوس بن حجر يصف سحاباً وقبله:

دان سف فويق الأرض هيدبه ... يكاد يلمسه من قام بالراح

وانظر ذيل الأمالي ص ١٩.

ويقال: ما أنجى فلان شيئاً وما نجا شيئاً منذ أيام، أيْ لَم يَدْخُل الغائِط.

والمعنى والله أعلم: لا خير في كثير من نجواهم، أي مما يدبرونه بينهم من الكلام.

﴿إلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾.

فيجوز أن يكون موضع «مَنْ» خفضاً، المعنى إلاَّ في نجوى من صدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس، ويجوز أن يكون - والله أعلم - استثناءً ليس من الأول(١) ويكون موضعها نصباً، ويكون على معنى لكن من أمر بصدقة أو معروف ففي نجواه خير. وأعلم الله عزّ وجلّ أن ذلك إنما ينفع من ابتغى به ما عند الله فقال:

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتغاءَ مَرْضَاة اللَّه فَسَوْفَ نُؤتِيه أَجْراً عَظِيماً﴾.

ومعنى ﴿ابتغاءَ مرضاة اللَّه﴾ طلب مرضاة اللّه. ونصب ابتغاءً مرضاة اللَّه لأنه مفعُول له. المعنى ومن يَفْعَل ذلك لابتغاءِ مرضاة اللَّه، وهو راجع إلى تأويل المصدر، كأنه قال: ومن يبتغ ابتغاءَ مرضاة اللَّه، ثم عاد الأمر إلى ذكر طعمة هذا ومن أشبهه فقال:

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لهُ الهُدَى ويَتَّبِعْ غَيرَ سَبيل المُؤْمِنينَ نُوَلِّه مَا تَوَلَّى وَنُصلِهِ جَهَنَّم﴾.

لأن طعمة هذا كان قد تبين له ما أَوْحَى اللَّهُ إلى نبيّه في أمرِه، وأظهر مِنْ سَرِقَتِه في الآية ما فيه بَلاَغٌ، فعَادى النبيَّ ﷺ وصار إلى مكة، وأقام مع المشركين.

---

(١) استثناء منقطع.

ومعنى ﴿نولِّه مَا تولّى﴾، نَدَعهُ ومَا اختار لنفسه في الدُّنيـا لأَن اللّه جلّ وعـزّ وعد بالعـذاب في الآخرة، وأَعلم تعـالى أَنه لا يغفـر الشرك، وذكـر قبل هـذه الآيـة: ﴿وَمَنْ يَعمَـلْ سُـوءًا أَو يَـظْلِمْ نَفْسَــه ثُمَّ يستغْفِـرِ اللَّهَ يَجِـدِ اللَّهَ غَفُـوراً رَحِيماً﴾. وأَعلم بعدها أَن الشرك لا يجوز أَن يغفره ما أَقام المشرك عليه، فـإن قال قائل فإنما قال: ﴿إنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِـرُ أَنْ يُشْرَكَ به﴾ فإن سُمِّيَ رجـل كافـراً ولم يشـرك مع اللَّه غيـره فهـو خـارج عن قـولـه: ﴿إنْ اللَّه لا يغفـر أَن يُشـرك به﴾ فالجواب في هذا أَن كل كافر مشرك باللّه لأَن الكافر إذا كفر بنبِي فقد زعـم أَن الآيات التي أَتى بها ليست من عند اللّه، فيجعل مـا لا يكون إلا للّهِ لغيـر اللّهِ فيصير مشركاً. فكل كافِرٍ مشرك.

فالمعنى أَن اللَّه لا يغفر كُفْرَ من كفَر بِهِ وبنَبيّ من أَنبيائِـه لأَن كفره بنبيـه كفر به.

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ باللَّهِ فَقَد ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً﴾.

لأَن جعلَه مع اللَّه غيرَه(١) من أَبعد الضلال والعَمَى، وهذا أَكثرُ ما جَرَى ههنا من أَجل الذين عَبَدوا الأَصنَام، والدليـل على ذلك قـوله عـزّ وجلّ بعقب هذا:

﴿إن يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إلا إنَاثاً﴾.

فَأَمَّا ﴿نُولِّهِ ما تَوَلّى وَنُصلِهِ جَهَنَّم﴾.

ففيها أَوجه، يجوز فيها نولهي - بإِثبات الياء، ويجوز نُوَلِّهو بإِثبات الواو، ويجوز «نولهِ» بكسر الهاءِ، فأما «نولَهْ» - بإِسكان الهاءِ و «نَصْلِهِ جهنم»، فلا يجوز إسكـان الهاءِ لأَن الهـاءَ حقها أَن يكـون معها يـاءٌ، وأَما حـذف اليـاءِ فضعيف فيها، ولا يجوز حذف الياءِ ولا تُبَقّى الكسرة التي تدل عليها.

(١) اي جعله أحداً غير اللّه معه سبحانه.

وقوله: ﴿إن يدعُونَ مِنْ دُونِه إلاَّ إنَاثاً﴾.

إنْ يدعُونَ تقـرأ إلا أُنُثاً، وألا أُثُنَـا ـ بتقديم الثـاءِ، وتأْخيـرها. فمن قـال أنـاث فهو جمـع أُنثى وإناث، ومن قـال أُنُثُ فهو جمـع إنَاث، لأن إنـاثاً على وزن مِثـال، وإنَاثٌ وأُنُثٌ مِثْـل مِثَـال ومُثُـل. ومن قـال أُثُنـا فـإنـه جمـع وثَن، والأصل وُثُن، إلاَّ أنَّ الواو إذا انْضَمَّتَ يجوز إبدالهـا همزة، كقـوله [تعـالى]: ﴿وإذَا الـرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾[1]. الأصـل وُقِّتَتْ، ومثال وُثُن في الجمـع مثل سُقُف. وجائز أن يكون أُثْن مثل أَسد وأُسدٌ، وجائز أن يكـون أُثُن أَصلها أُثْن، فـاتبعت الضمَّةُ الضَّمةَ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إلاَّ شَيطاناً مريداً﴾.

يعني به إبليس لأنهم إذا أَطاعوه فيما سَوَّلَ لهم فقد عَبدُوه، وَيدعُونَ في معنى يعبدُونَ، لأنهم إذَا دَعوْا اللَّهَ مخلصين فقد عبدوه، وكذلك قوله: ﴿وقَالَ ربُّكُم ادعُـوني أَستَجِبْ لَكُم﴾[2] أي اعبـدُوني، والـدليـل عـلى ذلـك قـولـه عزّ وجلّ: ﴿ إنَّ الّذِينَ يستَكْبِرُونَ عنْ عِبادتِي﴾.

ومعنى «مَريد» أَي خارجٌ عن الطاعة مُتَمَلِصُ مِنْهَا، ويُقَال شجرةٌ مَرْدَاءُ، إذا تناثر ورقُها، ومن ذلك يسمى من لم تنبت له لحية أَمـردُ أي أملسُ موضـعِ اللحية، وقد مرَدَ الرجل يمرُدُ مُروداً إذا عتا وخرج عن الطاعة.

﴿وقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾.

قيل في مفروض إنّ معنـاه مؤقت، وجاءَ في بعض التفسيـر من كل أَلف واحدٌ للَّه وسائرهم لأبليس.

---

(١) سورة والمرسلات ١١

(٢) سورة غافر ـ ٦٠.

ومعنى مفروض ـ والله أعلم ـ أي أفترضه على نفسي وأصل الفرض في اللغة القطعُ، والفُرْضَة الثُّلْمةُ تكون في النهر، يقال سقاها بالفِرَاضِ وبالفُرَضِ، والفرْض الحزُّ الذي يكون في المسواك يشد فيه الخيط، والفَرْض في القَوسِ الحزُّ الذي يشدُّ فيه الوتر، والفَريضَةُ في سائر ما افْتُرِضَ ما أمر الله به العباد فجَعَلهُ أمراً حَتْماً عليهم قاطعاً، وكذلك قوله: ﴿وقَد فَرَضْتُم لَهُنَّ فَرِيضَةً فنِصفُ مَافرَضْتُم﴾(١) أي جعلتم لهُنَّ قطعة من المالِ وقد فرضتُ الرجُلَ جعلتُ له قطعة من مال الفيءِ، فأما قول الشاعر: (٢)

إذا أكلتُ سمكاً وفَرْضا ... ذهبت طولاً وذهبت عرضا

فالفَرضُ ههنا التمر، وإنما سُمّي التّمر فَرضاً لأنه يؤخذ في فِرَاضِ الصدقة.

وقوله: ﴿ولأُمَنِّيَنَّهُم﴾.

أي أجمع لهم مع الإضْلال أن أُوهِمهُم أنهم ينالون من الآخرة حظاً، كَمَا قال: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطَانُ أعمَالَهُمْ﴾.

﴿ولآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُن آذَانَ الأنْعَامِ﴾.

كأنه ـ والله أعلم ـ ولآمُرنَّهم بِتَبْتِيكِ آذان الأنعام فليبتكُنَّ(٣)، [أي] يشقِقْن، يقال بتكْتُ الشيءَ أبْتِكه بَتْكاً إذا قطعته، وبِتْكَةٌ وبِتَكٌ، مثل قطعة وقطعُ، وهذا في البَحِيرةِ، كانت الجاهلية إذا ولدت الناقة خمسة أبطن فكان الخامس ذكراً شقوا أُذن الناقة وامتنعوا من الانتفاع بها ولم تطرد عن ماءٍ ولا

---

(١) سورة البقرة ٢٣٧.

(٢) الشعر في اللسان (فرض). والفرض نوع من صغار التمر يعتبر من أجود أنواعه، ونوع منه يشتهر بعمان عندما يجف على نخله ينساقط التمر ويبقى النوى وحده في عراجينه. وذهبت طولاً وعرضاً، أي تباهيت وافتخرت.

(٣) تقدير لمفعول «آمرنَّهم» ـ ويجوز تقدير مفعول غير هذا أو سيأتي نظائر له.

مَرْعًى، وإذا لقيها المعْـي[1] لم يركبها. فهذا تأويل ﴿فليُبتكن آذان الأنعامِ﴾.

سَوَّلَ لهم إبليس أن في تركها لا ينتفع بها قربة إلى اللّٰه،

﴿ولآمُـرنَّـهـمْ فـليُـغَـيِّـرُنَّ خَـلْقَ الـلَّهِ﴾.

قيـل إن معناه أن اللّٰه خلق الأنعـام ليركبـوها ويـأكلوها فحـرمـوهـا على أنفسُهِم، وخلق الشمس والقمر والأرض والحجارة سخْـرة للناس ينْتَفعـون بها فعبدهَا المشرِكون، فغيـروا خلق اللّٰه، أي دِينَ اللّٰه، لأن اللّٰه فطر الخلق على الإسلام، خلقهم من بطن آدَمَ كـالذر، وأشهـدَهُمْ أنه ربهم فـآمنوا، فمن كفـر فقد غير فِطْرَة اللّٰه التي فَطَرَ الناسَ عليها.

فـأمَّا قـوله: ﴿لَا تَبْدِيـلَ لِخَلق اللَّه﴾[2]، فـإن معنـاهُ مـا خلقـه اللّٰه هـو الصحيح، لا يقْدِرُ أحـد أن يُبَدِّل معنى صحـة الدين، وقـال بعضهم: فَلْيُغيِّرُن خلق اللّٰه هو الخصاءُ لأن الذي يخصي الفحل قد غير خلق اللّٰه.

ومـعنـى ﴿إنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِه إلا إنَاثاً﴾.

أي ما يعبدون إلا ما قد سموه باسم الإناثِ، يعني به المشركون، سَمُّـوا الأصنام اللاَّت والعزى ومناةً، وما أشبهه، وقيل إن مَعْنى قوله: «ما يعبـدُون من دونه إلا إناثاً» أي مَوَاتا[3]، والموات كلهـا يخبر عنهـا كما يخبـر عن المؤنث، تقـول من ذلـك: هـذه الأحجـار تعجبني، ولا تقـول يعجبـونني[4]، وكـذلـك الدراهم تنفعني.

وقوله: ﴿ ولاَ يَجدُونَ عنهَا مَحِيصاً ﴾.

---

(١) المتعب المنهك.

(٢) آية ٣٠ من سورة الروم، ذكرت استطراداً.

(٣) جمادات.

(٤) في الأصل يعجبوني.

أي لا يجدون عنها مَعْدِلاً ولا مَلْجأً.

يقال حِصْتُ عَن الرجُل أَحِيصُ، ورووْا جِضْتُ عنه أجيضُ بالجيم والضاد المعجمة، بمعنى حِصْتُ، ولا يجوز ذلك في القرآن، وإن كان المعنى واحداً والخط غير مخالف، لأن القرآن سنة لا تخالف فيه الرواية عن النبي ﷺ وأصحابه والسلف وقرَّاءِ الأمصار بما يجوز في النحو واللُّغَة، وما فيه أَفْصَحُ ممَّا يَجُوزُ[١]. فالاتباع فيه أولى.

يقال حُصْتُ أُحُوصُ حوْصاً وحياصاً، إذا خِطْتُ، قال الأصمَعي: يقال حُصْ عين صَقْرك أي خِطْ عينه، والْحَوصُ في العَيْن ضيقُ مُؤَخَّرها[٢].

والخَوصُ [٣] بالخاءِ ـ مُعْجمة ـ غُؤورُهَا.

وقوله: ﴿لَيْسَ بأمانيِّكُمْ ولاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الكِتَابِ﴾.

اسم ليس مضمر، المعنى ليس ثواب اللَّه بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب، وقد جرى ما يدل على إضمار الثواب، وهو قوله: ﴿والذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ سنُدخِلُهُمْ جنَّاتٍ تَجري مِنْ تَحتِها الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أبداً وَعْدَ اللَّه حَقًّا﴾.

أي إنما يدخل الجنة من آمن وَعَمَل صَالحاً. ليس كما يتمنى أهل الكتاب، لأنهم كانوا يزعمون أنهم أبناءُ اللَّه وأحباؤه، وقالوا: ﴿لنْ تَمَسَّنَا النَّار إلاَّ أَيَّامَاً معْدُودَةً﴾[٤]، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن دخول الجنة وثواب اللَّه على الحسنات والسيئات ليس بالأماني ولكنه بالأعمال. ثم ذكر بعض ذلك فقال عزّ وجلّ:

---

(١) أي اللفظ الذي ذكر في القرآن أفصح وفي الأصل فأفصح.

(٢) في الأصل مؤخره.

(٣) خوص ـ كفرح ـ فهو أخوص.

(٤) سورة البقرة آية ٨٠.

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءً يُجْزَ بِهِ﴾.

أي لا ينفعه تمنيه.

﴿ولاَ يَجِد له مِن دون اللَّه وَليًّا ولاَ نَصيراً. وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحاتِ من ذَكَرٍ أو أُنْثَى وَهُوَ مُؤمنٌ فأُولَئِكَ يدخُلُونَ الجَنَّة﴾.

فأعلم اللَّه أن عامل السوءِ لا ينفعه تمنيه، ولا يتولاه مُتَوَلٍّ ولا ينصره نَاصِرٌ.

وقد احتج قومٌ من أصحاب الوعيد بقوله: ﴿وَلاَ يَجد لَهُ مِنْ دُون اللَّهِ وليًّا ولاَ نصِيراً﴾. فزعموا أن هذا يدل على أن من عَمِلَ السوءَ جُزِيَ به[1]. وقد أعلم اللَّه عزّ وجلّ أنه يَغْفِر ما دُونَ الشِّركِ لمن يشاءُ، فعامِلُ السوءِ - ما لم يكن كافِراً - مرجُوٌّ له العَفْوُ والرحمةُ، والنبي ﷺ شافِعٌ لأُمته يشفع فيهم.

ومعنى: ﴿وَلاَ يُظلَمُونَ نَقيراً﴾.

النقير النقطة في ظهر النواة، وهي مَنْبتِ النخلة، والمعنى «ولا يظلمون مقدار ذلك».

وقوله: ﴿ واتّخذَ اللَّه إبْراهِيمَ خَلِيلاً ﴾.

الخليل المحب الذي ليس في محبته خَلَلٌ فجائز أن يكون إبراهيم سمي خليلَ اللَّه بأنَّه الذِي أَحَبه اللَّه واصطفاه محبةً تامَّةً كامِلةً. وقيل أيضاً الخليل الفقير، فجائز أن يكون فقير اللَّه، أي الذي لم يَجْعَلْ فقره وفاقته إلا إلى اللَّه مخلِصاً في ذلك، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿ يَا أَيُّها الناس أَنْتُمْ الفُقَراءُ إلَى اللَّهِ﴾[2].

ومثل أن إبراهيم الخليل الفقير إلى اللَّه قول زهير يمدح هرم بن سنان.

---

(١) أي إن السيئات لا تُغفر، وجملة «وقد أعلم اللَّه - عز وجل»... لهذا الزعم.

(٢) سورة فاطر ١٥.

وإن أتــاه خليــل يــوم مسـغبــةٍ   يقـولُ لا غائب مـالي ولا حَرِمُ[1]

وجـاءَ في التفسير أن إبـراهيم كـان يضيفُ الضِّيفـان ويـطعِم المسـاكينَ الطعامَ، وأصاب الناسَ جَـدْبٌ فبعث إلى خليل لـه كان بمصـر يمْتارُ منـه[2]، فقال ذلك الخليل لنفسه: لو كان إبراهيم إنما يـريد المِيـرَةَ لنفسه لـوجهتُ إليه بها، ولكنه يريدها للناس فرجع غلمان إبراهيم بغير ميرة، فاجتازوا ببطحاءَ لَيِّنَةٍ فأخذوا من رَمْلٍ كان فيها وجعلوه في أوعِيتِهِمْ استحياءً من النـاس أن يرجِعـوا بغير شيءٍ، فلما رآهم عليه السلام، سألهم عن الخبر فـأعلموه، فحملتـه عينه فنام مهموماً، وانتبهت امرأته وقد بصرت بالأوعية مملوءَة، فأمـرت بأن يخـرج منها ويخبز فـأخرج منهـا طعام في غـاية الحسْن فـاختُبِزَ، وانتبـه إبراهيم وشمَّ رائحة الطعام، فقال: مِن أين هذا؟ فقالت امـرأته من عنـد خليلك المصري. فقال إبراهيم هذا من عند خليلي اللَّه عزّ وجلّ.

فهـذا مـا روي في التفسيـر وهـو من آيـات الأنبيـاءُ عليهم السـلام غيـر منكـر . والذي فسرنا من الاشتقاق لا يخالف هذا.

والخلة الصداقة، والخلة الحاجة.

فأما معنى الحاجةِ فإنه الاختلال الذي يلحق الإنسـان فيما يحتـاج إليه، وأما الخلة الصداقة فمعناهـا أنه يسُـد كل محب خَلَلَ صـاحبه في المـودة وفي الحـاجة إليـه، والخلل كل فـرجة تقـع في شيء، والخِلاَل الـذي يتخلل بـه، وإنما سمي خلالاً [لأنه] يتبع به الخلل بين الأَسْنانِ. ، وقوله الشاعر:[3]

---

(١) الخليل ذو الخلة المحتاج. وحـرم بوزن (كتف) بمعنى ممنـوع محرم ـ يـريد لامـالي غائب ولا ممنوع. انظر العيني ٤ ـ ٤٢٩ وابن يعيش ٨ ـ ١٥٧ وشرح شواهد المغني ٢٨٣.

(٢) يسأله الميرة، وهي جلب الطعام. مار عياله يمير وامتار وأمار.

(٣) هو ابن ميادة المري من عطفـان ـ يصف هؤلاء النسوة بـالصون وعـدم التبرج. فهن ينـظرن من فروج الستائر، ويروى: من خلل الخدور. جمع خـدر، وهو مـا تحتجب المرأة وراءه، ولهـذا=

ونظرن من خَلَلِ الستور بأعينٍ مرضَى مخالِطها السِّقام صحاح

فإن معناه نظرن من الفرجُ التي تقع في الستور.

وقوله القائل: «لك خلَّةٌ مِن خِلَالٍ» تأويله أني أُخلَى لك من رأيي أو مما عندي عن خلة من خِلَال. وتأويل أُخلِّي إنما هو أُخلل، وجائز أن يكون أُخلي من الخلوْةِ، والخلوةُ والخلل يرجعان إلى معنى، والخِلُّ الطريق في الرملِ معناه أنه انفرجتْ فيه فرجة فصارت طريقاً. والخَلُّ الذي يؤكل إنما سمي خلاًّ لأنه اختلَّ منه طعم الحلاوةِ.

وقوله: ﴿ ولِلَّهِ ما فِي السَّمَواتِ ومَا فِي الأَرضِ ﴾.

أي إن إبراهيم الذي اتخذه اللَّه خليلاً هو عبد اللَّه، وهو له وكلُّ ما في السموات والأرض[1].

وقوله: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قلِ اللَّهُ يُفتِيكم فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيكُمْ ﴾:

موضع «ما» رفع. المعنى اللَّه يفتيكم فيهن، وما يتلى عليكم في الكتاب، أيضاً يفتيكم فِيهِن. ويجوز أن يكون «ما» في موضع جر، وهو بعيد جداً، لأن الظاهر لا يعطف على المضمر[2]، فلذلك اختير الرفع، ولأن معنى الرفع أيضاً أبيَنُ، لأن ما يتلى فِي الكتاب هو الذي بين ما سألوا. فالمعنى: ﴿قل اللَّه يفتيكم فيهن﴾، وكتابه يفتيكم فيهن.

وقوله: ﴿وتَرْغَبُونَ أَنْ تنكِحُوهُنَّ﴾.

= تسمى مخدرة. وقد وصف عيونهن بالفتور والانكسار لغير مرض، وفتور الطرف كناية عن الحياء وعدم التبجح، وتوصف المرأة عادة بأنها ناعسة الطرف أو سقيمته، وكلمة «صحاح» احتراس. أي ليس هذا السقام لمرض. بل للحياء وحسن الأدب.

انظر اللسان (ريش)، والشنشمري ١/٢٢٧، وكتاب سيبويه حـ ٢/٢٠.

(١) أي وكل ما في السموات والأرض له.

(٢) يعطف بإعادة حرف الجر، وجاء بدونه ومنه قراءة ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾ بجر الأرحام.

المعنى وترغبون عن أن تنكحوهنَّ .

وقوله : ﴿ والمسْتضْعَفِينَ مِنَ الولْدَانِ﴾ .

يعني اليتامى ، وموضع «المستضعفين» جر، عطف على قوله : ﴿وما يُتلى عليكم فِي الكِتاب فِي يَتامَى النِّساءِ﴾ المعنى وفي [المستضعفين من] الولد والذي يفتِيهم من القرآن قوله عزّ وجلّ : ﴿وآتوا اليَتامَى أَمْوالَهُم ولاَ تَتَبَدلوا الخَبِيثَ بالطَّيِّبِ وَلاَ تأْكلوا أمْوالَهمْ إلَى أموالِكُمْ﴾والذي تُلِيَ عليهم في التزويج [هو] قوله :﴿فانْكِحوا مَا طَابَ لَكُمْ مِن النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَث ورُبَاعَ ﴾[1] .

فالمعنى قل اللّه يفتيكم فيهنَّ، وهذه الأَشْياءُ التي في الكتاب يُفْتيكم فيهن[2] .

وقوله :﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بالْقِسْطِ ﴾.

«أَن»في موضع جر :المعنى وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء وفي أن تقوموا لليتامى بالقسط .

وقوله :﴿وإن إمرأَةٌ خَافَتْ مِن بعلِهَا نشُوزاً أَو إعْراضاً فلاَ جُنَاح عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحا بينهمَا صلحاً﴾ .

النشوز من بعْلِ المرأة أن يسيء عشرتها وأن يمنعها نفسه ونَفَقَتَه واللّه عزّ وجلّ قال في النساءِ :﴿وعاشِروهن بالْمعْروفِ﴾ ،وقال : ﴿فإِمسَاك بِمَعْروفٍ أَو تَسريحٌ بإِحْسَان﴾[3]، وقال : ﴿وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لتَعْتَدُوا﴾[4]. فَشدد

(١) تقدمت الآيتان أول هذه السورة ٢ ، ٣ .

(٢) أي قل اللّه يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب يفتيكم فيهن ويفتيكم في الولدان وفي المستضعفين الخ .

(٣) آية : ٢٢٩ سورة البقرة .

(٤) البقرة ٢٣١ .

اللّه في العدل في أمر النِّساءِ، فَلَوْ لَمْ يعْلَم عزّ وجلّ أن رضَا المـرأةِ مِنْ زوجِهَا بالإقامة على منعها ـ في كثير من الأوقاتِ ـ نَفَسَـه ومَنَعِها بعض مـا يَحْتَاج إليـه لما جاز الإمساك إلا على غايـة العدل والمعروف، فجعل اللَّه عـزّ وجلّ الصُّلحَ جـائزاً بين الـرجلِ وامـرأتِهِ إذا رضِيت منـه بإيثـار غيرها عليه. فقال: « لا إثم عليهما في أن يتصالحا بينهما صلحاً، والصُّلح خير من الفرقة ».

وقوله: ﴿ وأُحْضِرتِ الأنفُسُ الشُّحَّ ﴾.

وهو أن المرأة تشح على مكانها من زوجها، والرجل يشح[1] على المرة بنفسه إن[2] كان غيرها أحب إليه منها.

وقوله: ﴿وإن تحسِنُوا وَتَتَّقُوا﴾.

أي أن تحسنوا إليهنَّ، وتحملوا عشرتهن.

﴿فإنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبيراً ﴾.

أي يخْبُـرُ ذلك فيجـازيكم عليه، فـإن قال قـائل إنما قِيلَ: ﴿ وإن امـرأة خافت﴾، ولم يُقَلْ وإنْ نَشَـزَ رجُلٌ على المـرأة لأن الخائف للشيء ليس بمتيقِّنٍ له، فالجواب في هذا إنْ خَافَتْ الإقامةَ منهُ على النُّشُوزِ والإعراضِ، وليس أن تخـاف الإقامـة إلا وقد بـدا منه شيء، فـأمـا التفـرقة بين «إنَّ» الجـزاءِ والفعـل الماضي فجيّدٌ[3]. ولكن «إن» وقعت التفرقة بين «إنْ» والفعلِ المستقبلِ فـذلك قبيح. إن قلتَ: إن امرأة تخاف ـ فهو قبيح، لأنّ «إنْ» لا يفصل بينهـا وبين ما يُجْزَمُ، وذلك في الشعر جائز في «إنْ» وغيرها. قال عدي بن زيد[4].

---

(١) الشح مثلثة البخل. شح به وعليه حـرص. شحح يشـح وشحح بفتـح عينه يشـح ويشح. وهـو شحاح وشحيح وشحشاح.

(٢) ك: إذ.

(٣) وضع كلمة امرأة بين «إن» والفعل «خافت» ويقدر فعل بعد إن.

(٤) من قصيدة له يستعطف بها النعمان بن المنذر وهو في سجنه، وأول القصيدة:

فمتى واغِـلٌ يَنُبْهُـم يُحيُّـوهُ وَتُعـطَفْ عليـه كـأسُ السَّـاقي

فـأما المـاضي فـ «إنْ» غير عَـامِلةٍ في لفظه، و «إنْ» أُمُّ حُرُوفِ الجَـزْم، فجاز أن تفرق بينها وبينَ الفِعْل، وامرأةٌ ارتفعت بفعل مضمرٍ يدل عليه ما بعـد الاسم، المعنى إنْ خافت امْرأةٌ خَـافَتْ فأمـا غير «إن» فـالفصل يقبـح فيه مـع الماضي والمستقبل جميعاً، لو قلت: «متى زيـد جاءَني أكـرمته»، كـان قبيحاً، ولو قلت أن اللّهُ أمكنني فعلتُ كان حسناً جميلاً.

وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوابُ الدُّنْيَا والآخِرَةِ﴾.

كان مشركو العرب لا يؤمنون بالبعث، وكـانوا مُقِـرِّين بأن اللَّهَ خـالقُهم، فكان تقرُّبُهم إلى اللَّه عزّ وجلّ إنما هو ليُعْطِيهُمْ من خير الدنيا، ويَصرِفَ عنهم شَرَّها، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن خير الدنيا والآخرة عنده.

وقوله: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنوا كُونُوا قَوَّامِينَ بالقِسْطِ﴾.

القسط والإقساطُ العدلُ، يقال أقسط الرجل يُقسِط إقْساطاً إذا عدل وأتى بالقسطِ، ويقال قسط الرجل قُسُوطاً إذا جَارَ، قال اللَّه جلّ وعزّ: ﴿وَأَقْسِطُوا إنَّ اللَّه يُحِبُّ المقْسِطِينَ﴾(١).

أي أعدلوا إنّ اللَّه يُحب العَادِلينَ، وقال جلّ وعزّ: ﴿وأَما القَاسِطُونَ فكَانُوا لِجَهَنم حَطَبًا﴾، أي الجـائرون، يقـال قسط البعيرُ قَسْـطاً إذَا يَبِسَتْ يـدُه، ويـدٌ قَسْطاءُ أي يابسـة، فكأن أقسط أقـام الشيءَ على حقيقةِ التعـديل، وكـأنَّ قَسَطَ [بمعنى] جارَ معناه يَبَّسَ الشّيءَ، وأفْسَدَ جِهتَهُ المستقيمةَ.

وقوله: ﴿ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الوَالِدَينِ والأَقرَبِينَ﴾:

= ليس شيء على المنون بباق ـ وهي جيدة، والواغل من يدس نفسه على الشاربين أما الفضولي على الطعام فهو وارش، انظر الخزانة ٣ ـ ٤٠.

(١) سورة الحجرات آية ٩.

المعنى قوموا بالعدل وأشهدوا للّه بالحقِّ، وإن كان الحق على نفس الشاهد أو على والديه وأقْربيه.

﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾.

أي إن يكن المشهود له فقيراً فاللّه أولى به، وكذلك إن يكن المشهود عليه غنياً فاللّه أولى به، فالتأويل أقيموا الشهادةَ لِلَّهِ على أَنْفُسِكُمْ وأقاربكم، ولا تميلوا في الشهادة رحمةً للفقير، ولا تَحِيفُوا لاحتَفَالِ غِنَى غَنِيٍّ عِندَكم.

وقوله: ﴿ فَلاَ تَتَّبِعُوا الهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا ﴾.

أي لا تتبعوا الهوى فتعدلوا.

﴿ وَإِنْ تَلْوُوا أو تُعْرِضُوا ﴾.

قرأ عاصِمٌ وأبو عمرو بن العلاءَ وأَهلُ المدينَة «تَلْوُوا» بواوين، وقرأ يَحيى ابنُ وثاب والأَعمشُ وحمزةُ بواو واحدة «تَلُوا»[1]، والأشبه على ما جاءَ في التفسير ومَذْهَبِ أهل المدينة وأبي عمروٍ، لأنه جاءَ في التفسير أَنَّ «لَوَى الحاكِمُ في قضيتِه» أعرَضَ.

﴿فإنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعمَلُونَ خَبِيراً﴾.

يقال لويت فلاناً حقه إذا دَفَعتُه به ومطَلْته، ويجوز أن يكون «وأن تَلُو» أصله تَلْوُوا فأبدلوا من الواو المضمومة ـ همزة فصارت تلؤوا ـ بإسكان اللام ـ ثم طُرِحَت الهمزَةُ وطُرِحَتْ حَركتها على اللام فصار تلُوا كما قيل في أدْؤرٍ أُدُورٍ ثم طرحت الهمزة فصَارَتْ آدُر.

ويجوز أن يكونَ وإنْ تَلُوا من الولاية، وتُعْرِضُوا أي إن قمتم بالأمر أو أعرضتم عنه، فإنَّ اللَّهَ كان بمَا تَعملون خَبيراً.

---

(١) وتوجيه هذه القراءة سيذكره قريباً.

وقوله : ﴿فَتَذَرُوهَا كَالمعَلَّقَةِ﴾ .

قيل كالمحبوسة لا أَيِّماً ولا ذات بَعلٍ .

وقوله: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا باللَّه وَرَسُوله والكِتَابِ الَّذِي نَـزَّلَ عَلَى رَسُولِه﴾.

قيل فيه قولان: يا أيها الذين آمنوا أقيموا على الايمان باللَّه كما قال عزّ وجلّ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[1]، أي وَعَدَ مَنْ أَقام على الإيمان من أصحاب النبي ﷺ الذين ذكروا في هذه القصة مغفرة وأجراً عظيماً.

وقيل يُعْنَى بهذا المنافقون الذين أَظهروا التصديق وأسرّوا التكذيب، فقيل :يا أَيُّها الذين أَظْهَرُوا الإيمان آمِنُوا باللَّه ورسوله أي أَبطنوا مثل ما أَظهرتم .

والتأْويل الأَول أَشبه واللَّه أَعلم .

وقوله : ﴿إِنَّ الّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا، ثُم ازدَادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾.

قيل فيه غير قول: قال بعضهم يُعْنَى به اليهودُ لأَنَّهم آمنوا بموسى ثم كفروا بعزير ثم آمنوا بعزيرٍ ثم كفروا بعِيسَى، ثم ازدَادُوا كفْراً بكفرهم بمحمد ﷺ.

وقيل جائز أَنْ يكون محاربٌ آمن ثم كَفَر ثم آمَن ثم كَفَر.

وقيل جائز أَن يكون منافِقٌ أَظْهَرَ الإيمان وأَبطن الكفرَ ثم آمن بعد ثم كفر وازداد كفراً بإقامته على الكفر.

---

[1]) سورة الفتح آية «٢٩». ومحل الاستشهاد أن الآية في وصف المؤمنين وذكر مثلهم في التوراة وفي الإنجيل، ثم ختمت بهذه الجملة ـ فلا معنى للذين آمنوا من المؤمنين إلا الذين ثبتوا على الإيمان وداوموا عليه.

فإن قال قائل: اللَّه جلّ وعزّ لا يغفر كُفْر مرةٍ واحدةٍ فلم قيل ههنا فيمن آمن ثم كفرتم آمن ثم كفر: لم يكن اللَّه ليغفر لهم وما الفائدة في هذا؟ فالجواب في هذا ـ واللَّه أعلم ـ أن اللَّه عزّ وجلّ يغفر للكافر إذا آمن بعد كفره، فإن كفر بعد إيمانه لم يغفر اللَّه له الكفر الأول، لأن اللَّه جلّ وعزّ يقبل التوبة، فإذا كفر بعد إيمان قبله كفْر فهو مطالب بجميع كفره. ولا يجوز أن يكون إذا آمن بعد ذلك لا يغفر له، لأن اللَّه جلّ ثناؤه يغفر لكل مؤْمن بعد كفره، والدليل على ذلك قوله جلّ وعزّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَعفو عَنِ السَّيِّئآتِ﴾[1]. وهذا في القرآن كثير، وهو شبيه بالإجماع أيضاً.

ومعنى ﴿ولا لِيَهْدِيهم سَبِيلاً﴾:

أي لا يجعلهم بكفرهم مهتدين بل يضلهم، لأنه جلّ وعزّ يضل الفاسقين.

وقوله ـ جلّ وعزّ: ﴿بَشِّرِ المُنافِقِينَ بأَنَّ لَهُم عَذَاباً أَلِيماً﴾.

معنى أَليم موجع، قال «بشر» أي اجعل في مكان بشارتهم «لَهُمْ العَذَابُ». العرب تقول تَحيَّتكَ الضرْبُ، وعتابك السيف أي لك ـ بدلاً من التحية . . . هذا. قال الشاعر:[2]

وخيل قد دَلَفْتُ لها بِخيل   تحية بينِهم ضرب وجيع

وقوله جلّ وعزّ ﴿أَيَبْتَغُون عندهُمُ العزَّة﴾ أي أَيَبْتَغِي المنافقون عند الكافرين العزة، والعزة المَنْعَة وشدة الغَلَبَة وهو مأخوذ من قولهم أَرْضٌ عَزاز[3]. قال

---

(١) سورة الشورى الآية ٢٥.

(٢) هو عمرو بن معديكرب الزبيدي. والخيل هي خيل الأعداء تقدم لها بخيل من رجاله، وبدلاً من التحية تضاربوا بالسيوف. أنظر الخزانة ٤/٥٣، الخصائص ٤/٣٥ وابن يعيش ٢/٨٠ وكتاب سيبويه ٢/٣٢٣.

(٣) العزاز الأرض الصلبة، وأعز الرجل وقع في هذه الأرض.

الأَصْمَعيُّ: العَـزَاز: النَّفَلُ مِنَ الأَرضِ والصُّلْبُ الحجـارة، الذي يسـرع منـه جريُ الماءِ والسيل هذا لفظ الأَصْمعي.

فتأْويل العزة الغَلَبَةُ والشِّدَّةُ التي لا يتعلق بها إذلال، قالت الخنساءَ:(١)

كـأَن لـم يكـونـوا حـمىً يُتَّـقَـى   إذ الـنـاسُ إذ ذاك مـن عـزّ بـزّا

أي من قوى وغلب سلب.

ويقال: قد استُعِز على المريض إذا اشتد وجَعَه، وكـذلك قـول الناس: يَعِزُّ عليَّ أَن تَفْعل، أي يشتد، فأَما قولهم قد عَزَّ الشيءُ إذا لَم يوجد فتأْويله قد اشتد وجُودُه أي صعب أن يُوجَدَ، والمآب، واحدٌ.

وقوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾.

أَعلَمَ اللَّه عزّ وجلّ المؤْمنين أَنَّ المنافقين يَهْزأُونَ بكتاب اللَّه، فأُمروا أَلا يقعدوا مَعَهُمْ حَتَّى يخوضوا في حديث غيره أي في حديث غير القرآن.

وقوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُم﴾.

أي إنكم إذا جـالستمـوهم على الخـوض في كتـاب اللَّه بـالهـزؤ فـأَنتم مِثْلُهُمْ.

---

(١) الديوان ص ٤٨ من أبيات أولها.

تـعـرقنـي الـدهـر نهـسـاً وحـزا   وأوجعني الـدهـر قـرعـاً وغمـزا

من تعرقت العظم أخذت ما عليه من اللحم والنهس القبض بالأسنان، والقرع الضـرب والغمز ضغط الشيء اللين باليد ـ تريد أن الدهر أنهكها وقسا عليها بكبار نـوائبه ثم بكت قـومها الـذين ذهبوا ـ وعز بمعنى غلب، وبز: سلب، أي حين كان الناس من قدر على شيء نهبـه كانـوا هم يحمون الناس بقوتهم وينصفون الضعيف.

وانظر شواهد المغني ٨٨ والكامل ٢/٥٨، ٢٨٧ (تجارية).

وقوله : ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

هـذا يقولـه المنافقـون إذا كـان للكـافـرين نصيبٌ قـالـوا : أَلم نستحـوِذ عليكم، أي أَلم نغلب عليكم بـالمُوالاة لكم، ونمنعكُم من المؤْمنين بمـا كنـا نُعلمكم مِن أَخْبَارِهم .

ونَسْتَحوِذ في اللغة : نستولي على الشيءِ، يقال حـاذ الحمار آتُنَـه[1] إذا استولى عليها وجَمعَها، وكذلك حازها، قال الشَّاعر.

يـحُوذهُـــنَّ ولـــه حُـــوذِيٌّ[2]

ورَوُوه أيضاً :

يـحـــوزُهـــن ولـــه حـــوزيُّ

قـال النحويـون : اسْتَحْوَذَ خـرج على أَصْله، فمن قال حَـاذَ يحـوذُ لم يقـل إلا استحاذ يستحيذ، ومن قال أَحوَذَ [فهو] كما قال بعضهم أَجْودتَ وأَطيَبْتَ بمعنى أَجدْتَ وأَطبْتَ، فأَخرجه على الأَصْل قال : اسْتَحْوَذَ[3] .

وقوله : ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ للكَافرينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ .

أي إن اللَّه ناصِرُ المؤمنين بـالحجة والغلبـة، فلن يجعل للكـافرين أَبـداً على المؤْمنين سَبِيلاً .

وقوله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يخَادعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ .

أَي يخادعون النبي ﷺ بـإظهارهم لـه الإيمان وإِبـطانِهم الكُفْرِ، فجعـل

(١) جمع أتان ـ والأتانة قليلة. والأتان الحمارة يجمع أثن وأتن أيضاً.

(٢) للعجاج يصف ثوراً تـطارده الكلاب فيتغلب عليهـا. الديـوان ٧١، واللسان (حـوز) ومجاز أبي عبيـدة ١ ـ ١٤١، والخصائص ١/١١٩ ـ وعجـزه ـ كمـا يجـوز الفئـة الكمي ـ وجمـل حـوزي منقطع النظير.

(٣) وهو تصريف شاذ لا يقاس عليه.

اللَّه عزّ وجلّ مخادعة النبي ﷺ مخادعة له، كما قال عزّ وجلّ: ﴿إنَّ الَّذِينَ يُبَايِعونَكَ إنَّما يُبَايعونَ اللَّهَ﴾[1].

ومعنى قوله: ﴿وهو خَادِعُهُمْ﴾.

فيه غير قول: قال بَعْضُهُمْ: مُخادعةُ اللَّه إياهم جزاؤهم على المخادعة بالعذاب، وكذلك قوله: ﴿ ويمكُرونَ ويمْكُر اللَّهُ ﴾[2]. وقيل وهو خادِعُهُم بأمره عزّ وجلّ بالقبول منهم ما أظهروا، فاللَّه خادعهُمْ بذلك.

وقوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخذُوا الكَافِرِينَ أَوْلياءَ من دُون المُؤْمِنِينَ.

أي لا تجعلوهم بِطَانَتَكُمْ وخَاصَّتَكُمْ.

﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجعلُوا لِلَّهِ عَليكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً ﴾.

أي حجة ظاهرة، والسُّلطان في اللغة الحجَّةُ، وإنما قيل للخليفة والأمير سلطان لأنَّ معناه أنه ذو الحجة. والعربُ تُؤَنِّث السلطان وتذكره، فتقول: قَضَتْ عليك بهذا السُّلْطَانُ، وأَمَرَتْكَ به السلطانُ. وزعم قوم من الرواة أن التأنيث فيه أكثر، ولم يُخْتَلَفْ في التذكير. وأحسب الذين (رَووْا)[3] لم يَضْبطُوا مَعْنَى الكثرة من القلة.

والتذكير (فيه)[4] أكثر، فأما القرآن فلم يأت فيه ذكر السلطان إلا مذكراً، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿لَوْلَا يأتون عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّن﴾[5] وقال: ﴿هَلَكَ

---

(١) سورة الفتح آية «١٠».

(٢) سورة الأنفال آية ٣٠.

(٣) ساقطة من ط ويظهر أن ذلك من سهو الناسخ ـ والمعنى الذين رووا هذه المسألة.

(٤) ليست في ك.

(٥) سورة الكهف آية ١٥.

عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾[1]، وقال: ﴿سُلْطَاناً مُبِيناً﴾[2]. فجميع ما في القرآن من ذكر السلطان مذكر، ولو كان التأنيث أكثر لكان في كتاب اللّه جلّ وعزّ.

فإن قال قائل إنما رَووْا أن السلطان بين الناس هو المؤنث قيل إنما السلطان معناه ذو السلطان. والسلطان الحجة. والاحتجاج والحجة معناهما واحد. فأما التأنيث فصحيح، إلا أنه أقل من التذكير، فمن قال: قضت به عليك السلطان أراد قضت عليكَ به الحجة، وقضت عليك حجة الوالي، ومن قال قضى به عليك السلطانُ ذهب إلى معنى صاحبُ السلطانِ. وجائز أن يكون ذهب به إلى البرهَانِ والاحتجاجِ، أي قضى به عليك البرهان.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ إن المُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾.
قال أبو عبيدة معمر بن المثَنَى: جهنم أَدْرَاك، أي مَنازِل، فكل منزلة منها دَرَك.

والقراءَة: الدَّرَك بفتح الراءَ. والدَّرْكُ بتسكين الراءَ، فأما أهل المدينة وأهل البصرة فيقرأونها. «الدَّرَك». بفتح الراءَ وأما أهل الكوفة والأعمش وحمزة ويحيى بن وثاب، فيقرأون «الدَّرْك». وقد اختلف فيها عن عاصم، فرواها بعضهم عنه الدَّرَك ورواها بعضهم الدَّرْك - بالحركة والسكون جميعاً - واللغتان حكاهما جميعاً أهل اللغة، إلا أن الاختيار فتح الراءَ، لإجماع المَدَنيين والبصريين عليها وأن أحداً من المحدِّثين ما رواها إلا الدَّرَك بفتح الراءَ، فلذلك اخترنا الدَّرَك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾.
أي لا يمنعهم مانع من عذاب اللّه عزّ وجلّ ولا يشْفَعُ لهم شافعٌ.

---

(١) سورة الحاقة - ٢٩.
(٢) في هذه الآية.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَسوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ المُؤْمِنينَ أَجْراً عَظِيماً﴾.

الخط حذفت منه الياءُ في هذا الموضع، وزعم النحويون أن الياءَ حذفت من الخط كما حذفت في اللفظ، لأن الياءَ سقطت من اللفظ لسكونها وسكون اللام في «اللّه» وكذلك قوله: ﴿يَومَ يُنَادِ المُنَادِ﴾[1] الياءَ من يناد حذفت في الخط لهذه العلة، وكذلك ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾[2] و ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾[3] فالواوات حذفت ههنا لالتقاءِ الساكنين، فأما قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿ذلك مَا كُنَّا نَبغِ﴾[4]، فهو كقوله ﴿يُنادِ المُنَادِ﴾، و ﴿يدع الداع﴾، فهذه الياءَاتُ من نحو ﴿نَبْغِ﴾ حذفت لأن الكسرة دلت على الياءَ فحذفت الياءَ لثقلها، وليس الوجه عند النحويين حَذْفها. فأما المنادي والداعي فحذفت الياءَ منها كما حذفت قبل دُخُول الألف واللام، لأنك تقول: هذا داعٍ وهذا منادٍ. فأما ﴿وَاللَّيل إِذَا يسرِ﴾[5]. فحذفت الياءَ لأنها رَأْسُ آيةٍ، ورُؤُوس الآي الحذف جائز فيها كما يجوز في آخر الأبيات.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الجَهْرَ بالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾. وإلَّا مَنْ ظَلَم، يقرأُ بهما جميعاً.

فالمعنى أن المظلوم جائز أن يظهر بظُلَامَته تَشكياً، والظالم يجهر بالسوءِ من القول ظلماً واعتداءً، وموضع «مَنْ» نصبٌ بالوجهين جميعاً، لأنه استثناءَ ليس من الأول[6].

---

(١) سورة ق آية ٤١.

(٢) سورة العلق ١٨.

(٣) سورة القمر ٦.

(٤) الكهف ٦٤.

(٥) سورة والفجر ٤.

(٦) على الوجه الثاني استثناء منقطع، وعلى الأول تام موجب.

المعنى: لا يحب اللَّه الجهر بالسوءِ من القول لكن المظلوم يظهر بظلامته تشكياً، ولكن الظالم يجهر بذلك ظلماً. ويجوز أن يكون موضع «مَنْ» رفعاً على معنى لا يحب اللَّه أن يجهر بالسوءِ من القول إلَّا من ظلم فيكون «من» بَدلاً من معنى أحدٍ، المعنى: لا يحب اللَّه أن يجهر أحد بالسوءِ من القول إلا المظلوم.

وفيها وجه آخر لا أعلم النحويين ذكروه، وهو أن يكونَ «إلَّا مُنْ ظَلَمَ» على معنى لكن الظالم أجهروا له بالسوء من القول، وهذا بَعْدُ استثناءُ ليس من الأول. وهو وجه حَسَنٌ، وموضعه نَصْبٌ.

وقد روي أن هذا ورد في الضيف إذا أُسِيءَ إليه، فله أن يشكو لك، وحقيقته ما قلناه. واللَّه أعلم.

وقوله: ﴿يَسألُك أهلُ الكِتَابِ أن تُنزِّلَ عَليهم كِتَاباً من السَّمَاءِ﴾ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ.

وهذا حين قالوا للنبي ﷺ: ﴿وَلَنْ نؤْمِنَ لرُقِيك حَتَّى تُنزِّلَ عَلَيْنَا كتاباً نَقْرَؤُهُ﴾(١).

أي فقد سألوا موسى بعد أن جاءَهم بالآيات، فقالوا: ﴿أَرنَا اللَّه جَهْرَةً﴾.

وقال أهل اللغة في ﴿جهرة﴾ قولين: قال أَبُو عبيدة: قالوا جهرةً أَرِنَا اللَّه(٢)، لأنهم إذا رأوا اللَّه فالسر جهرة، فإنَّما جَهْرَةٌ صفةٌ لقولهم.

وقال بعضهم أَرِنَا اللَّه جَهْرَةً، إنما معناه أرنا رؤْيةً بينةً منكشفةً ظاهرة لأن من علِم اللَّه عزّ وجلّ فقد زَادَ عِلْماً، ولكن سألوه رؤْية يُدْرِكونها بأبصَارِهم.

---

(١) سورة الإسراء ٩٣.

(٢) أي قالوا ذلك جهاراً.

ودليل هذا القول قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قُلْتُم يا مُوسى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتى نَرَى اللَّه جَهرةً﴾[1]. وهذا عندي هو القول البين إنْ شَاءَ اللَّه.

وقوله: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهَم ﴾.

«ما» لغْوٌ في اللفظ، المعنى فبنقضهم ميثاقهم حقًّا، فكما أن حقًّا لتوكيد الأمر فكذلك «ما» دخلت للتوكيد.

وتأويل نَقْضِهِم مِيثَاقَهُم أن اللَّه عزّ وجلّ أخذ عليهم الميثاق في أن يُبَيِّنُوا ما أُنْزل عليهم من ذكْر النبي ﷺ وغيره، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّه مِيثَاقَ الَّذينَ أُوتُوا الكِتَابَ لتبيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَه فَنَبذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾[2].

والجالب للباءَ والعامل فيها قوله عزّ وجلّ:

﴿حَرَّمْنَا عَلَيهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُم﴾.

المعنى بنقضهم ميثاقهم، والأشياءَ التي ذكرت بعدَه.

وقوله «فبظلم» بدل من قوله: فبما نقضِهم.

وقوله: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: أي أوعية للعلم.

﴿بَلْ طَبعَ اللَّه عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾.

وإن شئت أدغمت اللام في الطاء، وكذلك: ﴿بَلْ تُؤْثِرونَ الحَيَاةَ الدُّنيا﴾[3] يُدْغَمُ فتقول: بَطَّبَعَ، وبتُّؤْثرِنَ، جعل اللَّه مُجَازاتَهُمْ على كفرهم أن طبع على قلوبهِم.

وقوله: ﴿ وَقَوْلِهم علَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظيماً ﴾.

---

(١) سورة البقرة ـ ٥٥.

(٢) سورة آل عمران ١٨٧.

(٣) سورة الأعلى آية ١٦ ـ والشاهد جواز الادغام، «بتؤثرون».

البهتان الكذب الذي يُحيِّرُ من شِدَّتِه وعِظَمِه، وذلك أنَّ اليهود ـ لعنها اللَّه ـ رمت مريم، وهي صفوة اللَّه على نساءِ العالمين، بأَمْرٍ عظِيمٍ.

وقوله: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى بنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّه﴾.

أي باعترافهم بقتلهم إياه.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وما صَلبُوهُ وَلكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾.

فإنما عُذِّبوا أو يُعَذبون عذابَ من قتل، أو كان شُبِّهَ لهم لأنهم قد أُتوا الأمر على أنه قتل نبّي. وجاءَ في التفسير أن عيسى لما أراد اللَّه جلّ ثناؤه رفعه إليه وتطهيره منهم، قال لأصحابه: أيُكم يرْضَى أن يُلْقَى عليه شبهي فيُقْتلَ ويُصلَب ويدخل الجنة، فقال رجل منهم أنا فألقى عليه شبهه فقتل، ورفع اللَّه عيسى إليه، وهذا كله غير ممتنع، لأنا لا نشك في أنه شُبِّه لَهُمْ.

وقوله: ﴿وَإِنَّ الَّذينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍ مِنْهُ﴾.

أي الذين اختلفوا في قتله شاكُون، لأن بعضهم زعم أنه إله، وما قُتِلَ، وبَعضُهم ذكر أنه قُتِلَ، وهم في ذلك شاكُون.

﴿مَا لَهُمْ به مِنْ عِلْمٍ إلا اتباعَ الظَّنِ﴾.

اتباعَ منصوبٌ بالاستثناء، وهو استثناء ليس من الأول. المعنى ما لهم به من علم لكنهم يتبعون الظن. وإن رُفِعَ جاز على أن يُجْعَلَ عليهم اتباعُ الظَّن، كما تقول العرب: تحيتك الضربُ وعتابُكَ السَّيفُ.

قال الشاعر:(١)

وخيل قد دَلَفْتُ لها بخيلٍ ... تحية بينهم ضربٌ وجيعُ

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقيناً﴾.

---

(١) تقدم ص ١٢٠.

قـال بعضهم: الهاءَ للعلم. المعنى ومـا قتلوا علمهم يقيناً، كمـا تقول: أنا أقتل الشيءَ علماً، تأويله إني أعلمه علماً تامًّا.

وقال بعضهم: «وما قتلوه» الهاء لعيسى كما قال: وما قتلوه ومـا صلبوه، وكلا القولين جائز.

وقوله: ﴿بَلْ رَفَعَه اللَّه إِلَيْهِ﴾.

إدغـام اللام في الـراء هو الكـلام وعليه القـراءَة، لأن الـلام قـريبـة من مخرج الراء، والراء متمكنة، وفيها كالتكرير، فلذلك اختير الإدغـام فيها، وَإِنْ لَمْ تُدْغم لأنه مِنْ كلمتين جاز.

وقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَّابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبلَ مَوتِهِ﴾.

المعنى: ومَا منهم من أحد إلا ليُّؤمِنَنَّ بـه، وكذلـك قولـه: ﴿وَإِنْ مِنكُمْ إِلا وَارِدُهَا﴾[1].

المعنى مـا منكم أحـدٌ إلا واردهـا، وكـذلـك ﴿وَمَـا مِنَّـا الَّا لـه مَقَـامٌ مَعْلومٌ﴾[2] المعنى وما منا أحد إلا له [مَقَامٌ مَعْلومٌ].

ومثله قول الشاعر:[3]

لـو قلتَ مـا في قـومهـا لم تيثَم يَـفْضُـلُهـا في حَـسبٍ ومِـيسَـمِ

المعنى مــا في قومها أحد يَفضلها.

فـالمعنى ﴿ليؤْمنَّن بـه بعد مـوته﴾[4]، فـالهَاءُ في «مـوتـه» راجعـة على

(١) مريم - ٧١.

(٢) الصافات ١٦٤.

(٣) تقدم ص ٥٨.

(٤) ليست في ك. وتفسير قبل ببعد مستبعد والعبارة في ك: فأما ليؤمنن به قبل موتـه فالهاء في موتـه راجعة.. الخ.

كافرٍ في بعض الأقاويل، وقد قيل: ما من أحد إلا ليُؤمننَّ بعيسى ممَّن كفر به قبل مَوْتِهِ، لأن الميت قبل موته يعاين عمله فيعلم صالحه من طالحه، وكل كافر إذا عَاينَ آمَنَ بكل نبي كَفرَ به قبل مَوْته.

وقالوا في الهاء في قوله: ﴿ليؤمننّ به﴾ أي بعيسى، وقال بعضهم بمحمد ﷺ. والقولان واحدِ، لأن من كفر بنبي عَاينَ قبل موته أنه كان على ضلالٍ، وآمن حيث لا ينفعه الإيمانُ.

وقال بعضهم: ﴿إلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ به﴾ أي سيؤْمن بعيسى إذا نزل لقتل المسيخ الدَّجَّال، وهذا بعيدٌ في اللُّغَةِ، لأنه قال: «وإن منهم إلا ليؤْمِنَنَّ به قبل موته»، والذين يبقون إلى ذلك الوقت إنما هم شرذمة منهم، ولكنه يحتمل أنهم كلهم يقولون إن عيسى الذي ينزل لقتل الدجال. نحن نؤْمن، فيجوز على هذا، واللَّه أعلم بحقيقته.

وقوله: ﴿لَكنِ الرَّاسِخُونَ في الْعِلْم مِنْهُمْ والمؤْمِنُونَ يُؤْمِنُوَن بما أُنْزِلَ إلَيْكَ﴾.

يُعْنَى بالرَّاسخين الثابتون[1] في العلم من أهل الكتاب أنهم لِعِلْمِهِمْ آمنوا بالنبي ﷺ وسائر الأنبياء عليهم السلام.

﴿والمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ﴾.

نسق عَلى «ما»[2] المعنى يؤْمنون بما أُنزل إليك وبالمقيمين الصلاة أي ويؤمنون بالنبيين المقيمين الصلاة.

وقال بعضهم «المقيمين» عطف على الهاء والميم، المعنى: لكن

---

(١) ك الثابتين.

(٢) ك اختلف الناس في إعراب المقيمين فقال بعضهم هو نسق.. الخ.

الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة يؤْمنون بما أُنزل إليْك، وهذا عند النحويين رَدِيءٌ، أعني العطف على الهاء والميم لأنـه لا يعطف بـالظاهـر المجرور على المضمر المجرور إلا في شعْرٍ، وذهب بعضهم أن هذا وهمٌ من الكاتب[١].

وقال بعضهم: في كتاب اللّه أشياءَ آستصلحها العرب بألسنتها، وهذا القول عند أهل اللغة بعيدٌ جداً، لأن الذين جمعوا القرآن أصحاب رسول اللّه ﷺ وهم أهل اللغة وهم القدوة وهم قريبو العهد بالإسلام فكيف يتركون في كتاب اللّه شيئاً يصلحه غيرهم، وهم الذين أخذوه عن رسول اللّه ﷺ وجمعوه، وهذا ساقط عَمَّنْ لا يَعْلَم بَعْدَهُمْ وساقط عمن يعْلَمُ، لأنهم يُقْتَدى بهمْ فهذا مما لا ينبغي أن ينسب إليهم رحمةُ اللّه عليهم. والقرآن محكَم لا لحن فيه، ولا تَتكلم العرب بأجود منه في الإعراب، كما قال عزّ وجلّ ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيم حَمِيد﴾[٢]، وقال: ﴿بِلِسانٍ عَربي مُبِينٍ﴾[٣].

ولسيبويه والخليل وجميع النحويين في هذا باب يسمونه باب المدحِ قد بَينوا فيه صحةَ هذا وجَوْدتَهَ. وقال النحويون: إذا قُلتَ مَرَرْتُ بزيدِ الكريمَ، وأنتَ تريد أن تخلص زيداً من غيره فالجرّ هو الكلام حتى يُعْرَفَ زيد الكريمُ من زيد غير الكريمِ، وإذا أردت المدح والثناءَ فإن شئت نصبت فقلت مررتَ بزيد الكريمَ كأنك قُلتَ أذكُرُ الكريمَ، وإن شئت قلت بزيد الكريمُ على [تقدير] هو الكريم، وجاءني قومُكَ المطعمينَ في المحل، والمغيثون في الشدائد، على معنى أذكر المطعمينَ، وهم المُغيثُون في الشّدَائد، وعلى هذا الآية، لأنه لما قال: ﴿يُؤْمِنونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِك﴾ عُلمَ أنهُمْ

(١) أي انها بالرفع وأخطأ الكاتب ـ وهذا كما ذكر خطأ.

(٢) سورة فصلت آية ٤٢.

(٣) سورة الشعراء آية ١٩٥.

يُقِيمون الصَّلَاة ويُؤتُـون الزَّكـاةَ. فقال: ﴿والمقيمين الصـلاة، والمُؤْتُونَ الزكاةَ﴾، على معنى، أذكُـر المُقِيمينَ الصـلاةَ، وهم المُؤْتـوْنَ الـزكـاة، وأنشـدوا بيت الخزنق بنت بدر بن هفان[1]:

لا يَبْعَـدَن قـومي الـذين همُـو سمُّ الـعـداةِ وآفـةُ الـجـزُرِ
الـنـازلين بـكـل مـعـتـرك والـطـيبـون مـعـاقـد الأُزُر

على معنى أذكـر النازلين، رفعـه ونصبـه على المـدح. وبعضهم يـرفـع النازلين وينصب الطيبين، وكله واحد جائز حسن. فعلى هذه الآية.

فأما من قال إنه وهم فقد بينا ما فيه كفاية. والـذي ذكرنـاه من الاحتجاج في ذلك مذهب أصحابنا البصريين.

وقوله: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْـكَ كَمَا أَوْحَيْنَـا إِلى نُوحٍ وَالنَبِيّينَ مِنْ بعدِه﴾. هـذا جواب لهم حين سألوا النبي ﷺ أن ينزل عليهم كتـاباً من السمـاءِ، وقد جـرى ذكر ذلك قبل هذه الآية. وهو قوله: ﴿يَسْأَلُكَ أَهلُ الكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِم كِتَاباً مِن السَّماءِ﴾ فأعلم اللّه نبيـه أن شأنـه في الوحي كشـأْن الأنبياءِ الـذين سلفـوا قبله، وهـذا احتجاج عليهم، فقـال: ﴿إنا أوحينـا إليـك كمـا أوحينـا إلى نـوح والنبيين من بعده﴾ وسائر الأنبياءُ الذين ذكروا في هذه الآية.

وقوله: ﴿وآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراَ﴾.

القـراءَة فيه بفتـح الزاي وضمهـا، وأكثر القـراء على فتح الـزاي، . وقد قرأت جماعة زُبُوراً بضم الزاي، منهم الأعمش وحمزة، فمن قرأ زَبُوراً، بفتح الزاي فمعناه كتاباً، وهذا الوجـه عند أهـل اللغة، لأن الآثـار كذا جـاءَت زَبُور دَاوُدَ، كما جاءَ تَوْراةُ مُوسَى وإِنْجِيل عِيسى.

---

(١) الكلمة غامضة في ب، ط، وفي ك بنت عبعبة والمعروف أنها خـرنق بنت بدر بن هفـان. أنظر الخـزانة ٢ ـ ٣١٧، والكتـاب ١ ـ ٨١ وأمالي المـرتضى ١ ـ ١٤٦، وينسب البيتان أيضـاً لغيـر خرنق.

ومن قرأ زُبوراً بضم الـزاي فمعناه وآتينـاه كُتُباً، جمـع زَبْر وزُبُـور ويقال ذَبرت الكتاب أَذْبُره ذَبْراً إذا كتبتَ، وذَبَرتُ أَذْبُرُ ذبْراً، وأَذْبِرُ إذا قرأْتَ[1].

والزَّبْرُ في اللغة إحكام العمـل في البئر خـاصة، تقـول: بئر مـزبورة إذا كانت مطوية بالحجارة، والزبر إحكام الكتاب، وقول الشاعر:[2]

هَـوْجَـاءُ لَيْـسَ لِلُبهـا زَبْـرُ

يصف ريحـاً، جعل هـذا مثـلاً لَهَـا، كـأنـه قـال ليس لشـأنهـا قـوة في الاستواءِ. وقوله جلّ وعزّ: ﴿آتوني زُبرَ الحدِيد﴾[3] واحدها زُبْرَة، وهي قـطع الحديد.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُم عَلَيْكَ﴾.

«رسلاً» منصوب من جهتين، أَجـودهما أَن يكـون منصوبـاً بفعل مضمَـرٍ، الذي ظهر يفسِرهُ، المعنى وقد قصصنا رسلاً عليك قد قصَصْنـاهم، كما تقـول رأيت زيـداً وعمراً أكـرمته، المعنى وأكـرمت عمراً أكـرمته. وجـائز أن يحمـل ﴿ورسُلاً﴾ على معنى ﴿إنَّا أوحينا إليك﴾، لأن معناه إنا أرسلنا إليك: موحين إليك، وأرسلنا رسلاً قد قصصناهم عليك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّه موسَى تَكْلِيماً﴾.

أَخْبَرَ اللَّه عزْ وجلّ بتخصيص نَبِي مِمَّن ذكر، فـأعلم عزّ وجـلَ أَن موسى كُلِمّ بغير وَحي، وأكد ذلك بقوله تكليماً، فهو كلام كمـا يعقلُ الكـلام لا شك في ذلك.

---

(١) في القاموس: الذبر الكتابة يزبر ويزبر كالتذبيـر والنقط والقراءة الخفيـة، والزبـر القوي الشـديد والعقل والحجارة والرمي بها وطي البئر بها.. والكتابة وهي بالذال والزاي.

(٢) هو ابن أحمر، وصدر البيت: ـ ولهت عليه كل معصفة ـ الزبر هنا القرار. ويقـال آراء هوجـاء أي ليست محكمة، والزبر الحجارة وطـي البئر ـ أنظر اللسان ـ زبر ـ، وكتاب سيبويه ٢ / ٧١.

(٣) سورة الكهف آية ٩٦.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِما أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾.

القراءَة الرفع مع تخفيف «لكن»، والنصب جائز «لكنَّ اللَّه يَشهَدُ» إلا أنه لا يقرأ بما يجوز في العربية إلا أن يَثْبُتَ به رواية عن الصحابة وقراءَ الأمصار، ومعنى ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بما أَنْزل إِلَيْكَ﴾: [يبين]، لأن الشاهِدَ هو المبين لما يشهَدُ به. فاللَّه جلّ وعزّ يبينه ويعلم مع إبانتِهِ أنه حق.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُون وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾:

معناه: وكفى اللَّه شهيداً، والباءُ دخلت مؤكدة، المعنى اكتفوا باللَّه في شهادته، ومعنى ﴿أَنْزَلَهُ بعِلْمِه﴾ أي أنزل القرآن الذي فيه علْمُه.

وقوله: ﴿فآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ﴾.

اختلف أهل العربية في تفسير نصب «خير»، فقال الكسائي: انتصب لخروجه من الكلام، قال: وهذا تقوله العرب في الكلام التام نحو قولك لتقومَن خيراً لك، فإذا كان الكلام ناقصاً رفعوا فقالوا: إن تنته خيرٌ لك. وقال الفَرَّاءُ: انتصب هذا وقوله ﴿خيراً لكم﴾ لأنه متصل بالأمر وهو من صفته، ألا ترى أنك تقول انته هو خير لك فلما سقطت هو اتصل بما قبله، وهو معرفة فانتصب، ولم يقل هُو ولَا الكسائِي من أي المنصوبات هو، ولا شرحوه بأكثر من هذا.

وقال الخليل وجميع البصريين: إنَّ هذا محمول على معنا، لأنك إذا قلت: إِنْتَهِ خيْراً فأنت تدفعه عن أمر وتدخِله في غيره، كأنك قلت انْتَهِ وائتِ خيرٌ[1] لك وادخُلْ فيما هو خير لك.

وأنشد الخليل وسيبويه قول عمر بن أبي ربيعة:

---

(١) أي يكن ذلك خيراً لك.

فـواعِـديـه سَـرْحَتيْ مـالِـكٍ أو الـزُّبى بينهمـا أَسْهَـلاَ[1]

كأنه قال إيتي مكاناً أَسْهلا .

وقوله : عزّ وجلّ : ﴿سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ .

معنى سبحانه تبرئته من أن يكون له ولد، وهذا قول أهل العربية. وجـاءَ عن النبي ﷺ أن معنى «سبحان اللَّه» تبرئة اللَّه من السوءِ، وتفسير أهل العربية موافق لما جاءَ عن النبي ﷺ .

وقوله جلّ وعزّ : ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا﴾ :

الرفع لا غير، ورفعه بإضمار لا تقولوا آلِهتُنَا ثَلاثَةٌ .

﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ :

أي ما هو إلا إله واحِدٌ .

وقوله : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بنُ مَرْيَم رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتهُ﴾ :

[أي] فكيف يكـون إلٰهاً وهـو ابن مريم، وكيف يكـون إلٰهاً وأُمـه قبله[2] واللَّه عزّ وجلّ القديم الذي لم يَزُل .

﴿لا تَغْلُوا فِي دِينُكمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ .

الغُلو مجاوز القدرِ في الظلم .

وقوله : ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ المَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ﴾ :

أي ليس يستنكف الذي تزعمون أنه إله أن يكون عبداً للَّه .

﴿ ولا الْملائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ .

---

(١) انظر الخزانة الشاهد رقم ١٠٠ ـ ٣ : ١ ط السلفية وهـو صفة لمحـذوف أي أئت مكانـاً أسهل. وهو الشاهد إذ نصبه لفعل محذوف ـ ويروى البيت برواية أخرى لا شـاهد فيهـا. أنظر الأغـاني ٨ ـ ١٤٤، وابن الشجري ١ ـ ٣٤٤.

(٢) أي هو ليس بقديم ـ إذ تسبقه أمه في الوجود فهو ليس بإلٰه ـ والإله لا يكون محدثاً ولا مولوداً.

والملائكة ـ واللَّه أعلم ـ أكرم من النبيين، ألا ترى أن نُوحاً عليه السلام قال: ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ، وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾(١)، فقال عزّ وجلّ: لن يستنكف المسيح من العبودةِ للَّه.

ومعنى يستنكف أي لن يأنف، وأصله في اللغة من نَكَفْتُ الدَّمْعَ إذا نحيته بإصبعك من خدك، قال الشاعر:(٢)

فبانوا فلولا ما تذكر منهم من الخُلفِ لم يُنْكَفْ لعَينيك مَدمعُ

فتأويل لَنْ يستنكف لن ينقبض، ولن يمتنع من عبودَةِ اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نوراً مُبِيناً﴾.

يُعنَى به ـ واللَّه أعلم ـ القرآن، لأن النور هو الذي يُبَيِّنُ الأشياءَ حتى تُرَى. وَمَثَّلَ اللَّه عزّ وجلّ ما يَعْلم بالقلب عِلْماً واضِحاً لما يرى بالعَيْن رُؤْيَةً منكشفة بَيِّنَة.

والكلَالَةَ قد بَيَّناها أول السورة.

وقوله: ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَد﴾.

جازمع «إن» تقديم الاسم قبل الفعل، لأن «إنْ» لا تعمل في الماضي، ولأنها أم الجزاءِ. والنحويون يذهبون إلى أن مَعَها فعلاً مضمراً، الذي ظهر يفسره، والمعنى إن هلك امرؤٌ هلك.

وقوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنَّ تَضِلُّوا﴾.

قيل فيها قولان، قال بعضُهم: المعنى يبين اللَّه لكم أن لَا تضلوا

---

(١) سورة هود ٣١.

(٢) اللسان (نكف) ـ أي أن الأحبة قد نأوا فلولا ما يتذكره من مخالفتهم له وقسوتهم لظل دمعه سيالاً لا يستطيع كفكفته ولا مسحه عن خده ويروى فماتوا! ونكف من باب نصر.

فأضمرت لا، . وقال البصريون إن «لا» لا تضمر، وإن المعنى: يبيّنُ اللَّه لكم كراهة أن تضلوا، ولكن حذفت «كراهـة»، لأن في الكلام دليـلاً عليها، وإنمـا جاز الحذف بمندهم على [حد] قـوله: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ والمعنى واسأل أهـل القرية، فحذف الأول جائز، ويبقى المضاف يدل على المحذوف، قـالوا فـأما حـذف «لا» وهي حرف جـاء لمعنى النفي فلا يجـوز، ولكن «لا» تـدخـل في الكلام مؤكدة، وهي لغو كقـوله: ﴿لِئَـلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَـابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ﴾(١) ومثله قول الشاعر:

ومـا ألـوم الـبيض ألَّا تـسخـراً ... لمـا رأين الشمط الـقَفَـنْـدَرا(٢)

المعنى وما ألوم البيض أن تسخر.

ومثل دخول «لا» توكيداً قـوله عـزّ وجلّ: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَـوم الْقِيَامَـةِ﴾(٣)، و﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾(٤).

فإن قال قائل: أفيجوز أن تَقُول لا أحلف عليك، تريـد أحلف عليك؟. قيل «لا» لأن لا، إنما تلغى إذا مضى صدر الكلام على غيـر النَّفي، فإذا بنيت الكـلام على النفي فقـد نقضت الإيجـاب، وإنمـا جـاز أن تلغى «لا» في أول السورة، لأن القرآن كله كـالسورة الـواحدة، ألا تـرى أن جواب الشيء(٥) قـد

---

(١) سورة الحديد ٢٩.

(٢) لأبي النجم والبيت في الخـزانة ١ ـ ٤٨ وفي القـرطبي ٢ ـ ١٨٢، واللسان (قفنـدر) ومجاز أبي عبيدة ١ ـ ٢٦، والشاهـد فيه زيـادة «لا». أي لا ألوم البيض أن تسخـر من أن رأين الشيب لاح برأسي.

(٣) سورة القيامة آية ١.

(٤) سورة البلد آية ١.

(٥) الرد عليه ورد شبهته.

يقع وبينهما سُورٌ كما قال جلّ وعزّ جواباً لقوله: ﴿وقالوا يا أيُّها الَّذي نزل عليه الذِّكر إنَّك لَمجْنُونٌ﴾[1]، فقال: ﴿نُون والقَلمِ وما يَسطرونَ ما أنت بنعمة رَبِّكَ بمَجنُون﴾[2]، (ومثله في القرآن كثير)[3].

(١) سورة الحجر ٦.

(٢) سورة ن آية ١ ـ ٢.

(٣) ك فقط.

ومن سورة المائدة

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله جلّ وعزّ: ﴿يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا أَوْفُوا بالعُقُودِ﴾.

خاطب اللَّه جلّ وعزّ جميعَ المؤْمنين بالوفاءِ بالعقود التي عقدها اللَّه عليهم، والعقود التي يعقدها بعضهم على بعضٍ على ما يوجبه الدين، فقال: يا أَيُّها الَّذين آمنُوا، أي يا أَيُّها الذين صدقوا النبي ﷺ أَوْفُوا بالعُقُود، والعقود العهود، يقال وفيت بالعهْدِ وأَوفيتُ. والعقود واحدُها عَقْد، وهي أَوكد العهودِ يقال: عهدت إلى فلان في كذا وكذا، تأْويله أَلْزَمْتُه ذلك، فإنما قلت عاقدته أو عَقَدتُ عليه، فتأْويله أنك أَلْزَمْته ذلك باستيثاق.

وقال بعضهم أَوْفوا بالعقُودِ أي بما كان عقد بعضُكم على بعضٍ في الجاهلية، نحو الموالاة، ونحو قوله: ﴿والذين عقَدتْ أَيْمانُكُم، فآتُوهُم نَصِيبهمْ﴾(١) والمواريث تنسخ العقودَ في باب المواريث.

يقال عقدت الحبلَ والعهد فهو معْقودٌ. قال الحطيئة:

قومٌ إذا عَقَدوا عقْداً لِجارِهِمُو ... شدُّوا العِناجَ وشدُّوا فَوقَه الكَرَبا(٢)

---

(١) النساء: الآية ٣٣.

(٢) الديوان ٦، واللسان (كرب). وشواهد الكشاف. العناج ككتاب حبل يشد به أسفل الدو، وعرقوته، والكرب حبل يربطهما معاً. والبيت من قصيدته في مدح عامر بن الطفيل وتفضيله =

تأويله أنهم يوفون عهودَهم بالوفاءِ بها، ويقال أعقَدْتُ العسَل ونحوه فهو مُعقدَ وعَقِيدٌ، وروى بعضهم: عقدت العسل والكلام أُعقَدْتُ، قال الشاعِر:[1]

وكأن ربًّا أَوْ كُحيلًا مُعْقَداً حشَّ الوقُودُ به جوانب قُمقُم

وقوله جلّ وعزّ: ﴿أُحِلَّت لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعام﴾.

قال بعضهم: بهيمة الأَنعام: الظباءُ والبقر الوحْشِيَّةُ والحُمْرُ الوحشيَّة.

والأَنعام في اللغة تشتمل على الإبل والبقر والغنمَ.

فالتأْويل ـ واللَّه أعلم ـ أُحلت لكم بهيمة الأَنعام، أي أُحلت لكم الإبل والبقرُ والغنمُ والوحْشُ. والدليل على أَن الأَنعام مشتملة على ما وصفنا قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وفَرْشاً﴾[2] فالحمولة الإبل التي تُحَمَّلُ[3] والفَرْشُ صغار الإبل، قال ﴿ثمانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِن الضَّأْنِ اثْنَينْ. ومن المعز اثنين﴾[4] ثم قال: ﴿ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين﴾[5] وهذا مردود على قوله: ﴿وهو

= على الزبرقان بن بدر، وجاء قبلها:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا

قوم يبيت قرير العين جارهمو إذا لوى بقوى أطنابهم طنبا

يريد أنهم يفون بعهدهم وينصرون من يحالفهم.

(١) هو عنترة العبسي يصف العرق الذي يتصبب من ناقته، بأنه خاثر مما علق به من الأتربة، فصار كالطلاء أو القطران الذي أوقدت عليه النار حتى تخثر، والرب الطلاء، والكحيل القطران وحش النار أوقدها أو جمع لها الوقود.، وعرق الإبل أسود، والقمقم هنا هو رأس الناقة على التشبيه، والبيت في معلقته رقم ٣٢.

(٢) سورة الأنعام آية ١٤٢.

(٣) فهي فعولة بمعنى مفعولة أي محملة. ولهذا دخلتها تاء التأنيث.

(٤) سورة الأنعام. آية ١٤٣.

(٥) سورة الأنعام ـ ١٤٤ ـ أي خلق من الأنعام ما هو كبير يحملكم ويحمل متاعكم في أسفاركم، وما هو دون ذلك، تأكلون لحمه وتنتفعون بجلده وبوبره.

الذي أنشأ جناتٍ مَعْرُوشاتٍ﴾[١]، وأنشأ ﴿من الأنعام حمولة وفرشاً﴾ . ثم ذكر ثمانية أزواجٍ بـدلاً من قولـه: ﴿ومن الأنعام حمـولة وفرشاً﴾. والسُّـورَة تُدعَى سـورة الأنعام، فبهيمة الأنعام هذه[٢]، وإنما قيل لها بهيمة الأنعام لأن كل حي لا يميـز فهو بهيمـة، وإنما قيـل لـه بهيمـة لأنـه أبهم عن أي يميـز، فـأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن الذي أُحِلَّ لنا مما أُبهِم هذه الأشياءُ.

وقوله: ﴿إلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُم﴾.

مـوضع مـا نصب بـإلا، وتـأْويله أُحلت لكم بهيمـة الأنعـام ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ من الميتةِ والدَّم والمـوقُوذَةِ والمُتَـرَدِّيَةِ والنـطِيحَة ﴿غيرَ مِحِلّي الصَّيْدِ﴾ أي أُحلَّتْ لكم هذه لا مُحِلينَ الصَّيْدَ ﴿وأنتم حرم﴾.

وقال أبو الحسن الأخفش: انتصب ﴿غيرَ محِلّي الصيد﴾ على قوله: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾، كأنه قيل: أوفـوا بالعُقـودِ غيرَ مُحِلَى الصَّيْـدِ، وقال بعضهم يجوز أن تكون «ما» في موضع رفع على أنه يذهب إلى أنه يجوز جـاءَ إخوتك إلَّا زيدٌ، وهذا عنـد البصريين بـاطل لأن المعنى عنـد هذا القـائل:[٣] جاءَ اخوتك وزيد[٤]. كأنه يعطف بها كما يعطف بـلا، ويجوز عنـد البصريين جـاءَ الرجـال إلا زيد على معنى جـاءَ الرجـال غيرُ زيـد، على أن تكون صفـة للنكرة أو مَا قَاربَ النكرةَ من الأجناسِ.

وقوله: ﴿وأَنْتُمْ حُرمٌ﴾.

أي مُحـرمونَ. وأَحَـدُ الحُرُم حـرام، يقال رجـل حَرامٌ وقـوم حُرُم، قـال الشاعر:[٥]

---

(١) الأنعام آية ١٤١.

(٢) أي هذه الأصناف الثمانية. والإضافة في «بهيمة» الأنعام بيانية، أي بهيمة هي الأنعام.

(٣) أي من يرفع المستثني بعد الموجب التام.

(٤) أي إلا عاطفة وتفيد النفي، وكان الأولى أن يكون التقدير: جاء إخوتك لا زيد.

(٥) في اللسـان (لبب) للمضرب بن سعـد، وهو للمضـرب بن كعب بن زهيـر وأنـظر القـرطبي ٦ -:

فقلت لها فِيئي إليك فـإنَّني حـرامٌ وإنـي بـعـد ذاك لـبـيـب

أي ملبٍّ.

وقوله: ﴿إنَّ اللَّه يحْكُمُ ما يُريدُ﴾.

أي الخلق له عزّ وجلّ، يُحِل منه ما يشاءُ لمَنْ يَشَاءُ، ويُحُرِّمُ مَا يُرِيدُ.

وقـوله عـزّ وجلّ: ﴿يـا أيُّها الـذينَ آمنُوا لا تُحِلُّوا شعَـائِرَ اللَّهِ وَلاَ الشهـر الحرام ولا الهَدْيَ ولاَ القَلائِد﴾.

الشعائر واحدتها شعيرة، ومعناه مـا أُشْعِرَ أي أُعْلمَ ليُهـدَى إلى بيت اللَّه الحرام. وقال قوم شعائر اللَّه يُعنَى بِه جميـع مُتَعَبَّداتِ اللَّهِ التي أشْعَـرهَا اللَّه، أي جعلها أعلاماً لنا.

﴿وَلاَ الْهديَ﴾ الهَدْيُ واحِـدَتُـهُ هَـدْيـةٌ مثـلُ جَـدْيـةَ وجَـدْيٌ يعني حَـدَبـةُ السَّرج[١].

و﴿القلائد﴾: كانوا يقلِّدون بِلِحاءِ الشَّجرَ ويعتصمون بذلك وهذا كله كان للمشركين، وكان قد أُمِرَ المسلمون بأن لا يحلوا هـذه الأشياءَ التي يَتَقـرَّبُ بها المشـركـون إلى اللَّه وكـذلـك ﴿ولا آمِّينَ البيتَ الحَرَامَ﴾ وهـذا كله منســوخ، وكذلك ﴿ولا الشهر الحرام﴾، وهـو المُحرَّم لأن القِتَـال كان مـرفوعـاً فيه، فَنسَـخَ جميعَ ذلك قوله: ﴿فاقْتُلوا المُشْرِكِينَ حَيْث وَجَدتمُوهُم، وَخُذُوهُم واحْصُرُوهمْ واقعدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾[٢].

= ٣٦، ومجاز أبي عبيدة. ١ ـ ٤٥.

يقول عودي لرشدك فإني لا أقربك لأنني محرم، ولو لم أكن محرماً ما قـربتك لأنني ذكي لبيب لا أفعل قبيحاً.

(١) في القـاموس هـدية الأمـر مثلثة جهته، والهـدي والهديـة ـ ويكسر الـطريقة والسيـرة، والهادي المتقدم والعتق ـ ومن الليل أوله، ومن الإبل أول رعيل يطلع منها.

(٢) سـورة التوبـة ـ ٥ والاستدلال غيـر قوي ـ لأن صـدر الآية: ﴿فإذا انسلخ الأشهـر الحـرم فـاقتلوا=

وقوله: ﴿وإذَا حَلَلْتُم فاصطَادوا﴾.

هـذا اللفظ أمرٌ ومعنـاه الإباحـة، لأن اللَّه عـزّ وجـلّ حـرَّم الصيـدَ على المحْـرم، وأباحَـه لَهُ إِذَا حَـلَّ من إحْرامـه، ليس أنـه واجب عليـه إذا حَـلَّ أن يَصـطاد، ومثله قولـه: ﴿فإذا قُضِيتِ الصَّـلاَة فَانْتَشِـرُوا فِي الأَرضِ وابتغوا مِن فضـلِ اللَّهِ﴾[1] تأويله أنـه أُبيح لكم بعـد الفراغ من الصـلاة، ومثل ذلـك في الكلام: لا تَدْخُلَنَّ هـذه الدار حتى تُـودِّيَ ثمنها، فـإذا أديت فَادْخُلْهـا، تأويله فإذا أُديت فقد أُبيح لك دُخولها.

وقوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآن قَوْمٍ﴾.

أي لا يحملنكم بغضُ قومٍ، يقال شنئتـه شنآنـاً معناه أبغضتـه إبغاضـاً، والشنآن مصدر مثل غَلَى غَلَيَاناً، ونَزَا نَزَوَاناً، فـالمعنى لا يكْسَبَنكم بُغْضُ قومٍ أن تعتدوا[2].

وموضع «أن» نصب، أي تعتـدوا لأن صَـدُّوكم عَن المسْجـد الحـرامِ فمـوضعُ أَنْ الأُولى نصبُ مفعـولٌ له، ومـوضع أَنْ الثـانيـةِ نصب مفعـول بـه، المعنى لا يكسبنكم بغضُ قـوم أي بغضكم قومـاً الاعْتِدَاءَ بصـدِّهم إيَّـاكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحرامِ يُقالُ فلان جريمة أَهْله أي هـو كاسبهم[3]. وقيـل في التفسير لا يحملنكم بغض قـوم، والمعنى واحـد، وقـال الأخفش لا يَجْنِفَنَّكُمْ بُغْضُ قَوْمٍ[4]. وهذه ألفاظ مختلفة والمعنى واحد.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى البرِّ وَالتَّقْوَى﴾.

= المشركين.... ﴾ ولكن في آية اخرى - ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام﴾.

(١) سورة الجمعة آية ١٠.

(٢) لا يحملنكم بعضهم على عدم العدل.

(٣) يقال: جرم لأهله وعليهم وإليهم جريمة أي جنى جناية، أو كسب.

(٤) لا يحملنكم على الجنف، وهو الظلم.

وهذا كله منسوخ إلا التعاوُنَ مِن المسلمين على البِّر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ﴾.

أَصله المِيِّتَة بالتشديد، إِلَّا أَنه مخفَّفٌ، ولو قرئت المِيِّتَةُ لجاز يقال مَيِّتٌ، ومَيْت، والمعنى واحد. وقال بعضهم المَيِّت يقال لما لَمْ يَمُتْ، والمَيْتُ لما قَدْ مَاتَ، وهذا خطأٌ إنما ميت يصلح لما قد مات، ولما سَيَمُوتُ، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُمْ مَيِّتونَ﴾[1].

وقال الشاعر في تصديق أَن المَيْتَ والمَيِّتَ بمعنى واحد:

ليس من مات فاستراح بمَيْت إنما المَيْتُ مَيِّتُ الأَحْياءِ[2]

فجعل الميت مخففاً من الميت.

وقوله: ﴿والدَّمُ﴾.

قيل إنهم كانوا يجعلون الدم في المباعر[3] ويشوونها ويأْكلونها، فأَعلم اللَّه عزّ وجلّ أَن الدم المسفوح، أَي المَصْبُوبَ حرام، فأَما المُتَلَطِّخُ بالدم[4] فهو كاللحم في الحل.

وقوله: ﴿وَمَا أُهِلَّ لغَيرِ اللَّهِ بِهِ﴾.

موضعه رفع، والمعنى: وحرم عليكم ما أهل لغير اللَّه به، ومعنى ﴿أُهِلَّ لغير اللَّه به﴾ ذكر عليه اسمُ غيرِ اللَّه، وقد فسرنا[5] أَن الإِهلال رفع الصوت

(١) سورة الزمر ٣٠.

(٢) لعدي بن الرعلاء ـ انظر ابن يعيش ١٠ ـ ٥٧. والخزانة ٤/١٧٤ وفي ياقوت ١٢/٩ لصالح بن عبد القدوس.

(٣) في أمعاء الحيوان.

(٤) أي الدم الذي يبقى باللحم كالدهان فهو حلال كاللحم، وفي ك التلطخ في اللحم.

(٥) انظر ص ٢٤٣ ج ١.

بالشيءِ فَمَا[1] يتقَرَّبُ به من الذبح لغير اللَّه، أو ذكر غير اسمه فحرام، ﴿ولحمُ الخنزير﴾ حرام، حرَّم اللَّه أكله، وملكه، والخزير يشمل[2] على الذكر والأنثى.

وقوله ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾.

وهي التي تنخنق بِرِبْقَتِها أي بالحبل الذي تشك به، وبأي جِهة اختنقت فهي حرام.

وقوله: ﴿والمَوْقُوذةُ﴾.

وهي التي تُقْتَلُ ضرباً، يقال وَقَذْتُها أَوْقِـذُها وَقْذاً وأَوْقَذْتُها أُوقِذُها إيقَاذاً، إِذَا أَثْخَنْتُهَا ضرباً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿والنَّطِيحَةُ﴾.

وهي التي تَنْطِحُ أو تُنْطَحُ فَتموتُ.

وقوله: ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾.

موضع «ما» أيضاً رفع عطف على ما قبْلَها.

وقوله: ﴿إِلَّا مَاذَكيتمْ﴾.

أي إلَّا مـا أدركْتُم ذَكاتَـه مِنْ هَذه التي وصفْنَـا، وموضـع «ما» نصبٌ أي حُرِّمت عليكم هذه الأشياءُ إلَّا الشيء الذي أُدْرِكَ ذَبحُه مِنْهَا، وكل ذَبحٍ ذكـاةٌ، ومعنى التذكية أن يدركها وفيها بقية تَشْخُبُ معها الأوداج، وتضطرب اضطراب المذبوح الذي أُدْرِكَتْ ذَكاتُه، وأهل العلم يقولون إنْ أَخْرجَ السَّبُعُ الحَشْوةَ، أو قَطَعَ الجَوفَ قطعاً خرج معه الحَشْوة[3] فلا ذكاة لذلـك، وتأويله أنـه يصير في حالة مَا لَا يُؤثر في حياتِه الـذَّبْحُ، وأصـل الذكـاء في اللغة كلهـا تمام الشيءِ،

---

(1) في الأصل فيما نقرب.

(2) ك يشتمل.

(3) أي ما في جوف الحيوان ـ وجمع الحشوة أحشاء.

فمن ذلك الذَّكاءُ في السن والفهم، وهو تمام السِّنِّ، قال الخليل: الذَّكـاءُ في السِّنِ أَنْ يأْتي على قُروحِه سنةٌ[1]، وذلك تمامُ استِكمال القُوَّةِ، قال زهير:

يُـفَضّـله إِذَا اجْـتـهَـدا عـليـهـا . تَمَـامُ السـنِّ منـه والـذَّكـاءُ[2]

وَقيـل جريُ المـذْكِيَاتِ غِـلابٌ[3] أي جَرْي المَسَـانِّ التي قـد تـأَسَنَّتَ. وتأْويل تمام السِّن النَّهايةُ في الشباب فـإذا نقص عن ذلك أَو زاد فـلا يقال لهـا الذكاءُ. والذكاءُ في الفهم أَن يكون فَهِماً تامّا سريعَ القَبول، وذَكَّيْتُ النارَ إنمـا هــو مِنْ هذا. تأْويله أَتَممت إشعالها.

﴿إلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾: ما أَذْكَيْتُم ذَبْحة على التمام.

وقوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾.

والنُصبُ الحجارة التي كانُوا يعْبُدونَهـا، وهي الأَوثانُ واحِـدُها نِصـابٌ، وجائز أَن يكون واحداً، وجمعه أَنصاب.

وقوله: ﴿وأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلَامِ﴾.

مـوضع «أن» رفع، والمعنى وحـرم عليكم الاستقسـام بـالأَزلام. وواحـد الأَزلام زُلَم، وزَلَم، وهي سِهَـام كانَتْ فـي[4] الجـاهلية مَكْتـوبٌ على بعضها «أَمَرَنِي رَبّي» وعَلى بعضها: «نهاني رَبّي» فإذا أَراد الرَّجُلُ سَفَراً أَو أَمْراً يهتم به

---

(١) ذكي تذكية أسن وبدن ـ والمذاكي من الخيل جمع مذكية وهي ما أتى عليها بعد قروحهـا سنة ـ وقرح الفرس كخجل ومنع قرحاً وقرحاً ـ وهي قارح وقارحة ـ وجمعه قوارح وقرح ومقاريح.

(٢) يروى أيضاً ويفضله ـ وكذلك ورد في لـ ـ والبيت في الديوان ص ٧٢، الكامل ١ / ٢٢٩.

(٣) من الأمثال الجارية، ويروى ـ غلاء ـ جمع غلوة ـ وهي الشـوط أي شوط بعـد شوط. بمعنى لا تـظهر نجـابتها من أول جـربة أو غلوة، أمـا رواية غـلاب فهي من المغالبـة. والمذكيـات جمع مذكية.

(٤) الزلم ـ كبطل وصرد ـ الظلف أو ما خلفه، والقدح سهمٌ لا ريش عليه وسهـام كانـوا يستقسمون بها في الجاهلية. وزلمه تزليماً سواه ولينه بمعنى أزال أزلامه أي الزوائد التي به.

اهتماماً شديداً ضرب تلك القِدَاح، فإن خرج السهم الذي عليه «أمرني رَبِّي» مضَى لحاجته، وإن خرج الذي عليه «نهاني ربي» لم يمض في أمره، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن ذلك حرام، ولا فرق بين ذلك وبين قول المنجمين: لا تخرج من أَجْل نَجْم كَذَا، واخرج من أجل طلوع نجم كذا، لأن اللَّه جلّ وعزّ قال: وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً[1] وروي عن النبي ﷺ، خمس لا يَعْلَمُهن إلّا اللَّه، وذكر الآية التي في آخر سورة لقمان. ﴿إِنَّ اللَّه عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ويُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَام، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِب غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[2].

وهذا هو دخول في علم اللَّه الذي هو غيب، وهو حرام كالأزلام التي ذكرها اللَّه جلّ وعزّ أنها حرام.

والاستقسام بالأزلام فِسْقٌ. والفِسْقُ اسم لِكُلِّ ما أعلم اللَّه أنه مُخْرِجٌ عن الحلال إلى الحرام، فقد ذَمَّ اللَّهُ به جميعَ الخارجين مِن مُتَعَبَّداته وأَصْلُه عند أهْلِ اللغة قد فَسقَتِ الرُّطَبَة إذَا خَرَجَتْ عَنْ قِشْرها.

ولو كان بَعَضُ هذه المَرْفُوعَاتِ نَصْباً على المعنى لجاز في غير القرآن. لو قلتَ حُرِّمَتْ على الناس الميتَةُ والدَّمَ ولحمَ الخنزير، وتحمله على مَعْنَى وحَرَّمَ اللَّه الدَّمَ ولحمَ الخِنْزير لجاز ذلك، فأما القرآن فخطأٌ فيه أن نقْرأ بما لم يَقْرأْ به مَنْ هو قُدْوةٌ في القِراءَةِ، لأن القراءَة سنة لا تُتجاوَزُ.

وقوله: ﴿اليَوْمَ يَئِسَ الذين كَفَرُوا مِنْ دِينكُمْ﴾.

«اليومَ» منصوب على الظرف، وَلَيْسَ يُرادُ به ـ واللَّه أعلم ـ يوماً بعَيْنه.

---

(١) ك كانت في الجاهلية غدا.

(٢) سورة لقمان آية ٣٤.

معناه الآنَ يئِس الذين كفروا من دينكم، وهذا كما تقول أَنا اليومَ قَدْ كَبِرْتُ. وهذا الشأْن لا يصلح في اليوم. تريد أَنا الآن، وفي هذا الزمان ومعناه: أَن قد حَوَّل[١] اللّه الخَوفَ الذي كاد يلحقكم منهم اليوم ويئِسُوا مِنْ بُطْلان الإِسْلَام وجاءَكُمْ مَا كُنتم توعدون من قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[٢]، والدِّين اسم لجميع ما تعَبَّدَ اللّهُ خلقَهُ، وأَمرهم بالإِقامة عليْه، والذِي به يُجزون، والذي أَمرهم أَن يكون عادَتَهم. وقد بيّنّا ذلك في قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

وقوله: ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾.

أَي فليكن خوفُكم لِلّه وحده، فقد أَمِنْتُم أَنْ يَظْهَرَ دين على الإِسلام وكذلك ـ واللّه أَعلم ـ.

قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ﴾.

أَي الآنَ أَكْمَلْتُ لكم الدِّينَ بأَن كَفَيتكُم خَوف عَدوكم وأَظهرتكم عليهم، كما تقول: الآن كَمُلَ لَنَا الملكُ وكَمُلَ لَنَا ما نريد، بأَن كُفينا مَنْ كنا نَخافه. وقد قيل أَيضاً: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ أَي أَكملت لكم فَرْض ما تحتاجون إِليه في دينكم. وذلك جائز حسن، فأَما أَن يكون دين اللّه في وقت من الأَوقات غيرَ كامل فلا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾.

أَي فمن دَعته الضرورة في مجاعة، لأَنَّ المخمصَةَ[٣] شدةُ ضمور البطنِ.

﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾.

---

(١) أزال وصرف.

(٢) سورة الصف آية ٩، والفتح آية ٢٨، والتوبة ٣٣.

(٣) في القاموس: خمص الجرح وانخمص سكن ورمه، والخمصة الجوعة ـ والمخمصة المجاعة وخمص البطن (مثلثة).

أي غير مائِل إلى إثم.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٍ﴾.

أي فإن اللَّه أباحه ذلك رحمة منه وتسهيلاً على خلقه، وكذلك فَمَنِ اضْطُرَّ غير بَاغٍ وَلاَ عَادٍ، أي غير آكل لها على جهة الاستحلال وَلا عَادٍ: أي مجاوزٍ لقدر الحاجة، وغير آكل لها على جهة التلذذ فإنّ اللَّهَ غَفُورٌ رحيم.

وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾.

موضع «ما» رفع، إن شئت جَعلتها وحدها اسماً، ويكون خبرها قوله: «ذا». ويكون أَحَلَّ من صلة ما، والتأْويل: يسألونك أيَ شيءٍ أُحِلَّ لهم، وجائز أنِ تكون «ما»، و «ذا»، اسماً واحداً، وهي أيضاً رَفْعُ بالابتداءِ والتأْويل على هذا: يسألونك أيَّ شيءٍ أُحِلَّ لهُم، وأُحل لهم خبر الابتداءِ.

﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الجَوَارِحِ﴾.

فالطيبات كل شيءٍ لم يأت تَحريمه في كتاب ولا سنة، والكلام يدل على أنهم سألوا عن الصَّيْدِ فيما سألوا عنه، ولكن حُذِفَ ذكرُ صيدِ «مَا عَلَّمْتُمْ».. لأن في الكلام دليلاً عليه، كما قال: ﴿واسأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[1]. المعنى واسأل أهل القرية.

«وقوله: ﴿مُكَلِّبِينُ﴾.

أي في هذه الحال يقال رجل مُكلّب، وكَلاَّب، أي صاحب صيد بالكلاب، وفي هذا دليل أن لحم صيد الكلب الذي لم يُعلَّم حرام إذا لم تُدْرَك ذَكاتُه، فإذا أَرْسَل المرسلُ كلب الصَّيْدِ فصادَ فقَتَل صَيْدَه، وقد ذكر الصائدُ اسم اللَّه على الصيد فهو حلال بلا اختلاف بين الناس في ذلك.

---

(١) سورة يوسف ٨٢.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾.

فاختلف الفقها فيه إذا أكل من الصيدِ، فقال بعضهم يؤْكل (منه)[1] وإن أكل منه. وكل ذلك في اللغة غيرُ مُمتنعٍ لأنّه قد يُمْسك الصيدَ إذا قتَله ولم يأكل منه، وقد يُمسكُ وقد أكل منه.

ومعنى: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾.

أي تُؤدِّبُونَهنَّ أَنْ يُمسِكنَ الصَّيدَ عليكمٍ، فإنْ غابَ الصَّيْدُ فماتَ فإنه غيرُ مُمْسَكٌ. وفي الحديث: «كُلْ مَا أَصْمَيْتَ ولا تأكُلْ مَا أَنْميت». ومعنى كل مَا أَصْميْتَ أي إن صِدْتَ صيداً بكلبٍ أو غيرِه فمات وأَنْت تَرَاهُ مات بصَيْدك فهو ما أَصْمَيت، وأَصل الصَّمَيَان في اللغة السُّرعةُ والخِفَّةُ.

فالمعنى: كلْ ما أَصْمَيتَ أيْ ما قتلته بصَيْدِك وأنت تراه أَسرع في الموت، فرأَيته وعلمت ـ لا محالة ـ أَنه مات بصيدك، ومعنى ما أنميت، أي ما غاب عنك فمات ولم تره، فلست تدري أَمات بصيدك أم عَرَضَ له عَارضٌ آخَرُ فقتله، يُقَالُ نمتِ الرَّمِيَّةُ إذا مضتْ والسهمُ فيها، وأَنميتُ الرَّميَّةَ إِذَا رَميتُها فمضت والسهم فيها، قال أَمرؤُ القيس:

فَـهـو لا يَـنـمِي رمـيـتَـه ... مـالـه، لا عُـدَّ من نفـره[2]

وقال الحَرِث بن وعْلَة الشَّيْبَانِي:

قـالت سليمى قـد غَنيـتَ فتًـى ... فـالآن لا تـصمِي ولا تَنْـمِي[3]

---

(١) ليست في ب ـ والمراد يجوز لنا أن نأكل منه وإن كان الجارح أكل منه.

(٢) نمى رميته وصيده إذا ضربها فجرت وماتت بعيداً. يتعجب من مهارته إذ لا يفلت صيد منه ـ ولا عد من نفره دعاء عليه للتعجب، وهو في حقيقته دعاء له ـ مثل تربت يداك، ولا أب لك. أنظر اللسان (نمى ـ نفر) وشرح الحماسة ١/٢٨٩.

(٣) قد كنت في شبابك ذا قوة والآن ذهبت قواك فلا قدرة لك على الصيد.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ، وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾.

أي ذبائح أهل الكتاب حلّ لكم، وقد أجمع المسلمون أن ذبائحَ أهلِ الكتاب حلال للمسلمين، واختلفوا فيما سواها من الأطعمة، والذبائح هي من الأطعمة، فالظاهر ـ والله أعلم ـ أن جميع طعامهم حلال كالذبائح.

﴿وَطَعَامُكُم حِلٌّ لَهُمْ﴾.

تأويله حل لكم أن تطعموهم، لأن الحلال والحرام والفرائض بعد عقد التوحيد[1]، إنما يعقد على أهل الشريعة والملة، فأمَّا الكفَّارُ فالواجِبُ فيهم القتلِ إلَّا مَنْ أَدَّى الجِزْيَةَ مِنْ أَهِلِ الكِتَابِ.

وقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أوتوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكم﴾.

أي وأُحل لكم المحصنات وهن العفائف وقيل الحرائر، والكتاب يدل على أن الأَمَةَ إذا كانت غيرَ مُؤْمِنَةٍ لم يجز التزويج بها، لقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِع مِنْكُم طَوْلاً أَنْ ينكِحَ المُحْصَنَاتِ المؤْمِنَات فمِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكم مِنْ فَتَيَاتِكُمُ المُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْض فَانكِحُوهُنّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيرَ مُسَافِحَاتٍ﴾[2].

فإذا آتيتموهُنَّ أي إذا أعطيتموهن الأجر على جهة التزويج لا على جهة السِّفَاح وهو الزِّنَا.

وقوله: ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾.

---

(١) أي الإيمان والعقيدة أولاً ثم التكاليف بعد ذلك، وهؤلاء لا إيمان عندهم. فليأكلوا ما يأكلون ولا حرج علينا في تقديم ذلك لهم.

(٢) سورة النساء ٢٥ ـ وتزويج الكافرة أياً كانت غير جائز لقوله تعالى: ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾ ـ ولا تمسكوا بعصم الكوافر.

وهن الصديقات والأصدقاءُ، فحرم اللَّه عَزّ وجلّ الجماع على جهة السّفاح، أو على جهة اتخاذ الصَّدِيقة[١]، وأَحَلَّهُ على جهة الإحصَانِ، وهو التزويج، على ما عليه جماعة العلماءِ.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بالإيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ

أي من بدل شيئاً مما أَحَلَّ اللَّه فجعله حَراماً، أو أَحَلَّ شيئاً مما حَرَّمَ اللَّهُ فهو كَافِرٌ بإجماعٍ، وقد حَبِط عَمَلُه أي حَبِطَ جميع ما تَقَرَّب بِه إلى اللَّهِ جَلَّ ثَناؤُه، ومن غير ذلك[٢].

وقوله: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾.

المعنى إذا أَردتم القيام إلى الصلاة، وإنما جاز ذلك لأن في الكلام والاستعمال دليلاً على معنى الإرادة، ومثل ذلك قول اللَّه عزّ وجلّ ﴿فإذا قرأْت القرآن فاستعذ باللَّه من الشيطان الرجيم﴾، المعنى إذا أَردت أَن تقرأْ القرآن فاستعذ باللَّه من الشيطان الرجيم.

وقوله: ﴿وأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾.

القراءَة بالنصب، وقد قرِئت بالخفض، وكلا الوجهين جائز في العربية فمن قَرَأَ بالنصب فالمعنى: فاغسلوا وُجُوهَكُم وَأَيديَكم إلى المرافق وأَرجُلَكم إلى الكعبين، وامسحوا برؤُوسكم على التّقْديم والتّأْخير والواو جائز فيها ذلك كما قال جلّ وعزّ: ﴿يَا مريَمُ آقنُتِي لِرَبِّكِ وآسجُدِي وآركَعِي مَعَ

(١) وكان مألوفاً أن يصادق الرجل المرأة، ويعاشرها معاشرة زوجية متكررة ـ فالمعنى أن كل ذلك سفاح سواء كان صداقة وعشرة أو كان لقاء عارضاً.

(٢) جملة لا فائدة فيها، وهو يريد ـ فيما يبدو ـ كل عمل تقرب به إلى اللَّه سواء من طريق النكاح الحلال أو غيره، يحبط إذا أحلَّ ما حرّم اللَّه.

الـرَّاكِعِينَ﴾[١] ، والمعنى وآركعي واسجـدي لأن الـركوع قبـل السجـود، ومن قرأ: وَأَرجُلِكم ـ بالجر عطف على الرؤوس . وقال بعضهم نزل جبريل بالمسح، والسنـة في الغَسل[٢]، وقـال بعض أهـل اللغـة هـو جَـرُّ على الجِـوَارِ، فـأما الخفض على الجـوار فـلا يكـون في كلمـات اللّه، ولكن المسـح على هـذا التحـديـد في القـرآن كـالغُسـل لأن قـولـه: ﴿فاغسلوا وُجُـوهَكم وأيـديَكم إلى المَرافِق﴾،فذكر الحدَّ في الغسل لليد إلى المرافق، ولليد من أطراف الأصابع إلى الكفِ، ففـرض علينـا أن نغسـل بعض اليـد من أطـراف الأصـابـع إلى المرفق، فالمرفق منقَطِعٌ ممـا لا يُغْسَل ودخـل فيما يُغْسَـل[٣]، وقد قـال بعض أهل اللغة معناهُ مع المرافق، واليَدُ المرفق داخل فيها، فلو كان اغسلوا أيديَكم مع المرفَق، لم تكن في المرافق فَائِـدةٌ وكانت اليـد كلها يجب أن تغسـل[٤]، ولكنه لما قيل إلى المرافق اقتـطعت في الغسل من حَـدِّ المِرفق، والمِـرفَق في اللغـة ما جـاوز الأبره وهـو المكان الـذي يُـرتَفَقُ بـه، أي يتكـأ عليـه على المرفقة[٥] وغيرها. فالمرافق حَد ما ينتهي إليه في الغسْل منهـا، وليس يحتاج إلى تأويل «مع».

ولما حدَّ في الرِّجْلِ إلى الكعْبين، والرِّجْلُ من أصـل الفخذ إلى القَـدَم عُلمَ أن الغُسْـلَ من أطراف الأصـابع إلى الكعبين، والكعبـان همـا العـظمـان الناتئان في آخر الساق مـع القدم، وكـلُّ مِفْصَل من العـظام فهو كعب، إلا أن

---

(١) سورة آل عمران ٤٣ .

(٢) يريد السنة هي التي بينت الغسل، أما القرآن فجاء بالمسح إذ عطف الأرجـل على الرأس وفي ك : فالسنة الغسل.

(٣) وداخل فيما يغسل. والمعنى فيهما أنه ليس من اليد ولكنه يغسل.

(٤) لأن اليد تطلق على الذراع كله.

(٥) الوسادة ونحوها.

هذين الكعبين ظاهران عن يَمْنَة فوق القدم ويَسْرَتِه، فلذلك لم يحتج إلى أن يقال الكعبان اللذان صِفَتهما كذا وكذا.

فالدَّلِيل على أن الغسل هو الواجب في الرجل، و[الدليل على] أنَّ المَسْحَ على الرجل لا يجوز [هو تحديد] إلى الكعبين[١] كما جاءَ في تحديد اليد إلى المرافق، ولم يجئْ في شيء في المسح[٢] تحديد، قال فامسحوا برؤوسكم بغير تحديد في القرآن وكذلك قوله:

﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾: ويجوز وأرجُلِكم بالجر على معنى واغسلوا، لأن قوله إلى الكعبين قد دل على ذلك كما وصفنا، وينسق بالغسل على المسح كما قال الشاعر:

يا ليت بعلك قد غدا   متقلداً سيفاً ورمحا

المعنى متقلداً سيفاً وحاملاً رمحاً، وكذلك قال الآخر:

علفتها تبناً وماءً بارداً[٣]

المعنى وسقيتها ما بارداً.

وقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا﴾.

يقال للواحد رجل جُنُبٍ، ورجُلان جُنُبٌ، وقوم جُنُب وامرأةٌ جُنبٌ، كما يقال رَجُلٌ رِضًى وقومٌ رضًى وإنما هو على تأويل ذَووا أَجْنُبٍ، لأنه مصدر، والمصدر يقوم مقام ما أُضيف إليه، ومن العرب من يُثَنِّي ويَجْمَعُ ويجعل

(١) ط. تحديد قوله إلى الكعبين.

(٢) ك في شيء.

(٣) تقدم ص ٦: ورواية - حتى شتت همالة عيناها، وفي شواهد الكشاف:
لمّا حططت الرحل عنها وارداً.. علفتها... والرواية الأولى رواية الفراء أي كانت عيناها دامعة زمن الشتاء - ويروى غدت.

المصدر بمنزلة اسم الفاعل، وإذا جمع جنب، قلت في الرِّجال جُنُبون، وفي النساءِ جُنُبات، وللاثنين جُنُبان.

وقوله: ﴿فَاطَّهَّرُوا﴾.

معناه فتطهروا، إلَّا أن التاءَ تدغم في الطاءِ لأنهما من مكان واحد، وهما مع الدال من طرف اللسان، وأُصول الثنايا العليا، فإذا أُدغمت التاءُ في الطاءِ. سقط أول الكلمة فزيد فيها ألف الوصل، فابتدأت فقلت اطهَّروا.

وبيَّن عزّ وجلّ ما طهارة الجنب في سورة النساءِ بالغسل فقال: ﴿وَلَا جُنُباً إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلوا﴾[1].

والغائط ـ كناية عن مكان الحَدَثِ، والغِيطَانُ ما انخفض من الأَرض.

وقوله: عزّ وجلّ: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾.

أَي اقصدوا، وقد بينا الصعيد في سورة النساءِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾.

أَي من ضيق.

﴿وَلكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُم﴾.

واللام دخلت لتبيِّنَ الإرادة. المعنى إرادته ليطهركم، قال الشاعر:

أُرِيدُ لأَنْسى ذكرها فكأَنما تَمثَّلُ لي لَيلَى بكُلِّ سَبِيلِ[2]

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَوَّامِينَ للَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾.

أَي بالعدل.

---

(١) الآية ٤٣.

(٢) ينسب لقيس بن الملوح، ولكثير، ولجرير، ويروى بفتح اللام وهي لغة عكل. وبالكسر على اللغة المشهورة. أي أريد نسيانها. أنظر شواهد الكشاف، وفي اللسان (ورد) أنه لكثير. وانظر شواهد المغني ١٩٩.

﴿شُهَدَاءَ﴾.

أي مُبَينين عن دين اللَّه لأن الشاهد يبيِّن ما شهد عليه.

وقوله:﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾.

فشنـآن قوم معنـاه بُغْضِ قوم [أي] لا يحملنكم بغضكم المشركين على تـرك العدل. ومن قـال شنْآن قـوم، فمعناه بُغْضُ قـوم، ويقال: أجـرَمَني كـذا وكذا، وجَرَمَنِي، وجرَّمني، وأجرَمتُ بمعنى واحد، وقد قيـل لا يَجرِمنَّكُم: لا يُدخِلَنَّكُم في الجُرم كما تقول آثمته أي أدخلته في الإثم.

وقوله عزّ وجلّ:﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾.

هـذا تمام الكـلام، يقال وعـدت الرجـل تريـد وعدتـه خيراً، وأوعَـدتُ الرَّجُلَ تريد أوعَدتُه شرًّا، وَإِذَا ذكرت الموعود قُلْتَ فيهما جميعاً واعَـدتّه. وإذَا لم تذكر الموعود قلت في الخيـر وعدتـه وفي الشر أوعـدتُه. فقـال عزّ وجـلّ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَـاتِ﴾، فدل على الخيـر[1]، ثم بين ذلك الخير فقال:

﴿لَهُم مَغْفِرَةٌ﴾: أي تغْطِيةٌ على ذنوبهم.

﴿وأَجرٌ عَظِيمٌ﴾: جزاء على إيمانهم.

وقـوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيكُمْ إِذْ هَمَّ قَـوْمٌ أَنْ يَبسُـطُوا إِلَيْكُم أَيْـدِيَهُم فَكَفَّ أَيدِيَهُمْ عَنْكُم ﴾.

يُرْوى في التفسير أَن بني قُرَيظة و[بني] النَّضِير كانـوا عاهـدوا النبي ﷺ على تَـركِ القِتَـال وعلى أَنْ يُعينهم في دِيَـاتِهم ويُعينُـوه في ديـات المسلمين، فـأُصِيبَ رَجُلان من المسلمين فقـال النبي ﷺ لهم في ديـاتهمـا[2]، فَـوَعَـدُوه

---

(١) الاستدلال غير جيد، لأن آمنوا وعملوا الصالحات تؤذن بالخير وأنه خير.

(٢) سألهم المساعدة فيها حسبما أنفقوا.

لِوَقْتٍ يصيرُ[1] إليهم فيه، فصار النبي هو وأبو بكر وعمرُ وعليُ، فلما صاروا إليهم هموا بالغدرِ وأن يَقْتُلوا النبي ﷺ ومن معه، فأوحى اللَّه إليه وأعلمه ما عزموا عليه، فخرجوا من المكان الذي كانوا فيه، فأعلمهم اليهود أنَّ قُدُورَهُم تغلي[2]، فأعلمهم ﷺ أنَّه قد نزل عليه الوحي بما عزموا عليه، وهذه من الآيات التي تدل على نبوته. وقيل إن هذا مردود على قوله: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكم﴾[3] أي قد أُعطِيتُم الظَّفر عليهم، فقال: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾.

وكلا الوجهين ـ واللَّه أعلم ـ جائز، لأن اللَّه جلّ ثناؤه قد أظهر الإسلام على سائر الأديان.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

أي أخذ اللَّه منهم الميثاق على توحيده والإيمان برسله.

﴿وَبَعَثْنَامِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً﴾.

النقيب في اللغة كالأمير، والكفيل، ونحن نُبَيِّنُ حقيقَتَه واشتقاقه إن شاءَ اللَّه.

يقال: نَقَبَ الرجل على القوم يَنْقُبُ إذا صار نَقيباً عليهم، وما كان الرجل نقيباً[4]، ولقد نقُبَ، وصناعته النقابة وكذلك عَرَفَ عَلَيْهم إذَا صار عريفاً،

(١) ينتهي إليهم، أي يقابلهم في حلتهم. وفي ك يسير ـ بالسين ـ أي يمشي إليهم لأخذ المال منهم.

(٢) أي إنهم يعدون له الطعام ويطبخونه.

(٣) سورة المائدة من الآية: ٣.

(٤) لم يكن من قبل ولكنه أصبح كذلك.

ولقد عَرفَ، ويقال لأول ما يبدو من الجرب النُّقْبة، ويُجْمَعُ: النُّقُب، قال الشاعر(١):

متبذ لا تبدو محاسنه　　　يَضَعُ الهِناءَ مواضع النُّقْب

والنُّقْبَة وجمعُها نُقُب سراويل تلبسه المرأة بلا رجلين، ويقال فلانة حسنة النُّقْبة والنِّقَابِ، ويقال في فلان مناقب جميلة، وهو حسن النَّقِيبَة، أي حسن الخليقة، ويقال كَلْبٌ نقِيبٌ، وهو أَنْ تُنْقَبَ حَنْجَرَةُ الكلْب لئلا يرتفع صوته في نُباحِه، وإنما يفعل ذلك البخلاءُ من العرب لئلا يطرقهم ضيف بسماع نُبَاح الكلاب.

وهذا الباب كله يجمعه التأْثير الذي له عمق ودخول، فمن ذلك نقبتُ الحائط، أي بلغت في الثقب آخره، ومن ذلك النقبة من الجَرَبِ لأَنه داءٌ شديد الدخول، والدليل على ذلك أَنَّ البعيرَ يُطْلَى بالهَنَاءِ فيوجد طعم القطران

---

(١) هو دريد بن الصمة ـ من جشم بن بكر، واسمه معاوية بن الحرث؛ ذكره الجمحي على رأس الشعراء الفرسان، قتل ـ على شركه ـ يوم حنين في غير معركة،قتله ابن الدغنة في قصص معروف. وكان قد رأى الخنساء تهنأ بعيراً، أي تطليه بالقطران، وقد خلعت ثيابها عدا بذلة العمل التي كشفت عن أجزاء من جسمها ـ وقيل خلعت ثيابها لتغتسل فرآها دريد خفية.

أنظر الأغاني ١٠ ـ ٢٢، وشواهد المغني ٣٢٣.

وذكر القالي في أماليه هذه القصة، وأول القصيدة.

حيوا تماضر واربعوا صحبي　　　وقفوا فإن وقوفكم حسبي

ما إن رأيت ولا سمعت به　　　كاليوم طالي أينق جرب

وقد رفضت الخنساء خطبته قائلة:

معاذ اللّه ينكحني حبركي　　　قصيد للظهر من جشم بن بكر

والخنساء هي السيدة تماضر الصحابية الجليلة ـ كان رسول اللّه ﷺ، يستنشدها ويقول: هيه يا خناس ـ واستشهد أولادها الأربعة يوم القادسية. فحمدت اللّه وسألته أن يلحقها بهم في جنته، رضي اللّه عنها.

انظر الإصابة ج ٨. ت ٣٥٥.

في لحمه . ، والنُّقْبَةُ هذه السراويل التي لا رِجَلَين لها، قد بُولغ في فتحها ونَقْبِها، وَنِقاب المرأةِ وهو ما ظهر من تَلَثُّمِها من العينين والمَحَاجر، والنَّقَبُ والنُّقْب الطريق في الجبل، وإنما قيل نقيب لأنه يعلم دخيلة أمر القوم ويعرف مناقبهم، وهو الطريق إلى معرفة أُمورهم[1] .

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُم﴾ .

قال أبو عبيدة: ﴿عَزَّرْتُموهم﴾ عظمتموهم. قال غيره: عزرتموهم: نَصَرْتموهم. وهذا هو الحق ـ واللَّه أعلم ـ وذلك أن العَزْر في اللغة الرّدّ، وتأويل عزَّرْت فلاناً ـ أي أَدَّبْتُه ـ فعلت به ما يَرْدَعُه عن القبيح كما أَنَّ نَكَّلتُ به، فعلت به ما يجب أن ينكل معه عن المعاوَدَةِ، فتأْويل عزرتموهم نصرتوهم بأن تردوا عنهم أعداءَهم. وقال اللَّه عزّ وجلّ ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾[2] فلو كان التعزير هو التوقير لكان الأَجود في اللغة الاستعانة والنصرة إذا وجبت، فالتعظيم داخل فيها، لأن نصرة الأَنبياءِ هي المدافعة عنهم والذَّبُّ عن دَمِهِم وتعظيمهم وتوقيرهم[3] .

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ .

أي فقد ضل قصد السبيل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُمْ﴾ .

«ما» لغوٌ، المعنى: فبنقضهم ميثاقهم، ومعنى «ما» الملغاة في العمل توكيد القِصَّةِ.

﴿لَعَنَّاهُمْ﴾: أي باعَدْنَاهم من الرّحمةِ، وجعلنا قلوبهم قاسية أي يابسةً،

---

(١) أي هو كالثقبة التي ينفذ منها إليهم.

(٢) سورة الفتح من الآية: ٩.

(٣) لأن التوقير يكون مكرراً إذا كان بمعنى التعذير، وإنما المراد تنصروه وتجلوه.

يقال للرجل الرَّحيم: لَيِّنُ القلب، وللرجل غير الرحيم: قاسي القلب ويابس القلب، والقاسي في اللغة، والقاسِح ـ بالحاءِ ـ: الشديد الصلابة.

وقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾.

الكلم جمع كلمة، وتأْويل يحرفون؛ يُغيِّرونه على غير ما أُنزل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾.

معنى نسوا: ﴿تركوا نصيباً مما ذكروا به﴾.

وقوله: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾.

خائنة في معنى خيانة، المعنى: لا تزال تطلع على خيانة منهم، وفاعلة في أَسماءِ المصادر كثيرة، نحو عافاه اللَّه عافية، وقوله: ﴿فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾[1]، وقد يقال رجل خائنة، قال الشاعِر:[2]

حَـدَّثتَ نفسك بالوفاءِ ولم تَكُنْ   لِلغَدرِ، خائنـةً مُغِلَّ الإِصبَعِ

(قال خائنة على المبالغة لأَنه يخاطب رجلاً، يقول: لا تحملن فتغلل

---

(١) سورة الحاقة من الآية: ٥، أي بالطغيان.

(٢) البيت لرجل من السواقط من بني كلاب قدم وأخاله اليمامة في جوار عمير بن سلمى، فقتل قرين أخو عمير أخا الكلابي، فأتى الكلابي قبر سلمى ـ والد عمير وقرين. وأنشد أبياتاً منها:

أقرين إنك لو رأيت فوارسي   بعمايتين إلى جوانب ضلفع

حدثت نفسك بالوفاء.....

وعمايتان جبلان، وضلفع مكان ـ يقول إن شجعان قبيلتهم كثر يملأون هذا الفضاء، يعني لو رأيت هذا العدد الكثير لأوجبت على نفسك الوفاء ولم يجرؤ أخوك على قتل أخي ـ وقوله للغدر، أي من أجل الغدر ـ ومغل يقال أغل فهو مغل، كما يقال غل ـ والغلول ما يختان ويحتجن، يستعمل في غير المال مجازاً ـ وخائنة مصدر ـ وهو يأتي على فاعل قليلاً جداً، مثل عوفي عافية، وقم قائماً، أي قم قياماً.

وانظر الأبيات وتفاصيل القصص في الكامل ١ ـ ٢١١ ـ ٢١٢ ـ (ط ـ التجارية) وانظر القرطبي ـ ١ ـ ٢٥٠، والطبري ٦ ـ ٩٠، واللسان (صبغ. خور). وشواهد الكشاف.

اصبعك في المتاع فتدخلها للخيانة، (ومُغِل يَدَك مِنْ خَائِنَةٍ)[١] ويجوز أن يكون - واللَّه أعلم - على خائنة أن على فِرْقَةٍ خائنة.

وقوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾.

مَنصُوبٌ بالاستثناءِ.

وقوله: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ يُعنَى به النصارى، ويَعْنِي قولُه: أَغْرَيْنَا أَلْصَقْنَا بهم ذلك، يقال: غريتُ بالرجل غَرىً -مَقْصُورٌ- إِذَا لصِقتَ بِه، وهذا قول الأَصمعي وقال غيرُ الأَصْمَعِي: غَرِيتُ به غَرَاءً، وهو الغِرَاءُ الذي يُغَرَّى إنما تلصق به الأَشياءُ، وتأْويل أُغْرَينا بينهم العداوة والبغضاءَ أَنَّهُمْ صَارُوا فِرَقاً يُكفِّر بعضُهم بَعضاً، مِنهُم النِّسْطُورِيَّةُ، واليَعْقُوبِيَّةُ والمَلْكَانِيَّةَ، وهم الرُّوم، فكل فرقة مِنهم تعادي الأُخرى.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾.

النور [هو] محمدٌ ﷺ والهدى أو النور هو الذي يبين الأَشياءَ، ويُرى الأَبْصَارَ حقيقتَها[٢]، فمثل ما أُوتي به النبي ﷺ في القلوب في بيانه وكشفه الظُّلمات كمثل النور.

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾.

ورُضوانه - بالكسر والضم.

﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾.

جميع سبيل، والسُّبُل: الطُّرُق، فجائز أن يكون - واللَّه أعلم - طرق السلام [أي] طرق السَّلَامَةِ التي من ملكها سلم في دينه، وجائز أن يكون - واللَّه أعلم - سبل السلام، طرق اللَّه، والسلام اسم من أسماءِ اللَّه.

---

(١) ليست في ك.

(٢) يمكن الأعين من رؤيتها على حقيقتها.

وقوله :﴿عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾.

[أي] على انقطاع، لأن النبي ﷺ بُعث بعد انقطاع الرسل لأن الرسل كانت إلى وقت رفع عيسى تَتْرى، أي متواترة، يجيءُ بعضها في أثر بعض.

وقوله جلّ وعزّ:﴿أن تَقولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ﴾.

قال بعضهم معناه أنْ لاَ تقولوا ما جاءَنا من بشير، أي بعث اللّه النبي ﷺ لئلا تقولوا ما جاءَنا من بشير، ومثله قوله عزّ وجلّ: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾(١) معناه أن لا تضلوا، وقال بعضهم: أن تقولوا: معناه كَراهَةَ أَنْ تَقُولوا، وحذفت كراهة، كما قال جلّ وعزّ:﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾، معناه: سَلْ أَهْلَ القَرْيَةِ، وقد استقْصَيْنا شرح هذا في آخر سورة النساءِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً﴾.

مثل جعلكم تملكُون أمركم(٢) لا يَغْلبكم عليه غالب. وقال بعضهم: جعلكم ذَوي مَنازِل لا يُدْخَل عليكم فيها إلاَّ بإِذْن، والمعنى راجع إلى ملك الأمر.

وقوله: ﴿وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

وهو أن اللّه ـ جلّ وعزّ ـ أنْزَلَ علَيْهِم المَنَّ والسَّلْوَى، وظَلَّلَ عَلَيْهم الغمام.

وقوله: ﴿ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهَ لَكُمْ ﴾.

المقدسة: المطهَّرة، وقيل في التفسير إنها دمشق، وفلسطين، وبعض

---

(١) النساء ـ ١٧٦.

(٢) ليس معنى جعلكم ملوكاً أن كل واحد كان ملكاً، إنما معناه: جعلكم في هذه الحالة. أي منكم ملوككم ولستم تحت حكم غيركم.

الأُردن وبيت المَقْدِسِ، وإنما سمي بالمَقْدِس لأن المَقْدِس:(١) المكان الذي يتطهر فيه. فتأْويله البيت الذي يُطَهِّرُ الإنسان من العيوب، ومن هذا قيل:

القدس، أَي الذي يتطهّر منه، كما قيل: مَطْهَرة لما يُتَوضأُ مِنْه، إنما هي مَفْعَلَةٌ من الطهر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ﴾.

تأْويل الجبار من الآدميين: العاتي الذي يَجْبرُ النَّاسَ عَلَى مَا يُرِيدُ، واللَّه -عزّوجلّ- الجبار العَزِيزُ، وهو الممتنع من أَن يُزَلّ، واللَّه عزّ وجلّ يأْمر بما أَراد، لا رَادَّ لأَمْرِه، ولا مُعَقِّبَ لحُكْمِه.

وإنَّمَا وَصَفوهم بالقُدرَةِ والتَّكَبُّر، والمَنَعةِ.

و﴿قوماً﴾ منصوب بإنَّ، و ﴿جبارين﴾ من صفتهم، والخَبرُ قوله: ﴿فيها﴾.

وقوله: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾.

أَي أَنْعَمَ اللَّهُ عليهما بالإيمان.

﴿ادْخُلُوا عَلَيهِم البَابَ﴾.

فكأَنَّهما عِلِمَا أَن ذَلِك البابَ إذا دُخِلَ منه وقع الغَلبُ.

وقوله: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُوا فِيهَا﴾.

أَي لسْنَا نقْبل مَشُورَةً في دُخُولها، ولا أَمْراً، وفيها هؤُلاءِ الجبارون، فأَعلم اللَّهجلّ ثناؤه أَن أَهل الكتاب هؤلاءِ غير قابلين من الأَنبياءِ قَبْلَ النبي ﷺ(٢)، وأَن الخلافَ شأْنُهم.

وفي هذا الإعلام دليل على تصحيح نبوة النبي ﷺ لأَنه أَعلمهم ما لا

(١) أي هو اسم مكان من قدس، ويسمى أيضاً المقدس: اسم مكان من الرباعي.

(٢) أي من طبيعتهم أن لا يقبلوا رسالة الأنبياء ولا يستجيبون لهم.

يُعْلَمُ إلا من قراءَة كتاب أو إِخْبارٍ، أو وَحْي، والنبي ﷺ منشؤه معروف بـالخُلوِّ من ذكـر أَقاصيص بني إسـرائيل[1]، وبحيث لا يقـرأُ كتبَهُمْ، فلم يبق في علم ذلك إلا الوحي.

وقوله: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا﴾.

كلام العرب: اذهب أَنت وزيد، والنحويُّون يستقبحون اذهب وزيد[2]، لأنه لا يعطف بـالاسم الظاهـر على المضمر، والمضمـر في النية[3] لا عـلامة له، فكان الاسم يصير معطوفاً على ما هو متصل بالفعل غير مفارق له.

فأَما قوله: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾[4] فمن رفع فإنما يجـوز ذلك لأَن المفعول يقوي الكلام، وكذلك ضربْتُ زيـداً وعمرٌو. كمـا يقوي الكـلام دُخولُ لا، قال اللَّه جلّ ثناؤه: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهَ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾[5].

وقوله:﴿قَالَ ربِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وأَخِي﴾.

أَخي في موضع رفع، وجائز أَن يكون في موضع نصبٍ.

المعنى: قـال ربي إني لا أَملك إلا نفسي، وأَخي أَيضـاً لا يـملك إلا نفسه، ورفعه من جهتين إحـداهما: أَنْ يكـون نَسَقاً على مـوضع إنِّي. المعنى أَنا لا أَملك إلا نفسي وأَخي كذلك، ومثله قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْـرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[6] وجائز أَن يكـون عطفاً على «ما» في[7] قـوله أَملك فـالمعنى أَنا لا

---

(١) معروف بأنه لم يقرأ هذه الأقاصيص ولم يعلمها. ونشأته خالية من التعليم.

(٢) هو ممنوع، وليس قبيحاً فقط.

(٣) أي هو ضمير مستتر.

(٤) سورة يونس من الآية: ٧١.

(٥) سورة الأنعام ١٤٨، والمعروف نحوياً أنه يجوز العطف إن وجد فاصل ما، وقـد ورد بلا فـاصل وهو ضعيف جداً.

(٦) سورة التوبة من الآية: ٣.

(٧) أي على الضمير المستتر.

أملك أنا وأخي إلاَّ أنفسنا، وجائز أن يكـون أخي في موضـع نصب من جهتين إحداهما: أن يكون نسقاً على الياء [في إني]. المعنى إني وأخي لا نملك إلا أنفسنـا، وأني لا أملك إلا نفسي، وأن أخي لا يملك إلا نفسـه، وجـائـز أن يكـون معطوفـاً على نفسي، فيكـون المعنى لا أملك إلاَّ نفسي، ولا أملك إلا أخي، لأن أخاه إذا كان مطيعاً له فهو ملك طاعته.

وقوله: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾.

لا يصرف ﴿أنبياءِ﴾ لأنه مبني على ألف التـأنيث، وهـو غيـر مصـروف في المعرفة والنكرة لأن فيه علامة التأنيث، وهي مع أنهـا علامـة التأنيث مبنيـة مع الاسم على غير خروج التأنيث عن التذكير نحو قائم، وقائمة.

وقوله: ﴿فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِم أَرْبَعينَ سَنةً يَتِيهونَ في الأَرْضِ﴾.

يعني أن الأرض المقـدسة مُحـرَّمٌ عليهم دخولُهـا أي هم ممنـوعـون من ذلك، قال بعض النحويين: أَرْبَعينَ سَنَةً يجوز أن تكون منصوبة بقوله مُحرَّمَةٌ، ويجوز أن يكون منصوباً بقوله يَتيهُون، أما نصبـه بمَحَرَّمَـة فخطأ، لأن التفسيـر جاءَ بأنها محرمة عليهم أبداً[1]. فنصب[2] أربعين سنـة بقولهم يتيهـون. وقيل عذَّبهم اللَّه بأن مكثوا في التيه أربعين سنة سَيَّارَةً[3] لا يُقِرُّهُمْ قَرارٌ إلى أن مات البـالغون الـذين عصوا اللَّه ونشـأ الصغار ووُلِـدَ مَنْ لم يدخـل في جملتهم في المعصية، وقيل إن مـوسى وهـرون كانـا معهم في التِّيهِ. قـال بعضُهم لم يكن موسى وهرون في التِّيه لأن التِّيه عذاب، والأنبياءُ لا يعذبون. وجائز أن يكـون

---

(١) هم دخلوها فعلاً بعد أربعين سنة، ولكن كان قد نشأ جيل جديد غيـر الذين خـرجوا مـع موسى من مصر.

(٢) في الأصل ونصب الكبار.

(٣) متجولين لا يستقرون ولا يهتدون للطريق.

كانَا في التِّيه وأَن اللَّه جلّ اسمه سَهّل عليْهما ذلك كما سهَّل على إبراهيم النار فجعلها عليه بَرداً وَسَلاماً وشأْنها الإِحراق.

وقوله: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الفَاسِقِينَ﴾.

جائز أَن يكون هذا خطاباً لموسى، وجائـز أَن يكون خـطاباً لمحمـد ﷺ أي لا تحزن على قوم لم يزل شأْنهم المعاصي ومخالفة الرسل.

وقوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيهِمْ نَبأُ ابْنَى آدَمَ بالحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبانَاً﴾.

قيلَ كانـا رجلين من بني إسرائيـل لأَن القُرْبـانَ كان تـأْكله النار في زمن بني إسرائيل، ومثـل ذلك قـوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نـؤْمِنَ لرَسُـولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَـا بقرْبـانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾[1] وقيـل ابنا آدم لصلبـه، أَحدهمـا هابيـل والآخـر قابيل، فقربا قرباناً.

﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا. [ولم يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ]﴾.

وكان الرجل إذا قرَّب قُرباناً سجد وتَنْزِل النار فتأْكل قربانه، فذلك علامة قبـول القُرْبـان، فنزلت النـار وأَكلت قربـان هابيـل، ولم تأْكـل قربـان قَابيـل، فحسده قابيل وتوعده بالقتل فقال:

﴿لأَقْتُلَنَّكَ، قَالَ إِنَّما يَتَقبَّلُ اللَّه مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

المعنى قـال الذي لم يُتَقبَّـلْ منه لأَقتلنك، وحذف ذكر الـذي لم يتقبـل منـه، لأَن في الكلام دليـلاً عليـه، ومثـل ذلـك في الكـلام إذا رأَيت الحـاكم والمظلوم كنت معه، المعنى كنت مع المظلوم، ويقال إن السيف كان ممنـوعاً في ذلك الوقت كما كان حين كـان النبي ﷺ بمكة وكمـا كان ممنـوعاً في زمن عيسى، فقال:

﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ﴾.

---

(١) سورة آل عمران ١٨٣.

[أي] ما أنا بمجازيك ولا مُقَاتلُك، ولا قاتِلُك: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ العَالَمِينَ﴾.

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وإِثْمِكَ﴾.

أي أن ترجع إلى اللَّه بإثمي وإثمك.

﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾.

معنى بإثمي: بإثم قتلي وإثمك الذي من أجله لم يُتَقَبَّلْ قربانك[١] أي إن قتلتني فأنا مريدُ ذلك. وَذَلِكَ جزاءَ الظَّالِمِينَ.

﴿فَطَوَّعَتْ لَه نَفْسُه﴾.

تَابَعَتْهُ. وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: فَطَوَّعَتْ لـه نفسه فَعَّلَتْ من الطَّوْع. والعرب تقول: طاع لهذه الظبية أُصول هذه الشجرة[٢]، وطاع له كذا وكذا، أي أتاه طوعاً.

وقوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾.

أي مِمَّن خَسِر حَسَناتِه. وكان حين قتله سلَبه ثيابَه وتركه عَارِياً بالأرض القفار.

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ﴾.

قال بعضهم بعث اللَّه غراباً يبحث على غراب آخر مَيِّت

﴿لِيُرِيَهُ كيفَ يُوارِي سَوأَةَ أَخِيهِ﴾.

وقيل بل أكرمه اللَّه بأن بعث غراباً حثا عليه التراب، لِيُرِيَه كيف يواري.

﴿قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مثلَ هَذَا الغُرَابِ﴾.

يقال عَجَزْت عن الأمر أَعْجِزُ عَجْزاً ومعْجَزَةً ومَعْجِزَةً، فأما «يا ويْلَتَا»

(١) لم يتقبل قربان الثاني منهما لأنه كان آثماً ـ وهو يريد الآن ليقتله. فسيكونان آثمين.

(٢) استجابت لها ولانت حين جذبتها لتأكل ورقها.

فالوقف عليها في غير القرآن يا ويلتاه، والنداءُ لغير الآدميين نحو ﴿يا حسرتا على العباد﴾[١] و ﴿يا ويلتا أأَلِدُ وأنا عَجُوزٌ﴾[٢]، وقال يا ويلتا أعجَزْتُ. فإنما وقع في كلام العرب على تنبيه المخاطبين، وأن الوقت الذي تدعى له هذه الأشياءَ هو وقتها، فالمعنى يا ويلتا تَعَالَيْ، فإنه من إبَّانِك[٣]، فإنه قد لزمني الويل، وكذلك يا عجباً، المعنى يا أيُّها العجب هذا وقتك فعلى هذا كلام العرب.

وقوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾.

الأجود أن يكون ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتْبنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

يقال أَجَلْتُ الشيء أأْجِلَهُ أَجَلاً إِذَا جنيتُهُ قالَ خَوَّاتُ بن جبير[٤]:

وأهل خَيَاءٍ صالحٍ ذَاتُ بينهِم قد احْترَبُوا في عاجلٍ أنا أاجِلهُ

أي أنا جَانِيه. وتأويل الويل في اللغة قال سيبويه، الويل كلمة تقال عند الهلكة، وقيل الوَيْلُ واد في جهنم، وهذا غير خارج من مذاهب أهل اللغة، لأن من وقع في ذلك فقد وقع في هلكة:

وقوله: ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ﴾.

«فساد» معطوف على «نفس»، المعنى بغير فسادٍ، فكأنما قتل الناس جميعاً،

---

(١) سورة يس آية ٣٠ ـ وقراءة عاصم يا حسرة:

(٢) سورة هود ٧٢.

(٣) أي الوقت الذي من شدة الحزن فيه يدعو الإنسان بالويل.

(٤) آجله ـ فعل مضارع بمعنى أجنيه، أي هم أقاموا حرباً في أمر عاجل أنا أتجنبه، وبعده.

فأقبلت في الساعين أسأل عنهم سؤالك بالشيء الذي أنت جاهله

وهو من شعر الخنوت ـ وهو توبة بن مضرس. والخنوت المستصغر وله ترجمة في المؤتلف والمختلف والإصابة ١ ـ رقم ٤٢٠ وانظر الكامل في التاريخ ٤ ـ ٢٣١. وانظر البيت في شواهد الكشاف واللسان (أجل) والطبري ٦ ـ ١١٦، ومجاز أبي عبيدة ١ ـ ١٦٣.

أما خوات بن جبير فأنصاري ـ قيل حضر بدراً. وقيل رجع لحجر أصاب رجله، وضرب له بسهم. وشهد المشاهد بعد ذلك، وكان حسن الصوت والغناء ـ طلبه عمر ليغني في حجة له =

أي المؤْمنون كلهم خُصَماءُ القاتِلِ ، وقد وَتَرهم وِتْرَ مَن قَصَد لِقَتلهم جميعاً[1] .

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ .

أي من استنقذها من غَرقٍ أو حَرقٍ أو هَـدْمٍ ، أو ما يُميت لا محـالة، أو استنقذّها من ضلالةٍ.

﴿فَكَأَنَّما أَحْيَا الناسَ جميعاً﴾ .

أي أجـره على اللَّه أجـرُ من أَحيـاهم أجمعين. وجـائـز أن يكـونــه في إسدائه[2] إليهم المعـروفَ بإحيـائه أخـاهم المؤْمِنَ بمنزلـة من أحيا كـلَّ واحد منهم، فإن قال قائل، كيف يكون ثوابه ثوابَ من أحياهم جميعاً، فالجواب في هـذا كالجـواب في قولـه [تعالـى] ﴿مَنْ جَـاءَ بالحَسَنَـة فَلَهُ عَشْـرُ أَمْثَـالِهَـا﴾[3] فالتأْويل أَن الثواب الذي إذا جعل للحسنة كان غاية مَا يُتَمَنَّى يُعطَى العاملُ لها عشرةَ أَمثَالِه.

وقـوله: ﴿إِنَّمَـا جَزَاءُ الـذَينَ يُحَارِبُـونَ اللَّهَ وَرَسُولَـه ويَسْعَـوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا﴾.

مـوضـع «أَنْ» رفـع المعنى: إنمـا جـزاؤهم القتـل أَو الصلب أَو القـطع للأَيدي والأَرجل من خلاف، لأَن القائل إذا قال: إنما جزاؤك دينار، فـالمعنى ما جزاؤُك إلا دينار.

وقـولُ العلمـاءِ أنَّ هـذه الآيـة نـزلت في الكفـار خـاصـة[4]. وروي في التفسيـر أَنَّ أَبا بَـرْزَة الأَسْلَمِي كان عـاهد النبي ﷺ ألا يعـرض لما يُـريدُ النبي

فغنى حتى أسحر القوم،وهو صاحب ذات النحيين في جاهليته. له ترجمة مطولة في الاصابة رقم ٢٢٩٨ ـ وينسب له هذا الشعر أيضاً.

(١) اعتدى عليهم جميعاً. (٢) ط ابتدائه. (٣) سورة الأنعام ـ ١٦٠.

(٤) أي الذي قاله العلماء هو أنها في الكفار خاصة. فكلمة «أن هذه الآية» خبر «قول».

بسوءٍ[١]، وألا يمنع من ذلك، وأن النبي لا يمنع من يـريد أبـا بَرْزَةَ، فمـرَّ قوم يريدون النبي بأبي بَرْزَةَ، فَعرَضَ أصحابُه لهم فقتلوا وأخذوا المـال فأنـزل اللَّه تعالى على نبيه وأتاه جبريـل فأعلمـه أنّ اللَّه يأمـره أن من أدركه منهم قـدْ قَتَلَ وأَخذَ المالَ قَتَلَه وصَلَبه، ومن قَتَل ولم يأْخذ المـال قَتَله، ومن أَخذ المـال ولم يقتـل قَطَع يـدَهُ لأَخذه المـال وقطَع رجْلَهُ لإخـافـة السبيـل. . وقـال بعضهم: المسلمون مخيَّرون في أَمـر المشركين، إن شـاءُوا قتلوهم وصلبوهـم أَوْ قـطعوا أَيْـديَهم وأَرجلَهم من خـلاف، ومعنى: ﴿يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ﴾ فيـه قـولان، قـال بعضهم من قتله فَـدَمُهُ هَـدَرٌ أي لا يـطالب قـاتله بـدمـه. وقيل: ﴿أو يُنْفَـوْا من الأَرْض﴾[ان] يُقَاتَلُوا حَيْثُ تَوجَّهوا منها، لا يتـركُوا فـارِين. يقال نفيت الشيءَ أنْفِيه نَفْياً ونِفَايَةً والنُّفَايَةُ ما يطرح ويُنْفَى، القليل[٢]. مثل البُراية والنُّحَّاتَة.

وقوله: ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾.

يقال خَزِيَ الرجل يَخْـزَى خِزْيـاً إذا افتُضحَ وتَحيَّـر فضِيحةً، وقـد خَزَى يَخْزِي خِزَاية، إذَا استَحا كأَنه يتحيّرُ أَن يَفْعَلَ قبيحاً.

وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾.

جائز أن يكون موضع الذين رفعـاً بالابتـداءِ، وخبره ﴿فَاعْلَموا[٣] أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

المعنى غفور رحيم لهم، المعنى: لكن التائبون من قبل القدرة عليهم، فاللَّه غفور رحيم لهم،. وجائز أَن يكون ﴿إلَّا الَّذين تَـابُوا مِنْ قَبـلِ أَنْ تقْدِرُوا

(١) عاهد النبي على ألا يعتدي على المسلمين ولا يمنع مسلماً من الذهاب إلى رسول اللَّه ﷺ.
(٢) كلمة القليل مستأنفة. تفسير لما يطرح وينفي.
(٣) هذا غير سائغ أصلاً، لأن الاستثناء تام موجب، ووجهة نظر المؤلف أن الجملة كلهـا في محل نصب، وهي مكونة من مبتدأ وخبر ـ وهذا غير جيد.

عَلَيْهِمْ﴾ موضعُ «الذين» نصب، فيكون المعنى جزاؤُهم الذي وَصفَنا إلاّ التّائِبين، ثم قال بعد: ﴿أَنَّ اللَّه غفُورٌ رحيم﴾ واللَّه جلّ وعزّ، جعل التوبةَ لك، فادْرَأُوا عنهم الحدود التي وجبت عليهم في كُفرهم ليكون ذلك أَدعى إلى الدخول في الإسلام، وجَعَل توبة المؤْمنين من الزنا والقتل والسَّرَقِ لا ترفع عنهم إقامة الحدود عليهم، وتدفع عنهم العذاب في الآخرة، لأَن في إقامة الحدود الصلاح للمؤمنين، والحياةَ، قال اللَّه جلّ ثناؤه: ﴿وَلَكُم في القِصَاصِ حَيَاةٌ يا أُولِي الأَلْبَابِ﴾[1].

وقوله: ﴿وابْتَغُوا إِلَيْهِ الوسِيلَةَ﴾.

معناه أُطلبوا إليهِ القُرْبَةَ.

﴿وجَاهِدُوا في سَبِيله لعلَّكمْ تُفْلِحُونَ﴾.

أي لعلكم تظفرون بعَدُوِّكم، والمُفْلح الفائزُ بما فيه غايةُ صلاح حاله.

وقوله: ﴿والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فاقطعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾.

اختلف النحويون في تفسير الرفع فيهما. قال سيبويه وكثير من البصريين إن هذا وقوله: ﴿الزَّانِيةُ والزَّانِي فاجْلِدُوا كُلَّ واحد منهما مائة جلدة﴾[2]، وقوله: ﴿واللَّذانِ يَأْتِيانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا﴾[3]. هذه الأشياءَ مرفوعة على معنى: وفيما فَرض اللَّه عليكم السارقُ والسارقة، والزانِيَةُ والزَّانِي، أو السارق والسارقة فيما فرض اللَّه عليكم. ومعنى قولِهِمْ هذا: فيما فرض عليكم حكم السارق والسارقة، وقال سيبويه: الاختيار في هذا النصبُ في العربيَّة، كما تقول زيداً أضربْهُ، وقال أبتِ[4] العامَّةُ القراءَةَ إلاَّ بالرَّفع، يعني بالعامة

---

(١) سورة البقرة ـ ١٧٩.

(٢) سورة النور ـ ٢. وفي الأصل واحدة وهو خطأ.

(٣) سورة النساء ـ ١٦.

(٤) يعني لم يجر عامة القراء على الوجه الذي اختاره.

الجماعةَ. ، وقرأ عيسى ابن عمر: والسّارِقَ والسَّارِقَةَ فاقطعوا أيديهما، وكذلك الزانية والزانيَ، وهذه القِراءَةُ وإن كان القــارئ بها مُقَـدَّماً[١] لا أُحب أن يُقـرأ بها[٢]، لأن الجماعة أولى بالاتباع، إذْ كانتِ القراءَة سنَّةً. (قال أبو إسحاق)[٣] ودلِيلِي أن القـراءَةَ الجيدةَ بـالرفـع في. . والزَّانيَـةُ والـزاني، و[في] والسَّـارِقُ والسَّارِقَةُ قوله جلّ ثناؤه: ﴿واللذان يأْتيانها منكم فآذوهما﴾[٤].

وقال غير سيبويه من البصريين. وهو محمـد بن يزيـد المبرد: أَخْتَـارُ أن يكـون والسارقُ والسـارقةُ رفعـاً بالابتـداءَ، لأن القصد ليس إلى واحـدٍ بعينه، فليس هو مثل قولك زيداً فأضـربه، إنمـا هو كقـولك: من سـرق فاقـطع يده، ومن زنى فـاجْلِدْه، وهذا القـول هـو المختـارُ، وهـو مـذهب بعض البصـريين والكوفيين[٥].

وقيـل «أَيْدِيَهُما» يعْنيَ به أَيْمانهُما[٦]. وفي قـراءَة ابن مسعود والسَّـارقون والسارقاتُ فاقطعوا أَيْمانَهُمْ.

قال بعض النحويين: إنما جعلت تثنية ما في الإنسان منه واحدٌ لأنَّ أكثر أَعضـائه فيـه منه اثنـان فحمل مـا كان فيـه الواحـد على مثل ذلـك. قـال لأن للإنسان عينين فإذا ثنيت قلت عيونهما فجعلت قلوبكما وظهورهما في القرآن، وكـذلك أيـديهما، وهـذا خطأ، إنمـا ينبغي أن يُفصَّـل بين مـا في الشيء منه واحد، وبين ما في الشيء منه اثنان.

---

(١) أي عيسى بن عمر كان عالماً مقدماً على العلماء ويعتبر في نظر بعضهم إمام النحو لأنه صاحب كتاب الجامع وكتاب الإكمال الذي بنى سيبويه كتابه عليه. وفي الأصل فلا أحب.

(٢) ك ـ فلا أحب أن يقرأ ـ بدون كلمة بها ـ ولعلها فلا أحب أن تقرأ.

(٣) ليست في ط. وأبو إسحاق هو الزجاج.

(٤) سورة النساء آية ١٦.

(٥) ويخرج على أن «أل» في السارق والسارقة اسم موصول. والفاء واقعة في خبره ـ كما في قوله تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم...﴾.

(٦) اليد اليمنى فقط.

وقال قوم: إنَّمَا فَعلْنا ذلِك للفصل بين ما في الشيء منه واحد وبين ما في الشيءُ منه اثنان فجعل ما في الشيء منه واحد تثنيته جمعاً نحو قول اللّه عز وجل: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما﴾(١).

قال أبو إسحق: وحقيقة هذا الباب أن كل ما كان في الشيء منه واحد لم يُثنَّ، ولفِظَ به على لفظ الجمع، لأن الإضافة تُبينه، فإذا قُلْتَ أشْبَعت بطونهما علم أن للاثنين بطنين فقط، وأصل التثنية الجمعُ لأنك إذا ثنيت الواحدَ فقد جمعتَ واحداً إلى واحِدٍ، وكان الأصل أن يقال اثْنا رِجال، ولكنْ «رجلان» يدل على جنس الشيء وعدده، فالتثنية يحتاج إليها للاختصار، فإذا لم يكن اختصار رُدّ الشيءُ إلى أصْله، وأصلُهُ الجمع(٢). فإذا قلت قلوبهما فالتثنية في «هما» قد أغنتك عن تثنية قَلْب فصار الاختصار ههنا ترك تثنية قلب، وإن ثني ما كان في الشيء منه واحد فذلك جائز عند النحويين(٣)، قال الشاعر:

ظهراهما مثل ظهور الترسين(٤).

فجاءَ بالتثنيةِ والجمع في بيت واحد. وحكى سيبويه أنه قد يجمع المفرد والذي ليس من شيء إذا أردت به التثنية. وحُكِيَ عن العرب: «وَضَعَا رِحالهما» يريد رَحْلَيْ راحِلتِهما.

---

(١) التحريم ـ ٤.

(٢) جمهور النحويين أن إضافة المثنى إلى المثنى مستثقلة، فلذلك يؤتى بالجمع أو المفرد، والمفرد حينئذ في معنى الجمع.

(٣) في الأصل «وذلك».

(٤) ومهمهين قذفين مرتين. ظهراهما... جبتهما بالنعت لا بالنعتين.

يقول: إنهما فلاتان مستويتان كظهر الترس. جاء في كتاب سيبويه ٣ ـ ٤٨ ـ (ت. هرون). أن الراجز اسمه خطام، وانظر الخزانة ٣ ـ ٣٧٤، وابن يعيش ٤ ـ ١٥٥، العيني ٤ ـ ٨٩ شواهد المغني ٣١٦ ومعاني الفراء ٣ ـ ١٧.

وأجمعت الفقهاءَ أن السارق يقطع حُرًّا كانَ أو عبداً، وأن السارقة تقطع حرَّة كانت أو أمة، وأجمعوا أن القطع من الرسغ، والرسغ المفصل بين الكف والساعد، ويقال رُسْغ ورُصْغ والسنين أجود

﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾.

﴿جزاءً﴾ نصبٌ لأنه مفعول به.

المعنى فاقْطَعوا بجزاءِ فعلهم، وكذلك ﴿نَكالاً من الله﴾، وإنْ شئتَ كانا منصوبين على المصدر الذي دل عليه فاقطعوا، لأن معنى فاقطعوا جازوهم وَنكِّلُوا بهم.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿يَا أَيُّها الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُون فِي الْكُفر﴾: إن شئت قلت يَحْزُنُك ويَحزَنْكَ بالفتح والضم. أي لا يحزنك مُسَارَعَتهُمْ في الكفر إذ كنت موعوداً بالنصر عليهم، واللَّه أعلم.

وقوله: ﴿ مِنَ الَّذِين قَالُوا آمنَّا بأَفْواهِهِمْ وَلَمْ تُؤمِنْ قُلُوبُهُمْ ﴾.

أي لا تحزنك المسارعةُ في الكُفْر منَ المُنَافِقين ومنَ الَّذِين هادُوا، ثمَّ قالَ: ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخرِينَ لَمْ يأْتُوكَ ﴾.

هذا تمام الكلام، ورفع «سمَّاعُون» من جهتين، إحداهما هم سمَّاعون للكذب أي منافقون، واليهود سماعون للكذب، [وسماعون] فيه وجهان - واللَّه أعلم - أحدهما أنَّهم مُسمعُونَ لِلكَذِبِ، أي قَابُلون للكَذب، لأن الإنسان يسمعُ الحقَّ والبَاطِلَ، ولكن يقال: لا تسمع من فلان قوله أي لا تقبل قوله، ومنه «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَه»، أي تَقَبَّلَ اللَّه حمده، فتأويله أنهم يَقْبَلُونَ الكَذِبَ، والوجه الآخر في «سمَّاعُون» أن معناه أنهم يسمعون منك لِيَكذِبُوا عليك، وذلك أنهم إذا جالسوه تهيأَ أن يقولوا سَمِعْنَا مِنْهُ كَذَا، وكَذَا.

﴿ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ ﴾.

أي هم مستمعون منك لقوم آخرين «لَمْ يأْتُوكَ» أي هم عُيُونٌ لأولئك الغيَبِ ويجوز أن يكون رفع «سماعون»[١] على معنى ومن الذين هادوا سماعون فيكون الإخبار أن السَّماعين مِنهم، ويرتفع منهم كما تقول: في قومك عقلاءُ. هذا مذهب الأخفش، وزعم سيبويه أن هذا يرتفع بالابتداء[٢].

وقوله: ﴿ يُحَرِّفُونَ الكلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾: أي من بعد أنْ وضَعه اللَّهُ موضِعَهُ أي فرض فروضَه، وأحلَّ حلاله وحرَّم حرامه.

وقوله: ﴿ إنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وإنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ﴾.

إنْ أُوتِيتُم هذا الحكمَ المحرفَ فخذوه، وإن لم تُؤْتوه فاحذروا، أي احذروا إن أفتاكم النبي ﷺ بغير ما حدَّثْنَا لكم، فاحذروا أن تَعْمَلوا به.

وكان السبب في هذا فيما رُوِيَ أن الزِّنَا كثُر في أشراف اليهودِ وخَيْبر، وكان في التوراة أن على المحصنين الرجم فزنى رجُلٌ وامْرأَةٌ، فطمعت اليهودُ أن يكون نزل على النبي ﷺ الجلد في المحصنين[٣]، وكانوا قد حَرَّفُوا[٤] وَصَارُوا يَجْلِدُون المحصنيْنِ وَيسُودُونَ وجُوهَهُمَا، فأوحى[٥] اللَّه جلّ ثناؤه أنَّهُمْ يستفتونه في أمر هاتين المرأتين، وأَعْلَمَهُ أن اللَّه يأمرهم عن أَعْلَمِهِمْ بالتوراة، فأعلموه أنه ليس بحَاضِرٍ[٦]، فقال النبي ﷺ قَدْ علِمتُ، وكان جبريل قد أعلمه مكانه فأمرهم أن يحضروه، فأحضروه، وأوحى اللَّه إلى نبيِّهِ أن يستحلفهم

---

(١) في الأصل «سماعين» على أنها مضاف إليه، وسماعون على حكاية اللفظ.

(٢) وتكون «من» مبتدأ بمعنى بعض.

(٣) ط الجلد والتحصين، ولا معنى لها.

(٤) حرفوا التوراة وغيروا أحكامها.

(٥) ط فأوحى اللَّه إلى نبيه ﷺ يعلمه أنهم يستفتونه في أمر هاتين المرأتين.

(٦) ط أنه ليس بحاضر، والنسخ الأخرى «أنه حاضر».

ليصْدُقُنّه، فلما حَضَر عالِمُهم قال له النبي: أسألك بالذي أنزل التوراة على موسى، ورفع فوقكم الطور، وفلق لكم البحرَ، هل في التوراة أن يُرجَمَ المحصنان إذا زَنَيا؟ قال: نَعَمْ. فوثب عليه سفلة اليهود، فقال خفتُ إن كذبْته أن ينزل بنا عذابٌ، ويقال إن الذي سأله النبي ﷺ ابنُ صُوريَا اليهودي، وكان حديث السِّن، فقال له النبي ﷺ أنت أعلم قومك بالتوراة، قال: كذا يقولون، وكان هو المخبر له[1] بأن الرجم فيها، وأنه ساءَل النبي ﷺ عن أشياءَ كان يعرفها من أعلامه فلما أنبأه النبي ﷺ بها قال أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأنك رسول اللَّه الأمي العربيُّ الذي بشَّر به المرسلُونَ.

وهذا الذي ذكرناه من أمر الزانيين مشهور في روايةِ المفسِّرينِ وهو يُبَينَ قوله:

﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾.

والقائل يقول ما تفسير هذا، فلذلك شرحناه، وباللَّه الحول والقُوَّة.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾.

قيل فضيحته وقيل أيضاً كفره، ويجوز أن يكون اختباره بما يظْهر به أمره، يقال فتنت الحديد إذا أَحْمِيتُه، وفتنت الرجل إذا أزلته عما كان عليه، ومنه قوله: ﴿وإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الذي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ﴾[2] أي وان كادوا لَيُزِيلُونَكَ.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾.

أي أن يُهينَهمُ.

﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾.

---

(١) ك وهو كان المجيب له بأن أمر الرجم فيها.

(٢) سورة الإسراء آية ٧٣.

قيل لهم في الدنيا فضيحةٌ بما أظهر اللَّه من كذبِهِمْ، وقيل لهم في الدنيا خزي بأخذ الجزية منهم، وضرب الذِّلَّةِ والمسكَنة عَلَيْهم، ثم عاد عزّ وجلّ في وصفهم فقال:

﴿سَمَّاعُون لِلْكذبِ أَكَّالون للسُّحْتِ﴾.

ويقرأ للسُّحُتِ جميعاً، تأويله أن الرِّشَا التي يأكلونها يعاقبهم اللَّه بها أن يُسْحِتَهُمْ بعذَابٍ، كما قال جلّ وعزّ: ﴿لا تفترُوا على الله كذباً فَيُسْحِتَكُمْ﴾[1] ومثل هذا قوله: ﴿إنما يأكلون في بطونهم ناراً﴾[2]. أي يأكلون ما عاقبتهُ النار، يقال سَحَته وأسْحَتَه إذا استأصله، وقال بعضهم سَحَتَهُ: أَذْهَبَهُ قليلاً قليلاً إلى أن استأْصله ومثل أسحته قول الفرزدق.

وعَضُّ زمانٍ يا ابن مروان لم يدَعْ   مِنَ الْمالِ إلا مُسْحتاً أَو مُجَلَّفُ[3]

ويجوز أن يكون سحتَهُ وأَسْحتَهُ إذا استأْصله، كان ذلك شيئاً بعد شيءٍ، أو كان دفعة واحدةً.

وقوله: ﴿فإنْ جاءُوكَ فَاحْكُمْ بينَهُمْ أَو أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾.

أجمعت العلماءَ على أن هذه الآية تدل على أن النبي ﷺ مُخَيَّر بها في الحكم بين أهل الذِّمَّةِ، وقيل في بعض الأقاويل إن التخيير نسخ بقوله: ﴿وأَن احكم بينهم بما أنزل اللَّه﴾.

وقوله: ﴿فاحكم بينهم بالقِسْط﴾.

أي العَدْل.

---

(١) سورة طه آية ٦١.

(٢) سورة النساء ١٠.

(٣) البيت معروف من شواهد النحو المشهورة للفرزدق، ومما عابة عبد اللَّه الحضرمي. أنظر الخزانة ٢ ـ ٣٤٧ اللسان (خلف ـ سحت)، والقرطبي ١١ ـ ٢١٥ وديوانه ٢٥٥. والعيب فيه هو رفع مجلف.

وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فيها هُدًى ونُورٌ يَحْكُمُ بهَا النبيُّونَ﴾: فيها نور[1] أي بيان أَنّ أَمْر رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حق، وفيها بيـان الحكم الذي جـاءَوا يستفتون فيـه النبي ﷺ، ويجـوز أَن يكون المعنى على التقـديم والتأْخيـر، على معنى: إِنـا أَنزلنا التـوراة فيها هـدى ونور للذين هـادوا، يحكم بها النبيـون الذين أُسلمـوا والرَّبَّانِيُّون، ويجوز أَن يكون «يحكم بهـا النبيـون الذين اسلمـوا للذين هادوا» أَي يحكم النبي ﷺ فيما سأَلُوهُ بما في التَّـوْراة، ويجوز أَن يكـون للذين هادوا للذين تابوا، أَي النبيـون والربـانيون هم العلمـاءُ والأحبار وهم العلمـاءُ الخُيَّارُ يحكمُون للتَّائبين مِنَ الكفر.

﴿بما استُحْفِظُوا مِنْ كتَابِ اللَّهِ﴾.

أَي استُودِعُوا.

وقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِك هُمُ الكَافِرُونَ﴾:

أَي من زعم أَن حكمـاً من أَحكـام اللَّه الَّتي أَتَتْ بهـا الأنبيـاءُ[2] عليهم السلام باطل فهو كافر، أَجمعت الفقهـاءَ أَنّ من قال إِن المحصَنَيْنِ لا يجب أَن يرجما إِذا زنيا وكانا حرين - كـافِرٌ، وإِنمـا كفر من ردّ حكمـاً من أَحكام النبي، لأَنه مكذِبٌ له، ومن كذَّب النبي فهو كافر.

وقوله: ﴿ وكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا ﴾:

أَي في التوراةِ.

﴿ أَنَّ النَّفْسَ بالنَّفْسِ والعيْنَ بالعيْنِ ﴾.

وروي أَن النبي قرأَ والعَينُ بالعَيْنِ والقراءة والعَيْنَ بالعَيْن

﴿والأَنْفَ بالأَنْفِ والأُذُنَ بالأُذْنِ والسِّنَّ بالسِّنِّ، والجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾.

---

(١) في الأصل أي فيها نور.

(٢) في الأصل وك الذي أتت به - أي الحكم.

بالرفع والنصب جميعاً لا اختلاف بين أهل العربيّة في ذلك، فَمَنْ قرأ العَيْنَ بالعيْنِ أراد أن العيْنَ بالعَيْنِ، ومن قرأ، والعَيْنُ بالعين فرفْعُهُ على وجهين، على العطف على موضع النّفس بالنّفس والعاملِ فيها[1]، المعنى وكتبنا عليهم النفسُ بالنَّفِس، أي قلنا لهم النفس بالنفَس، ويجوز كسر إن، ولا أعلم أحداً قرأ بها فلا تقرأن[2] بها إلا أن تثبت رواية صحيحة، ويجوز أن تكون العينُ بالعَين، ورفعُه على الاستئناف، وفيها وجه آخر، يجوز أن يكون عطفاً على المضمر في النّفس، لأن المضمر في النفس في موضع رفع، المعنى أن النفس مأْخوذة هي بالنفس، والعَيْنُ معطوفة على هي.

وقوله: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾:

قال بعضهم من تصدق به أي بحقه فهو كفارة للجارحِ إذا ترك المجروحُ حقَّهُ، رفع القصاص عن الجارح، وقال بعضهم هو كفارة للمجروح أي يكفر اللّه عنه بعفوه ما سلف من ذنوبه.

وقوله: ﴿وَمُهَيْمِناً عَلَيهِ﴾:

رواها بعضهم ومهيمَناً ـ بفتح الميم الثانية ـ وهي عربيَّة ولا أحب القراءَة بها، لأن الإجماع في القراءَة على كسر الميم في قوله: ﴿المؤمن المهيمِنُ﴾[3].

واختلف الناس في تفسير قوله: ﴿المؤمنُ المُهَيْمِنُ﴾، واختلف الناس في تفسير قوله: ﴿وَمُهَيْمِناً عَلَيْه﴾:

فقال بعضهم: معناه وشاهداً عليه، وقال بعضهم رقيباً عليه، وقال

---

(١) عطف على إن والعامل معاً.

(٢) في الأصل ولا تقرأن.

(٣) سورة الحشر آية ٢٣.

بعضهم معناه مُؤتَمَناً عليه. وقال بعضهم: المهيمنُ اسم من أسماءِ اللَّه في الكتب القديمة، وقال بعضهم: مُهيمِن في معنى مُؤْتمن إلا أن الهاءَ بدل من الهمزة، والأَصْلُ مؤتمناً عليه كما قالوا: هَرَقْتُ الماءَ، وأرقت الماءَ، وكما قالوا: إياك وهياك، وهذا قول أبي العباس محمد بن يزيد، وهو على مذهب العربية حَسَنٌ ومُوافِقٌ لِبعْضِ ما جاءَ في التفسير، لأن معناه مؤتمن.

وقوله: ﴿ولْيَحْكُمْ أَهْلُ الانْجِيلِ﴾.

قرئت بإسكان اللام وجزم الميم على مذهب الأمر، وقرئت ولِيَحْكمَ بكسر اللام وفتح الميم على معنى ولأن يحكمَ ويجوز كسر اللام مع الجزم وَلِيَحكُمْ أهل الأنجيل، ولكنه لم يقرأ به فيما علمتُ، والأصل كان كسر اللام، ولكنّ الكَسرَةَ حُذِفَت استثقالاً. والإنجيل القراءَة فيه بكسر الهمزة، ورويت عن الحسن الأنجيل بفتح الهمزة، وهذه قولة ضعيفة، لأن أنجيل أفعيل، وليس في كلام العرب هذا المثال، وإنجيل إفعِيلُ من النجل وهو الأصل، وللقائل أن يقول إن إنجيل اسم أعجَميٌّ فلا يُنْكَرُ أن يقع بفتح الهمزة لأنّ كثيراً من الأسماءَ الأعجمية تخالف أُمثلة العرب نحو آجرّ وإبرَاهيم وهَابيل وقابيل، فلا ينكر أن يجيء أنجيل وإنما كُرِهَتِ القراءَة بها لأنّ إسنادها عن الحسن لا أدري[1] هل هو من ناحية يوثق بها أم لا.

وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبغونَ﴾.

أي تطلب اليهود في حكم الزانيين حكماً لم يأمر اللَّه به وهو أهل الكتاب كما تفعل الجاهلية.

وقوله: ﴿وَمَن أَحسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

---

(١) ط ما أدري.

أي من أَيْقَنَ تبيَّن عدلَ اللَّهِ وحكْمَهُ، وحكماً منصوب على التفسير(١).

وقوله: ﴿وَمَن يَتولَّهم مِنكم فإنه مِنْهُمْ﴾.

أي من عاضدهم على المسلمين فإنه من عاضدَه.

وقوله: ﴿فترى الَّذِينَ فِي قلوبِهم مَرَضٌ يُسَارِعونَ فِيهِم﴾.

والمرض ههنا النفاق في الدِّين، ومعنى يسارعون فيهم، أي في معاونتهم على المسلمين.

﴿يَقُولونَ نَخشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾.

أي نخشى أَلَّا يتم الأمر للنبي ﷺ، ومعنى دائرة أي يدور الأمر عن حاله التي يكون عليها.

وقوله: ﴿فَعَسى اللَّه أن يَأتِيَ بالْفَتْح﴾.

أي فعسى اللَّه أن يُظْهِر الْمسلِمين، و «عَسَى» من اللَّه جلّ وعزّ واجبة(٢).

وقوله عزّوجلّ: ﴿أو أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾، أي أو أن يؤمر النبي ﷺ بإظهار أمر المنافعين بقتلهم.

﴿فَيصبحوا عَلى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفسِهِم نَادِمِينَ﴾.

وقوله: ﴿وَيقول الَّذِينَ آمنَوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَموا بِاللَّهِ جهدَ أَيمَانِهِم﴾.

أي يقول المؤمنون الذين باطنهم وظاهرهم واحدٌ: هؤُلاءِ الذين حَلَفوا وأَكَّدوا أَيمَانَهم إنَّهم مؤْمِنونَ وإنهم معكم أعوانكم على من خالفكم.

﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهم﴾.

---

(١) تمييز.

(٢) لأن الترجي لا يكون من اللّه عالم كل شيء، فهي تدل على حدوث قطعاً

أي ذَهَب مَا أَظْهروهُ مِنَ الإيمان، وبطل كل خيرٍ عَمِلُوه بكفرهم وصَدِّهِم عن سبيل اللَّه كما قال: ﴿ الَّذِينَ كَفَروا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيل اللَّهِ أَضَلَّ أعمَالَهم﴾[١].

المعنى ويقـول الذين آمنـوا في ذلـك الـوقت، أي في وقتٍ يـظهـر اللَّه نفاقهم فيه.

وقوله: ﴿يا أيُّها الذِينَ آمَنُوا مَن يَرتَدَّ مِنْكُم عَنْ دِينِه﴾.

فيها من العربية ثلاثة أوجه، مَنْ يَرتدِدْ، ومن يَرْتَّد بفتح الدَّال وَمَنْ يَـرْتَدِّ مِنْكُم، بكسر الدال. ولا يجـوز في القراءَة الكسـر لأنه لم يُـرْوَ أنه قـرئ به، وأمـا «مَنْ يَرتـدِدْ» فهو الأصـل، لأن التضعيف إذا سَكَنَ الثـانِي من المضَعَفَيْنِ ظَهرَ التضعيف[٢]، نحو قوله: ﴿إنْ يمسَسـكُم قـرحٌ﴾[٣] ولو قـرئت إن يمسكم قرح كان صواباً، ولكن لا تَقْـرَأَنَّ بِهِ لمخـالفتِه المصحفَ، ولأن القـراءَة سُنَّةٌ. وقد ثبت عن نافع وأهل الشام يرتدِدْ بدالَيْنِ، وموضع يرتدَّ جزم، والأصل كمـا قُلْنَا يرتدد، وأُدغمت الدال الأولى في الثـانية، وحـركت الثانيـة بالفتـح لالتقاءِ الساكنين، قال أبوعبيدٍ: إنهم كَـرِهوا اجتمـاعَ حَرْفَيْن متحـركين وأحسبه غلِطَ، لأن اجتمـاع حرفين متحـركين من جنس واحدٍ أكثـر في الكلام من أنْ يحصَى نحو شَرَرٍ وَمَددٍ[٤]، وَقِدَدٍ، وجُدَدٍ[٥]، والكسر في قـوله من يـرتَدِّ يجـوز لالتقاءِ الساكنين لأنه أصـل. والفاءُ جـواب للجزاءَ، أي إن ارتـد أَحَدُ عن دينـه، أي الذي هو الإيمان.

---

(١) سورة محمد. آية ١.

(٢) الأصل في التعبير «يرتدد» لأن الحرفين المتماثلين إذا سكن ثانيها لم يكن ثم مجـال للإدغـام. فيفك التضعيف.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٤٠.

(٤) المدد قطع الـطين اليابس، والمـدن والحضر، يقـال أهل الـوبر للبـدو، وأهل المـدر لسكـان المدن والحضر.

(٥) القدد القطع جمع قدة، والجدد الطرق جمع جدة. وفي ط: نحو شدد ومدد.

﴿فَسَوفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ ويُحِبُّونَه﴾.

أي بقوم مؤمنين غير منافقين.

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

أي جانبهم ليّنٌ على المؤْمنين، ليس أنهم أذلاءِ مهَانون.

﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ﴾.

أي جانبهم غليظ على الكافرين.

وقوله: ﴿ يُجَاهِدونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾.

لأن المنافقين كانوا يراقبون الكفارَ ويظَاهِرونَهم، ويخافونَ لَوْمَهُم، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنّ الصّحيحَ الايمانِ لا يخاف في نصرة الدِّين بِيدِه ولا لِسَانِه لَوْمَةَ لائِم. (ثم)[1] أعلم اللَّه عزّ وجلّ أن ذلك لا يكون إلا بتسديده وتوفيقه فقال عزّ وجلّ:

﴿ذَلِكَ فَضلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[2].

أي محبتهم للّه ولين جانبهم للمسلمين، وشدتهم على الكافرين فضل من اللَّه عزّ وجلّ عليهم، لا توفيق لهم إلا به عزّ وجلّ.

وقوله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنوا ﴾.

بيّن[3] من هم المؤْمنون فقال:

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾.

وإقامتها تمامها بجميع فَرْضِها، وأولُ فروضها صحة الإيمان بِها وهذا كقولك: فلان قائم بِعِلْمِه الذِي وَلِيَه، تأويله أنه يوفِّي العَمَلَ حقوقه، ومعنى

---

(١) ليست في ط.

(٢) ط ذلك الفضل من اللّه.

(٣) ط ثم بين.

«يُقِيمُونَ» من قولك هذا قِوام الأمر، فأما قوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾. فمخفوض على نعتِ قوم، وإن شئت كانت نصباً على وجهين أحدهما الحال، على معنى يحبهم ويحبونه في حال تذللهم على المؤمنين وتعزُّزِهم عَلى الكافرين، ويجوز أن يكون نصباً على المدح.

فأما قوله عزّ وجلّ: ﴿وقَفَّيْنا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى بنِ مَرْيَمَ﴾.

أي قفينا على آثارِ الرُّسل بعيسَى أي جعلناه يقفوهم.

وقوله: ﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ﴾.

أي لما تَقَدَّم من التّوراة، ونصب «مُصَدِّقاً» على الحال وهو جائز أن يكون من صفَةِ الإنجيل فهو منصوب بقوله: «آتيناه» المعنى. آتيناه الإنجيل مُستقِراً فيه هدًى ونورٌ ومصدقاً. وَيَجُوزُ أَنْ يكونَ حالاً من عيسى. المعنى وآتيناه الإنجيل هَادِياً ومُصَدِّقاً، لأَنَّهُ إذا قيل آتيناه الإنجيل فيه هدى، فالذي أتى بالهدى هو هادٍ والأَحسَنُ أَنْ يكونَ على معنى وقَفَّيْنَا بِعِيسَى آتِياً بالإِنْجيل وهادياً ومصدقاً لما بين يديه من التوراة، والدليل على أنه من صفة عيسى قوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إني رَسُولُ اللهِ إليكُمْ مُصَدِّقاً لمَا بَينَ يَدَيَّ مِنَ التَّورَاةِ﴾(١).

وقوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾.

قال بعضهم: الشِّرعَةُ الدينُ والمنهاج الطريق، وقيل: الشرعة والمنهاج جميعاً الطَّريق، والطريق ههنا الدين، ولكن اللفظ إذا اختلف أُتِي مِنْهُ بألفاظ تُؤكدُ بِها القصة والأمر نحو قول الشاعر:(٢)

(١) سورة الصف الآية ٦.

(٢) هو عنتر العبسي، والبيت هو السادس من معلقته ـ وأم الهيثم هي حبيبته عبلة، والأقواء والأقفار الخلاء، قال الزوزني أنه جمع بينهما لضرب من التوكيد كما قال طرفة:

متى أدن منه ينأ عني ويبعد

حُيِّيتَ مِن طلل تقادم عهدُه . أقوى وأَقْفر بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثَم

فإن معنى أقوى وأقفر يدل على الْخَلْوَةِ، إلاّ أَنَّ اللفظين أوكد في الخُلوِّ من لفظ واحدٍ. وقال أبو العباس محمد بن يزيد: شرعة معناها ابتداءُ الطريق، والمنهاج الطريق المستَمِرُّ، قال: وهذه الألفاظ إذا تكررت في مثل هذا فللزيادة في الفائدة، قال وكذلك قول الحطيئة:(١)

أَلا حَبَذَا هِنْدٌ وَأَرْضٌ بها هندُ . وَهِنْدُ أتى مِنْ دونها النَّأْيُ والبُعْدُ

قال: النَّأْيُ لكل ما قل بعده منك أَوْ كثرَ، كأنه يقول:

النأي المفارقة قلَّت أَوْ كثرتْ، والبُعْدُ إنَّمَا يُسْتَعْمَلُ في الشيءِ البعيد ومعنى البعيدِ عندَه ما كَثرتْ مسافةُ مُفَارقَتِه، وكأَنَّهُ يقُولُ لِمَا قرب منه هو نـاءٍ عني، وكذلك لما بعُدَ عنه، والنأي عنده المفارقة (٢).

وقوله: ﴿يَا أيُّها الَّذِينَ آمنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينكُمْ هُزُواً وَلَعِباً﴾.

هُزءَاً فيه لغات، إن شئت قلت هُزُؤا بضم الزاي وتحقيق الهمزة، وهو الأَصل والأَجودُ، وإن شئت قلت هُزُواً وَأَبْدَلْتَ من الهمزة واواً، لانضمام ما قبلها وأنها مفتوحة، وإنْ شئتَ [قلت] هُزْءَاً بإسكان الزاي وتحقيقِ الهمزة. فهذه الأوجه الثلاثةُ جَيدَة يُقْرأُ بِهِنَّ. وفيها وجه آخر. ولا تجوز القراءَة به لأنه لم يقرأْ به، وهو أن يقول هُزَاً مثل هُدًى وذلك يجوز إذا أردت تخفيفَ همزة

= جمع بين النأي والبعد لضرب من التوكيد.

(١) من قصيدته في مدح آل شماس بن لأي وذم الزبرقان بن بدر والشاهد جمعه بين النأي والبعد الديوان ٧٢ ـ حواشي المرتضي ٤/١٩٨.

(٢) أي محمد بن يزيد المبرد يقول للشيء الذي ليس بعيداً ولكنه منفصل عنه هو ناء عني كما يقولها لما هو بعيد.

هُـزءٍ فيمن أسكن الزاي أن يقـول هُزَاً. تـطرح حركتهـا على الزاي كمـا تقـول رَأَيْتَ خَباً تُرِيدُ خَبْئاً[1].

وقوله: ﴿مِـنَ الَّذِينَ أُوتوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُـمْ والْكُفَّارَ﴾[2].

النصب فيـه على العطف على قـوله: ﴿لاَ تَتَّخِذُوا الَّـذِينَ اتَّخَـذُوا دِينَكُمْ هُزُوا ولَعِباً﴾ [أي] ولاَ تَتَّخِذُوا الكُفَّار أَوْلِياءَ، ويجوز والكفارِ أولياءَ على العطف على الَّذِينَ أُوتواالكتاب، المعنى من الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم وَمِن الكفارِ أولياءَ.

وقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا﴾.

يقـال: نقَمْتُ على الرَّجُـلِ أَنْقِمُ، ونقِمْتُ عليه أَنْقَم[3] والأَجْـودُ نقَمْتُ أنقِمُ، وكذلك الأكثر في القراءَة: ﴿ومانَقمُوا مِنْهُمْ إلاَّ أن يُؤْمِنُـوا بِالله العَـزِيزِ الحَمِيد﴾[4]، وأنشد بيت ابن قيس الرقيات.

مَـا نَـقِـمُـوا مِـنْ أُمـيَّـةَ إلاَّ ... أَنَّـهمْ يـحْلُمُـون إن غَـضِبُـوا[5]

بالفتح والكسر، نقَمُوا ونقِمُوا، ومعنى نقمت بالغت في كراهة الشَّيءِ.

وقوله: ﴿وأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقونَ﴾.

المعنى: هل تكرهـون منا إلا إيمـاننا وفِسْقَكُمْ، إي إنمـا كرهتم إيمـاننا

---

(١) الخبأ ما خبيء وغيب، ومن الأرض النبات ومن السماء القطر.

(٢) ط: تريد خبئاً، والكفار فالنصب فيه.

(٣) مثل ضرب يضرب، وعللم يعللم.

(٤) سورة البروج آية ٨.

(٥) من قصيدة له في مدح عبد الملك بن مروان أولها: «عاد له من كثيرة الطرب» وهو تأكيد المدح بما يشبه الذم. أي لا عيب فيهم إلا أنهم يحلمون، والقصيدة في ديوانـه ٦٧، والمغني ٢١١، والخزانة ٣ ـ ٢٦٨ وشواهد الكشاف، والقرطبي ٦ ـ ٢٣٤.

وأنتم تعلمــون أنـا على حق لأنكم فَسَقْتُمْ، بـأن أقمتم على دينكم لمحبتكم الرياسة، وكسبكم بها الأموالَ، فإن قـال قائـل: وكيف يعلم عالِمٌ أن دِينـاً من الأدْيانِ حق فيؤْثر البـاطِلِ على الْحق؟ فـالجواب في هـذا أن أكثر مـا نشاهـده كذلك. مِنْ ذلِكَ أنَّ الإنْسانَ يعْلَمُ أنَّ الْقَتْل يُورِدُ النَّار فيقْتُلُ، إما إيثاراً لِشِفَـاءِ غيظه أو لأخْذِ مال. ومنها أنَّ إبْلِيسَ قَدْ علِم أنَّ اللَّه يُدْخِلُه النَّارُ بِمعْصِيتِهِ فـآثر هواه على قُرْبه من اللَّه، وعمِل على دُخول النَّارِ وهذا بابٌ بينٌ.

وقوله: ﴿[قُلْ] هَلْ أُنبِّئُكُمْ بشرٍ مِنْ ذَلِكَ مثُوبةً عِنْدَ اللهِ﴾.

أي بِشَرٍّ مما نَقَمْتُمْ مِن إيمانِنا ثواباً، و«مثوبة» منصوب على التمييز.

وقوله: ﴿مَنْ لَعنهُ اللهُ﴾.

وضع «منْ» إن شئت كان رفعاً، وإن شئت كان جراً فأمـا من جر فيجعله بـدلاً مِنْ شَر. المعنى أُؤنَبِّئُكُمْ بمن لعنـه اللَّه، ومن رفع فبـإضمـار هـو، كـأن قائـلاً قـال: منْ ذلك؟ فقيـل هو من لعنـه اللَّه، كما قـال جـلّ ثناؤه: ﴿[قل] أَفَأُنبِّئُكُمْ بِشَر من ذَلِكُمْ النَّارُ﴾ [1] كأنه قال: هي النار.

وقوله: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾.

الطاغُوتُ هو الشيطان، وتـأويل وَعَبَـدَ الطَّاغـوتَ: أَطَاعـه فيما سَـوَّلَ لَه وأغْراهُ به، وقَـدْ قُرِئَتْ: ﴿وعَبْدَ[2] الطَّاغـوتِ﴾. والذي أَخْتارُ ﴿وَعَبَدَ الطاغوتَ﴾ وروي عن ابن مسعودٍ وعَبَدوا الطَّاغوتَ، وهـذا يقوي ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾، ومن قـال: وعَبُدَ[3] الـطاغوتِ. فَضَمَّ البـاءَ وجَرَّ الـطاغوتَ، فـإنه عنـد بعض أهل العرَبيَّةِ ليس بالوجـه من جهتين إحداهمـا[4]، أن عَبُد على فَعُـلٍ، وليس هذا

(١) الآية ٧٢ من سورة الحج.

(٢) هو في بمعنى الجمع.

(٣) بمعنى عباد.

(٤) ط أحدهما.

من أَمثلة الجمع، لأنهم فسروه خَدَمُ الطاغوتِ[1] والثاني أن يكونَ محمولاً على وجعل منهم عَبُدَ الطاغوتِ[2]. فأما من قرأ «وَعُبُدَ الطَّاغُوتِ» فهو جمع عبيدٍ وَعُبُد، مثلُ رغِيفٍ ورغُفُ وسَرِيرٍ وسُررٍ، ويكون على معنى وجعل منهم عُبُدَ الطاغوتِ على جعلت زيداً أَخاك، أي نَسَبْتُه إليك، ووجه وعَبُد الطاغوت ـ بفتح العين وضم الباء ـ [أن][3] الاسم يبنى على فَعُلٍ كما قالوا عَلُمَّ زيدٌ. وكما أَقُول رَجُلٌ حَذُرٌ، تأويل حَذرٍ أنه مبالغ في الحَذَرِ، فتأْويل عَبُد أَنَّهُ بلغ الغاية في طاعة الشيطان، وكأن اللفظَ لفظُ واحدٍ يَدُل على الجمع. كما تقول للقوم: منكم عَبُدُ العصا، تريد منكم عَبِيدُ العَصَا. ويجوز بعد هذه الثَّلاَثَةِ الأَوْجُهِ الرفعُ في قوله وعَبُدَ الطاغوتِ، فيقول وعَبُدُ الطاغوتِ، وكذلك وعُبُدُ الطَّاغُوتِ بالرفع، ولا تقرأن بِهذين الوجهين وإن كانا جائزين، لأَن القراءَة لا تبتدع على وجه يجوز، وإنما سبيل القراءَة اتباع مَنْ تَقَدَّم، فيجوز رفع، وعَبُدُ الطَّاغُوتِ، وعُبُد الطاغوت، على معنى الذَّمِّ، والمعنى وهم عُبُد الطاغوت، كأنه لما قال: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وغَضِبَ عَلَيهِ وجَعَلَ مِنْهُمُ القِرَدَةَ والخنازيرَ﴾، دَلَّ الكلامُ على اتِّبَاعِهم الشَّيَاطينَ، فقيل وهم عُبُدُ الطاغوتِ.

ويجوز أَن يكون بدلاً من «مَنْ» في رَفع «مَنْ» كَأَنه لما قِيل[4] منهم من لعَنَهُ اللَّه، وغضِبَ عليه، قيلَ هم عَبُدُ الطاغوت وعُبُدُ الطَّاغُوتِ، ويجوز في الكلام أَيضاً، وعَبْدَ الطاغوت ـ بإسكان الباء ـ وفتح الدَّال. ويكون على وجهين، أَحدهما أَنْ يكونَ مخفَّفاً من عَبُد ـ كما يُقَال في عَضُدٍ عَضْد. وجائز أَن يكون «عَبْد» اسْماً واحداً يدل على الجنس، وكذلك يجوز في عبد الرفع

(١) مطيعوه وخاضعون لوساوسه فهو جمع، وعَبُدَ ليس بجمع.

(٢) بمعنى عبيد، ويتلاقى مع الوجه الأول.

(٣) ليست في ط.

(٤) ط. قال.

والنصب من جهتين كما وصفنا في عبد، ويجوز أن يكون النصبُ من جهتين: إحداهما على وجعل منهم عَبْدَ الطاغوتِ ويجوز أن يكون منصوباً على الـذم، على أعني عبدَ الطاغوت، . ويجوز فـي وعَبْد وعَبُد وعُبُدٍ الجرُّ على البَدَل من «من» ويكون المعنى: هل أُنبِّئُكم بمَنْ[1] لعنه اللّه وعَبُدِ الطاغوت. ولا يجـوز القراءَة بشيء من هذه الأوجه إلا بالثلاثة التي رُويَتْ وقرأ بها القراءَ، وهي عَبَدَ الطَّاغُوتَ. وهي أجودها، ثم وعَبُدَ الطاغُوتِ ثم وعُبُدَ الطاغوتِ.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً﴾.

أي هؤُلاءِ الذين هذه صَفْتهم ﴿شَرٌّ مكاناً، وأَضَلُّ عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ﴾.

أي عن قصد السبيل، و «مكاناً» منصوبٌ على التفسير.

وقـوله: ﴿لوْلَا يَنْهَاهُمُ الـرَّبَّانِيُّـونَ والأَحْبَارُ﴾. وهُم عُلَمـاؤُهم ورؤسـاؤُهم. والحَبْـرُ العالِمُ، والحِبْـرُ المِـدَادُ بـالكسـرِ، فـأعلم اللّه أن رُؤسـاءَهم وسِفْلَتَهُمْ مُشْتركونَ في الكفر.

ومعنى: ﴿لوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيونَ﴾: هلاَّ ينها م، ثم أَخْبَرَ عـزَّ وَجَلَّ بعـظيم فِريتهم فقال:

﴿وقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولةٌ، غُلَّتْ أَيْدِيهِـ ﴾.

أي [قـالوا] يـده مُمْسِكةٌ عن الاتِّسـاع عَا نَا. كما قال اللّه جَلَّ وَعزَّ: ﴿ولا تَجْعَلْ يَدكَ مغلُولةً إلى عُنُقِكَ﴾ تأويله لا تُمسِكها عنِ الإنفاق قال بعضهم: معنى ﴿يدُ الله مَغْلُولةٌ﴾ نعْمَتُـه مقبوضـة عَنَّا، وهـذا قول خـطأ ينقضُـه: ﴿بَلْ يَـدَاهُ مبْسُوطَتَانِ﴾.

فيكون المعنى: بلْ نِعْمَتـاهُ مبسُوطتـانِ، نِعَمُ اللّهِ أَكثرُ مِن أن تُحصى.

---

(١) من بدل من «شر» في «بشر من ذلكم» وعبد معطوف عليه

وقال بعضهم: وقالـوا يَدُ اللَّهِ مغْلُولـةٌ عَنْ أعدائنـا، أي لا يُعذِّبُنـا. وقال بعض أهل اللغة إنما أُجِيبُوا على قَدْرِ كَلاَمِهِمْ. كما قالُوا يدُ اللَّه مغْلُولـةٌ، يريـدون به تبخيل اللَّه.

فقيل: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾. أي هو جَوادٌ ﴿يُنْفِق كَيْفَ يَشاءُ﴾ ومعنى غُلَّتْ أيدِيهِمْ أي جُعِلُوا بُخلاَءَ. فهُم أَبْخلُ قَوْمٍ وَقيلَ ﴿غُلَّتْ أيْدِيهِم﴾ أي غُلتْ في نـارِ جُهَنَّم.

وقوله: ﴿وَلَيزِيدَنَّ كَثيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إليْكَ مِنْ ربِّك طُغْيَاناً وكُفْراً﴾.

أي كلما نزل عليك شيءٌ من القرآن كفروا به فيزِيدُ[١] كفرهم والطغيـان الغُلوَّ والكفر هَهُنَاكَ.

وقوله: ﴿وألْقَيْنَـا بَيْنهُمْ العَـدَاوَة والبَغْضـاءَ إِلَى يَـوْمِ القِيَامَةِ﴾ جعلهم اللَّه مختلفين في دينهم متباغضين، كما قال: ﴿تحسَبُهم جميعاً وقُلُوبُهُمْ شتَّى﴾[٢] فـألقى الله بينهم العداوة، وهي أَحـدُ الأسبـاب التي أذهب الله بهـا جَـدَّهم[٣] وشَوْكَتَهُمْ.

وقوله: ﴿كُلما أَوْقَدُوا نَاراً للحَرْبِ أطْفَأَها اللَّهُ﴾.

هذا مثل[٤] أي كلما جمعوا على النبيِّ والمسلمين وأعدُّوا لحِربِهم فـرق اللَّه جمعهم وأفْسد ذات بينِهِمْ.

وقوله: ﴿وَيَسْعَوْنَ في الأَرْضِ فَساداً﴾.

---

(١) ط فيزيدهم كفرهم.

(٢) سورة الحشر ١٤.

(٣) حظهم وسعادتهم.

(٤) ذكر النار للاستعداد للحرب تمثيل.

أي يجتهدون في دفع الإسلام ومحو ذكر النبي ﷺ من كُتُبِهِمْ.

وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ والإِنْجِيلَ﴾.

أي لَوْ عَمِلُوا بِمَا فِيهِمَا، ولم يكتُمُوا ما علموا من ذكر النبي ﷺ فيهمَا.

﴿وما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾.

وهو ـ والله أعلَم ـ القرآن. أي [لـو] عَمِلُوا بما في هـذه الكتب من ذكر النبي، وأظهروا أمره، ﴿لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾.

قيل إنه كان أَصَابهم جَدْبٌ، فأعلم اللَّه أَنَّهم لو اتَّقوا لأوسع عليهم في رِزقِهِمْ، ودَلَّ بهذا على ما أَصابَهُم من الجدب فيما عاقبَهمْ به.

ومعنى ﴿لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ﴾.

أي لأكلوا من قطر السَّماءِ.

﴿ومِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾.

مِن نَبَات الأَرضِ. وقيل قد يكون هذا من جهة التوسِعَةِ كما تقول فلان في خيـر من قرنـه إلى قدمِـه[1]، وقـد أَعلم اللَّه جـلّ وعَـزَّ أَن التُّقى سعـة في الرزق فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهلَ الكتاب آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾. وقال: ﴿مَنْ يَتَّقِ الله يَجعَلْ لهُ مَخْرجاً. ويرزُقْهُ مِنْ حَيثُ لا يَحتَسِبْ﴾[2] وقال في قصـة نوح: ﴿استغْفِـرُوا رَبَّكُمْ إنه كان غفَّاراً، يُرْسِـلِ السَّمَاءَ عَليكُمْ مِـدْراراً، ويُمدِدْكُمْ بِـأَموالٍ وَبنِين ويَجعَلْ لَكُـمْ جَنَّاتٍ﴾[3] وهي البسـاتين. فوعـدهم اللَّه أتم الغنى على الإيمان والاستغفار.

وقوله: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدةٌ﴾.

---

(١) من رأسه إلى قدمه ـ أي يشمله ويعمه.

(٢) سورة الطلاق ٢ ـ ٣.

(٣) سورة نوح ١٠ ـ ١٢.

أي من أهل الكتاب، قال بعضهم يعنى بهذا مَنْ آمَن مِنْهُمْ وقيل يعنى به طائفة لم تُناصِب النبيَّ ﷺ مناصبة هؤلاءِ، والذي أَظُنه - والله أعلم - أنه لا يسمي اللَّه من كان على شيءٍ من الكفر مُقْتصِداً.

﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾.

المعنى بئس شيئاً عَمَلُهم.

وقوله: ﴿يَا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لم تَفْعَلْ فما بلَّغت رِسَالَتَه﴾.

وتقرأْ رسالاته. والمعنى بلغ جميع ما أُنزل إِلَيْكَ مِنْ رَبِّك، وإن تركت منه شيئاً فما بلغتَ، أي لا تراقبن أَحداً ولا تتركن شيئاً من ذلك خوفاً مِنْ أن ينالك مكروه.

﴿والله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

أي يحُولُ بَيْنَهُمْ وبيَن أَنَ ينالكَ منهم مَكْرُوهٌ، فَأَعْلَمَهُ اللَّه جلّ وعزّ أنه يَسْلَمْ مِنهمْ. وفي هذا آية للنبي ﷺ بَيِّنَةٌ.

قوله: ﴿إِن الَّذِينَ آمنُوا والَّذِينَ هَادُوا والصَّابئُونَ والنَّصَارَى مَنْ آمنَ باللَّه وَاليوْمِ الآخِرِ وَعملَ صالحاً فلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ [ولاَ هُمْ يَحْزنُونَ]﴾.

إختلف أَهل العربية في تفسير رفع الصابئين، فَقَالَ بعضهم نَصْبُ «إنَّ» ضَعُفَ فنُسقَ «بالصَّابئون» على «الّذينَ» لأَن الأصل فيهم[1] الرفع. وهو قول الكسائي، وقال الفراءُ مثل ذلك إلا أَنه ذكر أَن هذا يجوز في النسق على مثل «الذين» وعلى المضمر، يجوز إني وزيد قائمان، وأَنه لا يجيز إنَّ زيداً وعمرو قائمان. وهذا التفسير إقدام عظيم على كتاب اللَّه وذلك أَنهم زعموا أن نَصْبَ

(١) تقدم أن هذه طريقة الزجاج في إعادة ضمير العقلاء على اللفظ.

«إنَّ» ضعيف لأنها إنما تغيِّرُ الاسم ولا تغير الخبرَ، وهذا غلط لأن «إنَّ» عملت عَملَيْن النَّصْبَ، والرفع، ولَيْسَ في العربيَّة ناصب ليس معه مرفُوع لأن كل منصوب مشبه بالمفعول، والمفعول لا يكون بغير فاعل إلا فيما لم يسم فاعله، وكيف يكون نصب «إنَّ» ضعيفاً وهي تتخطى الظروف فتنصب ما بعدها. نحو قوله: ﴿إنَّ فيها قوْماً جَبَّارين﴾[1] ونَصْبُ إنَّ مِنْ أَقْوَى المنْصُوبَاتِ.

وقال سيبويه والخليلُ، وجميعُ البصريين إنّ قوله: والصَّابئُون محمول، على التأْخير، ومرفوع بالابتداءِ. المعنى إن الذين آمنوا والذين هادوا مَنْ آمن باللَّهِ واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم، والصابئون والنصارى كذلك أَيْضاً، أي من آمن باللَّه واليوم الآخر فلا خوف عليهم، وأَنشدوا في ذلك قول الشاعر:[2]

وإلا فاعلموا أَنا وأَنتم ... بغاة ما بقينا في شقاق

المعنى وإلا فاعلموا أَنَّا بُغَاةٌ ما بقينا في شقاق، وأَنتم أَيضاً كذلك.

وزعم سيبويه أَنَّ قوماً من العرب يغْلِطُونَ فيقولون إنهم أَجمعُونَ ذاهبُون، وإنك وزيدٌ ذاهبان. فجعل سيبويه هذا غلطاً وجعله كقول الشاعر:[3]

---

(١) سورة المائدة ـ ٢٢.

(٢) هو بشر بن أبي حازم.

والبيت في العيني ١/٢٧١، والخزانة جـ ٤ وكتاب سيبويه جـ ٢ ١٥٦ (ت هرون) وشواهد الكشاف.

(٣) لزهير بن أبي سلمى، من قصيدة أولها:

ألا ليت شعري هل يرى الناس ما أرى ... من الأمر أو يبدو لهم ما بدا ليا

والبيت في ابن يعيش ٧ ـ ٥٦، والخزانة ٣ ـ ٦٦٥، وشرح شواهد المغني ٩٨ وكتاب سيبويه ٢ ـ ٢٣٨ ـ أميرية.

بـــدا لي أَنِّي لسْتُ مـدرِك مَـــا مَضى ولا سَـــابِقٌ شيئـاً إذا كـــان جـــائيـــاً

فأما ﴿مَن آمَنَ بِاللهِ﴾ وقد ذكر الذين آمنـوا، فإنمـا يعني الذين آمنـوا هَهنا المنافقين الذين أظهـروا الإِيمان بـألْسنتهم، ودلَّ على أن المعنى هنـا مَـا تقدَّم من قوله:

﴿لا يَحْزُنْكَ الذين يُسارِعُونَ في الكُفر مِنَ الـذينَ قَالُـوا آمنا بـأفواهِهِمْ ولم تُؤمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾.

ومعنى الصابـئ الخارج عن جملة الأَدْيان لأنهم[1] لا يدينـون بالكتُبُ، والعرب تقول قـد صبأَ نَـابُ البعير، وصبـأ سِنُّ الصَّبِيِّ إذا خرج. فـأما قـولهم ضبأت بالضادِ المعجمة فمعناه اختبأت في الأَرض، ومنه اشتُق اسم ضابـئ.

وقال الكسائي، الصابئون نسق على ما في هادوا[2]، كأنه قال هادوا هم والصابئون[3]. وهذا القول خطأ من جهتين، إحداهما أن الصابئ يشارك اليهودِيَّ في اليهوديّة وَإن ذَكَرَ أَنَّ هادوا في معنى تابوا[4] فهذا خطأٌ في هذا الموضع أيضـاً لأن معنى الذين آمنوا ههنا إنما هو إيمانٌ بأفواههم، لأنه يُعْنَى بِـه المنَافِقُونَ، ألَا ترى أَنَّـه قال من آمَنَ باللَّه، فلو كانوا مؤْمنين لم يحتج أن يقال إنْ آمنوا فلهم أجرهم.

وقوله: ﴿فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفريقاً يقْتُلُون﴾.

المعنى كُلَّمَـا جَاءَهُم رسُـولٌ كذَّبـوا فريقـاً وقَتَلوا فريقـاً، أَمَّـا التَّكْـذيبُ فـاليهودُ والنصـارى مشتـركـة فيـه، وأمـا القتـل فكـانَتْ اليهـود خـاصَّـة ـ دون

---

(١) أي الصابئين.

(٢) عطف على واو الجماعة في هادوا.

(٣) أي يلزم على هذا التقدير أن يكون «الصابئون» فاعلاً للفعل «هاد» من هادوا ـ لأنه معطوف على فاعله وهو الواو.

(٤) إن أراد الذين تابوا ـ ولم يرد اليهود.

النَّصارى - يَقْتُلون الأَنبياءَ، وكانت الرسل على ضربين، رسل تأْتي بالشرائع والكتب نحو موسى وعيسى وإبراهيم ومحمد[١]، فهؤلاءِ معصومون من الخلق، لم يوصل إلى قتل واحدٍ منهم، ورُسُل تأْتي بالأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحث على التمسك بالدين نحو يحيى وزكريا[٢].

وقوله: ﴿وحَسِبُوا أَلَّا تكونَ فِتْنَةٌ﴾.

تقرأُ ﴿أَلَّا تكونَ﴾ بالنَّصْب، وأَلَّا تكونُ بالرَّفْع، فمن قرأَ بالرفع فالمعنى أَنه لا تكون فتنة[٣]، أَي حسبوا فعلهم غير فَاتنٍ لهم وذلك أَنَّهم كانوا يقولون إنهم أَبناءُ اللَّه وأَحباؤُه.

﴿فعَمُوا وَصَمُّوا﴾.

هَـذا مثلٌ، تـأْويله أَنَّهم لم يعملوا بما سمعوا ولا بما رَأَوْا من الآيات، فصاروا كالعُمْي الصُّمِّ.

﴿ثم تَاب عَلَيْهِم﴾.

أَي أَرسل إليهم محمداً ﷺ يعلمهم أَن اللَّه جلّ وعزّ قد تاب عليهم إن آمنوا وصَدَّقوا، فلم يُؤمنوا أَكثرهم، فقال عزّ وجلّ:

﴿ثمَّ عَمُوا وصَمُّوا كثِيرٌ مِنْهُمْ﴾.

أَي بعد أَن ازداد لهم الأمر وضوحاً بالنبي عليه السلام. كثير منهم يرتفع من ثلاثة أَوجه، أَحدها أَن تكون بدلاً من الواو، كأنه لما قال ﴿عموا وصَمُّوا﴾ أَبدل الكثير منهم، أَي عمي وصم كثيرٌ منهم كما تقول: جاءَني قومُك أَكْثَرهُمْ، وجائز أَن يكون جُمعَ الفعلُ مُقَدَّماً كما حكى أَهل اللغة أَكلوني

(١) ك - صلّى اللَّه عليهم أجمعين.

(٢) زكريا ويحيى قتلا - كما هو معروف.

وهو يعني أنهما لم يأتيا برسالة جديدة، بل كانا يبشران برسالة موسى عليه السلام.

(٣) وتكون «أن» مخففة من الثقيلة لوقوعها بعد «حسب».

البـراغيث، والوجـه(١) أن يكون كثيـر منهم خبر ابتـداءٍ محذوف، المعنى ذوو العمى والصمم كثير مِنهم.

وقوله: ﴿لَقَدْ كَفَر الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالثُ ثَلاثَةٍ﴾.

معناه أنهم قالوا اللَّه أحد ثلاثة آلهة، أَوْ وَاحِد من ثلاثة آلهـة، ولا يجوز في ثلاثة إلا الجرُّ، لأن المعنى أحد ثلاثة، فـإن قلت زيد ثـالث اثنين أو رابع ثلاثة جاز الجرُّ والنَّصْبُ، فأما النصب فعلى قولك كـان القوم ثـلاثة فَـرَبَعَهُم، وأنا رابعهم(٢) غداً، أو رابع الثلاثة غداً، ومن جـرَّ فعلى حذف التنـوين، كما قال عزّ وجلّ: ﴿هَدياً بالغَ الكَعْبَةَ﴾(٣).

وقوله: ﴿ومَا مِنْ إلهٍ إلَّا إلهٌ واحِد﴾.

دخلت «من» مؤكدة، والمعنى ما إله إلا إله واحد.

وقوله: ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهوا عَمَّا يَقُولونَ لَيَمَسَّنَّ الذينَ كَفَرُوا مِنْهُم عذابٌ أَلِيمٌ﴾.

معنى الذين كفروا منهم. الذين أقاموا على هذا الدين(٤) وهذا القول.

وقوله: ﴿إلَّا رَسُولٌ قَد خَلَتْ مِنْ قَبْله الرَّسُلُ﴾.

أي إبراؤه الأكمه والأبرص وإتيانه بالآيات المعجزات ليس بأنه إله، إنما أتى بالآيات كما أتى موسى بالآيات، وكما أتى إبراهيم بالآيات.

﴿وأُمُّهُ صِدِّيقةٌ﴾.

أي مبالغة في الصدق والتصديق، وإنمـا وقع عليهـا صدِّيقـة لأنه أرسـل إليهـا جبريـل، فقال اللَّه عـزّ وجـلّ: ﴿وصـدَّقتْ بكلمـات ربهـا وكتُبُه﴾(٥)،

(١) هذا هو الوجه الثالث وهو الذي يختاره.

(٢) مصيرهم أربعة.

(٣) المائدة ٩٥.

(٤) هذا الاعتقاد بأن اللَّه ثالث ثلاثة.

(٥) سورة التحريم ١٢.

وصِدّيق فِعيلٌ من أبنية المبالغة كما تقول فلان سِكِّيت أي مبالغ في السكوت.

وقوله: ﴿ كَانَا يأْكُلاَنِ الطَّعَامَ ﴾.

هذا احتجاج بيِّن، أي إنما يعيشان بالغذاءِ كما يعيش سائر الآدميين، فكيف يَكُونُ إلَهاً من لا يقيمه إلاَّ أكلُ الطعام.

وقوله: ﴿ انظرْ كَيْفَ نُبيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ﴾.

أي العلامات الواضحة.

﴿ثُمَّ انْظُرْ﴾: أي انظر بعد البيان.

﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.

أي من أين يُصرَفُونَ عَن الحقِّ الواضح.

وكل شيءٍ صرفته عن شيءٍ وقَلَبْتَه عَنْه، تقول أَفَكْتُه آفِكُه أفْكاً، والإفك الكذب إنما سُمِّيَ لأنه صرف عن الحق، والمؤْتفكات الرياح التي تأْتي من جهات على غير قصد واحد.

وقوله: ﴿وَلاَ تتَّبعُوا أَهَواءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾.

أَهواءَ جمع هوى، وهَوَى النَّفْسِ مقصورٌ لأنه مثل الفَرقَ وفَعَل جمعُه أَفْعال، وتأْويله لا تتبعوا شَهَواتِهِمْ لأنهم آثروا الشهوات على البيان والبرهان. وما في القُرآن مِن ذكر اتباع الهَوَى مَذْمُوم[1] نحو قوله: ﴿وَلاَ تَتبع الهوى فيُضلَّك عنْ سبيلِ الله﴾[2] وقوله: ﴿واتَّبَعَ هواهُ فَتردى﴾[3] وقوله: ﴿وما ينَطَق عن الهوى﴾[4].

---

(١) لم يذكر الهوى إلا مذموماً.

(٢) سورة ص آية ٢٦.

(٣) سورة طه آية ١٦.

(٤) سورة النجم آية ٣.

ومعنى ﴿وأَضلُّوا كثيراً﴾ الكثير اتبعوهم.

﴿وَضَلُّوا عَن سَواءِ السَّبيلِ﴾.

أي ضلوا بإضلالهم عن قصد السبيل.

وقوله: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيل﴾.

تأْويل لُعِنُوا بُوعِدُوا من رحمة اللَّه.

﴿عَلى لِسَانِ دَاودَ وعِيسَى بنِ مَرْيَمَ﴾.

جاءَ في التفسير أَنّ قوماً اجتمعوا على مُنْكرٍ، فأَتاهم داود عليه السلام ينهاهم عنه، فاستأْذن عليهم فقالوا نحن قرودٌ وما نفقه ما تقول، فقال كونوا قِرِدَةً، فمسخهم اللَّه قِردَةَ، وأَن قوماً اجتمعوا على عيسى يَسُبُّونه في أُمِّه وَيَرْجُمُونَه فسأَل اللَّه أَن يجعلهم خنازير فصاروا خنازير، وذلك لعنهم على لسان داودَ وعيسَى.

وجائز أَن يكون داود وعيسى أُعْلِمَا أَنَّ مُحمداً ﷺ نَبيٌّ وأَنَّهُما لَعنا مَنْ كَفَرَ به.

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا عصوْا وكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

أي ذلك اللَّعْن بمعصيتهم واعتدائهم.

و«ذلك» الكاف فيه للمخاطبة، واللام في ذَلِك كسرتْ لالتقاء الساكنين، ولم يذكر الكوفيون كسر هذه اللام في شيءٍ من كُتبهم ولا عَرَّفُوه، وهذه من الأَشياءِ التي كان ينبغي أَن يتكلموا فيها[1]، إذ كان «ذلك» إشارة إلى كل متراخ عنك، إلا أَن تركهم الكلام أَعْودُ عَلَيْهم[2] مِنْ تَكلُّمِهمْ إذ كان أَول ما نطقوا به في فَعِلَ قد نقض سائر العربية، وقد بينا ذلك قديماً[3].

(١) ط فيه.

(٢) أكثر فائدة لهم إذ لا لحجة لديهم.

(٣) لم يتكلم عنه في هذا الكتاب.

وقوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفعَلُونَ﴾.

أي لبئس شيئاً فعِلهم، واللام دَخَلَتْ للقَسم والتَّوكِيد وقد بيَّنَّا لِم فُتِحت، وسائر الحروف التي جاءَت يعْني لم فُتِحتْ وكسرت[1] ولم يبين الكوفيون شيئاً من ذلك.

وقوله: ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّه علَيْهِمْ﴾.

«أَنْ» يجوز أَن يكون نصباً على تأْويل بئس الشيءُ ذلك لأَنْ سخط اللَّه عَلَيْهم، أي لأَن أكسبهم السَّخْطةَ، ويجوز أَن يكون «أَنْ»[2] في موضع رفع على إضمار هو، كأنه قيل هو أَنْ سَخط اللَّهُ عَليهمْ، كما تقول نِعْمَ الرَّجُلُ زيْدٌ.

وقوله: ﴿لَتجِدَن أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ والَّذِينَ أشركُوا﴾.

وذلك أَن اليَهودَ ظاهَروا المشركين على المؤْمنين، والمؤْمنون يؤْمنون بموسى والتوراة التي أَتى بها، وكان ينبغي أَن يكونُوا إلى من وافقهم في الإيمان بنَبِيِّهمْ وكتابهم أَقربَ، فظاهروا المشركين حَسَداً للنبي ﷺ.

وقوله: ﴿لَتَجِدَنَ﴾: هذه اللام لام القسم، والنون دَخَلَتْ تَفْصِلُ بينَ الحال والاسْتقْبَالِ، هذا مذهب الخليل وسيبويه، ومن يُوثَقُ بعِلْمِه.

وقوله: ﴿عَدَاوَةً﴾ مَنْصُوب على التمييز.

﴿وَلتجدَنَّ أَقْربَهم مَوَدَّةً للذين آمَنُوا الذِينَ قَالُوا إنَّا نَصارَى﴾.

في هذه غير وجه، جاءَ في التفسير أَن نيفاً وثلاثين من الْحَبَشِ من

---

(١) انظر ص ٤٢ جـ ١

(٢) ط في «أن» في موضع رفع.

النصارى جاءُوا وجماعةً معهم، فأسلموا لما تلا عليهم النبي ﷺ (القرآن)[١].

وجائز أن يكون يُعْنَى بِهِ النَّصارَى لأنهم كانوا أَقَل مظاهرة للمشركِينَ من اليهود، ويكون قوله:

﴿وإِذَا سَمِعُوا ما أُنزلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾.

على معنى ﴿ذلك بأَنَّ منهم قسيّسين ورهباناً﴾، ومنهم قوم إِذَا سَمِعُوا ما أُنْزلَ إلى الرَّسُولِ، يعني به ههنا مؤمنيهم، والقُسُّ والقِسِّيسُ من رُؤساءِ النَّصارَى، فأَما القَسُّ[٢] في اللُّغَة فهي النميمة ونشر الحديث، يقال: قسَّ فلان الحديث قسًّا.

ومعنى ﴿فَاكتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾.

أي مع من شهد من أَنْبيائك علَيْهِم السلامُ ومُؤْمِني عِبَادك بأَنَّكَ لا إِله غيْرُك.

وقوله: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللهِ﴾.

موْضع ﴿لا نؤمن بالله﴾ نصب على الحال، المعنى أَي شيءٍ لنا تاركين للإيمان، [أَي] في حال تركنا للإيمان، وذلك أَن قومهم عنفُوهم على إِيمَانِهم فأَجَابُوهم بأَن قالوا ما لنا لا نُؤمنُ باللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بآيَاتِنَا أُولئِكَ أَصْحَابُ الجَحِيمِ﴾.

الجَحِيم النَّار الشدّيدةُ الوَقُود، وقد جَحِمَ فلان النَّار إذا شدَّد وقُودَها، ويُقال لِعَيْن الأَسَد جَحْمة لشدة توقدها، ويقال لوقود الحرب، وهو شدة القتال فيها: جَاحِم، قال الشاعر:[٣]

---

(١) كلمة القرآن ليست في ط ـ ويكون المعنى أسلموا حين قرأ عليهم، أو لما قرأه عليهم.

(٢) القس مثلثة تتبع الشيء وطلبه كالتقسس والنميمة ـ وبالفتح صاحب الإبل الذي لا يفارقها. ورئيس النصارى في العلم ـ كالقسس. اهـ قاموس.

(٣) تقدم في الجزء الأول بيت من القصيدة ـ هو من صد عن نيرانها ـ والأبيات لسعد بن مالك بن=

والـخـيـل لا يـبـقـى لـجـاحـمـهـا الـتـخـيـل والمراحُ
إلا الـفـتـى الـصّـبّـارُ فـي الـنَّـجَـداتِ والـفـرس الوَقَاحُ

وقوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّموا طَيِّباتِ مَا أَحَلَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعتَدوا﴾.

هذه قيل نزلت لأنَّ جماعةً من أصحاب النبي كانوا هَمُّوا بأن يرفضوا الدنيا ويجتنبوا الطيبات ويخْصُوا أنفسهم، فأعلم اللَّه أن شريعة نبيه عليه السلام غير ذلك، والطيبات لا ينبغي أن تجتنب البتة، وسمي الخصاءُ اعتداءً، فقال عزّ وجلّ: ﴿ولا تعتدوا﴾، أي لا تَجُبُّوا أنفسكم فإن ذلك اعتداءَ.

وقوله: ﴿لَا يُؤاخِذُكُم اللَّهُ باللَّغوِ﴾.

اللغو في كلام العرب ما اطرح ولم يعقد عليه أمر، ويسمى ما ليس مُعتَدًّا به ـ وإن كان مَوجُوداً ـ لغواً، قال الشاعر:

أو مِـائـةً تـجـعـل أُولَادَهـا لَغْواً، وعُرْضُ المائةِ الجَلْمَدُ[1]

(الذي يعارضها في قوة الجلمد)[2]، يعني بذلك نوقاً، يقول: مائة لا تجعل أولادها من عددها.

أعلم[3] اللَّه عزّ وجلّ أن اليمين التي يُؤاخَذُ بها العَبْدُ وتجب في بعضها

= ضبيعة وهو جد طرفة ـ بن العبد ـ ورواية البيتين في شواهد المغني ـ والحرب لا يبقى لجاحمها. وجاحم الحرب شدتها واستعارها، والتخيل الخيلاء والعجب، والمراح، النشاط والفرح، والأبيات تعريض بالحرث بن عباد، ومن اعتزل الحرب معه ـ والنجدات الشدائد، والفرس الوقاح الصلبة الشديدة.

(١) البيت في اللسان «جلمد» والجلمد الصخرة والقطيع الضخم من الإبل، يريد أنها ناقة قوية لا يعارضها إلا الجامد ولا تجعل أولادها من عددها.

(٢) ليست في ط.

(٣) ط فأعلم.

الكفارَةُ ما جرى على عقدٍ، ومعنى فكفارته إطعـامُ عَشَرةِ مَسَـاكِين، أي فكفارة المُؤاخذَةِ فيه إذا حَنَثَ أن يُطْعَم عَشَرَة مساكين إن كانـوا ذكوراً أو إنـاثاً وذكـوراً أجزاه ذلك، ولكن وقع لفظ التذكير لأنه المُغَلَّبُ في الكلام.

ومعنى ﴿من أوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أهْلِيكُمْ﴾.

قال بعضهم أعْدله كما قال جلّ وعزّ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُم أُمَّةً وَسَطا﴾[١] أي عَـدْلاً، و﴿أوْسَط ما تـطعمون أهْليكُمْ﴾ على ضـربين أحـدهمـا أوسـطه في القدر والقيمة، والآخر أوسَطه في الشبع لا يكون المأكول يفرط في أكله فيؤكل منه فوق القصدِ وقدر الحاجة، ولا يكون دون المعنى عن الجوع.

﴿أوْ كِسْوَتُهُم﴾.

والكسوة أن يكسوهم نحو الإزَار والعِمَامة أو ما أشبه ذلك.

﴿أوْ تَحرِيرُ رَقَبةٍ﴾.

فخير الحالف أحدَ هذه الثلاثة، وأفضلها عند اللَّه أكثَرُها نَفْعاً، وأحسنُها مـوقعاً من المسـاكين، أو من المعتق، فإن كـان الناس في جَـدْب لا يقـدرون على المأكول إلاّ بما هو أشد تكلفاً من الكسوة أو الإعتاق، فـالإطعام أفضـل، لأن به قِوَامَ الحياةِ وإلا فالإعتاق أو الكسوة أفضل.

﴿فَمنْ لَمْ يجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أيّام﴾.

أي من كان لا يقدر على شيء مما حُدَّ في الكفـارة، فعليه صيـام ثلاثـة أيـامٍ، وصيام ثـلاثة مـرتفع بـالابتداءِ، وخبـره كفارتـه أو فكفارتـه صيام ثـلاثة أيام[٢]. ويجوز فصيامُ ثلاثةَ أيَّامٍ كمـا قال عـزّ وجلّ: ﴿أوْ إطْعـامٌ فِي يَوْمٍ ذِي

(١) سورة البقرة: ١٤٣.

(٢) أي هو خبر لمبتدأ محذوف.

مَسْغَبَةٍ. يتيماً﴾[١].

﴿أو عَدْلُ ذَلِكَ صِياماً﴾[٢].

﴿ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ﴾.

أي ذلك الذي يغطي على آثامكم، يقال كَفَرْتُ الشيءَ إذا غطَّيتُه، ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿أعجب الكُفَّارَ نباتُه﴾[٣]، والكفار الذين يغطون الزرع ويصلحونه، والكافر إنما سمي كافراً، لأنه ستر بكفره الإيمان.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا الخَمْرُ والمَيْسِرُ والأَنْصَابُ والأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾.

فالخمر معروف وهو ما خامر العقل، وقد فسرناه[٤]، والميسرُ القِمارُ كله[٥]، وأصله أنه كان قماراً في الجزور، وكانوا يقسمون الجَزُورَ في قول الأصمعي على ثمانية وعشرين جزءاً، وفي قول أبي عمرو الشباني على عشرة أجزاء، وقال أبو عبيدة لا أعرف عَدَدَ الأجزاء، وكانوا يضربون عليها بالقداح وهي سهامُ خَشبٍ. لها أسماء نبينها على حقيقتها في كتابنا إن شاءَ اللَّه، فيحصل كل رجل من ذلك القمار على قدر إمكانه، فهذَا أَصْلُ الميْسرِ، والقمار كلُّه كالميْسر وقد بينا الأنصاب والأزلام في أول السورة.

فأعلم اللَّه أن القِمارَ والخَمرَ والاسْتِقْسَامَ بالأَزْلامِ وعبادةَ الأوثان رجسٌ. والرجس في اللغة اسم لكل ما استُقْذِرَ من عمل، فبالغ اللَّه في ذَمِّ هذه الأشياء، وسماها رِجْساً، وأعلم أن الشيطان يُسَوِّلُ ذلك لِبَني آدم، يقال رَجِسَ الرجلُ يَرْجَسُ، ورجَسَ يَرْجُسُ، إذَا عمل عملاً قبيحاً، والرَّجْسُ بفتح الراء

---

(١) سورة البلد ١٤.

(٢) الأظهر في «صياماً» أنها تمييز، ولكن يجوز أن تكون مفعولاً لعدل، أي معادلة ذلك صوماً.

(٣) سورة الحديد ـ ٢٠.

(٤) انظر تفسير الآية: يسألونك عن الخمر ص ٢٩١ ج ١.

(٥) بجميع أنواعه.

شِدَّةُ الصَّوْتِ، فكان الرجس العمل الذي يقبح ذكره، ويرتفع في القبح، ويقال سحاب ورَعْدٌ رجَّاسٌ إذا كان شديد الصوت، قال الشاعر:

وكل رَجَّاس يَسُوقَ الرُّجَّسَا(١)

وأما الرجز بالزاي فالعذابُ، أو العمل الذي يؤدي إلى العذاب، قال اللّه: ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾(٢) أي كشفت عنا العذاب، وقوله: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهجُر﴾(٣) قالوا عبادة الأوثان. وأصل الرِّجْز في اللغة تتابع الحركات، فمِنْ ذلك قولهم رجزاءَ إذا كانت ترتعد قوائمها عند قيامها، ومن هذا رَجَزُ الشِّعر لأنه أقْصَرُ أبيَاتِ الشِّعْرِ، والانتقال [فيه] من بيت إلى بيت سريع نحو قوله(٤):

يا ليتني فيها جذع أخب فيها وأضع

ونحو قولهم:

صَبْراً بَنِي عَبْدِ الدَّارِ(٥)

ونحو قولهم:

ما هاج أحزانا وشجوا قد شجا(٦)

---

(١) للعجاج ـ وبعده ـ من السيول والسحاب المرسا. أنظر الديوان ص ١٦ واللسان (رجس).

(٢) الأعراف ـ ١٣٤.

(٣) سورة المدثر آية ٥.

(٤) من رجز لدريد بن الصمة قاله يوم هوازن (اللسان ـ جدع) وسيرة ابن هشام ٨٩٠، والأغاني جـ٩ ـ ٣٤٥، جـ ١٠ ـ ٣١.

(٥) الرجز في سيرة ابن هشام جـ٣ ـ ٥٨٨ ـ ويهابني عبد الدار ـ ويها حماة الأدبار، ضرباً بكل بتار.

(٦) لرؤبة ـ وبعده: من طلل كالاتخمى أنهجا ـ انظر معاهد التنصيص. وأراجيز العرب ١٧ ورؤبة اسمه عبد اللّه، بصري تميمي والرؤبة القطعة من الخشب يشبه بها الإناء.

وزعم الخليل أن الرَّجَزَ ليس بشعر، وإنما هو أنصاف أَبْيَات أو أثـلاث، ودليل الخليل في ذلك ما روي عن النبي ﷺ:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً وتأتيك من لم تزوّدْ بالأخبار.

قال الخليل: لو كان نصف البيت شعراً ما جرى على لسان النبي ﷺ:

سَـتُبدِي لـك الأيّـامُ مَـا كَنْـتَ جَـاهِـلاً(١)

وجاءَ النصف الثاني على غير تأليف الشعر، لأن نصف البيت لا يقال له شِعـرٌ ولا بَيتٌ، ولو جـاز أن يقال لنصف البيت شعـر لقيـلَ لِجُـزْءٍ منـه شعـر. وجرى على لسان النبي ﷺ فيما روَى:

أنــا النبي لا كـذب
أنــا ابــن عــبــد المطلب

قال بعضهم: إنما هـوَ لا كذِبَ أنـا ابن عبد المـطلب، بفتح البـاءِ على الوصل(٢).

قـال الخليل: فلو كـان شعراً لم يجـر على لسان النبي ﷺ، قـال اللّه: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾(٣)، أي ما يَسَهَّل له، قال الأخفش كان قول الخليـل إن هذه الأشيـاءَ شعرٌ، وأنـا أقول: إنهـا ليست بشعر، وذكـر أنه ألْـزَمَ الخليـلَ أن الخليل اعتقـده(٤). ومعنى الرِّجـزُ العذاب المُقَلْقِـلُ لشـدَّتِـه قَلْقَلةً شَدِيدَةً متتابعة، ومعنى فاجتَنِبُوهَ: أي اتركوه.

---

(١) بيت من معلقة طرفة ـ وبقيته: ويأتيك بالأخبار من لم تـزود ـ ولكن النبي ﷺ لم يشأ أن ينشـده على صورة الشعر الموزون.

(٢) وبذلك لا يكون رجزاً ولا شعـراً.

(٣) سورةيس. آية ٦٩.

(٤) أي ان الخليل عدل عن رأيه لهذا، وما هو مقرر هنا هو رأي الأخفش.

واشتقاقه في اللغة كونوا جانباً منه أي في ناحية.

وقوله: ﴿لَيَبْلُونكُم اللّهُ بِشَيءٍ مِنَ الصَّيدِ تَنالُه أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُم﴾ هذه اللام لامُ القَسَمِ ،واللام[1] مفتوحة لالتقاءِ الساكنين في قول بعضهم أغزُوَنَّ يا رَجُـلُ، فأما لام لَتُبْلَوُنَّ، فزعم سيبويه أنها مبنية على الفتح.

وقد أَحكمنا شرحَ هذا قبل هذا الموضِـع[2].

ومعنى: «ليبلونكم»: ليختبرنّ طاعتكم من معصيتكم.

﴿بِشَيءٍ مِنَ الصيدِ﴾.

فَقال عزّ وجلّ بشيءٍ من الصَّيْدِ فبَعض، وهو يحتمل وَجْهَيْن أَحدهما أنه على صيـد البَرِّ دُونَ صَيْـدِ البَحْر، والثـاني أَنـه لَمَّـا عَنى الصَّيـدَ مـا دامـوا في الاحـرام كان ذلـك بعضَ الصَّيْدِ. وجـائز أَن يكـون على وجه ثـالث، ويكـون «مِنْ» هذه تبين جنساً من الأَجنـاس، تقول: لأَمتحننـك بشيءٍ من الوَرِق، أَي لامتحننك بالجنس الذي هو ورق، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿فَاجْتَنِبُوا الـرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾[3] والأَوثان كلها رجس، المعنى فاَجتنبوا الرجس الذي هو وثن.

ومعنى قوله: ﴿تَنالُه أَيْدِيكمْ ورماحُكُمْ﴾.

الذي تناله الأَيدي نحو بيض النَّعام وفِـراخِه ومـا كان صغيـراً ينهض من مجْثِمِهِ مِن غَيرِ النعـام وسائـر ما يفـوق اليد بحـركته من سـائر الـوحش. فحرم جميع صيد البر الجراد وكل ما يصطاد فحرام [صيده] ما داموا حرماً. وبيّن رسـول اللّه ﷺ أَن كل ما اصْطِيد في الحرمِ حرامٌ، كانوا محرمين أَو غير محرمين.

وقوله: ﴿ومنْ قَتلَهُ مِنكمْ مُتعمّداً﴾.

(١) هكذا في جميع الأصول ـ وبيد أنه و«النون».

(٢) جـ ١ الآية لتبلون في أموالكم... سورة آل عمران آية ١٨٦. ص ٤٩٦ جـ ١.

(٣) سورة الحج الآية ٣٠.

أي عمداً لِقتلِه، كأنه ناسٍ أنه مُحرِمٌ، ومتَعمِّدٌ للقتل، وجائز أن يقصد القتل وهو يعلم أنه محرم.

وقوله: ﴿فَجزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِن النَعَمِ﴾.

و﴿فجزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ﴾ برفع مثل وجرّها، فمن رفَعهُما جميعاً فرفعه على معْنى فعليه جزاءُ مثل الَّذِي قَتلَ، فيكون «مِثْل» من نَعْتِ الجزاءُ، ويكون أن ترفع «جزاءَ» على الابتداءِ ويكون مثل قتَل خبر الابتداءِ، ويكون المعنى فجزاءَ ذلك الفعل مِثلُ ما قَتَلَ، ومن جرَّ أراد فعليه جزاءُ مِثل ذلك المقتول من النَّعمِ، والنعمُ في اللغة هي الإبل والبقر والغَنَمُ، وإن انفَردت الإبل منها قيل لها نَعم وإن انفردت الغنمُ والبقرُ لم تُسَمَّ نعماً.

فكان عليه بحذاءِ حمار الوحش وبقرةِ الوحش بَدَنةً، وعليه بحذاءِ الظباءِ من الغنم شاة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَحْكُمُ به ذَوَا عَدْلٍ مِنكمْ﴾.

أي من أهل ملتكم، فعلى قاتل الصيد أن يسْأل فقِيهيْن عَدْلَيْن عن جزاءِ ما قَتَل، ويقولان له: أَقتلتَ صيْداً قبْل هَذَا وأَنْتَ مُحرِم فإن اعْترف بأنه قتل صيداً قبْل ذَلِك لم يَحْكُمَا عليه بشيء، لقول اللَّه عزّ وجلّ: ﴿ومن عاد فينتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾. وإن لم يعترف نَظَرا فيما قتل. فإن كان كالإبل حكماً عليه بها ﴿هَدْياً بَالِغَ الكعْبَةِ﴾ وإن كان كالشاءَ حكما عليه بمثل ذلك. وإن كانت القيمة لا تبلغ نظرا فقدرا قيمة ذلك، وأطعم بثمن ذلك المساكينَ، كلَّ مِسكين - قال بعضهم - صاعاً من حِنطة، وقال بعضهم نصف صاع أَوْ صَامَ بعَدْلِ ذلك على ما توجبُه السُّنَّةُ، ويجوز أن تكون «أو» - وهو الأجود في اللغة - للتخيير، فإن شاءَ أهدى وإن شاءَ قوَّما له الهدْيَ وأَطْعَم بَدلَه على ما وصفنا. وجعل مثل ذلك صياماً لأن «أو» للتخيير، وقال بعضهم كأنّهُ إن لم يقدر على الإبلِ والغنمِ

فينبغِي أن يُـطعِم أو يصُومَ، والـذي يوجبـه اللفظُ التخييـرُ، وأهـلُ الفِقْـهِ أعلمُ بالسنة في ذلك، إلاَّ أني أختارُ على مذهب اللغة أنه مخيَّر.

وقوله: ﴿هَدْياً بَالِغَ الكعْبَةِ﴾.

منصوب على الحال. المعنى يحكمان به مُقَدَّراً أن يُهْدَى، و﴿بالغ الكعبة﴾ لفظُه لفظ مَعْرفةٍ، ومعناه النكـرة، المعنى بالغـاً الكعبة، إلاَّ أنَّ التَّنْـوِينَ حُذِف استِخفَافاً.

ومعنى قوله: ﴿أَوْ عَدْلُ ذلِك﴾.

أو مِثل ذلك، قال بعضهم عَدْلُ الشيء مثله من جنسـه، وعَدْلُـه مثلُه من غير جنسه ـ بفتح العين، وقال إلا أن بعض العرب يغلط فيجعل العدْل والعِدْل في معنى المثل، وإن كان من غير جنس الأول. قال البصريون العَـدْل والعِدل في معنى المثـل، والمعنى واحد كـان المثـل من الجنس أو من غيـر الجنس، كما أن المثل ما كان من جِنْسِ الشيءِ ومِنْ غير جِنْسِه، مِثْـل، ولم يقولـوا إنَّ العـرب غلطت، وَلَيْسَ إذا أَخْـطأَ مـخـطئ يـوجب أن تقـول ان بعض العـرب غلط.

وقوله: ﴿صِيَاماً﴾.

منصوب على التمييز. المعنى أو مثل ذلك من الصيام.

﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾.

«الوَبَالُ» ثِقْلُ الشّيءِ في المكروه، ومنه قولهم طعام وبيل، وماء وبيل، إذا كانا ثقيلين غيرُ نَامِيَينِ في المَالِ، قال عـزّ وجلّ: ﴿فَـأَخَذْنَـاهُ أَخْذاً وَبِيـلاً﴾[1] أَي ثقيلاً شديداً، والوبيلُ خشبةُ القصَّارِ ومن هذا[2] قيل لها وبيـلٌ. قال طـرفة ابن العبدِ.

---

(١) سورة المزمل ـ ١٦.

(٢) من ثقلها وشدتها.

عقيلــة شــيخ كــالـوبيــل يــلنْــدَدٍ(١)

وقوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾.

الفاءُ جواب الجزاءِ، والمعنى أنه ـ واللَّه أعلم ـ ومن عاد مُستَحِلاً للصيد بعد أَنْ حَرَّمَه اللَّه منه فينتقم اللَّهُ مِنه أي فيعذبه اللَّهُ.

وجائز أَنْ يكون: من عاد مستخفاً بأمر اللَّه فجزاؤه العـذاب كجزاءِ قـاتل النفس.

وقوله: ﴿وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وللسَّيَّارَة﴾.

أي أَحَل لكم صيدَ البحر، وأَحلَّ لكم طَعَامَ البحر للسَّيَّـارَةِ، فَأَمَّـا صَيدُه فمعـروفٌ، وأَما طَعَـامُه فقـد اختُلِفَ فيه، فقـالَ بعضهم: ما نَضَبَ المـاءَ عنـه فأُخِذَ بغَيْرِ صَيد فهو طعامه، وقال طعامه هو كل ما سقاه الماءَ فأَنبت فهـو طعام البحر، لأَنه نبت عن ماءِ البحر، فأَعلمهم اللَّه أن الذي أَحَلَّ لهم كثير في البـر والبحـر، وأَن الذي حُـرِّمَ عَليهم إنما هـو صيد البـرّ في حـال الإحـرام. وسَنَّ النبيُّ ﷺ تحريمَ الصيد في الحرم ليكون قد أَعْذَر إِليهم من الانتقام ممَّن عاود ما حرم اللَّه عليه مع كثرة ما أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ.

و «مَتَاعاً»: منصوب مصدر مؤكد، لأَنه لما قال أُحِلَّ لكم كان دَليلاً على أَنَّه قد مَتَّعَهُمْ به، كما أنه لما قال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيكُمْ أُمَّهَاتكُمْ﴾ كان دليلاً على أنه قد كتب عليهم ذلك، فقال: «كتاب الله عليكم»(٢).

---

(١) عجز بيت من معلقته، وصدره: فمرت كهاة ذات خيف جلالة ـ والكهاة والجلالة الناقة الضخمة السمينـة والخيف جلد الضرع، والعقيلة الكـريمة، واليلنـدد السدينة ـ يقـول انه مـر بسيفه بين الإبل ليختار واحدة ينحرها ـ فنفرت واحدة سمينة. وهي كريمة مال شيخ قـد يبس جلده ونحل حتى صار كالعصا الضخمة ـ وهو شيخ شديد الخصومة. قيل عنى أباه، وأنه نحر إبله على كره منه، وقيل عنى من يغير عليه من الناس.

(٢) على هـذا يكون «متـاعـاً» مفعـول مـطلق ـ ويمكن أن يكـون حـالاً أي أحـل لكم متعـة وشيئـاً يستزيحون به.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ﴾.

قيل إنما سُمِّيتِ الكعبةَ لتربيع أعلاها.

ومعنى قِياماً للنَّاسِ أي مما أُمِرُوا بِهِ أن يقوموا بالفرض فيه[١]. وكذلك: ﴿والشَّهْرَ الحَرامَ والهَدْيَ والقَلائِدَ﴾.

فأمَّا مَن قَال إنه أَمْنٌ فلأن اللَّه قال: ﴿وَمَنْ دَخله كَانَ آمِناً﴾[٢] ولم تزَلْ العربُ تتركُ القتال في الشهر الحرام، وكان يسمى رَجَبُ الأَصَمَّ لأنه لا يسمع فيه صوت السلاح. وأما من قال جُعِلت هذه الأشياء لِيَقُومَ الناس بها فإنما عنى متعبداتهم بالحجّ وَأَسْبَابِه.

وقوله: ﴿ذلك لتَعْلَمُوا أَنّ اللَّه يعلم ما في السموات وما في الأرض﴾.

فيه قولان: أحدهما أن اللَّه لما آمَنَ مِنَ الخوف البلدَ الحَرَامَ، والناسُ كان يقتل بعضُهم بعضاً، وجعلَ الشهرَ الحرامَ يُمتَنَعُ فِيه من القتل، والقوم أهل جاهليه، فدل بذلك أنه يعلم ما في السَّمَاوات ومَا في الأَرْض إذْ جَعَل في أعْظمِ الأَوْقَاتِ فساداً ما يؤمن به، وفيه قول آخر وهو عندي أبين، وهو أن ذلك مَرْدُودٌ على ما أنبأ اللَّه به على لسان نبيّه في هذه السُّورةِ من قوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْواهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾.

فأخبر بنفاقهم الذي كان مسْتَتَراً عن المسلمين، وما أخبر به أنّهم ﴿سمَّاعُونَ للكذب سمَّاعُون لقَوْمٍ آخرينَ لَمْ يأتوكِ﴾. فأظهر الله ما كانوا أسَرُّوه من قصة الزانيين، ومسألتِهِمْ إياه ﷺ وما شَرَحْناهُ مما كانوا عليه في ذلك، فأظهر[٣] اللَّه جلّ وعزّ: نبيَّه والمُؤْمِنِينَ على جميع ما ستروا عَنْهُمْ.

---

(١) في البيت الحرام.

(٢) سورة آل عمران ـ ٩٧.

(٣) أطلع اللَّه.

فالمعنى ـ واللَّه أعلم ـ ذلك لتعلموا الغيب الذي أنْبأتُكُمْ به عن اللَّه، يدلكم على أنه يعلم ما في السموات وما في الأرض. ودليل هذا القول قوله جلّ وعزّ:

﴿ما عَلَى الرَّسُولِ إلاَّ البَلاغُ واللَّهُ يَعْلَمُ ما تُبْدون وَمَا تكتمونَ﴾.

وقوله: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكم، وإِنْ تَسْأَلُوا عَنهَا حِينَ يُنَزَّلُ القُرآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾.

[تُبْدَ لكم] ـ تُظْهَر لَكُم، يقال بدا لي الشَّيْ يبدو إذَا ظَهَر.

جاءَ في التفسير أن النبي ﷺ خطب الناس فأعلمهم أن اللَّه قد فرض عليهم الحج، فقام رجل من بني أسدٍ فقال: يا رسول اللَّه أفي كل عام، فأعرض عنه ﷺ فعادَ الرجلُ ثانية، فأعرض عنه، ثم عاد ثالثة فقال ﷺ ما يؤْمنك أن أقول نَعَمْ فَتجبُ فلا تقومون بها فتكفرون.

تأويل «تكفرون»، ـ واللَّه أعلم ـ ههنا أنكم تَدْفعُونَ لِثِقَلِهَا وُجُوبَهَا فتكفرون. وقال ﷺ:[١] اتركوني ما تركْتُكُمْ فإنما هلك منْ كَانَ قَبلَكم بكثرة اخْتِلاَفِهِمْ على أنبيائهم. وسأله ﷺ رجل كان يتنازعه اثنان يدَّعِيَ كل واحد منهما أنه أبوه فأخبر ﷺ بأبيه منهما، فأعلم الله عزّ وجلْ أن السؤال عن مثل هذا الجنس لا ينبغي أن يقع، فإنه إذَا ظهرَ منهُ الجوابُ سَاءَ ذَلِك. وخاصَّةً في وقت سُؤَالِ النبي ﷺ عن جهة تبيين الآيات، فنهى اللَّه عن ذلك، وأعلم أنه قد عفا عنها، ولا وجهَ عَن مسألة ما نهى اللَّه عنه[٢]، وفيه فضيحة على السائل إن ظهر.

---

(١) أي في هذا الموقف نفسه.

(٢) لا سبب ولا داعي له.

وأشياءَ في موضع جر إلا أنها فتحت لأنها لاَ تَنْصرِفُ. وقال الكسائي أشبه آخرُها آخَرَ حَمْرَاءَ، ووزْنُها عندَهُ أَفْعال، وكثر اسْتِعْمَالَهُمْ[1] فلم تُصْرَف.

وقد أجمع البصريون وأكثر الكوفيين على أن قول الكسائي خطأً في هذا، وألزموه ألَّا يصْرفَ أبناءً وأسماءً. وقال الأخفش - سعيدُ بنُ مسعدة - والْفَرَّاءُ: أصلها أفعلاءَ كما تقول هَيْن وأهونَاءَ إلَّا أنه كان الأصلُ أَشْيئاءَ على وزْنِ «أشبِعاع»[2] فاجْتَمَعَتْ هَمزتَان بينهما ألف، فحذفت الهمزة الأُولى. وهذا غلط أيضاً. لأن شيئاً فَعْلٌ، وفَعْلٌ لا يجمع على أفعلاءَ، فأما هَيْن، فأصله أهيِنُ، فجمع على أفعلاءَ، كما يجمع فعيل على أفعلاءَ، مثل نصيب وأنصباءَ. وقال الخليل: أشياءَ اسم للجميع كان أصله فعلاءَ - شيئاءَ، فاستثقلت الهمزتان فقلبت[3] الأُولى إلى أول الكلمة فَجعلَت لَفْعاءَ كما قالوا أنْوق فقلبوا أينق، كما قلبوا قووس فقالوا قِسيّ.

ويُصَدِّقُ قولَ الخليل جمعهُم أشياءَ [على] أشاوى، وأشَايَاه وقول الخليل هو مَذهَب سيبويه وأبِي عُثْمانَ المازني وجميعِ البصريين إلا الزيادى[4] منهم، فإنه كان يميل إلى قول الأخفش.

وذكروا أن المازني ناظر الأخفش في هذا فقطع المازنيُّ الأَخْفَشَ، وذلك أنه سأله: كيف تُصغرُ أشياءَ فقال: أُشَيَّاء، فاعلم. ولو كانت أفعلاءُ لَرُدَّتْ في التصغير إلى واحدها، فقيل شُيَيْئَات، وإجماع البصريين أن تصغير

---

(١) كثر استعمال الناس هذه الكلمة فخففت بحذف التنوين.

(٢) كلمة لا معنى لها، ذكرها لمجرد الوزن، وهذه عادته كما ذكر: حضاعي.

(٣) نقلت إلى أول الكلمة.

(٤) هو إبراهيم بن سفيان - من نسل عبد الرحمن بن زياد بن أبيه - كان نحوياً لغوياً راوية - وكان شاعراً ذا دعابة ومزح، وله تصانيف حسنة. أنظر ياقوت ١ - ١٥٨، ١ - ٤١٤.

أصدقاءَ إذا كان للمؤنثات صُدَيِّقَاتٌ وإن كان للمذكرين صُدَيِّقُون(١).

وقوله: ﴿ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرة وَلا سَائِبَةَ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾.

أُثبِتُ ما رَوينا في تفسير هذه الأسماءَ عن أهل اللغة ما أذكره ههنا:

قال أهل اللغة: الْبَحِيرةُ ناقةٌ كانت إذا نُتجت خمْسة أبطُن وكان آخرُها ذكراً، نحروا أُذْنَها - أي شَقُّوهَا - وامتنعوا من ركوبها وذبْحهَا، ولا تطرد عن ماءٍ ولا تمنع مِن مَرْعًى، وإذا لقِيها المعْيى(٢) لم يركبها.

والسائبة. كان الرجل إذَا نذَر لقدوم من سَفَر أو بُرءٍ منْ عِلَّة أو ما أشبه ذلك قال ناقتي هذه سائبة، فكانت كالبحيرة في أن لا ينتفع بها وأنْ لَا تُجْلَى عن مَاءٍ، ولا تَمْنعُ من مَرْعًى.

وكان الرجل إذا أَعْتَقَ عبداً قال هو سائِبةٌ، فلا عقل بينهما ولا ميراث(٣).

وأما الوَصِيلَةُ ففي الغنم، كانت الشاة إذا ولدت أُنثى فهي لهم وإذا ولدت ذكراً وأنثى قالوا وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم.

وأمَّا الحامِي فالذكر من الإبل. كانت العرب إذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبْطن، حُمِي ظهرهُ فلا يحمل عليه، ولا يمنع من ماءٍ ولا مرعى. فأعلم اللَّه أنه لَمْ يُحَرِّمْ من هذه الأشياءِ شيئاً، وأن الذين كفروا افْتَروْا على اللَّه.

وقوله: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيكُم أَنْفُسَكُمْ﴾.

معناه إنَّما ألزمكم اللَّه أمْرَ أنْفسِكُمْ.

---

(١) صغّروا ثم جمعوا.

(٢) المعيي المتعب.

(٣) إذا جنى هذا المعتق جناية لا يلزم بأرش أو عوض، كما لا يتحمل شيئاً عن مولاه، وإذا مات وله مال لا يرثه سيده.

﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾.

أي لا يُؤَاخذكم اللَّه بذنوب غيركم، وليس يُوجبُ لفظُ هذه الآيةِ ترك الأَمْرِ بالمعروف والنهيِ عَن المنكر، وأعلم أنه لا يضر المؤمِنَ كفرُ الكافِرِ، فإذا تَرَكَ المؤْمنُ الأمرَ بالْمَعروفِ وهو مستطيع ذلك فهو ضَالٌّ، وليس بِمُهْتَدٍ.

وَإِعْرَابُ: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ﴾: الأجود أن يكون رفعاً ويكون على جهة الخبرِ. المعنى ليس يضُركم مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيتُم. وَيَجُوزُ أن يكونَ موضعُهُ جزماً، ويكون الأصل لا يضرُركم إلَّا أَنَّ الراءَ الأُولى أُدغِمَتْ في الثَّانِيَةِ فَضُمَّتِ الثَّانية لالتقاءِ الساكنين، ويجوز في العرَبِيَّةِ على جهة النهيِ لا يضرَّكم بفتح الراءِ، ولا يَضُرِّكم بكسرها. ولكن القراءَة لا تُخَالَفُ، ولأَنَّ الضم أَجْوَدُ كان الموضعُ رفعاً أو جَزْماً.

فأما من ضَمَّ لالتقاءِ الساكنين فأتبع الضمَّ الضَّمَّ، وأما من كسر فلأن أَصل التقاءِ الساكنين الكسر، وأما من فتح فلخفة الفتح فتح لالتقاءِ الساكنين.

وهذا النهي للفظ غائب يراد به المخاطبون، إذا قلت: لا يَضْرُرْكَ كفرُ الكافر، فالمعنى لا تَعُدَّنَّ أنت كفْرُه ضَرَراً، كما أنك إِذَا قلتَ لا أُرنيك ههنا، فالنهي في اللفظ لنفسك، ومعناه لمخَاطَبِكَ، معناه لا تكونن ههنا.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾.

معناه أَنَّ الشَّهادةَ في وقت الوصية هي للموت ليس أَن الموتَ حاضرُه وهو يُوصِي بما يَقُولُ الموصِي، صحيحاً كان أو غير صحيح: إذا حَضَرَنِي الموتُ، أو إِذَا مِتُّ فافعلوا واصْنَعُوا. والشهادة ترتفع من جهتين، أحدهما أن تَرتَفِعَ بالابتداءِ ويكون خبرها «اثنان»، والمعنى شهادة هذه الحال شهادةُ اثنين، فتحذف شهادة ويَقُومُ اثنانَ مقامها.

ويجوز أن يكون رفع ﴿شهادةُ بينِكم﴾ على قوله:[١] وفيما فرض اللَّه عليكم في شهادتكم أن يشهد اثنان، فيرتفع اثنان بشهادة، والمعنى أن يشهد اثنان[٢] فيرتفع اثنان بشهادة، والمعنى أن يشهد اثنان ذوا عَدْل منكم.

معنى «مِنْكُمْ» قيل فيه قولان، قال بعضُهم منكم من أهل دينكم.

﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾: من غير أَهْلِ مِلَّتكم.

وقال بعضهم: ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُم﴾: من أهل الميت، أو آخرَان مِن غَيْـركُم مِن غَيرِ أَهْلِ الميّت، واحتج هؤُلاءِ بأن (قوله)[٣]: ﴿فَيَقْسِمَان باللَّهِ إن ارتَبْتُم لَا نَشْتَرِي بِه ثَمَناً وَلَو كَانَ ذَا قُربَى﴾: يَدُل على أَنّ مِنْكم مِنْ ذَوِي قَراباتِكم.

وقال هؤُلاءِ إذا كانـوا أيضاً عُـدولاً مِنْ قَرَابَـاتِ الميّتِ، فهم أَولى لأنهم أَعلم بـأَحوال الأَهْـل مِن الغرائب، وأَعلمُ بمـا يُصلِحُهُم، واحتجوا أيضـاً بـأن «ذَوَى عَـدْلٍ» لا يكونـان من غير أَهـل ملة الإسـلام لأن الكفـر قـد بـاعـدَ من العدالة.

فأَعلم اللَّه عزّ وجلّ أن الوصيةَ ينبغي أن يكونَ شاهدهـا عَدلَيْن من أهـل الميت أو من غير أهله إن كان الْمُوصِي في حضرٍ وكذلك إن كان في سفر.

فقوله :﴿إن أَنْتُمْ ضَرَبتُم في الأَرضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾.

ذكـر[٤] الموت في السفـر بعد قـولـه: إذا حضـر أحـدكم المـوت حين الوصيّة، فكأَنَّ في الآية ـ واللَّه أعلم ـ دليلاً على الشهادة في الحضر والسفر.

وقـد جـاءَ في التفسيـر أن اثنين كـانـا شَهِـدَا في السفـر غيـر مسلمين

(١) أي هو مبتدأ.

(٢) أي هو فاعل للمصدر في المعنى وهو خبر المبتدأ.

(٣) ليست في ط.

(٤) في الأصل فذكر.

وللإجمــاع أن الشهــود لا يجب أن يحلفوا. وقـد أجاز قـوم في السفـر شهـادة الـذِّميين، وقال اللَّه عَـزَّ وجلّ: ﴿وأشهـدوا ذوى عدل منكـم وَأَقِيمُـوا الشَّهَـادَةَ لِلَّهِ﴾(١) وقال: ﴿مِمَّنْ تَرضَونَ منَ الشهَدَاءِ﴾(٢) والشاهد إذا عُلِمَ أنه كذاب لم تجر أن تقْبَل شهادته، وقـد علمنا أن النصـارى زعمت أن اللَّه ثالث ثـلاثة وأن اليهـود قالت أن الْعَـزَيرَ ابنُ اللَّه وعَلِمنَـا أنَّهم كَاذِبُـونَ، فكيف يجوز أن تُقْبَـلَ شهادَةُ منْ هُوَ مُقِيمٌ عَلى الْكَذِب؟

ومعنى قوله: ﴿تَحبِسُونَهُمَا من بَعْد الصَّلاةِ فَيُقْسِمَانِ باللَّهِ﴾.

كـان الناس بـالحجاز يحلفـون بعد صـلاة العصـر، لأنـه وقت اجتمـاع الناس.

وقوله: ﴿إن ارتَبْتُمْ﴾.

إنْ وَقَعَ في أنفسِكم مِنهم رَيْبٌ، أي ظننتم بهم رِيبَة،

وقوله: ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنهُمَا استَحَقَّا إِثْماً ﴾.

أي فإن اطلِع علىٰ أنهما قَد خَانَا.

﴿فآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ استحَقَّ عَلَيهِمُ الأَوْلَيَانِ﴾.

وقد قرئت الأَوْلَيْــنَ ويجوز (مِن الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيـانِ)(٣) وهذا موضع من أصعب ما في القرآن في الاعراب. فأوليان في قول أكثـر البصريين يرتفِعان على البدل مما في «يقـومان». المعنى: «فَلْيَقُمْ الأولَيـان بالميت مقـام هذين الخائنين».

﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لشهادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا﴾.

---

(١) سورة الطلاق آية ٢.

(٢) سورة البقرة ٢٨٢.

(٣) ليست في ك.

فإذا ارتفع الأوليان على البدل، فاللذانَ في استحق من الضمير معنى الوصية، المعنى فليقم الأوليان من الَّذين استحقت الوصية عليهم، أو استحق الإيصاءُ عليهم.

وقال بعضهم: مَعْنَى ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ﴾ معناه: استُحِقَّ فيهم، وقامت «على» مقام «في» كما قامت «في» مقام «على» في قوله: ﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[1] ومعناه: على جذوع النخل.

وقال بعضهم معنى على ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ مِنْهُمُ الأَوْلَيَان﴾ كما قال: ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾[2] أي إذا اكتالوا من الناس، وقيل أن في «استحق» ذكر الإثم، لأن قوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً فَآخَرَانِ يَقومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتحق عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ﴾، كان المعنى: الذين جَنِيَ الإِثْمُ عَلَيْهِم. وقيل إن «الأَولَيَانِ» جائز أن يرتفعا باستحق، ويكون معناهما الأوليان باليَمِينِ، أي بأن يُحلفا من يشهدُ بعدهما، فإن جاز شهادة النّصرانيين كان «الأولَيانِ» على هذا القول النصرانيين، أو الآخران من غير بيت الميت. وأجود هذه الأقوال أن يكون الأولَيان بَدَلا، على أنَّ المعنى: لِيَقُم الأولَيَانِ من الذين استحقت عليهم الوصية، ومن قرأ «الأَوَّلِينَ» رده على الذين، وكان المعنى من الذين استحق عليهم الإيصاء الأوّلين، واحتج من قرأ بهذا فقال: أرأيت إن كان الأولَيَانِ صغيرين؟.

وقوله: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلى وَجْهِهَا﴾.

أي ذلك أقرب من الإتيان بالشهادة على وجهها، وأقرب إلى أن يخافوا.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقولُ ماذَا أُجِبْتُم﴾.

---

(١) سورة طه ٧١.

(٢) سورة المطففين ٨٣ آية ١.

أما نَصْبُ «يوم» فمحمول على قوله. . . واتَّقُوا الله واسمَعُوا [أي] واتَّقوا يـومَ يجمَـع الله الـرسـل، كمـا قـال: ﴿وَاتَّقُـوا يَـوْمـاً لا تَجزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيئاً﴾(١).

ومعنى المسألة من اللّه تعالى للرسل [تكـون] على جهة التـوبيخ الـذين أُرسلوا إليهم، كمـا قال عـزّ وجـلّ: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سئِلَتْ. بأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾(٢) فَإِنَّمَا تُسأَلُ ليوَبَّخ قَاتِلُوهَا، وأَما إِجـابة الـرسل وقـولهم: «لَا عِلْم لَنَا» فقـد قال الناس(٣) في هذا غير قوله:

جاءَ في بعض التفسير أنه عزَبَتْ عنهم أَفهامهم لهول يوم القيامة فقالوا: لا علم لنا مع عِلْمِك، وقال بعضهم: لو كانت عزبت أَفهامهم لم يقـولوا إنـك أَنت علام الغيوب، وَقَال بعضهم معنى قول الرسل لا علم لنـا [أَي] بما غـاب عَنّـا مِمن أُرْسِلْنَا إِليـه، أَنت يا رَبنَـا تَعْلمُ بَاطِنَهم ولَسنَـا نعلم غيبهم إنـك أَنت علام الغيوب.

وقـوله: ﴿إِذْ قَـالَ اللَّهُ يَـا عِيسَى بنَ مَـرِيَمَ اذْكُـرْ نِعْمَتِي عَلَيـكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾.

أَمـا نعمتُه على وَالِـدَتِه فَـإِنّه اصـطفاهـا وطهرهـا واصطفـاها على نسـاءِ العالمين، وكان رِزْقُها يأْتيها من عنده وهي في محرابها.

وقوله: ﴿إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ القُدُسِ﴾.

أي أَيّدتك بجبريل، جائز أَن يكون قولـه به(٤)، إذ حـاولت بنو إسـرائيل

---

(١) البقرة ١٢٣.

(٢) سورة التكوير: ٨ ـ ٩.

(٣) أي الجمهور أو المفسرون.

(٤) أي تأييده به.

قتله، وجائز أن يكون أَيَّده به في كل أحواله، لأن في الكلام دليلاً على ذلك.

وقوله: ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهدِ﴾.

أي أَيَّدتُكَ مُكَلِّماً النَّاسَ في المهد ﴿وكهلا﴾ أي أَيَّدتُكَ كَهْلا، [1] وجائز أن يكون ﴿وَكَهْلًا﴾ محمولاً[2] على تكلم، كأن المعنى أيدتك مخاطباً للناس في صغرك ومخاطباً الناس كهلاً، وقرأ بعضهم: «أأيَدْتُكَ» على أفْعَلتك من الأيد[3] وقرأ بعضهم آيَدْتك على فاعلتك أي عاونتك.

وقوله: ﴿وتُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾.

الأكمه قال بعضهم: الذي يولد أعمى، قال الخليل هو الذي يولد أعمى، وهو الذي يَعْمَى بعد أن كان بصيراً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بي، وَبِرَسُولِي﴾.

قال بعضهم: ﴿أَوحَيْتُ إِلى الحواريين﴾ أي أَلْهَمْتُهم كما قال: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَن اتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً﴾[4] أي ألهمها، وقال بعضهم ﴿أوحيت إلى الحواريين﴾ [معناه] أمرهم، وأنشدوا قول الشاعر: [5]

الحمد للَّه الذي استَهلّتِ   بإذنه السماءُ واطمأنَّتِ
أوحَى لها القَرارَ فاسْتَقَرَّتِ

قالوا معناه: أمرها.

وقال بعضهم: معنى ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلى الْحَوَارِيِّينَ﴾: أَتَيْتُهمْ في الوحي

---

(١) ط وأيدتك به كهلاً.

(٢) في ط إلا محمول.

(٣) أي مددتك بهذه القوة.

(٤) سورة النحل ٦٨.

(٥) هو العجاج. ديوانه ٥ والشطر الأخير في اللسان (وحي). وفي ط وحي لها.

إليك بالبراهين والآيات التي استدلوا بها على الإيمان فآمنوا بي.

وقوله: ﴿إِذْ قَالَ الحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ﴾.

جائز أن يكون موضع «عيسى» نصباً، كما تقول: يا زيدَ بنْ عَمْرو، لأن ابْناً إذا أُضيف إلى اسمٍ مَعْروفٍ عَلمٍ أو أُضيف إلى كُنيةٍ معروفة جُعِلَ وما قبله كالشيء الواحد فجميع النحويين يختارون يا زيدَ بنَ عَمْرٍو، وكلهم يجيزون: «يا زيدُ بنَ عَمرٍو». وعلى هذا جائز أن يكونَ موضع عيسى موضِعَ اسم مبني على الضّمِ، قالوا كلُّهم فَإِنْ قلت يا زيدُ بنَ أخِينا، ويا زيدُ ابنَ الرَّجُلِ الصَّالحِ[1] فضممت زيداً لا غيْر. لأن النصب إنما يكون إذا أُضيف ابن إلي عَلَمٍ كما وصفنا. وقد قُرئ: هل تَسْتَطِيعُ رَبَّك، و﴿هل يَستَطيعُ رَبُّك﴾، فمن قرأ هل تستطيع ربك. فالمعنى هل تستدعي إجَابَتَه وطاعَتَه في أن يُنْزِلَ علينا، ومن قرأها ﴿هل يَسْتَطِيعُ رَبُّك﴾ كان معناه هل يقدر ربُّك.

قال أبو إسحق: وليس المعنى عندي - واللَّه أعلم - أنهم جهلوا أنّ اللَّه يقدر على أن ينزل مائدة، ولكن وجه السؤال هل ترينا أنت أنَّ ربَّك يُرينَا ما سَأَلْنَا من أجْلِكَ من آياتك التي تدل على نبوتك فأما المائدة فقال أبو عبيدة إنها في المعنى مَفعُولة ولفظها فاعلة، قال: وهي مثل عِيشَةٍ راضية، وقال إن المائدة من العطاءِ، والممتاد المفتَعل المطلوب منه العطاءَ، قال الشاعر[2]:

إنِّي أمِيرُ المؤْمِنينَ المُمتَاد

وَمَادَ زيدٌ عمراً إذا أعطاه. والأصل عندي في مائدة أنها فاعلة من ماد يميدُ إذا تحرَّكَ فكأنها تميد بما عليها.

وقيل في التفسير إنها أنزلت عليهم في يوم الأحد وكان عليها خبز

---

(١) في الأصل «الرجل» وهو غير مناسب.

(٢) هو رؤبة - من أرجوزة له - وانظر اللسان (ميد) ومجاز أبي عبيدة ١ - ١٥٩ والطبري ٧ - ٨٩.

وسمك، فالنصارى تجعل الأَحد عيدا ـ فيما قيل[1] ـ لذلك، وقال بعضهم إِنه لم تُنْـزَل للتَّهَوُّدِ الـذي وقع في الكفـر بعد نـزولها، والأَشبـه أَن تكـون[2] لأَنَّ نُزولَها قد جَاءَ ذكره في هَذِه القِصَّةِ.

قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُها عَلَيْكمْ﴾.

وقال غير أَهل الإِسلام إنها نزلت، والأَخبار أَنها انتهت، فـالتصديق بهـا واجب.

فأَما وجـه مَسْأَلَـةِ الحواريين عيسى المـائدة فيحمـل ضربين أَحـدهما أَن يكُونُوا ازْدَادُوا تثبيتاً، كما قـال إبراهيم: ﴿رَبِّ أَرِني كَيْفَ تحْيِي المَـوْتَـى﴾[3]. وجائز أَن تكون مسأَلتهم المائدة قبل علمهم أَنه أَبرأَ الأَكمه والأَبرص وأَنه أَحيـا الموتى. وأَما قول عيسى للحواريين:

﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

فإِنَّما أَمَرهُم أَلَّا يقترحوا هم الآيات، وأَلا يقوموا بين يدي اللَّه ورسولـه، لأَن اللَّه قـد أَراهم الآيات والبـراهين بإِحيـاءِ المـوتى وهـو أَوكـد فيمـا سـأَلـوا وطلبوا.

وقوله:﴿قَالَ عِيسَى بنُ مَرْيم اللَّهُمَّ ربَّنَا﴾.

ذكر سيبويه أن اللَّهُمَّ كالصَّوتِ وأَنه لَا يُـوصَـف، وأَن رَبَّنا منصـوب على نداءٍ آخر، وقد شرحنا هذا قبل شرحاً تاماً[4].

ومعنى قوله: ﴿وآيةً مِنْك﴾.

---

(١) لم يكن يوم الأحد عيداً لهم على عهد المسيح، والذي جعل الأحد عيداً هو قسطنطين سنة ٣٢٦.

(٢) أي أن تكون نزلت لأنها ذكرت هنا.

(٣) سورة البقرة ـ ٢٦٠.

(٤) سبق في شرح الآية: ﴿قل اللهم مالك الملك﴾ سورة آل عمران.

أي فتكون لنا علامة منك.

وأما قوله: ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَا أُعَذبه أَحداً مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ فجائز[1]، أن يكون يُعجِّلُ لهم العذابَ في الدنيا، وجائز أن يكون في الآخرة لقوله: ﴿لا أُعذِّبُهُ أحداً مِنَ العَالَمِين﴾.

وقوله: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنَ دُونِ اللَّه﴾.

فَالمسأَلة ههنا على وَجْهِ التَّوْبِيخِ للَّذين ادَّعَوْا عليه لأَنهم مُجْمِعُونَ أنه صادق الخبر وأنه لا يكذبهم و[هو] الصادق عندَهم فذلك أَوْكَدُ في الحجَّةِ عَلَيْهِمْ وأَبلَغُ في توبيخهم، والتوبيخ ضَرْبٌ من العقوبة[2].

قال: ﴿سُبْحَانَكَ﴾. أي براءٌ أنت من السوءِ[3].

﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾.

وأما قوله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّك أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيوبِ﴾.

و «الغِيُوب» بالكسر والضم[4].

قال أبو إسحق: هذا موضع أعني ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ يُلَبِّسُ به أَهلُ الإلحادِ على مَنْ ضَعُفَ علمه باللغة ولا تعلم حقيقة هذا إلَّا من اللغة، قال أهل اللغة: النفس في كلام العرب تجري على ضربين أحدهما قولك خرجت نفس فلان وفي نَفْسِ فلانٍ أَنْ يَفْعَل كذا وكذا. والضرب الآخر معنى النفس فيه معنى جملة الشيء ومعنى حقيقة الشيءِ، قتلَ

---

(١) في الأصل بدون فاء.

(٢) أي عقوبة بحتة، وفي ب من صنف أي نوع منها.

(٣) أي أنزهك والظاهر أنها تعجب.

(٤) في الأصل بعد هذا «أي في اللغتين جميعاً» وليس في ك.

فـلانٌ نفسه، وأَهْلك فـلان نفسه، فليس معنـاه أَن الإهلاك وقـع ببعضه، إنمـا الإهلاك وقع بذاته كلها، ووقع بحقيقتـه، ومعنى تعلم ما في نفسي، أَي تعلم ما أُضْمره، ولا أَعلم ما في نفسك. لا أَعلم ما في حقيقتك وما عندي علمـه، فالتأْويـل أَنك تعلم مـا أَعلم ولا أَعلم ما تعلم، ويـدل عليه: ﴿إِنَّـكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيوبِ﴾.

فإنما هو راجع إِلى الفائدة في المعلوم والتـوكيدِ أَن الغيب لا يعلمـه إلا اللَّه جلّ ثناؤه.

وقوله: ﴿أَنِ اعبُدُوا اللَّه رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾.

جـائز أَن تَكُـون[1] في معنى «أَي» مُفَسِّرةً، المعنى مـا قلت لهم إلا مـا أَمـرتني به أَي اعبـدوا، ويجوز أَن تكون «أَن» في مـوضـع جَـرٍّ على البَـدَل من الهاءِ، وتكون «أَن» موصولة بـ ﴿اعبدوا اللَّه﴾ ومعناه إِلَّا مَا أَمَرْتَني بِهِ بأَنَّ يَعبدوا اللَّه، ويجوز أَنْ يكونَ موضعها نصباً على البدل، من ما، المعنى ما قلت لهم شيئاً إلا أَن اعبدوا اللَّه، أَي ما ذكرت لهم إلا عبادة اللَّه.

وقـوله: ﴿إِن تُعَـذِّبْهُمْ فَـإِنَّهُمْ عِبَـادُكَ وَإِنْ تَغْفِـرْ لَهُمْ فَـإِنَّـكَ أَنْتَ العَـزِيـزُ الحَكِيمُ﴾.

معنى قول عيسى [عليه السـلام] وإن تَغْفِر لهم، اختلف أَهـل النظر في تفسيـر قول عيسى: ﴿إِنْ تَغْفِـرْ لَهُمْ﴾، فَقَال بعضُهم معنـاه إن تغفر لَهُمْ كـذِبَهُم عليّ، وقـالوا لا يجـوز أَن يقول عيسى عليـه السـلام: إن اللَّه يجـوز أَن يغفِـرَ الكُفْرَ، وكأَنه[2] على هذا القـول: إن تغفر لهـم الحكـاية فقط، هـذا قول أَبي

(١) أَي «أَن» في أَن أعبدوا.
(٢) ط فكأنه.

العباس محمد بن يزيد، ولا أدري (أشيء)[1] سَمِعَه أم اسْتَخْرجَه، والذي عندي واللَّه أعلم، أن عيسى قد علم أن منهم من آمن ومنهم من أقام على الكفر، فقال عيسى في جملتهم. إن تُعَذِّبْهُمْ أي إن تعذبْ من كفر منهم، فإنهم عبادك وأنت العادلُ عليهم لأنك أوضحت لهم الحق وكفروا بعد وجوب الحجة عليهم، وَإِنْ تَغْفِرْ لمن أَقْلَعَ منهم وآمن فذلك تفضل منك لأنه قد كان لك ألَّا تَقْبلهم وألا تغفر لهم بعد عظيم فريتهم، وأنت في مغفرتك لهم عزيز لا يمتنع عليك ما تريد، «حكيم» في ذلك.

وقال بعض الناس: جائز أن يكون اللَّه لم يُعْلِمْ عِيسى أنه لَا يَغْفِرُ الشرك، وهذا قول لا يعرج عليه لأن قوله [تعالى] ﴿إِنَّ اللَّه لا يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ بِهِ﴾ لا يخص شيئاً من أمة محمد ﷺ، دون غيرها، لأن هذا خبرٌ والخبر لا ينسخ، وهذا القول دار في المناظرة[2] وليس شيئاً يعتقده أحد يوثق بعلمه.

وقوله: ﴿قالَ اللَّهُ هَذَا يَومُ يَنْفعُ الصَّادقين صِدْقُهُم﴾.

القراءَة برفع «اليوم» ونصب «اليوم» جميعاً، فأما من رفع اليوم فعلى خبر هذا اليوم، قال اللَّه اليوم ذو منفعة صدق الصادقين ومن نصب فعلى أن يوم منصوب على الظرف، المعنى قال اللَّه: هذا لعيسى في يوم ينفع الصادقين صدقهم، أي قال اللَّه هذا في يوم القيامة[3]، ويجوز أن يكون قال اللَّه هذه الأشياء وهذا الذي ذكرناه يقع في يوم ينفع الصادقين صدقهم، وزعم بعضهم أن يوم منصوب لأنه مضاف إلى الفعل[4]، وهو في موضع رفع بمنزله يومَئذ

---

(١) ليست في ط.

(٢) كلام دار في مناظرة بين هذا القائل وغيره، ولم يكن تقريراً لهذه المسألة. فلا ينبغي أن يعول عليه.

(٣) فهو ماض بمعنى المستقبل أي سيقوله.

(٤) أي انه مضاف للجملة الفعلية.

مبني على الفتح في كل حال، وهذا عند البصريين خطأ، لا يجيزون هـذا يومَ آتيك يريدون هذا يومُ إتيانك لأن آتيك فعـلٌ مضارع، فـالإضافـة إليه لا تـزيل الإعـراب عن جهته ولكنهم يجيـزون ذلك يـومَ نفعَ زيـداً صِدْقُـه، لأن الفعـل المـاضي غيـرُ مضـارع، فهي إضـافـة إلى غيـر متمكن وإلى غيـر مـا ضـارع المتمكن، وفيها وجه ثالث. ﴿هذا يومٌ يَنْفَعَ الصادقين﴾ بتنوين «يوم» على إضمـار ﴿هذا يوم ينفع فيه الصادقين صدقهم﴾، ويكون كقوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفسٌ عَن نَفْسٍ شَيْئاً﴾[(١)].

ومثله قول الشاعر: [(٢)]

ومـا الـدهـر الا تـارتـان فمنهمـا ... أموت وأخـرى ابتغي العيش أكـدح

المعنى فمنهما تارة أموت فيها.

---

(١) سورة البقرة آية ٤٨، ١٢٣.

(٢) لتميم بن عقيل ـ وبعده:

وكـلتـاهـمـا قـد خط لـي فـي صـحـيـفـة ... فـلا الـعيش أهـوى لـي ولا الـمـوت أروح

أي الدهر ذو حالتين احداهما أموت بها، والأخرى أود العيش معها مع كونه عسيراً شاقاً، وكلتا الحالتين مكتوبة في اللوح المحفوظ، فلا العيش أحب إليّ ولا الموت أهنأ لي.

انظر الخزانة ٢ ـ ٣٠٨. معاني الفراء ـ ٢ ـ ١٤٢، الكامل ٥٣٨ ط مصر، شواهد الكشاف. سيبويه حـ ٢ ـ ٣٤٦.

جاء في ك. بعد هذا.

تمت المجلة الأولى من معاني القرآن للزجاج بحمد لله ومنه، وصلى اللّه على النبي وعلى آله، ويليه السورة التي تذكر فيها الأنعام.

وبهذا انتهت النسخة ك.

سورة الأنعام

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قال أبو إسحق: بلغني مِنْ حَيث أثِق به[١] أن سورةَ الأنعام نزلتْ كلها جملةً واحدة، نزل بها سبعون ألف ملك لهم زَجَلٌ بالتسبيح[٢]، وأن أكثرها احتجاج على مشركي العرب. على من كذَّب بالبعث والنشور، فابتدأ اللَّه عزّ وجلّ بحمده فقال:

﴿الحمدُ للَّه الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالأَرضَ﴾.

فذكر أعظم الأشياءَ المخلوقة[٣] لأن السماءَ بغير عمد ترونها والأرض غيرُ مائِدةٍ بنا، ثم ذكر الظُلُماتِ والنورَ، وذكَر أمرَ الليل والنهار، وهو مما به قِوَامُ الخَلق، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن هذه خَلْقٌ له، وأن خالقها لا شيءَ مثْلُه، وأعلم مع ذلك أن الذين كفروا بِرَبِّهِم يَعدِلونَ، أي يجعلون للَّه عَدِيلاً، فيعبدون الحجارة المَوَاتَ، وهم يُقرُّون أنَّ اللَّه خَالِقُ مَا وَصف، ثم أعلمهم اللَّه عزّ وجلّ أنَّهُمْ خَلْقُهُم مِنْ طِينٍ، وذكر في غَيرِ هذا المَوْضع أحوالَ المخلوقين في النُّطَفِ والعَلَقِ والمُضَغِ المُخَلَّقَةِ وَغيرِ المُخَلَّقَةِ، وذلك أن المشركين شَكوا في البعث وقالوا: ﴿مَنْ يُحيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾؟ فأعلمهم

---

(١) الضمير يعود على المصدر المفهوم من الجملة من حيث أثق بهذا البلاغ أو بمن بلغني به.

(٢) صوت كصوت الحمام.

(٣) مخلوقة له.

عزّ وجلّ أنّ الذي أَنشَأَهُمْ وأنشأ العِظَامَ وخلق هذه الأَشْيَاءَ لاَ مِنْ[1] شَيءٍ قادر على أن يخلقَ مِثلَهَا، وهُو يُحيِيهِمْ بَعدَ مَوتِهِم، فقال عزّ وجلّ:

﴿هُوَ الذِّي خلقكُم مِنْ طِينٍ ثم قَضَى أَجَلاً﴾.

أي جعل لحياتكم أجلاً أي وَقْتاً تَحيون فيه، ﴿وأَجَلٌ[2] مُسَمًّى عِنْدَه﴾ يعني أمرَ السّاعة والبعث، ﴿ثُمَّ أَنْتُم﴾ بعد هذا البيان. ﴿تمتَرُونَ﴾ أي تَشكُّونَ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَهُوَ اللّه في السَّمٰواتِ وفي الأرضِ﴾.

«في» موصولة[3] في المعنى بما يدل عليه اسم اللّه، المعنى هو الخالق العالم بما يصلحُ به أمرُ السماءِ والأرضِ، المعنى هوَ المتفرد بالتّدبِير في السموات والأرض، ولو قلت هو زيد في البيت والدار لم يجز إلّا أن يكون في الكلام دليلٌ على أنَّ زَيداً يدبر أمر البيت والدار، فيكون المعنى هو المُدَبِّر في الدارِ والبيتِ، ولو قلتَ هو المعتَضِدُ الخليفةُ في الشّرق والغَربِ، أو قلت هو المعتَضِدُ في الشّرق والغَربِ جَازَ على هذا. ويجوز أن يكون خَبَراً بعد خبرٍ كأنه قيل إنه هو اللّه، وهو في السموات وفي الأرض، ومثل هذا القول الأول ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلٰهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلٰهٌ﴾[4] ويجوز أن يكون وهو اللّه في السموات وفي الأرض، أي هو المعبود فيهما، وهذا نحو القول الأول.

قوله عزّ وجلّ: ﴿فَسَوفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَستَهْزِئُونَ﴾.

دَلَّ بهذا أنهم كانوا يستهزئُون، وقد ذُكر استهزاؤهم في غير هذا المكان، ومعنى إتيانه أي تَأْوِيلُه: المعنى سيعلَمُونَ ما يؤول إليه استهزاؤُهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِنْ قَرْنٍ﴾.

---

(١) من غير شيء، أنشأها من عدم. (٢) في الأصل: وأجلاً.

(٣) مرتبطة ومتصلة.

(٤) الزخرف ٨٤.

موضع «كَم» نصب بأهلكنا، إلاَّ أَنَّ هذا الاستفهامَ لا يَعمل فيه مَا قَبلَهُ وَقِيلَ القرنُ ثَمَانُون سنةً وقيل سَبعونَ، والذي يقع عندي ـ واللَّه أعلم ـ أن القرن أَهْلُ مُدَّةٍ كان فيها نَبِيٌّ أَو كان فيها طبقة من أهل العلم، قَلَّت السِّنُونَ أَو كثرت، والدليل على هذا قول النبي ﷺ خَيركُم قَرْنِي، أَي أَصحَابِي، رحمة اللَّه عليهم ثمّ الذين يَلُونَهم يَعني التابعين، ثم الذين يلونهم يعني الذين أَخذُوا[1]. عَن التَابِعين. وجائز أن يكون القرن لجملة الأمة وهؤلاء قُرونٌ فيها.

وإنما اشتقاق القرن من الاقتران، فتأْويله أن القرن[2] الذين كانوا مقْتَرِنِينَ في ذلك الوقت، والذين يأْتون بعدهم ذوو اقتران آخر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَرسَلْنَا السَّماءَ عَليهم مِدْرَاراً﴾.

أي ذات غيث كثير، ومِفْعَالٌ من أسماءَ المبالغة يقال دِيمَةٌ مِدْرَار، إذا كان مطرها غَزِيراً دائماً، وهذا كقولهم امرأة مِذْكار، إذا كانت كثيرة الولادة للذكور، وَكَذَا مِئْنَاثٌ في الأَناث[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَو نَزَّلْنَا عَليكَ كِتَاباً فِي قِرطَاسٍ فَلَمَسُوه بأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الذينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إنْ هَذَا إلاَّ سِحرٌ مُبينٌ﴾.

أَعلم اللَّه عزّ وجلّ أَنهم قد أَصِلُوا[4] في السَّيِّءِ البَاطِل في دفع النبوة، لأَنّهم قد رَأَوا القَمَر انشقَّ فأَعرَضُوا، وقالوا سحرٌ مستمر.

وكذلك يقولون في كل ما يَعْجِزُ عنه المخلوقون سحر، هذا عين الدفع

---

(١) تلقوا.

(٢) القوم.

(٣) في الكثيرة الإناث.

(٤) تأصلوا.

لغاية الحق والنور الساطع المبين، فلو رَأوا الكتاب ينزل من السماءِ لقالوا سِحرٌ كما أنهم قالوا في انشقاق القمر سحر.

﴿وَقَالُوا لَولاَ أُنْزِلَ عَلَيه مَلَكٌ﴾.

يعنون على النبي ﷺ.

﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمرُ ثم لاَ يُنْظَرُونَ﴾.

يعني ـ والله أعلم ـ أن الآيات مما لا يَقَعُ مَعَهُ إنْظارْ[1].

ومعنى ﴿لَقُضِيَ الأَمرُ﴾ أي لتم بإِهْلاَكِهِمْ. و «قُضِيَ» في اللغة على ضُروبٍ كَلَها يَرجِعُ إلى معنى انقطاع الشيءِ وتمامه، فمنه قوله [تعالى]: ﴿ثم قَضَى أَجَلاً وأَجلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ معناه ثُمَّ حَتَمَ[2] بعد ذلك فأَتمَّه، ومِنْه الأَمر وهو قوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تعبدوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾[3] معناه أَمَرَ إِلاَّ أَنَّه أَمرٌ قَاطِعٌ حَتْمٌ، ومنه الإِعلاَمُ وقوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلى بني إسرائيلَ في الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرضِ مَرَّتَين﴾[4] أي أعلمناهم إعلاماً قاطعاً، ومنه القضاءُ الفَصلُ في الحُكْمِ، وهو قوله: وَلَولاَ أَجَلٌ مُسَمًّى لقُضِيَ بَينَهُمْ ومثل ذلك قولك قَد قَضَى القَاضِي بَينَ الخُصُوم، أي قد قطع بينهم في الحكم، ومن ذلك قد قضى فُلانٌ دَيْنَه، تأويله قطع ما لغريمه عليه فأَدَّاه إلَيه وَقَطع ما بَينَه وبَينَه، وكل ما أُحكِم فقد قُضِيَ، تقول قد قضيت هذا الثوب، وقد قضَيتُ هَذه الدّارَ إذا عَمِلْتُها وأَحكمت عمَلها، قال أبو ذُؤيب الهذلي[5]:

وعليهما مسرودتان قضاهما ... داود، أو صَنَعِ السَّوابغَ تبَّع

(١) أي مهله.

(٢) أي قضى بمعنى حتم هنا ـ أي أوجب.

(٣) الإسراء: ٢٣.

(٤) الإسراء آية: ٤.

(٥) ديوان الهزليين ١٩، اللسان (تبع) القرطبي ٢ ـ ٨٧، مجاز أبي عبيد ١ ـ ٥٢.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَو جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً﴾ .

أي لو أرسلنا إليهم مَلَكاً لم نرسله إلا في صورة إِنْسَانٍ، لأن الملَكَ فيمَا قِيلَ لو نَظَرِ إِلَيه نَاظِرٌ على هَيئَتِه لَصَعقِ، وكانت الملائكة تأْتي الأَنبيَاءَ في صُورَةِ الأنْس، فمن ذلك أَنَّ جِبريلَ كان يأْتي النبي عليه السلام إِذَا نَزَل بالوَحيِ في صورة دِحْيَةَ الكَلْبِيِّ ومنه نبأ الخَصْم إذ تَسَوَّرُوا المِحْرابَ، لأَنَّهُمَا ورَدَا على دَاودَ وهُما مَلَكانِ في صورَة رَجُلَين يَخْتصِمَانِ إليه[1]، ومنه أَنَّ الملائِكةَ أَتَتْ إبراهيم في صورة الضِّيفان وكذلك أَتَتْ لوطاً، فلذلك قيل: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاه مَلَكاً لجعَلْنَاه رَجُلاً﴾ .

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولَلَبَسنَا عَلَيهِمْ مَا يَلْبِسُون﴾ .

يقال لَبَستُ الأَمْرَ عَلَى القوم أَلْبِسُه إذا شَبَّهتُه عَلَيهِم، وأَشكَلْتُه عليهم، وكانوا هم يَلْبِسُونَ عَلَى ضَعَفَتِهِمْ في أَمر النبي ﷺ فيقولون: إنما هذا بشر مثلكم فقال لو أَنزلنا ملكاً فرأَوْا هُمُ المَلَكَ رَجُلاً لكان يَلْحَقُهُمْ فيه من اللبس مثل ما لحق ضعفتهم منهم.

وقوله: ﴿فَحَاقَ بالَّذينَ سَخِروا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِه يَستَهزِئُونَ﴾ .

الحَيْقُ في اللغةِ ما يشتمل على الإنسان من مكروه فَعَلَهُ، ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَحِيقُ المكرُ السيىء إلَّا بأَهْله﴾[2]، أي لا ترجع عاقبةُ مَكْرُوهِهِ إلَّا عليهم.

وقوله عزّ وجل: ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِه الرَّحمَةَ لَيَجْمَعنَّكُمْ إِلَى يَوم القِيَامَةِ﴾ .

اللَّه عزّ وجلّ تفضل على العباد بأَن أَمهَلَهُم عِنْدَ كفرهم وَإِقْدَامِهم على

---

(١) يتقاضيان وقصتهما في سورة ص آية ٢١ وما بعدها.

(٢) سورة فاطر ٤٣.

كَبائِرِ مَا نَهاهُم عَنْه بأَن أَنْظَرهُم وَعَمَّرهم وَفَسَح لَهُم لِيَتُوبُوا، فذلك كَتْبُه الرحمةَ على نفسه، فأما ﴿لَيَجمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَة﴾ فهو احتجاج على المشركين الذين دفعوا البعث، فقال عزّ وجلّ: ﴿لَيَجمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوم القيامة﴾[أي] إِلى اليوم الذي أَنكرتموه، كما تقول قد جمعت هؤلاءِ إِلى هؤلاءِ، أَي ضممت بينهم في الجَمع.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾.

ذكر الأَخفش أَن «الذين» بدل من الكاف والميم[1]، المعنى ليجمعن هؤلاءِ المشركين الذين خسروا أَنفسهم إِلى هذا اليوم الذي يجحدونه ويكفرون به، والذي عندي أَن قوله: ﴿الذين خَسرُوا أَنْفُسَهم﴾. في موضع رفع على الابتداءِ[2]، وخبره ﴿فهم لا يؤمنون﴾، لأَن «لَيَجْمَعنَّكم» مشتمل على سائر الخلق، على الذين خسروا أَنفسهم وَغَيْرِهم، وهذه اللام في ليجمعنَّكم لام قسم، فجائز أَن يَكون تمامُ الكَلَامِ كَتَبَ ربكُمْ عَلَى نَفْسِه الرحمةَ، ثم استأْنف فقال لَيَجْمَعَنَّكُمْ، وكأَنَّ المعنى: واللَّه ليجمعنكم، وجائز أَن يكون ليجمعنكم بدلاً من الرحمة مُفَسِّراً لها، لأَنه لما قال كتب ربكم على نفسه الرحمة فَسَّر رحمته بأَنه يُمْهلهم إِلى يوم القيامة، ويكون في الإِمهال ما فسرنا آنفاً.

وقوله: ﴿وَلَه مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهارِ﴾.

هذا أَيضاً احتجاج على المشركين لأَنهم لم يُنْكِرُوا أَنَّ مَا استقر في الليل والنَّهارِ للَّه، أَي هو خالقه وَمُدَبِّره، فالذي هو كذلك قادر على إِحياءِ الموتى، ثم زَادَ في الاحتجاج والبيان فقال عزّ وجلّ:

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ﴾.

---

(١) أي في ليجمعنكم، والقاعدة العامة في الإبدال من ضمير الحاضر لا تجيزه.

(٢) هذا رأي له خاصة، ولا يوافقه جمهور النحويين لوجود الفاء في الخبر.

أي خالق السموات والأرض.

فإن قال قائل فقوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾[1] معناه انشقت فكيف يكون الفَطْرُ في معنى الخَلْق والانفطار في معنى الانشقاق؟ فإنهما يَرْجِعَان إلى شيءٍ واحد، لأن معنى فطرهما خَلقهما خلْقاً قاطعاً، والانْفِطَارُ والفُطُورُ تقطع وتَشققُ.

وقوله: ﴿وَهو يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾.

ويُقْرَأ «ولا يَطْعَمُ»، والاختيارعند البصراءَ بالعربية، وهو يُطْعمُ وَلَا يَطعَمُ بفتح الياءَ في الثاني. قالوا معناه: وهو يرزق ويُطْعِم ولا يَأْكل لأنه الحي الذي ليس كمثله شيءٌ، ومن قرأ ولا يُطْعَمْ فالمعنى أنه المولى الذي يَرْزُق وَلَا يُرْزَقُ، كما أن بعض الْعَبيدِ يَرْزُق مولاه. والاختيار في «فاطِر» الجرُّ لأَنَّه مِن صفة اللَّه جلّ وعزّ، والرفع والنصب جائزان على المدح للَّه جلّ وعزّ والثَّناءِ عليه، فمن رفع فعلى إضمار هو. المعنى هو فاطر السموات والأرض، وهو يُطعِم ولا يُطعم، ومن نصب فعلى معنى أذكر، وأعني بهذا الاحتجاج عليهم، لأن من فطر السموات والأرض وأنشأ ما فيهما وأحكم تدبيرهما وأطعم من فيهما فهو الذي ليس كمثله شيءٌ.

وقوله: ﴿مَنْ يُصْرَفْ عنه يَومئذٍ فَقدْ رَحِمه﴾.

أي من يَصْرِفْ اللَّهُ عنه العذاب يومئذ - يعني يوم القيامة الذي ذكر أنهم يجمعون فيه، وتُقْرأ أيضاً من يُصرَف عَنْهُ يومئذ فقد رَحِمه، أي من يُصْرَف عنه العذابُ يومئذ.

وقوله: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً، قُلِ اللَّهُ شَهيدٌ بَيْنِي وبَيْنَكُمْ﴾.

---

(١) الانفطار - ١.

والشاهد هو الْمُبَيِّن لدَعْوَى المدعِي، فأمر اللَّه جَلَّ ثنَاؤه نبيَّه بأن يحتج عَلَيْهم باللَّه الواحِد الذي خلق السموات الأرض وخلق الظلمات والنور، وخلقهم أطواراً على ما بَيَّن في كتابه، وأمر أن يعْلِمهم أن شهادة اللَّه بأنه واحد، وَإِقامةَ البراهين في توحيده أكبر شهادةً، وأن القرآن الذي أتى به يشهد له بأنه رسوله فقال: ﴿قل اللَّهُ شهيدٌ بَيْني وَبَيْنَكُمْ﴾، الذي اعترفتم بأنه خالق هذه الأشياءَ:

﴿وَأُوحِيَ إِليَّ هذا الْقُرْآنُ لأنذرَكُمْ به﴾.

ففي الإنذار دليل على نبوته، لأنه لَمْ يَأْت أحدٌ بمثله، ولا يأْتي بمثله لأن فيه أخبارَ الأمم السَّالفة، جاءَ بها عليه السلام. وهو أُمِّيٌّ لا يقرأُ الكُتُبَ، وأنبأَ بما سيكون، وكان ما أنبأَ به حقًّا، ثم قال: ﴿واللَّه يَعْصِمُكَ من النَّاس﴾[1] وكان ﷺ مَعْصُوماً منهم، وقال: ﴿لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّين كُلِّه ولو كره المشركون﴾[2] فأَظهر اللَّه دين الإسلام على سائر الأَديان بالحجة القاطعة، وغَلَبَة المسلمين على أكثر أقطار الأَرض وقال في اليهود. وكانوا في وقت مبعثه أعزَّ قومٍ وأمتنه[3]: ﴿وضربت عليهمُ الذِّلةُ والمسكَنةُ﴾[4]، فَهُمْ أذلَّاءُ إلى يوم القيامةِ. فأنبأ اللَّه في القرآن بما كان وما يكون، وأتى به مُؤَلَّفاً تأْليفاً لم يَقْدرْ أحَد مِن العرب أن يأْتيَ بسورة مثله، وهو في الوقت الذي قيل لهم ليأْتوا بسورة [من مثله] خُطَباءُ شعراءُ لم يكن عندهم أَوْجَزَ من الكَلام المنثور، والموزون، فعجزوا عن ذلك.

وقوله: ﴿الذِينَ آتَيناهُمُ الكِتَابَ يَعرِفُونَه كَما يَعرِفُونَ أَبنَاءَهُم﴾ أي يَعرِفون محمداً ﷺ أنه نَبيٌّ كما يَعرِفُونَ أَبنَاءَهُم، ويُروَى عن عُمرَ بنِ الخطابِ أنهُ قال

---

(١) سورة المائدة الآية ٦٧. (٢) سورة التوبة آية ٣٣ والصف، آية ٩ والفتح. آية ٢٨.

(٣) أمنع قوم ـ أعاد الضمير على اللفظ ولم يكونوا أعزة بل كانوا أثرياء.

(٤) سورة البقرة ٦١.

لعَبد اللّهِ بنِ سَلاَم: يا أَبا حمـزة: هل عـرفت محمداً كمـا عرفت ابنـك؟ قال نَعَم، لأن اللّه بعثَ أَمِينه في سَمائه إلى أَمِينِه في أَرضِه بنعتِه فعرفْتُه، فأَمّا ابني فما أَدري ما أَحدَثَتْ أُمُّه. فقال صدقت يا حمزة[1].

وقوله: ﴿الذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُم﴾.

رفع على نعت ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ وجائز أَن يكـون على الابتـداءِ. ويكون ﴿فَهُم لَا يُؤْمِنُونَ﴾ خَبَره.

والـذين خسروا أَنفسهم الأَشبـه أَن يكون ههنـا يعني بِه أَهـل الكتـاب؛ وجائز أَن يكون يعني به جملة الكفار من أَهل الكتاب وغَيرِهم.

وقوله: ﴿ثم لَم تكُنْ فتنتُهُم إلا أَنْ قَالُوا﴾.

إنْ شِئْتَ نصبت «فِتْنَتَهم» على خَبـرِ يَكنْ، ويكـون أَنْ قَـالـوا هـو الاسم وأُنث «تكن» وهو[2] ﴿إلاَّ أَنْ قَالُوا﴾ لأَن «أَن قالوا» ههنا هو الفتنة. ويجوز أَن يكون تأْويل «أَنْ قَالوا» إلا مَقَالَتُهم. ويجوز رفع الفتنة وتأْنيث «تكن» ويكون الخبر «أَن قالوا» والاسم فِتْنَتهُم. ويجوزُ ثم لَم يَكُنْ فتنتَهُم إلا أَن قالوا، فتذكر «يكن» لأَنه معلق بـأَنْ قَالُـوا، ويجـوز ثم لم يكن فتنتهم بـاليـاءِ ورفـع الفتنـة، لأَن الفتنـة والافتتانِ في معنًى واحد.

وتأْويل هـذه الآية تـأْويل حسن في اللغـة لطيف لا يفهمـه إلا من عرف معـانيَ الكـلام وتَصَـرُّفَ العـربِ فِي ذلـك، واللّه جـلّ وعـزّ ذَكَـرَ في هـذه

(١) هو عبد اللّه بن سلام بن الحرث ـ من ذرية النبي يوسف عليه السلام ـ كـان حليف النواقـل من الخزرج ـ وكان من بني قينقاع ـ كان اسمه الحصين فسماه النبي ﷺ عبد اللّه، أسلم حين دخل النبي المدينة، وروى عنه عدد من الصحابة كما روى عنه أبناه محمد ويوسف، وفيه نزلت الآية ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾ والآية: ﴿قل كفى باللّه شهيـداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ ـ ووقف بجانب عثمان في محنته ومات سنة ٤٣ هـ.
انظر: الإصابة ت ٤٧٢٥.

(٢) اسم يكن: أي وهو يعود على المصدر في «أن قالوا».

الأَقاصِيصِ التِي جَرتْ في أَمر المُشْرِكِينَ وهم مُفْتَتِنُونَ بشِرِكِهِم. أَعلم اللَّهُ أَنه لم يكن افتتانهم بشركهم، وإِقَامتُهم عليه إلا أَن تَبرأُوا مِنه وانْتَفَوا مِنْه، فَحَلَفُوا أَنهم ما كانوا مشركين.

وَمِثْلُ ذَلِكَ في اللغة أَنْ ترى إِنْسَاناً يُحِب غَاوِياً[1]، فإذا وقع في هَلَكَةٍ تَبرأَ منه، فتقول له ما كانت محبتك لفلان إلا أَنِ انْتَفَيتَ مِنْهُ.

ويجوز ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا﴾ على جرِّ رَبّنَا على النعتِ والثناءِ لقوله «وَاللَّهِ». ويجوز ﴿واللَّهِ ربَّنَا﴾ بنصب رَبنَا، ويكون النصب على وجهين، على الدعاءِ، قالوا واللَّه يا ربنَا ما كنَا مشركين. ويجوز نصبه على أَعني: المعنى أَعني رَبنا، وأَذْكُر ربنا، ويجوز رفعه على إضمار هو، ويكون مَرفُوعاً عَلَى المَدحِ. والقراءَةُ الْجَر والنَّصبُ، فأَما الرفع فلا أَعلَمُ أَحداً قرأَ به.

وَقَوله: ﴿[وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهم] أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهوه﴾.

«أَكِنةً» جمع كِنان وهو الغِطاءُ، مثلُ عِنَان وأَعِنَّة، فأَما ﴿أَن يفقَهوه﴾ فمنصوب على أَنه مَفْعولٌ له، والمعنى وجَعَلْنَا عَلى قُلوبِهم أَكِنةً، لكراهة أَن يفقهوه فلما حذفت اللام نصبت الكراهة، ولما حذفت الكراهة انتقل نصبها إلى أَنْ[2].

وقوله: ﴿وَفي آذَانِهِم وَقْراً﴾.

الوقر ثقل السمع [وهو] بالفتح[3]، يقال في أُذنه وَقْر، وقد وُقِرَتْ الأُذن توقَر[4]، قال الشاعر:[5]

---

(١) إنساناً يحب شخصاً ضالاً ليس على طريق الهدى.

(٢) إلى المصدر المضاف إليه.

(٣) قرأ طلحة بكسر الواو.

(٤) في القاموس وقر كوجل ونصر ووفر كعنى.

(٥) أي تصاممت عن هذا الكلام، وأنا صحيح الأذن أسمعه والبيت للمثقب العبدي وبعده:

وَكَـلامٍ سَـيِّـئٍ قـد وقـرت   أُذُنـي مـنـه ومـا بـي مِنْ صَمَمْ

والوِقْر ـ بكسر الواو ـ أن يحمل البعير أو غيره مقدار ما يطيق، يقال عليه وِقْرٌ، ونَخْلَةٌ موقِرٌ وَموقرةٌ بالكسر أكثر، وموقِر مِثْل مرضِعٌ، أي ذات وِقْر، كما أن تلك ذات رَضاعٍ . وإنما فعل بهم ذَلك مجازَاة لهم بإِقامتهم على كُفْرِهِم، وليس المعنى أنهم لم يَفْهَموه ولم يَسمَعوه، ولكنهم لَما عَدَلُوا عَنْه وصَرَفُوا فِكْرهم عَما هم علَيه، في سوءِ العاقبة كانوا بمنزلة من لم يعلم ولم يسمع .

وقوله: ﴿وَإِنْ يَرَوا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ .

أي كل علامة تَدلهم على نبوتِكَ، ثم أعلم اللَّه عزّ وجلّ مقدارَ احتجاجِهِم وجَدَلِهِم وأنهم إنما يستعملون في الاحتجاج أن يقولوا هذا أساطير الأولين، ويقولون افترى على اللَّه كذباً، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنهم ليس يعَارِضُونَ ما احتَجَّ بِه عَلَيهم من الحق، حيث قيل لهم: ﴿فَأْتوا بسورَةٍ مِن مِثلِهِ﴾[1]، وحَيثُ شَق لهم القمرَ، وحيث أنزل على نبيه عليه السلام ﴿واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ الناسِ﴾[2]. فما أتى أحَدُ بسورةٍ ولا قدَرَ على ضَرِّ النبي ﷺ ولا على قَتْلِهِ، وأنْبأَ عزّ وجلّ بما سيكون في كتابِهِ فَوُجِدَ ذلكَ أجمَعُ. فقال اللَّه عزّ وجلّ:

﴿حَتى إِذَا جَاءُوك يُجادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِير الأَوَّلِين﴾ .

واحدها إِسطارٌ، وأُسطُورةٌ. وتأْويل السَّطْر في اللغة أَنْ تَجعَل شيئاً مُمتَدًّا

= فـتـصـامـمـت لـكـيـمـا لا يـرى   جـاهـل أنـي كـمـا كـان زعـم

انظر اللسان (زعم).

(١) سورة البقرة آية ٢٣ .

(٢) سورة المائدة آية ٦٧ .

مؤلفاً، فمن ذلك سَطرُ الكتاب، يقال: سَطرٌ وَسُطَر، فمن قال سطر جمعه أسطار، قَال رُؤبةُ[1].

إني وأسطارٍ سُطِرن سَطْراً   لقائِلٌ: يا نَصرُ، نَصراً نَصْراً

وجمع أَسْطَار أَسَاطير، فعلى هذا - عِنْدي - أساطير الأولينَ.

ومن قال سَطَرٌ. فجمعُه أَسْطُرٌ، وجمعُ الجمع أَسَاطِرَةٌ، وأَسَاطير قال الشماخ في جمع سَطْر:[2]

كما خط عبرانية يمنية   بتيماءَ حَبَرٌ ثم عرَّض أسطرَا

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَهُم يَنْهَوْنَ عَنْه وَيَنْأَونَ عَنْهُ﴾.

أي عن النبي ﷺ أَنْ يُتَّبَع، وينْأَونَ عنه، أي يتَبَاعَدُونَ عنه، يقال: نَأَيْتُ عن الشَّيْءِ أَنْأَى نأْياً، إِذَا بَعُدت عنه، والنُّؤى حاجز يُجعَل حول البيت لِئلاَّ يَدخُلَهُ الماءُ من خَارِجٍ، تحفر حَفِيرَةٌ حولَ البَيتِ فيجْعَلُ تُرَابُها على شَفِير الحَفِيرةِ، فيمنَعُ الترابُ الماءَ أن يدخل من خارِجٍ، وهو مأْخُوذٌ مِنَ النّأيِ أي مباعِدٌ للماءِ من البيْتِ.

وقال بعضهم: إنه يعنى به بعض أهل النبي ﷺ، أي وهم ينهون عن أَذى النَّبيِّ ﷺ ويَتَباعَدُونَ عَنْهُ، أي لا يَتّبعُونَهُ. والكلامُ مُتَّصِلٌ بذكر جَماعَةِ أَهل الكتاب، والمشركين.

---

(١) الديوان ١٧٤، مجاز أبي عبيدة ٢ - ٢٣٠، الخزانة للشاهد ١١٧ جـ ٢ - ١٩٠ شواهد الكشاف (ط السلفية) والطبري ٢٧ - ٩ وكان رؤبة أراد الدخول إلى نصر بن سيار وهو والي خراسان فمنعه حاجبه، وكان يسمى نصراً أيضاً، ويروى البيت. يا نصر نصر نصراً - نصر الأولى لابن سيار والثانية للحاجب، أي يا نصر الوالي. نصر الحاجب منعني، ونصرا بمعنى أنصرني.

(٢) الحبر والحبر - بفتح الباء وكسرها - واختلف أيهما أفصح وهو عالم، وأحد أحبار اليهود - أنظر اللسان (حبر - عرض) وعرض الأسطر بهمها ولم يبينها.

والقول الأول أَشْبَهُ بالمعنَى.

وقوله: ﴿وَلَوتَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾.

القراءَة - أكثرها بالفتح والتَّفْخِيم[١]، والإمالة حسنة جَيِّدَةٌ، وهي مذهب أبي عمرو. أعني كسر الألف من[٢] «النَّارِ»، وإنما حَسُنَتْ الإمالة في قوله: ﴿كمثل الحِمَارِ يحمل أسفاراً﴾[٣]، وأَصحَابُ النَّارِ، لأن الراءَ بعد الألف مكسورة، وهي حرف كأنه مُكَرَّرٌ في اللسان، فصارت الكسرة فيه كالكسرتين.

ومعنى ﴿وُقِفُوا﴾ على النَّار يحتمل ثلاثة أَوجُهٍ - جائز أَن يكونوا عَايَنُوها، وجائز أَن يكونوا عليها وَهِيَ تَحتَهُم، والأَجود أَن يكون معنى وقفوا على النار أُدخِلُوها فعَرَفوا مقدارَ عَذَابِهَا، كما تقول في الكلام: قد وَقَفْتَ على ما عندَ فُلانٍ، تريد قد فهمته وتَبَيَّنْتَهُ.

﴿فَقَالُوا يَا لَيتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا ونكونُ مِنَ المؤْمِنِينَ﴾.

أَكثر القراءِ بالرفع في قوله: وَلَا نُكَذِّبُ [بآيَاتِ رَبِّنَا] ويكون المعنى أَنَّهم تمنَّوا الرَّدَّ، وضَمِنُوا أَنهم لا يُكَذِّبُونَ، المعنى: يا ليتنا نرد، ونحن لَا نكذِّبُ، بآيات ربنا رُدِدنا أَم لم نرد، ونكونَ من المؤمنين، أَي قد عَايَنَّا وَشَاهَدنَا مَا لَا نُكَذِّبُ مَعَه أبداً.

قال سيبويه مِثلُهُ دَعني ولا أَعودُ، أَي وأَنا لا أَعودُ تَركْتَنِي أَو لم تَتْرُكْني، ويجوز الرفع على وجه آخر، على معنى يا ليتَنَا نرد، ويا ليتنا لا نكَذِّبُ بآيات رَبِّنَا، كأَنهم تَمَنَّوا الرد والتوفيق للتصديق، ونَكونُ مِنَ المؤمِنينَ الرفع والنصب أَيضاً فيه جَائِزَانِ، فأَما النَّصبُ فعلى يا ليتنا نرد وتكون يا ليتنا نرد ولا نكذب

---

(١) في كلمة النار تفتح النون ولا ترقق الراء.

(٢) إمالتها.

(٣) سورة الجمعة آية ٥.

على الجواب بالـواو في التمني كما تقـول ليتك تصير إلينا ونكرِّمَكَ[1]، المعنى لَيتَ مَصِيرَكَ يَقَعُ، وَإِكْـرَامَنَا، ويكـون المعنى: لَيتَ ردَّنا وقـع وأن لا نُكذِّبَ، أي إن رُدِدْنا لم نكذبْ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبلُ﴾.

أي بـل ظهر للذين اتَّبَعُـوا الغُوَاةَ مـا كـان الغـواةُ يخفـون عنهم من أمـر البعث والنُّشُورِ. لأن المتَّصِلَ بهذا قولُـه عزّ وجـلّ: ﴿وَقَالُوا إنْ هِيَ إلَّا حَيَاتُنَـا الدنْيَا وَمَا نَحن بمَبعُوثِينَ﴾.

فأنكروا البعث ليُجرِّئوا على المعاصي.

﴿وَلَو رُدوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْه﴾.

قال بعضهم لَو رُدوا ولم يُعَاينوا العَذَاب، لعَـادُوا، كأنـه يَذْهب إلى أنَّهم لَم يُشَـاهِدوا مـا يضطرهم إلى الارتِـدَاع، وهذا ـ عَلَّهُ ـ بيّنٌ. لأن هـذا القـول منهم بعد أن بُعِثوا وعَلِمُوا أَمْرَ القِيَامَةِ وَعَايَنُوا النَّـارَ، فالمعنى أن أكثـر من عايَنَ مِنَ اليَهودِ والمشركين قَدْ عَلِمَ أنّ أَمْر اللَّهِ حَق فركَنَ إلى الرَّفَـاهِيةِ، وأن الشيء متأخر عنه إلى أمدٍ كما فَعَل إبليس الذي قد شاهد من بَـراهين اللَّه ما لا غـاية بعـده، فأعلم اللَّه عـزّ وجلّ أنهم لَـوْ رُدُّوا لعَادُوا لأنّهم قَـدْ كَفَرُوا بَعْـدَ وُجُوبِ الحُجَّةِ عَلَيْهم.

وقال بعض المفسِّرين: ان النبي ﷺ سئـل فقيل لـه: ما بـال أهْل النـار عملوا في عُمْرٍ قصيرٍ بعَمـل أهل النـار فَخُلِّدُوا في النَّارِ وأهـلُ الجنة عملوا في عمر قصير بعمـل أهل الجنَّـةِ فخلدوا في الجنَّةِ، فقـال: إن الفريقين كـان كل واحدٍ مِنهمَا على أنه لو عاش أبداً عَمِل بذلك العَمَل.

وقوله: ﴿قَدْ خَسِر الَّذِينَ كذَّبُوا بلِقَاء اللَّه حَتَّى إذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَة بَغْتَةً﴾.

(١) أي هي واو المعية، وهي قراءة عاصم.

كلُّ ما جاءَ فُجَاءَة فقد بَغتَ، يقال قد بَغَتَهُ الأمر يَبْغتُه بغْتاً وبَغتةً، إذا أتاه فُجاءَةً، قال الشاعر:[١]

ولكنهم مـاتـوا ولم أَخْشَ بغتـةً … وأفْـظَعُ شيء حين يَفْجَؤُكَ البَغْت

وقوله: ﴿يَا حَسْرَتَنَا عَلَى ما فَرَّطْنَا فِيهَا﴾.

إن قـال قـائـل: مـا معنى دُعَـاءِ الحَسْـرَةِ، وَهِيَ لَا تعقــل ولا تجيب؟ فالجواب عن ذلك أَنَّ العربَ إذا اجْتَهـدتْ في الإِخْبارِ عنْ عَـظِيمٍ تقع فيـه[٢] جعلته نداءً، فلفظه لفظ ما ينبَّه، والمنبَّه غَيرُهُ، مثل قَوله عزّ وجلّ: ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾[٣]، و [قوله]: ﴿يَا وَيْلَتَا أَأَلد[٤] وَأَنَا عَجُوزٌ﴾[٥] و [قوله]: ﴿يَا ويْلَنَا من بعثنا من مَرْقَدِنَا هَـذَا﴾[٦]. . فهذا أَبلغ من أن تقـول: أنا حَسِرٌ عَلَى العباد، وأبلغ من أن تقول: الحسرة علينا في تفريطنا.

قـال سيبويـه: «إِنَّكَ إذا قلت يـا عجباه، فكـأنك قلت احضُـرْ وتعال يـا عجبُ فإنه مِنْ أَزْمَانِكَ، وتأْويلُ «يا حَسْرتَاهُ» انتَبهُوا على أَننا قد خسرنا» وهـذا مثله في الكلام في أنك أَدْخَلْتَ عليـه يا للتنبيـه، وأَنت تريـد الناس قولك: لَا أَرَيَنَّكَ هَهُنَا، فلفظُك لَفْظُ النَّاهِي نفسه، ولكنه لمّـا علم أن الإِنسان لا يحتـاج أن يلفظ بنهي نَفْسِه دَخل المخَاطَبُ في النَّهيِ فصار المعنى: لا تكـونَنَّ ههنا،

---

(١) هو يزيد بن ضبة، شاعر إسلامي نسب لأمه ضبة، لأن أباه «مقسماً» مات وهـو صغير، وهـو من موالي ثقيف. أنظر الأغاني ٦ ـ ١٤٦، (ساسي) والكامل ٥٢٠، واللسان (بغت).
يـريد أن أحبتـه فارقـوه حين لم يكن يتوقـع فراقهم، وقـد كانت هـذه المفاجـأة شـاقـة عليـه، والمفاجآت دائماً شاقة على الناس.

(٢) أمر عظيم يحدث لها.

(٣) الزمر آية ٥٦.

(٤) في الأصل آلد، وهي غير قراءة عاصم. ـ والألف فيها بدل من ياء المتكلم.

(٥) سورة هود آية ٧٢.

(٦) سورة يس آية ٥٢.

فإنك إِذَا كُنْتَ رأيتُكَ، وكذلك يَا حَسْرتَنَا، قد علم أن الحسْرَةَ لا تُدْعَى، فوقع التنبيه للمخاطبين.

ومعنى: ﴿فَرَّطْنَا فِيها﴾: قَدَّمْنَا العَجْزَ.

وقوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾.

أي يحملون ثِقل ذُنوبهم، وهذا مَثلٌ. جائز أن يكون جُعِل ما ينالهم من العذاب بمنزلة أثقل ما يُحَمَّل، لأن الثِّقل قد يستعمل في الوِزْرِ، وفي الحال، فَتقُول في الحال قد ثقل عليَّ خطاب فلان، تأويله قد كَرهتُ خِطَابَه كراهةً اشْتَدَّت عَلَيَّ، فتأويل الوزر الثقل من هذه الجهة، واشتقاقه من الوزر[1]، وهو الجَبَل الذي يَعْتَصِم به الملك والنبي، أي يُعينُه، ومنه قوله [تعالى]: ﴿وَجَعَلْنَا مَعهُ أَخَاهُ هَرُونَ وَزِيراً﴾[2]. سأل مُوسَى رَبَّه أن يجعل أخاه وزيراً له، وكذلك قوله [تعالى]: ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾.

أي بِئس الشّيءُ شيئاً أي يَحْملونه، وقد فسرنا عمل نعم وبئس فيما مضى من الكتاب[3]، وكذلك ﴿سَاءَ مَثَلًا القَوْمُ﴾[4]، [أي] مثل القوم.

وقوله: ﴿فَإِنَّهُم لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾.

ولا يُكْذِبُونك، ومعنى كذَّبْتُه قُلت لَه كذبْتَ، ومَعْنى أكذبتُهُ ادَّعيت أنّ ما أتى به كذِبٌ[5]، وتفسير قوله: ﴿لا يُكذِّبُونَكَ﴾، أي لا يَقْدِرُونَ أن يقولوا لك فيما أَنْبأْتَ به مِمَّا فِي كُتُبِهُمْ كذبت. ووجه آخر: إنهم لا يكذبونك بقلوبهم، أي يَعْلَمُون أنك صادقٌ.

---

(١) الوزر كما في القاموس الجبل المنيع وكل معقل والملجأ والمعتصم.

(٢) الفرقان ٣٥.

(٣) انظر الجزء الأول.

(٤) الأعراف آية ١٧٧.

(٥) نسبته للكذب.

﴿ولكنَّ الظَّالِمِين بِآياتِ اللَّه يَجْحَدُون﴾ .

لأنهم إنما جحدوا براهين اللَّه جلّ وعزّ وجائز أن يكون فإنَّهم لا يُكذِّبُونك، أي أنت عندهم صادق، لأنه ﷺ كان يُسَمَّى فيهم الأمين قبل الرسالة، ولكنهم جحدوا بألسنتهم ما تشهد قلوبهم يكذبهم فيه .

ثم عَزَّى اللَّه نبيه وصَبَّرهُ بأن أخبره أنّ الرسلَ قبلَه قد كَذبتهم أُمَمٌ فقال :

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا، وأُوذُوا حَتَّى أَتاهُم نَصْرُنا وَلاَ مُبَدِّلَ لَكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ .

أي إذ قال اللَّه لرسوله: ﴿وَاللَّه يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1]، و [إذ] قال: لِيُظْهِرَهُ علَى الدِّينِ كُلِّه، فَلا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ أي لا يخلف اللَّه وعده ولا يغلب أولياءَه أَحَدٌ .

ثم أعلم اللَّه عزّ وجلّ رسُوله أنه[2] يأتي من الآيات بما أحب، وأنه ﷺ بشر لا يقدر على الإتيان بآية إلا بما شاءَ اللَّه من الآيات فقال :

﴿وإن كانَ كَبُر عَلَيْكَ إعْرَاضُهُمْ﴾ .

أي إن كان عَظُمَ عليك أن أعْرضُوا إذ طَلبُوا منك أنْ تُنزِّلَ عليهم ملَكاً، لأنهم قالوا: ﴿لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾[3] ثم أعلم اللَّه جلّ وعزّ أنهم لو نُزّلتْ عليهم الملائِكةُ وأتاهم عظيم من الآيات ما آمَنُوا .

وقوله: ﴿فإنِ اسْتَطَعْتَ أنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ﴾ .

---

(١) المائدة - ٦٧ .

(٢) أي اللَّه سبحانه وتعالى .

(٣) آية ٨ من هذه السورة ولم تكمل الجملة بذكر جواب الشرط في كلامه، والمعنى العام للآية أنه إذا كان قد شق عليك إعراضهم وما طلبوا من الآيات فافعل ما تستطيع، وحقيقتهم أنهم لن يؤمنوا حتى ولو جئتهم بما طلبوا .

والنفق الطريق النافذ في الأَرض، والنافقاءُ ممدود أَحَـدُ جِحَرَةِ اليَـرْبُوع يَخْـرِقُـهُ من بـاطن الأَرْض إلى جلدَة الأَرض فـإذا بَلَغَ الجلدة أَرَقَّهـا حتى إن رابَـهُ(١) دَبِيبٌ رفع بـرأسه هـذا المكان وخـرج منـه. ومن هـذا سُمِّيَ المنـافق منافقاً، لأَنه أَبطن غير ما أَظهر، كالنافقاءِ الذي ظاهـرهُ غَيْرُ بَيِّنٍ، وبـاطنه حَفْـر في الأَرْض.

وقوله: ﴿أَوْ سُلَّماً في السَّمَاءِ﴾.

والسُّلَّم مشتق من السَّـلامَةِ، وهـو الشيءُ الذي يسلمـك إلى مصعـدك. المعنى فإن استطعت هذا فافعل، وليس في القرآن فَٱفعَل(٢) لأَنه قد يحذف ما في الكلام دليل عليه، ومثل ذلك قولـك: إن رأيت أَن تمضي معنا إلى فلان، ولا تذكر فٱفعل.

فأَعلم اللَّه نبيَّه ﷺ أَنه لا يستطيـع أَنْ يأْتي بـآية إلا بـإذن اللَّه. وإعلامـه النبي هـذا هـو إعْـلام الخلق أَنهم إنمـا اقتـرحـوا هم الآيـات(٣) وأَعلم اللَّه جلّ وعزّ أَنـه قادر على أَن يُنـزِلَ آيَّة آيـة، وأَنه(٤) لـو أُنزلت المـلائكة وكلمهم الموتى ما كانوا ليؤْمنوا إلا أَن يشاءَ اللَّه.

وقوله: ﴿وَلَو شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الهُدَى﴾.

فيـه غير قـوْل، فأَحـدُها أَنـه لو شـاءَ اللَّه أَن يَطْبَعَهُم عَلى الهـدى لفعل ذلـك، وقول آخر: ﴿ولو شـاءَ اللَّه لجمعهم على الهدى﴾ [أَي] لـو شـاءَ لأَنْـزَلَ عليهم آيـة تَضْطرُّهم إلى الإيمـان كقولـه جـلّ وعزّ: ﴿إِنْ نَشَـأْ نُنَـزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ

---

(١) كلمة غامضة في المخطوطات، وهذا أقرب ما تحمل عليه.
(٢) أي جواب الشرط غير مذكور في القرآن في هذه الآية ولكنه مفهوم من السياق.
(٣) أي هم الذين اقترحوا هذه المعجزات، ولو تحققت ما آمنوا.
(٤) ضمير الشأن.

السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[1] فـإنما أَنْـزَل اللَّه الآيات التي يُفكـر الناس مَعها، فيُؤجَرُ ذو البَصَر، ويثاب على الإيمان بالآيات، ولو كانَتْ نَـارٌ[2] تنزل على من يكفر أو يُرْمَى بحَجَرٍ من السَّماءِ لان كل واحد.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾.

أي الـذين يسمعون سَمـاعَ قَابِلِينَ، وجَعَـلَ من لم يَقْبَل بِمَنْـزِلَة الأَصَمّ، قال الشاعر:

أَصَـــمُّ عَـمَّـــا سَـــاءَه سَـــمِيعُ

﴿والمَوتَى يَبعَثُهم اللَّهُ ﴾.

أي يحييهم ﴿ثم إليه يُرْجَعُون﴾.

وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيـة ﴾.

أي آية تجمعهم على الهُدَى.

وقوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْه﴾.

يجوز ولا طائرٌ بالرفع على العطف على موضـع دابّة، التـأْويل ومـا دابّة في الأَرض ولا طائرٌ، والجرّ أَجود وأَكبـر على معنى وما من دابَّـة وَلَا طَـائـرٍ. وقال﴿يطير بجناحيه﴾ على جهة التوكيد، لأَنك قد تقـول للرجل: طِرْ في حاجتي أي أَسْرع، وجميع ما خلق اللَّه عزّ وجلّ فليس يخلو من هاتين المنـزلتين، إمَّا أَنْ يَدِبَّ أَو يَطيرَ.

﴿إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾.

[أَي] في الخلق والموت والبعث.

---

(۱) الشعراء آية ٤.

(۲) كان تامة أي لو وجدت نار.

وقوله :﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُم إِنْ أَتَاكُم عَذَابُ اللَّهِ أَو أَتَتْكُمْ السَّاعة﴾ .

الساعة اسم للوقت الذي يُصْعَقُ فيه العباد، واسم للوقت الذي يُبْعَثُ فيه العباد، والمعنى إن أتتكم الساعة التي وُعِدْتُم فيها بالبَعْثِ والفناءِ، لأَنَّ قبلَ البعث موتَ الخلق كله.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾.

أي أتدعون هذه الأصنَام والحجارةَ التي عبدتموها من دون اللَّه، فاحتج اللَّه عليهم بما لا يَدْفَعُونَه، لأنهم كانوا إذا مَسَّهُمُ الضّرُّ دعوا اللَّه.

وقال النحويون في هذه الكاف التي في قوله: ﴿ أَرَأَيتَكُمْ﴾ غيرَ قولٍ:

قال الفراء لفظها لفظ نصبٍ، وتأويلها تأويل رفع، قال: ومثلها الكاف في قوله: دُونَك زيداً، قال: الكاف في موضع خفض، وتأويلها تأويل الرفع، لأن المعنى خذ زيداً.

وهذا لم يقله من تقدَّم من النحويين، وهو خطأٌ لأن قولك أرأيتكَ زيداً ما شأْنه! تصير «أرأيت» قد تعدت إلى الكاف وإلى زيد، فيصير لـ (رأيتَ) اسمان[١]، فيصير المعنى أرأيت نفسك زيداً ما حاله. وهذا محال[٢].

والذي يذهب إليه النحويون الموثوقُ بعلمهم أن الكاف لا موضع لها، وإنما المعنى أرأيت زيداً ما حاله. وإنما الكاف زيادة في بيان الخطاب. وهي المعتمد عليها في الخطاب، اعلم أنك تقول إذا كانت الكاف زائدة للخطاب، للواحد الذكر: أرأيتكَ زيداً ما حَالُه بفتح التاءِ والكاف، وتقول للمؤنث أَرَأَيتَكِ زيداً ما حاله يا امرأة، وتفتح على أصل خِطابِ الذكر، وتكسر الكاف لأنها قد صارت آخر ما في الكلمة والمبيِّنة عن الخطاب، وتقول

(١) يصير لها فاعلان. هما التاء والكاف.

(٢) ناقش ابن هشام في المغني رأي الفراء وبين خطأه، وصحح أن الكاف حرف خطاب وأنه رأي سيبويه (المغني جـ ١ /١٥٦).

للاثنين أرأيتكُما زيداً مَا حَالُه وأرأيتكم زيداً ما حاله ـ للجماعة، فتُوحِّد التَّـاءُ، فكما وجب أن توحدَها في التثنية والجمع وجب أن تذكرهـا مع المؤنث، فـإذا سَأَلْتَ النسوة قلت أَرَأَيتَكُنَّ زيداً ما حَالُه. وتثنية المؤنث كتثنية المذكر في كـل شيء، فـإنْ عَدَّيتَ الفـاعِلَ إلى المفعـول[1] في هذا البـاب، صـارت الكـاف مَفْعُولَه، تَقُولُ: رَأَيتِنِي عالماً بِفُلَانٍ، فإذا سألت عن هذا الشَّرطِ قُلْتَ للرجل: أرأَيتَـكَ عَالِمـاً بِفُلَانٍ، وتقـول للاثنين على هـذا: أرأيتـاكمـا عـالمين بفـلانٍ، وللجميع أرأيتموكم عَالِمينَ بفلان، لأن هـذا في تأويـل أرأيتم أَنْفُسَكُم. وتقول للمرأة: أرأيتِكِ عالمةً بفلَانٍ ـ بكسر التاءِ والكاف ـ وتقـول للاثنين أرأيتُمـا كما عـالمين بفلان وللجمـاعـة أرأيْتَكُنَّ عـالمـات بفـلان فعلى هـذا قيـاس هـذين البابين[2].

وقوله: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾.

«بل» استدراك، وإيجابٌ بَعد نفي، تقول: مَا جَاءَ زَيدٌ بل عَمْرٌو فـأعلمهم اللَّه جلّ وعزّ أنهم لا يدعون في حال الشدائد إلا إيَّاهُ، وفي ذلك أعظم الحجة عليهم، لأنهم قد عبدوا الأصنام.

وقوله: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾.

المعنى فيكشف الضر الذي من أجله دَعَوْتُمْ، وهذا على اتساع الكلام، مثل سَل القَريَةَ: المعنى سَلْ أَهْلَ القرية.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾.

«وتنسون» ههنا على ضربين: جائـز أن يكون تَنْسَـوْنَ تَتْرُكـونَ، وجائـز أن يكون المعنى إنكم في ترككم دعاءَهم بمنزلة من يَسْهُونَ.

---

(١) وهـو من خصوص هـذه الأفعال. نقـول ـ رأيتني وحسبتني ولا يجوز ضـربتني وكلمتني، وهـذا تعبير يخالف أرأيتك وقُل أرأيتكم.

(٢) باب أرأيتكم، وباب رأيتني.

وقوله: ﴿وَلَقَد أَرسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالبَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ﴾. قِيلَ البَأْسَاءُ الجُوعُ، والضَّرَّاءُ النقصُ في الأَموال والأَنفس. والمعنى أن اللَّه جلّ ثناؤه أعلم نبيّه أنه قد أَرْسَلَ الرسلَ قبله إلى قوم بلغوا من القسوة إلى أن أُخِذُوا بالشدة في أَنْفُسِهِم وأَمْوَالِهِم ليخضعوا ويَذِلُّوا لأَمْرِ اللَّه، لأَنَّ القُلوبَ تخْشَعُ، والنفوسَ تَضْرَعُ عند ما يكون[1] من أمر اللَّه في البأساءِ والضراءِ. فَلَمْ تخْشَعْ ولم تَضْرَعْ[2].

وقال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾.

ومعنى لعل ترج، وهذا الترجي للعباد، أَخَذَهُمُ اللَّه بذلك ليكونَ ما يَرجُوه العبادُ منه بالتضرع، كما قال عزّ وجلّ في قصة فرعون: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[3] قال سيبويه: المعنَى إذهبا على رجائكما، واللَّه عالم بما يكون وراءَ ذلك.

وقوله: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنا تَضَرَّعُوا﴾.

المعنى فهلاَّ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضرعُوا.

﴿وَلكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: أَي أقاموا على كفرهم.

وقوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كلِّ شَيْءٍ﴾.

أَي فتحنا عليهم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ كان مغلقاً عليهم من الخير.

﴿حَتَّى إذا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾.

أَي حتى إذا ظَنُّوا أَنَّ كل مَا نَزلَ بهم لم يكن انْتِقَاماً مِنَ اللَّه جلّ وعزّ، وأنهم لَمَّا فُتحَ عليهم ظَنُّوا أن ذلك باسْتِحْقَاقِهِمْ ﴿أَخذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾.

أَي فاجأهم عذابُنَا من حيثُ لا يَشْعُرُون.

---

(١) عندما يحدث.

(٢) لم تخشع تلك القلوب، أي أخذوا بالشدة ليخضعوا فلم يخضعوا.

(٣) سورة طه آية ٤٤.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فإذا هم مُبْلِسُونَ﴾.

«المبلس» الشديد الحسرة، واليائس الحزين.

وقوله: ﴿فقُطِعَ دابِرُ الْقوْمِ الَّذِين ظَلَمُوا والْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين﴾.

حَمِد اللَّه عزّ وجلّ نفسه على أن قطع دَابِرَهُم، واسْتَأصَل شأْفَتَهُمْ[1]، لأنه جلّ وعزّ أرسل إليهم الرُّسُلَ، وأنْظرَهمْ بَعْدَ كُفْرِهِمْ، وَأَخَذَهُمْ بِالْبَأْسَاءِ والضَّراءِ، فبالغ جلّ وعزّ في إنْذَارِهِمْ وإمْهَالِهِمْ، فحَمِدَ نَفْسَهُ، لأنه محمودٌ في إمْهَالِهِ مَنْ كفَرَ بِهِ وانتظارِهِ تَوْبَتَه.

وقوله: ﴿قُلْ أرَأَيْتُمْ إنْ أخَذَ اللَّه سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إلَه غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ به﴾.

أي بسمعكم، ويكون ما عطف على السمع داخلاً في القصة إذ كان معطوفاً على السمع[2].

وقوله: ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾.

أي «يُعْرِضُونَ». أعلم اللَّه جلّ وعزّ أنَّه يُصَرِّفُ لهم الآيات، وهي العلامات التي تدل على توحيده، وصحة نبوة نَبِيِّهِ ﷺ ثم هم يُعْرِضون عما وضح لهم وظهر عندهم.

وقوله: ﴿قُلْ أرَأَيْتَكُمْ إنْ أتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾.

الْبَغْتَةُ الْمُفَاجَأَةُ، والجهر أو يَأْتِيَهِمْ وَهُمْ يَرَوْنَه.

﴿هَلْ يُهْلَكُ إلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾.

---

(١) الشأفة القرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب، أو إذا قطعت مات صاحبها، واستأصل اللَّه شأفته أذهبه كما تذهب تلك القرحة، أو معناه أزاله من أصله.

(٢) أولى أن يكون الضمير للمذكور، أي يأتيكم بهذا كله.

أي هَـلْ يُهْلَك إِلَّا أَنْتُمْ ومَن أَشبَهَكُمْ، لأنكم كفـرتم مُعَـانِـدين، فقـد علمتم أنكم ظالمون.

وقوله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِين وَمُنذِرِينَ﴾.

أي ليس إِرْسَالُهم بأن يأْتوا الناس بما يَقْتَـرِحُون عليهم من الآيـات وإنما يـأْتـون من الآيـات بمـا يُبَيِّن اللَّه [بـه][1] بـراهينهم، وإنمـا قصـدُهم التبشيـرُ والإِنذارُ.

وقوله: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خزائنُ اللَّهِ﴾.

هذا متصل بقوله: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾. فأَعلمهم النبي ﷺ أَنَّـه لا يملك خزائِنَ اللَّه الَّتِي بِهَا يَـرزُقُ ويُعْطِي، و[أنه][2] لا يعلم الْغَيْبَ فيُخْبِرَهُمْ بِمَا غَابَ عَنْهُ مِمَّا مضَى، وما سَيَكُونُ إِلَّا بِوَحْيٍ من اللَّهِ جلّ وعزّ.

﴿ولَا أَقُولُ لكمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾.

أي الْمَلَك يشاهِدُ مِن أُمورِ اللَّه عزّ وجلّ ما لا يُشَـاهِدُهُ الْبشـرُ، فأَعْلَمهُمْ أنه يتبعُ الوحْي فقال: ﴿إِنْ أَتبعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ﴾.

أي مـا أَنْبأْتكم بـه مِنْ غيب فيما مضى، وفيمـا سيكُون فهـو بـوحي من اللَّه، فَـأَمَّا الإِنْبـاءُ بِما مَضَى، فـأَخبارٌ بقصصِ الأُمَمِ السَّـالِفةِ، والأخبَـارُ بمـا سيكـونُ كقـولـه: ﴿غُلِبَتِ الـرُّومُ. في أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِن بَعـدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. في بِضْعِ سِنِينَ﴾[3].

فوجد من ذلك ما أنبأَ به، ونحو قوله: ﴿واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِـن النَّـاسِ﴾[4]

---

(١) زيادة لا بد منها.

(٢) زيادة للإيضاح.

(٣) الروم آية ٢ ـ ٤.

(٤) المائدة ٦٧.

فاجتهدوا في قَتْله، فلم يَصِلُوا إلَى ذلك. وقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّين كُلِّهِ﴾(١) وما يُرْوى مِن الأخبَار عنه بما يَكُونُ أكثَرُ من أن يُحْصَى.

وقوله: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾.

قوله: ﴿وَأَنذِرْ به﴾، أي بالقُرْآن، وإنما ذكر الذين يخافون الحشر، دُونَ غَيْرهم وهو ﷺ منذرٌ جميع الْخلْقِ، لأن الَّذِين يَخافُونَ الْحَشرَ الحجةُ عليهم أوجبُ، لأنهم أفْهمُ بِالْميعاد. فهم أَحَدُ رَجُلَيْنِ، إمَّا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فيؤدي حقَّ اللَّهِ في إسْلَامِهِ، وإما رَجُلٌ مِنْ أهلِ الْكِتَابِ، فأهْلُ الْكِتَابِ أجمعُونَ مُعْتَرِفُونَ بأن اللَّه جَل ثَنَاؤه خَالِقهمْ، وَأَنهُمْ مَبْعوثون.

وقوله: ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِه وَلِيٌّ لَا شفِيع﴾.

لأن النصارى، واليهود ذكرت أنها أبناءُ اللَّه وأحِبَّاؤه، فأعلم اللَّه أنه لا ولي له إلَّا المؤمنون، وأنَّ أهلَ الكُفْر ليسَ لهم منْ دُون اللَّهِ ولي وَلَا شَفِيعٌ.

وقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِين يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

كان قوم من المشركين أرادوا الحيلة على النبي فقالوا لوْ باعَدْت عَنك هَؤُلاءِ السِّفْلة والْعَبِيدَ لجَلَسَ إليك الكبراءُ والأشْرَافُ. وكانوا عَنَوْا بالذين قَدَّرُوا أن يباعِدَهم النبي ﷺ صُهَيْباً وخَبَّاباً، وعمَّار بنَ يَاسرٍ وسلمانَ الفارسي وبِلالاً، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ، أن أمْرَ الدِّين هو المقدَّم، ونهاه أنْ يُبَاعِدَ هَؤُلَاءِ، وَأعْلَمَهُ أنهم يُرِيدُون ما عند اللَّه فَشهِدَ لهم بصحة النيات وأنهم مُخْلِصُونَ في ذلك للَّهِ، فقال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾، أي يُرِيدُونَ اللَّهَ وَيَقْصِدُونَ الطُّرقَ التي أمَرهم بقصدها وإنما قَدَّرُوا بهذا أن يُبَاعِدَهُم فتكونَ لهم حُجّة عَلَيْهِ. واللَّه قد أعلم

---

(١) التوبة ـ ٣٢ والصف ـ ٩.

في قصة نوح أنه اتَّبَعَ نُوحاً مَنْ كانَ عندهم مِن أَرَاذِلهم، فقال: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ واتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾[1]، وقالوا: ﴿مَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

جوابُ ﴿ولا تَطْرُدُ﴾، وقوله «فتطردهم» جواب ﴿مَا عَلَيْك مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ، وَمَا مِنْ حِسَابِك عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ - فَتَطْرُدَهُمْ﴾.

ومعنى: ﴿وَكَذَلِك فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾.
أي اخْتَبَرْنا وَابْتَلَيْنا، ﴿لِيقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾.
أي ليكُونَ ذَلك آيةً أَنَّهم اتَّبَعُوا الرَّسُولَ وَصَبَرُوا على الشِّدَّة، وهم في حال شديدة.

وقوله: ﴿وإذا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنا﴾، أي الذين يُصَدِّقُون بِحُجَجِنا، وبراهيننا ﴿فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾.

سمعت أبا العباس محمد بن يزيد يذكر أن السلام في اللغة أربعة أشياءَ فمنها سَلَّمْتُ سَلاماً - مصدر[3] سَلَّمْتُ، ومنها السلام جمع سلامة[4]، ومنها السلام اسم من أسماءِ اللَّه تعالى، ومنها السلامُ شجر[5]، ومنه قوله:

إلَّا سلامٌ وَحَرْمَلُ[6].

ومعنى السلام الذي هو مصدر سَلَّمْتُ، أنه دعاء لـلإنْسَانِ أن يَسْلَم من

(١) سورة الشعراء ١١١.
(٢) سورة هود آية ٢٧.
(٣) اسم مصدر.
(٤) اسم جنس جمعي كورق وورقة.
(٥) شجر السلم.
(٦) الحرمل حب السمسم، ولم أقف على بقية البيت ولا على قائله.

الآفـات في دينه ونفسـه، وتـأويله التَّخَلُّصُ. و «السَّـلاَمُ اسمٌ من أَسْمَـاءِ اللَّه» تأْويله ـ واللَّه وأعلم ـ ذُو السَّلاَمِ أي هو الذي يملك السلام الذي هـو تخليصٌ من المكروه، فأما السَّلامُ الشَّجَـر فهو شَجَر عِظَامٌ قـوِيٌّ أَحْسَبُه سُمِّيَ بِـذلك لسلاَمَتِهِ مِنَ الآفاتِ.

والسِّلام الْحِجَارَةُ الصُّلْبَةُ سميت بذلك لسلامتهـا من الرخـاوة، والصُّلْح يُسَمَّى السِّلْمَ والسَّلْم والسَّلَمَ، سمي بهذا لأن معناه السلامة مِنَ الشَّرِّ. والسَّلْمُ دَلْوٌ لَهَا عُرْوَةٌ وَاحِدَةٌ نحو دَلْوِ السَّقَائِينَ، سُميتْ الدَّلْوُ سَلْماً لأنهـا أَقَلُّ عُـرًى من سائر الدِّلاءِ، فَهِيَ أَسْلَمُهَا من الآفاتِ والسُّلَّمُ الذي يرتقى عليه سُمي بهذا لأنه يُسَلِّمُك إلى حَيْثُ تُرِيدُ، والسُّلَّمُ السَّبَبُ إلى الشَّيءِ، سُمي بهذا لأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى غَيْرِهِ، كما يُؤَدِّي السُّلَّم الَّذي يُرْتَقَى عَلَيْهِ.

وقوله: ﴿كَتَبَ ربُّكُمْ عَلى نَفسِهِ الرَّحْمَـةَ أَنه مَنْ عَمِـلَ مِنكُمْ سُوءاً بجهـالة ثم تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌرحيم﴾.

بفتحهما جميعاً، ويجوز أَن يكونَ «إنه ـ فإنَّـه» بكسرهمـا جميعاً ويجـوز فتح الأُولى وكسر الثانية، ويجـوز كسر الأُولى وفتـح الثانيـة. فأمـا فتح الأُولى والثـانيـة فعلى أن مـوضـع أن الأُولى نصب، المعنى: كتب ربكم على نفسـه الْمَغْفِـرَةَ، وهي بَدَلٌ مِنَ الـرَّحْمَةِ، كـأنه قـال: كتب رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الـرحمةَ وهي المغفرةُ للمذْنِبِينَ التائبين، لأن معنى أَنه ﴿غفورٌرحيم﴾ المغفرة منه، ويجوز أَنْ تكـون الثـانيـة وقعت مؤكـدة لـلأولى، لأن المعنى: كتب ربكم أنَّـهُ﴿غَفُورٌ رحيم﴾ فلمـا طال الكـلام أُعيد ذكـر إنَّ. فأَمـا كسرهمـا جميعـاً فعلى مـذهب الحكاية[1]، كأنَّه لما قال﴿ كتب رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِـهِ الرحمة﴾ قال: ﴿إِنَّـهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سـوءاً بِجَهالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غفور رَحِيمٌ﴾ بالكسر.

---

(١) استئناف لتوضيح الجملة السابقة.

وجعلت الفاءُ جواباً للجزاءِ وكُسِرَتْ إنَّ دخلت على ابتداءٍ وخبرٍ، كأنك قلت فهو غفُورٌ رَحِيمٌ. إلا أن الكلام بإنَّ أوكدُ. وَمَنْ كسرَ الأولَى فعل ما ذكرنا من الحكاية، وَإذا فتح الثانية مع كسر الأولى. كان مَعناها المصدَرُ، والخبرُ محذُوفٌ. المعنى إنَّه مَن عَمِل كذا وَكذا فمغفرةُ اللَّه له، ومن فتح الأولى وكسرَ الثَّانِيَةَ فالمعنى رَاجعٌ إلى المَصْدَرِ، وكأنَّكَ لَم تَذْكُر إنّ الثانية، المعنى كتب ربكم على نفسه أنه غفورٌ رَحِيمٌ.

ومعنى ﴿كتب﴾ أوجَبَ ذَلِكَ إيجاباً مؤكَّداً، وجائز أن يكون كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وإنما خوطب الخلقُ بما يعقلون، فهم يعقلون أنَّ توكيد الشيء المؤَخَّر إنما يحفظ بالكِتَابِ، ونحن نشرح ذلك في موضعه شرحاً أوكد من هذا إنْ شاءَ اللَّهُ.

ومعنى﴿يعملون السوءَ بجهاله﴾، أي ليس بأنهم يجهلون أنَّه سُوء. لو أتى المسلم ما يجهل أنه سوءٌ لكان كمن لم يتعمد سوءَاً، ولَم يُوقع سوءاً.

وقولك عمل فلان كذا وكذا بجهالة يحتمل أمرين، فأَحَدُهما أنه عمله وهو جاهل بالمكروه فيه، أي لم يعرف أن فيه مكروهاً، والآخر أقدم عليه على بصيرة، وَعَلِمَ أن عاقبته مكروهة، فآثر العَاجِلَ فجعل جاهلاً، فإنه آثر القليل على الراحة الكثيرة والعافية الدائمة.

فهذا معنى: ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُم سُوءًا بِجَهَالَةٍ﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سبِيل المُجرِمين﴾.

يقرأ بالتاءِ والياءِ، فمن قرأ بالتاءِ فلأن السبيل الطريق، وَهُو يُذكَّر ويؤَنْثُ، ويجوز وجه ثالث: ولتَستَبينَ سبيلَ المُجرِمينَ - بنصب السبيل -، لأن المعنى ولتستبين أنت يا محمد سبيلَ المجرمين، فإن قال قائل أفلم يكن النبي ﷺ مُستبيناً سبِيلَ المجرمين، فالجواب في هذا أن جميع ما يخاطب به

المؤْمنون يخاطب به النبي ﷺ. فكأنه قال ولتستبينوا المجرمين ، أي لتَـزْدَادُوا استِبَـانَةً لهـا، ولم يحتج أن يَقُـولَ ولتَستبين سبيل المؤْمنين[1] مـع ذكـر سبيـل المجرمين، لأن سبيل المجرمين إذا استبانت فقـد بانت معهـا سبيل المؤْمنين، وجـائـز أن يكـون المعنى: ولتستبين سبيـلُ المجـرمين ولتستبين سبيـلُ المؤْمنين[2] . إلا أن الذكر[3] والخطاب ههنا في ذكر المجرمين فَذُكِرُوا وتُرِكَ ذِكر سبيل المؤْمنين، لأن في الكلام دَليلاً عليها كما قال عزّ وجـلّ: ﴿سَرَابِيـلَ تَقِيكُمُ الحَـرَّ﴾[4] ولـم يقُلْ تقيكم البـردَ، لأن الساتـرَ يَستُـر منَ الحَـرِ والبَـردِ، ولكن جرى ذكر الحر لأنهم كانوا في مكانهم أكثرَ مُعَانَاةً له مِن البرد.

وقوله :﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُون مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

كانوا يعبدون الأصنام، وقالوا ﴿ما نعبدهم إلَّا لِيُقَرِّبُونَا إلى اللَّهِ زُلْفَى﴾[5]، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنه لا يُعبَدُ غيرُه.

وقوله :﴿قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُم﴾.

أَي إنما عَبَدْتُموهَا على طَريقِ الهَوَى لا على طريق البيِّنَةِ والبُرهان.

وقوله : ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذَنْ﴾.

معنى إذَن معنى الشرط، المعنى قَدْ ضَلَلْتُ إنْ عَبَدْتُها.

وقوله :﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

أي وما أنا من النبيين الذين سلكوا طريق الهدى[6]

وقوله :﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾.

---

(١) ط المجرمين وهو خطأ.

(٢) أي معنى الآية ـ نفصل الآيات لتستبين كل من السبيلين.

(٣) سياق الحديث.

(٤) سورة النحل ـ ٨١.

(٥) سورة الزمر آية ٣.

(٦) أي إن اتبعت أهواءكم أكون ضالاًّ ولا أكون من المهتدين.

أي على أمرٍ بيّن، لا مُتبِعٌ هَوًى.

﴿وَكَذَّبتُمْ بِهِ﴾ هـذه الهاءُ كنـاية عن البيـان[1]، أي وكذبتم بـالبيان، لأن البينة والبيان في معنى وَاحِدٍ، ويكون ﴿وكذّبتم به﴾ أي بمـا أَتَيْتُكُمْ به، لأنـه هو البيان.

وقوله: ﴿مَاعِنْدِي ما تَسْتَعْجِلون به﴾.

والذي استعجلوا به الآيات التي اقْتَرَحُوهَا عَلَيه. فأعلم ﷺ أن ذلك عند اللّه، فقال:

﴿إنِ الحكْمُ إلا للّهِ يَقْض الحَق وَهوَ خَيْر الفَاصِلِينَ﴾.

هذه كتبت ههنا بغير ياءٍ على اللفظ، لأن الياءَ أسقطت لالتقـاءِ الساكنين كما كَتَبُوا: ﴿سَنَـدْعُ الزبَـانِيَةِ﴾[2] بغير واو. وقرئت: ﴿يَقُصُّ الحقَّ﴾[3]، وقرأ ابن عبـاس «يقضي بـالحق»، إلا أَنَ القُـرَّاءَ لا يقـرأون «يقضي بـالحق» لمخـالفـة المصحف.

و «يقضي الحق» فيه وجهان: جائز أن يكون الحق صفة للمصـدر، المعنى يَقْضِي القَضَاءَ الحق، ويجوز أن يكـون يقضي الحق يَصنَع الحق، أي كـل ما صنَعَه عزّ وجلّ فهو حق وحِكمةٌ، إلا أنّ ﴿وَهُوَخَير الفَاصِلين﴾ يـدل على معنى القضاءِ الذي هو الحكم، فأما قضى في معنى صنع فمثله قول الهُذَلِيِّ.

وعليْهمـا مَسـرُورتـانِ قضـاهمـا داود، أو صَنَـع السَّـوابـغ تُبَّـعُ[4]

---

(١) الها في به.

(٢) سورة العلق آية ١٨.

(٣) وهي قراءة عاصم.

(٤) من عينية أبي ذؤيب الهذلي في رثاء بنيه الخمسة. انظر المفضلية ٧٨، وديوان الهذليين ١٩، واللسان (صنع)، والقرطبي ٢ - ٨٧ - ومواضع أخرى منه.

أي صنعهما داود، ومن قرأ ﴿يَقُصُّ الحقَّ﴾ فمعناه أن جميع ما أنبأ بـه وأمر به فهو من أقاصيص الحق.

وقوله: ﴿وَعِنْدَه مَفَاتِيح الغَيبِ لَا يَعْلَمُها إلَّا هُوَ﴾.

معنى مفاتح الغيب، أي عنده الوصلةُ إلى علمِ الغَيْبِ، وكل مَا لَا يُعْلَم إذا اسْتُعلِمَ يقال فيه افتحْ عَليَّ[1].

قوله: ﴿ويَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إلَّا يَعْلَمُهَا﴾.

المعنى: أنَّه يَعْلَمُها سَاقِطَة وثَابتَةً، وأنْتَ تَقُول: مَا يجيئـك أحدٌ إلا وأنَـا أعْرِفه، فليس معناه إلا وأنا أعرفه في حال مَجيئه فقط.

ويجـوز ﴿ولا حبَّةٍ﴾ ويجـوز ولا حبَّةٌ. فمن رفـع فعلى ضربين، جـائـز أنْ يكـونَ على معنى ما تسقط ورقـةٌ وَلَا حبـةٌ في ظلمـاتِ الأَرضِ ولا رَطبٌ وَلَا يَابسٌ ﴿إلا في كتَابٍ مبين﴾.

و ﴿في كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ههنا على معنيين يَتَصرَّف[2]، ويجوز أن يكون معنى ﴿فِي كِتَـابٍ مُبِينٍ﴾ أن يكون اللَّه أثبت ذلـك في كتـاب من قبـل أن يُخْلَقَ كمـا قال: ﴿مَا أَصَـابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأرضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إلَّا فِي كِتَـابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾[3]، فأعلم أنه قد أثبت ما خلق من قبل خلقه.

وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾.

أي يُنِيمُكَمْ فيتوَفى نفوسَكم التي بها تميزون كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿اللَّه يَتوفى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِها والتي لم تمت في منامها﴾[4].

ومعنى: ﴿يَبْعَثكُمْ فِيه﴾.

---

(١) أي عرفني.

(٢) أي يجري الكلام فيه على وجهين.

(٣) سورة الحديد ـ ٢٢.

(٤) سورة الزمر آية ٤٢.

أي ينبهكم من نومكم فيه في النهار.

﴿لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى﴾.

أي يَبْعَثُكُمْ من نومكم إلى أَنْ تَبلُغُوا أَجالكمْ.

وقوله :﴿وَهوَ القَاهِرُ فَوقَ عِبَادِه وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾.

الحفظة الملائكة، واحِدُهم حَافِظٌ والجمع حَفَظَةٌ. مثل كاتِبٍ وَكَتَبَة، وفاعِل وفَعَلَة.

وقوله: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ توفَّتْهُ رُسُلنَا ﴾.

أي هؤلاءِ الحَفَظَةُ لِأَنه قَال: ﴿ويُرْسِل عليكم حَفَظَةً﴾.

﴿وَهُمْ لَا يُفرِّطُون﴾.

أي لا يَغْفُلون ولا يَتَوانَوْنَ، ومعنى التفْريطِ في اللغَةِ، تقدمة العجز، فالمعنى أنهم لا يعجزون.

وقوله :﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِن ظُلُماتِ البَرِّ والبَحْرِ﴾.

يجوز في القراءَة يُنْجِيكم بالتخفيف. لقوله: ﴿لَئِنْ أَنْجيتنَا﴾[1]. و ﴿لئن أَنْجَانا﴾[2] والأَجود يُنَجيكُمْ بالتشْدِيد للكَثْرةِ.

ومعنى﴿ظُلُماتِ البَرِّ والبَحرِ﴾ شَدَائِد البَرِّ والبَحْرِ، والعَرَبُ تَقول لِليوم الذي تلقى فيه شِدَّةً يَوْمٌ مُظْلِم، حتى إنهم يقولون يوم ذُو كواكب أي قد اشْتَدتْ ظُلْمَتُه حتى صَارَ كالليل، قال الشاعر[3].

---

(١) سورة يونس ـ ٢٢.

(٢) سورة الأنعام ـ ٦٣.

(٣) في شواهد الكشاف الشطر الثاني هو: إذا كان يوماً ذا كواكب أشنعا ـ وقال الشيخ المرزوقي أن الاستفهام للوعيد أو للتقرير. وقدر اسم كان محذوفاً أي إذا كان اليوم يوماً، أو هو ضمير يعود

بني أَسَـدٍ هـل تعلمـون بـلاءَنـا إذا كـان يـومٌ ذو كـواكبَ أَشْهـب

وأنشدوا:

فِـدًى لبني ذُهْـلِ بنِ شيبـان نـاقتي إذا كـان يـوماً ذا كـواكب أشنعَـا[1]

معنى: ﴿ظلمات البر والبحر﴾ شدائدهما.

وقوله: ﴿تَدْعُونَه تَضَرُّعاً وخُفْيَةً﴾.

بالضم والكسر في «خُفْيَة»، والمعنى تدعونه مُظْهِرين الضَّراعةَ، وهي شدة الفَقْر إلى الشَّيءِ والحَاجة، وتدعُونَه خُفيةً أي تدعونه في أَنفسكم تُضْمِرُون في فقركم وحاجاتكم إليه كما تضمرون.

وقوله: ﴿لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هذِه لنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

أي في أَيٍّ شـدة وقَعتَم قُلْتُـم: لَئِن أَنجيتنـا مِنْ هَـذِه لـنكـونَـنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ.

فـأَمَر اللّه عـزّ وجلّ ـ أَنْ يسـأَلهم على جهة التـوبيخ لهم والتقـرير بـأنـه ينجيهم ثُمَّ هُمْ يُشرِكُون مَعه الأَصنَامَ التي عَلِمُوا أَنَّهَا مِن صَنْعَتِهِمْ، أنها لا تنفع ولا تضر، وأَنه قـادر على تعذيبهم فقال: ﴿قلْ هـوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمَ عَذَاباً مِنْ فَوقِكُمْ﴾.

نحو الحجارة التي أَمْطَرَهَا على قوم ِ لُوط، ونحو الطوفان الَّذي غـرَّقَ به قَومَ فِرعَوْن.

﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُم﴾.

= على البلاء ـ وكنى بالكواكب عن ظلمة اليوم أو عن السيوف ـ والظلمة تنشأ من الغبار. والبيت من شواهد سيبويه. والمراد أظلم حتى ظهرت الكواكب.

(١) لم أقف على قائله.

نحو الخسف الذي نال قارُون ومَن خسِف بِهِ.

﴿أو يَلبِسَكُم شِيعَاً﴾.

معنى ﴿يَلبِسَكُم﴾ يخلط أمرَكم خَلْطَ اضطراب، لا خلط اتفاق يقال لَبَسْتُ الأمر ألْبِسُه لم أبيّنه، وخلطت بعضه بِبَعض ويقال: لِبستُ الثوبَ ألْبَسُه.

ومعنى شِيعاً: أي يجْعَلكم فِرَقاً، لا تكونون شيعة وَاحدةً فإذا كنتم مختلفين قاتل بعضكم بعضاً، وهو معنى قوله ﴿ويذِيق بعضَكم بأْسَ بَعض﴾.

ويروى أن النبي ﷺ سأل اللّه جلّ وعزّ ألّا يَبْتَلِيَ هذه الأُمة بعذاب يَستأْصِلُها به، وَألّا يُذيق بعضها بأْسَ بَعض، فأَجابَه في صرف العذاب، ولم يُجِبْهُ في ألا يذيق بعضها بأْسَ بعض وأن لا تختلف.

﴿وكذَّبَ بِه قوْمُك وَهُوَ الْحَقُّ قل لستُ عَلَيْكم بِوَكيلٍ﴾.

أي إنما أدعوكم إلى اللّه وإلى شريعته، ولم أُومَر بحربكم ولا أُخذكم بالإيمان كما يؤخذ الموكل بالشّيءِ يُلزمُ بُلُوغ آخره.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿لِكُلِّ نبأ مسْتَقَرٌّ﴾.

أي لأخذكم بالايمان على جهةِ الحَرْب، واضْطِرَارِكم إليهِ ومُقَاتلتكم عَليه، مُسْتقرٌّ، أي وَقْتٌ.

﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُون﴾.

جائز أن يكون وعدهم بعذاب الآخرة، وجائز أن يكون وعدهم بالحربِ، وأخذهم بالإيمان شاءُوا أو أَبَوْا، إلّا أنْ يُعْطِيَ أَهْلُ الكِتاب الجزية[١].

---

(١) أي يأخذهم بالحرب حتى يعطوا الجزية أو يسلموا.

وقوله :﴿وَمَا عَلَى الَّذِين يَتَّقُون مِنَ حِسَابِهِم مِن شيءٍ ولكِن ذِكْرَى ﴾.

أي ومـا عليك أيُّهـا النبي وعلى المؤْمنين من حسابهم أي من كفـرهم، ومُخالفتِهم أمرَ اللَّهِ.

﴿وَلَكِنْ ذِكْرَى﴾.

أي ولكن عليكم أن تُذكِّرُوهُم.

وذكـرى يجوز أن يكـون في موضـع رفـع ونصب، فمن نصب فـالمعنى ولكن ذكـرُوهم ذِكْـرَى، ومن رفــع فعلى وجهين، أحـدُهـمــا ولكن عليكم أن تُـذَكِّرُوهم[1]، كمـا قال: ﴿إنْ عَلَيْكَ إلَّا البلاغ﴾[2]. وجـائز أن يكـون: ولكن الذين تأْمرون به ذكرى[3].

﴿لعَلَّهُمْ يَتَّقُون﴾.

أيْ لِتُرجَى مِنْهم التَّقْوى.

وقوله :﴿وَذَكِّر به أن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَت﴾.

معنى تُبْسـل ـ بِعَمَلِهَا [تكـون] غيـر قـادرة على التخلُّص، والمسْتَبْسِـلُ المُسْتَسْلِمُ الذي يعلم أنه لَا يقدرُ عَلى التخلُّص، قال الشاعر:[4]

وَإبْسَـالي بَنِيّ بـغيـر جُـرْمٍ بَـعَـونَـاهُ وَلا بِـدَمٍ مُـراقِ

أي إسـلامي إيَّاهُم، وقيـل «أَنْ تُبْسَل» تَرْهَنَ، والمعنى واحدٌ ويقـال أَسدٌ

---

(١) أي في عنقكم تذكيرهم ـ فهي مفعول مطلق.

(٢) الشورى ٤٨.

(٣) أي هي خبر لمبتدأ محذوف.

(٤) لعوف بن الأحوص الباهلي ـ كان أسلم أبنـاءه لرجـل من بني قشير رهينـة في دم رجل منهم ثم ندم على ذلك ـ وبعوناه ـ بـالعين المهملة أي جنيناه ـ أي انـه أسلمهم من غير أن يكـون هو أو أحد منهم ارتكب جريمة ـ انظر شواهد الكشاف ٨٣.

بَاسِل، وشُجَاعٌ بَاسِـلٌ، وتأويلُه أَن معـه من الإِقْدام ِ مـا يستبسل[1] لـه قِرنُـه. ويُقَالُ هذا بَسْلٌ عَلَيْكَ أي حَرامٌ عَليك فجائز أَن يكون أَسَدٌ بَاسِلٌ من هذا، أي لا يُقْدَرُ عَلَيه، ويقـال أعط الرَّافِيَ بسلَتَـه، أي أُجرَتَـهُ، وإنما تـأويله أنه عمـل الشيءَ الذي قد استبسل صَاحِبُه مَعه.

وقوله :﴿ونُردعَلى أَعقابِنَا بَعدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾.

أي نـرجع إلى الكفـر، ويقال لكـل من أَدبَرَ قَـدْ رَجَعَ إلى خلف ورَجَـعَ القَهْقَرى.

وقوله : ﴿كَالذِي استَهْوَتْه الشيَاطِينُ فِي الأَرض ِ﴾.

أي كالذي زَينَتْ له الشّياطِين هواه[2].

وقوله : ﴿حَيرَانَ﴾.

منصوب على الحال، أي كالذي إستهوته فِي حَال ِ حَيرتِه.

وقوله :﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَه إِلَى الهُدَى﴾.

قيل في التَّفْسِيرِ يُعنى بهذا عبد الـرحمن بن أَبي بكر،﴿إِئْتِنا﴾ أي تابِعنافي إيماننا.

﴿وأَمِرنا لِنُسلِمَ لِربِّ العَالَمِين﴾.

أي يدعونه ويقولون له ﴿أُمِرنا لنُسلِمَ لرَبّ العَالمِين﴾. العـرب تقول أَمَـرْتُك بأَنْ تفْعل، وأَمَرتُك لِتفْعَل، وَأَمَرْتُك بأَنْ تَفْعَلَ، فمن قال أَمَرتُك بأَن تفعَل فالباءُ لـلإلصاق، المعنى وقـع الأَمر بهـذا الفِعل ِ، ومن قـال أَمَرتُـك أَنْ تفعل فعلى حـذف الباءِ، ومن قـال أُمرتـك لتفعَل فقـد أُخبر بـالعِلَّةِ التي لها وقـع الأَمـر. المعنى أمِرْنا للإِسلام.

---

(١) يستسلم.

(٢) ملكت عليه هواه.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾.

فيه وجهان أحدهما أن تكـون أمرنـا لأن نسلم ولأَنْ نُقيم الصلاة ويجـوز أن يكون محمولاً على المعنى، لأن المعنى أُمِـرنا بـالإِسْلاَمِ. وبإقامة الصلاة، ومَوضِع أَنْ نصبٌ، لأن الباءَ لما سقـطت أَفْضى الفعل فنصب. وفيـه وجه آخـر، يجوز أن يكون محمولاًعلى قوله: ﴿يَدْعُونه إلى الهُدى آئْتِنا﴾ ﴿وأن أقيموا الصلاة﴾. أي ويدعونه أن أقيموا الصلاة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فيكُون﴾.

نصب «يوم» على وَجهين، أحدهما على معنى واتَّقُوهُ ويَوْمَ [يَقُولُ] فيكـون نسقاً على الهاءِ، كما قال عـزّ وجلّ: ﴿وَاتَّقُـوا يوْمـاً لا تجـزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً﴾[1] والأَجوَد أن يكون على معنى وأذكر يقول كن فيكون، لأن بعـده.. ﴿وإذْ قال إبْرَاهِيمُ لِأَبيهِ آذَرَ﴾ وفيـه وجـه ثـالث وهـو العـطف[2] على السمـوات والأرض. المعنى وهـو الذي خلق السمـوات والأرض بالحق وخلق يـوم يقول كن فيكون.

فإن قال قائل: إنَّ يوْم القِيَامَةِ لم يَأْتِ بَعْـدُ. فإن مَـا أَنبأنـا[3] اللَّه بكونـه فحقيقته واقع لا محالة.

وقوله: ﴿كُنْ فَيكُون﴾.

قـال بعضهم: المخاطبـة ههنـا للصُّـورِ المعنى ويـوم يقـول للصـور كن فيكون، وما ذكر من الصور يدل عليه.

وقيل إنَّ قولَه «كن» فيه أسماءُ جميع مـا يخلق في ذلك الـوقت المعنى:

---

(١) سورة البقرة آية ٤٨، ١٢٣.

(٢) ط المعطوف.

(٣) جواب الشرط ـ أي إن قال فإجابته أن ما أنبأنا به.

«وَيَوْمَ يَقُولُ للشَّيءِ كُن فيكونُ» وهذا ذُكِرَ لِيَدل على سرعة أمر البَعْثِ والسَّاعة، كأنه قال: ويوم يقول للخلق مُوتوا فيموتُون وانْتَشِرُوا فينْتَشِرُون. كأنَّه يَأْمُر الحيَاة فتكون فيهم، والموت فيحلْ أَوَّلاً يفنى جميع الخلْقِ.

وقيل ﴿ويوم يقول: كُنْ فَيَكُون﴾ ﴿قولُهُ﴾ أي يأْمر فيقع أَمْرُه، و ﴿الحقُّ﴾ من نعتِ ﴿قوْلُه﴾[1] كما تقول: قد قلت فكانَ[2] قولك، فالمعنى ليس أنك قلت فكان الكلام، إنما المعنى أنَّه كان ما دَلَّ عليه القول. وعلى القول الأول قد رُفِعَ ﴿قوله﴾ بالابتداءِ و ﴿ الحق﴾ خبر الابتداءِ.

وقوله: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾.

يجوز أن يكون نصب «يوم» على ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّور﴾ مُبَيّناً عن قوله: ﴿يوم يقول: كن فيكون﴾، ويجوز أن يكون منصوباً بقوله ﴿الحق﴾، المعنى و ﴿قَوْله الحقُّ يَوْمَ يُنفخُ في الصُّورِ﴾، فإن قال قائل: للَّه الملك في كل وقت، فلم خُصَّ يَوْمُ القِيامة، ويَوم ينفخُ في الصُّورِ.؟ فالجواب في هذا أنه في اليوم الذي لا يظهر فيه من أحدٍ نفع لأحدٍ ولا ضَرٌّ. كما قال: ﴿والأمر يَوْمَئِذٍ للَّه﴾[3] والأمر في كل وقت للَّه جلّ وعزّ.

وقالوا في الصُّورِ قَوْلَيْن: قيل في التفسير: إن الصُّورَ اسمٌ لقَرْنٍ يُنفخُ فِيهِ وقيل: الصور جمع صورة[4]، وكلاهما جائز، وأثبتُها في الحديث والرواية أن الصور قرنٌ، والصور جمع صورة: أهل اللغة على هذا[5].

---

(١) أي يوم يقول كن فيحدث قوله الحق الذي لا يتخلف.

(٢) ط مكان. ويوم يأمر فيحدث أمره الحق.

(٣) سورة الانفطار ١٩.

(٤) لم يقله أحد «قبل أبي عبيدة، ولم يجر الناس على رأيه. لوجود ما يعارض مثل ﴿فإذا نقر في الناقور﴾.

(٥) إسم جنس جمعي لصورة، أي ينفح في صور الآدميين.

وقوله :﴿وإذْقَالَ إبرَاهِيم لأَبيهِ آذَرَ﴾ .

بالنصب والضم، فمن قرأ بالضم فعلى النداءِ[١]، المعنى يا آذَر أتَتَخِذ أصناماً آلهةً. وليس بين النسَّابِيَن خِلافٌ أن اسم أبي إبراهيم «تارِح» والذي في القرآن يَدُل على أن: اسمه آذَر، وقيل آذرُ عندهم ذمٌّ في لُغتِهم، كأنه: وَإذ قال إبراهيم لأبيهِ يا مخطىء أتتَّخِذُ أصناماً. وَإذا كان كذلك فالاختيار الرَّفعُ. وجائز أن يكون وصفاً له، كأنه قال: وإذ قال إبراهيمُ لأبِيهِ المخطئ، وقيل آذرُ اسمُ صنم، فإذا كان اسم صَنمٍ فموضعُه نصبٌ على إضمار الفِعْلِ كأنه قال وإذ قال إبراهيم لأبيه أتتخِذُ آذرَ إلهاً؟ أتتخذ أصناماً آلهة؟ .

وقوله عزّ وجل :﴿وكذلِك نُري إبرَاهِيم مَلكُوت السَّموات والأرضِ﴾ .

أي وَمِثلُ مَا وصَفْنا من قِصَّةِ إبراهيم من قوله لأبيه ما قال نُريه ملكوت السمواتِ والأرضِ، أي القدرة التي تقوى بها دلالته على توحيد اللَّه جلّ وعزّ. وتقول في الكلام لِمن فعل بك خيراً أو شراً كذلك أجزيك.

ومعنى قوله :﴿وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ﴾ .

أي نريه ملكوت السموات والأرض لما فعل، ولِيَثْبُت على اليقين، والملكُوت بمنزلة الملك، إلا أن الملكوت أبلغ في اللغة من الملك، لأن الواو والتاءَ تزادان للمبالغة، ومثل الملكوت الرَّغبُوت، والرَّهَبُوت، وَوَزْنه من الفعل فَعَلُوت وفي المثل رَهَبُوتي خَيْرٌ مِنْ رَغبُوتي، وهذا كقولهم، أو فرقاً خيراً من حُبٍّ، وَمن روَى رَهَبُوتي خيرٌ من رحموتي فمعنى صحيح[٢]. يحقق من اللسان أن تكون له هيبة ترهب بها خير من أن يُرْحَم .

---

(١) الضم في «آذر» ـ أي وإذ قال إبراهيم لأبيه : يا آذر.

(٢) رهبوتي أو رهبوت خير من رحموت، أي لأن يرهبك الناس خير من أن يرحموك ـ أو لأن يرهبوك خير من أن يرغبوا أي يطمعوا فيك. وجملة «فرق خير من حب» بهذا المعنى.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فلمَّا جَنَّ عَلَيْه اللَيْلُ رَأَى كَوْكَباً﴾.

يقال جَنَّ عليه الليلُ وأَجَنَّهِ الليلُ إذا أظلمَ حَتَّى يَستتِر بظلمته ويقال لكل ما سَتَر قَدْ جَنَّ، وقد أَجَنَّ، ويقال جَنَّه الليلُ، ولكن الاختيار جَنَّ عليه الليل وأَجَنَّه الليلُ.

وقيل إنَّ قومَ إبراهيم كانوا يعبدون الأصنامَ والشمسَ والقمرَ والكواكِبَ[1]، فلما بلغ إبراهيم المبلغ الذي يجب معه النظر، وتجب به على العبد الحجة، نظر في الأشياءِ التي كان[2] يَعبُدُها قومُه فلما رأى الكوكب الذي كانوا يعبدونه، قال لهم هذا رَبِّي أي في زعمكم، كما قال اللَّه جلّ وعزّ: ﴿أَيْنَ شركائي الذين كنتم تزعمون﴾[3] فأضافهم إلى نفسه حكايةً لقولهم.

﴿فلمَّا أَفَلَ﴾.

أي فلما غاب، يقال أَفَلَ النَّجمُ يأْفِل ويَأْفُلُ أُفولاً، إذا غَابَ:

﴿قال لا أُحِبُّ الآفِلين﴾.

أي لا أُحب من كانت حالته أن يطلع ويَسِير على هيئةٍ يُتبيَّن معها أنه محدَثٌ منتقل من مكان إلى مكان، كما يَفْعَلُ سائرُ الأَشياءِ التي أَجمعتم معي على أنها ليست بآلهة، أي لا أَتخِذُ ما هذه حالُه إلٰهاً، كما أَنكم لا تتخذون كلَّ ما جرى مجرى هذا من سائر الأَشياءِ آلِهة، ليس أَنه جعل الحجة عليهم أَنَّ ما غاب ليس بإِله، لأَن السماءَ والأَرض ظاهرتان غيرُ غائِبَتَيْنِ وليس يُدَّعَى فيهما هذه الدعْوَى. وإنما أَرادَ التَّبيين لهم القريب[4]، لأَن غَيْبُوبَتَهُ أَقْربُ ما

(١) ط ـ والكوكب، أي كوكباً معيناً كانوا يعبدونه.

(٢) في الأصل كانوا.

(٣) سورة القصص آية: ٦٢.

(٤) الأولى أن يكون التعبير أراد التبين القريب لهم.

نَاظرون به فيما يظهر لهم، كما قال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشمسِ مِنَ المَشْرِق فأْتِ بِهَا مِن المَغْرِبِ﴾[1].

وقد قيل إنه قال هذا وهو ينظر لِنفْسِه، فكأنه على هذا القول بمنزلة قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى﴾[2]. وإبراهيم قد أنبأ اللَّهُ عنه بقوله[3]، ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّه بقلْبٍ سَلِيمٍ﴾[4]، فلاشك أنه سليمٌ من أن يكون الشك دَخَلَه في أمر اللَّه. واللَّه أعلم.

وجائز أن يكون على إضمار القول، كأنه قال: ﴿فلمَّا جَنَّ عَلَيْه اللَّيلُ رَأَى كَوْكباً قالَ هَذا رَبِّى﴾، كأنَّه قال: تَقُولُون هذا ربي، أي أنتم تقولون هذا رَبِّي، كما قال جلَّ وعزّ: ﴿وَإذْ يَرْفَعُ إبْراهيمُ القَواعدَ مِنَ البَيْتِ وإسمَاعِيلَ رَبَّنا تَقَبَّل مِنَّا﴾[5].

المعنى يقولان تقبل منا. واللَّه أعلم بحقيقة هذا.

والذي عندي في هذا القول أنه قال لهم: تَقُولونَ هذا رَبِّي، أي هذا يُدَبِّرني، لأنه فيما يُرْوَى أنهم كانوا أصحاب نجوم، فاحتج عليهم بأن الذي تزعمون أنه مُدَبِّرٌ إنما يرى فيه أثر مُدَبِّر لا غير.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَما رَأى الشَّمسَ بَازِغةً﴾ و.. ﴿ فَلمَّا رأى القَمَرَ بازغاً﴾.

يقال قد بَزَغَ القمرُ إذا ابتدأ في الطلوع، وكذلك الشمس. والحجة في الشمس والقمر كالحجة في الكوكب.

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٨.

(٢) سورة الضحى: ٧ ـ أي انه كان حائراً ثم اهتدى.

(٣) هذا تفنيد للقول السابق ـ وفي ط بأنه قال.

(٤) سورة الصافات آية: ٨٤.

(٥) سورة البقرة: ١٢٧ ـ أي قائلين ذلك.

واحتج الذين قالوا انه قال ﴿هَذَا رَبِّي﴾ على وجه الظن والتفكُّر بقوله: ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِينَ﴾.

وهذا لا يوجب ذلك. لأن الأنبياءَ تسأل اللّه أن يُثَبِّتَهَا على الهدى وتعلم أنه لولا هدايَة اللّه ما اهتَدَتْ، وإبراهيم يقول: ﴿واجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾(١).

وقوله: ﴿إِنِّي وَجَّهْت وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطر السَّمَوات والأَرْضَ حَنِيفاً﴾أي مَائِلاً إلى الإسلام ميلاً لا رجوع مَعَهُ، والحنف أن يكون في القدم ميل، وهو أن تميل إبهام القدم إلى إبهام القدم، فتقبل هذه القدمُ على هذِه القَدم، ويكون ذلك خِلْقَةً. والحنيف الصحيح الميل إلى الإسلام الثابت فيه.

ومعنى ﴿وَجَّهْتَ[وَجْهِيَ]﴾ أي جعلت قصدي بعبادتي توحيدي اللّه عزّ وجلّ.

وقوله جلّ وعلا: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾.

المعنى حَاجُّوه في اللّه، فقال: ﴿أَتُحَاجُّونِّي فِي اللّهِ﴾.

ومحاجّتهم إياه كانت ـ واللّه أعلم ـ فيما عبَدُوا مع اللّه عزّ وجلّ من الكواكب والشمس والقمر والأصنام، فقال: ﴿أَتُحاجُّونِّي في اللّهِ﴾.

أي في توحيد اللّه.

﴿وَقَدْ هَدَانِي﴾.

وقد بيّن لي ما به اهتديت.

﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾.

أي هذه الأشياء التي تعبدُونها لا تَضُرُّ ولا تنفع، ولا أخافها.

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شيئاً﴾.

---

(١) سورة إبراهيم اية: ٣٥.

إلا أن يشاءَ أن يعذِّبني بذَنْبٍ إن كان مني. وموضعُ «أن» نَصْبٌ، أي لا أخاف إلا مشيئة اللّه.

﴿وكيْفَ أَخَافُ ما أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنكُمْ أَشْرَكْتم بـاللّهِ مَا لَم يُنَـزِّل بِهِ عليكم سُلْطاناً﴾.

أي ولا تخافون أنتم شِرْكَكُمْ باللّه ما لم[1] يُنزِّلْ بِهِ عليكم سلطاناً، أي حُجَّةً بَيِّنَةً.

﴿فَأَيُّ الفَرِيقَينِ أَحَقُّ بالأَمْنِ﴾.

أيْ أَحَقُّ بأن يأْمَنَ من العذاب، المُوحِّد أم المُشْرِك وقوله: ﴿الذِينَ آمَنُوا وَلَم يَلْبِسُوا إيمَانهمْ بِظُلْم، أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ﴾.

قالوا جائز أن يكون هذا قول اللّه ﴿أُولئِكَ لَهم الأَمْنَ﴾ غير حكاية عن إبراهيم، وجائز أن يكون إبراهيم قال ذلك.

وقوله: ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَن ﴾.

داود وسليمان نسق على نوح، كأنه قال: وهدينا داود وسليمان وجائز أن يكون من ذرية نوح، وجائز أن يكون من ذرِّيَّة إبرَاهِيمَ، لأَنَّ ذِكْرَهُما جميعاً قد جرى.، وأسماء الأنبياء التي جاءَت بعد قوله: ﴿وَنُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ﴾ نسق على نوح، إلا أن الْيَسَع يُقَال فيه اللَّيْسَع واليَسَعَ، بتشديد اللام وتخفيفها.

وقوله: ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَإِخوَانِهِمْ﴾.

أي هدينا هؤلاءِ، وهدينا بعض آبَائهم وَإِخْوَانِهِمْ.

ومعنى قوله: ﴿وَاجْتَبَيْناهُمْ﴾.

مثل اخترناهم، وهو مأخوذ من جبيت الماءَ في الحوْضِ إذا جمعته.

---

(١) أي إشراككم مخلوقاً لم ينزل به حجة.

وقوله: ﴿ فَإِنْ يَكفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ ﴾.

[أي] الذين قد كفَروا، ويكفرون، مِمَّن أرسلت إليه.

﴿فَقَدْ وَكَّلْنا بها قَوْماً لَيْسُوا بهَا بكافرين ﴾.

أي قد وَكَّلْنـا بالإيمان بها، وَقِيلَ في هذه ثلاثة أقْوال.

قيل يعني بذلك الأنبياءَ الـذين جرى ذكـرهم آمنوا بمـا أتى به النبي ﷺ في وقت مَبعثِهم، وقيـل يعني به المـلائكة، وقيـل أيضـاً يعني بـه مَنْ آمَنَ مِنْ أصحاب النبي وأتباعـه، وهو واللَّه أعلم يعني بـه الأنبياءَ الـذين تقدمـوا لقولـه تبارك وتعالى:

﴿أُولئَكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّه فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهْ﴾.

أي الأنبياء الذين ذكرناهُمُ الذين هدى اللَّه فبهداهم اقتده أي إصْبِـرْ كَمَا صَبَرُوا، فإن قومهم قد كذبوهم فصبروا على ما كذبوا وَأُوذُوا، فاقْتَدِ بِهِمْ.

وهـذه الهـاء الَّتي في «اقتَـدِهْ» إنمـا تثبت في الـوقف، تبين بهـا كسـرة الدال، فإن وَصَلْتَ قلتَ «اقتدِ»[1] ﴿قُلْ لاَ أَسْألُكُمْ﴾.

قال أبو إسحق: والذي آختارَ من أثِقُ بعلمـه أن يُوقَف عنـد هذه الهـاء، وكذلك في قوله﴿هَاؤُمُ اقْرأُوا كِتابِيَـهْ﴾[2] و ﴿[إنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُـلاقٍ] حسابيَـهْ﴾ وكـذلك ﴿لم يَتَسنَّـه﴾[3] وكذلـك ﴿وما أدْراكَ مـا هيهْ﴾[4] وقـد بينا مـا[5] في « يتسنّه » في سورة البقرة.

وقوله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِه إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ عَلى بَشَر مِنْ شيءٍ﴾.

---

(١) هاء السكت ـ وهي جائزة هنا.

(٢) سورة الحاقة: ١٩، ٢٠.

(٣) سورة البقرة آية: ٢٥٩.

(٤) سورة القارعة آية: ١٠.

(٥) جـ ١، ص ٢٤٣ ـ الآية ﴿فانظر إلى طعامك وشرابك لم يَتَسَنَّهْ﴾.

معناه ما عظَّموا اللَّه حقَّ عَظَمَته إذ جحدوا تنزيله، وذلك أن جماعة من اليهود ـ من منافقيهم ـ جاءُوا وهم يعاندون النبي ﷺ يجادلونه ويصُدُّون عنه، وكان سِمَتُهم سِمَةَ الأَحْبَارِ، وكانوا يتنعَّمُونَ ولا يتعبدونَ، فأعلمهم النبي ﷺ أن في التوراة أن اللَّه جلَّ وعزّ لا يحب الحَبْرَ السَّمِين، فجحدوا التوراة، وقالوا: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّه عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾، فقال اللَّه عزّ وجلّ:

﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكِتَابَ الَّذِي جَاءَ به مُوسَى نوراً وَهُدًى للنَّاسِ تَجْعَلُونَه قَرَاطِيسَ تُبْدُونها وَتُخْفونَ كثِيراً﴾.

يُظهرون ما يُحبون من ذلك ويُخفون كثيراً.

﴿وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾.

أي عُلِّمتمُ على لسان محمد ﷺ ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ ولا آباؤُكُمْ قُلْ اللَّه ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.

يقال لكل من كان في عمل لا يجدي إنما أنت لاعب.

وقوله: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَها﴾.

تقرأ بالتاء والياء جميعاً في ﴿لِتُنْذِرَ﴾ المعنى أنزلناه للبركة والإنذار، ومعنى أم القرى أي أهل أم القرى، و «مَنْ حَوْلَهَا» عطف عليهم[1]، وأم القرى مكة سميت أُمَّ القُرى لأنها كانت أعظم القرى شأناً.

وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن افْترى عَلى اللَّهِ كَذباً، أَوْ قَالَ أُوحِيَ إليَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْه شَيءٌ﴾.

جاءَ في التفسير أنه يعني به مسيلمة، وَصَاحِبَ صَنْعَاءَ، لأنهما ادعيا النبوة.

---

(١) أي عطف على أهل أم القرى. . وهو ناظر للمعنى.

﴿ومن قال سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾.

موضع «من» جرٌّ. المعنى: ومن أظلم ممن افترى ومن قال سَأُنزِلُ مثل ما أنزل اللَّه، وهذا جواب لقولهم: لو نشاءُ لقلنا مِثْلَ هَذَا.

وقوله: ﴿ولَوْ ترىَ إِذْ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ المَوْتِ﴾.

جواب «لو» محذوف، المعنى: ولو ترى إذ الظالمون فِي غَمَرات المَوْتِ لرأيت عذاباً عظيماً، ويقال لكل من كان في شيءٍ كثير: قد غَمرَ فُلاناً ذلك، ويقال قد غمر فُلَاناً الدَّيْنُ، تأْويله: قد كثر فصار فيما يعلم بمنزلة ما يُبْصَرُ قَدْ غَمَرَ وَغَطَّى من كثرتِه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿والمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾.

(أي) عليهم بالعذاب.

ومعنى.... ﴿أَخرِجُوا أَنْفَسَكُمْ﴾.

فيه وجهان - اللَّه أعلم -.

يقولون ﴿أخرجوا أنفسكم﴾: فجائز أن يكون كما تقول للذي تعذِّبهُ لأُزْهقَنَّ نفسك، ولأُخرجَنَّ نَفْسك - فهم يقولون - واللَّه أعلم.

أخرجوا [أنفسكم] على هذا المعنى(١).

وجائز أن يكون المعنى خلِّصُوا أنفسكم. أي لستم تقدرون على الخلاص(٢).

﴿اليَوْم تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ﴾.

أي العذاب الذي يقع به العذاب الشديد..

(١) أي ذوقوا العذاب ولتزهق أنفسكم أي موتوا.

(٢) هو أمر للتحدي، أي لستم قادرين على إخراج أنفسكم.

وقـوله تعـالى : ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُـرَادَى كَمَا خلَقْنَـاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

أَمَّا معنى «فرادى» فكل وَاحِدٍ مُنْفَرِدٌ مِن شريكه في الغَيِّ وشَقِيقِهِ[1].

ومعنى : ﴿ كَمَا خلقْناكُمْ أَولَ مَرَّةٍ ﴾.

جـاءَ في التَّفْسِير: عُـرَاةً غُـرْلاً، والغُـرْلُ هُمُ الغُلْف[2]. والـذي تحتمله اللُّغة أيضاً. كما بدأْناكم أول مَرَّةٍ، أي كان بعثكم كخلقكم.

وقوله: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾.

الرفع أجود، ومعناه لقد تقطع وصْلُكم. والنصب جائز.

المعنى : لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بينكم.

وقوله :﴿ إنَّ اللَّه فَالِقُ الحَبِّ والنَّوَى﴾.

أي يشق الحبة اليابسة الميتة والنـواة اليابسـة فيُخْرِجُ مِنهـا ورقاً أخضَـر، وهو معنى، ﴿يُخْرِجُ الحيَّ مِنَ المَيِّتِ﴾.

أي يخـرج النبات الغضّ الـطرِيُّ الخَضِـرَ من الحب اليـابس، ﴿ومُخْـرِجُ المَيِّتَ مِن الحَيّ﴾.

ويخرج الحب اليابس من النَبات الحيّ النَّامي.

احتج اللَّه جلّ ثناؤه عليهم بما يُشَـاهدُونَ من خَلْقِـه لأَنَّهم أنكرُوا البعث فأَعلمهم أَنه الذي خلق هذه الأَشياءَ وأَنه قادر على بعثهم.

وقوله : ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكونَ﴾.

أي فمن أين تصرفونَ عن الحقِّ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاح﴾.

---

(١) منفرد من شريكه وشقيقه.

(٢) جمع أغلف ـ الذي لم يختن.

مَعنى الإِصباح والصبح واحد، جائز أن يكون خـالِقُ الإِصباح وجـائز أن يكون معناه شاقُّ الصبح، وهو راجع إلى معنى خالق الصبح .

وقوله : ﴿ وَالشَّمْس والقَمَرَ حُسْبَاناً ﴾ .

النصب في الشمس والقَمَر هي القراءَة. والجر جائز على معنى وجاعـل ﴿الشمس والقمرحسباناً﴾، لأن في جاعـل معنى جَعَلَ، وبه نصبتَ ﴿سكناً﴾ ولا يجوز جَاعِلُ اللَّيلُ[1] سكناً، لأن أسماءَ الفاعلين إذا كان الفعـل قد رفـع أُضيفت إلى ما بعدها لاَغَيْـر تقول هذا ضارِبَ زَيْدٍ أَمْسِ .

فـإجمـاع النحـويين أنـه لا يجـوز في زيـد النَّصْب، وعلى ذلـك أكثـر الكـوفيين، وبعض الكوفيين يجيـز النَّصْبَ. فإذا قلت هـذا مُعْطِي زَيْـدٍ درهماً فنصب الدِّرْهَمَ محمول على أعطى .

وقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُستَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ .

الأكثر في القراءَة «مُسْتَقَـر» بفتح القاف، وقد قرئت بكسرها و﴿مُسْتَوْدَعٌ﴾ بـالفتـح لا غيـر. وأمـا رفـع مستقـرٌ ومستـودعٌ فعلى معنى لكم مستقرٌ ولكم مستـودعٌ، ومن قرأ بـالكسر، فمستقـرٌّ ومُسْتَـوْدَع فعلى[2] معنى فمنكم مستقرٌّ ومنكم مستـودَعٌ. وتـأويـل مستقـر أي مستقرٌ في الرحم ومستــودَع أي منكم مستودع في أصلاب الرجال، وعلى هذا أيضاً فمستَقَرٌّ بفتح القاف، ومستودَعٌ، أي فلكم مستَقَـرٌّ ولكم في الأصلاب مستـودَعٌ[3] وجـائـز أن يكـون فمستقِـرٌّ - بالكسر - ومستـودَع [أي] فمنكم مستقر في الأحيـاءِ ومنكم مستودَع أي مستقـر في الـدنيا مـوجود، ومستـودَع في الأصلاب لم يخلق بَعْـدُ. وجائـز أن يكـون

---

(١) لا يجوز رفع الليل على أنه فاعل.

(٢) في الأصل على بدون فاء.

(٣) مصدر ميمي أو اسم مكان. .

فمستقِرٌّ بـالكسـر، ومستـودَعٌ فمنكم مستقـر في الأحيـاءِ ومنكم مستـودع في الثَّرى.

وهذه الأقوال كلها قد قبلت واللَّه أعلم بحقيقة ذلك

وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً﴾.

قـال أهل اللغـة أصل كلمـة[1] ماء مـاه إلَّا أن الهمزة أُبـدلت من الهـاءِ لِخفَاءِ الهاءِ، والدليل على ذلك قولهم أمواه في جمعه، ومياه، ويصَغَّر مُـوَيْه، قال الشاعر:

سقى اللَّه أمـواهاً عـرفت مكانهـا   جُـرَاباً وملكـوماً وبـذَّرَ والغَمْـرَ[2]

وقوله: ﴿فأَخْرَجْنا منه خَضِراً﴾ معنى خَضِر كمعنى أَخْضَر، يقال اخْضـر فهو أَخضر وخضِر، مِثل اعورَّ فهو أَعْوَر وعَوِر.

وقوله: ﴿ وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنوانٌ دَانِيَةٌ﴾.

[قِنْوانٌ] جمع قِنْو مثل صِنْو وصِنْوَانٌ، وإذا ثَنَّيتَ القِنْو فهما قِنْوانِ يا هـذا بكسر النون، والقِنْوُ العِذْق بكسر العين وهي الكباسة، والعَذْق النخلة، ودانيـة أي قـريبة المتنـاوَل، ولم يقل ومنهـا قنـوان بعيـدةٌ. لأن في الكـلام دليـلاً أن البعيدة السحيقة من النخل قد كانت غير سحيقة، واجتُـزِئ بـذكر القـريبة عن ذكر البعيدة، كما قال عزّ وجلّ: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ﴾ ولم يقل وسرابيل تقيكم البرد. لأن في الكلام دليلاً على أنها تقي البرد لأن ما يستر من الحر يستـر من البرد.

---

(١) في الأصل «كل ماء» وظاهر أنه تحريف.

(٢) هو كثير عزة، وجراب ـ بضم أوله ـ وملكوم وبذر كلها آبار بمكة يـدعو لأهلهـا بالسقيـا ـ وبذر ـ فعل ـ مشدد العين مفتـوح الفاء وهـذا الوزن قليـل أو نادر في العـربية لـلأسماء ـ ذكـر صاحب اللسـان ستة أسمـاء على هذا الـوزن منهـا اسم عبـراني وهـو شلم لبيت المقـدس، وبقم اسم أعجمي لشجر ـ انظر اللسان (بذر) وانظر الخزانة ٢ ـ ٣١٠، وسيبويه ٢.

وقوله: ﴿وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ﴾.

عطف على قوله خضِراً، أي فأخرجنا من الماءِ خَضراً وجَنَّاتٍ من أعناب والجنة البستان، وإنما سمي البستان جنة، وكل نبت متكاثف يستر بعضه بعضاً فهو جنَّة، وهو مشتق من جننت الشيءَ إذا سترتـه، ومن هذا قيـل للترس مِجَنٌّ لأنه يستر.

وقوله: ﴿ وَالزَّيْتُونَ والرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغير مُتَشَابِهٍ ﴾.

أي في الطعم وفيه ما يشبه طعمُ بعضِه طعْمَ بَعْضٍ.

وَقرَنَ الزيتُونَ بالرمان لأنهما شجرتـان تعرف العـرب أنّ ورقهما يشتمـل على الغصن من أوله إلى آخره، قال الشاعر:(١)

بـورك الميت الغـريب كمـا　　بـورك نَضْرُ الـرُّمَّانِ والـزيتـون

ومعناه أن البركة في ورقه واشتماله على عوده كله.

وقوله: ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمرِهِ﴾.

يقال ثمرة وثَمَرٌ وثِمَارٌ، وثُمُر جمع ثِمـارٍ، فمن قرأ إلى ثُمُـره بالضَّم أراد جَمْعَ الجَمْعِ، وإن شئت قُلْت إلى ثمْرِه فخففت لثقل الضَّمةِ.

﴿وَيَنعِهِ﴾.

اليَنعُ النُّضْجُ، يقال يَنعَ الشجرُ وأينع إذا أدرك. قال الشاعر:(٢)

---

(١) في اللسان ـ (بـرك) لأبـي طالب بن عبد المطلب وعبارته: «... كمـا بورك نضح الرمـان والزيتون». وفي مختار الأغاني ٣٨٢/٦ «غصن الريحان» ـ وهي قصيدة ليست قصيرة، ومسافر أخو أبي معيط شقيق له، أمهما آمنة بنت أبان بن كليب بن ربيعة ـ وهما أخوان لأعمـامهما أبي العاص وإخوته من بني أمية، لأن أبا عمرو ـ والد مسافر ـ تزوج آمنة هذه بعد أبيه، فأولاده منها أخوة لأعمامهم. وكنيته مسافر أبو أمية، وهو والد أم المؤمنين السيدة أم سليمـة وهو أحـد أزواد الراكب ـ وله شعر غير كثير، وكـان يناقض عمـارة بن الوليـد، وكان قـد خطب هنـد بنت عتبة، وخرج إلى النعمان ليعينه، ثم عاد فلقيه أبو سفيان فأخبره أنه تـزوج هنداً ـ فحـزن ومات وانـظر ترجمته في الأغاني.

(٢) ينسب البيت للأحوص ـ وقال الأخفض راوية الكـامل: الصحيح أنها ليزيد يصف جاريـة. =

فـي قبــاب حــول دَسْكَــرَةٍ   حــوْلَهـا الـزيتـون قَـدْ يَنَعَـا

قال أبو عبيدة البيت ليزيد بن معاوية أو للأحوص.

احتج اللّه عليهم بتصريف ما خلق ونقْلِه من حال إلى حال، بما يعلمون أنه لا يقدر عليه المخلوقونَ، وأنـه كذلـك يبعثهم لأنهم كانـوا يُنكِرُونَ البَعْث فقال لهم: ﴿إن في ذلكم لآيَاتٍ لِقَوْم يُؤْمِنُونَ﴾.

فأعلمهمْ أن فيما قص دليلاً لمن صَدَّق.

وقوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الجِنّ﴾.

المعنى أنَّهم أطـاعـوا الجنَّ فيمـا سـولت لهم من شِــرْكِهِمْ. فَجَعَلُوهم شركاءَ للّه عـزّ وجلّ وكـان بعضهم ينسب إلى الجن الأفعال التي لا تكـونُ إلاَّ للّه عزّ وجلّ فقال: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾.

فالهاء والميم إن شئت كانت عائدة عليهم، أي فجعلوا للّه الذي خلقهم شركاءَ لا يخلقون. وجائز أن تكون الهاءَ والميم تعودان[1] على الجن، فيكون المعنى: وجعلوا للّه شركاءَ الجن واللّه خلق الجن. وكيف يكون الشريـك للّه المحدَثَ الذي لم يكُنْ ثُمَّ كَانَ.

فـأما نصب الجن فمن وجهين أحـدهما أن يَكـون الجن مفعـولاً فيكـون المعنى وجعلوا للّه الجن شـركاءَ، ويكـون الشركـاء مفعـولاً ثـانيـاً كمـا قـال: ﴿وَجَعَلُوا المَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً﴾[2].

وجائز أن يكون الجن بَدَلاً من شُرَكَاءَ، ومفسراً للشركاءَ.

وقوله: ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾.

= انـظر الكامـل ١/ ٢٢٧ (تجاريـة) وهو في اللسـان ـ ينع ـ بـدون نسبة، وفيـه (دسكـر) منسـوبـاً للأخطل.

(١) في الأصل تعود، وهو كما سيأتي ـ وهو يعني الهاء والميم في خلقهم.

(٢) سورة الزخرف: ١٩.

كثيراً ـ يستعمل حروف الضمير ويعيد الضمير عليها مفرداً.

معنى خرقوا اختلقوا وَكَذَبُوا، وذلك لأنهم زعموا أن الملائكة بنات اللَّه، وزعمت النصارى أن المسيح ابنُ اللَّه، وذكرت اليهود أن عزيرَ ابنُ اللَّه، فأعلم جلّ ثناؤه أنهم اختلقوا ذلك بغير علم، أي لم يَذكُرُوه[1] عَنْ عِلْمٍ، وإنما ذكروه تكذباً.

وقوله: ﴿سُبْحَانَه وَتَعَالَى﴾.

[أي] براءَته من السوءِ، ومعنى سبحانه التَّبْرِئَة عَنْ كُلِّ سُوءٍ، لا اختلاف بين أهل اللغة في معنى التسبيح أَنَّ التبرئة للَّه جلّ وعزّ.

وقوله: ﴿بَدِيعُ السَّمواتِ وَالأَرْض﴾.

أي هو خالق السموات والأرض.

﴿أَنَّى يَكُونُ لَه وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾.

أي من أين يكون له وَلَدٌ، والولد لا يكون إلا من صَاحِبَةٍ.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

فاحتج جلّ وعزّ في نَفْيِ الْوَلَد بأنّه خَالق كُلِّ شيءٍ، فليس كمثله شيء، وكيف يكونُ الولدُ لمن لاَ مِثْلَ له، فإذا نسب إليه الولَدُ فَقَدْ جُعِلَ لَهُ مِثلٌ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وهُو يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾.

أعلم عزّ وجلّ أنه يُدْرِك الأبصارَ، وفي هذا الإِعْلاَم دَليلُ أن خَلْقَهُ لا يُدْرِكُونَ الأَبْصَارَ، أي لا يَعْرِفونَ كيف حَقيقَةُ البَصَر، وما الشيء الذي صار به الإِنسانِ يُبْصِرُ بعَيْنَيه دُونَ أَنْ يُبْصِرَ من[2] غيرهما من سائر أعضائه، فأعلم أَنْ خَلْقاً مِنْ خَلْقِهِ لاَ يُدْرِك المخلوقون كنهه، ولا يحيطون بعلمه، فكيف به عزّ وجلّ:

---

(١) لم يذكروا هذا الذي أذاعوه واختلقوه.

(٢) دون أن يكون أبصاره من خلال أعضاء أخرى.

فالأبصار لا تحيط به ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾ .

فأما ما جاءَ من الأخبار في الرؤية وصح عن رسول الله فغير مدفوع .

وليس في هذه الآية دَلِيلٌ عَلَى دفْعِه، لأن معنى هذه الآية معنى إدراك الشيء، والإحاطة بحقيقته . وهذا مذهب أهل السنة والعِلْم والحديث .

وقوله : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ .

أي قد جاءكم القرآن الذي فيه البيانُ والبصائرُ .

﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾ .

المعنى فلنفسه نَفْعُ ذَلِكَ .

﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ .

أي فَعَلَى نَفْسه ضَرَرُ ذلك، لأن اللّه جلّ ثناؤه غَنِي عن خَلْقِه .

وقوله : ﴿وَمَا أَنَا عَليكم بِحَفِيظٍ﴾ .

أي لستُ آخذُكم بالإيمان أَخْذَ الحفيظ والوكيل، وهذا قبل الأمر بالقتال، فلما أُمر النبي ﷺ بالقتال صار حفيظاً عليهم ومسيطِراً على كل من تَوَلَّى .

وقوله :﴿ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآياتِ ﴾ .

أي وَمِثْلَ ما بيَّنَّا نُبَيِّنُ الآيَات .

وموضعُ الكاف نَصبٌ . التي في أول كذلك . المعنى ونصرف الآيات في مثل ما صرفناهما فيما تُلِيَ عَلَيكَ .

وقوله : ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾ .

فيها خمسة أوجه، فالقراءَة دَرَستَ . بفتح الدَّال وفتح التاءِ ومعناه وليقولوا قرأت كُتُبَ أهل الكتاب وتقرأ أيضاً دَارَسْتَ، أي ذاكرت أهل

الكتـاب. وقالَ بعضهم: ﴿وليقولوا دَرَسَتْ﴾ أي هـذه الأخبارَ التي تَتْلُوهَـا عَلَينَـا قـديمةٌ قـد دَرَسَتْ، أي قد مضت وامّحَتْ، وذكـر الأَخْفَشُ دَرُستْ بضم الراءِ ومعنـاهـا «دَرَسَتْ» إلا أن درُست بضم الـراءِ أشـد مبـالغـة[1]، وحَكَى دُرِسَتْ بكسر الراءِ أي قرئت.

وقوله: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَومٍ يَعلَمُونَ﴾.

إن قال قائل: إنما صُرِّفَت الآياتُ ليقولُوا دَرَسْتَ[2]، فـالجواب في هـذا أن السبب الـذي أدَّاهُمْ إلى أَنْ يقُولُـوا دَرَسَتَ هُوَ تـلاوة الآيات، وهـذه الـلام يسميها أهل اللغـة لام الصيرورة، وهـذا كقولـه تعالى: ﴿فَـالْتَقَطَهُ آلُ فِـرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً﴾[3] فهم لم يلتقطوه يطلبـون بأخـذه أن يعاديهم ولكن كانت عاقبة أمره أن صار لهم عدواً وحَزَناً. وكما تقول: كتب فلان هذا الكتاب لِحَتْفِهِ[4]، فهو لم يقصد بالكتاب أن يُهْلِكَ نَفْسَه، ولكن العَاقِبَةَ كانت الهلاكَ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا﴾.

أي لـو شاءَ اللَّه لجعلهم مؤمنين، وقيـل لـو شـاءَ اللَّه لأنـزل عليهم آيـة تَضْطَرهم إلى الإيمان، وقال بعضهم ﴿لَوْ شَا اللهُ مَا أَشْرَكُوا﴾.

أي لو شاءَ لاستأصـلهم فقطع سبب شركهم.

وقوله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

نُهُـوا في ذلـك الـوقت قبـل القِتـالِ أن يَلْعَنُـوا الأَصْنَـامَ التي يَعْبُـدهَـا المشركُونَ.

---

(١) لأن فعل يدل على أن ذلك صار سجية وفطرة في الشيء.

(٢) الجملة في معنى الاستفهام، أي هل صرفت الآيات لهذا.

(٣) سورة القصص ـ ٨.

(٤) لهلاكه.

﴿فَيَسُبُّوا اللَّهُ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

أي فَيَسُبُّوا اللَّه ظلماً، وقال بعضهم فيسبوا اللَّه عُـدُوًّا. وعُدُوًّا ههنا في معنى جماعة، كأنه قيل: فيسبوا اللَّه أعداءً.

وعُـدُوًّا منصـوب في هـذا القـول على الحـال. وعَـدْواً منصـوب على المصدَرِ[1] على إرادة اللام، لأن المعنى فيعتدون عَدْوَاً، أي يـظلمون ظُلمـاً، ويكون بإرادة اللام [أي فيسبوا اللَّه للظلم] وفيها وجه آخر. فيبسوا اللَّه عُـدُواً ـ بضم الـدال ـ وهو في معنى عُـدُوّا! ويقال في الـظلم عَدَا فـلان عَدْواً وعُـدُوّاً، وعُدُواناً، وعَدَاءً. أي ظلماً جاوز فيه القدْرَا.

وقوله تعالى عزّ وجلّ: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾.

فيه غير قول: أنه بمنزلة ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فذلك تزيين أعمالهم، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿بَلْ طَبَعَ الله عَلَيْهَا بِكُفْرِهِم﴾[2].

وقال بعضهم: ﴿زَيَّنا لكل أمةٍ عَمَلَهُمْ﴾ أي زَيّنَ لِكلِّ أُمةٍ العَمل الذي هـو فرض عليهم. والقول الأول أجودُ. لأَنّهُ بمنزلة ﴿طَبَعَ الله عَلَى قُلوبهم﴾. والدليل على ذلك، ونقض هذا[3] قـوله: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَـهُ سُوءُ عَمَلِه فَـرآهُ حَسَناً، فـإن اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾[4].

وقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾.

أي اجتهدوا في المبالغة في اليمين.

﴿لَئِنْ جَاءَتْهُم آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾.

---

(١) على الأول تقديره يسبونه عادين، وعلى الثاني يسبونه لأجل العدو، فهو مفعول لـه، أو مصدر. أي يعدون بسببه عدواً.

(٢) النساء ـ ١٥٥.

(٣) الدليل على صحة القول الأول ونقض الثاني.

(٤) سورة فاطر ـ ٨.

وإنما حلفوا على ما اقترحُوا هُمْ[1] من الآيات، وإنما قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً﴾[2] إلى قوله: ﴿والملائكةِ قَبيلاً﴾[3]. أي تأتي بهم كفيلاً، أي يَكْفُلون.

فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنّ الآيَاتِ عِنْدَ اللَّهِ.

ويروى أن المؤمنين قالوا: لو أُنْزِلَ عليهم آيةٌ لعلهم كانوا يؤمنون، فقال اللَّه عزّ وجلّ:

﴿ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّها إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

أي وما يُدريكم، أي لَستُم تعلمون الغيبَ، فلا تدرون أنهم يؤمنون، كما تقول للرجل إذا قال لك: افْعَل بي كذا وكذا حتى أَفْعَل كذا وكذا مما لا تعلم أنه يفعله لا محالة: ما يدريك[4]. ثم استأنف فقال: ﴿أنها إذا جاءَت لا يؤمنون﴾[5]. هذه هي القراءَة، وقرئت أيضاً ﴿أَنَها إِذَا جَاءَت لَا يؤمنون﴾.

وزعم سيبويه عن الخليل أن معناها لعلها إذا جاءَت لا يؤمنون، وهي قراءَة أهل المدينة، وقال الخليل: إنها كقولهم إيت السوق أنَّك تشتري شيئاً، أي لعلك.

وقد قال بعضهم إنها «أنَّ» الَّتِي على أصل الباب، وجعل «لا» لَغْواً، قال: والمعنى وما يُشْعِركم أنها إذا جاءَت يُؤْمِنُونَ كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَحَرامٌ عَلى قَرْيةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[6].

---

(١) أي على آيات خاصة اقترحوها على النبي ﷺ مثل التي ذكرها المؤلف.

(٢) سورة الإسراء الآيات ٩٠ وما بعدها.

(٣) أول الآية: ﴿أو تسقط السماء كما زعمت علينا كِسَفاً أو تاتي باللَّه والملائكة قبيلاً﴾ وبعدها: ﴿أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه﴾.

(٤) أي تجيبه بقولك ما يدريك.

(٥) تابع في هذا أبا عبيدة والمبرد وانظر انباه الرواة ٣ ـ ٢٤٣.

(٦) سورة الأنبياء ـ ٩٥. والمعنى أنهم يرجعون.

والقول الأَولُ أَقوى وأَجودُ في العربية والكسرُ أَحَسَنُها وأَجودهـا. والذي ذكر أَنّ «لا» لَغْوٌ غَالِطٌ، لأَن ما كان لغواً لا يكون غير لغو[1].

من قرأ: إنها إذا جاءَت ـ بكسر إنَّ ـ فـالإِجماع أَن «لا» غيـر لغو، فليس يجوز أَن يكون معنى لفظةٍ مرَّةً النفي ومرة الإِيجاب. وقـد أَجمعوا أَن معنى أَن ههنا إذا فتحت معنى لعل، والإِجماع أَولى بالإِتباع.

وقد بينْتُ الحجَّة في دفع. ما قاله من زعم أَن لا لغو.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ المَـلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمْ المَـوْتَى وَحَشَرْنَـا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

هذا جواب قول المؤمنين:[2] لعلهم يؤمنون.

فأَعلم اللَّه عزّ وجلّ أَنهم لا يؤمنون، وهذا كإِعْلام نوح: ﴿أَنَّـهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾[3].

ومعنى ﴿قُبُلًا﴾ جمع قبيـل، ومعناه الكفيـل. ويكـون المعنى: وحَشَـرْنَـا عَلَيْهِم كلَّ شيء قبيلاً قبيلاً. ويجوز أَن يكون قُبُلٌ جمعَ قبيل، ومعناه الكفيل، ويكون المعنى: لو حشرنا عليهم كل شيءٍ ونجعل لهم بصحة ما نقول ما كانوا ليؤمنوا، ويجوز أَن يكون «قُبُلًا» في معنى ما يقابِلهم، أَي لَوْ حَشَرْنَا عليهم كل شيء فقابَلهمْ.

ويجوز وحشرنا عليهم كل شيء قِبَلاً أَيْ عِيَاناً، ويجوز قُبْلاً على تخفيف قُبُـل وكل مـا كان على هـذا المثال فتخفيفـه جائـز، نحـو الصُّحف والصحْفُ والكُتب والكتْبُ، والرسُل والرسْل.

(١) لا تكون لغواً في مكان وأصيلة في مكان آخر.

(٢) في الأصل أنهم لعلهم.

(٣) انظر الآية ـ ٣٦ من سورة هود.

ومعنى إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أي إلا أَنْ يَهْدِيَهُمْ اللَّه، وجائز أن يكون نُنَزِّلُ عليهم آية تضطرهم إلى الإِيمَانِ.

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ والجِنِّ﴾.

أي وكما جعلنا لك ولأُمَّتِك شياطين الجن والإنس أعداءً كذلك جَعَلْنَا لِمَنْ تَقَدَّمَكَ من الأَنبياءِ وأُمَمِهِم. و «عَدُوًّا» في معنى أعداءٍ، و «شياطين الإِنْسِ وَالجِنِّ» منصوب على البَدلِ مِنْ عَدُو، ومُفَسِّراً له، ويجوز أن يكون «عَدُوًّا» مَنْصُوباً على أنه مفعول ثان. المعنى وكذلك شياطين الجن والإنس أعداءٍ للأنبياءِ وأممهم.

﴿يُوحِي بَعْضُهم إلى بعضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُروراً﴾.

الزخرف في اللغة الزينة.

والمعنى أن بعضهم يُزَيِّن لبعض الأَعمالَ القبيحة، و«غروراً» مَنْصوب على المصدَر، وهذا المصدرُ محمول على المعنى، لأن مبنى إيحاءِ الزخْرف من القول معنى الغرور، وكأنه قال يَغرونَ غُروراً.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلوهُ﴾.

أيْ لَوْ شاءَ اللَّه لَمَنَعَ الشَّيَاطِينَ من الوَسْوَسَةِ للإِنْسِ والجِنِّ ولكن اللَّه يمتحن ما يعلم أنه الأَبْلغ في الحكمة والأَجْزل في الثواب والأَصْلَحُ للعبَادِ.

وقوله: ﴿ولِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنونَ بِالآخِرَةِ﴾.

معنى «لتَصغى» لتمِيلَ، أي وليَصِيرَ أمرهم إلى ذلك.

ويجوز، وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَة.

يقال صَغَوْت أَصْغَى مثل محوتُ أَمْحى، وإنما جاز أَصغَى وكان ينبغي أن يكونَ أَصْغُو لموضع الغَيْن، لأنها تفتح هي وأَخواتها. وهو أن يفعُل ويفْعِلُ

يصير معها في كثير من الكلام يفعَل نحو صبَغ يصْبَغُ وأصله يصبُغ، وهو يقال ومِثْلُ ذهَبَ يذهبُ، كأنه كان يَذْهُب، ويقال صَغَيْتُ أصْغَى أيضاً، وصَغَيْتُ، أصغَى شاذ[١]، وأصْغَيْتُ أُصْغِي جَيِّدٌ بَالغٌ كثيرٌ وأَفْئِدَة: جمع فؤاد، مثل غراب وأغربة.

ومعنى: ﴿ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴾.

جائز أن يكون وليعملوا ما هم عاملون من الذنوب، يقال قد اقترف فلان ذنباً، أي قد عمل ذنباً.

ويجوز «ولْيقْترفُوا» أي ليخْتَلِقُوا ولْيكْذِبُوا، وهذه لَام أَنْ، المعنى ولأَنْ يَرْضَوْه ولْيَقْتَرِفُوا على أن اللام لامُ أَمر[٢] ومعناه معنى التهدُّدِ والوعيدِ، كما تقول افْعَل ما شِئت، فلفظه لفظ الأمر ومعناه معنى التهدُّدِ.

وقوله: ﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾.

أَعْلَمَ اللَّه عزّ وجلّ - أن أكثرهم من الذين اتبعوا أكابِرَهم لَيْس عند أنفسهم أنهم على بصائر، وأنهم إنما يَظُنون، ومنهم من عانَدَ، ومن يعلم أن النبي حق.

فإن قال قائل: كيف يعذَّبون وهم ظانّون، وهل يجوز أن يعَذَّبَ من كفر وهو ظَانٌّ، ومَنْ لم يكفر وهو على يقين؟ فالجواب في هذا أن اللَّه جلّ ثناؤه قد ذكر أنه يعذِّبُ على الظَّنِ، وذلك قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوات والأَرْض وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا، ذَلِكَ ظَن الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ للذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾[٣] والحجة

(١) في القاموس: صغا يصغو، ويصغي صغواً، وصغى كرضى صغياً وصغياً - والشذوذ في أصغى - وعينه حرف حلق - لأن صغا المفتوح العين واوي وليس يائياً.

(٢) في ط ليقترفوا فقط.

(٣) سورة ص - ٢٧.

في هـذا أنهم عُذِّبـوا عَلى هذا الـظن، لأنهم اتبعوا أهْـواءَهم وتركـوا التمـاس البصيرة من حيث يجب واقتصروا على الظن والجهل.

وقوله: ﴿إنَّ رَبَّكَ هُو أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَن سَبِيلِه﴾.

موضع «مَنْ» رفع بالابتداءِ، ولفظها لفظَ الاستفهام.

المعنى: إنَّ ربك هو أعلم أي الناس يَضِل عن سبيله، وهذا مثل قوله: ﴿لِنَعْلَمَ أَي الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً﴾(١).

وقوله عز وجلّ: ﴿ فَكُلُوا ممَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْه ﴾.

معنـاه كلوا مما أَخْلَصْتُم ذبحـه للَّه، والمنْعُ من الميْتَـةِ دَاخِلٌ في هـذا، وليس بين النـاس اختلاف في أن المشـركين ناظـروا المسلمين، فقالـوا لهم: تتركون ما سبقكم اللَّه إلى إماتَتِه وتأْكلون ما أَمَتُّم أَنْتُمْ فأَعلم جلّ وعزّ أن الميتةَ حرام وأَن ما قصِدَ بِتَزكِيته اتِّبَاعُ أَمْرِ اللَّه عزّ وجلّ فذلك الحَلالُ، فقال:

﴿ومَا لَكُمْ أَلَّا تأْكُلُوا مما ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْه﴾.

وَمَوْضِعُ «أَنْ» نَصْبٌ لأَنَّ «في» سقـطت فـوَصَـل المَعْنَى إلى «أَنْ» فَنَصَبَها. المعنى أَي شيءٍ يقع لكم في أَن لا تأْكلوا.

وسيبويه يجيز أَنْ يكُونَ موضع «أَنْ» جرًّا وإن سَقَطتَ «في»، والنصْبُ عنده أَجود.

قال أَبو إسـحق: ولا اختلافَ بين الناسِ في أَن الموضع نصْبٌ.

﴿وَقَدْ فَصَّل لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾.

وحُـرِّمَ جميعـاً، أَي فصـل لكم الحـلالَ مِن الحـرامِ، وأَحَـلَّ لكمْ في الاضطرار ما حَرَّمَ عليكم.

---

(١) سورة الكهف ـ ١٢.

فموضع «ما» نصب في قوله: ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾.

ومعنى ما اضْطُرِرْتم دعَتْكمُ شِدَّةُ الضَّرورَةِ، أي شِدَّة المَجَاعةِ إلى أكله.

﴿وَإِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

اي إن الذين يُحِلُّون المَيْتة ويُنَاظِرونكم في إحلالها، وكذلك كل ما يضلونَ فيه، إنما يتَّبعون فيه الهوى والشهوة ولا بَصِيرةَ ولا علمَ عندهم.

وقوله: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْم وَبَاطِنَهُ﴾.

جاءَ في التفسير أن ظاهرهُ الزِّنَا، وباطنه اتخاذ الأخدان والأصدقاء على جهة الريبة. والذي يدُل عليه الكلام أن المعنى ـ والله أعلم ـ اتركوا الإثم ظَهراً، أو بَطْناً، أي لا تقربوا ما حرَّم اللَّه عليكم جَهْراً ولا سِرًّا.

وقوله: جلّ وعزّ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: أي مِمَّا لَمْ يُخْلَصْ ذَبْحُه لله عزّ وجلّ.

﴿وإنه لَفِسْقٌ﴾ ومعنى الفِسْق الخروجُ عن الحق والدِّين، يقال فسقت الرطبة، إذا خرجت عن قشرتها.

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾.

أي يُوَسوِسُ الشيطانُ لوَلِيِّه فَيُلْقي في قلبه الجدال بالباطِل، وهو ما وصفنا من أنَّ المُشْركين جادلوا المسلمين في الميتة.

﴿وإنْ أَطَعْتُموهُمْ إِنكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾.

هذه الآية فيها دليل أنَّ كل مَنْ أَحَلَّ شيئاً مما حرَّمَ اللَّه عليه أو حرَّم شيئاً مما أحل اللَّه له فهو مُشرِكٌ. لو أحل مُحِل الميتةَ في غير اضطرار، أو أحل الزنا لَكان مُشركاً بإجماع الأُمَّةِ، وإن أطاع اللَّه في جميع ما أمر به، وإنما سمي مُشْرِكاً لأنه اتبع غير اللَّه، فأشرك باللَّه غيره،

وقوله: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَه نَوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُه فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾.

جاءَ في التفسير أنه يعني به النبي ﷺ وأبو جهل بن هشامٍ فالنبي ﷺ هُدِيَ وأُعْطِيَ نُورَ الإِسْلامِ والنُّبوَّة والحكمَـة، وأبو جهـل في ظلمات الكفـر. ويجوز أنْ تكون هذه الآية عامـةً لكل من هـداه اللَّه ولكل من أَضَلَه اللَّهُ. فـأعلم اللَّه جلّ وعزّ أن مَثَـل المُهْتدِي مَثَـلُ الميتِ الذي أُحْيَى وجُعِـلَ مستضيئاً يمشي في النـاس بنور الحكمـة والإيمان، ومثـل الكـافـر مثـل من هـو في الـظلمـات لا يتخلص منها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾.

موضع الكـاف نصبٌ معطوفـة على ما قبلهـا، وهو قـوله: ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـافِـرِينَ مَـا كَـانُوا يَعْمَلُونَ﴾، المعنى مثـل ذلـك الـذي قصصنـا عليـك زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ عملُهم، وكذلك جعلنـا، أي ومثلَ ذلـك جعلنا في كـل قريـة أكابِـرَ مُجْرميها ليمكروا فيها، لأن الأكـابر مـا هم فيه من الـرياسـة والسَّعةِ أدعى لهم إلى المكـر والكفر، والـدليل على ذلـك قولـه: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّه الـرِّزْقَ لعبـادِهِ لبغَوْا في الأَرْضِ﴾[1] وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُـونَ النَّاسُ أُمَّـةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَـا لِمَنْ يَكْفُرُ بالرَّحمن لِبُيُوتِهِم سُقُفاً مِنْ فِضَّة﴾[2].

ومعنى: ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بأَنْفُسِهِمْ﴾.

أي ذلك المكر يحيق بهمْ، لأنهم بمكرهم يُعَذَّبُونَ.

وقوله: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾.

هـذه الهاءُ والميم تعـودان[3] على الاكـابـر الـذين جَـرَى ذِكْـرُهُمْ لأنهم

(١) الشورى ـ ٢٧.

(٢) الزخرف ـ ٣٣.

(٣) في الأصل يعود أي كلمة هم، وتقدم مثل هذا.

قالوا: لَن نُؤمِنَ حتى نُعْطَى منَ الآيَاتِ مثل ما أُعْطِيَ الأَنْبياءُ، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنه أعلم من يصلح، فقال جلّ وعزّ: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى العَالَمِينَ﴾[1].

وقوله: ﴿ اللَّه أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَته ﴾.

أي هو أعلم بمَن يخْتَصُّ للرسالة.

وقال بعضهم لا يبلغ في تصديق الرسل إلا أن يكونوا قبل مَبعثهم مُطَاعِين في قَوْمِهِمْ، لأن الطعن كان يتسع عَلَيْهِم، ويقال إنما كانوا أكابرَ ورؤساءَ فاتُّبِعُوا.

﴿سَيُصِيبُ الَّذِين أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾.

أي هم وإن كانوا أكابرَ في الدنيا سيصيبُهم صغارٌ عِنْد اللَّه أي مَذَلَّةٌ، و «عِند» متصلةٌ بِسيُصِيبُهم عند اللَّه صغار. وجائز أن تكون«عند» متصلة بصغار فيكون المعنى سيصيب الذين أَجْرَمُوا صَغَارٌ ثابت لهم عند اللَّه.

ولا تصلح أن تكونَ «من» محذوفة من «عِنْدَ» إنما المحذوف «في» من «عند» في المعنى إذا قلت: زيد عند عمروٍ والمعنى زيد في حضرة عمرو[2].

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ ﴾.

يروى عن ابن مسعودٍ أنه سأل النبي ﷺ: وهَل ينشرح الصدر، فقال نعم، يدخل الْقَلْبَ النُّورُ، فقال ابن مسعودٍ: هل لذلك من علم قال نعم، التجافي عن دَارِ الغُرُورِ، والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل الموت.

---

(١) الدخان ـ ٣٢.

(٢) يريد أن المحذوف من هذا الظرف هو «في» وليس «من».

﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾.

يُـروى عن ابن عباس أنـه قال: الْحَـرَجُ موضـع الشجر الملتف، فكـأن قلبَ الكافرَ لا تَصِلُ إليه الحكمـةُ، كما لا تصـل الراعيـةُ إلى الموضـع الذي يلتف فيـه الشجـر. وأهـل اللغـة أيضـاً يقـولـونـه: الشجـر الملتف يقـال لـه الْحَرَجُ[١]. والحرجُ في اللغة أضيق الضيق والذي قال ابن عباس صحيح حَسَنٌ. فالمعنى عند أهل اللغة أنه ضيق جدًّا.

ويجوز حَرِجاً ـ بكسر الـراءِ ـ فمن قال حَـرِجٌ فهو بمنـزلة قـولهم: رجل دَنِفٌ[٢]، لأن قولك دَنَف ههنا وَحَرَجٌ ليس من أسماءِ الفاعلين. إنما هو بمنزلة قولهم: رَجُلٌ عَدْل أي ذو عَدْل.

وقوله: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ﴾.

ويَصَّاعَدُ أيضاً، وأصله يَتَصَاعَـدُ ويَتَصَعَّدُ، إلَّا أَنَّ التَّـاءَ تدغم في الصَّـاد لقربها منها.

ومعنى ﴿كأنما يصَّعَّـد في السماءِ﴾ـ واللَّه أعلم ـ كـأنه قـد كلف أن يَصْعَد إلى السمـاءِ إذَا دُعِيَ إلى الإسلام مِنْ ضِيق صَـدْرِهِ عنـه، ويجـوز أن يـكـون ـ واللَّه أعلم ـ كأنَّ قلبه يصعد في السماءِ نُبُوًّا على الإسلام واستماع الحكمة.

﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

أي مثل قصصنا عليك يجعل اللَّه الرجس على الذين لا يؤْمنون.

وَالرِّجْسُ اللعنةُ في الدنيا والعذابُ في الآخرة.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

---

(١) في القاموس الحرج جمع حرجة لمجتمع الشجر.

(٢) الدنف السقم والضنى، ودنف سقم.

أي للمؤْمنين دار السلام، وقال بعضهم: السلام اسم من أسماءِ اللَّه، ودليله: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾(١). ويجوز أن تكون سميت الجنة دار السلام لأَنها دارُ السّلامة الدائمة التي لا تنقطع.

وقوله: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَر الْجِنِّ ﴾.

المعنى ـ واللَّه أعلم ـ فيقال لهم: ﴿يَا مَعْشَر الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنْسِ ﴾.

المعنى قد استكثرتم ممن أضللتموهم من الإِنس.

﴿وَقَالَ أَولِيَاؤُهُمْ مِنَ الإِنْسِ : رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْض ﴾.

جاءَ في التفسير أن استمتاع الإِنس بالْجِن أَنَّ الرَّجُلَ كان إِذا سافر سفراً فخاف أو أصابَ صيداً، قال أَعُوذُ بِرَبِّ هذا الوادي، وبصاحب هذا الوادي يعني به الجِنَّ، واستمتاعُ الجِنِّ بالإِنس أَنَّ الإِنْسِي قد اعترف له بأَنَّه يقدر أن يدفع عنه.

والذي يدل عليه اللفظ ـ واللَّه أعلم ـ هو قبول الإِنس من الجن ما كانوا يُغْوُونهم به لِقَوْله: اِسْتَكْثَرْتُم مِنَ الإِنْسِ. فأَما من كان يقول هذا أعني يستعيذ بالجنِّ فقليل.

﴿قال النارُ مَثْوَاكُمْ﴾.

الْمَثْوَى الْمُقَامُ.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

منصوب على الحال، المعنى: النار مُقَامُكم في حال خُلُودٍ دائم.

وقوله: ﴿إِلاّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾.

معنى الاستثناء عندي ههنا ـ واللَّه أعلم ـ إِنَّما هو من يوم القيامة، لأَن

---

(١) سورة الحشر ـ ٢٣ ـ ويكون المعنى لهم دار اللَّه ـ أي الجنة ـ.

قوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً﴾ هو يوم القيامة، فقال خالدين فيها مُذْ يُبعثون إلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ مِن مِقْدَارِ حَشْرِهِمْ من قبورهم، ومقدارِ مدَّتِهم في محاسبتهم، وجائز أن يكون إلا ما شاءَ اللَّه أن يعذبهم به من أصناف العذاب، كما قال جلّ وعزّ: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ. خالِدِينَ فِيها مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾[1]، فيجوز واللَّه أعلم إلا ما شاءَ ربك من مقدار حشرهم ومحاسبتهم ويجوز أن يكون إلا ما شاءَ ربك مما يزيدهم من العذاب.

وقوله: ﴿ إنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾.

أي هو حكيم فيما جعله من جزائهم، وحكيم في غيره.

وقوله: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ والإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾.

فقال: ﴿رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ وإنما المرسل من الإنس دون الجنّ، فإنما جاز ذلك لأن الجماعة تعقل وتخاطب، فالرسل هم بعض من يعقل، وهذا كقوله عزّ وجلّ: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾[2] وَإِنَّمَا يخرجُ ذَلك مِنَ الْمِلْح. أي البحر الذي ليس بعذب، فقال منهما لأن ذكرهما قَدْ جُمِعَ، فهذا جائز في اللغة، في كل ما اتَّفَقَ في أصله كما اتفقت الجن مع الإنس في باب التمييز[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾: فَزَعَمَ سيبويه أَنَّ موضِعَ ذلك رفع، المعنى: الأمر ذلك لأنه لم يكن ﴿رَبُّكَ مُهلكَ القُرى بظُلْمٍ﴾.

وقال بعضُهُم: يجوز أن يكون موضعها نصباً، المعنى: قيل ذَلك[4] لأنه

(١) سورة هود ـ ١٠٦ ـ ١٠٧.

(٢) الرحمن ٢٢.

(٣) نودي الجن والإنس معاً في الآية فجمعهما الخطاب، وكل منهما مميز.

(٤) على هذا التقدير يكون «ذلك» نائب فاعل مرفوعاً أيضاً، ولكنه يريد أنه مفعول لفعل محذوف مثل فعل ربك ذلك.

لم يكن ربُّك مُهْلِكَ القرى بظلم، والمعنى يخرج على جميع القولين لأن المعنى يدل على أَمْر الإرسال، فكأنه ـ والله أعلم ـ ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرُّسل أَمْر عَذَاب مَنْ كذَّبَ بها لأنه لم يكن مهلك القرى بظلم، أي لا يهلكهم حتى يبعث إليهم رسولاً، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[1].

وقوله: ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِين﴾.

مَوضع الكاف نصب، المعنى ﴿ويستخلفْ من بعدكم ما يشاءُ﴾ مثل ما أنشأكم.

يقال: أنشأَ اللَّه الخلق إذا خلقه وأَبدأَه، وكل من ابتدأ شيئاً فقد أَنشأَه، ومن ذلك قولك فأَنشأَ الشاعر يقول، أي ابتدأ من نفسه، والنَشَأُ الصغارُ من الأَولادُ، قال نُصَيبٌ:[2]

وَلَوْلاَ أَن يقال صَبَا نُصَيبٌ ... لقلت بنفسي النَّشَأُ الصِّغَار

ولهذا يقال للصغار نَشْءٌ حَسَنٌ، ونُشُوءُ حَسَن، أي قد ظهر له ابتداء حَسَنٌ.

وقوله: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾.

ومكاناتكُمْ، المعنى اعملوا عَلَى تمكنكم. ويجوز أَن يكون المعنى اعملوا على ما أَنتم عليه، ويقال للرجل إذا أَمرته أَن يثبت على حال: على مكانتك يا فلان، أي أثبت على ما أَنت عليه.

---

(١) سورة الإسراء آية ١٥.

(٢) البيت في اللسان «نشأ» ونصيب هو ابن رباح ـ كان أسود اللون عبدا لرجل من كنانة من ال وِدان، وهو من فحول الشعراء الاسلاميين، ذو فصاحة ـ وتقدم في النسيب ولم يشبب بغير امرأته، وكان عفيفاً كبير النفس، مدح عبد العزيز بن مروان، فأعطاه ألف دينار فك بها نفسه واتصل بعده بسليمان بن عبد الملك ـ وله في معجم الأدباء أشعار تنسب أيضاً إلى مجنون ليلى وله=

فإن قال قـائل فكيف يجـوز أن يَأْمُـرَهُمْ النبيُّ ﷺ أَنْ يُقِيمُوا على الكفـر فيقول لهم: ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾، فإنما معنى هذا الأَمْرِ المبَالغة في الوَعِيدِ، لأَنَّ قوله لهم: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالمونَ﴾.

قد أَعلمهم أَن من عمل بعملهم فـإلى النار مصيـرُه، فقال لهم: أَقيمـوا على ما أَنتم عليه إن رضيتم العذاب بالنار.

والحـامي الـذي حَمَى ظهـرَه أَنْ يُـرْكَب، ﴿وَأَنْعَامٌ لَا يَـذْكُـرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾.

فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أَنَّ ذَلِكَ افترَاء، أَي يفعلون ذلك افتـراءً عليه، وهـو منصوب بقوله: ﴿لَا يَذْكُرُونَ اسمَ اللَّهِ﴾.

وهذا يسميه سيبـويه مَفْعُـول لَهُ. وَحَقِيقَتُـهُ أَن قولـه: لَا يَذْكُـرونَ بمعنَى يَفْتَرُون، فكأَنه قال يفترون افتراءً.

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُون هَذِهِ الأَنْعَام خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا ومُحَرَّم عَلى أَزْواجِنَا﴾.

وكأَنَّهُ إِذَا جَعَلُوا لأَصْنَـامِهِمْ مما في بـطون الأَنعام شيئـاً جَعَلُوهُ مَا يَكُـون ذَكَراً مَوْلُوداً حيًّا يَأْكُله الذُّكْرَانُ خَاصَّةً، ولا يجيزون أَن يأْكلَ النسـاءُ شيئاً، فـإِن كان ذكراً ميتاً اشترك فيه الرِّجَالُ والنساءُ، وهو قوله عزّ وجلّ:

﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيه شُرَكَاءُ﴾[١].

ثم قال: ﴿خَالِصَةٌ لِذُكُورنَا﴾.

فهو على ضربين: أَجودهما أَن يكـون أُنثَ الْخَبَرَ، وجعـل معنى «ما»[٢] التأْنيث لأَنها في معنى الجماعة، كأَنهم قالوا جَمَاعَةً مَا فِي بُطُون هذه الأَنعـام

ترجمة في بغية الوعاة ـ انظر المعجم ١٩ /٢٢٨ وما بعدها.

(١) تكن بالتاء قراءة، وقراءة عاصم: وأن يك ميتة.

(٢) «ما» في . . ﴿وقـالوا مـا في بطون هـذه الأنعام. . .﴾.

خالصةٌ لـذكورنـا، وَيُرَدُّ ﴿وَمُحَرَّمٌ﴾ على لفظ ما[1]، وقـال بعضهم أَنَّه لتـأْنيث الأَنعـام، والذي في بـطون الأَنعـام ليس بمنـزلـة بعض الشيءِ، لأَن قـولـك: سَقَطَتْ بعض أَصَابعه «بعض أصابع» إصْبَعٌ وهي واحدة منها، والذي في بطون الأَنعام: مَا في بَطْنِ كل وَاحِـدَةٍ غيرُهـا، وَمَنْ قال يجـوز على أن الجملة أَنعام فكأَنه قال: وقالوا الأَنعام التي في بطون الأَنعام خَالِصَةٌ لذكورنا.

والقولُ الأَوّل الذي شرحنا أَبْيَن، لقوله ﴿ومحَرَّمٌ﴾، لأَنه دليل على الحمل المعنى في «ما» عَلَى اللفظ[2].

وقرأ بعضهم ﴿خالصةٌ لِذكورنا﴾، فهو عندي ـ واللَّه أَعلم ـ ما خَلصَ حَيًّا، ويجوز وإن يَكُنْ مَيْتَةً بالياءِ، والتاءَات[3]، ونَصْبَ ميتة.

المعنى وإن تكن تلك الحمول التي في البطون ميتةً، ومن قرأ وإن يكن فعلى لفظ مـا، المعنى إن يكن ما في البـطن ميتـة، ويجـوز «وإِنْ تكن مَيْتَـةٌ» بالتاءِ ورفع الميتة، ويكون «تَكُنْ» بمعنى الحدوث والوقوع كـأَنَّه وإن تَقَـعْ مَيْتَةٌ وإن تَحْدُثْ مَيْتَةٌ.

وقوله: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾.

المعنى ـ واللَّه أَعلم ـ سيجزيهم جزاءَ وصفهم الذي هو كذِبٌ.

وقوله عـزّ وجلّ: ﴿سَفَهاً بِغَيْرِعِلْم﴾، سفهاً منصوب على معنى الـلام أَي للسفـه، مثل فعلت ذلـك حذرَ الشـر، ويجوز أَن يكـون منصوبـاً على تـأْويـل المصدرَ، لأَن قتلهم أَولادهم قد سَفِهوا فيه، فكـأَنه قـال: سفِهُوا سَفْهـاً، فقال

---

(١) محرم ذكر على لفظ «ما» أي ما في بـطونها محـرم.

(٢) دليل على أن «مـا» محمـولـة على اللفظ.

(٣) ميتة. وليس ميتاً ـ الياء في يكن والتاءات في ميتة.

عزّ وجلّ: ﴿قَدْ خسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفهَاً بِغيْرِ عِلْم، وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُم اللَّهُ افْتِرَاءً [عَلَى اللَّه]﴾.

وقد فسرنا نصب افتراءً.

ومعنى الافتـراءِ ههنا الكـذب. ثم احتج اللَّه عليهم ونَبَّـه على عظم مَـا أَتَوْه فِي أَنْ أَقْدَمُوا على الْكَذِب على اللَّه وأَقْدَمُوا على أن شَـرَّعُوا من الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ فقال:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ﴾.

فكأنه قال افتروا على اللَّه وهو المحدث للأشياءِ الفاعل ما لا يقـدر أَحدٌ على الإتيـان بمثله، فقـال عـزّ وجـلّ:

﴿وهو الذي أَنشـأَ (أَي ابتدع) جنَّـاتٍ مَعْرُوشـاتٍ﴾، والْجَناتُ الْبَسَاتِينُ.

﴿وَغَيرَ مَعْرُوشَات﴾.

ومعنى المعروشات ههنا الكروم.

﴿والنَّخلَ والزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ﴾.

في حال اختلاف أُكْلِهِ. وهذه مسأَلة شديدة في النحو إلَّا على من عرف حقيقتها، لأَن للقائل أَن يقول كيف أَنشـأَهُ في حَال اختـلاف أُكله وهو قـد نشأَ من قبلِ وقُوعِ أَكْلِهِ. وأُكْلُه ثمره فالجـواب في ذلك أَنـه عزّ وجـلّ قدَّرَ إنشـاءَه بقوله: ﴿وهو خالِقُ كل شيءٍ﴾.

فأَعلم عزّ وجلّ أَنه المنشـــئ له في حال اخْتلافِ أُكلِهِ، ويجوز أَنشأَه ولا أكل فيه مختلفاً أُكُلُه، لأَن المعنى مُقَدِّراً ذلك فيه، كمـا تقول: لتـدخُلُن منزل زيـد آكلين شاربين، المعنى تـدخلون مُقَدِّرِينَ ذلـك، وسيبويـه دل على ذلـك وبيَّنه في قوله: مررت بـرجل معـه صقر صـائداً بـه غداً، فنصب صـائداً على الحال، والمعنى مُقَدّراً الصيد.

ومعنى ﴿مُتَشَابِهـاً وغَيْرَ مُتَشَـابِه﴾.

على ضربين، فأحدهما أن بعضه يشبه بعضاً، وبعضه يخالف بعضاً ويكون أن يكون مُتَشَابِهاً وغيرَ مُتشابِه، أَنْ تكُونَ الثِّمَارُ يُشْبِه بعضها بعضاً في النظر وتختلف في الطعوم.

وقوله: ﴿ كُلُوا مِنْ ثَمرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾.

ثَمَرَ جمعُ ثَمَرَةٍ، ويجوز مِن ثُمُرِهِ، ويكون الثُّمُر جمعُ ثِمَار فيكون بمنزلة حُمُر جمع حمارٍ. ويجوز من ثُمْره.. بإسكان الميم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وآتوا حَقَّه يَوْمَ حَصَادِه﴾.

يجوز الْحَصَادُ والحِصَادُ، وتقرأ بهما جميعاً، ومثله الجداد والْجِدادَ لِصِرَام النَّخل(١).

اختلف الناسُ في تأْويل وآتوا حقهُ يَوْمَ حَصادِهِ، فقيل إنَّ الآية مكيَّةٌ. وروي أن ثابت بن قيس بن شماس(٢) صَرَمَ خَمْسَمائَةِ نَخْلة ففرَّق ثِمَارَها كُلَّه ولم يُدْخِلْ مِنْهُ شَيْئاً إلى مَنْزِله، فأنزل اللَّه ـ عز وجل ـ: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا ﴾.

فيكون على هذا التأْويل أن الإنسان إذا أَعطى كلَّ ماله ولم يوصل إلى عياله وأَهله منه شيئاً فقد أَسْرَفَ، لأنه جاءَ في الخبر: ابْدَأْ بِمَنْ تعُول.

وقال قومٌ إنها مَدَنية، ومعنى ﴿وآتوا حقَّه يوم حَصَادِهِ﴾، أَدُّوا مَا افْتُرِضَ عليكم في صَدَقَتِهِ، ولا اختلاف بين المسلمين في أَمر الزكوات أَن الثمار إذا

---

(١) الجد، والجدد. والجداد. صرام النخل، وأجدت النخلة حان أن تجد. وصرام النخل ـ جزه وحصد تمره.

(٢) أنصاري خزرجي، خطيب الأنصار ـ يكنى أبا عبد الرحمن أو أبا محمد، بشره رسول اللَّه ﷺ بالجنة، وشهد بدراً وما بعدها من الغزوات وقتل يوم اليمامة، ورآه أحد المسلمين في منامه يذكر له مكان درعه ويعرفه بدين عليه، ويطلب عتق رقيق له. ونفذت وصيته من الخليفة أبي بكر. انظر الإصابة ت ٩٠٤، والاستيعاب ص ١٩٢.

حصدت وجب إخراج ما يجب فيها من الصدقة فيما فرض فيه الصدقة، فعلى هذا التأويل يكون: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ أي لا تُنْفِقُوا أموالكم وصَدَقاتِكُمْ على غير الجهة التي افْتُرِضتْ عليكم، كما قال المشركون: «هذا ليس كائناً» وحرموا ما أحل اللَّه، فلا يكون إسرافٌ أَبْيَنَ من صرف الأموال فيما يُسْخِط اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ومِنَ الأَنْعَام حَمُولةً وَفَرْشاً﴾.

نسق على الجنات، المعنى وهو الذي أنشأ جناتٍ، وأنشأ من الأنعامِ حَمُولةً وَفَرْشاً والحَمولة الإبل التي تُحَمَّلُ[1]. وأجْمَعَ أهل اللغة على أن الفَرْشَ صغارها.

وقال بعض المفسرين: الفرشُ صغارُ الإبلِ وإن البقر والغَنم من الفرش الذي جاءَ في التفسير، يدل عليه قوله:

﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾: وقوله:

﴿وَمِنَ الإِبِلِ[2] اثْنَيْنِ وَمِن الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾.

فلما جاءَ هذا بدلاً من قوله ﴿حَمُولَةً وَفَرْشاً﴾ جعله للبقرِ والغنم مع الإبل.

وقوله: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾.

أي لا تُحَرِّمُوا ما حَرَّمْتُمْ مما جرى ذكره.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾.

في خُطُوات ثلاثة أَوجه: ضمُّ الطاءِ وفتحُها وإسْكانُها. ومعنى خُطُوَاتِ الشيطانِ طُرُق الشيطان، قال بعضهم تَخَطِّي الشَّيطانِ الحلالَ إلى الحرام.

والذي تدل عليه اللغة أن المعنى لا تسلكوا الطريقَ الذي يُسَوِّلُه لَكُمُ الشيطانُ.

---

(١) أي التي تحمل، فيكون فعولة بمعنى مفعول. ولذا جاز أن تلحقه التاء.

(٢) ثمانية أزواج بدل من حمولة، ومن الضأن وما عطف عليه بيان للأزواج الثمانية.

وقوله: ﴿ثَمَـانِيَـةَ أَزْوَاجٍ﴾.

بَدَلٌ من ﴿حَمولَةَ وَفرْشاً﴾ والزوج في اللغة الواحد الذي يكون معه اخر:

﴿مِن الضأْنِ اثْنَيْنْ﴾.

والضَّأْنُ جمع ضائن وضأْن، مثل تاجر وتَجْر.

﴿وَمِن الْمَعزِ اثْنَيْنِ، قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْـنِ﴾.

هذا إحتجاج عليهم. بَيَّن اللَّه عزّ وجلّ بِهِ فِرْيَتَهمْ وَكذِبَهمْ فيما ادَّعَوْه مِنْ أنَّ مَا فِي بُطونِ الأَنْعَامِ حلال للذكور ومحرم على الإناث وما حرَّمُوا مِنْ سـائر مـا وَصَفْنَا، فقيـل لهم آلذَّكـرَيْنِ حرَّمَ فـإن كان حـرَّمَ من الغنَمَ ذُكُـورَهَـا فكـل ذُكُورِها حـرام، وإن كان حـرَّم الأُنثيين فكل الإنـاثِ حَرَامٌ، وإِن كـان حرَّمَ مـا إشتملت عليه أَرحام الأنثيين فقد حرم الأَوْلاَدَ، وكلُّهَا أَوْلاَدٌ فَكُلُّها حَرَامٌ.

وكذلك الاحتجاج في قوله: ﴿وَمِنَ الإِبلِ اثْنَيْنْ وَمِن البَقَرِ اثْنَيْنْ﴾.

فقيل لهم ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾.

أي فسـروا مـا حـرمتم بعلم، أي وأَنتم لا علم لكـم لأنكم لا تُؤْمنُـونَ بكِتَابٍ.

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾.

أي هل شاهـدتم اللَّه قد حـرم هذَا[1] إذ كنْتُـمْ لَا تُؤْمِنُـونَ برسـول. ثم بيَّن ظلْمَهُم فقال:

﴿فَمَنْ أَظلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

وقد بَيَّن الاحتجاجُ أَنهم لا يؤْمنـون بِنَبِيّ ولا يَدَّعُـون أَن نبياً خبَّـرهم عن اللَّه أَنَّ هذا حرام، ولا أَنَّهم شاهدوا اللَّه قد حَرَّمَ ذلك. ثم قال:

---

(١) بمعنى قال لكم ذلك مشافهة. وسمعتموه منه.

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً . . .﴾ .

فأعلمهم ﷺ أَنَّ التحريم والتحليل إنما يَقْبَلُه بـالوَحي أَو التّنـزيل فقـال:

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فيما أُوحِيَ إِلَيَّ مُحرَّماً على طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ: إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَو دَماً مَسْفُوحاً﴾ .

والمسْفُوح المصْبُوب، فكأَنه إذا ذَبحوا أَكَلُوا الدَّمَ كما يأكلونَ اللحمَ .

﴿أَو لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ .

والرِّجْسُ اسم لما يُسْتَقْذَرُ، وللعذاب .

﴿أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ .

أي رُفِـعَ الصَّوْتِ على ذَبْحِـهِ باسمٍ غَيْـرِ اللَّهِ، وكانـوا يذكـرون أَسمـاءَ أَوْثانَهم على ذَبَائحهم. «فَفِسْق» عطف على لَحْمِ خِنْزِيرٍ، المعنى إلا أَن يكون المأكول ميتةً أَو دَماً مسْفُوحاً أَو لحمَ خِنْزِيرٍ أَو فِسْقـاً. فسُمِّيَ ما ذكـر عليه غيـر اسم اللَّه فِسْقاً، أي خُرُوجاً مِنَ الدِّينِ .

﴿فَمِـنَ اضْطُرَّ غَيْرَ بَـاغٍ﴾ .

أَيْ دَعَتْه الضَّرُورةُ إِلى أَكْله فَـأَكَلَه غيرَ بـاغٍ ، أَي غير قـاصد لتحليـل ما حرَّم اللَّه .

﴿وَلا عَادٍ﴾ .

أَي ولا مُجَاوِزٍ للقَصْد وقَدْرَ الحاجة . و«العَادِي» الظالِمُ .

﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غفُـورٌ رَحِيمٌ﴾ .

أَي يغفر لمن لم يَتَعَدَّ. فأَما إعراب آلذَّكَرَيْنِ : فالنَّصْبُ بحرَّمَ .

وَتَثْبُتُ(١) أَلف المعرفة مع أَلف الاستفهام لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر،

(١) تـدغم وتندمج .

لأنه لو قيل أَلذكرين حرَّم بألف واحدة لالتبس الاستفهام بالخبر، وقد يجوز مع أم حذف الألف لأن أم تدل على الاستفهام لأنه لو قيل ألرجلَ ضربت أم الغلامَ لَدَلَّتْ «أَمْ» على أَنَّ الأول[1]، داخل في الاستفهام.

وقد أجاز سيبويه أن يكون البيت على ذلك وهو قوله:

لعمرك ما إدري وإن كنت داريا شعيث بن سهم أم شعيث بن منقر[2]

فأجاز أن يكون على أشعيثُ بن سهم، ولكنَّ القراءَة بتبيين الألف الثانية في قوله: ﴿آلذَّكَرَيْنِ﴾.

وقوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾.

يُعْنَى بِهِ الإبل والنعامُ، لأن النعام ذوات ظفر كالإبل.

﴿وَمِنَ البَقَرِ والغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾.

فقال بعض الناس: حُرِّمَتْ عليهم الثُرُوب[3]، وأُحل لهم ما سواها مما حملت الظهور.

﴿أَوِ الحَوَايَا﴾.

وهي المبَاعرُ واحدها حَاوِية وحاوِيَاءُ وحَوِيَّة.

﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾.

نحو شحمِ الأَلية. وهذا أكثرُ القولين[4]، وقال قوم حُرِّمَتْ عَليهم الثُّروبُ، وأُحل لهم ما حملت الظهور وصارت الحوايا أو ما إختلط بعظم إلا ما حملت الظهور فإنه غير محرم، و«أَوْ» دخلت على طريق الإباحة، كما قال جَلّ وعزّ:

---

(١) أي الرجل.

(٢) تقدم ٨١ ج ١.

(٣) الثرب: شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء. يجمع على ثروب وأثراب وأثارب.

(٤) أي وصار تقدير الجملة هكذا.

﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُم آثِماً أو كفوراً﴾[١]، فالمعنى كل هؤلاءِ أهْلٌ أن يُعصَى، فأعصِ هذا، وأعصِ هذا و «أو» بليغة في هذا المعنى، لأنك إذا قلت: لا تطع زيداً وعمراً فجائز أن تكون نهيتني عن طاعتهما معاً في حال إن أَطعتُ زيداً على حِدَتِه لم أكُنْ عَصيتُكَ، وإذا قلتَ: لا تطعْ زيداً أو عمراً أو خالداً، فالمعنى أن هؤلاءِ كلهم أهلٌ ألَّا يُطاعَ فلا تطع واحداً منهم ولا تطع الجماعة.

ومثله جالس الحسن أو ابن سِيرين أو الشَّعبي، فليس المعنى أني آمرك بمجالسة وَاحدٍ منهم، ولكن مَعْنَى «أوْ» الإباحة. المعنى كُلُّهم أهلٌ أن يُجَالَس، فإن جالست واحداً منهم فأنت مصيب وإن جالست الجماعة فأنت مصيب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿سَيَقُولُ الَّذِين أَشْرَكُوا: لو شاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنا وَلَا آباؤُنا﴾.

زعم سيبويه أن العَطْفَ بالظاهر على المضمر المرفوع قبيح، يستقبح قمت وزيدٌ، وقام وزيدٌ، فإن جاءَت «لَا» حَسُنَ الكلامُ فقلت: [لا] قمتُ ولَا زيدٌ، كما أنَّه إذا أكد فقال قمت أنت وزيد حَسُن، وهو جائز في الشعر[٢].

فأما معنى الآية فإن اللَّه جلّ ثناؤه أخبر عنهم بما سَيَقولُونَه، وقولهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ جَعَلُوا هَذَا القَوْلَ حُجةَ فِي إقامَتهِمْ عَلى شِركِهِمْ، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أَنْ ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِين مِنْ قَبْلِهِمْ حَتى ذاقُوا بَأْسَنا﴾.

والحُجَّةُ عَليهم في هذا أنَّهم إذا اعْتَقَدُوا أنَّ كُلَّ مَنْ كان على شيءٍ، والأشياءُ تجري بمشيئة اللَّه تعالى - فهو على صَوابٍ فلا مَعنى إذن - على قولهم - للرِّسَالةِ والأنبياءِ، فيقال لهم: فالذين على دين يخالفكم، أليس هو على ما شاءَ اللَّه، فينبغي ألَّا تَقُولُوا إنهمْ ضالُّونَ، وهو عزّ وجلّ يَفْعَلُ مَا يَشاء،

(١) سورة الإنسان - ٢٤ - وهي فيهما للتنويع.

(٢) لا يجوز العطف على ضمير الرفع المتصل إلا بعد فاصل، وقد جاء في الشعر بلا فاصل وهو ضعيف.

وهو قادر على أن يَهْدِيَ الخلْق أجمَعين، وليس لِلعِباد على اللَّه أن يَفْعَـل بهم كلَّ مَا يَقْدِرُ عَليهْ، فقال عزّ وجلّ :

﴿قُلْ فللّهِ الحُجَّةُ البَالِغةُ، فَلَوْ شاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

فحجته البالغة تَبْيينهُ أَنَّهُ الواحدُ وإِرْسَالُه الأَنبياءَ بالحجج التي يعجز عنها المخلوقون:

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ﴾.

زعم سيبويه أَنها «ها» ضمت إليها «لُمَّ» وجَعلتا كالكلمة الواحدة. فـأَكثر اللغـات أَن يقال هَلُمَّ للواحـد والاثنين والجماعـة. بـذلـك جـاءَ القـرآن نحـو قولهم: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾[1].

ومعنى ﴿هَلُم شُهَدَاءَكم﴾ أَي فهاتـوا شهداءَكم، وقـربوا شهـداءَكم، ومن العرب من يثني ويجمع ويؤَنِّث، فيقول للذكر هَلُمَّ، ولـلاثنين هلما وللجمـاعة هَلُمُّوا، وللمرأَة هَلُمِّي وللاثنتين هلما، وللنسوة هَلْمُمْنَ.

وفتحت [الميم] لأَنها مُدْغمة كما فتحت رُدَّ في الأَمر لالتقاءِ السـاكنين، ولا يجوز هَلُمُّ إلينا للواحد بالضمِّ. كما يجوز في رُد الفتـح، والضم والكسر، لأَنها لا تتصرف.

وقوله: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾.

فـ «مَا» في مَوْضِع نصب إنْ شِئْتَ بأَتْلُ، والمعنى تعالوا أَتْلُ الـذي حرَّمَ ربكم عليكم، وجائز أَن تكون «ما» منصوبة بحرم، لأَن التلاوة بمنزلة القـول، كأَنه قال: أَقول أَي شيءٍ حـرم ربكم عليكم، أَهذا أَم هـذا، فجائـزٌ أَنْ يكون الذي تَلاهُ عَلَيْهم قَوْله: ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً﴾، ويكون ﴿أَلَّا تُشرِكُوا﴾ منصوبة بمعنى طرح اللام أي، أُبين لكم الحَرامَ لئلاَّ تُشْـرِكُوا بِـه شَيْئاً، لأَنهم

(١) سورة الأحزاب آية ١٨ ﴿والقائلين لإخوانهم هلم إلينا﴾

إِذَا حَرَّمُوا مـا أَحَـل اللَّه فقـد جَعَلُوا غيـرَ اللَّه ـ في القَبُـول منـه ـ بمنـزلـة اللَّه جلّ وعزّ فَصَارُوا بِذلك مُشْرِكينَ.

ويجـوز أَنْ يَكونَ ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا﴾ مَحْمُـولاً على المعنى، فيكـون: «أَتْـلُ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشرِكُوا به شيئاً، فالمعنى أَتْلُ عَلَيْكُم تَحْرِيمَ الشِّرْكِ بِهِ.

وجـائز أَن يكـون على معنى أُوصِيكم ﴿أَلَّا تُشْرِكوا بِهِ شيئاً﴾ لأَن قـولـه: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ محمولٌ على معنى أُوصيكم بالوالدين إحساناً.

وقوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِنْ إِمْلَاق ﴾.

أَي لَا تَقْتُلُوا أولادكم من فَقْرٍ، أَي من خَوْفِ فَقْرٍ[١].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الفَواحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَن ﴾.

بدل من الفواحش في موضع نصب.

المعنى لا تَقْرَبُوا ما ظهر من الفواحش وما بطن، جاءَ في التفسيـر أَنَّ مَا بَطنَ منها الزِّنَا، وما ظهر اتخاذُ الأَخْدَان وَالأَصدقاءِ على جهـة الريبـة، وظاهـر الكلام أَن الذي جرى من الشرك باللَّه عزّ وجلّ وقتل الأَولاد وجميـع ما حـرموه مما أَحَلَّ اللَّهُ[٢] عزّ وجلّ فَوَاحِشُ، فقال: ولا تَقْـربُوا هـذه الفَوَاحِشَ مُـظْهرين ولَا مُبْطِنِينَ، واللَّه أَعلم.

وقوله: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ ﴾.

يدل على أَن معنى ﴿ أَلَّا تُشرِكُوا بِهِ شَيْئاً وبِالْوَالِدَيْن إِحْسَاناً ﴾.

وقوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ اليَتيم إلا بالَّتِي هِيَ أَحْسَن ﴾.

قال بعضهم: التي هي أَحسن رُكُوبُ دابَّتِه واستخدام خادِمه، وليس في

(١) من فقر واقع، لا مـن فقر متوقع، بخلاف ما جاء في الاية الأخرى خشيـة إملاق، فـذلك فقـر مخشي لا واقع.

(٢) ما حرمه اليهود على أنفسهم من الأطعمة.

الظاهر أَنَّ هذا هو المراد، وإنما التي هي أَحسن حفظ مـاله عليـه[١]، وتَثْمِيرُه بما وُجِدَ إليه السبيل،

وقوله: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾.

«حتى» محمـولة على المعنى، المعنى احْفَـظُوه عليه حتى يبلغ أَشُـدَّهُ، أي فإذا بلغ أَشده فادفعوه إليه.

وبلوغ أَشُـدِّه أَن يؤنَس منه الـرُّشْدُ مَـعَ أَنْ يكونَ بـالغاً، وقـال بعضهم: حتى يَبْلُغْ أَشُدَّه، حَتَّى يَبْلُغَ ثمانيَ عَشْرة سَنةً، ولسْتُ أَعْرفُ مَا وَجْهُ ذلك بـأَنْ يبلغَ قبلَ الثماني عشرة وَقد أُنِسَ منه رشدًا! فدفْعُ مالِه إلَيه واجب.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿ وإذَا قُلتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾.

أَي إذا شَهِدْتم أَوْ حَكَمْتُم فاعْدِلوا، ولو كان المشهودُ عليه أَوْ لَهُ ذا قربى.

وقوله: ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ تَماماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾.

الأكثـر في القراءَة بفتـحَ النـون[٢]، ويجـوز «أَحْسنُ» على إضْمـارِ على الذي هو أَحسنُ. فأَما الفتـح فعلى أَن «أَحسنَ» فعلٌ مـاض مبني على الفتح. وأَجاز الكوفيون أَن يكون في مـوضع جَـرٍّ، وأَن يكون صفـةً الَّذي، وهَـذَا عند البصـريين خَـطَأٌ فـاحشٌ[٣]، زعم البصـريــون أَنهم لا يعـرفــون «الَّـذِي» إلا مَوْصُولَةً، ولا تُوصَفُ إلاَّ بَعْدَ تَمَام صلتها، وقد أَجمعُ الكوفِيُّـونَ مَعَهُمْ على أَنَّ الوَجْهَ صِلتُها، فيحتاجون أَن يثبتوا أَنها رفعت موصولة ولا صلة لها، فأَما دخول «ثم» في قوله: ﴿ثمَّ آتَيْنا﴾ وقد علمنـا أَن ثم لا يكون الـذي بَعْدهَـا أَبداً مَعناه التَّقْـدِيم، وقد علمنـا أَن القرآن أُنـزل مِن بعْدِ مـوسى، وبعد التـوراة. فقال:

---

(١) في الأصل حفظ ما له عليه هي أحسن وتثميره، الخ.

(٢) من أحسن أي جعلها فعلاً.

(٣) لأن الموصول لم يتم بذكر الصلة.

﴿ثمَّ آتَيْنا موسَى الكِتَابَ﴾ فإنما دخلت ثم في العطف على التلاوة[1]،

والمعنى قُـلْ تَعَالَـوْا أَتْـلُ مَـا حَـرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ، أَتْـلُ عليْكم أَلَّا تَقْتلُوا أَوْلادَكم، ولا تقتلوا النفس التي حرم اللَّه، ثم أُتـلو ما آتاه اللَّه موسى.

ومعنى ﴿على الذي أحسن﴾ يكون على[2] «تمـامـاً على المحسن» المعنى تمـاماً من اللَّه على المحسنين، ويكـون ﴿تَمَامـاً عَلَى الَّـذِي أَحْسَنَ﴾ أي على الذي أَحْسَنَه مُـوسَى مِنْ طَاعَـةِ اللَّهِ واتِّبَاع أَمْـرِه، ويجوز تمـاماً على/ الـذي هُوَ أَحْسنُ الأَشْياءِ.

و «تمام» منصوب مفعول له، وكذلك وتفصيلاً لكل شيء، المعنى آتيناه لهذه العلة أي للتمام والتفصيل.

وقوله: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾.

والمبـارَكُ ما يـأْتي من قِبَلِهِ الخيرُ الكثيـرُ، وهو من نعت كتـاب ومن قـرأ «أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكاً» جاز ذلك في غير القراءَةِ، لأَن المصحف لا يُخالَفُ البَتَّةَ.

وقوله: ﴿ فَاتَّبِعُوهُ واتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.

أَيْ لِتَكونُوا رَاجِينَ للرَّحْمَةِ.

وقوله عزّوجلّ: ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ﴾.

قال بعضهم: معناه أَنْزَلْنَاهُ لئلاَّ تَقُولُوا إِنما أُنزِلَ الكتابُ أي أَنزلناه لتنْقَطِعَ حُجتُهمْ، وإِنْ كـانت الحجَّـةُ للَّه عـزّ وجـلّ، لأَن الكتُبَ التي أُنْـزِلَتْ قبـلَ النبي ﷺ قد كانت فيهـا الحجَّةُ، ولـم يكن اللَّه عـزّ وجلّ: لِيَتْـرِكَ خَلقَه سُـدًى بغيـر حجة، ولكن في تنـزيل الكتـاب والنبي ﷺ غايـة الحجة، والـزيـادة في الابَانةِ.

(١) أي الانتقال من كلام لآخر بقطع النظر عن الزمن.

(٢) على هذا التقدير.

وقال البَصْريُّون: معناه أنـزلناه، كـراهةَ أن تقـولوا، ولا يُجيـزون إضمار «لا» لَا يقولون جئتُ أنْ أُكْرِمَك، أي لئلا أكرِمَك، ولكن يجوز فعلت ذلـك أن أكرِمَك، على إضمـار محبة أن أكـرمك، وكـراهة أن أكـرمكَ، وتكـون الحال تنبـئ عن الضميـر. فالمعنى: أنـزل الكتاب كـراهة أن يقـولـوا: إنمـا أنـزلت الكتُب على أصحاب موسى وعيسى.

﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾.

المعنى: وما كنا إلّا غافلين عن تلاوة كتبهم[1].

﴿أَوْ تَقُولُوا﴾: المعنى أو كراهة أن تقولوا.

﴿لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾.

وإنما كانوا يقولون ﴿لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ لأنهم كانوا مُدِلِّين[2] بـالأذهان وحُسْنِ الأَفْهَـام، وذلـك أنهم يحفـظونَ أشعـارهم وأخبـارهم وآثـارهم، وهم أُمِّيُّونَ لا يَكْتُبونَ.

وقوله: ﴿ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنَ رَبِّكُمْ ﴾.

أي فقد جاءكم ما فيه البيان وقطعُ الشُّبُهَاتِ عَنْكُمْ.

وقوله: ﴿ هَل يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُم المَلائِكَةُ ﴾.

أي إلا أنْ تَأْتِيهم ملائكةُ الموْتِ.

﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾.

أو يأْتِي إهْلَاكُ رَبِّك إيّاهم وانْتِقامُهُ مِنْهُم، إمّا بعذَاب عاجل أو بالقيامة، وهذا كقولنا: قَدْ نَزَلَ فُلانٌ ببَلَد كَذَا وكَذَا، وقد أتَاهُمْ فُلانٌ أي قَدْ أَوْقَع بِهِمْ.

وقوله: ﴿ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾.

---

(١) ليس في الآية ما يفيد الحصر ـ ولكن «إن» المخففة واللام في خبرها تفيدان التوكيد.

(٢) متباهين متفاخرين.

نحو خروج الدابة: أو طلوع الشمس منْ مغربها.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانها لَمْ تكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾.

أي لا يَنْفَعُها الإِيمَانُ عِند الآية التي تضطَرّكم إلى الإيمان، لأن اللّه جلّ ثناؤه قال: ﴿ إِنَّما تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُم تعْمَلُون﴾[1] وبعث الرسل بالآيات التي تُتَدَبَّر، فيكون للمؤمِنِ بها ثوابٌ ولو بعث اللّه على كل من لم يؤمن عذاباً، لاضطر الناس إلى الإيمان به: وسقط التكليف والجزاء.

وقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾.

قال بعضهم: هذه نزلت قبل الحرب، أي ليس عليك قِتَالُهم إنما أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ.

ومعنى﴿وَكَانُوا شِيعاً﴾ أي كانوا مُتَفَرّقِينَ فِي دِينهِمْ.

يعنى به اليهود والنصارى، لأن النصارى بَعْضُها يكفر بعضاً وكذلك اليهودُ، وهم أيضاً أَهْلُ التوراة، وبعضهم يكفر بعضاً، أعني اليهود تكفر النصارى، والنَّصارى تكفر اليهودَ.

وفي هذه الآية حَثٌّ على أن تكون كلمةُ المسلمين واحدة، وأن لا يتفرَّقُوا في الدين وأن لا يبتدعوا البدَعَ ما استطاعُوا.

فقوله: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيءٍ﴾.

يدل على أَن مَن فَرَّقَ دِينَه مِن أُهْلِ مِلةِ الإِسْلَامِ وابْتَدَعَ البِدَعَ فقد صَارَ بِهِ مِنْهُمْ[2].

ومعنى شَيَّعْتُ في اللغة اتَّبَعْتُ. والعرب تقول: شاعكم السِّلْمُ وأشاعكم

(١) سورة التحريم آية: ٧.

(٢) صار يعمل التفريق والابتداع منهم.

السَّلْمُ، ومَعْنَاهُ: تَبِعكُمْ السَّلْمُ، قال الشاعر:(١)

أَلا يــا نَـخْـلةً مــن ذَاتِ عــرقٍ   بَــرود الـظل شــايَعَـكِ الــظلام

وتقول: آتيتك غـداً أو شِيَعَهُ [أي] أو اليـومَ الذي يتبعـه، فمعنى الشيعة الـذين يتبع بعضهم بعضـاً، ومعنى الشِّيـعُ الفـرقُ التي كـل فـرقـة منهم يتبـع بعضهم بعضاً وليس كلهم متفقين.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿مَن جَاءَ بالحَسَنَةِ فَلَه عَشرُ أَمْثالِها﴾.

القراءَة: فلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا، والمعنى فله عَشْرُ حَسَنات أمثالها وكمـا يجوز عندي خمسةُ أثواباً، ويجـوز فله عَشْرُ مِثْلِهـا في غير القـراءَة فيكون المثـل في لفظ الـواحد وفي معنى الجميـع، كما قـال: ﴿إنكم إذاً مِثْلُهمْ﴾(٢)، ومن قال أمثالها فهو كقوله: ﴿ثمَّ لَا يكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾(٣) وإنما جاءَ على المثل التوحيدُ، وَأنْ يكـون في معنى الجميع، لأنـه على قدر مـا يشبه بـه، تقول مـررت بقوم مِثلكم، وبقوم أمثالكم.

---

(١) لم يعـرف قائله وجـاء في الخزانـة في شرح الشـاهد الثـالث والستين وقـال: أنشـده ثعلب في أماليه، وصاحب الجمل في باب النداء. وفسر شاعكم بأنه بمعنى تبعكم. أما النخلة فقد تكون كناية عن المرأة، وذات عرق موضع بالحجاز، وقد يكون أراد نخلة حقيقية ذكرها لحبه المكـان الذي هي به، وبرود الظل ترشح لهذا، أي المكان الذي تظله هـذه النخلة بارد لـطيف الهواء، ويروى البيت برواية أخرى ومعه أبيات ذكرها صـاحب الخزانـة أيضاً على أنـه نوع من الكنـاية المستحبة عن المرأة:

ألا يــا نــخــلة مــن ذات عــرق   عــليـك ورحـمـة الـلَّه الـسـلام
ســألت الـنـاس عـنـك فخبـروني   هَنـاً مـن ذاك تـكـرهــه الـكـرام
ولـيس بـمــا أحـل الـلَّه بـأس   إذا هــو لــم يـخـالـطه الــحـرام

وهو يتهمها فكنى عن الرفث بكلمة «هن» أي سألت الناس فأخبروني بسوء سيرتها.

(٢) سورة النساء ١٤٠.

(٣) سورة محمد الآية ٣٨.

فأما معنى الآية فإنه من غامض المعاني التي عند أهل اللغة لأن المجازاة على الحسنة من اللّه جلّ ثناؤه بدخول الجنة شيء لا يُبْلَغُ وصفُ مِقْداره، فإذا قال: عَشْرُ أَمْثَالها، أو قال: ﴿مَثلُ الَّذين يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ في سَبيلِ اللّهِ كَمَثَلَ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كلِّ سُنْبُلَةٍ مائةُ حبةٍ﴾[1].

مع[2] قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرضاً حَسَناً فيضاعِفَه لـه أَضْعَافاً كثيرة﴾[3]، فمعنى هذا كله أن جزاءَ اللّه جلّ ثناؤه على الحسنات على التضعيف للمثل الواحد الذي هو النهاية في التَّقدير في النفوس، ويضاعف اللّه ذلك بما بين عشرة أضعاف إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

وأجمع المفسرون على قوله: ﴿وَمَنْ جَاءَ بالسَّيِّئَةِ فلا يُجْزَى إلَّا مِثْلَهَا﴾ ـ لأن السيئة ههنا الشرك باللّه.

وقالوا: ﴿من جاءَ بالحسنة﴾: هي قول لا إله إلا اللّه، وأصل الحسنات التوحيد، وأسوأ السيئات الكفر باللّه جلّ وعزّ.

﴿قُلْ إنَّنِي هَدانِي رَبِّي إِلَى صِرَاط مُسْتَقِيم﴾.

والصراط الدين الذي دلني على الدِّين الذي هو دين الحق، ثم فسر ذلك فقال:

﴿دِيناً قِيَماً﴾.

والقيم هو المستقيم، وقرئت ﴿ديناً قَيِّماً﴾ وقِيَمَ مصدر كالصغر والكبر، إلا أنه لم يقل «قِوَمٌ» مثل قوله: ﴿ لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾[4] لأن قولك قام قيماً

---

(١) سورة البقرة ٢٦١.

(٢) في الأصل وقوله.

(٣) سورة البقرة ٢٤٥.

(٤) سورة الكهف الآية: ١٠٨.

كأنه على قَوُمَ أو قَوِمَ ، فلما اعتل فصار قام اعتل قِيَمٌ، فأمَّا حِوَلٌ فهـو على أنه جـار على غيـر فعـل. وأمـا نصب ﴿ديناً قيماً مِلـةَ إبـراهيـمَ﴾. فمحمـول على المعنى، لأنه لما قال: هَدَاني إلى صراطٍ مستقيم، دل على عَرَّفَنِي دينـاً قِيماً، ويجـوز أن يكـون على البـدل من معنى هـدَاني إلى صـراط مستقيم، المعنى هداني صراطـاً مستقيماً، دِينـاً قِيماً، كمـا قال جـلّ وعزّ: ﴿ وَيَهْـدِيكَ صِـراطاً مُسْتَقِيماً﴾[1] و ﴿ملة إبراهيم﴾ بدل من ﴿دِيناً قِيَماً﴾ و ﴿حنيفاً﴾ منصوب على الحال من إبراهيم، المعنى هداني وعـرفني ملة إبراهيم في حـال حنيفيته، وهـو ههنا لإبراهيم حسَن منه لغيره.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

وقد فسرنا معنى الحنيفية وأنها الميل إلى الإسلام ميلًا لا رجوع معه.

وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾.

قالوا: النسك الذَّبْحُ، والنُّسْكُ مَا يُتَقرَّبُ به إلى اللَّه جلّ وعزّ، ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾.

الياء ياء الإضافة، فتحت لأن أصلَها الفتح، ويجوز إسكانها إذا كان مـا قبلها متحركاً. يجوز ﴿مَمَاتِي﴾ وإن شئتَ قرأت «مَمَـاتِيَ اللَّه» بفتح اليـاء، وإنْ شئْتَ أسْكَنْتَ فأمَّا يَاءُ محيايَ فلا بُدَّ من فتحها لأن قبلها ساكن.

ومعنى الآية أنه يخبر بأنه إنما يتقرب بالصـلاة وسائـر المناسـك إلى اللَّه جلّ وعزّ لا إلى غيره، كما كان المشركونَ يذبحـون لأصنامهم. فـأعلم أنه اللَّهُ وحده بقوله: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وبِذَلك أُمِرْتُ﴾.

وقوله: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّه أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كلِّ شَيْءٍ ﴾.

أي هو ابتدع الأشياءَ كلها لا يقدر أُحد على ابتداع شيءٍ منها.

---

(١) سورة الفتح الآية: ٢.

وقوله: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾.

أي لا تؤخذ نفس آثمة بإثم أُخرى، لا يؤخذ أَحَدٌ بذنب غيْره.

وقوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلكمْ خَلَائفَ الأَرْض ﴾.

قيل خلائف الأرض أُمة محمد ﷺ لأن النبي ﷺ خاتم النبيين فأُمَّتُه قد خلفت سائر الأُمم، وقال بعضهم: خلائف الأرض يخلف بعضكم بعضاً.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فيمَا آتَاكُمْ﴾.

فدل بهذا أنه فضَّل بعضَ الناس ليختبرهم فيما رزقهم وهو جلّ ثناؤه عالم بما يكون منهم قبل ذلك، إلا أنه اختبرهم ليظهر منهم ما يكون عليه الثواب والعقاب.

وقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العقَابِ وَإِنَّه لَغَفُور رَحِيمٌ ﴾.

إن قال قائل: كيف قيل سريع العقاب. وعقابَه إنما يكون في القيامة، وإن كان بعضُه قد وقع في الدنيا؟ فإنما ذلك لأن أَمرَ الساعة سريعٌ، لأن كلَّ ما زال وإن تَطَاوَلَ فهو بمنزله ما لم يُحَسَّ سُرْعَةً، وكذلك قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمحِ البَصَرِ أوهُوَ أَقْرَبُ﴾[1]، وكذلك قوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَه بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾[2].

(١) سورة النحل آية: ٧٧.

(٢) المعارج الأيتان: ٦، ٧.

سورة الأعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ: ﴿المصّ﴾.

قد فسرنا هذه الحروف في أول سورة البقرة، إلاَّ أنا أعدنا ههنا شيئاً من تفسيرها لشيءٍ في إعرابها، والذي اخترنا في تفسيرها. قولُ ابن عباس أنَّ ﴿المص﴾ معناه أنا اللّه أعلم وأفصلُ وقال بعض النحويين موضع هذه الحروف رفع بما بعدها، قال: ﴿المص كتاب﴾، كتاب مرتفع بالمص، وكأن معناه المص حروف كِتَابٍ أُنزل إليك، وهذا لو كان كما وصف لكان بعد هذه الحروف أبداً ذكر الكتاب؛ فقوله: ﴿الم اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾(١)؛ يدل على أن ﴿الم﴾ لا مرافع(٢) لها على قوله، وكذلك: ﴿يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾(٣)، وكذلك: ﴿حم عسق كَذَلِكَ يُوحَى إِلَيْكَ﴾(٤)، وقوله: ﴿حم والكتاب المبين إنا أنزلناه﴾(٥).

فهذه الأشياءُ تدل على أن الأمر على غير ما ذكر، ولو كان كذلك أيضاً لما كان ﴿ألم﴾ مكرراً، ولا ﴿حم﴾ مكرراً(٦).

---

(١) أول سورة آل عمران.

(٢) هكذا بالأصول والظاهر أنه يريد لا مرفوع لها أي لا خبر لها أو لعلها لا موقع لها من الإعراب.

(٣) أول سورة يس.

(٤) أول سورة الشورى. وقراءة حفص: «يُوحي».

(٥) أول سورة الدخان.

(٦) كان يجب ـ لو كان المراد أن هذه حروف الكتاب ـ أن يكتفي بذكرها مرة واحدة. وهو استدلال =

وقد أجمع النحويون على أن قوله عزّ وجلّ ﴿كتاب أُنْزِلَ إليك﴾ مرفوع بغير هذه الحروف، المعنى هذا كتاب أُنزلَ إليك، وهو مُجْمِعٌ مَعَهُم على أنَّ ما قَالُوه جائز فيجب اتباعُهم من قولِهِ وَقَوْلِهِمْ، ويجب على قائل هذا القول التثبيت على مخالفتهم، ولو كان كما يصف لكان مُضمِراً اسمين[1] فكان المعنى الم بعض حروف كتاب أُنزل إليك، فيكون قد أُضمر المضاف وما أُضيف إليه، وهذا ليس بجائز[2].

فإن قال قائل قد يقول ألف. با. تا. ثا[3]. ثمانية وعشرون حرفاً، وإنما ذكرت أربعة فمن أين جاز ذلك، قيل قد صار اسم هذه ألف. با. تا. ثا، كما أنك تقول: الْحَمْدُ سَبْعُ آياتٍ فالحمد اسم لجملة السورة، وليس اسم الكتاب آلم، ولا اسم القرآن «طسّم». وهذا فرقٌ بَيْنٌ.

وهذه الحروف كما وصفنا حروف هجاء مَبْنِيَّةٌ على الوقف، وهي في موضع جُمَلٍ، والجملة إذا كانت ابتداءً وخبَراً فقط لا موضع لها. فإذا كان معنى كهيعص، معنى الكاف كافٍ، ومعنى الهاء هادٍ، ومعنى اليَاء والْعَيْن مِنْ عَلِيم ومعنى الصاد من صَدُوقٍ، وكان معنى «آلم» أَنا أَعْلَمَ، فإنما موضعها كموضع الشيء الذي هُوَ تأْويل لَهَا[4]. ولا موضع في الإعراب لقولك: أَنا اللَّه أعلم، ولا لقولك؛ هو هاد، وهو كاف، إنما يرتفع بعض هذا ببعض، والجملة لا موضع لها.

= غير قوي، فقد كررت في القرآن أدلة كثيرة.

(١) لكان المحذوف مضافين.

(٢) انظر مدى تحامل الزجاج ـ ففيما عدا الدليل الأول أدلته خطابية، وليس المراد في قوله تعالى واسأل القرية أن يسأل كل أهل القرية ـ بل أن يسأل بعض أهل القرية، فالمراد: واسأل بعض أهل القرية ولم يعبه أحد، وهنا المراد، تلك بعض أحرف الآيات. ولا يلزم أن يطرد التقدير في جميع فواتح السور، بل يجوز هذا التقدير حيث أمكن.

(٣) أي حروف الهجاء.

(٤) موضع هذه الحروف موضع الجمل التي جاءت هي في موضعها.

وقوله: ﴿ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ﴾.

فمعنى الحرج الضيق. وفيه وجهان، أحدهما أن يكون لَا يَضِق صدْرُكَ بالإبلاغ ولا تخافن، لأنه يروى عن النبي ﷺ أنه قال: رب إني أخاف أن يثلغوا(١) رأسي فيجعلوه كالخبزةِ، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنه في أمان منهم، فقال: ﴿وَاللَّهُ يَعصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾(٢)، وقال: ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾.

أي فلا يَضِيقَنَّ صَدْرُكَ من تَأْدِيَةِ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ.

وقيل أيضاً: فلا تَشُكَّنَّ فيه.

وكلا التفسيرين له وجه، فَأَمَّا تأويل فلا تَشُكَّنَّ، وتأويل ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾(٣)، وتأويل: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾(٤) فإن ما خوطب به ﷺ فهو خطاب لأمتِهِ، فكأنه بمنزله «فلا تشكُّوا ولا ترتابوا».

وقوله: ﴿لِتُنْذِرَ بِهِ﴾.

معناه التقديم، والمعنى والله أعلم ـ كتاب أُنزل إليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين، فلا يكن في صدرك حرج منه.

﴿وَذِكْرَى﴾ يصلح أن يكون في موضع رفع ونصب وَجَرٍّ فأما النصب فعلى قولك: أُنْزِلَ لِتُنْذِرَ به وذكرى للمؤمنين، أي ولتذكر به ذكرى، لأن في الإِنذارِ مَعنى التذكير.

---

(١) ثلغ رأسه كمنع: شدخه.

(٢) سورة المائدة الآية: ٦٧.

(٣) سورة البقرة آية: ١٤٧.

(٤) سورة يونس: ٩٤.

ويجوز أن يكون وَهُوَ ذكرى للمؤمنين كقولك وهو ذكر للمؤمنين.

فأما الجر فعلى معنى لِتُنْذِرَ، لأن معنى «لِتُنْذِرَ» لأن تُنْذِرَ فهو في موضع جر. المعنى للإنذار والذِّكرَى. فأما ذِكْرَى فمصدرٌ فيه ألف التأنيث، بمنزلة دعوت دعوى، وبمنزلة رَجَعْتُهُ رُجْعَى. واتَّقَيْتُ تقوى، إلا أنه اسم في موضع المصدر.

وقوله:﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

أي اتَّبِعُوا القرآن، وَمَا أُتِيَ به عن النبي ﷺ لأنه مما أُنزل عليه لقوله جلّ وعزّ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾(١).

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾.

أي لَا تَتَوَلَّوْا مَنْ عَدَلَ عن دين الحق، ومن ارتضى مذهباً من المذاهب، فالمؤْمن وليُّ المؤْمِن،

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾(٢).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾.

ما زائدة مُؤَكِّدَة، المعنى قليلًا تذكرون، وفي تذكرون وجهان في القراءة: قليلاً مَا تَذَّكَّرون - بالتشديد - في الذال، والمعنى: قليلاً ما تتذكرون، إلا أن التاءَ تدغمُ في الذال لقرب مكان هذه من مكان هذه.

ومن قرأ «تَذَكَّرُونَ»(٣) فالأصل - أيضاً - تتذكرون، إلَّا أنه حذف إحدى التاءَين، وهي التاءُ الثانية لأنهما زائدتان، إلا أن الأولى تدل على معنى الاستقبال فلا يجوز حذفها، والثانية إنما دَخَلَتْ على معنى فعلت الشيءَ عَلَى تمهُّل، نحو تَفَهَّمْتُ وَتَعَلَّمْتُ، أي أحدثت الشيءَ على مَهَلٍ، وتدخل على

---

(١) سورة الحشر: ٧.

(٢) سورة التوبة: ٧١.

(٣) هذا هو الوجه الثاني.

معنى إظهار الشيءِ والحقيقة غيره، كقولك تقيَّسْتُ أي أظهرت أني قَيْسِيٌّ[١].

فإنما المحذوف من تتفعلون الثانية، لأن الباقي في الكلمة من تشديد العين من تفعل يدل على معنى الكلمةِ، ولو حذفت تاءَ «استقبال» لبطل معنى الاستقبال[٢].

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَة أَهلَكْنَاها﴾.

المعنى وكم من أهل قرية أهلكناهم، إلا أن أهل حذف لأن في الكلام دليلاً عليه.

وقوله: ﴿فجَاءَها بَأْسُنَا بَيَاتاً﴾.

محمول على لفظ القرية، ولو قيل فجاءَهم لكان صواباً.

وقوله: ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾.

قال بعض النحويين: المعنى وهم قائلون[٣]، والواو فيما ذكر محذوفة وهذا لا يحتاج إلى ضمير الواو، ولو قلت: جاءَني زيد راجلاً أو وهو فارس، أو جاءَني زيد هو فارس لم تحتج إلى واو، لأن الذكر قد عاد إلى الأول.

ومعنى «بَيَاتاً»: ليلاً، يقال بات بياتاً حسناً، وبيتةً حسنَة، والمصدر في الإصابات بيتاً. والبيت بيت الشعر وكذلك بيت المدَرِ، وإنما أُصل تسميته من أنه يصلح للمبيت، ويقال لفلان بيتة وليلة وَبَيْتُ ليلة، أي ما يكفيه من القوت في ليلة.

ومعنى ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾.

أي أو جاءَهم بأسنا نهاراً في وقت القائلة، يقال قِلتُ من القائلة،

---

(١) أي من قبيلة قيس أى انتسبت إليها.

(٢) المادة «قبل» زيد عليها الألف والسين والتاء، وثلاثتها زيادة واحدة فلا يجوز حذف حرف منها.

(٣) والتقدير حينئذ: بياتاً أو وهم قائلون، وهو أوضح من رأي الزجاج.

فالمعنى إنهم جاءَهم بأسنا غفلة، وهم غير متوقعين له، إما ليلاً وهم نائمـون، أو نهاراً وهم قائلون كأنهم غافِلون.

وأو ههنا دخلت على جهة تصرف الشيءِ ووقوعِـه، إما مـرَّة كذا، وإما مـرةً كذَا، فهي في الخبـر ههنا بمنـزلة أو في الإبـاحة، تقـول جالس زيـداً أو عمراً، أي كلُّ واحـدٍ منهما أهـلٌ أنْ يُجَالِسَ، وأو ههنـا أحسن من الواو، لأن الواو تتضمن اجتماع الشيئين، لو قلت: ضربت القـوم قيامـاً وقعوداً، لأوجَبَتِ الـواو أنك ضـربتهم وهم على هاتين الحـالتين، وَإذَا قلتَ: ضربتهم قيـامـاً أو ضـربتهم قعوداً، ولم تكن شـاكًا، فـإنما المعنى أنـك ضربتهم مـرة على هذه الحال، ومرة على هذه الحال(١).

وموضع «كم» رفع بالابتداءَ، وخبرها أهلكناها، وهو أحسن من أن تكون في موضع نصب، لأن قولك زيدٌ ضربْتُـه أجْوَدُ(٢) من زيـداً ضربتـه. والنصب جَيِّدٌ عربي أيضاً مثله قوله جلّ وعزّ: ﴿إنَّا كُلَّ شيْءٍ خلقنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(٣).

وقوله: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهمْ إذ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إلا أَنْ قَالُوا إنَّا كُنَّا ظَالِمِين﴾.

المعنى - واللَّه أعلم - أنهم لم يحصلوا مما كانـوا ينتحلونه من المـذهب والـدّين ويدعـونه إلاَّ عَلَى اعتـراف بأنهم كـانوا ظـالمين، والدعـوى اسم لمـا يَدَّعِيه، والدَّعوى يصلح أنْ تكونَ في معنى الدُّعَاءِ لو قلت: اللهم أشـركنا في صالح دعاءِ المسلمين ودعوى المسلمين جاز، حكى سيبويه ذلك وأنشد:(٤)

---

(١) للتنويع. (٢) لأنه جملة اسمية، أما زيداً ضربته فجملته فعلية.

(٣) سورة القمر ٤٩، والرفع هنا ضعيف موهم، لأن كل شيء «نكرة»، فيكون موقع «خلقناه» ههنـا صفة، فيكون التقدير: وكل شيء مخلوق لنا بقدر، وهذا يوهم أن هناك شيئاً مخلوقاً لغير اللَّه.

(٤) في اللسـان (دعا) وفي كتـاب سيبويـه ٢ - ٢٢٨ أن البيت لبشر ابن النكث - قـال سيبويـه: وأما الدعوى فهو ما ادعيت، وأورد الآية وشطر البيت جميعاً - وكذلك أورد الأعلم الشنتمري الشعـر وقـال إنه بنـاء الدعـاء على دعوى، كمـا قالوا الرجعى في معنى الـرجوع والـذكـرى في معنى الذكر.

وَلَّــت ودَعْــوَاهَــا كثيــر صَخَبُــه

وموضع «أنْ» الأَحسن أن يكـون رفعاً، وأن تكـون الدعـوى في موضـع نصب، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿مَا كانَ حجتَهم إلا انْ قَالُوا﴾[١] ويجوز أن يكون في موضع نصب، ويكون الدعوى في موضع رفع إلا أَن الدعوى إذا كانت في مـوضع رفـع فالأكثـر في اللفظ «فما كـانَتْ دَعْوَاهمْ» كـذا وكذا، «إلا أن»، لأَنَّ الدعوى مؤنثة.في اللفظ، ويجوز كان دعواه باطلاً وباطلة.

وقـوله عـزّ وجلّ: ﴿والْوَزْنُ يَوْمَئِـذ الحقُّ فمنْ ثقُلَتْ مَوَازينـه فَأُولئـك هُمُ الْمُفْلِحُون﴾.

اختلف الناس في ذكر الميزان في القيامـة، وجاءَ في بعض التفسيـر أَنه ميزان له كِفَّتَان، وأَن الميزانَ أُنْزلَ إلى الدنيا ليتعامـل الناس بـالعدل وتـوزن به الأَعمـال، وقال بعضهم: الميـزانُ العدلُ[٢]، وذهب إلى قـولك هـذا في وزن هذا، وإن لم يكن مما يوزنُ، وتأْويله أَنه قد قام في النفس مساويـاً لغيره كمـا يقوم الوزن في مِـرآةِ العَيْنِ. وقال بعضهم: الميـزانُ الكتابُ الـذي فيه أَعمـال الخلق، وهذا كلُّه في باب اللغة ـ والاحتجاج سائغ، إلا أَن الأَوْلَى مِنْ هذا أن يُتَّبَعَ مَا جَاءَ بالأَسانيد الصحـاح. فإن جـاءَ في الخبر أَنـه ميزانٌ لـه كِفَّتَان، من حيثُ يَنقُلُ أَهلُ الثقة، فينبغي أَن يُقْبَلَ ذَلِكَ. وقد روي عن جرير عن الضحاك أَن الميزانَ الْعَدْلُ، واللَّه أَعلم بحقيقة ذلك، إلا أَن جملة أَعمال الْعِبَادِ مَوْزُونَةٌ على غاية الَعدْل والحَقِّ، وهو قوله:

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣].

---

(١) سورة الجاثية الآية ٢٥.

(٢) أي الميزان معناه العدل، وإذن فمعنى نضع الموازين نقيم العدل بين الناس.

(٣) ولعل الأقرب في الميزان أنه التقدير والاحصاء ـ بمعنى تحصى حسنات الشخص وسيئاته وتقدر ثم يجزى على هذا الاساس. فهذا وزن.

وقد فسرنا المفلح فيما تقدم.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ مكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِش﴾

معنى التمكين في الأرض التمليك والقدرة.

ومعنى المعايش يحتمل أن يكون ما يعيشون به، ويمكن أن يكونَ الوصلةَ إلى ما يعيشون به.

وأكثر القراءِ على ترك الهمْزِ فِي معايش، وقد رَوَوْهَا عَن نَافِع مَهْمُوزَةً. وجميعُ النحويين البصريين يزعمون أن همزها خطأ، وذكروا أن الهمز إنما يكون في هذه الياء إذَا كانت زائدة نحو صحيفة وصحائف، فأما مَعَايش فمن الْعَيْش، الياءُ أصلية وصحيفة من الصُّحُف لأن الياءَ زائدة، وإنما همزت لأَنَّهُ لاَحَظَّ لها في الحركة، وقد قَرُبَتْ من آخر الكلمة وَلَزِمَتْهَا الْحَرَكَةُ فَأَوْجَبُوا فيها الهمزَ، وإذا جَمَعْتَ مَقَاماً قلت مَقَاوِمَ.

وأنشد النحويون:

وإني لقوام مقاوم لم يكن جرير ولا مولى جرير يقومها[1]

وقد أجمع النحويون على أن حكوا مصائِب في جمع مصيبة، بالهمز، وأجمعوا أن الاختيار مصاوب، وهذه عندهم من الشاذ، أعني مصايب، وهذا عندي إنما هو بدل من الواو المكسورة[2]، كما قالوا في وسادة: إسادة، إلاَّ أن هذا البدل في المكسورة يقع أولاً كما يقع في المضمومة، نحو﴿أُقِّتَتْ﴾[3] وإنما هو من الوقت والمضمومة تبدل في غير أول نحو أدْؤُر، يقولون أَدْؤُ فحملوا المكسورة على ذلك.

---

(١) تقدم ص ٢٠٦ ج ١.

(٢) إبدال شاذ، إذا الواو متحركة بعد حرف مد.

(٣) في سورة المرسلات: ﴿وإذا الرسل أقتت﴾.

ولا أعلم أحداً فَسَّرَ ذَلِكَ غيري، وهـو أحسن من أن يجعل الشيءُ خـطأً إذا نطقت به العرب وكان لـه وجه من القيـاس، إلا أنه من جنس البـدل الذي إنما يتبع فيه السماع، ولا يجعل قياساً مستمراً.

فأما ما رواه نافع من معائش بالهمز فلا أعرف له وجهاً، إلا أن لفظَ هذه الياءِ التي من نفس الكلمة أُسْكِنَ في معيشـة فصار على لفظ صحيفـة، فحمل الجمع على ذلك، ولا أحب القـراءَة بالهمـز إذ كَانَ أَكْثَـرُ النَّاسِ إِنَّمـا يَقْرَأُونَ بترك الهمز، ولو كان ممـا يهمزُ لجـاز تحقيقه وتـرك همزه، فكيف وهـو مما لا أصل له في الهمز؟ وهو كتـاب اللَّه عزّ وجـلّ الذي ينبغي أن يمـال فيه إلى مـا عليه الأكثر لأن القراءَة سنة فالأَوْلى فيها الاتباع، والأَولى اتباع الأكثر.

وزعم الأخفش أنَّ مصـائب إنمـا وقعت الهمـزة فيهـا بـدلاً من الـواو(١) أُعلّت في مصيبـة، وهذا ردِيءِ. لا يلزم أن أقـول في مقام مقـائِم وفي معونـة معائن.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَـوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَـا لِلْمَلَائِكَـةِ اسْجُدُوا لآدمَ﴾.

زعم الأخفش أن «ثم» ههنا في معنى الواو، وهذا خطأ لا يجيزه الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعربيته، إنما ثمَّ للشيءِ الذي يكون بعد المذكور قبله لا غير، وإنما المعنى في هذا الخطاب ذكر ابتداءُ خلق آدم أولاً، فإنما المعنى إنا بدأنا خلق آدم ثم صورناه، فابتداء خلق آدم التراب، الدليل على ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ مثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَاب﴾.

فبـدأ اللَّه خلق آدم ترابـاً، وبدأ خلق حـواءَ من ضلع من أضـلاعـه، ثم

(١) بدلاً من الواو المعلولة في مصيبة أي التي أعلت. لأن الفعل صاب يصوب.

وقعت الصورة بعد ذلك، فهذا معنى ﴿خلقناكم ثم صورناكم﴾. أي هذا أصل خلقكم. ثم خلق اللَّه نطفاً ثم صُوِّرُوا. فثمَّ إنما هي لما بعدُ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَة اسْجُدُوا لآدَمَ﴾.

أي بعد الفراغ من خَلْق آدمَ أُمِرَتِ الملائكَةَ بالسجود.

وقوله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِين﴾.

استثناء ليس من الأول، ولكنه[1] ممن أُمِرَ بالسجود، الدليل على ذلك قوله.

﴿ما مَنَعك أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُك﴾.

فدل بقوله: ﴿إذ أمرتك﴾ أَنَّ إِبْلِيسَ أُمِرَ بالسجود مع الملائكة، ومعنى ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ الْغَاءُ «لا»[2]، وهي مؤكدة، المعنى: ما منعك أن تسجد فمسألته[3] عن هذا واللَّه قد علم ما منعه، توبيخ له وَلْيُظْهِرَ أنه معاند، وأنه ركب المعصية خلافاً[4] للَّه، وكل من خالف اللَّه في أمره فلم يَرَهُ وَاجِباً عليه كافرٌ بإجماع، لو ترك تارك صلاةً قال إنها لا تجب كان كافراً بإجماع الأُمة، فأعلم اللَّه جلّ ثناؤه أن معصية إبليس معصية معانَدَة وكفر، وقد أعلم اللَّه أنه من الكافرين فقال: ﴿إلا إِبْلِيسَ أَبَى واسْتَكْبَرَ وَكانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

فَالْفَصْلُ بين معصية إبليس ومعصيةِ آدمَ وحَوَّاءَ أَنَّ إبليس عاند وأقام ولم يتب، وأن آدم وحواءَ اعترفا بالذنب وقالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وإِلا تَغْفِرْ لنا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِين﴾[5].

---

(١) أي إبليس.

(٢) أي «لا» زائدة.

(٣) سؤاله عن عدم السجود.

(٤) مخالفة وعصياناً.

(٥) ثم إنهما عصيا نسيانا لا معاندة.

ومثل «أَلَّا» في قوله: ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ قوله: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهلُ الْكِتَابِ﴾ (أَي) لأَن يعلم أَهل الكتاب، وقول الشاعر:

أَبى جودُه «لَا» البخل واستعجلت به　　«نعم» من فتى لا يمنع الجوعَ قاتله[1]

قالوا معناه أَبى جودُه البخلَ.

وقال أَبو عمرو بنُ العلاءِ: الرِّوَايَةُ أَبى جوده البخل.

واستعجلت به «نَعَمْ»، والذي قاله أَبو عمرو حسن، المعنى أَبى جوده «لا» التي تُبخِّل الإِنسان، كأَنه إذا قيل: لا تسرف ولا تبذر مالك أَبى جودُه «لا» هذه، واستعجلت به «نعم»، فقال: نعم أَفعل ولا أَترك الجودَ.

وهذان القولان في البيت هما قولا العلماء، وأَرى فيه وجهاً آخر وهو عندي حسن. أَرى أَن تكون «لا» غير لغو، وأَن يكون البخل منصوباً بدلاً من «لا». المعنى أَبى جودُه البُخْلَ واستعجلت به «نعم».

وموضع «ما» في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَا تَسْجُدَ﴾ رفع، المعنى أَي شيء منعك في السجود، فلم يقل منعني كذا وكذا فأَتى بالشيء في معنى الجواب، ولفظه غير جواب، لأَن قوله: ﴿أَنَا خَيرٌ مِنْهُ﴾ في معنى منعني من السُّجود فَضلي عَلَيْه. ومثل هذا في الجواب أَن يَقول الرجل كيف كنت، فَيَقولُ: أَنا صالح، وإنما الجواب كنت صالحاً، ولكن المعنى أَنه قد أَجابه بما احتاج إليه وزاده أَنه في حال مسأَلته إياه صالح فقال اللَّه عزّ وجلّ:

---

(١) البيت في اللسان «لا». والخصائص ٢/٣٥، وشواهد المغني ٢١٧.

ذكر يونس أن أبا عمرو كان يجر «البخل» ـ أي بإضافة «لا» إليه ـ وقد أشكل إعرابه على الشراح ـ وأقربها جر البخل ونصب «قائله» على الحال أو على أنه مفعول به أي لا يمنع الجود ممن يريد قتله، والرواية إذن «لا يمنع الجود قاتله» أما رواية «الجوع» فغامضة. ومعنى «لا البخل» لا الدالة على البخل وفسر السيوطي البيت بأنه مدح لشخص كريم، يأبى له جوده أن يقول «لا» التي تستعمل للبخل، واستعجلت به كلمة «نعم» أي سبقت «لا» ـ كقول الشاعر:

واستعجلونا وكانوا من صحابتنا

﴿فاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرينَ﴾.

لأنه قد استكبر بهذا الجواب فأعلمه اللَّه أنَّه صاغرٌ بهذا الفِعْل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

أي أخِّرني إلى يومِ البَعْثِ، فلَم يُجب إلى الإِنْظَارِ إِلَى يَوْمِ البعث بعينه، وأُعْلمَ أنه منظور إلى يوم الوقْت المعْلُوم.

﴿قَالَ فبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

في قوله: ﴿أغويتني﴾ قولان. قال بعضهم: فبما أَضْلَلْتَنِي وقال بعضهم: فبما دَعَوْتني إلى شيء غَوِيت به، أي غويتُ من أَجْل آدم.

﴿لأَقْعُدنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

ولا اختلاف بين النحويين في أن «على» محذوفة، ومن ذلك قولك: ضُرِبَ زيد الظهْر والبَطْنَ.

وقوله: ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِم﴾.

معناه - واللَّه أعلم - ثم لآتينَّهمْ في الضَّلَال من جميع جهاتهم، وقيل من بين أيديهم أي لأضِلنهم في جميع ما يُتَوَقَّعُ، وقيل أيضاً: لأُخوِّفنَّهم الفَقرَ، والحقيقةُ - واللَّه أعلم - أي أَنْصَرِفُ لهم في الإضلال في جميع جهاتهم.

وقوله: ﴿قَالَ اخْرُجْ منْهَا مَذْؤُوماً مَدْحُوراً﴾.

معنى مَذْءُومٍ كمعنى مَذْمُومٍ، يُقَالُ: ذَأَمْتُه أَذْأَمُه ذَأْماً، إذا رَعَبْتَه وَذَمَمْتَه(١).

ومعنى ﴿مَدْحُوراً﴾. مُبْعَداً من رحمة اللَّه.

---

(١) رعبه - كمنعه - خوفه - فرعب، وذأمه - كمنعه أيضاً: حقره وذمه وطرده، فإبليس هنا ذم باللعنة، وطرد من الجنة.

وقوله: ﴿لَمَن اتَّبِعَكَ مِنْهُمْ﴾.

هذه اللام لام القسمِ تدخلُ توطئة للأمر.

﴿لأملأنَّ﴾.

والكلام بمعنى الشرط والجزاء، كأنه قيل: من تبعك أُعَذِّبه، فدخلت اللام للمبالغة والتوكيد[1]، ولام لأملأن لام القسمِ ولام «من تبعك» توطئة لها[2]، يجوز في الكلام: واللَّه من جاءَكَ لأَضْربنَّه، ولا يجوزُ: واللَّه لَمَنْ جَاءَكَ أضربه[3]، وأنت تريدُ لأضربنه، ولكن يجوز: واللَّهِ لمنْ جاءَكَ أَضْرِبْهُ تريد لأَضْرِبَنَّه[4]، وقال بعضهم في قوله: ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي لأُغوِيَنَّهُمْ فيما أُمِرُوا به.

وقوله: ﴿وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾ أي لأُغوينَّهم فيما نُهُوا عَنْه والذي أظنه ـ واللَّه أعلم ـ على هذا المذهب: أني أُغويهم حتَّى يُكَذِّبُوا بأُمور الأمم السالِفَةِ وبالبَعْث، كما ذكر في هذا، ومعنى: ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾. أي لأُضِلَّنَّهمُ فيما يَعْمَلُونَ، لأنَّ الكسب يقال فيه: ذَلِكَ بِمَا كسبتْ يَدَاك، وإن كانت اليدان لم تجنيا شيئاً، إلا أنه يقال لكل ما عمله عامل كَسَبَتْ يَدَاكَ، لأَنَّ اليَدَيْن الأَصلُ في التصرف فجعلتا مثلاً لجميع مَا عُمِلَ بغيرهِمَا، قال اللَّه عزّ وجلّ ذَلِكَ بِمَا كَسَبَتْ يَدَاكَ[5]، وقال: ذلك بما كسبت أَيْديكم[6]، وقال:

---

(١) اجتمع الشرط والقسم ـ فاللام في «لأملأن» في جواب القسم.

(٢) اللام في «لمن تبعك» لام القسم. موطئه للام في لأملأن.

(٣) لأن توكيده هنا واجب.

(٤) لأن المذكور جواب الشرط، وجواب القسم محذوف مقدر فيه التوكيد ولهذا جزم المضارع، والأولى دائماً حذف جواب المتأخر من الشرط والقسم.

(٥) لا توجد آية بهذا اللفظ ولكن يوجد: ﴿ذلك بما قدمت أيديكم﴾ (آل عمران) ١٨٢.

(٦) لا توجد آية بهذا اللفظ. ولكن في القرآن: ﴿بما كسبت أيدي الناس﴾: سورة الروم الآية ٤١، ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ سورة الشورى الآية ٣٠.

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَب﴾[1] ثم فسَّر فقال: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مالُهُ ومَا كَسَبَ﴾.

وقوله: ﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ ﴾.

هـذا الاختيـارُ، أَعْنِي ذكـر أَنْتَ، تقـول إذهب أَنْتَ وزيـدٌ، ولـو قلت: إذهب وزيد كان قبيحاً[2].

وقد فسَّرناهُ فيما سَلَف:

وقوله: ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجرَةَ ﴾.

قال بعضهم: هي السُّنْبلَةُ، وقيل هي شَجرةُ الكَرْمِ.

وقوله: ﴿فَتكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

الأَجود أَن يكون. «فتكونا» في موضع نصب على جوانب الأَمر بـالفاءِ. أي فإنكما إن قربتماها كنتما من الـظالمين. ويجوز أَن يكـونَ في موضـع جزم عطفاً على قوله: وَلاَ تَقْرَبَا فَتَكُونَا، أَي فلا تكونا من الظالمين.

وقوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾.

تدل واللَّه أَعلم على مَعْنى قوله:

﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجرَةِ إلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾.

ويجـوزُ مَلِكين، لأَنّ قـولـه: ﴿هَـلْ أَدُلُّـكَ عَلَى شَجـرَةِ الخُلْدِ وَمُلْك لاَ يَبْلَى﴾[3] يدل على مَلِكَيْن وأحسبه قد قـرئ به، فتـدل ـ واللَّه أَعلم ـ على أَن القـول إنما كـان وسوسـة من إبليس. والأَجود أَنْ يكـون خـطابـاً[4]، لقـولـه: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصحينَ﴾[5].

---

(١) لا تدل اليد هنا على الكل لأنه ذكر بعدها «وتب».

(٢) أي ممنوع، وإنما ينصب المعطوف هنا مفعولاً معه حيث لا فاصل بعد ضمير الرفع.

(٣) سورة طه آية ١٢٠.

(٤) جهراً وليس وسوسة، لأنه تقاسم وإياهما، والمخالفة لا تكون وسوسة.

(٥) على هذا «وسوس» بمعنى همس وزين.

أي فَحَلَفَ لَهما:

﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾.

أي دَلَّاهُمَا فِي المعصية بأن غرهما.

﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾.

أي ظهرت لهما فروجُهُمَا، وإنما السَّوْءَةُ كناية عن الفَرْجِ، إلَّا أنَّ الأصلَ - في التسمية السَّوءَةُ.

وقوله عزّ وجَل: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ﴾.

مَعْنى طَفِقَا أَخَذَا في الفِعْل، والأكثر طَفِقَ يَطْفَقُ. وقَدْ رُوِيَتْ طَفَق يطفِقُ، بكسر الفاءِ.

وقِيلَ: كان ورقُ الجنَّةِ ذلك ورقَ التِّين، ومعنى يَخْصفَانِ، يجعلانِ وَرَقَةً على ورَقَة، ومنه قيلِ للخَصَّافِ الذي يَرْقَع النَّعْلَ: هو يخصِفُ، قال الشاعر:[1]

أو يخصف النعلَ لهْفِي أَيَّةً صَنَعَا

وَيَجُوزُ يَخْصِفَانِ وَيخصِّفَان، والأصل الكسر في الخاءِ، وفتحها وتشديدُ الصَّادِ[2]، ويكون المعنى: يَخْتَصِفَانِ.

وفي هذه الآية دليل على أن أَمْرَ التكشُّفِ وإظهَارَ السوءَة قبيح من لَدُنْ[3]

---

(١) هو الأعشى من عينيته التي تقدمت أبيات منها، وهو يتحدث عن زرقاء اليمامة، وقبله:

ما نظرت ذات أشفار كنظرتها   حقاً كما نطق الذئبي إذ سجعا

وصدره: قالت أرى رجلاً في كفه كتف

وكذبوها بما قالت فصبحهم   ذو آل غسان يزجى الموت والشرعا

انظر الكامل جـ ٢ / ٣١.

(٢) يخصفان مثل يخطف ويهدي.   (٣) أي منذ عهده.

آدم. ألا ترى أنه ذكر عظم شأنها في المعصِية فقال: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا﴾.

وأنهما بادَرَا يسْتَتِرَانِ لقُبْحِ التكَشُّف.

وقوله: ﴿وُورِيَ عَنْهُمَا﴾.

يجوز فيه أُورِيَ، لأَنَّ الـواوَ مَضْمومَـةٌ، إنْ شِئْتَ أَبْدلتَ منهـا همزة، إلَّا أن القراءَة تُتَّبَعُ في ذلك. والقراءَةُ المشهورةُ وخط المصحف ﴿وُورِيَ﴾ بالواو.

ومعنى إلَّا أَنْ تكُونَا مَلَكَيْنِ، وقوله: ﴿ذاقَا[الشَّجرَةَ]﴾.

يدل على أنهما ذاقاها ذَوْقاً ولم يُبالِغَا في الأَكْلِ.

وقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً﴾.

ويقرأ وَرِيَاشاً.

والرِّيشُ اللباس. العرب تقول: أَعْطَيْتُه بريشتِهِ، أي بكسوته، والـريش، كل ما سَتَر الرَّجُلَ في جِسْمِه ومعيشتِه، يقال: ترَيَّشَ فلان أي صار له مَا يَعيشُ بِه، أنشد سيبويه وغيرُه [(١)].

فـريشي منكمو وهـواي معكم ... وإن كـانت زيـارتكم لمـامـا

﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾.

برفع اللباس، فمن نصَبَ عطفَ بـه على الرِّيش يكـون المعنى: أنزلنـا عليكم لبـاس التقوى، وَيَـرْفَعُ خيـراً بِذَلِـكَ[(٢)]، ومن رفع اللبـاسَ فَرَفْعُـه على ضربين: أحدهما أن يكون مبتدأ ويكون ذلـك من صفته، ويكـون ﴿خَيْرٌ﴾ خبرَ الابتداء. المعنى ولباس التقوى المشارُ إليه خَيْرٌ.

ويجوز أن يكون. ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ مرفوعـاً بإضمـار «هو» المعنى [هـو]

(١) تقدم جـ ١ ص ٨٨.

(٢) أي يكون خيراً والمبتدأ ذلك. أي ذلك اللباس أفضل.

لباس التّقوى: أي وستر العورة لبَاسُ المتَّقِينَ،ثم قال: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ ويكـون[1] على أن لباس التقوى مرفوعٌ بالابتداءِ، ويكون «ذَلِكَ» خَيْرٌ يرتفع به «خَيْرٌ» على أنه خير ذلك[1]. ويكون ذلك بمنزلـة «هو» كـأنه ـ واللَّه أعلم ـ ولبـاس التقوى هـو خير، لأن أسمـاءَ الإشارة تقـرب فيمـا يعـود من الـذكـر من المضمـر[2]، والوجهان الأَوَّلَانِ أبينُ في العربية.

وقوله: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُه مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾.

«حيثُ» في مـوضوع جـر إلا أنهـا بُنِيَتْ على الضَّمِّ، وأَصلهـا أن تكـون موقوفةً، لأنها ليست لمكانٍ بعينه وأن ما بعدها صلة لها، لَيْسَتْ بمضافة إليه.

ومِنَ العَربِ من يقول. . [و] «من حَيْثَ خَرَجْتَ»[3] فيفتح لالتقاءِ الساكنين، ومنهم من يقـول مِن حَوْثُ خَـرجتَ. ولا تقـرأ بهـاتين اللغتين لأنهمـا لم يقـرأ بواحد منهما ولا هما في جودة حَيْثُ المبنيّةِ على الضَّمِّ.

وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[4].

«جَعَلْنَا» في اللغة على ضُرُوب، منها جعلتُ بعض الشيءِ فـوق بَعْض، أي عملته وهَيَّأْتُه على هذه الصِّيغَة، ومنها جَعلَ زيدٌ فُلاناً عاقِلاً، تأْويله: سماه عَاقِلاً، ومنها جَعلَ يَقُولُ كذا وكذا، تأْويله أنه أَخذ في القول.

فأما مَعْنَى الآيةَ فعلى ضربين ـ واللَّه أعلم ـ.

أَحدهما أن يكون الكفارُ عُوقبوا بأَن سُلِّطَتْ عليهم الشَّيَاطين تزيدهم في غَيِّهم عُقُوبةً على كُفْرِهِمْ كما قَالَ عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَـرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيـاطِينَ عَلَى

---

(١) أي هذا وجه آخر. جعل فيه «ذلك خير» جملة مخبر بها عن لباس التقوى.

(٢) الخبر إذن جملة، وذلك هي الرابط.

(٣) ذلك رابط تقوم مقام الضمير.

(٤) سورة الأعراف. آية ٢٧.

الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[1]، أي تَحْمِلُهمْ على المعاصي حَمْلاً شَدِيداً، تَزعجهم في شدّةِ الغَيّ.

ويجوز إِنَّا جعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ، أي سوينا بين الشياطين والكافرين في الذهاب عن اللّه. كما قال: ﴿المُنَافقون والمُنَافِقَاتُ بعْضُهُم منْ بَعْضٍ﴾[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾.

معنى الفاحشة ما يشتد قبحه من الذنوب.

﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آباءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾.

فأعلم اللّه ـ عزّ وجلّ ـ أنه لا يأمر بالفحشَاءِ لأن حكمتَه وجميعَ ما خلق تدل على أنه لَا يفعلُ إلاَّ المُسْتَحسَنَ، فكيف يأْمُرُ بالفحشاءِ. وقد احتج عليهم في غير هذا الموضوع بما قد بيَّنَّاهُ في سورة الأَنعام.

وقوله :﴿قلْ أَمَرَ رَبِّي بالقِسْطِ﴾.

أي بالعَدْلِ، فكيف يأْمُرُ بـالفَحشاءِ من يُعْلَمُ أَنـه لا يفعل إلا الحكمـة، ولا يثبتُ إلا العدلَ مِنْ أَمْرِه، فإذا كان يأْمر بالعدل ـ والعدْلُ ما قـام في النفوس أَنـه مستقيم لا ينكره مميـز ـ فكيف بالفحشـاءِ، والفحشاء مـا عظم قبحـه. ثم وبَّخَهُم فقال:

﴿أَتقُولُونَ عَلى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

أي أَتَكْذِبونه.

وقوله :﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجد﴾.

أي وَقْتَ كُلّ صَلَاةٍ اقصدوه بصلاتكم.

---

(۱) سورة مريم ۸۳.

(۲) سورة التوبة ٦٧.

﴿وادْعُوه مُخْلِصِين لَه الدِّينَ﴾.

أي مخلصين له الطاعة. احتج عليهم في إنكارهم البعث، وهو متصل بقوله:

﴿فِيهَا تَحيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرجُونَ﴾. فقال:

﴿كمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾.

أي فليس بعثكم بأشدَّ من ابتدائكم.

وقوله: ﴿فَرِيقاً هَدَى، وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾.

معناه إنه أَضَلَّ فَرِيقاً حَقَّ عليهم الضلالة. ثم قال:

﴿إِنَّهُمُ اتخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّه﴾.

ولو قُرِئَتْ أَنَّهم اتَّخَذُوا الشياطين لكانت تجوز[١]، ولكن الإجماع على الكَسْرِ.

وقوله: ﴿وَيَحْسَبُونَ أنهمُ مُهْتَدُونَ﴾.

يدل على أن قوماً ينتحلون[٢] الإسلامَ ويزعمونَ أن من كان كافراً، وهو لَا يعلمُ أنه كافر فليس بكافرٍ مُبْطِلُون[٣] لأمر نِحْلتِهمْ، لأن اللَّه جلّ ثناؤه قد أعلمنا أنهم يَحْسَبُون أنهُمْ مهتدون، ولا اختلاف بين أهل اللغة في أن الحُسْبَانَ ليس تأويله غيرَ مَا يُعْلم من معنى حسب[٤].

والدليل على أن اللَّه قد سماهم بظنهم كَفَرةً قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا خلقْنَا السَّمَاءَ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُما بَاطِلاً، ذَلِكَ ظَنُّ الذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ للذين كفَرُوا مِنَ النارِ﴾[٥] فأَعلم أنهم بالظنِ كافِرونَ، وأنهم معذبون.

---

(١) أي بتقدير لأنهم اتخذوا.

(٢) «ينتحلون» نعت لقوم، أي ان أي قوم يعقلون ذلك مبطلون.

(٣) خبر «إن قوماً».

(٤) أي هم يظنون أنهم مهتدون وليس الأمر كذلك.

(٥) سورة ص آية ٢٧.

وقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

هذا أَمْرٌ بالاسْتِتَارِ في الصلوات، وكان أهلُ الجاهليّة يطوفون عُراةً، ويَقُولون: لا نطوف حول البيتِ في ثياب قَدْ أَذْنَبْنَا فِيهَا، وكانت المرأة تطوف عُرْيَانَةً أيضاً إلا أنها كانت تشُدُّ في حَقْوَيْهـا أشياءَ من سُيورٍ مقطعة، تُسَمِّي العرب ذلك الرهْط، قالت امرأة تطوف وعليها رهط:[1]

اليَوْمَ يَبْدو بعضُه أو كُلُّه فما بدا منه فلا أُحِلُّه[2]

تعني الفرجَ، لأن السيور لا تسترُ سَتْراً تامًّا.

فأمر اللَّه بَعْدَ ذِكرِه عقوبةَ آدم وحواءَ في أن بَدَتْ لهما سوءَاتُهما، بالاستتار في وقت كل صلاة، بعد أن أعلم أن التعرِّيَ وظُهُورَ السوءَةِ مكروه من لدن آدم، وقوله بعقب الاستتار:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾.

لأنهم ادَّعَوْا أنَّ اللَّه جلّ ثناؤه قد حرم عليهم شيئاً مما في بطون الأنعام، وحرم عَلَيْهم البَحِيرَةَ والسائبة، وكانوا يزعُمونَ فيما يأتون من الفحشاءِ كالتعرِّي وما أَشْبَهَهُ ـ أن اللَّه جلّ ثناؤه ـ أمرهم بذلك فأمرهم اللَّه بالاستتار، وأن يأكلوا ما زعموا أنَّ اللَّه عزّ وجلّ حرمَه مما لم يحرّمه، وأن يشربوا مما

(١) الرهط جلد يشق من أسفله ليمكن المشي فيه، تلبسه الأطفال والحيض، أو جلد يشق سيوراً.

(٢) كان قوم من العرب يطوفون بالبيت عرايا، ويطوف النساء ليلاً أو يلبسون «رهطاً» حتى جاء الإسلام فحرم ذلك، وهذه المرأة تتحدث عن فرجها، تقول: إنها مع ما يبدو من فرجها عفيفة وما بدا من سوءتها لا تحله، بل هي مع هذا محافظة على عفتها. وصاحبة الشعر هي أسماء بنت مخربة أم أبي جهل والحرث، وتزوجت عبدالله بن ربيعة بن المغيرة فولدت له عياشاً ـ واختلف في إسلامها، واختار ابن حجر أنها أسلمت وماتت في خلافة عمر. وذكر مع هذا البيت بيتاً آخر: هو:

كم من لبيب عاقل يضله وناظر ينظر ما أعله

انظر الإصابة جـ ٤/ ٢٣٢، ٥٥ من تراجم النساء، ويقال ان الآية نزلت فيها.

والبيت في معاني الفراء جـ ١ ـ ٧٧ والطبري ٨/ ١٠٤، ١٠٩.

زعموا أن اللَّه جلّ وعزّ حرم عليهم شربه، لأن ألبان البحيرة والسائبة كانت عندهم حراماً.

وقوله: جلّ وعزّ: ﴿ وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ ﴾.

والإسراف أن يَأْكُلَ مَا لاَ يَحِلُّ أَكْلُه مما حرمَ اللَّه تعالى أَنْ يُؤكَلَ شَيءٌ منه، أو تأكل مما أحل لك فوق القصد ومقدار الحاجة، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنه لا يحب من أسرف، ومن لم يُحْبِبْهُ اللَّه عزّ وجلّ فهو في النار. ثم قَرَرَهم وَوَبخهم فقال:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّه الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾.

أي من حرم أن تلبسوا في طَوَافِكُمْ مَا يَسْتُرُكُمْ.

﴿والطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾.

أي ومن حرم الطيبات مما رزق اللَّه، أي من حرم هذه الأشياءَ التي ذكرتم أنها حرام.

ثم قال عزّ وجلّ:

﴿قُلْ هِيَ لِلَّذين آمَنوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ﴾.

وتقرأ خالصةً وخالصةٌ يومَ القيامة.

المعنى أنها حلال للمؤمنين، وقد يَشْرَكُهُمْ فيها الكافرون.

أعلم عزّ وجلّ أَنَّ الطَّيبَات تَخْلُصُ للمؤمنين في الآخرة ولا يَشْرَكُهُمْ فيها كافر.

فأما إعراب «خَالصَةٌ» فهو أَنَّهُ خبر بعد خبر، كما تقول: زيد عاقِلٌ لَبيبٌ. فالمعنى قل هي ثابتةٌ للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصةٌ يومَ القيامة، ومن قرأ خالصةً جعل خالصة منصوباً على الحال، على أن العامل في قولك في الحياة الدنيا في تأويل الحال. كأنك قلتَ: هي ثابتة للمؤمنين مستقرة في الحياة الدنيا خالصةً يوم القيامة.

وقوله: ﴿وأَنْ تُشْرِكُوا باللَّه مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً﴾.

موضع أَن نَصْبٌ: المعنى حرم اللَّه الفواحش تَحريمَ الشِّرك.

ومَعْنَى ﴿لَمْ يُنَزِّلْ بِه سُلْطَاناً﴾: أَي لم ينزل به حجَّةً.

وقوله عزّ وجلّ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: أَي وَقْتٌ مؤقَّتٌ.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

المعنى: ولا يستقدمون ساعة، ولا أَقل من ساعة، ولكن ذُكِرَتِ الساعة لأَنها أَقلُّ أسماءِ الأَوقات.

وقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾.

آدم لا ينصرفُ لأَنه على قدر أَفْعَل وهو معرفة، وهو مشتق من أَدَمَةِ الأَرْض، وهو وجهها، فسمي بما خلق منه، واللَّه عزّ وجلّ أَعلم.

وقوله: ﴿إما يأْتِينَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾.

هذه «إِن» التي للجزاء، ضمَّتْ إِليها ما. والأَصل في اللفظ «إِنْ ما» مفصولة، ولكنها مدغمة، وكتبتْ على الإِدغام، فإِذا ضُمَّتْ إِن إِلى ما، لزم الفِعْلَ النونُ الثَّقِيلةُ أَو الخفيفة، وجواب الجزاءِ في الفاءِ، أَي في قوله: ﴿فَمَن اتَّقى وأَصْلَحَ﴾.

فإِنما تلزم «مَا» النونُ لأَن ما تدخل مؤَكِّدة فتلزمها النون كما تلزم اللامَ النُّونُ في القَسمَ إِذا قلت: واللَّه لَتَفْعَلنَّ، فما توكيد، كما أَنَّ اللام توكيد، فلزمت النونَ كما لزمت لامَ القسم.

وقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افتَرَى عَلى اللَّه كَذِباً﴾.

أَيُّ ظُلْم أَشنع من الكذب على اللَّه.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتَابِ﴾.

أَي ما أَخبر اللَّه جلّ ثناؤه من جزائهم نحو قوله: ﴿فأَنْذَرتُكُمْ نَاراً

تَلَظَّى﴾[١] ونحو قوله: ﴿يَسْلُكْهُ عَذَاباً صُعُداً﴾[٢] ونحو قوله: ﴿إِنَّ المُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[٣]،ونحو: ﴿إِذِ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ والسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ. فِي الحَمِيمِ﴾[٤]، فهذه أَنْصِبَتُهُمْ من الكتاب على قدر ذُنُوبهم في كفرهم.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾.

زعم سيبويه ـ والخليل ـ أن «حَتَّى» و «إِمَّا» و «إِلَّا» لا تجوز فيهن الإمالة. لا يجيز: ﴿حتى إذا جاءَتهم﴾ ولا يجيز «أَمَّا»، ولا «لا إله إِلَّا اللَّهُ»[٥]، هذا لحنٌ كله، وزعم أن هذه أَلفات الفَتح لأَنَّها أَواخر حروف جاءَت لمعنًى، فَفُصِلَ بينها وبين أَوَاخر الأَسماءِ التي فيها الأَلف نحو حُبْلَى وهدى، إلّا أَن حتى كُتبتْ بالياءِ، لأَنها على أَربعة أَحرف، فأَشبهت سكرى. و«إِمَّا» الَّتِي للتخيير شبهت بإِن التي ضمت إِليها «ما» مثل قوله: ﴿إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ، وإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِم حُسْناً﴾[٦]، كُتِبَتْ بالأَلف لما وصفنا، و «إِلَّا» أَيضاً كُتبتْ بالأَلف لأَنها لو كُتِبَتْ بالياءِ لأَشبهت إِلى.

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾.

فيه ـ واللَّه أَعلم ـ وَجْهان:

يكون: حتى إذا جاءَتهم ملائكة الموت يتوفونهم سألوهم عند المعاينة، فيعرفون عند موتهم أَنهم كانوا كافرين، لأَنهم ﴿قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدعُونَ مِنْ دُونِ اللَّه قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾.

أَي بطلوا وذهبوا.

---

(١) سورة والليل الآية ١٤.

(٢) سورة الجن ١٧.

(٣) سورة النساء الآية ١٤٥.

(٤) سورة غافر ٧١ ـ ٧٢.

(٥) لا يجوز إمالتها، وإمالتها لحن.

(٦) سورة الكهف الآية ٨٦.

ويجوز - واللَّه أعلم - أن يكون: حتى إذا جاءتهم رسلنا ملائكة العذاب يتوفونهم، فيكون ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ في هذا الموضع على ضربين، أحدهما يتوفونهم عذاباً، وهذا كما تقول: قد قتلت فلاناً بالعَذاب وإن لم يمت. ودليل هذا القول قوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾[1].

وجائز وهو أضعف الوجهين أنهم يتوفون عدَّتهم واللَّه أعلم.

وقوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾.

لأنهم ضل بعضهم بأتباع بعض.

﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا﴾.

أي تداركوا، وأُدغمت التاءُ في الدال، فإذا وقفت على قوله «حتى إذا» لم تبتدئ حتى تأتيَ بألف الوصل، فتقول: ادَّارَكوا فتأتي بألف الوصل لسكون الدال فيها.

ومعنى تداركوا اجتمعوا.

وقوله ﴿جميعاً﴾ منصوب على الحال، المعنى حتى إذا تداركوا فيها مجتمعين.

﴿قالَتْ أُخرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاَءِ أَضَلُّونَا﴾.

أي قالت أُخراهم: دعتهم أولاهم فاتبع الآخِرُ الأَوَّلَ. فأَعلم التابعونَ أن المتبوعين أَضَلُّوهُمْ بأن دَعَوْهم إلى الضلال، والمعنى قالت أُخراهم يا ربنا هؤلاءِ أضلونا، لأولاهم، تعني أُولاهم[2].

وقوله: ﴿فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ﴾.

---

(١) سورة إبراهيم الآية ١٧.

(٢) قالت أخراهم مشيرة إلى أولاهم يا رب هؤلاء أضلونا، وقوله تعني أولاهم أي تعني بكلمة هؤلاء الإشارة إليهم.

أي عذاباً مُضاعَفاً لأن الضعف في كلام العرب على ضربين أحدهما المثل، والآخر أن يكون في معنى تضعيف الشيءِ.

﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾.

أي للتابع والمتبوع لأنهم قد دخلوا في الكفر جميعاً، أي لكل عذاب مضاعف، فمن قرأ: ﴿وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ بالتاءِ.

أي ولكن لا تعلمون أيها المخاطبون ما لكل فريق منكم من العذاب، ومن قرأ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُون ـ بالياءِ، أي ولكن لا يعلم كل فريق مقدار عذابِ الفريق الآخر.

ويجوز ـ والله أعلم ـ ولكن لا تعلمون يا أهل الدنيا مقدار ذلك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بآياتنا واسْتَكبَرُوا عَنْهَا﴾.

أي كذَّبُوا بحججنا وأعلامِنَا[1] التي تدل على نبوة الأنبياءِ وتوحيد الله.

﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾.

أي لا تَصْعَدُ أرواحهم ولا أعمالهم، لأن أعمال المؤْمنين وأرواحهم تصعد إلى السماءِ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِلَيْه يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِبُ﴾[2].

ويجوز لا تُفْتَح ولا تُفَتَّحُ بالتخفيف والتشديد، وبالياءِ والتاءِ.

وقال بعضهم: لا تفتح لهم أبواب السماءِ، أي أبواب الجنة، لأن الجنة في السماءِ، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ﴾.

فكأنه لا تفتح لهم أبواب الجنة ولا يدخلونها ﴿حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِيَاطِ﴾.

---

(١) جمع علم أي إخباراتنا.

(٢) سورة فاطر الآية ١٠.

فالخياط الإبرة، وسمها ثقبها.

المعنى لا يدخلون الجنة أبداً.

وسئل ابن مسعود عن الجَمَلِ فقال هو زوج الناقة. كأنه إستجهل من سأله عن الجمل.

وقرأ بعضهم الجُمل، وفسَّروه فقالوا قَلسُ[1] السفينة.

وقوله عزّ وجلّ ﴿وكذلك نجزي المجرمين﴾، أي ومثل ذلك الذي وصفنا نجزي المجرمين.

والمجرمون - واللَّه أعلم - ههنا الكافرون، لأن الذي ذكر منْ قصتهم التكذيبُ بآيات اللَّه، والاستكبار عنها.

﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّم مِهَادٌ﴾.

أي فراش من نار.

﴿وَمِنْ فوقِهِمْ غَوَاشٍ﴾.

أي غاشية فوق غاشية من النار.

وقوله: ﴿وَكَذلك نَجْزي الظَّالمينَ﴾.

والظالمون ههنا الكافرون.

وقوله «غَوَاشٍ» زعم سيبويه والخليل جميعاً أن النون ههنا عوض من الياءِ، لأن غواشيَ لا تنصرف، والأصل فيها غَوَاشيْ، بإسكان الياءِ[2]. فإذا ذهَبَت الضَّمَّةُ أُدْخَلْتَ التنوين عوضاً منها، كذلك فسر أصحاب سيبويه، وكان سيبويه يذهب إلى أن التنوين عوَضٌ من ذهاب حركة الياءِ، والياءُ سقطت لسكونها وسكون التنوين. فإذا وقفت فالاختيار أن تقف بغير ياءٍ، فتقول

(١) الحبل الضخم الغليظ.

(٢) في الوقف، والفتح في حال الوصل.

غَوَاشٍ، لتدل أن الياءَ كانت تحذف في الوَصْل. وبعض العرب إذا وقف قال غَـوَاشي، بـإثبـات اليـاءِ، ولا أرى ذلـك في القـرآن لأن اليــاءَ محـذوفــة في المصحف، والكتاب[1] على الوقف.

وقـوله عـزّ وجلّ: ﴿وَالَّذينَ آمَنُوا وعملُوا الصَّـالحات، لَا نُكَلِّفُ نفْسـاً إِلا وسْعها﴾.

أي عملوا الصالحات بقدر طاقتهم، لأن معنى الوسع ما يقدر عليه.

وقوله: ﴿أُولئك أَصْحَابُ الجنَّة هُمْ فيها خَالدُونَ﴾.

أُولئك رفع بالابتداءِ، وأَصحاب خبر، وهم والجملة خبر الذين، ويرجع على الذين أَسماءِ الإِشارة، أَعني أُولئك.

قوله: ﴿وَنَزَعْنا مَا فِي صُدُورهِمْ من غل﴾.

قـال بعضهم: ذهبت الأَحقـاد التي كـانت في قلوبهم، وحقيقتـه - واللَّه أَعلم - أَنه لا يحسد بعضُ أَهل الجنَّة بعضاً في عُلوِّ الرُّتبة، لأَن الحسدَ غلٌّ.

وقوله تعالى: ﴿تجْرِي من تحْتهُمُ الأَنْهارُ﴾.

في معنى الحـال، المعنى ونـزعْنـا مـا في صـدورهم من غـل في هـذه الحـال، ويجوز أَن يكـون «تجري» إخبـاراً عن صفة حـالهم، فيكـون تجـري مستأْنفاً.

ومعنى ﴿هَدَانا لهذا﴾.

أَي هدانا لما صيرَنا إِلى هذا، يقال: هديت الرجل هداية وهدى وهدْياً، وأَهْدَيت الهَدْيَة فهي مُهداة، وأَهديت العروس إِلى زوجها وهديْتُها.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَنودُوا أَنْ تلكُمُ الجَنَّةُ﴾.

---

(١) أي الكتابة والرسم.

في موضع نصب، وهَهُنَا الهاءُ مضمرة[1]، وهي مخففَة من الثقيلة[2].
والمعنى نودوا بأنه تلكم الجنَّةُ.

والأجود - عندي - أن تكون أن في موضع تفسير النداءِ[3]، كان المعنى، ونودوا أن تلكم الجنة، أي قيل [لهم]: تلكم الجنَّة، وإنما قال: تلكم، لأنهم وُعدوا بها في الدنيا، فكأنه قيل: هذه تلكم التي وعدتم بها. وجائز أن يكون عاينوها فقيل لهم من قبل دخولها إشارة إلى ما يَرَوْنَه: تلكم الجنَّة، كما تقول لما تراه: ذلك الرجل أخوك. ولو قلت: هذا الرجل لأنه يراك جاز، لأن هذا وهؤلاءِ لما قرب منك، وذاك وتلك لما بَعُدَ عنك، رأيته أو لم تره.

وقوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الجنَّة أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾.

معنى «أن» ههنا إن شئت كان مفسراً لما نادى به أصحاب الجنة، والمعنى أي قد وجدنا، ويجوز أن تكون أن الشديدة وخففت، المعنى أنه قد وجدنا، قال الشاعر:

في فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يحفى وينتعل[4]

وقوله: ﴿قَالوا نَعَمْ﴾.
وفي بعض اللغات قالوا نَعِمْ في معنى نَعَمْ - موقوفةُ الآخر - لأنها حرف جاءَ لمعنى.

---

(١) في هذا الموضع هاء ضمير الشأن مضمرة بعد أن.
(٢) أن هنا مخففة من الثقيلة والتقدير أنه أي الحال والشان.
(٣) وهو جيد لأن «أن» المفسرة تأتي بعدما فيه معنى القول دون حروفه.
(٤) تقوم شرح البيت، والاستشهاد هنا غير جيد، لأن أن في البيت سبقت يعلم التي يأتي بعدها أن المخففة، أما في الآية فهي مسبوقة بما فيه معنى القول دون حروفه.

وقوله: ﴿فأَذَّن مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّه عَلَى الظَّالمينَ﴾.

ويجوز أَنَّ لَعْنَةَ اللَّه على الظَّالمين، وقد قرئ بهما جميعاً والمخففة مخففةٌ من الشديدة، ويجوز أن تكون المخففة في معنى أي الخفيفة التي هي تفسير، كأنها تفسير لما أَذَّنُوا فيه.

وقوله: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْساهُمْ كَمَا نَسُوا لقاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾.

أي نتركهم في عذابهم كما تركوا العمل للقاءِ يومهم [هذا].

ومعنى: ﴿وَمَا كانُوا بآيَاتنَا يَجْحَدُون﴾.

و «كجحدِهم» و«ما» نسقٌ على «كما» في موضع جر(١).

وقوله: ﴿هُدَى ورَحْمة لقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(٢).

هدى في موضع نصْبٍ، أي فصلناه هادياً وذا رحمة. ويجوز هدى ورحمةٌ لقوم يؤمنون على الاستئناف، المعنى هو هُدًى ورحمةٌ لقوم يؤمنون.

وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ تَأْوِيلَه﴾.

معناه هل ينظرون إلا ما يؤول إليه أمرهم من البعث، وهذا التأويل والله أعلم ـ هو قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ اللَّهُ﴾(٣)، أي ما يعلم متى يكون البعث، وما يؤول إليه إلا الله: ﴿والراسِخُونَ في الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾(٣) أي آمنا بالبعث ـ والله أعلم ـ.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ﴾.

﴿يومَ﴾ منصوب بقوله: ﴿يقول﴾: و ﴿الذين نسوه﴾ على ضربين:

---

(١) ما مصدرية والمعنى ننساهم جزاء نسيانهم وجحدهم.

(٢) نص الآية: ﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة..﴾ الخ وفي الأصل: وهدى ورحمة، وهو خطأ.

(٣) سورة آل عمران الآية ٧.

جائز أن يكون صاروا في الإعراض عنه بمنزلة من نُسِيَ وجائز أن يكونوا نسوه وتركوا العمل له والإيمانَ به.

وقوله: ﴿أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غيرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾.

«أو» نسق على قوله ﴿من شفعاءَ﴾، كأنهم قالوا: هل يشفع لنا شافع أو هل نرد.

وقوله عز وجلّ ﴿فنعمل﴾ منصوب على جواب الفاءِ لـلاستفهام. ويجـوز أن تنصب أو نُرَدَّ فنعمَلَ، أي إن رددنا استغنينا عن الشفاعة.

وقوله: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾.

ويُغشِّي الليل النهار، جميعاً يقرأ بهما.

والمعنى أن الليل يأتي على النهار فيغطيه، ولم يقل يغشى النَّهارَ اللَّيْلَ، لأن في الكـلام دليلاً عليـه، وقد جـاءَ في موضـع آخـر: ﴿يكـوِّرُ اللَّيْـلَ عَلى النَّهارِ، ويُكوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿والنُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ﴾.

أي خلق النجوم جاريَاتٍ مَجَارِيَهُنَّ بأَمْرِهِ.

وقوله: ﴿وَعَلى الأَعْرافِ رِجَالٌ﴾.

وقوله: ﴿وَنادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ﴾[2].

اختلف النـاس في أصحـاب الأعـراف، فقـال قـوم: هم قـومٌ استـوت حسنـاتهم وسيئاتُهم، فلم يستحقـوا الجنة بـالحسنـات، ولا النـار بـالسيئـات، فكانوا على الحجاب الذي بين الجنة والنار، والأعـرافُ أعَالي السُّـورِ، ويُقَالُ لكلِّ عَالٍ عُرْف وجمعُه أعْراف.

---

(١) سورة الزمر الآية ٥.

(٢) هذه الآيات موضعها في المصحف قبل ذلك.

ويجوز أن يكون - والله أعلم - على الأعراف على معرفة - أهل الجنة وأهل النار هؤلاءِ الرجال، فقال قوم ما ذكرنا، وإنَّ الله يدخلهم الجنة، وقال قوم أصحاب الأعراف أنْبياءُ، وقال قوم ملائكة.

ومعرفتهم كُلًّا بِسيماهُمْ يعرفون أصحاب الجنة بأن سيماهم إسْفَارُ الوُجوه والضَّحِكُ والاسْتِبْشَارُ كما قال عزّ وجلّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذ مُسْفِرَةٌ. ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾[1]. ويعرفون أصحاب النار بسيماهم وسيماهم اسوداد الوجوه وَغُبْرَتُها - كما قال جلّ وعزّ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وتسود وُجُوهٌ﴾[2]، و ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عليها غَبَرَةٌ ترهَقُها قَتَرةٌ﴾[3] والقَتَرة كالدُّخان.

وقوله: ﴿مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وما كنتم تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

هذا - والله أعلم - خطاب أصحاب الأعراف لأهل النار، وقرئت تستكثرون بالثاءِ.

وأما قوله: ﴿أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾.

يعني أهل الجنة كأنه قيل لهم: يا أهلَ النار أهؤُلاءِ الذين حلفتم لَا ينالهم الله برحمة﴾.

﴿ادخُلُوا الجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾.

وإن شئتَ بالفتح لا خوفَ عليكم.

فجائز أن يكون ﴿ادْخُلوا الجنَّةَ﴾ خطاباً من أصحاب الأعراف لأهل

---

(١) سورة عبس آية ٣٨ - ٣٩.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٦.

(٣) الغبرة ما يعتري الوجه من تغير واربداد، وزنه فعله كحمرة وصفرة وزرقة، والغبرة أيضاً اسم للتراب، وكذلك الغبرة محركة هي التراب - فغبرة الوجوه، وغبرتها بالتحريك تحتمل أن عليها غباراً وأنها متغيرة مسودة.

الجنة، لأن كل ما يقوله أصحاب الأعراف فَعَنِ اللَّه تعالى. وجائز أن يكون خطاباً من اللَّه عزّ وجلّ لأهل الجنة.

وقوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ المَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾.

فأعلم اللَّه عزّ وجلّ: أن ابن آدم غيرُ مستغن عن الطَّعام والشراب وإن كان معذّباً.

فأعلمهم أهلُ الجنّة أنّ اللَّه حرمها على الكافرين، يَعْنُون أن اللَّه حرم طعامَ أهل الجنة وشرابَهم على أهل النار، لأنهم إنما يشربون الحميمَ الذي يُصْهَرُ به مَا في بُطُونِهمْ.

وقوله: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾.

قال قوم: تضرعوا تملقاً، وحقيقته ـ واللَّه أعلم ـ أن يَدْعُوه خاضعين متعبدين.

وخُفْيَةً أي اعتقدوا عبادته في أَنْفُسِكم، لأن الدعاءَ معناه العبادة.

وقوله: ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

والمعتدون المجاوزون ما أُمِروا به، وَهُمُ الظَّالمونَ.

وقوله: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفاً وطَمَعاً﴾.

أي ادْعوه خائِفين عذَابه وطامعين في رحمته، ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: لَنْ يَدْخُلُ الجنة أحدٌ بعَمَلِه، قالوا: ولا أنت يا رسول اللَّه، قال ولا أنا، إلا أن يتَغمدنيَ اللَّهُ برحمته.

وقوله: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ المُحْسِنِينَ﴾.

إنما قيل قريبٌ لأن الرحمة والغُفْرَانَ في معنَى واحدٍ وكذلك كل تأنيث ليس بحقيقي. وقال الأخفش جائز أن تكون الرحمَةُ ههنا في معنى المَطَر.

وقال بعضهم: هذا ذُكرَ ليفصل بين القريب من القرابة، والقريب من القُـرْبِ، وهـذا غلط، لأن كل مـا قَرُبَ من مكـان أَوْ نَسَبٍ فهو جـارٍ على ما يصيبـه من التأنيث والتذكير.

وقوله: ﴿بُشْرًى بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾.

ونُشْرا أيضاً بضم النون وفتحها ـ وقرأ عاصم بُشْرًى بالياء. فمن قرأ نَشْراً فالمعنى وهو الذي يُنْشِر الرياح مُنْشَـرةً نشْراً، ومن قـال نُشْراً فهـو جمع نشـورٍ ونُشُرٍ. ومن قرأ بُشْـراً فهو جمـع بشيرةٍ وبُشُـرٍ كما قـال جلّ وعـزّ: ﴿وَهُوَ الَّـذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرَاً﴾(١).

وقوله: ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾.

أي بين يدي المطر الذي هو رحمةٌ، ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحاباً﴾ أي حتى إذا أقلت الريح سحـاباً، يقـال: أَقل فـلان الشيء إذا هو حمله، وفـلان لا يَسْتقلُّ بحَمْلِه.

فالمعنى حتى إذا حملت سحاباً ثقالاً، والسحـاب جمع سحابة،﴿ثِقَالاً﴾ أي ثقالاً بالماءِ.

﴿سُقْنَاهُ لِبَلَد مَيِّت﴾.

ومَيْتٍ جميعاً.

﴿فَأَنْزَلْنَا بِه الماءَ فَأَخْرَجْنَا به مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾.

جائز أن يكون: فأنزلنا بالسحاب الماءَ، فَأَخْرَجْنَا بِه مِنْ كلِّ الثَّمَراتِ.

الأحسن ـ واللّه أعلم ـ فأخرجنا بالماءِ من كل الثمرات، وجائز أن يكون فأخرجنا بالبلد من كُلِّ الثَّمرات، لأن البَلَدَ ليس يُخَصَّ به ههنا بلَدٌ سوى سائـر البُلْدَانِ.

---

(١) سورة الأعراف. الآية ٥٧.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾.

أي مثلَ ذَلكَ الإخراجِ الذي أَشرنا إليه نُخرج الموتى.

وقوله: ﴿لَعَلَكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

لعل ترج، وإنما خوطب العباد على قدر علمهم، وما يرجوه بعضهم من بعض، واللَّه يعلم أيتَذَكّرون أم لا.

وقوله: ﴿لَعَلكُم تذَكَّرُونَ﴾.

أي لعلكم بما بيَّناهُ لكم تستَدِلُّونَ على توحِيد اللَّهِ وأنه يبعث الموتى.

وقوله: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّب يَخْرُجُ نَبَاتُه بِإِذْنِ رَبِّهِ، وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرجُ إلَّا نَكِداً﴾.

وقرأها أهل المدينة نكَداً - بفتح الكاف - ويجوز فيه وجهان آخران: إلَّا نَكْداً ونُكْداً - بضم النون وإسكان الكاف ولا يقرأ بالمضمومة، لأنه لم تثبت به رواية في القرآن.

وقوله: ﴿قَالَ الملأ مِنْ قَوْمِهِ﴾.

وهم الرؤساء والأشراف، وقال بعضهم يعنى به الرجال.

وقد بينا المَلأ فيما سبق من الكتاب[1].

وقوله: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

هذه الواو واو العطف. دخلت عليها ألف الاستفهام، فبقيت مفتوحة، وقد بينا أمرها في الكتاب.

وقوله: ﴿في الفُلْكِ﴾.

والفلك السفينة، يكون الفلك واحداً، ويكون جمعاً.

---

(١) جـ١ ص ٣٢٥.

وقوله: ﴿قَوْماً عَمِينَ﴾.

أي قد عَموا عن الحق والإيمان.

وقوله: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً﴾.

المعنى: لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه، وأرسلنا إلى عادٍ أخاهم هوداً، وقيل للأنبياءِ أخوهم وإن كانوا كفرة، يعني به أنّه قد أتاهم بَشَرٌ مثلُهم من وَلَدِ أبيهم آدمَ، وهو أَرْجح[1] عليهم. وجائز أن يكون أخاهم لأنه من قومهم ليكون أفهمَ لَهُمْ بأن يأخذوا عن رجل مِنْهُمْ.

وقوله: ﴿إِنَّا لَنَراكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾.

السفاهة خِفَّةُ الحلم والرأي، يقال ثوبٌ سفيه إذَا كان خفيفاً.

وقوله: ﴿وَإِنَّا لَنظُنُّك مِنَ الكَاذِبِينَ﴾.

وكفروا به ظانينَ لاَ مُسْتيْقنين.

وقوله: ﴿يا قَوْمِ لَيْسَ بي سَفَاهَةٌ﴾.

هذا موضع أدب للخلق في حسن الجوار وفي المخاطبة، أنه دفع ما نسبوه إليه من السفاهة بأن قال ليس بي سفاهة، فدفعهم بنفي ما قالوا فقط.

وقوله: ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

أي الذي أُنبئكم به مِنْ عند اللَّه، لأنه أَمَرَهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّه جلّ وعزّ وتوحيده:

وقوله: ﴿وَاذْكُروا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكم في الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾.

وَخُلَفَاءَ جمع خليفة على التذكير لا على اللفظ، مثل ظَريف وَظُرَفَاءَ.

---

(١) أوجب في الحجة على من كفر منهم.

وجائز أن يجمع خلائف على اللفظ، مثل طريفة وَطَرَائف.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾.

في التفسير أَنَّه كان أَقْصَرُهُمْ، طولُهُ ستُّونَ ذِرَاعاً وَأَطْوَلهُمْ مائة ذِراع.

وقوله: ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾.

معناه نِعَمَ اللَّه، واحدها إِلًى، قال الشاعر [1]:

أَبيضُ لا يَرْهَبُ الهزَال ولا   يقطعُ رِحْماً، وَلَا يخُونُ إِلًّا

ويجوز أَن يكون واحدها إِليْ وإِلًى.

وقوله: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً﴾.

أي أَرْسَلْنَا إِلى ثَمُودَ أَخاهم صَالِحاً.

وثمودُ في كتاب اللَّه مصروفٌ وغيرُ مصروف. فأَما المصروف فقوله: ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُوداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِثَمُودَ﴾[2]، الثَّاني غَيْرُ مصروفٍ، فالذي صرفه جَعَلَهُ اسماً للحيّ، فيكونُ مُذَكَّراً سمي به مُذَكَّرٌ وَمَنْ لم يصرِفْه جعله اسْماً للقَبيلة.

وقوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

وتقرأُ غَيرِه، فمن رفع فالمعنى ما لكم إله غيرُهُ، ودخلت «مِنْ» مؤكدةً، ومَنْ جَرَّ جعله صفةً لإِلَهِ. وأَجاز بعضهم النصبَ في غَيْر وهو جائز في غير القرآن، على النصب على الاستثناءِ وعلى الحال من النكرة، ولا يجوز في القرآن لأَنه لم يقرأْ به، وأَجاز الفراء.. ما جاءَني غيرَكَ بِنَصْبِ غير، وهذا خطأٌ

(١) هو الأعشى يمدح سلامة ذي فائش، من قصيدته: إن محلاً وإن مرتحلاً ـ أي لا ينقض عهداً ـ الديوان. ١٧٥، واللسان ـ إلى ـ والمرتضى ٢٨/١ وشواهد المغني ٢٣٨ (ط بيروت) والطبري ١١٧/٥، ومجاز أبي عبيدة ٢٧١/١ والخزانة ٣٨١/٤.

(٢) سورة هود الآية ٦٨.

بيّن، إنما أنشد الخليل وسيبويه بيتاً أجازا فيه نصبَ غير، فاستشهد هو بذلك البيت واستهواه اللفظ في قولهما إنَّ الموضعَ موضِعُ رفع. وإنما أُضيفت غير في البيت إلى شيءٍ غير متمكن فبنيت على الفتح كما يبنى يوم إذا أُضِيفَ إلى إذْ على الفتح[1].

والبيت قول الشاعر:

لم يَمْنِعَ الشرب منها غيرَ أن نطقت[2] حمامة في غُصُون ذاتِ أَوْ قَال

وأكثرهم ينشده غيرَ أن نطقت، فلما أضاف غير إلى «أَنْ» فتح غير، ولو قلت: ما جاءَ في غيرَك لم يجز. ولو جاز هذا لجاز ما جاءَني زيداً.

وقوله: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

دعاهم إلى التوحيد ودلهم على نُبُوَّتِهِ بالناقة فقال:

﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾.

[آية] انتصب على الحال، أي انظروا إلى هَذه النَّاقَةِ آيةً أي عَلامَةً.

وقد اختلف في خبرها، فقيل في بعض التفسير: إنَّ الملأ من قوم صالح كانوا بين يديه فسألوه آية وكانت بين يديه صفاةٌ - وهي الصخرة - فأخرج اللَّه منها ناقة معها سَقْبُها أي وَلَدُها.

وجاءَ في بعض التفسير أنه أخذ ناقة من سائر النوق، وجعل اللَّه لها

---

(١) يومئذ ليست مبنية عند جمهور النحويين البصريين، وإنما هي ظرف منصوب.

(٢) هو أبو قيس بن رفاعة من الأنصار، يصف ناقته بالحدة ورهافة الحس، فقد همت أن تشرب فسمعت حمامة تهتف في شجرة مقل فتركت الشرب والأوقال جمع وقل كجبل وهو شجر قال في القاموس: الوقل شجر المقل - بضم الميم - أو ثمره أو يابسه، وأما رطبه فبهش اهـ - وقيل هي الحجارة أو ما بقي من جذوع الشجر بعد تقليمه - والشرب - بالضم - مصدر، وبالكسر الحظ من الماء. والمقل شجر الكندر (كفلفل) يتدخن به ويستعمل عقاراً لأدواء كثيرة.

أنظر الخزانة الشاهد ٢٣٧، وشواهد الكشاف (حرف اللام).

شِرْباً[1] يوماً وَلَهُمْ شربُ يوم . وذُكِرَتْ قصتُه في غير هذا الموضع فقال: ﴿هَـٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُوم﴾[2] فكانت تشرب يوماً ثم تُفْحِجُ[3] يوماً آخر في وادٍ فلا تزال تحتلب ولا ينقطع حلَبُها ذلك اليوم.

فجائز أن يكون أمْرُ خروجها من الصخرة صحيحاً، وجائز أن يكون أمر حلبها صحيحاً. وكل منهما آية معجزة تدل على النبوة. وجائز أن تكونَ لرِّوَايَتَانِ صحيحتَيْنِ فَيُجْمَعُ أنها خرجت من صخرة وأن حَلْبَهَا على ما ذَكَرْنَا. ولم يكن ليقول: قد جاءتكم بينة من ربكم فتكون آيةً فيها لبس.

وقوله: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَاد﴾.

أي لما أهلكهم وورثكم الأرض.

﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾.

أي أنزلكم، قال الشاعر:[4]

وبُوِّئَتُ في صميم معشرها فَتَمَّ في قومها مَبَوَّؤُهَا

أي أُنزلت من الْكَرَم في صميم النسب.

وقوله: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ﴾.

يقال: نَحَتَ يَنْحِتُ، ويقال أيضاً نَحَتَ يَنْحَتُ، لأن فيه حرفاً من حروف الحلق.

ويروى أنهم لطول أعمارهم كانوا يحتاجون أن ينحتوا بيوتاً في الجبال،

---

(١) الشرب ـ بالكسر ـ الماء والحظ منه، والمورد، ووقت الشرب.

(٢) سورة الشعراء الآية ١٥٥.

(٣) من أفجج بمعنى أحجم.

(٤) هو ابن هرمة. اللسان (بوأ) ومجاز أبي عبيدة ١ ـ ٢١٨ وشواهد المغني ٢٧٩، قيل انه ذكر له أن قريشاً لا تهمز فأنشأ هذه القصيدة مهموزة كلها أولها:

إن سليمى والله يكلؤها ضنت بشيء ما كان يرزؤها

وهذا البيت من شواهد المغني والقصيدة جيدة ـ ويكلؤها يحفظها ويرزؤها ينقصها.

لأن السقوفَ والأبنية كانت تبلى قبل فناءِ أعمارهم.

وقوله: ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾.

أي جاوزوا المقدارَ في الْكُفْر.

﴿فَأَخَذَتهُمُ الرَّجْفَةُ﴾.

والرجفة: الزلزلة الشديدة.

ويروى أنه لما قال لهم: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أيامٍ﴾[1] أصبحوا في أول يوم مصفرّة وُجُوهُهم، وفي اليوم الثاني محمرة وجوههم وفي اليوم الثالث مسودَّةً وجوههم، وفي اليوم الرابع أتاهم العذاب.

ويقال إن ابتداءَ عقرهم الناقة كان في يوم الأربعاءِ، وأخذهم العذاب في يوم السبت.

وقوله: ﴿فَأَصْبَحُوا نَادمينَ﴾[2].

[أي] في وقت لا ينفعهم الندم.

وأَصْبَحُوا جَاثِمِينَ. في اليوم الذي أخذتهم فيه الرجفة.

ومعنى ﴿جَاثِمِينَ﴾ قد خمدوا من شدة العذاب.

وقال بعضهم أصبحوا كالرماد الجاثِم.

وقوله: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾.

أي وأرسلنا لوطاً إذ قال لقومه، وقال الأخفش ويجوز أن يكون منصوباً على واذكر لوطاً إذ قال لقومه. والوجهُ أن يكون معطوفاً على الإرسال.

وقال بعض أهل اللغة: لوط مشتق من لطتُ الحَوْضَ إذا مَلَّسْتَه بالطِّين. وهذا غلط. لأن لوطاً من الأسماءِ الأعجمية ليس من العربية، فأما لطت

---

(١) سورة هود آية ٦٥.

(٢) سورة الشعراء ١٥٧. وذكرت للمناسبة بين التعبيرين.

الحوض وهذا أُلوط بقلبي من هذا، فمعناه أَلصق بقلبي. واللِّيطُ القِشرُ. وهذا صحيح في اللغة. ولكن الاسم أعجميٌّ كإبراهيم وإسحق، لا نقول إنه مشتق من السُّحْقِ وهو البعدُ. وهو كتاب اللَّه الذي لا ينبغي أن يقدم على تفسيره إلاَّ برواية صحيحة وحجة واضحة[١].

وقوله: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِن أَحَد مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

هذا دليل أن فاحشة اللواط لم يفعلها أحد قبل قوم لوط.

وقد اختلف الناس في حَدِّ اللُّوطِيّ، فقال بعضهم هو كالزاني.

وروي أن أبا بكر حرق رجلاً يقال له الفجاءَة بالنار في اللواط[٢].

وقال بعضهم: يجب أنْ يقتلَ مُحْصَناً أو غير مُحْصَنٍ، لأن اللَّه تبارك وتعالى قتل فاعليه بالحجارة.

فخاطبهم لوط فقال: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾. وقال في موضع اخر: ﴿إنكمْ لتأتون الفاحشة﴾[٣].

والفاحشة الشيءَ الغليظ القبيح.

وقوله: «وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ﴾.

يجوز أن يكون «جواب» مرفوعاً. ﴿وَمَا كان جوابُ قومه إلا أن قالوا﴾ والأجود النصب وعليه القراءَة[٤].

---

(١) سبق للمؤلف أن ذكر اشتقاق آدم من أديم الأرض، وذكر اشتقاق هذه الأسماء لا لبيان أنها أطلقت لهذا السبب ولكن لبيان الصلة بينها وبين أصل الكلمة، والنحويون يفعلون ذلك في الأسماء غير العربية ـ وليس هذا تفسيراً للقرآن وإنما هو بيان لما تدل عليه حروف اللغة.

(٢) أحرق أبو بكر الفجاءة السلمي في حرب الردة، لأنه ارتد وحارب المسلمين وتفاجر في عدائه لهم. ويقال إنه قال عند موته وددت أني لم أحرقه.

(٣) سورة العنكبوت الآية ٢٨.

(٤) لأن المصدر المؤول من «أن» والفعل أحق أن يكون مبتدأ ـ كقوله تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم﴾.

﴿إلَّاأَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

أي يتطهرون عن عملكم.

وقوله: فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾.

في التفسير أن أهله ابنتاه.

﴿إلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ».

قيل في الغابرين ههنا قولان. قال أهل اللغة: من الغابرين من الباقين، أي من الباقين في الموضع الذي عذبوا فيه، وَأَنْشَدَ أبو عَبَيْدَة معمر بن المثنى.

فما ونى محمدٌ مذ أن غفر   له الإله ما مَضَى وَمَا غَبَرَ[1]

أي ما بقي.

وقال بعضهم: ﴿من الغابرين﴾ أي من الغائبين عن النجاة.

وكلاهما وجه. والله أعلم.

وقوله: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً﴾.

مَدْيَنُ لا ينصرف لأنه اسم للقبيلة أو البلدة، وجائز أن يكون أعجمياً.

وقوله: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالميزَانَ﴾.

قال بعض النحويين؛ لم يكن لشعيب آية إلا النبوة، وهذا غلط فاحشَ. قال قد جاءَتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل فجاءَ بالفاءَ جواباً للجزاء، فكيف يقول: قد جاءَتكم بينة من ربكم ولم يكن له آية إلا النبوة، فإن كان مع النبوة آية فقد جاءَهم بها. وقد أخطأ القائل بقوله: لم تكن له آية، ولو ادَّعَى مُدَّع النبوة بغير آية لم تُقْبَلْ منه، ولكن القول في شعيب أن آيته كما قال بيِّنَةٌ. إلا

---

(١) من رجز العجاج، وهما في مجاز أبي عبيدة ١ ـ ٢١٩، والطبري ١١ ـ ١٩٨ (بولاق)، والقرطبي ٧ ـ ٢٤٦، ١٣ ـ ١٣٢.

ان اللّه جلّ ثناؤه ذكر بعض آيات الأنبياءِ في القرآن وبعضهم لم يذكر آيته، فمن لم تذكر آيته لا يقال: لا آية له. وآيات محمد النبي ﷺ لم تذكر كلها في القرآن ولا أكثرها.

وقوله: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾.

البَخْسُ النقْصُ والقِلَّة، يقال بخست أبخس بالسين، وبخصت عيْنَه بالصاد لا غير مثل فقأت عينيه.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾.

أي لا تعملوا فيها بالمعاصي وَبخِس الناس بعد أنْ أصلحها اللّه بالأمر بالعدل وإرسال الرُّسُل.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بكل صِرَاط تُوعِدُونَ﴾.

أي بكل طريق.

ومعنى توعدون أي توعدون من آمن بشعيب بالعذاب والتهدُّد يقال: وعدته خيراً، ووعدته شرًّا، فإذا لم تذكر واحداً منهما. قلت في الخير وعدته وفي الشر أوعدته.

وقوله: ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ﴾.

أي عن الطريق التي آمن[1] اللّه من آمن بها.

﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾.

أي وتريدون الاعوجاج والعدول عن القصد. يقال في الدين وفيما يعلم إذا كان على غير استواء عوج بكسر العين وفي الحائط والعود عَوَج بفتح العَيْن.

---

(١) آمنه منحه الأمن من العذاب، أي من صدق بها جعله اللّه في مأمن من العذاب.

وقوله: ﴿وَاذْكُروا إِذْ كُنْتُم قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ﴾.

جائز أن يكون ﴿فكثركم﴾ جعلكم أغنياءَ بعد أن كنتم فقراءَ، وجائز أن يكون كان عددهم قليلاً فكثرهم، وجائز أن يكونوا غير ذوي مقدرة وأقدار فكثرهم، إلا أنه ذكرهم بنعمة اللَّه عليهم كما قال: ﴿فاذكروا آلاءَ اللَّه﴾ أي نعم اللَّه.

وقوله: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجُنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُن في مِلَّتِنا﴾.

المعنى: ليكونن أَحَدُ الأَمْرين، ولا تُقارُّ على مخالفتنا[١]

وقوله: ﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾.

أي أتعيدوننا في ملتكم وإن كرهناها. فإن قال قائل: كيف قالوا لشُعَيب: أو لتعودُن في ملتنا، وشعيب نَبِيٌّ ففيه قولان[٢].

أحدهما: لما أشركوا الذين كانوا على مِلَّتهم قالوا: أَو لتعودُنَّ في مِلَّتِنا[٣]. وجائز أن يقال: قد عَادَ عليَّ من فلان مكروه وإن لم يكن سبقه مكروه قبل ذلك وإنما تأويله أنه قد لحقني منه مكروه.

وقوله: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

اختلف الناس في تأويل هذه، فأولى التأويلات باللَّفْظ أن يكون: مَا يَكُونُ لَنا أَنْ نَعُودَ فِيها إلا أن يشاءَ اللَّه عزّ وجلّ لأنه لا يكون غير ما يشاءَ اللَّه. وهذا مذهب أهل السنة، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وما تشاءُون إلا أن يشاءَ اللَّه﴾[٤]. والمشيئة في اللغة بيّنة لا تحتاج إلى تأويل.

---

(١) لا ندعك تستقر على هذه المخالفة، لا نتركك ولأنها دنك.

(٢) يريد أن شعيباً لم يكن وثنياً من قبل فكيف يقال له «لتعودن».

(٣) حين حملوا قوماً على الشرك وجعلوهم وثنيين معهم.

(٤) سورة الإنسان آية ٣٠.

فالمعنى: ما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يكون اللَّه عزّ وجلّ قد سبق في علمه ومشيئته أنا نعود فيها. وتصديق ذلك قوله:

﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شيءٍ عِلماً﴾.

ثم قال: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾.

وفي موضع آخر: ﴿وما توفيقي إلَّا باللَّه عليه توكَّلتُ﴾[1].

وقال قوم: وما يكون لنا أن نعود فيهَا إلا أن يشاءَ اللَّه رَبُّنا: أي فاللَّه لا يشاءُ الكفر، قالوا: هذا مثل قولك: لَا أُكلِّمك حتى يبيضَّ الفأر ويَشيبَ الغُرابُ، والفأْرُ لا يبيض، والغراب لا يشيب. قالوا فكذلك تأويل الآية.

قال أبو إسحق: وهذا خطأ لمخالفته أكثر[2] من ألف موضع في القرآن لا تحتمل تأويلين، ولا يحدث شيءٌ إلا بمشيئته وعن علمه. إما أن يكونَ عَلِمَهُ حادثاً فشاءَه حادثاً، أو عَلِمَهُ غيرَ حادثٍ فشاءَه غيرَ حادث. ولا يجوز لما مُكِّنَ الخلق من التصرف أن يُحدثَ الممتنعَ موجوداً[3]، ولا يكون ما علمه أنَّه يُوجَدُ ممتنعاً. وسنةُ الرَسول عليه السلام تشهد بذلك ولكن اللَّه تبارك وتعالى غيب عن الخلق علمه فيهم، ومشيئته من أعمالهم فأمرهم ونهاهم، لأن الحجة إنما تثبت من جهة الأمر والنهي، وكل ذلك جائز على ما سبق في العلم وجرت به المشيئة، قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا تَسقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إلا يَعْلَمُهَا﴾. الآية[4].

فسقوط الورقة منسوب إليها وهو خلقه فيها كما خلقها، وكذلك إلى آخر الآية.

---

(١) سورة هود الآية ٨٨.

(٢) في الأصل أقل من ألف ولا معنى له.

(٣) يجعل الممتنع موجوداً.

(٤) سورة الأنعام - ٥٩.

وقــال: ﴿يَعْلَمُ مَـا فِي أَنْفُسِكُمْ فَـاحْـذَروه﴾[1]، ومـا في النفـوس من الخواطر الجائلة والهم الجائل والعزم الجـائل فيهـا. فلا يجـوز عدم مـا علمه كائناً فيها، ولا يجوز كون ما علمه معدوماً.

فحذّرهم مخالفةَ ظاهز أمره ونهيـه لأن عليهم السمعَ والـطّاعةَ لـلأمر إذا أمـرُوا به، وهم جـارون على ما عَلِمَ منهم أنَّهم يختـارون الطاعـة، ويختارون المعْصِيَـة، فلا سبيـل إلى أن يختاروا خـلاف ما علم أنهم يختـارونه. وإنْ لم يكن الأمر على ما قلنا وجَب أن يكون قولهم: علم اللّه أفعال العبَادِ قبل كونها إنما هو علم مجاز لا علم حقيقة.

واللّه تعالى عالم على حقيقة لا مجاز، والحمد للّه.

وقال قوم - وهو بعد القول الأول قريب -: إن المعنى. وما يكون لنـا أن نعود فيها إلا أن يشاءَ اللّه ربُّنا. أي قد تبرأْنَا من جميع ملَّتِكُمْ فما يكون لنا أن نعود في شيءَ منها إلاَّ أن يشاءَ اللّه وجهاً من وجوه البر الـذي[2] تتقربـون [به] إلى اللّه، فيأمرنا به، فنكونَ بهذَا قد عُدْنا.

قال أبو إسحق: والذي عندي - وهـو إن شاءَ اللّه الحقُ - القـول الأول، لأن قوله: ﴿بعْدَ إذْ نجَّانا اللّهُ مِنْها﴾، إنما [هو] النجاة من الكفر وأعمال المعا[صي] لا من أعمال البر.

وقوله: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُل شَيْءٍ عِلْمَاً﴾.

«علمــاً» منصـوب على التمييــز.

وقوله: ﴿رَبنَا افْتحْ بيْنَنَا وَبَيْن قَوْمِنَا بِالحَقِ﴾.

أهل عُمان يسمُون القاضي الفاتح والفتاح.

---

(١) البقرة - ٢٣٥.

(٢) في الأصل الذين.

وجائز أن يكون افتح بيننا وبين قومنا بالحق، أي أظهر أمْرنَـا حتَّى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف، فجائز أن يكون يسألون بهذا أن ينزلَ بقومهمْ من العذاب والهلكة ما يظهر به أن الحق مَعَهُمْ.

وقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾.

هي الزلزلة الشديدة.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثمينَ﴾.

أي أجْسَاماً مُلْقاة في الأرض كَالرَّمَاد الجَاثِم».

وقوله: ﴿كأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾.

[أي] كأن لم ينزلوا فيها. قال الأصمعي: المَغَاني المنازِلُ التي نزلوا بها، يقال غَنينا بمكان كذا وكذا، أي نَزَلْنَا به. ويكون ﴿كأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فيها﴾ كأن لم ينزلوا كأن لم يعيشوا فيها مستغنين، كما قال حاتم طيٍّ:(١)

غنينا زمانـاً بـالتَصَعْلك والغنَى ... فكـلاً سقاناه، بكأسيهما الدهرُ
فما زادنا بغياً على ذي قرابة ... غِنانَا ولا أَزْرَى بـأَحْسَابِنَا الفَقْرُ

والعرب تقول للفقير الصعلوك.

وقوله: ﴿فتولَّى عنهم﴾.

أي حين نزل بهم العذاب تولى عنهم.

﴿وقال يا قَومِ لَقدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبي ونَصحْت لكُم، فكَيفَ آسى على قوْمٍ كافرين﴾.

---

(١) الأغاني ١٧ - ٣٧٦، دار الكتب. ونقل شارحه من ديوانه البيتين هكذا

عـنـيـنـا زمـانـاً. . . . ... كـذا الـدهـر في أيـامه العسر واليسـر
لبسنا صروف الدهر ليناً وغلظة وكلاً ... سقاناه بكأسيهما العصر

ورواية أبي الفرج في البيت الأول هي العصر، وليس الدهر كما ذكر الزجاج.

معنى آسى أَحْزَن ـ أي كيف يَشْتد حُزني .

يقال: أَسِيتُ عَلى الشّيءِ آسَى أَسىً إذا اشتدَ حزنُك عَليْه .

قال الشاعر: (١)

وانْـحَـلَبَـتْ عينـــاه مِـــن فــرْطِ الأَســـى

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا أَرْسَلنا فِي قَرْيةٍ مِن نبيٍّ﴾ .

يقال لكل مدينة قرية، وإنما سمِّيَتْ بأنه يجتمع فيها الناس، يقال قريت الماءَ في الحوضِ إذا جمعته فيه، فسمَيْتْ قريةً لاجتماع الناس فيها، ومكَّةُ أم القرى، لأن أَهل القُرَى يَؤُمونها أي يقصدونها .

وقوله :﴿إلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بالبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ .

قيل: البَأْسَاءِ كل مـا نالهم مِن شِدَّة فـي أَموَالهم، والضَّـرَّاءُ ما نـالهم من الأمراض، وقيل: الضراء ما نالهم في الأموال، والبأْساء ما نالهم في أَنْفسهم .

وقوله :﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ .

أي يَخْضعون، والأَصْلُ يتَضَرعُون، فأدغمت التاءِ في الضادِ .

وقوله : ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكانَ السَّيِّئَةِ الحَسَنَة حَتَّى عَفَوْا﴾ .

أي كَثُروا وَكَثُرَتْ أَمْوالهم .

وقوله : ﴿ قدْ مَسَّ آبَاءَنا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ ﴾ .

فأَخذهم اللّه ليعتبـروا ويُقْلعُوا عن الكفـر وتكذيب الأنبيـاءِ، فقالـوا مسّ

---

(١) هـو العجاج في ديـوانه ٢٠، وشـواهد الكشـاف، والكامـل ١ ـ ٣٥٢ (تجاريـة) ومعاني القـرآن للفراء ٢ ـ ٣٢٣، وقبله:

يـا صاح هـل تعرف رسمـاً مكـرسـاً ... قـال نــعــم أعــرفــه، وأبــلسـا

وانحلبـت عـينــاه مـــن فـــرط الأســـى

وأورده كذلك اللسان (كرس) ـ والمكرس الذي بعـرت فيه الإبـل وبولت فـركب بعضه بعضـاً ـ وأبلس صمت من الحزن ـ ثم فاضت عيناه بالدمع كالدلو.

اباءَنا مثلُ هذا، أي قد جرت عادة الزمان بهذا، وليست هذه عقوبة، فبين اللّه تأولهم بخَطئِهِمْ، وقد علموا أن الأممَ قد أُهْلِكتْ بِكُفْرِهِم قَبْلَهُم.

وقوله: ﴿فَأَخَذْنَاهم بَغْتَةً﴾ أي فجأة ﴿وهُمْ لاَ يَشعرُونَ﴾.

فهـذا ما أخبـر اللّه تعالى بـه عن الأمم السالفـةِ لتعتبرَ أُمَّــةُ محمـد ﷺ فقال:

﴿ولَوْ أن أَهْـل القـرى آمَنُـوا وَاتَّقَـوْا لفتَحنـا عَليْهِم بـرَكَـاتٍ من السَّمَـاءِ وَالأَرْض﴾.

أي أتـاهم الغيث من السماءِ، والنَّبـاتُ من الأَرض. وجعل ذلـك زاكيـاً كثيراً.

وقوله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ القُرَى أَنْ يأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً﴾.

أي ليـلاً، [أي] أفَأَمِنت الأُمـةُ التي كذبت النبي محمـداً ﷺ أن يـأْتيهم بأْسنا بياتاً. أي ليلاً.

﴿وَهُمْ نَائمُونَ﴾.

يقال نام الرجل ينام نوماً فهو نـائم. وهو حسن النِيمـةِ، ورجل نُـومةٌ إذا كان خَسِيساً لا يؤبه له، ورَجُلٌ نُوَمة إذا كان كثير النوم، وفلان حسن النِّيمة أي حسن هيئة النوم، والنِّيمُ ـ الفرو، والفاءَ في قـوله: أَفَـأَمِنَ، والواو في قـوله أوَ أمِنَ، فتحت لأَنها واو عطف وفاء عطف دخلت عليها أَلف الاستفهام.

وقوله: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

يقال لكل من كـان في شيء لا يُجْدي أو في ضـلال: إنما أنت لاعب، وإنما قيل لهم: ﴿ضُحىً وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾. أي وهم في غير ما يجدي عليهم.

وقوله: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللّهِ﴾.

أي وأمنوا عذاب اللّه أن يأتيهم بغتة وهم لا يشعرون.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهم بِذُنُوبِهِمْ﴾.

وتقرأ «نَهْدِ» بالنُّونِ، فمن قرأ نهدي بالنون فمعناه أَوَلَمْ نُبَيِّنْ. لأن قولك: هديته الطريق معناه بَيَّنْتُ له الطريق.

ومن قرأ بالياءَ كان المعنى أو لم يُبيّنِ اللّه لهم أنه لو يشاء أَصَابَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ.

وقوله: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾.
ليس بمحمول على أَصَبْنَاهم.

المعنى ونحن نطبع على قلوبهم، لأنه لو حمل على أَصَبْنَاهُمْ لكان ولطبعنا، لأنه على لفظ الماضي، وفي مَعْنَاهُ.

ويجوز أن يكون محمولاً على الماضي، ولفظه لفظ المستقبل كما أن لو نشاءَ معناه لو شئنا.

وقوله: ﴿فَمَاكَانُوا لِيُؤْمِنُوا بما كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَى قُلُوبِ الكَافِرِينَ﴾.

وهذا إخبار عن قوم لا يُؤْمِنُونَ. كما قال جلّ وعزّ:
﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمن﴾[١]، وكما قال للنبيِّ ﷺ:
﴿قُلْ يا أَيُّها الكَافِرُونَ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ ما أَعْبُد﴾[٢].

فهذا إخبار من اللّه جَلّ وعزّ أَنَّ هَؤُلَاءِ لَا يُؤْمِنُون.

---

(١) سورة هود ـ ٣٦.
(٢) سورة الكافرون ١ ـ ٣.

وقال قوم: ﴿فمَا كَانُوا لِيُؤمِنُوا بما كَذبُوا منْ قَبْلُ..﴾ أيْ لَيْسُوا مؤمنين بتكذيبهم، وهذا ليس بشيءٍ، لأن قوله: كَذَلكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلوبِ الكَافِرينَ.. يَدُلَ على أنهم قد طُبعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ.

وموضع الكاف في «كذلك»[1] نصْبٌ. المعنى مثل ذلك يطبعَ اللَّه على قُلوبِ الكافِرين.

وقوله: ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لفَاسِقِينَ﴾.

هذه «إن» تدخل واللامَ على معنى التوكيد واليمين[2]. وتدخل على الأَخْبَار. تقول: إن ظننت زيْداً لَقَائِماً.

وقوله: ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾.

أي بالآيات التي جاءَتهم، لأنهم إذا جاءَتهم الآيات فكفروا بها فقد ظلموا أَبْين الظُّلْم، لأَنّ الظلم وضعُ الشيء في غير مَوْضِعِه، فجعلوا بدل وجوب الأيمان بها الكفر، فذلك معنى قوله ﴿فظَلموا بِهَا﴾.

وقوله: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَن لَا أَقُول عَلى اللَّه إلا الحَق﴾.

وتقرأ حقيق عَلَيَّ أن لا أَقُول. ومن قرأ حقيق عَلَيَّ أن لا أَقُول فالمعنى واجب عَليَّ تركُ القول على اللَّه إلا بالحقِّ.

وقوله: ﴿قال إن كُنْتَ جِئْتَ بآيةٍ فَأْتِ بِهَا إن كُنْت منَ الصَّادِقِينَ﴾.

قد أوجب فرعونُ أَنّه ليس بآيةٍ كما ادَّعى، لأَنه قد أَوجَبَ له الصدق إن أَتى بآية يعجز عنها المخلوقون.

وقوله ﴿فَألقى عصَاهُ﴾.

---

(١) في الأصل: في ذلك.

(٢) القسم. وهي إن المخففة.

إن شئت قلت: «عَصَا هُو» بالواو. والأَجْوَدُ حَذْفُها، أَعْنِي الواوَ لسكونها وسكون الألف، والهاء ليست بحاجز.

وقوله: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِين﴾.

قال أبو عبيدة وغيره: الثعبان الحية. وقال غيره: الحَيَّة الذَّكَرُ[1]. وقال [اللّه] في موضع آخر ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾[2].

ومعنى ﴿مُبينٌ﴾.

أي مبينٌ أنها حَية.

وقوله: ﴿ ونَزَعَ يدهُ فإِذَا هِي بيضَاءُ للناظِرِينَ﴾.

معنى نزع يده أظهرها وأبانها، وقال في موضع آخر ﴿وَأَدْخِل يَدَكَ في جَيْبِكَ تَخْرجْ بَيْضاءَ﴾[3]، وفي موضع آخر ﴿واضمم يَدَكَ إلى جناحك تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غير سوءٍ﴾[4]. فهذا دليل أن معنى نزع يده إخراجُها من جيبه. وإخراجها من جناحِهِ، وجناح الرجل عَضُدُه وقل جناحُ الرجل عِطفُه[5].

وتأويل الجناحين من الإنسان أنهما كالجَنَاحَين من الطائر، وهما العَضُدانِ.

وقوله :﴿تخْرُج بَيْضاءَ مِن غيْر سُوءٍ﴾.

أي تخرج لونها أبيض حُورِيّاً.

---

(١) أي الثعبان هو ذكر الحيات.

(٢) سورة طه الآية ٢٠. أي وهذا يؤيد رأي أبي عبيدة.

(٣) سورة النمل الآية ١٢.

(٤) سورة طه الآية ٢٢.

(٥) يسمى عطف الرجل جناحاً أيضاً ولكن ذلك قليل.

وكان موسى فيما يُرْوَى أَدِمَ[١].

﴿مِنْ غَيرِ سُوءٍ﴾.

أي تخرج بيضاءَ بياضاً ليس بِبرص، بياضاً يدل على أنه آية. وكانت عصا موسى إنما تكون حيَّة، عندَ إظهارهَا بها الآية[٢]، ثم تعود عصا، كما قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿سَنُعيدُهَا سيرَتَها الأُولَى﴾[٣].

وقوله: ﴿قال للمِلأ حَوْلَهُ إن هذا لسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾[٤].

وفي هذا الموضع[٥] ﴿قال المَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَونَ﴾.

الملأُ هُمُ الوُجُوهُ، وذوو الرأي، وإنما سُمُّوا ملأً أنهم مُلئوا بما يحتاج إليه مِنهُم، وقرُئَتْ لسَحَّارٌ عَليمٌ.

﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾.

قال فرعون مجيباً لهم: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

ويجوز أن يكون «فَمَاذا تأْمُرون» من قول الملأ، كأنَّهمْ خاطبوا فرعون ومن يَخُصُّهُ[٦]، وجائز أن يكون الخطاب لفرعونَ وحده، لأنه يقال للرئيس المطاع: ما ترون في هذا، أي ما ترى أنت وجندُكَ[٧].

و «مَاذا» يصلح أن تكون «ماذا» اسماً واحِداً، ويكون في موضع نصب، ويكون المعنى أي شيء تأْمُرون.

---

(١) من الأدمة وهي سمرة البشرة.

(٢) أي عند ما يظهرها ليبين بها المعجزة ـ جملة «بها الآية» حال ـ أي تظهر مبينة المعجزة.

(٣) سورة طه الآية ٢١.

(٤) سورة الشعراء الآية ٣٤.

(٥) في الحديث عن قوم فرعون في هذه السورة.

(٦) من يتصل به ويطلع على خواصه.

(٧) لا داعي لهذا إذا كان الخطاب للعظيم.

ويصلح أن يكون «ذا» في موضع الذي، وتكون ما في معنى رفع، ويكون المعنى ما الذي تأمُرون.

وقوله ﴿أَرْجِهْ وَأَخاهُ﴾.

تفسير أَرْجِهْ أَخِرّهُ، ومعناه أَخِّرْ أَمرَهَ ولا تعجل في أَمرِه بحكم فتكون عَجَلتكَ حجة عليك.

وفي قوله «أَرْجِهْ» ثلاثة أَوْجُه قد قرئ بها. قرأ أَبُو عَمْرُو: أَرجِئْهُ وأَخاه، وقرأ جماعة من القراءِ: أَرْجِهِ وأَخاه، وقرأ بعْضُهمْ أَرْجِهْ وأَخَاهُ ـ بإسكان الهاءِ.

وفيها أَوجه لا أَعلمه قرئ بها. يجوز أَرْجِهو وأَخاه، وأَرْجِهي، وأَرْجِئهي، وأَرجئهو بغير همزٍ. فأَما من قرأ أَرْجِه بإسكان الهاء فلا يعرفها الحذاق بالنحو، ويَزعُمُون أَن هاءَ الإِضْمارِ اسم لا يجوز إِسكانها. وزعم بعضُ النحويين أَن. إسكانها جائز، وقد رُويت لعمري في القراءَة إلا أَنَّ التحريك أَكثر وأَجْوَدُ، وزعم أَيضاً ـ هذا أَن هاء التأْنيث يجوز إِسكانها وهذا لا يجوز. واستشهد في هذا بشعر مجهول، قال أَنشدني بعضهم:

لـمّا رأى أَلَّا دَعَهْ ولا شِبَعْ مالَ إِلى أَرْطاةِ حِقْفٍ فَالطجع[1]

وهذا شعر لا يعرف قائله ولا هو بشيء، ولو قاله شاعر مذكور لقيل أَخطأَت، لأَنَّ الشاعِر قد يجوز أَن يخطئ.

---

(١) لمنظور بن حية الأسدي يصف ذئباً طارد ظبية فلم يلحقها فلما يئس من إدراكها أوى إلى شجرة فاستلقى تحتها، وقبله:

يـا رُبَّ أبـاز من العفر صدع تقبض الذئب إليه واجتمع

والأباز الذي يجيد القفر، العفر جمع عفراء وأعفر ـ الظبي يعلوه حمرة، والأرطاة جمع أرطى ـشجرـ، وصدع أي شق الفلاة وأسرع في جريه ـ والدعة الهدوء ـ أي لم يجد الذئب أن هناك راحة من الجري ولا لحم يؤكل.

أنظر اللسان (ضجع) وابن يعيش ٩ ـ ٨٢، ١٠ ـ ٤٦، والخصائص ١/٣٦٢.

وأنشد أيضاً آخر أجهل[١] من هذا وهو قوله[٢]

لســـت إذن لـزغْـبَـلهْ ... إن لـم أُغـيِّـر بَـكْـلتـي

إن لـــم أُسـاو بـالطُـول

فجزم الهاءَ في زغبله، وجعلها هاء، وإنما هي تاء في الوصل.

وهذا مذهب لا يعرج عليه.

وقوله: ﴿يأْتوك بكل سَاحِر﴾: وَسَحَّارٍ جميعاً قد قرئ بهما.

وقوله: ﴿وَإِنَّكمْ لمِن المُقَرَّبِينَ﴾.

أي لكم مع الأَجر المنزلة الرفيعة عندي.

وقوله: ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُم﴾.

أي استدعوا رهبَتَهُم حتى رهبهم الناس.

وقوله: ﴿فَإِذا هِيَ تَلقَفُ مَا يأْفِكُونَ﴾.

وتلقَفُ مخففةٌ ومثقلةٌ، يقال لقفْت الشيء [أَلْقَفُه].

ومعنى قوله﴿يأْفِكون﴾: أي يأْتون بالإِفْك وهو الكذب، وذلـك أنهم زعَموا أن حبَـالهم وعصيَّهم حيات فكـذبوا في ذلـك، وإنما قيـل أَنَّهُمْ جعلوا الـزئبق وصورُوها بصُوَرِ الحيَّات، فاضطرب الزئبق لأَنه لا يستقر.

وقوله: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْه مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾[٣].

فلمَّا أَلْقى مُوسَى عصاهُ بَلَعتْ عصيَّهم وحِبَالَهم، قال الشَّاعِر[٤].

أَنت عصـا مـوسى التـي لم تـزل ... تـلقـف مـا يَـأْفِـكُـه الـسَّـاحِـر

---

(١) تعبير خطأ إذ هو يريد أكثر مجهوليه لا أكثر جهلاً، فبنى «أفعل» من فعل مبني للمجهول.

(٢) لم أقف على قائله ـ وهو مجهول كما ذكر المؤلف.

(٣) سورة طه. آية ٦٦.

(٤) لم أقف على قائله.

هـذا البيت أُنشِد لأَبي عبيـدة، وزعم التَّوَّزي صـاحَبُ أَبي عُبَيْدَة أَنـه لا يعرفه. وهو صحيح في المعنى.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا﴾.

يقـال نقِمت أنْقِمُ، ونقِمْتُ أنقمُ، والأَجود نَقَمتُ أَنقِمُ والقـراءَة مَا تَنْقِم وهي أَفصح اللغتين.

وقوله: ﴿ربَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً﴾.

[أي] يشتمـل علَيْنـا.

وقوله: ﴿أَتذَرُ مُوسَى وَقَوْمَه ليُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيذَرَكَ وآلهَتَك﴾.

ويُقْرأ وإِلاَهَتَك. ويجوز ويذرُك وآلهتَـك. فَمن نَصَب «ويذرَك» رده على جـواب الاستفهام بـالواو. المعنى أَيكـون منك أَن تـذر موسى، وأَنْ يـذَرَك، . ومن قال وَيَذَرُك جَعَلَهُ مستأْنفاً، يكون المعنى: أَتَذَرُ موسى وهويذرك وآلهتك، والأَجود أَن يكون معطوفاً على «أَتَـذَرُ» فكون أَتـذرُ موسى وأَيَـذَرُكَ موسى، أَي أَتُطْلِقُ هذا له. وأَما من قـرأَ وآلهتك، فـإِنَّ المعنى أَن فِرعَـوْنَ كانت لـه أَصنام يعبدها قومُه تقرباً إِليه.

وقوله: ﴿قَال عَسَى ربكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾.

«عسَى» طمعٌ وإِشفاق، إِلا أَن ما يطمع اللَّه فيه فهـو واجبٌ، وهو معنى قول المفسّرين: أَنَّ عَسَى من اللَّه واجبٌ.

وَمَعْنى: ﴿فَينْظُرَ كيْفَ تَعْمَلُون﴾.

أَي يرى ذلك بوقوع منكم، لأَن اللَّه جلّ وعزّ لا يجازيهم على ما يعلمه منهم من خطيئاتهم التي يعلم أَنهم عامِلُوهَا لا محـالة، إِنمـا يجازيهمْ على مـا وقع منهم.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنا آل فِرْعَونَ بالسِّنِينَ﴾.

السنين في كـلام العرب الجـدُوبُ، يقال مستهم السَّنَـةُ، ومعناه جَـدْبُ السنة وشِدَّةِ السنة ونقصْ الثمرات.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكرونَ﴾.

إنما أُخِذُوا بالضرَّاءِ لأن أحوال الشِدَّةِ تُرِقُ القُلُوب وتُرَغِّبُ فيما عند اللَّه وفي الرجوع إليه، ألا ترى إلى قوله جلّ وعزّ:

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّـرُّ في البحر ضَـلَّ مَنْ تَدْعُـون إلَّا إيَّاهُ﴾[1]، وقـال جلَّ وعز: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا على الإِنسَانِ أَعْرَض وَنَأَى بِجَانِبِه وإِذَا مَسَّه الشَّـرُ فذُو دُعـاءٍ عَرِيض﴾[2].

وقوله: ﴿فإِذَاجَاءَتْهُمُ الحَسنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾.

أي إذا جاءَهم الخِصْبُ قالوا أُعْطِينَا هذا باستحقاق.

﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيئَةٌ﴾.

أي جَدْبُ أو ضُرٌ.

﴿يطيَّروا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾.

المعنى: يتطيَّرُوا. فأُدغمَت التاءُ في الطاءِ، لأنهما من مَكـان واحد من طرف اللسانِ وأُصول الثنايا.

وتفسير قوله: يطيَّروا: يتشاءَموا، وإنما قالت العرب الطيرةُ ويتـطير فيمـا يكرهونَ، على مـا اصطلحـوا عليه بينهم، جعلوا ذلـك أمراً يتشـامون بـه فقال عزّ وجلّ: ﴿أَلا إنما طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّه﴾.

---

(١) سورة الإسراء الآية ٦٧.

(٢) سورة فصلت آية ٥١.

المعنى: أَلاَ إنما الشؤْم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به في الآخرة لا ما ينالهم في الدنيا، وقال بعضهم: «طَائِرهم» حظهم، والمعنى واحد.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنا بِهَا﴾.

زعم بعض النحويين أن أصل «مهما»: مَا تأتنابه، ولكن أبدل من الألف الأولى الهاء، ليختلف اللفظ، فما الأولى هي ما الجزاءُ، وما الثانية هي التي تزاد تأكيداً للجزاءِ، ودليل النحويين على ذلك أنه ليس شيء من حروف الجزاءِ إلاَّ و «ما».. تزاد فيه، قال اللَّه جلّ ثناؤه: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَنْ خَلْفَهُم﴾[1] كقولك إن تثقفهم في الحرب فشَرِدْهم. وقوله: ﴿وَإِمَا تُعْرِضَنَّ عنهم﴾[2] أيضاً وهذا في كتاب اللَّه كثير.

وقالوا: جائز أن تكون «مَهْ» بمعنى الكفّ، كما تقول مَهْ أي أكفف، وتكون «ما» الثانية للشرط والجزاءِ، كأنهم قالوا واللَّه أعلم - أكفف مَا تأتينا به من آية[3].

والتفسير الأول هو الكلام وعليه استعمال الناس. وهذا ليس فيما فيه من التفسير شيءُ لأنه يخل اختلاف هَذين التفسيرين بمعنى الكلام.

وقوله: ﴿ فأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفان ﴾.

قال الأخفش: الطوفان جمع طوفانه[4]، وقيل في التفسير إن الطوفان المطر الذي يُغرقُ من كثرته، قال اللَّه جلّ وعزّ في قصة نوح: ﴿فَأَخَذَهُمْ

---

(١) سورة الأنفال الآية ٥٧.

(٢) سورة الإسراء الآية ٢٨.

(٣) ويتم الكلام عند «مه» بمعنى اكفف، ويقتضي هذا أن تفصل «مه» في الكتابة عن ما.

(٤) اسم جنس جمعي.

الطوفان وهم ظالِمُون﴾[١]. وقيل الطوفان الموت العظيم.

وقوله: ﴿وَالقُمَّلَ﴾.

قال فيه أبو عبيدة هو الْحَنْمَان صِغار القِرْدَان[٢].

واختلف في تفسيره فقال بعضهم هِيَ دَوَاب أَصْغَرُ من الْقَمْل.

﴿وَالدَّمَ﴾.

قيل إن اللَّه جلّ وعزّ: جعل مَاءَهمْ دَماً، فكان الإسرائيلي يستقي الماءَ عذباً صافياً، فإذا أخذه القبطِيُّ تحوَّلَ دَماً صَافِياً.

وقوله: ﴿آياتٍ مُفصَّلاتٍ﴾.

أي إن بعضها منفصل مِنْ بعض، ويقال إنه كان بين الآية والآية ثمانية أيَّامٍ، وأُرسلت عليهم الضفادِع تَدْخل في ثِيَابِهِمْ وفي طعامِهِمْ.

و ﴿آيات﴾ منصوب على الحال، وهي العلامات.

وقوله: ﴿ وَلمَّا وَقعَ عَلَيْهِمْ الرِّجْزُ﴾.

والرجز اسم للعذاب.

﴿قالوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عندكَ لئِن كَشَفْتَ عنا الرِّجْز لَنُؤْمِنَن لك وَلنُرْسِلَنَّ معكَ بَنِي إسْرَائِيلَ﴾.

وكانوا قد أخذوا بني إسرائيل بالكد الشَدِيدِ[٣] حتى قالوا لموسى:

﴿أُوذِينَا مِن قَبْل أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعدِ مَا جِئْتَنَا﴾.

فيقال إنهم كانوا يستعملون بنى إسرائيل في تلبين[٤] اللَّبِن، وكان

---

(١) سورة العنكبوت ١٤.

(٢) القردان جمع مفرده قُرَد كصرد، وقراد كغراب، ـ وهو دويبة كالحشرة، والحَمْنُ والحَمنانُ صغار القردان واحدتهما بالتاء.

(٣) العمل الدائب الذي لا هوادة فيه.

(٤) عمل الطين ليصنعوا منه الطوب النيء.

فـرعون وأَصحـابه من القبطِ يفعلون ذلـك ببني إسـرائيـل، فلمـا بعث مـوسى أَعطوهم اللَّبِنَ يُلَبِّنُونَه[1] ومنعُوهم التبْن لِيَكون ذلِكَ أشق عليهم.

وقوله: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقنَاهمْ فِي الْيَمِّ﴾.

وهو البحر، وكذلك هو في الكتبِ الأُوَلِ.

﴿وكانُوا عَنْهَا غَافِلِين﴾.

أي كانوا لا يعتبرون بالآيات التي تنزل بهم.

وقوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِين كانوا يُسْتَضعَفون مَشارِقَ الأَرْضِ وَمَغارِبَهَا﴾.

يعني بني إسرائيل، وكان منهم داوُد وسليمان مَلكُوا الأَرْضَ[2]

وقوله: ﴿وَتَمَّتْ كلِمَة رَبِّكَ الْحُسْنَى﴾.

يعنى ما وعدهم اللَّه به من إِهلاكِ عَدوِّهِمْ واستخلافِهِمْ في الأَرْضِ.

﴿وَدَمَّرْنَا مَا كان يَصْنَعُ فِرْعَونُ وَقوْمُه وَمَا كانُوا يَعْرِشُونَ﴾.

وَيَعْرُشون جَمِيعاً. يقال عرَش يَعْرِش وَيَعْرُشُ، إذا هو بنى.

ومعنى: ﴿يَعْكُفُون عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾.

أي يواظبون عليها ويلازمـونها، يقـال لكل من لـزم شيئاً وواظب عَليْـهِ، عَكفَ يَعْكِف ويعْكفُ. ومن هذا قيل للملازم للمسجد معتكف.

وقوله: ﴿إِن هؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَا هم فيهِ وبَاطِلٌ [مَا كانوا يَعْمَلُونَ]﴾.

﴿مُتَبَّرٌ﴾ مُهلكٌ وَمُدَمـر، ويقال لكـل إناءٍ مكسَّـرٍ متبَّرٌ، وَكُسَـارَتُه[3] يقـال له التِّبْر.

وقوله: ﴿قالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلهاً﴾.

---

(١) أعطوهم الطين ليصنعوا منه الآجر بدون تبن. وتماسكه بدون تبن شاق.

(٢) لم يملك داود ولا سليمان الأرض المصرية، ولكن ملكا أرض فلسطين وهي الأرض التي بارك الله فيها.

(٣) قطعه وفتاته.

أي أغيْرَ اللَّه أطلبُ لكم إلٰهاً: ﴿وهُوَ فَضَّلكُمْ عَلَى العَالَمين﴾.

وقوله: ﴿ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِن آل فِرْعَونَ ﴾.

المعنى: واذكروا إذ أنجيناكم من آل فِرْعَوْن.

﴿يَسُومُونَكم سُوءَ الْعَذَابِ﴾.

معنى يسومونكم يُولُونكم.

وقوله: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى﴾: وَوَعَدنا موسى.

﴿ثَلاثِين لَيْلَةً وَأَتمَمْنَاها بِعَشْرٍ﴾.

قيل أمره اللَّه أن يصوم ثلاثين يَوْماً، وأن يعمل فيها بما يُقَرِبه إلَى اللَّهِ، وقيل في العَشرِ أُنزلت عَليْهِ التَّوْراة وكُلِّمَ فِيهَا.

وقال بعضهم لما صام ثلاثين يوماً أنْكرَ خُلُوفَ[1] فِيهِ فاسْتَاكَ بعود خَرُّوبٍ، فقالت الملائكة إنا كنا نَسْتَنْشِيءُ مِن فيكَ رائحة المسك فأفسدته بالسواك. فزيدت عَليه عَشْرُ ليالٍ. وقد قال في موضع آخر: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[2]. فهذا دليل أن المواعدة كانت أرْبعين ليلةً كاملة، واللَّه جلّ وعزّ أعلم.

وقوله: ﴿وَقَالَ مُوسَى لأخيهِ هارون [اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي]﴾.

يجوز هارونَ بالفتح وهو في موضع جر بدلاً من أخيه، ويجوز لأخيه هارونُ بضمِّ النُّونِ، ويكون المعنى وقال موسى لأخيه، يا هَارُون ﴿أخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقاتِنا﴾.

أي للوقتِ الذي وقَّتْنَا له.

﴿وكَلَّمَهُ ربُّه﴾.

---

(١) خلوف فمه: رائحته وهي تتغير عند الجوع.

(٢) سورة البقرة الآية ٥١.

كلم اللّه موسى تكليماً. خصَّه اللّهُ أنه لم يكن بينه وبين اللّه جلّ ثناؤه وفيما سَمِعَ أحَدٌ، ولا مَلَكٌ أسْمَعه اللّهُ كَلاَمَهُ، فلما سمع الْكَلاَمَ ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾.

أي قد خاطبتني من حيْثُ لا أراك، والمعنى أرِني نفْسَك.

وقوله: ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ﴾: مجزوم جواب الأمر.

﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾: ولن نفي لما يستقبل.

﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَر مَكَانَه فَسَوفَ تَرَانِي﴾.

﴿فَلَما تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَل﴾.

أي ظهر وبان.

﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾.

يجوز «دكًّا» بالتنوين، ودَكَّاءَ بغَير تنوينٍ، أي جَعله مَدْقُوقاً مع الأرض، يقال دككت الشيءَ إذا دققته، أدُكه دَكا، والدكَّاءُ والدَّكَّاوَاتُ الروابي التي مع الأرض ناشزة عنها، لا تبلغ أن تكون جبلا.

وقوله: ﴿وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً﴾.

صَعِقاً منصوب على الحال، وقيل إنه خر مَيِّتاً، وقيل خرَّ مَغشيَّاً عليه.

﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾.

ولا يكاد يقال للميت قد أفاق من مَوْته، ولكن للذي غشي عليه والذي يذهب عقله قد أفاق من علته، لأن اللّه جلّ ثناؤه قال في الذين ماتوا: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾[1].

وقوله: ﴿قَالَ سُبحَانَكَ﴾.

---

(١) سورة البقرة الآية ٥٦، أي لم يقل أفاقوا.

أي تنـزيهاً لـك من السوءِ. جـاءَ عن النبي ﷺ، أَن قوْلـه «سبحان اللَّه» تنزيه للَّه من السُّوءِ. وأَهل اللغـة كذلـك يقُولـون من غير مَعْـرِفةِ بمـا فيه، عن النبي ﷺ ولكن تفسيره يجمعون عليه[1].

وقوله: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِين﴾.

أي أول المؤمنين بأَنك لا ترى في الدنيا.

هذا معنى ﴿أَرِني انظرْ إِليك﴾ إلى آخره الآية، وهو قول أَهل الْعِلْم وأَهـل السنة.

وقـال قوم: معنى ﴿أَرني انْظُر إِليك﴾، أَرني أَمـراً عظيمـاً لا يُـرَى مِثْلُه في الدنيا مما لا تحتمله بنية مـوسى، قالـوا فأَعلمـه أَنه لن يـرى ذلك الأَمْـر، وأَن معنَى. ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾: تجلى أَمر رَبِّه.

وهذا خطأٌ لا يعرفه أَهـل اللغة، ولا في الكـلام دليل أَن مـوسى أَراد أَن يرى أَمراً عـظيماً من أَمْـرِ اللَّه، وقد أَراه اللَّه من الآيـات في نفسه مـا لا غايـة بَعْدَه. قد أَراه عصـاه ثعبانـاً مبيناً، وَأَراه يـده تخرج بيضـاءَ من غير سـوءٍ وكان أدم[2]، وفـرَق البحر بعصـاه. فأَراه من الآيـات العظام مـا يستغنى بـه عن أَنْ يطلُبَ أَمْراً من أَمر اللَّه عظيماً، ولكن لما سَمِعَ كلام اللَّه قـال: رب أَرِني أَنظر إِليك، سمعت كلامك فأَنا أُحب أَن أَراك. فأعلمه اللَّه جلّ ثنـاؤه أَنه لن يـراه. ثم أَمره اللَّه أَن يشكره، فقال:

﴿يا مُوسَى إِنِّيَ اصْطفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾.

أي اتخذتك صفوةً على الناس.

﴿برِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي﴾.

---

(١) أي لا يعرفون اشتقاقه.

(٢) كانت يده بيضاء تتلألأ مع أن لونه أسود.

ولـو كان إنمـا تَبِعَ كَـلاَمَ غيـر اللّه لمـا قـال بـرسـالاتي وبكـلامي، لأن الملائكة تنزل إلى الأنبياءِ بكلام اللّه.

وقوله: ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرين﴾.

ثمَّ أعلَم اللَّه جلّ ثناؤه أنه قد أعطاه من كل شيءٍ يحتـاج من أمْر الـدِّين مع ما أراه من الآياتِ فقال جلّ وعزّ:

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيءٍ مَوْعِظَةً وَتَفصِيلاً لِكُلِّ شَيءٍ﴾.

وقيل في التفسير إنهمـا كانـا لوحين. ويجـوز في اللغة أن يقـال للوحين ألواح. ويجوز أن يكون ألواح جمع أكثَر مِنَ اثْنَين.

وقوله: فَخُذْهَا بِقُوَّة، أي خُذْها بقوةٍ في دينك وَحجَّتِكِ.

وقوله: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بأَحْسَنِها﴾.

في هـذا وجهان، وهـو نحو قـوله: ﴿الَّـذِين يَسْتَمِعُـونَ القـولَ فَيَتَّبِعـون أَحْسَنَهُ﴾[1] ونحو قوله: ﴿اتَّبِعُوا أحسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِنْ رَبِّكُمْ﴾[2].

فيحتمل وجْهيْن: أَحَدُهمَا أَنَّهُمْ أمِرُوا بالخَيْرِ ونُهُوا عن الشَّرِ، وعرِّفوا مَـا لَهُم فِي ذَلِكَ، فقيلَ ﴿وَأمُرْ قَوْمَك يأخذوا بأَحسَنِها﴾ ويجوز أن يكون نَحوَ ما أُمِرْنا به من الانتصار بعد الظلم، ونحـو القصَاصِ في الجـرُوحِ إذ[3] قال: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَر إن ذلِك لِمَنْ عَزْمِ الأُمورِ﴾[4]، ﴿وَلَمَن انتصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فأُولئكَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيل﴾[5] فهذا كله حَسَنٌ والعفـو أحسنُ من القِصاصِ والصَبْـرُ أحسن من الانتصار.

---

(١) سورة الزمر آية ١٨.

(٢) سورة الزمر آية ٥٥.

(٣) أي من أن العفو خير من القصاص، وكل جائز.

(٤) سورة الشورى الآية ٤٣.

(٥) سورة الشورى الآية ٤١.

وَقوله: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ في الأَرْضِ بغَيْرِ [الحق]﴾.

أي أَجعَلُ جزاءَهم الإِضْلالَ عن هداية آياتي، ومعنى ﴿يتكَبَّرُونَ﴾ أي انَّهم يرون أَنَّهم أَفضَلُ الخلقِ وأَن لهم من الحق ما ليس لغَيْرِهِم. وهذه الصفة لا تكون إلَّا للَّه جلّ ثناؤه خاصَّةً لأَن اللَّه تبارك وتعالى هو الذي له القدرَةُ والفضلُ الذي ليس مثله، وَذَلِكَ يَسْتحقُّ أَن يقال له: المتكَبِّر، وليس لأَحدٍ أَنْ يتكَبر لأَن الناس في الحقوق سواءٌ. فليس لأَحدٍ مَا لَيْسَ لِغَيره واللَّه جلّ ثناؤه المتكبرُ.

أعلم اللَّه أن هؤلاءِ يتكبرون في الأَرض بغير الحق.

وقوله: ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذوهُ سَبِيلاً، وَإِنْ يَرَوْا سَبيلَ الغَي يتَّخِذُوه سَبيلاً﴾.

وسبيلُ الغيّ هو سبيل الضَّلال، يقال: غوَى الرجل يَغْوِي غيًّا وهو غاوٍ إذا ضَلَّ.

وقوله: ﴿ذَلِكَ بأَنَّهُمْ كذَّبوا بآياتِنا﴾.

«ذَلِكَ» يصلح أن يكون رفعاً، أي إن أَمْرَهُم ذلك، ويجوز أَن يكون نصباً على معنَى فَعَل اللَّهُ بهم ذلك بأَنهم كذَّبوا بآياتِنَا.

﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾.

«غافلين» يصلح أن يكون - واللَّه أَعلم - كانوا في تركهم الإِيمان بها والنظَرِ فيها والتدبُّر لها بمنزلة الغافلين.

ويجوز أن يكون ﴿وكانوا﴾ عن جوابها غافلين كما تَقول: ما أَغْفَلَ فلاناً عما يُرَادُ به.

وقوله: ﴿وَاتَّخذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِه مِنْ حَلْيِهِمْ﴾.

و﴿من حُلِيِّهِمْ﴾ ومن حِلِيِّهِمْ.

فمن قـرأ من ﴿حَلْيِهم﴾ فالحَلْيُ اسم لما يُحَسَّنُ به من الذهب والفضة، ومن قرأ ﴿من حُلِيّهِمْ﴾ بضم الحـاءِ ـ فهـو جمـع حَلْيٍ على حُلِيٍّ مثـل حَقْـوٍ وحُقِيٍّ[1]، ومن كسر الحاءِ فقال من حِلِيّهِمْ ـ أَتْبَعَ الحاءِ كسر اللام.

ومعنى ﴿من بَعْده﴾ أي من بعد ما جَاءَ الميقات، وخَلفَهُ هارون في قومـه، وكان لهم حَلْيٌ يجمعونه في أيام زِينتهم، وكان لِلْقِبَّةِ حَلى عند بني إسرائيـل. فقال لهم السامري، وكانَ رجلاً مطاعاً فِيهم ذَا قَدْر، وكانوا قد سألوا موسى أن يجعل لهم إلٰهاً يعبدونه كما رأوا قوم فرعون يَعْبُدُون الأصنامَ. فجمع السامِرِيّ ذلك الحلى، وهو قولهم:

﴿ولَكنَّا حُمِّلنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ القَوْمِ فقَذَفْنَاهَا﴾[2] أي أَلقيناها.

﴿فكذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾[2] أي وكـذلك طـرح السّامِـريُّ ما كـان عنـدَهُ من الحلى فصاغه في العجل.

فقال [اللّه تعالى]:

﴿وَاتَّخَذ قوْمُ مُوسَى مِنْ بَعدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً﴾.

والجسـد هو الـذي لا يعقل ولا يميـز، إنمـا معنى الجَسَـد معنى الجثة فقط.

﴿لَهُ خُوَارٌ﴾: أي له صوت.

وقيل له جُوأر ـ بالحاءِ والجيم ـ وكلاهمـا من الصوت، وكـان قد عمله، كمـا تُعْمَلُ هـذه الآلات التي تصـوِّتُ بـالْخَيْـلِ، فجعله في بيت وأَعلمهمُ أن إلَهَهُمْ وإله موسى عنده. ويقال في التفسير إنَّه سُمِـعَ صَوْتُـه مرةً واحـدةً فقط، فقال اللّه عزّ وجلّ:

---

(١) الحقو: الكشح والإزار أو معقده كالحقـوة والحقاء، ويجمـع على أحق وأحقاء وحقي وحقـاء. والحقو الموضع الغليظ المرتفع عن السيل وموضع الريش من السهم.

(٢) سورة طه الآية ٨٧.

﴿ألم يروا أنَّه لاَ يُكَلِّمُهُم وَلاَ يَهْدِيهُمْ سَبيلاً﴾.

أي لا يُبَيِّن لهم طريقاً إلى حجة.

وقوله: ﴿ولما سُقِطَ في أَيْدِيهِمْ﴾.

يقال للرجل النادم على مَا فَعَلَ الْخسِر عَلَى ما فرط منه، قد سُقِطَ في يده وأُسْقِطَ، وقد رُوِيَتْ سُقِطَ في القراءَة، فالمعنى: ولما سقط الندم في أيديهم، كما تقول للذي يحصل على شيءٍ - وَإِنْ كَانَ مما لا يكون في اليد - قد حصل في يده من هذا مكروه، تُشَبِّهُ ما يحْصُل في القلب وفي النفس بما يرى بالعَيْنِ.

وقوله: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَان أَسِفاً﴾.

﴿غضبان﴾ منصوب على الحال، وهو على مثال فعلان، وله فَعْلى[1] نحو غَضْبَى - لم ينصرف، لأن فيه الأَلفَ والنُّونَ، كألفي حمراءَ، والأسف: الشديد الغضب، قال اللَّه جلّ وعزّ: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتقمنا منْهُمْ﴾[2]، أي فلما أغضبونَا.

وقوله: ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾.

يقال عجلت الأمر والشيءَ سبقته، وأعجلته استحثثته.

﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾.

بالفتح وإن شئت بن أُمِّ بالكسر، فمن قال ابن أم بالفتح فإنه إنما فتحوا في ابن أمٍ وابنَ عم لكثرة استعمالهم هذا الاسم. وأن النداءَ كلام محتمل للحذف فجعلوا «ابن» و «أمّ» شيئاً واحداً نحو خمسة عشر. ومن قال ابن أُمِّ - بالكسر - فإنه أضافه إلى نفسه بعدَ أن جعله اسماً واحداً، ومن العرب من

---

(١) أي وله هذا الوزن مؤنثاً ولا يقال لأنثاه فعلانة.

(٢) سورة الزخرف الآية ٥٥.

يقول: يا ابن أُمِّي بإثباتِ الياء، قال الشاعر:[١]

يــا ابـن أمي ويــا شُـقَيِّـقَ نَـفْـسِـي   أَنْـتَ خَـلَّيْـتَـنِـي لِـدَهْـرٍ شَـدِيـد

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾.

المعنى اتخذوا العجل إلهاً.

وقوله: ﴿وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

لحقتهم الذلة أنهم رأوا أنهم قد ضلوا وذَلُّوا، والذِّلَّةُ هـو ما أمـروا به مِنْ قَتْـلِ أَنْفُسِهِمْ، وقيل إن الـذِّلَّة أخـذ الجزيـةِ، وأخذ الجـزية لم يقـع في الذين عبدوا العجل، لأن اللَّه جلّ وعزّ تاب عليهم بِقَتْلِهِمْ أَنْفُسَهمْ[٢].

وقوله: ﴿ولَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾.

يقـال سكت يسكُتُ سَكْتاً إذا هـو سكن، وسكت يسكتُ سُكُوتـاً وَسَكْتاً إذا قطع الكلام، ويقـال: رجل سِكِّيت بيِّنَ السُّكُـوت والساكـوتةِ إذا كـان كَثِيرَ السكوتِ، وأصاب فلاناً سُكَّـاتٌ إذا أصابـه داء منعه من الكـلام، والسُّكَيْتُ ـ بالتخفيف والتشديد ـ الذي يجيء آخِـرَ الْخَيْلُ، وروى بعضهم: «ولمـا سُكِتَ عن موسى الغضبُ» ولا تقرأنَّ به لأنه خـلاف المصحف، قول بعضهم: ولمـا سكت عن مـوسى الغضبُ معنـاه: وَلَمَّــا سَكَتَ مُـوسَى عن الغضب، على القلب، كمـا قـالـوا: أَدْخَلْتُ الْقَلَنْسُـوَةَ في رَأْسِي، المعنى أدْخلت رأسي في الْقَلَنْسُوَةِ، والقول الذي معناه سكن قول أهل العربية.

وقوله: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا﴾.

---

(١) البيت لأبي زبيد الطائي من قصيدة يرثي بها أخاه، وشقيق تصغير شقيق صغره للرحمة. والبيت في العيني ٤ ـ ٢٢٢ وابن يعيش ٢ ـ ١٢، وابن الشجـري ٢ ـ ١٧٩، والكـتـاب ٢ ـ ٢١٣ ت هرون. ومن شواهد النحو الشائعة.

(٢) المراد بهذا الحديث بنو إسرائيل جميعاً أي الطائفة التي فعلت ذلك.

معناه واختار موسى من قومه، وكان موسى اختار من اثني عشر سِبطاً من كل سبطٍ ستَّة رجال، فبلغوا اثنين وسبعين رَجُلاً فَخَلَّفَ منهم رَجُلَيْن.

ومعنى اختار قومه، اختار من قومه فحذفت «من» وَوُصِلَ الفعلُ فَنُصِبَ، يقال اخترت من الرجال زيداً واخترت الرجال زيداً.

وأنشدوا: (١)

ومنا الذي اختارَ الرجالَ سماحة   وجوداً إذا هب الرياح الزعارع

وقوله: ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُم الرَّجفَة﴾.

وهي الحركة الشديدة والزلزلة الشديدة.

يقال إنه رجف بهم الجَبلُ فماتوا فقال:

﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلكتَهُم مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾.

أي لو شئت أمَتَّهم من قبل أن تأْتيهم بما أَوْجَبَ عليهم الرجفة.

وقوله: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْك﴾.

معناه تُبْنَا إليك.

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ﴾.

أَي كلُّ ما خَلَقْتُه فبرحمتي وفضلي يعيش، فمعناه ورحمتي وَسِعَتْ كل شيءٍ في الدنيا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فسَأَكتُبها للذينَ يَتَّقُونَ﴾.

في الآخرة، أي أُجازيهم بها في الآخرة.

---

(١) البيت للفرزدق من قصيدة ينقض بها عينية على هذا الوزن لجرير ورواية البيت اختير الرجال - أي اختير من الرجال والزعازع واحدها زعزع، وزعزوع، والزعزع وهي الرياح الشديدة - يريد زمن الشتاء والجدب، أي الناس يقصدون أهله للعطاء حين يشح الناس ويجدب الزمان انظر شواهد المغني ص ٣ وديوان الفرزدق ٥١٩.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبيّ الأُميَّ﴾.
الأُمي هو على خلقة الأُمَّة، لم يتعلم الكتاب فهو على جِبِلَّتِهِ.
وقوله: ﴿الَّذِي يَجِدُونَه مكْتُوباً عِنْدَهُم في التَّوْرَاةِ وَالإنْجِيل﴾.

وهذا أبلغ [في] الاحتجاج عليهم لأنه إخبار بما في كُتُبهم، والنبي ﷺ لم يكن يكتب ولا قرأ التوراة والإنجيلَ، ولا عَاشَر أهلَهما فإتيانه بما فيهما من آيات اللَّه العظام. ومُحال أن يجيءَ مُدَّعٍ إلى قوم فيقول لهم ذِكْرِي في كتابكم، وليس ذلك فيه. وذكره قد أنبأ من آمن من أهل الكتاب [به].

وقوله: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾.
يجوز أن يكون يأمرهم مستأنفاً.
وقوله: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيبَاتِ﴾.

أي يحل لهم ما حُرِّمَ عليهم من طيباتِ الطَّعام. ويجوز ﴿وَيُحُلُّ لهم الطيباتِ﴾أي ما أخذ مِن وجْههِ طيِّباً.

﴿ويُحرّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِث وَيَضَعُ عَنْهُمْ إصْرَهُمْ﴾.
والاصر ما عقدته من عَقْد ثقيل.
﴿والأَغْلاَلَ الَّتي كانَتْ عَلَيْهِمْ﴾.

والأغلال تمثيل، ألا ترى أنك تقول: جَعلت هذا طوقاً في عُنُقِك، وليس هناك طوق، وإنما تأويله أنّي قَدْ وَلَّيتُكَ هذا وألزمتك القِيَامَ بِه، فجعلتُ لزومَه لك كالطوق في عنقك.

والأغلال التي كانت عليهم: كان عليهم أنه من قتَلَ قُتِل، لا يُقْبَلُ في ذلك دِيَةٌ، وكان عليهم إذا أصاب جلودَهُم شيءُ من البَوْل أن يَقْرِضُوه، وكان عليهم ألا يَعْمَلُوا في السَّبْتِ. فهذه الأَغْلال التي كانت عليهم.

وقوله: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾.

أي بمحمد ﷺ.

﴿وَعَزَّرُوه ونَصَرُوهُ﴾.

اختلف أهل اللغة في معنى قوله: ﴿وعَزَّرُوه﴾ وقوله: عَزَّرْتُ فُلاناً أُعزِّرُه وأَعْزُرُه عزْراً، قال بعضهم: معنى عَزَرْتُه رَدَدتُه، وقال بعضهم معنى عَزْرتُه أَغَثْتُه، وقال بعضهم: يقال عَزَرْتُ الرجلَ أَعْزِرُه إذا لمتُهُ، ويقال عزَّرْتُ فلاناً، قال بعضهم عَزَّرْتُ فُلاناً نصرتُه، وقال بعضهم منِعتُ منه، فالمعنى:

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا به وعَزَّرُوه وَنَصَرُوه﴾ معنَى عزَّروه منعوا أعداءه من الكُفْرِ به، وقال بعضهم: عَزَّروه بمعنى نصروه، والمعنى قريب لأن مَنْعَ الأعداء منه نصرته.

ومعنى عزَّرْتُ فلاناً إذا ضَرَبْتُه ضرباً دونَ الحدّ، يمنعه بِضَرْبه إياه عن مُعَاودَةِ مثل عمله.

وقوله: عَزَّرْتُه رَدَدْتُه يجوز أن يكون منه التعزيز، أي فَعَلْتُ به ما يَرُدُه عَنْ المعْصِيَةِ.

وقوله: ﴿واتَّبَعُوا النُّورَ الذي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾.

أي واتَّبَعوا الحقَّ الذي بيانه في القلوب كبيان النُّورِ في العيون.

وقوله: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالْحَق﴾.

أي يَدْعُونَ الناس إلى الهداية بالحق.

﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾.

أي وبالحق يحكمون.

وقوله: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً﴾.

ويجوز عَشِرة ـ بكسر الشين ـ المعنى قطعناهم اثنتي عشرة فرقة أَسْبَاطاً

من نعت «فرقه»[1] كأنه قال: جَعَلْنَاهم أسباطاً وفرقناهم أَسْبَاطاً فيكون أسباطاً بدلاً من اثنتي عشرة. وهو الوجه.

وقوله: ﴿أُمماً﴾ من نعت أسباطاً.

قال بعضهم: «السِّبْطُ القرن الذي يجيءَ بَعْدَ قَرْنٍ، والصحيح أن الأسباط في وَلَدِهِ إسحاق[2] بمنزلة الْقَبَائِل في وَلَدِ إِسْمَاعِيل» فَوَلَدُ كُلٍّ من وُلِدَ من أولاد يعقوب سبط[3] وَوَلَدُ كُلٍّ من وَلَدِهِ من وَلَدِ إسماعيل قبيلة. وإنما سُمِّيَ هؤُلاءِ بالأَسْبَاطِ، وهؤُلاءِ بالقبائل، لِيُفْصَلَ بين وَلدِ إِسْمَاعِيلَ وَوَلَد إِسْحَاقَ. ومعنى القبيلة من وَلَدِ إسماعيل معنى الجماعة يقال لِكل جماعة مِنْ وَلدٍ قَبِيلَةٌ وكذلك يقال لكل جمع على شيءَ واحد: قبيلٌ، قال اللَّه جلّ وعزّ: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ من حيث لا تَرَوْنَهُمْ﴾[4]، فأما الأَسباط فهو مُشْتَقٌ من السَّبَطِ، والسُّبَطُ ضرب من الشَّجر تُعْلِفُهُ الإبِلُ، ويقال للشجرة لها قبائلُ. فكذلك الأَسباطُ من السَّبَطُ. كأَنه جَعَلَ إسحاق بمنزلة شجرة، وجُعِلَ إسماعيلُ بمنزلة شجرة.

وكذلك يَفْعَلُ النسابُونَ في النسب يجعلون الوالد بمنزلة الشَّجَرَةِ ويجعلون الأَولاد بمنزلة أغصانها، ويقال: طُوبىَ لِطرْحِ[5] فلانٍ، وفلانٌ من شجرةٍ صَالِحَةٍ - فهذا - واللَّه أَعلم - معنى الأَسبَاطِ والسّبْطِ.

وقوله جلّ ثناؤه: ﴿واسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السبْتِ﴾.

---

(١) قدر فرقة لأن الأسباط جمع سبط وهو مذكر، فقدر تمييز العدد محذوفاً - و «أسباط» نعت له.

(٢) الأسباط هم أبنا يعقوب الأثنا عشر، ويعقوب ابن إسحاق. وكان الأقرب نسبة الأسباط إلى يعقوب.

(٣) في الأصل سبطاً.

(٤) سورة الأعراف الآية ٢٧.

(٥) أي لأولاده - والطرح الثمر والنتاج.

السؤال على ضربين، فأحد الضربين أن تسأَل لِتَسْتَخْبِرَ عما لَا تَعْلَمُ لِتَعْلَمَ، والضرب الثاني أن تسأَل مستخبراً على وجه التقرير، فتقولُ للرَّجُلِ أأنا فعلتُ كذا؟ وأنت تعلم أنَّك لم تفعل، فإنما تسأله لِتُقَرِّرَهُ وَتُوَبِّخَهُ. فمعنى أمر النبي ﷺ أن يسأل أهل الكتاب عن أهل هذه القرية ـ وقد أخبر اللَّه جلّ ثناؤه ـ بِقِصَّتِهَا لِيُقرِّرَهُم بقديم كفرهم، وأن يُعْلِمهُمْ ما لا يُعْلم إلَّا بكتاب أو وَحْي.

﴿إذ يَعْدُون فِي السَّبْتِ﴾.

أي إذ يظلمون فِي السَّبْتِ، يقال [عَدَا] فلانٌ يَعدُو عُدْواناً، وعِدَاءً وَعَدْواً، وَعُدُوًّا ـ إذَا ظَلَمَ.

وقوله: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾.

حيتان ـ جمع حوتٍ، وَأَكْثَرُ ما تُسَمِّي العربُ السمَك الْحِيتَانَ والنينان(1).

﴿إذ يَعْدُون فِي السَّبْتِ﴾.

موضع «إذ» نصبٌ، المعنى سَلْهُم عن عُدُوِّهِمْ في السَّبْتِ، أي سلهم عن وقت ذلك.

﴿إذ تَأْتِيهِمْ﴾.

في موضع نصبٍ أَيْضاً بـ«يعدون». المعنى سلهم إذ عَدَوْا في وقت الإِتْيانِ.

﴿شُرَّعاً﴾.

أي ظاهرة، وكانت الحيتان تأْتي ظاهرة فكانوا يحتالون بِحَبْسِها في يوم السبت ثم يأْخذونها في يوم الأَحد، ويقال إنَّهم جاهروا بأَخذها في يوم السبتِ.

---

(1) جمع نون وهو الحوت، وبه سمي يونس عليه السلام ذا النون أي صاحب الحوت.

وقوله: ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ﴾.

أي مثل هذا الاختبار الشديد نختبرُهُمْ.

وموضع الكاف نصب بقوله: ﴿نَبْلُوهُمْ بِمَا كانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

أي شددت عليهم المحنة بِفِسْقِهِمْ. ويحتمل ـ على بعد ـ أن يكون: ويوم لا يَسْبِتُونَ لا تأْتيهم كذلك[1] أي لا تأْتيهم شُرَّعاً، ويكون نَبلوهم مستأْنفة، وذلك القول الأَول قول الناس[2] وهو الجيد.

﴿وَإِذْ قَالَت أُمَّةٌ مِنْهُم لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً﴾.

الأَصل لِمَا، ولكن الأَلف تحذف مع حروف الجر نحو لِمَ وعَمَّ وَبِمَ، قال اللّه تعالى: ﴿فبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾[3]، ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾[4].

ومعنى الآية أَنهم لَامُوهُمْ في عظة قوم يعلمون أَنهم غير مُقْلِعينَ. هذا الأَغلَبُ عليْهم في العلم بهم.

﴿اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُم عَذَاباً شَدِيداً﴾.

ومعنى «أَوْ» ـ واللّه أعلم ـ أَنهم أَخبروهم ـ على قدر ما رأَوا من أَعمالهم ـ أَنهُم مُهْلَكُونَ في الدنيا أَو معذبونَ في الآخرة لا محالة.

وقوله: ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾.

المعنى قالوا موعظتنا إِياهم معذرة إِلى ربكم وَلَعَلهُمْ يتقُونَ.

فالمعنى أَنهم قالوا: الأَمر بالمعْروف وَاجبٌ علينا، فَعلينا موعظة هؤلاءِ لعَلهُمْ يتقُونَ، أَي وجائز عندنا أَن ينتفعوا بالمعذرة.

---

(١) لا تأتيهم على هذه الحالة.

(٢) قول جمهور المفسرين.

(٣) سورة الحجر الآية: ٥٤.

(٤) سورة النبأ الآية: ١.

ويجـوز النصْبُ في «مَعْذِرَة» فيكُـون المعنَى في قوله: ﴿قالوا معذرة إلى رَبِّكم﴾ على معنى يعتذرون مَعْذِرةً[1].

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾.

﴿نَسُوا﴾ يجوز أن يكون في معنى تركوا، ويجوز أن يكون تركهم بمنزلة من نَسِيَ.

وقـوله: ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَـوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَـذْنَا الَّـذِينَ ظَلَمُـوا بِعَـذَابٍ بَئِيسٍ﴾.

أي شديد، يقال بَئِس يَبْؤُس بَأْساً إِذَا اشْتَد، وقيل إنَّ القوم كـانوا ثَـلاثَ فِرقٍ، فرقةٌ عملت بالسوءِ، وفرقة نهت عن السوءِ، وفـرقةٌ أمسكت عن النهي، وقيل كانوا فرقتين، فرقة نَهتْ عن السّوءِ وفرقة عملت بالسـوءِ، وبعض الفرقـة التي فيها من نهى عن السوءِ مؤمن غير راض بما فَعَـل أَهلُ السّـوءِ فدخلوا في النجاة مع الذين ينهون عن السوءِ، ونَزَلَ العَذابُ بالذِينَ عَدَوْا في السبت.

وقوله: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ﴾.

العاتي: الشديدُ الدخولِ في الفساد، المتمرد الذي لا يَقْبَلُ موعِظة.

وقوله: ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾.

جائز أن يكونُوا أُمـروا بأن يكـونوا كـذلك بقـول سُمِعَ، فيكـون أَبلغ في الآية والنازلة بِهِمْ، وجائز أن يكون «فقلنا لهم» من قولـه: ﴿إِنَّمَا أَمْـرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يقول لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[2].

ومعنى «خَاسِئينَ»: أي مُبْعَدِينَ.

---

(١) الأولى أنهـا مفعول لـه، أي وعظنـاهم لأجل المعـذرة، وعلى تقديـره هي مفعـول مـطلق، أي فليتعذروا معذرة، أو هو مصدر بمعنى الأمر وكلاهما بعيد.

(٢) سورة يس اية ٨٢، أي غيرناهم قردة.

وقال قوم: جائز أن تكون هذه القردة المتوَلِّدةُ أصلها منهم وقال قوم المسخُ لا يبقى ولا يَتولدُ، والجملة أنا أُخْبِرْنَا بأَنهُمْ جُعِلُوا قردة، والقِرَدَةُ هي التي نعرفها. وهي أكثر شيءٍ في الحيوان شبهاً بابن آدم، واللَّهُ أَعلم كيف كانَ أَمْرُهُمْ بعدَ كونِهم قِرَدَة.

وقوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾.

قال بَعضهم: تأذن: تَأَلَّى[1] ربك ليبعثن عَلَيْهم، وقيل: إن تأَذنَ أَعلم، والعرب تقول: تعلم أَن هذا كذا، في معنى اعلم، قال زهير:

تَعَلَّمْ أَن شر الناس حي ينادي في شعارهمو يسار[2]

وقال زهير أَيضاً:

فقلت تَعَلَّمْ أَن للصيد غِرةً وإلا تضيعها فإنك قَاتله[3].

وقوله: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾.

أَي من يوليهم سوءَ العذاب.

فإن قال قائل قد جعلوا قِردةً فكيف يبْقَون إلى يوْمِ القِيَامَةِ فالمعنى أَن الذكر لليهودِ، فمنهم من مُسخ، وجُعِل منهم القِردة والخَنازيرَ ومن بقي فمعانِدٌ لأمر اللَّه، فهم مُذَلُّون بالقتل، إلا أَن يُعْطُوا الجزية، فهم مذَلُّون بها وهم في كل مكان أَذَل أَهْله، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إِلَّا

---

(١) أي حلف وأقسم.

(٢) من شعر زهير بن أبي سلمى، ويسار راع له، كان الحرث بن ورقاء من بني أسد أغار على بني عطفان واستاق يساراً هذا وإبلا لزهير فهجاهم زهير، فرده الحرث عليه، وكان قومه يريدون قتله، فمدحهم زهير. انظر الأغاني ٣٠٨ جـ ١٠.

(٣) الديوان ـ ص ٧٨.

بَحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾(١) أي إلا أن يعطوا الذِّمَّةَ والعَهدَ.

وقوله: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾.

يقال للذي يجيءُ في أثر قرنٍ خَلْفٌ. والخَلَفُ ما أَخْلفَ علَيْك بُدَلاً مما أُخذ منك، ويُقَالُ: في هذا خَلَفٌ أيضاً. فأَمَّا ما أخلف عليك بدلاً مما ذهب منك فهو الخَلَفُ بفتح اللام.

وقوله: ﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى﴾.

قيل إنهم كانوا يَرْتَشون على الحكم، ويحكمون بجورٍ، وقيل إنهم كانوا يرتشون ويحكمون بحق، وكل ذلك عرَضٌ خسيس.

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا، وإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يأْخُذُوهُ﴾.

فالفائدة أنهم كانوا يذنبون بأخذهم الرِّشِيَ، ويقولوا سيغفر لنا من غير أن يَتُوبُوا، لأن قوله: ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُه يَأْخُذُوهُ﴾ دليل على إصرارهم على الذنب، واللَّه جلّ وعزّ وَعَدَ بالمغْفِرَةِ في العظائم التي توجب النار مع التوبة. فقال:

﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾.

أي فهم ذاكرون لما أُخِذَ عليهم.

وقوله: ﴿والَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾.

«الذين» في موضع رفع، وفيها قولان، أعني في ﴿إنا لا نُضِيعُ أَجْرَ المصلحين﴾، قال قوم: إنا لا نضيع أجر المصلحين منهم(٢)، وهو الذي نختار

(١) سورة آل عمران ١١٢.

(٢) الخبر جملة ليس بها رابط، فاختار هو تقدير محذوف أي «منهم» وذكر الآراء الأخرى بعد

لأن كل من كان غير مؤمن وأصلح فأجره ساقط، قال اللّٰه جلّ وعزّ:

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[1]، وقال:

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً﴾[2].

فالمعنى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بالكِتَابِ﴾ أي يؤمنون به، ويحكمون بما فيه إنا لا نضيع أجر المصلح منهم. والمصلح المقيم على الإيمان المؤدّي فرائضه اعتقاداً وعَمَلاً، ومثله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَمَنْ أَحسَنَ عَمَلاً﴾[3]. أي لا نضيع أجر من أحسن منهم عملاً.

وقال قوم: المصلحون لفظٌ يخالف لفظ الأول، ومعناه معنى الأول فَعَادَ الذكرُ في المعنى وإن لم يكن عائداً في اللفظ، ولا يجيز هؤلاءِ زيد قام أبو عمرو[4]. لأن أبا عمرو لا يوجبه لفظ زيد[5].

فإن قال قائل: المؤمن أنا أكرم من اتقى اللّٰه، جاز، لأن معنى من اتقى اللّٰه معنى المؤمن، فقد صار بمنزلة قولك زيد ضربته، لأن الذكر إذا تقدَّم فالهاءُ عائدة عليه، لا محالة، وإن كان لفظها غير لفظه، لأن ضمير الغائب لا يكون إلا هاءً في النصبِ.

وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾.

ذلك. ولا يحتاج الأمر لهذا كله، فإنه إذا كان الخبر «الجملة» عين المبتدأ، نحو ﴿قل هو اللّٰه أحد﴾ أو كان عاماً يشمل المبدأ كالآية التي ذكرها من سورة الكهف ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾. فلا حاجة لرابط. والمراد لسقوط أجره أنه لا يثاب على صلاحه.

(١) القتال آية: ١.

(٢) الغاشية آيات ٢ ـ ٤.

(٣) الكهف الآية ٣٠.

(٤) لأنه لا عائد، وإذا كان «أبو عمر» كنية زيد. فإن كلمة زيد لا توحي به.

(٥) لا يتضمنه.

مـوضِـع «إذ» نصب. المعنى واذكر ﴿إذ أخــذ ربــك من بني آدم مِن ظهورِهِم﴾.

[من ظهـورهم] بَـدل من قـولـه: ﴿من بني آدم﴾ المعنى وإذ أخــذ ربُّك ذُرِّيَّتِهُمْ وذرياتِهِمْ جميعاً.

وقوله: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلَى﴾.

قـال بعضهم: خلق اللَّه الناسَ كـالـذَّرِ من صلب آدَمَ، وأشهـدَهُمْ على توحيده، وهذا جائز أن يكون جعل لأمثَال الذَّرِ فهْماً تعقل به أمـره، كما قـال: ﴿قَالتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّها النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَـاكِنكُمْ﴾[1]: وكما قال: ﴿وسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾[2]، وكل مولودٍ يُولَدُ على الفطرة معناه أنه يُولَدُ وفي قلبه توحيد اللَّه، حتى يكون أبواه هما اللَّذان يهودانه وينصرانه.

وقـال قوم: معنـاه أنَّ اللَّه جَل ثَنَـاؤه، أخرج بني آدم بعضهم من ظهـور بعضٍ.

ومعنى ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾.

أَنَّ كلَّ بالغ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ واحدٌ، لأن كـل ما خلق اللَّه تعـالى دليل على توحيده، وقالوا لولا ذلك لم تكن على الكافر حجـة، وقالـوا فمعنى ﴿أشهدهم على أنْفُسِهِم ألست بربكم﴾ دَلَّهُمْ بخَلْقِه على توحيده.

وقوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ منْهَا﴾.

هذا نسق على ما قبله، المعنى اتلُ عليهم إذ أخذ ربك من بني آدم.

﴿واتْلُ عَليهِمْ نبَأَ الَّذِي آتَيْناهُ آياتِنَا فانْسَلَخَ منْها﴾.

هذا فيه غيـر قول، قيـل إنه كـان عنده اسم اللَّه الأعـظَم فدعـا به على

(١) سورة النمل.

(٢) لا يتضمنه.

موسى وأَصحابه، وقيل إنه أُمَيَّةُ بن أَبِي الصلت، وكان عنده علم من الكتب، وقيل إنه يعني به منافقو أهل الكتَاب.

وقوله: ﴿فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ﴾.

أي الفاسدين الهالكينَ.

وقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لرَفَعْنَاهُ بهَا﴾.

أي لو شئنا أن نحول بينه وبين المعْصِيةِ لفعلْنا، ﴿ولكنّه أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ﴾.

معناه ولكنه سكن إلى الدنيا، يقال أَخْلَدَ فلان إلى كذا وكذا، وخلد إلى كذا وكذا، وأَخْلَدَ أَكْثرُ في اللغة، والمعنى أنه سكن إلى لذات الأَرْض.

﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾.

أي لم يرفعه بها لاتباعه هواه.

وقوله: ﴿فَمَثَلَهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ﴾.

ضرب اللَّه عزّ وجلّ: بالتّارِك لآياته والعَادِلِ عنها. أَحسن مثل في أَخَسِّ أَحْوالِه، فقال عزّ وجلّ: ﴿فمَثَلُه كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ إذا كان الكلب لهثان، وذلك أَن الكلب إذا كان يلهث فهو لا يقدر لنفسه على ضَرٍّ وَلاَ نَفْع، لأَن التمثيل به على أَنه يلهث على كل حال حملت عليه أَو تركته، فالمعنى فمثله كمثل الكلب لاهثاً ثم قال:

﴿ذَلِكَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بآيَاتِنَا﴾.

وقال: ﴿سَاءَ مَثَلاً القَوْمُ﴾.

المعنى: ساءَ مثلاً مَثَلُ القَوْم.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَل﴾.

وصفهم بأَنهم لا يُبْصرون بعُيُونِهم ولا يعقلون بقلوبهم. جَعَلَهُم في

تركهم الحق وإعراضهم عنه، بمنزلة من لا يُبْصر ولا يعقـل. ثم قال جـلّ وعزّ ﴿بَلْ هُمْ أَضلُّ﴾.

وذلك أن الأنعام تُبْصـرُ منافِعَهـا ومضارَّهـا فتلزم[1] بعض ما لا تُبصِـرُه، وهؤلاءِ يعلم أَكْثَرُهُمْ أنه مُعَانِدٌ فيقـدمُ عَلى النَّار.

وقـال جلّ وعـزّ: ﴿فَمَا أَصْبَـرَهُمْ عَلَى النَّـارِ﴾[2]. أي على عمـل أهـل النار.

وقوله: ﴿وَللَّهِ الأَسمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾.

لا ينبغي أن يدعوه أحد بما لم يصف نفســه [به]، أو لم يسم بـه نَفْسَه، فيقول في الدعاءِ. يا اللَّه يَا رَحْمَـنُ يَا جَوَادُ، ولا ينبغي أن يقول:

«يـا سبحان» لأنـه لم يصف نفسه بهـذه اللفـظة. وتقـول يـا رحيم، ولا يقول: يا رفيق، وتقول يا قوي، ولا تقول يا جَلْدُ.

وقوله: ﴿أَوَ لَمْ يَنْـظُروا فِي ملَكُوت السَّمَـواتِ والأَرْضِ ومَا خَلق اللَّهُ منْ شيءٍ﴾.

أي ألم يَسْتدِلوا بمـا أنبأهُم بـه منّ ملكوت السَّمَـواتِ والأَرْض. ﴿وأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ اقْترَبَ أَجُلهُمْ﴾.

أن إن كانوا يُسَوِفُونَ بالتوبة فعسى أن يكون قد اقترب أَجَلهُمْ.

فالمعنى: أو لم ينظروا فيما دَلَّهم اللَّه جلّ ثناؤه على توحيـده فكفروا بـه بذلك فَلعلَّهُم قد قرُبَتْ آجالُهم فيموتون على الكفر.

﴿فَبِأَيَ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنونَ﴾.

---

(١) تفهم أن لهما منفعة في أشياء لا تبصرها فتلزمها.

(٢) سورة البقرة ـ ١٧٥.

وقوله: ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، الطغيانُ: الغلو في الكفر. ويعمهون: يتحيَّرون.

ويجوز الجزمُ والرفعُ في ﴿يذَرْهم﴾. فمن جَزَمَ عطف على موضع الفاء، المعنى من يضلل اللَّه يذرهُ في طغيانه عَامهاً. ومن قرأ﴿ويذَرُهُمْ﴾ فهو رفع على الاستئناف.

وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاها﴾.

والساعة ههنا التي يموت فيها الخلق.

ومعنى مُرساها مُثْبَتُها، يقال - رسا الشيء يرسو إذا ثبت فهو راس وكذلك جبال راسيات، أي ثابتات. وأَرْسَيْتُه إذا أثبتُّه.

فالمعنى يسألونك عن الساعة متى وقوعها[١].

وقوله: ﴿لَا يُجَلِّيها لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾.

أي لا يظهرها في وقتها إلا هو.

ومعنى: ﴿ثَقُلَتْ فِي السمواتِ والأَرْضِ﴾.

قيل فيه قولان، قال قوم: ثقلت في السماوات [والأرض] ثقل وقوعها على أهل السماوات والأَرْضِ[٢]. ثم أعلم جلّ ثناؤه كيف وقوعها فقال جلّ وعزّ:

﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾.

أي إلا فجأة.

وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾.

المعنى - واللَّه أعلم - يسألونك عنها كأنك فَرِحٌ بسؤالهم، يقال تحفيتُ بفلان

(١) مرساها إذن مصدر ميمي.

(٢) لم يذكر القول الثاني.

في المسْأَلَةِ إذا سألت سؤالاً أظهرت فيه المحبَّةَ والبِربهِ، وأَحْفَى فُلانٌ بفُلانٍ في المسألة، وإنما تأويله الكثرة ويقال حَفِت الدَّابَّةُ تَحْفَى حَفيً، مَقْصُورٌ إذا كثر المشي حتى يُؤلمها[1] والحفاء ممدود أن يَمْشِيَ الرَّجُلُ بغيرِ نَعْلٍ.

وقيل: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾، كأنك أكثرت المسألة عنها.

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّما عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾.

مَعْنَى ﴿إِنَّمَا علمُها عندَ اللَّه﴾ لا يعلمها إلا هوَ.

وقوله: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخيرِ﴾.

أي لادّخرتُ زمن الخِصْبِ لزمن الجَدْب.

وقيل ﴿لو كنت أعلم الغَيبَ﴾ أي لو كنت أعلم ما أُسأل عنه من الغيب في الساعة وغيرها.

وقوله: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾.

أي لم يَلْحَقْني تكذيبٌ.

وقيل أيضاً: وما مَسَّنِيَ السوءُ أي ما بي من جُنُون، لأنهم نسبوا النبي ﷺ إلى الجنون، فقال: ﴿مَا مَسنِيَ السُّوءُ إن أَنَا إلا نَذِيرٌ وَبَشير لقَوْمٍ يُؤْمنون﴾[2].

ثم بَيَّن لهم ما دَلَّهُم عَلى توحيدِ اللَّه عزّ وجلّ فقال:

﴿هُوَ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾.

يعني آدمَ.

﴿وجَعَلَ مِنْها زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾

﴿فَلَمَّا تَغشَّاهَا﴾.

---

(١) في الأصول: حفي الدابة يحفي.. إذا كثر عليه المشي حتى يؤلمه.

(٢) أي ان «ما» نافية والكلام غير مرتبط بلو.

كناية عن الجماع أحسن كناية.

﴿حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً﴾.

يعني المَني، والحمْـل ما كـان في البَطْـن ـ بفَتْح الحاءِ ـ أو أخْـرجَتـه الشجرة، والحمْلُ بكسر الحاءِ ما يُحْمَلُ.

وقوله: ﴿فمرَّتْ بِهِ﴾.

معنى مرت به استمرت، قعدت وقامت لَمْ يُثْقِلهَا.

﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾.

أي دَنت ولاَدَتُهـا، لأنه أولَ أمـره كان خفيفـاً، فلما جُعِـل إنسانـاً ودنت الولاد أثْقلتْ.

وقوله: ﴿دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾.

أي دعا آدم وحواءُ رَبهمَا.

﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَن مِنَ الشَّاكِرِينَ، فَلَمَّـا آتَاهُمَـا صَالحـاً جَعَلاَ لَـهُ شُرَكَاءَ فِيما آتَاهُمَا﴾.

يروى في التفسير أنَّ إبليس ـ عليه اللعنة ـ جاء إلى حوَّاءَ فقال: أتدرين مـا في بطنـك، فقالت لا أدري، قـال فَلعلَّه بهيمة ثم قـال: إن دعوت اللَّه أن يجعله إنسـانـاً أتَسمِينَّـه بـاسمي؟: فقـالت نعم فسمته عَبْـد الحـارِث، وهـو الحارث. وهذا يروى في التفسير[1].

وقيـل أن آدمَ وحواءَ أصْـلٌ. فضرب، هـذا مثلاً لمشـركي العرب وَعُـرِّفُوا كيف بَدَأَ الخلقَ، فقيل فلما آتاهما اللَّه ـ لكل ذَكـر وأُنْثى ـ آتاه اللَّهُ ولـداً ذكراً أو أنثى ـ هو خَلَقَه وصوّره[2].

---

(١) وهو بعيد كل البعد، فآدم وحواء لا يشركان باللَّه أحداً.

(٢) وهذا واضح ولعله الصحيح.

﴿جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ﴾ : يعني الذين عبدوا الأصنام .

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ .

الأول هو الذي عليه التفسير، ومن قرأ «شِرْكاً» فهو مصدرُ شَرِكْتُ الرَّجُلَ أَشركه شِرْكاً .

قال بعضُهم: كان يَنْبغِي أَنْ يكونَ على قراءَة من قرأ شِرْكاً جعلا لَغَيره شِرْكاً، يقول لأَنهما لا ينكران أن الأَصل اللَّه عزّ وجلّ فالشرك إنما يجعل لغيره، وهذا على معنى جعلا له ذَا شرْك فحذف ذا مثل ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ .

وقوله: ﴿خُذْ الْعَفْوَ﴾ .

والعفوُ الفضلُ، والعفوُ ما أَتى بغير كُلْفَة .

﴿وَأْمُرْ بِالعُرْفِ﴾ .

أَي بالمعروف .

﴿وَأَعْرِضْ عن الجَاهِلِينَ﴾ .

وقوله: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ .

لأَدنى حركة تكون، تقول: قد نَزَغْتهُ إِذَا حرَّكْتهُ .

فالمعنى إِنْ نَالَك مِن الشيطان أَدْنى نزغ [أَي] وسْوسة .

وقوله: ﴿مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ .

يقال: طُفْت أَطُوفُ، وطاف الخيالُ يَطيفُ .

وقوله: ﴿تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ .

أَي تفكروا فيما [هو] أَوضح لهم من الحجة .

﴿فإِذا هم مُبْصِرونَ﴾ : على بصيرة .

وقوله: ﴿وإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾ .

هـذا معنـاه التَّقْـدِيمُ، المعنى «لا يَسْتَـطِيعُـونَ لَهُمْ نَصْـراً، وَلَا أَنفسَهُم يَنصُرُون»[1].

﴿وَإِخوَانُهُم يَمُدُّونَهمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقصِرُون﴾.

يعني الشياطين، لأنَّ الكفار أخوانُ الشياطين، والْغَيُّ الْجَهْـلُ، والوقـوع في الحركة. ويقال أقصر يُقصِرُ، وقَصَّرَ، يُقَصِّرُ.

وقوله: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا﴾.

أي هلا اختلقتها، أي هلا أتَيْتَ بها من نفسك، فأعْلَمَهُم ﷺ أن الآيات من قِبل اللَّه جلّ ثناؤه.

وقوله: ﴿إِنَّمَا اتَّبعُ مَا يُوحَى إِليَّ مِن رَبِّي. هَذا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

أي هذا القرآن الذي أتَيْتُ به بصائرُ من ربكم، واحـدة البصائـر بصيرة، والبصيرة والبصائر طرائق الدَّم[2]، قال الأَشْعَر الْجُعْفِي[3].

راحـوا بصـائـرهم على أكْتَـافِهِمْ وَبَصِيـرَتي يَعْـدُو بهـا عَتَـدٌ وَأَيُّ

والبصيرةُ التُّرْس، وجمعها بصائر.

وجميع هذا أيضاً معناه ظهور الشيء وبيانه.

---

(١) يريد أنـه متصل بـالآية التي سبقت وهي: ﴿والذين تدعـون من دونه لا يستـطيعـون نصـركم ولا أنفسهم ينصرون﴾ يعني أن الشياطين التي تغريهم بهذا كالآلهة التي يعبدونها لا يستطيعون عمل شيء لهم ولا لأنفسهم.

(٢) خطوطه وبقعه.

(٣) قـال الآمدي في المؤتلف والمختلف (ص ٥٨) أنـه شاعـر فارس مشهـور وأنه الأسعـر بـالسين لقوله:

فـلا يـدعني قـومي لسعـد بن مـالـك إذا أنـا لـم أسعـر عـليـهـم وأثـقـب

أي لا أستحق النسب إليه إذا لم أسعر الحرب، وهو مرثد بن أبي خمـران الحرث بن معـاوية، شاعر جاهلي. وأكثر رواية البيت.. حملوا بصائرهم «على أن البصيرة هي التـرس، أو الدرع، والبيت في اللسان (بصر ـ عقد) وفي مجاز أبي عبيدة ١ ـ ٢٣٨ ـ وروايته: حملوا بصائرهم.

وقوله: ﴿وإِذَا قُرِئَ القُرْآنُ فاسْتَمِعُوا له وَأَنْصِتُوا﴾.

يروى أن الكلام في الصلاة كان جائِزاً، فكان يدخل الرجلُ فيقول: كم صَلَّيْتُمْ فيقال: صلينا كذا. فلما نزلت فاستمعوا له وأَنصِتُوا حرم الكلامُ في الصلاة إلا ما كان مما يتقرب به إلى اللَّه جلّ ثناؤه. ومما ذكَرَتْهُ الفقهاءُ نحو التسبيح والتهليل والتكبير والاستغفار وما أشبه ذلك. من ذكر اللَّه جلّ وعزّ ومسألته العفو.

ويجوز أن يكون فاستمعوا له وأَنْصِتُوا، اعملوا بما فيه ولا تجاوزوا لأن معنى قول القائل: سمع اللَّه دُعاءَكَ. تأْويله: أَجاب اللَّه دُعَاءَك، لأن اللَّه جلّ ثناؤه سميع عليم.

وقوله: ﴿بِالْغُدُوِّ والآصَال﴾.

الآصال جمع أُصُلٍ، والأَصل جمع أَصيل، فالآصال جمع الجمع، والآصال العَشِيَّاتُ.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾.

يعنى به الْمَلَائكة.

﴿ويسبحونه﴾ ينزهُونَهُ عَنِ السُّوءِ، فإن قال قائل: اللَّه جلّ ثناؤه في كل مكانٍ، قال اللَّه تعالى: ﴿وَهوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾[1] فمن أين قيل للملائكة: عِنْدَ رَبكَ، فتأْويله إِنَّهُ من قُرْب من رحمة اللَّه وَمِنْ تَفَضُّلِهِ وإِحسانه.

(١) سورة الأنعام من الآية ٣.

سورة الأنفال(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله جلّ وعزّ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾.

﴿الأَنْفَالُ﴾: الْغَنَائِمُ، واحدها نَفَل، قال لبيد:(١)

إن تقوى ربنا خير نَفَل   وبإذن اللَّه رَيْثِي وَعَجَلْ

وإنما يَسْأَلُوا عَنْهَا لأَنَّهَا فيما رُوِيَ كانت حَراماً عَلَى من كَانَ قبلهم، ويُروى أَنَّ الناسَ في غَزَاةِ بَدْرٍ كانوا قليلين، فجعل النبي ﷺ لمن جاءَ بأَسير غُنْماً ومن جاءَ بأسيرين على حسب ذلك، وقيل أيضاً إنه نفل في السرايا فقال اللَّه جلّ وعزّ: ﴿الأَنفَالُ للَّهِ والرَّسُولِ﴾.

وقوله: ﴿كَما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾.

أي بالحق الواجب، ويكون تأويلهُ: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالحَقِ وَإِنَّ فَرِيقاً من المُؤمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾. كذلك نَنْفُلُ من رأَيْنا وإن كرِهُوا. لأن بعض الصحابة قال للنبي ﷺ حين جعل لكل مَن أَتى بأَسير شيئاً، قال يبقى أكثر الناس بغير شيءٍ.

(*) كما في سور اخرى كثيرة بضع الزجاج بسم اللَّه الرحمن الرحيم قبل اسم السورة، ولأن هذا غير مطرد، ويختلف بين نسخة وأخرى آثرنا الطريقة المتبعة وهي جعل البسملة بعد عنوان السورة لتكون قبل القراءة مباشرة.

(١) يعني أن تقوى اللَّه خير ما يغتنمه الإنسان، وكل عملي بإذ له وحده. والبيت في ديوان لبيد =

فموضع الكاف في «كما» نصبٌ، المعنى الأنفال ثابتة لك مثل إِخْراج ربّكَ إياك مِن بَيْتِك بالحق.

وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾.

معنى ﴿ذات بَيْنِكم﴾: حقيقة وصْلِكُم[1]، والبَيْنُ: الوَصْلُ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ أي وصلكم.

فالمعنى: اتَّقُوا اللَّهَ وكُونوا مُجْتَمعينَ على ما أمر اللَّه ورسُولُه، وكذلك اللهم أَصلح ذات البَيْن، أي أَصلح الحال التي بها يجتمع المسلمون.

وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَه﴾.

أي اقبَلُوا ما أُمِرْتُم بِهِ في الغنائم وغيرها.

وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

تأويله: إذا ذكِرَت عظمةُ اللَّهِ وقُدْرَتُه، وما خوَّف به مَنْ عصاه، وَجِلَتْ قُلُوبُهُم أي فَزِعَتْ لذلك قال الشَّاعِر:[2]

لعمرك ما أدري وإني لأوجل ... على أينا تعدو المنية أوّل[3]

يقال: وَجِل يَوْجل وَجَلاً، ويقال في معنى يوجَل ياجَلُ يِيجل وَيَيْجَلُ،

= ٢/ ١١ ـ وتفسير الطبري ٩/ ١٠٨ (بولاق) واللسان (نفل) وشواهد الكشاف والقرطبي ٧/ ٣٦١.

(١) الصلاة والروابط التي بينكم.

(٢) هو معن بن أوس المزني. وكان قد طلق زوجهُ وتزوج بأخرى، فغضب أخوها وآلى ألا يكلمه. وكان صديقاً له. فأخذ معن يستعطفه بهذه الأبيات وهي قصيدة جيدة في العتاب ـ أنظرها في الحماسة ٣ ـ ١٣٢، وقد ادعى عبد اللَّه بن الزبير لنفسه بعض هذه الأبيات أمام معاوية، ثم دخل معن فقرأها ـ وكان عبد اللَّه مسترضعاً في مزينة، انظر الكامل ١ ـ ٣٦٤ ـ ٣٦٥، حـ ٢ ـ ١٤.

(٣) يريد إنه يؤثر أن يكون هو السابق، وهو شيء لا يعرفه، وهو وجل أن يبقى بعد صاحبه فيذوق مرارة فراقه «أوجل» بمعنى وجل ومؤنثه وجلة ولا يوجد فعلاء له ـ فهو ليس أفعل تفضيل.

هذه أَربع لغَات حكاها سيبويه وأَجودُها يَوْجَل، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿لا تَـوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عليمٍ﴾[1].

وقوله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُه زَادَتْهُمْ إِيماناً﴾.

تأويل: الإيمـان التصديق، وكـل ما تلى عليهم من عنـد اللَّه صدقـوا به فزاد تصديقهم بذلك زيادَة إِيمانهم.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ المؤْمِنونَ حَقًّا﴾.

حَقـاً منصـوب بمعنى دلَّت عليـه الجملةُ، والجملة [هي] «أُولئـك همُ المؤْمِنُون» حقًّا.

فالمعنى أَحُق ذَلك حقًّا.

وقـوله: ﴿لَهُمْ دَرَجَـات عِندَ رَبِّهِم﴾: أَي لهم مَنَـازِل في الرفعـة على قدر منازلهم.

وقوله: ﴿يُجَادِلُونكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبينَ﴾.

وعدهم اللَّه جلّ وعزّ في غَزَاةِ بدر أَنَّهُم يظفرون بأَهل مكة وبـالعِيرِ وهي الإبل لِكراهَتِهم القِتالَ، فَجادَلوا النبي ﷺ وقالوا إنما خرجنا إِلى العير.

وقوله: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾.

[أَي] وهم كـانوا في خـروجهم للقتال كـأَنهم يساقـون إلى المـوت لِقلَّةِ عدَدهم وأَنهم رَجَّالَةٌ[2]، يروى أَنهم إنما كان فيهم فارسان فخافوا.

وقوله: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْن أَنَّها لَكُمْ﴾.

المعنى: وآذكروا إذ يعدكم اللَّه أَن لكم إِحدى الطائفتين.

---

(١) سورة الحجر الآية ٥٣.

(٢) مشاة لا ظهور كافية معهم.

﴿أنَّها لكمْ﴾ في موضع نَصْبٍ على البدَل من ﴿إحدى﴾ومثله قوله: ﴿وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مؤمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهم أَنْ تَطَؤُوهُمْ﴾[1] المعنى: ولولا أن تطؤوهم.

وقوله: ﴿وَتَوَدُّون أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوكَةِ تكونُ لكُمْ﴾.

أي تودُون أنَّ الطائفة التي ليسَت فيها حرب وَلا سِلاح، وهي الإبلِ تكونُ لكم، وذاتُ الشَّوْكةِ ذاتُ السِلاح، يقال: فلان شَاك في السلاح، وشائِك في السلاح وشَاكٌّ في السلاح بتشديد الكاف من الشِّكَةِ، ومثل شاكي قول الشاعر:

فتوسموني إنني ذَاكُمُ   شاك سلاحي في الحوادث مُعْلَمُ[2]

وقوله: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَع دَابِرَ الكَافِرِينَ﴾.

أي ظفركم بذات الشوكة أقطعُ لدابرهم.

وقوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾.

لما رأوا أنفسهم في قلة عَدَدٍ استغاثوا فأَمَدَّهم اللّه بالملائكة.

قال اللّه ـ عز وجل ـ: ﴿إِنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾.

يقال: رَدِفت الرجلَ إذا ركِبْت خَلْفَهُ، وَأَرْدَفته إذا أَرْكَبْته خلفي، ويقال: هذه دابة لا ترادِف[3]، ولا يقال لا تُرْدَف، ويقال أَرْدَفْتُ الرَّجُلَ إذا جئتُ بعده، فمعنى ﴿مُرْدِفِين﴾ يأتون فرقة بعد فِرْقة، ويقرأ مُرْدَفِين، ويجوز في اللغة

---

(١) سورة الفتح الآية ٢٥.

(٢) لطريف بن تميم العنبري. شاعر جاهلي من الفرسان. ويروى البيت. فتعرفوني. هو بمعنى فتوسموني، شاك سلاحي، لابسه، وهو مقلوب. شائك في كتاب سيبويه ٣ ـ ٤٦٦، وشرح شواهد الشافية ٣٧٠ شائك. ومعلم. بمعنى ظاهر معروف بعلامتي. يريد أنه شجاع مشهور.
وانظر ترجمة طريف في المقتضب ١/١١٦.

(٣) لا تلحقها دابة أخرى فتكون خلفها.

مَردِّفِين، ويجوز مُرِدِّفين ومُرَدِّفِين. يَجوز في الراءِ مع تشديد الدال: كسرُها وفتحها وَضمَها، والدال مُشدَّدَة مكسورة على كل حال: قال سيبويه: الأَصل مُرْتَدِفِينَ. فأُدغمت التاءُ في الدال فصارت مُرَدِّفينَ، لأَنك طرحت حركة التاءِ على الراءِ، قال: وإن شئت لم تطرح حركة التاءِ وكسرت الراءَ لالتقاءِ الساكنين، والذين ضمُّوا الراءَ جعلوها تابعة لضمة الميم.

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى﴾.

أَي ما جعل اللّه المدَدَ إلّا بشرى.

وقوله: ﴿إِذ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ﴾.

«إِذْ» مَوْضِعُها نصبٌ على معنى وما جعله اللّه إلا بشرى [في] ذلك الوقت، ويجوز على أَن يكون: اذكروا إِذ يغشيكم النعاس.

يقال: نَعَسَ الرجل يَنْعَسُ نُعَاساً وهو نَاعس، وبعضهم يقول: نَعْسان ولكنْ لا أَشتهيها.

وَ ﴿أَمَنَةً﴾ منصوب مفعول له(١) كقولك: فعلت ذلك حَذَرَ الشَّرِّ.

والتَّأْوِيل أَن اللّه أَمَّنَهم أَمْناً حتى غشيهم النعاس لِمَا وَعَدهم من النَّصر، يقال:

قد آمنتُ آمَنُ أَمْناً ـ بفتح الأَلف ـ وَأَمَاناً وأَمَنَةً(٢).

وقوله: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾.

كان المشركون قد نزلوا على الماءِ وسبقوا المسلمين، ونزل المسلمون في رَمْلٍ تسوخ فيه الأرجُلُ، وأَصابت بعضهم الجنابةُ فوسوس لهم الشيطانُ بأَن عَدُوَّهم يقدرون على الماءِ وهم لا يقدرون على الماءِ، وَخُيِّلَ إِليهم أَن

---

(١) أي لأجل أمنكم، فأمنة مصدر أمن.

(٢) المعنى يجعل النوم يستولي عليكم لأجل أمنكم واطمئنان نفوسكم.

ذلك عَوْنٌ من اللّه لعدوهم، فأمطر اللّه المكان الذي كانوا فيه فَتَطَهَّرُوا من الماءِ، واستوت الأرض التي كانوا عليها حتى أمكن الوقوفُ فيها والتصرفُ، وهذا من آيات اللّه جلّ ثناؤه التي تدل[1] على نبوة النبي ﷺ. وأَمْر بدر كان من أعظم الآيات لأن عَدَدَ الْمُسْلِمين كان قليلاً جداً، وكانوا رجَّالةً فأيدهم اللّه، وكان المشركون أَضْعَافَهُم، وَأَمَدَّهُم اللّه بالملائكة، قالَ بعضهم: كان الملائكة خمسةَ آلاف، وقال بعضهم تسعة آلاف[2].

وقوله: ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾.

أي وَسَاوِسَهُ وخطاياه.

﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾.

أي يُثَبِّت بالماءِ الذي أنزله على الرَّمْل حَتَّى إسْتَوى، وجائز أن يكون زيّن به للربط على قلوبهم، فيكون المعنى «وَلِيَرْبطَ عَلَى قُلُوبكُمْ وَيُثَبِّتُ» بالربط الأقدام.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ﴾.

«إذ» في موضع نصب على «وَلِيَرْبِطَ إِذْ يُوحِي»[3] ويجوز أن يكون على «اذكروا».

﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

جائز أن يكون [أنهم] يُثَبِّتُوهم بأشياءَ يلقُونَهَا في قُلُوبِهِمْ تَقْوَى بها[4].

وَجَائِزٌ أن يكونوا يَرَوْنهم مدداً، فإذا عاينوا نصر الملائكة ثبتوا.

---

(١) في الأصل والتي.

(٢) في الأصل تسعة ألف.

(٣) أي على هذا التقدير فتكون الآية متصلة إعراباً بما قبلها، وليس بجيد إذ يقتضي الربط في وقت الإيحاء. وتعليقه باذكر يجعله جملة مستأنفة مستقلة وهو أولى.

(٤) تقوى بها قلوبهم.

وقوله: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُم كُلَّ بَنَانٍ﴾.

أباحهم اللّه قتلهم بكل نوعٍ في الحرب.. وَاحِدُ الْبَنَانِ: بَنَانَةٌ، وَمَعْنَاهُ ههنا الأَصابعُ وغيرها من جميع الأَعضاء.

وإنما اشتقاق البنان من قولهم أَبَنَّ بِالمكان إذا أَقَام به، فالبناءُ به يَعْتَملُ كلَ ما يَكُونُ للإِقامة والحياةِ.

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

﴿شاقُّوا﴾. جانبوا،صَارُوا في شِقٍّ غَيْرِ شِقِّ الْمُؤْمِنِينَ، وَمثلُ شَاقُّوا جَانَبُوا وَحَازَبوا وَحَارَبوا.

معنى حَازَبوا صارَ هؤُلاءِ حِزْباً وهؤُلاءِ حِزْباً.

﴿ومن يشَاقِق [اللَّهَ وَرَسولَهُ فَإِنَّ اللَّه شَدِيدُ الْعِقَاب]﴾.

[يُشَاقِقْ] وَيُشَاقّ جميعاً، إلا أَنها ههنا يشاقق، بإظهار التضعيف مع الجزم وهي لغة أهل الحجاز، وغيرهم يدغِم، فإذا أَدْغَمتَ قلتَ: من يشاقّ زيداً أُهِنْه، بفتح القاف، لأَن القافين ساكنتان فحركت الثانية بالفتح لالتقاءِ الساكنين ولأَن قبلها أَلفاً، وإن شئت كَسَرْتَ فقلتَ يشاقِّ زَيْداً، كسرت القاف لأَنَّ أَصل التقاءِ الساكنين الكسر. فإِذا استقبلْتَها أَلف ولام اخترت الكَسْر فقلت «وَمَنْ يُشَاقِ اللَّه». ولا أَعلم أَحداً قرأَ بها.

وقوله: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً﴾.

يقال: أَزْحَفْتُ لِلْقَوْمِ إذا ثَبَت لهم، فالمعنى: إذا وَاقَفْتموهم[١] للقتال.

﴿فَلاَ تُوَلوهُمْ الأَدْبَارُ﴾.

أي لا تنهزموا حتى تُدْبِرُوا[٢].

---

(١) واجهتموهم ووقفتم معهم في موقف واحد.

(٢) لا تستسلموا لدرجة تجعلكم تفرون وتولون الأعداء أدباركم.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً﴾.

يعني يوم حربهم، إلا متحرفاً. منصوب على الحال ويجوز أن يكون النصب في متحرِّف، ومتحيز على الاستثناءِ[1]، أي إلا رجلاً متحيزاً، أي يكون منفرداً فينحاز ليكون مع المقاتلة.

وأصل مُتَحَيِّز مَتَحَيْوِز[2] فأُدْغمت الياءُ في الواو.

وقوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّه قَتَلَهُمْ﴾.

ويقرأ، وَلَكِن اللَّه قَتَلَهُمْ، فمن شَدَّدَ نَصَبَ لَنَصْبِ إنَّ[3]، وَمَنْ خفف أبطل عملها ورفع قوله: اللَّهُ بالابتداءِ.

أضافَ اللَّهُ قتلهم إليه، لأنه هو الذي تَوَلَّى نَصْرَهُمْ، وَأَظْهَرَ فِي ذلك الآيات المعجزات.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾.

ليس هذا نَفْيَ رمي النبي ﷺ ولكن العرب خوطبت بما تعقل.

ويروى أن النبي ﷺ قال لأبي بكر الصديق: ناولني كفًا من بَطْحاءَ[4]، فناوله كفًّا فرمى بها فلم يبق منهم أَحَدٌ - أعني من الْعَدُوِّ - إلَّا شُغِلَ بعينه فأعلم اللَّه - جلّ وعزّ - أن كفًّا من تُراب أَوْ حصًى لَا يَمْلأ عيونَ ذلك الجيش الكثير

---

(١) هو مستثنى على كلتا الحالتين والاختلاف في تقدير المستثنى منه، فعلى الأول هو مستثنى من عموم الأحوال، والتقدير ومن يولهم دبره في حال من الأحوال إلا في حال اتخاذ حرفة لغلبتهم أو حال تحيز لطائفة - مسلمة وعلى التقدير الثاني يكون تركيب الجملة وأي رجل يولهم دبره إلا رجلاً له هذه الصفة.

(٢) لأنها من حاز يحوز، فالفعل واوي العين.

(٣) من شدد «لكن» اللَّه قتلهم نصب لفظ الجلالة اسماً لها، ومن خفف «لكن» كانت مجرد حرف استدراك فيرفع ما بعدها بالابتداء.

(٤) أي ناولني حفنة من تراب هذه البطحاء، أي الأرض التي كانوا عليها.

برَمْية بَشَرٍ، وأنه عزّ وجلّ تولى إيصَال ذلكَ إلى أَبْصَارِهم، فقال عزّ وجل: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾. أي لَمْ يُصِبْ رَمْيُكَ ذَاكَ ويبلغْ ذلك المبلغ بكَ، إنما اللَّه عزّ وجلّ تولى ذلك، فهذا مجازُ ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَناً﴾.

أي لينصرهم نصراً جميلاً، ويختبرهم بالتي هي أحسن.

ومعنى يبليهم ههنا يُسْديَ إليْهم.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوَهِّنُ كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾.

بتشديد الهاءِ والنصب في «كَيْدِ» ويجوزالجرّ في ﴿كيد﴾ وإضافة ﴿مُوهِن﴾ إليه. ففيه أَرْبَعة أَوجُه. في النصب وجهان، وفي الجر وجهان. وموضع ذلكم رفعٌ، المعنى الأمر ذلكم وأَنَّ اللَّه، والأَمرُ أَنَّ اللَّه موهن.

وقوله: ﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوه﴾.

موضعِ ذلكم رفع على إضمار الأمر، المعنى: الأَمر ذلكم فذقوه، فمن قال: إنه يَرْفَعُ ذلكم بما عادَ عليه من الهاءِ أَو بالابتداءِ وجعل الخبر فذُوقُوه، فقد أخطأَ من قبل أَنَّ مَا بَعدَ الفاءِ لا يكونُ خبراً لمبتدأ. لا يجوز زيد فمنطلق، ولا زيد فاضربُه، إلا أَن تضمر «هذا» تريد هذا زيد فاضربه، قال الشاعر: (١)

وقائلة خَوْلانُ فانكح فتاتهم ... وَأَكرُومَةُ الحيين خلْوٌ كماهِيَا

(١) لم يعرف قائله. وهو من الخمسين التي لم يعرف قائلها من شواهد سيبويه، والمعنى رب قائلة لي تزوج هذه الفتاة من قبيلة خولان، فأجبت: هذه الفتاة الكريمة الأب والأم خلو من الزوج وهي أولى بأن أتزوجها ـ وخولان حي من اليمن أو قبيلة ولهذا يروى البيت: «فانكح فتاتها» وأكرومة بمعنى مكرمة، والحيان قبيلة الأب وقبيلة الأم. وزيادة الفاء هو مذهب الأخفش وانكح خبر، ويجوز على هذا نصب خولان، ومذهب سيبويه ما ذكره المؤلف والبيت من شواهد الكشاف، وفي الخزانة الشاهد ٧٧ ص ٤١٠ / حـ ١ (السلفية).
وابن يعيش ٨/٩٥، وشواهد المغني ١٥٩.

وذكر بعضهم: أن تكون في موضع نصب على إضمار واعلموا أن للكافرين عذاب النار. ويلزم على هذا أن يقال: زيد منطلق وعمراً قائماً، على معنى وَاعْلَمْ عمراً قائماً، بل يلزمه أن يقول عمراً منطلقاً، لأن المخبر مُعْلِمٌ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجُز إضمارُ أعلم ههنا، لأن كلَّ كلام يُخبَرُ به أو يستخبر فيه فأنت مُعْلِمٌ [به]. فاستغنى عن إظهار العلم أو إضماره.

وهذا القول لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ مِنَ النَّحَوِيِّين.

وقوله: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾.

معناه: إن تستنصروا فقد جاءكم النصر، ويجوز أن يكون معناه إن تستحكموا فقد جاءكم الحُكْمُ. وقد أتى التفسير بالمعنيين جميعاً.

رووا أن أبا جهل قال يوم بدرٍ: «اللهم أَقْطَعُنَا للرَّحم، وأَفْسَدُنَا للجماعة فأحنه اليومَ» فسأل اللَّه أَنْ يحكُمَ بحَيْنُ[١] من كان كذلك، فنصر النبي ﷺ ونال الحَيْنُ أَبَا جهلٍ وأصحابه، فقال اللَّه جلّ وعزّ:

﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فقد جاءَكم الفتحُ﴾: أي إن تَستَقْضُوا فقد جاءَكم القضاءُ.

وقيل إنه قال: اللهم انصرْ أَحَبَّ الفِئَتَيْنْ إليك، فهذا يَدُلُّ على أن معناه: إنْ تَسْتَنْصِروا. وكلا الوجهين جَيِّدٌ.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾.

يُعنَى به الذين قالوا: قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْل هَذَا.

فسماهم اللَّه جلّ ثناؤه لَا يَسْمَعُونَ، لأنهمْ اسْتَمَعُوا استماعَ عداوة وبغضاءَ، فلم يتفهموا، ولم يتفكرُوا، فكانوا بمنزلة من لم يسمَعْ.

وقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ البُكْمُ﴾.

---

(١) بموت ونهاية أقطعهم للرحم.

يعنى به هؤُلاءِ الذين يسمعون ويفهمون فيكونون في ترك القبول بمنزلة من لم يسمع ولم يَعْقِل.

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّه فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ﴾.

أي لو علم اللَّه فيهم خيراً لأَسمَعَهُم جوابَ كل ما يَسألونَ عَنْهُ.

ثم قال جلّ وعزّ:

﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُون﴾.

أي لو بَيَّن لَهُم كلَّ ما يعتلجُ في نفوسهم لتولَّوْا - وَهُمْ مُعْرِضُونَ - لمعانَدَتِهِمْ.

وقوله: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

أي لما يكون سبباً للحياة [وهو] العلم. وجائز أن يكون [لما يكون] سبَباً للحياة الدائمة، في نعيم الآخرة.

ومعنى استجيبوا في معنى أجيبوا. قال الشاعر:

وداع دعا يا من يجيب إلى الندا   فلم يستجبه عند ذاك مجيب[1]

أي فلم يُجبْه.

وقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّه يَحُولُ بَيْن المرْءِ وَقَلْبِهِ﴾.

قيل فيه ثلاثةُ أقوال، قال بعضهم يَحُولُ بينَ المؤْمِنِ والكُفْر، ويحول بين الكافِرِ والإيمان بالموت، أي يحول بين الإنسان وما يسوف به نفسه بالموت، وقيل: ﴿يَحُولُ بَينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ معناه: واعلموا أن اللَّه مع المرءِ في القرب بهذه المنزلة. كما قال: جلّ وعزّ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[2] وقيل إنهم كانوا يفكرُون في كَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ وَقِلَّةِ عَدَدِهِمْ فيدخل في

---

(١) تقدم ص ٢٥٥ جـ ١.

(٢) سورة ق الآية ١٦.

قلوبهم الخوفُ، فأعلم اللَّه جلّ ثناؤه أنه يحول بين المرءِ وَقَلْبِهِ بأن يبدُله بالخوفِ الآمن، ويُبَدّلَ عَدُوَّهم ـ بظنهم أنهم قادرون عليْه ـ الجُبْنَ والخَوَرَ[1].

﴿واتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصَّةً﴾.

أي اتقوا أن يُبَدَلَ الظالمون بنقمة من اللَّه، يُعنى بهذا مَرَدَهُ المنافِقِينَ الذين كانوا يصدُّونَ عن الإيمان باللَّه.

وزعم بعض النحويين أنَ الكلام جزاءُ، فيه طرف من النهي، فإذَا قلْتَ: أنزِل عن الدّابَّة لا تَطْرَحْك ولا تَطْرَحَنَّك، فهذا جواب الأمر بلفظ النهي، فالمعنى: إنْ تَنْزل عنها[2] لا تطرحك فإذا أتيت بالنُّون الخفيفة أو الثقيلة كان أَوْكَدَ للكلام، ومثله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾[3] إنها أُمِرتْ بالدخول ثم نَهَتْهُم أنْ يُحْطِمَهُم سليمانُ فقالت: ﴿لاَ يَحْطِمنكمْ سلَيْمَانُ وجنوده﴾[3]. فلفظ النهي لِسلَيْمانَ، ومعناه للنمْلِ، كما تقول: لا أُرَيَنَّكَ هَهنَا، فلفظ النهي لنَفْسِكَ ومعناه: «لا تَكُونَنَّ هَهُنَا فإني أراك».

وقوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾.

المعنى: واذْكُرْ إذ يمكُرُ بك الذِين كفروا. فأَذْكَرَه اللَّه جلّ ثناؤه نِعْمَةَ مَا أَنْعَمَ عليه من النَّصْرِ والظَّفَرِ يوم بدْرٍ ذلك فقال ﴿وَإِذْ يمكُرُ بكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي اذكر تلكَ الخلال.

﴿ويَمكُرُونَ ويمكُرُ اللَّهُ، وَاللَّهُ خَيْرُ الماكِرِينَ﴾.

لأن مكر اللَّه إنما هو مجازاة ونصرٌ للمؤمنين، فاللَّه خير الماكرين.

---

(١) يبدل عدوهم الجبن والضعف بما يلقي في قلوبهم من الرعب.

(٢) في الأصل عنه، وبقية الكلام بصيغة المذكر، وهو غير مناسب.

(٣) سورة النمل الآية ١٨.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾.

وقد دُعُوا بأن يَأْتُوا بِسُورَةٍ واحِدَةٍ من مثل القرآن فلم يَأْتُوا.

وقوله: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾.

واحدتها أُسطورة، يعنون ما سَطَّرَهُ الأَوَلُونَ من الأكاذيب.

ثم قالوا:

﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾.

القراءة على نصب «الحق» على خَبَرِ «كان» وَدَخَلَتْ «هُوَ» للفَصْل[1]. وقد شرحنا هذا فيما سلف من الكتاب.

وَاعْلَمْ أَنَّ «هُوَ» لا موضع لها في قولنا، وأنها بمنزلة «ما» المؤكِّدَة، ودخلت لِيُعْلَمَ أن الحق ليس بصفة لهذا أو أنه خبر، ويجوز هو الحقُّ مِنْ عِنْدِكَ[2] ولا أعلم أحداً قرأ بها. ولا اختلاف بين النحويين في إجازتها ولكن القراءة سُنَّةٌ لا يقرأ فيها إلا بقراءة مَرْوِيَّةٍ.

وقوله: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

المعنى: واذكر إذ قالوا هذا القولَ، وقالوا على وجه الدفع لَهُ[3] وقالوه والنبي ﷺ بين أظهرهم. فأَعْلَمَ اللَّه أَنه لم يكن لِيُعَذِبَهُمْ وَرَسُوله بين أظهرهم. فقال:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ

---

(١) لو أن الجملة كانت بغير ضمير فصل «ان كان هذا الحق» لكان محتملاً أن يلتبس كلمة «الحق» بأنها بدل من اسم الإشارة، أما مع ضمير الفصل فلا ليس.

(٢) يخرج هذا على أن هو «مبتدأ» والحق خبر ـ والجملة خبر «هذا».

(٣) على وجه إنكار أن القرآن حق.

يَسْتَغْفِرُونَ﴾أي وَمَا كَانَ اللَّهُ ليعذبهم ومنهم من يَؤُول أمرُه إلى الإسلام.

قال: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾.

المعنى: أي شيءٍ لهم في ترك العذاب، أي في دَفْعِه عَنهُم.

﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾.

المعنى: وهم يَصُدُّونَ عن المسجدِ الحَرام أولياءَهُ[١] وما كانوا أولياءَه.

﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا المتَّقُونَ﴾.

المعنى: ما أولياؤه إلا المتقون.

فأعلم اللَّه النبي ﷺ أنه لم يكن ليعذِبَهم بالعذاب الذي وقع بهم من القتل والسبي وهو بَيْن أظْهُرِهِم، ولا لِيُوقع ذلك العذاب بمن يُؤول أمْرُه إلى الإسلامِ مِنْهُمْ، وأعلمه أنه لا يدفع العذاب عن جملتهم الذي أوقعه بِهِمْ، ثم أعلم أنهم ما كانوا مع صَدِّهِمْ أَوْلِياءَ[٢] الْمسجدِ الحرام وَأَوْلِياءَ اللَّه، إنهم إنما كانَ[٣] تَقَرُّبُهُمْ إلى اللَّه جلّ وعزّ بالصفير والتصفيق فقال جلّ وعزّ:

﴿وَمَا كان صلاَتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾.

فالمكَاءُ الصفير، والتصدِيَةُ التصفيق.

وقوله: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾.

أي ليميز ما أنفقه المؤمنون في طاعة اللَّه مما أنفقه المشركون في معصية اللَّه، ﴿[وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ] فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً﴾.

---

(١) أي مفعول يصدون محذوف، قدره بكلمة «أولياءه» أي هم يصدون المسلمين عنه وهم أولى به، وجعل المفعول المحذوف عاماً أولى أي هم يصدون الناس عنه وهم ليسوا أولياءه، أي لا حق لهم في هذا الصد.

(٢) لم يكونوا بارين به إذ صدوا الناس عنه.

(٣) في الأصل إنما كانوا تقربهم ـ وهو مستقيم إذ يكون الخبر جملة.

والرَّكْمُ أن يَجْعَلَ بعضَ الشيءِ على بعض، ويقال رَكمتُ الشيءَ أرْكُمهُ ركماً، والرُّكام الاسم.

﴿فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّم﴾.

أي يجعل بعض ما أنفقه المشركون على بعض، وَيَجْعَلُ عليهم في النارِ، فيكون مما يُعذَّبُونَ بِه، كما قال جلّ وعزّ: ﴿فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾.

وقوله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾.

أي حَتى لا يُفْتَنَ الناسُ فتنة كُفْر، ويدل على معنى فتنة كفر[1] قوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾.

وقوله: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُم﴾.

المعنى: فإن أقاموا على كفرهم وعَدَاوتهم فاعْلَمُوا أن اللَّه مولاكم، أي هو المولى لكم، فلا تضركم مُعَادَاتهم.

وقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ من شَيْءٍ، فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ﴾.

كثر اختلاف الناس في تأْوِيلُ هذه الآية والعمل بها وجُمْلَتُها أنها مالٌ من الأَمْوَالِ الَّتي فَرَضَ اللَّه جلّ ثناؤه فيها الفُروضَ، والأموال التي جرى فيها ذكر الفُروض للفُقَراءِ والمسَاكينِ وَمَنْ أشْبههم ثلاثة أصنافٍ، سمى اللَّه كلَّ صنف منها، فسمى ما كان من الأموال التي يأْخذها المسلمون من المشركين في حال الحرب أنْفَالاً وغَنَائِمَ، وسمى مَا صَار إلى المسلمين مما لم يُؤخَذ في الحرب من الخراج والجزية فيْئاً، وسَمَّى ما خرج من أموال المسلمين

(١) على أن الفتنة هنا يراد بها الكفر.

كالزكاة، وما نذروا من نذر، وتقربوا به إلى اللَّه جلّ وعزّ صَدَقَةً، فهذه جملة تسمية الأموال.

ونحن نبين في هذه الآية ما قاله جمهور الفقهاء وما توجبه اللغة إن شاءَ اللَّه.

قال أبو إسحق: أجمعت الفقهاءُ أن أربَعَةَ أخماس الغنيمة لأهل الحرب خاصة، والخمس الذي سُمِّي في قوله: ﴿فأَنَّ للَّهِ خُمُسَه ولِلرَّسُولِ﴾ إلى آخر الآية في الاختلاف[1].

فأما الشافعي فذكر أن هَذَا الخُمس مقسوم على ما سمى اللَّه جلّ وعزّ من أهل قسمته وجعل قوله: ﴿فَأَنَّ للَّهِ خُمُسَهُ﴾ افتتاحُ كلامٍ.

قال أبو إسحاق، وأحسب معنى «افتتاح كلام» عنده في هذا أنَّ الأشياءَ كلها للَّه عزّ وجلّ، فابتدأ وافتتح الكلام[2].

فإنَّ قال قائل: ﴿فأَنَّ للَّه خُمُسَهُ﴾ كما قال ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ للَّهِ والرَّسُولِ﴾، ثم قَسَّم هذا الخمسَ على خمْسَةِ أَنْصِبَاءَ، خمسٍ للنبي ﷺ وخمس ليتامى المسلمين لا ليتامى آل النبي ﷺ وخمسٍ في المساكين - مَساكين المسْلمين لا مساكين النبي ﷺ، وخمس لابن السبيل، ولا يرى الشَافعي أن يَتْرُكَ صنفاً من هذه الأصناف بغيرِ حظ في القسمة[3].

قال أبو إسحاق: وبلغني أنه يرى أن يُفَضِّلَ بعضُهُم على بعض على قدر الحاجة، ويرى في سهم الرسولِ أن يُصْرف إلى ما كان النبي ﷺ يصرفه فيه، والذي رُوِيَ أنه كان يصرف الخمس في عُدَدٍ للمسلمين نحو اتخاذ

(١) أي محل خلاف بين الفقهاء.

(٢) إذ لا تصلح كلمة فأن للَّه أن تكون أول جملة. فالخبر محذوف.

(٣) لم يأت جواب الشرط في «فإن قال قائل» ولم يذكر غير أربعة أخماس لأنه ترك ذوي القربى.

السلاح الذي تقوى به شوكتهم. فهذا مذهب الشافعي وهو على لفظ ما في الكتاب[1].

فأما أبو حنيفة - ومن قال بقوله - فيقسم هذا الخمس على ثلاثة أصناف، يسقط ما للرسول من القسمة، وما لذوي القُرْبَى، وحجته في هذا أنَّ أبا بكر وعمرَ لم يعطيا سَهْمَ ذوي القربى، وأن سهم النبي ﷺ ذهب بوفاته، لأن الأنبياء لا تورثُ. فيُقَسِّم على اليتامى والمساكين وابن السبيل على قدر حاجة كل فريق منهم ويعطي بعضاً دون بعضٍ منهم خاصةً، إلَّا أنه لا يخرج القَسْم عن هؤلاءِ الثلاثة.

وأما مذهب مَالِك فيُرْوَى أن قوله في هذا الخمس، وفي الفيءِ أنه إنما ذكر هؤلاءِ المُسَمَّوْنَ لأنهم من أهم مَنْ يدفع إليهم، فهو يجيزُ أن يَقْسِمَ بينهم، ويجيز أن يُعْطِيَ بعضاً دون بعض، ويجوز أن يُخْرِجَهُمْ مِن القسم إن كان أمرُ غيرهم أهمَّ من أمرهم، فيفعل هذا على قدر الحاجة.

وحجته في هذا أن أمْرَ الصدَقاتِ لم يزل يجري في الاستعمال على ما يراه الناس. وقال اللّه عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالعَامِلِينَ عَلَيْهَا، وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[2]. فلو أن رَجُلاً وجبت عليه خمسة دراهم[3] لأخرجها إلى صنف من هذه أو إلى ما شاءَ من هذه الأصناف، ولو كان ذكر التسْمِية يوجب الحق للجماعة لما جاز أن يُخَص وَاحد دون غيره، ولا أن يُنْقَصَ واحدٌ مِما يُعطى غَيْرُه[4].

---

(١) على لفظ ما في القرآن، وقد ترك ذوي القربى ولعله سهو.

(٢) سورة التوبة الآية ٦٠.

(٣) في الأصل: خمسة درهم.

(٤) أي كان يجب أن تعطى كل زكاة للأنواع الثمانية بالتساوي.

قال أبو إسحاق: مِنْ حُجَج مالك في أن ذكر هؤلاءِ إنما وقع للخصوص قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِه وَرُسُلِه وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾[1]. فذكر جملة الملائكة، فقد دخل جبريل وميكال في الجملة وذُكِرَا بأسمائهم لخصُوصِهِمَا، وكذلك ذكر هؤلاءِ في القسمة والفيءِ والصدقة، لأنهم من أهم مَنْ يصرف إليه الأموالُ من البرِّ والصدقة.

قال أبو إسحاق: ومن الحجَّةِ لمالك أيْضاً قول اللَّه عزّ وجلّ: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أنفَقْتُم منْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ والأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾[2]، فللرجل أن ينفق في البر على هذه الأصناف وعلى صنف منها، وله أن يخرج عن هذه الأصناف، لا اختلاف بين الناس في ذلك.

قال أبو إسحاق: هذا جملة ما علمناه من أقوال الفقهاءِ في هذه الآية.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنْ كُنتُمْ آمَنتُم باللَّهِ وَمَا أنْزَلنا عَلَى عَبْدِنَا﴾.

يجوز أن يكون «إنْ كُنْتُمْ» مُعَلقَةً بقوله: ﴿فاعْلَمُوا أنَّ اللَّه موْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ. . . إنْ كُنْتُمْ آمَنْتُم بِاللَّهِ وَمَا أنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ فأيْقِنُوا أنْ اللَّهُ نَصَرَكُمْ إذ كنتم قد شاهدتم مِنْ نَصْره ما شاهدتم.

ويجوز أنْ يَكُونَ﴿إنْ كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّه﴾ معناها: اعلموا أن مَا غَنِمْتُمْ من شيءٍ فأن للَّه خمسه وللرسول يأمران فيه بما يريدان إنْ كنتم آمَنْتُمْ باللَّه فاقبلوا ما أُمِرْتم به في الغنيمة.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾.

هو يوم بدر، لأن اللَّه عزّ وجلّ أظهر فيه مِنْ نَصْرِهِ بإرداف الملائكة

---

(١) سورة البقرة ٩٨.

(٢) سورة البقرة ـ ٢١٥.

والإمداد بهم للمُسْلِمِينَ مَا كانَ فيه فُرْقانٌ بين الحق والباطل، ثم أكد التبينَ في ذلك فقال عزّ وجلّ:

﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾.

أي الدنيا منكم[1]، والعُدوةُ شفير[2] الوادي، يقال: عِدْوة، وعُدْوَة وعدى الوادي مقصور، فالمعنى إذ أنتم بالعدْوَةِ الدُّنْيَا، أي بشفير الوادي الذي يلي المدينة.

﴿وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾.

بشفير الوادي الذي يلي مكّةَ.

﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾.

الرَّكْبُ العير التي كان فيها أبو سفيان على شاطئ البحر.

فأعلم اللَّه جلّ وعزّ أن نَصْرَ المؤمنين وهم في هذا الموضع فرقانٌ[3].

قال أبو إسحاق: قد بينا أنه كان رَمْلاً تسوخ فيه الأَرْجُل، ولم يكونوا على ماءٍ، وكان المشرِكُونَ نَازِلينَ على مَوْضِع فيه الماءُ، وهم مع ذلك يُحَامُونَ عن العِيرِ، فهو أشدُّ لِشوْكَتِهِمْ، فجعل اللَّه جلّ وعزّ النصرَ في هذه الحال، مع قلة عَدَدِ المسلمين وكَثْرَة عَدَد المشركين وشِدةِ شَوكَتِهم، فُرقَاناً.

ويجوز في قوله: ﴿والركب أسْفَلَ منكم﴾ [وجهان]، الوجه أن تنصب ﴿أسفل﴾، وعلَيه القراءةُ، ويجَوز أن ترفع أسفل على أنك تريد والركبُ أسْفَلُ منكم أي أشَد تَسَفُّلاً[4]. ومن نصب أرادَ والركب مكاناً أسفل منكم.

---

(١) القريبة منكم.

(٢) شاطئ الوادي وجانبه.

(٣) في الأصل «فرقاناً».

(٤) الكلمة ليست ظرفاً في هذه الحالة.

وقوله: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عن بَيِّنَةٍ ويَحيا مَنْ حَيَّ عن بَيِّنَةٍ﴾.

جعل اللَّه عزّ وجلّ القاصِدَ للحق بمنزلة الحيِّ، وجعل الضَّالَّ بمنزلة الهَالِك، ويجوز حَيِيَ بياءَين، وحَيَّ بياءٍ مشددَة مُدْغَمة، وقد قرئ بهما جميعاً. فأما الخليل وسيبويه فيجيزان الإدغام والإظهار إذا كانت الحركة في الثاني لازِمةً، فأما من أَدْغَم فلاجتماع حرفين من جنس واحد. وأما من أظهر فلأن الحرف الثاني ينتقل عن لفظ الياءِ، تقول حَيِيَ يَحْيَا، والمحيا والممات. فعلى هذا يجُوزُ الإظهارُ. فأما قوله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ يُحْيِي وُيميتُ﴾[1] وقوله: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾[2]. فلا يجوز فيه عند جميع البصريين إلا يُحْيِي بياءَيْنِ ظاهِرَتَيْنِ وأَجاز بعضهم[3]. يُحيّ بياءَ واحدة مشددة مُدْغَمة، وذكر أَنَّ بعضهم أَنشد:

وكأنها بين النساءِ سبيكة تمشي بسدة بَيْتِهَا فتَعي[4]

ولو كان هذا المنشد المستشهد أعلمنا من هذا الشاعر، ومن أي القبائل هو وهل هو مِمَّن يؤْخذ بشعره أم لا مَا كان يضره ذلك. وليس ينبغي أن يُحْمل كتاب اللَّه على «أَنشدني بعضُهُمْ» ولا على بيْت شَاذ لو عرف قائله وكان مِمنْ يؤْخذ بقوله لم يجز.

وهذا عندنا لا يجوز في كلامٍ ولا شِعْرٍ، لأن الحرفَ الثانِيَ إذَا كانَ

---

(١) سورة يونس، ﴿هو يحيي ويميت وإليه ترجعون﴾، الآية ٥٦.

(٢) سورة القيامة الآية ٤٠.

(٣) أجاز ذلك الفراء وبعض الكوفيين ـ واحتجوا بالبيت الآتي:

(٤) كأنها بين النساء قطعة من الذهب المذاب صبت في قالب، وسدة البيت فناؤه. يصفها، على عادة العرب بالكسل والتراخي لامتلاء جسمها فهي تعيى إذ تمشي بفناء بيتها، أي يرهقها قليل المشي لترفها، وتعيى من أعيا إذا ضعف ووهن.
والبيت في معاني الفراء ٣ ـ ٢١٣ ـ وانظر البحر المحيط ٨ ـ ٣٩١.
وكلام الزجاج بعد هذا موجه للفراء لاحتجاجه ببيت لم يعرف قائله.

يسكن من غير المعتل نحـو: «لم يَوَدَّ» فـالاختيار إظهـار التضعيف، فكيف إذا كان من المعتل.

وقوله: ﴿إِذْ يرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً﴾.

رويت عن الحسن أن معناها في عينك التي تنام بها. وكثير من أصحابِ النحو يذهبون إلى هذا المَـذْهَب، ومعناه عنـدهم: إذ يريكهم اللَّه في مـوضع منـامك أي بِعَيْنـك ثم حذف المـوضِعُ، وأقـام المقام مكـانـه، وهـذا مَـذْهَبٌ حسن. ولكنه قد جاءَ في التفسير أن النبي ﷺ رآهم في النـوم قليلاً[1]، وقص الرؤيا على أصحابه فقالوا: صَدَقَتْ رُؤْيَاكَ يا رسول اللَّه، وهذا المذهب أسوغ في العـربيـة، لأنَّـه قَـد جـاءَ: وَإِذْ يُـرِيكُهمُـوهم إذِ الْتَقَيْتُم فِي أَعْيُنِكُمْ قليـلاً، ويُقَلِّلكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ، فدَلَّ بهذا أن هذا رؤية الالتقاءِ، وأن تلك رؤيةُ النوم.

ويجوز على هذا المذهب الأول أن يكون الخطاب الأول للنبي ﷺ وأن الخطاب الثاني لجميع من شاهدَ الحربَ وللنبي ﷺ.

وقوله: ﴿ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ﴾.

أي لتـأخرتم عن حـربهم وكِعْتُمْ[2]-وَجَبُنْتُمْ، يقـال فشِـلَ فشَـلاً إذَا جَبنَ وهابَ أن يَتَقدم.

وقوله: ﴿إِن شَر الدوَابِّ عِندَ اللَّهِ الذِينَ كَفَرُوا فهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

عنى أن هؤُلاءِ لا يؤْمنون أبداً، كما قال لنُوح: ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾[3].

وقوله: ﴿فَإِما تَثْقَفَنهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾.

---

(١) رأى عددهم قليلاً رؤيا نوم.

(٢) أي جبنتم من كعا يكعو والأكعاء الجبناء، والكاعي المنهزم.

(٣) سورة هود الآية ٣٦.

معناه افعل بِهِمْ فعلاً من القَتْلِ تُفرِقُ به مَنْ خَلْفَهُمْ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿تَثْقَفَنهُمْ﴾ معناه تصادفَنهُمْ وَتَلْقينَّهُمْ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾.

أي نقضاً للعهد.

﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾.

أي انبذ عهدهم الذي عاهَدْتهم عليه أي أرم به.

على سواءٍ، أي لِتكُونَ وَهُمْ سَواءً في العداوة.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾.

أي الذين يخونون في عهدهم وغيره.

وقوله: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم﴾.

معناه عادةُ هؤلاءِ في كفرهم كعادة آل فرعون في كفرهم، فجوزي هؤلاءِ بالقتل والسَّبيِّ كما جوزيَ آل فرعونَ بالإغراق والإهْلاَكِ، كذا قال بعض أهل اللغة، فِي الدأَب أنه العادة.

وقال أبو إسحاق: وحقيقة الدأب إدَامَة العَمَل، تقول: فلان يدأب في كذا وكذا أي يداوم عليه ويواظب، ويُتْعِبُ نفسه فيه. وهذا التفسير معنى العادة إلا أن هذا أبيَنُ وأكشفُ.

وقوله: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾.

موضع «إذْ» نصبٌ، المعنى اذكر إذ زيَّنَ لهم الشيطان أعمالهم.

﴿وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ اليَوْمَ مِنَ النَّاسِ [وإنِّي جَارٌ لَكُمْ]﴾.

تمثل لهم إبليس في صورة رَجُل يقالُ له سُراقة بنُ مالك بنُ جُعْشُم من كنانة(١)، وقال لهم: لَنْ يَغْلِبكم أَحَدٌ، وَأَنا جارٌ لكم من بني كنانة، ﴿فَلمَّا تَرَاءَتِ الفِئَتَانِ﴾.

(١) هو سراقة صاحب قصة الهجرة الشهيرة، إذ طارد النبي ﷺ وأبا بكر وكاد يمسك بهما ليظفر =

توافقتا حتّى رأتْ كُلُّ واحِدةٍ الأُخْرَى، فَبَصُرَ إبليسُ بـالمَلائكـة تنزل من السّماءِ فنكص على عقبيه.

﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾.

وذلك أنه عُنِّفَ لِهَرَبِه، فقال:

﴿إِنِّي بَـرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَـرَوْنَ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، واللَّهُ شَـدِيـدُ العِقَابِ﴾.

ومعنى نكص رجـع بِخِزْيٍ، فـإن قال قـائـل: كيف يقـولُ إبليس: إني أخاف اللّه وهو كافِرٌ. فالجواب في ذلك أنه ظن الوقت الذي أُنْظِرَ إليْه قَدْ حَضَر.

وقوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾.

معنـاهـا: لا يُحْسَبَنَّ من أفلت من هـذه الحـرب قَـدْ سَبَق إلى الحياة. والقراءَة الجيِّدةُ لا تَحْسَبَنَّ بالتاءِ على مخاطبة النبي ﷺ وتكون «تَحْسَبَنَّ» عاملة في الذين، ويكون «سبقوا» الخبر(١).

ويجـوز فتح السين وكسرها(٢)، وقد قرأ بعض القـرّاءِ، ولا يحسَبَنَّ الذين كفروا، بالياءَ وَوَجهُها ضعيف عنـد أهل العـربية إلا أنهـا جائـزة على أن يكون المعنى، ولا يحسبن الذين كفروا أن سبقوا، لأنها في حرف ابن مسعود أنهم سبقوا، فإذا كانت كذلك فهو بمنزلة قولك: حسبت أن أقوم وحسبت أقُومُ على حذف أن، وتكون أقوم وقام تنوب عن الاسم والخبر كما أنك إذا قلت: ظننتُ لَزَيْدٌ خَيْرٌ مِنْكَ. فقد نابت الجملةُ عن اسم الـظَّنِّ وخَبرِه وفيهـا وجه آخـر: ولا يحسبَنَّ قبيلُ المُؤْمِنينَ الَّذين كَفَرُوا سَبَقُوا.

= بجائزة قريش. ودعا عليه رسول الله فساجت أقدام فرسه، فتـطير وطلب منـه الخلاص على ألا يدل عليه ففعل وكتب له أمانا، وقال له: كيف بك إذا لبست سواري كسـرى ـ وقد كـان سواره وتاجه ومنطقته من نصيب كسرى في موقعة القادسية، ألبسه عمر إياها. أسلم سراقـة يوم الفتـح ومات سنة ٢٤ هـ.

(١) المفعول الثاني.

(٢) في «يحسبن».

ويجوز فيها أوجُهٌ لَمْ يُقْرأْ بِهَا، يجوز «ولا يُحْسَبَنَّ الذينَ كفروا سبقوا» و «لا يَحْسبُنَّ الذين كفروا»، أي لا يحسب المؤمنون الذين كفروا سبقوا.

ولكن القراءَة سنة، لا يُقْرأُ إلا بما قرأت به القراءَ.

ويجوز إنهم بكسر إنَّ، ويجوز أَنَّهم، فيكون المعنى: ولا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كفروا أَنهم يعجزون، ويكون أَنَّ بَدَلاً مِن سَبَقُوا.

قال أبو إسحاق: هذا الوجه ضعيف، لأن «لا» لا تكون لَغْواً في موضع يجوز أن تقع فيه غير لغوٍ.

وقوله: ﴿يُعْجِزُونَ﴾ فتحُ النون الاختيارُ، ويجوز كسرها على أن يكون المعنى أنهم لا يَعجزُونَنِي، بحذف النون الأُولى لاجتماع النونين. قال الشاعر:[1]

رأَتـه كـالنعـام يُعَـلُّ مِسْكـاً يســوءُ الغـاليـات إذا فَلَيـنِي

يريد فلينني.

وقوله: ﴿وآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ. اللَّهُ يَعلَمُهُمْ﴾.

﴿آخرين﴾ عطف على قوله ﴿تُـرهِبُونَ بـه عدوَّ اللَّه وعدوَّكم﴾. أي وترهبون آخرين مِنْ دُونِهِمْ.

وقوله: ﴿وإن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾.

السلم: الصلح والمسالمة، يقال: سِلْمٌ وسَلَمٌ وسَلَمٌ في معنى واحِد، أي إن مالُوا إلى الصلح فَمِلْ إلَيْه.

﴿وإن يُريدُوا أَن يَخْدَعُوك﴾.

أي إن أَرَادُوا بإظهارِ الصُّلْح خَديعَتك، ﴿فإنَّ حَسْبَك اللَّهُ﴾.

---

(١) تقدم في الجزء الأول ٢١٦ - ويروى «تراه».

أي فإن الذي يتولى كفايتك اللَّه.

﴿وَمَنِ اتبَعُكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

موضع «مَنْ» نصْبٌ ورَفْعٌ، أما مَنْ نَصَبَ فعلى تـأْويل الكـاف، المعنى فإن اللَّه يكفيك ويكفي من اتبَعَكَ من المؤْمنين، ومن رفع فعلى العـطف على اللَّه والمعنى: فإن حسبك اللَّهُ وتُبَّاعُك مِن المؤْمنينَ.

﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ﴾.

ومعنى أَيَّدَكَ قَوَاكَ.

﴿وَبِالْمُؤْمِنِين وَأَلَّف بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾.

أي جمعهم على المودة على الإيمان.

وقوله: ﴿لَوْ أنفقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾.

[جميعاً] منصوب على الحال.

﴿ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّه أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾.

أَعلم اللَّه جلّ وعزّ أن تأْليف قلوب المؤْمنين من الآيات العظام وذلك أَن النبي ﷺ بُعِث إلى قـوم أَنَفتُهم شديـدةٌ، ونصرةُ بعضهم بعضـاً ومعـاوَنَتُـه أَبلغُ نصرةٍ وَمُعَاوَنَةٍ، كان يُلْطَمُ من القبيلة لطمَةً فيقاتلُ عنـه حَتَّى يُدْرَكَ ثـأْرُهُ، فأَلَّف الإيمان بين قلوبهم حتى قاتل الرجل أَباه وأَخاه وابنه[1]، فـأَعلم اللَّه عزّ وجـلّ أَن هذا ما تَوَلاَّهُ منهم إلا هو.

وقوله: ﴿يا أَيُّها النَّبِيُّ حَرِّضِ المؤمنينَ على القِتَالِ﴾.

تأْويله حُثَّهم على القتال.

وتأْويل التحريض في اللغة أَن يحث الإنسان على الشَّيءُ حثاً يعلم معه أَنه حَارِضٌ إن تخلف عنه، والحارض الذي قدْ قَارَبَ الهلاكَ، وقَـوله تعـالى:

---

(١) أصبح المسلمون وحدة حتى كان الرجل يحارب ذويه إبقاء على وحدة الجماعة الإسلامية.

﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً﴾[1] أي حتى تَـذوب غَمَّاً فتقارب الهـلاك فتكـون من الهالكين.

وقوله: ﴿إِنْ يَكُنْ منكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ﴾.

لا يجوز إلَّا كسر العين. وزعم أهل اللغة أن أول عشرين كُسِرَ كما كُسِرَ أولُ اثنين، لأن عِشْـرين من عَشْـرةٍ مثـل اثنين من واحِـدٍ. ودليلهم على ذلـك فتحهم ثلاثِين كفتح ثلاثةٍ، وكسرة تِسعين ككسرة تسعة.

وقوله: ﴿وعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً﴾.

قرئَت على ثلاثةِ أَوْجُهٍ: قـرئت ضَعْفاً بفتـح الضَّادِ، وضُعْفـاً بضم الضَّادِ والمعنى واحِـدٌ، يقـال هــو الضَّعفُ والضُّعْفُ، والمَكْثُ والمُكْثُ، والفَقْـرُ والفُقْر، وباب فَعْلٍ وفُعْل بمعنًى واحِدٍ في اللغة كثير.

وقـرأ بعض الشيخـة: وعلم أنَّ فيكم ضُعَفَاءَ على فُعَلَاءَ[2]، على جمـع ضعيف وضُعَفاءَ ولم يَصْرفْ[3] ولم يُنَوِّنْ لأن فعلاءَ في آخرها ألف التأنيث.

﴿فإِنْ يَكُن مِّنكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ﴾.

وقرئت «فإن تكن» بـالتاءِ، فمن أنث فـلأن لفظَ المائـة مؤنث، ومن ذكر فلأن المائة وقعت على عَدَد مُذكر.

وقوله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾.

ويقرأ أُسارَى، فمن قرأ أَسْرَى فهو جمع أَسِير وأَسْرَى.

وَفعْلى جمـعٌ لكل مـا أُصِيبُوا بـه في أبدانهم وعُقُـولهم، يقال: هـالـك وهلكى، ومريض ومَرْضَى، وأحمق وحَمْقَى، وسَكْران وسَكرى.

---

(١) سورة يوسف الآية ٨٥.

(٢) هذا هو الوجه الثالث.

(٣) أي هو ضعفاء ـ حذفت منه الهمزة، وهو ممنوع من الصرف لألف التأنيث.

ومن قرأ أُسَارَى فهو جمع الجمع، تقول أَسير وأسارى.

قال أبو إسحاق: ولا أعلم أحداً قرأها أُسارى. وهي جائزة ولا تقرأن بها إلا أن تثبت رواية صحيحة.

﴿حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾.

معناه حتى يبالغ في قتل أعدائه، ويجوز أن يكون حتى يتمكن في الأرض. والإثخان في كل شيء قوة الشيء وشدته يقال قد أثخنته.

ومعنى: ﴿وأُولو الأَرْحَام بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبْعضٍ﴾.

أي بعضهم في المواريث أولى ببعض.

وهذه المواريث في الولاية بالهجرة منسوخة، نسخها ما في سورة النساءِ من الفرائض.

وقوله: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

معناه تذهب صَوْلتكم وقوتكم، ويقال في الدُّولِ: الرِّيحُ مَعَ فُلان، أي الدَّوْلَةُ.

سورة براءة

قوله جلّ وعزّ ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسولِه﴾ .

سئل أُبَيٌّ بنُ كعب: ما بال براءَة لم تفتتح ببسم اللَّه الرحمن الرحيم.

فقال: لأَنها نزلت في آخر ما نزل من القرآن، وكان رسول اللَّه ﷺ يأمر في أَول كل سورة ببسم اللَّه الرحمن الرحيم: ولم يأْمر في سورة براءَة بذلك فَضُمَّتْ إلى سورة الأَنفال لشبهها بها.

يعني أَن أَمْرَ العهودِ مذكور في [سورة] الأَنفال وهذه نزلت بنقض العهود فكانت ملتبسة بالأَنفال في الشبه[١].

قال أَبو إِسحاق: أَخبرنا بعض أُصحابنا عن صاحبنا أَبي العباس محمد ابن يزيد المبرد أَنه قال: لم تفتتح بـ «بسم اللَّه الرحمن الرحيم»، لأَن «بسم اللَّه» افتتاح للخير. وأَوّل «براءَة» وَعيدٌ ونقض عُهود، فلذلك لمْ تفتتح ببسم اللَّه الرحمن الرحيم.

و«براءَة» نزلت في سنة تسع من الهجرة، وافتتحت مكة في سَنَةِ ثمان. وَوَلَّى رسولُ اللَّه ﷺ عَتَّابَ بنَ أُسَيدٍ[٢] للوقوف بالناس في الموسم فاجتمع في

---

(١) مرتبطة بها لما بينهما من الشبه.

(٢) عتاب هو أبو عبد الرحمن أموي من عبد شمس، أسلم يوم الفتح وولاه رسول اللَّه مكة حين خرج لحنين، وثبته أبو بكر وقد حدث أنه لما أراد علي بن أبي طالب أن يتزوج بنت أبي جهل أن أسرع عتاب فتزوجها فولدت له عبد الرحمن وبه يكنى الإصابة ت ٥٣٩١.

تلك السنة في الموقف ومعالم الحج وأسبابه المسلمون والمشركون. فلما كان في سنة تسع وَلى رَسُولُ اللَّه ﷺ أبا بكر الصديق الوقوفَ بالناس وأمر بتلاوة براءَة، وولى تلاوتها عَلياً[١] وقال في ذلك: لن يُبَلِّغَ عني إلا رجُلٌ مني، وذلك لأن العربَ جَرت عادتها في عقد عقودها ونقضِها أن يتولى ذلك على القبيلة رَجلٌ منها، فكان جائزاً[٢] أن يقول العربُ إذا تلى عليها نقض العهد من الرسول:

هذا خِلاف ما نعرف فينا في نقض العهود، فأزاح رسول اللَّهِ ﷺ هذه العِلَّةَ، فَتُلِيَتْ براءَة في الموقف:

﴿بَرَاءَةٌ منَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ منَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي قدْ بَرِئَ من إعطائهم العهودَ والوفاءَ لهم، ذلك أن نكثوا[٣].

﴿بَرَاءَةٌ﴾ مرتفعة على وجهين أحدهما على خبر الابتداءَ، على معنى هذه الآيات براءَة من اللَّه ورسوله، وعلى الابتداء، يكون الخبر ﴿إلى الذين عاهدتم﴾ لأن براءَة موصولة بِمِنْ[٤]، وصار كقولك: القصد إلى زيد، والتبرؤُ إليك، وكلاهما جائز حسن، يقال بَرِئْتُ من الرجُل والدين براءَةً، وبرِئْتُ من المرَض وبَرَأْتُ أيضاً بُرْءاً، وقد رَوَوْا برأت أبرُؤ بُرُوءاً، ولم نجد فيما لامه همزة فعَلْت أفْعُل، نحو قرأت أقْرُأ، وهنأت البعير أهنؤه[٥].

---

(١) أرسل النبي علياً بها بعد أن فصل أبو بكر بالحجيج ليتلوها على الناس لأن إبرام العقود ونقضها لا يكون إلا من كبير الجماعة أو أحد أقاربه.

(٢) متوقعاً محتملاً إذا قرأه أبو بكر.

(٣) أي بأنهم نكثوا العهد ـ نكثت بعض القبائل فبرئ منها ـ وبقي بعض على عهده وهم الذين استثنوا في قوله: ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوا عهدهم﴾.

(٤) أي هي نكرة موصوفة يجوز الابتداء بها.

(٥) لا يوجد هذا في اللغة.

وقد استقصى العلماء باللغة هذا فلم يجدوه إلا في هذا الحرف[1].

ويُقال بَرَيْت القَلمَ ـ وكل شَيءٍ نَحَتُه ـ أَبْرِيه بَرْيًا، غير مهموز، وكذلك بَرَاةُ السيْرُ غير مهموز، والبُرَةُ حَلَقَةٌ من حَدِيد في أَنف الناقة، فإذا كانت من شعر فهي خِزَامَةٌ.

والذي في أَنف البعير من خَشب يقال له الخِشَاش، يقال أَبْريت الناقة أَبْرِيها براءَ إذا جَعَلْت لها بُرَةً.

ولا يقال إلا بالألف أَبْريْتُ، ومن الخزامة خَزَمْتُ ـ بغير ألف ـ وكذلك من الخِشاش خَشَشْتُ، والبُرَةُ الخلخال من هذا، وتجمع البرةُ بُرين والبُرِيَ.

وقوله: ﴿فَسِيحُوا في الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾.

أَي اذهبوا؛ وأَقْبلوا وَأَدْبِرُوا أَربعةَ أَشْهُرٍ.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾.

[أي] وإن أَجَّلْتُم هـذه الأربعة الأشهر فلن تفوتوا اللَّه ﴿وَأَن اللَّه مُخْزِي الكَافِرِينَ﴾.

الأَجْوَدُ فتح «أ» علَى معنى اعلموا أَن اللَّه مخزي الكافرين، ويجوز كَسْرها على معنى الاستئناف، وهذا ضمان من اللَّه عزّ وجلّ بنَصْرِهِ المؤْمِنين على الكافرين.

﴿وَأَذانٌ منَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

عطفٌ على ﴿بَرَاءَةٍ﴾ ومعناه: وإعلان من اللَّه ورسوله، يقال آذنته بالشيء إذا أَعلمته به.

﴿إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءُ منَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

قيل يَومُ الحج الأَكبر هو يوم عرفة، والحج الأَكبر الوُقوف بعرفة، وقيل الحج الأَصغر العمرة.

---

(١) أي برأت أبرؤ فقط.

والإجماع أنه من فاته الوقوف بعرفة فقد فاته الحج، وقال بعضهم إنَّما سُمي يومَ الحج الأكبر لأنه اتفقت فيه أعياد أهل المِلَّةِ، كان اتفق في ذلك اليوم عيدُ النصارى واليهودِ والمجوسِ وهذا لا يُسمى بهِ يومُ الحج الأكبر، لأنه أعيادُ غير المسلمين، إنما فيها تعظم كفر باللَّه، فليست من الحج الأكبر في شيءٍ.

إجماع المسلمين على أن الوقوف بعرفة أكْبَرُ الحجّ.

وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

«الذين» في موضع نصب، أي وقعت البراءَة من المعاهدين الناقضين للعهود.

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ﴾.

أي ليسوا داخلين في البراءَة ما لم ينقضوا العهود.

وقوله: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْث وَجَدتُّمُوهُمْ﴾.

أي اقتلوا هؤلاءَ الذين نقضوا العهدَ، وَنُقِضَ عَهْدُهُمْ وَأُحِلُّوا هذه المدةَ.

ويقال إن الأربَعَةَ الأشْهرِ كانت عشرين من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيعاً الأول، وعشراً من ربيع الآخر، لأن البراءَة وقعت في يوم عرفة، فكان هذا الوقت ابتداءَ الأجل.

﴿واقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَد﴾.

قال أبو عُبَيْدَة: المعنى كل طريقٍ. قال أبو الحسن الأخْفَش «على» محذوفة، المعنى اقعدوا لهم على كل مَرْصَدَ وأنشد:

نُغَالي اللحمَ للأَضْيَافِ نيئاً ... ونُرْخِصهُ إذا نَضَجَ القُدورُ[1]

---

(١) تقدم جـ ١ ص ٢١٠.

المعنى نغالي باللحم، فحذف الباءَ ههنا، وكذلك حذف «على».
قال أبو إسحاق: كل مَرصَد ظرف، كقولك ذهبت مَذْهَباً.

وذهبت طريقاً، وذهبت كلَّ طريق. فلست تحتاج أن تقول في هذا إلا ما تقوله في الظروف مثل خلف وأمام وقدام.

وقوله: ﴿فإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾.

أي إن تابوا وآمنوا فهم مثلكم، قد درأ عَنْهم إيمانُهم وَتَوْبَتهمْ إثمَ كفرهم ونكثهِم العهودَ.

وقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ منَ الْمُشرِكينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حتَّى يسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ﴾.

المعنى إن طلب منك أحدٌ منهم أن تجيرَهُ منَ القَتْل إلى أن يسمع كلام الله، فَأَجِرْهُ ﴿ثم أَبْلغْهُ مَأْمَنَهُ﴾.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْلَمُونَ﴾.

أي الأمر ذلك، أي وجب أن يعرفوا وأن يُجَازوا بجَهْلِهمْ وبِمَا يَتَبيَّنُونَ الإسلام.

وأما الإعراب في أَحَد مع «إنْ» فالرفع بفِعل مُضْمر الذي ظهر يفسِّرُه.
المعنى وإن استجارك أحد.

ومن زعم أنه يرفع أَحَداً بالابتداءِ فخطأ[١].
لأن الجزاءَ لا يتخطى ما يرفع بالابتداء ويعمل فيما بعده[٢].

---

(١) «إن» مختصة بالأفعال، فلا بد من تقدير فعل قبل أحد.

(٢) يريد أن «إن» الشرطيه عملت في موضع «أجارك» وفي «فأجره»، فلو كان «أحد» مبتدأ ما تخطته للعمل فيما بعده.

فلو أَظهرت المستقبل لقلت: إن أَحدٌ يقمْ أُكرمهُ ولا يجوز إنْ يَقمُ أَحَدُ زَيْدٌ يَقُمْ. لا يجوز أَن ترفع زَيْداً بفعل مضمر الذي ظهر يفسِّره ويَجزم[1].

وإنما جاز في «إن»[2] لأَن «إن» يلزمها الفِعْلُ، وجواب[3] الجزاءِ يكون بالفِعْل وغيره، ولا يجوز أَن تُضْمِرَ وتجزم بعد المبتدأ، لأَنك تقول ههنا إن تأتني فزيد يقوم، فالموضع موضع ابتداءٍ.

وإنما يجوز الفصل في باب «إنْ» لأَن «إنْ» أُمُّ الجزاءِ، ولا تزول عنه إلى غيره، فأَما أَخواتُها فلا يجوز ذلك فيها إلا في الشِعر.

قال عدي بن زيد[4].

فمتى واغل يزرهم يُحيوه وتُعطَفْ عليه كأْسُ السَّاقي

وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾.

أَي ليس العهد إلا لهؤلاءِ الذين لم ينكثوا.

﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾.

أَي ما أَقاموا على الوفاءِ بعَهْدِهِمْ، وموضع «الذين» نصب بالاستثناءِ.

---

(١) لا مساغ لإضمار فعل قبل زيد، لأن إن الشرطية ذكر بعدها فعل وكفى. وجملة زيد يقوم هي جواب الشرط فيجب قرنها بالفاء ورفع الفعل بعدها وتقدير الجملة في الأصل ان يقم أحد فزيد يقوم.

(٢) جاز تقدير فعل محذوف بعد إن وجعل الاسم بعدها فاعلاً له، لأن إن مختصة بالأفعال.

(٣) جواب الشرط.

(٤) عدي بن زيد شاعر جاهلي من شعراء النصرانية ـ لم يكن من فحول الشعراء ولكنه بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها. اتصل بملوك الحيرة، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى ـ سجنه النعمان بن المنذر لوشاية ومات في سجنه، وقد استعطف النعمان بقصائد منها هذه القصيدة أولها:

ليس شيء على المنون بباق غير وجه المسيح الخلاق

والواغل الذي يشارك في الشراب بدون دعوة. الشاهد ١٦١ في الخزانة ٣ ـ ٤٠.

وقوله: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلّاً وَلاَ ذِمة﴾.

وحذف مع كيف [جملة] «يكون لهم عهدٌ» لأنه قد ذكر قبل ذلك.

قال الشاعر يرثي أخاً له مات:

وخَبرتُماني أنما الموت بالقُرَى ... فكيف وهاتا هَضبة وقليب[1]

أي فكيف مات وليس بقرية. ومثله قول الحطيئة:

وكيف ولم أَعْلمْهمُو خَذَلُوكُمُو ... عَلَى مُعْظَمٍ ولاَ أَدِيمَكُمُو قَدُّوا[2]

أي فكيف تَلومونني على مدح قوم، وتَذُمُّونَهُمْ، واستغنى عن ذكر «ذَلِك» مع ذكر كيف، لأنه قد جرى في القصيدة ما يدل على ما أُضْمِرَ.

قال أبو عبيدة الإِلُّ: العهدُ، والذِّمَّة ما يتذَمَّمُ منه، وقال غيره: الذمة. العهد، وقيل في الإِل غير قول.

قيل: الإِلُّ القرابة، وقيل: الإِل: الحلف، وقيل: الإِل: العهْدُ، وقيل الإِلُّ اسم من أسماءِ اللَّه، وهذا عندنا ليس بالوجه لأن أسماءَ اللَّه جلّ وعزّ معروفة معلومة كما سُمِعَت في القرآن وتُلِيَتْ في الأخبار قال اللَّه جلّ وعزّ: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادعُوهُ بهَا﴾[3].

فالداعي يقول: يا اللَّه، يا رحمن، يا ربُّ، يا مؤْمِنُ، يَا مُهيَمن.

---

(١) لكعب الغنوي يرثي أخاه أبا المغوار ـ «هاتا» إشارة إلى الهضبة والقليب يقول: لقد ذكرتماني أن الموت بالقرى المأهولة لزهامة هوائها، فكيف أصاب الموت أخي وهو ليس بالقرى ـ وإنما حوله هضبة وبئر ماء، والبيت في كتاب سيبويه ٣ ـ ١٣٩ (بولاق) وفي ابن يعيش ٣ ـ ١٣٦ «نبأتماني».

(٢) من داليته في مدح البغيض وهجاء الزبرقان، أي لم تطلبوا منهم أمراً عظيماً لم يجيبوكم إليه، ولا نالوا منكم بقول شيء فكيف تلومونني على مدحهم. والبيت في الديوان ٧٢ ومعاني الفراء ١ ـ ٤٢٤.

(٣) سورة الأعراف ١٨٠.

ولم يَسْمَعْ «يا إلُّ» في الدعاءِ.

وحقيقة «الإلّ» عندي على ما تُوحيه اللغة تحديد الشيءِ[١] فمن ذلك: الإلَّةُ: الحربة، لأنها محدَّدَة، ومن ذلك: إذُن مُؤَلَّلةٌ، إذا كانت محدَّدَة.

والأل يُخرَجُ في جميع ما فُسِرَ من العهْدِ والجوار على هذا، وكذلك القرابَةُ، فإذا قلت في العهد بَيْنَهُما إلٌّ فمعناه جِوارٌ يحادُّ الإنسان، وإذا قُلْتَهُ في القرابة فتأويله القرابَة الدانِيةُ التي تحادُّ الإنسانَ[٢].

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا في دينكمْ فقاتلوا أئمَّة الكُفرِ﴾.

أي رؤُساءَ الكافرين[٣]، وقادتهم، لأن الإمام متَّبَعٌ.

وهذه الآية توجب قَتلَ الذِميّ إذا أَظْهَرَ الطعنَ في الإسلام لأن العهد معقود عليه بألَّا يطعَنَ، فإذا طعنَ فقد نكث.

وقوله: ﴿أئمة الكفرِ﴾فيها عند النحويين لُغةٌ واحدةٌ: أَيمة بهمزة وياءَ، والقرَاءُ يقرَأون أئِمة بهمزتين، وأَيمة بهمزة وياءٍ، فأما النحويُّون فلا يجيزون اجتماع الهمزتين ههنا، لأنهما لا يجتمعان في كلمة، ومن قرأ أئمة - بهمزتين - فينبغي أن يقرأ يا بني أأدم، والاجتماع أن آدم فيه همزة واحدة، فالاختلاف راجع إلى الإجماع، إلا أن النحويين يستصعِبُون هذه المسألة، ولهم فيها غير قول:

يقولون إذا فضلنا رجلاً في الإمَامة: هذا أَوَمُّ من هذا ويقول بعضهم أَيَمُّ من هذا، فالأصل في اللغة أأمِمَةٌ لأنه جمع إمامٍ، مثلُ مِثَال وأَمْثِلَةٍ، ولكن

(١) إرهافه وجعله دقيقاً.

(٢) تمنحه قوة وشدة ومضاء.

(٣) في الأصل أي أئمة الكفر رؤساء الكفر.

الميمين لما اجتمعتا ادغمت الأُولى في الثانية وأُلغِيت حركتها على الهمزة، فصار أئِمَّة، فأبدل النّحويون من الهمزة الياءَ.

ومن قال: هذا أَيَمُّ من هذا جعل هذه الهمزة كلما تحركت أَبْدَلَ مِنها ياءً.

قال أبو إسحاق: والذي قال: «هَذا أَوَمُّ مِن هذا» كانت عنده أُصلها أأَم، فلم يمكِنْه أن يُبدِلَ منها أَلِفاً لاجتماع الساكنين، فجعلها واواً مفتُوحة، لأنه قال: إذا جمعت آدمَ قُلتَ أُوادِمَ.

وهذا هو القياس الذي جعلها ياءً.

قال: قد صارت الياءُ في أئمة بدَلًا لازماً.

وهذا مذهب الأَخفشِ، والأول مذهب المازني.

قال أبو إسحاق وأظنه أَقْيَسَ الوَجْهَيْن، أعني: هذا أَوَمُّ مِنْ هَذَا، فأما أئِمة باجتماع الهمزتين، فليس من مذاهب أصحابنا، إلا ما يحكى عن ابن إسحاق فإنه كان يحب اجتماعهما وليس ذلك عندي جائزاً، لأن هذا الحرف في أئمة قد وقع فيه التضعيف والإدغام، فلما أُدغم وقعت علة في الحرف، وطرحت حركته على الهمزة فكان تركها دليلاً على أنها همزة قد وقع عليها حركة ما بعدها، وعلى هذا القياسِ يجوز: هذا أأَمُّ مِنْ هذا والذي بدأْنا به هو الاختيار من أن لا تجتمع همزتان.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ لا ايمَان لَهُمْ﴾.

وتقرأُ لا أَيمان لَهُمْ، فمن قرأ: ﴿لا أَيمَان لهمْ﴾ بالفتح فقد وصفهم بالنكث في العهد، وهو أَجودُ القراءتين، ومن قرأ «لا إيمَانَ لهم» فقد وصفهم بالرِّدةِ، أَي لا إسْلامَ لَهم، ويجوز أن يكون نَفَى عنهم الإيمان لأنهم لم يؤمنوا، كما تقول: لا عِلْمَ لِفُلانٍ.

ويجـوز أن يكـون لا أيمَـانَ لَهُمْ إذَا كنتمْ أنْتُمْ آمَنْتُمـوهُمْ، فنقضـوا هم عَهدكُم، فقد بطل الأمان الـذي أعطيتمـوهم، أي لا إيمانَ لَهُمْ: على «آمنتُـه إيماناً على المصدر».

﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهونَ﴾.

أي لِيُرْجَى منهم الانتهاءُ، والنكث: النقض في كل شيءٍ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوماً﴾.

هذا على وجه التوبيخ، ومعناه الحضُّ على قتالهم، وقيل في قوله:

﴿وَهُمْ بَدأوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

أنهم كانوا قاتلوا حُلفاءَالرسول اللَّه ﷺ.

وقوله: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾.

معناه أَتَخْشَونَ أَنْ يَنَالَكُمْ مِنْ قِتَالِهم مَكْرُوهٌ.

﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشُوْهُ﴾.

أي فمكرُوهُ عَذابِ اللَّهِ أَحقُّ أَن يُخْشى.

﴿إن كُنْتُمُ مُؤْمِنينَ﴾: أيْ مصدقِينَ بعقاب اللَّه وثوابه.

وقوله: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾.

فيه دليل أنه اشتد غضبهم للَّه عزّ وجلّ، فوعد اللَّه في هذه الآية النَّصْرَ، وفيهـا دليـل على تثبيت النُّبُوَّة، لأنـه قـال عـزّ وجـلّ: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَـذِّبْهُمُ اللَّهُ بأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ علَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مؤْمِنِينَ﴾.

فـوعدهم اللَّه النَّصْـرَ وَوَفىّ به، ودل على صـدق مـا أتى بـه النبي ﷺ، وقوله تعالى:

﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾.

ليس بجـواب لقولـه: ﴿قَاتِلُوهُمْ﴾ ولكنـه مستأنف، لأن «يتـوب» ليس من جنس ما يُجابُ به «قاتلوهم».

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا ولَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهدُوا مِنْكُمْ﴾.

اللَّه جلّ وعزّ قد علم قَبْلَ أَمْرهم بالقِتَالِ من يُقَاتـلُ مِمَّنْ لاَ يُقَاتِـلُ ولكنه كان يعلم ذلك غيباً، فأرادَ العلمَ الذي يُجازي عَلَيْهِ لأَنَّه جلّ وعزَّ إنمـا يجازي على ما عملوا.

وسورة «براءة» كانت تُسَمَّى الْحافِرةَ، لأنها حَفَرت عن قلوبِ المنافقين، وذلـك أنه لمـا فُرِضَ القِتـالُ تبين المنافقُ من غيـره، ومن يُوالي المؤْمِنين مِمَّن يوالي أعداءَهم فقال جلّ وعزّ:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّـا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَـاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِـذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمنينَ وَلِيجَةً﴾.

والوَليجة: البِطَانَةُ، وهي مأْخوذة مِنْ وَلَـجَ الشيءَ، يلِجُ إذا دَخَلَ. [أي] ولم يَتَّخِذوا بينهم وبينَ الكافرين دَخيلَةَ مَوَدَّةٍ.

وقوله: ﴿مَاكَانَ لِلْمُشْرِكينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجدَ اللَّهِ شَـاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بالكُفْرِ﴾.

﴿شَاهِدِينَ﴾ حـال. المعنى ما كانت لهم عمارةُ المسجد الحرام في حـال إقرارهم بالكفر.

﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾.

أي كُفْرُهُمْ قد أذهبَ ثوابَ أعمالهم.

وقوله: ﴿إنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّه وَالْيَوْمِ الآخر وَأَقَامَ الصَّـلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إلاَّ اللَّهَ﴾.

ولم يذكر الرسول في هذا[1]، لأن فيه دليلاً بقوله وأَقامَ الصلاةَ التي أتى بتحديدها الرسول.

﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾.

تأويله لم يخف في باب الدين إلا اللّه.

﴿فَعَسَى أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

عسى واجبة من اللّه.

وقوله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لا يَسْتَوُونَ عندَ اللَّهِ﴾.

المعنى أجعلتم أهل سِقَايَةَ الحَاجِّ وأَهلَ عِمَارَةِ المَسْجِدِ الحرامِ كمن آمن باللّه واليوم الآخِرِ وجَاهَد.

واختلف الناس في تفسير هذه الآية:

فقيل: إنه سأل المشركون اليهودَ فقالوا نحن سُقَاةُ الحَاجِّ وَعُمَّارُ المسجد الحَرامِ. أَفَنَحْنُ أَفْضَلُ أم محمد وأصحابه؟ فقالت لهم اليهود عناداً للنبي ﷺ: أنتم أفضل.

وقيل إنه تفاخر المسلمون المجاهدون والذين لم يهاجروا ولم يجاهدوا، فأعلم اللّه جلّ وعزّ أن المجاهدينَ والمهاجرين أعظمُ دَرَجَةً عند اللّه، فقال:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ﴾.

﴿درجةً﴾ منصوب على التمييز، المعنى أعظمُ من غَيْرِهِمْ درَجَة.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

---

(١) لم يأت في الآية «من آمن باللّه ورسوله واليوم الآخر»، لأن الرسول معلوم ضمناً لأنه الذي أتى بتحديد الصلاة.

والفائز الذي يظفر بأمنيته من الخير.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ﴾.

أي يُعْلِمْهم في الدنيا ما لهم في الآخرة.

وقوله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ في مَواطِنَ كَثيرَةٍ، وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾.

أي وفي حنين، أي ونصركم في يوم حنين، وحنين: اسمُ وَادٍ بين مكة والطائفِ.

وقوله: ﴿فِي مَوَاطِنَ كَثيرةٍ﴾: أي في أمكنةٍ، كقولك في مقامَاتٍ.

تقول استوطن فلان بالمكان إذا أقام فيه.

وزعم بعضُ النحويينَ أن﴿مواطن﴾لم ينصرف ههنا لأنه جَمْعٌ. وأنها لا تُجْمَعُ.

قال أبو إسحاق: وإنما لم تُجْمَعْ لأنها لا تدخل عليها الألف والتاءُ، لا نقول مَوَاطِنات، ولا حَدَائدات إلَّا في شِعْر، وإنما سَمِعَ قَوْلَ[1] الخليل أنه جمع لا يكون على مثال الواحد، وتأويله عند الخليل أن الجموع أَبَداً تَتَنَاهى إليه فليس بعده جمع، لو كسّرت أي جمعت على التكسير أقوال، فقلت[2] أقاوِيل لم يتهيأ لك أن تكَسِّر أقاوِيل، ولكنك قد تقول أقاويلات، قال الشاعر:[3]

فَهُنَّ يَعْلكنَ حَدائداتها

(١) أي سمع هذا النحوى قول الخليل ولم يفهمه.

(٢) في الأصل لقلت.

(٣) الشطر في اللسان منسوباً للأحمر، وفي معاني الفراء ١ ـ٤٢٨ يجمعن -حدائداتها. وهو حديث عن خيل تعلك لجمها كما جاء في شعر النابغة:

خيل صيام وخيل غير صائمة   تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

ولم أقف على صدر البيت... وانظر القرطبي في الآية نفسها.

وإنما لم ينصرف ﴿مواطن﴾ عند الخليل لأنه جمع وأنه ليس على مثال الواحدِ ومعنى ليس على مثال الواحد، أي ليس في ألفاظ الواحد ما جاءَ على لفظه وأنه لا يجمع كما يجمع الواحد جمعَ تكْسِيرٍ.

ومعنى الآيـة أن اللَّه جلّ وعـزّ أَعْلَمهم أنه ليْس بكثـرتهم يَغْلِبُـون وأنهم إنمـا يغلبون بنصر اللَّه إيَّاهم فقال جلّ وعزّ:

﴿وَيَـوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُم فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً﴾.

يـروى أنهم كانـوا اثنى عشر ألفـاً في ذلك اليـوم، وقال بعضهم: كـانوا عَشَرة آلاف[1] فأُعجبوا بكثرتهم، فجعل اللَّه عقوبتهم على إعجابهـم بالكثـرة - وَقَـوْلِهم: «لن نُغْلَب اليـومَ مِنْ قِلَّةٍ» بـأَن رَعَّبهم[2] حتى وَلَّـوْا مُـدْبِـرِين، فلم يبق مع رَسُول اللَّه ﷺ إلَّا العَبَاسُ بنُ عبدِ المطلِب وأبو سُفيانَ بن حَرْبٍ[3]، ثم أَنْزَلَ اللَّه عليهم السكينة حتى عادوا وَظَفِرُوا فأراهم اللَّه في ذلك اليوم من آياتِه ما زادهم تَبْييناً بنُبُوة النبِي ﷺ.

وقوله: ﴿إِنَمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾.

وقـرئت مَسْجِدَ اللَّه، فمن قـرأ «مَسْجِـدَ اللَّه» عَنَى بـه المسجـدَ الحـرامَ ودَخَل معه غيْرُه، كما تقول: ما أَسْهَلَ عَلَى فُلانٍ إِنْفـاقَ الدِّرْهَم والـدينَارِ، أيْ هَذَا الجنس سَهْلٌ عَليْه إنفَاقُه.

ويجوز أن يكون مسـاجد اللَّه يعني بـه المسجد الحـرام، كما تقـول إذا

(١) في الأصول عشرة ألف وهو خطأ.

(٢) أخافهم وأرهبهم من الرعب.

(٣) هكذا في الأصول وهو سهو فالذي ثبت مع الثابتين هو أبو سفيان بن الحرث بن عبـد المطلب - وقد دعا له رسول الله ﷺ - وسامحه فيما كان منه - أما أبو سفيان بن حرب فكان لا يزال مدخول الإسـلام، وقال: لا تنتهي هـزيمتهم دون البحر. انـظر سيرة النبي، وانسـاء العيـون في غـزوة حنين.

ركب الرجل الفرس، قد صار فلانٌ يركب الخَيْلَ، فعلى هـذا تجري الأسماءُ التي تُعَبِّرُ عَنِ الأَجْنَاسِ.

وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعدَ عَامِهِمْ هَذا﴾.

يقال لكل مُسْتَقْذرٍ نَجَسٌ، فإذا ذكرتَ الرِّجسَ قلتَ: هو رِجْس نَجِسٌ.

وهذا وقع في سنةِ تسع من الهجرةِ، أُمِرَ المسلمون بمنع المشركين من الحج وَبِقتْلِهِمْ حيثُ ثَقِفُوهُمْ.

﴿وَإِنْ خفْتُمْ عَيْلَةً فسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فضْلِهِ إن شَاءَ﴾.

كان لأهل مكة مكسبة، ورفق[1] ممن كان يحج من المشركين، فأعْلَمَهُمُ اللَّه أنه يعوّضهم من ذلك.

والعيلة: الفقر، قال الشاعر:[2]

وما يدري الفقير متى غناهُ   وما يدري الغني متى يعيلُ

وقوله جلّ وعزّ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾.

معناه: الذين لا يُؤمنون باللَّه إيمانَ الموحّدِين، لأنهم أقرُّوا بأن اللَّه خالِقُهم، وأنه له ولدٌ. وأشرك المشركون معه الأصنام، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن هذا غيرُ إيمانٍ باللَّه، وأن إيمانهم بالبعث ليس على جهة إيماننا لأنهم لا يقرون بأن أهل الجنة يأكلون ويشربُون وليس يقرون باليوم الآخر كما أعلم اللَّه جلّ وعزّ وليس يدينون بدين الحق، فأمر اللَّه بقتل الكافرين كافةً إلَّا أنْ يُعْطُوا الجِزيَةَ عَنْ يَدٍ، وَفُرِض قَبُولُ الجِزْيَةِ من أهلِ الكتابِ وهم النَّصَارى واليهود.

---

(١) ما يستعينون به من الارتفاق بمعنى الكسب.

(٢) تقدم ص ٤٤١ من هذا الجزء.

وَسَنَّ رسـول اللّه ﷺ في المجـوس والصـابئين أن يجـروا مجـرى أهـل الكتاب في قبول الجزية. فأَمَّا عَبَدَةُ الأَوثان من العـرب فليس فيهم إلا القتْلُ. وكذلك مِنْ غَيْرِهِمْ.

وقوله: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزيَةَ عَن يَدٍ وَهمْ صَاغِرُونَ﴾.

قيل معنى ﴿عَنْ يَدٍ﴾، عنْ ذُلٍّ، وقيل عن يَدٍ عن قهـر وذُلٍّ، كما تقـول اليدُ في هذا لِفلان. أي الأمر النافذ لفُلانٍ.

وقيل ﴿عَنْ يَدٍ﴾ أي عن إنْعَامٍ عليهم بذلك، لأن قبول الجـزية منهم وتـركَ أنْفُسِهِم نعمة[1] عليهم، ويد من المعروف جزيلة.

وقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابنُ اللَّهِ، وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابنُ اللَّهِ﴾.

قُرِئتْ ﴿عزيرٌ﴾ بالتنوين وبغير تنوين، والوجه إثبات التنوين لأن «ابْناً» خبَر، وإنما يحذف التنوين في الصِّفةِ نحو قولـك: جاءَني زيـدُ بنُ عمروٍ، فيحـذف التنـوين لالتقـاء السـاكنين وأَنَّ ابنـاً مضـاف إلى عَلَم وأن النعت والمنْعُـوتَ كـالشيء الواحـد. فإذا كـان خبراً فـالتنوين[2] وقـد يجوز حـذف التنوين على ضعف لالتقـاء الساكنين وقـد قرئت: ﴿قل هُوَ اللَّه أَحَـدُ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾، بحـذف التنوين، لسكونها وسكون الباءِ في قوله: ﴿عُزيْرُ ابنُ اللَّهِ﴾.

وفيه وجه آخر: أن يكون الخبر محذوفاً، فيكون معناها[3] عزيرُ ابن اللّـه معبودنا، فيكون «ابْنُ» نَعْتاً.

ولا اختلاف بين النحويين أنَّ إثبات التنوين أجود.

وقوله: ﴿ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾.

---

(١) في الأصل: وترك أنفسهم عليهم نعمة عليهم.

(٢) أي فحكمه أن ينون.

(٣) في الأصل معناهم.

إن قال قائل: كل قول هو بالفم فما الفائدة في قوله بـأفواههم فـالفَائِـدَة فِيه عظيمة بيِّنَةٌ. المعنى أنه ليس فيه بيان ولا برهان إنما هو قول بالفم لا معنى تحته صحيح، لأنهم معترفون بـأن اللّه لم يتخذْ صَاحِبَة فكيف يَـزْعُمُونَ لَـه ولَداً، فإنما هو تَكذُّبُ وقولٌ فقط.

وقوله: ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفرُوا مِنْ قَبْلُ﴾.

أي يُشَابِهون في قولهم هذا ما تقدم مِنْ كَفَـرَتِهِمْ، أي إنما قالوه اتباعاً لمن تقدم من كَفَرَتِهِمْ. الدليل على ذلك قوله:

﴿اتَّخذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

أي قبلوا مِنْهمْ أن العُـزَيْـرَ والمسيـحَ ابنا اللّه تعـالى. وهـذا معنى: ﴿يُضَاهِئون قَوْلَ الَّذِين كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ وقرئ يضَاهِيُونَ، وأصل المضاهاة في اللغة المشابهة، والأكثرُ تَرْكُ الهمزةِ، واشتقاقه من قولهم: امْرَأَةٌ ضَيْهَاءُ. وهي التي لا ينبت لها ثدي، وقيل هي التي لا تحيض. وإنما معناها أنها أشبهت الرجال في أنها لا ثدْيَ لها، وكذلك إذا لم تحض. وضهياء فعلاء.

الهمزة زائدة كما زيدت في شمأل[1]، وغرقيء[2] البيضة، ولا نعلم [أنها] زيدت غير أوَّل، إلا في هذه الأشياءَ.

ويجوز أن تكون[3] «فَعْيَل» وإن كانت بِنيَةً ليس لها في الكلام نظير، فإنا قد نعرف كثيراً مما لا ثَاني له[4]. من ذلك قولهم كَنَهْبَل وهو الشجر العظام، تقديره فَنَعْلل، وكذلك قَرَنْفُل، لا نظير له وتقديره فَعَنْلُل. وقد قيل:

---

(١) الهمزة في يضاهئون زائدة كما زيدت في شمأل، أي شمال، ومنه عن اليمين والشمائل. فهي جمع شمال.

(٢) غرقيء البيض الجلدة الرقيقة التي تحت القشرة.

(٣) يجوز أن تكون ضهياء من فعيل ـ أي الياء زائدة.

(٤) توجد كلمات على وزن لا نظير له.

إبِل لا نظير له وإن كان قد جاءَ إطِل وهو الخصْرُ، وقالوا إيْطِل ثم حذفوا فقالوا إطِلٍ ، فيجوز أن يكون «يُضاهِئون» من هذا بالهمز، وتكون همزة ضهياءَ أصلاً في الهمز[1].

وقوله : ﴿سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

معناها تنزيهاً له عن شركهم.

وقوله : ﴿وَالَّذِين يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونهَا فِي سَبِيل اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

أكثر التفسير إنما هو للمشركين، وقد قيل إنها فيمن منع الزكاة من أهل القِبْلة[2] لأن من أدى من ماله زكاته فقد أنفق في سبيل اللَّه ما يجب من ماله.

وقوله : ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾.

دخلت إلاَّ ، ولا جُحْدَ في الكلام، وأنت لا تقول ضربت إلا زَيْداً، لأن الكلام غير دال عَلَى المحذوف، وإذا قلت: وَيَأْبَيَ اللَّهُ إلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ، فالمعنى يأبى اللَّه كل شيءَ إلا أن يُتم نُورَه.

وزعم بعض النحويين أن في «يأبى» طرفاً من الجحد، والجَحْدُ والتحقيق ليسا بذي أطراف[3]، وآلةُ الجحد لا ، وَمَا، ولم، ولن، وليس، فهذه لا أطراف لها. ينطق بها على جمالها[4]، ولا يكون الإيجاب جُحْداً ولو جاز هذا على أنَّ فيه طرفاً من الجحد لجاز: كرهت إلا أخاك، ولا دليل ههنا على

---

(١) أي أصل الفعل «ضهيأ».

(٢) من المسلمين، إذ هم يسمون أهل القبلة.

(٣) أي ان هذا البعض يقول إن يأبى فيها جزء من الجحود وهو مخطئ لأن النفي والإثبات لا يتجزءان، فإما إثبات وإما نفي، ولا يقال جزء نفي ـ وجزء إثبات.

(٤) أي على جملتها ولا داعي لكل هذا فكل ما أراده أن يأبي تحمل معنى النفي، وليست أداة نفي، ولا متمحضة له.

المكروه، ما هو ولا من هو، فكرهتُ مثل أَبَيْتُ، إلا أن أبيتُ الحذف مستعمل معها.

وقوله: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

فقال: ﴿الذهب والفضَّة﴾ ولم يقل ولا ينفُقُونَهما في سبيل اللّه، فإنما جاز ذلك لأن المعنى يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقون المكنوز في سبيل اللّه، ويجوز أن يكون محمولاً على الأموال، فيكون: ﴿ولا ينفقونها﴾، ولا ينفقون الأموال، ويجوز أن يكون: ولا ينفقونها. ولا ينفقون الفضة، وحذف الذهب لأنه داخل في الفضَّةِ كما قال الشاعر:[1]

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف.

يريد نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راض، فحذف[2] «راضون» فكذلك يكون المعنى: «والذين يكنزون الذهب ولا ينفقونه في سبيل اللّه، والفضة ولا ينفقونها في سبيل اللّه».

وقوله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾.

أعلم اللّه جلّ وعزّ: أن عدة شهور المسلمين، الذين تُعُبِّدُوا بأن يجعلوا لِسَنَتِهِمْ[3] ـ اثنا عشر شهراً، على منازل القمر، فجعل حجهم وَأَعْيَادَهمْ[4]

---

(١) لقيس بن الخطيم من قصيدة أولها:

رد الخليط الجمال فانصرفوا ماذا عليهم لو أنهم وقفوا

وهو شاعر جاهلي كان شجاعاً جميل المنظر، وهو والد ثابت بن قيس الصحابي الجليل ـ انظر العيني ١/٢٢٨، معاهد التنصيص ١/٩٠، وتفسير الطبري جـ ١٠/١٢٢ ط الحلبي، وابن الشجري ١/٣٣، وينسب أيضاً إلى عمرو بن امرئ القيس الخزرجي ١/٣٩.

(٢) في الأصل ينفقونها.

(٣) يقدروا لها، أو يجعلوا لها نظاماً خاصاً.

(٤) ط ـ عباداتهم.

وَصَلَاتهُمْ في أعبادهم هذا العَدَد، فالحجُّ والصوْمُ يكون مرة في الشتاءِ ومرة في الصيف، وفي فصول الأزمان على قدر الشُّهور ودَوَران السِّنين، وكانت أعيادُ أهل الكتاب وَمُتَعَبَّدَاتهُمْ في سَنَتِهم يَعْمَلُونَ فيها على أن السنة ثلاثمائة يوم وخمسة وستون يوماً وبعضُ يوم، على هذا يجري أمر النصارى واليهود. فأعلم الله جلّ وعزّ أن سِنِي المُسْلِمِينَ على الأَهِلَّةِ.

وقوله: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾.

الأربعة الحرم: المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجَّة.

﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾.

قيل في الأربعة، وقيل في الاثني عشر. فمن قال في الأربعة قال: أراد تعظيم شأن المعاصي ـ كما قال جلّ وعزّ: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الحَجِّ﴾ فالفسوق لا يجوز في حج ولا غيره؛ ولكنه عزّ وجلّ عرَّف الأيام التي تكون فيها المعَاصِي أَكْثَرَ إثماً وعقاباً.

وقوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾.

فـ «كافَّة» منصوب على الحال، وهو مصدر عَلَى فَاعِله كما قالوا العاقِبة والعافِية. وهو في موضع قَاتِلُوا المشركين محيطين بهم باعتقاد مُقَاتَلَتِهِمْ(١).

وهذا مشتق من كُفَّةِ الشيء، وهي حَرْفُه، وإنما أُخذ من أن الشيءَ إذا انتهى إلى ذلك كُفَّ عن الزيادة، ولا يجوز أَنْ يُثَنَّى ولا يَجْمَعُ، ولا يقال قاتلوهم كافاتٍ ولا كافِّين، كما أنك إذا قلت: قاتلوهم عامَّة لم تُثَنِّ ولم تجمَعْ، وكذلك خَاصَّةً.

---

(١) بسبب ما لمقاتلتهم من اعتقاد فاسد.

(٢) في الأصل «وهو».

هذا مذهب النحويين،

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

تأْويله أنه ضامن لهم النَّصْر.

وقوله: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾.

النسيء - هـذا - تأْخير الشيء، وكانوا يُحَرِّمونَ القتال في المحرم فإذا عزموا على أَن يقاتلوا فيه جعلوا صفراً كالمحرم، وقاتلوا في المحرم وأَبدلوا صَفَراً منه، فأَعلم اللَّه جلّ وعزّ أَن ذلك زيادة في الكفر.

﴿لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾.

فيجعلوا صَفَراً كالمحرم في العدةِ، ويقولوا: إن هـذه أَربعة بمنزلة أَربعة. والمواطأة المماثلة والاتفاق على الشيء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾.

الإجماع في الروايات أَن هذا كان في غَزْوَةِ تَبُوكَ، وذلك أَن الناس خرجوا فيه على ضَيْقَةٍ شديدة شاقَّةٍ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿اثاقلْتُمُ إلى الأَرْضِ﴾.

المعنى تثاقلتم، إلاَّ أَن التاءَ أُدْغِمَتْ في الثَّاءِ، فصارت ثاءً ساكنة، فابتدئت بأَلف الوصل - الابتداء -.

وفي ﴿اثَّاقَلْتُم إلى الأَرض﴾ عندي غير وجه.

منها أَن مَعْنَاهُ تثاقلْتُمْ إلى الإقامة بأَرْضِكم، ومنها اثَّاقَلْتُمْ إلى شهوات الدنيا.

وقوله: ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ﴾.

أي أَرضيتم بنعيم الحياة الدُّنيا من نعيم الآخرة[1].

---

(١) بدلاً من نعيم الآخرة.

﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾.

أي ما يتمتع به في الدنيا قليل عندما يتمتع به أولياءُ اللَّهِ في الجَنَّةِ.

وقوله: ﴿إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾.

هذا وعيد شديد في التخلف عن الجهاد، وأعلم أنَّه يستبدل لِنَصْرِ دينه ونبيه قوماً غيرَ مُثَّاقِلِين عنِ النَّصْرِ إلى أعدائه إذ أعلمهم اللَّه عزّ وجلّ أنَّهم إن تركوا نصره فلن يَضُرَّهُ ذلك شيئاً كما لم يضرره إذ كان بمكة لا ناصرين له، فقال عزّ وجلّ:

﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾.

وكان المشركون قد أجمعوا على قتله ﷺ فمضى هو وأبو بكر الصديق هارباً منهم في الليل، وترك عَلِياً عَلَى فِراشِهِ لِيَرَوْا شخصه على الفراش فلا يعلمون وقت مُضيِّهِ، وأطلعا أسماءَ بنت أبي بكر على مكانهما في الغَار، وَمَرَّ رسول اللَّه ﷺ عَلَى ثُمَامَةٍ، وهي شجرة صغيرةٌ ضعيفة فأمر أبا بكر أن يأخذها معه، فلما صارا إلى الغار، أمر أبا بكرٍ فجعلها عَلَى باب الغار، ثم سبق أبو بكر إلى دُخُولِ الغارِ فانبطح فيه، وألقى نفسه، فقال رسول اللَّه: لم فَعَلْتَ ذلك فقال: لأنَّ هَذِه الغِيرَانَ[1] تكون فيها الهوامُّ المؤْذية والسباع فأَحْبَبْتُ إن كان فيها شيء أن أَقِيكَ بِنَفْسِي يا رسول اللَّه. ونظر أبو بكر إلى جحر في الغار فسدَّه برجله، وقال إنْ خَرَجَ منه ما يُؤْذِي وقيتُكَ منه.

فلما أصبح المشركون اجتازوا بالغار فبكى أبو بكر الصِّدِّيق فقال له رسول اللَّه ﷺ ما يُبكيكَ، فقال: أخاف أَنْ تُقْتَلَ فلا يُعْبد اللَّهُ بَعْدَ اليوم، فقال له رسول اللَّه: ﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، أي إنَّ اللَّه تعالى يمنعُهم منا وَيَنْصُرُنا،

---

(١) جمع غار. أي هذه الكهوف عادة يكون بها الحشرات.

فقال: أهكذا يا رسول اللّه: قال نَعمْ فرقاً دمعُ أبو بكر وسكن. وقال المشركون حين اجتازوا بالغار: لو كان فيه أَحَدٌ لم تكُنْ ببابه هذه الثمامة. ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَه عَلَيْه وأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾.

أيده بملائكة يَصْرِفون وجوهَ الكُفَّار وأَبْصَارَهُمْ عن أَنْ يَرَوْه.

وقوله: ﴿سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾.

يجوز أن تكون الهاءَ التي في عليه لأبي بكر، وجائز أن تكون ترجع على النبي ﷺ لأن اللّه جلّ ثناؤه أَلقى في قلبه ما سَكَن بِه وعلم أَنَّهمْ غيرُ وَاصِلين إليه.

فأعلم اللّه أنهم إنْ تَركوا نصْرَه، نَصَرَه كما نصره في هذه الحال.

وَثَانِيَ اثنين مَنصُوبٌ على الحال، المعنى فقد نَصَرَهُ اللّه أحدَ اثنين، أي نصرَهُ منفرداً إلاّ مِنْ أَبِي بكر رضي اللّه عنه.

وقال جلّ وعزّ: ﴿انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً، وَجاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾.

فقيل ﴿خِفَافاً وثقالاً﴾، أي مُوسِرين ومُعْسِرين، وقيل ﴿خِفَافاً وثقالاً﴾ خفَّتْ عليكم الحركة أَوْ ثقلت، وقيل ركباناً ومُشاة، وقيل أيضاً شباباً وشيوخاً.

وَيُروَى أَن ابنَ أُمِّ مَكْتُومٍ جاءَ إلى النبي ﷺ فقال أَعَليَّ أن أنفر، فقال نَعَم، حتى أنزل اللّه عزّ وجلّ: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ﴾[1].

﴿لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لاتَّبَعُوكَ﴾.

العرَضُ كل ما عرض لك من منافع الدنيا، فالمعنى: لو كانت غنيمة قريبة، أي لو كان ما دُعُوا إليه غُنْماً، وسفراً قاصِداً أي سَهْلاً قريباً لاتبعوك وَلكِنْ بَعُدَتْ عليهم الشُّقَّةُ.

---

(١) سورة الفتح الآية ١٧.

أي بعدت عليهم الغاية التي تقصدها. وكان هذا حين دُعُوا إلى غزوةِ تبوك، فَثَقلَ عَلَيهِمُ الخروجُ إلى نواحي الشام.

وقوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنك لِمَ أَذِنت لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِين﴾.

أي حتى يَتبيَّن لك من يُنَافِق مِمَّن يصُحِّح. ثم أعلمه جلّ وعلا أن عَلامة النفاق في ذلك الوقت الاستئذان في التخلُّفِ عن الجهاد فقال:

﴿لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْم الآخِرِ أن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ﴾.

موضع «أَنَّ» نَصْبٌ. المعنى لا يستأذنك هؤُلاءِ في أن يجاهدوا، ولكن «في» حُذِفتْ فأفضى الفعلُ فنَصَبَ «أن». قال سيبويه، ويجوز أن يكونَ موضعها جَرًّا، لأن حَذْفها هَهُنا إنما جاز مع ظهور «أنْ» فلو أُظهرت المصدَر لم تحذف في «لا يستأْذنك القوم الجهادَ» حتى تقول في الجهاد ويجوز لا يستأْذنك القوم أن يجاهدوا.

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُون بِاللَّهِ وَالْيَوْم الآخر وَارْتَابتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ في رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾.

وأعْلَمَ اللَّهُ جلّ ثنَاؤُهُ أَنَّ مَنِ ارْتَابَ وشكَّ فِي اللَّهِ وفي البَعْثِ فهو كافر.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُروجَ لَأعَدُّوا لَهُ عُدَّة﴾.

أي فَتَرْكَهُمْ العُدَّةَ دليلَ على إرَادَتهم التَّخلُّف.

﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾.

والتَثْبِيط ردُّكَ الإنسانَ عَنِ الشيءِ يفعله، أي كره اللَّه أن يخرجوا معكم فردهم عن الخروج. ثم أعلم عزّ وجلّ: لم كره ذلك فقال:

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً﴾.

والخبال الفساد، وذهاب الشيء. قال الشاعر:[١]

أبني لُبيْني لَستُمَا بِيَدِ إلا يداً مخبولة العَضُد

أي فاسدة العَضُدِ.

﴿وَلأَوْضَعُوا خِلاَلَكُمْ﴾.

يقال أوْضعتُ في السّير إذا أسرعت، ولأسرعوا فيما يخل بكم.

﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾.

أي فيكم من يسمع ويؤدي إليهم ما يريدونَ.

وجائز أن يكون ﴿سَماعونَ لَهمْ﴾ من يقبل مِنهُمْ.

وفي المصحف مكتوب «ولأوضَعوا» ولا أوضعوا[٢]، ومثله في القرآن: ﴿أَوْ لا أَذْبَحَنَّهُ﴾[٣] بزيادة ألف أيضاً، وهذا إنما حَقُّه على اللفظ وَلأَوْضَعُوا، ولكن الفتحة كانت تكتبُ قبل العرَبيّ[٤] ألفاً. والكتاب[٥] أبتدئ به في العربي بقرب نُزُولِ القرآنِ فوقع فيه زيادات في أمكنة واتباع الشيءَ بنقص عن الحروف. فكتبت «ولا أوضعوا» بلام وألف، بدلاً من الفتحة، وبهمزة.

فهذا مجاز ما وقع من هذا النحو في الكتاب.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِي وَلَا تَفْتِنِّي﴾.

أي لا تُؤْثِمْني[٦] بأمرك إياي بالخروج، وذلك غير متيسِّر لي فآثم.

وقيل إن المنافقين هزئوا بالمسلمين في غزوة تبوك، فقالوا أتريدون بنات

(١) تقدم هذا الشاهد في الجزء الأول. ص ٤٦٢.

(٢) كتبت اللام لام ألف وبعدها ألف.

(٣) سورة النمل الآية ـ ٢١.

(٤) قبل أن يوجد الخط العربي ـ ويظهر أنه يعني الخط الآرامي.

(٥) الكتابة.

(٦) لا تعرضني للإثم.

الأَصْفَر: فقال: ﴿لا تَفْتِنِّي﴾ [أي] لا تَفْتِنِّي ببنات الأصفر. فأعلم اللَّه تعالى أنهم قد سقطوا في الفتنة أي سقطوا في الأثم(١).

﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُـمْ، وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ﴾.

أي قـد علمنـا بـالحـزم في التخلف عنــك. فـأعلم اللَّه جــلّ وعـزّ أنَّ المسلمين لَنْ يُصيبهم إلا ما كتب اللَّه لهم فقال جلّ وعزّ: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾.

أي مـا قدَّر علينـا كما قـال: ﴿مَا أَصـابَ مِنْ مُصيبَةٍ في الأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها﴾(٢). ثم أكَّـدَ ذلك فقـال: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾(٢).

وفيه وجه آخر أنه ﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللَّه لَنَا﴾ ما بيّن لنـا في كتابـه، من أنَّا نَظْفَر، فتكون تلك حسنى لنا أو نُقْتَل فتكـون الشهادة حسْنَى لنـا أيضاً، أي فقد كتب اللَّه لنا ما يصيبنا أو عَلِمْنَا ما لنا فيه حظ، ثم بيَّنَ جـلّ ثناؤه فقـال تعالى:

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾.

إلَّا الظفَر أو الشهادة.

﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾.

فأنتم تربصونَ بنا إحدى الحسنيَيْن، ونحن نَتَرَبَّصُ بكم إحدى الشَرَّتَيْن، فبين ما تنتظرونه وننتظره فرق عظيم.

---

(١) أي بتباطؤهم وتخلفهم عن القتال. قـال الجد بن قيس: لقـد علم قومي أنـه ما من أحـد أشـد عجباً بالنسـاء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفـر الا أصبر ـ فأذن لي ولا تفتني، وقال جماعة من المنافقين ـ إئذن لنا ولا تفتنا والآية بعدها أشبه بالمنافقين.

(٢) سورة الحديد الآية: ٢٢

وقوله جلّ وعزّ: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾.
وإن شئت كُرْهاً بالضم، هذا لفظ أَمْرٍ ومعناه معنى الشرط والجزاء.
والمعنى أنفقوا طائعين أو مكرهين لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ.

ومثل هذا من الشعر قول كثير:[1]

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة لدينا ولا مقلية إنْ تَقَلَّتِ

فلمْ يأمرها بالإساءة، ولكن أعْلَمَها أنها إن أساءَت أو أَحْسَنَتْ فهو على عهدهَا.

فإن قال قائل كيف كان الخبر في معنى الأمر، [قلنا هو] كقولك: غفر اللَّه لزيدٍ، ورحم اللَّه زيداً، فمعناه: اللهم ارحم زيداً.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾.
مَوْضِعُ «أن» الأولى نَصْبٌ، وموضِع «أنِ» الثانية رفع. المعنى ما منعهم من قبول نفقاتهم إلَّا كُفْرُهم، ويجوز «أن يُقبَلَ مِنْهُم نَفَقَاتُهُمْ»[2] لأن النفقَات في معنى الإنفاق، . . ، ويجوز: وما منعهم من أَنْ يَقْبَلَ مِنهُمْ نَفَقَاتِهِمْ إلا أنهُمْ كَفَرُوا، وهذا لا يجوز أن يقرأ به لأنه لم يروَ في القراءَة.

وقوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾.
وكَسَالى - بالضمّ والفتْحِ - جمع كسلان، وكقولك سكران وسُكارى وسَكارى. ويجوز ولا يَأْتُونَ الصلَاةَ إلَّا وهم كَسْلى، ولا يجوز ذلك في القرآن.

﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾.

---

(١) من تائيته المشهورة، وتقدم. بيت منها ص ٣٨١ جـ ١ وانظر الأمالي جـ ١ ص ١٠٨، وكتاب سيبويه ٢/٤٦ (بولاق).
(٢) بتذكير الفعل يقبل.

القراءَة على فتح الكـاف[١]، ويجوز الكسـر إلاَّ وهم كارِهـونَ، ولم يرْوَ في القرآن[٢].

وقوله: ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ ولاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعـذِّبَهُمْ بهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا﴾.

معنـاه ـ واللَّه أعلم ـ فلا تعجبـك أموالهـم ولا أولادهم في الـدنيا، إنمـا يريد اللَّه ليعذبهم بها في الآخرة.

ويجوز واللَّه أعلم: إنما يريد اللَّه ليعذبهم بها في الدُّنيا أي هم ينفقونها في الدنيا، وهم منافقون فهم متعذِّبون بإِنْفَاقها إذ كانوا ينفقونها على كرهٍ.

وقوله: ﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وهُمْ كَافِرُونَ﴾.
معناه، وتخرج أَنْفسهم أي يغْلُظ عليهم المكروه حتى تزهق أَنفُسُهم.

﴿ويَحْلِفونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكمُ﴾.
أي يحلفـون باللَّه أنهم مؤْمنـون كما أنتم مُؤْمِنـونَ، وما هُمْ مِنْكُمْ لأَنهم يظهرون الإيمان ويُبطنون الكُفر ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾.

أي يفرقون أن يُـظْهِرُوا مـا هم عليه فيقتلُوا، ثم أعلم جـلّ وعزّ أنهم لـو وجدوا مخْلَصاً فيه لفارقوكم، فقال جلّ وعزّ:
﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلجأً أَوْ مَغَارَاتٍ﴾.

والملجـأُ واللَّجَأُ، مقصـورٌ ومهموزٌ، وهـو المكـان الَّـذِي يُتَحَصَّنُ فيـه. ومَغَارَات جمع مَغَارة، وهو الموضع يغور فيه الإنسان، أي يستتر فيـه. ويقرأُ: أو مُغارات بضم الميم لأنه يقال أَغْرَتِ وَغُرْتُ، إذا دخلت الغَوْر.

---

(١) بدون إمالة، والمراد بالكسر الإمالة.
(٢) في القراءة بهـذه الإمـالة.

وقوله: ﴿أَوْ مُدَّخَلاً﴾.

ويقرأُ أَو مُدْخَلاً بالتخفيف، ويقرأُ أَو مَدْخلاً.

فأَمَّا مُدَّخلٌ فأَصله مُدْتخلٌ، ولكن التا والدال من مكان واحد فكان الكلام من وجه واحدٍ أَخفّ، ومن قال مَدْخَلاً فهو من دَخَلَ يَدْخُل مدْخلاً، ومن قال مُدْخَلاً فهو من أَدْخَلْتُه مُدْخَلاً.

قال الشاعر:(١)

الحمدُ للّه مُمْسَانا ومُصْبَحُنا ... بالخَيْر صبحَنا ربّي وَمَسَّانَا

ومَعْنَى مُدَّخل ومُدْخل أَنهم لو وجدوا قوماً يدْخُلون في جُمْلَتِهِمْ أَو يُدْخلونَهُمْ في جُمْلَتِهِمْ: ﴿لوَلَّوْا إليْهِ وَهُمْ يَجمحُونَ﴾.

المعنى لوْ وَجَدوا هذه الأَشياءَ ﴿لوَلَّوْا إلَيْهِ وهُمْ يَجْمَحُونَ﴾.

أَي يسرعون إسراعاً لا يَرُدُّ وجُوهَهَمْ شَيءٌ. ومن هذا قيل: فرس جَمُوحٌ للذي إذا حمَل لم يَرُدَّهُ اللجام.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾.

وتقرأُ يَلْمُزُونَكَ: يُقالُ لَمَزْتُ الرَّجُلَ أَلْمِزُهُ بكسر الميم، وأَلْمُزُه بِضَمِّ الميم إذَ عِبْتُهُ، وكذلك هَمزْتُه أَهمزُه إذا عِبْتُه، قال الشاعر:(٢)

إذَا لقيتُكَ تبدي لي مُكَاشَرةً ... وإن تَغَيَّبْتُ كنتَ الهامزَ اللمزَةْ

---

(١) لأمية بن أبي الصلت. وهو بديوانه ٦٢، واللسان (مسى) وخزانة الأدب ١ ـ ١٢٨ (سلفيه) ومعاني القرآن للفراء ١ ـ ٢٦٤ وأمية هو عبد اللّه بن أبي ربيعة ـ ثقفي كان يتوقع أن يكون النبي، قال فيه رسول اللّه ﷺ آمن شعره وكفر قلبه، وقال فيه الأصمعي: ذهب أمية في شعره بعامة ذكر الآخرة. وترجمته في الخزانة حـ ١/٢٢٧. ومختار الأغاني ٧٢ ـ ٨٣ ـ وهو شاعر وأبوه شاعره وأخ له شاعر.

(٢) في اللسان (همز). إذا لقيتك عن شمط تكاشرني، وهو في القرطبي ٢٠/١٨١ ـ مع بيت مشابه لزياد الأعجم ولم يذكر قائل هذا البيت.

واللُّمـزَة الكثير العيْب للنـاس، وقال بعضهم:[١] اللُّمَـزَةُ العَيِبُ. بكسر العَيْنِ أي بكسْرِ عيْنِهِ[٢] [عيِبٌ كنهِم] إِذَا عاب. يراد بـه عيْب صاحِبِـه وقالـوا: اللُّمْزَةُ الْعيبُ بالمُسارَّة. وهذا كله يرجع إلى العَيب.

وقـوله جـلّ وعزّ: ﴿إِنَّمَـا الصَّدَقَـاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسـاكِينِ والعامِلِينَ عَلَيْهَـا والْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾.

وهم قـوم كانـوا يُعْطَوْنَ: يُتَـأَلَّفُون عَلى أَنْ يُسْلِمُـوا. وهذا غيـر مُسْتَعْمل اليَوْمَ لظهور الإسلام.

﴿وفِي الرِّقَابِ﴾.

كأَنْ يُعَاوِنَ المُكَاتَبَ حتَى يفكَّ رقبتَهُ[٣]:

﴿والْغَارِمِينَ﴾.

وهم الـذين لزمهم الـدَّينُ في الحمَالَـةِ، والحمالـةُ، الإِعْطاءُ في الـذِّمَة ويجوز أَن يكون الغارم الَّذِي لـزمَه الـدَّيْنُ في غَيْرِ مَعْصِيَـةٍ، فالأَولى أَن يكـون الـدَّينُ الَّذِي يقضى عَنْـهُ في غير مَعْصِيَـةٍ، لأَنَّ ذَا المعْصِيَةِ إن أُدِّيَ عنـه الدَّيْنُ كان ذلك تَقوية عَلَى المَعَاصي.

﴿وَفِي سَبيلِ اللَّهِ﴾.

أي وللمجاهدين حَقٌ في الصَّدَقَةِ[٤].

﴿وابْنِ السبِيلِ﴾: ابنُ الطَّريقِ.

وتأْويله الذى قُطِعَ عليه الطريق.

﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ.﴾.

(١) في الأصل: ويقال بعضهم.

(٢) وهي الياء.

(٣) في الأصل: رقبتين. ولعل العبارة التالية: الذي لزمه الدين في معصية.

(٤) يريد الإنفاق في إعانة المجاهدين على جهادهم.

مَنْصُوبٌ على التَّوْكِيدِ، لأَن قوله: إِنَّما الصَّـدَقَاتُ لهؤُلاءِ كقـولك فَـرَضَ اللَّه الصدقَاتِ لهؤُلاءِ.

وقد بينَّا في أَول الأَنفالِ ما قيل في جميع الأَموال، واسْتَقْصَيْنَاهُ[1].

ويجوز فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ على ذلك ولا أَعلمه قـرئ به[2].

وقوله: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُو أُذُنٌ، قُلْ أُذُن خَيْرٍ لكُمْ﴾.

وتفسير الآية أَنَّ مِنَ المنَـافِقِينَ مَنْ كانَ يَعيبُ النبيَّ ﷺ ويَقُـولُ: إِنْ بَلغَه عَنِّي حَلَفْتُ له وَقَبِلَ مِنِّي لأَنَّهُ أُذُنٌ. فأَعلم اللَّه تعالى أَنَّهُ أُذُنُ خَيْرٍ لكُمْ.

أَي مُسْتَمِعُ خَيْرٍ لَكُمْ، ثم بَيَّن مِمَّنَ يَقْبَلُ فقال:

﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ويُؤْمِنُ لِلمُؤْمِنِين﴾.

أَي هـو أُذُن خَيْرٍ لا أُذُنُ شَـرٍّ، يَسْمَعُ مـا ينزلـه اللَّه عليه، فيصَـدِّق بـه، ويُصدق المؤْمنين فيما يُخْبِرُونَه بِهِ.

﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾.

أَي هو رحمةٌ، لأَنه كان سَبَبَ المؤْمنين في إِيمَـانِهِمْ. وَمَن قرأَ أُذُنٌ خَيـرٌ لَكُمْ، فالمعنى فإِن من يَسْمَعُ منكم ويكون قريباً منكم قابلاً للعُذْرِ خيرٌ لكم.

ويـروى في هذه الآيـة أَن رَجُلاً مِنَ المُنَـافِقِينَ قال: لـو كان مـا أَتى بـه محمد حقًّا فنَحن حَمِيرٌ، فقال له ابن امرأَته إِنَّ مَا أَتَى بِه لحقٌّ، وإِنَّكَ لَشَرٌّ من دَابَّتِـكَ هَذِهِ[3] وبلغ ذلـك الـنبي ﷺ فقـال بعـض مــن حَضَـرهُ نَعْتَـذِر إِليـه ونحلف له فإِنه أُذُنٌ.

---

(١) ص ٤١٣ من هذا الجزء وما بعدها.

(٢) في الأصل: ولا أعلمه قـرئ بها.

(٣) في الأصل هذا.

وقوله: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾.

قال بَعْضُ النحويِّينَ: إن هذه اللاَّمَ بِمعنَى القَسَم، أيْ يَحْلِفُون باللَّه لكم لَيُرْضُنَّكُمْ وهذا خطأٌ لأَنهم إنَّمَا حَلَفُوا أَنَّهُمْ مَا قالُوا ما حُكِي عنهُمْ لِيُرْضُوكُمْ[1] باليمين، ولم يَحْلِفُوا أَنَّهُمْ يُرضُون فيما يستقبل.

﴿واللَّهُ وَرَسُولُه أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾.

وقوله: ﴿إِنْ كانُوا مُؤْمِنِين﴾.

أَي إن كانوا على ما يُظْهِرُون فكان ينبغي أَلاَّ يَعِيبُوا النبي ﷺ فيكونون بتوليهم النبي ﷺ وتَرْكِ عَيْبِه مؤْمنين.

ويجوز في قَوْلِهِ ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ الجر على العطف عَلَى ﴿خَيْرٍ﴾. فيكون المعنى قل إذُن خير لكم وأُذُنُ رَحْمَةٍ للمؤْمنين.

وقوله: ﴿أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوه﴾، ولم يَقُلْ يُرْضوهُمَا، لأَن المعْنَى يَدُلُّ عليه فحذف استخفافاً، المعنى واللَّه أَحق أَنْ يُرْضوه، وَرَسُوله أَحق أَن يُرْضُوه، كما قال الشاعر:[2]

نحن بما عندنا وأَنت بما عندك راضٍ والأَمرَ مختلفُ

المعنى نحن بما عندنا راضون وأَنت بما عندك رَاض.

وقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

معناه من يعادي اللَّه ورَسُوله، ومن يشاقِق اللَّه ورَسُوله.

واشتِقَاقُه من اللُّغَة كقولك من يجانب اللَّه ورَسُوله، أَي من يكونُ في حَدٍّ، واللَّه ورسوله في حَدٍّ.

---

(١) في الأصل ليرضوا، أي ليحدثوا رضا. ـ أي أقسموا لأجل رضاكم

(٢) تقدم ص ٤٤٥ من هذا الجزء.

﴿فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾.

والقـراءَةُ بالفتـح والكسر: «فَـأَن لَه»، فمن كسـر فعلى الاستئنـاف بعـد الفاءِ، كما تقـول فله نار جهنم، ودَخلت إن مؤكـدَة، وَمَنْ قَال فـأَن له، فـإنما أَعاد «فَأَنَّ» توكيداً، لأنه لما طال الكلام كان إعَادَتُها أَوْكَدُ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾.

لفظ يَحَـذرُ لفظ الخبر، ومعنـاه الأَمرُ، لأَنـهُ لَا لَبْسَ في الكـلام في أَنـه أَمْرٌ، فهو كقولك لِيْحـذَر المنافقـونَ، وعلى هذا يجـوز في كل مـا يُؤمَرُ بـه أَن تقول يُفْعَلُ ذَلكَ، فَيَنُوبُ عن قَولك لِيفُعلْ ذلكَ.

ويجوز أَن يكون خبراً عَنْهُم لأَنهم كانوا يكفرون عناداً وَحَسَداً.

وَدَليل هذا القول: ﴿قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾.

وقوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم لَيَقُولُنَّ إِنَّما كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾.

وذلك أَنهُمْ قالوا: إنما كنا نخوض كما يَخُوضُ الركْبُ(١).

وقوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

تأْويله أَنه قد ظهر كفركم بَعدَ إظهاركُم الإيمان.

﴿إِنْ نَعْفُ عن طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾.

والقـراءَةُ إِنْ نَعْفُ وَ[إنْ يُعْفَ، وإِنْ يَعْفُ] جيّـدَةٌ، ولا أعلم أَحَـداً من المشهورين قرأَ بها.

ويروى أَن هاتين الـطائفتين إنما كـانوا ثـلاثة نَفَـر فَهَـزِئَ اثْنَـان وضَحِكَ وَاحِدٌ، فجُعِل طائفة للواحد.

وكذلك قالوا في قوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَـةٌ منَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. يَرادُ بـهِ نَفْسٌ طائفَةٌ.

---

(١) نذهب هنا وهناك ـ أي كنا نذهب في الكلام هنا وهناك للتسلية والمتعة.

والطائفة في اللغَةِ أَصْلها الجماعةُ، لأَنها المقدار الذِي يطيف بـالشيءِ. وقد يجوز أَن يقال للواحد طائفة يراد بها نفس طائِفَةٌ يراد به نفس طائفَةٌ.

وقوله: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْض﴾.

هذا يتلو قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمنْكُمْ﴾.

أَي ليس المنافقون من المؤْمنين، لأَن المنافقين، ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾: أَي يأْمرون بالكفر بالنبي ﷺ.

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ المَعْرُوفِ﴾.

أَي ينهون عن الإِيمان به.

﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾.

أَي لا يصْدُقون ولا يزْكوْنَ.

﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾.

أَي تركوا أَمر اللَّه فتركهم [اللَّهَ] من رحمته وتوفيقه.

وقوله: ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾.

أَي كفايةُ ذُنُوبِهِمْ كما تقول: عذبتك حسب فعْلِكَ، وحَسْبُ فُلان ما نَزَل بِهِ، أَي ذَلكَ عَلى قَدرْ فعله.

وقوله: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾.

موضع الكاف نصب، أَي وعدهم اللَّه على الكفر به كما وعد الذين من قبلهم.

وقوله: ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِم﴾: قيل فـاستمتعوا بِحـظهم منَ الدنيـا وقيل فاستمتعوا بدينهم، والخلاق النصيب الذي هو عند صاحبه وافرُ الحظ.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾.

أَلم يأتهم[1] خبر الذين هلكوا في الدنيا بذنوبهم فيتعظوا.

﴿والمُؤْتَفِكَاتِ﴾.

جمع مؤْتفكة، ائتفكت بهم الأرض، أي انقلبت، يقال إنهم قوم لوط، ويقال إنهم جميعُ مَنْ أُهْلِكَ، كما تقول للهالك انقلبت عليه الدنيا.

﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظلِمُونَ﴾.

أَعلَمَ اللَّه جلّ ثناؤه أن تعذيبه[2] إياهم باستحقاقهم، وأن ذلك عدل منه.

وقوله: ﴿وَرِضْوانٌ﴾.

وتقرأ ورُضْوان ورِضوان، وهما جميعاً عن عاصم.

ومعنى ﴿وَرِضْوَانٌ من اللَّهِ أَكبرُ﴾، أي أكبر مما هم فيه من النعيم.

وقوله: ﴿يَا أيُّها النَّبيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ والْمُنَافِقِينَ﴾.

أَمر بجهادهم، والمعنى جاهدهم بالقتل والحجة، فالحجة على المنافقين جهاد لهم.

وقوله: ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالوا﴾.

قيل إنهم كانوا هَمُّوا بقتل رسول اللَّه ﷺ وأنهم كانوا اثني عَشَر رجُلاً عزموا على أن يقفوا له بعقبة على طريقه، ويغتالوه، فأعلمه اللَّه ذلك. فلما بلغ إليهم أَمَرَ مَنْ نحاهم عن طريقه، وسماهم رَجُلاً رَجُلاً.

فهذه من أعظم آياته، لأن الأمر إنما عُلِمَ في قصتِهم بالوحي.

﴿وَمَا نَقمُوا إلَّا أَنْ أغنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

---

(١) في الأصل ألم يأت.

(٢) في الأصل تعذيبهم.

وإنما قيل أغناهم اللَّه ورسولـه، لأن أمْوَالهم كثـرت من الغنائم، فكـان سبَبَ ذلك رسولُ اللَّه ﷺ.

وقوله: ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ﴾.

معناه مُؤْلِماً.

وإنما قال في الدنيا لأنهم أُمِرَ بقَتلِهِم.

ويَجُوز: ﴿وما نَقِمُوا﴾.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَد اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾.

الأَصل لنتصَدَّقن، ولكن التاءَ أدْغِمَتْ في الصّاد لقربها منها.

وقوله: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً في قُلُوبِهم﴾.

يجوز أن يكون «فَلَما أَتاهم مِنْ فَضلِه بخِلُوا بِه»، قال: ﴿فأعقبهم نفاقاً﴾ أي أضلهم اللَّه بفعلهم.

وقوله: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤْمِنينَ﴾.

يَلْمِزُون، ويلْمُزون ـ بكسـر الميم وضمها ـ ومعنـاه يَعيبونَ وكـانوا عـابُوا أصحاب رسول اللَّه ﷺ في صدقات أتوا بها النبي ﷺ.

يروى أن عبد الرحمن[1] أَتَى بصُرةٍ تملأ الكف، وأن رجُلاً كان يقال له أبو عقيل، أَتَى بصَاعٍ من تَمْر، فعابوه بذلك وقالوا: إن محمداً غَنِيٌّ عن صاعِ هذا وإنما أَتَى بهذا ليُذَكِرَ بنفسِهِ.

فهو معنى ﴿والذينَ لا يجدون إلا جُهْدَهم﴾ و «جَهْدَهُمْ»، بالفتح والضم.

﴿فَيَسْخرُونَ مِنهُمْ﴾.

---

(١) هو عبد الرحمن بن عوف الصحابي الجليل أحد العشرة المبشـرين بالجنـة، وأحد الستـة الذين عينهم عمر ليختاروا خليفة منهم بعد موته.

﴿فَيَسخَرونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾.

والسِخْرِيَّ[1] من اللَّه المجازاة على فعلهم وقد بينا ذلك.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُم﴾.

فيروى أن النبي ﷺ قال: أستَغْفرُ لهم أكثَرَ مِنْ سَبعين مرة فنزلت ﴿سواءٌ عَلَيْهِمْ اسْتَغْفَرت لَهُم أَمْ لَمْ تَستَغفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾.

وقوله: ﴿فَرِحَ المخَلفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خلاَفَ رَسُولِ اللَّه﴾.

بمعنى مخالَفة رسول اللَّه.

وهو منصوب لأنـه مفعول لـه، المعنى بأن قعـدوا لمخالفـة رسول اللَّه، ويقرأ خَلْفَ رسول اللَّه، ويكون ههنا أنهم تأخروا عن الجِهاد في سبيل اللَّه.

﴿وَقَالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الحَرِّ قُلْ نَارُ جهَنَّم أَشَدُّ حَرًّا﴾.

وهذا وعيد في ترك الجهاد. ويجوز لا تنفُروا بضم الفاءِ.

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون﴾.

﴿جزاءً﴾ مفعول له، المعنى: وليبكوا جزاءً لهذا الفعل.

وقوله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾.

يروى أنها نزلت في عبد اللَّه بن أُبيّ، وكَانَ رأْسَ المنَافِقينَ فلما حضرته الوفاة بعث إلى رسول اللَّه ﷺ يسـأله أَحَـدَ ثَوْبَيْـه لِيُكفَّنَ به، فبعث إليـه رسول اللَّه بأحدهما، فأرسل المنافقَ إلى رَسـول اللَّه أريد الـذي كان يلي جلدك من ثِيَابِك، فوجه إليه رسول اللَّه ﷺ بذلك. فقيل له فيه: لم وجَّهت إليه بقميصك يكفن فيه وهو كافر، فقـال: إن قميصي لن يغني عنه شيئاً من اللَّه، وإني أؤمل من اللَّه أن يَـدْخُلَ في الإسـلام خلق كثير بهـذا السبب، فيروى أنـه أسلم من الخزرج ألفُ لما رأوه يطلب الاستشفاءَ بثوب رسول اللَّه، وأراد الصلاةَ عَليْه.

---

(١) بكسر الراء وتشديد الياء.

فنزل الوحي عليه ﷺ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾.

ويروى أنه ﷺ صلى عليه وَإِنَّما مجاز الصلاة عليه أنه كان ظاهره ظاهر الإسلام، فأعلمه اللَّه جلّ وعزّ أنه إذا عَلِمَ منه النفاق فلا صلاة عليه ﴿ولا تقم على قبره﴾.

كان رسول اللَّه ﷺ إذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له.

وقوله: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾.

المعَذِّرُونَ - بتشديد الذال - وتُقْرَأُ المُعْذِرُونَ، فمن قرأ: المُعْذِرُونَ، فتأويله الذين أَعْذَرُوا [أي] جاءُوا بِعُذْرٍ، ومنْ قرأَ: المعَذِّرُون بتشديد الذال فتأويله المعْتَذِرُونَ، إلَّا أن التَّاءَ أُدْغِمَتْ في الذال لقرب مخرجهما.

ومعنى المعْتَذِرينَ الذين يعتذرون، كان لهم عذرٌ أو لم يكن لهم.

وهو ههنا أشبه بأن يكون لهم عذرٌ، وأنشدوا:(١)

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

المعنى فقد جَاءَ بعذر، ويجوز المُعِذّرون - بكسر العين - لأن الأصل المعتذرون، فأسكنت التاءُ وأدغمت في الذال ونقلت حركتها إلى العَيْن فصار الفتح أولى الأشياءِ، ومن كسر العين حرك لالتقاءِ الساكنين، ويجوز المُعُذِّرُون، باتباع الضمةَ التي قبلَها وهذان الوجهان - كسر العين وضمها - لم يُقْرَأ بِهِما، وإنما يجوز في النحو، وهما جهتان يثقل اللفظ بهما، فالقراءَة بهما مطروحة. ويجوز أن يكون المُعذرُونَ: الذين: يعَذِّرون، يُوهمون أنَّ لهم عذار ولا عُذْرَ لهم.

وقوله: ﴿اسْتَأْذَنَكَ أُولو الطَّوْلِ مِنْهُم﴾.

---

(١) للبيد بن ربيعة العامري، يوصي ابنتيه بزيارة قبره حولاً بعد موته، ويقول ان هذا كاف. انظر ديوان حاتم حـ ٢/٢١، ومجاز أبي عبيدة حـ ١/١٦، والقرطبي ١/٨٦.

قيل ﴿أُولو الطول﴾ [هم] أُولو الغِنى، وقيل أُولو الفَضْـلِ في المعنى والرأْي والجاه.

والطَّوْلُ الفضل في القدرة على هذه الأَشياءِ.

وقوله: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الخَوالِفِ﴾.

الخـوالف: النساءَ، وقـد يجـوز أن يكـون جمـع خـالفـة في الـرجـال. والخـالف الذي هـو غير مُنْجِب. ولم يـأْت في فاعـل فواعـل إلا في حرفين، فارس وفوارس، وهالك، وهوالك.

وقوله: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً﴾.

هؤُلاءِ أَعراب كانوا حول المدينة، فكفرهم أَشدُّ لأَنهم أَقسى وأَجفى من أَهل المدَرِ، وهم أَيضاً أَبعد من سماع التنزيل وإِنذار الرسول.

وقوله: ﴿وَأَجدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلى رَسُولِه﴾.

«أَن» في موضع نَصْبٍ، لأَن البـاءَ محذوفـة من أَن. المعنى أَجْدَرُ بتـرك العلم، تقول: أَنت جدير أَنْ تفعل كذا، وبأَن تفعل كذا، كما تقول أَنت خليق أَن تفعل، أَي هذا الفعـل ميسَّر فيـك، فإِذا حُـذِفَتْ الباءُ، لم يصلح إلا بـأَن، وإِن أَتيت بالباءِ صلح بأَن وغيره، تقول أَنت جدير أَن تقوم وجدير بالقيام، فإِذا قلت، أَنَت جـدير القيـامَ، كان خـطأً، وإِنمـا صلح مـع أَن لأَن أَن تـدل على الاستقبال، فكأَنها عوض من المحذوف.

وقوله: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾.

أي الموت والقتل.

وقوله: ﴿قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

فيها ثلاثة أَوْجهٍ قُرُبات بضم الرَّاءِ، وقُرْباتٌ[1] بإِسكانها وقُرَبات بفتح الراءِ.

---

(١) إسكان العين لا يجوز إلا في ضرورة الشعر.

﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾.

وكذلك: وَصَلِّ عَلَيْهِمْ. معناه دعاء الرسول، قَالَ الأَعشى:

تقول بِنْتِي وقد قربت مُرْ تَحَلاً ... يا ربُّ جَنِب أَبي الأَوْصَابَ والوَجَعَا
عَليكِ مثلُ الذي صليت فاغتمضي ... عيناً فإن لجنبِ الأَرضِ مُضطجعا[1]

إن شئت قلت عليك مثلُ الذي، ومثلَ الذي، فمن قال:

«عليك مثلَ الذي صَلَّيتِ» فقد أَمرها بالدعاءِ، كأَنه قال ادعي مِثْلَ الذي دعوت، ومن قال مثلُ فالمعنى عليك مثل هذا الدعاءِ. أَي ثبت عليك مثل هذا.

وقوله: ﴿والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ والأَنصَارِ﴾.

ويجوز والأَنصارُ، فمن قال: «والأَنْصَارِ» نَسَقَ عَلَى المُهَاجِرين.

المعنى: والسابقون الأَولون من المهاجرين ومن الأَنصار، ومن قال: والأَنصارُ نسق به على «والسَّابِقون» كأَنه قال: «والسابقون والأَنصارُ».

وقوله: ﴿والَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾.

أَي من اتبعهم إلى يَوْمِ القيامة.

﴿رضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنَهُ﴾.

تأْويله: ـ واللَّه أَعلم ـ أَنَّ اللَّه رَضِيَ أَفعَالَهم، وأَنهم رضوا ما جازاهم اللَّه به.

وقوله: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرابِ مُنَافِقُونَ، وَمِنْ أَهْلِ المَدِينةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾.

---

(١) تقدم البيت الثاني في الجزء الأول ويروى الأول ـ وقد قربت راحلتي ـ أي عزمت على السفر وأعددت ناقتي للسير وانظر ديوانه ص ٨٦.

مقدَّم ومؤخر، مَرَدُوا متصل بقوله منافقون.

﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾.

أي سنعذبهم بالإنفاق وبالفعل، وقيل بالقَتْل وعذابِ القَبْر.

﴿ثمَ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيم﴾.

أي يُعذبون في الآخرة.

وقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِم صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾.

يصلح أن تكون تطهرهم بها نعْتاً للصدقة، كأنه قال: خذ من أموالهم صدقة مطهرة، والأَجْودُ أن يكونَ تطهرهم للنبي ﷺ.

المعنى خذ من أموالهم صدقة فإنك تطهرهم بها، ويجوز «تطهرْهُمْ» بالجزم على جواب الأَمْر. المعنى إن تأْخذ من أموالهم تطهرهم وتزَكِّهِمْ. ولا يجوز في القراءَة إلا بإثبات الياءِ في تزكيهم، اتباعاً للمصحف.

﴿وَصَلِ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لهُمْ﴾.

أي ادع لهم. و«سَكَنٌ».

(أي) يسكنون بها.

وقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ويأْخذ الصَّدَقَاتِ﴾.

تأْويله ويقْبَلُ الصَّدَقَاتِ، وكذلك ما يروى «إِنَّ الصَّدَقَةَ تقع في يد اللَّه جلّ وعزّ تأْويله أن الصَّدَقَةَ يتقبَّلُها اللَّه جلّ ثناؤه ويضاعف عليها.

وقوله جلّ وعزّ ﴿وآخَرُونَ مُرْجَأُونَ لأَمْرِ اللَّه﴾.

معنى مُرجَأُونَ - مؤخرون. يقال أرجأْتُ الأَمْرَ، إذا أَخَّرْتَهُ.

ويقرأُ ﴿مُرْجَوْنَ﴾ على أَرْجَيْتُ. و ﴿آخرون﴾ عطف على قوله: ﴿ومِمَّنْ حَوْلكم مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ﴾ المعنى من أهل المدينة منافقون ومنهم آخرون مُرْجَوْنَ.

ويقال إنهم الثلاثة الذين خُلِّفُوا

﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾.

«إِمَّا» لوقوع أَحد الشيئين، واللَّه عزّ وجلّ عالم بما يصير إليه أَمرهم، إلا أَن هذا للعباد، خوطبوا بما يعْلَمُونَ، فالمعنى لكنْ أَمرهم عندكم على هذا في الخوف والرَّجَاءِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَكُفْراً﴾.

«الذين» في وضع رَفع، المعنى ومنهم الذين اتَخَذُوا مَسْجداً ضِراراً.

انتصب [ضراراً] مفعولاً له. المعنى اتخذوه للضرار والكفر والتفريق والإِرصاد. فلما حُذِفتِ اللام أَفضى الفعلُ فنصبَ، ويجوز أَن يكون مصدراً محمولاً على المعنى، لأَن اتخاذهم المسجدَ على غير التقوى معناه ضارُّوا به ضِراراً.

وتفسير الآية أَن قوماً من منافقي الأَمْصار أَرادوا أَن يفرقوا عن النبي ﷺ من يصلي معه من المؤْمنين فاتخذوا مَسْجِداً يقطعون به المؤْمنين والنبي ﷺ عن مَسْجِد قُباءَ.

﴿وَإِرْصَاداً لمَنْ حَارَبَ اللَّه وَرَسُولَه مِنْ قَبْلُ﴾.

كان رجل يقال له: أَبو عمرو[1] الراهب حَارَب النبي ﷺ ومضى إلى هِرَقْلَ، وكان أَحَدَ المنافقين، فقالوا نبني هذا المسجد وننتظر أَبا عَامِرٍ حتّى يجيءَ، فيصلي فيه، فالإِرصادُ، الانتظار.

---

(١) في كتب التفسير أنه رجل يقال له أبو عامر. قال ابنوا مسجداً واستمدوا ما استطعتم من قوة وسلاح فإني ذاهب إلى قيصر فآتِ بجند من الروم تخرج محمداً وأصحابه، فلما فرغوا منه جاءوا إلى النبي يطلبون أن يصلي فيه وكان على جناح سفر لغزوة تبوك، فلما رجع من سفره أتاه خبر المسجد فأمر بهدمه. وسمي مسجد الضرار.

واتخذوا هذا المسجدَ مُضارَّةً وكُفْراً، لأنّ عِنَادَ النبي ﷺ كفر وأَطْلَعَ اللَّه نبيه ﷺ على طَوِيَّتِهِمْ، وعلى أنهم سيحلفون كاذبين، فقال جلّ وعزّ:

﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الحُسْنَى، واللَّهُ يَشْهَدُو إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

وكانوا دعوا النبي ﷺ ليصَلِّيَ فيه فأنزل اللَّه جلّ ثناؤه:

﴿لاَ تَقُم فِيهِ أَبَداً﴾.

ثم بين اللَّه عزّ وجلّ: أَيُّ المسجدين أحقُّ بالقيام فيه فقال:

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾.

يعني به مسجد قُبَاءَ.

﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾.

«وَأَنْ» في موضع نصبٍ، المعنى: لـمسجد أُسس على التَّقوى أحق بأن تقوم فيه.

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَّهرُوا﴾.

يـروى أن النبي ﷺ وقف بـباب المسجـد فقـال: إنَّ اللَّهَ أحسن عليكم الثناءَ في طَهوركم فبِمَ تَطَهَّرون؟ فقـالوا نغسـل أثر الغـائط بالمـاء. وهَؤلاء قومٌ من الأنصار.

وقوله: ﴿أَفمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾.

ويجوز أفمَنْ أُسِّسَ بُنْيانُه، ويجوز أفمن آسَاسُ بنيانِه ويجوز أفمن أُسُسُ بنيانِه.

فأما أَسَّسَ بنيـانَهُ، وأُسِّسَ بُنْيـانُه، فقـراءَتان جَيّـدَتان، والـذي ذُكِرَ غيـر هاتين جائزٌ في العربية، غير جائز في القراءَة، إلا أن تثبتَ به رواية.

المعنى أن من أُسس بنيانه على التقوى خير ممن أَسَّسَ بُنْيَانَهُ على الكفر فقال: ﴿عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾.

وشفا الشيء حَرْفُه وحدُّه، والشفا مقصور يكتب الألف ويثنى شفوين، ومعنى ﴿هَارٍ﴾ هَائِرٌ وهذا من المقلوب، كما قالوا في لاث الشيءُ إذا دار فهوَ لاثٍ والأصل لَائِث وكما قالوا شاكُ السلاح وشائك، قال الشَّاعِر:[1]

فتعرّفوني إنني أناذاكم   شاكٍ سلاحي في الحوادثِ مُعْلِمُ

وكما قال العجاج:

لَاثٍ بـه الأَشـاءُ والعُبْـريُّ[2]

الأَشَاءُ النخل، والعُبْرِيّ السِّدْرُ الذي على شاطئ الأنهار ومعنى لاثٍ به مطيف به.

﴿فانْهارَ بِه في نَارِ جَهَنَّمِ﴾.

وهذا مثل، المعنى أَن بناءَ هذا المسجد الذي بني ضراراً وكفْراً كبناء على جَرْف جهنم يتهور بأهله فيها.

وقوله: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنُوا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

قال بعضهم لا يزال كفراً، وقال بعضهم لا يزال شكاً. والـرِّيبة من الرّيب، والرَّيْبُ: الشَّكُ.

فأَعلم اللَّه جلّ وعزّ أَن بناءَهم لا يزالون شاكّين فيه، وجائز أَن يكون اللَّه جلّ ثناؤه جعل عقوبتهم أَنْ أَلْزَمَهُمْ الضلال بركوبهم هذا الأمر الغليظ.

﴿إلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قلُوبُهُمْ﴾.

---

(١) هو طريف بن تميم العنبري من الشعراء الفرسان الجاهليين والبيت في اللسان (علم) وانظر الأصمعيات ١٢٨ وكتاب سيبويه ١٢٩ (بولاق) اللسان (علم).

(٢) والعبري شجر السدر ينبت على عبر النهر وسمي عبرياً نسبة إلى عبرة - وقيل هو ما لا ساق له منه وإنما يكون ذلك فيما قارب العبر وقيل هو ما شرب الماء، وما لا يشرب هو الضال. والبيت في القرطبي ٢٣٧/٨ ومجاز أبي عبيدة١/ ٢١٩، واللسان (عبر - لثى).

ويجوز: «إلاَّ أنْ يَقْطِعَ قُلُوبَهم» معناه إلا أنْ يَمُوتوا، وقال بعضهم: إلا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبُهم ندماً وأَسَفاً على تفريطهم.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجنَّة﴾.

يروى: أنه تاجرهم فأغلى لهم الثمن [١].

وهذا كما قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾[٢].

﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُون وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا﴾.

بالمعنى[٣] لأن معنى قوله: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾، وعدهم الجنّة وعْداً عليه حَقًّا.

ولو كانت في غيرِ القرآن جاز الرفع على معنى ذلك وعد عليه حقٌّ.

وقوله: ﴿فِي التَّورَاةِ والإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾.

يَدُلّ أَنَّ أهل كُلِّ مِلَّةٍ أُمِروا بالقتال وأُوعدوا عليه الجنّة[٤].

وقوله: ﴿التَّائِبُون الْعَابِدُونَ﴾.

يصلح أن يكون رفعه على وجوهٍ أحدها المدحْ كأنه قال هؤُلاءِ التائبون، أو هم التائبون. ويجوز أن يكون على البدل. المعنى يقاتل التائبون، وهذا مذهبُ أهْلِ اللُّغة.

قال أبو إسحاق: والذي عندي والله أعلم أن قوله: التائبون العابدونَ رفع بالابتداءِ، وخبرُه مُضمرَ، المعنى التائبون العابدون إلى آخر الآية لهم الجنة أيضاً، أي من لم يجاهِده غيرَ معانِدٍ ولا قَاصِد لتَرْكِ الجهادِ، لأن بعض

---

(١) أي يروى في شرح الآية وتفسيرها. (٢) سورة البقرة آية ١٦.

(٣) أي «وعدا» مفعول مطلق بالمعنى.

(٤) أي وعدوا الجنة من الله جزاء عليه، وأوعد تستعمل للتهديد لا لجزاء الخير.

المسلمين يجزى عن بعضٍ في الجهاد. فمن كانت هذه صفته فَلَهُ الجنَّةُ أيضاً.

التائبون الذين تابوا من الكُفْرِ، والعابدون: الذين عبدوا اللَّه وحدَه، والراكعون السَّاجِدُونَ الذين أَدّوا ما افترض اللَّه عليهم في الركوع والسُّجُودِ.

﴿الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

الآمِرُونَ بالإِيمانِ باللَّهِ.

﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: عن الكفر باللَّه.

ويجوز [الآمرون] بجميع المعروف، الناهون عن جميع المنكر.

﴿والحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾.

القائمون بما أَمر اللَّه به.

وقوله: ﴿السَّائِحُونَ﴾.

في قول أهل اللغة والتفسير جميعاً: الصائمونَ. ومَذْهَبُ الحسن أنهم الذين يصومون الفرض، وقد قيل إنهم الذين يديمون الصيام، وقول الحسن في هذا أَبْيَنُ.

وكذلك ﴿الراكعون السَّاجِدُون﴾ عند الحسن هم الذين يُؤَدُّونَ ما افتُرِضَ عليهم في ركوعهم وسجودهم.

وقوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ والَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلمُشْرِكِينَ، وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى﴾.

يروى أن النبي ﷺ عرض على عَمِّه أبي طالب الإِسْلاَمَ عند وَفاتِه، وذكر له وجُوبَ حَقِّه عَليه، فَأَبَى أَبُو طَالِب فقال النبي ﷺ: لأَستغفرنَّ لك حتى أُنْهَى عن ذلك، ويروى أنه استغفر لأُمِّه، ويروى أنه استغفر لأبيه، وأن

المؤمنين ذكروا محاسن ابائِهم في الجاهلية وسألوا أن يستغفروا لآبائهم لما كان من محاسنَ كانت لهم(١)، فأعلم اللّه عزّ وجلّ أن ذلك لا يجوز فقال: ﴿ما كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى﴾.

وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾

أي من بعد ما تبين لهم أنهم ماتوا كافرين.

ثم أعلم جلّ وعزّ كيف كان استغفار إبراهيم لأبيه فقال:

﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَة وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾.

فيروى أنه كان وعده أن يستغفر له أيام حياته، ويروى أن أبا إبراهيم كان وعد إبراهيم أن يُسْلم إن استغفر له، فلما تبين له إقامته على الكفر تبرّأ منه. وقال اللّه تعالى: ﴿قَدْ كَانَت لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْراهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾(٢).

أي تأسَّوْا بِإِبْرَاهِيمَ فِي هذا القول.

وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيم لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾.

يروى أن عمر سأل النبي ﷺ عن الأوّاه، فقال: الأوّاه الدَّعّاء، والأوَّاهُ فِي أكثر الرّوَاية الدَّعَّاءُ ويروى أن الأواه الفقيه، ويروى أن الأَوَّاهَ المؤمن بلغة الحبشة، ويروى أن الأواه الرحيم الرفيق.

قال أبو عبيدة: ﴿الأواه﴾ المتأوِّهُ شَفَقاً وفرقاً المتضرع يقيناً، يريد أن يكون

---

(١) سألوا النبي الإذن لهم في ذلك. وهذا الوجه غير جيد، لأن الذين ماتوا قبل البعثة غير معذبين.

(٢) سورة الممتحنة من الآية ـ ٤.

تضرعه على يقين بالإجابة ولزوماً للطاعة، وقد انتظم قولُ أَبي عبيدَةَ أَكثرَ ما رُوِيَ في الأَوّاه وأَنشد أَبو عبيدة[1]:

إِذَا مَا قُمتُ أَرْحَلُها بليلٍ   تـأَوَّه آهَـةَ الـرَّجُلِ الحـزِينِ

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾.

يروى أَنه لما نزل تحريم الخمر ووقعت الحدود قال المسلمون فيمن مات قبل ذلك ولم يدرك التحريم اسأَلوا عن حالهم، فأَعلم اللَّه جلّ وعزّ أَنه لا يؤاخذهم بِمَا حَرَّم مما لم يحرَّم عَلَيْهِم. وجائز أَن يكون: إذا وفَّقَ اللَّه للهداية فلا إِضلال بعدَهَا، لأَن من يهد اللَّهُ فلا مُضِلَّ لَه.

وقوله: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارَ الَّذِينَ اتبَعُوه فِي سَاعَةِ العُسْرَةِ﴾.

معناها في وقت العُسْرَةِ، لأَن السَّاعَةَ تقعُ على كل زمانٍ، وكان في ذلك الوقت حر شديد، وكان القوم في ضيقة شديدة، وكان الجمل بين جماعة يَعْتَقِبُونَ عليه، وكانوا من الشدَّة والفقْر ربّما اقتسم الثمرةَ اثنان وربما مصَّ الثمرة الجماعة ليشربوا عليها الماءَ، وربما تَحرَّوُا الإِبل فشربوا من ماءِ كُرُوشِهَا[2] من الحرِّ.

فأَعلم اللَّه عزّ وجلّ أَنه قد تاب عليهم من بعد ما كاد يَزِيغُ قُلوبَ فريق منهم، أَي من بعد ما كادوا يَقْفِلون مِنْ غَزْوَتِهِم للشدَّةِ، ليس أَنه يزيغ عن الإِيمان، إنما هو أَن كادوا يرجعون فتاب اللَّه عليهم بأَن أَقْفَلهم من غَزْوَتِهِمْ.

---

(١) للمثقب العبدي يتحدث عن ناقته، والقصيدة في ديوانه ـ ٥ وانظر شرح المفضليات ٥٨٦ ومجاز أبي عبيدة ١ ـ ٢٤٧ ـ ويرحلها أي يضع عليها الرحل ـ فهي تشكو كثرة أسفاره.

(٢) من الماء الذي في أكراشها.

وقوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

على نسق الكلام يدل على أنهم أُمِروا بأن يكونوا مع النبي ﷺ في الشدة والرخاءِ، ويجوز ـ واللَّه أعلم ـ على هذا قوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾(١).

وقد رويت عن بعضهم «مِنَ الصادِقِينَ» والمعنى واحد، ويجوز أن يكون ممن يصدق ولا يكذب في قول ولا فعل.

وقوله: ﴿لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ﴾.

الظمأ العطشُ، والنصَب: التعَبُ.

﴿ولا مخمصةٌ﴾: المخمصة: المجاعة، فأعلم اللَّه أنه يجازيهم على جميع ذلك، وأنه يكتب لهم عَمَلاً صالحاً.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾.

هذا لفظ خبر فيه معنى أمر كما كان ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ والمعنى أنهم كانوا إذا كانت سَرِيةٌ نفروا فيها بأجمعهم، فأعلم اللَّه جلّ وعزّ أنه ينبغي أن ينفر بعضهم ويبقى مع النبي ﷺ بعضٌ لئلا يبقى وحدَه، ولئلا يخلو من خرج منهم من فائدة منه، فقال جلّ وعزّ:

﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾.

المعنى أنهم إذَا بَقِيَتْ منهم بحضرة النبي ﷺ بقية فسَمِعُوا منه وَحْياً أَعْلَمُوا الذين نفروا ما علموا فاستوَوْا في العلم، ولم يخلوا منه.

وجائز ـ واللَّه أعلم ـ أن يكون هذا دليلاً على فرض الجهاد يجزى الجماعةُ فيه عن الجماعَة.

---

(١) سورة الأحزاب من الآية: ٢٣.

﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ .

﴿غلظة﴾ فيها ثلاث لغات غِلْظَة، وغُلْظَة، وغَلْظَةً.

فهذا دليل أنه ينبغي أن يُقَاتِلَ أهلُ كُلِّ ثغرٍ الذِينَ يَلُونَهُمْ وقيل ان هذا يعنَى به العربُ، وقيل إن النبي ﷺ كانَ رُبَّما تخطى في حربه الذين يَلُونه من الأعداءِ ليكون ذلك أهيبَ له فأمر بقتال من يليه لِيُسْتَنَّ بذلك.

وقوله: ﴿واعْلَمُوا أنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

أي اللَّهُ آمرٌ مَنْ نَصَرهُ بالحِرب.

وقوله: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾.

المعنى: وتاب على الثلاثة الذين خلفوا، ويقال إنهم هم المرجَوْن لأمر اللّه.

وقوله: ﴿وإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً﴾.

وأضاف الإيمان إلى السُّورةِ لأنه يزيدُ بسببها.

وقوله: ﴿وَأَمَّا الذِين في قُلُوبهِمْ مَرَضٌ﴾.

أي شك ونفاق.

﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ﴾.

أي زادتهم كُفْراً إلى كُفرهم، لأنهم كلما كفروا بسورة ازداد كفرهم.

وقوله: ﴿أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾: معناه يُخْتَبَرُونَ في كل عام، وقيل يُختبرون بالدعاءِ إلى الجهاد، وقيل يختبرون أنه ينزل عليهم العذاب والمكروه.

وقوله: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ﴾.

يقولون ذلك إيماء لأنهم منافقون لا يظهرون ذلك.

﴿هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾.

يقولون ذلك اسْتِسْراراً وتَحَذُّراً من أن يُعلِمَ بِهِمُ اللَّه -عزّ وجلّ- [وهو] أعلم.

﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا﴾.

أي يفعلون ذلك وينصرفون، فجائز أن يكون ينصرفون عن المكان الذي اسْتَحقُوا فيه، وجائز أن يكون ينصرفون عن العمل بشيء مما يستمعون.

﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾.

أي أضلهم اللَّه مُجازَاةً على فعلهم.

وقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾.

أي هو بَشَرٌ مثلكم. أي فهو أوكد للحجَّة عليكم لأنكم تفهمون عمَّن هو مثلكم.

وجائز أن يكون عنى به أنه عربي كما أنكم عربٌ، فأنتم تَخْبُرونَه وقد وقفتم على مذهبه.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾.

أي عزيز عليه عنتكم، والعنتُ لقاءُ الشِّدةِ.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾.

أي حريصٌ عَلَى إِيمَانِكم.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾.

أي الذي يكفيني اللَّه.

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ﴾.

والعظيمُ ههنا جائزان.

* * *

وقوله: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾[1].

---

(١) رجوع إلى الآية ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم﴾.

دخلت «مِنْ» في الزمان، والأَصل مُنْذُ ومُذْ، هذا[1] أَكثَرُ الاستعمال في الزمان، و «من» جائز دخولها لأَنها الأَصل في ابتداءِ الغاية والتبعيض. ومثل هذا قول زهير:[2]

لمن الـديـار بقنـة الحجـر　　　أَقـوين مِنْ حِجَـج ومن شهـر

وقيل إن معنى هذا مِنْ مَرِّ حِجج ومن مَرِّ شَهْرِ.

---

(١) في الأصل هذه. أي وهذه العبارة.

(٢) القصيدة في ديوان زهير ص ٨٩. ويروى البيت:

أقوين مذجحج ومذدهر.

الـفـهارس

بحوث لغوية ونحوية وتفسيرية

الشواهد الشعرية

أنصاف الأبيات

تراجم

فهرس الكتـاب

مَعانِي القرآن وإعرابُه

للزَّجَّاج

أبي إسحٰق إبْـراهيم بن السَّرِي

المتوفى سَنة ٣١١ هـ

شَرحُ وتحقِيق

دكتور عبد الجليل عبده شلبي

الجزءُ الثالِث

عالم الكتب

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

معاني القرآن وإعرابه

بسم الله الرحمن الرحيم

بيروت - المزرعة ، بناية الإيمان - الطابق الأول - ص.ب ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقيا : نابعلبكي - تلكس : ٢٣٣٩٠

سورة يونس

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عزّوجلّ: ﴿ الٓر تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ ﴾.

قد بيَّنا في أول البقرةِ ما قيل من ﴿الٓر﴾ وما أشبه ذلك.

وقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ﴾.

أي الآياتِ التي جرى ذِكرُها هِيَ آياتُ الكِتاب الحكيم.

وقوله: ﴿أَكَانَ للنَّاسِ عَجَباً أن أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُل مِنْهُمْ﴾.

يعنى بالناس ههنا أهل مكة، ويروى أنهم قالوا: العجب أن اللَّهَ لم يجد رسولاً يرسله إلى الناس إلاّ يتيمَ أبي طالب[1]، وجائز - واللَّه أعلم - أنهم عجبوا من أن النبي ﷺ أنذرهم وبَشَّر الذين آمنوا، والإنذار والبِشَارَةُ مُتَّصِلاَن بالبعث والنشور، فَعجِبوا أنْ أَعْلَمَهُمْ أنهم يبعثون. ويجازَوْنَ بالحسنة والسَّيئةِ. فقال: ﴿أَكَانَ للنَّاسِ عَجَباً أنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُل مِنْهُمْ أن أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشر الَّذِينَ آمَنَوا أنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

فموضع «أنْ» الأُولى رفع، المعنى: أكان للناس عَجباً وَحْيُنَا وموضع «أن» الثَّانيةِ نصبٌ بـأَوْحَيْنَا[2]، وموضع «أنَّ»[3] المشددة نصب بِبَشِّرْ، والقراءة

(١) كان النبي (ﷺ) يسمى يتيم أبي طالب لأنه تربى في حجره بعد وفاة جدّه - وظل هذا الاسم يطلق عليه حتى بعد بلوغه سن الرشد ودرجة الرجولة.

(٢) أي أوحينا إليه إنذار الناس.

(٣) يعني «أن» من: ﴿وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق. . .﴾.

الفتح، ويجوز كسرها: «وبشر الذين آمنـوا إنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ»، لأنَّ البِشارة قول، فالمعنى: قُلْ لَهُمْ إنَّ لهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِهِّمْ ولكنَّه لا يُقْرأُ بهَا إلا أن تثبُتَ بها روايةٌ لأن القراءةَ سنةٌ[1].

وَالقَدَمُ الصِّدْقُ: المنزلة الرفيعة.

﴿قال الكَافِرُونَ إنَّ هَذَا لَسِحْر مُبينٌ﴾ ـ وَ ﴿لَسَاحِرٌ مبينٌ﴾ ـ جميعاً[2].

وإنما قالوا «لسحر مبين» لَمَّا أنذرهم بالبعث والنشور.

وقـوله: ﴿إنَّ رَبَكُمُ اللَّهُ الَّـذِي خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ في سِتَّـةِ أَيَّـامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى العَرْشِ يُدَبِّر الأَمْرَ﴾.

أعلمهم أنَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوٰاتِ والأَرْضَ وَقُدْرَتُه هـذه القُدرَةُ قـادِرٌ على بَعْثِهِمْ بعْدَ مَوْتِهم.

وقوله: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إلَّا مِنْ بَعْدِ إذْنِهِ﴾.

ولم يجر للشفيع ذكر قبل هـذا، ولكن الذِينَ خُـوطِبُوا كـانوا يقـولون إنّ الأصنامَ شُفَعَاؤُنا عندَ اللَّهِ، فالذِّكْرُ جرى بعدُ في الشُّفَعَاء. فقوله: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إلَّا مِنْ بَعْـدِ إذْنِهِ﴾، أي لَا يَشفَـعُ شَفِيـعٌ إلَّا لِمَنْ ارْتَضى اللَّهُ. قـال اللَّه ـ جـلَّ وعزَّ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾[3] ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهْ﴾.

أي فاعبدوه وحده.

وقوله: ﴿إلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَميعاً﴾.

---

(١) الأولى أن تكون كسرها لأن الجمـلة مستأنفة، ويكون المبشر به غير مذكور والتقديـر قدم البشـارة للمؤمنين، لا ريب أن لهم قدم صـدق عند ربهم وحـذف المبشر به يؤذن بعمـومه، ويجعـل النفس تذهب فيه كل مذهب.

(٢) أي قرىء بها جميعاً. وقراءة حفص عن عاصم لساحر.

(٣) سورة الأنبياء الآية ٢٨.

يـدُلّ على أنَّ الأمْـرَ في العَجَبِ كـان في البَعْثِ والنُّشُـورِ. ﴿جَميعـا﴾ منصوب على الحال.

وقوله: ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾.

﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ منصوبٌ على معنى وَعَدَكُم اللَّهُ وَعداً، لأن قوله: ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ معناه الوعدُ بالرُّجوع، وَحَقاً منصوب على أَحُقُّ ذلك حَقًّا [١].

ويجوز من غير القراءة وَعْدُ اللَّهِ حقٌّ.

﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾.

قرئت ﴿إِنَّه يبدأ الخلق ثم يُعيدُه﴾، وقرئت أَنَّه ـ بفتـح الألف وكسرهـا، جميعاً [٢]. كثيرتان في القراءة، فمن فتح فالمعنى: إليـه مَرْجِعُكم جميعـاً لأنه يبـدأ الخلق، ومَنْ كَسرَ كَسـرَ على الاسْتِئْنَافِ والابْتِدَاءِ. ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّـذِينَ آمَنُـوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالقِسْطِ ﴾.

أي بالعدل.

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً والقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ ﴾.

وقدَّره يَعْنِي القَمَرَ، لأنـه المقدَّرُ لِعِلْمِ السِّنين والحسـاب، وقد يجـوز أن يكـون المعنى وقدّرهمـا منازل فحـذف أحدهمـا اختصـاراً وإيجـازاً كمـا قـال الشاعر [٣]:

نحن بمـا عنـدنـا وأنت بمـا ... عندك راض والـرأي مختلف

(١) يقتضي هذا الشرح أن هناك وجهين في نصب «حقـاً» ـ أن يكون منصـوباً بـوعد ـ عـلى أنه صفـة للمصدر المحذوف، والتقدير وعدكم وعداً حقاً، أو أن يكون منصوباً بفعل محذوف تقديره أحق ـ فيكون «حقاً» هو المفعول وليس صفة له.

(٢) وعلى الفتح هي بدل من الوعد الحق وعلى الكسر تكون الجملة مستأنفة.

(٣) تقدم جـ ٢ ٤٤٥.

وقوله: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ﴾.

معنى ﴿دعواهم﴾ دعاؤهم، يعني إن دعاء أهلِ الجنة تنزيه اللَّه وتعظيمه.

﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ﴾.

جائز أن يكون ما يُحَيِّي به بعضهم بعضاً سلام، وجائز أن يكون اللَّه يحييهم منها بالسلام.

﴿وآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾.

أعلم اللَّه أنهم يبتدئون بتعظيم اللَّه رب العالمين.

وَ﴿أَنِ الحمدِ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ - بالتخفيف - على حذف أَنَّ الشديدة[١] والهاء، والمعنى أنه الحمد للَّه رب العالمين.

وقوله: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالخَيْرِ﴾.

يُروَى أنهم لَوْ أُجِيبُوا في الدُّعَاءِ على أنفسهم وأهليهم، كقول الرَّجُلِ لابنه وحميمه: أماتَكَ اللَّهُ، وفعل بك كذا وكذا. وجائز أن يكون عنى قوله: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾[٢]، وما أَشْبَهَ ذلِكَ فلو عجل اللَّه ذلك كما يُعجّلُ لَهُم الخيرَ لأَهْلَكَهُمْ بِهِ.

ونصب ﴿استعجالهم﴾ على مثل[٣] استعجالهم بالخير، [أي] على نعت مصدرٍ محذوف. والمعنى وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ للنَّاسِ الشَّرَّ تَعْجيلاً مثل استعجالهم بالخير، ﴿لَقُضِيَ إِلَيهِمْ أَجَلُهُمْ﴾.

وَيقرأ: لقَضَى إليهم أَجَلَهم جميعاً، جَيِّدتَانِ[٤]، وَلَقُضِيَ أحسنهما، لأن

---

(١) أي على تخفيفها وحذف اسمها.

(٢) سورة الأنفال الآية ٣٢.

(٣) أي على تقدير مثل محذوفة.

(٤) أي هما قراءتان جيدتان.

قوله: ﴿ولو يعجل اللَّه للناس الشر﴾ يتصل به ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهم﴾[1].

﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا في طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

الطغيان في كل شيء ارتفاعه وعُلُوُّه. والعَمَهُ التَّحَيُّر، المعنى فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في غُلُوِّهِمْ وكُفْرِهِمْ يتحيَّرُونَ.

وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسانَ الضَّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِه أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً﴾.

المعنى - واللَّه أعلم -: وإذا مسَّ الإنسانَ الضرُّ من حال من الأحوال فجائز أن يكون دعانا لجنبه، ودعانا وهو سَطِيح[2]، أو دَعَانَا قَائِماً.

ويجوز أن يكون: وإذا مس الإنسانَ الضر لجنبه أو مَسَّهُ قاعداً، أو مَسَّهُ قائِماً، دَعَانَا[3].

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾.

المعنى مَرَّ في العافية على ما كان عليه قبل أن يُبْتَلَى، ولم يتعظ بما نَالَه.

وقوله: ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ للمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

ويجوز زَيَّن للمسرفين.

موضع الكاف نصب على مفعول ما لم يسم فاعله المعنى زُيِّنَ للمُسْرِفين عملُهم كذلك أي مثل ذلك، أي جعل جَزَاءَهم الاضلالَ بإسرافهم بكفرهم.

---

(١) أي لو استجاب اللَّه دعاءهم في هذا لانتهى أجلهم تلقائياً؛ فالفعل المبنى للمجهول أولى.

(٢) أي ملقى منسطحا، ولعله يريد جالساً ليستوفي الحالات الثلاث المذكورة.

(٣) أي أن «لجنبه» يجوز أن يكون متعلقاً بمس وبدعا.

وقوله :﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بالبينات وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾.

المعنى كالمعنى من قوله: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾[1]. أعلم اللَّه - جل ثناؤه أنهم لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ أَبْقَاهُمْ أَبَداً. فجائز أن يكون جَعَلَ جَزاءَهُمْ الطَّبْعَ عَلَى قُلُوبِهِم، وَجَائِزٌ أن يكون أعلم ما قَدْ عَلِمَ مِنْهُمْ[2]. والدَّلِيلُ عَلَى أنه طبع على قلوبهم جَزَاءً لهم قولُه:﴿كَذَلِكَ نَجْزِي القَوْمَ المُجْرِمِينَ﴾.

قوله:﴿كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّه﴾.

[كأن] مخففة من الشديدة، المعنى كأنَّه لَم يَدْعُنَا. قالت الخنساء:

كَأَنْ لم يكونوا حِمًى يُتَّقَى إذْ النَاسُ إذاك من عزَّ بزَّا[3]

أي كأنهم لم يكونوا.

وقوله:﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

موضع ﴿كَيْفَ﴾ نَصْبٌ بقوله ﴿تَعْمَلُونَ﴾ لأنها حرف استفهام، ولَا يعملُ فيها ﴿لِنَنظُرَ﴾ لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل في الاستفهام. ولو قلت: لننظر أخيراً تعمَلُونَ أمْ شَرًّا كان العاملُ في خيرٍ وشَيءٍ تَعْمَلُونَ[4].

وقوله:﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾.

منصوب على الحال[5].

﴿قَالَ الذينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾.

---

(١) سورة الأعراف آية ١٠١.

(٢) أي طبع على قلوبهم فلن يؤمنوا مهما عاشوا، أو هو سبحانه علم ذلك منهم وأخبر به.

(٣) تقدم جـ٢/١٢١.

(٤) الفعل ينظر معلق عن العمل بالاستفهام، والاستفهام له الصَّدَارة في جملته، فما بعد كيف هو العامل فيها.

(٥) أي «بينات» حال.

لا يؤمنون بالبعث والنشور.

﴿إئتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾(١).

أي إيت بقرآنٍ لَيس فيه ذكـرُ البعْثِ والنُّشُور وليس فيـه عَيْبُ آلِهَتِنا. . أو «بَدِّلْه» أي أو بدل منه ذكر البعث والنشور.

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي، إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُـوحَى إِلَيَّ﴾ تأويله: إنَّ الَّذِي أتَيْتُ به مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لا مِنْ عِنْدِي فأبدله.

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُـهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَـدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً [مِنْ قَبْلِهِ]﴾.

ويجوز ﴿عُمْراً﴾ بإسكان الميم، أي قد لبثت فيكم من قبل أن يُوحَى إليَّ لا أتْلُو كِتَاباً ولا أَخُطُّه بيميني، وهذا دليل على أنه أوحي إليَّ؛ إذْ كنتم تعـرفونني بينكم، نَشأْتُ لا أقرأ كتـاباً، وإخْبـارِي إيَّاكُم أَقَـاصِيصَ الأولين مِنْ غَيرِ كِتـابٍ ولا تلقينٍ يَدُلُّ عَلَى أنَّ مَا أتيتُ به من عند اللَّه وَحْيٌ.

وقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ﴾.

المعنى: ما لا يَضرهم إن لم يعبدوه، ولا ينفعهم إن عبدوه.

﴿وَيَقُولُـونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَـاؤُنَـا عِنْـدَ اللَّهِ، قُـلْ أَتُنَبِّـئُـونَ اللَّه بِمَـا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ [وَلاَ فِي الأَرْضِ]﴾.

أي أتعبدون مَا لاَ يسمـعُ ولاَ يُبصِرُ ولا يُميِّـزُ، وتزْعُمـون أنها تَشْفـعُ عندَ اللَّه، فتُخْبِرونَ بالكَذِبِ(٢).

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾.

---

(١) أي إيتِ بقرآن آخر أو عدل في هذا القرآن بترك ما تكرهه منه.

(٢) في الأصل فتختبرون.

قيل يعنى بالناس ههنا العرب الذين كانوا على الشرك.

اختلفوا: آمن بعضٌ وكفر بعضٌ.

وقيل: ما كانَ الناسُ إلا أُمَّـةً واحدةً، أي وُلِـدُوا على الفطرة، واختلفـوا بعد الفطرة.

﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِك لَقُضِيَ بينَهُمْ﴾.

ويجـوز لقَضَى بينهم، أي لولا أَنَّ اللّه ـ جـل وعزّ ـ جعـل لهم أجلاً في القضاء بينهم، لفَصَلَ بينهم في وقت اختلافهم[١].

وبَيْنَ منصوبة لأنها ظرف.

وقوله: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ ﴾.

يُعنَى بالناس ههنا الكافرونَ.

وقوله: ﴿إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا ﴾.

جواب الجزاء، وهو كقوله: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُم سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْـدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ.﴾[٢] المعنى وإن تصبهم سيئة قنـطوا، وإذا أُذقنـا النـاس [رحمة][٣] مكروا. فإذا تنـوب عن جواب الشرط كما ينوب الفعل[٤].

وقوله: ﴿هُوَ الَّذي يُسَيِّرُكُمْ فِي البَرِّ والبَحْرِ﴾.

ويجوز هو الذي يَسِيرُكُمْ، ولا أعلم أحَداً قرأ بها[٥].

---

(١) أي في هذه الدنيا.

(٢) سورة الروم الآية ٣٦.

(٣) زيادة يقتضيها السياق وليست بالأصول.

(٤) إذا الفجائية تقع في جواب الشرط تسد مسد الفعل الذي هو جواب الشرط.

(٥) يسيركم بمعنى يسير بكم ويسيِّركم، وسار فعل لازم فوصله بالمجرور على وجه التوسع.

﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُم فِي الفُلْكِ﴾.

الفُلك يكون واحداً ويكون جمعاً، كما أن فُعْلاً في قَوْلك أُسْدُ، جمع أَسَدٍ، وفُعْلٌ وفَعَل من باب واحد، جاز أَنْ يَكُونَ جَمعُ الفَلَكِ فُلُكاً.

﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾.

ابتداءُ الكَلام خطابٌ، وبعد ذلك إخبارٌ عن غائبٍ لأن من أقام الغائبَ مقام مَنْ يُخَاطِبُه جاز أنْ يردَّه إلى الغائب، قال الشاعر[1]:

شطت مزار العاشقين فأصبحت عسراً على طلابك ابْنَةَ مَخْرَمِ

ومثل الآية قول كثير[2].

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومةً لدينا، ولا مقلتة إنْ تقلَّتِ

وقرأ بعضهم: هو الذي يَنْشُرُكُمْ.

وأكثر ما جاء في التفسير في قوله: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ يعنى به آدم عليه السلام.

﴿فَاخْتَلَفُوا﴾: اختلف هابيل وقابيل[3].

وقوله: ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ[4] وَجَاءَهُمُ المَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾.

---

(١) من معلقة عنترة ـ البيت السابع منها ـ ورواية الزوزني له:

نَـزَلَـتْ بأرض الـزائريـن فـأصبحت

ويعني بالزائرين الأعداء جمع زائر، من زأر الأسد يزأرُ ـ أي الأعداء الأشداء. والرواية المشهورة كما هي هنا، ونبه الزوزني إلى هذا الالتفات ويستشهد به النحويون على تأنيث الفعل إذا كان الفاعل المذكر مضافاً لمؤنث، وانظر شرح العشر ٩١، ومجاز أبي عبيدة ١/٢٣.

(٢) من تائيته الشهيرة ـ انظر ديوانه ٢/٤٦ ـ وأمالي القالي ٢/١٠٩.

(٣) الأولى أن يكون المراد اختلاف الناس عامة، واختلاف ولدى آدم كان فقط بداية الخلافات.

(٤) في وصف الريح بالمذكر انظر ما سبق.

المعنى من كل أمكنة الموج.

﴿وَظَنُّو أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾.

يقال لكل من وقع من بلاء[١] قد أحيط به، أي أحاط به البلاء وَقيل أحاطت بهم الملائكة.

﴿فَلَمَّا أنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ في الأَرْضِ﴾.

المعنى فلمَّا أنجاهم بغَوْا، والبغي التّرامي في الفساد. قال الأَصْمَعِي: يقال بغى الجَرْحُ يبغي بَغْياً إذا ترامى إلى فَسادٍ، وبغت المرأة بِغَاءً إذا فَجَرَتْ.

وقوله: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

وتقرأ ﴿متاعُ الحياة الدنيا﴾، خبراً لقوله: ﴿بغيكم على أنفُسِكُمْ﴾. ويجوز أن يكون خبر الابتداء ﴿على أَنْفُسِكم﴾. ويكون ﴿متاعُ الحياة الدنيا﴾ على إضمار هو، ومعنى الكلام أن ما تنالونه بهذا الفساد والبغي إنما تتمتعون به في الدنيا ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾.

ومن نصب ﴿متاعَ الحياة الدنيا﴾ فعلى المصدر، المعنى تتمتعون متاع الحياة الدنيا، لأن قوله إنما بغيكم عَلى أَنفسكم يدل على أنهم يتمتعون[٢].

ومعنى ﴿بغيكم على أنفسكم﴾ أي عملكم بالظلم عليكم يرجع[٣]، كما قال جل وعزّ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِه وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْها﴾[٤].

وقوله: ﴿حَتَّى إذا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وأَزَّيَنَتْ﴾.

ويقرأ، وأَزْيَنَتْ[٥].

---

(١) في الأصول ملأ ـ ولا معين له، وما بعده يدل على ما صححناه.

(٢) الظاهر أن متاع مفعول لأجله. وهو في قراءة عاصم منصوب.

(٣) لا يعود إلّا عليكم. (٤) سورة فصلت الآية ٤٦.

(٥) فالهمزة للدخول في الوقت نحو أحصد الزرع، أو كما قررها هو

والزخرف كمال حسن الشيء، فمن قرأ. . و «ازّيَّنَتْ» فالمعنى وتزَيَّنتْ فأدغمت التاء في الزاي، وسكنت الزاي فاجتلبت لها ألف الوصل، ومن قرأ: «وأَزْيَنَتْ» بالتخفيف فهو على أفعلتْ أي جاءت بالزينة، وازّيَّنتْ بالتشديد أجود في العربية، لأن أَزْيَنَتْ الأجود فيه في الكلام أَزَانَتْ.

﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا أنهم قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾.

أي قادرون على الانتفاع بها.

وقوله:﴿كأَنْ لَمْ تَغْنَ بالأمْسِ﴾.

أي كأن لم تَعْمَرْ بالأمس، والمغاني المنازل التي يعمرها الناس بالنزول بها، يقال: غنينا بمكان كذا وكذا إذا نزلوا به.

وقوله :﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾.

السلام هو اللّه جلّ وعزّ ـ فاللّه يدعو إلى داره، ودارُه الجنّة، ويجوز ـ واللّه أعلم ـ أن يكون دار السلام الدار التي يُسْلَمُ فيها من الآفات.

وقوله:﴿لِلَّذِينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾.

الحسنى الجنة، و «زيادة» في التفسير النظر إلى وجه اللّه ـ جلّ وعزّ، ويجوز أن تكون الزيادة تضعيف الحسنات، لأنه قال ـ جلَّ وعزّ : ـ ﴿مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[(١)]. والقول في النظر إلى وجه اللّه كثير في التفسير وهو مَرْوي بالأسانيد الصِّحاح، لا يُشَكُّ في ذلك.

﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾.

القَتَر الغَبَرة التي فيها سواد، ولا يَرْهق لا يَغْشَى.

(١) سورة الأنعام الآية ١٦٠.

وقوله جل وعزّ، لأهل النار: ﴿كأنّما أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ الليل مُظْلِماً﴾.

ويقرأ قِطْعاً من الليل مظلماً من نعت القطْع، ومن قرأ قِطَعاً جعل مظلماً حالاً من الليل[١]. المعنى أُغْشِيَتْ وجوهُهُم قِطَعاً من الليل في حال ظُلْمته.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جميعاً﴾.

﴿جميعاً﴾ منصوب على الحال

﴿ ثُمَّ نَقُول للَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وشُرُكَاؤُكُمْ ﴾.

مكانكم منصوب على الأمر، كأنه قيل لهم انتظروا مكانكم حتى نَفْصِل بينكم، والعرب تتوعد فتقول مكانك[٢]، وانتَظِرْ، فهي كلمة جرت على الوعيد.

﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾.

من قولك زِلْتُ الشيء عَنْ مَكانِه أَزِيلُه، وزَيَّلْتُ للكثرْة، ومن هذا إذا نحيته عن مكانه.

وقوله: ﴿فَكَفَى باللّه شَهِيداً﴾.

معناه كفى اللّه شهيداً، وشهيداً منصوب إن شئت على التمييز، وإن شئت على الحال.

﴿إنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾.

معناه: ما كنا عن عبادتكم إلاَّ غافلين[٣].

وقوله: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ﴾.

---

(١) في الأصل: حالا من الليل مظلماً.

(٢) اسم فعل أمر

(٣) لا مجال للقصر هنا، وإنما معناه لقد كنا. فهي «إن» المخففة في خبرها لام التوكيد.

﴿هنالك﴾ ظرف،المعنى :في ذلك الوقت تبلو، وهو منصوب بتبلو إلاّ أنه غير متمكن، واللام زائدة، والأصل هناك، وكسرت اللام لسكونها وسكون الألف، والكاف للمخاطبة.

ومعنى ﴿تبلو﴾ تُخْبَرُ، أي تعلم كل نفس ما قدمت، ومثل هنالك قول زهير

هُنالِكَ إنْ يَسْتَخْبِلُوا المالَ يَخْبِلوا وإن يُسْأَلُوا يُعطُوا وإن يَيسروا يُغْلوا[1]

وقرئت هنالك تَتْلو بتاءين، وفسرها الأخفش وغيره من النحويين تتلو من التلاوة، أي تقرأ كل نفس، ودليل ذلك قوله: ﴿وَكُلَّ إنْسانٍ أَلْزَمْنَاه طَائِرَهُ في عُنُقِهِ﴾ - إلى قوله: ﴿إقرأ كتابَك﴾[2].

وفسروه أيضاً: تَتْبَعُ كُلُّ نَفْس ما أسلفت، ومثله قول الشاعر:

قد جعلت دَلْوِي تَسْتَتْلِيني ولا أحب تبع القرين[3]

أي تستتبعني، أي تستدعي اتباعي لها.

﴿وَرُدُّوا إلى اللَّهِ مَوْلاَهُمُ الحَقِّ﴾.

القراءة «الحقِّ» من صفة اللَّه عزّ وجلّ - ويجوز الحقَّ والحقُّ. والنصب

---

(١) الديوان ١١٢، واللسان (خَوَل - خَبَل) والقرطبي ١/ ٢٥٧ ومجاز أبي عبيدة ٢/ ١٨٨، ١٨٩، ورواية فيها جميعاً إن يُستخولوا المال يخولوا وأشار أبو عبيدة إلى الرواية التي هنا أنه سمعها من يونس وفي اللسان (خبل) الإخبال أنه يعطي الرجل البعير أو الناقة ليركبها ويجتز وَبَرَها وينتفع بها - يقال: أخبلت الرجل أخبله إخبالاً. وذكر البيت، وأما أن يستخولوا - فهي من خوله الشيء أي منحة وأباحه إياه.

(٢) الآية ١٣ - ١٤ من سورة الإسراء. ونصها: ﴿وكُلَّ إنسانٍ ألزمناهُ طَائِرَهُ في عنقه ونُخْرِجُ لَهُ يومَ القِيامَةِ كِتاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً. إقْرأ كِتَابَك كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾.

(٣) تقدم هذا الرجز في الجزء الأول ٤٥٩.

من جهتين إحداهما رُدُّو حَقًّا، ثم أدخِلت الألف واللام[1]، ويجوز على [تقدير] هو مَوْلَاهُمُ الحقَّ، أي يحق ذلك حقاً، وفيه جهـة ثالثـة في النصب على المدح: [هي] اذكر مولاهم الحقَّ.

ومن قـرأ «الحقُّ» ـ بضم القاف ـ فعلى هـو مولاهم الحقُّ، لا من جعلوا معه من الشركاء.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ﴾.

بعد أنْ قُرِّروا فقيل لهم:

﴿قل مَنْ يَرْزُقُكُم [مِنَ السَّماءِ والأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمعَ والأَبْصَـارَ، وَمَنْ يُخْـرِجُ الحيَّ مِنَ المَيِّتِ وَمَنْ يُخْـرِجُ الميِّتَ مِنَ الحَيِّ ومن يُـدَبِّـرُ الأَمْـرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ، فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ]﴾.

لما خوطبـوا بما لا يقـدر عليه إلا اللَّه ـ جـلّ وعزّ ـ كـان فيه دليـل على توحيده[2].

وقوله:﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾.

الكاف في موضع نَصْبٍ، أي مثل أفعالهم جَازَاهُمْ ربُّك.

وقوله:﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

أي حق عليهم أَنهم لا يؤمنون، فإنهم لا يؤمنون بدل من كلمة رَبِّكَ.

أعلم اللَّه أنهم بأعمالهم قد مُنِعُوا من الإيمان، وجائـز أن تكون الكلمـة حَقَّت علَيْهم لأنهم لا يؤمنـون، فأنهم لا يؤمنـون بدل من كلمـة ربـك وتكـون الكلمة ما وُعِدوا به من العقاب.

---

(١) أي ردوا الرَّدّ الحقّ.

(٢) أي بعد أن ذكر لهم أن اللَّه هو المولى الحق جيء في هذه الآية بما يثبت أنه الحقُّ وحده.

وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾.

تَقُول هديت إلى الحق، وهدَيتُ الحقَّ بمعنى واحدٍ، لأن «هَدَيْتُ» يتعدى إلى المهدِيِّين وإلى الحقّ. يتعدى بحرف جر. المعنى يهدي من يشاء للحقّ.

﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّن لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ [أي] قُرِّرُوا، فقيلَ لهم: أيٌّ أولى بالاتباع؟ الذي يهدي أم الذي لا يَهْدِي إلاَّ أَنْ يُهْدَى.

وجاء في التفسير أنه يعني به الأصنام.

وفي يهدي قراءات، قرأ بعضُهم أَمْ مَنْ لَا يَهْدِّي بإِسْكان الهاءِ والدَّال، وهذه القراءة مَرْوِيَة إلا أن اللفظ بها ممتنع، فلست أدري كيف قُرِئَ بها وهي شاذّة. وقد حكى سيبويه أن مثلها قد يتكلم به[1].

وقرأ أبو عمرو بن العلاء أم لا يَهَدِّي ـ بفتح الهاء ـ وهذا صحيح جَيدٌ بالغٌ ـ الأصل يَهْتَدِي فأُدْغَم التاء في الدال وطرح فتحتها على الهاء والذين جمعوا بين ساكنين. الأصل عندهم أيضاً يَهْتَدِي، فأدغمت التاء في الدال وتركت الهاء ساكنة، فاجتمع ساكنان.

وقرأ عاصم أمْ مَنْ لَا يَهِدِّي، وهي في الجودة كفتح الهاء في الجودة. والهاءُ على هذه القراءة مكسورة لالتقاء الساكنين، ورويت عن عاصم أيضاً «يِهِدِّي» بكسر الهاء والياء. أَتْبَعَ الكسرةَ الكسرةَ، وهي رديئة لنقل الكسر في الياء.

---

(١) انظر الجزء الأول ص ٩٥ وما ذكرناه في شرح البيت:

كأنها بعد كلال الزاجر ومسحه مر عقاب كاسر

وقرئت أم من لا يَهْدِي بدال خفيفة.

فهذه خمسة أوجه قد قـرئ بها هذَا الحرفُ

وقوله: ﴿فَمَالَكُمْ، كَيْفَ تَحْكُمون﴾.

﴿ما لكم﴾ كلام تامّ، كأنه قيل لهم: أي شيء لكم في عِبادَةِ الأَوثانِ، ثم قيل لهم: ﴿كيْفَ تحكُمُونَ﴾: [أي]على أي حال تحكمون، فموضع كيف نصب بتحكمون.

وقوله:﴿وَمَا كَانَ هَذَا القُرآنُ أنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

هـذا جواب لقـولهم: إيتِ بِقُرآنٍ غَيْـر هَـذَا أَوْ بَـدِّلْـهُ، وجَـوَابٌ لقـولهم افتراه، والمعنى وما كان هذا القـرآن لأن يفترى من دون اللَّه ويجـوزُ أن يكون المعنى: ومـا كان هذا القرآن افتراءً، كما تقول: وما كان هذا الكلامُ كِذباً.

﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذي بيْنَ يَدَيْهِ﴾.

وفيه وجهان أحدهما أن يكون تصديق الشيء الذي القرآن بين يديه، أي الـذي قبل سمـاعكم القرآن، أي تصـديقٌ من أنباء الأمَمِ السـالفة وأقـاصيص أنْبائِهِمْ.

ويجـوز أن يكون «ولكن تصـديق الذي بين يـدي القرآن»، أي تصـديق الشيء الذي تقدمَه القرآنُ أي يدل على البعث والنشور[1].

وقرئ ولكن تَصْدِيقُ الذي بين يديه، فمن نصب فإن المعنى ولكن كان تصديق الذي بين يديه، ومن رفع فعلى ولكن تصديق الذي هو بين يديه.

ومن رفع قال: ﴿وَتَفْصِيلُ الكِتَابِ﴾.

---

(١) ما بين يديه يجوز أن يكون الشيء الذي سبقه وتقـدّم عليه كـما يتقدم الـرجلُ الـرجُلَ، ويجـوز أن يكون الذي سيأتي لأنه مستقبل بالنسبة للقرآن فهو بين يديه.

وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُون افْتَراهُ﴾.

المعنى بل أَيَقولُونَ افْتَراهُ[1] هذا تقرير لهم لإقامةِ الحجةِ عليهِمْ: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾.

أي أتقولون النبيُّ اختلقه وأَتى به من ذَاتِ نَفْسِه، فَأْتُوا بسُورةٍ من مثله، أي بسورة مثل سُوَرةٍ منه، وإنما قيل مثله، يراد سُورةٌ منه لأنه إنما التمس من هذا شبه الجنس.

﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم﴾.

ممن هو في التكذيب مثلكم، وإنْ خالفكم في أشياء.

﴿إِنْ كُنْتُم صَادِقِينَ﴾: في أنَّه اختلقه.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا يُحِيطُوا بعِلْمِه﴾.

هذا، - واللَّه أعلم - قيل في الذين كذَّبوا، وهم شَاكّوُنَ ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُه﴾.

أي لم يكن معهم عِلْمُ تَأويله، وهذا دليلٌ أن علم التأويل ينبغي أن يُنْظَرَ فِيه، ويجوز أن يكون: ﴿ولَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ لَمْ يأْتِهِمْ ما يؤول إليه أمرهم في التكذيبِ به من العقوبة، ودليل هذا القول: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾.

كَيْفَ فِي مَوْضِع نَصْبٍ على خبر كان، ولا يجوز أن يعمل فيها. «انْظَر» لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه.

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ومِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾.

أي منهم من يعلم أنه حق فيصدِّق به، أويعاند فيظهر الكفر،

---

(١) أم منقطعة فلا يفارقها معنى الاستفهام، والتقدير بل أيقولون.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾: أي منهم من يشك ولا يُصَدِّقُ.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾.

أي ظاهرهم ظاهر من يستمع، وهم لِشَدَّةِ عَداوَتِهِم وبغضهم للنبيِ ﷺ وسوء استماعهم بمنزلة الصُّم.

﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾.

أي ولو كانوا مع ذلك جُهَّالاً، وهل مثل قولِ الشَّاعر.

أصم عما ساءه سميعُ[1]

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾.

أيْ يُقْبلُ عليك بالنظر وهو كالأعمى من بُغْضه لك وكراهته لما يراه من آياتك، كما قال اللَّه ـ جل ثناؤه ـ. ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾[2].

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ﴾ أي قَرُب عندهم ما بين مَوْتِهِم وبَعْثِهِم، كما قال ـ عزّ وجلّ: ﴿لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[3].

﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾.

يَعْرِفُ بعضهُم بعضاً، وفي معرفة بعضِهِم بعضاً وعلم بعضهم بإضلال بعض، التوبيخُ لهم وإثباتُ الحجَّةِ عَلَيْهِمَ.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾.

يجوز ـ واللَّه أعلم ـ أن يكون هَـذا إعْلَاماً من اللَّه ـ جَلَّ وعَزَّ ـ بعد أن

---

(١) تقدم في الجزء الأول. ٨٢، ٢٤٢، ٣٦٩.

(٢) سورة الأحزاب الآية ١٩.

(٣) سورة الكهف الآية ١٩.

بيّن الدَلالة على أمْرِ البَعْثِ والنُّشورِ، أنَّـه من كذَّبَ بَعْـدِ هذه الآيـة فقد خَسِرَ ويَجوزُ أن يكون ـ واللّه أعلم ـ بِتَعارُفِهِمْ بَيْنَهُم يقولون قَدْ خسر الَّذِينَ كَذَّبُوا بلقـاء اللّه.

وقوله: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾.

يقال في التفسير إنّه يعنى به وَقْعَةُ بَدْرٍ، وقيـل إنَ اللّهِ ـ جلّ وعـزّ ـ أعلم النبي ﷺ أنه ينتقم من بعض هذه الأُمَّةِ ولم يُعْلِمْـهُ أيكـونُ ذلك قبـل وفاتـه أَمْ بَعْدَهَا.

والذي تدل عليه الآية أنَّ اللّه ـ جَل وعز ـ أَعْلمَه أنه إن لم ينتقم منهم في العاجل انتقم منهم في الآجل، لأن قوله: ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّـكَ فَإِلَيْنَـا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يدل على ذلك](1).

وقد أعلم كيف المجازاة على الكفر والمعاصي.

وقوله: ﴿وَلِكل أمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَـاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِـالقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

المعنى ـ واللّه أعلم ـ أنَّ كل رسول شَاهِدٌ على أُمَّتِه بإيمـانهم وكُفْرهم. كمـا قال ـ جـلّ وعزّ ـ . . ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَـاكُمْ أُمَّةً وَسَـطاً لِتَكُونُـوا شُهَـدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾(2)، وكما قـال جل وعزّ: ﴿وَقَالَ الـرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا القُرآنَ مَهْجُوراً﴾(3).

ويجـوز ـ واللّه أعلم ـ أنَّ اللّه أعلم أنه لا يعـذِّبُ قومـاً إلَّا بعد الإِعْـذَارِ إليهم والإنذار، أي لم يعذبهم حتى يجيئهم الرسول، كمـا قال ـ جـلّ وعزّ ـ:

---

(1) ليس في الأصل خبر لأن فزدنا هذه الجملة.

(2) سورة البقرة الآية ١٤٣.

(3) سورة الفرقان الآية ٣٠.

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[1]، وكَما قال: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[2].

وقوله ـ جلّ وعزّ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُم عَذَابُه بَيَاتاً أَوْ نَهاراً﴾.

البَيَاتُ كلُّ ما كان بِلَيْلٍ، وهو منصوبٌ على الوَقْتِ.

وقوله: ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

ما في موضع رفع من جهتين: إحداهما أن يكون ذَا بمعنى. . «ما الَّذِي» يستعجِلُ منه المُجرِمُونَ، ويجوز أن يكون «مَاذَا» اسماً وَاحِداً، ويكون المعنى: أي شيء يستعجل منه المجْرِمُون[3] والهاء في منه يعود على العذاب نصب، فيكون المعنى: أي شيء يستعجل المجرمون من اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ.

والأَجْوَدُ أن تكون الهاء تعود على العذاب، لقوله: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِه﴾.

وقوله: ﴿آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

المعنى: آلْآنَ تؤْمِنُونَ، فَزعمَ القرَّاءُ أن. . «آلآن» إنما هو «أَأَنْ كَذَا وكَذَا»، وأن الألف واللام دخلت على جهة الحكاية.

وما كان على جهة الحكاية نحو قولك «قام» إذا سميت به فجعلته مبنياً على الفتح لم تدخله الألف واللام.

وَ «اْلآن» عِند سيبويه مبني على الفتح. نحو «نحن مِنَ الآنَ نصيرُ إليك». فتفتح لأن الألف واللَّامَ إنما تدخلُ لِعهْدٍ، و «الآنَ» لم تعهده قبل هذا

---

(١) سورة الإسراء الآية ١٥.

(٢) سورة النساء الآية ١٦٥.

(٣) انظر جـ ١. ١٠٥، ٢٨٧، ٢٨٨.

الـوقت، فدخلت الألفُ والـلَّامُ للإشـارة إلى الوقتِ،ة والمعنى نحن من هـذا الوقت نفعل، فلما تضمنت معنى هذا، وجب أنْ تَكُونَ موقوفة[1] ففتحت لالتقاء الساكنين، وهما الألف واللام[2].

وقوله: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَك أَحَقٌّ هو قُلْ إي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾: المعنى نعم وربي.

﴿وَمَـا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾.

أي لستم ممن يُعْجِزُ أن يُجازَى عَلَى كُفْره[3].

﴿وَأَسَرُّوا النـدامَةَ لَمَّا رَأَوُا العَذَابَ﴾.

هَؤُلاء الدُّعاةُ الرؤَسَاءُ الكفرة، أَسَرُّوا ندامتهم.

وقوله:﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

يعني القرآنَ.

وقوله:﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّه وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾.

الـلام أصلهـا الكسـر[4]. و﴿فَبِـذَلـك﴾بـدل من قـولـه. . ﴿بِفَضْـلِ اللَّهِ وبرَحْمتِهِ﴾.

وهو يدل على أنه يعني به القرآن أيضاً.

وقـولـه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَـا أَنْـزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِـنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُـم مِنْـه حَـرَاماً وحَلَالاً﴾.

«مَا» في موضع نصب بأَنْزَلَ، والمعنى إنكم جعلتم البحائر والسوائب[5] حراماً واللَّه لم يُحَرِّمْ ذلك.

---

(١) مبنية.

(٢) الآن عنده مبنية، وهذا تعليل لبنائها، وهو غير جيد كما ترى.

(٣) لا تعجزون اللَّه أَنْ يُجَازيَكُمْ.

(٤) لام الأمر في «فَلْيَفْرَحُوا».

(٥) البحائر جمع بحيرة والسوائب جمع سائبة، وهي أنواع من الإبل كانوا يحرمون ذبحها ـ ارجع إلى الآية ١٠٣ من سورة المائدة.

وقوله: ﴿وَمَا تكُونُ فِي شَـأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْـه مِنْ قُرآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَـلٍ إلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً﴾.

أيْ أيُّ وَقْتٍ تكونُ في شأن من عبادة اللَّه، وما تلوث بهِ ـ من الشَّأْنِ مِنْ قُرآنٍ.

﴿إذْ تُفيضُون فِيهَ﴾:

أي إذ تَنْتَشِـرُونَ فيه، يُقـال: أفاض القـوم في الحديث إذَا انْتَشَـرُوا فيه وخاضوا.

﴿وَمَا يَعْزَبُ عنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾.

يقرأ يَعْزُبُ ويَعْـزِبُ ـ بضم الزاي وكسـرها ـ ومعنـاه ما يبْعُـد، والمثقال: والثِّقْلُ في معنىً واحدٍ.

﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾.

فالفتح على.. مـا يعزب عن ربـك من مثقال ذَرة ولا مِثْقَـالٍ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ ولا أكبرَ، والمـوضع مـوضع جـر إلا أنه فتـح لأنه لا ينصـرف. ومن رفع فـالمعنى: ما يَعْـزُبُ عن ربك مثقـالُ ذرَّةٍ ولا أصْغَرُ من ذلـك ولا أكبَـرُ إلَّا في كِتَابٍ مُبين.

والخبر قوله: ﴿إلَّا في كِتَابٍ مُبينٍ﴾[1].

وقَولُه: ﴿لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾.

جاء في أكثر التفسير: البشرى، الرؤيا الصالحة يراها المؤمن في منامه، وفي الآخـرة الجنة، وهـو ـ واللَّه أعلم ـ أن البشرى مـا بشـرهم اللَّه بـه، وهـو

---

(١) أي تمام معنى الجملة ـ وهو ليس خبراً لمبتدأ.

قوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾[1]، وهذا يدل عليه: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾.

وقوله: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾.

أي لا يحزنك إيعادُهُمْ[2] وتكذيبُهم وتظاهُرهُم عليكَ.

﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾.

إن الغلبة للّه فهو ناصِرُكَ وناصر دينه.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّه مَنْ فِي السَّمَواتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾.

يفعل فيهم ما يشاء.

وقوله: ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا﴾.

المعنى ما عندكم من حُجَّة بهذا.

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾.

هذا وقف التمام، وقوله:

﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا﴾.

مَرْفُوع على معنى ذلك متاع في الدنيا، ولو كانت نصباً لجَازَتْ، إلّا أنه لا يقرأ بها لمخالفة المصحف.

وقوله: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾.

ويقرأ.. فَاجْمَعُوا أمركم وشُركاءَكُمْ.

زعم القُرَّاءُ أنَّ معناه: فَاجْمَعُوا أمركم وادْعُوا شركاءكم. وهذا غلط لأن الكلام لا فائدة فيه، لأنهم إن كانوا يدعون شركاءهم لأَنْ يجمعوا أمرهم،

---

(١) سورة التوبة الآية ٢١.
(٢) وعيدهم وتهديدهم.

فالمعنى فأجمعوا أمركم مع شركائكم[١]، كما تقول لو تـرِكَتِ الناقـةُ وفصِيلَها لَرَضعها، المعنى لو تُرِكَتْ مَعَ فصيلها لَرَضعَها.

ومن قرأ ـ «وشُرَكَاؤُكُمْ» جاز أن يعطف به على الواو، لأن المنصوب قد قوَّى الكلام[٢]. لو قلت لو تُرِكْتَ اليومَ وزيدٌ لعلمت [جاز] ولو قلت لو تركت وزيدٌ لقبح، لأنك لا تعطف على الضمير المرفوع حتى تقوّىَ المرفوع بلفظ معه.

ومن قرأ. . «وشُركاءَكم» في قوله[٣] فاْجْمَعُو أمركم ـ بوصل الألف. فنصبه على ضربين أحدهما العطف على الأمر، المعنى فاجْمَعوا أمركم واجمَعُوا شُركاءكم، ويكون فاجمعوا مع شركائكم أَمْرَكُمْ[٤].

﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾.

أي ليكن أمركم ظاهراً منكشفاً[٥]، كما قال رؤبة:

بَـلْ لَـو شَهِـدتَ النَّـاسَ إذ تُكُمُّوا
بغمـة لـو لـم تُـفَـرّجْ غُمُّـوا[٦]

غُمُّوا بالمكروه، بِغُمَّةٍ، أي ما يَسْتُرهم، واشتقاق ذَلكَ من الغَمَامَةِ التي تستُر، ويجوز ثم لا يكن أمركم عليكم غُمَّةً أي غَمًّا.

---

(١) بتقدير «ادعوا» يكون «شركاءكم» مفعولاً به، ودعوة الشركاء تكون أيضاً لإجماع الأمر. فأقرب من هذا أن تكون الواو للمعية أي أجمعوا أمركم مع شركائكم. هذا كلامه، والتقدير الأول يستقيم على معنى أجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم ليجمعوا أمرهم.

(٢) أي وجد فاصل بين ضمير الرفع والمعطوف.

(٣) أي في القراءة التي يجعل أجمعوا من الثلاثي جمع وتنصب شركاء.

(٤) المعنى حينئذ دبروا مع شركائكم أمركم.

(٥) ليكن الرأي واضحاً وفكرتكم لا غموضَ فيها في أذهانكم.

(٦) تكُمُّوا ـ من الكمّ وهو غلاف الثمر والحب قبل أن يظهَرَ، ويقال كُمَّ الفصيلُ إذا أُشفِق عليه فَسُيِّر حتى يقوى. والغمُّ والغُمَّةُ الكرب، وتُكمُّوا غَطُّوا بالغم.
والرجز في اللسان (غمم ـ كمم).

﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾.

قرئت ثم أفضوا إلي، فمن قال: ثم اقْضُوا إليَّ فالمعنى: ثم افعلوا ما تريدون. و «ثُمَّ افْضُوا» ـ بالفاء ـ وهي قريبة المعنى منها[1].

وقوله: ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا﴾.

هذا الكلام تقريرٌ لقولهم:

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ للحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾. هذا اللفظ؟ أيْ إنَّ هذا لسحر مبين. ثُمَّ قَرَّرَهُمْ فقال: ﴿«أَسِحْرٌ هَذَا»؟ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾.

والمفلح الذي يفوز بإرادته أي فكيف يكون هذا سحراً[2] وقد أفلح الذي أتى به، أي فاز، وفلح[3] في حجَّتَه.

﴿قالوا أجِئتِنا لِتَلْفِتَنا عما وَجَدْنَا عَلَيه آباءَنَا﴾.

أيْ لتَصْرِفَنَا وَتَعْدِلَنَا، يقال لفَتُّه عن الأمر ألفِتُه لَفْتاً إذا عَدَلْتُه عنه، ومن هذا قولهم التفت إليه أي عدل وجْهَهُ إليه.

﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ﴾.

الكبرياءُ المُلكُ، وإنما سُمِيَ[4] المُلُك كبرياء لأنه أكبر ما يُطلَب من أمر الدنيا.

وقوله: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ﴾.

---

(١) أي انْتَهوا إليَّ.

(٢) المفلح الذي ينال ما يريد، والسحر أوهام وشعبذة، فكيف تسمون الحق سحراً.

(٣) الفلح هو الظفر والفوز ـ يقال فَلَجَ الرجُلُ على خصمه يَفْلُج ويَفْلَجُ ـ كينصر وضرب ـ فَلْجاً.

(٤) في الأصل «سُمِّيتْ».

أي قال موسى: الـذي جئتم به السِّحْـرُ[1]، ويقرأ مـا جئتم به، آلسِّحرَ، والمعنى أي شيء جئتم به آلسّحرُ. هو على جهة التوبيخ لهم.

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾.

قيل إنه مكث يدعو الآباء فلم يؤمنوا، وآمنت طائفة من أَوْلادِهم.

﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾.

جـاز أن يقال مَلَئِهِمْ لأن فـرعون ذو أصحـابٍ يأتمـرون لـه، والمـلأ من القوم الرُّؤَسَاءُ الَّذِينَ يُرْجَعُ إلىَ قولهم[2].

وقوله: ﴿رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمينَ﴾.

أي لا تُهلكنا وتعَذِّبْنا فَيَظُنُّ آلُ فـرعون إنا إنما عُذِّبْنَا لأَنَّنَا على ضلال.

وقوله: ﴿واجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾.

جـاء في التفسير: اجعلوا صـلاتكم إلى البيت الحـرام، وقيـل: اجعلوا بيوتكم قبلة أي صلوا في بيوتكم لتأمنوا من الخوف لأنهم آمنوا على خـوف من فرعون.

وقوله: ﴿رَبَّنَا لِيَضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾.

ويقرأ لِيُضِلّوا عن سَبِيلك، [أي] إنك آتيت فرعون وملأه زينةً وأمْوَالاً في الحياة الدنيـا فأَصَـارَهم ذلك إلى الضـلال كما قـال ـ جلّ وعزّ ـ ﴿ فالْتَقَـطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُـونَ لَهُمْ عَدُواً وَحَزَناً﴾[3] أي فـالتَقَطُوهُ وآلَ أمـرُه أنْ صار لهم عَـدُوًّا وَحَزَناً، لا أنهم قصدوا إلى أن يكون لهم عدواً وحزناً.

﴿رَبَّنَا آطْـمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾.

---

(١) تتم الجملة بهـذا، فكلمة السحـر خبر، وجملة إن الله سيبـطله مستأنفـة، وعلى الـوجه الثـاني يتم المعنى عنـد «ما جئتم بـه» فتكون استفهاماً و«آلسحر»، جملة ثانية إستفهامية أيضاً.

(٢) اي على خوف منه ومن الملا.

(٣) سـورة القصص الآية ٨.

جاء في التفسير أي اجعل سُكَّرَهُمْ حجارة[١]. وتأويل تطميس الشيء إذهابُه عن صورته والانتفاعِ به على الحال الأولى التي كان عليها.

﴿واشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾.

أي اطبع على قلوبهم.

﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.

دعاءٌ أيضاً عليهم. ويجوز - واللَّه أعلم - ما قاله محمد بن يزيد. ذكر أن قوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ عطف على قوله: ﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ أي ربنا إنك أتيتهم ليضلوا فلا يؤمنوا.

وقوله: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾.

يروى في التفسير أن موسى دعا، وأن هارون أَمَّنَ عَلَى دُعائِهِ. وفي الآية دليل أنهما دَعَوَا جَميعاً لأن قوله: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما﴾ يدل أن الدَّعْوَةَ منهما جميعاً، والمُؤَمِّنُ عِلى دُعاء الداعي دَاعٍ أَيْضاً لأن قوله «آمين» تأويله استجب فهو سائل كسؤال الداعي.

وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعانِّ سَبِيلَ [الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ]﴾.

موضع ﴿تَتبعان﴾ جزم، إلا أن النون الشديدةَ دخلت للنهي مؤكِّدةً، وكُسِرتْ لسكونها وسُكون النون التي قبلها[٢]، واختيرِ لها الكسر لأنها بعد الألف، فشبهت بنون الاثنين.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ﴾.

---

(١) اجعل أموالهم الثمينة شيئاً تافهاً لا قيمة له.

(٢) هكذا في الأصول - ولعله الألف التي قبلها. إذ لا نون ونون الرفع حذفت ولم تكن ساكنة - والتعليل الذي ذكره يؤيد هذا. كما يقال للنسوة اكْتُبْنَانِّ.

جسده اللَّهُ يَبَساً حتى جَاوَزُوه

وقوله:﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾.

﴿ننجيك ببدنك﴾ نلقيك عُرياناً[1] وقيل ننجيك ببدنك نلقيك على نَجْوةٍ من الأرض، وإنما كان ذلك آيةً لأنه كان يَدَّعِي أنه إلهٌ وكان يعبُده قومُه، فبيَّنَ اللَّه أمْرَه وأنه عَبْدٌ.

وفيه من الآية أنه غرِق القومُ وأُخْرِجَ هو مِنْ بيْنهم فكان في ذلك آية.

وقوله:﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرأُونَ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾.

هذه آية قد كثر سُؤَالُ الناسِ عنها وخوضُهم فيها جِدًّا، وفي السورة ما يدل على بيانها وكشف حقيقتها: -

والمعنى أن اللَّه - جلّ وعزّ - خاطب النبي ﷺ وذلك الخطاب شامل للخلق فالمعنى: إن كنتم في شك فاسألوا، والدليل على ذلك قوله في آخر السورة: ﴿قُلْ يَـأَيُّهَا النَّاسُ إنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلاَ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾.

فأعلم اللَّه - جلّ وعزّ - أن نبيُه ﷺ ليس في شَكٍّ، وأمرُه أن يتْلُوَ عليهم ذَلِكَ.

ويروى عن الحسن أنه قال: لم يَسألْ ولم يَشُكَّ، فهذا بَيِّنٌ جداً.

والدليل على أن المخاطبة للنبي مخاطبةٌ للنَّاس قوله:﴿ يَأَيُّها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[2]. فقال طَلَّقْتم ولفظ أول الخَطاب للنبي

(١) من نجوت الشاة أي سلختها ونجوت الرجل أي كشفت ثيابه.

(٢) أول سورة الطلاق.

وحده فهذا أحسن الأقوال وفيها قولان اخران.

فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين، كما تقول للرجل: إن كنت أبي فتعطف عليَّ، أي إن كنت أبي فواجِبٌ أَنْ تتعطف عليَّ، ليس أنه شك في أنه أبوه.

وفيها وجْهٌ ثَالِثٌ[١]: أن تكون «أنْ» في معنى «مَا» فيكون المعنى ما كنت في شكٍّ مِمَّا أنْزَلنا إلَيْكَ، فاسأل الذين يقرأون، أي لسنا نأمرك لأنك شاك، ولكن لتزداد، كما قال إبراهيم: ﴿أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾[٢] فالزيادة في التثبيت ليست مما يبطل صحة القَصْد ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إِيمَانُهَا﴾.

فهلَّا كانت قرية، قال الشاعر[٣].

تَعُدُّون عَقْرَ النِّيبِ أفْضَل مَجْدكم بني ضَوْطَرَى، لَوْلَا الكميَّ المقنَّعَا

(١) هذا هو الوجه الثاني من الوجهين الآخرين اللذين ذكرهما.

(٢) كما قال إبراهيم ... ﴿أَوَلَمْ تُؤمن﴾.

(٣) هو جرير يهجو الفرزدق. وكانت حدثت مجاعة بالكوفة، حَمَلتِ الناس على الخروج إلى البادية، فذبح غالب والد الفرزدق نَاقة ـ لقومه وأَهْدى سحيمَ بن وثيل منها فلم يقبل وذبخ مثلها. وذبح غالب اثنين وباراه سحيم فذبح غالب مائة وعجز سحيم عن ذبح مثلها. ولكن قومه لاموه بعد ذلك فذبح ثلاثمائة وكان ذلك في خلافة علي بن أبي طالب فنهى الناس عن الأكل منها وبقي لحمها مطروحاً. وسحيم هذا قد يلتبس بسحيم عبد بني الحسحاس. ولكنه سحيماً هذا شاعر مخضرم يمني شريف من بني يربوع له شعر جيد وصفات حميدة، يقال إنه عاش مائة عام منها ستون في الإسلام.

وانظر البيت والقصة في الخزانة ١٦٤/٣ (السلفية) الشاهد ١٦٤ وانظر العيني ٤٨٢/١، وشواهد المغني ٢٢٩، والأغاني ١٥٣/٨، وذيل الأمالي ٥٢ وبه. أشعار أخرى في هذا الحادث.

ورجل ضوطرى أي ضخم كثير الشحم. أراد جرير أن يسخر من الفرزدق بهذه التسمية.

والمعنى أن عقر النوق لا فخر فيه لكم، وإنما يفتخر بقتل الشجعان الشاكي السلاح وأنتم لا تستطيعون ذلك. وينسب البيت أيضاً لغير جرير.

أي فهلاَّ تَعُدّون الكميَّ، والكمي الداخل في السلاح، والمعنى: فهلا كان أهل قرية آمنوا.

وقوله: ﴿إلاَّ قَوْمَ يُونُسَ﴾.

استثناء ليس من الأول، كأنه قال لكن قوم يونس لما آمنوا.

وقوله: ﴿فَنَفَعها إيمَانُها﴾.

معناه هلا كانت قرية آمنت في وقت ينفعهم الإيمان، وجرى هذا بعقب قول فرعون لما أدركه الغرق: ﴿آمَنْتُ أَنَّه لاَ إِلَهَ إلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِه بَنُو إِسْرائِيلَ﴾. فأعلم اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ أن الإيمان لا ينفع عند وقوع العذاب ولا عند حُضُورِ الموت الذي لاَ يُشَكُّ فيه. قال اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوبَةُ للَّذِينَ يَعْمَلُون السَيئَاتِ حَتَّى إذَا حَضَر أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ إِنّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾[1].

وقوم يونس ـ واللَّه أعلم ـ لم يقع بهم العذاب، إنما رأوا الآية التي تدل على العذاب، فلما آمنوا كُشِفَتْ عنهم.

ومثل ذلك العليل الذي يتوب في مَرَضِه وهو يرجو في مرضه العافيةَ ولا يخافُ الموتَ فتوْبتُه صحيحةٌ.

أما الذي يعاين[2] فلا توبة له، قال اللَّه ـ عزّ وجلّ في قِصَّتِه: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾[3].

فأمَا النصب في قوله: ﴿إلاَّ قومَ يُونسَ﴾ فمثله من الشعر قول النابغة:

---

(١) سورة النساء الآية ١٨.

(٢) يُعاينُ الموتَ ويُوقن وُقُوعَه.

(٣) سورة النساء الآية ١٥٩.

وقفت فيها أُصَيْلَالاً أسائلها أعْيت جواباً وما بالربع من أحد
إلّا الأواري لأياً ماأُبَيِّنُها والنؤي كالحوض بالمظلومة الجَلدِ(١)

ويجوز الرفع على أن يكون على معنى فَهَلَّا كانت قرية آمنت غيرُ قومِ يونس، فيكون . . ﴿إلَّا قَوْمَ يُونُسَ . . ﴾ صفة .

ويجوز أن يكون بدلاً من الأول، لأن معنى قوم يونس محمول على معنى هلّا كان قوْمُ قريةٍ، أو قوم نبي آمنوا إلا قوم يونس . ولا أعلم أحداً قرأ بالرفع .

وفي الرفع وجه آخر وهو البدل، وإن لم يكن الثاني من جنس الأول(٢)، كما قال الشاعر(٣) .

وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيسُ

وقوله:﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إلَّا بِإذْنِ اللَّهِ(٣) ﴾ .

---

(١) البيتان الثاني والثالث من قصيدته :

يا دَار مية بالعلياء فالسَّنَدِ أقوت وطال عليها سالف الأمَد

ويروى البيت الأول ـ وقفت فيها أصيلاً كي ، ووقفت فيها طويلاً .

والأواري جمع آرِي، وهو مربط الدواب، ولأْياً ما أبينها، أي انطمست فلا تكاد تعرف إلا بمشقة .

والنؤي الحفرة حول الخيمة ليجتمع فيها الماء والمظلومة الأرض التي لم تمطر، والجلد الأرض الصلبة الغليظة .

انظر شرح العشر للزوزني ١٩٦ ط صبيح ، والديوان من الستة ٢٤ .

(٢) أي هو استثناء منقطع .

(٣) هو جران العود النميري، وهو عامر بن الحرث . وقبله :

قد ندع المنزل يا لميس يعتس فيه السبع الجروس

ولميس هي زوجته، ويعتس فيه السبع أي يجول ليلاً، والجروس من الجرس وهو الصوت، أي السبع ذو الصوت . ويروى البيت : ـ بسابسا ليس به أنيس ـ، أي ما يؤتنس به إنساناً كان أو غيره .

والبيت في ابن يعيش ٢ / ٨٠ والخزانة ١٩٧/٤ والعيني ١٠٧/٣ والشاهد أن الاستثاء منقطع ، ومع ذلك رفع .

معناها وما كان لنفس الوصلة إلى الإيمان إلا بمَا أعْلَمها اللّهُ منه، ويكون أيضاً إلا بتوفيق اللّه، وهو إذنه.

﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾.

والرجس العذاب، ويقال هو الرّجزُ.

وقوله:﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ونُنْجِيُ، أي إذا أهلكت قرية أنجى اللّه الأنبياء، والمؤمنين مما يَنْزِلُ بأهْلها.

فإن قال قائل: فهلّا كانت قرية آمَنَتَ، ألم يؤمن أُحَدٌ من أهل القرى؟ فالمعنى أن أهل القرى ذكر اللّه في جمهورهم الكفر، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا واتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ[1].

فأما من قرأ.. «نُجّي الْمُؤْمِنِينَ» فلا وجه له. وقد نجّي النجاء المؤمنين.. وهذا روي في القراءة عن عاصم في سورة الأنبياء ولا وجْهَ له.

---

(١) سورة الأعراف الآية ٦٦.

سورة هود

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾.

كتاب مرفوع بإضمارِ هذا كتابٌ، وقال بعضهم: كتـابٌ خبرُ «الـر» وهَذَا غلطٌ، لأن قوله: ﴿كتابٌ أُحْكِمتْ آياتُهُ (ثم فُصِّلَتْ﴾ ليس هو «الر» وحدها. وفي التفسير أحكمت آياتـه)[1] بالأمـر والنهي والحلال والحـرام ثم فصلت بالـوعد والوعيد.

والمعنى ـ والله أعلم ـ أنَّ آيَاتِه أُحْكِمتْ وَفُصِّلَت بجميـع ما يحتـاج إليه من الـدلالـة على التـوحيـد، وإثبـات نبـوَّة الأنبياء ـ عليهم السـلام ـ وإقَـامَـةِ الشرائع.

والـدليل على ذلـك قوله: ﴿مَا فَـرَّطْنَـا فِي الكِتَـابِ مِنْ شَيءٍ﴾[2] وقـوله: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾[3].

ويدل على هذا قوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدوا إلَّا اللَّهَ إنني لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾.

المعنى ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثم فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكيمٍ خَبِيرٍ﴾.

---

(١) هذه الجملة ـ ساقطة من ط ـ ولا يتم المعنى بدونها.

(٢) الأنعام الآية ٣٨.

(٣) سورة يوسف الآية ١١١.

أي من عند حكيم خبير، لإنْ لا تعبدوا إلاَّ اللَّه.
وموضع أن نصب على كل حال[١].

(وقوله: ﴿إنني﴾. مقول قول مُقَدَّرٍ، أي قل يا محمد لهم إنَّني لكم منه، أي من جهة اللَّه «نَذِيرٌ» أي مُخَوِّفٌ من عَذَابِه لمنْ كفرَ، و «بَشِير» بالجنة لمن آمَنَ)[٢].

وقوله :﴿وأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾.
أي وأمركم بالاستغفار.
﴿ثُمَّ تُوبُوا إلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً ﴾.
أي يُبْقِيكُمْ ولا يَسْتَأْصِلُكُمْ بالعذاب كما استأصلَ أهلَ القرى الذين كفروا.

﴿ويؤتي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾.

أي من كان ذا فَضْلٍ في دينه فَضَّله اللَّه بالثواب، وفَضَّله بالمنزلة (في الدنيا)[٣] بالدين كما فَضَّلَ أصْحَابَ نبيه (عليه السلام)[٣].

وقوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُم لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ «أَلا» معناها التنبيه ولا حَظَّ لها في الاعراب، وما بَعْدَها مبتدأ.

ومعنى ﴿يَثْنُونَ صُدورَهُمْ لِيَسْتَخْفوا﴾، أي يُسِرُّون عداوة النبي ﷺ.

وقيل إن طائفة من المشركين قالت: إذَا أغْلَقْنَا أبوَابَنَا وأرْخَيْنَا سُتُورَنَا، واسْتَغْشَيْنَا ثِيَابَنَا، وثَنَيْنَا صُدُورَنَا على عداوةِ محمد ﷺ كيف يعلم بِنَا، فأَعْلَمَ

---

(١) على هذا التقدير هو في موضع نصب بعد حذف الجار، والأولى تقدير قول محذوف أو ما فيه معنى القول أي قائلاً أو منادياً فتكون أن تفسيرية.
(٢) هذه الجملة في ر فقط.
(٣) ساقط من ط.

ـ جلَّ وعزّ ـ بما كتموه فقال جلّ ثناؤه: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُم يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

وقُرِئَتْ أَلَا إنهم يَثْنَوْنِي صدورُهم. قرأها الأعمش ورُوِيتْ عن ابن عباس «تَثْنَوْني» صُدورُهم، عَلَى مِثال تَفْعَوْعِلُ[1] ومعناها المبالغة في الشيء، ومثل ذلك قد احْلَوْلَى الشيءُ إذَا بلغ الغايةَ في الحلاوة.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾.

قِيلَ ﴿مُسْتَقَرَّهَا﴾ مَأْواها على ظهر الأرض، ﴿وَمُسْتَوْدَعَها﴾ ما تصير إليه، وقيل أيضاً: مُسْتَقرُّها في الأَصْلاب ومستودعها من الأرحام.

وقوله: ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

أي ذلك ثابت من علم اللّه. فجائزٌ أن يكون في كتاب، وكذلك قوله ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿إِلّاَ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرأَهَا﴾[2].

وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذي خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ في سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ اللّه قادر على أن يخلقَها في لحظة، لأنه على كل شيء قدير، وإذا خَلَقَهُمَا وقَدَّرَهُمَا هذا القَدْر العَظِيم ـ والسَّمَاءُ ليسَ بينها وبَيْنَ الأَرْضِ عَمَدٌ يُرَى ـ في سِتَّة أيَّامٍ علم أنَّ مَنْ كانَتْ قُدرَتُه هذه القدرة لم يُعْجزْه شَيءٌ. قال اللّه ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللّه الَّذي خَلَق السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾[3].

وكان المشركون يُكذِّبُونَ بأَنَّهُ يَبعَثُ الموتَى، ويُقِرُّونَ أنَّه خَالِقُ السَّموات والأرضِ.

---

(١) الفعل اثْنَوْنَى، بمعنى انثنى.

(٢) سورة الحديد الآية ٢٢.

(٣) سورة الأحقاف الآية ٣٣.

وقوله : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الماءِ﴾.

هذا يدل على أن العرشَ والماءَ كانا قبلَ السَّمواتِ والأرضِ.

وقوله:﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾.

معناه ليختبركم الاختبار الذي يجازيكم عليه، وهو قد علم قبل ذلك أَيُّهم أَحْسنُ عملاً، إلاَّ أَنَّه يجازيهم على أعمالهم لاَ عَلى عِلْمِه فيهم.

﴿وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُم مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَـرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

ويقرأ إلا ساحِرٌ مبين، والسحر باطل عندهم، فكأنهم قالوا: إِنْ هَـذَا إِلاَّ بَاطِلٌ بَيِّنٌ.

وأعلمهم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أنَ القدرةَ عَلَى خَلْقِ السَّمَواتِ والأَرْضِ تـدل على بَعْث الموْتى. وأهلُ الكفر مختلفون في البعث فالمشركـون يقولـون إنهم لا يُبْعَثُونَ البَتَّةَ ولا يرْجعُونَ بعد موتهم، واليهود والنصارى يَـزْعُمُ أن[1] لا أَكْلَ ولا شُربَ ولاَ غَشْياً للنساءِ في الجنة وكلٌّ كافرٌ بالبعث على جهته[2].

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ العَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾.

معنـاه إلى أجـل وحين معلوم، كمـا قـال اللَّه تعـالى ﴿.. وادَّكَـرَ بَعْـدَ أُمَّةٍ﴾[3]. أي بعد حين.

وقوله :﴿أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ﴾.

﴿يَوْمَ يَأْتيهم﴾ منصـوبٌ بمصروف، المعنى ليس العـذاب مصروفـاً عَنْهُمْ يَوْمَ يأْتيهمْ.

---

(١) ر ـ يزعم.

(٢) ر ـ وكلهم كافرٌ.

(٣) سورة يوسف الآية ٤٥.

﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

كما تقول أحاط بفلان عَمَلُه، وأهلَكَهُ كَسْبُه، أي أهلكه جزاءُ كسبِه وعاقبتُه.

وقوله ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿وَلِئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رحمةً ثم نزعْنَاهَا مِنْه إنَّه لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ﴾.

يعني الكافر، والرَّحْمَةُ الرِّزقُ، ههنا، والإنسانُ اسم للجنس في معنى الناس.

وقوله: ﴿إلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾.

استثناء ليس من الأول[1]، المعنى لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

وقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ﴾.

يُرْوَى أنّ المشركين قالوا للنّبيّ ﷺ لَوْ تَرَكْتَ عيْبَنَا وسَبَّ آلِهتِنَا لجالسناك، ومعنى أن يقولوا لَوْلَا أُنْزِلَ عليه كَنْزٌ معناه كراهةَ أن يَقُولُوا.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾.

أي إنما عليك أن تُنْذِرَهُم وتَأْتِيهُمْ من الآيات بما يُوحَى إليك وليس عليك أن تأتيهم بشهواتهم واقتراحهم الآيات. ثم أعلمهم وجه الاحتجاج عليهم فقال جلّ وعزّ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ [أي] أيقولون افتراه[2].

---

(١) منقطع.

(٢) ر ـ المعنى بل أيقولون.

﴿قُلْ فَأتوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مثْله﴾.

أي مثل سورة منه، أيّ سورة منها[1].

﴿وادْعُوامَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

أي اطلبوا أن يعاونكم على ذلك كلُّ من قدرْتم عَليه، ورجَوْتُمْ مُظاهَـرَتَه ومعاوَنَتَه.

﴿فَإنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فاعْلَمُوا أنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾.

ومعنى ﴿أُنْزِلَ بِعلْمِ اللَّهِ﴾، أي أُنْزِلَ واللَّه عَالِم بإنْزَاله، وعـالم أنه حقٌّ من عنده.

ويجوز أنِ يكون ـ واللَّه أعلم ـ ﴿بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ أي بما أَنْبأَ اللَّه فِيهِ من غَيْب وَدَلَّ على ما سَيكُونُ وما سلف مما لم يَقْرأ بِه النبي ﷺ كتـابـاً[2] وهـذا دليل على أنه من عند اللَّه.

وقوله تعـالى :﴿مَنْ كَانَ يُـرِيدُ الحَيَـاةَ الدُّنْيـا وَزِنَتيهَا نُـوَفِّ إلَيْهِمْ أعْمَالَهُم فِيهَا﴾.

أي نجازيهم على أعمالهم في الدُّنْيَا.

فأمَّا كان في باب حُروفِ الجزاء ففيها قولان:

قـال أبو العبـاس محمد بنُ يـزيدَ: جـائزٌ أن تكـون لِقُـوَّتِهَـا عَلى معنى المَضِيّ عبارةً عن كل فعل مَاضٍ، فهـذا هو قـوتها، وكـذلك تتـأوَّلُ قولـه ﴿إنْ كنْتُ قُلْتُه فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾[3].

---

(١) في الأصول كل سورة.

(٢) أنزل بعلم اللَّه أي مشتملاً عـلى علم اللَّه ومتلبساً بغيبـه من الأحداث التي لا يعلمهـا إلا قـارئـو الكتب والنبي لم يقرأ كتاباً.

(٣) سورة المائدة الآية ١١٦.

وحقيقها ـ والله أعلم ـ من تعلم منه هذا، فهذا على باب سائر الأفعال، إلا أنَّ معنى ﴿كان﴾ إخبارٌ عن الحالِ فيما مضى من الدهر، فإذا قلت سيكون عالماً فقد أنبأتَ أنَّ حاله سَتَقع فيما يستقبل، فإنما معنى كان ويكون العبارة عن الأفعال والأحوال(١).

وقوله ـ جلّ وعزّ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّه وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾.

قيل في التفسير إنه يعني محمداً ﷺ ويتلوه شاهد منه، أي شاهد مِنْ رَبِّه، والشاهِدُ جبْريلُ، وقيل يَتْلوه البرهانُ، والذي جرى ذكر البَيِنَةُ، لأن البينة والبرهان بمعنىً واحدٍ.

وقيل ويَتْلوه شَاهدٌ منه يعني لسان النبي ﷺ أي أفمن كان على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّه، وكان معه من الفضل ما يبين تلك البينة كان(٢) هو وغيره سواء، وترك ذكر المضادِّ لَهُ لأن فيما بعده دليلاً عليه(٣) وقوله: ﴿مَثَلُ الفَرِيقَيْنِ كالأَعْمَى والأَصَمِّ والبَصِيرِ والسَّمِيعِ﴾(٤).

ويجوز أن يكون ـ والله أعلم ـ أفمن كان على بينة من ربه يعني به النبي ﷺ وسائر المؤمنين، ويكون معنى.. ﴿ويتلوه شاهد منه﴾ يتلوه ويتبعُه، أي يتبع البيانَ شاهدٌ من ذَلِكَ البيانِ، ويكون الدليل على هذا القول: ﴿أُولَئِكَ يُؤمِنُون به﴾ ويكون دليله أيضاً: ﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت﴾، فاتّباع الشاهد بعد البيان كاتباع التفصيل بعد الأَحْكَامِ.

وقوله: ﴿وَمِنْ قَبْلِه كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً﴾.

---

(١) كان تقع في الشرط تعبيراً عن حُدُوثِ أَيِّ شيءٍ، فشرحها المبرد بما فصله النص ـ وهذا هو الوجه الأول فيها، والوجه الثاني ما شرحه هو من أنها على باب الأفعال الأخرى.

(٢) أي أيكون هو وغيره سواء؟

(٣) المضادّ أي أفمن كان كذلك كمن ليس له هذه الصفةَ.

(٤) أي في هذه الجملة دليل أيضاً على المحذوف.

أي وكان من قبل هذا كتابُ موسى دَليلاً على أمر النبي ﷺ، ويكون كتاب موسى على العطف على قوله ويتْلُوه شاهدٌ مِنْه ومِنْ قبله كتَابُ موسى، أي وكان يتلوه كتاب موسى، لأن النبي بَشَّر به موسى وعيسى في التّورَاةِ والإنجيل، قال اللَّه - جلّ وعزّ - : ﴿الَّذِينَ يتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمّيَّ الَّذي يَجدُونَه مَكْتُوباً عندهم في التَّورَاةِ والإنْجِيل﴾[1].

ونصب ﴿إمَاماً﴾ على الحال، لأن كِتَابَ موسى معرفة.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾.

يجوز كسر الميم في مِرْيةٍ وضمُّها، وقد قُرِئ بهما جَميعاً في مِرْيَةَ ومُرْية.

ويجوز نصب ﴿كتاب موسى﴾، ويكون المعنى: ويتلوه شاهدٌ منه وهو الذي كان يتْلِو كتابَ موسى. والأجْودُ الرفعُ، والقِراءةُ بالرّفع لا غير.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا على رَبِّهِمْ﴾.

الأشهاد هم الأنبياء والمؤمنون، وقال أُولئك يعْرضون على رَبّهم، والخلقُ كلهم يُعْرضون على ربهم، كما قال جلّ ثناؤه ﴿إِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ﴾[2] و ﴿إِلَيْنا يُرْجَعُونَ﴾[3] فذكر عرضهم على ربهم توكيداً لحالهم في الانتقام منهم.

وقوله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَىٰ الظَّالِمِينَ﴾.

لعنة اللَّه ابعاده من يلعنه من عفوه ورحمته.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَها عِوَجاً﴾.

---

(١) الأعراف الآية ١٥٧.

(٢) سورة لقمان الآية ٢٣.

(٣) سورة مريم الآية ٤٠. ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنا يُرْجَعُونَ﴾.

أي يَصُــدُّونَ عن طريق الإيمـان بالنبي ﷺ يـريدون رَدَّ السبيـل التي هي الإيمان والاستواء إلى الكُفْرِ والاعوجاجِ عن القصد.

﴿وَهُمْ بالآخِرةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾.

ذكرت هم ثانية على جهة التوكيد لشَأْنِهِمْ في الكُفْر

وقوله: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ﴾.

أي اللَّه لا يعجزه انتقامٌ من دَارِ الدنيا، ولا وَليَّ يمنع من انتقام اللَّه لمن أراد به النقمة، ثم استأنف فقال: ﴿يُضَاعَفُ لَهُـمُ العَذَابُ﴾.

فوصف مضاعفة العذاب على قَدْر ما وَصَفَ من عِـظَم كُفْرهم بنبيه ﷺ وبالبعث والنشور.

﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾.

أي مِنْ شدَّةِ كُفْرِهم وعَداوَتِهم للنبي لا يستطيعون أن يسمعوا مـا يقول، ثم بيّنَ ـ جلّ وعزّ ـ ضَرَرَ ذلك عليهم فقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُم وَضَلَّ عَنْهُم مَا كَانُوا يَفْتَرونَ﴾.

وقوله: ﴿لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾.

قـال المفسرون: المعنى جزاء حقاً[1]، أنَّهم في الآخـرة هم الأخسـرون وزعم سيبويه أنّ جرم بمعنى حَقَّ، قال الشاعر[2].

---

(١) ط قال المفسرون جزاء حقاً.

(٢) هو أبو زياد بن أسماء بن الضربة أو عطية بن عفيف، يرثي كرز ابن عامر، وكان طعن حصين بن حذيفة الفزاري طعنة مميتة يوم بني عقيل وهو يوم الحاجر ـ وقد ولى حصينة على بنيه عند موته ابنه عيينة، وهو حذيفة بن حصن لقب أبا عيينة لجحوظ عينه وانـظر أمالي المـرتضى ١٦٩/٤، والبيت في كتاب سيبويه ١٣٨/٣، والخزانـة ٣١٠/٤ ـ واللسان (جـرم) ومجاز أبي عبيـدة ١٤٧/١ ومعاني الفراء والبيت طعنتَ بالخطاب لأنه يخاطب كرزاً.

ولقـد طَعَنْتَ أبـا عـيينـة طعنـة   جَـرَمَتْ فـزَارَةَ بعـدهـا أن يَغْضَبُـوا

معناه أَحَقَّت فزَارةَ الطعنةُ بالغضب.

ومعنى «لا» نفي لما ظنُّوا أَنه ينفعُهم، كأن المعنى لا ينفعهم ذلـك جرَمَ أَنَّهم في الآخِـرةِ هُمُ الأَخْسـرون، أي كَسَبَ ذلـكَ الفعـلُ لهم الخسـرانَ ثم ضرب اللَّه مثلاً للمؤمنين والكافرين فقال:

﴿مَثَلُ الفَرِيقَيْنِ كالأَعْمَى والأَصَمِّ والبَصِيرِ والسَّمِيعِ﴾.

ومثل فريق الكافرين كالأعمى والأصم لأنهم في عداوتهم وتركهم التفهم كمن لا يسمع ولا يبصر.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أرْسَلْنَا نُوحاً إلىَ قَوْمِهِ إنّي لكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

كسر إنّ في القراءة عِلى معنى قـال لهم إنّي لكم نذيـر مُبينٌ(١)، ويجوز أَني لكم نذير مبينٌ على معنى: لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه بالإنذار أَنْ لَا تَعْبُدوا إلاَّ اللَّه إني أنذركم لتُـوَحِّـدوا اللَّهَ، وأَنْ تَتْركوا عبادَةَ غيره(٢).

﴿إنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾.

يجوز في غير القراءة: إني أخاف عليكم عـذاب يومٍ أَلِيمـاً، لأن الأليم صفة للعذاب، وإنما وصف اليوم بـالألم، لأنَّ الأَلمَ فيه يقـع، والمعنى عذاب يومٍ مُؤْلِمٍ، أي مُوجِعٍ(٣).

﴿فَقَالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾.

---

(١) لا داعي لهذا، لأن الجملة مستأنفة.

(٢) فتحها يكون بتقدير حرف جر.

(٣) وصف اليوم بأنه أليم يستتبع أنـواعاً كثيـرة من العذاب ـ مثـل مشقة اليـوم وشدّة حـره، وإهانـة الزبانية... وهكذا ـ والعذاب يصرف الذهن عادة إلى عذاب جهنم.

﴿الملأ﴾ رُؤَسَاءُ القَوْمِ وكبراؤهم الَّـذِينَ هم مُلاءُ بـالرأي وبمـا يحتاج إليـه منهم. أي فأجابوه بهذا الجوابِ وَالْقوْلِ.

﴿[مَا نَراكَ إلاَّ بَشَراً مِثْلَنَا]﴾.

أي ما نراك إلا إنساناً مثلنا، ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾.

أي لم يتَّبِعْكَ الملأُ مِنا، وإنما اتبعك أخِسَّاؤنا.

وقوله: ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾.

بغير همزٍ في بادي، وأبو عَمْروٍ يهْمِزُ بَادِئَ الرَّأْيِ، أي اتبعوا اتباعـاً في ظـاهر مـا يُرى، هـذا فيمن لم يهْمِـزْ، ويكـون التفسيـر على نـوعين في هـذا أحَدُهمَا أن يكون اتّبعُوكَ في الظاهر، وبَـاطِنُهم عَلَى خلافِ ذِلـك. ويجوز أن يكونَ اتبعوك في ظاهر الرأْي ولم يَتَدَبَّـرُوا مَا قُلتَ ولم يفكِّـرُوا فيه وقـراءة أبي عمـرو على هذا التفسيـر الثاني، [أي] اتبعـوكَ ابتداء الـرأيِ، أي حين ابتدأوا ينظرون وإذا فكَّروا لم يتبعوك.

فـأما نصب بَـاديَ الرأْيِ فعلى: اتبعـوك في ظاهـر الرأي، وعلى ظـاهر الرأي، كأنـه قال: الاتبـاع الذي لم يفكـروا فيه. ومن قـال باديَ الـرأي فعلى ذلك نَصَبَه[1].

﴿قَالَ يَا قَـوْمِ أَرَأَيْتُم إنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَـانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْـدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾.

كـذا أكثر القـراءة ـ بفتح العين والتخفيف[2] ـ وقد قرِئَتْ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ـ بضم العَيْن وتَشْدِيد الميم ـ

هـذا ما أجابهم به في أن قـالـوا: إن الـذين اتَّبعُـوكَ إنَّمـا اتبعـوك غيـر

---

(١) على هذا هو مفعول مطلق أي أتباعاً، أو هو حال، كما تقول أتبعه غافلاً أو ناسياً.

(٢) فعَمِيتْ ـ وقراءة عاصم عُمِّيَتْ.

محقّقِينَ. فأعلمهم أنهم مُحَقِّقُونَ بهذا القول لأنه إذا كان على بَيِّنَـةٍ، ممن آمن به فعَالِمٌ بَصِيرٌ مَفْضُولٌ له، وأنّ من لم يفهم البيِّنَةَ فقد عَمِيَ عليه الصوابُ.

وقوله: ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾.

أي فعَمِيتِ البينَةُ عليكم[١]

﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾.

القراءة بضم الميم، ويجوز إسْكـانُها عَلَى بُعْـدٍ لِكَثْرةِ الحـركات وثِقَـلِ الضَّمَةِ بعدَ الكسرة. وسيبَوَيه والخليلُ لا يُجيزَانِ إسكانَ حرف الإعراب إلا في اضطرارٍ، فأما ما رُوِيَ عن أبي عَمْرو مِن الإسْكانِ فلم يُضبَط ذلك عنه، ورواه عنه سيبويه أنه كان يخفف الحركات ويختلسها، وهذا هو الوجه[٢].

وقوله:﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُـو رَبِّهِمْ﴾.

وَإِذَا لَاقُوا ربَّهُمْ جَازَى مَنْ ظَلَمهُمْ وطردَهُم، بجزائِه من العَذَاب.

وقوله:﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُم اللَّهُ خَيْراً﴾.

﴿تزدَرِي﴾ تستسفِل[٣] وتستخس. يقال: زرَيْتُ على الرَّجُل إذَا عِبْتُ عَلَيْه وخسَّسْتَ فِعْلَه. وأَزْرَيْتُ إذَا قَصَّرتُ به وتَزْدَرِي أصله تزتَرِي بالتاء، إلا أن هذه التّـاءَ تبدل بعـد الزَّاي دَالاً، لأنَّ التـاء من حـروف الهمس، وحـروف الهمس خفيّـة فالتاء بعد الزاي تخفى، فأبْدِلَتْ منها الدَّالُ لِجَهْرِهَا، وكذلـك يفتعل من الزينة يَزْدَان، تقول: أنت تزدان يا هذا.

وقوله:﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أعيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمْ اللَّهُ خَيْراً﴾.

---

(١) قراءة حَفص فَعُمِّيَتْ.

(٢) تقدم هذا في الآية ﴿يكادُ البرقُ يخْطفُ أبصَارَهُمْ﴾ و ﴿فتوبوا إلَى بَارِئِكُمْ﴾.

(٣) تعدُّهم سِفْلَةً أخِساءَ.

لأنهم قالوا: ﴿اتَبَعَكَ أَرَاذِلُنَا﴾.

وقوله: ﴿اللَّهَ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾.

أي إن كنتم تزعمون أنهم إنما اتبعُوني في ظَاهِرِ الرَّأْيِ والذي أدعو إليه توحيد اللَّه، فإذا رأيت من يُوَحِّدُ اللَّه جلّ ثناؤه عملتُ على ظاهره، واللَّه أعلم بما في نفْسِه، لا يعلم الغيب إلاَّ اللَّه.

وقوله: ﴿فَأَكْثَرتَ جِدَالَنَا﴾.

ويقرأ فأكْثرتَ جَدَلنا، والجَدَل والجِدالُ المبَالَغةُ في الخُصُومةِ والمناظَرة، وهو مأخوذٌ مِنَ الجَدْلِ وهو شدة الفَتْل، والصَّقْرُ يقال له أَجْدَل لأَنَّه من أشَدِّ الطير.

وقوله: ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ إِنْ يُغْوِيَكُمْ﴾.

﴿يُغْوِيَكم﴾ يُضِلكم ويهلككم.

وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ﴾.

معناه بل أيقولون افتراه.

﴿قل إن افتَريتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾.

من قولك أجرم الرجل إجراماً، ويقال جَرَّمَ في معنى أجْرَمَ، وأكثر ما تستعمل أجرم فِي كَسْبِ الإثم خاصّةً يقال رجل مُجْرِمٌ وجَارِمٌ. ويجوز فَعَلَيَّ أَجْرامي على جمع جُرْم وهو على نحو قوله. ﴿واللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهم﴾[1]، وأَسْرارهم إلا أن القراءة بكسر الألف، وإجرامي على المصدَرِ.

﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاّ مَنْ قَدْ آمَنَ﴾.

فلذلك - واللَّه أعلم - استجارَ نوح بقوله: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ

---

(١) سورة القتال الآية ٢٦.

الْكَافِرينَ دَيّاراً . إنَّكَ إنْ تَذَرْهُمْ يُضِلّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إلَّا فَاجِراً كَفَّاراً ﴾[1] .

أعْلِمَ أنَّهم لَا يَلدُون إلَّا الكَفَرةَ . بقولـه تعالى : ﴿أنه لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِـكَ إلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تبتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلونَ ﴾ .

مَعْناهُ لا تحزن ولا تَسْتَكِنْ .

وقوله : ﴿واصْنَعِ الفُلْكَ بَأَعْيُنِنَا﴾ .

الفُلْكُ السفينة ، والفَلَك يكون واحداً ويكونُ جمعاً كما أنهم قـالوا أُسَـدٌ وأُسْد ، قالوا في الواحد فَلَك وفي الجمع فُلْك ، لأن فَعْـلا وفَعَلا جمعُهـا واحدٍ ويأتيان بمعنى كثيراً ، يقال العُجْم والعَجَم ، والعُرْب والعَرَبِ والفُلكْ والفَلَكْ . والفَلْكة يُقَالُ لكلّ شيءٍ مسْتَديرٍ أو في استدارة .

ومعنى : ﴿بَأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ .

أي بإبْصَارنا إلَيْكَ وحفظنا لك ، وبما أوحيْنا إلَيْك

﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ .

(المعنى : لا تخاطبني في إمهال الذين كفروا إنهم مغرقون)[2] .

ثم أخبر اللَّه ـ جَلَّ ثناؤه ـ بعَمله الفلك فقال :

﴿وَيَصْنَعُ الفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْه مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِروا مِنْه ﴾ .

يقال في التفسير إنهم كانوا يَقولون : هذا الذي يزعم أنه نبي مُرْسَلٌ صار نجاراً ، فقال :﴿إنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فإنَّا نَسْخَر مِنكُمْ كما تَسْخَرونَ﴾ .

أي نحن نستجهِلُكُمْ كمـا تستجهلوننا[3] ، ثم أعْلَمَهُمْ بِمَـا يَكُون عـاقبـة أمْرِهم فقال :

---

(١) سورة نوح الآية ٢٦ ـ ٢٧ .

(٢) ليست في ط .

(٣) في الأصل تستجهلونا وهو خطأ .

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾.

أي فسوف تعْلَمون من هو أحق بالسُّخْريِّ[1]، ومن هو أحْمدُ عاقِبةً.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾.

أعلم اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ نوحاً أنْ وَقْتَ إهلاكهم فَوْرُ التَّنُّور. وقيل في التَّنُّور أقْوالٌ. قيل إن التَّنُّورَ وجه الأرْض. ويقال إن الماء فارَ من ناحيةِ مَسْجد الكُوفَةِ ويقال إن الماء فار من تَنُّورِ الخابزَةِ، وقيل التَّنُّور تنوير الصُّبْح.

والجملة أن الماء فار من الأرض وجاءَ من السَّماء قال اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّماءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ. وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾[2].

فالماء فَوْرُه[3] من تَنُّورٍ أو من ناحية المسجد أو من وجه الأرض، أو في وقت الصبح لا يمنع أن يكون ذلك العلامةَ لإهلاكِ القوم.

﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾.

[أي] من كل شيء، والزوج في كلام العرب واحدٌ ويجوز أن يكون معه واحد، والاثنان يقال لهما زَوْجَانِ يقول الرجل: عليَّ زوجان من الخفاف، وتقول: عِنْدي زوجان من الطير، وإنما تريد ذكر أو أنثى فقط. وتقرأ من كل زوجين ـ على الإضافة ـ والمعنى واحد في الزَّوْجين أضَفْتَ أم لم تضِفْ.

﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ﴾.

---

(١) السخريّ ـ بضم السين وكسرها ـ يعني السخرية والاستهزاء ـ وبهما قرىء قوله تعالى: ﴿نحن قَسَمْنا بَينهم مَعِيشَتَهُم في الحياةِ الدُّنْيا ورَفَعْنَا بَعْضَهُم فوقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بعضاً سُخْرِياً﴾. (الزخرف آية ٣٢).

(٢) سورة القمر الآيتان ١١، ١٢.

(٣) بدأ فورانه.

أي واحملْ مَنْ آمَن، ويقال إن الذين آمنوا معه كانوا ثمانين نفساً، فقال تعالى: . . ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قليلٌ﴾.

لأن ثمانين قليل في جُمْلَةِ أُمَّةِ قَوْمِ نوحٍ

. . ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا باسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمَـرْسَاهَا﴾ - أي باللّه تجري، وبه تستقرُّ.

ومعنى قُلْنَا بِاسْمِ اللّه أي باللّه[١].

وقد قرئت على وجوه، قرئت مَجْرَاها بفتح الميم، ومُرسَاهَا بضم الميم. وقرئت مُجْراها ومُرْسَاها بضم الميمين جميعاً. ويجوز مَجْرَاها ومَرْسَاها، وكلٌّ صواب حسن.

فأما من قرأ مجراها بفتح الميم، فالمعنى جَرْيُها ومُرْسَاها المعنى وباللّه يقع إرساؤها، أي إقْرارُها. ومن قرأ مُجْراها ومُرْسَاهَا. فمعنى ذلك باللّه إجراؤها وباللّه إرْسَاؤها يقال: أجريته مُجْرى وإجْراءً في معنى واحد. ومن قال مَجْرَاها ومَرْسَاهَا، فهو على جَرَتْ جَرْياً ومَجرًى، وَرَسَتْ رسُوًّا ومَرْسىً. والمُرسَى مستقرها.

والمعنى أن اللّه جلّ وعزّ أَمَرَهُمْ أن يُسَمُّوا في وقت جريها ووقت استقرارها.

ومُرْساها في موضع جرّ على الصفة للّه - جلّ وعزّ -[٢].

ويجوز فيه شيء لم يقرأ به ولا ينبغي أن يقرأ به لأن القراءة سنة متبعة:

---

(١) راجع ما كتبه تفسيراً لبسم اللّه الرحمن الرحيم و «وعلم آدم الأسماء كلها». ومجاراته أبا عبيدة. في أن كلمة اسم زائدة.

(٢) لا يتأتى هذا الإعراب إلا إذا قرئت مُرْسِيها. أي باسم اللّه مُسَيِّرَها ومُقِرُّها - أما مرساها فهو اسم مكان من أرسى.

باسم اللّه مُجْرِيَها على وَجْهَيْنِ ـ أحدهما الحال، المعنى مُجْرِياً لَهَا ومُرْسِياً لها. كما تقول مررت بزيدٍ ضَارِبَها على الحال. ويجوز أن يكون منصوباً على المدح، أعني مُجرِيَها ومُرْسِيَهَا. ويجوز أن يكون مُجْرِيها ومُرْسِيها في موضع رفع على إضمار هو مجريها ومرسيها.

وقوله: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالجِبَالِ﴾.

قيل إنَّ السَّماءَ والأرضَ التقى ماؤهما فطبق بينَهُمَا وجرت السفينة في ذلك الماء، وقوله:

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كالجِبَالِ﴾.

إن الموج لا يكون إلاَّ فوقِ الماء، وجاء في التفسير أن الماء جَاوَزَ كلَّ شيء خَمَسَةَ عَشَر ذِرَاعاً، قال اللّه ـ عزّ وجلّ: ﴿فالْتَقَى الماءُ على أمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾[1].

فجائز أن يكون يلتقي ماء السماء وماء الأرض وما يطبق ما بينهما، وجائز أن يطبق ما بينهما.

والموج تَمَوُّجُ المَاءِ، وأكثر ما يُعْرَفُ تكونُه في عُلُوِّ الماء، وجائز أن يتموج داخل الماء.

والرواية في السفينة أكثر ما قيل في طولها أنه كان ألفاً ومائتي ذراع، وقيل ستمائة ذراع. وقيل إن نوحاً بعث وله أربعون سنةً ولبث في قومه كما قال اللّه ـ جلّ ثناؤه ـ ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إلاَّ خَمْسين عَاماً.﴾[2] وعمل السفينة في خمسين سنة ولبث بعد الطوفان ستين سنة.

---

(١) سورة القمر الآية ١٢.

(٢) سورة العنكبوت الآية ١٤.

﴿وَنَادَى نوحٌ ابْنه وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾.

يجوز أن يكون كان في معزل من دينه، أي دين أبيه ويجوز أنْ يكون - وهو أشبه - أن يكون في معزل من السفينة.

﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا﴾.

الكسر أجودُ القراءة أعني كسر الياء[1]، ويجوز كسرها وفتحها من جهتين، إحداهما أن الأصل يا بُنَيِّيْ، والياءُ تحذف في النداء، أعني ياء الإضافة، وتبقى الكسرة تدل عليها، ويجوز أنْ تحذَفَ الياءُ لسكون الراء مِنَ ارْكبْ، وتقَرُّ في الكتاب على ما هي في اللفظ[2].

والفتح من جهتين، الأصل يا بُنيًّا فتبدل الألف من ياء الإضافة. العرب تقول: يا غلاما أقبل، ثم تحذف الألف لسكونها وسكون الراء، ويُقَرّ في الكتاب على حذفها في اللفظ ويجوز أن تحذف ألف النداء كما تحذف ياء الإضافة، وإنما حذفت ياء الإضافة وألف الإضافة في النداء كما يُحْذَفُ التنوين، لأن ياء الإضافة زيادة في الاسم كما أن التنوين زيادة فيه، ويجوز وجه آخر لم يقرأ به وهو إثبات الياء، يا بُنَيِّي، وهذه تَثْقُل لاجتماع الياءات.

﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ المَاءِ﴾.

أي يمنعني من الماء، والمعنى [من] تَغْرِيق الماء

﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾.

هذا استثناء ليس من الأول، وموضع «مَنْ» نَصْبُ المعنى لكن مَنْ رَحِمَ اللَّهُ، فإنه مَعْصُوم، ويكون ﴿لَا عَاصِمَ﴾ معناه لا ذَا عِصْمَةٍ، كما قالوا: ﴿عِيشَةٌ رَاضِيَةٌ﴾، مَعناه مَرْضية وجاز راضية على جهة النسب أي في عيشه ذات رضا.

---

(١) الياء من بُنَيَّ.

(٢) يريد أنها ياءان. للتصغير وياء المتكلم وحذفت ياء المتكلم والكسرة تدل عليها.

وتكون «من» على هذا التفسير في موضع رفع[١]، ويكون المعنى لا مَعْصُومَ إلا المرحوم.

وقوله: ﴿وَغِيضَ المَاءُ﴾.

يقال غاض الماء يغيض إذا غاب في الأرض، ويجوز إشْمامُ الضَّم في الغين[٢].

﴿وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾: أي هلاك قوم نوح
﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ﴾.
والجوديُّ جبل بناحية آمِدَ[٣].
وقوله: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وإِنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ﴾.
. . ﴿قَالَ يَانُوحُ إِنَّه لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾.

قرأ الحسنُ وابنُ سيرين «عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ» وكان مذهبُهمَا أنه ليس بابنه، لم يولد من صلبه، قال الحسن: واللَّه ما هو بابنه، وقال ابن عباس وابن مسعود إنه ابنه، ولم يبتل اللَّه نبيًّا في أهْلِه بمثلِ هَذِه البَلْوَى.

فأما من قرأ: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيرُ صَالِحٍ﴾[٤].

فيجوز أن يكون يعني به أنه ذو عمل غير صالح، كما قالت الخنساء.

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت   فإنما هي إقبال وإدبار[٥]

---

(١) خبر لا.
(٢) الميل إلى الضم قليلا في الغَيْنْ.
(٣) آمد من الثغور المعروفة ينسب إليها علماء أشهرهم أبو الحسن الآمدي.
(٤) أي غير الحسن وابن سرين ـ وقرىء أيضاً: عَمِلَ ـ فعلاً ماضياً وبنصب غير.
(٥) من أبياتها السائرة في رثاء أخيها صخر وقبله:
فما عجول على بَوٍّ تطيف به   قد ساعدتها على الحَنان أظآرُ

أي ذات إقبالٍ، وقد قال اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ ﴿ونادى نوح ابنه﴾ فنسبه إليه.

وللقائل أن يقول نسبه إليه على الاستعمال، كما قال اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ ﴿أينَ شُرَكَائِيَ الذين كنتم تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾(١)، فنسبهم إليه على قولهم، واللَّهُ لا شريك له، ولكن الأجودَ في التفسير أن يكون: إنه ليس من أهلك الذين وَعَدْتُكَ أن أُنَجّيَهُمْ، ويجوز أن يكون ﴿إِنَّهُ ليس من أهْلك﴾ إنه لَيْسَ من أهْلِ دينِك.

﴿فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

ويقرأ فلا تسأَلَنْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ.

وقوله: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾.

المعنى وأرْسلنا إلى عادٍ أَخَاهُم هُودًا. وقيل أخاهم من جهتين، إحْدَاهُما أنه منهم وبيَّنَ(٢) بلسانهم، والأخرى أنه أخوهم من ولد آدم، بشر مثلهم.

= وجواب النفي قولها:

يوماً بأوجد مني يوم فارقني صخرٌ، وللدهر أحلاء وإمْرارُ

والعجول الثكلى ـ ويروى أُم شَعْب، وهو الذكر من ولد الناقة، والبَوّ جلد ولد الناقة يحشى ليوهم الناقة أنه ابنها فتشمه وتعطف عليه وتدر اللبن، والظئر التي تعطف على وَلَدِ غَيْرِهَا. وترتع أي ترعى ويروى ترتع ما غفلت ـ أي ما نسيت ولدها فهي ترعى حتى إذا ذكرته ظلت تذهب وتجيء وجدا على ولدها ـ تريد أن وجد مثل هذه الناقة ليس بأشد من حزنها على أخيها صخر، والأيام تحلو حيناً وتمر آخر.

وهي إقبال وإدبار أي ذات إقبال وإدبار والشيخ عبد القاهر الجرجاني يجعل المصدر بمعنى اسم الفاعل ـ أي مقبلة مدبرة والمبالغة ظاهرة في كلا التقديرين.

والقصيدة في الديوان ص ٤٨، وانظر الشاهد ٧٠ من خزانة الأدب حـ١ / ٢٠٧، ٣٨٩ ط السلفية. وهو من الشواهد الشائعة.

(١) سورة النحل الآية ٢٧.

(٢) بَيَّنَ الدين الذي جاء به بلغتهم.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُه﴾.

وإن شئت غَيرِه، غيرِه من نعت الإلـه، و «غَيْرُه» على معنى ما لكم إلهٌ غَيرُه[1].

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً﴾.

كان أصابهم جَدْبٌ فأَعْلَمَهُم أنَّهم إن اسْتَغْفَرُوا ربَّهُمْ وتابوا أرسل السماء عليهم مدراراً.

والتوبة الندم على ما سلف، والعزمُ على ترك العَوْدِ في الذُّنوب، والإقامةِ على أداء الفرائض.

وَنَصَّبَ مِدْرَاراً على الحال، كأنه قال يرسل السماء عليكم دارّة، ومعنى مدرار المبالغة، وكان قوم هودِ ـ أعني عاداً ـ أهلُ بساتين وزُرُوعٍ وعَمَارَةٍ، وكانت مساكنهم الرمالَ التي هي بين الشام واليَمَن[2]، فدعاهم هودٌ إلى توحيد اللَّه واستغفاره وترك عبادة الأوثان، فلم يطيعوه وتوعدهم بالعذاب فأقاموا على كفرهم، فبعث اللَّه عليهم الريح، فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أدْبَارِهم وتُقَطِّعُهمْ عُضْواً عُضْواً

﴿وَيَزِدْكُمْ قوّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا﴾.

أيْ يزِدْكُم قوةً في النعمة التي لكم.

ويجوز أن يكون: ويزدكم قوةً في أَبْدَانِكُمْ.

﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾.

أي ما نقول إلا مسَّك بعض أصنامنا بجنونٍ، بِسَبِّكَ إيَّاهَا فقال لهم هو:

---

(١) لأن «من زائدة» فيأتي الوصف على المعنى

(٢) منازلهم هي الأحقاف في جنوب الجزيرة.

﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ، وَٱشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ﴾.

وهذه من أعظم آيات الرُّسُل أن يكون الرسول وَحْدَهُ، وأمَّتُه متعاونة عليه، فيقول لها: كِيدُونِي ثُمَّ لَا تُنْظِرُون، فلا يستطيع وَاحدٌ مِنهم ضَرَّه. وكذلك قال نوحٌ لِقَوْمِه: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُم وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثمَّ اقْضُوا إليَّ وَلَا تُنْظِرونَ﴾[1]. وقال محمد ﷺ ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾[2].

فهذه من أعظم آيات الرسل وأدَلِّها على رِسَالَاتِهِمْ.

﴿مَامِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُو آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾.

أي هي في قبضتِه، وَتَنَالُهَا بِمَا تَشاء قُدرَتُه، ثم قال:

﴿إِنَّ رَبيِّ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

أي هو [سبحانه] وإن كانت قُدْرَتُه تنالها[3] بما شاء، فهو لا يشاء إلَّا العَدْل.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾.

المعنى فإن تَتَولَّوْا.

﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾.

فجعل ﴿فقد أبلغتكم﴾ في موضع قَدْ ثَبَتَتِ الحجةُ عليكم

﴿وَيَسْتَخْلِفُ ربي قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾.

وقوله: ﴿نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾.

يحتمل أن يكون بما أرَيْنَاهُم من الهُدى والبيان الذي هو رحمة،

---

(١) سورة يونس، آية ٧١.

(٢) سورة المرسلات، آية ٣٩.

(٣) تنال كل دابَّةٍ بما تشاء القدرة.

ويحتمل أن يكون ﴿بِرَحْمَةٍ مِنا﴾ أي لا ينجو أحدٌ وإن اجتهد إلا برحمة من اللّه ـ جلّ وعزّ ـ

﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غليظٍ﴾.

أي مما عُذِّب بِهِ قوم عاد الكفار في الدنيا ومما يُعذَّبُونَ به في الآخرة.

﴿أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾.

«ألا» ابتداء وتنبيه. وَ ﴿بُعْداً﴾ منصوب على أَبْعَدَهُمُ اللّه بعْداً، ومعنى بُعْداً أي بُعْداً من رحمة اللّه.

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً﴾.

المعنى: وأَرْسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً. وثمود لم ينصرف لأنه اسم قبيلة، ومن جعله اسماً للحي صرفه وقد جاء في القرآن مصروفاً: ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُوداً كَفَروا رَبَّهُمْ﴾[1].

﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[2].

ثم بين ما هي فقال:

﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللّه لَكُمْ آيَةً﴾.

يقال[3]: إنّها خرجت من حَجَرٍ، وفي هذا أعظم الآيات، ويُقَال إنها كانت تَرِدُ المَاءَ، لا تَرِدَ الماء معها دَابَّةٌ، فإذا كان يومُ لا تَرِد، وردَتْ الوَارِدَةُ كلُّها. وفي هذا أعظَمُ آية.

---

(١) قراءة حفص «ألا» إن ثمودًا بدون تنوين.

(٢) ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ جاءت في سورة الأعراف ٧٣. أما في هذه السورة فالآية هي: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إن كنت عَلَى بَيِّنَةٍ مَنْ رَبي وآتاني مِنْهُ رَحْمَةً﴾.

(٣) في الأصل قال.

ونَصْبُ آية علىَ الحَال. المعنى إن قـال هذه نـاقَةُ اللَّهِ آيـةً أو آيةً لكُمْ، فكأنه قال: انتبهوا لها في هذه الحالة. والآية العلامة.

﴿فَذَرُوهَاتَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾.

وتأكلُ من أرض اللَّهِ، فمن قرأ تَأْكُلْ بالجزم فَهُوَ جَوَابُ الأمر، وقـد بيَّنا مثله في سورة البقرة، ومن قرأ تأكلُ فمعناهُ فذروها في حال أكلها. ويجـوز في الرفع وجه آخر، على الاستئناف، المعنى فإنها تأكل في أرض اللَّه.

﴿وَلَاتَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾.

﴿فيأخذكم﴾ جواب النَّهْيِ، والمعنى عذاب يَقْرُبُ مِمَّن مَسَّها بـالسُّوءِ، أي فإن عقرتموها لم تُمْهَلُوا.

﴿فَعَقَروها فقال تَمتَّعوا في دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾.

فأهلكوا بَعْدَ الثَّلاثِ، وَقَدْ بيَّنا في الأعراف كيف أهلكوا[1].

وقوله: ﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾.

معناه كان لم ينـزلوا فيهـا. قال الأَصْمعي: المَغَـانِي المَنازِل التي نـزلوا بها، يقال غَنِينَا بمكان كذَا وكَذا إذَا نَـزَلُوا به.

وقـوله - جلّ وعزّ - :﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾.

بالبشرى، بالولد.

﴿قالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ﴾.

وقَالُوا سَلاَمٌ، يُقْـرأان جميعـاً، فأمـا قوله ﴿سَلاماً﴾ فمنصوبٌ على سَلّمْنـا سَلَاماً، وأما سَلَامٌ فمرفوع على معنى أمري سَلَامٌ (وَمَنْ قَرَأَ سَلامٌ فمرْفُوعٌ عَلَىٰ أَمْري سلام)[1].

(١) ليست في ط.

أي لَسْتُ مُرِيداً غير السلامة والصُّلْح

﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾.

أي ما أقام حتى جاء بعجل حنيذٍ. والحنيذ المشويُّ بالحِجَارَة وقيل: الحنيذ المشوي حَتَّى يَقْطُرَ[1]. والعربُ تقولُ: احْنِذِ الفرس أي اجعل عليه الجُلَّ حَتَّى يقطرَ عَرقاً، وقيل الحنيذ المشوي فقط. وقيل: الحنيذ السَّمِيطُ، ويقال حَنَذَته الشمْسُ والنار إذا شوته.

﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾.

لم يأكلوا لأنهم ملائكة، ويقال إنهم كانت العلامةُ [لَدَيْهم][2] في الضيفان إذا قصدوا لِخيْرِ الأكلَ.

يقال: نكِرْتُ الشيءَ وأنكرت، ويقل في اللغة أنكر ويَقِل منكور، والكلام أنكر ومنكور.

و﴿أَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾.

معناه أضمر منهم خوفاً

﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾.

ألا تراه قال في موضع آخر: ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ. لِنُرْسِلَ عَلَيْهِم حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾[3].

﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا﴾.

يروى أنها ضحِكتْ لأنها كانت قالت لإبراهيم: اضْمُمْ لوطاً ابنَ أخيك

---

(١) يسيل منه الدهن.

(٢) زيادة لا بد منها للتوضيح.

(٣) سورة والذاريات / ٣٢ ـ ٣٣.

إلَيْك، فإني أعلمَ أنه سينزل بهؤلاء القـومِ عذابٌ، فضحكت سـروراً لمَّا أتى الأمر على ما تَوَهَّمَتْ.

فأما مَن قال: ضحكت: حَاضَتْ فليس بشيء
﴿فَبَشَّرنَاهَا بإسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إسْحَاقَ يَعْقُوب﴾.
يقرأ يعقوبُ ويعقوبَ ـ بالرفع والنصب

وفي هذه البشارة بشارة بالـوَلَدِ وَوَلَـد الوَلَـدِ، يقالُ هـذا ابني من الوراء، أي هذا ابن ابني.

فبشرناها بأنها تلد إسحاق وأنها تعيش حَتَّى ترى وَلَدَه.

وروينا في التفسير أن عُمْرَهَا كان تسعاً وثمانين، وأن عمر إبراهيم كـان تسعاً وتسعين في وقت البشارة.

فـأمـا من قـرأ: وَمِن وراءِ اسحقَ يعقـوبَ، فيعقـوب في مـوضـع نصب محمول على موضع فبشرناها بإسحاق، محمـول على المعنى، المعنى: وهبنا لها إسحق ووهبنا لها يعقوب.

ومن قرأ يَعْقُوبُ فرفْعُه على ضربين، أحدهمـا الابتداء مؤخَّـراً[1]، معناه التّقـديم، والمعنى ويعقـوب مُحْـدَثٌ لهـا من وراء إسحاق. ويجـوز أن يكـون مرفوعاً بالفعلَ الذي يعمل في «مِنْ وَرَاء»[2] كأنه قال وثبت لها من وراء إسحاق يعقوب.

ومن زعم أن يعقـوب في موضـع جر فخـطأ زعمُه، ذلـك لأن الجَـارَّ لا يفصلُ بينه وبين المجرور، ولا بينه وبين الواو العاطفة، لا يجوز مـررت بزيـد

(١) في الأصل مؤخر بالرفع، ويستقم علَى أنها جملة ثانيةً.
(٢) الزجاج يجري على المذهب الكوفي في تقدير المتعلق فعلا، أي ويكون أو يأتي.

في الـدَّارِ، والبيْتِ عَمْـروٍ ولا في البيتِ عَمْـرِو، حتى تقـولَ وَعَمـروٍ[1] في البيت.

﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾.

المصحف فيـه يـا ويلتي بـاليـاء، والْقِـرَّاءَةُ بـالألف، إن شِئت على التضخيم، وَإِنْ شِئْتَ عَلَى الإِمَالَة.

والأصـل يَا وَيْلَتِي فَـأُبْدِلَ من اليـاء والكسـرةِ الألف، لأن الفتـح والألف أخف من الياء والكسرة.

ويجـوز الوقف عليـه بغير الهـاء، والاختيارُ أَنْ يـوقف عليه بـالهـاء، يـا وَيْلَتَاهُ. فأما المصحف فلا يخالف، ولا يوقف عليه [بغير الهاء][2] فإن اضـطر واقف وقف بغير الهاء.

فأما الهمزتان بعد «يَا وَيْلَتَـا» ففيهما ثـلاثة أوجـه، إن شئت حَقَّقْتَ الأولى وخَفَّفْتَ الثانيةَ، فقلتَ يـا وَيلَتَا أآلِـدُ، وإن شئتَ ـ وهو الاختيـارُ خفَّفْت الأولى وخفَّفْتَ الثـانيـة فقلت يـا ويْلَتَـا آلِـدُ، وإن شئت حَقَّقْتَهُمـا جميعـاً فقلت أأَلِـدُ وتحقيق الهمزتين مذهب ابن أبي إسحاق.

﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً﴾.

القراءة النصب وكذلك هي في المصحف المجمع عليه، وهو منصـوب على الحال، والحال ههنا نصبها من لطيف النحو وغامضه.

وذلـك أنك إذَا قلت هـذا زيد قـائماً، فـإن كنت تقصد أن تخبـر من لم يعرف زيداً أنه زيدٌ لم يجز أن تقول: هذا زيد قـائماً، لأنـه يكون زيـداً ما دَامَ

---

(١) في الأصل أو.

(٢) زيادة لا بد منها لإصلاح هذه الجملة الركيكة، وفي الأصل بأن أضطر.

قائماً، فإذا زال عن القيام فليس بزيدٍ، وإنما تقول ذاك لِلَّذي يعرف زيداً: هذا زيـدٌ قَائِمـاً فيعمَلُ في الحـال التنبيه[1]، والمعنى انتبـه لزيـد في حال قيـامه، وَأُشِيرُ لك إلى زيد حال قيامه، لأن «هذا» إشارة إلى ما حضر، فالنصب الوجْهُ كما ذكرنا ويجوز الرفع.

وزعم سيبويه والخليلُ أن النصبَ من أربعةِ أوْجهٍ:

فوجه منها أن تقول: هذا زيد قـائمٌ فترفـع زيداً بهـذا وترفـع قائمـاً خبراً ثانياً، كأنك قلت: هو قائمٌ أو هذا قائم.

ويجوزُ أن تجعل زَيْداً وقَائِماً جميعاً خبرين[2] عن هذا فتـرفعهما جميعـاً خبراً بهذا، كما تقول: هذا حُلْوٌ حَامِضٌ تريد أنه جمعَ الطعمين.

ويجوز أن تجعلَ زيداً بدلاً من هذَا، كأنك قلت زيد قائم[3].

ويجوز أن تجعل زيداً مُبَيِّناً عن هذا، كأنك أردت: هذا قـائم، ثم بينت من هو بقولك زيد.

فهذه أربعة أوجه[4].

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ الرَّوْعُ﴾.

الـرَّوعُ الفزعُ. يعني ارتيـاعُه لـمّـا نكـرهـم حين لم يـأكلوا من العِجْـلِ. والـرُّوع ـ بضم الراء ـ النفس. يقـال وقع ذلـك في رُوعِي، أي في نَفْسي ومن خَلَدِي.

﴿وَجَاءَتْه الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾.

يجادلنا حكاية حال قد مضت لأن «لَمَّا» جعلت في الكلام، لِمَا قد وقـعَ

---

(١) الإشارة، أي أُشير إليه حال كونه قائماً.

(٢) الأولى أن يقول خبرا، لأنه هنا غير متعددٍ.

(٣) والتقدير هذا قائم.

(٤) وليست أوجه نصب وإنما هي أوجه إعراب.

لِوُقُوعِ غَيرِه. تقول: لما جَاءَ زيدٌ جاءَ عمروٌ، ويَجوز لَمّا جاء زيد يتكلم وعمرو، على ضربين:

أحدُهُمَا أنَّ إنْ لما كانت شرطاً للمستقبل وقع الماضي فيها في مَعنى المستقبل، نحو إن جاء زيدٌ جِئتُ. والوجه الثاني - وهو الذي أختارُه - أن يكون حالاً لحكاية قد مضت.

المعنى فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءَتْه البُشْرى أَخَذَ يُجَادِلُنا في قوم لوط، وأقبل يجادِلُنا. ولم يذكر في الكلام أخذ وأقبل، لأن في كل كلام يخاطب به المخاطب معنى أَخَذَ وأقْبَلَ إذَا أرَدْتَ حكايَةَ الحَالِ، لأنك إذَا قُلتَ: قام زيدٌ، دللت على فعل ماضٍ، وإذا قلت أخَذ زيْدٌ يَقُولُ[٢] دللت على حال ممتدة من أجلها ذكرتَ أَخَذَ وأَقْبَلَ. وكذلك جعل زيد يقول كذا وكذا، وكَرَبَ[٣] يَقُول كذا وكذا.

وقد ذكرنا «الأَوّاه» في غير هذا الموضع[٤]، وهو المبتهل إلى اللَّه المتخشّع في ابتهاله، الرحيم الذي يكثر من التأوّه خوفاً وإشفاقاً من الذنوب.

ويروى أن مجادلته في قوم لوط أنه قال للملائكة وقد أَعْلَمُوه أنهم مُهْلِكُوهم، فقال أرأيتم إنْ كانَ فِيها خمسُونَ من المؤمنين أَتُهلكونَهُمْ[٥] مَعَهُمْ[٦] إلى أن بلغ خمسةً، فقالوا لا، فقال اللَّه - عزّ وجلّ -: ﴿فَمَا وَجَدْنا فيها غيرَ بيتٍ مِنَ المسلمين﴾[٧].

---

(١) ليست في ط.

(٢) ر - يقوم.

(٣) هي من أفعال المقاربة وعدها هنا من أفعال الشروع.

(٤) انظر ص٤٧٣ حـ ٢ سورة التوبة.

(٥) في - ر - أتهلكوهم.

(٦) ليست في ط.

(٧) خشي إبراهيم أن ينال الهلاك المسلمين إذا كانوا قلة، فسأل عما إذا كانوا ينجون إذا كانوا خمسين،

ويـروى أنهم كانـوا جَمْعاً كثيـراً، أكثرُ مـا رُوِي فيهم أنهم كانـوا أربعـة آلاف[1].

﴿يا إبْرَاهِيمُ أعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾.

المعنى جَادَلَنا فقلنا يا إبراهيم أَعْرِض عن هذا.

ويروى أن إبراهيم لَمَّـا جَاءتـه الملائكـةُ كان يَعمَـلُ في أرض له وكلمـا عمل دَبْرَةً من الدِّبَارِ وهي التي تسمى المشـارات[2] غَرَّز بَالَتَهُ وصَلَّى، فقـالت الملائكة حقيق على اللَّه أن يتَّخِذَ إبراهيم خليلاً[3].

وقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ﴾.

معناه ساءَه مَجيئُهم، لأنهم استضـافوه فخـاف عليهِمْ قومَـه، فلما مَشَى معهُمْ قليـلاً قال لهنَّ: إن أهـل هذه القـرية شَـرُّ خلقِ اللَّه وكان قَـدْ عُهِـدَ إلى الرُّسُل ألَّا يهلكوهم حتى يَشْهَد عليهم لـوطٌ ثلاث مـرات، ثم جَازَ عليهم بعـد ذلك قليلاً، وردَّ عليهم القول ثم فَعلَ ذلكَ ثالثةً ومَضَوا معه.

﴿سِيءَ بِهِمْ﴾: أصله سُوِئَ بهم، من السّـوءِ إلا أن الـواو أُسْكِنتْ وثُقِلت كسرتها إلى السِّين، ومن خفَّفَ الهمزة قال: سِي بِهِمْ ﴿وضاق بهم ذَرْعاً﴾. يقال ضاق زيدٌ بأمْرِهِ ذَرْعاً إذا لم يجد من المكروه في ذلك الأمر مَخْلَصاً.

﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾.

= فلما أجاب الملائكة أنهم ينجون. سأل عن الأربعين والثلاثين حتى بلغ إلى خمس من المؤمنين، ولم يكن هناك غير بيت واحد من المسلمين. والآية في سورة «الذاريات» ٣٦.

(١) في ط أربعة ألف، وفي ر أربعة ألف ألف.

(٢) الدبرة القطعة من الأرض تزرع مثل ما يسمى الآن «الحوض» أي الجزء الصغير من الأرض المقسمة للزراعة ـ وأيضاً الساقية بين المزارع. وهي المشارات، واحدها مشارة. والبالة وتسمى المَرُّ هي ـ المسحاة. أي إن إبراهيم ـ كان يغرُز فأسه في الأرض وينصرف إلى الصلاة.

(٣) أي يستحق أن يتخذه اللَّه خليلاً.

أي شديد، فلما أضافهم مضت امرأته ـ عجوز السوء ـ فقالت لقومه إنه استضاف لوطاً[1] قومٌ، لم أر أَحْسنَ وجُوهاً مِنْهُمْ وَلاَ أَطْيَبَ رَائِحةً، ولا أنظف ثياباً.

﴿وَجَاءَهُ قَومُه يُهرَعُونَ إِلَيْه﴾.

أي يسرعون في المجيء، فراوَدُوه عن ضيفه، وحاولوا فتح بابه، فأعلمته الملائكة أنّهم رُسُلُ اللَّهِ وأن قومَه الفسقَةَ لن يصلوا إليهم.

فقال لهم لوط حين رَاوَدوه: ﴿هَؤُلاَءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلاَ تُخْزُونِي فِي ضَيْفِي﴾.

فقيل إنهم عُرِضَ عليهم التزويج، وكأنه عرضه عليهم إنْ أَسْلَمُوا

وقيل: ﴿هَؤُلاَءِ بَنَاتِي﴾: نساء أمّتي، فكأنه قال لهم التزويج أطهر لكم، فلما حاولوا فتح البابِ طمس اللَّه أعْيُنَهُمْ. قال اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوه عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾[2].

ولما استعجلوه بالعذاب، قالت لهم الرسل: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمْ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾.

القراءة بالرفع في أَطْهرُ، وقد رُوِيَتْ عن الحسن هن أطهرَ لكم، وعن عيسى بن عمر. وذكر سيبويه أن ابنَ مَرْوانَ لَحَنَ في هَذِه في نَصْبَهَا.

وليس يُجيزُ أحدٌ من البصريين وأصحَابِهِمْ نصبَ أَطْهر، ويجيزها

---

(١) في الأصل لوطاً قوماً ـ ويستقيم كما هنا ـ أي سأله قوم أن يستضيفهم.

(٢) سورة القمر ٣٧.

غيرهم. والذين يجيزونها يجعلون «هُنَّ» في هـذا بمنزلتهـا في «كان»[1] فـإذا قالوا: هؤلاء بَنَاتِي أطْهَرَ لَكُمْ، أجـازوا هُنَّ أَطْهَر لَكُمْ، كمـا يجيزون كـان زيدٌ هو أطهر مِنْ عَمْرٍو[2].

وهـذا ليس بمنـزلـة كـان. إنمـا يجـوز أن يقـع «هـو» وتثنيتهـا وجمعُهـا «عمـاداً»[3] فيما لا يتم الكـلام إلاَّ به، نحـو كـان زيـدٌ أخـاكَ[4]. لأنهم إنمـا أدخلوا «هُمْ» ليُعْلِمُوا أن الخَبَرَ لا بد منه، وأنه ليس بصفة للأول. وباب «هذا» يتم الكلام بخبره[5]، إذا قلت: هذا زيد فهو كلام تام. ولو جاز هذا لجاز جاء زيد هو أنْبَلُ من عمرو. وإجماع النحويين الكوفيين والبصريين أنه لا يجوز قدمَ زيد هو أنْبلَ مِنك حتى يرْفَعُوا فيقولوا هو أنبل منك[6].

وبعد فالذين قرأوا بالرفـع هم قُرَّاءُ الأَمْصـارِ، وهم الأكثر. والحسن قـد قرأ «الشياطون» والشياطون ممتنع في العربيَّةِ.

وقد قال بعضهم: إن المشركين في ذلك الدهر قد كان لهم أن يتـزوجوا من المسلمين[7].

وقوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾.

أي بظلمةٍ من الليـل. يقال: معنى قِـطْعٍ من الليل أي قـطعةٍ صـالحةٍ،

(١) ضمير فصل لا محل لها من الأعراب.

(٢) فيكون تقدير الجملة هؤلاء بناتي حال كونهن أطهرَ لكم ـ و «هن» زائدة.

(٣) العماد هو ضمير الفصل الذي لا محل له من الأعراب.

(٤) يؤتى بالضمير في الخبر الواضح ـ فتقول كان زيد هو أخاك ـ فهو ضمير فصل على هـذا لا محل لـه من الأعراب.

(٥) يتم معنى الجملة ولا يكون هناك وهم أن الخبر صفة.

(٦) فيكون في الكلام جملتان ـ جاء زيد جملة، وهو ابنك منك جملة.

(٧) أي أن قول لوط لقومه المشركين: هؤلاء بناتي ـ كانت دعوة للزواج منهنّ وهو كـان جائـزاً في ذلك الوقت.

وكذلك مَضى[١] عِنْكٌ[٢] من الليل، وسِعْوٌ مِنَ اللَّيْلِ[٣].

ويقرأ: ﴿فَأَسْرِ﴾ بإثباتِ الهمزةِ في اللفظ، ويقرأ: فَاسْرِ يقال أَسْرَيْت وسَرَيْتُ إذَا سِرْتُ ليلاً، قال الشاعر[٤]:

سَرَيْتُ بهِمْ حَتّى تكِلّ مَطيهُم وحتى الجيادُ ما يُقَدْنَ بأَرْسَانِ

وقال النابغةُ[٥]

أسرَتْ عَلَيْهِمْ من الجوزاء سارِيةٌ تُزْجِي الشَّمَال عليها جامدُ البَرِدِ

وقد روَوْا في هذا البيت سَرَتْ، وقال اللّه - جَلَّ وعزَّ - : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾[٦].

وقوله: ﴿إِلَّا آمْرَأَتَكَ﴾.

يجوز فيه النصب والرفعُ فمن قرأ: إلَّا أمرأتَكَ. بالنَّصْبِ فَعَلَى معنى

---

(١) ليست في ط.

(٢) العِنْكُ سُدفةٌ من الليل من أوله إلى ثلثه أو قطعة منه مظلمة - أو الثلث الباقي. ويُثَلَّثُ أي حركة أوله تثلث (قاموس).

(٣) السِّعْوُ - بالكسر - الساعة أي الزمن، وسعو من الليل ساعة منه.

(٤) البيت لامريء القيس - وفي اللسان (مطا):

مطوت بهم حتى يكل غَزِيُّهُمْ

وفيه (غزا) سريت بهم، والغزى جمع غاز.

يقول سريت بهم حتى وهنت قوى الفرسان وضعفت خيولهم فلا تحتاج أن تقاد برسَن.

(٥) من داليته - يا دار مية - البيت الحادي عشر. يروى سرت وأُسْرَتْ والسارية السحابة، وتزجي تسوق. يصف ثوراً وحشياً يرتع من مرعى له. أي مرت به سحابة ممطرة ودفعت ريح الشمال عليه البرد الجامد، فهو مذعور خائف انظر شرح العشر للزوزني ١٩٨ (ط صبيح) واللسان (شرى). والديوان ٦ والقرطبي ٩ / ٧٩ ومجاز أبي عبيدة ١ /٢٩٥ . ورواية البيت «عليه» أي على الثور - ويبدو أن «عليهم» سهو من الناسخ.

(٦) أول سورة الإسراء.

فأسر بأهلك إلَّا أمْرأَتَكَ، ومن قرأ بالرَّفـع، حَمَلَهُ عَلَى مَعْنَى: ﴿ولا يلتفِتْ منكم أحدٌ إلا امْرَأَتُك﴾[1].

وقوله: ﴿جَعَلْنَا عَالِيَها سَافِلَهَا﴾.

يقال أن جبريل جعل جناحه في أَسْفَلِهَا ثم رَفَعها إلى السماء حتَّى سمع أهلُ السَّماءِ نُباحَ الكِلابِ وصِيَاح الدَّجَاجِ، ثم قَلَبَها عَلَيْهِمْ.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيها حِجَارَةً مِنْ سِجّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾.

وقـد قال النـاس في سِجيـلٍ أقْـوالاً، ففي[2] التفسيـر أنَّهـا مِنْ جِـلٍّ[3] وحِجَارَةٍ. وقال أهل اللغة: هو فارِسِيٌّ مُعرَّبٌ، والعرب لا تعرف هذا. والذي عنـدي أنـه إذَا كـان هـذا التفسيـرُ صَحيحـاً فهـو فـارِسيٌّ. أعْـرِبَ لأن اللّـه -جلَّ وَعَزَّ- قـد ذكر هـذه الحجارة في قصـة قوم لـوط، فقال: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارةً مِنْ طِينٍ﴾[4] فقد تبيَّن للعرب ما عُنِيَ بسجيل، وَمِنْ كلام الفـرسِ ما لا يحْصَى مما قد أعْرَبَتْهُ العَـرَبُ. نحو جـاموس وديبـاج. فلا أُنْكِـرَ أنَّ هذا مِمَّـا أُعْرِبَ.

وقال أبو عبيدة معمرُ بنُ المثَنَّى: تأويله كَسَيْرَة شـديدة[5]، وقـالَ إن مثل ذلك قول الشاعر[6]:

(١) بدل من أحد لأن الاستثناء تام منفى. يجوز فيه الإتباع والنصب

(٢) ط فمن التفسير.

(٣) جل: الجل يـطلق على سـوق الزرع الـذي أخذت سنـابله ـ وهو لا ينـاسب هنا، ولكن قيـل ان الكلمة معربة من كلمتين هما سِنْك بمعنى حجـارة، وكِلْ بمعنى الـطين ـ فهي سِنْكِلٌ ـ حـولت إلى سجيل، ونقل صاحب اللسان كلام الزجـاج هنا بـأكمله، وقال الأزهـري أيضاً إنـه معرف وانـه بمعنى الطين.

(٤) سورة الذاريات الآية ٣٣.

(٥) قال هو الشديد من الحجارَة الصُّلْبُ.

(٦) رجلة جمع رجل، والبيض جمـع بيضة، وهـو الحديـد الذي يلبس للوقـاية في الحـرب، والبيت في =

ورَجْلَةً يضـربـونَ البَضْ ضَـاحِيـةً ضـرباً تـواصت بـه الأبـطال سِجِّينَا

والبيت لابن مُقْبِـل، وسِجِّين وسِجِّيل بمعنى وَاحـدٍ. وقـال بعضهم: سِجِّيـلٌ من أسْجَلتهُ أي أرْسَلْتَـهُ فكـأنهـا مُـرْسَلَةٌ عَلَيهْم. وقـال بعضهم من سِجِّيلٍ، من أسْجَلْتُ إذا أعْطيتُ، فجعله من السَّجْل وهو الدَّلْو.

قال الفَضْلُ بنُ عبَّاسٍ[1]:

من يُسـاجِلْنِي يسـاجِـلْ مـاجـداً يَمـلأُ الـدَّلـو إلَى عَقْـد الكَـربُ

وقيل من سِجِّيلٍ كقولك مما سُجِّلَ أي ممـا كتب لهم، وهذا القـول إذا فُسِّرَ فهُوَ أثبتها[2]. لأن في كتاب اللَّه تعالى دَلِيلاً عليه، قال ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿كلاَّ إنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ. وَمَا أدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ. كِتابٌ مَرْقُومٌ﴾[3].

= اللسان (سجل) «يضربون البيض عن عُرُض»، وفي (سجن) كما هنا، وقبله

فـإن فـينـا صَبُـوحـاً إن رأيـت بـه ركـبـا بهـيًّـا وآلافـاً ثَـمَـانـيـنَـا

فرجلة منصوب بالعطف على «ركبا» وابن مقبل هو تميم بن أبيّ بن مقبل شاعر مخضرم عاش نحو مائة وعشرين عاماً، وهو الذي هجا النجاشي الشاعر، وهجاه النجاشي بقوله:

إذا الـلَّه عـادى أهـل لـؤم ورقـة فجـازى بني العجـلان رهطِ ابنِ مُقْبِـلْ

فاستعدى عليه عمرَ بنَ الخطّاب.. وكان ابن مقبل يبكي أهل الجاهلية.

وانظر زهر الآداب جـ ١ ص ٥٥. وخزانة الأدب ٢١٤ والعمدة ٧٣.

(١) هو الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب. زعم أبـو الفرج أن عتبـة جد الفضـل هو الـذي قتله الأسد بدعـوة رسول اللَّه (ﷺ) عليـه، والذي دعـا عليه رسـول اللَّه هو عتيبـة، والفضل شـاعر إسلامي حسن الشعر كان آدم به سمرة ورثها عن جدته لأمه، ولهذا جاء قيل هذا البيت:

وأنـا الأخضر مـن يـعـرفـني أخضر الجـلدة مـن بـيـت الـعـرب

وهو يعني بالخضرة سواد أديمه. والمساجلة المفاخرة، والكـرب الخشبة تثبت بفم الـدلو، يـريد أنـه يبلغ الغاية في الكرم.

وانظر ترجمة الفضل بالأغاني ١٦ / ١٧٢ وبها البيت، أيضاً ص ١٧٨، والكامل ١ / ١١٣ (تجارية) واللسان (سجل)، والخزانة.

(٢) إذا صح أن فسر به فهو أقواها.

(٣) سورة المطففين الآية ٧ ـ ٩.

سِجِّيل في معنى سِجِّين. فالمعنى إنها حِجَارَةٌ مما كتب اللّه ـ جلّ ثناؤه ـ أنه يُعَذِّبُهُمْ بها.

وهذا أَحْسنُ ما مَرَّ فيها عِنْدِي.

فأمّا قوله: ﴿مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾.

فمعناه أن بعضها يأتي مَعَ بَعْضٍ كالمطرِ.

وأما ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾ فروي عن الحسن أنها مُعْلَمَةٌ ببياضٍ وحُمْرةٍ. وقال غيرُه: مُسَوَّمَةً بعَلامَةٍ يعلم بها أنها ليست مِنْ حِجَارةِ أهْلِ الدُّنيا، وتُعْلَم بسيماها أنها مما عذَّب اللَّهُ بها.

﴿وَمَاهِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

قِيلَ إنها ما هي من ظالمي هذه الأمة بِبَعِيدٍ.

﴿وإلى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعيْباً﴾.

المعنى أرسلْنا إلى أهل مَدين أَخَاهُمْ شُعَيْباً، فحذف أهل وأقام مَدْين مقامَه. ومَدْين اسمُ المَدينة أو القبيلة فلذلك لم ينصرف.

وقوله: ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ﴾.

ومعناه طاعة اللَّه ﴿خيرٌ لكُمْ إن كنتم مؤمنين﴾، ويجوز أَنْ يكون مَعْنَاهُ الحال التي تَبْقَى لكم من الخير خير لكم.

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ﴾.

ويقرأ: أَصَلَواتُك.

﴿تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾.

هذا دليل أنهم كانوا يعبدون غير اللَّه ـ جل وعزّ ـ

﴿أوأَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾.

المعنى إنا قَدْ تَرَاضَيْنا بالبخس فيما بَيْنَنَا. وفي التفسير أَنه نهاهم أن يَحْذِفُوا الدَّرَاهِمَ. (أي (أن) يكسروها)[1].

﴿إِنَّكَ لأَنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾.

قيل[2] كنى بِذَا عن أَنَّهُمْ قالوا له: إنك السَّفِيهُ الجاهِل، وقيل إِنَّهُمْ قالوا له هذا على وجه السُّخرِيِّ.

وقوله:﴿قال يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَني مِنْهُ رِزْقاً [حسنا]﴾.

وجواب الشرط ههنا متروك. المعنى إن كنت على بينةٍ مِنْ رَبِّي أَتَّبِعُ الضَّلاَلَ[3] فترك الجواب لعلم المخَاطَبينَ بالمعنى، وقد مرَّ ما تُرِكَ جَوَابُه لأنه مَعْلُومٌ وشرحُه في أمكنتِه.

وقوله:﴿وَرَزَقَنِي منه رِزْقاً حَسَناً﴾.

[أي] حَلالاً، وقيل: رزقاً حَسَناً ما وُفِّقَ لَه مِنَ الطَّاعَةِ.

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إلى ما أنهاكم عَنْهُ﴾.

أي لست أنهاكم عن شيء وأَدْخُلُ فيه، وإنما أختار لكم ما أختار لنفسي، ومعنى «مَا أُخَالِفُكَ إليه»، أي ما أقصد بخلافك القَصْدَ إلى أن أَرْتَكِبَهُ[4].

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾.

أي بقدر طاقَتِي، وَقَدْرُ طَاقَتِي إِبْلاَغُكم وإنذَارُكم، ولست قادراً على إجبَاركم على الطاعةِ. ثم قال:

---

(١) ليست في ط.

(٢) في ر قال بعضهم.

(٣) أي أأتبع الضلال. فهي جملة استفهامية.

(٤) ما أريد بمخالفتك مجرد المخالفة هذا الشيء.

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إلا بِاللَّهِ﴾.

فأَعْلَمَ أنه لا يقدر هو ولا غيرُه على الطاعـة إلَا بتوفيق اللَّه، ومعنى ﴿إليه أنيب﴾ إليه أرجع.

﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيَ أَنْ يُصِيبَكُمْ﴾.

مَوضع أَنْ نَصْبٌ، المعنى لا تكْسِبَنَّكُمْ عداوتكم إيَّايَ أَنْ يُصيبَكم عذابُ العاجلة ﴿مِثْلُ مَـا أَصَاب قَـوْمَ نوحٍ أَوْ قَـوْمَ هُودٍ أَوْ قَـوْمَ صَالِحٍ ، وَمَا قَـوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾.

وكان إهلاك قوم لوط أقربَ الإِهْلاَكات التي عرفـوها، فكـأنه قـال لهم: العظةُ في قوم لوط قريبةٌ مِنكم.

﴿قَالُوا يَـا شُعَيْبُ مَا نَفْقَـهُ كَثِيراً مِمَّـا تَقُولُ وإنَّـا لَنَـرَاكَ فِينَـا ضَعِيفاً﴾ ـ وكان ضريراً.

وحِمْيَـرُ تُسمِّي المكفوف ضعيفـاً، وهذا كمـا قيـل ضَـرِيـرٌ أي قـد ضُـرَّ بذهاب بَصَرِهِ، وكذلك قد كُفَّ عن التَّصَرُّفِ بذهاب بصره.

﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـاكَ﴾.

أي لـولا عشيرتـك لـرجمنـاك أي لَقَتَلْنـاك بـالـرَّجْم، والـرجم من سَيء القتـلات، وكان رهـطه من أهل مِلَّتِهِمْ فلذلـك أظهـروا الميـل إلَيْهِمْ والإكـرام لهم.

﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾.

أي أنتم تزعمون أنكم تتركون قَتْلِي إكـراماً لِـرهْطِي ـ واللَّه ـ جـل وعزَّ ـ أولى بأن يتبعَ أَمْرُه.

﴿واتَّخَذْتُمُوه وَرَاءَكـمَ ظِهْرِيًّا﴾.

أيْ نَبَذْتُموه وَرَاءَ ظهوركم، والعرب تقول لكلّ من لا يعبأ بأَمْرٍ قد جعل فلانٌ الأمر بظهره، قال الشاعر[1]:

تميم ابن قيس لا تكونن حاجتي ... بظهرٍ فلا يعيى عليَّ جوابها

وقوله ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿وأخَذَتِ الذين ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جاثِمينَ﴾.

يروى أَنَّ جبريلَ صَاحَ بِهِمْ صَيْحَةً فماتوا في أَمْكِنَتِهِمْ، فأصبحوا جاثمين لا يقدرون على حركة قَدْ مَاتوا.

﴿كأنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾.

كأن لم ينزلوا فيها، يقال: غَنِينَا بِالْمَكَانِ إذَا أنزَلْنَا بِهِ.

﴿ألَا بُعْداً لِمدْيَنَ﴾[2].

(١) هو الفرزدق، وقصة هذا الحادث كما رواها المبرد في كامله أن الحجاج ولى تميم بن زيد القيني السند، فدخل هذا البصرة وجعل يخرج من أهلها من شاء، وكان لامرأة عجوز بالبصرة ولد يسمى خُنيساً، فجاءت إلى الفرزدق بحصيات من قبر أبيه وقالت اني إستجرت بقبر أبيك، وقالت لا قرة لعيني ولا كاسب غير هذا الولد فكتب الفرزدق إلى تميم:

تميم زَيدٍ لا تكون حاجتي

وهب لي خنيساً واحتسب فيه منة ... لحاجة أم ما يسوغ شراً بها

أَتتْني فعاذت يا تميم بغالب ... وبالحفرة السافي عليها ترابها

ولم تكن الكتابة منقوطة فلم يعرف تميم اسمه خنيس أم حبيش ووجد في عسكره ستة أشخاص أسماؤهم بين خنيس وحبيش فوجه بهم إليه.

ورواية البيت ـ تميم بن زيد ـ لا ابن قيس كما هنا.

وانظر البيت في الكامل ١/٢٩١ (تجارية) وذيل الأمالي ٧٧ والأغاني ٢١/٣٥٥، ٣٥٦.

جاء في النسخة ط بعد هذه الآية: هذه العبارة.

ثم الجزء الثاني والحمد لله وصلواته على صفوته من خلقه محمد النبي وآله الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً.

(٢) من الآن فصاعداً يكون لدينا نسخة واحدة هي نسخة ـ ر ـ من المعهد البريطاني ـ ليس لدينا سواها ـ وفي آخرها تشويه نسأل الله تعالى أن يعيننا على التهدي لمعرفة ـ ما كتب فيه وهوامش

﴿أَلَا﴾ حرف يُبتدأ الكلام به، وهو تنبيه للمخاطب

ومعنى ﴿بُعْداً لِمَدْيَنَ﴾ أنهم قد بُعُدوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وهو منصوب على المصدر، المعنى أَبْعَدَهُم اللَّه فبعُدوا بعداً، ودليل ذلك: ﴿كما بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾.

ويجوز بَعَدَت وَبَعُدَتْ[1].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بآيَاتِنَا﴾.

أي بعلاماتنا التي تدل على صِحة نبوَّته.

﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾.

أي وحجة بَيِّنةٍ. والسُّلْطانُ إنما سُمِّيَ سُلْطَاناً لأنَّه حُجةُ اللَّه في أرْضِه. واشتقاق السلطان مِنَ السليط، والسليط ما يُضَاءُ بِهِ، ومن هذا قيلَ للزَّيْت سَليطٌ.

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ﴾.

مَلَؤُهُ أشرافُ قومِهِ، الَّذِينَ هم مِلاءٌ بالرَّأْيِ والمَقْدِرَة ﴿فاتبعوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾.

أي استحبُّوا العَمَى علىَ الهُدَى.

﴿يقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾.

يقال قَدَمْتُ القَوْم أقدُمُهُمْ قَدْماً وقُدُوما إذَا تَقَدَّمتُهُمْ. أَي يقدُمُهم إلى النَّارِ، ويدُل على ذلك قوله: ﴿فأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وبِئْسَ الوِرْدُ المَوْرُودُ﴾.

= هذه النسخة ـ مشحونة بتعليقات معظمها منقول من كتابي الكشاف، والنسفي ـ ولم يهتم كاتبها بالبحوث اللغوية ـ ويذكر على الهامش أحياناً كلمة نسخة وبجانبها تصحيح أو رواية ثانية ولكن هذه قليلة جداً وقد أثبتناها في أماكنها.

(١) بَعدَ يبعَدُ بمعنى هلك ومات فيكون دعاء عليهم بالهلاك كما هلكت ثمود.

وقوله :﴿بِئْسَ الرِّفْدُ المَرْفُودُ ﴾.

كل شيءٍ جعَلْتَه عَوْناً لِشَيْءٍ، وأسندتَ به شيئاً فقدْ رَفَدْتَه، يقال عمدتُ الحائِطَ وأسنَدْتُه ورَفَدْتَهُ بمعنى واحدٍ، والمِرْفَدُ القَدَح العظيم.

وقوله:﴿مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾.

أي من القُرى الّتي أُهْلِكَتْ قَائِمٌ قد بقيت حِيطَانُه، نحو قوله: ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾[1].

﴿وحَصِيد﴾ مخسوف به، وهي ما قَد انمحى أثَرُه.

وقوله:﴿وَمَازَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾.

معناه غير تخسير، ومنه قوله ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ أي خسِرَت.

وقوله: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ له النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ فأعلم اللَّه - عَزَّ وجلّ - أنه يحيي الخلق ويبعثهم في ذلك اليوم ويشهدوا به.

وقوله عزّ وجلّ :﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلَّا بِإِذْنِهِ﴾.

الذي يختاره النحويون: يوم يأتي لا تكلم نفس إلّا بإذنه. بإثبات الياء، والذي في المصحف وعليه القراء القراءات بكسر التاء [من غير ياء]. وهذيل تستعمل حذف هذه الياءات كثيراً، وقد ذكر سيبويه والخليل أن العربَ تقول لا أَدْرِ فتحذف الياء وتجتزي بالكسْرِ، إلّا أنّهم يزعمون أن ذلك لكثرة الاستعمال. والأجود في النحو إثبات الياء والذي أراه اتباع المصحف مع اجماع القراء، لأن القراءة سنة، وقد جاء مثله في كلام العرب.

وهذه الآية فيها سؤال أكثر ما يَسْأَلُ عنه أهل الالحاد في الدّين فيقولون لم قال: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلَّا بِإِذْنِهِ﴾، و﴿هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ. ولا

(١) سورة الحج الآية ٤٥.

يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[١]، وقال في مواضع من ذكر القيامة ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ﴾[٢]، وقال: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِها﴾[٣] وقال: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُون﴾[٤]، وقال ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾[٥].

ونحن نفسر هذا على ما قالت العلماء المتقدِّمون في اللغة المسلمون الصحيحو الإسلام:

قالوا: قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَسْؤولُونَ﴾: اللّه عالم بأعمالهم فَسُؤَالُهُم سؤالُ توبيخ وتقرير لإيجاب الحجة عليهم، وقوله: فيومئذ لا يسأل عن ذنبه أنس ولا جانّ أي لا يُسْأَلُ لِيُعْلَمَ ذلك منه، لأن اللّه قد علم أعمالهم قبل أن يعملوها. وكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿لا ينطقون﴾، أي لا ينطقون بحجة تجبُ لَهُم، وإنما يتكلمون بالإقرارِ بذُنُوبِهِمْ ولَوْمِ بعضهم بعضاً وطَرْحِ بَعضِهِم الذنوبَ على بعضٍ، فأما التكلم والنطق بحجَّة لهم فلا، وهذا كما تقول للذي يخاطبك كثيراً وخطابه فارغ من الحجة: ما تكلمت بشيء، وما نطقت بشيء فسمي من تكلم بما لا حجَّةَ له فيه، غير متكلم ـ كما قال عزّ وجلّ: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ فَهُمْ لَا يُبصِرونَ[٦] وهم يُبْصِرُون ويَسْمَعُونَ إلاَّ أَنَّهم في أَنَّهم لا يقبلون ولا يُفكِّرُونَ فيما يسمعون ولا يتأتلونَ، بمنزلة الصّمِّ، قال الشاعر[٧]:

---

(١) سورة المرسلات ٣٥، ٣٦.

(٢) سورة ن ٣٠.

(٣) سورة النحل / ١١١،.

(٤) سورة والصافات ٢٤.

(٥) الرحمن ٣٩.

(٦) سورة البقرة الآية ١٨﴿فهم لا يَرْجِعُون﴾.

(٧) تقدم.

أصــم عـمـا سـاءه سـمـيـع

فهذا قول حسن.

وقال قوم: ذلك اليوم طويل وله مواضع ومواطن ومواقف، في بعضها يُمْنَعُونَ من الكلام وفي بعضها يطلق لهم الكلامُ، فهذا يدل عليه ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ ـ وكلا القولين حسن جميل.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ من شديد الأنين وقبيحه، ﴿[وشهيق]﴾ والشهيق الأنين الشديد المرتفع جدًّا. وزعم أهل اللغة من البصريين والكوفيين أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار في النهيق، والشهيق بمنزلة آخر صوته في النهيق.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾.

فيها أربعة أقوال. قولان منها لأهل اللغة البصريين والكوفيين جميعاً.

قالوا: المعنى خالدين فيها إلا ما شاء ربك بمعنى سوى ما شاء ربُّك، كما تقول: لو كان معنا رجل إلَّا زَيْداً[١] أي رجل سوى زيدٍ ولك عندي ألف درهم سوى الألفين، وإلّا الألفين اللذين لك عِنْــدِي. فالمعنى على هذا خالدين فيها مقدار دوام السموات والأرض سوى ما شاء ربك من الخلود والزيادة كما قلت سوى الألفين اللتين[٢] عَليَّ.

وقالوا قولاً آخر: إلا ما شاء ربك وهو لا يشاء أن يخرجهم منها، كما تقول أنا أفعل كذا وكذا إلا أن أشاء غير ذلك ثم تقيمُ على ذلك الفعل وأنت قادر على غير ذلك، فتكون الفائدة في هذا الكلام أن لو شاء يخرجهم لَقَدَرَ، ولكنه قد أعلمنا أنهم خالدون أبداً.

---

(١) في الأصل إلا زيدٌ.

(٢) في الأصل الألفان التي وهو خطأ.

فهذان المذهبان[1] من مذاهب أهل اللغة.

وقولان آخران:

قال بعضهم إذا حُشِرُوا وبُعِثُوا فهم في شُروط القِيامَةِ فالاستثناء وقع من الخلود بمقدار موقفهم للحساب. والمعنى خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا مقدار موقفهم للمحاسَبةِ.

وفيها قول رابع: انّ الاستثناء وقع على أن لهم فيها زفيراً وشهيقاً إلاَّ ما شاء ربك من أنواع العذاب التي لم تُذْكر، وكذلك لأهل الجنَّة نعيمُ ما ذُكر[2] ولهم ما لم يذكر مما شاء ربُّك، ويدل عليه ـ واللَّه أعلم ـ عَطاءً غَيرَ مَجْذُوذٍ.

أي غير مقطوع. قَالَ النّابغةُ[3]

تجـذُّ السلوقي المضـاعَفَ نسجُه ... وتـوقدُ بـالصُّفَّاح نـارَ الحُباحِبِ

يصف السيوف وأنها تقطع الدُّرُوع

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ:﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾.

أي نوفيهم ما يصيبهم من خير أو شرٍّ

وقوله:﴿وَإِن كُلاًّ لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ [رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ]﴾.

قرئت بتشديد النون وتخفيفها، وقرئت «لَمَّا» بتخفيف الميم ولمَّا

---

(١) أي فهذان هما المذهبان اللذان تقدم ذكرهما.

(٢) نعيم الخلود الذي ذكر.

(٣) من قصيدته:

كـليني لهـم يـا أميـمـة نـاصـب ... وليـل أقـاسيـه بـطيء الكـواكب

وروايته المشهورة تقد، وتجذ وتقد بمعنى تقطع ـ يقول إن ضرباته تقطع الدروع وتقتل الفارس وتضرب بعد ذلك حجارة الأرض فتقدح بها ناراً كنار الحباحب، والحباحب حشرات طائرة يكون لأجنحتها لمعان كالنار وانظر القصيدة في الديوان من الستة والبيت في اللسان (سلق).

بتشديدها. فأما تشديد «إنّ» والنصب فعلى باب إنّ، وأما تخفيفها وترك النصب على حاله فلأن «أنّ» مشبهة بالفعل فإذا حذف منها التشديد بقي العمل على حاله، وأما تخفيف «لما» فهوالوجه والقياس، ولام لمّا لام «إنّ»[١] و «مَا» زَائدةٌ مؤكدة. لم تغيّر المعنى ولا العمل. وأمّا التشديد في «لَمّا» فزعم بعض النحويين أن معناه «لَمَنْ مَا» ثمّ انْقلبتْ النون ميماً فاجتمع ثلاث ميمات فحذفت إحداها[٢] ـ وهي الوسطى، فبقيت لمّا ـ وهذا القول ليس بشيء لأنّ «مَنْ» لا يجوز حذفها[٣]، لأنها اسم على حرفين، ولكن التشديد فيه قَوْلاَنِ أحدهما يروى عن المازني. زعم المازنيّ أن أصْلَها لَمَا ثم شددت الميم، وهذا القول ليس بشيء أيضاً. لأن الحروف نحو «رُبَّ» وما أشبهها تخفف، ولسنا نُثَقِّلُ ما كان على حرفين فهذا مُنْتَقِضٌ.

وقال بعضهم قولاً لا يجوز غيره ـ واللّه أعلم ـ أن «لمّا» في معنى: إلاَّ.. كما تقول سألتك لَمّا فعلت كذا وكذا. وَإلاَّ فعلت كذا. ومثلهُ: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[٤]. معناه «إلا» وتأويل اللام مع «إن» الخفيفة إنما هو تأويل الجُحد والتَّحقْيقِ، إلا أن «إنْ» إذا قلت إنْ زَيداً لَعَالمٌ هي «مَا» ولكن اللام دخلت عليها لئلا يُشْبِهَ المنفيُّ المثبتَ فتكون المشددة بدخول اللام عليها بمعنى المخففة إذَا دخلت عليها اللام. فعلى هذا جاءَتْ «أَنَّ» الناصبة. فجائز أن تكون «أنَّ» النَّاصِبَةُ مِنْ حيث دخلت عليها اللام كما دخلت على إن غير الناصبة دخلت عليها «لَمَّا» ودخلت عليها «إلاَّ» فصار الكلام في تخليص التحقيق له بمنزلة ما نفي عنه غير المذكور بعد «لما»، ووجب له ما بعد «لَمَّا»

---

(١) لام التوكيد التي تأتي بعد «إنْ» المخففة لتميزها عن «إن» النافية.

(٢) في الأصل إحداهما.

(٣) لا يجوز حذف شيء منها.

(٤) سورة الطارق الآية ٤.

فتقول على هذا الحدّ إن كلهم لَمَّا يُحبّني ـ معناه يؤول إلى معنى ما كلهم إلاّ يُحبُّني، وكذلك يجوز إنْ كلاًّ لما يُحِبُّني، بحذاء إنْ كُلاًّ لَما يُحِبُّني، فدخلت «لَمَّا» محقِّقَةً كما دخلت اللام محَقِّقةً وصار تأويل الجملة تأويل المنفي والمحقق.

وحكى سيبويه وجميع البصريين أن «لَمَّا» تستعمل بمعنى إلاّ. ويجوز إنّ كلا «لَمَّا»[1] لَيُوفينّهم، معناه وأن كُلاًّ لَيُوفِّيَنَّهم جَمْعاً. لأنَّ معنى اللَّمّ الجمع يقال لممت الشيء أَلُمُّهُ لماً إذا جَمَّعْته، فَأَمَّا قولهم: لَمَّ اللّه شَعَثَك، وفتأويله جمع اللّه لكِ ما يُذْهِبُ شَعَثَك.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَي النَّهار وزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ﴾ فَطَرفا النهار غُدُوُّه وعَشِيُّه، وصلاة طرفي النَّهارِ الغدَاة والظهر والعصرُ.

﴿وَزُلَفاَ مِنَ اللَّيل﴾.

ويجوز وزُلُفاً من الليل ـ بضم الزاي واللام ـ وهو منصوب على الظرف كما تقول حَيِّنا طَرفي النَّهارِ وأولَّ الليل ـ ومعنى زُلَفاً من الليل الصلاة القريبة من أول الليل، وزلَفاً جمع زُلْفة ، يعنى بالزلف من الليل المغرب وعشاء الآخرة.

﴿إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيئات﴾.

أي إن هذه الصلوات تكفِّر ما بينها من الذنوب. وهذا يُصَدِّقُ ما في الخبر مِنْ تكفير الصَّلَواتِ الذنوبَ.

والزُّلُف واحدٌ مثل الحُلُم. وجائز أنْ يكونَ جَمْعاً ـ على زَلِيف مِنَ الليل فيكون مثلَ القَرِيبِ والقُرُب، ولكن الزُّلَف أجودُ في الجمع. وما علمت أَنَّ زَليفاً يستعملُ في اللَّيْل.

---

(١) منونة.

وقوله: ﴿أُولُو بَقِيَّةٍ﴾.

معناه أولو تمييز، ويجوز أن يكون معناه «أولو» طاعة.

ومعنى البقية إذَا قلتَ فلانٌ في بَقِيةٍ، معناه[1] فيه فضل فيما يمدح به.

﴿إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾.

استثناء منقطع، المعنى لكنَّ قليلاً ممَّن أنجينا منهم ممن نهى عن الفساد.

﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾.

معناه اتبعوا الشيء الذي به تدوم لهم التُّرْفَةُ والنعيم، وركنوا إلى الدنيا فلم يقبلوا ما ينقص تُرْفَتَهُمْ في كسب أو عمل.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾.

يجوز أن يكون وَمَا كَانَ ربُّكَ ليهلك أحداً وهوَ يظلمهُ ـ كما قال: ﴿إِنَّ اللَّه لَا يَظْلِمُ النَّاس شَيْئاً﴾[2]. وجائز أن يكون معناه: وما كان ربك لِيهلِك القرى ـ ومعناه أهل القرى ـ بظلم وأهلها يتَعاطَوْن فيما بينهم بالنصفة.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾.

أي لو شاء لجمعهم على هدايته، كما قال ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهَ لَجَمَعَهُم عَلَى الهُدَى﴾[3].

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾.

«مَنْ» استثناء، على معنى: لكن من رحم ربك فإنه غير مخالف.

---

(١) في الأصل فمعناه، وحذفنا الفاء لتكون هذه الجملة هي الخبر عن معنى.

(٢) سورة يونس الآية ٤٤.

(٣) سورة الأنعام الآية ٣٥.

وقوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾.

أي خَلَقَهُمْ للسعادة والشقاء، فاختلافهم في الدّين يؤدي بهم إلى سعادة أو شَقَاء. وقيل: ولذلك خَلَقَهُمْ أي لرحمته خَلَقَهم، لقوله إلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ، والقوْلُ الأول يدل عليه.

﴿وتَمَّتْ كلمةُ رَبِّكَ لَأَمْلأَنَّ جهنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أجْمَعينَ﴾.

لأملأنَّ لَفْظُ القسمِ، أيْ فتمَّ قَولُه لأملأنّ جهنم[١]

﴿وَكُلًّا نَقصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ﴾.

«كُلًّا» منصوب بنَقُصُّ، المعنى وكلَّ الذي يُحتاجُ إليه من أنباء الرسل نقُصُّ عليْكَ. و «ما» منصوبة بدل من كل.

المعنى: نقص عليك ما نُثبتُ به فؤادك. ومعنى تَثْبِيْتُ الفؤادِ تسكين القلب، [وهو] ههنا ليس للشك، ولكن كلما كان الدّلالة والبرهان أكثر كان القلب أثبت كما قال إبراهيم: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمئِنَ قَلْبِي﴾[٢].

﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الحقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى للمُؤْمِنِينَ﴾.

يجوز أن يكون وجاءك في هذه السُّورة، لأن فيها أقاصيص الأنبياء ومواعظ وذكر مَا فِي الجنَّةِ والنَّارِ.

ويجوز أن يكون قوله: ﴿وجاءك في هذه الحق﴾.

أي في ذكري هذه الآيات التي ذُكِرَتْ قبل هذا الموضع.

أي جاءك الحق في أن الخَلقَ يُجَازَوْنَ بأنْصِبَائِهِمْ في قوله: ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصيبَهُمْ﴾، وَفِي قَوله: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾.

(١) أي لأملأن بدل من كلمة، أي تم ما أقسم الله عليه.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٦٠.

وقد جاءَهُ في القرآن كُلِّهِ الحقُّ، ولكنه ذكرها هنا توكيـداً، وليس إذا قيل قـد جاءك في هـذه الحق وجب أن يكون لم يـأتك الحق إلا في هـذه، ولكن بعض الحق أوكدُ من بَعضٍ في ظهوره عندنا وخفـائه علينـا، لا في عينه. إذَا قُلْتَ: فُـلانٌ في الحق وأنت تريـد أنه يجـود بنفسـه، فليس هـو في غيـر تلك الحـال في باطـل، ولكنه ذِكْـرُ الحقَّ ههنا أغنَى عَنْ ذكـر الموتِ لعـظمه وأنـه يحصل عنده على الحق.

سورة يوسف
مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الر تِلكَ آيَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ﴾.

المعنى هذه الآيات، تلك الآيات. ﴿المُبِينُ﴾ الذي وعدتم به في التوراة[1] كما قال: ﴿الم ذلك الكتاب﴾.

وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً﴾.

هذه الهاء تصلح لشيئين، أحدهما أن تكون للكتاب، المعنى إنا أنزلنا الكتاب قرآناً عربياً. ومعنى «قُرْآن» مجموع[2]، ويجوز أن يكون إنّا أَنْزَلْنَاهُ أي أنزلنا خَبَرَ يُوسُفَ وقِصَّتَهُ.

ويروى أن علماءَ اليهود قالوا لِكُبَراءِ المُشْرِكِين: سَلُوا محمداً لم انتقل آلُ يعقوبَ من الشَّام إلى مصر، وعن قصة يُوسُفَ فقال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا إِنْزَلْنَاهُ قُرآناً عَرَبِيًّا﴾.

ودليل هذا القول قولُه ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آياتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾.

وقوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ﴾.

---

(١) أي الكتاب المبين الحجة والدلالة الذي وُعِدْتم به.

(٢) تقدم شرح قرآن في الجزء الأول.

أي نبين لك أحْسَن البَيَانِ[1] والقاصَّ الذي يأتي بالقِصَّةِ على حقيقتها.

﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا القُرآنَ﴾.

أي بِوَحْيِنَا[2] إِلَيْكَ هذا القرآنَ. القراءةُ نصبُ القرآنِ ويجوز الجرُّ والرَّفْعُ جميعاً، ولا أعلم أحداً قَرأَ بهما. فأما الجرُّ فعلى البدل من قوله: ﴿بِمَا أوحينا إليك﴾، فيكون المعنى نحن نقص عليك أحسن القصص بهذا القرآن، ولا تَقْرأَنَّ بها. والرفع على ترجمة[3] مَا أَوْحَيْنا إليك، كأن قَائِلًا قال: ما هو؟ وما هذا فقيل هذا القرآن، ولا تقرأن بها أيضاً.

﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الغَافِلِينَ﴾.

أي من الغافلين عن قصة يوسف وإخوته، لأنهُ عليه السلام إنما عَلِمَ ذلك بالوحي.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ﴾.

يجوز أن يكون موضع «إذْ» نَصْباً[4]. المعنى نَقُصُّ عليك إذْ قال يوسف لأبيه ويجوز أن يكون على معنى اذكر إذ قال يوسف لأبيه.

﴿يا أَبَتِ إنّي﴾.

في قوله: ﴿يَا أَبتِ إنّي﴾ قراءتان: يَا أَبَتِ إِنّي، ويَا أَبَتَ إني - بالخفض والنصب[5]. وأجاز بعض أهل العربية يا أبةُ إنّي.

فمن قرأ ﴿يا أَبتِ إني﴾ - بكسر التاء - فعلى الإضافة إلى نفسه وحذف الياء، لأنّ ياء الإضافةِ تحذف في النداء، وقد ذُكِرَ ذَلِكَ فيما سلف من

---

(١) القصص مصدر، بمعنى الحديث والرواية.

(٢) «ما» إذن مَصْدرية.

(٣) أي على توضيحه وبيانه - فهي جملة مستأنفة مبتدأ وخبر.

(٤) هي نصب على أي حال والاختلاف في تقدير العامل.

(٥) في تاء «أبت».

الكتاب، وأما إدْخَالُ التَّأنِيثِ في الأب فإنما دخلت في النداء خاصة، والمذكر قد سمّي باسمٍ لِمؤنَثٍ فِيه عَلاَمَةُ التَّأْنِيثِ، وَيُوصَفُ بما فيه هاء التـأنيث. فأمـا المذكر الذي يسمى بِمُؤنَّثٍ فقولهم عين ونفس يراد به الـرجل[١]، وأمـا الصِّفة فقولهم غلام يَفَعَةٌ[٢]، ورَجُل رَبْعَةٌ[٣]. والتاء كثرت ولزمت في الأب عوضاً من تاء الإضافة. والوقف عليها يا أَبَهْ وإن كانت في المصحف بالتاء، وزعم الفراء أنك إذا كسرت وقفت بالتاء لا غير، وإذا فتحت وقفت بالتاء والهاء،

وَلاَ فرق بين الكسر والفتح[٤].

وزعم قـطرب أن الفتح على جهـات إحْـداهـا[٥] أنـك أردت يـا أبـةً ثم حذفت التَّنْوينَ، وعلى يَا أَبَتاه[٦] وَعَلَى قول ٍ قولُ الطرماح[٧].

يـا دارَ أقـوت بعـدَ أَصْـرَامهـا عاماً ومـا يَعْنِيكَ مِنْ عَـامِهـا[٨]

وهـذا الـذي قـالـه قـطرب خـطأ كله. التنـوين لا يحـذف من المنـادى

(١) يسمّى الرجل بذلك ـ أو يوصف به مثل رجل عين، أي جاسوس.

(٢) ناشىء حديث.

(٣) لا بالطويل ولا بالقصير.

(٤) أي الفراء مخطىء في هذه التفرقة.

(٥) في الأصل أحدهما.

(٦) نادى «يَا أبتاه» فحذف الهاء.

(٧) الطرماح بن حكيم بن الحكم من طيىء شاعر إسلامي فحل، ولـد ونشأ بـالشام، ثم انتقـل إلى الكوفة فكان معلماً وخارجياً من الشراة، وكان متصلاً بخـالد بن عبـد اللّه القسري، وكـان خالـد يكرمه ويستجيد شعره، وكان من أصدقاء الكميت لا يكادان يفترقان ـ والكميت شيعي والطرماح خارجي ـ وهو من الهجائين والشجعان. قيل لو تقدمت أيامه قليلاً لفضل علي جرير والفرزدق. انـظر الأغـاني ٤١٨/١٠ (بـولاق)، والبيـان والتبيـين ٢٧/١، والخـزانـة ٤١٨/٣، وانـظر شـرح التبريزي على الحماسة ٢٢٥/١. ت محمد محيي الدين، وسيبويه ٢٠١/٢.

(٨) الأصرام بفتح الهمزة جمع صِرْم ـ بكسر أوله ـ وهو الفرقة والجماعة من الناس ـ أي أقفرت بعد أن كانت مأهولة ـ وروايـة اللسان (صـرم): «وما يبكيـك» ثم يقول: ومـا الذي يعنيني أو يبكيني من شأنها ـ ينكر على نفسه هذا العمل، أي انه خليق أن يتصرف إلى شيء أهم.

المنصوب، لأن النصب إعرابُ المنادى، ولا يجوز معرَبٌ منصرف غير منون في حال النصب[1] وأما قوله: يا دارَ أقوت، بنصب الدَّارِ فلم يَرْوِه أَحَدٌ من أصحابنا ولا أعْرِفُ له وجهاً. أنشد سيبويه والخليل وجميع البصريين يَا دَارُ أقْوتْ، بضَم الراء، وأما يا أبتاه، فَالنُّدبة ههنا لا معنى لها.

ولكنَّ الفَتْحَ يجوزُ على أنَّه أبْدَلَ من تَاء الإضافة ألفاً ثم حذف الألف وبقيت الفتحة، كما تحذف بالإضافة[2].

وَأَمَّا «يَا أبةُ إني» بالرفع فلا يجوز إلّا على ضعف، لأن الهاء ههنا جعلت بدلاً من ياء الإضافة.

﴿إنِّي رَأيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً﴾.

القراءة بفتح العين وفتح جميع الحروف في أَحَدَ عَشَر. وقد روي بتسكين العين في القراءة: «أَحَدَ عْشَرَ كوكَباً» قرأ بها بَعْضُ أهلِ المدينة وهي غير منكرة مَا كَانَ قبل العين حرف متحرك لكثرة الحركات في قوله أحد عَشَر فأما اثنا عَشَر فلا يجوز فيها الإسكان في العين. وقد رويت لغة أخرى [وهي] أحد اعْشَرَ وهذه الرواية في الرداءة وتَرْكِ الاستعمال بمنزلة الحمدِ للَّه، لا يلتفت إليها.

فأما التسكين في العين[3] فقراءة صحيحة كثيرة ولكنَّ سيبويه والخليلَ وجميعَ أصحابهم لا يجيزون إلّا فتح العين، إلّا أنَّ قُطْرُباً قد روى إسكان العين ورواه الفراء أيضاً، وقد قُرِئَ به. فأما ما لا اختلاف فيه ففتح العين.

و ﴿كوكباً﴾ منصوب على التمييز.

---

(١) لا يجوز حذف التنوين من الاسم المنصرف.

(٢) الأصل يا دارا بمعنى يا داري.

(٣) العين من عَشَرَ وهي الشّين.

﴿والشَّمْسَ والْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾.

فكرر رأيتهم توكيداً، المعنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقَمَرَ لِي سَاجِدين فكرر «رأيتهم» لَمَّا طال الكلام.

فأمّا قوله ﴿سَاجِدِينَ﴾ فحقيقته[1] فِعْلُ كُلِّ ما يعقل، وجَمعُه وجمعُ ضميرَه بالواو والنون في الرفع، والياء والنون في النصب والجر. فإذا وصف غير الناس والملائكة بأنه يعبد ويتكلم فقد دخل في المُمَيِّزين وصار الإِخْبَارُ عنه كالإِخبَارِ عنهم.

فمن ذلك قوله: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يا ايُّها النَّمْل ادْخلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾[2] وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَه كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾[3] وقال: ﴿وَكلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُون﴾[4].

فَالوَاوُ والنّونُ دَخَلَتَا لِمَا وَصَفْنَا مِنْ دخولهم في التمييز[5]، والألف والتاء والنون لكل مؤنث ولكل مَوَاتٍ لا يَعقل غَيْرِ المميزين، فإذا جَعَلَ اللَّه عزّ وجلّ غير المميزة كالمميزَةِ فكذلك تكون أفعالُها والأَنْباء عنها.

وقوله:﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾.

معناه يختارك ويصطفيك، وهو مشتق مِنْ جَبَيْتَ الشَّيءَ إِذَا حَصَّلْتَه لنفسِكَ، ومنه جَبَيْتُ الماءَ في الحوض. وموضع الكاف في قوله «كذَلِكَ» نصبٌ، المعنى ومثلَ ما رأيتَ تأويلَه، ﴿يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل

---

(١) حقيقة السجود.

(٢) سورة النمل الآية ١٨.

(٣) سورة الأنبياء الآية ٦٣.

(٤) سورة يس الآية ٤٠، وسورة الأنبياء ٣٣.

(٥) دخول هذه الأصناف غير المميزة في جنس الأصناف المميزة حيث أسند إليها فعلهم. والأولى أن يقول: «من دخولها».

الأحـاديث﴾ قيل يعلمك تأويل الرؤيـا وقيـل يعلمـك تـأويـل أحـادِيثِ الأنبيـاء والأَمَمِ ، يعني الكتب وكلاهما جائز ـ واللَّه أعلم ـ.

﴿وَيُتِمُّ نعمَتَه عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَـا أَتَمَّهَـا عَلَى أَبَـوَيْـكَ مِنْ قَبْـلُ إِبْرَاهِيمَ وإِسْحَقَ ﴾.

المعنى يتمهـا كما أتمهـا على أبويـك، فقد فَسَّـر لَـهُ يَعْقـوبُ الـرؤيـا، والتأويل أنه لما قال له إني رأيت أحد عشر كـوكباً والشَّمْس والقَمَـرَ رَأَيْتُهم لي سَاجِدين، فتأَوَّلَ الأحَدَ عَشَـرَ كوكبـاً أَحَدَ عَشَـرَ نفْساً لَهُمْ فَضْـلٌ وأَنهم يُسْتَضَاءُ بهمْ، لأَنَّ الكَـواكِبِ لَا شَيْءَ أَضْـواُ مِنْهَـا وبهـا يُهْتَـدَىَ. قـال اللَّه جـلّ وعـزّ: ﴿وبالنَّجْمُ هُمْ يَهتَدُونَ﴾[1] . فتأول الشَمسَ والقَمَرَ أَبَـوَيْه. فـالقمرُ الأبُ والشمسُ الأُمُّ والأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً إِخْوَتُه، فتـأوّل له أنـه يكون نَبِيًّـا، وأن إخوتـه يكونـون أنبيـاء لأنه أعْلَمَـهُ أن اللَّه يُتمُّ بنعمتَه عَلَيْـه وَعَلَى إِخْوَتِـه كما أَتَمّهـا على أَبَوَيْـهِ إبراهيمَ وإسحاقَ فإتمام النِّعمَةِ عَلَيْهِم أن يكونوا أَنْبِيَاءَ، إذ قال: ﴿كمَا أتمها عَلَى أبويكَ مِنْ قَبْلُ إبرَاهيمَ وإسحَقَ﴾.

وقوله: ﴿لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾.

الرؤيا فيها أربعُ لغاتٍ. رُؤْيَا بالهمز، ورُوْيا بالواو بلا همز، وهاتـان يُقْرأُ بِهمَا. ورُيّـاك بالإدغامِ ، ورِيَّاك بكسر الرّاء ـ وَلَا تَقْرأُ بِهَاتَيْنِ.

ويـوسف فيه لغتـان، يوسُفُ بضم السِّينِ ويـوسف بكسر السِّينِ وكـذلك يُونُس، ويُونِس. وحَكَوْا يُونَسَ بفتح النُّونِ، حكاها قطرب وهي شاذَّة.

وقوله عز وجل: ﴿آيَاتَ لِلسَّائِلِينَ﴾.

وَقُـرِئَتْ آيـةٌ. ومعنـاه عِبْـرَةٌ، وقَـدْ رُويت في غيـر هـذا المصحف عِبْـرَةٌ للسـائلين، وهذا معنى الآيـة. ويجوز أن تكـون «آيةٌ» بَصِيـراً للسـائلين الـذين

---

(١) سورة النحل الاية ١٦.

سألوا النبي ﷺ فَأَنْباهُم بقصَّةِ يُوسُفَ. وهو عنها غافل لم يقْرأ كتاباً ولم يأته إلاّ من جهة الوحي جَوَاباً لهم حين سألوه.

وقوله: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسَفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحن عُصْبَةٌ﴾ أي إنّ أَبَانَا قَدَّمَ اثنين صَغِيرَيْن في المَحبَّةِ عَلَيْنا، ونحن عُصْبَةٌ، أي جماعةٌ نفعنا أكثر من نفع هذين.

﴿إِنَّ أَبانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾.

هذا موضع ينبغي أن يُتَفَهَّم، إنما عَنَوْا أن أبَاهُمْ ضَالٌّ في محبَّة هذين ولَوْ وَصَفُوه بالضلالة في الدين كانوا كُفَّاراً. والعُصْبَةُ في كلام العرب العَشِيرةُ ونحوهم.

وقوله عز وجل: ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ﴾.

أي تَتُوبونَ من بعد قتله.

وقوله: ﴿أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً﴾.

معناه ـ واللّه أعلم ـ أرضاً يَبْعدُ بها عن أَبِيه لأنَّه لن يَخْلُوَ مِن أَنْ يكونَ في أرضٍ.

قوله: ﴿يَخْلُ لَكُم وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾.

يدل على أنَّهم تآمروا في أن يَطْرحُوه في أَرض لا يَقْدِرُ عليه فيها أبوه[١] وأرضاً منصوب على إسقاط في وإفْضَاءِ الفِعْل إليها، لأن أَرْضاً لَيْسَتْ من الظروف المبْهمة.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لاَ تَقْتُلُوا يُوسُفَ وأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الجُبِّ﴾.

الغيابَةُ كلُّ مَا غَابَ أَو غَيَّبَ عَنْكَ شيئاً، قال المنخل[٢].

(١) لا يقدر على إرجاعه أو الوصول إليه.

(٢) هو المنخل بن سُبَيْع بن معاوية، روى له الآمدي في المؤتلف أبياتاً قالها في أخويه حين هاجرا من =

وإن أنــا يَــوْمــاً غـيبـتنـي منـيَّـتِـي فسيري بسيري في العشيرة والأَصْلِ

والجب البئر التي ليست بمطويَّـةٍ، وسُمّيتْ جُبًّا من أنهـا قُطِعَتْ قَـطْعاً، ولم يحدث فيها غير القطع، مِنْ طيٍّ وما أشْبَهَهَ.

وروَوْا أن اسم الــذي أشــارَ عَليهم بِــأَلَّا يَقْــتُلوهُ يَهُــوذَا، وَكــانَ مِـنْ أَشَدّهم[1].

﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾.

هذا أكثر القراءة ـ باليا ـ وقرأ الحسن تلتقـطه بالتـاء، وأجاز ذلـك جميع النحـويين، وزعموا أن ذلـك إنما جـاز لأن بعض السّيارة سيَّـارةٌ، فكأنـه قال: تلتقطه سَيَّارةُ بعض السَّيارَةِ، وأنشدوا:

وتشرقُ بالقول الذي قد أذعَتَهُ كما شرِقتْ صدرُ القناة من الدم[2].

وقوله عز وجل: ﴿مَالَكَ لَا تَأْمَنُنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾.

قـرئت على أربعـة أوجُــهٍ، على إشْمَـامِ الميم الضَّمَّ[3] ـ تأمنُنَّا، وعلى الإدغام وترك الإشمام، ﴿تأمَنَّا﴾، وقرئت ﴿تأمَنُنا﴾ بنونَين وضمة بينهُما، وقرأ يحيى ابن وَثَّـابٍ تِيْمَنَّا. وقـراءة يحيى تخالف المصحفَ، وهـي في العَـرَبيَّـةِ جَـائـزةٌ بكسـر التاء في كـل ما مـاضيـه على فَعِـلَ نحـو أَمِنَ ـ يـا هـذا ـ والإدغـام لأن الحرفين من جنسٍ واحدٍ

= حِلّتِه، وهو غير المُنخل اليَشْكُري، وهما غير المتَخَنّل الهذلي والسعدي، انظر المؤتلف ٢٧١، ٢٧٢، والبيت في شواهد الكشاف ٩٦، والقرطبي ١٣٢/٩، ومجاز أبي عبيدة ٣٠٢/١.

(١) يهوذا الابن الرابع ليعقوب، وإليه ينتسب اليهود.

(٢) البيت للأعشى، وشرق بـالقول غص بـه؛ كما يغص الشارب بالماء، وشبهه بـالقناة التي يتلوث صـدرها بـالدَّم. ولا يجف لتـوالي الضرب. انـظر الديـوان ٩٤، وشواهد المغني ٢٩٨، واللسان (شرق). والشاهد فيه تأنيث تشرق وفاعله صدر مؤنث.

(٣) لعله إشمام النون.

والإشمام يدل على الضَّمَّة المحذوفة، وترك الإشمام جَيِّدٌ، لأن الميم مفتوحةٌ فلا تُغَيَّر، والإظهار في ﴿تأمَنُنَا﴾ جيِّدٌ، لأن النونين من كلمتين.

وقوله - عز وجل -: ﴿غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾.

بالياء، وقرئت نرتع ونلعب [بالنون] وَقُرِئَتْ يُرْتَعْ ويُلْعَبْ - بضم الياء - وقرئت نَرْتَع ونَلْعَبْ. فجَزْمُ هذه القراءاتِ. كُلِّها على جواب الأمر، المعنى أَرْسِلْهُ إنْ ترسله يرتِعْ، وكذلك يُرْتَع، وكذلك يَرْتَع ويَلْعَبْ - بكسر العين -، وكسر العين من الرَّعْي، المعنى يَرْتَعِي وَيَلْعَبْ، كأنهم قالوا يرعى ماشيتَهُ ويَلْعَبْ، فيجتمع النَّفْعُ والسُّرورُ[1]، ويَرْتَعُ من الرَّتْعَة، أي يتَّسع في الخِصْب، وكل مُخْصِبٍ فَهُوَ رَاتِع.

وقوله: ﴿وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الجُبِّ﴾.

وقرئت غيابات الجُبِّ، وقد فسرنا الجُبَّ.

وجاء في التفسير أنّها بئر بَيْتِ المَقْدِس.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

هذا جائز أن يكون من صلة لَتُنَبِّئَنَّهُمْ وهم لا يشعرون، وجائز أن يكون من صلة «وأوحينا» - المعنى: وأوحينا إليه وهم لَا يشعرون - أي أنبأناه بالوحي وهم لا يشعرون أنه نبي قد أُوحي إليه.

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً﴾.

﴿عشاء﴾ منصوب على الظرف.

﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾.

وقِيلَ نَنْتَضِلُ[2]

---

(١) الكوفيون ونافع يقرأون (يرتع ويلعب بالياء فيهما) والباقون بالنون.

(٢) نستبق نتبارى في الجري، وننتضل نتبارى في الرَّمْيُ.

﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾.

أي بمصدّق لَنَا.

﴿وَلَوْ كنا صَادِقِينَ﴾.

ليس يُريدون أنّ يَعْقوبَ ـ عليه السلام ـ لا يُصَدِّقُ من يَعْلَمُ أَنَّه صادق، هذا مُحالٌ، لاَ يُوصَفُ الأنْبياءُ بذلـك، ولكن المعنى: لو كنـا عندك من أهـل الثِّقَةِ والصِّدْق لاتَّهمتَنا فِي يُوسُفَ لمحبَّتِكَ إيَّاهُ، وظننت أنا قد كَذَبْنَاكَ.

وقوله: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾.

يـروى أنهم ـ رحمةُ اللَّه عَلَيْهِم ـ لمَّـا طَرَحُـوا يُـوسُفَ عليـه السـلام في الجُبِّ أَخَذُوا قميصَه وذَبَحوا جَدْياً فلطَّخوا القميصَ بدم الجَدْي، وقيل سخْلَة. والمعنى واحد، فلما رأى يعقوب (ﷺ) القميصَ قال: كَذَبْتُم، لو أكله الـذئبُ لخَرَّقَ قمِيصَهُ. وقيل إنه قال إنْ كَان هَذا الذئبُ لَحَلِيمـاً، أشْفَقَ على القميص فلم يمـزِّقْهُ، وأكَـل ابني فالـدَّمُ دمٌ كذِبٌ، أَيْ ذُو كـذِبٍ، والمعنى دم مكذوب فيه.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾.

أي بل زَيَّنَتْ أنفسُكم أَمْراً في قِصَّةِ يُوسُفَ.

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾.

معناه صبر لا جَزَعَ فيه ولاَ شَكْوى إلى النَّاسِ. وصبر جميل مرفوع على ضربَيْنِ، المعنى فشأني صَبْر جَميلٌ، والـذي أعتقده صبـرٌ جميل، ويجـوز أن يكون عَلَى «فصَبْرِي صبـرٌ جَميلٌ» وهـذا لفظ قُطْربُ: فَصَبْـري صَبرٌ جَميـلٌ. والأول مـذهب الخليل وجميـع أصحـابـه[1]، ويجـوز في غيـر القـرآن فصَبْـراً جميلاً، وأنشدوا في الرفع:

---

(١) يقدرون المبتدأ عاما وقطرب يقدره من جنس الخبر

تشكــو إلى جمـلي طــول السُّــرى   يــا جـملي لـيس إليَّ الـمـشـتـكـى
صبــرٌ جميــلٌ فـكلانــا مبتــلـى[1]

وصَبراً جميلاً منصوب على مثل «فاصْبِر صبراً جميلاً».

وقوله: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾.

الوارد الذي يرد الماء ليسقي للقوم.

﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾.

يقال: أَدْلَيْتَ الدَّلْوَ إذَا أرْسلتَها لتملأها، وَدَلَوْتَها إذَا أخرجْتَها.

﴿قَالَ يَا بُشْرَايَ﴾.

بألف وياء مفتوحة، وقرئت يا بُشْريَّ، وقد فسـرناهـا في قوله: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾[2]، وتفسيرهـا أن ياء الإضـافـة تغيِّـر مـا قبلهـا ولا يُـبَيَّـنُ معهـا الإعراب، فإذا كان قبلها ألف فـالاختيار أَلّا تغيِّـر الألف، وبعض العرب يبـدل الألف معها ياء، فيكون بدَلَها بمنزلة تغيير الحـروف قبلها، وقـرئت: ﴿يا بُشْرَىْ هَذَا غلامٌ﴾، بغير ياء[3].

ومعنى النداء في هذه الأشياء التي لا تجيب ولا تعقل إنما هو على تنبيه المخاطبين، وتوكيد القصّةِ. إذا قلتَ يـا عجَباهُ فكـأنك قلت: اعجبـوا ويا أيها العجبُ هذا مِنْ حِينِكَ. وكذلك إذَا قال يا بُشراي فكأنه قال: أبشـروا، وكأنـه قال يا أيتها البشرى هذا من إِبَّانِكِ وأوَانِكِ.

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿وَأَسَرُّوه بِضَاعَةً﴾.

لَمَّا وجَدُوهُ أحبوا أَنْ لَا يُعْلَم بأنه مَوجُودٌ، وأَن يُوهِمُوا أنّه بضـاعةٌ دفعهَـا

---

(١) لا يعرف قائله، والشعر في اللسان (شكا) والقرطبي ٩/١٥٣، والشـطر الأول والثالث في كتـاب سيبويه ١/٣٢١، ومعاني الفراء٢/٢٥٤، ١٥٦. وفي شواهد الكشاف: شكا إلى جَمَلي.

(٢) سورة البقرة ٣٨، وانظر في الجزء الأول.

(٣) هكذا ـ ويبدو أن صحته بغير ألف.

إليهم أهل الماء، وبضاعة منصوب على الحال، كأنه قال: وأَسَرُّوه جَاعِلِيه بضاعةً.

وقوله: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾.

قيل بخسٍ: ظلم، لأن الانسانَ الموجود(١) لا يحل بيعُه، وقيل: بخسٍ نقصان، وأكثر التفسير على أن بخساً ظلماً.

وجاء في التفسير أنه بيع بعشرين درهماً، وقيلَ باثنَيْن وَعِشرينَ دِرْهماً أخذ كل واحد من إخوته درهمين، وقيل بأربعين درهماً، ورُوِيَ كُلُّ ذَلكَ.

وقوله: ﴿وَكَانُوا فِيه منَ الزَّاهِدِينَ﴾.

«فيه» ليست بصلة الزاهدين، المعنى: وكانوا من الزاهدينَ ثم بيَّنَ في أي شيء زهدوا. فكأنه قال: زهدوا فيه(٢)، وهذا في الظروف جائز، فأما المفعولات فلا يجوز فيها، لا يجوز كنت زيداً من الضاربين، لأن زيداً من صلةِ الضاربين فلا يتقدم الموصول صلته.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾.

مصر مفتوحة في موضع الجر إلَّا أنَّها لا تَنْصَرِفُ، لأنها اسم والمدينة بعينها(٣)، وهي معرفة

﴿لامْرَأَتِهِ أَكْرِمي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنا﴾.

﴿مَثْوَاهُ﴾: مُقَامُه. المعنى أحسني إليه في طول مُقامِه عنْدَنَا.

ويروى أن أَفْرَسَ الناس ثلاثة، وأن أجودهم فراسة العزيز في فراسته في

---

(١) الملتقط أو الضال عن أهل.

(٢) أل في الزاهدين موصولة، والزاهدين صلة، ولا يجوز أن يتقدم معمول الصلة على الاسم الموصول، لكن الظرف والجار يجوز تقديمها والتضارب في كلامه واضح.

(٣) ولكنه مثلث ساكن الوسط فيجوز فبه الأمران.

يوسف، وابنة شعيب في فراستها في موسى حين قالت: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ﴾(١) وأبو بكر في تَوْليتهِ عمرَ الخلافة بعدَهُ.

وقوله:﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾.

أي ومثل الذي وصفنا مَكَّنَّا ليوسف في الأرضِ.

﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾.

جائزان يكون تأويل الرُّؤْيَا، وأن يَكُونَ تأويل أحاديثِ الأَنْبِيَاءِ.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾.

الأَشُدّ من نحو سبع عشرة سنة إلى نحو الأربعين، آتيناه حُكْماً وعِلْماً، أي جَعَلْنَاه حَكيماً عَالِماً، ولَيْس كلُّ عالمٍ حَكِيماً. الحكيم العالِمُ المستعمِلُ علمَه، الممتنع من استعمال ما يُجَهَّلُ فيه(٢)،

وأصل أَحْكَمْتُ في اللُّغَةِ مَنَعْتُ، ومن هذا حَكَمَةُ الدَّابَّةِ، لأن الفارس يمنع بها الدابَّةَ من إرادَتِها.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ﴾.

أي ومثل مَا وَصَفْنَا من تعليم يُوسُفَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ.

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾.

المعنى أنها رَاوَدْته عما أرادَتْهُ ممَّا يُرِيدُ النساءُ من الرِّجَالِ، فَعُلِمَ بِتَرْكِهِ ذكرَ الفَاحِشَةِ نفسها ما راودته عليه(٣).

﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾.

المعنى هَلُمَّ لَكَ، أي أَقْبِل إلى مَا أَدعُوكَ إليْهِ.

(١) سورة القصص الآية ٢٦.

(٢) ما ينسب بسببه إلى الجهل.

(٣) مفعول راودته محذوف، ولكن المقام يفيد أنها راودته على ارتكاب الفاحشة.

وفي ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ لُغَاتٌ: يجوز هَيْتُ لك، وهَيْتِ. وأَجْودها وأكثرها هيتَ ـ بفتح التاء ـ ورُوِيَتْ عن علي صلوات اللّه عليه: هِيتِ لَكَ فأما الفتحُ مع فتح التاء والهاء، فهو أكثر كلام العرب، قال الشاعر:(١).

أبلغ أمير المؤمنين ـ أخا العِراقِ ـ إذا أَتَيْتَا
أنَّ العِراقَ وأهْلَهُ عُنُقٌ إليكَ فهيْتَ هَيْتَا

أي فأقبل وتعالَ.

وحكى قطرب أنه أنشده بعض أهل الحجاز لطرفة بن العبد:

ليس قومي بالأبعدين إذا ما قال داعٍ من العشيرةِ هَيْتُ
هم يُجيبونَ ذا هَلُمَّ سِرَاعاً كالأبَابِيلِ لا يُغَادَرُ بَيْتُ(٢)

رُوِيَتْ عن ابن عباسٍ هِئْتُ لَكَ مهموزةً مكسورة الهاء، من الهَيْئةِ كأنها قالت تَهَيَّأْتُ لك، فأما الفتح في «هيْتَ» فلأنها بمنزلة الأصوات، ليس منها فعلٌ يتصرَّفُ ففُتحت التاءُ لسكونها وسكون الياء، واختير الفتح لأن قبل التا ياءً كما قالوا: كَيْفَ وأيْنَ، ومن قال هيتِ لك ـ بكسر التاء، فلأن أصل التقاء الساكنين حركة الكسر، ومن قال: هَيتُ ضمها لأنها في معنى الغاياتِ، كأنها قالت: دُعائي لك، ولما حذفت الإضافةُ وتضمنتْ معناها بُنيتْ على الضَّم كما بُنيتْ حَيْثُ ومُنْذُ يا هذا. وَقِراءةُ عَلِيٍّ «هِئْتُ لك» بمنزلة هيتَ والحجة فيها كالحجة فيها مفتوحة(٣).

(١) مما وجه إلى علي بن أبي طالب استحثاثاً له أن يسرع نحو العراق ـ ولم يعين قائله وعنق إليك مائلون إليك ومنتظروك. ويمكن أن تفتح في أن العراق على أنها مفعول أبلغ، ويجوز أن تكسر على أنها جملة مستقلة هي التي تنقل إلى علي ـ والبيتان في اللسان «هيت»، والقرطبي ٩/١٦٤، ومجاز أبي عبيدة ٢/٣٠٥، وابن يعيش ٤/٣٢، والبيت الثاني في معاني الفراء ٢/٤٠ وروايته فيه وفي اللسان ـ سلم إليك.

(٢) أنشد ثعلب هذا البيت الأخير للسموأل بن عاديا، وجاء قبله:

رب شتم سمعته وتصاممت وغيٍّ تركته فكفيت

(٣) الحركة فيها للتخلص من التقاء الساكنين، والكسر أصل في التخلص والفتح لتكون على وزن كيف.

ثم قال: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾.

مصدرٌ، المعنى أعوذُ باللَّهِ أَنْ أَفْعَلَ هَذا، تَقُولُ: عُذْتُ عِياذاً ومَعَاذاً.

﴿إِنَّه رَبِّي﴾.

أي إنَّ العزيز صَاحبي ﴿أَحْسَنَ مَثْوايَ﴾، أي تَولَّاني في طُولِ مَقَامِي ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾.

أَكثَرُ المفسِّرين أنه هَمَّ بها حتى رأى صورة يعقوب عليه السلام، وهو يقول له: يا يوسف أَتَهُمُّ بِفِعْلِ السُّفَهاءِ وأنت مكتوب فِي ديوانِ الأنبياء، وقيل أنه رأى في البيت مكتوباً: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾[1]. وهذا مذهب أهل التَّفْسِير، ولسنا نشك أنه قد رأى برهاناً قطعه عَما هَمَّ بـه.

وقال قوم: المعنى ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ به وهَمَّ بِها لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرهَانَ رَبِّه﴾، وذَهَبُوا إلى أنَّ المعنى لَوْلَا أن رَأى برهان رَبِّهِ لَهَمَّ بِهَا[2].

والذي عليه المفسرون أنه هَمَّ بها وأنه جَلَسَ منها مجلس الرَّجُلِ من المرأة إلّا أَنَّ اللَّه تفضل بأن أراه البُرهانَ، أَلَا تَراه قال: ﴿وما أُبَرِّئُ نَفْسِي إنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[3]، والمعنى لَوْلَا أَنْ رأى بُرْهَان رَبِّه لأَمْضَى ما هَمَّ بِه.

وليس في الكلام بكثير[4] أن تقول: ضربتك لولا زيد، ولا هممت بك لولا زيدٌ، إنما الكلام لولا زيد لهَمَمْتُ بك. و «لولا» تجابُ باللَّامِ، فلو

---

(١) من سورة الإسراء الآية ٣٢.

(٢) ولا يستقيم على مذهب البصريين لما فيه من تقدم جواب «لولا».

(٣) هذا بعيد جداً، وإلا لما استبق إلى الباب، وهي تجري خلفه، وكلمة وما أبرىء نفسي أقرب أن تكون من كلامها هي، وذكر صاحب المنار بأدلة واضحة، ان كلا منهما هم بعمله، همت هي به تجذبه إليها وهم هو بها يضربها ويدفعها، فليرجع إلى شرحه من يشاء.

(٤) يريد ليس هذا الاستعمال شائعاً.

كـان : ولقد هَمَّتْ بـه وَلَهمَّ بها لـولا أن رأى أي برهـان رَبّه لكـان يجـوز على بعد[1].

وقوله:﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْه السُّوءَ والفَحْشَاءَ﴾.

أي كذلك أرَيْنَاهُ البُرهَانَ لنَصْرِفَ عنه السُّوءَ والفَحْشَاءَ، فالسُّوءُ ـ خيانـة صاحبه، والفحشاء ركوب الفاحشة.

﴿إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾.

أي الـذين أخلصـوا، أخْلَصَهُمُ اللَّهُ مِن الأَسْـوَاءِ والفـواحش، مثـل المُصْطَفَيْنَ. وَقُرِئَتْ مِنَ المخْلِصِينَ بكسر اللام، أي الـذين أخْلَصُوا دينَهُمْ للَّه عز وجل.

وقوله : ﴿واسْتَبَقَا البَابَ﴾.

أي استبقا إلى الباب، يعني به يوسف وامرأة العزيز.

﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾.

والقَدُّ القطع، أي خَرَّقَتْه خَرْقاً انقَدَّ مِنْه.

﴿وألفيَـا سَيِّـدَهَـا لَـدَىَ البَـابِ﴾.

أي صادفا سيدها لدى الباب فحصرها في ذلك الـوقـت كيدُ لَمَّا فَـاجأَتْ سَيِّدَهَا.

﴿قالت ما جزاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إلَّا أَنْ يُسْجَنَ﴾.

أي ما جزاؤه إلَّا السِّجْنُ.

﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أي عذاب مُوجع . قال يوسف :

﴿هي رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾.

---

(١) كان يجوز لوجود اللام، وبعده لما سبق من أن جواب الشرط لا يتقدم عليه.

أي هي الَّتِي أرادَتِ السُّوءَ.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾.

قيل إنه رجل حكيم، وقيل إنّه طِفْلٌ

﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ، وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

أي إن كان هو المقبل عليها وهي الدافعة له عن نفسها فيجب أن تكون خرقت قميصه من قُبُلٍ، وإن كان هو المتباعدَ مِنْهَا، وهي التابعة له في استباقهما فيجب أن يكونَ قَدُّ القَميصِ من دُبُرٍ.

والقراءة من قُبُلٍ ومن دُبُرٍ، ومن قُبْلٍ ومن دُبْرٍ. ويجوز من قُبُلُ بغير تنوين، ومن دُبرُ، على الغاية، أيْ مِنْ قُبْله. أما الفتح فبعيدٌ في قوله: من قُبُلَ ومن دُبْرَ. لأن الذي يفتح يجعله مبنياً على الفتح فيشبهه بما لا ينصرف فيجعله ممتنعاً من الصرف لأنه معرفة ومُزَالٌ عن بابه، وهذا الوجه يجيزه البصريون[١].

فأما قُبْلُ وقُبُلُ فالتسكين في الباء جائز، وقد روي عن ابن أبي إسحاق[٢] الفتح والضمُّ جميعاً، والفتح أكثر في الرواية عنه[٣]، ولا أعلم أحداً من البصريين ذكر الفتح غيرَه.

﴿فلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾.

أي إن قولَكِ: ﴿ما جزاءُ مَنْ أَرَادَ بأَهلِكَ سُوءًا﴾... من كَيْدِكُنَّ.

---

(١) حيث أجرينا الكلمة مجرى الغايات فلا مانع من بنائها على الفتح، بناء لا إعراباً ومنعاً من الصرف.

(٢) هو عبد اللّٰه بن أبي إسحاق الحضرمي.

(٣) من قَبَل.

فأما دخول «كَانَ» مع «إِنِ» الجـزاءَ، وَكـونُ الفِعْلِ بعـدَهَا لِمَـا مَضَى ففيه قولان:(١)

قال محمد بن يزيد: «كان» لقوَّتِها وأنها عبارة عن الأفعال لم تغيـرها إِنِ الجـزاء الخَفِيفَةُ. والقول الثاني أَنَّ «كان» عبارةٌ عَنِ الأفعَالِ ـ وأن كان في معنى الاستقبال ههنا ـ عَبَّرتْ عن فعل مـاضٍ، المعنى إن يكن قَمِيصُهُ قُـدَّ، أيْ إنْ يُعْلَمْ قَمِيصُه قُدَّ مِنْ قُبلٍ فالْعِلْمُ مَا وقع بعد، فكذلك الكون لا يكـون لأنه مؤدٍّ عن العلم.

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾.

معناه يا يوسف اكتم هذا الأمر ولا تذكره.

﴿واسْتَغْفِري لِذَنْبِكِ﴾.

ويروى أنَّهُ كان قَليلَ الغَيْرَةِ.

وقوله عز وجل:﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ﴾.

«بَـدَا» فعل استغْنى عَنْ فَـاعِلٍ. العـربُ تقولُ: قـد بَدا لي بَدَاء أي تغير رأيي عما كان عليه. وأكثر العرب تقول: قد بدا لي، ولم يذكر بَـدَاءً، لكثرتـه لأنّه في الكلام دَلِيلاً على تغير رأيه، فَتُرِكَ الفاعلُ وهُـوَ مُرَاد، ثم بين مـا البَدَاءُ فقال لَيَسْجُننَّه حَتَّى حينٍ، كأَنَّهم قالوا: لَيَسْجُنَنَّهُ، والرأي الذي كـاد لهم قبل: قيل إن العزيز أمره بالإعراض فقط ثم تغير رأيه عن ذلك.

وقوله:﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي المَدِينَةِ﴾.

يقال نِسوة ونُسْوةٌ ـ بالضَّم والكَسْرِ ـ

وقيل:﴿تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾.

(١) يريد أن جملة «إن كـان قميصه» وقعت فيهـا كان المـاضية بعـد إن الشرطيـة، وإن تجعـل الماضي بعدها في معنى الاستقبال تقول: إن اشتريت ثوباً فاختر الجيد، فجعلهـا هنا للمضي غـير قريب، لأنّ غرض الشاهـد انظروا إن كـان قد من قبـل أو من دبر. ولكن الفعـل قد حـدث فهي تحتمل الاستقبال والمضي.

أي عَبْدَهَا وغلامَها، لأن استعمالَهم كان للغلام المملوك أن يُسَمَّى فتًى.

﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾.

أي بلغ حُبُّه إلى شِغَافَ قَلْبها، وفي الشغاف ثلاثة أقوال: قال بعضهم الشَّغَاف غلاف القلب، وقيل: هو داء يكون في الجوف في الشراسيف[1]، وأنشدوا:[2]

وقد حال هَمٌّ دون ذلك دَاخِلٌ دخولَ الشُّغَافِ تبتَغِيه الأَصَابِعُ

وقد قُرِئَتْ شَعَفَها بالعين، ومعنى شعَفها ذهب بها كل مذهب مشتق من شَعَفَاتِ الجبال، أي رُؤوس الجبال، فإذا قلت فلان مشعُوف بكذا، فمعناه أنه قد ذهب به الحبُّ أقصى المذاهب.

﴿فلمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾.

إن قال قائل: لم سُمِّيَ قولُهنَّ مكراً فالجواب فيه أنها قد أطلعتهن، فاسْتَكْتَمَتْهُنَّ فمكرنَ بها وأَفْشَيْنَ سِرَّها، فلما سمعت بما فَعَلْنَ أرادت أَنْ يُوقَعْن فيما وقعت فيه فأرسلت إليهن.

﴿[أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ] وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾.

﴿أَعْتَدَتْ﴾ أفعلت من العَتَادِ، وكل ما اتَّخَذْتَه عُدَّةً للشيء فهو عَتَادٌ ومعنى ﴿مُتَّكَأً﴾ ما يُتَّكأ عليه لطعام أو شَرَاب أو حديث.

---

(١) الشراسيف جمع شُرسُوف كعصفور غُضْروف معلق بكل ضِلْع أو الطرف المشرف على البطن.

(٢) للنابغة من قصيدته:

عفا ذو حسا من فرتني فالفوارع

وهو في اللسان شغف: «هَمٌّ دون ذلك والج» والشُّغَاف داء من القلب يأخذ تحت الشراسيف من الشق الأيمن. يخرجه الأطباء بأصابعهم.

والقصيدة في الديوان ومن مشهور الشعر.

«وآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً. وقالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾.

يعالجن بالسكّين ما يأكلْنَ، وقال بعضهم مُتْكاً، وقالوا واحدته مُتْكَةٌ وهي الأَتْرُجُّ[1]. والقراءة الجيدة مُتَّكأً بالهمز، يقال تِكىءَ الرَّجُلُ يتْكَأُ، تُكَأً، والتكأ أصله من وَكَأْتُ، وإنما متكأ مفتعل، وأصله موتكأ مثل مُوتَزن من الوزن.

﴿وَقَالَتِ اخرجْ عَلَيْهِنَّ﴾.

إن شئت ضممت التاء، وإن شئت كسرتَ، والكسر الأصل لسكون التاء والخاء، ومن ضم التاء فلثقل الضَّمَّة بعد الكسرة[2]. وأعتدت لهن الطعام وجعلت في أيديهن السكاكين، وأمرته بالخروج عليهن في هيئته، ولم يكن يتهيأ له أن لا يخرج[3]؛ لأنه بمنزلة العبد لها.

﴿فَلَمَّا رَأَيْنَه أَكْبَرنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾.

أردن أن يقطعن الطعام الذي في أيديهن فَدَهِشْنَ لَمَّا رأينَه فَخَدشْنَ أيديَهُن. ولم يقطعن الأيدي حتى تَبِنَ منهنَّ. وهذا مستعمل في الكلام، يقول الرجل: قد قطعتُ يَدِي. يعني أنك قد خدشتها.

ومعنى ﴿أَكْبَرْنَهُ﴾ أعظمنه. ويقال: أكبرنه: حِضْنَ. وقد رُوِيتْ عن مجاهد. وليس ذلك بمعروف في اللغة، وقد أنشدوا بيتاً في هذا وهو قوله:

يأتي النساء على أطهارهن ولا ... يأتي النساء إذا أَكْبَرنَ[4] إكْباراً

---

(١) الأَتْرجُّ والتُّرُنجةُ والتُّرُنْجُ ثمرة ونبات معروف - كالبرتقالة - حامضة تسكن غُلْمَةَ النساء.

(٢) ضم الهمزة في اخرج بعد كسر التاء - وتقدمت في «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا»، ضم تاء «الملائكة» لأن همزة الوصل في اسجد ومثلها اخرج - تضم مراعاة لضم عين الفعل - وضم التاء ههنا أيضاً قد يكون لإلقاء حركة همزة الوصل عليها.

(٣) لا يستطيع مخالفتها - لم يكن يمكن أن يمتنع عن الخروج.

(٤) في اللسان (كبر) نأتي النساء - بالنون - وروى أن هذا التفسير مروي عن مجاهد وعن ابن عباس.

وهذه اللفظة ليست بمعروفة في اللغة. والهاء في «أكبرنه» تنفي هـذا؛ لأنـه لا يجوز أن يقـول: النساء قـد حِضْنَهُ يـا هذا؛ لأن حضن لا يتعـدى إلى مفعول[1].

﴿وَقُلْنَ: حاشَ للَّهِ﴾.

وحـاشى للَّه، يقــرأان ـ بحـذف الألف وإثبـاتهــا ـ ومعنـاه الاستثنــاء.

المعنى فيما فسّره أهل التفسير: وقُلْنَ: معاذ اللَّه ما هذا بشراً،

وأما على مذهب المحققين من أهـل اللغة، فحـاشا مشتقـة من قولـك: كنْتُ في حشـا فُلانٍ، أي في نـاحية فـلانٍ، فالمعنى في «حَـاشَ لِلَّهِ» بَرَّأَهُ اللَّه من هذا. من التَّنَحّي، المعنى قد نحّى اللَّه هذا مِنْ هَذَا، إذا قلت حاشا لزيد من هذا فمعناه قد تنحى زيد من هذا، وتباعـد منه، كمـا أنك تقـول قَدْ تَنحَّى من الناحية، وكذلك قد تحاشى، من هذا الفِعْلِ.

وقوله عز وجل: ﴿مَـا هَذَا بَشَـراً﴾.

هـذه القراءة المعـروفة، وقـد رُوِيَتْ: ما هـذا بِشِرًى، أي مـا هذا بعـد مُشْتَـرًى. وهذه القـراءة ليست بشيء، لأن مثل «بِشِـرِيّ»[2] يكتب في المصحف بالياء، وقولها: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كريمٌ﴾ «مَلَكٌ» مطابق في اللفظ لِبَشرٍ.

وسيبويه، والخليل وجميع النحويين القدماء يزعمـون أَنَّ بشراً منصـوبٌ

= والتمس أبو منصور لها وجهاً قال أنه مخرج حسن وذلك أن الفتــاة أول ما تحيض تكون قد خرجت من حد الصغر إلى حد الكبر فيقال انها أكبرت، وسأل أبو الهيثم رجلاً من طيء عن سِن خطيبة له، فقال انها أكبرت أو كَبَرتْ ـ ولغة طيء تصحح أن إكبار المرأة أول حيضها. اهـ ملخصاً.

(١) وقـال أبو منصـور: انها تكون هـاء سكت إن صحت هذه الـروايـة عن ابن عبـاس. ولكن هـذا ضعيف، لأن هاء السكت تكون ساكنة.

(٢) ليس من الارقاء الذين يشترون ويباعون.

خبرَ مَا، ويجعلونه[1] بمنزلـة ليس وَ «مَا» مَعنـاها معنى ليس في النفي، وهـذه لغـة أهل الحجـاز، وهي اللغَةُ القُـدْمَى الجيِّدَةُ. وزعم بعضهم أنّ الـرَّفْـعَ في قولك: ﴿مَا هذَا بَشراً﴾ أقْـوى الوجهين، وهذا غلط، لأن كتاب اللَّه ولغة رسول اللَّه أقْـوَى الأشياء وأقـوى اللغات. ولغـة بني تميم: ما هـذا بشـرٌ. ولا تجـوز القـراءة بها إلاَّ بـروايةٍ صَحيحـةٍ. والدليـل على ذلك إجمـاعهم على: ﴿مَا هُنَّ أمَّهَاتِهِمْ﴾[2] وما قرأ أحَدٌ ما هُنَّ أُمَّهاتُهم.

وقوله: ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِنَ الصَّاغِرينَ﴾.

القـراءة الجيدة تخفيف ليَكْـونـاً. والـوقـوف عليهـا بـالألف، لأن النـون الخفيفـة تبدل منهـا في الوقف الألف، تقول: إضْربـاً زيداً، فـإذا وقفت قلت: اضربَـا، كما أبدلت في: رأيتُ زيداً الألف من التّنوين، وقد قرئت: ولتكونَنَّ - بتشـديـد النُّونِ، وأكرهها لخلاف المصحف، لأنَّ الشديدة لا يُبْدَلُ منها شيء.

﴿مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾.
مِنَ المذَلّين.
﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إلَيَّ ممَّا يـدْعُونَنِي إلَيْهِ﴾.

والسِّجْن جميعـاً - بكسـر السين وفتحهـا - فمن فتـح فعلى المصـدر، المعنى أَنْ أُسْجَنَ أَحبُّ إليَّ، ومن كسـرَ فعَلَى اسم المكَانِ، فيكـون المعنى: نُزولُ السجنِ أَحبُّ إليَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إليْهِ، أي من ركوب المعصية .

﴿وَإلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إلَيْهِنَّ﴾.

أي إلاّ تَعْصِمْني أَصْبُ إليْهِنَّ، أَي أَمِـلْ إلَيْهن. يقـال: صبـا إلى اللَّهْـوِ يصبو صُبُوًّا، وصِبيًّا، وَصَبًّا، إذا مالَ إلَيْه.

---

(١) يجعلون «ما».

(٢) سورة المجادلة الآية ٢ . بنصب أمهات.

وقـال: ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْـدَهُنَّ﴾[1]. وجـائـز أن يكـون يَعْني امـرأة العزيز وحدها، إلاّ أنه أراد كيْدَها وكيدَ جميع النساء، وجَـائزٌ أن يكـون كيدَهـا وكيدَ النِّسْوَةِ اللاَّتِي رَأَيْنَ يوسُف حِينَ أَرَتْهُنَّ إيَّاهُ.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾.

ولم يقـل فحبس لأنَ في قولـه: ﴿وَدَخَلَ مَعَـه السِّجْنَ﴾ دليلاً أنـه حُبسَ. و «فَتَيان» جَائزٌ أَنْ يكونَا حَدَثَيْنِ أوْ شَيْخَيْن، لأنهم كانوا يُسَمُّونَ المملوك فَتًى.

﴿وَقَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً﴾.

ولم يقل إني أراني في النوم أعْصِرُ خَمراً، لأن الحال تدُلُّ على أنه ليس يرى نفسه في اليقـظة يَعْصِرُخمـراً، وقـال أهـل اللغة: الخمـرُ في لُغَةِ عُمَـان اسم لِلْعِنَبِ، فكأنـه قـال: أراني أعصـر عِنَبـاً، ويجـوز أن يكـونَ عَنَى الخمْـرَ بعينها، لأنه يُقَالُ لِلَّذِي يَصْنَعُ من التَّمْرِ الدِّبْس[2] هذا يَعْمَلُ دِبْساً، وإنما يَعْمَلُ التَّمرَ حتّى يصير دِبْساً، وكذلك كلُّ شيء نُقِـلَ مِنْ شيء، وكذلـك قوله أعصِرُ خمراً، أي أعصِرُ عِنَبَ الخمْرِ أي العِنَبَ الّذي يكونُ عَصِيرُه خمراً.

﴿وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِـلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْـزاً تَأْكُـلُ الطَّيْـرُ مِنْهُ، نَبِّئْنَـا بِتَأْوِيلِهِ﴾.

أي تأويل ما رأينا.

وقولهما﴿نبئنا بتأويله﴾ يدلعلى أنهما رأيـا ذلك في النـوم، لأنه لا تـأويل لرُؤية اليقظة غير ما يراه الإنسان.

﴿إِنَّا نرَاكَ مِنَ المحْسِنِينَ﴾.

---

(١) أي استعمل ضمير الجمع والمتحدث عنها واحدة.

(٢) عسل البلح.

جاء في التفسير أنه كان يعين المظلوم وينصر الضعيف، ويعود العليل، وقيل من المحسنين، أي ممن يُحسِنُ التأويل. وهذا دليل أنَ أمر الرؤيا صحيح، وأنها لم تزل في الأمم الخالية، ومن دفع أمر الرؤيا وَأَنَّه منها ما يصح[1] فليس بمسلم لأنه يدفع القرآن والأثر عن رسول اللَّه ﷺ لأنه روي عن رسول اللَّه أن الرؤيا جزء من أربعين جزءاً من النبوة.

وتأويله أن الأنبياء يُخْبِرُونَ بما سَيَكُون. والرؤيا الصادقة تدل على ما سيكونُ.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾.

وليس هذا جواب ما سألا عنه، إنما سألا أن يخبرهما بتأْوِيل مَا رَأَياه فأحب يوسف عليه السلام أن يدعُوهما إلى الإيمان وأن يعلمهما أنه نَبِيٌّ، وأن يدلهما على نبوَّته بآية معجزة، فأعلمهما أنه يخبرهما بِكُلِّ طَعَام يؤتيان به قبل أن يرياه، ثم أعْلَمَهُما أن كل ذلك مما عرفه اللَّه إياه فقال:

﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾.

أي لست أخبركما عَلَى جِهَةِ التَكَهُّنِ، والتَنَجُّمِ، إنما أخبركما بِوَحيٍ مِنَ اللَّهِ وعِلْمٍ، ثم أعْلَمَهُمَا أن هذا لا يكون إلَّا لمؤمِنٍ بِنَبِيٍّ فقال:

﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ. واتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ، مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا [وعلى الناس]﴾.

أي اتباعنا الإيمان بتوفيق اللَّه لنا وبفضله علينا ﴿وعلى الناس﴾ بأن دلهم على دينه المؤدي إلى صلاحهم.

---

(١) أي الذي أن منها ما هو صحيح.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ .

ثم قال لهما:

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ﴾ .

فَدَعَاهم إلى توحيد اللّه بعد أَنْ علمهما أنه يخبرهما بالغيب، ثم قال

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾ .

أي أنتم جعلتم هذه الأسماء آلهةً. ثم أخبرهم بتأويل الرؤيا بعد أن دعاهم إلى الإيمان. فأما تكرير قوله هم فعلى جهة التوكيد[1].

وقوله:﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً﴾ .

فكان هذا صاحبَ شَراب الملك، فأعلمه أن تأويل ما رأى [هو] هذا. ويجوز فيُسْقِي، والأجود فيَسْقِي، تقول سقيته بمنزلة ناولته فشرب. وأسقيته جعلْتُ له سَقْياً، تقول أسقيته من كذا وكذا أي جعلت له سقياً.

وقوله عزّ وجلّ:﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ .

لَمَّا تأول لهما الرؤيا قال الذي أنْبَأَهُ بأنَّه يُصْلَبُ [إنه] لم يَرَ شَيئاً فأعلَمهُ أنَ ذلك واقعٍ به وإنْ لَمْ يَرَ، كما أعْلَمَهُمَا بخبر ما يَأْتِيهما من الطعام.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ .

اي عند الملك صاحبك.

﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ .

---

(١) تكرير الضمير في ﴿وهُمْ بالآخرة هُمْ كافرون﴾، في الآية السابقة.

أنسى يـوسُفَ الشيطانُ أن يَذْكُرَ اللَّهَ(1).

﴿فلبِثَ في السِّجْنِ بِضْعَ سِنينَ﴾.

اختلفوا في البِضْعْ فَقَـال بعضهم: البضع مـا بين الثلاث إلى الخمس، وقال قطرب إلى السبع، وقال الأصمعي وهـو القول الصحيـح: البِضْعُ مـا بين الثلاث إلى التِّسْع، واشتقاق البِضْع والبَضْعَةِ مِنْ قَطَعْتَ الشيءَ فمعناه القِطعَة من العَدَدِ، فَجُعِلَ لِمَا دُونَ العَشَرةِ من الثلاث إلى التِّسع.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿سَبْعٌ عِجَافٌ﴾.

العجَاف التي قد بلغت في الهُزَالِ الغايةَ والنهايَةَ.

﴿يَا أَيُّها ٱلمَلأُ أَفْتُوني في رُؤْيَايَ﴾.

الملأ الذين يرجع اليهم في الأمور، ويقتدي بآرائهم(2).

﴿إِنْ كُنْتُم لِلرُّؤْيَا تَعْبُرونَ﴾.

هذه اللام أدخلتِ على المفعول لِتُبيِّنَ المعنى إن كنتم تعبرون، وعابرين ثمَّ بين باللام فقال للرؤيا.

ومعنى عبَّرت الرؤيا وعَبَرْتُها خبرت بآخر مـا يؤول إليه أمـرها. واشتققتـه من عَبْرِ النَّهْرِ، وهو شَاطِئ النَّهْرِ، فتأويـل عبرت النَّهـرَ، أي بلغتُ إلى عَبْرِهِ، أي شاطئه، وهو آخر عَرْضِهِ.

﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾.

والضغث في اللغة الحُزْمَةُ والباقَةُ من الشيء، كالبقل وما أشبهه، فقالـوا له: رُؤْيَاكَ أضغاثُ أحلام، أي حُزَم أخلاطٍ ليست برؤيا بينةٍ.

---

(1) هـذا رأي لبعض المفسرين، والاقـرب ان الشيطان أنسى الـرجل النـاجيَ ان يذكـر يـوسف عنـد الملكَ، ويقوي هذا ما يأتي من قوله «وادّكر بعد أمة».

(2) سبق تفسير الملأ في الجزء الأول ٣٢٥ ـ ٢٦.

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾.

أي ليس للرؤية المختلطة عندنا تأويل.

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾.

أي بعد حين، وقرأ ابن عباس: وادَّكَرَ بَعْدَ أَمَهٍ، والأَمَهُ النسيَانُ، يقال أَمِهَ يَأْمَهُ أَمَهاً. هذا الصحيح بفتح الميم، وروى بعضهم عن أبي عبيدة: أَمْهٌ بسكون الميم، وليس ذلك بصحيح عنه، لأن المصدَرَ أنه يأمَهُ أَمَهٌ لا غير[1].

وقرأ الحسَنُ: أنا آتيكم بتأويله، وأكرهها، لخلاف المصحف[2].

وادَّكَر أصله واذْتَكَرَ، ولكن التاء ابدل منها الدَّال وادغمت الذَّال في الدال. ويجوز واذَّكر بالذال، والأجود الدال.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾.

أراد يا يوسف، والنِّدَاء يجوز في المعرفة حذف يا منه، فتقول: يا زيد أقبل، وزيدُ أقبل، قال الشاعر[3]:

محمد تفد نفسك كل نفسٍ ... إذا مَا خِفْتَ مِن أَمْرٍ تَبَالا

أرادَ يا مُحَمدُ.

والصِّدِّيق المبالغ في الصِّدْقة، والتَّصديق.

وقوله: ﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

أي لعلهم يعلمون تأويل رؤيا الملك، ويجوز أن يكون: لعلهم يعلمون

---

(١) مثل فرح يفرح.

(٢) لأن الذي في المصحف ﴿أَنَا أُنبِئُكُم﴾.

(٣) ينسب لأبي طالب عم رسول الله (ص) وللأعشى، ويستشهد به النحويون على حذف الياء لأن الفعل مجزوم بلام أمر محذوفة. أي لتفدِ، والتبال الوبال. قيل مرادف وقيل كلمةٌ واحدةٌ قلبت الواو تاء فيها. والبيت في شواهد الكشاف. وشواهد المغني ٢٠٤. وسيرة ابن هشام.

مكانك فيكون ذلك سبب خَلاَصِكَ من الحبْسِ .

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً﴾ .

أي تَدْأَبُونَ دَأَباً، ودَلَّ على تَدْأَبُونَ ﴿تَزْرَعُونَ﴾ . والدَّأَبُ الملازَمَةُ للشيء والعادةُ(١) .

وقوله : ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ .

وقرئت : وفيه يُعْصِرَونَ، فمن قال وفيه يَعْصِرونَ بالياء أيْ يأتي العام بعد أَرْبَعَ عشرةَ سنةً الذي فيه، يُغَاثُ الناس فيَعصِرُونَ فيه الزَّيْتَ والعِنبَ، ومن قرأ يُعْصَرون أَرادَ يُمْطَرُونَ، من قوله :﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً﴾(٢)، وَمَنْ قرأ : وَفِيه تَعْصِرون(٣)، فإن شاء كان على تأويل يَعْصِرُونَ، وإن شاء كان على تأويل وفيه تَنْجوْنَ من البلاء، وتعتصمون بالخِصْب. قال عَدِيُّ بنُ زَيْدٍ(٤) :

لو بغير الماء حلقي شَرِق كنت كالغصَّانِ بالماء اعتصَارِي

ويقال : فلان في عَصَرٍ وفي عُصْرةٍ، إذا كان في حِصْنٍ لا يُقْدَرُ عليه .

وقوله سبحانه : ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾ .

لما أُعْلِمَ بمكانه من العلم بالتأويل طَلَبَه

﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْه﴾(٥) .

أي إلى صاحبك، ورب الشيء صاحبُه

(١) كلمة دأب . تدل على موالاتهم الزرع فهم يدأبون في عمله .

(٢) سورة عمَّ آية ١٤ .

(٣) الذي قرأ بالتاء حمزة والكسائي فقط، ومن عداهما قرأوا بالياء .

(٤) تقدمت ترجمة عدي بن زيد وكان اتصل بالنعمان بن المنذر، وسجن طويلاً لديه ثم قتل، وفي هذه القصيدة يستعطف النعمان.وجزء من القصيدة وأخبار عَديّ بالأغاني حـ ٢/ ١١٤، والبيت مما يتمثل به، وانظر شواهد المغني ٢٢٦ .

(٥) في الأصل فسَلْهُ .

﴿فَاسْأَلْه مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيدِيَهُنَّ﴾.

ويجوز اللاَّئي قطَّعْن، أي اسألْه أن يستعمِل صحةَ بَراءَتِي مما قُرِفْتُ به.

وَيُرْوَى أنَّ النبي ﷺ قال: لو كنت في مكان يوسف ثم جاءني الرسول لبادرت إليه، أنه ﷺ استحسن حزم يوسف وصَبْرَه حين دعاه الملكُ فلم يبادِرْ إليه حتى يعلَمَ أنه قد استقرَّ عند الملك صحةُ بَراءَتِه.

﴿قَالَ مَاخَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ﴾.

لم يفرد يوسفُ عليه السلام امرأة العزيز بالذكر، حُسْنُ عِشْرَةٍ منه وَأدَبٍ. فخلطها بالنِّسْوةِ.

وقوله: ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾.

قُرِئَتْ «حَاشَ للَّه» و «حَاشى للَّهِ» وقرأ الحسنُ: حَاشْ للَّهبتسكين السين. ولا اختلاف بين النحويين أنّ الإِسْكَانَ غيرُ جائزٍ، لأنَّ الجَمْعَ بين ساكنين لا يجوز ولا هُوَ مِنْ كَلام العَرَب.

﴿ما عَلِمْنا عَلَيه مِن سُوءٍ﴾.

فأعلم النسوةَ الملكَ ببراءة يُوسُفَ، وقالت امرأةُ العزيز:

﴿الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ﴾.

أي بَرَزَ وتبيَّنَ، واشْتقَاقُه في اللغة من الحِصَّةِ، أي بانت حصَّةُ الحق وجهتُه من جهة الباطل.

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِي لَمْ أَخُنْهُ بِالغَيْبِ﴾.

هذا قول يُوسُفَ عليه السلام، المعنى إني أردت التبيين للمَلِكِ أَمْرَ آمرأته والنسوة، ليعلم أني لم أخنه بالغيب. و «ذلك» مرفوع بالابتداء، وإن شئت عَلَى خَبرِ الابْتِداء، كأنَّه قال: أمْري ذَلِكَ.

ويُروَى أن جبريل عليه السلام قال له: ولا حِينَ حَللْتَ التكة، وقيل ولا حين هممت، فقال:

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾.

موضع ما نصب على الاستثناء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿اسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾.

جزم جواب الأمر، ومعنى استخلِصْه أيِ أجْعَلْه خالصاً لي، لا يشركني فيه أحد.

﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾.

أي عرفنا أمانتك وبراءتك مما قرفت به.

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾.

أي على أموالها

﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.

أي أحْفظها وأعْلَمُ وُجُوهَ مُتَصَرَّفَاتها، وإنما سأله أن يجعله على خزائن الأرض لأنَّ الأنبياء بُعِثُوا لإقَامة الحقّ والعدْلِ ووضع الأشياء مواضعَها، فعلم يوسف عليه السلام أنه لا أحد أَقْوَمُ بذلك منه، ولا أوْضَعُ له في مواضعها.

فسأل ذلك ارادةً للصلاح.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجِهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ﴾.

وهذا ـ والله أعلم ـ قد كان قبله كلام جرَّ إليه ما يُوجب طلبَ أخيهم منهم، لأنه لا يقول ائتُوني بأخٍ لكم مِنْ أبيكم من غَيْر أن يجريَ مَا يُوجِبُ هذا القولَ. فكأنه ـ والله أعلم ـ سألهم عن أخبارهم وأمْرِهِمْ وعَدَدِهِمْ، فاجْتَرَأ لقول هذه المسألة.

﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ المُنْزِلِينَ﴾.

لأنه حين أنزلهم أحسن ضيافتهم.

وقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُون﴾.

القراءة بكسر النُّون، ويجوز الفتح بفتح النون لأنها نون جماعة كما قال: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾[1] بفتح النون، وتكون ﴿وَلَا تَقْرَبُونَ﴾ لفظه لفظ الخبر ومعناه معنى الأمر.

﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾.

﴿وإنا لفاعلون﴾ توكيد.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ﴾.

ولفِتْيَتِهِ، قُرِئَتَا جميعاً، والفتيان والفتية المماليك في هذا الموضع.

﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهم فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وفي هذا وجهان، أي إذا رأوا بضاعتهم مردودة عليهم، علموا أن ما كيلَ لهم مِنَ الطعام لم يؤخذ منهم[2] ثمنُه، وأنَّ وضع البضاعة في الرحال لم يكن إلَّا عن أَمْر يُوسُفَ، ويجوز أن يكون ﴿لعلهم يَرْجِعُونَ﴾ يَرُدُّون البضاعة، لأنها[3] ثمن ما اكتالوه. ولأنهم لا يأخذون شيئاً إلَّا بثمنه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

أي إن أرسلته معنا اكتلنا، وإلا فقد مُنِعْنَا الكيلَ.

﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾.

---

(١) سورة الحجر ٥٤، وتقدير الآية هنا: (فلا كيل لكم عندي ولا أنتم تقربون).

(٢) في الأصل منه.

(٣) في الأصل لأنه.

أي كـذلك قلتم لي في يـوسف: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا يرتَـعْ ويلْعَبْ، وإنـا لـه لحَافِظُون﴾ فقد ضمنتم لي حفظ يوسف وكذلكم ضمانكم هذا عندي.

﴿فَاللَّه خَيْرٌ حِفْظاً﴾.

وتقرأ ﴿حافِظاً﴾. وحفظاً منصـوب على التمييز، و ﴿حـافظاً﴾ منصـوب على الحال، ويجوز أن يكون حافظاً على التمييز أيضاً.

وقوله عزّ وجلّ:﴿وَجَدُوا بِضَاعَتَهُم رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾.

وتقـرأ رِدَّتْ بكسر الـراء، والأصـل رُدِدَتْ، فـأدغمت الـدال الأولى في الثانية وبقيت الراء مضمومةً. ومن كسر الراء جعل كسرتها منقـولة من الـدال، كما فعل ذلك في قِيلَ وبيع لتدل أن أصلَ الدال الكسر.

وقد حكى قطرب أنـه يقال في ضُـرِبَ زيد؛ ضُـرْبَ زَيْدٌ وضِـرْبَ زيدٌ ـ بكسر الضاد. اسكن الراء، ونقل كسرتها إلى الضاد، وعلى هذه اللغة يجوز في كَبِدٍ كِبْدٌ.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾.

أي ما نريـد، وما في مـوضع نصب، المعنى أي شيء نـريد وقـد رُدَّتْ علينا بضاعتنا، ويجوز أن يكـون «ما» نفيـاً، كأنهم قـالوا مـا نبغي شيئاً، ﴿هَذِه بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾.

﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾.

يقال: مِرْتُهم أميرهم ميراً إذا أتيتهم بالمير.

﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾.

لأنه كان يكال لكل رجل وَقْرُ بَعيرٍ.

﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾.

أي ذلك كيل سهل، أي سهل على الذي يمضي إليه

﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾.

فموضع أن نصب، والمعنى لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا لِإِحَاطَةٍ بِكُمْ، أي لا لتمتنعوا من الإتيان به إلا لهذا، وهذا يسمى مفعولاً له، وإلا ههنا تأتي بمعنى تحقيق الجزاء، تقول: ما تأتي - إلّا لأخْذِ - الدَّرَاهِمِ وإلا أن نأخذ الدراهم، ومعنى الإحاطة بهم، أن يحال بينهم وبينه فلا يقدروا على الإتيان به.

﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾.

قد خاف عليهم العين، وأمر العين صحيح - والله أعلم - وقد روي عن النبي ﷺ أنه عَوَّذَ الحسَنَ والحسَيْنَ فقال في دعوته: وأعيذكما من كل عين لامة.

وقوله: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾.

أي إلا خوف العين، وتأويل ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ لو قُدِّرَ أن تصيبهم لأصابتهم وهم متفرقون كما تصيبهم مجتمعين، وجائز أن يكون: لا يغني مع قضاء الله شيء.

﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾(١).

أي لذو علم لتعليمنا إياه، ونصب حاجة استثناء ليس من الأول، المعنى لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾.

أي ضَمَّ إليه أخاه.

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: أي لا تحزن ولا تستكن

(١) أي يعقوب ذو علم لما علمه الله.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ أي أعلم معلم، يقال آذنته بالشيء فهو مُؤذَنٌ به أي أعلمته وأذنت أكثرت الإعلام بالشيء.

﴿أَيَّتُها العِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾.

المَعنى: يا أيها الأصحاب للعير، ولكن قال: أيتها العير، وهو يريد أهل العير، كما قال: ﴿وَاسْأَلِ القَرْيَةَ﴾ يريد أهل القرية وأَنَّثَ «أيًّا» لأنه جعلها للعير.

وقوله: ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ المَلِكِ﴾.

وقرئت «صَوَاعَ» الملك، وقرئت «صَاعَ» الملكِ، قرأ أبو هريرة صاع الملك، وقرئت صوغ الملك ـ بالغين معجمة.

﴿وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾.

أي حمل بعير من الطعام

﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾.

أي كفيل.

الصُّواع هو الصاع بعينه، وهو يذكر ويؤنث، وكذلك الصَّاعُ يذكّر ويؤنث، وجاء في التفسير أنه إناء مستطيل يشبه المكوك، كان يشرب به الملكُ، وهو السقاية. وقيل إنه كان مصنوعاً من فضة مموَّهاً بذهب، وقيل إنه كان من مَسٍّ[1]، وقيل إنه كان يشبه الطاسَ.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ﴾.

معنى تالله: والله، إلاّ أن التاء لا يقسم بها إلا في «الله» لا يجوز تالرَّحمن ولا تَـرَبّي لأفعلن[2]، والتاء بدل من الواو كما قالوا في وراثٍ تُرَاث،

---

(١) لعله من ماس، وربما من ميس ـ وهو شجر عظم ـ وآثرنا كتابته على ما جاء في أصله.

(٢) سمع وترب الكعبة وتحياتك ـ ولكنه غير مستعمل.

وكما قالوا يَتَّزِنُ، وأصله يَوْتَزِنُ مِنَ الوزن وإنما قالوا :﴿لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض﴾، لأنهم كانوا لا يَنْـزِلُونَ على قـوم ظلماً. ولا يـرعـون زرع أَحَـد: وجعلوا على أفواه إبلهم الأكِمَّةَ لئلا تعبث في زرع، وقالوا:

﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾.

لأنهم قد كانوا فيما روي ردوا البضـاعة التي وجـدوها في رحـالهم، أي فمن رَدَّ مَا وَجَده كيف يكون سارقاً.

﴿قالوا فَمَا جَزَاؤُهُ﴾، ﴿كَذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمينَ﴾.

أي مِثْلُ هذا الجـزاءِ نجزي الـظالمين، وكان جـزاء السارق عنـدهم أن يُسْتَعْبَدَ بسَرقَتِهِ، يَصِيرُ عَبْداً لأنه سرق.

فأما رفعُ ﴿قَالُوا جَزَاؤُه مَنْ وُجِدَ في رَحْلِهِ﴾ فمن جهتين: أحدهما أنَّ هو جزاؤه ابتداء، ويكون من وجد في رحله الخبـر، ويكون المعنى جـزاء السَّرَق الإِنسانُ الموجود في رحله السَّرَقُ. ويكون قوله ﴿فهوجزاؤه﴾ زيادةً في الإبـانة. كما تقول: جزاء السارق القطع فهو جزاؤه. فهذا جزاؤه، زيادةٌ في الإبـانـة.

ويجـوز أن يكون[1] يـرتفع بـالابتداء، ويكـون من وجـد في رحله فهـو جزاؤه. هذه الجملة خبـر الجزاء، والعـائد عليـه من الجملة «جزاؤه» الذي بعد قـوله «فهـو»، كأنـه قيل: قـالوا جـزاؤه من وجـد في رحله فهـو هـو، أي فهـو الجـزاء، ولكـن الاظهار كـان أحسن ههنا لئـلا يقـع في الكـلام لبس، ولئـلا يتـوهم أن «هو» إذا عـادت ثـانيـة فليست بـراجعـة على الجـزاء، والعـرب إذا أقحمت أمـر الشيء جعلت العـائـد عليـه اعـادة لفـظه بعينــه، أنشـد جميـع النحويين:[2]

---

(١) أن يكون جزاؤه مرفوعاً بالابتـداء، أي جزاؤه مبتـدأ خبره جملة «من وجـد في رحله فهو جـزاؤه» ودخلت الفاء في خبر مَنْ إما لأنها شرطية أو موصولة.

(٢) تقدم في الجزء الأول ٤٥٦ .

لا أرى المــوت يسبق المـوت شيء   نغص المــوتُ ذا الـغنـى والفـقيــرا

ولم يقل: لا أرى الموت يسبقه شيء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾.

رجع بالتأنيث على السقاية، ويجوز أن يكون أنث الصواع.

﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِيـنِ المَلِكِ﴾.

أي في سيرة الملك، وما يـدين به الملكُ، لأن السـارق في دين الملك كان يغرم مِثْلَيْ مَا سَرِقَ، وكان عند آل يعقـوبَ وفي مَذْهَبِهِم أنْ يَصِيـرَ السارق عَبْداً يَسْتَرِقُّهُ [صاحب الشيء المسروق].

﴿إلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

موضع أن نصب، لما سقطت الباء أفضى الفعل فنصب، المعنى ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا بمشيئة اللَّه.

﴿نَـرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾.

على إضافة الدرجات إلى «من» ويجوز درجات بالتنوين، على أن يكون «من» في موضع نصبٍ، المعنى نرفع من نشاء دَرَجاتٍ. ويجـوز رفع درجـات من نشـاء، وهي حسنة[1]، ولا أعلمهـا رُوِيَتْ فــلا تقــرأن بهـا إن لم تصح فيها روايةٌ.

﴿وَفَـوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيم﴾.

قيــل في التفسيـر: فــوق كـل ذي علم عليم حتى ينتهي العلم إلىٰ اللَّه عزّ وجلّ.

﴿قَالُوا إنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾.

---

(١) لا يبدو لها حسن، لأن الجملة الأولى تنتهي حينئذ عند ترفع.

يعنون يوسف، ويروى أنه كان في صغره أَخَذَ صُورَةً مما كان يتعبد به بعض من يخالف أهْلَ مِلَّةِ الإسلام من ذهب، وهذا الذي أخذه [كان] على جهة الإنكار، لئلا يُعظَّمَ مثل ذلك

﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾.

أي لم يظهرها لهم.

﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَاناً﴾.

وهذا إضمار على شريطة التفسير[1]، لأن قوله ﴿قال أنتم شرٌّ مكاناً﴾ بَدَلٌ من «ها» في قوله: ﴿فَأَسَرَّهَا﴾. المعنى. فأسر يوسف في نفسه قوله:﴿أَنْتُم شَرٌّ مَكَاناً﴾[2]. المعنى ـ والله أعلم ـ أَنْتُمْ شَرٌّ مكاناً في السرقِ بالصِّحَةِ لأنكم سَرَقْتُمْ أَخَاكُمْ مِنْ أبيكم.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾.

أي اللَّه أعلمُ أسرق أخٌ لَهُ أَمْ لا

﴿قَالُوا يَا أَيُّها الْعَزِيزُ﴾:

والعزيز الملك

﴿إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً﴾.

﴿شيخاً﴾ من نعت أبٍ، وأَبٌ مَنْصُوبٌ بإنَّ، و ﴿كَبِيراً﴾ من نعت شيخٍ.

﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

أي ممن يُحسِنُ ولا يُعَامِلُ بالتحديد في واجب لأنه كان أعطاهم الطعام واعطاهم ثمنه في رده البضاعة لهم، فطالبُوه بأن يُحْسِنَ.

---

(١) أي جاء الضمير في «أسرَهَا» من غير سابق مرجع ثم فسرّته الجملة بعده.

(٢) لا يتناسب هذا مع قوله ﴿قالَ أَنْتُمْ شرٌمَكَاناً﴾ فإنه جهر بها. والأولى أسر حزازة الكلمة، وكتم في نفسه أنه يوسف ولم يسرق. أو كتم الكراهية.

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾.

﴿معاذ اللّهِ﴾ منصوب على المصدر المعنى أعوذ باللّه مَعاذاً، وموضع أن نَصْبٌ، المعنى أعوذ باللّه من أخذ أحَدٍ إلَّا مَنْ وَجَدْنا متاعنا عنده، فلما سَقَطَتْ «من» أفضى الفعل فنصب.

﴿إِنَّا إِذاً لَظَالِمُونَ﴾.

أي إن أخذنا غيره فنحن ظالمون.

﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْه خَلَصُوا نِجِيًّا﴾.

المعنى خَلَصوا يَتَناجَوْنَ، أي خَلَصُوا مُتَنَاجِينَ فيما يعْمَلُون في ذهابهم إلى أبيهم، وليس معهم أخوهم، و«نجِيٌّ» لفظ واحد في معنى جمع، وكذلك ﴿وإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾[1]. ويجوز قوم نجيٌّ وقوم نَجْوَى وقوم أَنْجِية، قال الشاعرُ[2]

إنـي إذا مـا القـومُ صـاروا أَنْـجِيَـهْ
واختلف القـولُ اختـلاف الأَرْشِيَـة
هـنـاكَ أوصـيـنـي ولا تـوصـي بَـيَـهْ

ومعنى خلصوا انفردوا وليس معهم أخوهم.

وقوله عز وجل: ﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾.

أجود الأوجه أن يكون «مَا» لغواً، فيكون المعنى ومن قبل فَرَّطْتُمْ في يوسف، ويجوز أن يكون ما في موضع رفع، فيكون المعنى ومن قَبْلِ

---

(١) سورة الإسراء الاية ٤٧.

(٢) هو سحيم بن وثيل اليربوعي، وروايته في اللسان (نجا) «كانوا أنجية» و «اضطرب القوم» وروي أيضاً «واختلف القوم» و «والْتبَس» وضبطه علي بن حمزة بكسر الكاف في «هناك» حظا بالأنثى ولهذا قال: «أوصيني» - قيل ضربه مثلا لنزول الأمر المهم واختلاف الآراء واضطرابها، وقيل يصف سَفْراً أجهدهم السير وشدوا أنفسهم على ركائبهم بالرحال لئلا يسقطوا لأن النوم جعل أجسامهم تميد - والأول أظهر - والأرشية الحبال، وهو يريد إظهار تفوقه على أقرانه.

تفريطكم في يوسف، أي وقع تفريطكم في يوسف، ويجوز أن يكون ما في موضع نصْبٍ نسقٌ على أنَّ، المعنى ألم تعلموا أن أباكم، وتعلموا تفريطكم في يوسف.

﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حتى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾.

أي لن أبرح أرض مصر، وإلاَّ فَالناس كلهم على الأرض.

﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لي﴾.

نسق على ﴿حتى يأذَنَ﴾، ويجوز أن يكون «أو» على جَوابِ لَنْ المعنى لن أبرح الأرض حتى يحكم اللَّه لي.

وقوله: ﴿إنَّ ابنَكَ سَرَقَ﴾.

ويجوز سُرِّقَ، ألا أن سرق آكد في القراءة، وسُرِّقَ يكون على ضربين، سُرِّق عُلِم أَنَّهُ سَرَقَ، وسُرِّق اتُّهِمَ بالسرق.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾.

أي زينت لكم أنفسكم، وحببت إليكم أنفسكم.

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾.

المعنى فأمري صبر جميل أو فصبري صبر جميل، وقد فسرنا هذا فيما سبق من السور:

وقوله عز وجل: ﴿يَا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ﴾.

معناه يا حزناه، والأصل يا أسفي إلا أن «يا» الإضافة يجوز أن تبدل ألفاً لخفة الألف والفتحة.

﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾: أي محزون.

﴿قالوا تاللَّهِ تَفْتَأُ تذكرُ يُوسُفَ﴾.

معنى تـاللّه : واللّه، و «لا» مضمرة، المعنى واللّه لا تفتـأ تذكـر يوسف أي لَا تزال تذكر يوسف(١).

﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً﴾.

والحَرَضُ الفاسد في جسمه، أي حتى تكـون مُدْنَفـاً مريضـاً. والحرض الفاسد في أخلاقه، وقولهم: حَرَّضْتُ فلاناً على فلانٍ، تَأْويلُه أفسدته عليه.

وإنما جاز إضمار «لا» في قوله ﴿تَاللَّه تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ لأنه لا يجوز في القسم تاللّه تفعل حتى تقول لتفعلن. أو لا تفعل. والقسم لا يجـوز للناس إلاّ باللّه عز وجل، لا يجوز أو يحلف الرجل بأبيه، ولا ينبغي أن يحلف بـالأنبياء، ولا يحلف إلاّ باللّه، ويروى عن النبي عليه السلام أنه قال لِعُمَر: لا تحلفوا بآبائكم، ومن كان حالفاً فليحلف باللّه. فإن قال القائل: فما مجاز القسم في كتاب اللّه عز وجل في قوله: ﴿والليل إذا يغشى﴾، ﴿والسماء ذات البـروج﴾ ﴿والتين والزيتون﴾ وما أشبه هذه الأشياء التي ذكرها اللّه جل جلاله في كتابه، ففيها أوجه كلها قد ذكرها البصريون، فقالوا: جائز أن يكون اللّه عز وجل أقسم بها لأن فيها كلها دليـلاً عليـه وآيـات بينـات، قـال اللّه ـ عـز وجـل ـ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَـوَاتِ والأَرْضِ واخْتِلَافِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ﴾ألخ الآيـة(٢). وقال: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَـا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آياتٌ﴾(٣). فكان القسم بهذا يدل على عظمة اللّه.

وقال قطرب جائز أن يكون معناها: ورب الشمس وضحاها، وربِّ التِّين والزيتون، كما قال: ﴿والسماء ذات البروج﴾(٤)، وقال: ﴿والأرض وما طحاها﴾(٥)،

---

(١) تحذف لا في القسم، وتزاد فيه أيضاً، تقول إني وربك أدري ما سيحدث أي لا أدري وتقول: لا أقسم أنه لحق أي أقسم.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٩٠ والبقرة آية ١٦٤.

(٣) سورة الجاثية الآية ٤.

(٤) أول سورة البروج.

(٥) سورة والشمس وضحاها آية ٦.

وقال: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ والأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾[١].

وقالوا أيضاً: جائز أن يكون وخَلْقِ السموات والأرض، وخَلْقِ التّين والزيتون.

وقالوا: يجوز أن يكون لما كان معنى القسم معنى التحقيق، وأن هذه الأشياء التي أقسم اللَّه بها حق كلها، وكذلك ما أقسم عليه حق فالمعنى كما أن التين والزيتون حق، لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم.

وأجْود هذه الأقوال ما بدأنا به في أولها.

وقوله عز وجل: ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾.

قالوا ﴿مزجاة﴾ قليلة، وقالوا كانوا جَاءُوا بمتاع الأعراب كالصوف والسمن، وما أَشْبَهَ ذلك مما يبيعه الأعراب، وقيل ان البضاعة كانت مما لا يُنْفَقُ مثلهُ في الطعام، لأن متاع الأعْراب كذلك كان تحته رديءَ المال[٢]. وتأويله في اللغة، أن التزجية الشيء القليل الذي يُدَافَعُ به، تَقُول: فلان يُزَجِّي العَيْشَ أي يَدْفَع بالقليل ويكتفي به. فالمعنى على هذا: إنَّا جئنا ببضاعة إنما يُدَافِع بها [أي] يتقوّت، لَيْسَ مِمَّا يُتَّسَعُ بِهِ، قال الشاعر:

الواهب المائةَ الهِجَانَ وعَبْدَهَا ... عـوذا تُزَجِّي خَلْفَهَا أطفالَها[٣]

---

(١) سورة والذاريات الآية ٢٣.

(٢) لا يدفع في مقابلته إلا رديء المال.

(٣) البيت للأعشى من قصيدة يمدح بها عمرو بن معد يكرب الزبيدي - وهي قصيدة جيِّدَةٌ معروفة مطلعها:

رحلت سُمَيَّةُ غدوةً أجمالَها ... غضبى عليك فما تقول بدا لها

والهجان من الإبل الكريمة الجيدة - وقيل البيضاء لأن البياض دليل الجودة، والعوذ جمع عائذ - وهي الناقة الحديثة العهد بالولادة لأن فصيلها يعوذ بها ويتبعها وتزجى بمعنى تسوق وتدفع، يريد أن يهب الإبل الكريمة مع أولادها وراعيها.

انظر الخزانة ص ١٩١ (سلفية) الشاهد ٢٩٤ - والديوان تحقيق محمد حسين.

أي تدفع أطفالها.

وقوله عز وجل:﴿أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾.

فيها أربعة أوجه:

بجمع الهمزتين، قالوا أَئِنَّكَ - على تحقيقهما، ويجوز أئنك - على أن يجعل الثانية بين الياء والهمزة.، وقرئت. «أَئِنَّك» على إنك بفصل بين الهمزتين بألف لاجتماع الهمزتين، قال الشاعر:(١)

فيا ظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقا آأنت أم أُمُّ سَالم

ويجوز قالوا إنك لأنت على لفظ الخبر.

وقوله عز وجل:﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾.

أي لا إفساد عليكم.

وقوله عز وجل: ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونَ﴾.

معناه لولا أن تجهّلونِ، ويروى تسفهُّونَ(٢).

وقوله:﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾.

يقال قد خطئ يخطأ خطأ وخَطأ، وأخطأ يخطئ إخطاء، قال امرؤ القيس:(٣)

---

(١) هو ذو الرمة، والبيت في اللسان - (جل)، وجلاجل - بفتح أوله موضع وقيل جبل من جبال الدهنا، والوعساء والأوعس، والوعْسة والوعَسة والوعْس - كله بمعنى الأرض اللينة ذات الرمل، أو الرمل السهل تغوص فيه القدم، وذكر صاحب الأغاني (١٧/٣٠٤ - قصة طريفة لهذا البيت بين ذي الرمة وأخيه مسعود، وكان ذو الرمة - وهو غيلان بن عقبة ويكنى أبا الحارث - يشبب بمية بنت مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم - الذي قدم على رسول الله في وفد بني تميم - وهو أحد العشاق المشهورين - كما كان يشبب بخرقاء وليس هذا أسمها - ولكن الخرقاء التي لا تعمل بيديها شيئاً لكرمها - والبيت من شواهد المغني ٤١٣/١، وفي الخزانة ١/٥٠، والعيني ٤١٢/١.

(٢) لا توجد قراءة بهذا - ولكنه يريد فند الشخص معناه كذبه أو سفهه.

(٣) يروى البيت أيضاً: يا لهف نفسي - والحلاحل القوي الشديد - والبيت في الديوان ١٤٣، ٣٦٨:

يـا لهف هنـد إذْ خَـطِئْنَ كَـاهِـلا　　الـقـاتليـن المـلك الحـلاحـلا

وقوله عز وجل :﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ .

قال ذلك يعقوب إرَادَةَ أن يستغفر لَهم في وقت وجه السَّحَرِ، في الـوقت الذي هو لإِجَابَةَ الـدعاء لَا أَنـه ضَنَّ بالاستغْفـار وذلك أشبـه بأخـلاق الأنبياء، أعني المبالغة في الاستغفار، وتعمـد وقت الإجابة.

﴿آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْه﴾ .

أي ضم إليه أبويه .

﴿وَرَفَع أَبَوَيْه عَلَى العَرْشِ﴾ .

﴿العرش﴾ السرير .

﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً﴾ .

كان من سنة التعظيم في ذلك الوقت أن يُسْجَدَ للمعظَّم، وَقِيلَ:﴿وَخَـرُّوا له سُجَّداً﴾ : وَخَرُّوا للَّه[1] .

وقوله عز وجل : ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ المُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فيهـا قـولان، أعني في دخـول «مِنْ»، جـائـز أن يكـون أراد عَلَّمَتنِي بعض التأويل، وآتَيتني بعض الملك، وجائز أن يكون دخول «من» لِتُبيِّنَ هذا الجنس من سـائر الأجنـاس، ويكون المعنى : رب قـد آتيتني الملك وعلمتني تـأويـل الأحاديث، مثل قوله عز وجل :﴿تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ﴾ يدل على أن «من» ههنا إنما هي لتبيين الجنس، ومثله قوله : ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾ ولم يُؤمَـرُوا بـاجتنـاب بعض الأوثـان، ولكن المعنى : واجْتَنِبـوا الرِّجسَ الذي هو الأَوْثَانُ[2] .

= من الستة، واللسان (حلل) والشطر الأول في مجاز أبي عبيدة .

(١) أي الضمير في له يعود على اللَّه .

(٢) «من» في «من الأوثان» بيانية، فإذا اعتبرت كذلك في الآية قـدر مفعول محـذوف ـ أي آتيتني شيئاً أو بعضاً .

وقوله عزوجل:﴿ فَاطِرَ السَّمَواتِ والأَرْضِ ﴾.

ينتصب على وجهين: أحدهما على الصفة لقوله ﴿رَبِّ﴾ قد آتيتني من الملك، والمعنى: يَا ربِّ قد آتيتني، وهذا نِدَاء مضاف في موضع نصبٍ، ويكون ﴿فَاطِرَ السَّمَواتِ والأَرْضِ﴾ صفة لِلاول، وجائز أن ينتصب على نداء ثانٍ، فيكون المعنى: يَا فَاطِرَ السَّمٰواتِ والأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي.

﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

أي أَلْحِقْنِي بمرَاتبهم مِنْ رحمتك وغفرانك

﴿ذَلكَ مِنْ أَنباءِ الغَيْبِ نُوحِيه إليك﴾.

هذا خِطاب للنبي عليه السلام، المعنى الذي قَصَصْنَا عليك من أمْر يُوسُفَ وَإخوته مِنَ الأخْبَارِ التي كانت غائبة عنك. فأنزلت عَلَيْهِ دلَالَةً على إثبات نُبُوَّته، وإنْذَاراً وتيْسِيراً بتفصيل قِصَص الأمم السالفة. وموضع ﴿ذلك﴾ رفع بالابتداء ويكون خبره ﴿من أنباء الغَيْب﴾، ويكون ﴿نُوحيه إلَيْكَ﴾ خَبَراً ثَانِياً، وإن شئت جعلت «نوحيه» هو الخبر، وجعلت ذلك في موضع الذي، المعنى الذي مِنْ أنباء الغيب نوحيه إليك ذلا،

وقوله عز وجل:﴿وَمَا أكثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

معناه وما أكْثَرُ النَّاسِ بمؤمنين ولو حَرَصْتَ على أن تَهْدِيَهُمْ لأنك لا تهدي مَنْ أحْبَبْتَ ولكنَّ اللّه يَهْدي مَنْ يَشَاءُ.

﴿وَمَا تَسْألهم عليه مِنْ أَجْرٍ﴾.

أي وَمَا تَسْأَلهم على القرآن وتلَاوته وهِدَايتكَ إيَّاهم من أَجْر،﴿إنْ هُوَ إلاّ ذكرٌ لِلْعَالمِينَ﴾.

أي ما هو إلا تذكرة لهم، بما هو صلاحهم ونجاتهم من النَّارِ وَدُخولهم

الجنة، وإنذارُهم وتبشيرُهم، فكل الصلاح فيه.

﴿وَكَأَيِّنْ مِن آيةٍ في السّموات والأَرْضِ﴾.

أي مِن علامة وَدلالة تَدُلُّهم على توحيد اللّه، مر ـرِ السَّمَاءِ وأنها بغَيْرِ عَمَدٍ لا تقع على الأرض، وفيها من مجرى الشمس والقمر ما فيها، وفيها أعظم البرهان والدليل على أن الّذي خلقها واحد، وأن لها خالقاً، وكذلك فيما يشاهد في الأرض من نباتها وبحارها وَجَبالِهَا.

﴿وَهُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ﴾.

أي لا يفكرون فيما يدُلُّهمْ عَلَى توحيد اللّه ـ عز وجل ـ والدليل على أنهم لا يفكرون فيما يستدلون به قوله عز وجل:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾.

أي إن اعترفوا بأن اللّه خالقهم وخالق السموات والأرض، أشركوا في عبادته الأصنام، وأشركوا غيْر الأصنَام.

﴿أفأمِنُوا أَنْ تَأْتِيهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذاب اللّهِ﴾.

أي أن يأتيهم ما يعجزهم من العذابَ

﴿أَوْ تَـأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغتَةً﴾.

أي فجأةً، و﴿بغتة﴾ مصدر منصوب على الحال، تقول لقِيتهُ بَغْتَةً وَفَجْأةً، ومعناه من حيث لم أتوقع أن ألقاه.

وقوله عز وجَلّ: ﴿وَلَدَارُ الآخِرةِ خَيرٌ للَّذِينَ اتَّقَوْا﴾.

وفي غير مَوْضِعٍ ولَلدَّار الآخرةُ، فمن قال الدَّارُ الآخرة فالآخرة نعت للدار، لأن لجميع الخلق دَارَيْن، الدّارُ التي خُلِقُوا فيها وهي الدُّنْيا، والدَّارُ الآخرةُ التي يُعَادُونَ فيها خلقاً جدِيداً، ومَنْ قالَ «دَارُ الآخِرة» فكأنَّهُ قال: وَدَارُ

الْحَالِ الآخِرَةِ، لأنَّ للناس حَالَيْنِ، حالَ الدُّنْيَا وحال الآخرة[1]، ومثل هذا في الكلام الصَّلاَةُ الأُولَى، وصَـلاَةُ الأُولى. فمن قال الصَّـلاةُ الأولى جعل الأولى نعتـاً للصلاة، ومن قـال صلاةُ الأُولى أراد صـلاة الفـريضـة الأولى، والسَّـاعَـةِ الأولى.

﴿حَتَّى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا[2] أَنَّهُمْ قَدْ كَذِبُوا﴾.

قُرِئَتْ كُذِّبوا وكُذِبُوا، بِالتخفيف والتشديد، وقـرئت «وكَذَبُـوا» فأمـــا من قرأ وَظَنُّوا أَنهم قد كُذِّبُـوا بالتشـديد ـ فـالمعنى حتى إذا استيأس الرُّسُـل من أنْ يُصَدِّقَهُمْ قومُهم جَاءَهُمْ نَصْرُنَا. ومن قرأ قـد كُذِبُـوا بالتخفيف، فـالمعنى وظن قومهم أنهم قد كُذِبُوا فيما وُعِدُوا، لأن الرُّسُل لا يظُنُّون ذلك. وقد قال بعضهم وظنوا أنهم قد أُخْلِفوا أي ظن الرُّسُلُ، وذلك بعيدُ في صفة الرسل.

يروى عن عائشة أن النبي ﷺ لم يوعد شيئـاً[3] أُخْلِفَ فيه وفي الخبـر: ومَعاذَ اللَّه أن يَظُنَّ الرُّسُلُ هَذَا بِربّها.

ومعنى: وظنوا أنهم قد كُذِبُوا ظن قَومُهم أيضاً أنهم قد كُذِبُوا[4].

وقوله عز وجل: ﴿فَنُجِّيَ مَنْ نَشَـــاءُ﴾.

قـرئت فنُنجّي، وفَنُنْجِـيَ، وقُرِئَتْ فَنَجَـا مَنْ نَشَاءُ، وقـرأ عـاصم فَنُجِّيَ مَنْ نشـاء بفتـح اليـاء، فـأمـا من قـرأ فنُنْجِي فعلى الاستقبـال، والنُّـون نُـونُ الاستقبال، أعني النون الأولى، ومن قرأ فَنُجِّي ـ بإسكان الياء ـ فحـذف النون الثانية لاجتماع النونَين، كما تقول: أنت تَبَيَّنُ هذا الأَمْرَ، تريد تَتَبيَّنُ، فحـذف لاجتماع تاءين، ومن قرأ فنجا من نشـاء عطف على قـوله جـاءهـم نصرنـا فنجا

---

(١) الأولى دار الحياة الآخرة.

(٢) أي ظن قومهم.

(٣) في الأصل «شيء».

(٤) ظنوا أن قومهم مكذبوهم ولن يؤمنوا برسالتهم.

من نشــاء على لفظ الفعـل المــاضي، ومن قــرأ فَنُنجِّيَ من نَشَــاءُ. فبمعنى الماضي على ما لم يسم فاعله، ويَكون موضع «مَنْ» رَفْعاً. ويُعْلَمُ بالمعنى أن اللَّه عز وجل ـ نَجَّاهُمْ.

وقوله ـ عز وجل ـ ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

أي الذي تقدمه من الكتب.

ونصب تَصْـدِيقاً على معنى كـان، المعنى: ما كـان حديثـاً يفترى ولكن كـان تصديق الـذي بين يديـه، ويجوز: ﴿مَـا كَانَ حـديثاً يفتـرى ولكن تصديقَ الَّذي بين يديه﴾. فمن قرأ هكـذا رفع البـاقي المعطوفَ على تصـديق، ويكون مـرتفعاً على معنى ولكن هـو تصديقُ الـذي بين يديـه، ويكون ﴿وَتَفْصِيـلَ كُـلِّ شَيءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ نَسَقـاً عَلَيْـه.

وهـذا لَمْ تثبت بقراءتـه رواية صحيحـة، وَإِنْ كانَ جـائزاً في العـربية لا اختلاف بين النحويين في أنـه جَيِّدٌ بـالغٌ، فـلا تَقْرأَنَّ بـه ولا تُخَالِفْ الإجمـاع بمذاهب النَّحْويِّينَ.

سُورَةُ الرَّعْدُ
مدنيــة

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓر﴾:

قد فسرنا في سورة البقرة ما قيل في هذا وأشباهه، ورُوِيَ أنّ معناه أَنَا اللَّهُ أرَى، ورُوِي أنا اللّٰه أعلم وأرى، وروي أن «الٓمٓر» حروف تدل على اسم الرب جَلَّ جَلالُه

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ﴾.

جاء في التفسير أنَّ الذي أُنْزِلَ قَبْل القرآن آياتُ الكتاب.

﴿وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الحَقُّ﴾.

أي والقرآن المنزلُ عَليكَ الحقُّ، ويجوز أن يكونَ موضِعُ ﴿الذي﴾ رفعاً على الابتداء، ويجوز أن يكون رفعاً على العطف على ﴿آياتُ﴾ ويكون ﴿الحقُّ﴾ مَرْفُوعاً على إضمار هُوَ، ويجوز أن يكون موضع الذي خَفْضاً، عطفاً على الكتاب، المعنى تلك آيات الكتاب وآياتُ الَّذِي أُنْزِلَ إليكَ، ويكون الذي أنزل من نعت الكتاب وإن جاءت الواو[1]، ويكون الحق مرفوعاً على الإضمار، ويجوز أن يكون الحق صفة للذي.

---

(١) يَعتبر بعض النحويين الواو زائدة ـ في مثل قوله تعالى: ﴿وسيق الذين اتّقوا رَبَّهُم إِلَى الجَنّةِ زُمُراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وفُتِحَتْ أَبْوابُهَا﴾ فاعتبر «جاءوهَا» جواب الشرط، فكذلك الواو هنا يمكن اعتبارها زائدة.

المعنى: تلك آيـات الكتاب والـذي أُنْزِلَ إليـك من ربك الحقّ[١]، ولا أعلم أحداً قرأ بها.

وقوله عزّ وجلّ:﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّموَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾.

لَمَّا ذكر أنهم لا يؤمنـون عرف الـدَّليلَ الـذي يوجب التصـديق بالخـالق عـزّ وجلّ ـ فقـال:﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَـع السَّمواتِ بِغَيْرِعَمَدٍ﴾، وفي ذلـك من القدرة والدلالة ما لا شيءَ أوضحُ منـه. أن السماء محيـطة بالأرض متبـرية منهـا[٢]، بغيـر عَمَدٍ. والمعنى بغيـر عمـدٍ وأنتم تـرونهـا كـذلـك[٣]، ويجـوز أن تكـون ﴿ترونها﴾من نعت العَمَدِ، المعنى بغير عَمَـدٍ مرئيـةٍ، وعلى هذا تعمدها[٤] قدرة اللَّه عزّ وجلّ.

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ والْقَمَرَ كُلٌّ [يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى]﴾.

كـل مقهور مَـدبَّرَ لا يملك لنفسـه ما يخلصـه من القهـر، فـذلـك معنى السُّخْرَةِ، فالشمس والقمـر مسخران يجـريـان مجـاريهمـا التي سخـرا جـاريين عليها.

﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾: يحكمه.

﴿يُفصِّلُ الأَيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾.

أي يبين الآيـات التي تدل على قـدرته على بعثكم، ﴿لعَلكُم تُوقِنُـون﴾، لأنهم كانوا يجحدون البعث، فأعلموا أن الذي خلق السمـوات وأنشأ الإنسـان ولم يكن شيئاً، قادر على إعادته.

﴿وَهُوَ الَّذِي مدَّ الأَرْضَ﴾.

---

(١) وتنتهي صلة الموصول عند «أنزل إليك»، وتكون «من ربك» خبراً.

(٢) بعيدة عنها لا ترتكز عليها، منفصلة عن جميع أجزائها.

(٣) على أن ترونها جملة مستقلة.

(٤) تعمدها: تمسكها وتقيمها.

دلهم - بعد أن بين آيات السماء - بآيات الأرض، فقال - عزّ وجلّ -: ﴿وهو الذي مد الأرض﴾ روي في التفسير أنها كانت مُدَوَّرَةً فمُدَّت[1].

ومَعْناهُ بَسَطَ الأَرْضَ.

﴿وَجَعَلَ فِيها رَوَاسِيَ﴾.

أي جِبَالاً ثوابِتَ، يقال: قد رَسَا الشَّيءُ يَرْسُو رُسُوًّا فهو راسٍ إذا ثبت.

﴿وَأَنْهاراً وَمِنْ كَلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَل فِيهَا زَوْجَيْن اثْنَيْنِ﴾.

جعل فيها نوعين، والزوج الواحد الذي ليس له قرين

﴿يُغْشِّي الليل النَّهارَ﴾.

وتقرأ يَغْشِي الليل النَّهَارَ، ثم أعلم أنَّ ما ذكر من هذه الأشياء فيه برهان وعلامات بينات فقال:

﴿إنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

ثم زادهم من البرهان فَقَال.

﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ متَجاوِرَاتٌ﴾.

يروى في التفسير أنها تتجاوَرُ، بعضُها عامرٌ، وبعضها غير عَامِر، وكذا في التفسير أيضاً أن معناه قطع متجاورات.

﴿وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ﴾.

الأجود رفع جنات، المعنى وفي الأرض قطع متجاورات، وبينهما جناتٍ، ويجوز النصب في جناتٍ، ويقرأ وجنات من أعناب، المعنى جعل فيها رواسي وجعل فيها جنات من أعناب، ويجوز أن يكون وَجَنَّاتٍ خفضاً، ويكون نسقاً على كل، المعنى: ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين،

(١) في الأصل مَدَرَة، والرواية الثانية على هامش النسخة، وَمَدَرة أي قطعة من الطين اليابس، ثم زيد حجمها.

ومن جنات من أعناب ﴿وَزَرْعٌ﴾، فأما ﴿وزرع﴾ فيجوز فيه الرفع والخفض، وكذلك ﴿صِنْوانٌ وَغَيْرُ صِنْوانٍ﴾.

والصِّنْوَانُ جمع صِنْوٍ وصُنْوٍ، ومعنى الصنوان أن يكون الأصل واحداً وفيه النخلتان والثلاث والأكثر، ويجوز في جمع صنو أصْنَاءٌ، مثل عِدْل وأعدال، وكذلك صُنْو فإذا كثرت فَهِيَ الصُّنيُّ والصِّنيّ.

﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾.

ويجوز تسقى بالتاء، بماءٍ واحدٍ

﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ﴾.

والأُكُل الثَّمَرُ الَّذِي يُؤْكَل، ويجوز، ويُفَضِّل بعضَها عَلَى بعضٍ لأنه جرى ذكر اللَّه، فالمعنى يُفَضِّل اللَّهُ، وكذلك إذا قال: ونفضِّلُ بالنونِ لأن الإخبار عن اللَّه بلفظ الجماعة كما قال: ﴿إِنَّا نحنُ نُحْيي وَنُمِيتُ﴾(١) وهذا خوطب به العَربُ لأنهم يستعملون فيمن يُبَجِّلُونَه لفظ الجمَاعة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجبٌ قَوْلُهُمْ﴾.

هذا خطاب للنبي عليه السلام.

﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

أي هذا موضع عجب، لأنهم أنكروا البعث، وقد بين لهم من عِظَمِ خلقِ السمواتِ والأرض ما يدل على أنَّ البَعْثَ أسْهَلُ في القدرة مما قد تَبَيَّنُوا. فَأمَّا موضع ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً أإنا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ فموضع إذَا نَصْبٌ فمن قرأ.. ﴿أإذَا كنا تراباً﴾ على لفظ الاستفهام، ثم قرأ ﴿أئنَّا لفي خلقٍ جديد﴾ فإذا منصوبة بمعنى نبعث ويجَدَّدُ خَلْقُنَا، المعنى إذا كنا تراباً نبعث ودل على إرادتهم «إنَّنَا لفي خَلْقٍ جَدِيدٍ».

---

(١) سورة ق الآية ٤٣.

ومن قرأ إذا كنَا تراباً إنا لفي خَلق جديد أدْخَل ألف الاستفهام على جملة الكلام، وكانت إذا نصباً بكُنَّا، لكن الكلام يكون في معنى الشرط والجزاء، ولا يجوز أن تعمل «جَدِيد» في إذَا، لأن ما بعد إذا لا يعملِ فيما قبلها. لا اختلاف بين النحويين أنَّ ما بَعْدَ إنْ وإذا لا يعمل فيما قبلهما.

ثم أعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أنَّ المستفهِمَ بعد البَيَانِ والبُرْهَانِ عن هذا على جهة الإنكار كافرٌ، فقال:

﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾.

جاء في التفسير أن الأغلال الأعْمَالُ في أعناقهم يومَ القيامة، والدليل على ذلك في القرآن قوله: ﴿إِذِ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ والسَّلَاسِلُ يُسْحبُونَ فِي الحَمِيمِ﴾[1] وقيل أولئك[2] الأغلال في أعناقهم، أي الأغلال التي هي الأعمال، وهي أيضاً مؤدية إلى كون الأغلال في أعناقهم يوم القيامة، لأن قولك للرجل: هذا غُلٌّ في عنقك للعمل السيّىء معناه أنه لازم لك وأنّك مُجازًى علَيْه بالعذاب يَوْمَ القيامة.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بالسَّيئةِ قَبْلَ الحَسَنَةِ﴾.

أي يطلبون العذاب بقولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾[3].

﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ المَثُلَاتُ﴾.

والمُثُلات ـ بضم الميم وفتحها، فمن قَرأ المُثُلات، فهي جمع مُثْلة، ومن قرأ المَثُلَات فهي جمع مَثُلَة. ويجوز في المثلات ثلاثة أوجه. يجُوز:

---

(١) سورة غافر الآية ٧١ ـ ٧٢.

(٢) في شرح الآية المستشهد بها، وهو استدلال يحتاج إلى تفسير أيضا. ويحل التركيب على أنه أولئك الذين تكون الأغلال في أعناقهم بسبب أعمالهم السيئة.

(٣) الأنفال الآية ٣٢.

د خلت المُثْلاتُ، بإسكان التاء، ويجوز فتح الثاء المُثَلاتُ، ومن قرأ المثلات تُضَمُّ الثَّاءُ والمِيمُ، وهي في الواحدة ساكنة مضمومة في الجمع فهذه الضمة عوض من حذف تاء التأنيث، ومن فتح فلأن الفتحةَ أَخَفُّ الحركات، روت الرُّوَاةُ:

ولما رَأَوْنا بادياً رُكَباتُنا عَلَى مَوْطِنٍ لا نَخْلِطُ الجدَّ بالهَزْلِ[1]

ومن قرأ المُثْلات بإسكان الثاء فلأن كل ما كان مضموماً أو مكسوراً نحو رُسُل وعَضُدٍ وفَخِذٍ فإسكانه جائز لنقل الضمة والكسرة. والمعنى أنَّهم يَسْتَعْجِلُونَ بالعَذَابِ وقد تقدم من العذاب ما هو مُثْلَةٌ وما فيه نَكَالٌ لهم لو اتعظوا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَقُولُ الَّذِين كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْه آيَةٌ مِنْ رَبِّه﴾معناه هلّا أُنْزِلَ عليه وإنَّما طَلَبُوا غير الآيات التي أتى بها النبي ﷺ نحو انْشِقَاقَ القمر، والقرآنِ الذي دُعُوا أن يأتوا بسورة من مثله ـ وَما أشبه هذا النحو، فالتمسوا مثلَ آيات عيسى وموسى، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ ـ أنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادِياً، فقال جلّ وعزّ:

﴿إِنَّمَا انتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾.

أي نبي وداعٍ إلى اللَّه يَدْعُوهم بما يُعْطَى من الآيات لَا بِمَا يُرِيدُونَ ويتحكمون فيه.

وقوله: ﴿وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾.

معنى غاض في اللغة نقص. وفي التفسير ما نقص الحمل من تسعة أشهر وما زاد عنها على التسعة، وقيل ما نقص عن أَنْ يتمَّ حَتَّى يموتَ، وما زاد حتى يتم الحمل.

---

(١) تقدم في الجزء الأول ص ٢٤١.

وقوله: ﴿سَوَاءٌ منْكُم مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾.

مَوضع «مَنْ» رَفْعٌ بسواء، وكذلك من الثانية يرتفعان جميعاً بسواء، لأن سواء يطلب اثنين، تقول: سواء زيد وعمروٌ، في مَعْنى ذَوَا سَواءٍ زيدٌ وعمروٌ، لأن سواء مصدر فلا يجوز أن يرتفع ما بعده إلَّا على الحذف، تقول: عدلٌ زيد وعمروٌ، والمعنى ذوا عدل زيد وعمرو لأن المصادر ليست بأسماء الفاعلين، وإنما ترفع الأسماءُ أوْصَافَها، فإذا رفعتها المصادر فهي على الحذف كما قالت الخنساء:

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي اقبال وإدْبَار[1]

المعنى فإنما هي ذات اقبال وذات إدبار، وكذلك زيد اقبال وإدبار. وهذا مما كثر استعماله أعني سواء، فجرى مجرى أسماء الفاعلين، ويجوز أن يرتفع على أن يكون في موضع مُسْتَوٍ، إلا أن سيبويه يستقبح ذلك، لا يجيز مُسْتَوٍ زيد وعمرو، لأن أسماء الفاعلين عنده إذا كانت نكرةً لا يُبْتَدَأُ بها لضَعْفها عن الفِعْل فلا يُبْتَدأ بها، ويُجْرِيها مَجْرَى الفعلِ.

ومعنى الآية إعلامهُم أنَّ اللَّه عزّ وجلّ يَعلمُ ما غاب عنهمْ وما شُهِدَ.

فقال عزّ وجلّ:

﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ﴾.

أي من هو مستتر بالليل، والليل أَسْتَرِ مِنَ النهار

وَمَنْ هُوَ سَارِبٌ بِالنَّهار.

أي من هو ظاهر بالنَّهارِ في سَرَبِه، يقال: خَلٍّ لَهُ سَرَبَه أي طريقه،

(١) الخزانة الشاهد ٣٨٩ ط السلفية.

فـالمعنى الظاهـرُ في الطرقـاتِ، والمستخفِي في الظلمـاتِ، والجاهـر بنطقـه والمضمِرَ في نفسه علم اللّه فيهم جميعاً سواء.

وذكر قطرب وجهاً آخر، ذكر أنه يجوز أن يكون «مُسْتَخْفٍ بالليل» ظاهراً بالليل، وهذا في اللغة جائـز، ويكـون مع هـذا «وسارب بـالنهار» أي مُسْتتـر، يقال: انسرب الوحْشيُّ إذا دخل في كِناسِـه[1].

والأول بَيِّنٌ، وهو أبلغ في وصف علم الغيب.

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾.

أي للإنسان ملائكة يَعْتَقِبُونَ، يأتي بعضهم بِعَقِبِ بَعْضٍ

﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾.

المعنى حفظهم إياه من أمْرِ اللّهِ، أي مما أمَـرَهُـمُ اللّـه تعالى [بـه]، لا أنهم يقدرون أن يدفعوا أمر اللّه، كما تقول: يحفظونه عن أمر اللّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾.

أي لا يلي أمرهم أحدٌ من دون اللّه.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾.

خَوْفاً للمُسَافِرِ، لأن في المَطَرِ خَوْفـاً عَلَى المُسَافِـر، كما قـال اللّه تعالى ﴿إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ﴾[2]. وطَمَعاً[3] للحَاضِرِ لانتفاعه بالمطر، ويجوز أن يكون - واللّه أعلم - ﴿خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ خوفاً لمن يَخـاف ضُرَّ المَـطَرِ، لأنه ليس كل بَلدٍ ينتفع فيه بالمطر نحو مصر وما أشبهها، وطَمَعاً لمن يَرْجُو الانتفاع به.

---

(١) كناسه: جحره ومخبؤه.

(٢) سورة النساء / والآية ١٠٢: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنتُمْ مَرْضَى﴾ والفرض أن الأذى من المطر.

(٣) في الأصل طمع.

﴿وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾.

أي التي قد ثقلت بالماء.

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدَ بِحَمْدِهِ﴾.

جاء في التفسير أنه ملك يزجر[1] السحاب، وجائز أن يكون صوت الرعد تسبيحه لأن صوت الرعد من أعظم الأشياء، وقد قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿وإنْ مِنْ شيءٍ إلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[2]. وخص ذكر الرعد لعظم صوته ـ واللّه أعلم.

﴿وَيُرْسِلُ الصَّواعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾.

جائز أن يكون الوَاوُ وَاوَ حالٍ. فيكون المعنى فيصيبُ بها من يشاء في حَال جِدَاله في اللّه، وذَلِكَ أنه أتى في التفسير أَنَّ رَجلاً من الجاهلية يقال له «أُرْبَدُ» سأل النبي ﷺ فقال أخبرني عن ربنا أمِنْ نحاس أم حَدِيدٍ، فأنزل اللّه عليه صاعقة فقتلته، فعلى هذا يجوز أن يكون الواو وَاوَ حَالٍ. ويجوز أن يكون: لما تمم اللّه أوصاف ما يدل على توحيده وقُدْرَتِهِ على البَعْثِ قَالَ بَعْدَ ذلك ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ المِحَالِ﴾.

أي شديد القدرة والعَذَابِ. ويقال في اللغة مَاحَلْتُه مِحَالاً، إذا قَاوَيْتُهُ، حتى يتبين له أيكما أشَدُّ. والمَحْلُ في اللغة الشدة، واللّه أعلم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دونِه لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾.

جاء في التفسير: دَعوةُ الحق شهادة أن لا إله إلاّ اللّهُ، وجائز ـ واللّه أعلم ـ أن تكون دَعْوةُ الحقّ أنه مِنْ دَعَا اللّه مُوَحِّداً استجيب له دَعَاؤُه.

---

(١) بالهامش في نسخه يرجع.

(٢) سورة الإسراء الآية ٤٤.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِه لاَ يَسْتَجِيبُونَ [لَهُمْ بِشَيءٍ] ﴾.

ثم بين اللَّه عزّ وجلّ كيف استجابةُ الأصْنَامِ لأنَّهمُ دَعَوُا الأَصْنَام من دون اللَّه فقال:

﴿إلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إلىَ المَاءِ﴾.

[أي] إلا كما يستجاب الذي بسط كَفَّيْه إلى المَاء يَدعو الماء إلى فيه، والماء لا يستجيب، فأعلم اللَّه - عزّ وجلّ - أن دعاءهم الأصنام كَدُعَاءِ العَطْشَانِ الماءَ إلى بُلوغ فيه، ﴿وَمَا هُوَ بِبَالِغِه﴾.

وقال بعضهم: إلاّ كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه كإنسان على شفير بئر يدعو الماء من قرار البئر ليبلغ فاه، والتَّفْسِيرَانِ وَاحِدٌ.

وقوله - عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ في السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾. جاء في التفسير أن المؤمن يسجد طوعاً، والكافر يسجد كرهاً، وجاء أن مِنَ النَّاسِ مَنْ دَخَل في الإسـلام طوعـاً ومنهم من لم يدخـل حتى فحص عن رأسه بالسيف، أي فسجَدَ ودَخَلَ في الإسلام في أول أمْرِه كرهاً. وجائز - واللَّه أعلم - أن يكون طوعاً وكُرهاً أن يكونَ السُّجـودُ الخُضُوعَ للَّه، فمن النـاس من يخضع ويقبل أمر اللَّه فيما سهل عليه، ومنهم من تَقَبَّلَهُ وإن كانَ عليه فيه كُرْهٌ.

﴿وظِلاَلُهُم بالغُدُوِّ والآصَالِ﴾.

أي وتسجد ظلالهم. وجاء في التفسير أن الكافر يسجد لغير اللَّه، وظله يسجد للَّه، وقيل وظلالهم أشخاصهم، وهذا مخالف للتفسير.

وقوله: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِه فَتَشَابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾.

أي هل - أو أغير اللَّه خلق شيئاً فاشتبه عليهم خلق اللَّه من خلق غيره.

وقوله عزّ وجلّ -: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِ شَيْءٍ وَهُوَ الوَاحِدُ القَهَّارُ﴾.

أي قل ذلك وَبيِّنه بما أخبر اللَّه به من الدلالة على توحيده من أول هذه السورة بما يدل على أنه خالق كل شيء، ثم قال ـ عزّ وجلّ ـ ضارباً مثلاً للكافرين والمؤمنين:

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾.

أي بما قَدّرَلَهَا مِن مِلْئِها، ويجوز بقدرها أي بقدر مِلْئِها، ﴿فَاحْتَمل السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً﴾.

[أي] طافياً عالياً فوق الماء.

﴿ومِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ﴾.

أي ابتغاء متاعٍ.

﴿زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾.

والذي يوقد عليه في النار ابتغاء حلية: الذَّهَبُ والفِضَّةُ، والذي يوقد عليه ابتغاء أمْتِعةِ الحديدُ والصُّفْر[1] والنحاس والرصاص، وزَبَدٌ مثلُه أي مثل زَبَدِ الماءِ.

﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الحَقَّ والبَاطِلَ، فَأَمَّا الزَّبَدُ﴾.

[أي] مِنْ زَبَد الماء، والزَّبَدُ من خَبَثِ الحديد، والصُّفْرِ والنحاسِ والرَّصَاصِ

﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾.

أي فيذهب ذلك لا ينتفع به، والجفاء ما جفا، الوادي، أي رمى به.

﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمكَثُ فِي الأَرْضِ﴾.

وأما ما ينفع النَّاسَ مِنَ الماءِ والفضَّةِ والذهب والحديد وسائر ما ذكرنا فيمكث في الأرض. فمثلُ المؤمن واعتقاده ونفْعِ الإيمان كمثل هذا الماء

(١) الصُّفْر النحاس، أو نوع منه، ويُطْلَق أيْضاً على الذهب.

المنتفَع به في نبات الأرض وحياة كل شيء، وكمثل نفع الفضة والذهب وسائر الآلات التي ذُكِرَتْ لأنها كلها تبقى منتفعاً بها، ومثل الكافر وكفره كمثل هذا الزَّبَد الذي يذهب جَفاءً، وكمثل خبث الحديد، وما تخرجه النار من وسخ الفضة والذهب الذي لا ينتفع به.

وموضع كذلك نصْبُ، قال أبو زيد: يقال جَفَأتُ الرَّجُلَ إذا صَرَعْته وأجْفَأَتِ القِدْرُ بِزَبَدِها إذَا ألقت زَبَدها فيه، ﴿فيذهب جُفاءً﴾. من هذا اشتقاقه، وموضع «جُفاءً» نصبٌ على الحال، وهو ممدودٌ. وزعم البصريُّونَ والكوفيون جميعاً أنَّ ما كان مثلَ القُمَاشِ والقُمَامِ والجُفَاء فهذه الأشياء تجيء على مثال فُعَالٍ.

وقوله: عزّ وجلّ: ﴿لِلَّذِينَ استَجابُوا لِرَبِّهِمُ الحُسْنَى﴾.

أي لهم الجنة، وجائز أن يكون لهم جزاءُ المحسنين، وهُوَ راجعٌ إلَى الجنَّةِ أيضاً كما قال ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إلَّا الإِحْسَانُ[1]﴾.

﴿أُولَئِكَ لَهُم سُوءُ الحِسَابِ﴾.

وسوء الحساب ألا تقبل منهم حسنة ولا يُتَجَاوَزُ لَهُم عَنْ سَيئَةٍ، وأن كُفْرَهُمْ أحْبَطَ أعمَالَهم كما قال: .. ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[2] وقيل سوء الحساب أن يُسْتَقصى عليه حسابه ولا يتجاوز له عن شيءٍ من سيئاته، وكلاهما فيه عطب[3]. ودليل هذا القول الثاني: من نوقش الحساب عُذِّبَ، وتكون سوء الحساب المناقشة[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَدْرَأُونَ بالحَسَنةِ السَيِّئَةَ﴾.

---

(١) سورة الرحمن.

(٢) أول سورة القتال.

(٣) استقصاء الحساب أو عدم التجاوز. أي سوء المناقشة.

أي يدفعون، يقال: دَرَأْتُه إذَا دَفَعْته.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾.

﴿جنَّاتُ﴾ بَدَل مِنْ ﴿عُقْبَى﴾، وعَدن: إقامة،يقال:عَدَنَ بالمكان إذَا أقام فيه.

﴿يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾.

موضع «مَنْ» رفع، عطف على الواو في قوله: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾(١) وجائز أن يكون نصباً، كما تقول قد دخلوا وزيداً أي مع زيدٍ.

أعلم اللَّه - عزّ وجلّ - أن الأنسابَ لا تنفع بغير أعمال صالحة فقال: يَدْخُلونَها وَمَنْ صَلَح مِمَّنْ جَرَى ذِكْرُه(٢).

﴿والمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَـرْتُمْ﴾.

أي يقولون سلام عليكم بما صبرتُم. هذه مكرمة من اللَّه عز وجل لأهـل الجنَّةِ، والمعنى يـدخلون عليهم من كل بـاب يقولون ﴿سلام عليكم﴾، فأضمر القولْ ههنا لأن في الكلام دليلاً عليه.

وقوله:﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾.

يعني من رجع إلى الحقِّ.

﴿الذين آمنوا﴾ في موضع نصب رَدًّا على مَنْ، المعنى يهـدي إليه الـذين آمنوا ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾، أي إذا ذكـر اللَّه بوحـدانيته آمنـوا به غيـر شَاكِّينَ.

﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

---

(١) القاعدة العامة عند البصريين أن لا يعطف على ضمير الرفع المتصـل إلا إذا كان هنـاك فاصـل بينه وبين المعطوف، وورد العطف بغير فاصل وهو ضعيف، فهو هنا مفعول معه فما جوزه الزجاج هو الأولى والأصح، لأن الضمير فاصل ضعيف.

(٢) أي: (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرّيَاتهم)، أي إن كان هؤلاء صالحين ألحِقوا بِذويهم.

«ألا» حرف تنبيه وابتداء، ومعنى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أي التي هي قلوب المؤمنين لأن الكافرَ غير مطمئن القلب.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾.

القراءة بالرفع في ﴿وَحُسْنُ مآب﴾. عطف على ﴿طوبى﴾ كما تقول: الحمدُ للَّه والكرامةُ وإن شئت كان نصباً على ﴿طوبى لهم وحُسْنَ مآب﴾، أي جعل اللَّه لهم طوبى وحُسْنَ مآبٍ، وطوبى عند النحويين فُعْلَى من الطِيبِ، المعنى العيش الطيب لهم. وجاء في التفسير عن النبي ﷺ أن طوبى شجرة في الجنة، وقيل طوبى لهم حسنى لهم، وقيل طوبى لهم خَيْرٌ لهم. وقيل «طوبى» لهم اسم الجنة بالهندية. وقيل طوبى لهم خيرة لهم، وهذا التفسير كله يشبهه قول النحويين أنها فُعْلَى من الطِّيب.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أو كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى﴾.

تُرِكَ جواب «لو» لأن في الكلام دليلاً عليه، وكان المشركون سألوا النبي ﷺ أن يفسَحَ لهم في مكة ويباعد بين جبالها حتى يتخذوا فيها قطائع وبساتين وأَنْ يُحْيِيَ لهم قَوْماً سَمَّوْهُمْ لَهُ، فأعلمهم اللَّه ـ عز وجل ـ أن لو فعل ذلك بقرآن لكان يفعل بهذا القرآن.

والذي أَتَوَهَّمُه ـ واللَّه أعلم ـ وقد قاله بعض أهل اللغة، أنَّ المعنى: لو أن قرآناً سُيِّرتْ به الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ به الموتى لما آمنوا به. ودليل هذا القول قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ المَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ المَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيؤمنوا إلا أن يشاء اللَّه﴾[1].

(١) سورة الأنعام الآية ١١١.

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِين آمَنُوا أنْ لو يَشَاءُ اللَّه لَهَدى النَّاسَ﴾.

قيل إنها لغة للنخع، ييأس في معنى يَعْلَمُ، وأنْشدوا(١).

أقـول لهم بـالشعب إذْ يَيْسـرُونني　　　ألم تيـأسـوا أني ابن فَـارِسِ زَهْـدَم

وقـرئت: أفلم يتبيّن الذين آمنـوا(٢)، وقال بعض أهـل اللغة: أفلم يعلم الذين آمنوا علماً ييأسوا معه من أن يكون غير ما علموه.

والقـول عنـدي واللَّه أعلم أن معنـاه أفلم ييأس الـذين آمنـوا من إيمـان هؤلاء الذين وصفهم اللَّه بأنهم لا يؤمنون لأنه قـال: ﴿لَوْ يَشَاء اللَّـهُ لَهَدَى النَّـاسَ جميعاً﴾(٣).

﴿جميعاً﴾ منصوبٌ على الحَالِ.

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾.

قيل سَرِيَّةٌ، ومعنى قارعة في اللغة نازلة شديدة تنزل بأمر عظيم.

وقوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ﴾.

قال سيبويه: المعنى فيما يقص عليكم مثـل الجنة، أو مثـل الجنة فيمـا يقص عليكم، فـرفعه عنـده على الابتداء. وقـال غيره: مثـل الجنة التي وعـد المتقون مرفـوع [على الابتداء] وخبـره ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ كمـا تقول:

(١) الشعر لسحيم بن وثيل اليربوعي، وقيل لولده جابر بن سحيم ـ وزهدم فرس سحيم، وييسرونني أي يَقتسمونني كما تقسم الجزور، ويروي يأسرونني من الأسر لأنه كـان قد وقـع في سباء، ويـروى أني ابن قـاتل زهـدم، وهو رجـل من عبس ـ فعلى هذا يكـون الشاعـر سحيم ـ ويروى البيت: ألم ييأسوا أني ابن فارس لازم ـ وعليها يكون الشعر له أيضاً، وييأس بمعنى يعلم في لغة هوازن، ويقال هي لغة حي من النخع

انظر اللسان (يئس) وشواهد الكشاف ١١٠ ـ والبيت من شواهد النحو الشائعة.

(٢) قرأها جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وعلي بن أبي طالب.

(٣) وتكون «أن لو يشـاء اللَّه» في موضـع جر بحـرف محذوف أي لأن لـو يشاء اللَّه، والـظاهر أنهـا تفسيرية.

صفةُ فُلانٍ أسْمَـرُ كقولـك: فلان أسمـر. وقالـوا معناهـا صفة الجنـة التي وعد المتقون. وكلا القولين حسن جميل.

والذي عندي ـ واللَّه أعلم ـ أن اللَّه عز وجل، عَرَّفنا أُمُـورَ الجنة التي لم نَرَهَا. ولم نُشَاهِدْهَا بما شَاهِدناه مِن أمور الدنيـا وعايَنَّاه. فالمعنى ﴿مثلُ الجنةِ التي وُعِدَ المتقون﴾ جَنَّةٌ ﴿تَجْري مِنْ تحتِها الأَنْهارُ أُكُلها دَائِم وَظِلُّهَا﴾.

وقوله عز وجل:﴿يَمْحوُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ ﴾.

أي يمحـو اللَّه مـا يشـاء ممـا يكتبـه الحفـظة على العبـاد ويثبت. قـال بعضهم: يمحـو اللَّه مـا يشـاء ويثبت، أي من أتى أجَلُه مُحِيَ، ومن لم يـأت أَجَلُه أثْبِتَ، وقيل يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشاءُ ويُثْبِتُ أي يَنْسَخُ مما أَمَرَ به ما يشاء ويُثْبتُ أي ويُبْقِي مِن أمْره ما يشاء.

﴿وَعِنْدَهُ أمُّ الكِتَابِ﴾.

أي أصل الكتاب.

وقيل يمحو اللَّه ما يشاء ويثبت أي مَنْ قدَّرَ لَهُ رِزْقـاً وَأَجَلاً مَحـا مَا يَشَـاءُ من ذلك وأثبت ما يشاء.

وقوله تعالى: ﴿وَإِمَّـا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ﴾.

«إن» أُدْخلَت عليها ما لتوكيد الشرط. دخلت النون مؤكدة للفعل.

﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾.

عـطف على ﴿نُرِيَنَّـكَ﴾ وجواب الجـزاء: ﴿فَإِنَّمَـا عَلَيْـكَ البَلاَغُ وَعَلَيْنَـا الحِسَابُ﴾ أي علينا الحساب لِنَجْزيَ كلَّ نفس بما عملت.

والمعنى إما أَرَيْنَاكَ بعض الـذي وعدنـاهم من إظهار دين الإسـلام على الـدين كله، أو توفينـاك قبل ذلـك، فليس عليك إلاَّ البَـلاغُ ـ كَفَروا هم بـه أو

آمنوا. ثم أعلم اللَّه أن بَيانَ ما وُعِدُوا به قد ظهر وتبيَّنَ فقال عز وجل:

﴿أَوَلَم يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾.

أي أو لم يروا أنا قد فتحنا على المسلمين من الأرض ما قد تبين لهم، ودليل هذا القول قوله عز وجل في موضع آخر: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[1].

وقيل في تفسير هذه الآية ما وصفنا، وقيل غير قولٍ. قيل نَقْصُها من أطرافها موتُ أهلها. ونقص ثمارها، وقيل ننقصها من أطرافها بموت العلماء، والقول الأول بين.

وقوله عز وجل: ﴿وَسَيَعْلَمُ الكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

وقُرِئَتْ: وَسَيَعْلَمُ الكافِر، ومعنى الكفار والكافر ههنا وَاحِدٌ. الكافر اسم للجنس، كما تقول قد كثرت الدراهم في أيدي الناس، وقد كثر الدِّرْهَمُ في أيدِي الناس..

وقرأ بعضهم وسيَعلم الكافرون، وبعضهم وسيعلم الذين كفروا. وهاتان القراءتان لا تجوزان لمخالفتهما المصحفَ المجمعَ عليه، لأن القراءة سنة.

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ كَفَى باللَّهِ شَهِيداً بَيْني وَبَيْنَكُمْ﴾.

الباء في موضع رفع مع الاسم[2]، المعنى كفى اللَّه شهيداً، وشهيداً مَنْصُوبُ على التمييز.

﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ﴾.

و «من» يعود على اللَّه عَزَّ وجَلَّ، وقيل في التفسير يعنى به عبد اللَّه بن

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٤٤.

(٢) الباءُ حرف جرّ زائد، ولفظ الجلالة فاعل، ولا معنى لاعتبارها مع الاسم بعدها كلمة واحدة.

سَلاَّم [١] وقيل ابن يامين[٢]، والذي يدل على أنه راجع إلى اللّٰه عز وجل ـ قراءة من قـرأ «ومِنْ عِنْدِه» علمُ الكتـابُ، ومن عنده علم الكتـاب لأن الأشبه، واللّٰه أعلم ـ أن اللّٰه لا يَسْتَشْهِدُ على خلقه بغيْره.

وذلـك التفسير جـائزٌ لأنّ البراهين إذا قـامَتْ مع اعتـراف من قرأ الكتب التي أنزلت قبل القرآن فهو أمرٌ مُؤكّدٌ.

(١) عبد اللّٰه بن سلام بن الحرث من بني قينقاع أسلم سنة ثمان من الهجرة. وكان اسمـه الحصين فسمـاه رسول اللّٰه ﷺ عبـد اللّٰه، روى عنه عـدد من الصحابـة ومن بعدهم ومنهم ابنـاه محمـد ويوسف. وأوصى معاذ بن جبل أن يؤخذ العلم عن أربعـة هم أبو الـدرداء، وسلمان الفـارسي، وابن مسعود وابن سلام هذا. وكان حصيف الرأي. عندمـا جاء يعلن إسـلامه طلب من رسـول اللّٰه ﷺ أن يسأل اليهود عنه فإنه سيدهم وقد يطعنونه بعد إسلامه، وهو الذي أشـار على علي ألا يخرج من المدينة إلى العراق وقال له: الزم منبر رسول اللّٰه فإنك إن تركته لا تراه، وفيه نزل من القـرآن هذه الآيـة، وآية ﴿قـل أرأيتـم إن كان من عنـد اللّٰه وكفرتم بـه وشهد شـاهـد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم﴾ انظر ترجمته في الإصابة ٤٧٢٥.

(٢) هو يامين بن يامين الاسرائيلي. لما أسلم ابن سلام قال يامين أنا أشهد بمثل ما شهد ونزلت فيه الآية «وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله.» الإصابة ٩٢١٧.

سُورَةَ إبْراهِيم

مكية إلاّ اثنتَين مِنهَا

نـزلت بالمـدينة ﴿ألم تر إلى الذين بـدلوا نعمـة اللّه﴾إلى قوله:﴿ وبئس القرار﴾.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل:﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾.

كتاب مرفوع على خبر الابتداء، المعنى هذا كتاب أنزلنـاه إليك، وقـال بعضهم كتـاب مرتفـع بقولـه «الر» و«الر» ليست هي الكتاب إنمـا هي شيء من الكتاب. ألا ترى قوله ﴿الـر تلكَ آيَاتُ الكِتَـابِ وقُـرآنٍ مُبِينٍ﴾(١)، فإنما الكتاب جملة الآيات وجملة القرآن.

وقوله : ﴿لِتَخْرِجَ النَاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾.

﴿الظلمات﴾ ما كانوا فيه من الكفر، لأن الكفر غير بَيِّنٍ فمُثِّلَ بالظُّلمات، والإيمان بيِّنٌ نيِّرٌ فَمُثِّلَ بالنور، والباء متصلة بيخرج، المعنى ليخرج الناس بإذن رَبِّهِمْ، أي بمـا أذن اللّه لك من تَعْلِيمهمْ، ويجـوز أن يكون بـإذن رَبِّهِمْ أنـه لا يهتدي مهتدٍ إلا بـإذن اللّه ومشيئته، ثم بيَّن ما النور فقـال: ﴿إلَى صِراطِ العـزِيزِ الحَمِيـدِ﴾.

---

(١) أول سورة الحجر.

﴿الحميد﴾ خفض من صفة ﴿العزيز﴾ ويجوز الرفع على معنى الحميدُ اللَّه، ويرتفع الحميدُ بالابتداء وقولك «اللَّه» خبر الابتداء، ويجوز أن يرفع اللَّه ويخفض الحميدُ على ما وصفنا. ويكون اسم اللَّه يرتفع بالابتداء.

وقوله عز وجل:﴿وَيَبْغُونَهَا عِوجاً﴾.

أيْ يَطْلِبُونَ غير سَبِيل القَصْدِ وصراطِ اللَّه وهو القَصْد، والعوج في الدين مبني على فِعَل، وفي العَصَا عَوَجٌ بفتح العَيْن. ونصب ﴿عوجاً﴾ على الحال مصدر موضوع في موضع الحال.

وقوله عز وجل:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلاَّ بِلسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّن لَهُمْ﴾.

أي بلغة قومه ليَعْقِلَ عنه قومُه، ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾، الرفع هو الوَجْهُ وهو الكلام وعليه القراءة، والمعنى إنما وقع الإرسال للبيان لا للإضلال، ويجوز النصبُ على وجه بعيدٍ، فيكون ﴿لِنُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، ويكون سبب الإضلال الصيرورة إليه كما قال: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَونَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً﴾[1]، أي التقطوه فآل ذلك إلى أن صار لهم عدواً وحزناً، ولم يلتقطوه هم ليكون لهم عدواً وحَزَناً، وكذلك يكون:﴿فَيُضِلُّ الله من يشاء﴾، أي فيؤول الأمر إلى أَنْ يَضِلُّوا فيضلهم اللَّه. والقول الأول هو القول وعليه القراءة.

وقوله عز وجل:﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾.

أي البرهانِ الذي دل على صحة نبوَّتِه، نحو إخراج يده بيضاء وكون العصا حية.

وقوله عز وجل: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾.

---

(١) سورة القصص آية ٨ ـ وهو يريد أن عدو تحتمل الرفع والنصب ـ والرفع يأتي على أنه اسم كان، وفي هذه الحالة ترفع حزناً أيضاً. أي ليحدث لهم عدو وحزن.

أي بأن أَخْرجْ قومَكَ. المعنى أرسلناه بأن يخرج قومه ﴿من الظلمات إلى النور﴾، أي من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، و «أَنْ» ههنا يصلح أَنْ يكون في معنى «أَنْ» المخففة، وتكون مُفَسِّرةً، ويكون المعنى ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أي أخرج قومك، كأن المعنى قلنا له: أَخْرِجْ قومَكَ[1]، ومثل هذا: ﴿وانطَلَقَ المَلأُ منهم أَنِ امْشُوا﴾[2]، أي امشوا. والتأويل: قالوا لهم: امشوا.

قال سيبويه تقول كتبت إليه أن قُمْ، وأمرته أَنْ قُمْ، إن شئت كانت «أن» وصلت بالأمر، والتأويل تأويل الخبر، المعنى كتبْت إليهَ أن يَقُومَ وأمرته أنْ يَقُومَ، إلاّ أنّها وُصِلَتْ بلفظ الأَمْر للمخاطب، والمعنى معنى الخبر، كما تقول، أنت الذي فعلت، والمعنى أنت الذي فَعَلَ[3]، قال: ويجوز أن يكون في معنى أي، ومثله أرسلت إليه أَنْ مَا أنْتَ وذَا.

وقوله: ﴿وذَكِّرْهُمْ بأَيَّامِ اللَّهِ﴾.

﴿ذَكِّرْهُمْ﴾ عطف على ﴿أَخْرِجْ﴾، وتذكيرهم بأيام اللَّه، أي تذكيرهم بنَعَمِ أيَّامِ اللَّه عليهم، وبنقم اللَّه التي انتقم فيها من قوم نوح وعاد وثمودَ، أي ذكرهم بالأيام التي سَلَفَتْ لمن كفر وما نزل بهم فيها، وذَكِّرْهُمْ بنعَم اللَّه، والدليل على أن التذكير مشتمل على الإِنْذار والتَّحْذِير مما نزل بِمَنْ قبلهم قوله عز وجل بعد هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وعادٍ وَثَمودَ [والَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ]﴾.

أي ألم يأتهم أَخبارُ أُولئك والنَّوَازِلِ بهِمْ، ﴿لاَ يَعْلَمُهُمْ إلاَّ اللَّهُ﴾.

فأعلم اللَّه أن بعد هؤلاء أُمَماً قد مضى من كان يعلم أَنْباءَهَا، ومن هذا

(١) أن المفسرة هي التي تسبق بكلام في معنى القول دون حروفه.

(٢) سورة صٓ الآية ٦.

(٣) أنت وهي في هذا الوضع كالاسم الظاهر ـ وهو كالغائب ـ فأنت كتبت إليه يقوم ـ وكتبت إليه أن قم ـ وأن هنا تفسيرية.

قيل: كذب النَّسَّابُونَ لأنهم لا يعلمون من كان بعد هؤلاء، وهذا يروى عن النبي ﷺ.

﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بالبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾.

يروى عن ابن مسعود أنهم عَضُّوا أناملهم غيظاً مما أَتَتْهُم به الرُّسُلُ، وقيل: ﴿رَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾، أومأوا إلى الرسل أن اسكتُوا، وقيل ردوا أَيْدِيَهُمْ، الهاء والميمَ يرجعان على الرسل، المعنى ردوا أيدي الرُّسُل أي نِعَمَ الرُّسُل لأن مَجيئهم بالبيِّناتِ نِعَمٌ، تقول: لفلان عندي يَدٌ أي نِعْمَةٌ، ومعنى في أفْوَاهِهِم بأفواههم، أي ردوا تلك النعم بالنطق بالتكذيب لِمَا جاءت به الرُّسُلُ، والمعنى أنَّ الرَّدَّ جَاء في هذه الجهة، وفي معناها، كما تقول: جلست في البيت، وجلست بالبيت.

وقالوا:﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾.

هذا هو الرَّد(١).

وقوله عز وجل:﴿واسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾.

﴿استفتحوا﴾يُعْنَى به الرُّسُلُ، سألوا اللَّه أن يفتح عليهم أي ينصرهم، وكل نَصْرٍ فهو فَتْحٌ، والجَبَّار الذي لا يَرى لأَحدٍ عَلَيْه حَقاً، والعنيد الذي يعدل عن القَصْدِ، يقال جبار بَين الجَبْرِيَّة، والجِبْرِيَّةُ ـ بكسر الجيم ـ والجِبِرِيَّة بكسر الجيم والباء، والجَبَرُوَّة والجَبَرَوَّة(٢)، والتَّجْبَارُ والجبرياء، والجَبُّورة والجبرُوتُ.

﴿مِنْ وَرائِه جَهَنَّمُ﴾.

أي جهنم بين يديه، و «وراء» يكون لخلف وقُدَّام، وإنما معناه ما توارى

---

(١) أي الرِّدة والكُفْر.

(٢) الأولى بضم الراء والثانية بفتحها.

عنك أي ما استتر عنك، وليس من الأضداد كما يقول بعض أهل اللغة، قال النابغة: (١)

حَلَفْتُ فلمْ أترك لنفسك ريبةً ... وليس وراءَ اللَّه للمرء مَذْهَبُ

أي ليس بعد مذاهب اللَّه للمرء مذهب.

﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾.

أي مما يسيل من أهل النّار من الدَّم والقيح.

﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾.

أي لا يقدر على ابتلاعه، يقال ساغ لي الشراب وأَسَغْتُه.

﴿وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾.

أي من بعد ذلك.

وقوله عز وجل: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾.

فهو مرفوع على معنى وفيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا بِرَبّهم، أو مَثَلُ الذين كفروا بربهم-فيما يتلى عليكم، وجائز أن يكون - واللَّه أعلم - مثل الذين كفروا بربهم صفة ﴿الذين كفروا بربهم أعمالهم﴾(٢)، كأنك قلت: ﴿الذين كفروا بربهم أعمالهم﴾، كما تقول صفة زيد أسمر، المعنَى زيْدٌ أَسْمَرُ وتأويله أن كل ما يتقرب به الذين كفروا إلى اللَّه فمُحْبَطٌ، قال اللَّه عز وجل: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُم فِي الدُّنْيَا والآخِرَة﴾(٣). ومثله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أضل أعمالهم(٤)﴾.

---

(١) من اعتذاريات النابغة انظر الأغاني ١١/٧، ٢٢.

(٢) مبتدأ وخبر، أي أعمالهم تحدد صفاتهم، أو صفاتهم ظاهرة من أعمالهم.

(٣) سورة آل عمران الآية ٢٢: ﴿أُولَئِكَ الذينَ حَبِطَتْ أعْمَالُهُم في الدُّنيا والآخرة﴾ والآية ١١٦: ﴿إنَّ الذينَ كَفَرُوا لنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ ولاَ أَوْلاَدُهُمْ من اللَّهِ شَيْئاً وأُولئك أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

(٤) أول سورة القتال.

وقوله: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَميعاً﴾.

أي جمعهم اللَّه في حشرهم فاجتمع التابع والمتبوع.

﴿فقَالَ الضُّعَفَاء﴾، وهمُ الأتباعُ.

﴿للذين استكبروا﴾ وَهُمُ المَتْبُوعُونَ.

﴿إنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبعاً﴾.

أي اتَبَعناكم فيما دعوتمونا إليه، وتَبَعاً جمعُ تَابع، يقال تابع وتَبَعُ، مثل غائب وغَيَبٌ، وجائز أن يكون تبع مَصْدَراً سُمِّيَ به، أي كنا ذوي تبع.

وقوله عز وجل: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾.

﴿سواء﴾ رفع بالابتداء، و ﴿أَجَزِعْنَا﴾ في موضع الخبر.

﴿مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾.

أي ما لنا من مهرب ولا مَعْدِل عن العذابِ، يقال حاص عن الشيء يَحِيصُ، وَجَاصَ عنه يَجِيصُ في معنى واحدٍ. وهذه اللغة لا تجوز في القرآن ويقال: وقع في حَيْصَ بيْصَ، وَحَاصَ باصَ وحَاصٍ بَاصٍ، إذا وقع فيما لا يقدرُ أن يتخلص منه.

﴿وَقَالَ الشَّيطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ﴾.

روي أنه إذا استقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النَّارِ قام إبليس عليه لعنة اللَّه خطيباً، فقال: ﴿إن اللَّه وعدكم وعْدَ الحق﴾، أي وَعَدَ من أطاعه الجنة ووعد مَن عَصاه النَّارَ، ﴿ووعدتكم﴾ خلاف ذلك وَمَا كَانَ لي عَلَيْكُم مِنْ سُلْطَانٍ. أي ما أظهرت لكم مِنْ حُجَّةٍ.

﴿إلاَّ أنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾.

أي أغويتكم وأضْللتُكُمْ، فاتبعتموني. ذكر اللَّه ـ عز وجل ـ أن إبليس

وما يقوله في القيامة تحذيراً من إضلاله وإغوائه.

﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾.

أي ما أنا بمُغيثكم، ولا أنتم بمُغِيثِيَّ، قُرِئَتْ بِمُصْرِخِيَّ - بفتح الياء، كذا قرأه الناس، وقرأ حمزة والأعشى بمُصْرِخِيِّ بكسر الياء، وهذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة ولا وجه لها إلا وجه ضعيفٌ ذكره بعض النحويين، وذلك أن ياء الإضافة إذَا لم يكن قبلها ساكن حُرِّكَتْ إلى الفتح: تقول: هذا غلامِيَ قد جاءَ، وذلك أن الاسم المضمَرَ لمَّا كان على حرف واحدٍ وقد منع الاعراب حرك بأخف الحركات، كما تقول: هو قائم فتفتح الواو، وتقول: أَنَا قُمْتُ فتفتح النون، ويجوز إسكانُ الياء[1] لِثِقَلِ الياء التي قبلها كسرة، فإذا كان قبل الياء سَاكِنٌ حُرِّكَتْ إلى الفتح لا غير، لأنَ أصلها أن تحرك ولا ساكن قبلها، وإذا كان قبلها ساكنٌ صارت حركتها لازِمَةً لالتقاء الساكنين، . ومن أجاز بمُصْرخيِّ بالكسر لَزِمَهُ أن يقول: هذه عَصَايِ أتوكأ عليها[2]، وأجاز الفراء على وجه ضعيفٍ الكسر لأن أصل التقاء الساكنين الكسرُ، وأنشد:

قال لها هل لك يا تافيِّ ... قالت له مَا أَنتَ بالمَرْضِيِّ [3]

(١) من غلامي.

(٢) تفتح الياء للسكون قبلها.

(٣) من رجز للأغلب العجلي، شاعر مخضرم من أرْضَنِ الرجاز شعراً، وهو أول من أطال الرجز وكان الرجل قبله يقول البيت أو البيتين يفاخر أو يشاتم وقد شبه العجاج نفسه به فقال:

أني أنا الأغلب أضحى قد نشر

أسلم الأغلب وحسن إسلامه، وحارب في العراق مع سعد بن أبي وقاص واستشهد يوم نهاوند. انظر الخزانة ٣٣٢ حـ ١، والبيت في ٢٥٧ حـ ٢، وفي معاني الفراء ٧٦ حـ ٢، قال سمعت بعض العرب ينشد. . . فإن يك ذلك صحيحاً فهو مما يلتقي من الساكنين فينخفض الآخر منهما

وهذا الشعر مما لا يلتفت إليه، وعَمَلُ مثلِ هذا سهلٌ، وليس يعرف قائل هذا الشِّعرِ من العرب، ولا هو مما يحتج به في كتاب اللّٰه عز وجل.

﴿إنِّي كَفَرْتُ بِما أَشْرَكْتُمونِي مِنْ قَبْلُ﴾.

إني كفرت بشرككم - أَيُّها التُّبَاعُ - إياي باللّٰه[1]، كما قال - عز وجل -: ﴿ويومَ القيامةِ يَكْفُرُون بِشِرْكِكُمْ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ معناه وجيعٌ مُؤْلِمٌ.

وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلاً كلمةً طَيِّبَةً كشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أصلها ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾.

ضرب اللّٰه - عز وجل - للإيمان به مثلاً، وللكفر به مَثَلاً، فجعل مَثل المؤمِنِ في نطقه بتوحيده والإيمان بنبيه واتِّباع شريعته، كالشَّجَرَة الطيبة. فجعل نفع الإقامة على توحيده كنفع الشجرة الطيبة التي لا ينقطع نفعُها وثمرها، وجاء في التفسير أن الشجرة الطيبة النخلة، والدليل على أن هذا المثل يراد به توحيد اللّٰه، والإيمانُ بنَبِيِّهِ وشرِيعَتِه قوله - عز وجل -:

﴿يُثَبِّتُ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ في الحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرةِ﴾.

وقوله: ﴿تُؤْتِي أُكلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾.

اختلف الناس بتفسير الحين، فقال بعضهم كلَّ سَنَةٍ، وقال بعضهم: كل

= وإن كان له أصل في الفتح، وجعله مثل مُذِ اليوم.

وتا اسم إشارة للمؤنث، أي يا هذه فِيَّ، يعرض عليها أن تتزوجه، وذكره المرزوقي في شواهد الكشاف وقال إنه مجهول القائل. قال البغدادي: واعلم أن الفراء والزجاج وغيرهما قد أنكروا هذه القراءة والشعر، وقد خفض الياء من مصرخي الأعمش ويحيى بن وثاب.

(١) كفرت بجعلكم لي شريكاً للّٰه.

(٢) سورة فاطر الآية ١٤.

ستَّةِ أشْهُر، وقال بعضهم: غُدْوة وعشية. وقال بعضهم: الحين شهران.

وجميع من شاهدنا من أهل اللغة يذهب إلى أنَّ الحينَ اسم كالوقت، يصلح لجميع الأزمان كلها طالت أو قصرت. فالمعنى في قوله[تعالى] ﴿تؤتي أُكُلَهَا كل حين﴾ أنها ينتفع بها في كل وقتٍ، لا ينقطع نفعُها البتةَ، والدَّليل على أن الحين بمنزلة الوقت قول النابغة، أنشده الأصمعي في صفة الحيَّةِ والملدوغ(١).

تناذرها الراقون من سوء سمها تطلقه حيناً وحيناً تُرَاجِعُ

فالمعنى أن السم يخط ألمه في وقت ويعود وقتاً.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجرةٍ خَبِيثَةٍ﴾.

قيل إن الشجرة الخبيثة الحنظل وَقيلَ الكُوث(٢).

﴿اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ﴾.

معنى ﴿اجتثت﴾ استؤصلت من فوق الأرض، ومعنى اجْتُثَّتْ في اللُّغَةِ أُخِذتْ جُثَّتهُ بكمالها:

﴿مَالَها مِنْ قَرَارٍ﴾.

فالمعنى أنَّ ذكرَ اللَّه بالتَّوْحِيدِ يَبْقَى أَبداً ويَبْقَى نَفْعُه أبداً، وأن الكُفْرَ والضَّلاَلَ لاَ ثُبوتَ لَه.

---

(١) من عينية التي مطلعها:

عفا ذو حسا من فَرتني فالفوارع

وقبله:

فبت كاني ساروتني صئيلة من الرقط في أنيابها السم ناقع

انظر الديوان ص ٦٧.

(٢) نبت كالعليق يتسلق أغصان الشجر من غير أن يضرب يعرق في الأرض قال الشاعر:

هو الكوث فلا أصل ولاَ وَرَق وَلاَ نسيمٌ ولا ظل ولا شجرُ

وقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾.

روي أن هذه الآية نزلت في عذاب القبر، فإذا مات المَيِّتُ قيل له: مَنْ ربُّك وما دِينُكَ ومن نبيُّكَ، فإذا قال: اللَّه ربي ومحمدٌ نبيّ والإسلام ديني، فقد ثبَّتَه اللَّه بالقول الثابت في الآخرة لأن هذا بَعْدَ وفاته، وتثبيته في الدنيا، لأنه لا يلفقه في الآخرة إلا أن يكون ذلك عقدة في الدنيا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ﴾.

والبوار الهلاك والاستئصال.

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾.

﴿جهنم﴾ بدل من قوله ﴿دَارَ البَوَارِ﴾ ومُفَسِّرة... وجهنم لم تُصْرَفْ لأنها مؤنثة وهي معرفة.

وقوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّه أَنْدَاداً﴾.

النِّدُّ المِثْل، بيّن وجه كفرهم.

﴿لِيُضِلُّوا عن سَبِيلِهِ﴾، ولِيَضِلُّوا، قرئ بهما جميعاً.

وقوله: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾.

إن شئت حركتَ الياء[1]، وإنْ شِئْتَ أسْكَنْتَها، ويقيمون جزم على جواب الأمر، وفيه غير وجه، أجودها أن يكون مبنياً، لأنه في موضع الأمر، وجائز أن يكون مجزوماً بمعنى اللام إلا أنها أُسْقِطَتْ، لأن الأمر[2] قد دل على الغائب بِقُلْ، تقول: قل لزيد لِيَضْرِبْ عمراً، وَإنْ شئت قلت: قل لزيدِ

(١) من عبادي.

(٢)رأي له والأكثرون على الرأي الثاني.

يَضْرِبْ عَمرا، ولا يجوز قل يضرب زَيْدٌ عمراً ههنا بالجزم حتى تقول ليضربْ، لأن لام الغائب ليس ههنا منها عوض إذا حذفتها. وفيها وجه ثالث على جواب الأمر على معنى قل لعبادي الذين آمنوا أقيموا الصلاة يقيموا الصلاة، لأنهم إذا آمَنُوَا وَصَدَّقوا، فإن تصديقهم بق[illegible][1] أمر اللَّه - عزَّ وجلّ - .

وقوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾.

إن شئتَ رفعتَ البيعَ والخلالَ جميعاً، وإن شئت نصبتهُما جميعاً بغير تنوين وإن شئت نصبت أحدهما ورفعت الآخر، فالنصب على النفي بلا، وقد شرحنا ذلك فيما سلف من الكتاب، والخلال والخلة في معنى الصداقة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ والقَمَرَ دَائِبَيْن﴾.

معناه: دائبين في إصلاح ما يصلحانه من الناس والنبات لا يَفْتُرَانِ.

﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾.

وتقرأ من كُلٍّ ما سألتموه [بتنوين كل]، فموضع «ما» خفضٌ بالإضافة والمعنى من كل الذي سألتموه، ومن قرأ مِنْ كلٍّ ما سألتموه، فموضع ما نَصْبٌ، والمعنى وآتاكم من كل الأشياء التي سألتموه[2].

فإن قال قائل: فقد أعطى العباد مَا لَمْ يَسألوا. قيل له ذلك غير ناقض هذه الآية، إذَا قال: «وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ الَّذِي سَأَلْتُموهُ» لم يوجب هذا أن يكون لم يعطهم غير ما سألوه، ويجوز أن يكون «ما» نفياً، ويكون المعنى وآتاكم من كلٍّ ما لم تسألوه، أي آتاكم كل الشيء الذي لم تسألوه[3].

---

(١) بقبولهم - خبر أن، أي إن تصديقهم يتحقق بقبولهم أمر اللَّه. وانظر الجزء الأول.

(٢) أعطاكم من كل الأشياء التي طلبتموها ولم يحرمكم شيئاً.

(٣) لا يبدو هذا الوجه جيداً - وإنما يكون التقدير أعطاكم من كلٍّ، أي من كل شيء وتكون جملة «ما سألتموهُ» جملة مستقلة - بمعنى لم تسألوه ولكنه أعطاكم فضلاً منه، بدون سؤال.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنَّ الإنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾.

هـذا اسم للجنس يقصد بـه الكافـر خـاصَّـةً، كمـا قـال: ﴿وَالعَصْـرِ إنَّ الإنْسَـانَ لَفِي خُسْـرٍ، إلاّ الَّـذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُوا الصَّـالِحَات﴾[1]، والإنسـان غيـر المؤمن ظلومٌ كفَّارٌ.

﴿وَإذْ قَالَ إبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً﴾.

يعني مكة

﴿واجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَام﴾.

وتَقرأ وأَجْنِبْني وبَني عَلى أَجْنَبْتُهُ كذا وكذا إذا جعلته ناحية منه، وكـذلك جنبتُه كذا وكذا.

ومعنى الـدعاء من إبـراهيم عليه السـلام أن يُجَنَّبَ عبادة الأصنـام، وهو غير عابد لها على معنى ثَبِّتْنِي على اجتناب عبادتها كما قال: ﴿واجعلنا مسلمين لك﴾[2] أي ثبتنا على الإسلام.

﴿رَبِّ إنَّهُنَّ اضْلَلْنَ كَثيراً مِنَ النَّاسِ﴾.

أي ضُلِّلُوا بسببها، لأن الأصنام لا تعقـل ولا تَفْعَلُ شيئـاً، كما تقـول قـد فتنتني هذه الدَّارُ، أي أنا أَحْبَبْتُها واسْتَحْسَنْتُها، وافتتنت بها.

﴿فَمَنَ تَبِعَنِي فإنَّه مِنِّي، وَمَنْ عَصَانِي فإنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

أي فإنك غفور رحيم له إن تاب وإن آمن، لا أنه يقول إنّ من كفر [فـإن اللَّه غفور رحيم] فإن اللَّه لا يغفر له، ألا ترى قوله في أبيه: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّن لَهُ أَنَّـهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[3].

---

(١) أول سورة والعصر ـ والغرض أن أل في الإنسان للجنس.

(٢) سورة البقرة الاية ١٢٨.	(٣) سورة التوبة الآية ١١٤.

﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾.

أي اجعل أفئِدَةً جماعةً مِن الناس تنزع إلَيْهِمْ، ويجوز تَهْوَى إلَيْهِمْ، فمن قرأ تهوي إليهم فَهُوَ على هَوَى يَهْوِي إذا ارتفع[١]، ومن قرأ تَهْوَى إليهم فعلى هَوِيَ يَهْوَى إذا أحب، والقراءة الأولى هي المختارة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾.

أي واجعل من ذريَّتِي من يقيم الصلاة.

﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾.

القراءة بغير ياء [في دعائي] إذا وقفت، فإذا وصلت فأنت بالخيار إن شئت قلت دعاءِ بغير ياء، وكانت الكسرة في الهمزة تنوب عن الياء، والأجود إثبات الياء، وإن شئت أسْكَنتَها، وإن شئت فتحتها.

وقوله: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وللمُؤْمِنِينَ﴾.

هذا قبل أن يتبين لإبراهيم أن أَبَاهُ عَدُوٌ للَّه، فلما تبيَّنَ لَهُ ذلك تبرأ منه، وقيل إنه يَعْنِي بوالديه هنا آدمَ وحواءَ، وقيل أَيْضاً ولوَلَدَيَّ، يعني به إسماعيل وإسحاق، وهذه القراءة ليست بشيء لأنها خلاف ما عليه أهل الأمصار من أهل القراءات.

﴿يَوْمَ يَقُومُ الحِسَابُ﴾.

يعني يوم القيامة، و «يوم» منصوب باغْفِرْ لِي.

وقوله: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهم﴾.

﴿مهطعين﴾ منصوب على الحال، المعنى إنما يؤخرهم ليوم تَشخص فيه

---

(١) كذا بالأصل وهو سهو إذ هو بمعنى سقط ووقع.

أبصارُهُمْ مُهْطِعِينَ أي مُسْرعين، قال الشاعر[1]:

بـدجـلة أهـلهـا ولـقـد أراهُـمْ   بـدجلة مهـطعين إلى السمـاع

أي مسرعين.

و ﴿مُقْنِعِي رؤُوسهم﴾ رافعيهـا ملتصقـة بـأعنـاقِهِمْ، والمقنـع الـرافـع، والمقْنَع المرتفع قال الشاعر[2]:

يُبَـادِرْنَ العِضَـاة بمقْنِـعـات   نـواجـذهن كـالحـدَأ الـوقيـعِ

يصف إبلاً ترعى الشجر وأن أسنانها مرتفعة كالفؤوس.

وقوله: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾.

أي منحرفةٌ لا تَعي شيئاً من الخوف، وقيـل نزعت أفئـدتهم من أجوافهم قال الشاعر[3]:

كـأن الـرحـل منهـا فـوق صَعْـلٍ   من الـظلمـاء جَـوَجؤهـا هـواء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْه الجِبَالُ﴾.

القراءة بكسر اللام الأولى، من «لِتَزُولَ» وفتـح اللام الأخيـرة، هي قراءة حسنـة جيدة[4]، والمعنى ومـا كان مكـرهم لتزول منـه الجبـال، أي مـا كـان

(١) هو يزيد بن مفرغ - اللسان (هطع) - القرطبي ٩/ ٢٧٩.
ومجاز أبي عبيدة ١/ ٣٤٣.

(٢) هو الشماخ. انظر اللسان (غضه - قنع - حدأ) وروايته هناك يباكرن، وفيه (عضه) يبادرن كما هنا - والعضاه كل شجر يعظم وله شوك، والواحد عضه. والحدأ بكسر الحاء، ويروى بـالفتح أيضـاً جمع حدأة، وهي فؤوس صغيرة تنقر بها الحجارة، وأيضاً الفأس ذات الرأسين - يصف الأبل بأنها تأكل هذه الأشجار بأسنان حادة وبقوة وسرعة فكأنها تقتطعهـا بهذه الفؤوس - والفم المقنـع الذي تنحني أسنانه إلى الداخل.

(٣) لزهير بن أبي سلمى يصف ناقته، والصعل المنجرد شعر الرأس والصغير الرأس، والـظلمان جمـع ظليم وهو ولد النعام، والجؤجؤ الصدر، يقول كأن رحله ليس على سنام ناقة وإنمـا هو عـلى ظليم غير مثقل بالطعام نشيط خفيف الحركة. انظر شواهد الكشاف ص ٥.

(٤) على أن «ما» نافية.

مكرهم ليزول به آمر النبي ﷺ وأمر دين الإسلام وثبوته لَثبوت الجبال الراسية، لأن اللَّه عزّ وجلّ وَعَدَ نبيَّه عليه السلام إظْهَارَ دِينِه على كل الأديان فقال: ﴿لِيُظْهِرَهُ على الدينِ كُلِّهِ﴾[١] ودليل هذا قوله:

﴿فَلَاتَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَه﴾.

أي لا يخلفهم ما وعدهم من نصرهم وإظهار نبوتهم وكلمتهم، ويقرأ ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبَالُ﴾ على الرفع وفتح اللام الأولى. ومعناه معنىً حَسَنٌ صحيحٌ، والمعنى: وعند اللَّه مكرُهم وإن كان مكرُهم يبلغ في الكيد إلى إزالة الجبال، فإنَّ اللَّه ينصُرُ دينه، ومَكْرُهم عنده لا يخفى عليه.

فإنْ قَالَ قَائِلٌ: فهل زالت الجبال لمكرهم؟ فقد روي في بعض التفسير قصةُ التابوت والنُّسُورِ، وأن الجبال ظنت أن ذلك أمر من أمر اللَّه عظيم فزالت، وقيل هذا في قصة النمرود ابن كنعان؛ ولا أرى لنمرودَ ههنا ذكراً[٢]، ولكنه إذا صحت الأحاديث به فمعناه أنَّ مَكْرَ هؤلاء لو بلغ مكر ذاك لم ينتفعوا به، وأمَّا مَا تُوجِيه اللُّغَة وخطابُ العَرَبِ فأن يكون المعنى وإن لم يكن جبل قط، زال لمكرِ المبالغة في وصَف الشيء أن يقال: لو بلغ ما لا يُظَنُّ أنه يبلُغُ ما انتفع به، قال الأعشى[٣]:

---

(١) سورة التوبة الآية ٣٣، وسورة الصف الآية ٩.

(٢) قصة النسور والتابوت والنمرود ـ تنسب إلى علي بن أبي طالب وإلى عكرمة، وهي من الإسرائيليات التي لا تصدق ـ وخلاصتها أن نمرود الذي حاج إبراهيم في ربه اتخذ تابوتاً حمله أربعة فروخ من النسور ظلت تعلو به يومين حتى غابت عنه الأرض ولم ير السماء تغيرت فأخذ سهماً ورمى للأعلى فعاد إليه ملوثاً بالدم. فقال قد قتلت إله إبراهيم، واتجه نازلاً فسمعت الجبال خفق التابوت فظنت الساعة قد قامت فكادت تتزعزع وتزول من أماكنها.

وقول الزجاج: لا أرى لنمرود هنا ذكرا ـ يعني أنه لا مكان لذكره هنا، والقصة كما ترى لا مساغ لصحتها.

(٣) من قصيدته التي أولها:

أَلَا قلْ لتيا قبل بنيتها اسلمي ... تحية مشتاق إليها متيم

لئن كنت في جب ثمانين قامة ورُقيتَ أسباب السماء بسلم
لَتَسْتَدْرِجَنْكَ القولُ حتى تهزّه وتعلم أنه عنكم غير منجم

فإنما بالغ في الوصف وهو يعلم أنه لا يُرَقَّى أسباب السماء، ولا يَكُونُ في جُبِّ ثمانين قامةً فيستَدْرِجَهُ القَوْلُ.

فالمعنى على هذا: لو أزال مكرهم الجبَالَ لما زال أَمْرُ الإسلام وما أتى به النبي ﷺ.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾.

وقرئت مخلفُ وَعْدَه رُسُلِهُ، وهذه القراءة التي بَنَصْب الوَعْدِ وخَفْض الرُّسُل شاذَّةٌ رديئة، لا يجوز أن يفرق بين المضَافَ والمضاف إليه، وأنشدوا في مثل هذا[1].

وتَيَّا تصغيرتا، اسم الإشارة للمؤنث، فصغر المبني والبيتان من شواهد الكشاف ومعهما البيت:
وتشرق بالقول الذي قد أذعته كما شرقت صدر الفتاة من الدم
انظر شرح شواهد المغني ٢٩٨ ـ ورواية المرزوقي فلو كنت في جب.
وقد ذكر له وجهين من الشرح ـ وأقربهما أنه تهديد بالهجاء وأنه لا يغلق من لسانه مهما غاص في الأرض أو صعد إلى السماء. وتهزه أي تكرهه وتبغضه وتشرق بهجائي فلا تكاد تسيغه، وقيل إنه يصف رجلاً بعدم القدرة على كتم السر ـ ولكن بعيد ـ وانظر شرح القصيدة في الديوان تحقيق محمد حسين.

(١) البيت في ابن يعيش ١٩/٣، ومعاني الفراء ٣٥٨/١، ٨١/٢. ولم يذكر قائله ـ ويروى زج القلوص أبو مزادة. وأيضاً رواية فرججتها متمكناً وهو الشاهد التاسع عشر بعد الثلاثمائة من شواهد الخزانة ـ وقد أفاضت في شرحه وتوجيهه وجاء فيها: «وهذا البيت لم يعتمد عليه متقنو كتاب سيبويه» ـ وأنه من زيادات الأخفش فظنه الشراح من شواهد سيبويه ـ ويرجع اختلاف الشراح الكثيرين إلى مذهب البصريين وسيبويه من عدم جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه. وهو هنا فصل بينهما بكلمة القلوص، وهي مفعول به.
واختلف في مرجع الضمير في زججتها ـ فقيل للناقة، ومعنى زججتها طعنتها بالزج وهو الحديدة التي في أسفل الرمح ـ وقيل الضمير للمرأة ـ يريد القائل أنه زج امرأته بمزجة ـ وهي آلة الزج ـ بكسر الميم ـ ولم يرضه البغدادي صاحب الخزانة.

فـزجّـجـتـهـا بـمـزجّـةٍ   زَجَّ الـقَـلُوصَ أبـي مَـزَاده

المعنى فزجْجتها بِمَزَجَّةٍ زجَّ أبي مزادة القَلُوص. والقراءة: مُخْلِفَ وَعْدِه رُسُلَه، كما تقول: هذا مُعْطِي دِرْهَمٍ زيداً.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾.

إنْ شئت نَصَبْتَ اليوم عَلَى النَّعْت لقوله: يَوْمَ يَقُومُ الحسَابُ يَوْمَ تبدل الأَرْضَ وإن شئت أن يكون منصوباً بقوله ذُو انْتِقَامٍ، المعنى أن اللَّه عزّ وجلّ ذو انتقام أي بَيْنَهُمْ يوم تبدل الأرض غير الأرض، والأرض مرفوعة على اسم ما لم يسمَّ فاعله، وغَير منصوبة على مفعول ما لم يسم فاعله، تقول: بُدِّلَ الخاتَمُ خاتَماً آخَر إذا كسر وَصِيغَ صيغة أخرى، وقد تقول بُدِّلَ زَيْدٌ إذا تغيرت حاله، فمعنى تبدل[1] الأرض غير الأرض تسيير جبالها وتفجير بحارها وكونها مستوية لا يرى فيها عِوَجٌ وَلاَ أمْتٌ[2]، فهذا - واللَّه أعلم - تبديلها.

﴿والسَّمَوَاتُ﴾.

أي وتبدل السموات غير السموات، وتبديل السموات انتشار كواكبها وانفطارها وانشقاقها وتكوير شمسها وخسوف قمرها.

﴿وَبَرَزُوا لِلَّه الوَاحِدِ القَهَّارِ﴾.

أي خرجوا من قُبُورهم بَارزينَ

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ﴾.

= أما زج القلوص - فهو مفعول مطلق - وأبو مزادة شخص يعينه - أي طعنت الناقة بالزج كما يطعن أبو مزادة ناقة - والقلوص الناقة الشابة - ويروى البيت:

فـزجـجـتـهـا مـتـمـكـنـاً   زج الـقـلـوص أبـو مـزادة

ويبدو أن البيت - على كثرة ما أفاض الشراح القدامى والمحدثون فيه - مصنوع لا يصلح للاحتجاج به.

(١) لعل الأصح أن تكون تبديل الأرض لأنه أخبر بمصدر.

(٢) العوج: الانكسار والانخفاض، وتقدم تفسيره في المعاني والأجسام، والامت: الارتفاع.

والأصفاد الأغلال، واحدها صَفَدٌ، يقال صَفَدْتُه بالحديد، وَأَصْفَدته، وصفدتُ في الحديد أكثر، وأصفدته إذَا أعطيتُه، وصفدته إذا أعطيته أيضاً إلا أن الاختيار في العطية أصفدته وفي الحديد صفدته، قال الشاعر[1]:

وإن جئْتُه يوماً فقرَّب مَجْلِسِي ... وأَصْفدني على الزّمانَةِ قائدا

معناه أعطاني قائداً.

﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ﴾.

السربال كل ما لبس، وجعلت سرابيلهم من قطران - والله أعلم - لأن القطران يبالغ في اشتعال النار في الجلود، ولو أراد اللَّه المبالغة في احراقهم بغير نار وغير قطران لقدر على ذلك، لكن عذَّب بما يعقل العباد العذاب من جهته وحذرهم ما يعرفون حقيقته، وقرئت مِنْ قِطْرٍ آنٍ، قرأ بها جماعة.

والقِطْر النحاس، وآنٍ قد انتهى مَرُّه[2].

---

(١) هو الأعشى، وروايته، في مجاز أبي عبيدة ٣٤٥/١، والطبري ١٥٢/١٣: تضيفته يوماً فقرب مقعدي - والزمانة الإصابة بمرض مستمر باق على الزمن، والعاهة التي لا تبرأ يقال زمن - كفرح - يزمَن، زمَناً وزمانة وزمنة فهو زَمِنٌ، - والصفد والصفد - بفتح الفاء وسكونها - العطاء، يقال أصفده، وقد يتعدى لمفعولين كما في البيت، وروايته في اللسان (صفد):

تضيفته يوماً فقرب مجلسي: يريد وهب لي قائداً يقودني وأنا أعاني زمانة في جسمي.

(٢) أي بلغ النهاية حتى صار سائلاً.

سُورَةُ الحِجْرِ
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

قرئت رُبَّما يود بتشديد الباء وتخفيفها، والعرب تقول: رُبَّ رجل جاءني، ويخففون فيقولون رُبَ رَجُلٍ، قال الحادرة(1)

فَسُمَيَّ ما يدريك أن رُبَ فِتْيَةٍ   باكرتُ لَذَّتَهُمْ بِأَدْكَنَ مُتْرِعِ

يريد سُمَيَّة، فَرَخَّمَ.

---

(١) الحادرة أو الحويدرة هو قطبة بن أوس الذبياني غلب عليه لقبه لبيت قاله له زياد بن سيار الفزاري وهو:

كأنك حادرة المنكبين   رصعاء تنقض في حادر
عجوز ضفادع محجوبة   يطيف بها ولد الحاضر

وكان الحادرة قد تجرد ليبترد في غدير، وكان ضخم المنكبين أرسح ـ فغلب عليه اللقب، وهو شاعر جاهلي مقل، وقصيدته هذه جيدة، ذكر صاحب الأغاني جزءاً منها، وذكره ابن سلام في الطبقة التاسعة من الجاهليين، وذكر أربعة أبيات من أول القصيدة، وهي بأكملها في المفضليات والأصمعيات، ـ ولهذا البيت روايات أخرى ليس بها شاهد. منها: أسمى ما يدريك كم من فتية ـ والمعنى واحد لأن رب هنا تفيد التكثير، وأول القصيدة:

بكرت سمية غدوة فتمتع   وغدت غدو مفارق لم يسمع

ويروى هذا البيت أيضاً رحلت سمية

والقصيدة جيدة، وكان حسان إذا تنوشدت الأشعار يقول: هل أنشدت كلمة الحادرة. ـ وباكرت لذتهم أسرعت إليهم لأمتعهم، ويعنى بالأدكن المترع الزق المليء بالخمر ـ وانظر الجزء الأول ص ٤٢٥.

ويسكنون في التخفيف فيقولـون: رُبْ رَجُلٍ قـد جاءني، وأنشـدوا بيت الهذلي:

أَزُهَـيْـرُ إنْ يَشِـبِ القَـذَال فـإنـني   رُبْ هَيْضَـلٍ مَرِسٍ لَفَفْتُ بهَيضَلِ[1]

ويقولون ربَّتًا رجل، وربَّتْ رَجُـلٍ، ويقولـون رَبَّ رَجْلٍ، فيفتحـون الرا ورُبَمَا رَجُلٍ جاءني - بفتح الراء، وَرَبَّتَمَا رجل فيفتحون. حكى ذلك قطرب.

فأما تفسير الآية ففيه غير قول، قيل إنه إذا كان يوم القيامة وعاين الكـافِرُ القيامة وَدَّ لو كان مسلماً، وقيل إنـه إذا عاين الموت وَدَّ لَوْ أنـه مُسْلِم، وقيل إذا كان يوم القيامة أخرج المسلمون من النار فوَدَّ الذين كفروا لـو كانـوا مسلمين. وقيـل يُعَيّر أهْـلُ النار الكفَـرَةُ المُسْلِمينَ [قائلين] مـا نفعكم إِيمَانُكُمْ، فيغضب اللَّه عزّ وجلّ لذلك، فيخرجهم من النَّارِ فيود الذين كفروا لو كانوا مسلمين.

والذي أراه - واللَّه أعلم - أن الكافـر كلما رأى حـالاً من أحوال العـذاب ورأى حالاً عليها أحوال المُسْلِم وَدَّ لـوكان مُسْلِمـاً. فهذه الأحوال كلهـا تحتملها الآية.

فإن قال قائل: فلم كانت «رُبَّ» ههنا، ورُبَّ للتقليل[2]، فالجواب في هذا أن العـرب خوطبت بمـا تعقله في التهدُّدِ، والـرجل يتهـدَّدُ الرَّجُـلَ فيقول لـه: لَعلك سَتَنْـدَمُ على فعلك، وهو لاَ يَشُـكّ في أنه يَنْـدَم، وتقول لـه: ربما نَـدِم الإِنْسَانُ من مثل ما صنعتَ، وهو يعلم أن الإِنسان يندم كثيراً، ولكن مجازه أن

---

(١) لأبي كبير الهذلي من قصيدة قالها في تأبط شراً وكان أبو كبير قد تزوج أمـه وأراد قتله ولكنه خـافه، والقذال ما بين الأذن والقفا، والهيضل والهيضلة المجموعة من الناس يغـزى بهم - والهيضل أيضـاً الناقة العـظيمة وأصـوات الناس والمـرأة النصف والجماعـة، والمرس ذو المـراسة، وقـوة المعالجـة، والمرس: الجبل، ويقال: مرس الحبل إذا وقع بين الخطاف والبكرة فأنت تعالجه وتخرجه انظر ديوان الهذليين ٨٩، والخزانة ٤/١٦٥، وشواهد المغني ٨١.

(٢) أي لماذا اختيرت رب.

هـذا لو كـان مما يُـوَدُّ في حَالٍ وَاحِـدَةٍ من أحوال العـذاب، أو كـان الإنسـانُ يخافُ أنْ يندمَ على الشيء لوجَبَ عَليه اجْتِنَابُه. والـدليل على أنـه عَلَى مَعْنَى التهدُّدِ قوله عزّ وجَلَّ:

﴿ذَرْهُمْ يَـأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُـوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

وجائز أن يكون ـ واللَّه أعلم ـ [أن] أهوال يوم القيامة تسكرهم وتَشْغَلُهم عن التَّمَنّي، فإذا أفاقوا مِنْ سَكْرةٍ من سَكَرات العَذَابِ ودوا لو كانـوا مسلمين. فـأما من قـال إن رُبَّ يُعْنِيَ بها الكثيـر فهذا ضِـدُّ مَـا يَعْـرفُـه أهـلُ اللُّغـةِ، لأن الحروف التي جاءت لمعنىً [تكون] على ما وضعت العَـربُ. فربَّ مـوضوعـة للتقليل، وكم موضوعة للتكثير، وإنما خوطبوا بما يعقلـون ويستفيـدون.

وإنمـا زيدت مـا مع رُبَّ ليليهـا الفعْلُ، تقـول رُبَّ رَجُلٍ جَـاءَنِي وربما جاءني رَجُلٌ.

وقوله عزّ وجلّ:﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾.

أي إلا ولها أجلٌ لا تتقدمُهُ ولا تتأخُرَ عَنه.

وقوله عزّ وجلَّ:﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالمَلاَئِكَةِ.﴾ الآية.

معناه هَلاَّ تأتينا بالملائكـة، روى ذلك. قـالوا للنبي عليـه السلام: لـولا أنزل عَلَيْهِ ملك. فقال:

﴿مَا نُنَزلُ المَلاَئِكَةَ إلاَّ بِالحقِّ﴾.

أي إنما تنزل بآجال أو بوحي من اللَّه.

﴿وَمَا كَانُوا إذاً مُنْظَرِينَ﴾.

أي لو نزلت المـلائكة لم ينـظروا، وانقطعت التـوبات، كمـا قال: ﴿وَلَوْ

أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنْظَرُونَ﴾(١).

وتقرأ ما تَنَزَّلُ الملائِكَةُ [إلاَّ بِالحقِّ] وما تُنَزِّلُ الملائِكَةَ، وما تُنَزَّلُ الملائكة، وَمَا تَنْزِلُ الملائِكَةُ.

وقوله:﴿إِنَّا نَحنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

أي نَحْفَظُهُ من أن يقع فيه زيادة أو نقصانٌ، كما قال: ﴿لا يأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْه وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(٢).

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿في شِيَعِ الأَوَّلِينَ﴾.

أي في فرق الأولين

﴿وَمَا يأتيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

فأعلم اللَّه عزّ وجلَّ أن سفهاء كل أُمَّةٍ يستهزئون برُسُلها.

﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ المُجْرِمِينَ﴾.

وتقرأ نُسْلِكُه، أي كذلك نسلك الضلال في قلوب المجرمين، أي كما فُعِلَ بالمجرمين الذين استهزأوا بمن تقدَّم مِنَ الرُّسُلِ كذلك نسلك الإضلال في قلوب المجرمين. ثم بين ذلك فقال:

﴿لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾.

أي وقد مضَت سنة الأولين بمثل ما فعله هؤلاء، فهم يقتفون آثارهم في الكفر، ثم أعلم تعالى أنهم إذا وردت عليهم الآية المعجزة قالوا سِحْرٌ وقالوا: ﴿سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ كماقالوا حين انشق القمر: هذا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ، فقال عزّ وجلَّ:

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فيه يَعْرُجُونَ﴾.

ويقرأ يَعْرِجُونَ، أي يصعدون ويذهبون ويَجيئُونَ ويصلح أن يكون

---

(١) سورة الأنعام الآية ٨.

(٢) سورة فُصِّلَتْ الآية ٤٢.

﴿يَعْـرُجُـونَ﴾ للملائكة والناس، وقد جاء بهما التفسير.

﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾.

وسُكِرَت، ويجوز سَكَـرت بفتح السين، ولا تَقْـرأَنَّ بها إلا أن ثبتت بهـا رواية صحيحة.

وفســروا سُكِّـرَتْ أُغْشِيَتْ، وسَكِـرتْ تَحَيَّـرَتْ وسكنت عن أن تَنـظُر، والعرب تقول: سَكِرَتِ الريح تسكرُ إذا سَكنت وكذلك سكر الحرُّ يسْكَـرُ، قال الشاعر[1]:

جـاء الـشتـاء واجـثألَّ الـقـنْـبَـرُ
وجَـعَلَـتْ عـيـنُ الـحَـرُورِ تَـسْـكَـرُ

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً﴾.

جـاء في التفسير نجـوماً وكـواكب، وقيل منـازل الشمس والقمر. وهـذه البُـروجُ التي يُسمِّيها الحُسَّـابُ: الحَمَل، والثَّـوْر، ومـا أشبهَهَـا، هي كـواكب أيضـاً، صُوَرُهـا على صُورِ أسْمـاء أصحابهـا. فـالبـروج نجـوم كمـا جَـاءَ في التفسير.

﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾.

---

(١) أورد أبو عبيدة هذا الرجز في أربعة أبيات كما يلي:

جـاء الـشتـاء واجـثـأل الـقـنـبـر   واستخفت الأفعى وكـانت تـظهـر
وطـلـعـت شـمـس عـلـيـهـا مـغـفـر   وجـعـلت عـين الحـرور تـسـكـر

وهما في اللسان (قبر وسكر) كما هنا. وفي (جثل) الشطر الأول والثالث والرابع

اجثأل تجمع وانكمش ـ والقنبر طائر كالعصفور أو أكبر قليلاً ـ يقال قنبر وقبر والواحدة بالتاء، ويقال قبراء.

انظر مجاز أبي عبيدة ١/٣٤٨ وفي الطبري ١٣/٩ منسوبة للمثنى بن جندل، والصحيح ما في اللسان (جثل) أنها لجندل بن المثنى ـ ولعل ما في الطبري خطأ مطبعي. وانظر أيضاً القرطبي ١٠/١٢٩.

معنى رَجِيمٍ قيل مَلْعُون، وجائزٌ أن يكون رَجمٌ مرجوماً بالكواكب، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ﴾[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾.

مَوْضِع «مَنْ» نَصْبٌ، المعنى لكن من استرق السمع، وجائز أن يكون في موضع خفض، على معنى ﴿إلا من استرق السمع فأتبعه شِهَابٌ مُبِينٌ﴾. والشُّهُبُ الكواكب المنقضَّةُ من آيات اللَّه للنبي عليه السلام، والدَّلِيلُ على أنها كانت انْقَضَّتْ بعد مولد النبي ﷺ أن شعراء العرب الذين كانوا يمثلون في السرعة بالبرق وبالسيل وبالأشياء المسرعة لم يوجد في أشعارها بيتٌ واحدٌ فيه ذكر الكواكب المنْقَضَّة، فلما حدثت بعد مولد النبي عليه السلام استعملت الشعراء ذكرها قال ذو الرمة[2].

كأنه كوكب في إثْر عِفْرِيَةٍ مسوَّمٌ في سواد الليل مُنْقَضِبُ[3]

﴿والأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وأنبتنا فيها من كُلِّ شَيءٍ مَوْزُونٍ﴾.

كانت الأرض طينة فمدت، وقيل مُدَّتْ من تَحْتِ البيتِ الحرام والرَّواسِي الجبال الثوابت، ومعنى: ﴿مِنْ كُلِّ شَيءٍ مَوْزُونٍ﴾ أي من كل شيء مقدور جرى على وزنٍ مِنْ قَدَرِ اللَّه عزّ وجلّ لا يُجَاوِزُ ما قَدَّره اللَّه عليه، لا يستطيع خلقَ زيادة فيه ولا نقصاناً. وقيل ﴿مِنْ كُلِّ شَيءٍ مَوْزُونٍ﴾، أي من كل شيءٍ يُوزَن نحو الحديد والرصاص والنحاس والزرنيخ.

---

(١) سورة الملك الآية ٥.

(٢) البيت في ديوانه ص ٢٧، واللسان (قضب) والقرطبي ٢٠٣/١٣ ـ وذيل الأمالي ٦٥.

(٣) العفر والعفرية ـ بالكسر ـ وعفارية ـ بالضم ـ، والعفرية الداهية، يريد كأنه في سرعته كوكب ينقض في إثر عفريت.

ومسوم أي واضح ظاهر كالذي به علامة تميزه ـ ومنقضب أي منقض.

﴿وَجَعَلْنالَكُمْ فِيها مَعايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرازِقِينَ﴾ .

موضع «مَنْ» نصبٌ من جهتين إحداهما العطف على معايش، المعنى وجعلناكم من لستم له برازقين، وجائزٌ أن يكون عطفاً على تأويل لكم، المعنى في جعلنا لكم فيها معايش أعشناكم ومن لستم له برازقين.

وفي التفسير أن من لستم له برازقين الدَّوابُّ والأَنْعَامُ. وقيل في بعض التفسير الوُحُوش. والنحويون يذهبون إلى أن «مَنْ» لَا يكادُ أَن يكُونَ لِغَيْرِ مَا يعْقل، وقد قال عزّ وجلَّ: ﴿فَمِنْهُم مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِه ومِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾[١]، فجاءت «من» لغير الناس إذ وُصِفَ غيْرُ الناس بصفاتهم[٢]، كما جاءت الواو لغير الناس في قوله ﴿وَكُلٌّ في فلك يَسبحُونَ﴾. والأجود والله أعلم أن يكون «مَنْ» ههنا أعني ﴿وَمَنْ لَسْتُم لَـهُ بِرَازِقِينَ﴾ يراد بها العبيد والأنعام والدواب فيكون المعنى جعلناكم فيها معايش وجعلنا لكم العبيد والدوّابّ والأنعام وكُفِيتُمْ مؤونة أرزاقها.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾

﴿لواقح﴾ تأتي بالسحاب، ولواقح تُلْقِح السحاب وتُلْقِحَ الشَّجر، وجاز أن يقال للريح لقَحَت إذا أتت بالخير، كما قيل لها عقيم إذا لم تأت بخير، وأتت بعذاب، كما قال عزّوجلَّ: ﴿وَفِي عادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ﴾[٣]، ويجوز أن يقال لها لواقح وإن لقحت غيرها لأن معناها النسب.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾

---

(١) سورة النّور الآية ٤٥.

(٢) كلمة «كل دابة» تجمع كل ما يدب على الأرض مما يعقل وغيره، وفي هذه الحالة توقع «من» على ما لا يعقل.

(٣) سورة والذاريات الآية ٤١.

قيل فيها غير قول، قيل المستقدمين ممن خلق والمستأخرين ممن يحدُث من الخلق إلى يوم القيامة ثم قال:

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هو يَحْشُرُهُم﴾.

أي الذي أنشأهم وعَلَّمَهُمْ هو يحشرهم مبعوثين كما بدأهم أول خلق:

﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

أي تدبيره يجري بحكمة وعلم، وقيل: ولقد علمنا المستقدمين منكم في طاعة اللَّه والمستأخرين فيها، وقيل إنه كانت امرأةٌ حسناءُ تصلي خلفَ رَسُولِ اللَّه ﷺ فيمن يُصَلّي من النِّسَاءِ، وكان بعض من يصلي، يتأخر في آخر الصفوف، فإذا سَجَدَ اطلع إليها من تحت إبطه، والذين لا يقصدون هذا المقصِدَ إنّما يَطلُبُونَ التقدم في الصفوف لما فيه من الفضل.

﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾.

فمن قرأ ﴿صراط عَلَيَّ مستقيمٌ﴾، فالمعنى هذا صراط مستقيمٌ عَلَيَّ أي على إرَادَتِي وأمري، ومن قرأ «عَلِيٌّ» أرَادَ: طريقٌ رفيعٌ في الدِّين والحقّ.

وقوله: ﴿مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾.

الصَّلْصَال الطين اليابس الذي يَصِلُّ لِيُبْسِه، ومعنى يَصِلُّ يُصَوِّتُ قال الشاعر[1]:

رَجَعتُ إلى صدر كجرة حَنْتِمٍ إذا قَرَعَتْ صِفْراً من الماء صَلَّتِ

---

(١) لعمرو بن شاس من رثاء لزوجته أم حسان وقبله:

ألم تعلمي يا أم حسان أنني إذا عبرة نهنهتُها فتخلت

ونهنهت العبرة زجرتها والحنتم جرار سود تضرب إلى الحمرة، والمادة التي تصنع منها - والبيت في الأغاني ١١/١٩٩ واللسان (حنتم) ومجاز أبي عبيدة ١/٢١٩ وترجمة عمرو في الأغاني ١١/١٩٦ وما بعدها.

و ﴿مَسْنُونٍ﴾ .

قيل فيه مُتَغَيِّرٌ. وإنما أخذ من أنه على سُنَّةِ الطريق لأنه إنما تغيُّرَ إذا قام بغير ماء جارٍ.

﴿والْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ .

﴿الجانَّ﴾ منصوبٌ بفعلٍ مُضمَرٍ، المعنى وخلقنا الجانَّ خلقناه، وخلق اللَّه الملائكة من نور العزَّةِ، وخلق آدم من ترابٍ وخَلَق الجَانَّ من نَارِ السَّمُومِ .

وقوله عزّ وجلّ :﴿فَسَجَدَ المَلاَئِكَةُ كُلهُّمْ أَجْمَعُونَ﴾ .

قال سيبويه والخليل : ﴿أجمعون﴾ توكيدُ بعدَ تَوْكيدٍ، وقال محمدُ بن يزيد : أجمعون يَدُل على اجتماعهم في السجود، المعنى فسجدوا كلُّهم في حالٍ واحدةٍ. وقول سيبويه والخليل أجود، لأن أجمعين معرفة، فلا يكون حالاً[1] .

﴿إلاَّ إبْلِيسَ﴾ .

إبليس مستثنى ولَيْسَ مِنَ الملائكة إنما هو من الجن كما قال عزّ وجلّ : ﴿إلاَّ إبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَق عَنْ أَمْرِ رَبِّه﴾[2] . وهو منصوب استثناء ليس من الأول، كما قال:﴿فَإنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إلاَّ رَبَّ العَالَمِينَ﴾ .

المعنى لكن إبليس أبى أَنْ يكونَ .

وقوله عزّ وجلّ :﴿مَالَكَ أَلاَّ تَكُونَ مع الساجدين﴾ .

موضع أن نصب بإسْقَاطِ في، وإفضاء الناصِبِ إلى أن، المعنى أيّ شيءٍ يقع لك في أن لا تكون مع السَّاجِدينَ.

وقوله : ﴿فَإنَّكَ رَجِيمٌ﴾ .

---

(١) وإذا كانت حالاً كان يجب أن تنصب لا أن تكون مرفوعة .

(٢) سورة الكهف الآية ٥٠ .

معناه مَرْجُومٌ مَلْعُونٌ.

وقوله عزّ وجلّ :﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾.

لجهنم سَبْعَةُ منازلَ لكل مَنْزِلَةٍ صِنفٌ ممَّن يُعذَّبُ على قدر منزلته في الذَّنْبِ

وقوله عزّ وجلّ:﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ من غِلٍّ﴾.

الغِلُّ الحِقدُ، ويُرْوَى أنَّه يخلص المؤمنونَ من النار فيحبسون على قنطرةٍ بين الجنة والنَّارِ، فيقتص لبَعْضِهم من بَعْضٍ، ثم يؤمر بهم إلى الجنة وقد نُقُوا وهذبُوا فخلصت نياتهم من الأحقاد.

﴿إخواناً﴾.

منصوب على الحال.

﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾.

في التفسير لا ينظر بعضهم في قَفَا بعض.

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾.

أي لا ينالهم تعب

﴿أَنِّي أَنَا الغفورُ الرَّحِيمُ، وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ﴾.

يروى في التفسير أن العبد لو علم قدرَ عَفو اللّه لما أَمْسَكَ عن ذنبٍ، ولو علم مقدار عقوبة لبَخَعَ نفسه في العبادة، ولما قَدِمَ عَلَى ذَنْبٍ.

﴿فَقَالُوا سَلَاماً﴾ قَالَ سَلَامٌ.

﴿سَلَاماً﴾ منصوب على المصدر كأنهم قَالوا سَلَّمنا سَلاماً.

وقوله: ﴿قَالَ: إِنَّامِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾.

أي خائفون، فإنما وجِلَ لما قدَّم إليهم العجلَ فرآهم لا يَأْكُلُونَ منه وَجِلَ.

﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾.

يقال وَجِلَ يَوْجَلُ، ويَاجَل ويَيْجَلُ وَيِجَلُ، إذا خاف.

﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾.

بفتح النون وهو أجود في القراءة، وقرئت: فَبِمَ تُبَشِّرُونِ - بكسر النون - قرأ بها نافع، والأصل فبم تبشرونَنِ فاستُثْقِلَ النّونانِ، فحذفت إحداهما وقيل الحذف من الأدغام، كأنها فبم تُبَشِّرنِّ، بتشديد النون، فحذفت إحدى النونين لثقل التضعيف، كما قالوا رُبَّما، ورُبَمَا، قال الشاعر في حذف النون:

تـراه كـالثَّغـام يُعَـلُّ مِسْكـاً   يسـوء الغـاليـات إذا فلينـي

يريد فلينني[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يَقْنُط [مِن رَحْمَةِ رَبّه]﴾.

يقال قَنَط يقنِطُ، وقَنِطَ يقنَطُ، وهما جميعاً جائزتان[2]، والقنوط بمعنى اليأس.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُم﴾، أي فما أمركم.

وقوله: ﴿إلاّ آلَ لُوطٍ﴾.

استثناء ليس من الأول، المعنى: ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسِلْنَا إلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ إلاّ آلَ لُوط إنا لَمُنَجُّوهُمْ أجمعين﴾، المعنى إنا أُرْسِلْنَا بالعذاب إلى قوم لوط.

وقوله: ﴿إلاّ امْرَأَتَهُ قدَّرنا إنَّها لَمِنَ الغَابِرِينَ﴾.

المعنى علمنا انها لمن الغابرين، وقيل دبرنا إنها لمن الغابرين، وقدرنا ههنا لا يحتاج إلى تفسير، المعنى الا امرأته قدرنا أنها لمن الباقين في

---

(١) تقدم جـ ١ ص ٢١٦.

(٢) ولغة ثالثة قَنطَ يقْنُط.

العذاب، والغابر الباقي، قال الشاعر[1]:

فمـا ونى محمـد مـذ أن غَفَـر ... لـه الإلـهُ مـا مضى وَمَـا غبـر

المعنى وما بقي

وقوله: ﴿بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾.

أي جئناك بالعذاب الذي كانوا يَشُكُّونَ في نزوله.

وقوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾.

وتقول: فَأَسْرِ بأَهْلِكَ ـ بقطع الأَلِفِ ووصلِها. وسَيْرُ الليل يقال فيه أَسْرى وسَرَى ومعنى بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ، أي بعدما يمضي شيءٌ صَالح من اللَّيْلِ

﴿وَلَا يَلْتَفِتْ منكم أَحَدٌ﴾:

أُمِرَ ﷺ بترك الالتفات لئلا يـرى عظيم مـا ينزل بهم من العـذاب ـ والله أعلم ـ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾.

موضعُ أن نَصْبٌ، وهـو بدل من قوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ ثم فسَّـرَ ما الأَمْر، فالمعنى وقضينا إليه ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾.

﴿مُصْبحينِ﴾ منصوب على الحال.

وقوله: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي﴾.

الضيف يـوحَّدُ وإن وُصِفَتْ بـه الجماعـة، تقول: هـذا ضيـف، وهَـذَان ضيفٌ وهَؤُلَاءِ ضيف. كمـا تقـول: هؤلاء عَـدْلٌ، وإنْ شِئْتَ قلت أضيـافٌ، وضِيفَانٌ. فمَنْ وحَّد فلأنه مصدر وصف به الاسم، فلذلـك وَحَّدَ، وإنمـا وُحِّدَ المصدَرُ في قولك: ضربتُ القَوْمَ ضَرْباً، لأن الضرب صنف وَاحِـدٌ. وإذا كانَ

(١) هو العجاج ـ والبيت في الطبري ١١/١٩٨، والقرطبي ٧/٢٤٦ ومجاز أبي عبيدة ١/٢١٩ ـ وما غبر: أي ما بقي.

أصنافاً وجَمعْتَ، فقلت ضربتهم ضربَنْ، وضـربتهم ضروبـاً، أي أجناسـاً من الضرب، والضَّيفُ مصدر ضِفْتُ الرَّجُلَ أَضِيفُـه ضَيْفاً. فـأنا ضـائف، والرَّجُـلُ مَضِيفٌ إِذَا كانَ مفعُولاً، وأضَفْتُه إذا أنزلتُه.

﴿قالوا أَوَلَمْ نَنْهَك عَنِ العَالَمِينَ﴾.

معناه: ألم ننهك عن ضيافة العالمين.

﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾.

فـالجواب محمـول على المعنى، لأَنَهـم أَرَادُوا الضيفَانَ للفَسَـادِ، فقـال لهم لوط: هؤلاء بناتي لأن نساء أمَّة كل نَبِيّ بمنزلـة بَنَاتِـه وأَزْواجُــه بـمنــزلة أُمَّهاتِهِمْ، المعنى النساء على جهة التزويج أطْهَرَ لَكُمْ.

ومعنى ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾.

أي إن كنتم مُريدين لهذا الشَّأْنِ فعليكم بالتزويج ببناتي.

﴿لعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

هذه الآية آية عظيمـة في تفضيل النبي عليـه السلام أعني قـوله سبحـانه لعَمْرُكَ، جاء في التفسير أنه قسم بحياة محمد ﷺ كذلك أكثر التفسير، وقد جاء في بعض التفسيـر: «لَعَمْـرُكَ» كلِمَــةٌ من كـلام العَـرَبِ، ولسْتَ أُحِبُّ هـذا التفسير، لأن قوله: كلمة من كلام العرب لا فائدة فيـه، لأن القرآن كله عـربي مبين، وَكَلِمُهُ من كَلَامِ العَرَب، فلا بد من أن يقال ما مَعْنَاهَا[1].

وقال سيبويه والخليلُ وجَميـعُ أهْل اللُّغَـةِ: العَمْرُ والعُمْـرُ بمعنًى واحدٍ، فإذا استعمل في القَسِمَ فتـح أوّله لا غيـر، لا تقول العـربُ إلا لعَمْرُكَ، وإنمـا آثـروا الفتح في القَسِمَ لأن الفتـح أخف عَلَيْهِمْ وهم يكثرون القَسَمَ بِلَعَمْـرِي، ولعَمْرُكَ، فلما كثر استعمالهم إياهُ لزموا الأَخَفَّ عليْهِمْ.

(١) لا بـد من بيـان معنـاهـا.

وقال النحويون ارتفع لعمرك بالابتداء والخَبَرُ محذوف، المعنى لَعَمْرُكَ قَسَمِي، ولعَمْرُكَ ما أقسِمَ به. وحذف الخبَرِ لِأَنَّ في الكلام دليلاً عليه، المعنى أقسم إنهم لفي سكرتهم يعمَهُونَ، ومعنى يعمهون يتحيَّرون. وباب القسم قد يحذف معه الفعل، تقول: واللَّه لأفعَلَنَّ وتاللَّه لأفعَلَنَّ، والمعنى أحلف باللَّه، وأحلف واللَّه، فيحذف أحلف لعلم المخاطب بأنك حالف، وكذلك يحذف خبر الابتداء كما ذكرنا.

وقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيحَةَ مُشْرِقِينَ﴾.

أي أخذت قومَ لوط الصيحةُ بالعذاب مشرقين، يقال أشرقنا فنحن مشرقون، إذا صادفوا شُروقَ الشمس[1]، وهو طلوعها، كما تقول أصبحنا إذا صادفوا الصبح. يقال شَرَقَتِ الشمس إذا طلعت وأشرقت بمعنى واحدٍ، إلاّ أن معنى «مُشْرِقِينَ» في معنى مصادفين لطلوع الشمس.

وقوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾.

معنى من سجيل من طين عليه كتاب[2]. واشتقاق ذلك من السجل، ودليل هذا التفسير قوله: ﴿حِجارةً من طين، مُسَوَّمَةً عند رَبِّكَ﴾[3]، فأعلم أنها مِن طين وأنها مسومة أيْ مُعلّمَةٌ لعلامات الكتاب.

﴿إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ للمتَوَسِّمِينَ﴾.

قيل المتَوَسِّمُونَ المتفَرِّسُونَ، وقيل المتفكرون. وحقيقته في اللغة المتوسمون النُّظَّارُ المتثَبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء تقول تَوَسَّمْتُ في فلان كذا وكذا، أي عرفت وسم ذلك فيه.

---

(١) يقال أصبح أي دخل في وقت الصباح وأحصد دخل في وقت الحصاد. ومشرقين من هذا، أي أخذتهم الصيحة وهم في وقت الشروق.

(٢) كتابة.

(٣) سورة الذاريات الآية ٣٣ ـ ٣٤.

﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴾.

أي لبطريق واضح بَيِّنٍ.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

أي لعلامة بَيِّنَة للمصدقين.

﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴾.

أي أصحاب الشجر، والأيك الشجر وهؤلا أهل موضع كان ذا شجر، فانتقم اللَّه منهم بكفرهم، قيل إِنَّهُ أخذهم الحرُّ أياماً ثم اضطرم عليهم المكان ناراً فهلكوا عن آخرهم. ومعنى «إِنْ واللام» التوكيد.

﴿وَإِنَّهُما لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾.

أي لبطريق يؤتَمُّ أي يُقْصَدُ فيبيَّن، وأصحاب الحجر أصحاب واد يقال له الحِجْرُ.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي والقرآنَ العظيم﴾.

قيل: السبع من المثاني هي فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات، وإنما قيل لها المثاني لأنها يُثَنَّى بِها في كلِّ ركعة من ركعات الصلاة، ويثنى بها مع مَا يُقْرأ من القرآن. ويجوز ـ واللَّه ـ أعلم ـ أن يكون من المثاني أي مما أُثْنِيَ به على اللَّه، لأن فيها حَمْدَ اللَّه، وتَوْحِيدَه وذكر مَلاَئكته وملكه يوم الدِّينِ.

وروي في التفسير أنه مَا أُعْطِيَتْ أمَّةٌ كما أعْطِيَتْ أمَّةُ محمد ﷺ من سورة الحمد. فأما دُخُول «مِنْ» فهي ههنا تكون على ضربين، تكون للتبعيض من القرآن، أي ولقد آتيناك سبع آياتٍ من جملة الآيات التي يُثْنَى بها على اللَّه ـ عز وجل ـ وآتيناك القرآن العظيم، ويَجوزُ أن يكون السبع هي المثاني، وتكون «من» الصفة[1] كما قال عز وجل: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجسَ مِنَ الأَوْثانِ﴾[2]، المعنى اجتنبوا الأَوْثَانَ، لا أَنَّ بعضَها رِجْسٌ.

---

(١) بيانيَّة.

(٢) سورة الحج الآية ٣٠.

ويجـوز أن يكون المعنى سبعـاً مثـانيَ على هـذا القيـاس، ويـدل على القول الأول قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ﴾[1]. وقيل سبعاً من المثاني: السبع الطوال، من البقرة إلى الأعراف سِتٌّ، واختلفوا في السابعة، فقال بعضهم: سورة يونُس، وقيل الأنفـال وبراءة، وإنمـا سميت مثاني لذكر الأقاصيص فيها مثناةً. ويجـوز «والقُرْآنِ العـظيم» بالخفض، ولكن لا تقرأن بِهِ إلا أَنْ تثبُتَ به رواية صَحيحةٌ.

﴿أَزْوَاجاً مِنْهُمْ﴾ أي أمثالاً في النِعَم.

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

أي أَلِنْ جانبك للمؤمنين، أي لمن آمنَ بِكَ وَبِمَا أَتَيْت بِهِ ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى المُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ﴾.

يُروَى أنَّ المشركينَ قالوا أساطير الأولين، وقالوا سحرٌ، وقالـوا شاعِـر، وقالوا كاهِنٌ. فقسَّمُوه هذه الأقسام، وَعَضَوْهُ اعضاء.

ويروى أن أهل الكتـاب همُ المقتسِمُونَ، آمنـوا ببعضه وكفـروا ببعضه، وقالوا نحواً مما روي عن المشركين.

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾.

قيل في التفسير أجهرْ بالقرآن، ويكون ـ واللَّه أعلم ـ فاصدع بمـا تؤمَرُ، أي أَبِنْ مـا تؤمر بـه، وأظهره، وأُخِـذَ ذلـك منَ الصَّـدِيـع وهـو الصبح. قـال الشاعر:

كـأن بيـاض غُـرّتِه الصـديـع[2].

---

(١) سورة الزمر الآية ٢٣.

(٢) هو عمرو بن معد يكرب الزبيدي، يصف ذئباً، وصدرُهُ:

تـرى السِّـرحـانَ مُفترشاً يـدَيْـه

وتأويل الصَّـدْع في الزجـاج، أو في الحائط، أن يبين بعضُ الشيء عن بَعْضٍ.

﴿إنَّا كَفَيْنَاكَ المُستهزئينَ﴾.

قيل هؤلاء جماعة من المشركين، خمسَةُ نفَرٍ كانوا يستهزئون برسول اللَّه ﷺ فنزلت بهم آفـاتٌ مات أكثرهم منهـا، وَعَمِيَ واحِدٌ مِنْهُمْ. والخمسـة سُمّوُا في التفسيـر منهم الوليـدُ بن المغيـرة، والعـاص بن وائـل، وعـدي بن قيس، والأسـود بن المطَّلِب، والأسـود بن عبد يَغُـوثَ. أعلم اللَّه أنهم من المشركين بقوله:

﴿الذِيـنَ يَجْعَلُـونَ مَـع اللَّـهِ إلٰهـاً آخَـر﴾.

وقوله عز وجل: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يأْتِيَكَ اليَقِينُ﴾.

أي حتى يأتيك المـوت، كما قـال عيسى بن مريم: ﴿وَأَوْصَانِـي بِالصَّـلاَةِ والزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[1] فإن قال قـائل كيف تكـون عبادةٌ لغيْـرِ الحي، أي كيف يَعْبُدُ الإنسانُ وَهُوَ مَيِّتٌ، فَإنَّ مجاز هذا الكلام مجاز «أبَداً»، المعنى اعبد ربك أبَداً، واعبده إلى الممات، لأنه لو قيل: اعْبُدْ ربك ـ بغيـر التوقيت ـ لجـاز إذَا عبدَ الإنسانُ مَرَّةً أن يكون مُـطِيعاً، فـإذا قال حتى يـأتيك اليقين، أي أبَـدًا وما دمت حياً، فقد أُمِرْتَ بالإقامة على العبادة.

والصديع الفجر (اللسان ـ صدع).

(١) سورة مريم الآية ٣١.

سُورَةُ النَّحْل
مكية

ما سوى ثلاث آيات من آخرها فإنهن نزلن بين مكة والمدينة.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ﴾.

﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ ما وَعَدهم اللّه به من المجازاة على كفرهم من أصناف العذاب، والدليل على ذلك قوله: ﴿حَتَّى إِذا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ﴾[١] أي جاء ما وعدناهم به، وكذلك قوله: ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيلاً أَوْ نَهاراً فَجعَلْنَاهَا حَصِيداً﴾[٢] وذلك أنهم استعجلوا العذاب واستبطأوا أَمْرَ الساعة، فأعلم اللّه ـ عز وجل ـ أنّ ذلك في قُرْبِهِ بمنزلة ما قد أتى، كما قال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانْشَقَّ القَمَرُ﴾[٣] وكما قال: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَة إلاَّ كَلَمح البَصَر﴾[٤].

وقوله: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

معناه تنزيهه من السُّوء، كذلك جاء في الحديث عن النبي ﷺ وكذلك

---

(١) سورة هود الآية ٤٠.

(٢) سورة يونس الآية ٢٤.

(٣) سورة القمر / ١.

(٤) سورة النحل الآية ٧٧.

فسّره أهل اللغة، قالوا: معناه تنزيه اللَّه من السـوء، وبراءة اللَّه من السـوء.
قال الشاعر:(١)

أقـول لـمـا جـاء فـي فـخـره   سبحـان من علقـمـة الفـاجـر

أي براءة منه.
وقوله:﴿يُنَزِّلُ المَلاَئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾.

ويقـرأ: تُنَزَّلُ المـلائكةُ، ويجـوز فيها أوجـه لا أعلمه قـرىء بها: ينـزِّل الملائكة، ويُنْزِلُ الملائكةَ، وتَنَزَّلُ الملائكةُ بالروح - والروح - واللَّه أعلم - ما كان فيه من أمـر اللَّه حياة للنفـوس والإرشاد إلى أمـر اللَّه، والدليـل على ذلك قوله:﴿أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّه لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾.

المعنى أَنْـذِرُوا أهلَ الكُفْـر والمعَاصِي بـأنه لا إلـه إلاَّ أنـا، أي مـروهم بتوحيدي، وألاَّ يشركوا بي شيئاً. ثم أعلم ما يَدُلُّ على توحيده مما خلق فقال:
﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ بِالحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

ارتفع عن الذين أشركوهم به، لأنهم لاَ يَخْلُقُون شيئاً وهم يُخْلَقُون.
وقوله:﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾.
اختصر ههنا، وذكر تقلبَ أحْوال الإنْسانِ في غير مكان من القرآن.
وقوله:﴿والأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾.

نصب الأنعـام على فعـل مضمـر، المعنى خلق الأنعـام خلقهـا، مفسِّـر للمضمر، والدفـء ما يُدْفِئُهمْ من أَوْبَارِهَا وأَصْوَافِهَا. وأَكْثَـرُ ما تستعمـل الأنعام في الإبل خاصة، وتكون للإبل والغَنَم والبقر، فأخبـر اللَّه - عز وجـل - أن في الأنعام ما يدفئنا، ولم يقل لكم فيها مَا يُكِنُّكُمْ ويدفئكم من البـرد، لأن ما ستـر

(١) للأعشى تقدم في الجزء الأول ص ١١٠.

من الحرِّ سَتَر مِنَ البَرْدِ، وما ستر من البردِ ستر من الحرّ، قال اللّه ـ عز وجل ـ في موضع آخر:﴿سرَابيلَ تَقِيكُمُ الحرَّ﴾[١] فعلم أنها تقي البرد أيضاً، وكذلك إذْ قيل :﴿لكم فيها دفء﴾ علم أنها تستر من البَرْدِ، وسَترٌ من الحرِّ.

وقوله : ﴿وَمَنَافِعُ﴾ .

أي ومنافعها ألبانُها وأبوالها وغير ذلك.

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ .

الإراحة أن تروح الإبل من مراعيها إلى الموضع الذي تقيم فيه وحينَ تسْرَحُونَ، أي حين تُخَلُّونها للرَّعْي، وفيما ملكه الإنسان جمال «وزينة ـ كما قال عز وجل:﴿المَالُ والبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٢]، والمال ليس يخص الوَرِق والعينَ دونَ الأمْلاَكِ، وأكثر مال العرب الإبل، كما أن أكثر أمْوال أهل البصرة النَّخَلُ. إنما يقولون مال فلان بموضع كذا وكذا يعنون النخل.

وقوله :﴿وَتَحْمِل أثْقَالَكُمْ إلَى بَلَدٍ لَمْ تكُونُوا بَالِغيهِ إلَّا بِشقّ الأَنْفُس﴾.

تقرأ بالفتح والكسر[٣]،أي لو تكلفتم بلوغه على غير الإبَل لشَقَّ عليكم ذلك.

وقوله:﴿والْخَيْلَ وَالْبِغَالَ والْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾.

أي وخلق الخيل والبغال والحمير للركوب، وكثير من الناس يقولون إنَّ لحومَ الخيلِ والبِغَالِ والحَمِيرَ دَلَّتْ عليه هذه الآية أنها حرام، لأنه قال في الإبل ﴿وَمِنْهَا تأكُلُونَ. . . . وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً في صُدُورِكم﴾[٤] وقال في الخيل ﴿والخيل والبِغَالَ والحَمِيرَ لتَرْكَبُوهَا وزينَةً﴾ ولم يذكر فيها الأكل. وقال قوم: لو

---

(١) الآية . ٨١ من هذه السورة.

(٢) سورة الكهف الآية ٤٦ .

(٣) إثقالكم وأثقالكم.

(٤) سورة غافر الآية ٧٩ ـ ٨٠ وأولها: ﴿اللَّهُ الَّذي جَعَلَ لكم الأنْعَامَ لتَرْكَبُوا مِنْها ومِنْها تأكُلُونَ، ولكُم فيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغوا عَلَيْهَا. . . الخ﴾.

كانت حرّمت بهذه الآية لم يحرم النبي ﷺ لحومَ الحُمرُ الأهلية، ولكفاه ما دَلَّ عليه القرآن. وهذا غلط لأن القرآن قد دَلَّ على أن الخَمْرَ حرام، وقال النبي ﷺ: حَرِّمَتْ الخمرَ بعينها. فذكر النبي ﷺ ما حُرِّمَ في الكتاب بأنه حرام، توكيداً لَهُ وزيادةً في البيان.

ونصب ﴿وزينةً﴾ مفعول لها، المعنى وخَلَقَها زِينَةً.

وقوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾.

أي على اللَّه تبيينُ الطريق المستقيم إليه بالحججَ والبراهين.

وقوله: ﴿وَمِنْهَا جائر﴾.

جائر أي من السبل طرق غير قَاصِدَةٍ للحقِّ.

وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

أي لو شاء اللَّه لأنزل آيةً تَضْطَرُّ الخلْقَ إلى الإيمان به، ولكنه عز وجل: يهدي من يشاء ويدْعُو إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

وقوله: ﴿مِنْهُ شَرابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾.

المعنى أنه ينبتُ الشجرَ التي تَرْعَاهَا الأبِلُ، وكلُ ما أُنْبِتَ على الأَرْضِ فهو شجر، قال الشاعر يصف الخيل:[1]

نَعْلُفُهَا اللحم إذا عَزَّ الشَّجَر   والخيل في إطْعَامِهَا إللحمَ ضَرَر

يعني أنهم يسقون الخيل اللبن إذا أَجْدَبَتِ الأرض.

وقوله: ﴿فيهِ تُسِيمُونَ﴾.

أي تَرْعَوْنَ، يقال: أَسَمْتُ الأبلَ إذا رعيتها، وقد سَامَت تسوم وهي سائمة إذَا رعَتْ، وإنما أخذ ذلك من السُّومَةِ، وَهِي العَلاَمَةُ وتأويلها أنها تؤثر في الأرض برَعْيِها علامات.

---

(١) في اللسان و (علف). وسمى اللبن لحماً لأنه ينبت اللحم.

وقوله: ﴿وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾.

معنى ﴿مواخر﴾ جواري تجري جرياً، وتشق الماء شقًّا.

﴿وأَلْقى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾.

﴿رواسيَ﴾ جِبَالاً رواسي ثوابت، ﴿أن تميدَ﴾ معناهُ كَرَاهةَ أَنْ تميد ومعنى تميد لا تستقر، يقال ماد الرجل يميد ميداً، إِذَا دِيرَ به والمَيْدَى: الـذين يدار بهم إذا ركبوا في البحر، وأن تميد في موضع نصب، مفعول لها.

﴿وأَنْهَاراً وَسُبُلاً﴾.

المعنى وجعـل فيها رَوَاسِيَ وأنهـاراً وسُبُـلاً، لأن معنى ألقى في الأرض رواسي جعل فيها رواسي، ودليل ذلك قوله: ﴿وَالجِبَالَ أَوْتَاداً﴾[(١)].

وقوله: ﴿وَبالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

النجم والنجـوم في معنى واحـدٍ، كمـا تقـول: كثـر الـدِّرهَمُ في أيـدي الناسِ وكثرت الدراهم، خلق اللَّه ـ جل ثناؤه ـ النجوم لأشياء منها أنها جُعِلَتْ زينةً للسَّماء الدُّنْيَا، ومنها أنها جعلت رُجُوماً للشياطين ومنها أنهـا يُهْتَدى بِهَـا، ومنها أنها يعلم بها عدد السنين والحساب.

وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

ويقرأ تدعونَ من دون اللَّه بالتاء والياء.

﴿لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

يُعنَى به الأوثانُ التي كانتِ تَعْبُدُهَا العَربُ.

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾

أي وهم أموات غير أحياء.

وقوله: ﴿وَمَا يَشْعُرونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾.

أي ما يشعرون متى يبعثون، وأيان في موضع نصْبٍ بقوله يُبْعَثُـونَ ولكنه

---

(١) سورة عم يتساءلون الآية ٧.

مَبني غيرُ منونٍ، لأنه بمعنى الاستفهام فلا يعرب كما لا تعرب كم ومتى وكيف وأين، إلَّا أن النون فتحت لالتقاء الساكنين.

فإن قال قائل: فهَلَّا كُسِرتْ، قيل الاختيار إذا كان قبلَ الساكن الأخير ألف أن يفتح، لأن الفتح أشبه بالألف وأخفّ معها. وزعم سيبويه والخليل أنك إذا رَخَّمْتَ رجلاً اسمه أَسْحَار، قلت يا أَسْحَارَّ - بتشديد الراء - أقبل، ففتحت الراء لالتقاء الساكنين، وكذلك تختار مع المفتوح الفتح، تقول إذا أَمَرْت من غُضَّ: غضَّ يا هذا.

وقوله: ﴿لَا جَرَم أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

معنى ﴿لا جرم﴾ حقٌّ أن اللّه يعلم، ووجب، وقوله: ﴿لا﴾ رَدٌّ لفعلهم، قال الشاعر:

ولقد طعنتَ أبا فَزَارَةَ طعنةً جرمت فزارةَ بعدها أن يغضبوا[1]

المعنى أحقت فزارة بالغضب

وقوله:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾.

«ما» مبتدأ، و «ذا» في موضع الذي. المعنى ما الذي أنزل ربكم. وأساطير مرفوعة على الجواب، كأنهم قالوا: الّذِي أَنْزَلَ أساطير الأولين، أي أكاذيب الأولين، واحدها أُسْطورة.

وقوله:﴿ليحمِلوا أوزارهم كاملة يوم القيامة، ومِنْ أَوْزَارِ الذينَ يُضِلُّونَهُم بغير علم﴾.

(١) تقدم. ورواية البيت في الخزانة ش ٨٥٠ - برفع فزارة فاعلا لجرم وان يغضبوا بدل اشتمال - أي حُقَّ غضب فزارة بعده، وجاء البيت في تفسير الفراء حـ ٢/ ٩ - بنصب فزارة بمعنى ان الطعنة كسبتهم الغضب. ففزارة مفعول به وقال الأعلم الشنتمري أن مذهب سيبويه: - حقتها للغضب - والبيت لأبي أسماء بن الضريبة، وقيل لغيره - وهو يخاطب كرازة العقيلي، وكان طعن أبا عيينة وهو حصن بن حذيفة ابن بدر الفزاري، وانظر العقد ٥/ ٢١١ - وأبو أسماء جاهلي، وعطية بن عفيف مخضرم له ترجمة في الاصابة ٥٥٦٤ - راجع الشاهد ٨٥٠ في الخزانة، وكتاب سيبويه ١/ ٤٦٩، ومجاز أبي عبيدة ١/ ٢١٤٧.

هؤلاء كانوا يصدون مَنْ أَرَادَ اتّبَاعَ النبي ﷺ، وإذا سُئِلُوا عما أَتَى به قالوا الذي جاء، أساطير الأولين، فأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أنهم يحملون بذلك آثام الذين كفروا بقولهم. ولا يُنْقِصُ ذلك من إثم التابع.

وقوله :﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾.

«ما» في موضع رفع، كما ترفع بنعم وبئس، المعنى ساء الشيء وِزْرُهم، هذا كما تقول: بئس الشيءِ.

وقوله :﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ القَوَاعِدِ﴾.

أي من أساطين البناء التي تعْمِده[1].

﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾.

يروى أن ذلك في قصة نَمْرُودَ بنِ كنعانَ، بنى صَرْحاً يَمْكُرُ بِهِ[2] فخر سقفه عليه وَعَلى أَصْحَابِه، وقال بعضهم: هذا مثل، جعلت أعمالهم التي عملوها بمنزلة الباني بناء يسقط عليه فمضرة عملهم عليهم كمضرَّةِ الباني إذا سقط عليه [بناؤه].

وقوله :﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾.

و﴿تشاقُّون فيهم﴾ بكسر النونِ، وقد فسرنا مثل هذا، وإنما... شركائي حكاية لقولهم، واللَّه ـ جل ثناؤه ـ لا شريك له. المعنى أين الذين في دعواكم أنهم شركائي.

﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾.

أي ألقوا الاستسلام، وذكر السَّلَمَ، والسَّلَمُ الصُّلحْ، لذكره المُشَاقَّةَ، وبإزاء المشاقة والمعاداة الصلح.

---

(١) في الأصل الذي يَعْمِدُ. وتصح ببناء الفعل للمجهول.

(٢) يدبر به مكيدة.

﴿مَا كُنَّا نَعْمَل مِنْ سُوءٍ، بَلَى﴾.

أي قالوا: ما كنا نعمل من سوء.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾.

«ما» و «ذا» كالشيء الواحد، والمعنى أي شيء أنزل ربكم.

﴿قَالُوا خَيراً﴾.

على جواب «ماذا» المعنى «أنزل خيراً».

﴿لِلَّذينَ أَحْسَنُوافِي هَذِه الدُّنيَا حَسَنَةٌ﴾.

جائز أن يكون هذا الكلام ذُكِرَ لِيَدُلَّ عَلَى أن الذي قالوه اكتسبوا به حسنة، وجائز أن يكونَ تفسيراً لقولهم خيراً، وحسنةٌ، بالرفع القراءةُ. ويجوز «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِه الدُّنْيَا حَسَنَةً»، ولا تقرأن بها، وَجَوازُهَا أن معناها أن «أنزل خيراً» - جعل للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنةً، أي جَعَلَ لَهُمْ مكافأةً في الدنْيَا قَبْلَ الآخرة.

وقوله: ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾.

المعنى، ولنعم دار المتقين دارُ الآخرة، ولكنَّ المبيِّنَ لقوله «دار المتّقين» [هو] قوله: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾.

وهي مرفوعة بإضمار «هي» كأنك لما قلت، ولنعم دار المتقين على جواب السائل أَيْ دَارٌ هي هذه الممدوحة، فقلت: جنات عَدْنٍ يدخلونها. وإن شئت رفعت على الابتداء، ويكون المعنى: جناتُ عَدْنٍ نعمَ دارُ المتقين.

وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيهُمُ المَلائِكَةُ﴾.

[أي] لقبض أرواحهم، أو يأتي ما وَعَدَهُمُ اللَّهُ به من عذابه.

وقوله: ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُم اللَّهُ﴾.

أي كذلك فعلوا فأتاهم أمر اللّه بالعذاب، ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾.

وقوله :﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا، ولا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِه مِنْ شَيْءٍ، كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

هذه الآية وأشباهها فيه تنازع وينبغي أن يقف أهل القرآن والسنة على حقيقة تفسيرها لأن قوماً زعموا أن من قال هذا فقد كفر وأن من قال من العباد أن لا يفعل إلاَّ ما شاء اللَّه فقد كفر، وهذا تأويل رَديءٌ، وإنما كفر أولئك وكذبوا، لأنهم كانوا يقولون: لو شاء اللَّه ما عبدنا من دونه من شيء على جهة الهزؤ، والدليل على ذلك أَنَّ قوْمَ شعيب قالوا لشعيب: ﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُد آبَاؤُنَا، أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الحكِيمُ الرَّشِيدُ﴾[1]. فلو قالوا له هذا معتقدين لكانوا مؤمنين[2]، وإنما قالوه مستهزئين، وقد اتفقت الأمَّةُ على أن اللَّه لو شاء ألاَّ يُعْبَدَ غيرُه مَشِيئَةً اضطرارٍ إلى ذلك لم يقدر أحد على غير ذلك، ولكن اللَّهَ جل ثناؤه تَعَبَّد العبادَ وَوَفَّقَ من أحبَّ تَوْفيقه، وأضل من أحب إضْلَالَه، وهؤلاء قالوا هذه مُحقِّقِينَ ما قيل لهم أنهم مكذبون إذ كان الإجماع على أن اللَّه ـ عز وجل ـ يقدر على أن يجْبُرَ العبادَ على طاعته وأعلم اللَّه أنهم مكذبون كما كذَّبَ الذين من قبلهم فقال:

﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إلاَّ البَلَاغُ المُبِينُ﴾..

أي الإبْلاغ الذي يُبَيِّنُونَ مَعَهَ أَنَّهم أنبياء.

وقوله:﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا إنِ اعْبُدوا اللَّهَ واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

فأعلم اللَّه أَنَّهُ بَعَثَ الرُّسُلَ بالأَمْر بالعِبَادةِ، وهو من وراء الإضلال والهداية، فقال:

---

(١) سورة هود الآية ٤٦.

(٢) لو قالوا لشعيب: «إنك لأنت الحليم الرشيد» عن عقيدة ما كفروا ولكنهم قالوه هزؤا.

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ، وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيهِ الضَّلَالَةُ﴾.

فهذا يدل على أنهم لو قالوا ذلك معتقدين لكانوا صادقين، ثمَّ أكَّدَ ذلك فقال:

﴿إنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يَضِلُّ﴾.

وقرئت فإن اللَّه لا يهدي من يُضِلُّ، كما قال:﴿من يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ له﴾[1]. وَفيها وجه ثالث في القراءة. . «لَا يَهْدِي مَنْ يَضل» وهو أقل الثلاثة[2].

وقوله: ﴿بَلَى وَعْداً عَلَيْه حَقًّا﴾.

﴿وعداً﴾ منصوب مُؤَكَّد، المعنى بلى يبعثهم اللَّه وعداً عليه حقاً، ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمَ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾.

فهذا على ضربين، جائز أن يكون معلقاً بالبعث، ويكون المعنى: بلى يبعثهم اللَّه لِيُبيِّن لهم وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين، وجائز أن يكون ﴿لِيُبَيِّن لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فيه﴾ معلقاً بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا في كُلِّ أمَّةٍ رَسُولاً﴾ لِيُبَيِّنَ لهم اختلافهم، وأنهم كانوا مِن قبله على ضلالة.

وقوله ـ عزّ وجلَّ ـ :﴿إنَّما قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ له كُن فيَكُونُ﴾.

القراءة الرفع[3]، وقد قرئت بالنصب ، فالرفع على فهو، ويكون على معنى ما أراد اللَّه فهو يكون، والنصب على ضربين أحدهما أن يكون قوله فَيَكونَ عَطْفاً على «أَنْ نَقُولَ فيكونَ». ويجوز أن يكون نصباً على جواب «كن» فـ (قَوْلُنَا) رفع بالابتداء، وخبره «أن نقول»، المعنى إنما قولنا لكل مرادٍ قولنا كن، وهذا خوطب العباد فيه بِمَا يعْقِلُونَ وما أراد اللَّه فهو كائن على كل حال،

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٨٦.

(٢) الكوفيون «يَهْدي» ـ وضعفه أن معناه من ضَلَّ بنفسه فإن اللَّه لا يهديه، واللَّه سبحانه يهدي من يشاء.

(٣) في يكون.

وعلى ما أراده من الإسراع ولـو أراد خلق الدنيا ـ السموات والأرض ـ في قـدر لمح البصر لقـدر عَلَى ذلك ولكن العباد خوطبـوا بما يعقلون، فـأعلمهم اللَّه سهولة خلق الأشياء عليه قبل أن تَكُونَ، فأعلم أنه متى أراد الشيء كـان، وأنه إذا قال كـن كان. ليس أن الشيء قبل أن يخلق كان موجوداً، إنما المعنى: إذا أردنا الشيء نقول من أجله «كن» أيُّهـا المُرادُ فيكـون على قدر إرادة اللَّه، لأن القَوْمَ أعنِي المشركِين أنكروا البعث، ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾[1].

وهو معنى قولـه: ﴿وَكَانُـوا يُصِرُّونَ عَلَى الحِنْثِ العَـظِيمِ﴾[2] أي كانـوا يحلفون أنهم لا يبعثون. ولقد جاء في التفسير أن الحنثَ الشِّرْكُ لأن من اعْتَقَدَ هذا فضلاً أن يحلف عليه فهو مشرك. فقال جلّ وعلاّ.

﴿بَلَى وَعْداً عَليه حَقًّا﴾.

أي بلى يبعثهم وعداً عليه حقاً، وحقاً منصوب مصدر مؤكد لأنه إذا قـال يبعثهم دل على «وعد بالبعث وعداً».

وقـوله: ﴿وَالَّـذِينَ هَاجَـرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَـا ظُلِمُوا لَنُبَـوِئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَـا حَسَنَةً ولَأَجْرُ الآخِرةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

هؤلاء قوم كان المشركون يعذبونهم على اعتقادهم الإيمان منهم صهيب وبـلال، وذلك أن صُهَيبـاً قال لأهـل مكة: أنـا رجل كبيـر، إن كنت معكم لم أنفعكم، وإن كنت عليكم لم أضـركم، خذوا مـالي وَدَعُوني فـأعـطاهم مـالـه وهاجر إلى رسـول اللَّه ﷺ فقال لـه أبو بكـر الصديق: رَبِـحَ البيع يـا صهيب، وقال عمر: نعم الرجل صهيب لـو لم يخف اللَّه لم يعصه، تـأويله لو أنـه أمن

(١) ترتيب الآية: ﴿وأقسموا باللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِم لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يموت، بلى وَعْدَاً عليه حقاً﴾.

(٢) سورة الواقعة الآية ٤٦.

عذابه وعقابه لما ترك الطاعة ولا جنح إلى المعصية لأمنه العذاب.

ومعنى ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾.

[أي] لأنهم صاروا مع النبي ﷺ ودخلوا في الإسلام وسمعوا ثناء اللَّه عليهم.

وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إلا رِجَالاً يُوحَى﴾.

و ﴿نوحِي إليهم﴾، ويُوحِي إليهم. أما القراءتان الأوليان فجيدتان والثالثة ضعيفة لذكره أرسلنا. فأن يكون اللفظ على نوحِي ويوحَىٰ أحسن، لأن نوحي يوافق اللفظ والمعنى، ويوحى إنما هو محمول على المعنى، لأن المعنى: وما أرسل اللَّه إلا رجالاً يوحى إليهم. وإنما قيل لهم لأنهم قالوا لولا أنزل عليه ملك أو جاء مع نذير، فأعلم اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ أن الرسل بشر إلا أنهم يوحى إليهم. ثم أعلم كيف يستدل على صحة نبُوتِهِمْ فقال:

﴿بِالبيِّنَاتِ والزُّبُرِ﴾.

أي بالآيات والحجَج، والزُّبُرُ الكُتُب، واحدها زَبُورٌ، يقال زَبَرْتُ الكتابَ وذَبَرْتُه بمعنى واحد، قال أبو ذؤيب:

عرفت الديار كرقم الوحِيّ يَذْبِرُها الكاتِبُ الحميرِيُّ[1]

وقوله: ﴿فَاسأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

فيها قولان، قيل فاسألوا أهل الكتب أهل التوراة والإنجيل وأهل جميع

---

(١) يروى: عرفت الديار كرقم الدواة ـ ويروى «الدَّويّ» وهو بمعنى الدواة، وقال الأصمعي: نظر حميرى إلى كتاب فقال: أنا أعرفه بزبْري ـ وَيُرْوَى بزبرتي ـ، وقيل الزبر العلم واستشهد بهذه الجملة، أي أعرفه بعلمي ـ انظر ديوان الهذليين ١/٦٤، مجاز أبي عبيدة ١٥/٣٥٩.

(٢) الآية كاملة المعنى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزُّبُر، وأنزلنا إليك الذكر﴾.

الكتب يعترفون أن الأنبياء كلهم بشر. وقيل ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكرِ﴾ أي فاسْألُوا مَنْ آمَنَ من أهل الكتاب. ويجوز والله أعلم ـ أن يكون قيل لهم أسألوا كلَّ من يُذْكَرُ بعلمٍ وافق أهل هذه الملة أو خالفهم.

والدليل على أن أهل الذكر أهل الكتب قوله تعالى: ﴿وأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾، وقوله: ﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه﴾[1].

وقوله: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ﴾.

أي أفأمنوا أَنْ يَفْعَلَ بهم ما فَعَل بقوم لوط، والذين أهلكوا من الأمم السالفة بتعجيل العذاب في الدنيا.

﴿أَوْيَأْتِيَهُمُ العَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرونَ﴾.

عطف على ﴿أَنْ يَخْسِفَ﴾.

﴿أَوْ يأْخُذَهُمْ في تَقَلُّبِهِمْ﴾ أي فِي تَصَرُّفِهِم في أسفارهم، وَسَائِرِ مَا يَنْقَلِبُونَ فِيه.

﴿أو يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾.

أي أو يأخذهم بعد أن يخيفهم، بأن يهلكَ فرقة فَتخافَ الَّتي تليها.

وقيل على تخوف على تنقص، ومعنى التنقص أن ينتقصهم في أموالهم وَثِمَارِهِمْ حتى يهلِكَهُمْ.

ويروى عن عُمَرَ قَال: ما كنت أدري ما معنى أو يأخذهم على تخوف حتى سمعت قول الشاعر[2]:

---

(١) الآية ٥٠ من سورة الأنبياء.

(٢) هو ابن مقبل (اللسان ـ خوف).

التامك السنام المرتفع، والمكتنز ـ وناقة تامك عظيمة السنام وأمكها المرعى، والقِرد المتلبد الشعر ـ والسَّفْنُ القشر، مصدر «سَفِنَ» بمعنى بَرَى وقشر، والسَّفِنُ الفأس التي يُقْشَرُ وينحت بها ـ والقدُّوم. والنبع شجر قوي تتخذ منه القِسيُّ ـ يقول إن ناقته أضناها السفر وبراها كما يبري صانع القسي عود النبع فيجعله دقيقاً.

تخـوف السَّيْـرُ منهـا تَـامِكـا قـرِداً   كمـا تَخَـوَّفَ عـودَ النَّبْعـةِ السَّفِنُ

يصف ناقة وأن السير تنقص سنامها بعد تمكنه واكتنازه.

وقوله:﴿فإنَّ ربَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

أي من رحمته أن أمهل فجعل فسحةً للتوبةِ

وقوله:﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شيءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلاَلُه عَنِ اليَمِينِ﴾.

... وتقرأ تتفيأ ظلاله.

﴿سُجَّداً﴾ منصوب على الحال.

﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾.

ومعنى ﴿دَاخِرُونَ﴾: صَاغِرُونَ، وهذه الآيـة فيهـا نـظر، وتـأويلهـا ـ واللَّه أعلم ـ أن كـل ما خلق اللَّه مِنْ جِسْم وعـظمٍ ولحم ونجْم وشَجَرٍ خـاضـع للَّه سـاجدٌ، والكـافر إن كَفـر بقلبه ولِسَـانه وقصْـدِه فنفس جسمه وعـظمه ولحمـه وجميع الشجر والحيوان خاضعة للَّه ساجدة. والدليل على ذلك قـوله:﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمواتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ والقَمْرُ والنُّجُـومُ والجِبَالُ والشَجَرُ والدَّوابُّ وَكَثيرٌ مِنَ النَّاسِ وكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيه العَذَابُ﴾[1].

روي عن ابن عباس أنه قال: الكافر يسجد لغير اللَّه، وظلُّه يسجُدُ للَّه.

وتأويل الظل تأويل الجسم الذي عنه الظل.

وقوله: ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾.

أي هذه الأشياء مجبولة على الطاعة.

وقـولـه : ﴿وَلِلَّه يَسْجُدُ مَـا فِي السَّمـواتِ وَمَـا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّـةٍ والملائكَةُ﴾.

المعنى وللَّه يسجد ما في السموات من الملائكة وما في الأرض من دابة

(١) سورة الحج. الاية ١٨.

والملائكة، أي وتسجد ملائكة الأرض، والدليل على أن الملائكة في الأرض أيضاً قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[١] وقوله: ﴿له مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْه وَمِنْ خَلْفه يَحْفَظُونَهُ مِنْ أمْرِ اللَّهِ﴾[٢] وقوله: ﴿وإنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ، كِرَاماً﴾[٣].

وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ، يَخَافُونَ رَبَّهُم مِنْ فَوْقِهِمْ﴾.

أي يخافون ربهم خوف مُخْلِدِين[٤] مُعظِّمين.

﴿وَيفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾.

وصفهم بالطاعة وأنهم لا يجاوزون أمراً له ولا يتقدمونه.

وقوله: ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً﴾.

قيل معناه دائماً، أي طاعة واجبة أبداً، ويجوز ـ واللَّه أعلم ـ أن يكون ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً﴾ أي له الدين والطاعة، رضي العبد بما يؤمر به أو لم يَرْضَ، وسهل عليه أو لم يسهل، فله الدين وإن كان فيه الوَصَبُ. والوَصَبُ شدَّةُ التعب. ثم قال:

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾.

أي أفغير اللَّه الذي قد بَانَ لكم أنَّه وحده، وأنه خالق كل شيء وأن ما بكم من نِعمةٍ فمن عنده، وأنه لو أراد إهلاككم حين كفرتم وألَّا يُنْظِرَكم إلى يوم التوبة لقدَرَ، وأَعْلَم أنه مع إقامته الحجج في أنه واحِدٌ، وأنه أَمَر ألَّا يُتَّخَذَ معه إله [عبدوا غيره][٥] لأنهم قالوا عن الأصنام: ﴿مَا نَعْبُدُهُم إلَّا لِيُقَرِّبُونَا إلَى

(١) سورة ق. الآية ١٨.
(٢) سورة الرعد. الآية ١١.
(٣) سورة الانفطار. الآية ١٠ ـ ١١.
(٤) في الأصل مُخِلين.
(٥) زيادة لا بد منها لأن الجملة خالية من الخبر.

اللَّه زُلْفَى﴾[١]. فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن لا إله إلاَّ هو، ولا يجوز أن يَعْبد غيره، وَإن قَصَد التقرِبَ بالعبادة للَّه وحده، فقال ـ جلّ وعلاّ ـ:

﴿[وقال اللَّه]لاَ تَتَّخِذُوا إِلٰهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾.

فذكر اثنين توكيداً لقوله إِلٰهَيْن، كما ذكر الواحد في قوله :﴿إِنَّمَا هُوَ إِلٰـهٌ وَاحِدٌ﴾.

وقوله :﴿وَمَابِكُمْ مِنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾.

دخلت الفاء، ولا فعل ههنا لأن الباء متصلة بالفعل[٢]، المعنى ما حل بكم من نعمةٍ فمن اللَّه، أي ما أعطاكم اللَّه من صحة جسمٍ أو سعة في رِزْقٍ، أو متاع بمالٍ أو ولد فكل ذلك من اللَّه.

وقوله :﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْه تَجْأَرُونَ﴾.

أي إليه ترفعون أصواتكم بالاستغاثة، يقال: جأر الرَّجُلُ يَجأرُ جُؤاراً، والأصوات مبنية على فُعَال وفَعِيلٍ، فأما فُعال فنحو الصُّراخ، والجُؤَارُ، والبُكاء. وأما الفَعِيل فنحو العويل والزئير، والفُعَالُ أكثر.

وقوله :﴿إِذَا فَرِيقٌ منكم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

هذا خاص فيمن كفر به.

وقوله :﴿ليكفروا بما آتَيْنَاهُمْ﴾.

أي ليكفروا بأنا أنعمنا عليهم، أي جعلوا ما رزقناهم وأنعمنا به عليهم

---

(١) سورة الزُّمر .الآية / ٣.

(٢) «ما» في «وما بكم» إما موصولة وإما شرطية، ولا فعل في حيزها سواء في الصلة أو فعل الشرط، وقد قدر المؤلف فعلا يتعلق به الجار في «بكم» ولا داعي لهذا غير أنه يجاري الكوفيين في تقدير فعل يتعلق به الجار أما الفاء فلأن الجملة اسمية.

سبباً إلى الكفر كما قال تعالى: ﴿ربنا إنك آتيْتَ فرعـونَ ومَلأَهُ زينـةً وأَمْوَالاً في الحيـاة الدُّنْيـا، ربَّنَـا لِيُضِلوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾[١]. ويجوز أن يكـون ﴿ليكفروا بمـا آتيناهم﴾ أي لِيَجْحَدُوا نعمة اللَّه في ذلك، كما قال:

﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

وَقوله: ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

لم يأمُرْهُمْ اللَّه جلّ وعلاّ أن يتمتعوا أمْرَ تَعَبُّدٍ، إنما هـو لفظ أَمْرٍ ليهـدِّدَ كما قال: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُوا﴾[٢]. أي فَقَدْ وَعَد اللَّه وأوعَدَ وأنذر وبالغت الرسُلُ فمن اختار بعد ذلك الكفر والتمتع بما يباعد من اللَّه فسوف يعلم عاقبـة أمره. وقد بين اللَّه عاقبة الكفر والمعصية بالحجج البالغة والآيات البينات.

وقوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾.

[هو] معنى قوله [تعالى]: ﴿فقالوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنا﴾[٣] فجعلوا نصيبـاً يتقربـون به إلى اللَّه تعـالى، ونصيباً يتقـربـون بـه إلى الأصنـام والحجارة.

وقوله: ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾.

أي تـاللَّه لتسأَلُنَّ عنـه[٤] سؤال توبيخ حتى تعتـرفـوا بـه على أنْفُسِكُمْ، وتُلْزِمُوا أنفسَكُم الحجة.

وقوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ البَنَاتِ سُبْحَانَهُ﴾.

لأنهم زعموا أن الملائكة بنات اللَّه، ﴿سبحانه﴾ معناه تنزيهاً له من السُّوءِ.

﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾.

---

(١) سورة يونس. الآية ٨٨.

(٢) سورة الإسراء. الآية ١٠٧.

(٣) سورة الأنعام. الآية ١٣٦.

(٤) في الأصل عن سؤال توبيخ.

«ما» في موضع رفع لا غير، المعنى سبحانه ولهم الشيءُ الذي يَشتهَـون كمـا قال: ﴿أم له البنات ولكم البَنُونَ﴾[1]. فإن قـال قائـل لم لا يكـون المعنى وَيَجْعَلُونَ لَهُمْ ما يَشْتَهُونَ. قيل العربُ تستعملُ في هذا الموضع: جعل لِنَفْسِهِ ما يشتهي، ولا يقولون جَعَل زيدٌ له ما يَشْتَهِي، وهو يعني نفسه، ثم أعلم أنهمْ يَجْعَلُونَ للَّه البنات. [فقال]:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾.

فيجعلون لمن يعتـرفون بـأنه خـالقهم البنَاتِ الـلاَّتِي مَحَلُّهُنَّ منهم هـذا المحل[2]. ومعنى ظَلَّ وجهُهُ مُسْوَدًّا، مُتَغيِّراً تَغَيُّرَ مَغْمُوم. ويقال لكـل من لقِي مكروهاً: قد اسود وجهه غماً وحُزْناً، ومِنْ ذلك قولك سوَّدْت وجه فُلاَنٍ

وقوله: ﴿يَتَوَارَى مِنَ القَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾.

قيل كان الرجل في الجاهلية إذا حزبَ امرأتَهُ المخاضُ توارى لكي يعلم ما يُولَدَ لَهُ، فإن كان ذكراً سُرَّ بـه وابْتهج، وإن كـانت أنثى اكْتَأَبَ بهـا وحَزِنَ، فمنهم من يَئِدُ ولَدَهُ[3] يَدْفِنُها حَيَّـةً، أو يمسكها على كـراهة وهَـوَانٍ. فقال اللَّه تعالى: ﴿يَتَوَارَى مِنَ القَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِـهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُـونٍ أَمْ يَدُسُّـه فِي التُّرابِ، أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمونَ﴾.

أي ألاَ سَـاءَ حُكْمُهُمْ في ذلـك الفِعْـلِ وفي جعلهم للَّه البنـاتِ وجعلهم لأنفسهم البنين، ونَسْبِهم للَّه اتخاذ الوَلَد.

وقوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهَ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾.

معنى ﴿عليها﴾ على الأرض، ودل الإضمار على الأرض لأن الـدَّوَابَّ إنما هي على الأَرْض.

---

(١) سورة الطور الآية ٣٩.

(٢) ينسبون البنـات للَّه، ومكانة البنـات في أنفسهم هذه المكانة البغيضة.

(٣) ولده، أي المولود الذي ولد له، وولد تطلق على الذكر والأنثى.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ المَثَلُ الأَعْلَى﴾.

جاء في التفسير [أنه] قوله: لا إله إلاَّ اللَّهُ، وتأويله أن اللَّه ـ جل ثناؤه ـ له التوحيد، ونفي كل إله سواه.

وقوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾.

أي يجعلون لِلَّه البنات اللاتي يكرهونَهُنَّ.

وقوله: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُم الكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الحُسْنَى﴾.

﴿انَّ﴾ بدلٌ من ﴿الكذب﴾ المعنى وتصف أَلسنتهم أَنَّ لهم الحُسْنَى، أي يصفون أن لهم ـ مع فعلهم هذا القبيح ـ من اللَّه جل ثناؤه ـ الجزاء الحسن(1).

وقوله: ﴿لا جَرَمَ أنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾.

«لاَ» ردٌّ لقولهم. المعنى ـ واللَّه أعلم ـ ليس ذلك كما وصفوا، جرم أن لهم النَّارَ، المعنى جَرَمَ فعلُهم هذا أن لَهُم النارَ، أي كسب فعلهم أن لهم النَّارَ. وقيل إنَّ «أَنَّ» في موضع رفع، ذكر ذلك قطربٌ، وقال المعنى أنَّ لهم النَّار.

﴿وأَنَّهُم مُفْرَطُونَ﴾.

فيها أربعة أَوْجُهٍ: ﴿مُفْرَطُونَ﴾ بإسكان الفاء وفتح الراء، ومُفَرَّطُونَ بفتح الفاء وتشديد الراء وبفتحها، ومُفْرِطُونَ ـ بإسكان الفاء وكسر الراء، ومُفَرِّطُونَ بفتح الفاء وتشديد الراء وكسرها.

فأما تفسير مُفْرَطونَ، ومُفَرَّطونَ فجاء عن ابن عباس، متروكون وقيل عنه: مُعْجَلُونَ. ومعنى الفَرْط في اللغة: التَّقدم، وقد فرط إليَّ منه قولٌ أي

---

(1) يدعون أن اللَّه سيجزيهم جزاء حسناً، مع هذا الفعل القبيح الذي فعلوا.

تَقَـدَّمَ، فمعنى مُفْرَطُـونَ مُقَدَّمُـونَ إلى النـار، وكـذلـك مُفَـرَّطُـون، ومن فسَّـرَ متروكون فهو كذلك، أي قد جُعِلُوا مُقَدَّمِين في العذاب أبداً متروكين فيه.

ومن قرأ مُفَرِّطُـونَ، فالمعنى أنـه وَصْفٌ لهم بأنهم فَـرَّطُوا في الـدنيا فلم يعملوا فيها للآخرة. وتصديق هذه القراءة قوله: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾[1].

وَمَنْ قَـرأَ مُفْرِطُـونَ، فالمعنى على أنهم أفْـرَطُـوا في مَعْصِيـةِ اللَّه، كَمـا تقول: قد أفرط فلان في مكروهي.

وتأويله أنه آثر العجْزَ وقدَّمه[2].

وقوله :﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَـابَ إلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُـوَا فِيهِ وَهُـدًى وَرَحْمَةً [لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ]﴾.

بِنَصْب﴿رَحمَةً﴾المعنى: وما أنزلنا عليـك الكتابَ إلا هُـدًى ورحمةً، أي ما أنزلْنَاهُ عليك إلا للهداية والرحمة، فهو مفعول لـه. ويجوز: وهـدًى ورحَمْةٌ في هذا الموضع، المعنى: وما أنزلنا عليك الكتاب إلَّا لِلْبيَانِ وهو ـ مع ذلك ـ هدًى ورحْمَةٌ.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ في الأَنْعَامِ لَعِبْرةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطونه﴾.

وتقـرأ نَسْقِيكم، ويقال سَقيتُـهُ وأَسْقَيْتُهُ في مَعْنى وَاحـدٍ[3]. قال سيبـويه والخليل سقيته كما تقول نَاوَلْتُه فشرب. وأسقيتُهُ جعلت له سقياً، وكذلك قـول الشاعر يحتمل المذهبين[4]:

---

(١) سورة الزُّمَر ٥٦.

(٢) تأويل لا جرم أَنَّ لهم العذاب. أن هؤلاء آثروا الراحة.

(٣) قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر بالفتح. من الثلاثي.

(٤) هو لبيد بن ربيعـة العامـري.. والبيت في ديوانه ١٢٨/١، ورواه أبـو عبيدة في مجـازه ٣٥٠/١،

سَقَى قَوْمِي بني مَجْدٍ وأَسْقَى نُمَيراً والقبائل من هلال

وهذا البيت وضعه النحويُّونَ على أنَّه سَقَى وأسْقَى بمعنى واحد، وهو يحتمل التفسير الثاني.

والأنعام لفظه لفظ جمع، وهو اسم للجنس يذكر ويؤنث، يقال هو الأنعام وهي الأنعام. نسقيكم مما في بطونه، وفي موضع آخر ﴿مما في بطونها﴾[1]. فأعلم اللَّه - عزّ وجلّ - أن في إخْراجه اللَّبَن ﴿من بيْنِ فَرْثٍ ودَمٍ﴾ دَلِيلاً على قدرةٍ لا يقدِر عليها إلا اللَّه الذي ليس كمثله شيء.

وقوله عَزّ وجلّ: ﴿وَمِنْ ثَمَراتِ النَّخِيل والأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً، إن في ذلك لآيةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

أي فيما بيَّنا علامةٌ تدل على توحيد اللَّه.

وقالوا في تفسير قوله: ﴿سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً﴾ إنه الخمرُ من قبل أن تحرَّمَ، والرزق الحسَنُ يؤكل من الأعناب والتُّمورِ. وقيل إن معنى السكر الطعم وأنشدوا:

جعلت أعراض الكرام سَكَراً[2]

أي جعلتَ دَمَهُم طُعماً لك. وهذا بالتفسير الأوَّلِ أشبَهُ، المعنى جعلْتَ تتخمَّرُ بأعراضِ الكرام، وهو أبين - فيما يقال: الذي يتبرك[3] في أعراض الناس.

= والأعلم الشنتمري ٢/٢٣٥ وكذلك في اللسان (سقى). والذي أنكره هو الأصمعي، قال لو كان شاعراً مطبوعاً ما استعمل غير لغة قومه ولا يستعمل لغتين: وانظر معاني الفراء ٢/١٠٨.

(١) سورة المؤمنون الآية ٢١.

(٢) قال أبو عبيدة في مجازه ٥/٣٦٣ أنه لجندل ولم يبين من هو جندل وأبو عبيدة هو الذي جعل السكر الطعام، ولم يقله غيره، وأنكر ذلك الزجاج، انظر اللسان (سكر). والطبري ١٤/٨٤، والقرطبي ١٠/١٢٩.

(٣) تخوض فيها كما يبرك الجمل في مبركه.

وقوله: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتخِذي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً﴾.

وبُيوتاً. فمن قرأ بُيُوتاً بَالضَّم فهو القياس، مثل كعب وكُعُوب وقلْب وقُلُوبُ، ومن قرأ بِيُوتاً بالكسر فهذا لم يذكر مثله أحَدٌ من البَصْريّينَ لأنهم لا يجيزون مثله. ليس في الكلام مثل فِعُل ولاَ فِعُول، والذين قرأوا به قلبوا الضمة إلى الكسرة من أجل الياء التي بعْدَها.

ومعنى الوحي في اللغة على وجهين يرجعان إلى معنى الإعْلام والإفهَام فمن الوحي وَحْيُ اللَّه إلى أنبيائه بما سمعت الملائكة من كلامه، ومنه الإلهام كما قال اللَّه: ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ إلى ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَها﴾[1] معناهُ أَلْهمَهَا. فاللَّه أوحى إلى كل دابَّةٍ وذِي رُوحٍ في التماس منافعها واجتناب مضارِّهَا، فذكر من ذلك أمر النحل، ـ وواحدُ النَّحْلِ نحلةٌ، مثل نخل ونخلة ـ لأن فيها من لطيف الصنعة وبديع الخلق ما فيه أعظم معتبر بأنْ ألهمَها اتخاذَ المنازل والمساكن، وأن تأكل من كل الثمرات على اختلاف طعومها.. ثم سهل عليها سبيل ذلك فقال جلّ وعز: ﴿ثمَّ كُلِي منْ كُلّ الثَّمَراتِ فاسلُكِي سُبُلَ رِبّكِ ذُللاً﴾ أي قد ذللها اللَّه لك وسهل عليك مَسَالِكَها.

ثم قال: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُه﴾[2].

فهي تأكل الحامض والمر وما لا يُوصَف طعمه فيُحِيلُ اللَّه ذلك عَسَلاً يخرج من بطونها إلا أنها تلقيه من أفواهها ولكنه قال: ﴿مِنْ بُطونِهَا﴾، لأن استحالة الأطعمة لا تكون إلاّ في البطون فيخرج بعضها من الفم كالرّيق الدائم

---

(١) تمام الآية: ﴿وقال الإنسان مالها، يومئذ تحدث أخبارها، بأن رَبّك أوحَى لها﴾ سورة الزلزلة، (٢ ـ ٥).

(٢) الآية: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إلى النحل أنِ اتَّخِذِي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون. ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سُبَلَ ربكِ ذُلَلاً يَخرَجُ من بُطُونِها شَرَابٌ مختلفٌ الوانه﴾.

الذي يخرج من فم ابن آدم، فالنحل تخرج العسلَ من بطونها إلى أفوَاهِهَا.

﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾.

في هذا قولان، قيل إن الهاء يرجع على العَسَل، المعنى في العَسَلِ شفاء للناس. وقيل إن الهاء للقرآن، المعنى في القرآن شفاءٌ للنّاس وهذا القول إذا فسّرَ علم أنه حَسَنٌ، المعنى فيما قصصنا عليكم من قصة النحل في القرآن وسائر القصص التي تدل على أن اللَّه واحد شفاء للناس. والتفسير في العَسَل حسنٌ جدًا.

فإن قال قائل: قد رأينا من ينفعهُ العسلُ ومن يضره العسل، فكيف يكون فيه شفاء للناس، فجواب هذا أن يقال له الماء حياة كل شيء فقد رأينا من يقتله الماء إذا أخذه على ما يصادف من علة في البدَنِ، وقد رأينا شفاء العسل في أكثر هذه الأشربة، لأن الجَلَّاب[1] والسكنجبين[2]، إنما أصلهما العَسَلُ، وكذلك سائر المعجونات. وهذا الاعتراض في أَمْر العَسَلِ إنما هو اعتراض جهلة لا يعرفون قدرة في النفع، فأما من عرف مقدار النفع فهو وإن كان من غير أهل هذه الملةِ فهو غير رافع أنَّ في العَسَلِ شفاءً.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم ثُمَّ يَتَوفَاكُمْ وَمِنْكُم من يُرَدُّ إلى أَرْذَلِ العُمُرِ لكي لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً﴾.

أي منكم من يكبر ويُسِنُّ حتّى يذهب عقله خَرَفاً فيصير بعدَ أَنْ كَانَ عَالماً جاهلاً، والمعنى ـ واللَّه أعلم ـ ﴿لكيلا يَعْلم بعد علمٍ شيئاً﴾ أي ليريكم من قدرته أنه كما قدر على إمَاتَتِه وإحْيَائِه أنه قادر على نقله من العلم إلى الجهْلِ. وأعلم ـ عزّ وجلّ ـ أن الموتَ والحياةَ بيدِه، وأنه [الإنسان] قد

(١) الجلاب: ماء الورد: فارسي معرب.

(٢) السكنجبين: فارسي أيضاً معرب وهو شراب عذب يتطبب به.

يَتَغَذَّى بالأغـذية التي يَتَعَمَّـد(١) فيها الغـاية في الصَّـلاح والبقاءِ، فـلا يقدِرَ أن يزيدَ في مقدار مُدَّته شيئاً.

وقـوله:﴿وَاللَّهُ فَضَّـلَ بَعْضَكُم عَلَى بَعْضٍ في الـرِّزْقِ فَمـا الَّـذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىَ ما مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَواءٌ﴾.

أي قد فضل اللَّه الملَّاكَ عَلَى مَمَالِيكِهِمْ، فجعـل المملوك لا يقدر عَلَى مِلْكٍ مع مَوْلَاه وأعلم أن المـالك ليس يَـرُدُّ على مملوكَه من فضـل ما في يـده حتى يستوي حالهما في المُلكِ. وقيل لهـم: إنكم كلكم من بني آدم، وأنتم لا تسـوون بينكم فيما ملكت أيمـانكم، وأنتم كلكم بَشَـرٌ. فكيف تجعلون بعض الـرزق الـذي رزقكم اللَّه لـه، وبعضَـهُ لأصنـامكم، فتشركـون بينَ اللَّهِ وبين الأَصْنَامِ، وأنتم لا تَرْضَوْنَ لأنفسكم فيمن هو مثلكم بالشركَة.

وقوله:﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

فيهـا وجهـان: يجـوز أن يكـون، أَفَبِـأَنْ أَنْعَمَ اللَّه عليكم اتَّخَـذْتُمْ النعم لتجحدوا وتشركوا به الأصنام. وجائز أن يكون ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾: أفبما أنعم اللَّه عليكم بأن بَيَّن لكم ما تحتاجون إليه تجحدون.

وقوله:﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً﴾.

جاء في التفسير أن اللَّه خلق حَوَّاءَ مِنْ ضِلعٍ من أضلاع آدم، فهو معنى جعَل لكُمْ من أَنْفُسِكُمْ أزواجاً أي من جنسكم.

وقوله:﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وحَفَدَةً﴾.

اختلف النـاس في تفسيـر الحَفَـدَة، فقيـل الأولاد، وقيـل البنـات وقيـل الأختان، وقيل الأَصْهَارُ، وقيل الأَعْـوَانُ. وحقيقة هـذا أن اللَّه عزّ وجـلّ جعل

---

(١) عمد وقصد، بأن اختار.

من الأزواج بنين وَمَنْ يعاوِنُ على ما يحتاج إليه بِسُرْعَةٍ وطاعةٍ، يقال حَفَدَ يَحْفِدُ حَفْداً وحَفداً وحَفَدَاناً إذا أسْرع. قال الشاعر:[1]

حَفَدَ الولائدُ بَينَهُنَّ وأسْلمت بِأَكُفِّهِنَّ أَزِمَّةُ الأجْمالِ

معناهُ أَسْرَعُوا في الخِدْمة.

وقوله: ﴿فَلاَ تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ﴾.

أي لا تجعلوا للَّه مثلاً لأنه واحد لا مثل له، جلَّ وعزَّ، ولا إلٰه إلاَّ هُوَ - عزَّ وَجلَّ. ثم ضرب لهم المثل فقال:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُوْنَ﴾.

فأعلم اللَّه - جلَّ وعزّ - أنَّ الاثنين المتساويين في الخلق إذا كان أحدهما مقتدراً على الإنفاق مالكاً والآخر عاجزاً لا يقدر على أنْ ينفق لا يستَوِيَانِ، فكيف بين الحجارة التي لا تتحرك ولا تَعْقلُ وَبَيْنَ اللَّه عزّ وجلّ الذي هو على كل شيء قدير، وهو رازقٌ جميع خلقه، فبين لهم أمْرَ ضلالتهم وبُعْدِهِم عن الطريق في عبادتهم الأوثان، ثم زاد في البيان فقال جلَّ وعزَّ:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُما أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾.

والأبكم المطبق الذي لا يسمع ولا يُبْصِر ولا يَعْقِل، ثم قال:

﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاَهُ﴾.

أي على وَلِيّه

﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ، هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِراطٍ مُسْتَقِيم﴾.

---

(١) البيت في اللسان (حَفَد) ولم أقف على قائله.

أي هل يستوي القَادر التام التمييز والعاجز الذي لا يحس ولا يأتي بخير، فكيف يسوون بين اللَّه وبين الأحجار.

وقوله:﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمواتِ والأَرْضِ﴾.

ومعناه ـ واللَّه أعلم ـ : وللَّه عِلْمُ غيبِ السَّمواتِ والأَرْضِ

﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ البَصَرِ﴾.

والساعةُ اسم لإمَاتَةِ الخَلق وإحْيائِهِمْ. فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أنّ البَعْثَ والإِحْيَاءَ في قدرته ومشيئته ﴿كلمح البصر أو هو أَقْرَبُ﴾ ليس يريد أنَّ السَّاعةَ تأتي في أقربَ من لمح البصر، ولكنه يصف سرعة القدرة على الإتيان بها.

وقوله:﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾.

وإِمَّهَاتِكُمْ ـ بالكسر[1] ـ، والأصل في «أُمَّهَاتٍ» أُمَّاتٌ، ولكن الهاء زيدت مُؤَكِّدةً كما زادوا هاء في قولهم أهْرَقْتُ الماءَ، وإنما أصله أرقت الماء، والأفئدة جمع فؤاد مثل غراب وأغربة. ولم يجمع فؤاد على أكثر العَدَدِ، لَمْ يُقَلْ فِئْدان، مثل غُرْابٍ، وَغِرْبَانٍ.

ثم دلهم ـ سبحانه ـ على قُدْرَتِه عَلَى أَمْرِ السَّاعَةِ بما شاهدوا من تدبيره فقال:

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّماءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾.

﴿جَوُّ السماء﴾ الهَوَاءُ البعيدُ من الأَرض، وأبعد منه من الأرض السُّكاكُ، ومثل السُّكَاكِ اللَّوح، وواحد السُّكَاكِ سُكاكةٌ[2].

وقوله:﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً﴾.

---

(١) كسر الهمزة.

(٢) اللوح والسكاك والسكاكة ـ الهواء بين السماء والأرض ـ تقول لا أفعله ولو نزوت في السكاك، أي في السماء.

أي مَوْضِعاً تسكُنُونَ فِيه.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً﴾.

والأنعام اسم للإبل والبقر والغنم

وقوله: ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾.

معنى تستخفونها، أي يخف عليكم حَمْلُها في أسفاركم وإقَامَتِكُمْ، ويقرأ يومَ ظعنِكُمْ، وظَعَنِكُمْ.

﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ﴾.

الأوبار للإبل، والأصواف للضأنِ، والأشعار للمعزِ. والأثَاثُ متاعُ البيتِ، ويقال لمتاع البيت أيضاً، الأَهَرَةُ[1]، ويقال: قد أَثَّ يئِثُّ أثاً إذا صار ذا أَثَاثٍ.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لكمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالاً﴾.

أي جعل لكم من الشجر ما تَسْتَظِلُّونَ بِه

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِنَ الجِبَالِ أَكْنَاناً﴾.

واحد الأكنان كنٌّ، على وَزْنِ حِمْل وأَحْمَالٍ، ولا يجوز أن يكونَ واحدها كناناً، لأن جمع الكنان أكنة. أي جعل لكم مَا يُكنِكُمْ.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ﴾.

كل ما لَبِسْتَه فهو سربالٌ. من قميص أو دِرْع أو جَوْشَنٍ[2] أو غيرِه، قال اللَّه عز وجل: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ﴾[3]، وقال تقيكم الحرّ ولم يقل تقيكم البردَ لأنّ ما وَقَى من الحرّ وَقى من البردِ.

(١) الأهرةُ ـ بوزن عقبة متاع البيت ـ قالوا: بيت حَسَنُ الأهرة والظهرة والعقار، وهو متاعه، والظهرة ما ظهر منه والأهرة ما بطن، والجمع أهرة وأهرات.

(٢) الجوشن اسم الحديد الذي يلبس من السلاح.

(٣) سورة إبراهيم الآية ٥٠.

وقوله: ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾.

أي جعل لكم دُرُوعاً تَتقُون بها في الحروب مِنَ بأْسِ الحَدِيد وَغيره.

وقوله: ﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمته عَليكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾.

أكثر القراء تُسْلِمُونَ، ويقرأ لعلكم تَسْلَمُونَ، أيْ لعلكُم إذَا لبستم الدروع في الحرب سَلِمْتُمْ من الجِرَاحِ، ثم قالَ بَعْدَ أنْ بيَّنَ لهم الآيات:

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلَاغُ المُبِينُ﴾.

أي عليك أن تبلغ الرسالة وتأتي بالآيات الدالة على النبوة.

وقوله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾.

أي يعرفون أن أمر النبي ﷺ حق ثم ينكرون ذلك.

وقوله: ﴿فَأَلْقَوْا إليهمُ القَوْلَ إنَّكُمْ لَكَاذِبونَ﴾.

أي لما رأى الذين أشركوا ما كانوا يشركون باللَّه غيْر نَافِعهِمْ وجحَدَتْهُمْ آلِهَتُهُمْ كما قال اللَّه جل وعز: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرونَ بِعِبَادَتِهِمْ ويكونون عَليهِمْ ضِدًّا﴾[1].

وقوله: ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ العَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾.

رِوِي في التفسير أن الَّذِي زيدوا[2] عقاربُ لها أنيابٌ كالنَّخْلِ الطِّوَالِ، وقيل أيضاً: انهم يخرجون من حَرِّ النار إلى الزَّمْهَرِير، فَيُبَادِرونَ من شدة برده إلى النَّارِ.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾.

كُلُّ نبيٍ شاهدٌ عَلَى أمَّتِه، وهو أعدل شاهِدٍ عليها.

وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾.

---

(١) سورة مريم الاية ٨٢.

(٢) العذاب الذي زيدوه.

تبيان: اسمٌ في معنى البيان، ومثل التِّبْيَان التِّلْقَاء، وَلَوْ قُرِئَتْ تَبْيانـاً على وزنِ تَفْعَال لكانَ وجهاً، لأن التَّبيانَ في معنى التَّبْيينَ، ولا تجوز القراءة بـه لأنه لم يَقْرَأْ به أَحَدٌ من القُرَّا.

وقوله:﴿وَلَا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾.

يقـال: وكَّدتُ الأَمْـر، وأَكّدْتُ الأمْـرَ. لغتان جَيِّـدَتَانِ، والأصـل الـوَاوُ، والهمزة بدل منها.

وقوله:﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً﴾.

﴿أَنْكَاثاً﴾ منصوب لأنه في معنى المصْدَرِ لأن معنى نكثت نقَضْتُ، ومعنى نقضت نكثت[1]، وواحـد الأنقاض نِكثٌ وهـو مـا نُقِضَ بعْـدَ أن غـزل، قـال الشاعر:[2].

تـرعِيَّةٌ تعـرفُ الأربـاعَ ضجعَتُـه　　لـه نِكَـاثٌ مِنَ الأنْجـادِ والفُضَـلِ

وقوله:﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ﴾.

أي غِشًّا بينكم وَغِلاً. ودَخَلًا منصوب لأنه مفعول له، المعنى: تتخذون أيمانكم للغش والدَّخَل، وكل ما دَخلهُ عيبٌ قيل هو مَدْخُول، وفيه دَخَلٌ.

وقوله:﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾.

لتغترَّ إحْداهُمَا بالأُخرى، وأربى مأخوذٌ من رَبَا الشيء يَرْبُو إذا كثر.

وقوله:﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾.

يقال نفِد الشيء ينْفَدُ نفاداً ونَفَداً إذا فَنِيَ.

---

(١) على هذا هو مفعول مطلق، ويمكن أن يكون حالاً، ومثله قولهم:

قطعتـه إرْبـاً إرْبـاً، أي جعلـتـه قِطَعـاً

(٢) الترعية الذي يصلح المال على يديه ويجيد رعي الإبل. وترعى نادر والأرباع جمع رُبَع ورُبَعَة، وهو الفصيل الذي ينتج في الربيع.

وقوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾.

قيل لَنَرْزُقَنَّه حلالاً، وقيل ﴿حَيَاةً طيبةً﴾ الجنَّةُ. وَموضع: ﴿أرْبَى﴾ رَفْع المعنى: أن تكون أمَّةٌ هِيَ أكثرُ مِنْ أمَّةٍ، وزعم الفراء أن موضع ﴿أَرْبَى﴾ نصبٌ و﴿هِيَ﴾ عمادٌ، وهذا خطأ، «هي» لا تدخل عماداً ولا فَصْلاً[1] مع النِكرات، وشبههُ بقوله: ﴿تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً﴾[2]. و «تجدوه» الهاء فيه معرفة، وأمّة نكرة.

وقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ القُرآن فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم﴾.

معناه إذَا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ باللَّه من الشَيطَان الرجيم، ليس معناه استعذ باللَّه بعد أن تقرأ، لأن الاستعاذة أُمِرَ بها قبلَ الابتداء، وهو مستعمل في الكلام، مثله إذا أكلت فقل بسم اللَّه، ومثله في القرآن: ﴿إذَا قُمْتُمْ إلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾[3] فالهيئة[4] قبل الصلاة، والمعنى إذا أَرَدْتُم ذلك فافعلوا.

وقوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ واللَّهُ أَعْلَمُ بمَا يُنَزِّلُ﴾.

أي إذا نسخت آيةٌ بآيَةٍ أُخرى عليها فيها مَشَقّةٌ.

﴿قَالُوا إنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾.

أي قالوا قد كذبتنا.

وقوله: ﴿إنَّما يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤمِنُونَ بآيَاتِ اللَّهِ، وَأُولَئِكَ هُمُ الكَاذِبُون﴾.

---

(١) وجه المنع عنده أن «أربى» إذا جعلت «هي» فصلاً تكون صفة، ويبقى الكلام ناقصاً. ولا نوافقه على ما ذهب إليه.

(٢) آخر سورة المزمل. سورة ٧٣ الآية ٢٠.

(٣) سورة المائدة الآية ٦.

(٤) التهيؤ والاستعداد.

أي إنما يفتري الكذب الَّذِين إذا رَأَوُا الآيَاتِ التي لا يقدِرُ عليها إلَّا اللَّهُ كذَّبُوا بها، فَهؤلاء أكذَبُ الكَذَبَةِ.

وقوله: ﴿مَنْ كَفَر باللَّهِ مِنْ بَعْد إيمَانِه إلَّا مَنْ أُكْرِهَ وقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمَانِ﴾.

﴿مَنْ﴾ في موضع رفع على البدل مِنَ الكـاذِبينَ ومُفَسِّرٌ[1] عن الكـاذبين، ولا يجوز أن يكون ﴿مَنْ﴾ رَفعاً بالابتداء، لأنه لا خبر ههنا للابتداء، لأنَّ قـولـه: ﴿مَنْ كَفَر باللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِه إلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُه مُطْمَئِنٌّ بِالإيمَانِ﴾.

ليس بكلام تام، وبعده:

﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ﴾.

فقوله: ﴿فعليهم غَضَبٌ من اللَّه﴾ خَبَرُ ﴿مَنْ﴾ التي بعد ﴿لكن﴾[2]

وقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾.

أعلم اللَّه عز وجلَّ نبيَّه ما يقولونه بينهم.

وقوله: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾.

ويُقْرأ «يَلْحِدُونَ»، أي لِسَانُ الذي يميلُون القَوْلَ إليه أعجميٌّ.

وقيل هذا غُلَام كان لحُوَيْطب[3] اسمُهُ عَايِش[4]، أسلم وحسن إسْلَامُه.

---

(١) مبين المراد من الكاذبين، فيكون التقدير إنما يفتري الكذب هؤلاء، وهم الكـاذبون، لأنهم هم الذين كفروا بعد إيمانهم.

(٢) يمكن أن تكون جملة ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن﴾ - إلى - ﴿صدراً﴾ جملة معترضة وتكون ﴿فَعَلَيْهِمْ﴾ هي الخبر، والمعنى من كفر عامداً غير مكره، فعليه غضب اللَّه. وعلى الوجه الذي ذكره - تكون «من» في ﴿من كفر باللَّه﴾ مبتدأ لم يذكر خبره - ولهذا هو يجعلها بدلاً مما قبلها.

(٣) هو حويطب بن عبد العزى، قرشي عامري. أسلم عام الفتح، وكان من المؤلفة قلوبهم، عاش مائة وعشرين سنة ومات في خلافة معاوية. وصحح ابن عبد البر في الاستيعاب اسمه بأنه حوط. - انظر الإصابة ١٨٨٢، وص ٣٩١ - بهامشه ترجمة حوط بالاستيعاب.

(٤) لم أقف على ترجمة لصحابي يسمى عائشاً غير عائش بن الصامت الذي كان يسمى الناسك. ويبدو أنه غير هذا لأنه كان سيد بني نهد في الجاهلية.. على أنه اختلف في اسمه فقيل اسمه يعيش، =

﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾.
يقال: عَرَبَ الإنسان يَعْرُبُ عُروبيَّةً وَعَرابةً وعُروبةً.
وقوله: ﴿مُبِينٌ﴾.

وصفه بالبيان كما وصفه بأنّه عَرَبِيٌّ، ومعنى عربي أن صاحبه يتكلم بالعَربيَّة وَمَعْنَاهُ مُعْربٌ: «مُبِينٌ».

وقوله: ﴿لاَجَرَمَ أَنَّهُمْ في الآخِرَةِ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾.

«أنَّ» يصلح أن تكون في موضع رَفع على أنَّ «لاَ» رَدٌّ للكلام، والمعنى وجب أنَّهُمْ، ويجوز أن تكون «أنَّ» في موضع نَصْبٍ على أن المعنى جَرَمَ فِعْلُهُمْ هذا أنهم في الآخرةِ همُ الخَاسِرُونَ. ومعنى جَرَمَ كَسَب، والمجرم الكاسِبُ، وأكثر ما يستعمل للذنوب.

وقوله: ﴿ثُمَّ إنَّ رَبَّكَ للَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثمَّ جاهَدُوا وَصَبَرُوا إنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

أي من بعد الفَعْلِةِ التي فعلوها. وهذه الآية في قصة عمَّار بن ياسر(١) وأصحابه حين عذَّبَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ فأكْرَهُوهم على أن تركوا الايمان، وكفروا بألسنتهم وفي قُلُوبهم ونيَّاتهم الأيمانُ، ثم هربوا منهم وهاجروا إلى النبي (ﷺ) فلحقهم جمعٌ من أهل مكة فقاتلوهم حتى نجَّاهم اللّه منهم، وصبروا على جهادهم.

وقوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِها﴾.

وقيل هو غلام نصراني كان يسمى جبرا وقيل كانا اثنين.

(١) هو سيدنا عمار بن ياسر بن عامر حليف بني مخزوم وأمه سمية مولاة لهم ـ أحد سبعة أظهروا إسلامهم بمكة أول من أظهروه، وأسرته من المعذبين في الإسلام. شهد المشاهد كلها ـ وقطعت أذنه في موقعة اليمامة، وقتل يوم صفين وهو يحارب في صف علي. انظر الاصابة ٥٦٩٩.

﴿يوم﴾ منصوب على أَحَدِ شيئين، على معنى ﴿إِنَّ رَبَّك مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ، يَوْمَ تأتي﴾ ويجوز أن يكون بمعنى اذْكُر لأن معنى القرآن العِظَة والإِنْذَارُ والتَّذْكِير. أي اذكر يوم تأتي كل نفس أي كل إنسانٍ يُجَادِلُ عن نفسه.

ويروى أنه إذا كان يومُ القيامة زَفَرَتْ جهنمُ زَفْرةً فلا يبقى ملك مُقَرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرْسَلٌ إلَّا جَثَا عَلَى رُكبَتَيه، وقال يا رب نَفْسِي نَفْسِي، وتصديق هذا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرّ المَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَأُمِّهِ وَأَبِيه. . .﴾ الآية[1].

وقوله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مطمئنةً﴾.

المعنى - والله أعلم - وضرب الله مَثَلاً مثلَ قريةٍ كانت آمنَةً مُطْمئنةً.

﴿يَأتِيها رِزْقُهَا رَغداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾.

أي وَاسِعاً من كل مكان.

الذي جاء في التفسير أنه يعنى بها مكة، وذلك أنهم كانوا قد أمنوا الجُوعَ والخَوْفَ لأنَّ اللَّه جل ثناؤه جَعَلَ أَفْئِدَةً من الناس تهوي إليهم، فأَرْزَاقُهُمْ تَأْتيهم في بلدهم وكان حَرَماً آمِناً ويُتَخَطف الناس من حولهم.

﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّه لِبَاسَ الجُوعِ والخَوْفِ﴾.

و[قد] جاعوا حتى بلغوا إلى أن أكلوا الوبر بالدَّم، وبلغ منهم الجوع الحال التي لا غَايَةَ بعْدَها. وأَنْعُم جمع نعمة، وقالوا شِدَّة، وأَشُدّ. وقال قطرب: جائز أن يكون جمع نُعْمٍ وأنْعُمٍ، مثل وُدٍّ وَأوُدّ.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ، فَأَخَذَهُم العَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

عَذَّبَهُمُ اللَّهُ بالسيف والقَتْلِ.

(١) سورة عبس الآيات ٣٤ - ٣٧.

وقوله :﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلسِنَتُكُمُ الكَذِبَ﴾.

في الكـذب ثـلاثـة أَوْجـه، قـرئت الكَـذِبَ، وقـرئت الكُـذُبُ، وقـرِئَتِ الكـذِبِ، فمن قرأ ـ وهُـوَ أكثرُ القِـرَاءَةِ ـ الكَذِبَ فـالمعنى : ولا تقولـوا لوصفَ ألسنتكم الكذِبَ : ﴿هَذَا حَلَالٌ وهذا حَرَامٌ﴾. ومن قرأ الكـذِب كان رَدًّا على مَـا المعنى : ولا تقـولوا لِـوصْفِ ألسنَتِكُمُ الكذب(١). ومن قـرأ الكُذُبُ فهـو نعتٌ للألسنة، يقال لِسَانٌ كَذُوبٌ وأَلْسِنَةٌ كُذُوبٌ. وهذا إنما قيل لهم لِمَا كانوا حَرَّمُوه وأَحَلُّوه، فقـالوا :﴿مَا فِي بُطُونِ هَـذِهِ الأَنْعَامِ خَـالِصَةٌ لِـذُكُورِنَـا ومُحَـرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾(٢)، وقد شرحنا ذلك في موضعه.

وقوله : ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾.

المعنى مَتاعهم هذا الذي فعلوه متاع قليل. ولو كان في غير القرآن لجاز فيه النَّصْبُ: متاعاً قليلاً، على أن المعنى يَتمتَّعُونَ كذلك مَتاعاً قليلاً.

وقوله : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً﴾.

جـاء في التفسير أنـه كان آمَنَ وَحْـدَهُ، وفي أكثر التفسيـر أنه كـان مُعلِّماً للخير وإمَاماً حَنِيفاً قيل أُخِذَ بالخِتَانَةِ، وحقيقته في اللغة أن الحنيف المائل إلى الشيء لا يزول عنه أبداً، فكان عليه السلام مائلاً إلى الإسلام غير زائـل عنه، وقالوا في القانِتِ هو المطيع، والقانِتُ القائم بجميع أمر اللَّه ـ جل وعزَّ ـ.

وقوله : ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿لم يك﴾ أصلها لم يكن، وإنما حُذفَتِ النُّونُ عند سيبويه لكثرة استعمال هذا الحرف، وذكر الجلة من البصريين أنه اجتمع فيها كثرة الاستعمـال، وأنها عبارةٌ عن كل مـا يَمْضي من الأفعال ومـا يُسْتَأْنَفُ، وأنهـا مع ذلـك قد أشبهت

---

(١) فهي بدل من «مَا» والمعنى لا تقولوا للوصف الكذب من ألسنتكم هذا حلال وهذا حرام.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٣٩ وانظر شرحها فيما سبق.

حُـرُوفَ اللين لأنها تكـون عَلاَمـةً كما تكـون حروف اللين عَـلامةً، وأَنَّهـا غُنَّةٌ تخرج من الأنف. فلذلك احتملت الحذف.

وقوله:﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِين اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾.

الكـلام يَدُلُّ على أنهم ألـزموا آيَـة نبوة مـوسى عليه السـلام. وجـاء في التفسير أنه حرَّمَهُ بعضُهم وأحلَّه بَعضُهم. وهَذَا أَدَلُّ مـا جاء من الاختـلاف في السبت، وقـد جاء كثيـرٌ[1] في التفسير أنهم أُمِـرُوا بأن يَتَّخِـذُوا عِيداً فخـالفـوا وقالوا نريد يوم السبت لأنه آخر يوم فرِغَ فيه من خَلْق السمـوات والأرض، وأن عِيسَى أمر النصارى أن يَتَّخِذوا الجمعة عيداً فقالوا لا يكون عيدُنا إلا بَعْـدَ عِيد اليهودِ فجعلوه الأحَدَ، واللَّه أعلم بحقيقة ذلك.

وقوله:﴿أدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسنَةِ﴾.

جاء في التفسير: «الحكمة» النبوَّة، و«الموعظة» القرآنُ، ﴿وَجَادِلْهُمْ بالَّتي هِي أَحْسَنُ﴾.

أي جـادلهم غيـر فَظٍّ وَلاَ غَليظِ القَلْب في ذلـك. أَلِنْ لَهُم جَانِبَـكَ.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُم فَعاقِبُوا بِمثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾.

سُمِّي الاوّل عقوبةً، وإنما العقوبة الثاني - لازدواج الكلام لأن الجنسين في الفعل معنى واحدٌ. ومثله: ﴿وَجَزَاءُ سَيئَةٍ سَيئَةٌ مِثْلُهَا﴾[2] فالثاني ليس بِسيِّئَةٍ ولكنه سُمِّيَ به ليتفق اللفظ، لأن معنى القتل وَاحِدٌ وقد بَيَّنَا نظير هذا في سورة آل عمران في قوله: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾.

وجاء في التفسير أن المسلمين هَمُّوا بأن يمثلـوا بالمشركين، لأنهم كانوا

(١) أي جاء كلام كثير، ولو نصبت ظرفاً أو مفعولاً وجعل المصدر فاعلاً كان أولى.

(٢) سورة الشورى الآية ٤٠.

قـد مَثَّلُوا بِهِمْ، فَهَمَّ المسلمون بأن يـزيدوا في المُثْلَةِ، فـأمروا بـأن لا يزيـدوا وجـائز ـ واللَّه أعلم ـ أن يكـونِ معنى: ﴿وجزاء سَيِّئَـةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهـا﴾[1] أي من فُعِلَ به ما يَجِبُ فِيه القِصَاصُ فلا يُجَاوِز القِصَاصَ إلاَّ بِمثلٍ.

وقولـه جل وعز:﴿ولئن صَبَرتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرينَ﴾.

هو مثل قوله:﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُه عَلَى اللَّهِ﴾[1].

وقوله:﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

ضَيْق، في معنى ضَيِّق مخفَّف، مثـل مَيْتَ وميِّتٍ. وجـائـز أن يكـون بمعنى الضِّيقِ، فيكون مصدراً لقولك ضاق الشيء يضيق ضَيْقاً.

وقوله:﴿إنَّ اللَّه مَع الَّذين اتَّقوا، وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.

أي ان اللَّهَ نَاصِرُهُمْ، كما قال: ﴿لا تَحْزَنْ إنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[2]. فقد وَعَدَ في هذه الآيَةِ بالنَّصْرِ.

---

(١) سورة الشورى الآية ٤٠.

(٢) سورة التوبة الآية ٤٠.

سُورَةُ الإِسْرَاءِ
مَكِّيَّة

بسم اللَّه الرحمن الرحيم[١]

قوله ـ عز وجل ـ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسرَى بِعَبدِه لَيْلاً مِنَ المسْجِدِ الحَرام﴾.

﴿سبحان﴾ منصوب على المصدر، المعنى: أسبح اللَّه تسبيحاً. ومعنى سبحان اللَّه في اللغة تنزيه اللَّه عن السوء، وكذلك ما روي عن النبي ﷺ[٢].

وقوله: ﴿أَسْرَى بعَبْده لَيْلاً﴾.

معناه سَيَّر عبدَه، يقال أَسْرَيْتُ وسَرَيْتُ إذَا سِرْتُ لَيلاً، وقد جاءت اللغتان في القرآن، قال اللَّه جل وعز: ﴿واللَّيْلِ إذَا يَسْرِ﴾[٣] هذا من سَرَيْتُ ومعنى يَسْرِي يمضي[٤].

أسرى اللَّه سبحانه بالنبي ﷺ من المسجد الحرام وهو مكة، والحرم كله مسجد، فأسرى اللَّه به في ليلة واحدة من المسجد الحرام من مكة إلى بيت المقدس وهو قوله ـ جل وعز: ﴿إلى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِيَ بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾.

أجرى اللَّه حول بيت المقدس الأنهار وأنبت الثمار، فذلك مَعْنَى باركنا حوله.

---

(١) في الأصل ذكرت البسملة قبل العنوان باسم السورة وكونها مكية.

(٢) أي ما جاء في الأحاديث من قوله (ﷺ) سبحان اللَّه فمعناه كذلك.

(٣) سوزة والفجر الآية ٤.

(٤) حذفت الياء في القرآن لتوافق الفواصل.

﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾.

أي لِنُرِيَ محمداً.

فأراه اللّه في تلك الليلة من الأنبياء، وآياتهم ما أَخْبَرَ بِهِ في غَدِ تلكَ الليلة أهلَ مكةَ فقالوا للنبي ﷺ إنَّ لنا في طريق الشام إبلاً فأخبِرنا خبرها، فَخَبَّرهُم بخبرها، فقالوا فمتى تقدم الإبل علينا، فأخبرهم أنها تَقْدُمُ في يوم سَمَّاهُ لهُمْ مع شروق الشمس، وأنه تقدّمها جمل أورق، فخرجوا في ذلك اليوم، فقال قائل: هذه الشمس قد أشرقت، وقال آخر فهذه الإبل قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد ﷺ فلم يؤمنوا بعد ذلك.

وقوله:﴿وآتَينَا مُوسَى الكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

أي دللناهم به على الهدى.

﴿أَنْ لَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً﴾.

أي لا تتوكلوا على غيري ولا تتخذوا من دوني رَبًّا.

وقوله: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾.

القراءة بنصب ذُرِيَّةَ. وقرأ بعضهم ذِرِّيّة ـ بكسر الذال ـ والضم أكثر. وذُرّية فُعْليَّة من الذر، وهي منصوبة على النداء، كذا أكثرُ الأقوالِ المعنى: يا ذرّيّةَ من حملنا مع نوح. وإنما ذكروا بنعم اللّه عندهم أنه أنجى أبناءهم من الغرق بأنهم حملوا مع نوح. ويجوز النصب على معنى ألا تتخِذُوا ذرِّيَّةَ من حملنا مع نوحٍ من دوني وكيلاً، فيكون [الفعل] تعدى إلى الذريَّة وإلى الوكيل، تقول: اتخذت زيداً وكيلاً، ويجوز ﴿ألَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً﴾على معنى: ﴿وجعلناه هُدَىً لبني إسرائيل أَلَّا تتخذوا من دوني وكيلاً ذرية من حملنا مع نوح﴾. ويجوز الرفعُ في ﴿ذرّية﴾ على البدل من الواو، والمعنى ﴿ألَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً﴾ أي لا تتخذوا من دوني وَكيلاً ذرّيَّةٌ، ولا تقرأن بها إلَّا أن تثبت بها

رواية صحيحة، فإن القراءة سنة لا يجوز أن تخالف بما يجوز في العربية.

وقوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الكِتَابِ﴾.

معناه أعلمناهم في الكتاب، وأوحينا إليهم، ومثل ذلك قوله: ﴿وقضينا إليهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاَءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾[1]. ومعناه وأوحينا إليه.

وقوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾[2] معناه خلقهن وفرغ منهن، ومثل هذا في الشعر قوله:

وعليهما مَسْرودَتان[3] قضاهما داودُ أو صنعُ السوابغَ تُبَّعُ

معناه عملهما. وجملة هذا الباب أن كل ما عُمِلَ عَمَلاً محكماً فقد قُضِيَ، وإنما قيل للحاكم قاض لأنه إذا أمر أمراً لم يُرَدَّ أمْرُه، فالقضاء قَطْعُ الأشياء عن إحْكام، والمعنى إنا أوحينا إليهم لَتُفْسِدُنَّ في الأَرْضِ ولتَعْلُنَّ عُلُوًّا كبيراً. معناه لَتَعْظُمُنَّ ولَتَبْغُنَّ، لأنه يقال لكل مُتجبّرٍ قَدْ عَلاَ وتعظَّمَ.

وقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاَهُمَا﴾.

المعنى فإذا جاء وعد أُولى المرتين.

﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾.

يروى أنه بعث عليهم بختنصَّر.

﴿فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيَارِ﴾.

أي فطافوا في خلالِ الدِّيارِ ينظرون هل بقي أحدٌ لَمْ يَقْتُلُوه، والجَوْس طَلَب الشيء باستقصاء.

---

(١) سورة الحجر الآية ٦٦.

(٢) سورة فصلت الآية ١٢.

(٣) تقدم.

وقوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾.

أي رددنا لكم الدولة.

﴿وَجَعَلْناكُمْ أكْثرَ نَفِيراً﴾.

أي جعلناكم أكثر منهم نُصَّاراً[1]، ويجوز أن يكون نفيراً جمع نَفْرٍ كما يقال: العبيد والكليب والضَّئين والمعيز[2]. ونفيراً منصوب على التَّمييز.

وقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَة لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾.

وتقرأ لِيَسُوءَ وجُوهَكُمْ، المعنى فإن جاء وعد الآخرة ليسوء الوعدُ وجُوهَكم، ومن قرأ «لِيَسُوءُوا» فالمعنى ليسوء هؤلاء القومُ وجوهكم، وقد قرئت لَنَسُوءَ وُجُوهَكُمْ ـ بالنون الخفيفة ـ ومعناه لَيَسُوءًا الوعدُ وجوهَكم، والوقف عليها لَيُسُوءًا. والأجود ليسوءَ بغير نونٍ، ولِيَسُوءُوا. ويجوز: لِيَسُوءْ وجوهكم، ويكون الفعل للوَعْدِ على الأمر، ولا تقرأ به، ويجوز لِنَسوءَ بالنون في موضع الياء.

وقوله: ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً﴾.

معناه لِيُدَمِّرُوا، ويقال لكل شيء منكسرٍ من الزُّجَاجِ والحديد والذَّهَبِ تِبْرٌ، ومعنى ﴿مَا عَلَوْا﴾ أي ليدَمّروا في حَالِ عُلُوِّهِمْ عليكم.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّم لِلكَافِرِينَ حَصِيراً﴾.

معناه حَبْساً، أخِذَ من قوله: حصرتُ الرَّجُلَ إذَا حَبَسْتُه فهو مَحصور وهذا حَصِيرُهُ أي مَحْبِسُهُ، والحصير المنسوج إنما سمّيَ حصيراً لأنه حصرت

---

(١) يُقَال رجُلٌ ناصِرٍ من قوم نُصَّار، أي جعلنا نصراءكم أكثر.

(٢) أي عبد وعبيد وضان وضئين...

طاقاته بعضها مع بعض. والجَنْبُ يقال له الحصير[1] لأن بعض الأضلاع محصورٌ مع بعض.

وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا القُرآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

أي للحال التي هي أقوم الحالات، وهي توحيد اللّه ـ عز وجل ـ [أي] شهادة أن لَا إلهَ إلاَّ اللَّهُ والإيمانُ بِرُسُلِهِ، والعمـلُ بطاعتِـه، وهذه صفـة الحال التي هي أقوم الحالات.

وقوله: ﴿وَيَدْعُو الإِنْسَانُ بِالشَّرِ دُعَاءَهُ بالخَيْرِ﴾.

المعنى إن الإنسان رُبَّما دَعَـا على نفسه وولـده وأهله بالشَّـرِ غَضَباً كمـا يدعو لنفسه بالخير، وهذا لم يُعَرَّ منه بشرٌ.

ويـروى أن النبي ﷺ رفـع إلى سَـوْدَةَ[2] بنت زَمْعَـةَ أسيـراً، فـأَقْبَـلَ يئن باللَّيْلِ، فقالت له: ما بالُك تَئِنُّ فشكا أَلَمَ القَدِّ والأَسْرِ.

فأرْخَتْ مِن كِتَافه، فلما نامت أخرج يـده وهرب، فلمـا أصبح النبي ﷺ دعـا به فـأعلم شأنـه، فقال اللهم اقـطع يديهـا، فرفعت سـودةُ يـديهـا تتـوقـع الاستجابة، وأن يقـطع اللَّه يديهـا، فقال النبي ﷺ وإني سـألت اللَّه أن يجعل دعـائي ولعْنتي على من لا يستحق من أهلي ـ رحمـةً، فقـولـوا لهـا لأني بَشَـرٌ أغضب كمـا يغضب البشر لِتَـرُدَّ سودة يـديهـا. فـأعلم اللَّه ـ عـز وجـل ـ أن الإنسان خلق عجولاً، فهذا خلق عليه جملةُ البشَرِ من آدم إلى آخر ولده.

والإنسان ههنا في معنى الناس.

(١) جانب الإنسان وشقه يسمى حصيراً.

(٢) هي أم المؤمنين زوج رسول اللّه (ص)، قـرشية عـامرية تزوجها السكران بن عمـرو، فتوفي عنهـا فتزوجها رسول اللّه (ﷺ)، وكانت أول أزواجه بعد خديجة ـ كـانت من الزهـاد وكانت تضحـك رسول (ﷺ) بكلامها أحياناً ـ بعث لها عمر غرارة مليئة بـالدراهم ففـرقتها ومـاتت في خلافـة عمر وقيل ماتت سنة أربع وخمسين. إصابة ٦٠٦.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْن﴾.

أي علامتين يدلان على أن خالقهما واحد ليس كمثله شيء وتدلان على عدد السنين والحساب.

﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾.

أي جعلنا آية الليل دليلة عليه بظلمته.

﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

أي جعلناها تضيء لكم لتُبْصِروا كيف تَصَرَّفُونَ في أعمالكم ﴿ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾، ويُرْوَى أن القمر كان في ضياء الشمس فمحا اللّه ضياءه بالسواد الذي جَعَلَ فيه.

﴿وَكلَّ شَيءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾.

أي بَيَّنَاهُ تَبييناً لا يلتبس مَعَه بغيره، والاختيار النَّصْبُ في «كل»، المعنى في النصب: لِتَبْتَغُوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين، وفصلنا كلَّ شيء تفصيلاً، و ﴿كلَّ﴾ منصوب بفعل مضمر الذي ظهر يفَسِّرُهُ، وهو ﴿فصَّلْنَاهُ﴾ ويجوز «وَكلُّ شَيْءٍ فصلناه تفصيلاً»[1]. وكذلك النَّصْب والرفع في قوله: ﴿وَكلَّ إنْسانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِه﴾ إلاَّ إني لا أعلم أحداً قرأ بالرَّفع.

وجاء في التفسير: طائره، أي خَيْرُه وشَرُّه، وهو ـ واللّه أعلم ـ ما يُتَطَيَّر من مثله من شيء عمله كما قَالَ لِيحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة، وكما يُقال للإنسان إثْمِي في عُنُقِك، وإنما يقال للشيء اللازم له: هذا في عُنُق الإِنْسَانِ، أي لُزُومه له كلزوم القلادة له من بين ما يُلبس في العنق.

﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً﴾.

---

(١) هو اسم مشتغل عنه بضميره ـ فيجوز فيه الرفع والنصب.

وفي هذه أربعة أوجه: وتُخْرَجُ له، ويُخْرِجُ له، أي ويُخْرِجُ اللَّهُ له[1].

وَيَخْرُجُ له. أي ويُخْرَجُ عملهُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كتاباً، وكذلك يَخْرَج له عمله يوم القيامة.

﴿كتاباً يلقاه منشوراً﴾ منصوب على الحال.

وقوله:﴿كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾.

﴿بنفسك﴾ في موضع رفع، وإن كان مجروراً بالباء، ولو كان في غير القرآن جاز. كفى بنفسكَ اليوم حسيبة، والمعنى كفت نفسك حسيبة، أي إذا كنت تشهد على نفسك فكفاك بهذا. وحسيباً منصوب على التمييز.

وقوله:﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

يقال: وَزَرَ يَزِرُ فهو وَازِر وَزْراً، وَوِزْراً، وزِرَة، ومعناه آثِمَ يَأْثَمُ إثماً.

وفي تأويل هذه الآية وجهان: أحدهما أن الآثِمَ والمُذْنِبَ، لا يؤخذ بذنبه غيرُهُ، والوجه الثاني أنه لا ينبغي للإنسان أن يعمل بالإثم لأن غيره عمله كما قالت الكفار:﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾[2].

وقوله:﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾.

أي حتى نبين ما به نُعَذِّبُ، وما من أَجْله نُدْخِلُ الجنَّةَ.

وقوله:﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أمرنا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾.

تقرأ أَمَرْنَا مخفَّفَةً على تقدير فعلنا، وتقرأ آمرنا مترفيها على تقدير أفعلنا، ويقرأ أَمَّرْنا ـ بتشديد الميم ـ، فأما من قرأ بالتخفيف فهو من الأمر، المعنى أمرناهم بالطاعة ففسقوا، فإن قال قائل: ألست تقول: أمرت زيداً فضرب عمراً، فالمعنى أنك أمرته أن يضرب عمرا فضربه، فهذا اللفظ لا يدل على

(١) الاربعه الأوجه هي تخرج له، بالنون ـ ويَخرج له ـ بالبناء للفاعل والمفعول من خرج: ويخرج من أخرج.

(٢) سورة الزخرف الآية: ٢٢.

غيـر الضرب، ومثـل قولـه: أَمَرْنَـا مُتْرفيهـا ففسقوا فيهـا. من الكلام: أمـرتك فعَصَيتني. فقد علم أن المعصية مخالفة الأمر، وكذلك الفَسْقُ مُخَالَفَة أمْرِ اللَّه جلّ ثناؤه. وقد قيل: إنما معنى أمرنا مترفيها كَثَّرْنَا مترفيهـا، والدليـل على هذا قول النبي ﷺ خير المال سِكَّةُ مأبورة[1] ومُهْرَة مَأْمُـورَة أي مُكَثَّرَة[2]، والعـرب تقول قَدْ أَمِرَ بنو فلان إِذَا كَثرُوا، قال الشاعر:

إن يُـغْبَـطُو يَـهْـبِـطوا وَإن أَمِـرُوا ... يـومـاً يصيـروا للهلك والـنَّفَـد[3]

ويروى بالنقد ـ بالقاف[4] ـ ومن قرأ آمـرنا فتـأويله أَكْثَرنـا، والكثرة ههنـا يصلح أن يكـون شيئين، أحدهمـا أن يكثـر عـدد المتـرفين، والآخـر أن تكثـر جِدَتُهم وَيَسَارُهُمْ. ومن قرأ أمرنا بالتشـدِيد، فمعنـاه سَلَّطْنَا متـرفيها أي جعلنـا لَهُمْ إِمْرةً وسلطانا.

---

(١) جاء الحديث في اللسان (أبر) خير المال مهرة مأمورة وسكة مأبورة، والسكة الطريقـة المصطفـة من النخل، ومأبورة بمعنى ملقحة ـ يقال أبر وأبّر ـ بالتخفيف والتشديد ـ وقيـل السكة سكـة الحرث، والمأبورة المصلحة لأجله، والمأمورة الكثيرة النتاج والنسل، يقولون أمر اللّٰه المهرة أي كـثر ولدهـا، وأمِرَ القوم أي كثروا، وأمرهم اللّٰه فأمروا، ومنه حديث أبي سفيان: أَمِر أمر ابن أبي كبشة وارتفع شأنه ـ والحديث يصف خيراً قال بأنه من الحرث أو من النتاج.

(٢) البيت في اللسان «أمر» منسوب للبيد ـ وروايته بـه ـ للهلك والنكد. . وروايـة النفد التي هنـا تعني النفاد والفناء.

(٣) مما رثى به لبيد بن ربيعة العامري أخاه أربد، الذي أصابته صاعقة ذهبت به وبجمله بدعوة رسول اللّٰه (ﷺ) عليه وكان أراد قتله، وفيه نزلت الآية: ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾، وكان لبيد لا يزال على شركه، ورثى أربد بعدة مراث هذه المرثية من جيادها ـ والبيت السابق عـلى هذا البيت هو:

كـل بـني حـرة مـصـيـرهـم ... قـلٌّ، وإن أكـثـرت مـن الـعـدد

ويغبطوا: يصيرون في حـالة حسنـة يغبطهم النـاس عليها، ويهبطوا: تسـوء حـالهم وأمـروا بمعنى كثروا ـ ورواية البيت في اللسان (أمر) يصيـروا للهلك والنكد ورواه ابن هشـام حـ ٤/٢٣٧ ـ كما هنا ـ والنفد يعني النفاد والفناء.

(٤) النقد ـ بفتح القـاف ـ أراذل النـاس وسفلتهم، يقـال هو أذل من نقـد، ورب مثر أذل من نقـد، ومعنى البيت حينئذ أنهم مهما كثروا ينتهوا إلى الذلّة والهوان.

وقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾.

أي أهلكنا عدداً كبيراً من القُرون، بأنواع العذاب، نحو قوم لوط وعادٍ وثمود ومَن ذُكِرَ اسْمُه وقروناً بين ذلك كثيرا، وموضع كَمْ النصب بقوله أَهْلَكْنَا.

وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾(١).

أي من كان يريد العاجلة بعمله، أي الدنيا، عجل اللَّه لمن أراد أن يعجل له ما يشاء اللَّه، أي ليس ما يشاء هو، وما يشاء بمعنى ما نشاء(٢)، ويجوز أن يكون المُضْمَرُ في نشاء «مِنْ»، المعنى عجلنا للعبد ما يشتهيه، إذا أراد اللَّه ذلك(٣).

وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ﴾.

لأنه لم يرد اللَّهَ بعمله

﴿يَصْلَاهَا مَذْمُوماً﴾.

ومذءوماً في معنى واحد.

﴿مَدْحُوراً﴾.

أي مباعَداً من رحمة اللَّه. يقال: دَحَرْتُه أَدْحَرُه دَحْراً ودُحُوراً إذا باعدته عنك. ثم أعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن يعطي المسلم والكافِرَ وأَنَّ يرْزُقهما جميعاً فقال:

﴿كُلًّا نُمِدُّ هَـٰؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾.

أي نُمِدُّ المؤمنين والكافرين مِنْ عَطَاءِ رَبِّك

وقوله سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾.

معناه أَمَر رَبُّك

---

(١) في الأصل ما نشاء وما يشاء لمن نريد.

(٢) أي قرئت عجلنا له فيها ما يشاء ـ وهي بمعنى عجلنا له ما يشتهي إذا أردنا ذلك.

(٣) عجلنا له مما نشاء ـ من كان يريد العاجلة عجلنا له منها ما نشاء ـ فتكون في بمعنى «من».

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾.

أي أمر أن يحسنوا بالوالدين[1]

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا﴾.

ترفعُ ﴿أحدهما﴾ بيَبْلُغَنَّ، و ﴿كلاهما﴾ عطف عليه، ويقرأ: يَبْلُغَانِّ عندك الكِبَرَ، ويكون أَحَدَهُمَا أو كلاهما بَدَل من الألف.

وقوله:﴿فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾.

في قوله «أُفٍّ» سبع لغات: الكسر بغير تنوين، والكسر بتنوين، والضم بغير تنوين، وبتنوين، وكذلك الفتح بتنوين، وبغير تنوين، وفيها لغة أخرى سابعة لا يجوز أن يقرأ بها، وهي «أُفِّي» بالياء، فأما الكسر فلالتقاء الساكنين، وأف غير متمكن بمنزلة الأصوات، فإذا لم تُنَوَّن فَهي مَعْرِفةٌ، وإذا نُوِّنَ فهو نكرة بمنزلة غاقٍ وغاقِ في الأصوات، والفتح لالتقاء الساكنين أيضاً، والفتح مع التضعيف حسن لخفة الفتحة وثقل التضعيفِ والضَّمِّ، لأن قبله مضمُوماً ـ حسنٌ أيضاً، والتنوين فيه كله على جهة النكرة.

والمعنى: لا تقل لهما كلاماً تتبرم فيه بهما، ومعنى أفٍّ النتن، وقيل ان أُفَ وسخ الأظْفَارِ، والتُّف الشيء الحقير نحو وسخ الآذان أو الشظية تؤخذ من الأرض. ومعنى الآية: لا تقل لهما ما فيه أذىً بتبرُّمٍ، أي إذا كبِرَا، أو أَسَنَّا فينبغي أن تَتَوليَّ من خِدمتهما مثل الذي توليا من القيام بشأنك وخِدْمَتِكَ، ولا تنهرهما بمعنى: لا تنتهرهما، أي لا تكلمهما ضجراً صائحاً في أوجُهِهِما، يقال نهرته أنهره نهراً، وانتهرته أنتهره انتهاراً، بمعنى واحِدٍ.

وقوله:﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾.

---

(١) على هامش الأصل: نسخة وأمر.

وتُقْرَأُ الذِّل ـ بكسر الذَّال ـ ومعنى [اخفضن لهما] جناح الـذَّل، أي أَلِنْ لهما جانبك مُتَذَلِّلاً لهما، من مبالغتك في الـرحمة لهما، ويقال: رجـل ذليل بيّن الـذُّلِّ، وقد ذل يـذِلّ ذُلّاً، ودَابَّةٌ ذَلُـول. بين الـذِّل، ويجـوزان جميعـاً في الإنسانِ.

وقوله: ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً﴾.

الأواب بمعنى التواب، والراجع إلى اللّـه في كل ما أَمَر به، المقْلِعُ عن جميع ما نهى عنه، يقال قد آب يؤوب أَوْباً إذا رجع.

وقوله: ﴿وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾.

معناه لا تسرف، وقيـل: التبذيـر النفقة في غيـر طاعة اللّه، وقيـل كانت الجاهلية تنحر الإبل وتُبَذِّرُ الأموالَ، تطلب بذلـك الفخر والسمعـة وتذكـر ذلك في أشعارها، فأمر اللّه ـ عزّ وجلّ ـ بالنفقة في وُجُوهِهِمَا فيمـا يُقَرِّبُ منـه ويزلف عنده.

وقوله: ﴿إِنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوانَ الشَّيَاطِينَ﴾.

أي يفعلون ما يسول لهم الشيطان.

وقوله: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَـاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾.

﴿عَنْهُمُ﴾ هـذه الهاء والميم يـرجعـان على [ذي] القُـربى والمِسكين وابن السبيل، ﴿وإمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ﴾، أي وإن أعرضت عنهُمُ، ابْتغَاءَ رَحْمَـةٍ مِنْ رَبِّـكَ تَرْجُوهَا، أي لطلب رزقٍ من ربك ترجوه ﴿فَقُلْ لهما قَوْلاً مَيْسُوراً﴾، ﴿ابتغاء﴾ منصوبٌ لأنه مفعول لـه، المعنى: وإن اعْرَضْتَ عنهم لابتغـاء رحمة من رَبِّكَ.

وروي أن النبي ﷺ كـان إذا سئل وليس عنـده ما يعـطى أمسـك انتـظار الرزق يأتي من اللّه ـ جلّ وعزّ ـ كأنه يكره الرَّدَّ، فلما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ لَهُمَـا قولاً مَيْسُوراً﴾. كان عليه السلام إذا سئل فلم يكن عنـده ما يعـطي قال: يَـرْزُقُنَا

اللَّهُ وإيَّاكُمْ مِنْ فَضْلِهِ. فتأويل قوله: ﴿مَيْسُوراً﴾ واللَّه أعلم أنه يكسر عليهم فقرهم بدعائه لهم.

وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنقِك ولا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾.

معناه لا تبخل ولا تسرف. ﴿فتقعد﴾ منصوب على جواب النهي، و﴿محسوراً﴾ أي قد بالغت في الحمل على نفسك وحالك حتى تصير بمنزلة من قد حَسِر، والحسير والمحسور الذي قد بلغ الغاية في التعب والإعياء.

قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾.

﴿خشية إمْلَاق﴾ منصوب لأنه مفعول له، والإملاق الفقر، يقال أملق يملق إملاقاً.

وكانوا يدفنون البنات إذَا وُلِدْنَ لهم خوفاً من الفقر، فضمن اللَّه - عزّ وجلّ - لهم رزقهم، فقال:

﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾.

وهي الموءودة، كانوا يَدْفِنُونَ الابنة إذا وُلِدَتْ حيَّةً.

وقوله: ﴿إنَّ قتلهم كان خطئاً كبيراً﴾، وتقرأ خَطَأً كبيراً. فمن قال خِطئاً: بالكسر فمعناه إثماً كثيراً، يقال قد خطئ الرجل بخطأ خِطئاً: أَثِمَ يَأْثَمُ إثماً «وخَطأً كبيراً» له تأويلانِ أحدهما معناه إن قتلهم كان غير صواب يقال: قد أخطأ يُخطئ إخطاء، وخطأً، والخطأ الاسم من هذا لا المصدَرُ، ويكون الخطأ من خطئ يخطأ خطأً إذا لم يصب مثل لِجَجَ يَلْجَجُ قال الشاعر[1]:

والناس يلْحَوْنَ الأمير إذا همو ... خطئوا الصوابَ وَلَا يُلامُ المرشِدُ

---

(١) البيت في اللسان (أمر) - والمعنى أن الناس يلقون اللائمة على قائدهم إذا هم أخطأوا، ولا ينبغي أن يلام المرشد.

وقوله : ﴿وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ .

أي وساء الزنا سبيلاً . وسبيلاً منصوب على التمييز .

وقوله:﴿وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إلاَّ بِالحَقِّ﴾ .

حرَّم اللَّه قتل المؤمن إلاَّ أن يرْتَدَّ بَعْدَ إيمَانِه، أو يقتل مُؤْمِناً متعَمِّداً، أو يزنيَ بعد إحْصَانٍ . كذلك قال قتادة في تفسير هذه الآية .

﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً﴾ .

أي من غير أن يأتيَ بواحدة من هذه الثلاث .

﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً﴾ .

الأجود إدغام الدال في الجِيمِ ، والإظهار جَيِّد بالغ، لأنَّ الجِيمَ من وسط اللسانِ، والدال من طرف اللسانِ[1]، والإدغام جائز لأَنَّ حروفَ وَسَط اللِّسَانِ قد تقرب من حروف طرف اللسانِ .

وَوَلِيُّه الذي بَيْنَهُ وبيْنَه قرابة توجِبُ المطالبةَ بِدَمِهِ . . فإنْ لم يكن له ولي فالسلطان وَلِيُّه، و «سُلْطَاناً» أي حجة .

وقوله:﴿فَلاَ يُسْرِفْ في الْقَتْلِ﴾ .

القراءة الجزم على النهي، ويقرأ بالياء والتاء جميعاً، وتقرأ فلا يُسْرِفُ بالرفع[2] . والإسراف في القتل قد اخْتُلِفَ فيه، فقال أكثر الناس: الإسْرافُ أنْ يقتُلَ الوليُّ غيرَ قاتِلِ صاحِبِه، وقيل: الإسراف أن يقتل هو القاتل دُونَ السُّلْطَانِ، وكانت العرب إذا قُتِلَ منها السَّيِّدُ وكانَ قاتله خسِيساً لم يرضوا بأنَ يُقْتَلَ قَاتِلُه وربما لم يرضَوْا أن يُقْتَل واحدٌ بواحدٍ حتَّى تُقْتَلَ جماعة بواحدٍ .

وقوله:﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾ .

(١) وأيضاً الدال حرف قلقة، وهي لا تظهر مع الإدغام .

(٢) أي لا ينبغي له أن يسرف في القتل .

أي ان القتيل إذا قتل بغير حق فهو منصور في الدنيا والآخرة، فأما نصرتُه في الدنيا فَقَتْلُ قاتِلِهِ، وأما في الآخرة فإجزال الثواب له، ويخلَّدُ قاتِلُه النَّارَ، ومن قرأ فلا يسرِفُ ـ في القَتْلِ ـ بالرَّفع ـ فالمعنى أن وليَّه ليسَ بمُسْرِف في القَتْلِ إذا قتل قاتِلَه ولم يقبل الدِّيَة.

وقوله:﴿وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إلاَّ بِالَّتي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يبْلُغَ أَشُدَّه﴾.

أي لا تـدّخروا مِن مَالِه، ولا تأكلوا ـ إذَا أُقِمْتُمْ[1] [عليه] ـ إلاَّ ما يُسكِّنُ الجَوْعَةَ، ولا تكتسوا إلاَّ ما ستر العورة، ولا تَقْرَبُوه إلاَّ بالإصلاح للمال حَتَّى يبلغ أشُدَّه. وأشُدُّه أن يبلغَ النكاح، وقيل: أشُدُّه أن يأتي له ثماني عشرة سنة، وبُلوغُ أشـدِّه هو الاحتلام، وأن يكون مع ذلك غير ذي عاهة في عقل وَأَنْ يكونَ حازماً في ماله.

وقوله:﴿وَأَوْفُوا بِالعَهْدِ إنَّ العَهْدَ كَانَ مسؤولاً﴾.

قال بَعْضُهُمْ: لا أدري مَا العَهْدُ، والعَهْدُ كل ما عُـوهِدَ اللَّهُ عَلَيْه، وكل ما بينَ العِبَادِ من المـواثيق فهِيَ عُهُـودٌ. وكـذلك قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْـدِ اللَّهِ إذَا عَاهَدْتُمْ﴾[2].

وقوله:﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ المُسْتَقيم﴾.

والقُسْطَاسُ جميعاً ـ بالضَّمِ والكَسْرِ ـ قيل: القسطاسُ هو القرسطون[3] وقيل القفان[4]، والقسطاس ميزان العدل، أيُّ ميزان كان من موازين الدراهِم أَوْ غَيْرِها.

---

(١) صححت في هامش النسخة ـ إذا جعتم ـ وهو الأوفق لقوله تعالى: ﴿ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف﴾.

(٢) سورة النحل ٩١.

(٣) كلمة أعجمية اسم للميزان لنوع منه.

(٤) هو القبانُ الذي يوزنُ به.

وقوله: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾.

معنى ﴿وأحسن تأويلاً﴾ أن الوفاء أحسن من النقصانِ، ويجوز أن يكـون المعنى أحسن ما يؤول إليه أمر صاحب الوفاء.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

أي لا تقولن في شيء بما لا تعلم.

فإذا نُهِيَ النَّبِيُّ ﷺ ـ مع حِكْمَتِه وعِلْمِهِ وتوفيق اللَّه إيَّاهُ ـ أن يقـول بما لا يعلم، فكيف سائر أُمَّتِه والمسرفين على أَنْفُسِهم.

يقال قفوت الشيءَ أَقْفُوه قَفْواً إذا اتَّبَعْتَ أثرَه، فالتـأويل لا تُتْبِعَنْ لِسـانَك من القول ما ليس لك به علم، وكذلك من جميع العَمَل[1].

﴿إنَّ السَّمْعَ والبَصَر والفُؤادَ﴾ شواهد عليك، قال اللَّه عـزّ وجلّ ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهم بِمَا كَانُوا يعْمَلُونَ﴾[2].

فالجوارح شواهدُ على ابن آدم بعمله، ويقرأ.. ولا تَقُفْ ما ليس لك به عِلْمٌ بإسكان الفاء وضم القاف، من قاف يقوفُ ـ وكـأنه مقلوب من قفـا يقفو، لأن المعنى واحدٌ.

وقوله: ﴿كُلُّ أُولئكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـؤُولاً﴾.

فقال ﴿مَسْؤُولاً﴾، وقال: ﴿كَانَ﴾، لأن «كل» في لفظ الواحد؛ فقال ﴿أولئك﴾ لغير الناس، لأن كل جمع أَشَرْتَ إليْه من النـاس وغيرهم ومن المـوات فلفظه «أولئك» قال جرير:

---

(١) عطف على من القول.

(٢) سورة النور ٢٤.

ذم المنــازل بعــد منزلــة اللوى والعَيْش بعــد أولئـك الأيّــامِ (١)

وقوله: ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً﴾.

ويقرأ مَرِحـاً ـ بكسر الـراء ـ، وزعم الأخفَش أن مَرَحـاً أجْودُ من مَـرِحاً، لأن مَرِحاً اسمُ الفَاعِل. وهذا ـ أعني المصدر ـ جيِّدٌ بالغٌ، وكلاهما في الجودة سواء، غير أنَّ المصدرَ أوْكدُ في الاستعمال تقول: جاء زيد رَكْضاً، وجاء زيـدٌ راكضاً، فركْضاً أوْكَدُ في الاسْتِعْمَال لأن ركضاً يدل على توكيد الفِعْل. وَمَـرَحا بفتح الراء أكثر في القِراءَةِ.

وتأويل الآيةِ: ولا تَمْشِ في الأرض مختالاً وَلاَ فَخُوراً

﴿إنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولاً﴾.

قـالـوا: معنى ﴿تَخـرِق الأَرْضَ﴾ تقـطع الأَرْضَ، وقيــل تثقب الأرْضَ، والتأويل ان قدرتك لا تبلغ هذا المبلغ، فيكون ذلك وصلة إلى الاختيال.

﴿كُلُّ ذَلِكَ كَان سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾.

سيئه في معنى خطيئةً، وكان أبو عمرو لا يقرأ سَيِّئُهُ، ويقرأ سَيِّئَةً، وهـذا غلط، لأَنَّ في الأقـاصيص سيئاً وغيـر سَيِّءٍ، وذلك أن فيهـا ﴿وَقُلْ لَهُمَـا قَـوْلاً كَـريماً وآخْفِضْ لَهُمَـا جَنَاحَ الـذُّلِ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ وفيها: ﴿وآتِ ذَا القُـرْبَى حَقَّهُ، والمِسْكِينَ وابنَ السَّبِيـلِ﴾، و﴿وأَوْفُوا بِـالعَهْدِ﴾، ﴿وَلاَ تَقْـرَبُـوا مَـالَ اليَتِيمِ إلاَّ بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، أي اقرَبُوه بالَّتِي هي أَحْسَنُ (٢).

ففيما جرى من الآيـات سيء وحسن، فسيئُهُ بـلا تنوين أحْسَنُ من سيئةٍ

---

(١) من ميمية له مشهورة، انتقدت سكينة بنت الحسين بيتاً منها، وهو يتغزل غزلاً عفيفاً فيقول:

لـولا مـراقـبـة العـيـون أريـنـنـا مـقـل المـهـا وسـوالـف الآرام

طـرقتـك صـائـدة القـلوب وليس ذا وقـت الـزيـارة فـارجـعـى بـسـلام

انظر شواهد الكشاف ١٧٧ ـ والديوان، والبيت من شواهد النحو الشائعة.

(٢) قراءة أبي عمرو تقتضي أن كل ما ذكر من السيئات والواقع أن فيه حسنات.

ههنا. ومن قرأ سَيِّئَةَ جعل «كلا» إحاطة بالمنهى عنـه فقط، المعنى كل مـا نهى اللّه عنه كان سيئةً.

وقوله:﴿فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُـوماً مَدْحُوراً﴾.

أي مباعداً من رحمة اللّه.

وقوله:﴿أَفَأَصْفَاكُم رَبُّكُمْ بِالبَنِينَ﴾.

كانت الكفرة من العَـرَب تزعم أنَّ المـلائكةَ بنـات اللّه، فوُبِّخُـوا، وقيل لهم:﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بالبَنِينَ﴾، أي اختار[1] لكم ربكم صَفْوَة الشيءِ وأَخَذَ من الملائكة غير الصَّفْوةِ

وقوله:﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا القُرآنِ لِيَذَّكَّروا﴾.

أي بينـا.

﴿وَمَـا يَزِيـدُهُمْ إلاَّ نُفُوراً﴾.

أي ما يزيدهُم التَّبْيينُ إلاَّ نُفوراً، كما قال اللّه ـ عـزّ وجلَّ ـ :﴿وَنُنَـزِّلُ مِنَ القُرآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ للمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمينَ إلاَّ خَسَاراً﴾[2].

﴿قُلْ لَوْكَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كما يَقُولُونَ﴾.

فمن قرأ كما تقولون فعلى مخاطبة القائلين

﴿إِذَاً لاَبْتَغوْا إِلَى ذِي العَرْشِ سَبِيلاً﴾.

أي لتقربوا إلى ذي العرش، كما قال:﴿أُولئـكَ الذين يَـدْعُونَ يبْتَغُونَ إلى ربِّهم الـوسيلةَ أَيُّهُمْ أقْـرَبُ﴾[3]. وقـال بعضهم: ﴿إذاً لاَبْتَغَـوْا إِلَى ذِيَ العَــرْشِ سَبِيلاً﴾، أي لكانوا مضادِّينَ له يطلبون الانفِرادَ بالرُّبُوبِيَّةِ.

---

(١) في الهامش إشارة إلى نسخة: أفيختار.

(٢) سورة الإسراء الآية ٨٢.

(٣) الإسراء الآية ٥٧.

والقول الأول عليه المفسرون.

وقوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَـواتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فيهِنَّ، وَإِنْ مِنْ شَيءٍ إلاَّ يُسَبح بحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُـونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

قيل إنَّ كُلَ مَا خَلقَ اللَّه يُسبح بحمده وإن صَرِيـرَ السَّقْفِ وصَرِيـرَ البَابِ من التسبيح للَّه عزّ وجلّ. ويكون ـ على هذا ـ الخِطَابُ للمشركين وحدهم من قوله: ﴿وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

وجائز أن يكون تسبيح هـذه الأشياءِ مِمَّـا عَلِمَ اللَّه به، لا يُفقَه مِنْه إلاَّ مـا عَلَّمنَا.

وقال قوم: ﴿وَإنْ مِنْ شَيءٍ إلاَّ يُسَبِّح بِحَمْدِهِ﴾ أي ما من شيء إلاَّ وفيه دَلِيـلُ أن اللَّه خالِقُه، وأن خَالِقَه حَكيمٌ مُبَرَّأٌ مِنَ الأَسْوَاءِ ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾.

أي ولكنكم أيها الكفار لاَ تَفْقَهونَ أثر الصَّنْعةِ في هذه المخلوقات.

وهذا ليس بشيء لأن الذين خوطبوا بهـذا كانـوا مُقِرِّينَ بـأن اللَّه خَالِقُهُمْ وخـالق السمـوات والأرض ومن فِيهِنَّ، فكيف يجهلون الخلقـة وهم عـارفـون بها.

وقوله: ﴿وَإِذَا قَـرأْتَ القُرْآنَ جَعَلْنَـا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّـذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِـالآخِرةِ حِجَاباً مَسْتُوراً﴾.

قال أهل اللغة معنى ﴿مستوراً﴾ ههنا في موضع ساتر، وتأويـل الحجاب ـ واللَّه أعلم ـ الطَّبع الَّـذي على قلوبهم. ويدل على ذلك قوله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾.

والأكنة جمع كِنَان وهو ما سَتَرَ.

ومعنى أن يفقهوه كراهة أن يَفْقَهُوه، وقيل معناه ألَّا يفقهوه والمعنيان واحدٌ، غير أن كراهة أجود في العربيَّةِ.

وقيل: ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ حِجَاباً﴾، الحجاب منع اللَّه إياهم من النبي ـ عليه السلام ـ ويجوز أن يكون ﴿مستوراً﴾ على غير معنى ساتر، فيكون الحجاب ما لا يرونه ولا يعلمونه من الطبع على قلوبِهِمْ.

﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً﴾.

الوقر ثقل السَّمْع، والوقر أن يَحمِل الإنْسانُ وَقْرَهُ

وقوله: ﴿وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً﴾.

﴿نُفُوراً﴾ يحتمل مذهَبَيْن أحدهما المصدر. المعنى: وَلَّوْا نافِرين نُفُوراً ويجوز أن يكون نُفُوراً جمع نافِرٍ، فيكون نافِرٍ ونُفُورٌ، مثل شاهِدٍ وشهود.

وقوله: ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾.

﴿نجوى﴾في معنى المصدر، أي وَإِذْ هُمْ ذَوُو نجوى، والنجوى اسم للمصدر، وكانوا يستمعون من النبي ﷺ ويقولون بَيْنَهم: هو ساحِرٌ وهو مَسْحورٌ وما أشبه ذلك من القول. وقال أهل اللغة في قوله: ﴿إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً﴾ قولَيْنِ:

أحدهما أن مَسْحوراً ذو سَحْرٍ، والسَّحْرُ الرِّئَةُ، وقالوا: إنْ تتبعون إلَّا من له سَحْرٌ بشَرٌ مِثلكم يأكل الطعام، قال لبيدٌ.

فإن تسألينا فيم نحنُ فإننا عصافير من هذا الأنامِ المسحَّرِ[1]

(١) اللسان (سحر) أمالي المرتضى ٣٧/٣ ـ معاني القرآن للفراء ٢٨٢/٢. والسحر الخديعة ـ أي هذا الأنام المخدوع. أما على تخريج الزجاج فمعناه الأنام الذي (سَحْر) ولا معنى له وأيضاً يكون مشتقاً من اسم جامد.

وقالوا: مَسْحوراً أي قد سحُر وأزيل عن حَدِّ الاسْتِوَاءِ

﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً﴾.

الرُّفَاتُ التُّرابُ، والرفات أيضاً كل شيء حُطِمَ وكُسِرَ، وكل ما كان من هذا النحو فهو مبني على فُعَال، نحو الفُتَاتُ والحطَامُ والرُّفَاتُ والتُّرابُ.

وقوله: ﴿خَلْقاً جَدِيداً﴾، فِي مَعْنَى مُجدَّدِ.

وقوله: ﴿قل كُونوا حِجَارَةً أو حَدِيداً أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾.

أكثر ما جاء في التّفسِير في قوله: ﴿أو خلقاً مما يكبرُ في صُدُورِكُمْ﴾ إن هذا الخلقَ هو الموْتُ، وقيل خلقاً مما يكبر في صدوركم نحو السموات والأرض والجبال.

ومعنى هذه الآية فيه لطفٌ وَغُمُوضٌ، لأن القائل يقول: كيف يقال لهم كونوا حجارةً أو حديداً وهم لا يستطيعونَ ذلك، فالجواب في ذلك أنهم كانوا يقِرُّون أن اللّـه جلّ ثناؤه خالِقُهم، وينكرونَ أن اللّه يعيدهم خلقاً آخر، فقيل لهم استشعروا أنكم لو خُلقْتُمْ من حجارة أو حديدٍ لأماتكم اللّه ثم أَحْيَاكم، لأن القدرة التي بها انشأكم - وأنتم مقرونَ أنه أنشأكم بتلك القدرة - بها يعيدكم، ولو كنتم حجارة أوْ حديداً، أو كنتم الموت الذي هو أكبر الأشياء في صدوركم[1].

وقوله: ﴿فَسَيقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا، قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ﴾.

أي فسيحركون رؤوسهم تحريك من يبطل الشيء ويَسْتبطئه.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾.

(١) الأمر بمعنى افترضوا أنكم كذلك.

يقال أنْغَضْتُ رأسي إذا حركتُه أنْغِضُه إنغاضاً، ونَغَضَتِ السِّنُّ تنغَضُ نَغْضاً، ونغض برأسه ينغَضُ نَغْضاً إذَا حرَّكه، قال العجاج.

أَسَكَّ نَغْضاً لاَيَنِي مُسْتَهدَجاً[1]

وقوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾.

أي يعيدكم يوم القيامةِ.

ومعنى تستجيبون بحمده. تستجيبون مقرين بأنه خَالِقُكُمْ.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وآتيتا دَاوُدَ زَبُوراً﴾.

معنى ذكر داود ههنا أن اللَّهَ -جلّ ثناؤه- أعلم أنه قد فضَّل بعض النبيين على بعضٍ، أي فَلاَ يُنكِرُوا تفضيلَ محمد ﷺ وإعطاءَه القرآنَ، فقد أعطى اللَّه داود الزبور.

وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِنْ دُونه فَلاَ يَمْلكُونَ كَشْفَ الضُرِ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً﴾.

أي ادعوا الذين زعمتم أنَّهم آلهتكم.

وجاء في التفسير أشياء في هذه الآيـة، منها أنه قيل: قل ادعوا العُزَيْر وعيسى لأن النصارى واليهودَ زعموا أن هؤلاء آلِهَتهُم، فأعلمهم اللَّه -عزّوجلّ- أنهم لا يملكون كشف ضر عنهم ولا تحويلاً من وَاحِدٍ إلى آخرَ، وقيل إنه يُعْنَى به الملائكةُ لأنَّ منهمُ من كان يعبد الملاِئكة. وقيل إن قوماً من

---

(١) يصف ظليماً - جاء في اللسان (نغض).

واستبدلت رسومه سفنجا   أَصَكَّ

وقال أنه يروى أسك، والآسك الصغير الاذنين - والأصك مضطرب الركبتين والعراقيب. والنغض الذي يحرك رأسه - وهو وصف بالمصدر. ومستهدج، وهدج بمعنى عدا. وجاء الشطر في (هدج) أصك - بالصادر وفي (سفج -: جاءت، من أسها سفنجا - والسفخ السريع والطويل أي ولدته أسود.

العـرب كانـوا يعبدون نفـراً من الجنِّ، فأسلم أولئـك النفر من الجن ولم يعلم بهم من كان يعبدهم، فقيل فادعوا هؤلاء فإنهم لا يملكون ضراً ولا نفعاً.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِين يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الوَسِيلَةَ﴾.

بالياء والتاء.

﴿أولئك﴾ رفع بالابتداء، و﴿الذين﴾ رفع صفة لهم، و ﴿يَبْتغون﴾ خبـرُ الابتداء، المعنى الجماعة الذين يـدعون يبتغـون إلى ربِّهِم الوسيلةَ، والـوسيلة والسؤال، والسُّؤْلُ والطَّـلَبَةُ، في معنىً واحد.

﴿أيُّهمْ أقْرَبُ﴾.

إن شئت ﴿أيُّهم﴾ كان رفعاً بالابتداء، والخبر ﴿أقرب﴾، ويكون المعنى يـطلبون إلى ربهم الـوسيلة - ينظرون أيهم أقـرب إليه فيتـوسلون به، فـإن قال قائل: فالذي أَنْكَرَ عَليهِمْ [هو] التوسُّلُ بغيـر عبادَةِ اللَّهِ إلى اللَّه، لأنهم قـالوا: ﴿مَا نعْبُدُهُمْ إلَّا لِيقَـرِّبُونَـا إلى اللَّهِ زُلْفَى﴾[1]، فالفرق[2] بين المتوسلين إلى اللَّه بمحبَّـةِ أنبيـائـه ومـلائكتـه وصـالحي عبـادِه أنهم يتـوسلون بهم مُـوَحِّـدين اللَّهَ عزّ وجلّ، لا يجعلون له شريكاً في العبادة، والكفار يتَوَسَّلُونَ بعبـادة غير اللَّه، فجعلوا الكفرَ وسيلَتَهُمْ.

ويجـوز أن يكون ﴿أيُّهمْ أقْرَبُ﴾ بـدلاً من الـواو في يبتغـون[3] فـالمعنى يبتغي أيُّهم هو أقربُ الوسيلة إلى اللَّهِ، أي يتقرب إليه بِالعَمَلِ الصالح.

﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَه﴾.

أي الذين يزعمون أنهم آلِهة يرجون ويخافون.

---

(١) سورة الزمَر آية ٣.

(٢) جواب الشرط في «فـإن قـال قـائـل».

(٣) ليس مثل هذا البدل مطرداً، وخرج عليه ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ وهو ليس بجيِّد.

قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

أي ما من أهل قرية إلَّا سيهلكون، إما بموت وَإِمَّا بِعَذَابٍ يَسْتَأْصِلُهُمْ.

﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً﴾.

أي مكتوباً

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾.

«أن» الأُولى نصبٌ، و «أَن» الثانية رفع.

المعنى ما منعنا الإِرْسَالَ إلَّا تكذيبُ الأَوَّلينَ. والتأويل أَنَّهُمْ سألوا الآيَاتِ التي استوجب بها الأولونَ العذابَ، لمَّا كذبوا بها، فنزل عليهم العذابُ، والدليل على أنهم سألوا تلك الآيات قولهم: ﴿لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾[1]، فأعلم اللَّهُ - جلّ ثناؤه - أن مَوْعِدَ كُفَّار هذه الأمَّةِ الساعة، فقال: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهم والسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾[2]. فأخَّرهم إلى يوم القيامة رحمة منه وتفضلاً.

﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾.

ويقرأ مُبْصَرَةً، فمن قرأ مُبْصِرَةً، فالمعنى تبصرهم، أي تبين لهم، ومن قرأ مُبْصَرَةً فالمعنى مبيِّنةً، ﴿فَظَلَمُوا بها﴾، أي فظلموا بتكذيبها.

وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾.

جاء في التفسير: أحاط بهم أيْ كُلُّهُمْ فِي قبضته، وعن الحسَنِ أحاط بالناس أي حال بينهم وبين أَنْ يقتلوك أو يَغْلِبُوكَ كما قال - عز وجل - ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ من النَّاس﴾[3].

---

(١) سورة القصص ٤٨.

(٢) سورة القمر الآية ٤٦.

(٣) سورة المائدة الآية ٦٧.

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾.

جاء في التفسير أنها رُؤيَا بيت المقدس حين أسْرِيَ بـه، وذلك أنـه ارتدَّ بعضهم حين أعلمهم قصـة الإسراء بـه، وازداد المؤمنونَ المخلصـون إيمانـاً، وجاء في التفسير أنه ﷺ رأى في منامِه قَوماً يرقون المنابِـرِ فساءه ذلـك، فأعلم ﷺ أنه عطاء في الدنيا.

﴿والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي الْقُرآنِ﴾.

قيل في التفسير الملعون أكلُها، وهِيَ شجرةُ الزَّقُّوم التي ذكرها اللّه في القرآن فقال: ﴿إنَّ شجرةَ الزَّقُّومِ، طعام الأثيم﴾[1] وقال: ﴿فإنهم لآكِلُونَ مِنْها فَمَالِئُونَ مِنْها البُطُون﴾[2]، وقال: ﴿إنَّهَا شَجَرةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الجَحِيمِ﴾[3] فافتتن بهـا المشركـونَ، فقال أبـو جهل: مـا نعرف الـزقـوم إلاَّ آكـل التمـر بـالـزبـد فتـزقمـوا[4]، وقـال بعضُ المشـركين: النـار تـأكـل الشجـر فكيف ينبتُ فيهـا الشجر، فلذلك قال جل ثناؤه: ﴿وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَـا الَّتي أَرَيْنَاكَ إلاَّ فِتْنَـةً للنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ المَلعُونَةَ فِي القُرآنِ﴾.

فـإن قال قـائل: ليس في القـرآن ذكر لَعْنِهـا، فـالجـواب في ذلـك لُعِنَ الكُفَّـارُ وهم آكلوها، وجـواب آخر أيضـاً أن العرب تقـول لكـل طعـام مكـروه وَضارٍ: مَلْعُونٌ.

وقوله: ﴿إلاَّ إبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾.

(١) سورة الدخان ٤٣ ـ ٤٤.

(٢) سورة الصافات ٦٦.

(٣) سورة الصافات الآية ٦٤.

(٤) من معاني الزقوم أنه الزبد بالتمر، ونبات بالبادية لـه زَهْر ياسميني الشكـل، وشجرة بـأريحا، من الْغَوْرِ لها ثمر كالتّمر حُلْو عَفِصٌ ولِنَواهُ زُهن عظيم المنافع لأمراض البـرد، والزُّقْمُ اللَّقْمُ.. وقـول أبي جهل: تَزَقَّمُوا أي كلوا الزقُّومَ.

المعنى لِمَنْ خلقته طِيناً، وطيناً منصوب على جهتين: إحداهما التمييز، المعنى لمن خلقته مِنْ طِينٍ، ويجوز أن يكون «طيناً» منصوب على الحال، المعنى أنّك أنشأته في حال كونه من طين.

وقوله: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾.

جاءت ﴿قال﴾ ههنا بغير حرف عطف لأنه على معنى قال اسجُدْ لمن خَلقْتُ طيناً[١].

وقوله: ﴿أرأيتك﴾ في معنى أخبرني؛ فالكاف لا موضع لها، لأنها ذكرت في الخطاب توكيداً، وموضع ﴿هذا﴾ نصبٌ بأَرَأَيْتَ، والجواب محذوف المعنى أخبرني عن هذا الذي كرمت عليَّ لم كرَّمْتَه عَلَيَّ وقد خَلَقْتَنِي من نارٍ وخَلَقْتَهُ من طينٍ، فحذف هذا لأن في الكلام دليلاً عليه.

ومعنى: ﴿لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً﴾.

لأَستأصلنهم بالإغواء لهم، وقيل لأَسْتَوْلِيَنَّ عليهم. والذي تقول العرب: قد احتنكت السَّنَةُ أموالَنَا إذا استأصلتها، قال الشاعِر:

نَشْكُو إليك سنة قد أجحفت جَهْداً على جَهْدٍ بنا وأَضْعَفَتْ
واحتنكت أموالَنا وجلَّفَتْ[٢]

وقوله: ﴿جَزَاءً مَوْفُوراً﴾.

أي مُوَفَّر، يقال منه وَفَرْته أَفِرُهُ فَهُو مَوْفورٌ، قال زُهَيرٌ:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره، ومن لا يتقي الشتم يشتم[٣]

---

(١) فصل «أرأيتك». مما قبله، لأن في الكلام حذفاً تقديره، قال أأسجد لمن خلقت طيناً، قال الله تعالى نعم اسجد لمن خَلَقْتُ طيناً، قال... الخ.

(٢) الرجز في القرطبي ١٠/٢٨٧، ومجاز أبي عبيدة ١/٣٨٤، والطبري ١٥/٧٥ والجهد الإجهاد والمشقة، وجلفت أي ذهبت بالمال وأضرت به، ويقال للسنة الشديدة جالفة.

(٣) من معلقته. انظر الزوزني ص ٨٨.

وقوله: ﴿واسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾.

معناه استدعهم استدعاء تستخفهم به إلى إجابتك، وبِصَوْتِكَ تفسيره بدعائِكِ، وقيل بصوتك بأصوات الغناء والمزامير.

وقوله: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾.

أي أجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكايدِك، وقيل في التفسير: خَيْلُه ورَجْلُه كل خيل يسعى في معصية اللّه فهي من خيل إبليس، وكل مَاشٍ في معصية فهو من رجال إبليس[1]، ورَجْل جمع رَاجل، ويجوز ورِجَالِك فيكون جَمْع رَاجِل ورِجَال مثل صاحب وصحاب. وجائز أن يكون لإبليس خيل ورِجَالٌ.

وقوله: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ والأَوْلَادِ﴾.

أي مرهم أن يجعلوا من أموالهم شيئاً لغير اللّه كما قال اللّه سبحانه: ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾[2]. وما قالوه في السائبة والبحيرة.

والشركة في الأولاد قولهم: عبد العزى، وعبد الحرث. وقيل شركته في الأولاد يعنى به أولادُ الزنا، وهو كثير في التفسير، وكل معصية في ولد أو مال فإبليس اللعين شريكهم فيها.

قوله: ﴿وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيطانُ إلَّا غُرُوراً﴾.

فإن قال قائل فكيف يجوز أن يُؤْمَرَ إبليس أن يقال له شاركهم في الأموال والأولاد واجْلِبْ علَيْهم بخيلك ورجلك وعِدْهُمْ بأنهم لا يُبْعَثُون؟ فإذا فعل ذلك فهو مطيع، فالجواب في ذلك أَنَّ الأمر على ضربين، أحدهما متبع لا

---

(١) في الأصل من رجاله إبليس.

(٢) سورة الأنعام ١٣٦.

غير، والثاني إذا تقدمه نهي عما يؤمر به فالمعنى في الأمر الوعيد، والتهديد[1] لأنك قد تقول: لا تدخلن هذه الدار، فإذا حاول أن يدخلها قلْتُ: أدخلها وأنْتَ رَجُلٌ، فَلَسْتَ تَأْمُرُه بدخولها ولكنك توعده وتُهدِّدُهُ وهذا في اللغة والاستعمال كثير موجودٌ، ومثله [في القرآن]: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾[2]. وقد نُهوا أنْ يَتبعُوا أهْوَاءَهُم وأن يعملوا بالمعاصي.

وقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾.

أي من أخلص فلا حجة لك عليه ولا سلطان.

﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾.

أيَ كفى باللّه وكيلا لأوليائه، يعصمهم من القبول من إبليس.

وقوله: ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الفُلْكَ فِي البَحْرِ﴾.

تفسير ﴿يزجي﴾ يسَيِّر، وقد زجَّيْتُ قدمت الشيء، وهذا الكلام ذكر معطوفاً على قوله: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً﴾ وقوله: ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُم أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فالمعنى أنه يبعثكم الذي بدأ خلقكم، والابتداء والإنشاء أشد من الإعادة. ثم أعلمهم أن الذي قدر على تسخير الفلك في البحر ـ والفلك كالجبال ـ قادر على إعَادَتِهِمْ، قال اللّه تعالى: ﴿وَلَهُ الجَوَارِ المُنْشَآتُ في البَحْرِ كالأعْلَامِ﴾[3] أي كالجبال.

﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً﴾.

الإنسان ههنا يعنى به الكفار خاصة.

وقوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً﴾.

الحاصب التراب الذي فيه الحصباء، والحصباء حَصًى صِغَارٌ.

---

(١) في الأصل التهدُد.

(٢) سورة فصلت ٤٠.

(٣) سورة الرحمن ٢٤.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً﴾.

أي لا تجدوا مَنْ يَتَّبِعُنَا بِإِنْكَارِ مَا نَزَلَ بكم، ولا من يتَّبِعُنَا بأن يصرفه عنكم[(١)].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾.

تأويله أن اللّه ـ جل ثناؤه ـ فضلهم بالتمييز، وبأن سخر لهم ما في السموات والأرض وبِحَمْلِهِم في البرِّ والبحْرِ.

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾.

قال: ﴿عَلَى كَثِيرٍ﴾ ولم يقلْ عَلَى كُلِّ مَنْ خلقنا، لأن اللّه ـ جل وعلا ـ فضل الملائكة، فقال: ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[(٢)]. ولكن ابن آدم مفضل على سائر الحيوان الذي لا يعقل ولا يميز. وجاء في التفسير أن فضيلة ابن آدم أنه يمشي قائماً وأنَّ الدوابَّ والإبلَ والحميرَ وما أشبهها تمشي مُنْكَبَّةً، وأن ابن آدم يتناول الطعام بيديه ويرفعه إلى فيه، وأن سائر الحيوان يتناول ذلك بفيه. وهذا الذي في التفسير هو بعض ما فُضِّلَ به ابن آدم. وفضله فيما أعطي من التمييز ورزق من الطيبات وبُصِّرَ من الهُدَى مع ما لا يحصى من النعم عليه كثير جدًّا.

وقوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾.

وتقرأ يوم يَدْعُو ـ بالياء ـ كلَّ أُناسٍ بإمامهم، يعنى به يوم القيامة، وهو منصوب على اذكر يوم يدعو كل أناس بِإِمَامِهِمْ، ويجوز أن يكون منصوباً بمعنى يعيدكم الذي فطركم يوم يدعو كل أُناسٍ بإمامهم، ومعنى بإمامهم

---

(١) تبيع بمعنى مطالب، يقال: فلان تَبِيَّعَ على فلان أي مطالب بحقه أي لن تجدوا منتصراً لكم أو مطالباً بنصركم.

(٢) سورة النساء الآية ١٧٢.

بدينهم الذي ائتموا به، وقيل بكتابهم، والمعنى واحدٌ. ويدل عليه ﴿فَمَنْ اوُتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِه فَأُولَئِكَ يَقْرأُونَ كِتَابَهُمْ﴾.

أي من كان على حق أعطي كتابه بيمينه.

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾.

المعنى ولا يظلمون مقدار فتيل، والفتيل القشرة التي في شق النواة.

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِه أَعْمَى﴾.

أي في هذه الدنيا.

﴿فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى﴾.

وهـذا من عمى القلب، أي هو في الآخـرة أَشَدُّ عَمًى[١]. وتأويله أنه إذا عَمِيَ في الدنيا، وقد عَرَّفَهُ ـ جل وعلا ـ وجَعَلَ له إلى التوبة وُصْلَةً، وفَسَخَ لَـه في ذلك إلَى وقت مماته، فعمي عن رشده ولم يَتُبْ ففي الآخـرة لا يجد متـاباً ولا مُتَخلَّصاً مما هو فيه، فهو في الآخرة أشد عمى ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾.

أي وأضـل طريقـاً، لأنه لا يجـد طريقـاً إلى الهدايـة فقـد حصـل على عمله.

وقوله: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾.

معنى الكلام كادوا يفتنـونك، ودخلت «إن» والـلام للتوكيـد، وتأويله أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: لا نتركُكَ تستلمُ الحجر حَتَّى تُلِمَّ بآلهتنا، فقال ﷺ في نفســه، ومـا عَلَيَّ أَنْ أفعــل ذلـك واللَّه يعلم مـا في نفسي، وأتمكن من استلام الحجر. هذا مما جاء في التفسير[٢].

---

(١) لا يؤخذ هذا من الآية لأن أعمى ليست أفعل تفصيل وإنما هي صفة

(٢) وحـاشا لـرسول اللّه (ﷺ) أن يكـون كذلـك ألم يكن يعلم أنه قدوة للمسلمـين؟ وهل يقبـل نبي التوحيد أي لون من الشرك!

وجاء في التفسير أيضاً أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: اطرد عنك سقاط الناس ومَوَالِيَهُمْ وهؤلاء الذين رائحتُهُم رَائِحَةُ الضَّأْنِ، وذلك أنهم كانوا يلبسون الصوف، فقالوا: اطرد هؤلاء إن كنت أُرْسِلْتَ إلينا حتى تجلس إلينا ونسمع منك فَهَمَّ النبي أن يفعل في ذلك ما يستدعي به إسْلَامهم، فتوَعَّدُهُ اللَّه ـ عز وجل ـ فيه أشد الوعيد وَعَصَمَهُ اللَّه من أن يُمْضِيَ ما عَزَمَ عليه، فقال:

﴿وإِذَنْ لاتَّخَذُوكَ خليلاً﴾.

أي إن فعلت ما أرادُوا لاتخذوك خليلاً.

﴿وَلَوْلَا أنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَليلاً﴾.

وحُكِيت ﴿تركُن﴾ بضم الكاف. يقال رَكَن يركَن، وركَن يركُنُ، فتوعده اللَّه في ذلك أشد التوعد، فقال:

﴿إِذَنْ لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحَيَاةِ وضِعْفَ المَمَاتِ﴾.

والمعنى لو رَكَنْتَ إليهم في ذلك الشَّيءَ القليلَ(١) إذن لأذقناكَ ضِعْفَ الحياة وضِعْفَ المَماتِ، أي ضِعْفَ عذاب الحياة وضعفَ عَذابِ المماتِ لأنك أنت نبي ويُضَاعَفُ لك العذاب على عذاب غيرِكَ لو جنى هذِه الجناية كما قال: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا العَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾(٢) لأن درجة النَّبِي وَدَرَجَةَ آله الذين وَصَفَهُم اللَّهُ فوقَ دَرَجَةِ غيرهم.

وقوله: ﴿وَإِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾.

كانوا قد كادوا أن يخرجوا النبي ﷺ من مكة فأعلمهم اللَّه أنهم لو فعلوا ذلك لم يَلْبَثُوا بَعدَه إلاّ قليلاً، وقيل ﴿لَيَسْتفِزُّونَكَ﴾، أي لَيَقْتُلونَكَ.

---

(١) أي لو ركنت إليهم ركوناً قليلاً.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٠.

وقوله: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾.

﴿سُنَّةَ﴾ منصوب بمعنى أنا سَنَنَّا هذه السنَّةَ فيمن أرسلنا قبلك من رُسُلِنَا، أنهم إذا أَخْرَجُوا نبيهم من بين أظهرهم أو قَتَلُوهُ لم يلبثهم العذاب أن ينزل بهم، وكان خروج النبي ﷺ من مكة مهاجراً بأمر اللّه.

وقوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾.

دلوك الشمس زَوالها ومَيْلها في وقت الظَهِيرةَ، وكذلك ميلها إلى الغروب هو دُلُوكُهَا أيضاً، يقال: قد دلكت بَراحِ وبِرَاحِ[1].

أي قد مالت للزوال حتى صار الناظر يحتاج إذا تبصرها أن يكسر الشُّعَاعَ عن بصره براحته، قال الشاعر[2]:

هذا مقام قدمي رَبَاح ... للشمس حتى دلكت براح

وقوله: ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾.

أي ظُلْمَةِ الليلِ.

﴿وَقُرْآنَ الفَجْرِ﴾.

أي فأقم قرآن الفجر، وفي هذا الموضع فائدة عظيمة تدل على أن الصلاة لا تكون إلاّ بقراءةٍ، لأن قوله أَقِمِ الصلاة وأَقِمْ قرآن الفجر قد أمر أن

---

(١) بفتح الباء وبكسرها.

(٢) من رجز قطرب، وقد ورد في اللسان (برح، ربح) وروايته ـ حتى دلكت براح. والشطر الأول فقط في (دلك). ورَباح اسم ساقية، بني على الكسر مثل حزام ـ ودلكت براح تعبير عربي ـ أي مالت الشمس حتى أن الشخص ليضع راحتهُ على جبهته ليقي عينيه وهج الشمس. فهيَ جمع راحة ـ أي زالت بوضع الراح على الجباه وجاء في معاني الفراء ٢ / ١٢٩ ـ ذبب أيضاً، وشرحه بأن رباح اسم الساقي وذبب أي طرد الناس. وروي البيت أيضاً ـ حتى دلكت بَراح ـ بفتح الباء، وهو اسم الشمس ـ أي حتى دلكت الشمس، ودلوكها زوالها إما ظهراً أو عند الغروب ـ واختار الأزهري في الآية أن الدلوك بمعنى الزوال لجميع أوقات الصلوات الأربع ـ عدا الصبح، والصبح يبينه ـ وقرآن الفجر.

نقيمَ الصلاة بالقراءة حتى سميت الصلاة قرآناً، فلا تكون صلاةٌ إلاّ بقراءة.

وقوله: ﴿إِنَّ قُرآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾.

جاء في التفسير أن ملائكة الليل يحضرون قراءة الفجر، وملائكة النهار يحضرونها أيضاً.

وقوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾.

يقال تهجد الرجل إذا سَهِرَ، وهجَدَ إذَا نام، وقد هجَّدْتُه إذا نوَّمتُه قال لبيد:

قلت هجِّدْنا فقد طال السُّرى وقَدَرْنَا إنْ خَنَا الدَّهرِ غَفَل[1]

وهذه نافلة لك زيادة للنبي ﷺ خاصَّةً ليست لأحدٍ غيرِه لأن اللَّه - جل وعز - أمره بأن يزْدَاد في عبادته على مَا أُمِرَ به الخلقُ أجْمعونَ، لأنه فضله عليهم، ثم وعده أن يبعثه مقاماً محموداً.

والذي صحت به الرواية والأخبار في المقام المحمود أنه الشفاعة.

وقوله: ﴿أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾.

ومَدْخَلَ صِدْقٍ، ﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾.

وجاء في التفسير أدخلني مَدخل صِدْقٍ الجنَّة، وأخرجني مَخْرجَ صدقٍ، أي وأخرجني من مكة إلى المدينة. وجاء أيضاً مُدْخَلَ ومخرج صدق دخوله

(١) الديوان ٢/١٢، واللسان (هجد - خنى) وأمالي المرتضى ٣/١٠ يصف صديقاً له غلبه النعاس في السَّفر، لأنه مترف لم يتعود المشقة والابتذال. وخَنَا الدهر شدائده ومشقاته، وقبله:

ومُجُودٍ من صبابات الكرى عَاطِفِ النَّمْرُق صَدْقِ المبتذل

والمجود هو الذي غلبه النعاس، والنعاس يسمى الجَوْد، والنّمرق والنمرقة ما يجلس عليه الراكب فوق الرحل، ورجل صَدْق ضد رجل سَوْءٍ. والتبذل ترك الصون - والرجل المتبذل الذي يلي العمل بنفسه أي إن صاحبه كان بجهد نفسه في مقاومة النوم، وهو يقول له هجدنا ونم فقد طال سرانا.

المـدينة وخـروجه من مكّـةَ. وجاء مُـدْخَلَ صـدق ومخرج صـدق الإدخال في الدين والخروج من الدنيا وهو على الحقّ، وجاء أيضاً ـ وهو حسن ـ دخوله في الرسالة وخروجه مما يجب عليه فيها ﷺ وكل ذلك حسن. فمن قـال مُدْخَـلَ ـ بضم الميم ـ فهـو مصدر أدخلتـه مُدْخَـلًا، ومن قال مَـدخَـل صـدق فهـو على أدْخَلْتُهُ فدَخَل مَدْخَل صدق، وكذلك شرح مخرج مثله.

وقوله: ﴿واجْعَلْ لي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً﴾.

أي اجعل نصرتي من عندك بتسليطي بالقدرة والحجة، وقد أجـاب اللّـه ـ عز وجل ـ دعاءه وأعلمه أنه يعصمه من النـاس، فقال: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُـكَ مِنَ النَّاسِ﴾(١) وقال: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الغَالِبُونَ﴾(٢). وقـال: ﴿لِيُظْهِـرَهُ على الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ﴾(٣).

وقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾.

معناه على طريقته وعلى مذهبـه، ويدل عليـه: ﴿فَـرَبُّكُـمْ أَعْلَـمُ بِـمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً﴾.

أي أهدى طريقـاً. ويقال هـذا طريق ذو شَـوَاكل، أي يَتَشَعَّبُ منـه طرق جماعةٌ (٤).

وقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الروح مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾.

سألت اليهود النبي ﷺ عن الروح وهم مقدرون أن يجيبهم بغيـر ما عَلِمَ مِن تفسيرها، فأعلمهم أن الروح من أمر اللّه، ثم قال:

---

(١) سورة المائدة الآية ٦٧.

(٢) سورة المائدة الآية ٥٦.

(٣) سورة التوبة الآية ٣٣. وسورة الصف الآية ٩.

(٤) طرق كثيرة.

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

فقالوا للنبي ﷺ: قد أوتينا التوراة، وفيها الحكمة، وقَدْ تَلَوْتَ: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كثيراً﴾[1]. فأعلمهم اللّه ـ عزَّ وجل ـ أَنَّ عِلْمَ التَوراةِ قليلٌ في علم اللّه، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ والبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾[2]أي ما نفدت الحكمةُ التي يأتي بها اللّه عز وجل، فالتوراة قليلة بالإِضَافَةِ إِلَى كلمات اللّه.

وقليل وكثير لَا يصح[3] إلَّا بالإِضَافَة، فإنما يقل الشيء عندما يعلمُ أكثر منه، وكذلك يكثر عند مَعلومٍ هُوَ أقَلُّ منه.

وقد اختلف الناس في تفسير الروح فقيل إن الرّوح جبريل ومن تأول ذلك فدليله قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ وقيل إن الروح خلق ـ كخلق بني آدم ـ في السماء. وقال بعض المفسرين:[4] ان الروح إنما يعنَى به القُرآنُ، قال: ودليل ذلك قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ﴾[5] وكذلك قيل: الروح من أمر ربي. ، وتأويله تسمية القرآن بالروح أن القرآن حياة القلوب وحياة النفس فيما تَصِير إليه من الخير عند اللّه عز وجل.

وقوله: ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾.

أي لو شئنا لمحوناه من القلوب ومن الكتب حتى لا يُوجَدَ له أثر.

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾.

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٦٩.

(٢) سورة لقمان الآية ٢٧.

(٣) القلة والكثرة أُمورٌ إضافية، فالشيء الكثير قد يكون قليلاً بالنسبة لشيء آخر أكثر.

(٤) في الأصل وقال بعض تفسرَّ بمعنى ادعى التفسير.

(٥) سورة الشورى الآية ٥٢.

أي لا تجد من يتوكل في رد شيء منه.

وقوله: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾.

استثناء ليس من الأول، والمعنى ولكن اللّه رحمك فأثبت ذلك في قلبك وقلوب المؤمنين. ثم احتج اللّه عليهم بعد احتجاجه بقوله: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً﴾ بالقرآن فأعلمهم - وهم العرب العاربةُ أهل البيان، ولهم تأليف الكلام - فقال لهم:

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾.

والظهير المعينُ.

وقوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً﴾.

هذا قولهم بعد أن انقطعت حجتهم ولم يأتوا بسورة من القرآن ولا دفعوا أن يكون معجزةً، فاقترحوا من الآيات ما ليس لهم، لأن الذي أتاهم به من القرآن وانشقاق القمر وما دلهم به على توحيد اللّه أبلغ وأعجز في القدرة مما اقترحوا، فقالوا: ﴿حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً﴾.

واليَنْبُوعُ تقديره تقدير يَفْعُول، من نبع الشيء.

وقوله: ﴿أو تكون لك جنةٌ من نَخِيلٍ وعِنبٍ [فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيراً]، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً﴾.

وَكِسْفاً، فمن قرأ كِسَفاً جعلها جمع كِسْفَة، وهي القِطْعَةُ، ومن قرأ كِسْفاً فكأنه قال أو تَسقِطُهَا طبَقاً عَلَيْنَا، واشتقاقه من كسفتُ الشيء إذا غطيته.

وقوله: ﴿أَوْ تَأْتِيَ باللَّهِ والمَلَائِكَةِ قَبِيلاً﴾.

في «قَبِيلٍ» قولان، جائز أن يكون. تأمُرُ بهم حتى نراهم مقابلة. وأن يكون قبيلاً كفيلاً، يقال قَبُلْتُ بِهِ أَقْبُل قَبالَة، كقولك: كفلت به أكفُل كَفَالَةً،

وكذلك قول الناس: قد تقبل فلان بهذا أي تكفل به.

وقوله: ﴿أَوْ يكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ﴾.

جاء في التفسير أن معناه بيت من ذهب، وأصل الزخرف في اللغة والزخرفة الزِّينَةُ، والدليل على ذلك قوله عز وجل: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَها﴾[1] أي أخذت كمال زينتها. وزخرفت الشَّيءَ إذا أكْمَلْتُ زينتَه، ولا شيء في تزيين بيتٍ وتحسينه، وزخرفته كالذهب. فليس يخرج ما فسروه عنِ الحقّ في هذا.

وقوله: ﴿أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾.

يقال في الصعود: رقيت أرقى رقياً، ويقال فيما تداويه بالعوذة: رقيتُ أرقي رُقيَةً ورَقياً.

وقوله: ﴿حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَينا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ﴾.

أي حتى تنزل علينا كتاباً يشهد بِنُبُوَّتِكَ.

فأعلم اللّه - جل ثناؤه - أن ذلك لو نزل عليهم لم يؤمنوا فقال: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[2].

فإذا كانوا يدعون فيما يعجز عنه أنه سحر فكيف يوصل إلى تَبْصِيرَهِمْ والتبيين لهم بأكثر مما أتى به النبي ﷺ من الآية الباقية، وهي القرآن، ومن الأنباء ما يدبرونه بينهم وبما يخبرهم به من أخبار الأمم السالفة، وهو لم يقرأ كتاباً ولا خطه بيمينه، وقد أنبأ ﷺ ودل على نبوته كل ما يخطر بالبال.

وقوله: ﴿وَمَا مَنَع النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الهُدَى﴾.

---

(١) سورة يونس الآية ٢٤.

(٢) سورة الأنعام الآية ٧.

موضع أن نصب.

وقوله: ﴿إلَّا أَنْ قَـالُـوا﴾.

موضع ﴿أَنْ قَالُوا﴾ رفـع، المعنى ما منعهم من الايمـان إلا قولهم: ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً﴾.

فـأعلم اللَّه أن الأعـدل عليهم، والأبلغ في الأداء إليهم بـشـر مثلهم وأعلمهم أن ﴿لَوْ كَـانَ فِي الأَرْضِ مَـلاَئِكَـةٌ يَمْشُـونَ مُـطْمَئِنِّينَ﴾أي يمشـون مستوطنين الأرض ﴿لنزلنا عليهم مِنَ السماءِ مَلَكاً رسولاً﴾، لأنـه لا يُرْسَـلُ إلى خلق إلَّا ما كان مِن جِنْسِهِ.

وقوله: ﴿قُلْ كَفى باللَّهِ شَهِيداً بيني وَبَيْنَكُمْ﴾.

قالوا للنبي ﷺ من يشهـد لك بـأنك رسـول اللَّه، فقال: اللَّه يشهـد لي و﴿كفى باللَّه شهيداً﴾ في موضع رفع، المعنى كفى اللَّه شهيداً، وشهيداً منصوب على نـوعين، إن شئت على التمييـز، كفى اللَّه من الشهـداء، وإن شئت على الحال، المعنى كفى اللَّه في حال الشهادة.

وقوله: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾.

أي كلما خَمَدَتْ، ونضجت جلودهم ولحومهم بدلهم اللَّه غيرها ليذوقوا العذاب.

وقوله: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَة رَبِّي﴾.

هـذا جواب لقـولهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُـر لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبوعاً﴾ فأعلمهم اللَّه ـ جل وعلا ـ أنهم لو ملكوا خزائن الأرزاق لأمسكوا شُحًّا وبُخْلاً، فقال:

﴿إذاً لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ، وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُوراً﴾.

يعنَى بالإنسان ههنا الكافِر خاصة كما قال ـ عز وجـل: ـ﴿إنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ

لَكَنُـودٌ ﴾[1] ، أي لكفور، ﴿وَإِنَّـهُ لِحُبِّ الخَيْـرِ لَشَدِيـدٌ﴾ ـ أي من أجـل حب الخير وهو المال لبخيل.

فأما ﴿أنتم﴾ فمرفوع بفعل مضمر، المعنى قل لو تملكون أنتم ـ لأنّ لو يقـع بها الشيء لوقوع غيره، فلا يليها إلا الفعل، وإذا وليها الاسم عمل فيها الفعل المضمر، ومثل ذلك من الشعر قول المتلمس:[2].

ولـو غيـرُ أخـوالي أَرَادُوا نَقِيصَتِي   جَعَلْتُ لهم فـوق العَـرانِينِ مِيسَمـاً

المعنى لو أراد غير أخوالي.

والقتُور: البخيل.

وقوله: ﴿ولقد آتينا موسى تِسْعَ آياتٍ بَيِّنَاتٍ﴾.

قيل في التفسير إنهـا أخذ آل فـرعون بـالسنين وهي الجدب حتى ذهبت ثمارهم، وذهبَتْ من أهل البـوادي مواشيهم. ومنهـا إخراج مـوسى يده بيضـاء للناظرين، ومنها إلقاؤه عصاه فإذا هي ثعبان مبين، وأنها تلقفت إفكَ السَّحرَةِ، ومنها إرسال اللَّه عليهم الطوفان ـ نعـوذ باللَّه منـه، والجرادَ والقُمَّـلَ والضفادعُ والدَّمَ، فذلـك[3] تسع آيـات. وقد قيـل إن البحر[4] منهـا. ومن آياتـه انفجار الحجر ولكنه لم يُرْوَ في التفسير[5].

---

(١) سورة والعاديات الآية ٦.

(٢) المتلمس هو جرير بن عبد المسيح، وأخواله بنو يشكـر، كان نـديماً لعمـرو بن هند مـع ابن أخته طرفة، وقصة صحيفته مشهورة، وكان قـد نشأ في أخـواله بني يشكـر فسأل عمـرو بن هند خـاله الحرث فتردد في نسبه فقال عمرو ما آراه إلا كالساقط بـين الفراشـين، فلما بلغ ذلك المتلمس قـال هذه القصيدة يعاتب خاله، وهي الأصمعية ٩٢، وانظر الخزانـة ٧٣/٣، وحواشي أمـالي المرتضى ص ٤، ٥، حـ ١، واللسان (وسم) والكامل ١٦٤/١.

والعرانين جمع عرنين وهي الأنوف ـ والميسم الحديدة التي يكوى بها، وعلامة الكي، وهو المراد هنا.

(٣) أي فهذا الذي ذكر، والأولى أن تكون فتلك.

(٤) أي جعله طريقاً يبساً ليمر عليه.

(٥) لم يرو من الآيات التسع لأنه لم يكن من الآيـات التي واجه بهـا فرعـون، وإنما هـو من آياتـه لبني إسرائيل في التيه.

وقوله: ﴿إنّي لأظُنُكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً﴾.

لم يَجِدْ فَرعَونُ ما يدفع به الآيات إلاَّ إقراره على نفسه بأنه ظانٌ أن موسى مسحور، فأعلمه اللَّه أن فرعون قد بيَّنَ أنها آيات فقال:

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ﴾.

يعني الآيات.

﴿إلّا رَبُّ السَّموات والأَرْض بَصَائِرَ﴾.

وقرأ بعضهم لقد علمتُ ـ بضم التاء ـ والأجود في القراءة لقد علمتَ ـ بفتح التاء ـ لأن علم فرعونَ بأنها آيات من عند اللَّه أوكد في الحجة عليه، ودليل ذلك قوله عز وجل في فرعونَ وقومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا واستَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُم ظُلْماً وَعُلُوّا﴾(١).

وقوله: ﴿وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونَ مَثْبُوراً﴾.

أي لأظنك مُهْلَكاً، يقال: ثُبِرَ الرجل فهو مثبور إذا هَلَكَ.

وقوله: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الأَرْضِ﴾.

أي فأراد فرعون أن يستفز موسى وقومَهُ مِنَ الأَرْضِ فجائز أن يكون استفزازهم إخراجهم منها بالقتل أو بالتنحية.

﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً﴾.

وقوله: ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً﴾.

أي آتينا بكم من كل قبيلة، واللفيف الجماعاتُ مِن قبائل شَتَّى.

وقوله: ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ﴾.

وتقرأ فرَّقناهُ ـ بالتشديد، وقرآناً منصوبٌ بفعل مُضمَر، المعنى: وما

---

(١) سورة النمل الآية ١٤.

أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ مُبَشِّراً ونَذِيراً، تبشـر المؤمنين بالجنـة وتنذر من عصى اللّه بـالنار، وقرآناً فرقناهُ(١).

أنزل اللّه عز وجل القرآن جملة واحـدة إلى سماء الدنيا، ثم أُنْـزِلَ على النبي ﷺ في عشرين سنة، فرَّقه اللّه في التنزيل ليفهمَّهُ الناسُ، فقال:

﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾.

ومَكثٍ جميعاً، والقراءة بضمِّ الميم.

وقوله: ﴿يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً﴾.

لأن الذي يخر وهو قائم يخر لوجهه، والذَّقَنُ مجتمع اللَّحْيَيْنِ وهو عضـو من أعضاء الوجه، وكما يبتـدىء المبتدىء يخـرُّ فأقـرب الأشياء من وجهـه إلى الأرض الذَّقنُ، وسُجَّداً، منصُوبٌ على الحال.

وقوله: ﴿إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً﴾.

معناه ما كان وعد ربنا إلا مفعولاً.

وإن واللام دخلتا للتوكيد.

وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً ما تَدْعُوا﴾.

لما سمعت العرب ذكر الرحمن قالت: أتدعـونا إلى اثنين إلى اللّه وإلى الرحمن. واسم الرحمن في الكتب الأُوَلِ المنزلة على الأنبيـاء. فأعلمهم اللّه أن دعاءهم الرحمن ودعاءهم اللّه يرجعان إلى شيءٍ واحدٍ فقال: ﴿أيًا ما تَدْعُوا﴾ المعنى أي أسماء اللّه تدعوا ﴿فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾.

﴿وَلاَ تَجْهَـرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا﴾.

المخـافتـة الإخفـاء، والجهـر رفـع الصـوت، وكـان النبي ﷺ إذا جهـر

---

(١) اسم منصوب على الاشتغال، أي وفرقنا قرآناً فرقناه.

بـالقرآن سب المشـركون القـرآن، فأمـره اللّه ـ جل وعـز ـ ألا يعـرض القـرآن لسبهم، وألا يخافت بها مخـافتةً لا يسمعهـا من يصلي خلفه من أصحابه.

﴿وابْتغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾.

أي اسلك طريقاً بين الجهر والمخافتة.

وقـوله: ﴿وقُل الحَمْد لِلَه الَّـذِي لَمْ يتَّخِذْ وَلَـداً وَلَمْ يَكُنْ لَـهُ شَـرِيـكٌ فِي المُلْكِ﴾.

يعاونه على ما اراد.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾.

أي لم يحتج إلى أن ينتصر بغيره.

﴿وَكَبِّرْهُ تكبيراً﴾.

أي عظمه عظَمَةً تامَّةً.

سُورَةُ الكَهْفِ

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿الحمدُ لِلّه الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِه الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً﴾.

قال أهل التفسير وأهل اللغة إن معناه الحمد للّه الذي أنزل على عبده الكتاب قيّماً ولم يجعل له عِوَجاً. ومعنى قيّم مستقيم، والعِوَجُ - بكسر العين - فيما لا يرى له شخص، وما كان له شخص قيل[1] فيه عَوَج بفتح العين، تقول: فِي دينِه عِوَجٌ، وفي العَصَا عَوَجٌ - بفتح العين -.

وتأويله الشكر للّه الذي أنزل على محمد الكتابَ مستقيماً ولم يجعل له عِوَجاً، أي لم يجعل فيه اختلافاً كما قال جل ثناؤه: ﴿وَلَوْكَانَ مِنْ عِنْد غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فيه اخْتِلَافاً كَثيراً﴾[2].

وقوله: ﴿لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ﴾.

أي لينذرهم بالعذاب البائس[3].

﴿مِنْ لَدُنْه﴾ مِنْ قِبَلِه.

﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الذي يعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُم أَجْراً حَسَناً﴾.

---

(١) في الأصل قلب.

(٢) سورة النساء الآية ٨٢.

(٣) الشديد ذي البأس.

المعنى بأن لهم أجراً حسناً.

وقوله :﴿مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً﴾.

﴿مَاكثين﴾ منصوب على الحال في معنى خالدين.

وقوله:﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾.

وتقرأ كلمة بالرفع والنصب، فمن نصب فالمعنى كبرت مقالتهم ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً﴾ كلمةً، فكلمةً منصوبٌ على التمييز. ومن قرأ كلمة بالرفع فالمعنى عظمت كلمةٌ هي قولهم: ﴿اتخذ اللّٰه ولداً﴾ ويجوز في كبرت كبْرَتْ كلمة - بتسكين الباء، ولا أعلم أحداً قرأ بها.

وقوله:﴿فلعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الحَدِيثِ أَسَفاً﴾.

تأويله فلعلك مهلك نفسك، وقال بعضهم قاتل نفسك، والمعنى واحدٌ، قال الشاعر:[1]

ألا أيهذا الباخعُ الوجدُ نفسَه لشيء نحته عَنْ يَدَيْه المقادر

المعنى ألا أيهذا الذي أهلك الوجد نفسه.

ومعنى ﴿عَلَى آثَارِهِمْ﴾، أيْ مِن بَعدِهِم.

﴿إنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الحَدِيثِ أَسَفاً﴾.

يعنى بالحديث القرآن، و﴿أسفاً﴾ منصوب لأنه مصدر في موضع الحال[2]،

---

(١) هو ذو الرمة. أي الحزين الآسف لشيء لا أمل له في إدراكه. والبيت في اللسان (بخع) والطبري ١٥/١٢٠ والقرطبي ١٠/٣٤٨، ومجاز أبي عبيدة ١٥/٣٩٣ - ونحته مخفف من نحَّته بمعنى بعدته.

(٢) واضح أنه تمييز، أي يبخع نفسه من الأسف.

والأَسَفُ المبالغة في الحزن أو الغَضَبِ. يُقَالُ قد أَسِفَ الرَّجُلُ فهو أسيفٌ وآسِفٌ، قال الشاعر: [١]

أرى رجلاً منهم أسيفاً كأنما يضُم إلى كَشْحَيْه كفًّا مُخَضَّباً

وقوله: ﴿لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾.

أي لنختبرهم، وأَيُّهُمْ مرفُوعٌ بالابتداء، إلا أن لفظه لفظ الاستفهام المعنى لِيخْبُرَ أهذا أحسن عملا أم هذا، فالمعنى: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾، أي اختباراً ومحنة، فالحَسَنُ العَمَلِ من زهِدَ فيما زُيِّنَ له من الدنيا، ثم أعلمهم أنه مبيدٌ ومُفنٍ ذلكَ كُلَّه مقال:

﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً﴾.

والصَعّيد الطريقُ الذي لا نبَاتَ فيه، والجرُزُ الأرض التي لا تنبتُ شيئاً كأنها تأكل النَّبْتَ أكْلاً، يقال أرْضٍ جُرُزٌ، وَأَرَضُون أَجْرَازٌ.

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ والرَّقِيمِ كانوا من آيَاتِنَا عَجَباً﴾.

والـرَّقِيمُ قيل إنه اسم الجبل الذي كان فيه الكهف، والكهف كالفَجِّ وكالغَارِ في الجبل، وقيل ان الرّقيم اسم القرية التي كانوا فيها، وقيل إنّ الرقيم لَوْحٌ كان فيه كتابٌ[٢] في المكان الذي كانوا فيه ـ والله أعلم.

وقيل كان المشركون سألوا النبي ﷺ عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين، وذلك أنهم أعياهم أمر النبي ﷺ بمكة فصارتْ جماعة منهم إلى يثرب فَأَعْلَمَتْ جماعةً من رؤساء اليهود بقصة رسول الله ﷺ فقالت اليهود إنَّ اسمه عندنا مكتوب وأن يبعث على فترة مِنَ الرُّسُلِ فاسألوه عن هذه الأشياء فإن أجاب عنها فهو نبي، فصارت الجماعة من المشركين إلى مكة وجمعوا

(١) في اللسان (خضب) منسوباً للأعشى، وفي معاني الفراء ١/١٢٧، قال رجل، ورجل أسيف أي حزين، وكشحا الرجل جَانِبَاه، و «كفا مخضبا» يريد كأن يَدَهُ مَقْطُوعَةٌ.

(٢) كتابة.

جمعاً كثيراً، وسألوا النبي ﷺ عن هذه الأشياء. فأعلمهم أنه لا يعلمها، وأنه إن نزل عليه وحي بها أعلمهم. فروى بعضهم أنه قال: سأخبركم بها ولم يقل إن شاء اللَّه فأبطأ عنه الوحي أياماً ونزلت: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيءٍ إنّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إلَّا أنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

فأخبرهم النبي ﷺ بما أوحى اللَّه إليه وأنزله اللَّه في كتابه مما دل على حقيقة نبوته. ثم أعلم اللَّه عز وجل أنَّ قصَّةَ أصحاب الكهف ليست بعجيبة من آيات اللَّه، لأنا نشاهد من خلق السموات والأرض وما بينهما مما يدل على توحيد اللَّه ما هو أعجب من قصة أصحاب الكهف فقال جل وعز:

﴿أمْ حَسِبْتَ أنَّ أصْحَابَ الكَهْفِ والرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً﴾.

[أي] حتى نُبَيِّنَ قِصَّتَهُمْ

وقوله: ﴿إذْ أوَى الفِتْيَةُ إلَى الكَهْفِ﴾.

ومعنى أَوَوْا إليه صاروا إليه وجعلوه مأواهم، والفتية جمع فتًى مثل غلام وغِلْمَة، وصَبِيّ وَصِبْيَة، وَفِعْلَةٌ من أسْمَاءِ الجمع، وليس ببناء يقاس عليه، لا يجوز غُراب وغِرْبة، ولا غَنى وغنية.

وقوله: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾.

أي أعْطِنَا من عندِكَ رَحْمَةً، أي مَغْفِرةً ورزقاً.

﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أمْرِنَا رَشَداً﴾.

يجوز في ﴿رَشَداً﴾ رُشْداً إلَّا أنه لا يُقْرأُ بها ههنا لأن فواصل الآيات على فَعَلٍ نحو أمَدٍ وعدَدٍ[1]، فَرَشدٌ أحْسَنُ في هذا المكان أي أرشدنا إلى ما يقرب منك ويزلف عندك.

---

(١) فواصل الآيات في هذه السورة على فَعَلٍ. نحو أيهم أحسن عملاً، صعيداً جرزاً، كانوا من آياتنا عجباً. فيحسن اطراد الفاصلة.

وقوله ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً﴾ .

معنى ﴿ضربنا على آذانهم﴾ منعْناهم أن يسمعوا، لأن النائم إذا سمع انتبه. فالمعنى أنمناهم، ومنعناهم السمع. و﴿عدداً﴾ منصوب على ضربين أحدهما على المصدر، المعنى نَعُدُّ عدَداً، ويجوز أن يكون نعتاً للسنين، المعنى سنين ذات عَدَدٍ، والفائدةُ في قولك عدد في الأشياء المعدودات أنك تريد توكيد كثرة الشَّيْءِ لأنه إذا قلَّ فُهِمَ مِقْدَارُهُ ومقدار عدده، فلم يحتج إلى أن يُعَدَّ، فإذا كثُرَ احتاج إلى أن يعدَّ، فالعدد في قَوْلِكَ أقمت أياماً عدَداً أنك تُرِيدُ بها الكثرة. وجائز أن تؤكد بعدَدٍ معنى الجماعة في أنها قد خرجت من معنى الواحد.

فمعنى قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ .

أي بعثناهم من نومهم، ويقال لكل من خرج من الموت إلى الحياة أو من النوم إلى الانتباه مبعوث. وتأويل مبعوث أنه قد زال عنه ما كان يحبسه عن التصرف والانْبعاث.

وقوله: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً﴾ .

الأمد الغَايَةُ، و﴿أَمَداً﴾ منصوب على نوعين، وهو على التمييز مَنْصُوبٌ وإن شئت كان منصوباً على أحصى أَمَداً فيكون العامل فيه أحصى، كأنه قيل لنعلَمَ أهؤلاء أحصى للأمد أم هؤلاء، ويكونُ منصُوباً بلبثوا[1]، ويكون أحصى متعلقاً بـ (لما) فيكون المعنى أي الحزبين أحصى للُبثهم في الأمد.

وقوله: ﴿لَقَدْ قُلْنَا إذاً شَطَطاً﴾ .

أي قد قلنا إذَنْ جوراً. و﴿شَطَطاً﴾ منصوب على المصدر، المعنى لقد قلنا

---

(١) هذا هو الوجه الثاني فيكون ظرفاً.

إذَن قول شطط. يقال شط الرَّجُل وأشَطَّ إذا جار، قال الشاعر: [١]

ألَا يَا لَقَوْمي قد أشطت عواذِلي ويَزْعمن أني أقْصَر اليوم باطلي

وقوله: ﴿لَوْلَا يأتون عَلَيْهِمْ بِسُلْطانٍ بَيِّنٍ﴾.

أنكر الفتية عبادة قومِهم، وأن يعبدوا مع اللَّه غيره، فقالوا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون. ولولا في معنى هلَّا، المعنى هلا يأتون عليهم بحجة بَيِّنَةٍ، ومعنى عليهم أي على عبادة الآلهة.

وقوله: ﴿وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُم وَمَا يَعْبُدونَ إلَّا اللَّهَ﴾.

موضع ما نصب، المعنى إذا اعتزلتموهم واعتزلتم ما يعبدون إلا اللَّه فإنكم لن تتركوا عبادته.

﴿فأْوُوا إلَى الكَهْفِ﴾.

أي اجعلوا الكهف مَأْوَاكُمْ

﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِنْ رَحْمَتِهِ﴾.

أي يَنْشُرْ لكم مِنْ رِزْق

﴿وَيُهَيِّىءْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقَا﴾.

يقال هو مِرْفَق اليد بكسر الميم وفتح الفاء، وكذلك مِرْفَقُ الأَمْر مثل مِرْفق اليَدِ سواء. قال الأصْمَعي: لا أعرف غير هذا. وقَرَأتِ القُرّاء مَرْفِقاً -

(١) البيت للأحوص. وهو ابن عبد اللَّه بن عاصم بن ثابت، حمى الدبر. شاعر مقدم لولا أن خطت منه أفعاله الدنيئة، له أخبار شائنة، يجيد الغزل والفخر والمديح، ولشعره رونق، شبب بالأشراف من نساء المدينة، ونفاه سليمان بن عبد الملك إلى دهلك - جزيرة بالبحر الأحمر تقابل مصوع - وشفع له قوم لدى عمر بن عبد العزيز في خلافته فلم يشفعهم وبقي هناك حتى أعاده يزيد بن عبد الملك. انظر الخزانة ١/٢٣٢. واللسان (شطط، وشواهد المغني ٢/٦٣٤، والطبري ١٧/٢٠٧، - أشط بمعنى أبعد يريد بالغن في لومي.

بفتح الميم وكسر الفاء. وذكر قطرب وغيرُه من أهل اللغة اللغَتَيْن جَميعاً في مَرْفَقِ الأمر ومِرْفَق اليَدِ. وقالوا جميعاً المِرْفَق لليد بكسر الميم. هو أكثَرُ في اللغة وأجود.

وقوله:﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾.

في ﴿تَزَاوَرُ﴾ ثلاثة أوجه: تَزَاوَرُ، وتَزْوَرُّ - بغير ألف، على مثال تَحْمَرُّ، وتَزْوَارُّ على مثال تحمارُّ، ووجه رابع تزَّاور. والأصل فيه تتزَاورُ فأدغمت التاء في الزاي.

﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾.

﴿تَقْرِضُهم﴾ بكسر الراء، وتَقْرُضهم - بضم الراء -. والكسر القراءة عليه، وتأويله تعدل عنهم وتتركهم، قال ذو الرُّمَّةَ:

لها ظُعُن يَقْرِضْنَ أَقْوازَ مُشْرِفٍ شمالاً وعن أيمانهن الفوارس[1].

يَقرِضْنَ يتركن، وأصل القرض القطع والتفرقة بين الأشياء، ومن هذا قولك: أَقْرِضْنِي دِرْهَماً، تأويله اقطع لي مِنْ مَالِك دِرْهماً.

وقوله:﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾.

أي في متسع منه

﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾.

قيل إنَّ بابَ الكهفِ كان بِإزَاءِ بَنَاتِ نَعْشٍ، فلذلك لم تكن الشمس

---

(١) رواية البيت في ديوانه ٣١٣ إلى ظعن - والظعن جمع ظعينة - والمشرف الجبل المرتفع - وأقواز جمع قوز وهو الكثيب، والنقا الصغير المنعطف، وتشبه به أعجاز النساء - وجاء البيت في مجاز أبي عبيدة ٣٩٦/١ - «يقرض أجواز مشرف» - والأجواز جمع جوز، ما يجتازه المار، كالأبعاد. وفي اللسان (قوز) كما هنا - وانظر الطبري ١٣٠/١٥، والقرطبي ٣٥٠/١٠، واللسان (قرض).

تطلع عليهم وهذا التفسير ليس بِبَيِّنٍ، إنما جعل اللّه فيهم هذه الآية لأن الشمس لا تقربهم في مطلعها ولا عند غروبها.

وقوله: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾.

أكثر اللغة فهو المهتدي بإثبات الياء، وفي المصحف في هذا الموضع بغير ياء وهذا في هذا الموضع كالذي في الأعراف، فهذا هو الوجه، وهو في الأعراف بالياء(١) وفي الكهف بغير ياء. ـ وحذف الياء جائز في الأسماء خاصة ولا يجوز في الأفعال، لأن حذف الياء في الفعل دليل الجزم. وحذف الياء في الأسماء واقع إذا لم يكن [مع الاسم] الألف واللام، نحو مهتدٍ ومُقْتَدٍ، فأدخلت الألف واللام وترك الحذف على ما كان عليه. ودلت الكسرة على الياء المحذوفة.

وقوله: ﴿وَتَحْسَبهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ﴾.

الأيقاظ المنتبهونَ، والرقود النيامُ، وواحد الأيقاظ يقظٌ ويقظان والجمع أيقاظ، قال الراجز(٢):

ووجدوا إخْوتــهم أَيْقَاظاً

وقيل في التّفسير إنهم كانوا مُفَتَّحِي الأَعْين، الَّذي يراهُم يتوهمهم منتبهين وقيل لكثرة تقلبهم يظن أنهم غير نيام، ويدل عليه ﴿ونُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ اليَمِينِ وذَاتَ الشّمِاَلِ﴾ ويجوز وَتَحْسِبُهُمْ، وتحسَبهُم.

﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالوَصِيدِ﴾.

والوصيد فناء البيت، وفناء الدار.

(١) في سورة الأعراف آية ١٧٨ ﴿مَنْ يَهْدِي اللَّهُ فَهُوَ المُهْتدِي، وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾.

(٢) هو العجاج، والبيتان في الطبري ١٥/١٣١ ومجاز أبي عبيدة ١٥/٣٩٧ وروايته هناك: ووجدوا إخوانهم.

وقوله: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

بكسر الواو، وتقرأ لوُ اطلعت عليهم بضم الواو، والكسر أجود، لأن الواو ساكنة والطاء ساكنة، فكسرت الواو لالتقاء الساكنين، وهذا هو الأصل، وجاز الضم لأن الضم من جنس الواو، ولكنه إذا كان بعد الساكن مضْمُوم فالضَّمُّ هُنَاكَ أَحْسَنُ منه ههنا. نحو﴿أَوُ انْقُصْ﴾[1]-واو انقص بالضم والكسر-

وقوله: ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً﴾.

﴿فراراً﴾ منصوب على المصدر، لأن معنى وَلَّيْتُ فرَرْت منهم.

﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً﴾.

ورَعْباً ورُعُباً، ورُعْباً منصوب على التمييز، تقول: امتلأت ماء وامتلأت فَرَقاً، أي امتلات مِنَ الفرَقِ ومن الماء.

وقيل في التفسير انهم طالت شعورهم جداً وأظفارهم، فلذلك كان الرائي لو رآهُمْ لَهرَبَ منهم مَرْعُوباً.

وقوله: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾.

فيها أَرْبَعَةُ أوجه - بفتح الواو وكسر الراء، وبورْقكم بتسكين الراء وبورْقِكُمْ - بكسر الواو وتسكين الراء، يقال وَرِقٌ، ووَرْق، ووِرْقٌ، كما قيل: كَبِدٌ، وكَبْدٌ، وكِبْدٌ. وكسر الواو أردؤها. ويجوز «بِوَرِقْكُمْ» تدغم القاف في الكاف وتَصِيرُ كافاً خَالِصَةً[2].

وقوله: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّها أَزْكَى طَعَاماً﴾.

﴿أيها﴾ مرفوع بالابتداء، ومعنى أيها أزكى طعاماً، أي أي أهلها أزكى طعاماً، وأزكى خبر الابتداء، وطعاماً منصوب على التمييز. وقيل: إن تأويل

---

(١) في أول سورة المزمل: ﴿قُمِ الليلَ إلاّ قَلِيلاً. نِصْفَهُ أَوُ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً﴾ ومثله: ﴿ولكن انظر إلى الجبل﴾

(٢) وهو إدغام رديء.. لاجتلاب السكون، ولأن الحرفين غير متجانسين ولسوء النطق.

أزكى طَعَاماً أحَلُّ طعاماً، وذكروا أنَّ القَوْمَ كان أكثرُهُمْ مَجُوساً، وكانوا لا يستنظفون ذبائحهم(١)، وقيل: أَزْكَى طَعَاماً، أي طعاماً لم يؤخذْ من غصْبٍ، ولا هو من جهة لا تَحِلُّ.

وقوله:﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾.

وفَلِيَأْتِكُمْ - بإسكان اللام وكسرها - والقراءة بإسكان اللام. والكسرُ جائز.

قوله:﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً﴾.

قيل لا يُعْلِمَنَّ بكم، أي إنْ ظُهِرَ عَلَيْه فلا يُوقِعَنَّ إخْوَانَهُ فيما يقع فيه.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾.

أي يقتلوكم بالرجم، والرَّجْمُ مِنْ أَخبَثِ القَتْل.

﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ، وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبداً﴾.

«إذاً» تدل على الشرط، أي ولن تُفْلِحُوا إن رَجَعْتُم إلى مِلَّتِهِمْ.

وقوله:﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِم﴾.

أي أطلعنا عَلَيْهم ﴿لِيعْلَموا أَنَّ وعْد اللَّه حَقٌّ﴾، أي ليعلم الذين يُكَذِّبُونَ بِالبَعْثِ أنَّ وعدَ اللَّه حق، ويزداد من يؤمن به إيمَاناً.

﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا، إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾.

أي يَتَنَاظَرون في أمرهم، فيجوز أن يكون «إذْ» مَنْصُوباً بقوله أعثرنا عليهم فيكون المعنى وكذلك اعثرنا عليهم أي أطلعنا عليهم إذ وقعت المنازعة في أمرهم، ويجوز أن يكون منصوباً بقوله: لِيَعْلَمُوا، أي لِيَعْلَموا في وقت منازعتهم.

---

(١) لا يختارونها نظيفة.

وقوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾ .

هـذا يدل ـ والله أعلم ـ أنـه لمـا ظهـر أَمْـرُهُمْ غلب المؤمنـون بـالبعث والنُّشورِ لأنَّ المَساجِدَ للمؤمنين.

وقوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ .

﴿ثلاثة﴾ مرفـوع بخبر الابتداء، المعنى سيقول الذين يتنـازعون في أمـرهم؛ هم ثَلاثَةٌ رَابعُهُم كلبهم.

﴿رَجْماً بالغَيْبِ﴾ .

أي يقولون ذلك رجماً، أي ظناً وتخرصاً. قال زهير[1]

وما الحربُ إلا ما علمتم وذقتمو ... وما هو عنها بالحديث المَرجَّمِ

﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ .

﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ .

دخول الواو ههنـا واخراجهـا من الأول واحِدٌ، وقـد يجوز أن يكـون الواو يدخل ليدل على انقطاع القصة وأن الشيء قد تمَّ.

وقوله: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إلاَّ قَلِيلٌ﴾ .

روي عن ابن عبـاس أنه قـال، كـان أصحـاب الكهف سبعـة، وأنـا من القليل الذين يعلمونهم، وقول ابن عباس إذا صح عنه فهو من أوثَق التفسير.

وقوله: ﴿فَلَا تُمارِ فيهم إلاَّ مِراءً ظاهِراً﴾ .

أي لا تأْتِ في أمْرِهم بغير ما أوحي إليك، أي أفْتِ في قِصَّتِهِمْ بالظاهِرِ الذي أنزل إليك.

---

(١) البيت الثامن والعشرون من مُعَلَّقَتِه ـ يتحدث عن حرب «داحس والغبراء» والحديث المرجَّمَ حديث الظن والتخمين. الزوزني ٨٢ ط صبيح

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ﴾.

أي في أصحاب الكهف.

﴿مِنْهُمْ أَحَداً﴾.

أي من أهل الكتاب.

وقوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

موضع أن نصبٌ، المعنى: لا تقولنَّ إني أفعل أبداً إلا بمشيئة اللَّه، فإذا قال القائل: إني أفعل ذاكِ إن شاء اللَّه فكأنه قال: لا أفعل إلا بمشيئة اللَّه(١).

وقوله: ﴿واذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾.

أي أيَّ وقت ذكرت أنك لم تستثنِ، فاستَثْنِ، وقل: إن شاء اللَّه.

﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً﴾.

أي قل عسى أن يعطيني من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب في الرُّشد وأدَلَّ من قصة أصحاب الكهف.

وقوله: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِم ثَلَاثِمَائَةٍ سِنِينَ وازْدَادُوا تِسْعاً﴾.

جائز أن يكون سنين نصباً، وجائز أن تكون جرًّا. فأما النصبُ فعلى معنى فلبثوا في كهفهم سنين ثلاَثمائةٍ، ويكون على تقدير آخر «سِنين» معطوفاً على ثَلَاثٍ عطف البيانِ والتوكيد، وجائز أن تكون سنين من نعت المائة، وهو راجع في المعنى إلى ثلاث كما قال الشاعر(٢)

---

(١) أيّ عمل قلت أنك ستعمله ولم تقل إن شاء اللَّه ثم تذكرت فقل ثانياً إن شاء اللَّه.

(٢) من معلقة عنترة ـ والحلوبة بمعنى الحالبة ـ وهي جمع حلوب عند البصريين ـ مثل قتوبة وقتوب، وركوبة وركوب وقال غيرهم هي بمعنى محلوبة ولذا جاز إلحاق التاء بفعول بمعنى مفعول.

وسود جمع أسود وسوداء، والخافية واحده الخوافي وهي أربع ريش في جناح الطائر ـ وهناك ست عشرة ريشة ـ أربع قوادم، وأربع خواف، وأربع مناكب، وأربع أباهر ـ يصف رهط عشيقته بأن به هذه الإبل السود، وهي أنفس أنواع الإبل.

فيهـا اثنتـان وأربـعـون حَـلُوبَـةً سُـودًا كخـافِيـة الغُـرابِ الأَسْحَمِ

فجعل سُودًا نعتاً لحلوبةٍ، وهو في المعنى نعت لجملة العَدَدِ، فجَائز أن يكون: فَلَبِثُوا في كَهْفِهِمْ، مَحْمُـولاً على قولـه: سَيَقُولُـونَ ثَلاثَـةٌ رابعُهم كلبُهم وَيَقُولُونَ لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ وهذا القول دليله قوله: ﴿قلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾.

ويجـوز ـ وهو الأجـود عندي ـ أنـه إخْبَارٌ عن اللَّه أخبـرهم بطول لُبْثِهِم، وأَعْلَمَ أنَّهُ أَعْلَمُ بذلك. وكان هـذا أبلغ في الآية فيهم أن يكـون الصحيح أنهم قد لبثوا هذا العدَدَ كلَّهُ.

فأما قوله: ﴿وازْدَادوُا تِسْعاً﴾.

فلا يكون على معنى وازْدَادُوا تسع لَيَالٍ، ولا تسـع ساعـاتٍ، لأن العدَدَ يعرف تفسيره، وإذا تقدم تفسيره استغنى بما تقدم عن اعادة ذكر التفسير [١].

تقـول: عندي مـائة درهم وخمسـة فيكون الخمسة قـد دل عليهـا ذكـر الدرهم

وكذلك قوله: ﴿[والَّذِينَ يُتوفَّوْنَ مِنْكُم] وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾[٢]. قال أبو العباس محمد بن يزيد: وعشراً معناه وعشر مُـدَدٍ، وتلك المدد كل مدة منها يومٌ ولَيلَةٌ، والعرب تقول: ما رأيته منـذ عشر، وأتيتُه لِعَشْرٍ خَلَونَ، فيغلِّبُون الليالي على ذكر الأيام، والأَيَّـامُ داخلة في اللَّيَالِي والليالي مع اليوم مُدَّة معلُومَـةٌ مِنَ الدَّهْرِ، فتأنيث عشر يدل على أنه لا يراد بـه أشْهُر فهذا أحسن ما فُسِّر في هذه الآية.

وقوله: ﴿أَبْصِرْ بِهِ وأَسْمِعْ﴾.

---

(١) أي تسع سنين.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣٤.

أجمعت العلماء أن معناه ما أسمَعَه وأبْصَرَه. أي هُوَ عالم بقصة أصحاب الكهف وغيرهم:

وقوله:﴿وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً﴾.

وقرئت: ﴿وَلاَ يُشْرِكْ﴾ عَلَى النَّهْي. والآية ـ واللَّه أعلم ـ تَدُلُّ عَلَى أَحَدِ مَعْنَيْينِ:

أحدهما أنه أَجْرَى ذكر علمه وقدرته، فأعلم عزّ وجلّ أنه لا يُشْرِكُ في حُكمِه مما يخبر به من الغَيْبِ أحَداً، كما قال: ﴿عَالِمِ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدَاً﴾(١) وكذلك إذا قرئت: وَلاَ تُشْرِكْ ـ بالتاء ـ في حكمه أَحَداً، أي لا تَنْسُبَنَّ أَحَداً إلى عِلْمِ الغَيْب، ويكون ـ واللَّه أعلم، وهو جيِّدُ بالغ ـ على معنى أنه لا يجوز أن يحكم حاكم إلا بما حكم اللَّه، أو بما يدل عليه حكم اللَّه، وليس لأَحَدٍ أن يحكم من ذات نفسه، فيكون شريكاً للَّه في حكمه، يأمر بحكم كما أمر اللَّه عزّ وجلّ.

وقوله:﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِه مُلْتَحَداً﴾.

أي لَنْ تَجِدَ مَعْدِلاً عَنْ أمره ونَهْيِه، ولا ملجأ إلاَّ إليه، وكذلك: ﴿لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾.

أيْ ما أخبر اللَّه به، وما أمر به فَلاَ مُبَدِّلَ له.

وقوله:﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

وقرئت بالغُدْوَةِ والعَشِّي، وبالغَدَاةِ والعَشِّي أَجْوَدُ في قول جَمِيع العُلَماءِ لأن «غَدْوَة» معرفة لا تدخلها الألف واللام، والذين أدخلوا الألف واللام

---

(١) سورة الجنّ الآية ٢٦.

جعلوها نكرة، ومعنى يدعون ربهم بالغداة والعشي، أي يدّعونه بالتوحيد والإخلاص له، ويَعْبُدونه يريدون وجهه، أي لا يقصدون بعبادتهم إلاَّ إياه.

وقوله: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾.

أي لا تصرف بصرك إلى غيرهم من ذوي الهيئات والزينة. روي أن جماعة من عظماء المشركين قالوا للنبي عليه السلام،: باعد عنك هؤلاء الذين رائحتهم كرائحة الضَّأْنِ، وهم مَوَالٍ وليسوا بأشراف لِنُجَالِسَك ولنَفْهَمَ عنك، يعنون خَبَّاباً، وصُهَيْباً وعَمَّاراً وبِلالاً ومن أشبهَهُم(١)، فأمره الله بأن لا يفعل ذلك وأن يجعل إقباله على المؤمنين وألا يلتفت إلى غيرهم فقال: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا واتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾.

أي كان أَمْرُهُ التفريطُ، والتفريط تقديم العجزِ.

وقوله: ﴿وَقُلِ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾.

المعنى وقل الذي أتيتكم به الحقُّ مِنْ رَبِّكم.

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾.

هذا الكلام ليس بأَمْرٍ لَهُمْ، ما فعلوه منه فهم فيه مطيعون، ولكن كلام وعيد وإنذار قد بين بعده ما لكل فريق مِنْ مُؤْمِن وكافِرٍ، قال عزّ وجلّ:

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً﴾.

معنى اعتدنا جعلناها عِتَاداً لهم كما تقول: جعلت هذا عُدَّةً لهذا، والعِتادُ الشيء الثابت اللازم.

وقوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرادِقُهَا﴾.

---

(١) من الموالي الذين دخلوا الإسلام.

أي صار عليهم سُرَادِقٌ من العذاب، والسرادق كل ما أحاط بشيء نحو الشقة في المضرب والحائط المشتمل على الشيء[١].

وقوله: ﴿كَالْمُهْلِ﴾.

يعني أنهم يغاثون بماء كالرّصَاصِ المُذَابِ أي الصُّفْرِ[٢] والفِضَّةِ، وكل ما أذَبْتَه من هذه الأشياء فهو مُهْل. وقيل المهل دُرْدِيّ الزَّيتِ أيْضاً[٣]، وقيل المهل صَدِيدُ الجرح.

﴿يَشْوِي الوُجُوهَ﴾.

أي إذا قُدّمَ لِيُشْرَبَ أَشْوَىَ[٤] الوَجْهُ مِنْ حرارته.

﴿بِئْسَ الشَّرابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً﴾.

﴿مرتفقاً﴾ منصوب على التمييز، ومرتفقاً مَنْزِلاً، وقال أهل اللغة مرتفقاً: مُتَّكأً، وأنشدوا[٥].

إنّي أَرِقْتُ فبتُّ الليلَ مُرتفقاً كأَنَّ عَيْنِي فيها الصَّابُ مَذْبُوحُ

---

(١) في القاموس: السرادق الذي يمد فوق صحن البيت وجمعه سرادقات والبيْتُ من الكُرْسُف (القطن) والغبار الساطع والدخان المرتفع المحيط بالشيء.

(٢) النحاس ـ وكل مَعْدنٍ أذيب فهو مُهْلٌ.

(٣) درديُّ الزيت ما يبقى في أسفله.

(٤) أشوى الوجه أصاب شواته وهي جلدة الرأس.

(٥) لأبي ذؤيب الهذلي يرثي صديقاً له ـ ويروى مشتجراً ـ والشجر بوزن ضرب مفرج الفم وقيل مؤخره، أو ما بين اللحيين، واشتجر الرجلُ وضع يده تحت شجره، والصاب شجر له لبن يؤذي العينَ إذا أَصَابَها، وفي ديوان الهذليين ١/ ١٠٤.

نام الخلي وبت الليل مشتجراً، وفي اللسان (شجر) كما في الديوان ـ ونقل عن أبي عمرو الشجر بفتحتين ما بين اللحيين، ومذبوح أي مشقوق، والرخى الخلي البال.

يريد نام الخليون الذين لا هم يُؤَرِّقُهُمْ، وظللت أنا لحزني يقظان أسند رأسي بيدي ولا تغمض لي عين كأن لبن الصاب قد صب فيها. وانظر اللسان (ذبح ـ شجر).

وقوله :﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾.

خبر إن هنا على ثلاثة أوجه، فأحدها أن يكون على إضمار «إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً منهم»، ولم يحتج إلى ذكر منهم لأن اللَّه تعالى قد أعلمنا أنه يحبط عمل غير المؤمنين، قال عزّ وجلّ: ﴿وَعَدَ اللَّه الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[1]. ويجوز أن يكون خبر إن: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَاتُ عَدْنٍ﴾ ويكون قوله: ﴿إنا لا نضيع أجر من أَحْسَنَ عَمَلاً﴾قَدْ فُصِلَ به بين الاسم وخَبَرِه، لأن فيه ذكر ما في الأول، لأن من أحسن عملاً بمنزلة الذين آمنوا. وَوَجْهٌ ثالث، أَنْ يكون الخبر﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ في معنى إنا لا نضيع أجرهم، لأن ذكر «مَنْ» كذكر الذي، وذكر حُسْنِ العَمَل كذِكْرِ الإيمان. فيكون كقولك: إن الذين يعملون الصالحات إن اللَّه لا يضيع أجر من آمن، فهو كقولك إن اللَّه لا يضيع أجرهم[2].

[﴿أُولَئكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ]﴾.

ومعنى ﴿جناتُ عَدْنٍ﴾ جنَّات إقَامةٍ. وقيل في التفسير جنات عَدْن، جنات من الأربع الجِنَانِ التي أعدها اللَّه لأوليائه.

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾.

أساور جمع أَسْوِرة، وأَسْوِرَة جمع سوار. يقال هُو سِوَارٌ في اليد بالكَسْرِ، وَقَدْ حُكِيَ سَوار وحكي قطرب إسْوَار، وذكر أن أساور جمع إسْوَار، على حذف الياء، لأن جمع اسوار أساوير.

---

١) سورة الفتح الآية ٢٩.

٢) أي ان الخبر أعم فهو مشتمل على المبتدأ فلا يحتاج إلى رابط.

﴿[ويَلْبَسُون ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وإِسْتَبْرَقٍ]﴾[1].

والسندس والاستبرق نوعان من الحرير.

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ [نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً][1] ﴾.

الأرائك واحدتها أريكة، والأرائك الفرش في الحجال.

ومُرْتفقاً منصوب على التمييز وقد فسرنا المرتفق.

وقوله: ﴿واضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ﴾.

كان المشركون سألوا النبي ﷺ بمشورة اليهود عليهم أن يسألوا النبي ﷺ عن قصة أصحاب الكهف وعن الروح وعن هذين الرجلين، فأعلمه اللَّه الجواب وأنه مثل له عليه السلام وللكفَّار، ومثل لجميع من آمن باللَّه وجميع من عَنَدَ عنه وكفر به، فقال تعالى: ﴿واضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ ﴾.

﴿رَجُلَين﴾ منصوب على معنى المفعول على معنى واضرب لهم مثلاً مثل رجُلين.

﴿وَحَففَناها بنخل﴾ أي جعلنا النخل مُطِيفاً بهما، يقال: قد حف القوم بزَيْدٍ إذَا كانُوا مُطيفين به.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً﴾.

فأعلم اللَّه أن عمارتهما كامِلةٌ متصلة لا يفصل بينهما إلاَّ عمارةٌ، وأَعْلَمنا أنهُمَا كاملتان في تأدية حملهما من نخلهما وأعنابهما والزرع الذي بينهما، فقال:

﴿كِلْتَا الجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً﴾.

أي لم تنقص منه شيئاً، وقال آتت ولم يقل آتتا، رده على كلتا لأن لفظ

---

(١) سقطت من الأصل ولكن ذُكِرَ تفسيرها ـ فكتبناها.

كلتا لفظ واحد، والمعنى كل واحدةٍ منهما آتت أكلها، ولو كان «آتتا» لكان جائزاً، يكون المعنى الجَنّتَانِ كلتاهما آتتا أكلَهُمَا.

﴿وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَراً﴾.

ولو قرئت نَهْراً لكان جائزاً، يقال نَهَر ونَهْرٌ، فأعلمنا أن شُرْبَهُمَا كان من ماء نهر وهو من أغزر الشُّرْب.

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾.

وقرئت ثُمُرٌ، وقيل الثَّمَرُ مَا أخرجته الشجر، والثُّمُرُ المال، يقال قد ثمَّر فلانٌ مَالاً. والثُّمُرُ هَهُنا أَحْسَنُ، لأن قوله: ﴿كِلْتَا الجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَها﴾، قد دَلَّ على الثَّمَرِ، وتجوز أن يكون ثَمَرٌ جمع ثَمَرة. وثمارٌ وثُمرٌ[1].

وقوله: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِه وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْك مَالاً وأَعَزُّ نَفَراً﴾.

مالاً، ونفراً، منصوبان على التمييز، وأخبره أنه أعز منه ناصراً، أي يخبر أنَّ نُصَّارَهُ كثير.

وقوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾.

وكل من كفر باللَّه فَنَفْسَهُ ظَلَم، لأنه يولجها النار ذاتَ العَذَاب الدَّائِمِ، فأي ظُلْم للنفس فوق هذا.

وقوله: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾.

فأخبر بكفره بالساعة وبكفره بفناء الدنيا.

﴿وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً﴾.

فدل على أنّ صَاحِبَهُ المؤمن قد أعلمه أن السَّاعَةَ تَقُومُ وأنه يبعث،

---

(١) ثُمَرٌ اسم جنس جمعي لثمرة، وثمار جمع حقيقي، وثُمرٌ جمع ثِمَار فهي جمع الجمع.

فأَجَابَـهُ بأن قـال له: ولئن رُدِدْتُ إلى رَبِّي كمـا أعلمتني أن أُبْعَثَ ليُعطِيني في الآخـرة خيراً ممـا أعطاني في الـدنيا، لأنـه لم يُعطِني هَـذا في الدُّنْيَـا إلاّ وهو يزيدني إن كـان الأَمر عَلَى هَـذَا في الآخرة، فقـال له صـاحبه منكـراً له بهـذا القول:

﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴾.

أي ثم أكملك، فأنكرت أمـر البعث حتى شككت فيـه، وقـد أعْلَمَنَـا أن الشاكَّ في أَمْر اللَّهِ كافِرٌ، وأن بعض الظَّنِ إثم أي باطِل، وقد قـال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾[(١)] ثم أعلَمَهُ صاحبهُ أنه مُوَحِّدٌ للَّه، وأنّ كلَّ ما قدر عليه الإِنسان من ملك ونِعْمةٍ فلا قوة له ولا قدرة عليه إلاَّ باللَّهِ، فقال:

﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً ﴾.

فدل خِطَابـهُ على أنَّ صَاحِبَ الجنتين مشـرك عابـدٌ مع اللَّه غيـرَه، وفي قـوله: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ خمسـةُ أَوْجُـه، لَكِنَّ هـو اللَّه ربي ـ بتشـديـد النـون وفتحها، ويوقف عليها بالألف، ويـوصل بغيـر ألف، ويُقْرَأ: لكنـا هو اللَّه رَبِّي بالألف موصـولة، ويقـرأ لكِنْ هو اللَّه رَبِّي بسكـون النون، ويجـوز ـ ولا أعلم أحداً قرأ به ـ لكنَنَ هُوَ اللَّه رَبِّي بنـونين مَفْتُوحَتَين، ويجـوز لكنَنَا هـو اللَّه ربي بنونين وألف. فمن قرأ بتشـديد النـون فالمعنى لكن أنـا هو اللَّه ربي فـطرحت الهمزة على النون فتحركت بالفتـح واجتمع حـرفان من جنس واحـد، فادُّغِمَت النـون الأولى في الثانيـة، وحذفت الألف في الـوصـل لأنّهـا تثبت في الـوقف وتحذف في الوصل ومن قرأ: لكنّا فأثبت الألف في الوصل كما كان تثبيتها في

(١) سورة ص الآية ٢٧.

الوقف فهذا على لغة من قال: أَنَا قمتُ[١] فأثبت الألفَ قال الشاعر[٢]:

أنـا سَيْفُ العَشِيـرة فَـاعْـرِفُـوني ... حَـمِيـداً قـد تـذَرَّيـتُ السنـامـا

قال أبو إسحاق: وألف أنا في كل هـذا إثباتها شاذ في الوصـل؛ ولَكِنْ مَنْ أَثْبَتَ فعلى الوقف كما أثبت الهاء في قوله: ﴿وما أدراك ماهيه﴾، و﴿كِتَابِيَهْ﴾[٣]، ومن قرأ لكنَّ هو اللَّه ربي، وهي لكنَّ وحـدها ليس معهـا اسم، ومن قرأ لكنَنَ لم يدغم لأن النونين من كلمتين، وكذلك من قـال: لَكِنَنَا بنـونين وألف، على قياس لكن أنا، لم يـدغم لأن النونين من كلمتين، وفي أنـا في الوصـل ثَلاثُ لُغَاتٍ أجودها أَنا قُمْتُ، مثل قوله ﴿أَنَا رَبُّكُمْ﴾[٤] بغير ألف في اللفظ، ويجوز أَنَا قُمْتُ بـإثبات الألف، وهـو ضعيف جداً، وحكـوا أَنْ قُمتُ بإسكـان النون[٥]، وهو ضعيف أيضاً فأما لكِنَّا هو اللَّهُ رَبِّي ـ فهو الجيد بإِثْبَاتِ الأَلِف، لأن الهمزة قد حُذِفَتْ من أَنَا، فصار إثباتُ الألف عوضاً من الهمزة.

فهذا جميع ما يحتمله هذا الحرف.

والجيد البالغ ما في مصحف أُبَيّ بنِ كَعْبٍ ولم نذكره في هـذه القراءات لمخالفته المصحف وهو «لكن أنا هو اللَّه ربي»، فهذا هـو الأصل، وجميـع ما قـرئ به جيد بالـغ، ولا أنكر القـراءة بهذا، لأن الحـذف قد يقـع في الكتاب كثيراً في الياءات والهمـزات، فيقرأ بـالحذف وبـالتمام نحـو قولـه: ﴿يَوْمَ يَـدْعُ

(١) بمد ألف أنا.

(٢) لحميـد بن حريث بن بحدل، شاعر إسلامي من بني كلب بن وبـرة من قضاعـة، والبيت يـروى «حميداً» بالنصب بدلا من الياء في فاعرفوني، ويروى «حميد» بالـرفع بيـاناً من سيف. أي أنـا حميد. انظر ابن يعيش ٣/٩٣، ٩/٨٤.

(٣) الهـاء هاء السكت، فكـان حقها أن تسقط في الـوصـل، ولكنهـا بقيت كـما بقيت الألف في أنـا. والكلمات من قوله تعالى: ﴿وما أدراك ماهيه، نار حامية﴾ (من سورة القارعة)، و﴿يا ليتني لم أوت كتابيه﴾ (سورة الحاقة).

(٤) ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ من سورة والنازعات/ ١٦.

(٥) أي أنا قمت.

الـدَّاعِ إِلَى شَيءٍ نُكُرٍ﴾[1] . . من قـرأ الـداعي فمصيب، ومن قـرأ الـداع فمصيبٌ، وكذلك من قـرأ لكِنّا، ولكن أنـا فهو مصيب، والأجـود اتباع القُـرَّاء ولزوم الرواية، فإن القراءة سنة، وكلَّما كثرت الـرواية في الحـرف وكثرت بـه القراءة فهو المتبع، وما جاز في العربيـة ولم يقرأ بـه قـارئ فـلا تَقْرأَنَّ بـه فإن القراءة به بدعة، وكل ما قَلَّتْ فيه الرواية وضَعُفَ عند أهل العربيـة فهو داخـل في الشذوذ، ولا ينبغي أن تقرأ به.

وقوله :﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾.

والجنة البستان. ومعنى : ﴿ولولا﴾ هلاّ، وتأويل الكلام التوبيخ.

﴿قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾.

﴿ما﴾ في موضع رفع، المعنى قلت: الأمر ما شاء اللَّه. ويجوز أن تكون ما في موضع نصب على معنى الشرط والجزاء، ويكون الجواب مضمراً، ويكون التـأويل أيَّ شيء شـاء اللَّه كان، ويضمـر الجواب كمـا أُضْمِرَ جـواب لَـو في قوله:﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ﴾[2] المعنى لكان هذا القرآن.

وقوله : ﴿لا قوَّةَ إلاَّ بِاللَّهِ﴾.

الاختيار النصب بغير تَنْوينٍ على النفي كما قـال لا ريب فيه، ويجـوز لا قوةُ إلاَّ باللَّه على الرفع بالابتداء، والخبر «باللَّه» المعنى أنـه لا يقوى أحـد في ديدنه ولا في مِلْكِ يمينه إلاَّ باللَّه، ولا يكون له إلا ما شاء اللَّه.

وقوله : ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ﴾.

﴿أَقَلَّ﴾ مَنْصُوبٌ، وهو مفعول ثـانٍ بترني، وأنـا يصلح لشيئين، إن شئت كانت توكيداً للنُّونِ واليـاء[3]، وإن شئت كانت فصـلاً، كما تقـول: كنتَ أَنْتَ

---

(١) سورة القمر الآية ٦

(٢) سورة الرعد الآية ٣١.

(٣) الياء فقط هي الضمير الذي يؤكد، أما النون فهي حرف وقاية.

وتقلب الكفين يفعله الناس كثيراً

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾.

أيْ حِيطانُهَا قائمةٌ لا سُقُـوفَ عليها، وقـد تهدّمَتْ سقُـوفُها فصـارت في قرارها والعُرُوش: السُّقوفُ، فصارت الحيطان كأنها على السقوف.

وقوله :﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَه مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

﴿ينصرونه﴾ محمـول على معنى فئة،المعنى ولـم يكن له آقوام ينصرونه، ولو كان ينصره لجاز، كما قال:﴿فِئَةٌ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾(١).

﴿وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً﴾.

وما كان هو أيضاً قادراً على نصر نفسه.

وقوله:﴿هُنَالِكَ الوَلَايَةُ لِلَّه الحَقِّ﴾.

وتقرأ «الوِلَايَةُ» ـ بكسر الواو وفتحها ـ لِلَّهِ الحَقِّ، وتقرأ «الحَقُّ»، المعنى في مثل تلك الحال بيانُ الولاية للّه. أي عند ذلك يتبيّنُ نَصْرُهُ، ولي اللّه ـ يتولى اللّه إياه(٢). فمن قرأ الحقُّ [بـالرفـع] فهو نعتٌ للولايـة، ومن قَرأَ الحَقِّ فهـو بالجر فهو نعت للّه ـ جل وعز. ويجوز الحقَّ، ولا أعلم أحداً قرأ بهـا. ونصبه على المصدرِ في التوكيد، كما تقول: هنالك الحقَّ، أي أُحُقُّ الحقَّ.

وقوله:﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقُباً﴾.

وعُقْباً، ويجوز وخيـرُ عُقْبَى، على وزن بُشْرَى، وثـواباً وعُقْبـاً منصوبـان على التمييز.

وقوله :﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كماء أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِـهِ نَبَاتُ الأَرْضِ﴾.

(١) سورة آل عمران. الآية ١٣.

(٢) الصحيح أَنْ يُقَالَ: يتولاه اللّه، إذ لا يستعمل الضمير المنفصِل عند تأتى استعمال المتصا

القائمُ يا هذا، ويجوز رفع أقل، وقد قرأ بها عيسى بن عمر: إِنْ تَـرَنِي أَنَا أَقَـلُّ مِنْـكَ مَـالاً، على أن أنـا ابتـداء، وَأَقَـلّ خَبـر الابتـداء، والجملة في مـوضـع المفعول الثاني لِتَرنِي.

وقوله: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ﴾.

جائز أن يكون أراد في الدنيا، أو في الآخرة.

﴿ويُرْسِلَ عَلَيهَا حُسْبَاناً مِنَ السَّمَاءِ﴾.

وهـذا موضـع لطيف يحتـاج أن يُشرَحَ وهـو أن الحُسْبانَ في اللُّغَـةِ ـ هو الحِسَابُ قال تعـالى: ﴿الشَّمْسُ والْقَمَرُ بحُسْبَانٍ﴾[1] المعنى بحساب، فـالمعنى في هذه الآية أن يرسل عليهـا عَذَاب حُسْبـانٍ، وذلك الحُسْبَـانُ هو حِسَـابُ ما كسبَتْ يداك[2].

وقوله: ﴿فَتُصْبحَ صَعِيداً زَلَقاً﴾.

الصعيد الطريق الذي لا نبات فيه، وكذلك الزَّلَق[3].

﴿أَوْ يُصْبحَ مَاؤُهَا غَوْراً﴾.

معناه غائراً، يقال ماءٌ غَوْرٌ، ومياه غورٌ، وغورٌ مصدر مثل عَدْل ورضِىً.

وقوله: ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبَاً﴾.

أي يغور فلا تَقْدِرُ على أَثَرٍ تطلبُه من أَجْلِهِ

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾.

أي أحاط اللّه العَذَابَ بثمره.

﴿فَأَصْبَحَ يُقلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾.

---

(١) سورة الرحمن.

(٢) المراد بالحسبان الصاعقة، وسميت حساباً لأنها جزاء على ما قدم.

(٣) الزلق المكان الذى لا يثبت عليه القدم

تأويله أنه نجع[1] في النبات حتى خالطه، فَأَخَذَ النَّبَاتُ زخرفهُ.

﴿فَأَصْبَح هَشِيماً﴾.

والهَشِيمُ النباتُ الجافّ الذي تسفيه الريح.

﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾.

ويقرأ الريح، وفي تذروه لغتان لَا يُقْرَأُ بِهمَا: تُـذْرِيه ـ بضم التـاء وكسر الراء، وتَذْرِيه بفتح التـاء. أعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أنَّ الحَيَاةَ الدنيا زَائِلَةٌ، ودَليلُ ذَلِك أنَّ مَا مَضَى منها بمنزلة ما لم يكن، وأعلم أن مثلها هذا المثل.

وقوله:﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ مُقْتَدِراً﴾.

أي على الإنشاء، والإفناء، مقتدراً.

فإن قال قائل: «فالكلام كان اللَّه»[2]، فتأويله أَنَّ مَا شَاهَـدْتَم من قدرتـه ليس بحـادث عنده، وأنـه كذلـك كان لم يـزل. هذا مـذهب سيبـويـه، وقـال الحسَنُ:﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ مُقْتَـدِراً﴾ أي كان مقتـدراً عليه قبـل كونـه، وقـال بَعْضُهُمْ: «كان» مِنَ اللَّه بمنـزلة كـائن ويكـون. وقـولُ الحسنِ فِي هـذَا حسنٌ جميل ومذهب سيبويه والخليـل مذهب النحـويين الحُذَّاقِ كمـا وَصَفْنَا، لأنهم يقولون: إنما خوطبت العربُ بلُغتِها ونزل القرآن بما يَعْقِلُونه ويتخـاطبون بـه، والعربُ لا تعـرف كان في معنى يكـون، إلا أن يدخـل على الحرف آلـةٌ تنقلها إلى معنى الاستقبال، وكذلك لا يعرف الماضي في معنى الحال.

فهـذا شرح مـا في القرآن من هـذا الباب نحـو قولـه:﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُـوراً رَحِيماً﴾، ﴿وَكَانَ اللَّهَ بكُلِّ شَيءٍ عَلِيماً﴾، وقد فسرناه قبل هذا الموضع[3].

---

(١) دخل فيه. يقال: نجع العلف في الدّابّةِ ونجع الوعظ والخطاب في الرجل دخل فيه وأثر.

(٢) كان تقدير الكلام، واللَّه على كل شيء مقتدر ـ ولكن «كان» أفادت أنه قد تم وحدث فعلاً.

(٣) انظر تفسير سورة النساء في جـ ٢.

وقوله: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خيرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾.

﴿الباقيات الصالحات﴾ هي الصلوات الخمس، وقيل هي: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. والباقيات الصالحات - والله أعلم - كل عمل صالح يبقى ثوابه، فالصلوات الخمس وتوحيد الله وتعظيمه داخل في الباقيات الصَّالِحاتِ، وكذلك الصدقات والصيام والجهاد وَأَعْمَالُ الخير والبرِّ كُلِّهَا.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾.

﴿يَوْمَ﴾ منصوب على معنى التلاوة والذكر، المعنى واذكر يوم نسير الجبال، ويجوز أن يكون نصبه على «والبَاقِيَاتُ الصالِحاتُ خيرٌ يوم يسيّر الجبال»، أي خير في القيامة من الأعمال التي تبقى آثامها.

وقوله: ﴿وَتَرى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾، معناه ظاهرة، وقد سُيِّرَت جبالها، واجتثت أشجارها، وذهبت أَبْنِيتُهَا فبقيتْ ظَاهِرَةً، وقد ألقت ما فيها وتخلت.

وقوله: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحداً﴾.

أي لَمْ نُخَلِّفْ أَحداً مِنهُم.

﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً﴾.

معناه أنهم كلهم ظاهرون لله، تُرَى جماعَتُهم كما يُرَى كل واحدٍ منهم، لا يَحْجُبُ واحدٌ واحداً.

وقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كما خلقناكم أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

أي بعثناكم كما خَلَقْنَاكم. وجاء في التفسير أنهم يُحْشَرُونَ عُرَاةً غُرْلاً حُفاةً، معنى غُرْلاً، جمع أَغْرَل وهو الأَقْلَفُ[1].

---

(١) الذي لم يختتن.

وقوله: ﴿بَلْ زَعَمْتُم أَنْ لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً﴾.

أي بل زَعمتم أن لن تُبْعَثُوا، لأن اللَّه جل ثناؤه، وعدَهُم بالبَعْثِ.

وقوله: ﴿وَوُضِعَ الكِتَابُ﴾.

معناه - واللَّه أعلم - وُضِعَ كتابُ كُلِّ امْـرِئٍ بِيَمينهِ أو شماله.

﴿فَتَرى المُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ، ويَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا﴾.

كل من وقع في هلكةٍ دعا بالويل.

﴿مَالِهَذَا الكِتَابِ لا يغادِرُ صَغِيرةً ولا كبيرةً إلَّا أَحْصَاهَا﴾.

أي لا تاركاً صغيرةً.

﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ ربُّك أَحَداً﴾.

أي إنما يعاقبهم فيضع العقوبة موضعها في مُجازاة الذُّنوبِ. وأجمع أهل اللغة أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه.

وقوله تعالى: ﴿فَسَجَدُوا إلَّا إبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّه﴾.

قوله: ﴿فَفَسَقَ عن أَمْرِ رَبِّه﴾ دليل على أنه أمر بالسجود مع الملائكة، وأكثر ما في التفسير أن إبليس من غير الملائكة وقد ذكره اللَّه عز وجل أنه كان من الجِنِّ بمنزلة آدم من الانس، وقد قيل إنَّ الجِنَّ ضَربٌ من الملائكة، كانوا خُزَّانَ الأرض، وقيل خزان الجنانِ.

فإن قال قائل: فكيف استثنى مع ذكر الملائكة، فقال فسجدوا إلَّا إبليس، فكيف وقع الاستثناء وليس هو من الأول، فالجواب في هذا أنه أُمِرَ مَعَهُمْ بالسجود فاستثنى من أنّه لَمْ يَسْجُد، والدليل على ذلك أنك تقول: أمرت عَبْدِي وأخوتي فأطاعوني إلا عبدي، وكذلك قوله عزوجل: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لي إلَّا رَبَّ العَالَمِينَ﴾[1]، ورب العالمين ليس كمثله شيء، وقد جرى ذكره في

(١) سورة الشعراء الآية ٧٧ من كلام إبراهيم عليه السلام - ذكر ان الأصنام أعداؤه واستثنى رب العالمين وليس داخلاً فيهم.

الاستثناء، وهو استثناء ليس من الأول. ولا يقدر أحد أن يعرف معنى الكلام غيرَ هذا.

﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾.

فيه ثلاثة أوجه، يجوز أن يكون معناه: خرج عن أَمْر رَبِّه، يقال: فسقت الرطبة إذا خرجت عن قِشْرِهَا، وقال قطرب: يجوز أن يكون معناه فسق عن رَدِّ أَمْرِ رَبِّه، ومذهب سيبويه والخليل وهو الحق عندنا أن معنى ﴿فسق عن أَمْرِ رَبِّه﴾ أتاه الفسق لما أُمِرَ فعصى، فكان سبَبَ فسقِه أَمْرُ رَبِّه، كما تقول أطعمه عن جوع وكساه عن عُرْيٍ. المعنى كان سَبَبَ فسقه الأَمْرُ بالسُّجودِ لَما كان سببَ الإطعام الجوعُ، وسبب الكِسْوة العُرْى.

وقوله: ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾.

معناه أنه بئس ما استبدل به الظالمون من رب العزة جل وعز، إبليسُ

وقولُه: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾.

أي لم يكونوا مَوْجُودين إذ خلقت السموات والأرض.

﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّين عَضُداً﴾.

ويقرأ وما كنتَ متخذَ المُضلِّين ـ بفتح التاء ـ[1] المعنى في فتحها: ما كنتَ يا محمَّدُ لتتخذ المُضلِّين أنصاراً، وضم التاء هي القراءة، وعليها المعنى.

يخبر اللَّه عز وجل بقدرته، وأنه لا يعتضِدُ فيها ولا في نُصْرتِ بالمضِلِّينَ والاعتضادُ التقوى وطلب المعونة، يقال: اعتضدت بفلانٍ، معناه استعنتُ به. و «عَضُداً» فيه خمسة أوجه، وجهان منها كثيران جَيِّدان، وهما[2]

---

(١) التاء في «كنت».

(٢) في الأصل وهي.

عَضُد بفتح العين وضم الضاد، وعُضُد ـ بضم العين والضاد ـ ويجوز عَضْـداً، وعُضْداً، بتسكين الضاد وضم العين وفتحهـا. وقد رويت عَضِـد بِكَسْر الضَّـادِ ويجوز في عَضِد بكسر الضاد «عَضْداً».

وقوله:﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُم﴾.

أضافهم إليه على قولهم .

وقوله:﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً﴾.

جعلنـا بينهم من العذاب مَـا يُوبِقُهم، أي يُهْلِكُهمْ، والمَـوْبِقُ المَهْلِكُ، يقـال وَبِقَ الرجـل يَوْبَقُ، وَبَقـاً ويقال يَيْبَقُ، وبـائق، وفيه لغـة أخـرى وبَق يبقُ وَبُوقاً، وهو وَابِقٌ، والأَوَّلُ هُوَ وَبِقٌ.

وقوله عز وجل:﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾.

القراءة «وَرَأى»، ويجوز «ورَاءَ» المجرمون مثل وراعَ، كما قال كُثَيِّر:

وكــلُّ خليــلٍ رَاءني فهــو قــائــل ... من أَجلك هـذا هامـة اليوم أَوْغَدِ[1]

قوله:﴿فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾.

معناه أَيْقَنُوا. وقد بينا ذلك .

﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفاً﴾.

أي معدلاً، قال أبو كَبير[2].

---

(١) هامة اليوم ـ أي هالك في هذا اليوم ـ أي كل من رآه قال انه يقضي نحبه قريباً مما أصابه من حبها وهي تهجره. انظر ديوانه ١١١

واللسان (رأى) وابن الشجري ٢/١٩ والكامل ٢/٢١٧ (تجارية) وكتاب سيبويه ٣/٤٦٧.

(٢) هو عامر بن الحليس أحد بني سعد بن هذيـل. وهو الـذي تزوج أم تـأبط شرًّا، ولـه معها قصـة مشهورة جاءت في خزانة الأدب حـ٣/٤٦٧ (بولاق) وهو صحابي اشتهر بكنيته، وقد أتى إلى النبي ﷺ بعد إسلامه يطلب منه أن يبيح له الزنا، فقال لـه النبي ﷺ أتحب أن يؤتى إليك بمثـل ذلك؟ فقال لا، قال: فارض لأخيك بما ترضى لنفسك، قال فادع اللّه أن يذهبه عني. =

أَزُهيرِ هل عن شيبةٍ مِنْ مَصْرِفِ أم لاَ خُلُودَ لِبادِلٍ متكلِّفِ

وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾.

أي من كل مثل يحتاجون إليه، أي بَيَّنَّاهُ لَهُمْ.

وقوله: ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيءٍ جَدَلاً﴾.

معناه كان الكافِرُ، ويدل عليه قوله: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾.

فإن قال قائل: وهل يجادل غيرُ الانسان، فالجواب في ذلك أن أبليس قد جادل، وأن كل ما يعقل من الملائكةِ والجِنّ يجادل، وَلَكِنَّ الإِنسانَ أكثر هذه الأشياء جَدَلاً.

وقوله: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾.

موضع «أن» نصبٌ. المعنى وما منع الناس من الإيمان ﴿إلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾.

المعنى إلاَّ طلَبَ أنْ تَأتيهُمْ سُنَّةُ الأوَّلينَ. وسنَّةُ الأولين أنهم عاينوا العذاب، فطلَبَ المشركون أن قالوا: ﴿اللَّهُمَّ إنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(1).

﴿أَوْ يأْتِيَهُمُ العَذَابُ قُبُلاً﴾.

ويقرأ قِبَلاً - بكسر القاف وفتح الباء -، ويجوز قُبْلاً - بتسكين الباء - ولم يَقْرأْ بها أحدٌ. وموضع «أن» في قوله «إلاَّ أَنْ تأتيهُمْ» رفع، وتأويل قِبَلاً مُعَايَنَةً،

= وزهير هي زهيرة ابنته - منادى مرخم، وشيبة صديق له مات وهو يبكيه بهذا الشعر - والقصيدة في ديوان الهذليين ٢/١٠٤، واللسان (حرف) وروايته هناك: «هل عن شيبة امن محرف» - ومحرف كمصرف وزنا ومعنىً.

(١) سورة الأنفال الآية ٣٢.

وتأويل قُبُلاً جمع قَبِيل، المعنى أو يأتيهم العذاب أنواعاً. ويجوز أن يكون تأويل قُبُلاً بمعنى من قُبُل أي مما يقابلهم.

وقوله: ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَنْ أَبَداً﴾.

هؤلاء قد أخبر اللَّه عنهم أنهم من أهل الطَّبع فقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنا عَلَى قُلوبِهِم أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾.

أكِنَّة جمع كنانة، وهو الغطاء، وهو مثل عِنَان وأَعِنَّة. فأعلم اللَّه عز وجل أن هؤلاء بأعيانهم لن يهتدوا أبداً.

وقوله: ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً﴾.

الموئل المنجا، يقال وَأَل يَئِلُ إذَا نجا.

وقوله: ﴿وَتِلْكَ القُرَى أَهْلكنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾.

المعنى وأهل تلك القرى أهلكناهم، يعنى به من أُهْلَكَ من الأمَمُ الخالية، نحو عاد وثمود وقوم لوط ومن ذُكِرَ بالهَلاَكِ.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً﴾.

أي أجلاً، وفيها ثلاثة أوجه: لِمُهْلَكِهِمْ، وتأويل الْمُهْلَكِ على ضربين، على المصدر[1]، وعلى الوقت، معنى المصدر لإهْلاَكهم، ومعنى الوَقتِ لِوَقْتِ إهلاكهم وكل فعل ماض على أفعل فالمصدر منه مُفْعَل، أو إفْعَال، واسمُ الزَّمَانِ منه مُفْعَل، وكذلك اسم المكان، تقول أَدخَلْتُه مُدْخَلاً، وهذا مُدْخَله أي المكانُ الذي يدخل زيدٌ منه، وهذا مُدْخَلُه أي وقت إدخاله، ويجوز أن يقرأ «لمَهْلِكِهم» على أن يكون مَهْلك اسماً للزَّمَانِ على معنى هَلَك يهلِكُ، وهذا زمن مَهْلِكِه مثل جلَس يجلس، إذا أردت المكانَ أو الزَّمَانَ، فإذا أردت المَصْدَرَ قلت مَهْلَك بفتح اللام مثل مجلَس، يقال: أَتَتْ الناقةُ عَلَى مَضْرِبها

(١) مصدر ميمي من أهلك، أو اسم زمان.

ايْ على زَمانِ ضِرَابِها، وتقول جَلَس مجْلَساً ـ بفتح اللام ـ ومثله هلك مَهْلَكاً أي هُلْكاً.

وموضع ﴿تلكَ القُرَى﴾ رفع بالابتداء، والقرى صفة لها مُبَيِّنَةٌ، وأهلكناهم خبر الابتداء. وَجَائِزٌ أن يكون موضع ﴿تلك القرى﴾ نَصْباً ويكون أهلكناهم مُفسِّراً للناصِب، ويكون المعنى وأهلكنا تلك القرى أهلكناهم.

وقوله: ﴿وإذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾.

وإن شئْتَ قلت بالإمَالةِ والكسْر، وهي لغة تميم، وأهل الحجاز، يفتحونَ ويُفَخِّمُونَ. ويروى في التفسير أَنَّ فتاه «يُوشَع» بنُ نون.

﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ﴾.

معنى ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ لا أزال، ولو كان لا أزول كان مُحَالًا[1]، لأنه إذا لم يزل من مكانه لم يقطع أَرْضاً، ومعنى لا أبرح في معنى لا أزال، موجود في كلام العرب، قال الشاعر: [2].

وأَبْرَحُ مَا أَدَام اللَّه قَوْمِي ... بحمد اللَّه منتطقاً مُجيداً

أي لا أزال.

---

(١) لا أزال أفعل. أي أظل أفعل، ولا أزول من مكاني لا أنتقل.

(٢) هو خداش بن زهير بن ربيعة من هوازن ـ شاعر مشهور وهو الذي أعان قيس بن الخطيم على الأخذ بثأر أبيه وجده من قاتله وهو من قوم خداش ـ وله ترجمة في المؤتلف والمختلف ص ١٥٣.

ويقال انتطق فرَسَه إذا جنبه ولم يركبه، ومجيداً أي جواداً أمنح المال، يريد أن قومه كفوه القتال فما داموا فهو مجتنب جواده ويفسر البيت أيضاً بأن أبرح بمعنى لا أبرح حذفت منه لا ـ وصحح صاحب اللسان كلمة قومي برهطي لقوله منتطقاً بالافراد. فمنتطقاً إذن هي خبر دام. أي ما دام رهطي منتطقاً فلا أبرح أنا مجيداً

انظر اللسان (نطق).

وإنما سمى فتاه لأنه كان يخدِمُه، والـدليل على ذلـك قول موسى: ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾.

وقوله: ﴿حُقُباً﴾.

الحقبُ ثمـانون سنـةً، وكان مجمـع البحرين المـوضع الـذي وعد فيـه موسى بلقاء الخضِر [عليه السلام]. وأحب اللَّه عز وجل أن يُعْلمَ موسى ـ وإن كان قد أوتي التـوراة أنه قـد أُوتيَ غيره من العلم أيضـاً ما ليس عنـده، فَوُعِـدَ بلقاء الخضِر.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾.

يعني به موسى ويوشَع.

﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾

وكانت فيما روي سمكة مملوحة، وكانت آية لموسى في الموضـع الذي يلقى فيه الخَضِر.

﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً﴾.

أحيا اللَّه السمكة حتى سربَت في البحر، وسرباً منصـوب على جهتين، على المفعول كقولك: اتخذت طـريقي في الشرب، واتخـذت طريقي مكـان كذا وكذا، فيكون مفعولاً ثانياً كقولك اتخـذت زيداً وَكِيـلاً. ويجوز أن يكـون «سَرَباً» مَصْدَراً يدل عليه ﴿فاتخذ سبِيلَه في البحر﴾ فيكون المعنى نَسيَا حُـوتَهُمَا فجعل الحوتُ طريقَه في البحر ثم بين كيف ذلك، فكأنه قال: سَرَبَ الحُـوتُ سَرباً، ومعنى نسيا حوتهما، كان النسيان مِنْ يُوشَـع أن تقدمـه، وكان النسيـانُ من موسى أن يأمره فيه بشيء.

وقوله: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾.

والصخرة موضع المَوْعِد.

﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ﴾.

وهذا قَوْلُ يُوشَع لِمُوسَى، حين قال موسى ﴿آتنا غَدَاءَنَا﴾، وكانت السمكة من عُدَّةِ غدائهما، فقال:

﴿وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾.

كَسْرُ الهاء وضمها جائِزَان في ﴿أَنْسَانِيه﴾، ﴿أَنْ أذكره﴾ بدلٌ من الهاء لاشتمال الذكر على الهاء في المعنى، والمعنى وما أنساني أن أذكره إلَّا الشيطانُ.

﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ عَجَباً﴾.

﴿عَجَباً﴾ منصوب على وجهين، على قول يوشع: واتخذ الحوت سبيله في البحر عجباً، ويجوز أن يكون قال يوشع: اتخذ الحوت سبيله في البحر، فأجابه موسى فقال: عجباً، كأنه قال: أَعْجَبُ عَجَباً، ثم قال: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي﴾.

الأكثر في الوقف نَبْغِ على اتباع المصحف. وبعد «نبغ» آيةٌ[1] ويجوز وهو أحسن في العربية ﴿ذلك ما كنا نبغي﴾ في الوقف. أما الوصل فالأحسن فيه نبغي بإثبات الياء، وهذا مذهب أبي عمرو، وهو أقوى في العربية.

ومعنى قول موسى (عليه السلام): ﴿ذلكَ مَا كُنَّا نبغي﴾، أي ما كنا نريد، لأنه وعد بالخَضِر في ذلك المكان الذي تتسرب فيه السمكة.

﴿فارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً﴾.

أي رجعا في الطريق الذي سلكاه يقصان الأَثَر قَصَصاً، والقصص اتباع الأثر.

---

(١) أي رأس آية يوقف عليه.

﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾.

يعنى بـه الخضِرُ، وقيـل إنما سمي الـخَـضِـرُ لأنـه كـان إذا صلى في مكان اخضر ما حوله.

وفيما فعله موسى ـ وهو من جِلَّةِ الأنبياء، وقد أُوتيَ التوراةَ،[١] من طلبه العلم والرحلة في ذلك مـا يدل على أنه لا ينبغي لأحَدٍ أن يترك طلب العلم، وإن كان قد بلغ نهايته وأحاط بأكثر ما يدركه أهل زمانه، وأَنْ يتواضع لمن هو أعلم منه.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾.

ورَشَداً، والفُعْلُ والفَعَلُ نحو الرُّشْدُ والرَّشَدُ كثير في العربيـة نحو البُخْـلُ والبَخَلُ، والعُجْمُ والعَجَمُ، والعُرْبُ والعَرَبُ.

﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾.

هذا قول الخِضْرِ لمُوسَى، ثم أعلمه العلة في ترك الصبر فقال:

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾.

أي وكيف تصبر على ما ظاهِرُه منكر، والأنبياء والصـالحون لا يَصْبِـرُون على ما يرونه منكراً.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِراً﴾.

هذا قول موسى للخَضِر.

وقوله: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً﴾.

أي إنْ أنْكَرتَهُ فلا تعجل بالمسألـة إلى أن أبيّن لك الـوجه فيـه، ونصب

(١) من بيانية، أي فيما أوتي من طلب العلم.

﴿خَبراً﴾[1] على المصدر لأن معنى لم تحط به لم تَخْبُرْهُ خُبْـراً،[2] ومثله قول امرئ القيس[3].

وَصِـرْنَـا إلى الحُسنى ورق حـدِيثُنَـا ورضـت فَـذَلَّت صَـعْبَـةٌ أيَّ إذْلاَلِ

لأن معنى رُضْتُ أذلَلْتُ، وكذلك أحطت به في معنى خبـرته.

وقوله :﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَها﴾.

أي خرقها الخَضِرُ.

﴿قـال أَخَرَقْتَهـا لتغرق أَهْلَهَـا﴾، ولِيَغْرَقَ أَهْلُهـا، وكان خـرقها ممـا يلي الماء، لأن التفسير جاء بأنه خرقها بأن قلع لوحين مما يلي الماء، فقال:

﴿لَقَـدْ جِئتَ شَيْئاً إِمْراً﴾.

ومعنى امْراً شيئاً عَظِيماً مِنَ الـمُنْكَر.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾.

فلما رأى موسى أن الخَـرْقَ لم يَدْخُـل مِنْهُ المـاءُ، وأَنَّه لمْ يُضِـرْ مَن فِي السفينة:

﴿قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً﴾.

ومعنى ترهقني تُغَشِّيني، أي عاملني باليسر لا بالعسر.

وقوله : ﴿حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاَماً فَقَتَلَهُ﴾.

معناه فقتله الخَضِرُ، ﴿قال أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ، لَقَـدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً﴾.

---

(١) من الآية :﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً﴾.

(٢) ظاهر أنه تمييز محول ـ أي لم يحط خبرك به.

(٣) من لاميته : ألا أنعم صباحاً أيها الطلل البالي ـ التي تعد معلقة ثانية له. ويروى و «عجنـا» رجعنا إلى الحالة اليسرى، وأذعنت لما راودها عنه ـ انظر ـ الديوان.

وليس في البيت دليل على ما أراد. إذ هو يريد رضيَّتها حتى ذلت في حال تشددها.

قالوا في زكيَّةٍ بريئة، أي لم يُرَ مَا يُوجِبُ قتلَها، ونُكْراً أقل من قولـه إمْراً، لأن تغـريق من في السفينة كـان عنده أنكـر مِنْ قَتْلِ نفسٍ وَاحِـدَةٍ وقد قيـل إنَّ نكراً ههنا معناه لقد جئتَ شيئاً أَنْكَرَ من الأمر الأول.

و ﴿نُكْرَاً﴾ منصوب على ضربين: أحدهما معناه أتيْتَ شيئاً نكراً، ويجوز أن يكون معناه: جِئْتُ بشَيءٍ نكرٍ، فلما حذف الباء أفضى الفعل فنصب.

﴿قَـالَ إنْ سَـأَلْتُـكَ عَنْ شَيءٍ بَعْـدَهَـا﴾ أي بعـد هـذه المسـألـة: ﴿فَـلَا تُصَاحِبْني﴾.

ويُقْرأُ فلا تصْحَبْني، وَقِرَاءةٌ شَاذَّةٌ فَلَا تُصْحِبْني..

فمن قـرأ فلا تَصْحَبْني فـإن معنـاه فَـلَا تَكُـونَنَّ صَـاحِبِي، ومن قـرأ فـلا تصـاحبني فمعنـاه إنْ طلبتُ صِحبتـك فـلا تتـابعني على ذلـك، ومن قـرأ تُصْحِبْني، ففيهـا بأربعـة أوجه، فـأَجْوَدهـا فلا تُتـابعْني على ذلـك، يقـال قـد أصحب المُهْـرُ إذا انقاد، فيكـون معناه فـلا تتـابعَني في شيء ألتمسه منـك، ويجوز أن يكونَ معناه فَلَا تُصْحِبْني أحَـداً[1] ولا أعرف لهـذا معنى لأن موسى لم يكن سأل الخَضِرَ أن يصْحِبَهُ أحَداً.

وقوله: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنّي عُذْراً﴾.

ويقرأ من لَدُني بتخفيف النُّـونِ، لأن أصل لَـدُنْ الإسكان، فـإذا أضَفْتَها إلى نَفْسِك زدت نوناً ليَعْلَمَ سُكُونُ النُّـونِ الأولى، تقول من لَـدُنْ زَيْدٍ، فتُسْكِنَ النُّونَ ثم تضيف إلى نفسك، فتقول من لَدُنِي كمـا تقول عن زَيْـدٍ وَعَني. ومن قـال مِنْ لَدْنِي لم يجـز أن يقولَ عَنِي ومِنِي بحـذف النُّونِ، لأن لـدن اسم غير متمكن، ومن وعن حـرفـانِ جـاءا لمعنًى، ولـدُنْ مـع ذلـك أَثْقَـلُ مِنْ «مِنْ» و «عَنْ». والدليل على أن الأسماء يجوز فيهـا حذف النـون قولهم: قَـدْني في

---

(١) لم يذكر الوجوه الأربعة وإنما ذكر اثنين فقط.

معنى حَسْبِي، ويقولون قد زَيْدٍ فيدخلون النون لما ذكرناه. إذا أضيفت. ويجوز قَدِي بحذف النون لأن قَدْ اسم غير متمكنٍ، قال الشاعر فجاء باللغتين:

قَدْنِيَ مِنْ نَصْرِ الخُبَيْبَيْن قَدِي[٢]

فأما إسكانهم دال لَدْن فأسكنوها كما يقولون في عَضُد: عَضْدٍ، فيحذفون الضَّمَّةَ.

وقوله: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾.

زعم سيبويه أنّ معنى مثل هذا التوكيد[٣]، والمعنى هذا فراق بيننا أي هذا فراق اتصالنا، قال: ومثل هذا أمر الكلام: أخزى اللّه الكاذب مِنّي وَمِنْكَ، فذكر بيني وبينك ثانيةً توْكيدٌ، وهذا لا يكونُ إلّا بالواو ولا يجوز: «هذا فراق بيني فَبيْنِكَ» لأن معنى الواو الاجتماع، ومعنى الفاء أن يأتي الثاني في إثْر الأول.

وقوله: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِي البَحْرِ﴾.

مَسَاكِينُ لَا يَنْصَرِفُ لأنه جمع لا يكون على مثال الواحد، وكذلك كل جمع نحو مساجد ومفاتيح وطوامير[٤]، لَا يَنصرف كما ذكرنا. وقد بينا ذلك فيما تقدم في باب ما لا ينصرف[٥].

---

(١) يقال قد زيدٍ بالإضافة، مثل حسب زيد.

(٢) الرجز لحميد بن مالك الأرقط ـ وبعده: ـ ليس الإمام بالشحيح الملحد ـ والملحد الظالم في الحرم ـ ويروى هذا الشطر: ليس أميري. وهو يتحدث إلى عبد الملك بن مروان واصفاً تقاعده عن نصر عبد اللّه بن الزبير وأخيه مصعب ـ وكان عبد اللّه يكنى أبا خبيب ـ واستعمل «الخبيبين» هنا على التغليب ـ وهو يعرض ببخلها ووصف عبد الملك بالإمام وبأنه أميره، يريد أن الزبيريين لم يكونا أئمة ولا لهما عليه إمارة.

والبيت في شواهد المغني ١٦٦، وكامل المبرد ص ٨٤ (التجارية) والخزانة ٢/٤٤٩، وابن يعيش ١/٤٤٢ ومن شواهد النحو الشائعة.

(٣) يريد تكرار كلمة بين.

(٤) طوامير جمع طامور وطومار وهو الصحيفة.

(٥) أي في الكلام على ما لا ينصرف.

وقوله:﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَة غَصْباً﴾.

كان يأخذ كل سفينة لا عَيْبَ فيها غَصْباً، فإن كانت عائبة لم يعرض لها. ووَرَاءَهُم: خلفهم، هَذَا أجود الوجهين، ويجوز أن يكون: كان رجوعهم في طريقهم عليه ولم يكونوا يعلمون بخبره فأعلم اللَّه الخَضِر خَبَرهُ، وقيل: ﴿كَانَ وَرَاءَهُمْ﴾ معناه كان قدَّامَهُمْ. وهذا جائز في العربية، لأنه ما بين يَدَيْكَ وَمَا قدَّامَك إذا توارَى عنك فقد صار وراءك، قال الشاعر[1]:

أَلَيْسَ وَرَائي إنْ تَراخَتْ مَنيَّتي لزوم العصا تحنى عليها الأَصَابعُ

وقوله:﴿وَأَمَّا الغُلَامُ فَكانَ أَبواهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً﴾.

﴿يرهقهما﴾ يحملهما على الرهق وهو الجهل، وقوله ﴿فخشينا﴾ من كلام الخَضِرِ، وقال قوم لا يجوز أن يكون فخشينا عن اللَّه، وقالوا دليلنا على أن فخشينا من كلام الخضِر قوله ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خيراً﴾ وهذا جائز أن يكونَ عن اللَّه عز وجلّ: فخشينا، لأن الخشية من اللَّه عزّ وجلّ معناه الكَرَاهَةُ، ومعناها من الآدميين الخَوْفُ.

وقوله: ﴿فَأَرَدْنَا﴾.

بمعنى أراد اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ لأن لفظ الإخْبَارِ عن اللَّه كذا أكْثَرُ من أن يُحْصَى.

ومعنى:﴿وَأَقْرَبَ رُحْماً﴾.

أي أقرب عَطْفاً وأَمَسُّ بِالقَرابَةِ، والرُّحْمُ والرَّحْمُ في اللُّغَةِ العطف والرحمةُ قال الشاعر[2]:

---

(١) هو لبيد بن ربيعة العامري. من عينيته في رثاء أخيه أربد التي أولها: (بلينا وما تبلى النجوم الطوالع) وهي بديوانه والبيت الذي هنا أيضاً في اللسان (وراء).

(٢) أورده أبو عبيدة في مجازه ١/٤١٣ وقبله هذا البيت:

فلا ومُنَزِّلِ الفرقا ن مالك عندها ظلم

وكيف بظُلْمِ جَارِيَةٍ ومنها اللين والرُّحْمُ

وقوله :﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا﴾ وتقرأ أَنْ يُضيفوهُمَا. يقَالُ: ضِفْتُ الرَّجُلَ نـزلت عليه، وأضَفْتُه وضَيَّفْتُه، إذا أنزلتُه وقَرَيْتُه

وقوله:﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾.

أي فأقامه الخَضِرُ، ومعنى جِدَاراً يُريدُ، -والإرادة إنما تكون في الحيوانِ المبين-، والجدار لا يُريدُ ارادة حقيقيةَ، إلَّا أن هيئته في التهيؤ للسقوط قد ظهرت كما نظهر أفعال المريدين القاصدين، فوصف بالإرادة إذ الصورتان واحدة، وهذا كثير في الشعر واللغة، قال الراعي يصف الإبل:

في مهمه قلقت به هاماتها قلق الفُؤوسِ إذَا أَرَدْنَ نُصولاً[١]

وقال الآخر[٢]:

يُريد الرُّمحُ صدْرَ أَبي بَراءٍ ويَرْغَبُ عن دِمَاءِ بني عَقِيلِ

ويقرأ أن ينقض، وأن يَنْقَاضَّ، فينقض يسقط بسرعة، وينقاض ينشقُّ طولاً. يقال انقاضَّتْ سِنُّه إذا انشقَّت طُولاً

وقوله:﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾.

ويُرْوَى لَتَخِذْتَ، وذلك أنهما لما نزلا القرية لم يُضَيِّفْهُمَا أهْلُهَا، ولا

وانظر اللسان (رحم) - والقرطبي ١١/٣٧.

(١) من لاميته المشهورة - يصف الإبل بأنها كانت تضطرب في صحراء واسعة فلا تكاد تثبت. (انظر القصيدة في آخر ديوان جرير. ط الصادي والبيت في اللسان (ورد).

(٢) البيت في اللسان (رود). وفي مجاز أبي عبيدة ١/٤١٠، منسوباً للحارثي، ولم يبين من هو، وانظر الطبري ١٥/١٧١، والقرطبي ١١/٢٦. وشواهد الكشاف ١٠١. وروايته: (ويعدل عن دماء بني عقيل).

أَنْـزَلُوهُمَـا فَقَالَ مُـوسَى لو شِئتَ لأَخَـذْتَ أجرة إقـامَتِـكَ هـذا الحـائط، ويقـرأ لتخذت عليه أجراً، يقال تَخِـذَ يتْخَذُ في اتَّخَـذَ يَتخُذُ، وأصـل تَخِذْتُ أَخَـــذْتَ وأصل اتَّخَذت ائْتَخذْت

وقوله :﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾.

قيل كان الكنز عِلْماً وقيل كان الكنزِ مالاً، والمعروف في اللغة أن الكَنْـزَ إذَا أُفْـرِدَ فمعناه المـالُ المدْفُـونَ والمدَّخَـرُ فإذا لم يكن المـال قيل: عنـده كَنْزُ عِلْمٍ وله كَنْزُ فَهْمٍ، والكنز ههنا بـالمال أشْبَـهُ، لأن العلم لا يكـــاد يتعـــلـم إلا بمعلّم، والمال لا يحتاج أن ينتفـع فيه بغيـره، وجائـز أن يكون الكَنْـزُ كان مالاً مكتوباً[1] فيه عِلم، لأنه قد رويَ أنه كان لوحاً مِنْ ذَهَبٍ عليه مكتوبٌ: «لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه»، فهذا مال وَعِلْمٌ عظيمٌ، هو توحيد اللَّه عزّ وجلّ وإعلام أن محمداً مبعوث.

وقوله :﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾.

﴿رَحْمَةً﴾ منصوبٌ على وَجْهَيْن، أحدهما قـوله فَـأَرَاد ربُّك وأَرَدْنَـا مَا ذَكَـرْنَا رحمةً أي للرحمة، أي فعلنا ذلك رَحْمَةً كما تقول: أنقَذْتُكَ من الهلكة رحمـة بك. ويجوز أن يكون رَحْمَةً منصوباً على المصـدر، لأن معنى فأراد ربُّـك أن يَبلُغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمهما اللَّه بذلك. وجميع ما ذكر من قولـه: فَـأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا، ومن قـوله فَـأَرَدْنَا أَنْ يُبَـدِّلَهُمَا رَبُّهُمَـا، معنـاه رحمهمـا اللَّه رحمة.

وقوله:﴿وَمَا فَعَلْتُه عَنْ أَمْرِي﴾.

يدل على أنه فعلـه بوحي اللَّه عزّ وجلّ.

وقوله:﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي القَرْنَيْنِ﴾.

---

(١) في الأصل «مكتوب».

كانت اليهود سألت عن قصة ذي القرنين على جنس الامتحان.
﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً﴾.

يقال إنه سمي ذا القرنين لأنه كانت له ضَفِيرتان، ويُـروَى عن علي عليه السلام أنه قال سمي ذا القرنين لأنه ضَرَبَ على جـانب رَأْسه الأيمن، وجـانب رأسه الأيسر، أي ضرب على قرني رأسه، ويجوز أن يكـون على مذهب أهـل اللغة أن يكون سُمِّيَ ذا القرنين لأنه بلغ قطري الدنيا ـ مشرقِ الشَّمسِ ومَغْرِبها

وقوله: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيءٍ سَبَباً فَاتَّبَعَ سَبَباً﴾.

ويقـرأ ﴿فأَتْبَـعَ﴾ أي آتينـاه من كـل شيء مـا يَبْلُغُ بِـهِ فِي التمَكُّنِ أَقْـطَارَ الأَرْضِ. ﴿سَبَبـاً﴾ أي عِلْماً يوصِّلهُ إلى حَيْثُ يريـد، كما سخـر اللَّه عزّ وجـلّ لسليمان الرِّيحَ.

ومعنى ﴿فَأَتْبَعَ سَبَباً﴾.
ـ واللَّه أعلم ـ أي فاتبع سبَبَاً من الأسباب التي أُوتِيَ.
﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ﴾.

ويُقْرَأُ ﴿حِمِئَة﴾ بالهمز فَمَن قرأ حَمِئةٍ أراد في عين ذَاتِ حماةٍ، ويقال حَمأْتُ البئر إذا أخرجتُ حَمْأَتَها، وأَحْمأْتُها ـ إذا ألقيت فيها الحَمْأةَ، وحمِئَتْ هي تحمأ فهي حمئة إذا صارت فيها الحماة، ومن قرأ حَامِيَـةً بغير همـز أراد حارَّةً، وقـد تكون حارّةً ذات حَمْأةٍ[1]

﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْماً﴾.
أي عند العين.
وقوله: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً﴾.

---

(١) الحمأة الطين الأسود المنتن.

أباحه اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ هـذَيْن الحكمين كما أباح محمداً ﷺ الحكم بين أهْلِ الكتاب أو الإعراضَ عنهم.

﴿قالَ أمّا مَنْ ظَلَم فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُم يُرَدُّ إلَى رَبِّه فَيُعَذِّبُه عَذَاباً نُكْراً﴾.

أي فسوف نعذِّبُه بالقتل وعَذَاب اللَّهِ إيَّاهُ بالنار أنْكَرُ من عذاب القتل.

وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءُ الحُسْنَى﴾.

وتُقرأُ ﴿جَزَاءً الحُسْنَى﴾، المعنى فله الحسنى جزاءً، وجزاء مصدر موضوع في موضع الحال. المعنى فله الحسنى مَجْزِيًّا بها جزاءً، ومن قرأ جزاءُ الحسنى، أضَافَ جزاء إلى الحسنى، وقد قرئ بهما جميعاً.

﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً﴾.

أي نقول له قولاً جميلاً

﴿ثم أَتْبَعَ سَبَباً﴾.

أي سبباً آخر مما يوصله إلى قُطْرٍ من أقطار الأرض.

﴿حتَّى إذَا بَلَغَ مَطْلَعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِها سِتْراً﴾.

أي لم نجعل لهم شيئاً يُظِلُّهُمْ من سقف ولا لباس.

وقوله: ﴿كَذَلِكَ﴾[1] يجوز أن يكون وجدها تطلع على قوم كذلك القبيل الذين كانوا عند مغرب الشمس، وأن حكمهم حكم أولئك.

وقوله: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً﴾.

أي سبباً ثالِثاً مما يبلُغُهُ قُطْراً من أقْطَارِ الأرْض.

---

(١) بجعل «كذلك» متصلة بما قبلها ـ بمعنى: أيضاً ـ ويقتضي هذا أن يكون القوم الذين رآهم عند مغرب الشمس لم يكن لهم ستر من دون الشمس أيضاً.

﴿حتَّى إِذَا بَلَغ بينَ السُّدَّيْنِ﴾، ويقرأ ﴿بين السَّدَّيْن﴾. وقيل ما كان مسدوداً خلقة فهو سُدٌّ، وما كان من عمل الناس فهو سَدٌّ.

وقوله: ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لَا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً﴾.

ويقرأ يُفقهون، فمعناه لا يكادون يُفْهِمُونَ.

﴿قالُوا يَا ذَا القَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾.

وتقرأ بالهمز في يأجوج ومأجوج، ويقرأ بغير همزٍ، وهما اسْمان أعجَميَّانِ لا ينصرفان لأنهما معرفةٌ.

وقال بَعضُ أهل اللغة: من هَمَزَ كأنه يجعله من أَجَّةِ الحرّ، ومن قوله مِلْحٌ أُجَاجٌ. وأجَّةُ الحَرِّ شدتُهُ وتَوَقُّدُه. ومن هذا قولهم أجَّجْتُ النَّارَ ويكون التقدير في يأجُوج يفعُول، وفي مَأْجُوج مفعول، وجائز أن يكون ترك الهمز على هذا المعنى، ويجوز أن يكون «مَاجوج» فاعول، وكذلك ياجوج، وهذا لو كان الاسمانِ عَرَبيّينِ لكان هذا اشتقاقهما، فأمَّا الأعجمية فلا تشتق من العربية.

وقوله:﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً﴾.

وَتُقْرأُ خَرَاجاً. فمن قرأ خَرْجاً، فالخَرْجُ الفَيْءُ، والخَرَاجُ الضَّرِيبَةُ وقيل الجِزْيَةُ، والخراج عند النحويين الاسم لما يُخْرَج من الفرائض في الأموال، والخَرْجُ المصْدَرُ.

وقوله عزّ وجلّ:﴿عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾.

أيْ تجعل بيننا وبين يأجُوج ومَأجُوجَ.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فيه رَبِّي خيْرٌ﴾.

ويجوز. ما مكَّنَنِي بنونين، أي الذي مكنني فيه رَبِّي خَيرٌ لي مما

يَجعَلُونَ لي من الخـراج. فمن قـرأ «مَكَّنِّي» أدغم النـون في النـون لاجتمــاع النـونين، ومن قرأ مَكَّـنَنِي بنُـونَيْنِ أَظهر النـونين لأنهما مِنْ كلِمَتَيْنِ. الأُولى من فعل والثانية تدخل مع الاسم المضمر.

وقوله: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾.

أي بعمل تعملونه معي لا بمال

﴿أجْعَلْ بينكُمْ وبَيْنَهُـمْ رَدْماً﴾.

والرَّدْمُ في اللغة أكثرُ مِنَ السَّدِّ[1]، لأنَّ الرَّدْم ما جُعِلَ بعضه على بعْضٍ يقال: ثوبٌ مُرَدَّمٌ، إذا كان قد رُقِعَ رُقعة فوق رُقعَة.

وقوله: ﴿آتُونِي زُبَرَ الحَدِيدِ﴾.

أي قطع الحديد، وواحد الزُّبَرِ زُبَرَة، وهي القطعة العظيمة.

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾.

وتقرأ الصُّدُفَيْنِ والصُّدْفَينِ، وهُما نَاحِيتَا الجَبَلِ.

وقوله: ﴿قَـالَ انْـفُـخُـوا﴾.

وهو أن أخذ قِطعَ الحديـد العِظَامِ وجعـل بينها الحـطب والفَحْمَ ووضع عليها المنافيخ[2] حتى إذا صارت كالنار، وهو قوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً﴾.

والحديد إذَا أُحْمِيَ بالفحم والمِنْفَاخِ صارَ كالنَّارِ.

وقوله: ﴿قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً﴾.

المعنى أعـطوني قِطْراً وهـو النحاس. فصب النحـاس المُـذَابَ[3] على

---

(١) أي أكبر في حجمه وأكثر في ترابه.

(٢) جمع منفاخ آلة النفخ.

(٣) في الأصل: المذوب. وهو خطأ لأن ذاب لازم.

الحديد الـذي قد صـار كالـزيت فاختلط ولَصِقَ بعْضُـه ببعض حتى صار جبـلاً صَلْداً من حديد ونحاسٍ . ويقال إنه بناحية أرْمِينية .

وقوله عزّ وجلّ : ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ [وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً ﴾ .

أي ما قَدَرُوا أن يعلو عليه لارتفاعه وامْلِسَاسِـه وما استـطاعوا أَنْ يَنْقُبُـوه . وقوله : ﴿فما اسْطَاعُوا﴾ بغير تاء أصلها استطاعوا بـالتاء، ولكن التـاء والطاء من مخـرج واحـد، فحـذفت التـاء لاجْتِمَـاعِهِمَـا ويخفَّ اللفظُ، ومِنَ العَـرب من يقول: فما استـاعوا بغيـر طَاء، ولا تجـوز القراءة بهـا. ومنهم من يقول: فمـا أَسْـطَاعـوا بقـطع الألف، المعنى فمـا أطـاعـوا، فـزادوا السين. قـال الخليـل وسيبويه: زَادُوهُمَا عِوَضاً من ذهاب حركة الـواو، لأن الأصل في أطـاع أَطْوَعَ. فأما من قرأ فما اسْطَّاعوا ـ بإدغام السين في الـطاء ـ فلا حِسنٌ مخـطئ. زعم ذلك النحويون، الخليل ويُـونُس وسيبويـه، وجميع من قـال بقولهم. وَحُجَّتُهُمْ فِي ذلك أن السين ساكنة فإذا أدغمت التاء صارت طاء ساكنـة، ولا يجمع بين ساكنين. ومن قال: اطرح حركة التاء على السين فأقول: فمـا اَسَطاعُـوا فخطأ أيضاً، لأن سين استفعل لم تُحرَّكْ قط.

وقوله :﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ﴾ .

أي هذا التمكين الذي أدركتُ به السُّدَّ رحمةٌ من ربي .

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكاً . وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ .

وتقرأ ﴿دَكَّاءَ﴾، على فعلاء ـ يا هذا ـ والدَّكّاء والـدّكاء، كل ما انسبط مِن الأَرْض من مُرْتَفَع. يعنى أنه إذا كان يـومُ القيامَـةِ، أو في وقت خروج يَـأْجُوجَ ومَأْجُوجَ صار هذا الجبل دَكاً. والـدليل على أن هـذا الجبل يصيـر دَكًّا قـوله: ﴿ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ والجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ .[1]

---

(١) سورة الحاقة الآية ١٤ .

وقوله :﴿وَتَـرَكْنَا بعضَهُم يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْض ٍ ﴾ .

ومعنى يمـوجون في الشيء يخـوضون فيـه ويكثرون القـول. فجائـز أن يكون يعنى بـ «يومئذٍ» يوم القيامة، ويكون الدليل على ذلك ﴿وَنُفِـخَ في الصُّورِ فجمعناهم جَـمْعاً﴾.

ويجوز أن يكون﴿وَتَركْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْض ٍ﴾أي يوم انقضاء أمر السَّدِ ـ وقوله ﴿يَمُوجُ﴾، ماجوا متعجبين مِنَ السَّدِّ. ومعنى. . . ﴿نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾. قال أهل اللغة: الصـور جمع صـورة[1]. والذي جـاء في التفسير أن الصور قرن يَنْفُخ فيه اسرائيل ـ واللَّه أعلم ـ، إلا إن حملته أنه عند ذلك النَّفِخْ يكون بعث العباد ونشرهم[2]

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَعَرَضْنَاجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ للكافِرِين عَرْضَاً﴾.

تأويل عرضنا أظهـرنا لهم جهنم حتى شـاهدوهـا ورأوها .

وقوله: ﴿الَّذِين كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءِ عَنْ ذِكْرِي ﴾.

جعل اللَّه عزّ وجلّ على أبصارهم غشاوة بكفرهـم.

﴿وَكَانُوالاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً﴾.

كـانوا لعـداوتهم للنَّبيِّ ﷺ لا يقدرون أن يسمعـوا ما يتلى عليهم، كمـا تقول للكاره لقولك ما تقدر أن تسمع كلامي.

وقـوله عـزّ وجـلّ:﴿أَفَحَسِبَ الَّـذِينَ كَفَـرُوا أَنْ يَتَّخِـذُوا عِبَـادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ ﴾.

---

(١) قائل هذا هو أبو عبيدة في «مجازه» ولم يوافقه عليه العلماء، لعدم مناسبة ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات. .﴾الخ ويؤيد رأي المفسرين ﴿فإذا نقر في الناقور﴾.

(٢) أي يحمله على النفخة الثانية فقط.

تـأويله : أفحسبـوا أن ينفعهم اتخـاذهم عِبَـادِي أوليـاء، وقـرئت ـ وهي جَيِّدَةٌ ـ أفَحَسْبُ الذين كفروا . تأويله أفيكْفيهم أن يتخذوا العبادَ أولياء مِن دون اللَّه، ثمّ بين عزّ وجلّ جزاءهم فقال:﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّم لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً﴾ .

يقال لكل ما اتُخِذَ ليمكث فِيه، أعتَدْتُ لفلان كذا وكذا، أي اتَّخَذْتُهُ عَتَاداً له، ونُزُلاً، بمعْنَى مَنْزِلاً .

وقوله عزّ وجلّ :﴿بالأخْسَرِينَ أَعْمالاً﴾ .

منصوبٍ على التمييز لأنه إذْ قال[1] :﴿بِالأَخْسَرِينَ﴾ ،دل على أنه كان منهم[2] مـا خسِرَوه، فبين ذلـك الخَسْرَانَ فِي أيَ نـوعٍ وَقَع فـأعلم ـ جل وعـزّ ـ أنه لا ينفع عملٌ عُمل مع الكفر به شيئاً فقال :

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ .

كما قال تعالى :﴿الَّذِينَ كَفَـرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيـلِ اللَّه أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ و﴿الذين﴾ يصلح أنْ يكونَ جـرًّا ورَفْعاً، فـالجر نعت لـلأخسرين، والـرفع على الاستئناف، والمعنى هم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا .

﴿وَهُـمْ يَحْسَبُونَ﴾ .

وتقرأ يحْسِبُونَ

﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ .

أي يظنون أنهم بصدهم عن النبي ﷺ أنهم يُحْسِنُونَ صُنْعاً.

وقوله ـ عزّ وجلّ : ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـاتُ الفِرْدَوْسِ ﴾ .

اختلف الناس في تفسير الفـردوس، فقال قـوم : الفردوسُ الأَوْدِيـةُ التي

---

(١) في الأصل إذا .

(٢) في الأصل منها .

تنبت ضروباً من النبت، وقالوا: الفردوس البستان وقالوا: هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية، والفِرْدَوْسُ أيضاً ـ بالسريانية، كذا لفظة فردوس. ولم نجد في أشعار العرب إلا في بيت لحسان بن ثابت(١).

وإنَّ ثواب اللَّه كُلَّ موحدٍ جنانٌ من الفرْدَوْسِ فيها يخلَّدُ

وحقيقته أنه البُستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين لأنه عند أهل كل لغة كذلك، ولهذا قال حسان بن ثابت: «جِنانٌ من الفردوس»، وقولهم: إنه البستان يحقق هذا.

والجنة أيضاً في اللغة البُسْتَان، إلاَّ أن الجنة الَّتِي يَدْخُلُهَا المؤمنون فيها ما يكون في البساتين، ويدل عليه قوله: ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس﴾(٢).

وقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

منصوب على الحال.

﴿لَا يبْغُونَ عَنْها حِوَلاً﴾.

أي لا يُريدُونَ عنها تَحَوُّلاً، يقال: قد حال في مكانه حِوَلاً، كما قالوا في المصادر صَغُرَ صِغَراً، وعظُم عِظَماً، وعادني حبها عِوَداً. وقد قيل أيضاً: إنّ الحِوَالَ الحيلَةُ، فيكون على هذا المعنى، لا يحتالون منزلاً غيرها

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ جِئْنَا بمثْلِهِ مَدَداً﴾.

---

(١) اللسان (فردس) ـ و «كل موحد» مفعول لثواب ـ والقصيدة في الديوان. وجاء في رثائه رسول الله ﷺ أيضاً:

يا رب فاجمعنا معاً ونبينا في جنة تثني عيون الحسد
في جنة الفردوس فاكتبها لنا ياذا الجلال وذا العلا والسرمدِ

وهي في سيرة ابن هشام جـ ٤/٣٥٠.

(٢) في الأصل ما تشتهي وهو ليس من الآية. والآية من سورة الزخرف: ٧١.

﴿مَدَداً﴾ منصوب على التمييز، تقول: لي مِلْءُ هذا عَسَلاً، ومِثْلُ هذا ذهباً، أي مثله من الذهب.

وقد فسرنا نصب التمييز فيما سلف من الكتاب.

وقوله: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾.

فيها قولان: قال بعضهم معناه فمن كان يخاف لقاء رَبِّه، ومثله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً﴾[1]، قالوا: معناه مَا لكم لا تخافون للَّه عظمةً. وقد قيل أيضاً فمن كان يرجو صلاح المنقلب عند ربِّه، فإذَا رَجَاهُ خَافَ أيضاً عذاب رَبِّه.

﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً﴾.

وتجوز «فَلِيَعْمَلْ» بكسر اللام، وهو الأصل، ولكنه يَثْقلُ في اللفظ، ولا يكاد يقرأ به، ولو ابتُدِىء بغير الفاء لكانت اللام مكسورة[2]. تقول: لِيَعْمَلْ زيدٌ بخيرٍ، فلما خالطتها الفاء، وكان بعد اللام الياء ثقلت الكسرة مع الياء، وهي وحدها ثقيلة، ألا تراهم يقولون في فَخِذٍ فَخْذٍ.

---

(١) سورة نوح الآية ١٣.

(٢) لو جاءت اللام أول الكلمة.

سُورَةُ مَرْيَمَ
مكيــة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ: ﴿كهيعص﴾.

فيها في القراءة ثلاثة أوجه: فتح الهـاء والياء، وكسرهما[1]. وقـرأ الحسن بضـم الهاء كهُيعص، وهي أقل اللغات. فأمـا الفتح فهـو الأصل. تقـول: هَا. با. تا... في حروف الهجاء، ومن العرب من يقول ها يا. بالكسر[1]. ومنهم من ينحو نحو الضَّمِّ فيقـول هُا . يُـا، يُشِمُّ الضَّمَّ. وحكى الخليل وسيبـويه أن من العَرب من يقول في الصلاة الصَّلُوة، فينحو نحـو الضَّم[2]، فأمـا من روى ضَمَّ الهاء مع اليـاء فشَاذٌّ، لأن إجمـاع الرواة عن الحسن ضمُّ الهـاء وحدهـا، وفي الرواية ضم الياء قليل عنه.

واختلف في تفسير﴿كهيعص﴾ فقال أكثر أهل اللغـة إنها حـروف التَّهَجِّي تدل على الابتداء بالسورة نحو ألم، والر . وقيل إن تأويلهـا أنها حـروف يَدُلُّ كُلُّ وَاحِد منها على صفة من صفات اللَّه ـ عزّ وجـلّ ـ فكاف يـدل على كريم، و «ها» يدل على هادٍ، و «يا» من حكيم، و «عين» يـدل على عالم، و «صَـادْ» يَدُلُّ على صادق. وهذا أحسن ما جاء في هذه الحـروف، وقد استقصينـا ذلك في أول سورة البقرة.

---

(١) الإمالة.

(٢) أي يشم أيضاً.

والعين قـالـوا يـدل على عليم. وروي أن ﴿كهيعص﴾ اسم من أسماء اللَّه تعـالى. وروي أن عَلِيًّا ـ (عليـه السـلام) أقسم بكهيعص، أو قـال: «يـا كهيعص». والـدعـاء لا يـدل على أنـه اسم واحـد، لأن الـداعي إذا عَلِمَ أن الدعاء بهذه الحروف يدل على صفات اللَّه ـ جـلّ وعزّ ـ فدعا بها. فكأنه قال: يا كافي يا هادي يا عَالِم يَا صَادِق، فكأنه دعـا بكهيعص لذكـرها في القـرآن وهو يـدل على هذه الصفـات، فإذا أقسم فقـال: وكهيعص، فكأنـه قال والكـافي والهادي والعالم والحكيم والصادق.

وأسكنت هذه الحروف لأنها حروف تهجٍّ[1] النِّيَّةُ فيها الوقْفُ.

﴿ذِكْـرُ رَحْمَـةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾.

﴿ذِكْرُ﴾ مرتفع بالمضَمر، المعنى هذا الذي نتلوه عليك ذكر رحمة ربك عبده بالرحمة، لأن ذكر الرحمن إياه لا يكـون إلا باللَّه ـ عـزّ وجلّ ـ، والمعنى ذكـر ربك عبده بالرحمـة. وزكريـا يقرأ على وجهين، بـالقصر والمـدّ، فأعلم اللَّـه ـ جلّ وعزّ ـ على لسان نبيه عليه السلام وصيَّةَ زكريـا ويحيى لِيَعْلَمَ أهْلُ الكِتـابِ أن محمَّداً ـ عليه السلام ـ قد أوحي إليه، وأُنزل عليه ذكر من مضى من الأنبياء وأنهم يجدون ذلك في كتُبِهِمْ على مـا ذكر ﷺ و [هـو] لم يتل كتـاباً ولا خـطَّه بيمينه، وأنه لم يَعْلَم ذلك إلا من قبل اللَّه تعالى وكان إخْبَـارُهُ بهذا ومـا أشبهه على هذه الصفة دليلاً على نبوته ﷺ.

وقال بعض أهل اللغة إنَّ قوله ﴿ذِكْرُ رَحْمَـةِ رَبِّك عَبْـدَهُ زَكَرِيَّـا﴾ يـرتفـع بـ ﴿كهيعص﴾ وهذا محال لأن «كهيعص» ليس هو فيما أنبأنا اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ بـه عن زكريا، وقد بَيَّن في السورة ما فَعَله به وبشَّـرَهُ به. ولم يجـئ في شيء من التفسيـر أن «كهيعص» هو قصـة زكـريـا ولا يحيى ولا شيء منـه، وقـد أجمـع

---

(١) في الأصل تهجى.

القائل لهذا القول وغيره أن رَفْعهُ بالإضمار هو الوجه .

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خفيًّا﴾ .

دعا اللَّهُ ـ عزّ وجلّ ـ سِرًّا، وبين ما (الذي) سأل اللَّه عزّ وجلّ، فقال:

﴿قال رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي﴾ .

ومعنى ﴿وهن﴾ ضعف .

﴿واشْتَعَلَ الرأْس شَيْباً﴾ .

قيل إن كان قد أَتتْ له في ذَلك الوقتِ خَمسٌ وستُّون سَنَةً، وقيل سِتُّونَ سنةً وقيل خمس وسبعون سنة، و «شَيْباً» منصوب على التمييز المعنى اشتعل الرأس من الشيب، يقال للشيب إذا كثر جِدًّا: قد اشتعل رأس فلان .

﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ .

أي كنْتُ مستجاب الدعوة. ويجوز أن يكون أراد لم أكن بدعائك رَبِّ شقياً أي من دعاك مخلصاً فقد وَحَّدك وعبدك، فلم أكن بعبادتك شقيّاً .

وقوله: عزّ وجلّ: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾ .

ـ بإسكان الياء من ورائي ـ معناه من بعدي، والموالي واحدهم مولى، وهم بنو العم وعصبة الرجل، ومعناه الذين يَلُونَه في النَّسَبِ كما أن معنى القرابة الذين يقربون منه في النسب .

وقوله: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ .

أي قد بلغت هذه السِّنَّ وامْرأَتِي عاقر، والعاقر من النساء التي بها علة تمنع الْوَلَدَ، فكذلك العاقِرُ من الرجال، فليس يكون لي ولد إلا «أباً»(١) فهبه لي، فإنك على كل شيء قدير .

---

(١) أي لي أب ولا ولد لي فانقطع حبل النسل لَدَيَّ .

وقوله: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾.

ويقرأ بالجَزم يَرِثْني وَيَرِثْ من آل يعقوب على جواب الأَمْرِ ومن قرأ يرثُني ويرثُ فعلى صفة الولي، وقيل يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة، وقال قوم لا يجوز أن يقول زكريا: انه يخاف أن يورث المال لأن أمر الأنبياء والصالحين أنهم لا يخافون أن يرثهم أقرباؤهم ما جعله اللّه لهم، وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: إنا معاشر الأنبياء لأنُورَث ما تركناه فهو صَدَقَةٌ. فقالوا معناه يرثني ويرث من آل يعقوب النبوة.

وقوله: ﴿واجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾.

وقوله أيضاً «وليًّا» يدل على أنه سأل ولداً دَيِّناً، لأن غَيْرَ الدَّيِّنِ لا يكون ولياً للنبي عليه السلام.

وقوله: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾.

ونَبْشُرُك

﴿بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾.

أي لم يسم أحد قبله بيحيى، كذا قال ابن عباس، وقيل سمي بيحيى لأنه حَيِيَ بالعلم وبالحكمة التي أُوتيها، وقيل لم نَجْعَلْ له من قبل سمياً، أي نظيراً ومِثْلًا. كل ذلك قد جاء في التفسير.

وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ من الكبرِ عُتِيًّا﴾.

وتقرأ عِتيا[١]، وقد رُوِيَتْ عُسِيًّا ـ بالسين ـ ولكن لا يجوز في القراءة [لأنه] بخلاف المصحف[٢]، وكل شيء انتهى فقد عتا يعتو عِتِيًّا وعُتوًّا وعُسُوّاً، وعُسِيًّا.

(١) قرأ بالضم قراء كثيرون منهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة.

(٢) يريد لا تجوز القراءة بخلاف ما في المصحف. وزدنا [لأنه] للتوضيح.

فأحب أن يعلم من أيّ جهة يكون له ولـد، ومثلُ امـرأته لاَ تَلِدُ ومِثْلُهُ لا يُولَدُ له.

﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾.

معناه ـ واللَّه أعلم. الأمر كما قيل لـك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾.

معناه ولم تك شيئاً موجـوداً، أي أوجدتـك بعد أن لَمْ تَكُنْ. أي فخلق الـولد لـك كخلق آدم عليه السـلام، وخلقك من نُطْفة وعَلَقـةٍ ومُضْغَـةٍ ولَحْمٍ وعَـظْمٍ.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾.

أي عَلاَمَةً أعلم بها وقوع ما بشرتُ به.

﴿قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾.

أي تُمنع الكلام وأنت سَـوِيٌّ، فتعلَمَ بذلـك أن اللَّه ـ جـلّ وعـلاّ ـ قـد وهب لك الولَدَ. و «سَوِيٌّ» منصوب على الحال.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ المِحْرَابِ فَأَوْحَى إلَيْهِم، أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.

قيل معنى أَوْحى إليهم أَوْمَأَ إليهم ورَمَزَ، وقيل كتب لهم في الأرض بيده. وبكرةً وعشِيًّا ـ منصوبان على الوقت.

وقوله: ﴿يا يَحْيَى خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾.

المعنى: فَـوَهَبْنَا لَـه يحيى وقلنا لـه ﴿يا يحيى خُـذِ الكِتَابَ بقـوَّةٍ﴾، أي بجِدٍّ وعونٍ من اللَّه ـ جل وعز ـ.

﴿وَآتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيّاً وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا وزكاةً﴾[1].

(١) الحكم يعني الحكمة.

أي وآتيناه حَنَاناً، والحنان العطف والرحمة. قال الشاعر[١]:

فقـالت حَنَـانٌ مـا أتى بـك ههنـا أذو نسب أم أنت بـالحَي عَـارِفُ

أي أمرنا حنان، أو عطف ورحمة:

وقال أيضاً[٢]:

أبـا منـذر أسـرفت فـاستبق بعضنـا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

المعنى وآتيناه حناناً من لدنا وزكاةً، والزكاة التهطهير.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾.

أي وجعلناه برّاً بوالديه.

وقـوله عـز وجل: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَـرْيَمَ إِذِ انْتَبَـذَتْ مِنْ أَهْلِهَـا مَكَانـاً شَرْقِيًّا﴾.

﴿انْتَبَذَتْ﴾ تَنَحَّتْ. ويقال نَبَـذْتُ الشيء إِذَا رَمَيْتُ به. ﴿مَكَـانَاً شَـرْقياً﴾ أي نحو المشرق.

﴿فاتَخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً﴾.

قيل إنها قصدَتْ نَحو مـطلَع الشمس، لأنها أرَادَتِ الغُسْـلَ مِن الحيْضِ.

﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾.

يعنى به جِبْرِيل ﷺ. وقيل الـرُّوُحُ عيسَى، لأنه روح من اللَّه -عز وجل- قال اللَّه - عز وجل -: ﴿إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى بنُ مَرْيَمَ رَسُـولُ اللَّهِ وكَلِمَتُهُ أَلْقَـاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾[٣].

---

(١) للمنذر بن درهم الكلبي: وهو في شواهد الكشاف ص ٧٩ ومن شواهد النحو الشائعة على حذف المبتدأ، وانظر الخزانة ١/٢٧٧، وهـو الشاهـد السادس والتسعـون وابن يعيش ١/١١٨، وكتاب سيبويه ١/٣٢٠.

(٢) تقدم أنه لطرفة.

(٣) سورة النساء الآية ١٧١.

وقيل إن الروح دخل من في مَرْيَمَ.

ويدل على أنَّ جبريل عليه السلام هو الروح قوله: ﴿فَتَمثَّل لَهَا بَشَـراً سَوِيًّـا، قَالَ إنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِيَهبَ لكِ غُلَاماً زَكيًّا﴾.

أكثر القراءة ﴿لأَهَبَ﴾، ورُوِيَتَ لِيَهبَ لكَ، وكذلـك قرأ أبـو عمرو: لِنَهَبَ لكِ غُلاماً زَكيًّا.

﴿قَالَتْ إني أَعُوذُ بالرَّحْمنِ مِنْكَ إنْ كُنْت تَقِيًّا﴾.

تأويله إنيّ أَعُوذُ باللَّهِ مِنكَ، فـإن كنت تقياً فَسَتَتَّعِظُ بتعوذي باللّه منـك. أمـا من قـرأ ليهبَ بـاليـاء فـالمعنى أرْسَلَني ليهب، ومن قـرأ لِأَهَبَ فهـو على الحكـاية وحمـل الحكايـة على المَعنى، على تأويـل قال أرسلت إليـك لأهب لك.

وقوله: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْني بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بغيًّا﴾.

أي لم يَمسَسْني بشر على جهة تَزويج، ولم أكَ بغيًّا، أي ولا قُرِبْتُ على غير حد التزويج.

﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾.

أي الأمر على ما وصفت لكِ.

﴿قَالَ رَبُّكِ هُـوُ عَلَيَّ هَيّن وَلِنَجْعَلَـهُ آيَـةً لِلنَّـاسِ ورَحْمَـةً مِنّـا وَكَـانَ أَمْـراً مَقْضِيًّا﴾.

أي وكانَ أمراً سَابقاً في علم اللَّهِ عَزَ وجَل أنْ يقعَ.
وقوله: ﴿فَحَمَلَتْه فانْتَبَذَتْ به مَكَاناً قصِيًّا﴾.

﴿انتَبَذَتْ به﴾ تباعدت به. وقَصِيًّا وقَاصِياً في مَعْنَى وَاحِدٍ، معناهُ البُعْدُ.

وقوله: ﴿فَأَجَاءَهَا المَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾.

معناه ألجأها، وهو من جئت وأجاءني غيري، وفي معناه أَشَاءَنِي غيري، وفي أمثال العرب: شَرٌّ أجاءَكَ إلى مُخّةِ عُرْقُوبٍ[1] وبعضهم يقول: أَشَاءَكَ. قال زُهَيْرٌ:

وجَارٍ سَارَ مُعْتَمِداً إلَيْنَا   أجاءته المخافة والرَّجَاءُ[2]

واختلف في حمل عيسى عليه السلام، فقيل إنها حَمَلَت به وولدته في وقتها، وقيل إنه ولد في ثمانية أشهر، وتلك آية له لأنه لا يُعْرفُ أنه يعيش مولود وُلِدَ لثمانية أشْهُر غيرُه. وقوله عز وجل: ﴿فأجاءها المخاض﴾ - يدل على مكْثِ الحْملِ والله أعلم.

وقوله جل وعز: ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾.

معناه إنّي لَوْخُيِّرْتُ قبلَ هَذِه الحالِ بين الموتِ أو الدفع إلى هذه الحال لاخترت الموت، وقد علمتْ - رضوان الله عليها - أنها لم يكن ينفعها أوْ تتمنّى الموت قبل تلك الحال.

وقوله: ﴿وَكُنْتُ نِسْياً مَنْسِيّاً﴾.

ويقرأ ﴿نَسْياً﴾ - بفتح النون - وقيل معنى «نَسْياً» حَيْضَةً مُلْقَاةٍ وقيل نِسْياً بالكسر في معنى مَنْسِيَّةً لَا أُعْرَفُ[3] والنِّسْيُ في كلام العَرَبِ الشيء المطروح لا يؤبه له، قال الشنفري[4]:.

---

(١) في مجمع الأمثال: شر ما يجيئك إلى مخة عرقوب» - وذلك أن العرقوب لا مخ له، وإنما يلجأ إليه من لا يقدر على شيء، وبنو تميم يجعلون الجيم شيناً ويقولون يشيئك - بمعنى يجيئك ويلجئك.

(٢) اللسان (جيأ) - والديوان ٢٧٧، والقرطبي ١١/٩٢.

(٣) فِعْل بمعنى مفعول كثير في اللغة العربية - مثل فرية وكذب، وهي قاعدة نحوية معروفة.

(٤) البيت في اللسان (نسا - بلت) وبلت - مكسورُ عين الماضي - كعلم - سكن والبَلْتُ بالتحريك الانقطاع - والمعنى أنها تنقطع عن الكلام حياء وبما يعتريها من الجهر - وانظر المفضلية ٢٠.

كان لها في الأرض نِسْياً تَقُصُّه على أُمِّهـا وَإن تُـكَـلِمْـكَ تَـبْـلَتِ

وقوله :﴿فَنَادَاهَا مَنْ تَحْتَهَا﴾.

وتقرأ ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾، وهي أكثر بالكسر في القراءة، وَمَنْ قَـرَأَ مَن تَحْتَهَا عَنَى عيسى عليه السلام. ويكون المعنى في مناداة عيسى لها أن يبين اللّه لها الآيـة في عيسى، وأنه أعلمها أَنَّ اللَّه ـ عز وجـل ـ سيجعل لهـا في النخلة آية. ومن قرأ «مِنْ» تَحْتِهَا ـ عَنَى بِهِ المَلَكَ.

﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾.

رُوِيَ عن الحَسنِ أنـه قـال يعنى عيسى، وقـال: كـان واللّه سَـرِيًّـا من الرجال، فعرف الحسنُ أن من العرب من يسمي النهـر سريـاً فرجـع إلى هذا القـول. ولا اختلاف بين أهل اللُّغة أَنَّ السَّـرِيَّ النهر بمنزلة الجدول، قال لبيد:

فتـوسَّـطا عُـرضَ السَّـرِيِّ فغـادرا مسجـورةً متجـاوراً قُـلاَّمهـا[1]

وقال ابن عباس: السري النهر وأنْشَدَ[2].

سَـلْمٌ تـرى الـدالـي مـنـه أزْوَرَا

إذا يـعـج فـي الـسَّـرِيِّ هَـرْهَـرَا

وقوله عز وجل: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا﴾.

يروى أنه كان جِـذْعاً من نخلةٍ لا رَأْسَ عَليه، فجعل اللّه ـ جل وعز ـ له رأساً وأنبت فيه رُطَباً، وكان ذلك في الشتاء. فأما نصب رُطَبـاً فقال محمـد بن يزيد هو[3] مفعول به، المعنى وهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَخْلَةِ رُطباً تَسَّاقط عليكِ.

---

(١) البيت الرابع والثلاثون من معلقته ـ يصف عيراً وأتانا، وعـرض السرى جـانب النهر ـ ومسجـورة مليئة بالماء ـ أي أن العير وأتانه توسطا جانب النهر وشقا عينا ممتلئة بالماء يكثر حولها شجر القلام.

(٢) البيتان في اللسان «هرر» بدون نسبة ـ وهرهر أي سُمِعَ له صوتٌ وهو يشرب.

(٣) في الأصل هو فقال محمد بن يزيد هو:

ويجوز تَسَاقط عليك، ويجوز يُسَاقِطْ عَلَيْكِ، ويجوز نُسَاقط عَلَيْكِ. بالنون ويجوز يَسَّاقَطْ باليَاءِ، ويجوز يتساقط عليك. ويجوز تُساقطُ عَلَيْكِ، ونُساقطُ . ويَسَّاقَطُ بالرفع. ويُروَى عَنِ البَراءِ بن عَازِب[1].

فمن قرأ يساقطُ عَلَيْكِ فالمعنى يَتَسَاقطُ فأدغمت التاء في السِينِ ومن قرأ تسَّاقَطْ، فالمعنى تَتَساقَطُ أيضاً. فأدْغِمت الياء في السّين وأَنَّثَ لأن لَفظَ النَّخْلَةِ مُؤَنَّثٌ. ومن قرأ تَسَاقَطُ بالتاء والتخفيف فإنه حذف التاء من تتساقط لاجتماع التاءَيْن، ومن قرأ يُسَاقِطْ ... ، إلى معنى يُسَاقِطُ الجذْعُ عَلَيْك. ومن قرأ نُسَاقِط بالنون فالمعنى أنا نحن نُسَاقِطُ عليك فنجعل لك بِذلك آيةً.

والنحويون يقولون إن رُطباً مَنْصُوبٌ على التمييز، إذا قُلتَ يسَّاقَطُ أو يتساقط فالمعنى يتساقط الجذعُ رُطباً، ومن قرأ تَسَاقطُ فالمعنى تَتساقطُ النخلة رطباً.

وقوله: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً﴾.

أي فكلي من الرطب، واشربي من السَّرِيِّ، وقَرِّيّ عَيْناً بعيسى. يقال: قرِرْت به عيناً أقَرُّ بفتح القاف في المستقبل. وقَرَرْتُ في المكان أقِرُّ ـ بكسر القاف ـ في المستقبل. وعيناً منصوب على التمييز.

﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ البَشَرِ أَحَداً﴾.

بغير ألف [في تَرِينَّ] ويجوز «تَرْأَيِنَّ» بألف ولم يقرأ بالألف أَحَدٌ وهي جَيِّدَةٌ بالغة لكنها لا يجوز في القراءة. وكذلك قوله عز وجل: ﴿إنني مَعَكُمَا أَسْمَعَ وأَرَى﴾[2]، ويجوز وأَرْأَي بالألف، ولا تقرأ بها، لفظُها أَرْأَى، لأن

---

(١) البراء بن عازب أنصاري أوسي روى عن رسول اللّه (ص) جملة أحاديث. شهد خمسَ عشرة غزوة، ولم يشهد بدراً لأنه كان صغيراً رده رسول اللّه ﷺ لصغره. وشهد موقعة الجمل وصفين ومات في نحو سنة ٧٢.

(٢) سورة طه الآية ٤٦.

القراءة سنة لا تخالف. والأجْوَدُ أَرَى، وكذلك تَرَيِنَّ الأجود بغير همز، والتاء علامة التأنيث، والأصل تَرْآيِن، والياء حركت لالتقاء الساكنين. النون الأولى من النون الشديدة. والياء. وكذلك تقول للمرأة اخْشَيِنَّ زيداً.

﴿فَقولي إنّي نَذَرْتُ للرَّحْمَنِ صَوْماً﴾.

معنى ﴿صوماً﴾ صمتاً. يقال نَذَرْتُ النَّذْرَ أنذِرُهُ وَأَنْذُرُه، ونَذِرتُ بالقَوْم أَنْذَرُ إذا علمت بهم فاستعدَدْتَ لهم.

وقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيئاً فريًّا﴾.

أي شيئاً عظيماً، يقال فلانٌ يَفْرِي الفَرِيَّ إذا كان يعمل عملاً يبالغ فيه.

وقوله عز وجل: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغيًّا﴾.

اختلف في تفسير: «أُخْتَ هَارُونَ» في هذا الموضع.

رَوينَا في التفسير أنَ أَهْلَ الكتاب قالوا: كيف تقولون أنتم: مَرْيَمُ أخت هارون وبينهما ستّمائةِ سنة، فقيل ذلك لرسول اللّه ﷺ فقال: إنهم كانوا يُسَمُّون بأسْماء الأنبياء والصالحين، أي فكان أخو مَرْيَمَ يسمَى هارون[١]. وقيل إنهم عَنوْا بأخت هارون في الصلاح والدين[٢]، ويروى أن هارون هذا الدَّيِّنَ كان رجلاً من قومها صالحاً، وأنه حضر جنازَتَه أربعون ألفاً يسمى كل واحد منهم هارون.

والذي في هذا عن النبي ﷺ بَيّنٌ.

---

(١) يقتضي هذا أنه كان لمريم أخ سموه هارون ـ وهذا غير معروف . في الأناجيل .

(٢) هارون عليه السلام هو الزعيم الديني عند اليهود، وأختـه هنا بمعنى شبيهتـه في تقواه وورعه ـ فليست أخوة نسب، وإنما هو تعبير مجازي.

وقوله عز وجل : ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ .

أي لما خاطبوها أشارت إليه، بأَنْ جَعَلُوا الكلامَ مَعَهُ، ودَلَّ على أنها أشارت إليه في الكلام قولهم ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ في المَهْدِ صَبِيًّا﴾ .

وفي هذا ثلاثة أوجهٍ. قال: أبو عبيدة إن معنى «كان» اللغو، المعنى كيف نكلم من في المهد صبياً[١]، لأن كل رجل قد كان في المهْدِ صبياً، ولكن المعنى كيف نكلم من في المهد صَبيًّا لا يَفهمُ مِثْلهُ، ولا ينطق لسانه بالكلم. وقال قوم إنَّ «كان» في معنى وقع وحَدَثَ. المعنى على قول هؤلاء: كيف نكلم صبياً قد خلق في المهْدِ[٢] .

وأجود الأقوال أن يكون «من» في معنى الشرط والجزاء فيكون المعنى: من يكن في المهد صبياً ـ ويكون «صبيًّا» حالاً ـ فكيف نكلمه. كما تقول من كان لا يسمع ولا يعقل فكيف أخاطبه[٣]. وروى أبو عيسى عليه السلام لما أومأت إليه اتكأ على يساره وأشار بسبَّابَتِه فقال:

﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنْتُ﴾ .

أي معلماً للخير.

﴿وَأَوْصَانِي بالصَّلاَةِ والزَّكَاةِ ما دُمْتُ حَيّاً﴾ .

ومعنى الزكاةِ هَهُنا الطَّهَارَةُ، ما دُمْتُ حيًّا ـ دُمْتُ، ودِمْتُ جميعاً.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتي﴾ .

(١) الذي في مجازه أنها بمعنى حدث لساعته ـ قال: «كيف نكلم من حدث في المهد صبياً» ـ أي من ولد لساعته ـ وذكر أنه «كان» تأتي للأزمنة المختلطة وتأتي زائدة ـ ولكنه لم يخرج الآية على أن كان فيها زائدة ـ ونصب «صبياً» في كلامه على الحال، والظرف خبر.

(٢) هذا قرَّرَهُ أَبو عُبَيْدَة ـ أي هو موضوع في المهد.

(٣) هذا وجه متكلف جداً ومستبعدٌ وبمقتضاه تنتهي الجملة عند كيف نكلم، لأن الشرط له الصدارة ـ ولو أنه جعلها استفهامية لكان أقرب.

﴿برًّا﴾ عطفٌ على ﴿مباركاً﴾، المعنى وجعلني مباركاً وَبَرًّا بِوَالِدَتي.

﴿والسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ ويَوْمَ أَمُوتُ﴾.

﴿السلام عليَّ﴾ فيه أوجه، فالسلام مصدر سلَّمْتُ سلاماً، ومَعناهُ عموم العافية والسلامة، والسلام جمع سلامة، والسلام اسم من أسماء اللَّه جل وعزَّ، وسلام مما ابتُدئ به في النكرة، لأنه اسم يكثر استعماله. تقول سلام عليك والسلام عليك. وأسماء الأجناس يبتدأ بها، لأن فائدة نِكرتِها قريب من فائدة معرفتها. تقول: لَبّيْكَ وخَيرٌ بين يَدَيْكَ، وإن شئت قلت: والخير بين يديك، وتقول: السلام عليك أيها النبي، وسلام عليك أيها النبي، إلا أنه لمَّا جَرَى ذكر «سلام» قبل هذا الموضع بغير ألف ولام كان الأحسن أن يُرَدَّ ثانية بالألف واللام، تقول: سلام عليك أيها النبي، السلام علينا وعلى عباد اللَّه الصالحين، هذا قسمٌ حسن، وإن شئت قلت سلام علينا وعلى عباد اللَّه الصالحين.

وقوله عز وجل: ﴿ذَلِكَ عِيسَى بنُ مَرْيَمَ﴾.

أي ذلك الذي قال ﴿إني عبد اللَّه آتاني الكتاب وجعلني نبياً﴾ هو عيسى بن مريم لا ما يقول النصارى من أنه ابن اللَّه وأنه إلٰه ـ جل اللَّه وعز.

وقوله ـ عز وجل: ﴿قَوْلُ الحقِّ﴾.

[بالرفع] ويجوز قولَ الحق بالنصب، فمن رفع فالمعنى هو قول الحق ومن نصب فالمعنى أقول قولَ الحق الذي فيه يمترون أي يشكون.

﴿مَا كانَ لِلَّه أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾.

﴿مِنْ وَلَدٍ﴾ في موضع نصب، والمعنى أن يتخذ وَلَداً، و «مِنْ» مؤكدة. تدل على الواحد والجماعة لأنّ للقائِلِ أَنْ يَقُولَ: ما اتخَذْتُ فَرساً يريد

اتخذت أكثر من ذلك، وله أن يقول ما اتخَذْتُ فرسين ولا أكثر يريد اتخذت فرساً واحداً، فإذا قال ما اتخذت من فرسٍ فقد دل على نَفْي الواحد والجَمِيع.

﴿سُبْحَانَهُ﴾.

معناه تنزيهاً له من السوء.

وقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

يعنى به يوم القِيَامة.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾.

المعنى مَا أَسْمَعَهُمْ وأبصَرَهُمْ يوم القيامة لأنَّهم شَاهَدُوا من البعث وأَمْر اللَّه عز وجل ما يسمع ويبصر بغير إعْمال فِكْرٍ وَتَرْوِيَةٍ. وما يُدعَوْنَ إليه من طاعة اللَّه - جل جلاله - في الدنيا يحتاجون فيه إلى فكر ونظر فضلوا عن ذلك في الدنيا وآثروا اللهو على الهوى، فقال اللَّه تعالى: ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

وقوله عز وجل: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾.

﴿يوم الحسرة﴾ يوم القيامة، روي في التفسير أنه إذا كان يوم القيامة واستقرَّ أهلُ الجنة في الجنة، وأهْلُ النَّارِ في النار أُتِيَ بالمَوْتِ في صُورَة كَبْشٍ أملح[١] فيعرض على أهل النار فيشرئبون[٢] إليه. فيقال: أتعرفون هـذا، فيقولون: نعم، فيقال:

---

(١) كبش أملح بين المُلْحَةِ والمَلَحَ.

والكبش الأملح هو الأبلق بسواد وَبَيَاضٍ - والمُلْحَةُ مِنَ البَشَرةِ بياض تشوبه شعرات سود. وضحَّى رسول اللَّه ﷺ بكبشين أملحين.

(٢) يتطلعون إليه مادِّين أعناقهم للأعلى.

هذا الموت فيذبح وينادى: بأهل النار، خُلودٌ لاموت بعده، وكذلك ينادى بأهلَ الجنة خُلُودٌ لا مَوت بَعْدهْ.

﴿وَهُمْ في غَفْلة﴾.

أي هم في الدنيا في غفلة.

﴿وَاذْكُرْ في الكِتابِ إبْرَاهِيم إنَّه كَانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا﴾.

أي اذكر في الكتاب الذي أنزل عليك وهو القرآن قِصّةَ إبْراهِيمَ وخَبَرهُ. الصِّديقُ اسمٌ للمبالغة في الصِّدْقِ. ويقال لكل مَنْ صَدَّقَ بتوحيد اللَّه وأنبيائه وعمل بما يصدَّقُ به صِدِّيقٌ، ومن ذلك سمي أبو بكر الصِّديقَ.

وقوله: ﴿إذْ قال لأَبيه يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ﴾.

الوقف عليه يا أبَه بالهاء، والعرب تقول في النداء يا أَبَةِ، ويَا أُمَّةِ ولا تقول قال أبتي كذَا ولا قالت أُمَّتِي كذا[1]، وزعم الخليل وسيبويه أنه بمنزلة قولهم يا عمة ويا خالَةَ، وأن أبَة للمذكر والمؤنث، كأنك تقول للمذكر أبة وللمؤنث. والدليل على أنَّ لـلأُمِّ حظاً في الأُبُوةِ أنَّه يقال أَبَوانِ، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾[2]. وزعم أنه بمنزلة قولهم رجل رَبْعة[3]، وغلام يَفَعَةِ[4]. وأن الهاء [في أَبَةِ] عوض من ياء الإضافة من يا أبي ومن يَا أُمِّي ولم يقل يا أبتي ولا يا أمّتي، ولذلك لم تقع الهاء في غير النداء، لأن حذف الياء يقع في النداء كثيراً، تقول: يَا أَبِ لا تفعل، ولا تقل قال أبِ كذا وكذا تريد قال أبي.

والمؤنث قد يوصف بالمذكر كقولهم امرأة طالق وطاهر، ويقال ثَلاَثَةُ

---

(١) يقال ذلك في النداء فقط.

(٢) سورة النساء الآية ١١.

(٣) رجل ربعة متوسط القامة ليس بالطويل ولا بالقصير.

(٤) ناشيء شارف الرُّجولة.

أنْفُسٍ(١)، والنفس أنثى سُمِّيَ بها المذَكَّرُ وهذا تفسير مستقصى وقريب.

﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾.

فمن فتح(٢) حذف الألف التي أُبْدِلَتْ مِنْ يَاءِ الإضافة أَرَادَ يَا أَبَتَا فالألفُ بدَلٌ من ياء الإضافة إلَّا أَنَّ الواجب حذفها، إذ كانت بدلاً من ياء تحذف.

وقوله: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾.

يعني الصَنم.

وقوله: ﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ العِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾.

يدل أنه كان قَدْ أَتَاهُ الوَحْيُ.

ومعنى: ﴿صِرَاطاً سَوِيًّا﴾.

أي طريقاً مستقيماً.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيطَانَ كَانَ لِلرَّحمن عَصِيًّا﴾.

معنى عبادة الشيطان ـ واللَّه أعلم ـ طاعته فيما يسول من الكفْرِ والمَعَاصِي.

وقوله: ﴿لأَرْجُمَنَّكَ﴾.

معناه لأشتمنَّكَ، يقال: فلانٌ يَرْمي فلاناً ويرْجُمُ فُلَاناً معناه يشتمه، وكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾(٣) معناه يَشْتِمُونَهُنَّ، وجائز أن يكون لأرجمنك لأقتلنك رَجْماً، والذي عليه التفسير أن الرجم ههنا الشَتم.

وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾.

---

(١) أي تؤنث العدد دليلاً على تذكير المعدود.

(٢) من قرأ «يا أبت» بفتح التاء.

(٣) سورة النور الآية ٤.

معناه لطيفاً، يقال: قد تَحَفّى فلانٌ بفُلَانٍ، وحَفِي فُلَانٌ بفُـلانٍ حَفْوَهُ إذا بَرَّهُ وألْطَفَهُ

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾.

أي أبقينا لهم ثناء حسناً، وكذلك قوله: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾[1].

وقوله: ﴿واذْكُرْ فِي الكِتَابِ مُوسَى إنَّهُ كَانَ مُخْلِصاً﴾.

ومخلَصاً يقرآان جميعاً. والمخلص - بفتح اللام الذي أخلصه اللَّه جلّ وعزّ، أي جعله مختاراً خالصاً من الدَّنس. والمخْلِصُ - بكسر اللام - الذي وَحَّدَ اللَّه - عزّ وجلّ -! وجَعَلَ نفسه خالصة في طاعة اللَّه غير دنِسَةٍ.

وقوله: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾.

معناه مناجياً. وجاء في التفسير أن اللَّه عزّ وجلّ قربه حتى سمع صريف القلم الذي كتبتْ به التوْرَاةُ، ويجوز - واللَّه أعلم - [أن يكونَ] مثل: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تكليماً﴾[2] أي قربه في المنزلة حتى سمع مناجاة اللَّه - عزّ وجلّ - وهي كلامُ اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِياً﴾.

هارون لا ينصرف في المعرفة لأنه اسم اعجمي وهو معرفة.

وقوله سبحانه: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بالصَّلَاةِ والزكاة﴾.

أهله جميعُ أمته، مَنْ كانت بينه وبينه قرابة أو [من] لم تكن، وكذلك أهل كُلِّ نبي أُمَّتُهُ.

---

(١) سورة الشعراء الآية ٨٤.

(٢) سورة النساء الآية ١٦٤.

﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾.

أصله مَرْضُوًّا، وهو جائز في اللغة[1] غير جائز في القرآن لأنه مخالف للمصحف، والخليل وسيبويه وجميع البصريين يقولون: فلان مَرْضُوٌّ ومَرضِيٌّ وأرض مَسْنُوَّة ومسنيّة إذا سقيت بالسواني[2] أو بالمطر، والأصل الواو إلا أنها قلبت عند الخليل لأنها طرف قبلها واو ساكنة ليس بحاجز حصين، وكأنها مَفْعُل [بضم العين] ومفعُل من أدوات الواو يقلب إلى مَفْعِل، لأن الواو لا تكون طرفاً وقبلها متحركٌ في الاسماء، وأما غير سيبويه والبصريين فلهم فيه قولان:

قال بعضهم: لما كان الفعل منه رضيتُ فانتقل من الواو إلى الياء، صار مَرْضِيًّا. وقيل إن بعض العرب يقول في تثنية رضىً رِضيَان ورِضَوَانِ، فمن قال رضيانِ لم يكن من قوله الا مرضيٌّ، ومن قال رضوانِ في التثنية جاز أن يقول فلان مَرْضوٌّ ومرضِيٌّ.

وقوله سبحانه:﴿ورفعناه مكاناً عَلِيًّا﴾.

جاء في التفسير أيضاً أنه رفع إلى السماء الرابعة، وجاء في التفسير أيضاً أنه سأل ملك الموت حتى سأل اللّه ـ جلّ وعزّ ـ أَنْ رَفَعَهُ فأُدْخِلَ النارَ ثم أخرج فأدخل الجنة فقيل له في الخروج فقال: قد قال اللّه عزّ وجلّ :﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[3] وقال في أهل الجنة: ﴿وَمَا هُمْ مِنْها بِمُخْرَجِين﴾[4] فأقره اللّه عزّ وجلّ في الجنة.

وهذا الحِجَاج إنما هو في القرآن ـ واللّه أعلم.

---

(١) الذين أجازوه أجروه مجرى مُدْعُوٌ ومَرجُوٌّ إبقاء للواو على أصلها. والتصريف المألوف مَرْضِيٌّ.

(٢) جمع سانية نوع من السواقي لا يزال باقياً في بعض القرى.

(٣) سورة مريم الآية ٧١.

(٤) سورة الحجر ٤٨.

وجائز أن يكون قد أعلم اللَّه ـ عز وجل ـ إدريس ورُوُدَ الخلق النَّارَ وأنهم مُخَلَّدون في الجِنَان قبل إنْزَاله القرآن، وجاء القرآن موافقاً ما عُلِّمَ إدْرِيسُ.

وجاء في التفسير أنه رُفِعَ كما رُفِعَ عيسى.

وجائز أن يكون ـ واللَّه أعلم ـ قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا. .﴾ [أي] في النبوة والعلم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيًّا﴾.

قد بَيَّنَ اللَّهُ سُبْحَانَه أن الأنْبِيَاءَ كانوا إذَا سَمِعُوا بآيات اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ سَجَدُوا وبَكَوْا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وبُكِيًّا جمع باكٍ، مثل شاهد وشُهود وقَاعِد وقُعُود، وسُجَّداً حال مُقَدَّرَة المعنى: خَرُّوا مُقَدِّرِينَ السُّجُودَ لأن الإنسان في حال خرُورِهِ لا يكون سَاجِداً وسُجَّداً منصوب على الحال. ومن قال: بُكِيًّا ههنا مصدر فقد أخطأ لأن ﴿سُجَّداً﴾ جمع سَاجد و﴿بُكيًّا﴾ عطف عليه، ويقال بَكَى بُكَاءً وبُكِيًّا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾.

يقال في الرداءة خَلْف ـ بإسكان اللام ـ. تقول خَلْفُ سُوءٍ وفي الصَّلاحِ خلَفُ صِدْقٍ ـ بفتح اللام ـ وقد يقال في الرداءة أيضاً خَلَف ـ بفتح اللام ـ وفي الصلاح بإسكان اللام، والأجود القول الأول.

﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ واتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾.

جاء في التفسير أَنَّهُمْ صَلَّوْهَا في غير وقتها، وقيل أَضَاعُوهَا وتَرَكُوهَا البتَّة وهذا هو الأشبه، لأنه يدل على أنه يعْنَى بِهِ الكفَارُ. ودليل ذلك قوله: ﴿إلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾.

وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾

أي فَسَوْفَ يلقون مُجازَاةَ الغَيِّ كما قال عزّ وجلّ :﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾[1] أي مجازاة الأثام. وجاء في التفسير أن «غيّاً» وادٍ في جهنم، وقيل نهر في جهنم، وهذا جائز أن يكون نهراً[2] أعد للغاوين فسمي غياً.

وقوله عزّ ووجلّ :﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾.

«مَنْ» في موضع نصب أي فسوفَ يلْقَوْنَ العذابَ إلَّا التَّائبين. وجائز أن يكون نصباً استثناء من غير الأول، ويكون المعنى لكن من تاب وآمن.

﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ﴾.

ويقرأ يُدْخَلُونَ الجنَّةَ.

وقوله تعالى : ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾.

يجوز الرفع والنصب، الرفع على معنى هي جنات عدن، والنصب على معنى يدخلون في جنات عَدْنٍ. وعدن في معنى إقامة، يقال: عَدَنَ بِالمَكانِ إذا أقام به.

وقوله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾.

مأتيّ مفعول من الإتيان، لأن كل ما وصل إليك فقد وصلت إليه وكل ما أتاك فقد أتيتَهُ[3]، يقال: وصلت إلى خير فلان ووصل إليَّ خير فلانٍ وأتيت خير فلان وأتاني خير فلانٍ. فهذا على معنى أَتَيتُ خيرَ فلانٍ[4].

---

(١) سورة الفرقان / ٦٨.

(٢) في الأصل نهرٌ بالرفع.

(٣) يقصد أن وعده مأتي هنا بمعنى آت.

(٤) يلاحظ أن هناك فرقاً بين التعبيرين، وإيثار «مَأْتِي» هنا يدل على أنهم سيرغمون إلى ملاقاة ما وعد الله.

وقوله عزّ وجلّ :﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلاَّ سَلاَماً﴾ .

اللغـو ما يلغى من الكـلام ويـؤثـم فيه ، و﴿سلاماً﴾ اسم جـامـع للخيـر مُتَضَمِّنٌ للسلامة ، فالمعنى أن أهل الجنة لا يسمعون إلا ما يُسَلِّمُهُمْ .

وقولـه عزّ وجلّ:﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وعَشِيًّا﴾ .

قيل : ليس ثم بكرةٌ ولا عَشِيٌّ ، ولكنهم خُوطِبوا بمـا يَعْقِلونَ في الدنيـا . فـالمعنى لهم رزقهم في مقدار مـا بين الغداة والعشيِّ . وقـد جـاء في التفسيـر أيضاً أن معناه : ولهم رزقهم فيها كلَّ سَاعة . وإذا قيل في مقدار الغداة والعَشِيّ فالذي يقسم في ذلك الوقت يكون مقدار ما يريدون في كل ساعة إلى أن يأتي الوقت الذي يتلوه .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ .

يروى أن النبي ﷺ أَبْطَأَ عَنْهُ جبريلُ عليه السلام في الوحي ، فقـال عليه السلام وقد أتـاه جبريـل : ما زُرْتَنَـا حتى اشتَقْنَاكَ ، فقـال : وما نتنـزل إلاَّ بِأَمـر رَبِّكَ .

وقوله عزّ وجلّ :﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ .

ما بين أيدينا أَمْرُ الآخرة والثوابُ والعقاب ، وما خَلْفَنَا جَميعُ مَا مَضَى مِنْ أمْرِ الدُّنْيا ، وما بَيْنَ ذَلِكَ ما يكون منا من هذا الوقت إلى يـوم القيامـة وجاء في التفسير وما بين ذلك قيل ما بين النفختين .

وقوله عزّ وجلّ :﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ .

أي قد علم اللَّه جلّ وعلاّ ما كان وما يكون وما هو كائن ، حَـافِظٌ لذلـك عزّ وجلّ . لا ينسى منه شيئاً . وجائز أن يكون واللَّه أعلم : مَا نَسِيَـكَ رَبُّكَ وَإِنْ تأخر عنك الوحي .

وقوله عزّ وجلّ: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُما﴾.

أي هو مالك لهما وعالم بهما وبما فيهما.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾.

جاء في التفسير: هل تعلم له مَثَلاً، وجاء أيضاً لم يسم بالرحمن إلا اللَّه عزّ وجلّ. وتأويله ـ واللَّه أعلم ـ هل تعلم له سمياً يستحق أن يقال له خالقٌ وقادر وعالم بما كان وبما يكون، فذلك ليس إلاّ من صفة اللَّه تعالى.

وقوله: ﴿وَيَقُولُ الإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرجُ حَيًّا﴾.

يعنى بهذا الكافر الذي لا يؤمن بالغيب خاصة، ومُتُّ ومِتُّ[١].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الإِنْسَانُ﴾.

ويُقْرأ أو لا يذكر بالتخفيف والتَّثْقِيل.

﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ ولم يَكُ شيئاً﴾.

أعلم اللَّه عزّ وجلّ أن إعادة الخلق مثل ابتداء خَلقِهِمْ، وهذا كما قال: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ الآية[٢] فكان الجواب ﴿قل يحييها الذي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ والشَّيَاطِينَ﴾.

أي فوربك لنبعثنهم ولنحشرنهم مع الشياطين الذين أغوَوْهم.

﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّم جِثِيًّا﴾.

وجُثِيًّا ـ بالضم والكسر جميعاً، ومعنى جثيا على ركبهم، لا يستطيعون القيام مما هم فيه وجُثِّي جمع جَاثٍ وجُثى، مثل قاعد وقعود وبارك وبروك.

---

(١) من مات يَمُوت مُتُّ، ومن مات يَمَاتُ مِتُّ.

(٢) بقيتها: ﴿قال من يحيي العظام وهي رميم﴾ سورة يس / الآية ٧٨.

(٣) سورة يس ـ ٧٩.

والأصل ضم الجيم وجائز كسرها، اتباعاً لكسرة اليَّاء، وجثيا منصوب على الحال.

وقوله تعالى:﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُـمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾.

وَعُتيًّا ـ بالكسر والضَّم، ومعناه لننزعن مِنْ كل أمَّةٍ ومِنْ كُلِّ فرقةٍ الأعتى فَالْأَعْتَى منهم، كأنهم يُبْدَأُ بتعذيب[1] أشدهم عُتِيا ثم الذي يليه. فأما رفع أيهم فهو القراءة، ويجوز أَيَّهُمْ بالنصب حكاها سيبويه، وذكر سيبويه أنَّ هارون الأعوَرَ القارىء[2] قرأ بها. وفي رفعها ثلاثة أقوال:

قال سيبويه عن يونس إن قوله جلّ وعزّ لَنَنْزِعَنَّ معقلةٌ لم تعمل شيئاً، فكأنَّ قولَ يونس :﴿ثم لننزعن من كل شيعة﴾ ثم استأنف فقال ﴿أيهم أشد على الرحمن عتياً﴾[3].

وأما الخليل فَحَكَى عنه سيبويه أنه على معنى الذين يقال ﴿أيُّهم أشد على الرحمن عتياً﴾[4]، ومثله عنده قول الشاعر[5]:

ولقد أبيتُ من الفتاة بمنزل فأبيتُ لا حَرِجٌ ولا محروم

المعنى فأبيتُ بمنزلة الذي يقال له لا هو حرجٌ ولا هو محروم.

---

(١) في الأصل كأنهم يُبْدَى بالتّعذيب أشدهم عنَاء.

(٢) هو هارون بن موسى العتكي البصري أزدي بالولاء، أخذ القراءة عن عاصم الجحدري، وعاصم أبي النجود وعبد الله بن كثير، وعبد الله ابن أبي إسحاق، أول من سمع بالبصرة وجوه القراءات وبحث أسانيد الشاذ منها. مات قبل المائتين. (غاية النهاية ٣٧٦٣).

(٣) التعليق لا يعني استئناف الآية وإنما يعني أنها استفهامية فلا يعمل الفعل فيها.

(٤) فأي ما تزال استفهامية ولهذا قدر القول.

(٥) الأخطل ـ والبيت في الخزانة ٢/٥٥٣، وابن الشجري ٣/٢٩٧. وابن يعيش ٣/١٤٦، ٧/٨٧، ومعاني الفراء ٣/١٢٦، وكتاب سيبويه ٢/٣٩٩ ويروى: لا زان ولا محروم، والمراد أنه كان الأصل أن ينصب حرجاً ومحروماً.

وقال سيبويه أن «أيهم» مَبْنِيَّةٌ على الضم لأنها خالفت أخواتها، واستعمل معها حرف الابتداء، تقول اضرب لأَيُّهم أفْضَلُ يريد أيهم هو أفضل، فيحسُنُ الاستعمال، كذلك يحذف هو، ولا يَحْسُنُ. «اضْرِبْ من أفضلُ» حتى تقول من هو أفضل، ولا يحسن «كُلْ مَا أَطْيَبُ» حتى تقول: كل ما هو أطيب. فلما خالفت من وما والذي ـ لأنك لا تقول أيضاً: «خُذِ الذي أفضَلُ» حتى تقول هو أفضل، قال فلما خالفت هذا الخلاف بنيت على الضم في الإضافة، والنَّصْبُ حَسَنٌ، وإن كنت قد حذفت «هُوَ» لأنَّ «هو» قد يجوز حذفها، وقد قرئت ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنُ﴾[1] وتفصيلاً على معنى الذي هو أحسن.

قال أبو إسحاق: والذي أعتقده أن القولَ في هذا قولُ الخليل، وهو موافق للتفسير، لأن الخليل كان مذهبهُ أَوْ تَأْويله في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾ الذي مِنْ أَجْلِ عُتُوِّهِ يقال: أَيُّ هؤلاءِ أشَدُّ عِتِيًّا. فيستعمل ذلك في الأشدِّ فالأشد، والله أعلم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾.

وصُلِيًّا ـ بالضم والكسر ـ على ما فسرنا، وصليا منصوب على الحال.

[أي] أي ثم لنحن أعلم بالذين هم أشد على الرحمن عِتِيًّا فهم أولى بها صِليًّا.

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مقضيًّا﴾.

هذه آية كثير اختلاف التفسير فيها في التفسير[2] فقال كثير من الناس إنَّ الخلق جميعاً يَرِدُون النَّار فَيَنْجُو المتَّقِي ويُتْرَكُ الظَّالِمُ ـ وكلهم يَدْخُلُهَا، وقال بعضهم: قد علمنا الوُرُودَ ولم نَعْلَمْ الصَّدَرَ.

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٥٤ ﴿ثم آتينا مُوسَى الكتَابَ تماماً عَلَى الَّذي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِ شيءٍ وهُدَىً ورَحْمةً لَعَلّهُم بِلَقِاءِ رَبِّهم يُؤْمِنُون﴾.

(٢) أي في كتب التفسير اختلاف كثير في تفسير هذه الآية. وتعبير الزجاج سقيم.

وحجـة من قال بهـذا القول(١) أنـه جرى ذكـر الكـافـرين، فقـال: ﴿ثم لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ ثم قال بعد: ﴿وإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُها﴾ فكأنـه على نظم ذلك الكلام عام.

ودليـل من قال بهـذا القول أيضـاً قـولـه : ﴿ثُم نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَـوْا وَنَـذَرُ الظَّالِمِينَ﴾ولم يقل وندخل الـظالمين، وكأن «نَـذَرُ» و «نترك» للشيء الـذي قد حصل في مكانه.

وقال قوم إنَّ هَذَا إنما يُعْنَى به المشرِكُونَ خاصَّـةً، واحتجوا في هـذا بأن بعضهم قـرأ: «وإن منهم إلا وَارِدُهَـا»، ويكـون على مـذهب هؤلاء ﴿ثم ننجي الذين اتَّقَوْا﴾ أي نخرج المتقين من جملة من ندخله النار.

وقـال قوم: إن الخلق يَـرِدُونهـا فتكـون على المؤْمِنِ بَـرْداً وَسَـلامـاً، ثم يُخْرَجُ مِنها فيدْخُلُ الجنَّة فيعلمَ فضلَ النعمةِ لما يُشـاهِدُ فيـه أهلَ العـذاب وما رأى فيه أهل النار.

وقال ابن مسعود والحسَنُ وقَتَادَةُ: إن ورودها ليس دخولها، وحجتهم في ذلـك جيدةٌ جـداً من جهات: إحـداهن أن العرب تقـول: وردت ماء كـذا ولَمْ تـدخله، وقال اللّه عـزّ وجلّ :﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَـدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْـه أُمَّةً مِنَ النَّـاسِ يَسْقُونَ﴾(٢) وتقول إذا بلغت البلد ولم تدخله: قد وردت بلد كذا وكذا.

قال أبو إسحاق: والحجة القاطعة في هذا القـول ما قـال اللّه عزّ وجـلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّـا الحُسْنَى أولَئِـكَ عَنْهَـا مُبْعَـدُونَ، لَا يَسْمَعُـونَ حَسِيسَها﴾(٣). . فهذا ـ واللّه أعلم ـ دليـل أن أهل الحسنى لا يـدخلون النار،

---

(١) القول الأول ـ وهو أن الناس جميعاً يردونها.

(٢) سورة القصص الآية ٢٣ .

(٣) سورة الأنبياء الآيتان ١٠١، ١٠٢ .

وفي اللغـة وردت بلد كذا وكـذا إذا أشرفت عليـه، دخلته أو لم تـدخله، قـال زهير:[1]

فلمـا وردن المـاء زرقـا جمـامـه   وضعن عصى الحـاضـر المتخيّـم

المعنى بلغن إلى الماء، أي أقمن عليه، فـالورود ههنـا بالإجمـاع ليس بدخول، فهذه الروايات في هذه الآية، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾.

معناه مجلساً

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِئْياً﴾.

فيهـا أربعة أوجُهٍ رِئْياً بهمزة قبل الياء، والراء غير معجمة، وَرِيًّا بتشديـد بياء مشدّدَةٍ، وزِيًّا ـ بالزاي مُعجَمةً، وقـد قرىء بهـذه الثلاثـة الأوجه، ويجـوز وجه رابع لم يقرأ به ـ بياء وبعدها همزة ـ وريئا.

فأما رِئْياً ـ بهمزة قبل الياء ـ فالمعنى فيه هم أحسن أثاثاً أي متاعاً، ورئيـاً منـظراً، من رأيت، ومن قرأ بغَيْـرِ هَمْزٍ فله تَفْسِيـرَانِ: عَلَى مَعْنى الأوَّل بِطَرْحِ الهمزة وعلى معنى أنَّ منظَرَهم مُرْتوٍ من[2] النِّعمةِ، كأَنَّ النعيمَ بَيِّنٌ فيهم، ومن قرأ زِيًّا فمعناه أن زِيَّهم حسن يعني هيئتهم، قال الشاعر:[3]

أشـاقتـك الـظعـائن يـوم بـانـوا   بـذي الـزي الجميـل من الأثـاث

ونصب أحسن أثاثاً ورياً على نية التفسير. المعنى وكم أهلكنا قبلهم من

---

(١) من معلقته. البيت الرابع عشر، وجمام الماء جمع جم أي الكثير المنجمع وزرقته هي صفاؤه، ومنه زرقة العين، ووضع العصى والتخيم كناية عن الإقامة.

(٢) من الرواء وحسن المنظر ووفرة النعيم

(٣) هو محمد بن نمير الثقفي الذي شبّب بزينب أخت الحجاج ـ وخبره في الكامل حـ ١ / ٣٦١ والأغاني وانظر الوفيات ٢ / ٤٠. والبيت في مجاز أبي عبيدة ١٠ / ٣٦٦، واللسان (رأى) ـ والكامل حـ ١ / ٣٨١.

قَرْنٍ هم أحسن أثاثاً منهم وأحسن زِياً منهم. ومن قرأ رِيُئاً فهو بمعنى رئياً مقلوب لأن من العرب من يقول قد رَاءَني زَيْدٌ وتقول قَدْ رَآني.

في هذا المعنى قال الشاعر كثير[1]:

وكـلُّ خَلِيـلٍ راءَني فهــو قَــائِــلٌ   من أجلكِ هـذا هامـةُ اليـومِ أو غـدِ

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلاَلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾.

هـذا لفظ أمر في معنى الخبـر، وتـأويله أن اللّه عـزّ وجـلّ جعـل جـزاء ضـلالته أن يتـركه فيهـا، ويمده فيهـا، كما قـال جلّ وعزّ: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِم يَعْمَهُونَ﴾[2] إلا أن لفظ الأمر يؤكد معنى الخبر كأن لفظ الأمر يريد بـه المتكلم نفسه الزاماً، كأنه يقول أفعل ذلك وآمر نفسي به، فإذا قال القائل: من رآني فلأكرمه، فهو ألزم من قوله أكـرمُه، كـأنه قـال: من زارني فأنا آمر نفسي بإكرامه وألزمها ذلك.

وقوله: ﴿إما العَذَابَ وإمَّا السَّاعَةَ﴾.

العذاب والساعة منصوبان على البدل من «مـا يُوعَـدُونَ» المعنى حتى إذا رأوا العذاب أو رأوا الساعـة، فالعـذاب ههنا مـا وعدوا بـه من نصـر المؤمنين عليهم فإنهم يعذبونهم قتلاً وأسْراً. والساعة يعنى بها يوم القيامة وبمـا وعدوا به فيها من الخلود في النار.

﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَاناً وأَضْعَفُ جُنْداً﴾.

أي فسيعلمـون بالنصـر، والقتـل أنهم أضعف جنـداً من جنـد النبي ﷺ والمسلمين ويعلمون بمكانهم من جهنم، ومكان المؤمنين من الجنة من هو شرٌّ مكاناً.

---

(١) ديوانه ١١١، اللسان (رأى) ابن الشجري ٢/١٩، الكامل ٢/٢١٧ (تجارية). وقد تقدم.
(٢) سورة الأعراف الآية ١٨٦.

وقوله عزّ وجلّ:﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾.

قيل بالناسِخ والمنسوخ نحو ما كان من صوم رمضان من أنـه كان يجـوز لمن يقدر على الصـوم أن يـطعم مسكيناً ويفـطر، فنسخ ذلـك بإلـزام الصوم، وجائز أن يكون :﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَـدَوْا هُدًى﴾ يجعل جزاءهم أن يـزيدهم في يقينهم هُدًى كما أضل اللَّهُ الفاسقَ بفسقه.

وقوله عزّ وجلّ:﴿والبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خيرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً﴾.

معناه الأعمال الصالحة، وأولها توحيد اللّه، وهو شهادة أن لَا إلَه إلَّا اللَّهُ.

وقوله:﴿أفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَر بآيَاتِنا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً﴾.

ويقرأ: وُوُلْداً، فمن قرأ وُلْداً بـالضَّمِ فهو على وجهين على جمـع وَلدٍ، يُقَالُ وَلَدٌ وَوُلدٌ مثل أسَدٍ وأُسْدٍ، وجائز أن يكون الوُلْدُ في معنى الوَلَـدِ، والوَلَـدُ يصلح للواحـد والجمع، والـوُلْدُ والـوَلَدُ بمعنىً واحـد، مثل العُـرْب والعَرَب، والعَجَمُ والعُجْمُ.

وقد جاء في التفسير أنه يعنى به العاص بن وائل. ويروى أن خَبَّـابـاً[1] قال: كنت قَيْناً في الجاهلية. والقَيْنُ هو[2] الذي يصلح الأسِنَّةُ، والحَدَّادُ يقال له قَيْن، قال وكان لي على العاص بنِ وائلٍ دينٌ، فدفعني بقضائه وقـال لا أدفعه إليك حتى تكفر بمحمد ﷺ فقال خبّاب: لا أكفر بمحمد حتى تموت وتُبْعثَ، فقال: إذَا مِتُّ ثم بعثتُ أُعْطِيتُ مـالاً وولداً وقضيتـك مما أُعطـى، يقول ذلـك مستهزئاً فقال اللّه سبحانه:

---

(١) هو خبّاب بن الأرت ـ بتاء مشددة ـ سبي في الجاهلية وبيع بمكه ـ فكـان مولى أم أنمـار الخزاعيـة ـ وهو من السابقين إلى الإسلام الذين عذبـوا عذاباً شديـد ـ حتى كاد يكـوت من كي بالنـار آله. شهد بدراً وما بعدها ومات سنة سبع وثلاثين بالكوفة .(الإصابة ٢٢١٠).

(٢) في الأصل الذي هو ـ والتصحيح من الهامش.

﴿أَطَّلَعَ الغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾.

أي علم ذلك غيباً أم أُعطي عهداً، وهو مثل الذي قال: ﴿وَلَئِنْ رُدِدْتُ إلى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنها مُنْقَلباً﴾[1].

﴿كَلَّا﴾.

رَدْعٌ وتنبيه، أي هَذَا مما يَرْتَدَعُ منه، ويُنَبَّه على وَجْه الضلالة فيه.

﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾.

أي سنحفظ عليه.

﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْداً﴾.

أي نجعل المال والولد لِغَيْرِهِ ونسلبه[2] ذلك ويأتينا فرداً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾، أي أعوانا

وقوله: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾.

أي يصيرون عليهم أعوانا.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾.

في قوله ﴿أَرْسَلْنَا﴾ وجهان أحدهما أنا خلينا الشياطين وإياهم، فلم نعصمهم من القبول منهم ـ قال أبو إسحاق: والوجه الثاني ـ وهو المختار ـ أنهم أُرْسِلوا عليهم وقُيِّضُوا لهم بكفرهم كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[3].

ومعنى ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ ـ تُزْعِجُهُمْ[4] حتى يركبوا المعاصي ازعاجاً فهو يَدُلّ على صحة الإِرْسَالِ والتَّقْيِيض[5]، ومعنى الإرسال ههنا التسليط، يقال قد

---

(١) سورة الكهف الآية ٣٦.

(٢) عبارة الأصل «والولد لغيره ويكون ونسلبه . . .» وحذفنا كلمة «وتكون».

(٣) سورة الزخرف الآية ٣٥.

(٤) في الأصل: معنى تؤزهم أزا معناه تزعجهم.

(٥) صحة إرسال الشياطين وتقييضهم لهم.

أرسلت فلانا على فلانٍ إذا سلطته عليه، كما قال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِينَ﴾[1]. فأعلم اللّه عزّ وجلَّ: أن من اتبعه هو مسلط عليه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ المتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً﴾.

معنى الوفد الركبان المكرمون.

﴿وَنَسُوقُ المُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾.

مشاة عطاشاً.

وقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾.

«مَنْ» جائز أن تكون في موضع رفع، وفي موضع نصب. فأما الرفع فعلى البدل من الواو والنون[2]، والمعنى لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً. والعهد ههنا توحيد لله جلَّ ثناؤه والإيمان به.

والنصب على الاستثناء ليس من الأول على: لَا يَمْلكُ الشُّفاعَةَ المجرمون، ثم قال: ﴿إلّا من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾، على معنى لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً فإنه يملك الشفاعة.

وقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا﴾.

وتقرأ أَدًّا ـ بالفتح ـ ومعناه شيئاً عظيماً من الكفر، وفيها لغة أخرى لا أعلم أنه قرئ بها، وهي[3]: «شَيْء آدٍّ» على وزن رَادٍ ومادٍ، ومعناه كله: جئتم شيئاً عظيماً.

وقوله جل وعز: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ أي محبة في قلوب المؤمنين.

---

(١) سورة الحجر الآية: ٤٢.

(٢) في يملكون، والمستثنى منه تمام منفي.

(٣) في الأصل وهو

وقوله جل وعز: ﴿قَوْماً لُدًّا﴾[1].

جمع أَلَدّ مثل أَصَمْ وَصُمّ، والأَلَدُّ الشَّدِيدُ الخُصُومَةِ.

وقوله عز وجل: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾.

يقال: هل أَحْسَسْتَ صَاحِبَك أي هل رأيته، وتقول: قد حَسَّسْهُمْ - بغير ألف - إذا قتلهم.

وقوله: ﴿أَوْ تَسمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾.

الرِّكْزُ الصوت الخفي.

---

(١) الآية: ﴿فإنَّما يسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ المُتَّقِينَ وتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدًّا﴾.

سورة طه
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: ﴿طه، مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ القُرآنَ لِتَشْقَى﴾.

يقرأ طَهَ ـ بفتح الطاء والهاء، وتقرأ طِهِ ـ بكسرهما[1] ـ ويقرأ طهْ ـ بفتح الطاء وإسكان الهاء، وطَهِ بفتح الطاء وكسرُ[2] الهاء. واختلف في تفسيرها فقال أَهْلُ اللُّغَةِ هي من فواتح السُّوَرِ نحو حم والم، ويروى أن النبي ﷺ كان إذا صلى رفع رجلاً ووضع أخرى فأنزل الله عز وجل: طاها، أَيْ طَأْ الأرضَ بِقَدَمَيْكَ جميعاً.

وقوله عز وجل: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ القُرآنَ لَتشْقَى﴾.

أي لتُصَلِّيَ على إحْدَى رِجْلَيْك فتشتد عليك، وقيل طه لغة بالعجمية معناها يا رجل، فأما من فتح الطاء والهاء فلأن ما قبل الألف مفتوح، ومن كسر الطاء والهاء، أمال إلى الكسر لأن الحرفَ مقصورٌ، والمقصور تغلب عليه الإمالة إلى الكسر ومن قرأ طَهْ بإسكان الهاء ففيها وجهان أحدهما أن يكون أصله «طَأْ» بالهمزة فأبدلت منها الهاء كما قالوا في إياك هياك وكما قالوا في أَرَقْت الماء هَرَقْتُ وجائز أن يكون من «وَطِي» عَلَى تَرْكِ الهمزةِ، فيكونُ «طَ»

---

(١) بالإمالة فيهما.

(٢) بإمالة الهاء فقط.

يا رَجُل ـ ثم أثبت فيها الهاء للوقف فقِيل طَهْ[1].

وقوله عز وجل: ﴿تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ والسَّمَواتِ العُلَى﴾.

المعنى أنزلناه تنزيلاً، والعُلَى جمع العليا، يقال: سماء عُلْيَا وسمواتٌ عُلًى، مثل الكبرى والكُبَر.

وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾.

الاختيار الرفعُ، ويجوز الخفض على البدل من «منْ»[2] المعنى تنزيلاً من خالق الأرض والسموات الرحمن، ثم أخبر بعد ذلك فقال: على العرش استوى، وقالوا معنى [استوى] استولى ـ واللَّه أعلم. والذي يدل عليه استوى في اللغة على ما فعله من معنى الاستواء.

قوله: ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾.

الثرى في اللغة الندى، وما تحت الأرض ندًى، وجاء في التفسير وما تحت الثرى ما تحت الأرض.

وقوله: ﴿وإن تجهر بالقول فإنَّه يَعْلَمُ السِّرَ وَأَخْفَى﴾.

فَالسِّرُّ ما أكننْتَهُ في نفسك، و«أخفى» ما يكون من الغيب الذي لا يعلمه إلا اللَّه.

وقوله: ﴿لَهُ الأَسْماءُ الحُسْنَى﴾.

يروى عن النبي ﷺ أنه قال: للَّه تسعة وتسعونَ اسْماً من أَحْصَاهَا دخل الجنة، وتأويل من أحصاها دخل الجنة، من وحَّدَ اللَّهَ وذكر هذه الأسماء الحسنى يريد بها توحيدَ اللَّه وإعْظَامَهُ دَخَل الجنَّةَ، وقَدْ جاءَ أنه من قال لا إله

---

(١) أي هي هاء السكت لأن الفعل بقي على حرف واحد.

(٢) في ﴿مِمَّن خَلَقَ الأَرْضَ والسَّمٰوَاتِ العُلى﴾.

إلا اللَّه دخل الجنة، فهذا لِمَنْ ذَكَرَ اسْمَ اللَّه مُوَحِّداً لَهُ بِهِ فكيف بمن ذَكَرَ أَسْماءَهُ كلَّها يُريدُ بها توحيدَهُ والثناءَ عليْهِ.

وقوله عز وجل: ﴿لَعَلِّي آتيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أو أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾.

القَبَسُ ما أَخَذْتَه في رأس عُودٍ من النَّارِ أو رَأْسِ فتيلةٍ.

﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾: جاء في التفسير أنَّه ﷺ ضل الطريق[1] وجاء أنه ضل عن الماءِ فرجا أن يجد عند النار من يهديه الطريق أو يَدُلُّه عَلَى الماء.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾.

ويقرأ أَنِّي أَنَا ـ بالفَتح والكسر، فمن قرأ «أَنِّي» فالمعنى نودي بأني أنا ربُّك، وموضع «أنِّي» نصبٌ، وَمَنْ قَرأ إِنِّي أَنَا ربُّكَ بالكسر فالمعنى نودي يا موسى إني أنا رَبُّكَ.

﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالوَادِي المُقَدَّسِ طُوًى﴾.

روي أنه أُمِرَ بخَلْعِهِمَا لأنهما كانتا من جِلْد حمارٍ مَيِّت، وروي أنه أمر بخلعهما ليطأ بقدميه الوادي المقدس، وروي أنَّه قُدِّسَ مَرَّتَين.

وقوله: ﴿طُوًى﴾.

اسم الوادي، ويجوز فيه أربعة أوجه، طُوَ ـ بضم أوّله، بغير تنوين وتنوينٍ وبكسر أوله ـ بتنوين وبغير تنوين. فمن نونَه فهو اسم الوادي، وهو مذكر سُمِّيَ بمذكر على فُعَل نحو حُطَم وصُرَد. ومن لم ينونه ترك صرفه من جهتين: إحداهما أن يكون معدولاً عن «طَاءٍ» فيصير مثل عُمَر المعدول عن عامر. والجهة الأخرى أن يكون اسماً للبقعة كما قال اللَّه عز وجل: ـ ﴿في البُقْعَةِ

(١) أي موسى عليه السلام.

المُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾[1]. وإذا كُسِرَ وَنُوِّنَ طِوًى فهو ـ مثل مِعًى وَضِلعٍ ـ مَصْرُوفَ[2]. ومَنْ لم ينون[3] جعله اسماً للبقعةِ.

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾.

ويقرأ وَإِنَّا اخْتَرْنَاكَ، فمن قرأ: وإنا اخترناك فالمعنى يؤدي بأنا اخترناك[4] ويجوز وإنَّا اخترناك على وجهين: على الاستئناف وعلى معنى الحكاية لأنَّه معنى يُؤدىَ قيل له إنا اخترناك.

وقوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾.

هذا على معنيين أحدهما أقم الصلاة لأن تَذْكُرَني لأَنْ الصَّلَاةَ لا تكونُ إلاّ بذكر اللّه، والمعنى الثاني هو الذي عليه الناس ومعناه أقم الصلاة متى ذَكَرْتَ أنَّ عليك صلاةً كنتَ في وقتها أو لم تكن، لأن اللّه عز وجل لا يؤاخذُنا إن نسينا ما لم نَتعمّدْ الأشياء التي تَشْغَلُ وتُلْهِي عن الصلاة، ولو ذَكَرَ ذَاكِرٌ أنَّ عليه صلاةً في وقت طُلُوع الشمس أو عندَ مَغِيبَها وَجَب أن يُصَلّيَها. وقرئت لِلذِّكْرَى ـ معناه في وقت ذكرك[5].

وقوله: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾.

بضم الأَلِفِ، وجاء في التفسير أكاد أخفيها من نفسي، وَاللّه أعلم بحقيقة هذا التفسير، وقرئت أكاد أَخْفِيهَا ـ بفتح الألف ـ معناه أكاد أُظْهِرها، قال أمرؤ القيس:

---

(١) سورة القصص ٣٠.

(٢) في الأصل: معروف.

(٣) في الأصل ومن لم ينون اسما جعله اسماً.

(٤) أي فتح أن على تقدير حرف جر محذوف.

(٥) أي هي دالة على الزمن كما في أقم الصلاة لِدُلُوك الشمس، أي عند ذكرك.

فـإنْ تبعـثـوا الـداء لا نَخْـفِـه   وإن تَبْعثُـوا الحـربَ لا نَقْعُـدِ[١]

أي أن تدفنوا الداء لا نظهره.

وهـذه القراءة الثـانيةأبين في المعنى، لأن معنى أكـاد أظهرهـا، أي قـدْ أُخفيتها وَكِدتُ أُظْهِرُهَا..

وقوله: ﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾.

معنى ﴿بِما تسعى﴾ بما تعمل، ولتجزى متعلق بقـولـه: إنَّ السَّـاعَـةَ آتِيَـةٌ لتجزَى كلُّ نَفْسٍ بما تسعى، ويجوز أن يكون على أَقِمِ الصلاة لذكري لتجزى كل نفس بما تسعى.

وقوله: ﴿فلا يَصُدَّنَّكَ عنها مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا﴾.

معناه واللَّه أعلم فلا يصدنك عن التصديق بها من لا يؤمن بهـا، أي من لا يؤمن بـأنها تكـون، وخطابُ النبي ﷺ هـو خـطابُ سـائـر أمَّتِـه، ومعنى لا يصُـدَّنـك عنهـا: لا يَصُـدَّنَّكُمْ، قـال اللَّه عـز وجـل: ﴿يَا أَيُّها النَّبيُّ إذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾[٢]. فَنُبِّه[٣] النبي ﷺ بالخطاب وخوطب هو وأمته بقوله إذا طلقتم.

وقوله: ﴿فَتَرْدَى﴾.

معناه فتهلك، يقال رَدِيَ يَرْدَى ردًى، إذا هلك، وكذلـك تَرَدَّى إذَا هلَكَ في قوله عز وجل: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إذَا تردَّى﴾[٤].

قوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾.

تلك اسم مبهم يَجري مجرى التي، ويوصل كمـا توصـل التي، المعنى

---

(١) تقدّم في الجزء الأول ٣٥٥.

(٢) أول سورة الطلاق.

(٣) أي نودي، لأن ياء النداء التي هي للتنبيه وجهت إليه.

(٤) سورة والليل إذا يغشى.

ما التي بيمينك يا موسى. وهذا الكلام لفظه لفظ الاستفهام ومجراه في الكلام مجرى ما يسأل عنه، ويجيب المخاطب بالإقـرار به لتثبت عليـه الحجة بعـدما قد اعترف مستغنًى بإقراره عن أن يجحد بعد وقـوع الحجة، ومثله من الكـلام أَنْ تُرِيَ المخاطب ماءً فتقول له ما هذا فيقول ماء، ثم تحيله بشيء من الصِّبْغ فإن قال إنّه لم يزل هكذا قلت له: ألست قد اعترفت بأنه ماء.

وقوله :﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا﴾.

وقرىء هي عَصَيَّ بغير ألف، وأجْـوَدُهُمَا عَصَـايَ. وَعَصَيَّ لغَةُ هُـذَيلٍ. والأصل في يا الإضافة أن يكسر ما قبلها، تقول هذا حَجَرِي فتكسر الراء وهي في موضع ضمٍّ وكذلك رأيت حجـرِي، فإذا جَـاءتْ بَعْدَ الألف المقصـورة لم تكسرها. لأن الألف لا تُحرَّكُ، وكذلـك إذا جاءت بعـد ألف التثنية في الـرفع في قولك هما غلاماي، وبعد ياء النصب في قولك: رأيت غلامَيَّ، وبعـد كل ياء قبلها كسرة نحو هذا قاضِيَّ ورأيت مُسْلِمِيَّ، فجعلت هُذَيْلٌ بـدلاً من كسرةِ الألف تغييرها إلى اليـاء، وليس أَحَدٌ من النحـويين إلا وقد حكى هـذه اللغة، قال أبو ذؤيب[1].

سَبَقُـوا هـوَيَّ وأعنَقُـوا لِهَـوَاهُمُ فَتُخـرمُـوا، ولكـل جنب مصرعُ

قوله:﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾.

جاء في التفسير أَخْبِطُ بهـا الشجرَ، واشتقـاقه من أني أُحيـلُ الشيءَ إلى الهشاشة والإمكان.

وقوله :﴿وَلِيَ فِيـهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾.

جاء في التفسير حاجات أُخَـر، وكذلـك هُوَ في اللغـة، وواحد المـآرب

(١) من عَيْنِيَّتِهِ الّتي رَثَى بها أولادَه، أي خـرجوا عن رغبتي وأطـاعوا رغبـاتهم فاخْتَـرمَتْهُم المنيةُ، وهي عاقبة كل حي. ـ ويروى ـ فأعنقوا لسبيلهم ـ انظر ديوان الهذليين ١/ ٢.

مَـأْرُبَةٌ ومـأْرَبة. وجـاء «اخرى» على لفظ صفـة الواحـدة، لأن مارب في معنى جماعة فكأنها جماعات من الحاجات أخرى، فلو جاءت أُخَرُ كان صواباً.

قوله: ﴿سيرَتَها الأُولى﴾.

معنى سيِّرتَها طـريقتها يعنى هيئتهـا، تقول إذا كـان القوم مشتبهين: هم على سيرة واحدة وطريقة وَاحِدةٍ، تريد أن هيئتهم واحدة وشبههم واحِـدٌ، وإن كان أصل السيرة والطريقة أكثر ما يقع بالفعل، تقول: فلان على طـريقة فـلانٍ وعلى سيرته أي أفعاله تشبه أفعال فلانٍ، والمعنى: سنعيدها عَصاً كما كانت، وسيرتها منصوب على إسقاط الخـافض، وأفْضى الفعل إليهـا، المعنى ـ واللَّه أعلم ـ سنعيـدها إلى سيـرتها الأولى، فلمـا حُذِفَتْ «إلى» أَفْضى الفعـل ـ وهو سنعيدها ـ فَنَصَب.

وقوله: ﴿واضْمُمْ يَدَكَ إلَى جَنَاحِكَ﴾.

جناح الإنسان عَضُدُه إلى أصل إبطه.

وقوله: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾.

﴿آيةً﴾ مَنْصوبة لأنها في مـوضع الحـال، وهي اسم في مـوضـع الحـال، المعنى ـ واللَّه أعلم ـ تخـرج بيضاء مُبيَّنَـةً آيةً أُخْـرَى، ويجـوز أن يكـون ﴿آيَةً أُخْرَى﴾ منصـوبـةً على معنى آتيناك آيـة أخرى أو نُؤْتينـك آيةً أخـرى، لأنه لمـا قال: تَخْرُج بَيْضَاءَ كان في ذلـك دَليلٌ أنَّـه يعطى آيـةً أخرى، فلم يحتـج إلى ذكر آتَينَاكَ لأن في الكلام دليلاً عليه. ويجوز آيةٌ أخرى بالرفع على إضمار هذه آية أُخْرَى.

وقوله: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾.

جاء في التفسير أنه كان في لسانـه رُتَّة، لأنّ امْـرأَةَ فِرْعَـوْنَ جَعَلَتْ عَلَى لِسَانه حجرةً لأنه كـان أخذ وهـو صبي بِلِحْيةِ فـرعَوْنَ فهمَّ بـه، وقال هـذا عدو

فأعلمته أنه صبي لا يعقل وأن دليلها على ذلك أنه التقم جمرة فدرأت عنه ما هَمَّ به فِرْعَوْنَ فيه.

وقوله:﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هارونَ أَخِي﴾.

يجوز أن يكون نصب هارون من جهتين إحداهما أن يكون «اجْعَلْ» يَتَعدَّى إلى مفعولين فيكون المعنى اجعل هارون أخي وزيري فتنصب «وَزِيراً» على أنه مفعول ثانٍ، ويجوز أن يكون هارون بدلاً من قوله «وزيراً» ويكون المعنى اجعل لي وزيراً من أهلي ثم أبدل هارون من وزيرٍ، والقول الأول أجودُ وأخي نعتٌ لهارون.

وقوله:﴿أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾.

يقرأ على ضربين على مَعْنى اجعل أخي وزيراً، فإنك إن فعلت ذلك أَشْدُدْ به أَزْري. «أَشْدُدْ» على الإِخْبَارِ عن النفس وأظهرت التضعيف لأنه جواب الأمر وأُشْرِكُه في أَمْرِي، فيقرأ على هذا: هارون أخي أَشْدُدْ به أزري وأُشرِكُهُ في أمري بقَطْع أَلِفِ أَشْدُدْ وضم الألف من وأُشْرِكْهُ، ومن قرأ هارون أخي أشدد به أزري وأَشْرِكه فعلى الدعاء، المعنى: اللهم أشدد به أزري وأَشْرِكْهُ في أمري.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾.

قد بين المرة على ما هي وهي قوله:

﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلى أُمِّكَ مَا يُوحَى. أنِ اقْذِفِيهِ في التَّابُوتِ﴾.

لأنه نَجَّاهُ بهذَا من القتل، لأنَّ فرعونَ كَان يَذْبَحُ الأبناءَ.

وقوله عز وجل:﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾.

قالوا معناه ولتُغْذَى.

ومعنى أَزْرِي، يقال آزَرْتُ فُلاناً على فلان إذَا أَعَنْتَه عَليْه وقوَّيْته، ومِثْله:

﴿فآزَرَهُ فاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾[1]. فتأويله. أقْوَى بِـهِ واستُعين به على أمري.

فأمَّا الوزير في اللغة فاشتقاقه من الوَزَرِ، والوَزَرُ الجَبلُ الذي يُعْتَصَمُ بـه لِيُنْجِيَ مِنَ الهكلَةِ، وكـذلك وزيـر الخليفة معنـاه الذي يَعْتمـد عليه في أمُـورِهِ ويَلْتَجِـئُ إلى رأيـه وقولـه: ﴿كَـلاَّ لاَ وَزَرَ﴾[2] معنـاه لا شيءَ يُعْتَصَمُ بِـه من أمـر اللَّه ـ عز وجل ـ.

وقوله: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُـوناً﴾.

معناه اختبرناك اختباراً.

وقوله: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَامُوسى﴾.

قيل في التفسير: على مَوْعِدٍ، وقيل على قَدَرٍ مِنْ تَكلِيمي إياك.

﴿وَلاَ تَنِيَـا فِي ذِكْرِي﴾.

معناه ولا تضعُفَا، يقال: وَنَى يني وَنْياً ووُنِيًّا إذَا ضَعُفَ، وقولك قد توانى فلانٌ في هذا الأمر أي قد فتر فِيه وضَعُفَ.

وقوله: ﴿لَعَلَّه يَتَذَكَّرُ أَوْيَخْشَـى﴾.

لعل في اللغة ترجٍ وطمعٌ، تقـول: لَعلِّي أَصِيرُ إِلَى خيـرٍ، فمعناه أرجـو وأطمع أن أصير إلى خير، واللَّه ـ عز وجل ـ خاطب العباد بما يعقلون.

والمعنى عنـد سيبويـه فيه: إذْهَبَـا عَلَى رَجَائِكُمَـا وَطَمَعَكُمَا. والعلم من اللَّه عز وجل قد أتى من وراء ما يكون[3]. وقد علم عزَّ وجل أنه لا يتذكـر ولا يخشى، إلا أن الحجـة إنما تجب عليـه بالإبـانة، وإقـامتها عليـه، والبرهـان.

---

(١) سورة الفتح من الآية ٢٩.

(٢) سورة القيامة الآية ١١.

(٣) أي يعلم ما لم يحدث، ويعرف المستقبل كما يعرف الماضي.

وإنما تبعَثُ الرسُل وهي لا تعلم الغيب ولا تدري أيقبل منها أم لا، وهم يرجون ويطمعون أن يقبل مِنهم، ومعنى «لعل» متصور في أنفسهم، وعلى تصور ذلك تقوم الحجة، وليس علم اللّه بما سيكون تجب به الحجة على الآدميين، ولو كان كذلك لم يكن في الرسل فائدة.

فمعنى: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾.

هو الذي عليه بُعث جميعُ الرُّسُلِ.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّنا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾.

معنى يَفْرطَ علينا يُبادر بعقوبتنا، يقال: قد فرط منه أمرٌ أي قَدْ بَدَرَ منه امرٌ، وقد أفرط في الشيء إذا سَقَط فيه، وقد فرَّط في الشيء أي قَصَّرَ ومعناه كله التقدم في الشَّيْءِ، لأن الفرط في اللغة المتقدم. ومنه قوله ﷺ أنا فَرَطُكُمْ على الحوض.

وقوله: ﴿وَالسَّلَام عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى﴾.

ليس يعنى به التحية، وإنما معناه أن من اتبع الهدى سلم من عذاب اللّه وسخطه والدليل على أنه ليس بسلام أنه ليس ابتداء لقاء وخطاب.

ومعنى ﴿فَأتِيَاهُ فقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ﴾.

ولم يقل فَأَتَيَاهُ فقَالاَ لَه إنا رَسُولا ربّكَ، لأن الكلام قد دل على ذلك فاستغنى عنه أن يقال فيه فأتياهُ فَقَالاَ، لأن قوله: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ فيه دليل على أنهما أَتياهُ فَقَالاَ لَهُ:

وقوله عز وجل: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذي أَعْطَى كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾.

معناه خلق كلَّ شيء على الهيئة التي بها ينْتَفِعُ، والتي هي أصلح الخلق له، ثم هَدَاهُ لمعِيشتِه، وقد قيل ثم هداه لموضع مَا يكون منه الولد.

والأول أبين في التفسير، وهـذا[١] جائز، لأنا نرى الذَّكَرَ مِنَ الحيوان يأتي الأنثى ولم ير ذكراً قد أتى أنثى قبله فألْهَمه اللَّه ـ عز وجل ـ ذلك وهداه إلى المَأتَى. والقول الأول ينتظم هذا المعنى، لأنَّه إذا هَداه لمصْلَحَتِه فهذا دَاخِلٌ في المصْلحـةِ، واللَّه أعلم.

وقوله تَعَالَى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ القُرونِ الأُولَى﴾.

قال له موسى عليه السلام:

﴿عِلْمُهَاعِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾.

معناه لا يُضِلها ولا ينساها، ولا يضله ربي ولا ينساه، يعنى به الكتـاب، ومعنى ضَلَلْتُ الشّيءَ وضَلِلْتُ بكسر اللام وفتحِهَا أَضِلُّه وَأَضَلُّه، إذا جعلته في مكـان لم تدر أين هـو، ويُضِلُّ من أضلَلْتُـه، ومعنى أضْلَلْتُه أضَعْتُـه، قـال أبـو إسحـاق من قرأ بـالفتح فمعنـاه لا يَضَـلُّ أيْ لا يَضَـلُّ عن رَبّي. وإذا ضممت الياء[٢] فمعناه لا يوجد ربي ضَالًّا عنها.

وقوله عز وجل: ﴿إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُولي النُّهىَ﴾.

معناه لذوي العقول، واحد لنهى نُهْيَة. يقال: فـلان ذو نُهيةٍ، ومعنـاه ذو عقلٍ ينتهي به عن المقابح ويدخل به في المحاسِنِ، وقال بعض أهل اللغـة: ذو النُّهْيةِ الذي يُنْتَهَى إلى رأيه وعقله، وهَذَا حسنٌ أيضاً.

وقوله عز وجل: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾.

يعنى بـه الأرض، لأن اللَّه ـ عـز وجـل ـ خلق آدم من تـراب، وَجَـرَى الإِضْمَارُ على قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْداً، وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً﴾.

وقوله: ﴿تَـارَةً أُخْرَى﴾.

---

(١) هذا الوجه الثاني أي هداية لموضع الولد.

(٢) إذا ضُمَّت الياء مع فتح الضَّاءِ. ببناء الفعل للمجهول.

متعلق بقوله منها نُخرِجُكم، لأن المعنى كمعنى الأول. لأن معنى ومنها نخرجكم بمنزلة منها خلقناكم، فكأنه قال ـ والله أعلم ـ: ومنها نخلقكم تارة أُخْرَى، لأن إخراجَهُم وهم تراب بمنزلة خلق آدم من تراب.

وقوله: ﴿مَكَاناً سِوًى﴾.

وتقرأ سُوًى بِالضَّمِّ ومَعْنَاهُ مَنْصَفاً، أي مكاناً يكون النَّصفَ فيما بيننا وبينك، وقد جاء في اللغة «سَواءٌ» في هذا المعنى، تقول: هذا مكانٌ سَوَاءٌ، أي مُتَوسِّط بينَ المكانين، ولكن لم يقرأ إلا بِالْقَصْرِ سِوًى وسُوًى.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾.

وتقرأ يومَ الزينة، فالرفع على خبر الابتداء، والمعنى وقت موعدكم يوم الزينة ومن قرأ يومَ فمنصوبٌ على الظرف، المعنى يقع يوم الزينة.

وقوله: ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾.

موضع ﴿أن﴾ رفع، المعنى مَوعِدُكم حَشرُ الناسِ ضُحًى، وتأويله إذا رأيتم الناس قد حُشِروا ضُحًى. وقيل يوم الزينة يومُ عيدٍ كان لهم، وقيل إنه كان يوم عاشوراء.

ويجوز أن يكون في موضع خَفْضٍ عطفاً على الزينة. المعنى موعدكم يوم الزينة ويوم حَشْرِ الناس.

وقوله عز وجل: ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾.

﴿ويلَكُم﴾ منصوبٌ على أن ألزمهم اللّه ويلاً[1]، ويجوز أن يكون منصوباً عَلَى النداءِ كما قال تعالى: ﴿ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾[2] و ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾[3].

---

(١) أي هو مفعول مطلق. (٢) سورة هود الآية ٧٢. (٣) سورة يس الآية ٥٢.

وقوله: ﴿فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾.

ويقرأ فَيُسْحِتَكُمْ - بضم الياء وكسر الحاء، يقال سَحَتَهُ، وأسْحَتَهُ إذا ستأصَلَهُ وأهْلكه، قال الفرزدق:

وعضُّ زمانٍ يا ابن مروان لَمْ يَدَعْ   من النَّاس إلا مُسْحَتاً أو مُجَلَّفُ[1]

معنى لم يدع لم يستقر-من الدعة من المال، وأكثر الرواية إلا مُسْحتاً، فهذا على أسْحَت فهو مُسْحَت.

وقوله عز وجل: ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾.

يعنى به السحرة، قالوا بينهم: إنْ غَلَبَنَا موسى آمنا به، وكان الأمْرُ لَهُ.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾.

يَعْنُونَ موسى وهارون. وهذا الحرف من كتاب اللَّه عز وجل مُشْكِلٌ على أهل اللغة، وقد كثر اختلافهم في تفسيره، ونحن نذكر جميع ما قاله النحويون ونخبر بما نظن أنه الصواب واللَّه أعلم، وقبل شرح إعرابه نخبر بقراءة القُرَّاءِ فيه.

أما قراءة أهل المدينة والأَكْمَهِ في القراءة فبتشديد إنَّ، والرفع في هذان وكذلك قرأ أهْلُ العِراق حمزةُ وعاصم - في رواية أبي بكر بن عياش - والمدنيونَ. ورُوِيِ عَنْ عاصم: إنْ هذان بتخفيف «إنْ»، ويُصَدّق ما قرأه عاصم في هذه القراءة ما يُرْوَى عَنْ أُبَيٍّ فَإِنَّهُ قرأ: ما هذان إلاَّ سَاحِرَانِ، ورُوِيَ أيضاً عنه أنه قرأ: إنْ هَذَان إلاَّ سَاحِرانِ، ورويت عن الخليل أيضاً: إنْ هٰذان لَسَاحِرَان - بالتخفيف -. والإجماع أنه لم يكن أحد بالنحو أعلم من الخليل. وقرأ أبو عمرو وعيسى بن عُمَر: إنَّ هَـذَيْن لَسَاحرانِ، بتشديد «إنَّ» ونصب هذين.

---

(١) ديوانه ٥٥٦، واللسان - (جلف - سمت)، والخزانة ٢/٤٧، وشواهد الكشاف ٧٨.

فهذه الرواية فيه.[١]

فأما إحتجاج النحويين فاحتجاج أبي عمرو في مخالفته المصحف في هذا أَنَّهُ رُوِيَ أنه من غَلَطِ الكاتب، وأن في الكتاب[٢] غَلَطاً سَتُقِيمُه العربُ بألْسِنَتِهـا، يروى ذلـك عَنْ عُثْمَانَ بنِ عفَّانٍ وَعَنْ عائشة ـ رحمهما اللَّه ـ. وأما الاحتجاج في أنّ هـذان بتشديد أن ورفع هـذانِ فحكى أَبو عُبَيْدَة عن أبي الخطاب[٣] وهو رأس من رؤساء الرواة، أنها لغة لِكنَانَة، يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنَّصْبِ والخفض على لفظ واحدٍ، يقولون أتاني الزيدان، ورأيت الزَّيْدَانِ، ومررت بالزَّيْدَانِ، وهؤلاء ينشدون:

فـأطـرق إطـراق الشجـاع ولـو رأى مَسَـاغـاً لِنَـابَـاهُ الشُّجـاعُ لصَمَّمَـا[٤]

وهؤلاء أيضاً يقولون: ضَرَبْتُه بين أذُناه، ومن يشتري مني الخُفَّانِ وكذلك روى أهل الكوفة أنها لغة لبني الحرث بن كعْبٍ.

قال النحويُّون القُدَمَاءُ: ههنا هاء مضمرة، المعنى إنَّـهُ هذانِ لَسَاحِرَانِ،

---

(١) هذا ما روي في هذا الحرف.

(٢) في الكتابة ورسم المصحف.

(٣) أورد أبو عبيدة عدة آراء منها رأي أبي الخطاب ونصه في مجازه: «وزعم أبو الخطاب أنه سمع قوماً من كنانة وغيرهم يرفعون الاثنين في موضع الجر والنصب» ا هـ. ويعني بالاثنين المبتدأ والخبر، ـ ثم نقل عن بشر بن هلال رأياً آخر ـ يجعل «إن» حرف جواب، وهـذان مبتدأ ـ انظر المجاز حـ ٢ ص ٢١ ـ ومن المعروف أن من العرب من يلزم المثنى والأسماء الخمسة الألف، ومن شواهد النحو الشائعة:

يا ليت عيناها لنا وفاها ... أن أباها وأبا أباها

قد بلغا في المجد غايتاها

(٤) البيت للمتلمس من القصيدة التي تقدم ذكر سببها وبيت منها في ص ٢٦٢ من هذا الجزء والشجاع ذكر الأفاعي ـ وأطرق وقف متحيراً، وصمم عض من العظم. والبيت في ابن يعيش ١٢٨/٣، واللسان (صمم) والمرتضى ١/٥.

وقــالــوا أيضــاً أن معنى «إنَّ» معنى «نَعَمْ»، المعنى نعم هَـذان لســاحِــرَانِ، وينشِدون:

ويقلــن شــيب قـد عــلاك وقـد كـبرت فقلــت إنــه[1]

ويَحتجُّون بأن هـذه اللامَ أَصْلُهَـا أن تقع في الابتـداء، وأن وُقُوعَهـا في الخبر جائز، وينشدون في ذلك:

خــالي لأنتَ، ومن جـريــرٌ خَـالُــه ينــل الـعـلاء ويكــرم الاخـــوانــا

وأنشدوا أيضاً:

أم الـحـليس لـعـجــوز شـهــر بـه ترضى من اللحم بعظم الـرقبة[2]

قـالوا: المعنى لأنت خـالي، والمعنى لأم الحليس عجوز، وقـال الفراء في هذا: إنهم زادوا فيها النون في التثنية وتـركوا الألف على حـالها في الـرفع والنصب والجر كما فعلوا في الَّذي، فقالوا: الَّذِينَ في الرفع والنصب والجـر، فهذا جميع ما احتج به النحويون.

والذي عندي ـ واللَّه أعلم ـ وكنت عرضته على عالِمَيْنَا ـ محمد بن يزيد وعلى إسماعيل بن إسحق بن حماد بن زيد القاضي فقبلاه وذكـرا أنّه أجـود ما سمعاه في هذا، وهو «أنَّ» قد وقعت موقع «نعم»، وأن الـلام وقعت مَوْقِعَهَـا، وأن المعنى هذان لَهما ساحِرَانِ.

---

(١) لعبد اللَّه بن قيس الرقيات العامري ـ من أهل الحجاز، مدح مضعب بن الـزبير وعبـد الملك، وسمي بالرقيات لأنه شبب بثلاث نسوة كل تسمى رقية وقيل لأنّ لـه ثلاث جـدات كل تسمى رقيـة ـ كان شعره يمتاز بالرقة ـ، وكان حماد الراوية يقول: إذا أردت أن تقول الشعـر فارو شعـر ابن قيس الرقيابت فإنه أرق الناس حواشي شعر.

انظر شواهد المغني ٤٧، والأغاني.

(٢) الخزانة ٣/ ١٣٠ ـ فقه اللغة للثعالبي ٣٥٧.

والذي يلي هذه في الجودة مذهب بني كنانة في ترك ألف التثنية على هيئة واحدة، لأن حق الألف أنْ تَدُلَّ على الاثنين، وكان حقها ألَّا تتغيّر كما لم تتغير ألف رحى وعصى[1]، ولكن كان نقلها إلى الياء في النَّصْبِ والخفض أبينُ وأفْضَلُ [للتمييز] بين المرفوع والمنصوب والمجرور. فأما قراءةَ عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء فلا أُجيزها لأنها خلاف المصحف، وكل ما وجدته إلى موافقة المصحف أقرب لم أُجِزْ مُخَالفَتَه، لأن اتباعه سنة. وما عليه أكثر القراء، ولكني أسْتَحسِنُ إنّ هذان لساحران بتخفيف «إن» وفيه إمامان: عاصمٌ والخليلُ، وموافقة أُبيّ في المعْنَى وإن خالفه اللفظ، ويستحسن أيضاً إنَّ هذان بالتشديد، لأنه مذهب أكثر القراء، وبه يقرأ وهو قوي في العربية.

قوله تعالى: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾.

معناه في قول النحويين بجماعتكم الأشراف. والمثلى تأنيث الأمثل، ومعنى الأمثل والمثلى معنى «ذوُ الفضل» الذي يستحق أن يقال [فيه] هذا أمثل قَوْمِه.

وفي التفسير: ﴿بِطَرِيقَتِكُمْ الْمُثْلَى﴾ بأشْرَافكم، والعرب تقول للرجل الفاضل هذا طَرِيقةُ قوْمِه، ونَظِيرَة قومه، ونَظُورَة قومه. كل هذا للرجل الفاضِل. وإنما تأويله هذا الذي ينبغي أن يجعلَهُ قومُه قدوةً وَيَسْلكوا طريقته. والذي قال أيضاً: هذا نظورة قومه ونظيرة قومه، معناه هذا الذي ينبغي أن يَنْظُر إليه قومُه[2] وأن يتبعوه.

والذي عندي ـ والله أعلم ـ أن في الكلام محذوفاً يدل عليه ما بقي، إنما المعنى يذهبا بأهل طَرِيقتكم المثلى، كما قال الله عز وجل: ﴿واسْأَلِ

(١) أي يعامل المثنى معاملة المقصور.

(٢) ينظر إليه قومه يقلدونه.

الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَا فِيهَا﴾[1]، معناه وَاسأل أهل القرية، وكذلك قول العرب: هذا طريقة قومه معناه هذا صاحب طريقة قومه.

وقوله عز وجل: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾.

تأويله اخترتك لإقَامَةِ حُجَّتِي، وجَعَلْتُكَ بَيْنِي وبين خَلْقِي حتى صرت في الخطاب عني والتبليغ عني بالمنزلة التي أكون بها لو خاطبتهم واحتججت عليهم.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾.

وقرئتْ فاجمعوا كيدكم، فمن قرأ فأَجمِعُوا بقطع الألف، فمعناه ليكن عزمكم كلكم على الكيد مُجْمَعاً عليه [أي] لا تَختلِفُوا فتخْتَلُّوا. ومن قرأ فاجمعوا فمعناه جيئوا بكل كيد تقدرون عليه، ولا تبقوا مِنْهُ شيئاً.

وقوله: ﴿ثم ائْتُوا صَفًّا﴾.

معناه ائتوا الموضع الذي تجتمعون فيه لِعيدِكم وصَلَاتِكم، يقال: أتَيتَ صَفًّا بمعنى أتيت المُصَلَّى، ويجوز أن يكون «ثم ائتوا صَفًّا» ثم ائتوا مصطفين مجتمعين ليكون أنظمَ لأموركم، وأشد لهيئتكم.

﴿[وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَن اسْتَعْلَى]﴾.

ومعنى ﴿مَنْ اسْتَعْلَى﴾ من علا بالغلبة.

وقوله عز وجل: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾.

ولم يَقُل ههنا «فألقَوْا» فإذا حبالهم، لأنه قد جاء في موضع آخر، ﴿فأَلْقَوْا حِبَالَهم وعِصِيَّهُمْ﴾[2]. ويجوز في عِصِيٍّ عُصِيٍّ، والكسر أكثر، والأَصْلُ

---

(١) يوسف الآية ٨٢.

(٢) سورة الشعراء الآية ٤٤.

الضَّمُّ(١) إلا أن الكسر يثقل بعد الضم فلذلك اختير كسر العين.

ويروى في التفسير أنَّ السَّحرةَ كانـوا يومئـذٍ(٢) سبعين ألف ساحِرٍ معهم سبعون ألف حَبْلٍ وَسَبْعون ألف عصا، فـأوحى اللَّه إلى موسى حين خُيِّـلَ إليه من سِحرهم أنها تسعى أَنْ يُلْقِيَ عَصَاهُ فإذا هي ثعبانٌ مُبينٌ فَاغِر فَاه فابتلع جَمِيعَ تلك الحبال، وقرئت ﴿فإذا حِبَالُهم وعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾.

ومـوضع أن على هـذه القراءة رفـع، المعنى يخيل إليـه سَعْيُهـا، ويقـرأ «تُخَيَّلُ» بالتاء، وموضع أَنَّ عَلَى هذه القراءة يجوز أن يكـون نصباً، ويجـوز أن يكـون رفعا، فـأما النصب فعلى معنى يخيـل إليه أنهـا ذات سَعْيٍ ويجـوز أن يكون مرفوعاً على البدل على معنى يخيل إليه سِعَايتُها، وأبدل أنهـا تسعى من المضمـر في يخيـل لاشتمـالـه على المعنى، ويكــون إليـه الخبــر على هـذا التقدير..

ومثل ذلك ما حكاه سيبويه يقال: مالي بِهِمْ عِلْمٌ أَمْرُهُم، أي مالي علمٌ بِأَمْرِهم، ومثل ذلك من الشّعر: (٣)

وذكــرت تَقْــتــدَ بَــرْدَ مــائــهـا

المعنى وذكرت بَرْدَ ماءِ تَقْتد.

---

(١) لأنه فعول.

(٢) في الأصل يومئذ يومئذ، وهو سهو من الكاتب.

(٣) رجز ينسب لأبي حمزة الفقعسي: يصف إبلا بأنها اشتد ظمؤها وتخَثَّر دمهـا وتغير لـونه، وظهـر ذلك في عروقهـا، حينئذ تتـذكر تقتـد، وهي ماء من ميـاه بني سعد بن بكـر بن هوازن ـ وقبـل هذا البيت:

حــتـى إذا مــا تــم مـن إظـمــائـهــا ... وعَــتَـكَ الـبَـوْلُ عــلى أَنْـسَــائـهــا

أي تغير لونه بالحمرة، والأنساء عروق في باطن الفخذ واحدها نسا.

انظر ما كتبه محقق كتاب سيبويه، والمراجع التي رجع هو إليها (كتاب سيبويه ١ / ١٥١).

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾.

ويقرأ كيد سِحْـر، ويجوز إنمـا صنعوا كيـدُ سَاحِـرٍ، ويجوزُ كَيْـدَ ساحِـرٍ بنصب الدال. فمن قرأ «أنَّما» نصب «أنَّمَا» على معنى تلقَفْ مَا صَنَعُوا لِأَنَّ مـا صنعوا كيد ساحِرٍ[1]، ولا أعلم أحداً قرأها هنا «أَنَّمَا»، والقراءة بـالكسر، وَهُـوَ أَبْلَغُ في المَعْنَى.

فأما رفع كيد فعلى معنى أن الذي صَنَعُوهُ كَيدُ سَاحِرٍ على خبر إنَّ وَ «مَا» اسم، ومن قرأ كيدَ ساحِرٍ جعل «ما» تمنع «إنَّ» العَمَل، وتَسَوَّغُ للفِعْلِ أن يكون بعدها، وينتصبُ «كَيْد ساحر» بصَنعوا، كما تقول: إنما ضَرَبْتُ زيداً[2].

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾.

قالوا معنـاه حيث كان، وقيـل معناه حيث كـان الساحـر يجبُ أن يُقتَلَ، وكذلك مذهب أهل الفقه في السحرة.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً [موسى]﴾.

وأصلها خِوْفَة، ولكن الواو قلبت ياء لانكسار ما قبلها.

﴿[وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا]﴾.

و «تَلْقَف» القراءة بالجزم جواب الأمر، ويجوز الرفع على معنى الحـال، كأنه قال ألقها مُتَلَقِّفَةً، على حال مَتوقَّعَةٍ، ولم يقرأ بها، ولا ينبغي أن يقـرأ بما لم تتقدم به قراءة.

وقوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً﴾.

﴿سُجَّـداً﴾ منصوب على الحـال، وهي أيضاً حـال مقدرة، لأنهم خـروا وليسوا ساجدين، إنما خروا مقدرين السجود.

---

(١) فتح همزة إنما لأنها مجرورة تقديراً واللام محذوفة.

(٢) أي ما صنعوا إلَّا كيد ساحر.

وقوله: ﴿فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾.

معناه على جذوع النَخِل، ولكنه جاز أن تقع «في» هَهُنَا لأنه في الجذع على جهة الطول، والجذع مُشْتَمِل عليه فقد صار فيه، قال الشاعر:[1]

همو صلبوا العَبْديّ في جذع نَخْلةٍ   فلا عطسَتْ شيبان إلا بأجدعا

قوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى﴾.

«أيّ» رفعت لأنها وضعت موضع الاستفهام، ولا يعمل ما قبل أيٍّ فيهَا لأن ما قبلها خبر وهي استفهام، فلو عمل فيها لجاز أن يعمل فيما بعد الألف في قولك: قد عَلِمْتُ أزَيدٌ في الدار أم عمرو.

وقوله: ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ البَيِّنَاتِ والَّذِي فَطَرَنَا﴾.

موضع الذي خفض، المعنى لن نؤثرك على اللّه، ويجوز أن يكون «الّذي» خَفْضاً على القسم، ويكون المعنى لن نؤثرك على ما جاءنا من البَيِّناتِ وَاللّهِ، أي نحلف باللّه[2].

قوله: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾.

[أي] اصنع ما أنت صانع، قال أبو ذؤيب:

---

(١) هو سويد بن أبي كاهل اليشكري، صاحب العينية التي كانت في الجاهلية تسمى اليتيمة - وأولها:

بسطت رابعة الحبل لنا   فوصلنا الحبل منها ما اتسع

وينسب سويد إلى ذبيان أيضاً - قيل إن أمه كانت زوجاً لرجل من ذبيان مات عنها وهي حامل فتزوجها أبوه أبو كاهل وقد هجاه زياد الأعجم بهذا، ويقال إنه ولد في بني ذبيان وتزوجت أمه وهو يافع فاستلحقه أبو كاهل وادعاه وقد كان جاراً لبني شيبان فأساءوا جواره وله فيهم أهاج، وهذا البيت منها وأخبار سويد بالجزء الثالث عشر من الأغاني ط دار الكتب ص ١٠٢ وما بعدها والبيت في اللسان (عبد) منسوباً له. وفي شواهد المغني ٤٩٧ بيروت والكامل ٤٩٨، والطبري ١٦/ ١٢٧.

(٢) ويقدر مقسم عليه محذوف، والتقدير وحق الذي فطرنا لن نؤثرك على ما جاءنا.

وعليهما مسرودتانِ قضاهما داود أو صنع السوابغَ تُبَّعُ[1]

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنَّما تَقْضِي هَذِه الحَياةَ الدُّنْيَا﴾.

القراءةُ بالنصب ـ الحيَاةَ الدُّنيا ـ ويجوز إنما تقضي هذه الحياة الدنيا بالرفع، تأويله أن الذي تقضيه متاع الحياة الدنيا، ولا أعلم أحداً قرأها بالرفع.

وقوله: ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عليه مِن السِّحْرِ﴾.

موضع «ما» نصب، المعنى لتغفر لنا خطايانا وإكراهك إيانا على السحر، ويروى أن فرعون أكرههم على تعلم السحر.

ومعنى: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾.

أي اللَّه خير لنا منك وأبقى عذاباً لأنهم قالوا هذا لَهُ جَوابَ قوله: ﴿ولتعلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي البَحْرِ يَبَساً﴾.

ويجوز يابِساً وَيَبْساً، بتسكين الباء، فمن قال يابساً جعله نعتاً للطريق، ومن قال يَبَساً فإنه نعته بالمصدر المعنى طريقاً ذا يَبَسٍ، يقال يبس الشيء يَبْبَس ويَيْبِسُ يَبَساً، ويُبْساً ويَبْساً، ثلاث لغات في المصدر.

وقوله: ﴿لَا تَخافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى﴾.

ويجوز: لا تَخَفْ دَرَكاً وَلَا تَخْشى، فمن قرأ لا تخاف، فالمعنى لست

---

(١) لأبي ذؤيب الهذلي. يصف رجلين يتأهبان للبراز ـ من عينيته التي رثى بها أولاده والمسرودتان درعان، وقضاهما أي صنعهما، وداود هو النبي داود عليه السلام، وتبع من ملوك حمير. وخطأ الأصمعي أبا ذؤيب في هذا لأن تبعاً لم يكن يصنع الدروع وإنما كان يأمر بعملها ـ انظر ديوان الهذليين ١/ ١٩، والطبري ١١/ ٥٦ ومجاز أبي عبيدة ١/ ٢٧٥.

تخاف دَرَكاً، ومن قال لا تخفْ دَرَكاً فهو نهي عن أن يخاف، ومعناه لا تخف أن يدركك فرعونُ ولا تخشى الغرقَ.

﴿فأَتبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنودِهِ﴾.

ويقرأ فاتَّبَعَهُمْ فرعونُ بجنوده، فمن قرأ فَأَتْبَعَهُم ففيه دليل أنه أتبَعَهُم ومعه الجنود، ومن قرأ فاتَّبَعَهُمْ فرعون بجنوده فمعناه أَلْحَقَ جُنُودَهُ بِهِم. وجائز أن يكون معهم على ذا اللفظ وجائز ألاَّ يكون إلاَّ أنه قد كان معهم.

﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ اليَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾.

اليم البحر، والمعنى فغشيهم من اليم ما غَرَّقَهُمْ

وقوله :﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ [عَلَيْه غَضَبِي فَقَدْ هَوَى]﴾.

ويقرأ فيَحُلَّ عليكم غضبي، وَمَن يَحْلُلْ عليه غضبي. فمن قرأ فيَحِلَّ عليكم فمعناه فيجب عليكم[1]، ومن قرأ فيحُل عليكم فمعناه فينزل عليكم. والقراءة: ومن يَحْلِلْ بكسر اللام أكثر.

﴿فقَد هَوَى﴾

أي هَلكَ وصار إلى الهَاوِيَةِ، وهي قَعْرُ نار جَهنَّمَ.

وقوله عزّ وجلّ:﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾.

أي تاب من ذنبه، وآمن بربِّه وعمل بطاعتِه، ثم اهْتَدى، أي ثم أقام على إيمانه.

وقوله عزّ وجلّ :﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي﴾.

﴿أولاء﴾ مبني على الكسر،﴿على أثري﴾من صلة ﴿أولاء﴾، ويجوز أن يكون

---

(١) من حَل يحلُّ له أو عليه بمعنى استحق له أو عليه، أي حق أن يكون كذلك.

خَبـراً بَعْدَ خَبـرٍ، كأنـه قال: هم على أثـري هاؤلاء، والأجـود أن يكون صلة، ورويت أُولاَيَ على أثري ولا وجه لها، لأن الياء لا تكون بعد الألف آخـرةً إلا للإضافة نحو هـداي، ولا أعلم أحداً من القـراء المشهورين قـرأ بها وذكـــرها الفراء، ولا وجه لها.

قوله :﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾.

أي ألقيناهُمْ في فتنة ومِحْنَةٍ، واختَبَرْنَاهُمْ.

﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾.

قال بعض أهل التفسيـر: السَّامِـريُّ عِلجٌ مِن أَهْلِ كِـرْمَانَ، والأكثـر في التفسير أَنَّهُ كان عظيماً من عظماء بني إسرائيل من قبيلة تعرف بـالسَّامِـرَةِ. وهم إلى هذه الغاية في الشام يعرفون بالسامريين.

وقوله عزّ وجلّ :﴿ غَضْبَانَ أَسِفاً ﴾.

أَسِفُ شَدِيدُ الحُزْنِ مع غَضَبِهِ.

وقوله :﴿أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

القراءة فيها بالكسر [في حاء يَحِلّ] على معنَى أنه يجب عليكم، فالضمُّ يجوز فيها على معنى أن ينزل عليكم غضب من ربكم.

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾.

يجـوز الضم والكسر والفتـح في الميم. بمُلْكِنَـا، وبِمَلْكِنَـا، وبِمِلْكِنَـا. فـأصل الملك السلطان والقـدرة، والمِلْك ما حَـوَتْهُ اليَـدُ، والملك المصـدَرُ. تقول: ملكت الشيء أمْلِكه مَلْكاً. وقيل في بعض التفسير: ما أَخْلَفْنَـا مَوْعِـدَك بـأنْ مَلَكْنَا الصَّـوابَ. وجائـز أن يكون مـا أخلفنا مـوعدك بسلطانٍ كـان لنا ولا قدرة، ثم أَخْبَرُوا سبب تأخرهم عنه فقالوا:

﴿وَلكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ القَوْمِ﴾.

ويقرأ حُمِّلْنَا أوزاراً، بتشديد الميم وكسرها، يعنـون بالأوزار حُلِيًّـا كانـوا أخذوها من آل فرعون حينَ قذفهم البحرُ فألْقَاهُمْ عَلَى سَاحِلِهِ، فأخذوا الذهب والفضـة، وسميت أوزاراً لأن معناهـا الآثـام، وجـائـز أن يكـون سُمِّيَتْ أوزاراً يعنون بها أَثْقَالاً، لأنَّ الوِزْرَ في اللغـة الحِمْلُ، وسُمِّيَ الإثمُ وِزْراً لأن صـاحبه قد حُمِّلَ بها ثقلاً، قال اللّه تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾[1].

فقالوا: حملنا حُلِيًّا فقذفناها في النار، وكذلك فعـل السَّامِـريّ، أي ألقى حَلْياً كان معه.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ﴾.

واختلف في تفسيـر خُوارِه، فقيـل إنه كـان يَخُـورُ كمـا يَخُـورُ الثـورُ من الحيـوان، فإذا خـار سجدوا لـه، وإذا عاد الخُـوارُ رَفَعُـوا من السجـود، وقـال بعضهم: إنما خَارَ خَوْرَةً واحدةً، وَدَلِيله :﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً﴾.

وقال مجاهدٌ: خُوارُه حَفِيفُ الريح إِذَا دَخَلَتْ جَـوْفَهُ. وَيُـرْوى أن هارون عليه السلام مَرَّ بالسَّامِرِيّ وهو يصنع العجل فقال له: ما تصنع. قال أصنـع ما لا ينفـع ولا يَضُرُّ، وقـال: أدْعُ، فقال هارون اللَّهُمَّ أَعْطِـه ما يَسـأَلُ كما يُحِبُّ، فسأل اللّه عز وجل أن يجعل للعِجْل خُواراً، والذي قاله مجاهِـدٌ من أنّ خُوارَهُ حفيفُ الريح فيه، أسرع إلى القبول لأنه شيء ممكن. والتفسيـر الآخر [وهـو] أنه خوار ممكن في محنـة اللّه عزّ وجـلّ ـ أن امْتَحَنَ القَـوْمَ بـذلـك، وليس في خُوارِ صُفْرٍ[2] ما يوجب عبادته لأنهم قد رأوه معمولاً مصنوعاً، فعبادتهم إياه لو خارَ وتكلم كما يتكلم الآدمي لم تجب به عبادته.

فقالوا: ﴿هَذَا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾.

قيـل إن السّامِـرِيَّ نسيَ ما كـان عليه من الإيمـان، لأنه نـافق لمـا عبـر

(١) سورة الانشراح / ٢ ـ ٣.

(٢) ذهب أو نحاس.

البحر، المعنى فترك ما كان عليه من الإيمان، وقيل إن السَّامِريّ قال لهم إن موسى عليه السلام أراد هذا العجل فنسِيَ وترك الطريق الذي يصل إليه.

وقوله جلّ وعزّ:﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنْ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾.

كما قال:﴿أَلَمْ يَرَوْا أنه لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾[1]، ويجوز أَنْ لا يَرْجِعَ بنصب بأن، والاختيارُ مع رأيت وعلمتَ وَظَنَنْتُ أن لا يفعلُ، في معنى قد علمت أنه لا يفعَلُ.

وقوله جلّ وعزّ:﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾.

يا ابنَ أمَّ بفتح الميم، وإن شئت يا ابن أُمِّ - بكسر الميم - وفتحت أم والموضع موضع جرٍ لأن «ابن» و«أم» جُعلا اسماً واحداً فبنى ابن وأم على الفتح، ومن قال يا ابن أمِّ أضافه إلى نفسه. وفيها وجه ثالث «يا ابْنَ أُمِّي لَا تَأْخُذْ» ولكنه لا يقرأ بها. ليست ثابتة الياء في المصحف. ومثل هذا من الشعر:

يا ابن أمّي ويا شقيقَ نفسي أنت خَلَّيْتَنِي لِدَهْر شديدٍ[2]

ولم يجيء هذا إلا في ابن أم، وابن عم، وذلك أنه يقال لمن ليس بأخٍ لأمٍّ. ولا بأخ البتّةَ: يا ابن أمِّ، وكذلك يقال للأجنبي: يا ابن عم، فلما أزيل عن بابه بني على الفتح، وإن كان قد يقول القائل لأخيه من أمه أيضاً يا ابن أمِّ، فإنما أدخل أخاه في جملة من يقول له يا ابن أمِّ.

وقد قيل في هارون إنَّه لم يَكُنْ أَخَا موسى لأُمِّه - واللَّه أعلم -.

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٨.

(٢) لأبي زُبيد الطائي يرثي أَخَاهُ لأمِّـهِ، وشقيق تصغير شقيق - صغره للحنان والرحمة، والبيت من شواهد النحو الشائعة، انظر ابن يعيش ٢/١٢ وكتاب سيبويه ٢/٢١٣، والعيني ٤/٢٢٤، ومجاز أبي عبيدة ٢/٢٥.

قوله :﴿قَالَ فَما خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ :

معنى ما خطبك ما أمرك الذي تخاطب به .

﴿قال بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا به﴾ .

يقال: قَدْ بَصُرَ الرَّجُلَ يَبْصُرُ إذا كان عليماً بالشيء، وأبْصَرَ يُبْصِرُ إذا نظر، والتأويل علمتُ بما لم يعلموا به، وكان رأى فرس جبريل عليه السلام فقبض قبضة من تراب حافر الفرَسِ ، يقال: قبضت قبضةً، وقَبَصْتُ قَبْصَةً - بالصاد غير معجمةٍ - فالقبضة بجملة الكف، والقبصة بأطراف الأصَابع . ويقرأ بالصاد والضاد، وفيه وجه آخر لم يقرأ به فيما علمت، يجوز فقبصتُ قَبْصَةً وقُبْصَةً، ولكن لا يجوز القراءة بها - إن كان لم يقرأ بها - فالقبضة قبض الشيء مرةً واحدةً، والقُبْصَةُ مقْدَارُ مَا يقبضُ، ونظير هذا قوله عزّ وجلّ: ﴿إلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرفَةً [بِيَدِهِ]﴾[1]، وغرْفَةً بِيَدِه .

﴿فنَبَذْتُهَا﴾ .

أَلْقَيْتُها في العِجْل لتَخُورَ.

﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ .

أي زيَّنَتْ لي نَفْسِي ، ومثله :﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وأَمْلَى لَهُمْ﴾[2] .

﴿قَالَ فَاذْهَبْ فإنَّ لَكَ فِي الحَياةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ .

وأنَّ لك، ويجوز لا مَسَاسِ وأنَّ لك - بفتح الميم وكَسْرِ السين الآخرةِ على وزن دَرَاكِ وتَراكِ[3]، والتأويل أن موسى عليه السلام حرم مُخَالَطةِ السامِريّ، فالمعنى إنك في الدنيا لا تخالط جزاء لفعلك، فمن قرأ لا

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٤٩ .

(٢) سورة القتال الآية ٢٥ .

(٣) فتكون علماً مبنياً على الكسر مثل حذام .

مَساسَ ـ بفتح السين الأخيرة فهو منصوب على البدء به[1]، ومن قال: لا مَسَاسِ فهو مبني على الكَسْرِ، وهو نفي وقولك مَسَاسِ، أي مساس القوم تأمر بذلك، فإذا قلت لا مَسَاسِ فهو نفي ذلك، وبنيت مسَاسِ على الكسر وأصلها الفتح لمكان الألف، ولكن مساس ودَرَاكِ مؤنث، فاختير الكسر لالتقاء الساكنين لأنك تقول في المؤنث فعَلْتِ يا امرأةُ، وأعطيتك يا امرأةُ.

﴿وإنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ﴾.

ولن تُخْلِفُهُ، فمن قرأ لن تخلفه فالمعنى[2] يكافئك اللَّه على ما فعلت في القيامة واللَّه لا يخلف الميعادَ، ومن قرأ لن تخلِفَه فالمعنى إنك تبعث وتوافي يوم القيامَةِ، لا تقدر على غير ذلك، ولن تُخْلِفَه.

وقوله عزّ وجلّ:﴿وانْظُر إلَى إلٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً﴾.

وظِلْتَ بفتح الظاء وكسرها، فمن فتح فالأصل فيها ظَلِلْتَ، ولكن اللَّامَ حُذِفَتْ لثقل التضعيف والكسر، وبقيت الظاء على فتحها، ومن قرأ ظِلْتَ ـ بالكسْرِ ـ حَوَّلَ كَسْرةَ اللام على الظاء، وقد يجوز في غير المكسُور نحو أحَسْتُ تُرِيدُ أحْسَسْتُ، وقد حُكِيَتْ هَمْتُ بذلِكَ، تريد هَمَمْتُ ومعنى عاكف مُقيمٌ، وعاكف منصوب خبر ظلت، ليس بِمنْصُوبٍ عَلى الحال.

وقوله:﴿لَنُحْرِقَنَّهُ﴾.

ويقرأ لَنُحْرِقَنَّهُ أي لَنَحْرِقَنَّه بالنَّارِ، فإذا شَدَّدَ فالمعنى نُحَرِّقُه مرَّة بعد مرَّةٍ، وقرئت لَنحرُقَنَّهُ، وتأويله لَنَبْرُدَنَّه بالمِبْرَدِ، يقال حَرَقْتُ أَحْرُق وأحْرِقُ إذا بردت الشيء. ولم يقرأ لنحرِقَنَّهُ، ولو قُرِئَتْ كانَتْ جائزة.

---

(١) اسم «لا» مبني على الفتح.

(٢) اللَّه وعدك به ولن يخلفك اللَّه ما وعدك.

وقوله عزّ وجلّ:﴿ثم لَنَنْسِفَنَّه فِي اليَمِّ نَسْفاً﴾.

اليمُّ البَحْر، والنسف التذرِيَةُ.

وقوله:﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ حِمْلاً﴾.

المعنى ساء الوِزْرُ لهم يوم القيامَةِ، و ﴿حِمْلاً﴾ منصوب على التمييز.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾.

قد جرى تفسيره فيما مَضى. وأكثر ما يـذهب إليه أهـل اللغة أن الصـور جمع صورة.

وقوله عزّ وجلّ:﴿وَنَحْشُر المُجرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾.

قيل عطاشا وقيل عُمْياً، يخرجون من قبورهم بُصرَاءَ كما خلقـوا أول مَرَّةٍ ويعمَوْنَ في المَحْشرِ، وإنما قيل زُرْقاً لأن السَواد[1] يزرق إذا ذهبت نواظِرُهُمْ، ومن قال عطاشا فجيّدٌ أَيْضاً، لأنهم من شدةِ العَـطشِ يتغير سـواد أَعْيُنهم حتى يزرقّ.

وقوله ـ عزّ وجلَّ ـ:﴿يَتَخافَتُونَ بَيْنَهُمْ إنْ لَبِثْتُمْ إلاَّ عَشْراً﴾.

أصل الخفوت في اللغة السكون، والتخَافت ههنا السِّرارُ، فالمعنى أنهم يَتَسَارُّونَ بَيْنَهُمْ.

وقوله عزّ وجلَّ : ﴿أَمْثَلُهُمْ طَرِيقةً﴾.

أي أعلمهم عند نفسه بما يقول

﴿إنْ لَبِثْتُم إلاَّ يَوْماً﴾، معناه ما لبثتم إلاَّ يوماً

وقوله: ﴿فَقُلْ يَنْسِفُها رَبِّي نَسْفاً﴾.

النسف التَّذْرِيةُ

تصير الجبال كالهباء المنثور، تذرَّى تَذْرِيَةً.

---

(١) سواد أعينهم يتحول إلى زرقة ـ فالمعنى ـ إذن ـ نحشرهم زرق العيون.

﴿فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً﴾.

القاع من الأرض المكان الذي يعلوه الماء، ويُقالُ المكانُ الطَّيب والصَّفْصَفُ، المستوي من الأرض.

﴿لاَ ترى فِيهَا عِوَجاً وَلاَ أَمْتاً﴾.

العِوَج في العَصَا والجَبَلِ ألَّا يكون مستوياً، والأمْتُ أن يغلظ مكانٌ ويَدِقَّ مَكانٌ.

قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لاَعِوَجَ لَهُ﴾.

المعنى لا عِوَجَ لَهم عن دُعَائِه، لا يقدرون أنْ لاَ يَتَّبِعُوا

وقوله ـ عزّ وجلَّ ـ : ﴿فَلاَ تَسْمَعُ إلاَّ هَمْساً﴾.

الهَمْسُ في اللغة الشيءُ الخَفِيّ، والهَمْسُ ـ ههنا ـ في التفسير صوت وطء الأقدام.

وقوله: ﴿وَعَنَتِ الوُجُوهُ للحَيِّ القَيُّومِ﴾.

مَعنى عَنَتْ في اللغة خَضَعَتْ، يقال عنا يعنو إذا خضع، ومنه قيلَ أُخِذَتِ البِلاَدُ عَنْوَةً، إذَا أُخِذَتْ غَلَبَةً، وأُخِذَتْ بخضوعٍ من أهلها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

ما بين أيديهم من أمر القيامة، وجميع ما يكون، وما خلفهم ما قد وقع من أعمالِهِمْ.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿فَلاَ يَخَافُ ظُلْماً وَلاَ هَضْماً﴾.

الهضْمُ النَّقْصُ، يقال فلان يهضمني حَقّي أي ينْقُصنِي، وكذلك هذا شيء يهْضِمُ الطعام، أي ينقص ثِقْلَته.

وقوله عزّ وجلّ :﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ .

﴿فنَسِيَ﴾ ههنا معناه فترك، لأن النَّاسِيَ لا يُؤاخَذُ بِنِسْيَانِهِ، وجاء في الحديث: لو وُزِنَ حلم بني آدم مُذْ كان آدم إلى أَنْ تقُومَ السَّاعةُ ما وَفَى حِلْمُ جَميع من وَلَدَهُ وَحَزْمُهُمْ بحلم آدَمَ وَحَزْمِه ـ ﷺ .

وقال عزّ وجلَّ : ﴿ولم نجد له عَزْماً﴾ .

وقوله ـ سبحانه ـ :﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ .

يجوز وإنَّك بالكسر، وأنك بالفتح، فإذَا كسرت فعلى الاستئْنَافِ وعطف جملة كلام على جملة، وإذا فتحت فعلى معنى إن لك «أنْ لا» تظمأ فيها، فَتَنْسقُ بأنَّكَ عَلَى ﴿أَنْ لَا تَجُوعَ﴾. ويكون أنك عَلَى هَذا القَوْل في موضع نصب. ويجوز أن يكون في موضع رفع، والعطف على اسْمِ إن وأنَّ، لأن معنى إن زيداً قائم زيد قائم فالمعنى ذلك إنك لا تظمأ فيها، ومعنى ﴿لا تظمأ﴾ لَا تَعْطَشُ، يقال ظميء الرجل يظمأ ظمأ فهو ظمآن بمعنى عطشان، ومعنى ﴿لا تَضْحَى﴾ ولا تُصيبُكَ الشمسُ، ولا تبرُز يقال ضحى الرجلُ يَضْحَى إذا بَرزَ إلى الشمس، قال الشَّاعِرُ[1] :

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت ... فيضحى، وأما بالعشي فَيَخْصَرُ

ومعنى يخصر يُصِيبُه الخَصَرُ وهو شدة البرْد، وبلوغه الأطراف .

وقوله عزّ وجلَّ :﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ .

الضَّنْكُ أَصْلُه في اللُّغَةِ الضيق والشدَةَ، ومعناه ـ واللَّه أعلم ـ أن هذه المعيشة الضنك فِي نَارِ جَهَنَّم . وأكثر ما جاء في التفسير أنَّه عذابُ القبر.

---

(١) عمر بن أبي ربيعة ـ من رائيته المعروفة، انظر الأغاني حـ ١ ص ٧٢، ٨٢ ط دار الكتب. وهي في ديوانه ص ٩٤ (ت محيي الدين) ـ وانظر اللسان (صحو).

وقوله:﴿وَنَحْشُرُه يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى﴾.

مثل ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً، وقيل أَعْمَى عن حجَّتِه، وتأويله أنه لا حُجَّة له يهتدي إليها، لا أن له حُجَّةً، وأنه يعمى عنها. ما للناس على اللَّه حُجَّة بعد الرُّسُلِ [1]، وللَّه الحجةُ البَالِغةُ وقد بَشَّرَ وأَنْذَرَ، وَوَعَدَ وأوْعَدَ.

وقوله عزّ وجلَّ:﴿لَعَلَّهُمْ يتَّقُونَ أو يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾.

أي لعل الوعيد يُحْدِثُ لهم تَذَكُّرَ العَذَابِ، فيزجرهم عن المعاصي وقيل:﴿أو يحدث لهم ذِكْراً﴾ [أي] شَرَفاً.

وقوله عزّ وجلَّ:﴿وَلَا تَعْجَلْ بالقرآن من قبلِ أنْ يُقْضَىٰ إلَيْكَ وَحْيُهُ﴾.

أي من قبل أن يُبَيَّنَ لَكَ بَيَانُه، ويقرأ من قبل أَنْ نَقْضِي إليك وحْيَهُ بالنون، ويجوز مِنْ قَبْل أَنْ يَقْضِيَ إليك وَحْيَهُ، أي من قبل أن يقضي اللَّه إليكَ وَحْيَهُ، ولم تُقْرأْ «تَقْضِي» وقرئت يُقْضَى ونَقْضِي - بالياء والنون.

وقوله عزّ وجلَّ:﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْك آيَاتُنَا فَنَسِيتَها وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ أي كذلك تترك في النار كما تركت آيَاتِنَا.

وقوله:﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا﴾.

قُرِئَتْ بالنُّونِ والياء، فمن قرأ بالنُّونِ فمعناه أفلم نبين لهم بياناً يهتدون به، ومن قرأ أفلم يَهْدِ - بالياء - فالمعنى أفلم يُبَيِّنْ لَهُم الأمْرُ بإهلاك من قبلهم من القرون، و «كم» في موضع نصب بأهلكنا، وكانت قريش تَتّجِرُ وترى مساكن عادٍ وثمودَ وبها علامات الإهلاك، فذلك قوله:﴿يمشون في مَساكِنِهم﴾ ويجوز في مَسْكَنِهِمْ، أي في مَوضِع سُكْنَاهُمْ ولم يقرأ بها، ويقرأ: يُمَشُّوْنَ في مَسَاكِنِهم بالتشديد.

---

(١) بعد أن أرسل اللَّه الرسل لم يبق لإنسان أن يحتج لعدم قبوله رسالتهم.

وقوله :﴿إنَّ في ذلك لآياتٍ لأُولي النُّهىَ﴾.

أي لذوي العقول والمَعْرِفةِ، يقال: فلان ذو نُهْيةٍ إذا كان لـه عَقْلٌ ينتهي به عن المقابح.

وقوله:﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً﴾.

أي لكان القتلُ الذي نالهم لاَزِماً أبداً، ولكـان العذاب لازمـاً لهـم.

﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾.

معـطوف على ﴿كلمة﴾ المعنى لـولا كلمةٌ سَبَقَتْ وأجـلٌ مسمى [لكـان لزاماً] يُعنَى بالأجل المسمى أن اللّه وعَدَهُمُ العذابَ يومَ القيامَةِ، وذلك قـوله: ﴿بَلِ السَّاعَةُمَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾(١).

وقوله:﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غروبِهَا﴾.

وذلك وقتُ الغداة والعَشِيِّ.

﴿ومِنْ آنَاءِاللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهارِ﴾.

الآناء الساعات، وواحد الآناء إنْيٌ ـ وقد بيناه فيما مَضَى.

﴿فَسَبِّحْ وَأَطْرافَ النَّهَارِ﴾.

وأطراف النهار الظهرُ والعَصْرِ.

﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾، ويقرأ تُرْضَى.

وقوله تعالى:﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ﴾.

أي رِجالاً مِنْهُم.

﴿زَهْرَةَ الحَياةِ الدُّنْيا﴾.

وَزَهَرَة جميعاً ـ بفتـح الهاء وتسكينهـا ـ وزهرة منصـوب بمعنى مَتَّعْنَا لأن معناه جعلنا لهم الحياة الدنيا زهرة.

---

(١) سورة القمر ٤٦.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾.

أي لنجعل ذلك فتنة لهم

وقوله عزّ وجلَّ:﴿[وقالوا]لَوْلَا يَأْتِينَا بآيَةٍ مِنْ رَبِّه﴾.

معناه هلّا يأتينا بآية [من رَبِّه] وقد أتتهم البينـاتُ والآيـاتُ ولكـنَّهُـمْ طلبوا أن يقترحوا هم ما يريدون من الآيات.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أن نَذِلَّ ونَخْزَى﴾. يجوز فيها يُذَل ويُخْزَى.

وقوله عزّ وجلَّ:﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾.

«مَن» في موضع رفع، ولا يجوز أن يعمل فيها فستعْلَمُونَ، لأن معناه معنى التسوية، المعنى فستعلمون أصحاب الصراط السوي نَحْنُ أم هُمْ، فلم يعْمَلْ فَسَتَعْلَمُونَ لأن لفظ الكلام لفظه لفظ الاستفهام، ومعنى ﴿أَصْحَابُ الصراط السوي﴾ أَصْحَابُ الطريق المستقيم، ويَجُوزُ من أصحاب الصراط السُّوَي ومن اهتدى.

﴿وَمَنِ اهْتَدَى﴾.

أي فسيعلمون من أصحاب الطَّريقة السُّوءَى ومن المهتدي.

سُورَةُ الأنبياء
مكـيــة

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾.

معناه اقتربت القيامة، ومثله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانْشَقَّ القَمَرُ﴾[1]، والمعنى ـ واللّٰه أعلم ـ اقترب للناس وقت حسابهم.

وقوله:﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾.

الخفضُ القراءةُ، ويجوز في غَير القراءة مُحْدَثاً ومُحْدثٌ. النصب على الحال، والرفع بإضمار هو.

﴿لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾.

معطوف على معنى ﴿إلَّا اسْتَمَعُوه وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾. معناه استمعوه لاعبين لاهيةً قلوبُهم، ويجوز أن يكون ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ منصوباً بقوله ﴿يلعبون﴾.

﴿وأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾.

في ﴿أسَرُّوا﴾ قولان أجْوَدُهمَا أن يكون ﴿الذين ظلموا﴾ في موضع رفع بدلاً من الواو من أسَرُّوا ومُبَيِّناً عن معنى الواو. والمعنى الا استمعوه وهم يلعبون وأسروا النجوى، ثم بيَّن من هم هؤلاء فكان بدلاً من الواو. ويجوز أن يكون

---

(١) أول سورة القمر.

رفعاً على الذم على معنى هم الذين ظلموا. ويجوز أن يكون في موضع نصبٍ على معنى أعني الذين ظلموا.

وقوله: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾.

بيَّنَ ما أسروه، والمعنى قالوا سِرًّا هل هذا إلَا بشرٌ مثلكم، يعنون النبي ﷺ أعلمهم اللّه عزّ وجلَّ أنه يعلم القول في السماء والأرض، وأُطْلَعَ النبيَّ ﷺ عَلَى قِيلِهِمْ، وسَرِّهِمْ.

﴿[قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ القَوْلَ في السَّمَاءِ والأَرْضِ]﴾.

وقرئت قُلْ رَبِّي [يعلم القول] وقال رَبِّي

وقوله:﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾.

أي قالوا: الذي يأتي به النبي ﷺ أَضْغَاثُ أَحْلام. وجاء في التفسير أَهاوِيل[1] أَحْلام، والأضغاثُ في اللغة الأشياء المختلطة.

﴿بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾.

أي أخذوا ينقضون أقوالهم بعضها ببعض، فيقولون مرة: هذه أحلام، ومرة هذا شعر ومرة مفترى.

﴿فلْيأتِنَا بآيَةٍ كما أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾.

فاقترحوا الآيات التي لا يقع معها إمْهَالٌ إذَا كُذِّبَ بهَا، فقال اللّه عزّ وجلّ:

﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤمِنُونَ﴾.

أي ما آمن أهل قرية أتتهم هذه الآيات حتى أوجب اللّه استئصالهم وإهلاكهم بالعذاب، واللّه جعل مَوْعِدَ هذه الأُمَّةِ القيامةَ، فقال: ﴿بَلِ السَّاعَةُ

---

(١) أهاويل وتهاويل: رؤى وصور غير حقيقية.

موعِدُهُمْ والساعة أدْهَى وَأمَرُّ﴾[1] واللَّهُ قد أعطاهم الآيات التي تبيَّنُوا بها نبوة النبي ﷺ من القرآن الذي دُعُوا أنْ يأتوا بسورةٍ مثله، ومن انشقاق القمر، ومن قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ فظهر أهل الإسلام حتى صاروا أكثر من كل فرقةٍ فليس أهلُ مِلَّةٍ واحدة لهم كثرة أهْلِ الإسْلَامِ، وأظهره اللَّه أيضاً بالحجة القاطعة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾.

أي سَلُوا كل من يقر برسول اللَّه ﷺ من أهل التوراة والإنجيل.

﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

أي إن كنتم لَمْ تَعْلَمُوا أنَّ الرسُلَ بَشَرٌ. وهذا السؤال واللَّه أعلم لمن كان مؤمناً من أهل هذه الكتب[2]، لأن القبول يكون من أهل الصدق والثقة.

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾.

﴿جَسَداً﴾ هو واحد ينبىء عن جماعة، أي وما جَعَلْنَاهم ذوي أجْسَادٍ إلَّا ليأكُلوا الطَّعَامَ، وذلك أنهم قالوا: ﴿مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يأكُلُ الطَّعَامَ﴾[3] فأُعْلِمُوا أن الرُّسُلَ أجمعين يأكلون الطعام، وأنهُم يَمُوتُونَ وهوَ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾.

وقوله: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾.

أي فيه تذْكِرةٌ لكم بما تلقونه من رحمة أو عذاب، كما قال عزّ وجلَّ: ﴿كَلَّا إنّها تَذْكِرَةٌ﴾[4] وقد قيل ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ فيه شَرَفُكُمْ.

وقوله: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾.

---

(١) سورة القمر. الآية ٤٦.

(٢) أي أن السؤال يوجه للمؤمنين من أهل الكتاب.

(٣) سورة الفرقان. (٤) سورة المدثر.

«كم» في موضع نصب بقَصَمْنَا، ومعنى قصمنا أهلكنا وأذهبنا، يقال قصم اللَّه عُمْرَ الكافِرِ أي أذْهَبَهُ

وقوله:﴿فلما أَحَسُّوا بَأْسَنَا إذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾.

أي يهربون من العذاب.

﴿لَا تَرْكُضُوا وارْجِعُوا إلَى مَا أُتْرِفْتُم فِيه ومَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾.

جاء في التفسير أنه قيل لهم ذلك على جهة الاستهزاء بهم، وقيل لعلكم تسألون شيئاً مما أُتْرِفتُم فيه، ويجوز لعلكم تسألون فتجيبون عما تشاهدون إذا رأيتم ما نزل بمساكنكم وَمَا أترفتم فيه.

وقوله :﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إنَّا كُنَّا ظَالِمينَ﴾.

«ويل» كلمة تقال لكل من وقع في هَلَكَةٍ، وكذلك يقولها كل من وقع في هلكة.

وقوله:﴿فَما زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ﴾.

أي ما زالت الكلمةُ التي هي قولُهم: ﴿يَا وَيْلَنَا إنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ دعواهم. يجوز أن تكون ﴿تلك﴾ في موضع رفع اسم زَالتْ و ﴿دعواهم﴾ في موضع نصب خبر زالت وجائز أن يكون ﴿دعواهم﴾ الاسم في موضع رفع، و ﴿تلك﴾ في موضع نصب على الخبر لا اختلاف بين النحويين في الوجْهَيْن.

وقوله:﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

اللَّهْوُ في لُغَةِ حَضْرمَوْتَ الولدُ، وقيل اللهوُ المرأةُ، وتأويلُه أنّ الوَلَدَ لَهْوُ الدُّنْيَا، فلو أردنا أن نتخِذَ ذَا لَهْوٍ يُلْهَى بِهِ، ومعنى، ﴿لاتخذناه مِنْ لدُنَّا﴾ أي لاصطفيناه مما نخلق.

﴿إنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

معناه ما كنا فاعلين. وكذلك جاء في التفسير. ويجوز أن يكون للشرط، أي إنْ كُنَّا مِمَّنْ يَفْعَلُ ذلك ولسنا ممن يفعله. والقول الأول قول المفسرين، والقول الثاني قول النحويين، وهم أجمعون يقولون القولَ الأول ويستجيدُونه، لأن «إنْ» تكون في معنى النفي، إلا أن أكثر ما تأتي مع اللام تقول: إن كنت لصالحاً، معناه مَا كُنْتَ إلاَّ صَالِحاً[1].

وقوله:﴿بَلْ نَقْذِفُ بالحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾.

يعنى بالحق القرآن على باطلهم ﴿فيدمغه﴾ فيذهبُه ذهاب الصغار والإذلال.

﴿فإِذَا هِوَ زَاهِقٌ﴾.

أي ذاهب.

﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾.

أي مِمَّا تَكْذِبُونَ في وصفكم في قولكم إنَّ لِلَّهِ وَلَداً.

وقوله:﴿وَلَهُ مَنْ في السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ﴾.

أي هؤلاء الذين ذكرتم أنهم أَوْلاَدُ اللَّه -عزّ وجلّ- عبادُ اللَّهِ، وهم الملائكة.

وقوله:﴿لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ولاَ يَسْتَحْسِرُونَ﴾.

أي لا يَعْيَوْنَ، يُقَال حَسِرَ واسْتَحْسَرَ إذَا تَعِب وأعْيَا، فالملائكة لا يَعْيَوْنَ.

﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ﴾.

أي لا يشْغَلُهم عن التسبيح رِسَالَةٌ، ومجرى التسبيح منهم كمجرى

---

(١) في هذا المثال ليست أن نافية وإنما هي مخففة من الثقيلة. أما النافية فيكثر مجيء «إلا» بعدها ـ نحو أن هذا إلاَّ بشرٌ مثلكم.

النفس منا، لا يشغلنا عن النفس شيء، فكذلك تسبيحُهمْ دائم.

وقوله: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾.

وَيَنْشُرونَ، فمن قرأ يُنْشِرُونَ فمعناه أم اتخذوا آلهة يُحْيُونَ الموتَى، يقال: أَنْشَر اللَّهُ الموْتَى ونَشَرُوا هُمْ[1]، ومن قرأ يَنْشُرون بفتح الياء، فمعناه: أم اتخذوا آلهة لا يَموتُونَ يَحيَوْنَ أبداً.

وقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾.

﴿فيهما﴾ في السماء والأَرْضِ، وَ«إلاَّ» في معنى «غير»، المعنى لو كان فيهما آلهة غير اللَّه لفسدتَا، فـ«إلاَّ» صفة في معنى غير، فلذلك ارتفع ما بعدها على لفظ الذي قبلها قال الشاعر:

وكل أخ مفارقه أخوه لعَمْرُ أبيك إلاَّ الفرقَدان[2]

المعنى وكل أخ غير الفرقدين مفارقه أخوه.

وقوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

﴿سبحان اللَّه﴾ معناه تنزيه اللَّه من السوء، وقد فسرنا ذلك. وهذا تفسير عن النبي ﷺ.

وقوله: ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.

أي لَا يُسألُ في القيامة عن حكمه في عباده، وَيَسْأَلُ عِبادَهُ عن أعمالهم سؤالُ مُوَبِّخٍ لمن يستحق التوبيخ، ومُجَازِياً بالمغفرة لمن استحق ذلك، لأن اللَّه عزّ وجلّ قد علم أعمَال العِبَادِ، ولكن يسألهم إيجاباً للحجة عليهم، وهو

---

(١) أي نشر هو مطاوع أَنْشَرَ.

(٢) لعمرو بن معد يكرب الزبيدي، وقيل لغيره. انظر الخزانة ٢/٥٣، شواهد المغني ٧٨ والانصاف ١٢٣، وهو من الأبيات الشائعة.

قوله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾[١]. أي سؤال الحجة التي ذكرنا، فأما قوله: ﴿فَيَـوْمَئِذٍ لَا يُسـأَلُ عَنْ ذَنْبِه إِنْسٌ ولا جَـانٌّ﴾[٢] فهذا معنـاه لا يسـأل عن ذنبـه ليستعلم منـه، لأن اللَّه قـد علم أعمـالهم قبـل وقـوعهـا وحين وقـوعهـا وبعـد وقوعها. عَالِمُ الغَيبِ والشهادة،

وقوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾.

قد أَبَانَ اللَّهُ الحجَّـةَ عَلَيهم في تثبيت توحيـده وأن آلهتهم لا تُغْني عنهم شيئاً، ثم قيل لهم: هاتوا برهانكم بأنَّ رَسُولاً من الرسل أنبأ أُمَّتَهُ بـأنّ لهم إلٰهاً غير اللَّه، فهــلْ في ذكرِ مَنْ معيَ وذِكْر مَنْ قبلي إلَّا توحيدُ اللَّه عزّ وجلَّ، وقـد قُرِئَتْ: هذا ذكرٌ مِنْ مَعِي وذكرٌ مِنْ قَبْلِي، ووجهها جَيِّدٌ، ومَعْنَـاهُ هذا ذكـرٌ مما أنزل عَلَيَّ مِمَّا هو مَعِي، وذكرٌ مِنْ قبلي.

قـال أبو إسحاق: يريد بقـولـه «مَن مَعِي» أي من الـذي عنـدي، أو من الذي قبلي. ثم بين فقال:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إلَّا يُوحَى إِلَيْهِ﴾.

و ﴿نوحي إليه﴾ ويجوز يُوحِي إليه ﴿أَنَّه لَا إِلَهَ إلا أَنَا فَاعْبُدونِ﴾.

وقوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَه بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾.

يعني الملائكة وعيسى بنَ مَـرْيَمَ عليه السـلام. والذي في التفسيـر أنهم الملائكةُ، ولو قرئت بل عباداً مُكْـرَمِينَ لم يجز لمخـالفة المصحف، وهي في العربية جائزة ويكـون المعنى: بل اتَّخَذَ عِباداً مُكْرَمِين، والرفع أجْود وأَحْسَنُ

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّموَاتِ والأَرْضَ كانَتَا رَتْقاً﴾.

---

(١) سورة والصافات / ٢٤.

(٢) سورة الرحمن الآية ٣٩.

قال «كانتا» لأن السموات يعبر عنها بلفظ الـواحِدِ، وأن السمـوات كانتـا سمـاء واحدة، وكـذلك الأرضـون كانت أرضـاً واحدةً، فـالمعنى أن السموات كانتا سماء واحدة مُرْتَتَقَةً ليس فيها ماء، ففتق اللَّه السمـاء فجعلها سَبْعـاً وجعل الأرْضَ سَبْعَ أرضين.

وجاء في التفسير أن السَّماء فتقت بالمطر، والأرضَ بالنَّبَاتِ، وَيَدُلُّ على أنه يراد بفتقهـا كون المـطر فيهَا قـوله عـزّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا من الماء كُلَّ شيءٍ حَيٍّ﴾.

وقيل رَتْقاً ولم يَقُـلْ رتقَيْن، لأن الرتق مَصْـدَرٌ. المعنى كانتـا ذَوَاتِيْ رَتْقٍ فَجُعِلَتَا ذواتَيْ فتْقٍ. ودَلَّهم بهذا عَلَى توحِيده ـ جلّ وعزّ ـ ثم بَكَّتَهُمْ فقال:﴿أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ﴾.

وقول:﴿وَجَعَلْنَا في الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾.

المعنى كراهة أن تميـد بهم، وقال قـوم: معناه أَلَّا تميـدَ بهم، والمعنى كـذلك، إلَّا أن «لا» لا تُضْمَـرُ والاسم المضاف يحـذف[1]، وكراهـة أن تميدَ بِهِمْ يؤدي عن معنى ألّا تميد بهم.

ومعنى تميد في اللغة تدور، ويقال للذي يُدَارُ بِهِ إذا رَكِبَ البحرَ مَائِـدٌ، ومَيْدَى والرواسي تعني الجبال الثوابت.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً﴾.

فِجَاجٌ جَمعُ فَجٍّ، وهو كل منخرق بين جبلين، وسُبُلاً طُرَقاً.

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً﴾.

حَفِـظَهُ اللَّه من الـوُقُـوع على الأرض «إلَّا بـإِذْنِـهِ» وقيـل محفـوظـاً، أيْ

(١) المألوف في اللغة حذف المضاف وهو كثير، ولكن لم يؤلف حذف لا.

محفوظاً بالكواكب كما قال عزّ وجلّ :﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ. وحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾(١) .

﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا مُعْرِضُونَ﴾ .

معناه وهم عن شَمْسِها وقَمرها ونُجُومِها، وقد قرئت عن آيتها، وتأويله أن الآية فيها في نفسها أعظم آيةً لأنها مُمْسَكة بقدرته عزّ وجلّ، وقد يقال للذي ينتظم علامات كثيرةً آية، يراد به أنه بجملته دليل على توحيد الله عزّ وجلّ.

وقوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

قيل يسبحون كما يقال لما يعقل، لأنَّ هذه الأشياء وصفت بالفعل كما يوصف مَنْ يعقل(٢)، كما قالت العرب - في رواية جميع النحويين - أكلوني البراغيث لما وصفت بالأكل قيل أكلوني، قال الشاعر(٣):

شربت بها والديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دَنَوْا فُتَصَوَّبوا

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الخَالِدُونَ﴾.

يُقْرأُ مُتَّ بضم الميم، ومِتَّ بكسرها، وأكثر القُرَّاء بِالضَّمِّ، وقد فسرنا ما في هذا البـاب.

---

(١) سورة والصافات الآيتان ٥، ٦.

(٢) في الأصل «ما يعقل» والمراد أنه أسند إليها أفعَال تناسب العقلاء.

(٣) للنابغة الجعدى وقبله:

وصهباء لا تخفى القـذى وهي دونـه تصفق في راووقهـا وهـي تقطب

يصفها بالصفاء، وتصفق تنقل من كأس لأخرى وتقطب تمزج بالماء وبنو نعش يريد بنات نعش وقال بنو نعش لضرورة الشعر.

انظر اللسان - (نعش) وروايته تمززتها - وانظر أخبار النابغة الجعدي في الأغاني حـ ٥/ ص ٤ وما بعدها. وذكره ابن سلام في الطبقة الثالثة من الشعراء الجاهليين.

والفاء دخلت عَلَى «إنْ» جوابَ الجزاء، كما تدخل في قولك: إنْ زُرْتني فأنا أخوك، ودخلت الفَاءُ على «هم» لأنها جواب «إنْ».

وقوله: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾.

«هذا» على إضمار الحكاية، المعنى وإذا رآك الذين كفروا إنْ يتَّخذُونكَ إلا هزُواً يقولون أهذا الذي يَذْكُرُ آلهتكم، والمعنى أهذا الذي يعيب آلهتكم يقال فلان يَذْكُرُ الناس أي يغْتَابُهُمْ ويَذْكُرُهُمْ بالعُيوبِ، ويقال فلان يذكر اللَّه، أي يصفه بالعظمة، ويُثْنِي عليه ويُوَحِّدُه. وإنما يحذف مع الذكر ما عُقِلَ معناه، قال الشاعر(١):

لا تذكري فرسي وما أطعمته فيكون لَوْنُكِ مثل لون الأَجْرَبِ

المعنى لا تذكري فرسي وإحساني إليه فتعيبيني بإيثاري إيَّاهُ عليك.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾.

قال أهل اللغة: المعنى خُلِقَتِ العَجَلَةُ مِنَ الإنْسانِ، وحقيقته يدل عليها، ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً﴾(٢)، وإنما خوطبت العرب بما تعقل، والعرب تقول للذي يكثر الشيء خُلِقْتَ منه، كما تقول: أَنْتَ مِنْ لَعِبٍ، وخلقت من لعبٍ، تريد المبالغة بوصفه باللعب.

وقوله: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ﴾.

أي حينَ لا يَدْفَعُونَ عن وُجُوهِهِمُ النارَ، وجَوَابُ «لو» محذوف، المعنى

---

(١) هو عنترة يخاطب زوجه وكانت تلومه على عنايته بفرسه وكان يسقيها لبن الإبل - ومثل جلد الأجرب، كناية عن تهديدها بالضرب حتى يتغير جلدها، أو عن مفارقها وتحاشيها كما يتحاشى الأجرب، ويروى الأشهب، والشهبة حمرة تضرب إلى السواد، والبيت في معاني الفراء ٢/٢٠٣، واللسان (ذكر).

(٢) سورة الإسراء الآية ١١، وأولها: ﴿وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالخَيْرِ﴾.

لعلموا صِدْقَ الوعْدِ، لأنهم قالوا ﴿مَتَى هَذَا الوَعْدُ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[١].

وجعل اللَّه عزّ وجلَّ الساعة مَوْعِدَهم ثم قال:

﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهمْ﴾.

بغتة فُجَاءَةً وهم غافلون عنها، فتبهتم فتحيرهم.

وقوله عزّ وجلَّ:﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بالليْلِ والنَّهارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾.

معناه ـ واللَّه أعلم ـ من يحفظكم من بأس الرحمن، كما قال:﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّه﴾ أي من عذاب اللَّه[٢].

وقوله: ﴿أَفَهُمُ الغَالِبُونَ﴾.

أي قد تبين لهم أنا ننقص الأَرض من أطرافها، ولأن الغلبة لنا، وقد فسرنا نأتي الأرض نَنقصُهَا من أطرافها في سورة الرعد، أي فاللَّه الغالب وهم المغلوبون، أعني حزب الشيطان.

وقوله:﴿وَلاَ يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾.

ويجوز ولا تُسمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ، والصُّمُّ هَهُنا المعرضون عَمَّا يُتْلَى عَلَيْهِمْ من ذكر اللَّه فهم بمنزلة من لا يسمع كما قال الشاعر:

أصم عما ساءه سميع

وقوله تعالى:﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾.

أي إنّ مَسَّهم أدنى شيء من العذاب.

﴿ليَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إنَّا كُنَّا ظَالِمينَ﴾.

---

(١) الآية التي قبل هذه: ﴿ويَقولُونَ متى هذا الوعد﴾.

(٢) في سورة هود: ﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّه إنْ طَرَدْتُهُمْ﴾ الآية٣٠.

والويل ينادَى به، وينادي به كلُّ مَنْ وقع في هلكة.

وقوله عزّ وجلَّ :﴿وَنَضَعُ المَوازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ﴾.

﴿القسط﴾ العدل، المعنى ونضع الموازين ذوات القسط، وقِسْط مثل عدل مصدر يوصف به، تقول ميزانٌ قِسْط وميزانان قِسْط، وموازين قِسْطِ، والميزان في القيامة ـ جاء في التفسير ـ أن له لساناً وكفتين، وتُمثَّلُ الأعمال بما يوزَنُ، وجاء في التفسير أنه يوزن خاتمة العَمَل، فمن كانت خاتمة عَمَله خيراً جوزي بخير، ومن كانت خاتمة عمله شرًا فجزاؤه الشَّرُّ.

وقوله:﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾.

نصب ﴿مثقال﴾ على معنى وإنْ كان العَمَلُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ من خردل، ويقرأ وإن كان مثقالُ حبَّةٍ بالرفع على معنى وإن حصل للعبد مثقال حبة من خردَلٍ أَتَيْنَا بها.

﴿[أتينا بها]﴾ معناه جئنا بها، وقد قرئت آتينا بها على معنى جازينا بها وأعطينا بها، وأَتَيْنَا بها أحسنُ في القراءة وأقْرَبُ في أمل العَفْو.

﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾.

منصوب على وَجْهَيْن، على التمييز، وعلى الحال، ودخلت الباء في ﴿وكفى بنا﴾، لأنه خبر في معنى الأمر، المعنى اكتفوا باللَّه حسيباً.

وقوله:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وهَارُونَ الفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْراً للمتَّقِينَ﴾.

جاء عن ابن عباس أنه يرى حذف الواو، وقال بعض النحويين معناه ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضِياءً، وعند البَصْريِّينَ أن الواو لا تُزَادُ وَلَا تَأْتي إلاَّ بمعنى العطف، وتفسير الفرقان التوراةُ التي فيها الفرق بين الحلال

والحـرام، وَ «ضِيَاءً» ههنـا مثل قـوله: ﴿فِيهِ هُدىً وَنُورٌ﴾[1]. ويجـوز وذكـرى لِلْمُتَّقِينَ

وقوله:﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾.

المعنى هذا القرآن ذكر مبارك﴾.

وقوله:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ﴾.

أي آتينـاه هداه حَـدَثاً[2]، وهـو مثل قـوله :﴿وَلَوْ شِئْنَـا لأَتَيْنَـا كُـلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾[3].

وقوله :﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيه وَقَوْمِهِ مَا هَذه التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾.

«إِذْ» في موضع نصبٍ، المعنى آتينـاه رشـده في ذلـك الـوقت، ومعنى التماثيل ههنا الأصنام، ومعنى العُكوفُ المُقَامُ على الشيء.

وقوله:﴿وتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾.

معنـاه ـ واللَّه أعلم ـ وَوَاللَّهِ لأكيـدَنَّ، ولا تصلح التـاء في القسم إلا في اللَّه، تقول: وحق اللَّه لأَفْعَلَنَّ، ولا يجوز تَحقّ اللَّه لأفعلن، وتقـول وحق زيد لأفعلن، والتاء بدل من الـواو، ويجوز وَبِـاللَّه لأَكيدَنَّ أصنـامكم، وقراءةُ أهـل الأمصار تاللَّه، ولا نعلم أحـداً من أهل الأمصـار قرأ بـالباء، ومعنـاها صحيـح جيّدٌ.

وقوله :﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً﴾.

وَجِـذَاذاً تقرأ بـالضَّمِ والكسر فمن قـرأ جُذَاذاً فَـإنَّ[4] بِنْيَةَ كُـلِّ ما كُسِّـر

---

(١) سورة المائدة الآية ٤٦.

(٢) وهو في سن الشباب.

(٣) سورة السجدة الآية ١٣.

(٤) الكلمة غامضة بالأصل وهذا ما استطعنا فهمه منها.

وقطِّعَ على فُعالٍ نحـو الجُذَاذ والحُـطام والرُّفَـاتُ، ومن قال جِـذَاذ فهو جمـع جذِيذ[1] وجِذَاذٍ نحو ثَقيـل وثِقال وخَفيف وخِفَـاف. ويجوز جَـذاذاً على معنى القَطَاع والحَصَادِ، ويجوز جُذُذٌ على معنى جَـذِيدَ وجُذُذ مثل جَدِيد وجُدُد.

وقوله: ﴿إلَّا كَبِيراً لَهُمْ﴾ أي كسَّر هذه الأَصْنَام إلَّا أكبَرَها، وجائزٌ أن يكون أكبـرها عنـدهم في تعظيمهم إيـاه، لا في الخلقة، ويجـوز أن يكون أعـظمَها خلقة.

ومعنى: ﴿لَعَلَّهُمْ إلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾.

أي لعلّهم باحتجاج إبراهيم عليهم به يَرْجِعُون فيعلمون وجوبَ الحـجَّةِ عليهم

قوله: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إبْرَهِيمُ﴾[2].

أيْ يَذْكُرُهُمْ بالعَيْب، وقالوا للأصنام يَذْكرهم لأنهم جعلوها في عبـادتِهم إياها بمنزله ما يعقل، وإبراهيم يرتفـع على وجهين، أَحَدُهُمـا على معنى يقال لـه هو إبـراهيم، والمعروف بـه إبراهيم، وعلى النـداء على معنى يقال لـه يـا إبراهيم.

﴿قالوافَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾.

أي لعلهم يعرفونه بهذا القول فَيَشْهَدُونَ عَلَيْه، فيكون ما ينزله بِهِ بحُجـةٍ عليه،وجائزأن يكون لَعَلَّهم يَشْهدون عقوبتنا إياه.

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾.

يعني الصَّنَم العظيم.

﴿فاسألوهم إنْ كانُوا يَنْطِقُونَ﴾.

---

(١) جذيذ اسم مفعول بمعنى مجذود، أي مقطوع.

(٢) يعرف باسم إبراهيم.

قال بعضهم: إنما المعنى، بل فعله كبيرهم هذا إن كانوا ينطقون، وجاء في التفسير أن إبراهيم نطق بثلاث كلمات على غير ما يوجُبُه لفظُها لما في ذلك من الصلاح، وهي[1] قوله: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾[2] وقوله فَعَلَه كَبيرهُمْ هَذَا وقوله إنَّ سَارَّة أُخْتي[3]، والثلاث لهن وجه في الصِّدْقِ بَيِّنٌ، فسَارَّةُ أخته في الدّين، وقوله إني سَقِيمٌ فيه غير وجه أحدها إني مُغْتَمٌّ[4] بِضَلاَلتِكُمْ حتى أنا كالسقيم، ووجه آخر إني سقيم عندكم، وجائز أن يكون ناله في هذا الوقت مَرَضٌ.

ووجه الآية ما قلناه في قوله :﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمَ هَـذَا فَاسْأَلُوهُم[5] إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾.

واحتج قوم بأن قول إبراهيم مثلُ قول يوسف لإخوته: ﴿أَيَّتُها العِيرُ إنكم لَسَارِقُونَ﴾[6] ولَمْ يَسْرِقُوا الصَّاعَ، وهذا تأويله ـ والله أعلم ـ إنكم لسارقون يوسُف.

وقوله:﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ﴾.

جاء في التفسير أنه أَدْركتِ القومَ حَيْرَةٌ.

ومعنى:﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾.

أي ثم نكسوا على رؤوسهم فقالوا لإبراهيم عليه السلام :﴿لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤلاء يَنْطِقون﴾، فقد اعترفوا بعجز ما يعبدونه عن النطق.

---

(١) في الأصل وهو.

(٢) سورة الصافات الآية ٨٩.

(٣) قال ذلك لفرعون عندما جاء إلى مصر وخشي أن يأخذ فرعون سارة قَسْراً إذا قال أنها زوجه فقال هي أختي وقاله أيضاً لغيره للسبب نفسه. انظر قصته في سفر التكوين والحادثان موضع شك، ويقال انها كانت أخته لأمه.

(٤) محزون.

(٥) أي استعمال ضمير العقلاء للأصنام.

(٦) سورة يوسف آية ٧٠.

وقوله:﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

يقرأ أفٍّ لكم بغير تنوين، وَأُفٍّ بتنوين، ويجوز أفُّ لكم وأفٌّ لكم - بالضم والتنوين وبترك التنوين - ويجوز أفَّ لكم بالفتح. فأما الكسر بغير تنوين فلالتقاء الساكنين وهما الفاءان في قوله أُفّ، وإنما أصل الكلمة السكون لأنها بمنزلة الأصوات، وحذف التنوين لأنها معرفة لا يَجِبُ إعرابها، وتفسيرها «النَّتْنُ» لكم ولما تعبدون فمن نَوَّنَ جعله نكرة بمنزلة نَتْناً لكم ولما تعبدون من دون اللَّه، وكسر لأن أصل التقاء الساكنين الكسر، ولأن أكثر الأصوات مَبْنيٌّ على الكسر نحو قوله غَاقْ وجَيْرِ وأَمْسِ وإِيهِ[1]، ويجوز الفتح لالتقاء الساكنين لثقل التضعيف والكسر، ويجوز الضم لضمَّةِ الألفِ كما قالوا: رُدَّ يا هذا ورُدُّ، ورُدِ - بالكسر، ومن نوَّنَ مع الضَّم فبمنزلة التنوين مع الكسر.

وقوله:﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾.

جاء في التفسير أنها من أرض الشام إلى العراق.

قوله:﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسحاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾.

النافلة ههنا وَلَدُ الوَلَدِ، يعني به يعقوبُ خاصة

وقوله :﴿إِقَامَ الصَّلاَةِ﴾.

إقام مفرد[2] قليل في اللغة، تقول أقمت إقامَةً، فأما إقام الصلاة فجائز لأن الإضافة عوض من الهاء.

وقوله:﴿وَلُوطاً آتيناهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾.

﴿لوطاً﴾منصوب بفعل مُضْمَرٍ لأن قبله فعلاً، فالمعنى وأوحينا إليهم وآتينا لُوطاً آتيناه حكماً وعِلْماً، والنصب ههنا أحسن من الرفع لأن قبل آتينا فِعْلاً وقد

---

(١) غاق - حكاية صوت الغراب.

(٢) بدون تاء.

ذكـر بعض النحويين أنـه منصوب على «واذْكـر لوطـاً»، وهذا جـائـزٌ لأن ذك إبراهيم قد جرى فحمل لوط على معنى واذكر.

وقوله عزّ وجلَّ ﴿ وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ﴾.

منصوب على واذكر، وكذلك قوله:

﴿وَدَاودَ وسُلَيمان إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الحَرْثِ ﴾.

على مَعْنى واذكـر داود وسليمان ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيـهِ غَنَمُ القَوْمِ ﴾النّفْش بالليل، والهَمَلُ بالنّهار(١).

وجاء في التفسير أن غنمـاً على عهد داود وسُلَيْمَـانَ مَرَّتْ بحَـرْثٍ لِقَومٍ فَأَفْسدَتْه، ورُوِيَ أن الحَرْثَ كان حنطة، ورُوِيَ أنه كان كرماً، فـأفسدت ذلـك الحرث فحكم داود بدفع الغنم إلى أصحاب الكـرم وحكم سليمان بـأن يدفـع الغنم إلى أصحاب الكرم فيأخذوا منافعها من ألْبانها وأصـوافها وعَـوَارِضها إلى أن يعـودَ الكرمُ كهيئتِـهِ وقت أُفْسِدَ فـإذا عـاد الكـرم إلى هيئتـه رُدَّتِ الغنم إلى أرْبابها ويدفع الكرم إلى صاحب الكرم.

قال أبو إسحاق: يجوز أن تكون عوارِضُها من أحد وجهين، إما أن يكون جمع عريض وعُرْضَان، وهو اسم للحَمَلِ، وأكثر ذلك في الجدْي، ويجوز أن يكون بما يعرض من منافِعِهـا حتى يَعُودَ الكَـرْمُ كما كـان، وهذا ـ والله أعلم ـ يـدل على أن سُليمان عَلِمَ أنَّ قيمـةَ ما أَفْسَـدَتِ الغنمُ من الكـرم بمقـدار نفـع الغنم.

قال الله عزّ وجلَّ: ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾.

أي فهمناه القَضِيَّةَ، والحكومةَ،﴿وَكُلاًّ آتَيْنا حُكْماً وَعِلْماً ﴾.

---

(١) في القاموس: الهمل محركةً السدى المتروك ليلاً ونهاراً، هملت الإبل تهمل فهي هـامل ـ وتهمـل. كينصر فاضت وانتشرت.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾.

ويجوز والطَّيْرُ، على العطف على ما في يسبحن، ولا أعلم أحداً قرأ بها.

﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

أي وكنا نقدر على ما نريده، ونصب «الطير» من جهتين إحداهما على معنى وسَخَّرنَا الطير، والأخرى على معنى يسبحن مع الطير(١).

وقوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ من بَأْسِكُمْ﴾.

وقرئت لنحصنكم من بأسكم بالنون، ويجوز لِيُحصِنكُمْ بالياء، فمن قرأ بالياء أراد ليحصنكم هذا اللبوسُ، ويجوز على معنى ليحصنَكُمْ بالياء، فمن قرأ بالياء أراد ليحصنكم هذا اللبوسُ، ويجوز على معنى ليحصنَكُمْ اللَّهُ من بأسكم وهي مثل لِنُحَصِّنَكُمْ - بالنون ومن قرأ بالتاء أراد لتُحْصِنَكُمْ الصنعةُ، فهذه الثلاثة الأوجه قد قرئ بهنَّ، ويجوز فيها ثلاث لم يُقْرأ بهنَّ، ولا ينبغي أن يُقْرأ بهِنَّ لأن القراءة سنة.

يجوز لنحصّنَكُمْ بالنون والتشديد، ولتُحصِّنَكُمْ بالتاء والتشديد، وليُحصِّنَكُمْ بالياء مشدَّدَةَ الصَّاد في هذه الثلاث.

وعلَّم اللَّه داوِدَ صنعةَ الدُّرُوع من الزَّرَدِ، ولم تَكُن قبلَ دَاود عليه السلام فجمّعَتِ الخفَّةَ والتَّحْصِينَ، كذا رُوِيَ.

﴿وَلِسليمانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾.

وقرئت الرياح عاصفة، وقرئت الريحُ عاصفةً - برفع الريح. فمن قرأ الريحُ عَاصِفَةً بالنصب فهي عطف على الجبال، والمعنى وسخرنا مع داود الجبال، وسخرنا لسليمان الريح، وعاصفةً منصوب على الحال ومن قرأ الريحُ

---

(١) أي هي مفعول معه.

رفـع كما تقـول: لزيـد المال، وهـذا داخل في معنى التسخيـر، لأنه إذا قـال ﴿تجري بأمره إلى الأرض﴾ ففي الكلام دليل على أن اللَّه جلّ ثناؤه ـ سخَّرهَا لَهُ.

وقوله: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ﴾.

يجوز أن يكون موضع «مَنْ» نصباً عطفاً على الريح، ويجوز أن يكون «مَنْ» في مـوضع رفـع من جهتين إحداهمـا العطف على الـريح، المعنى ولسليمـان الريح وله من يَغُوصُونَ من الشياطين، ويجوز أن يكون رفعاً بالابتـداء، ويكون «له» الخبر.

وقوله: ﴿وَيعملون عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ﴾.

معناه سوى ذلك، أي سوى الغوص.

﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾.

كان اللَّه يحفظهم مِنْ أَنْ يُفْسِدُوا مَا عَمِلُوا.

وقوله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّه﴾.

﴿أيوب﴾ منصوب على معنى واذكر أَيُّوبَ.

وقوله: ﴿وآتيناهُ أَهْلَه ومِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾.

أكثر التفاسير أن اللَّه ـ جلّ ثنـاؤه ـ أحيا من مـات من بنيه وَبَنَـاتِه ورَزَقَـه مِثلهُمْ من الْوَلَدِ، وقيل ﴿آتيناه أهله ومثلهم معهم﴾ آتيناه في الآخرة.

﴿وإِسْمَاعِيلَ وإِدْرِيسَ وَذَا الكِفْلِ﴾.

هـذا كله منصوب على «واذكـر». ويقال إن ذا الكفـل سمي بهذا الاسم لأنه تكفل بأمر نَبّيَ في أمَّتِهِ فقام بمـا يجب فيهم وفيه، ويقـال إنه تكفـل بعمل رجل صالحٍ فقام به، والكِفْلُ في اللغة الكِسَاءُ الـذي يُجْعَلُ وراء الـرَّحْل على

عجز البعير[1]، وقيل الكفلُ أيْضاً النَّصيبُ، قال اللَّه عـزّ وجلّ: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾[2].

وقوله: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً﴾:

﴿ذا النون﴾ يونس، والنون السمكة، والمعنى واذكر ذا النون، ويروى أنه ذهب مغاضباً قومه، وقيل إنه ذهب مغاضباً مَلِكاً من الملوك.

﴿فظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾.

أي ظن أن لن نُقَدِّرَ عَليه مـا قَدَّرْنَـاهُ من كونـه في بطن الحـوت، ويقْدِر بمعنى يُقَدِّر. وقد جاء هذا في التفسير، وقد روي عن الحسن أنه قال عَبْدٌ أَبَقَ مِنْ رَبِّـه، وتأويـل قول الحسن أنـه هرب من عـذاب رَبِّـه، لأن يُـونُسَ ظن أن الهرب ينجيه من اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ وَلاَ مِنْ قَدَرِه[3].

وقوله: ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلٰه إِلَّا أَنْتَ﴾.

﴿في الظلمات﴾ وجهانِ، أحدهمـا يعنى به ظلمـةُ الليـل وظلمـةُ البحـر. وظلمـةُ بطن الحـوت، ويجوز أن يكـون «نادى في الـظلمات» أن يكـون أكثـر دعـائه ونـدائه كـان في ظُلُمَاتِ اللَّيْـلِ. والأجود التفسيـر الأول لأنـه في بـطن الحوت لا أحسبه كان يفصل بين ظلمة الليل وظلمة غيره ولكنه أَوَّلُ ما صـادف ظلمةُ الليل ثم ظلمة البحر ثم ظلمة بطن الحـوت. وجائـز أنْ يَكُونَ الـظُّلُماتُ اتَّفَقَتْ في وقتٍ واحِدٍ، فتكون ظلمة بطن الحـوت في الليل والبحـرِ نهايَـةً في الشِّدَّةِ.

---

(١) في القاموس: الكفل بالكسر الضعف والنَّصِيبُ والحظ، وخرقة على عنق الثور تحت النيـر. . . أو شيء مستدير يتخذ من خرق أو غيرها ويوضع على سنام البعير.

(٢) سورة الحديد الآية ٢٨.

(٣) أي ولا منجى من قدره. ـ ونجاته من العذاب تعني نجاته من المسؤولية.

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

الـذي في المصحف بنون واحـدة، كُتِبَتْ، لأن النون الثـانية تَخْفَى مَـعَ الجيم، فـأمَّا مـا روي عَنْ عَاصِمٍ بنـون واحدة فَلَحْنٌ لا وجـه لـه، لأن مـا لا يُسمَّى فـاعِلُه لا يكون بِغَيـر فاعـل. وقد قـال بعضهم: نُجِّي النَّجَاءُ المؤمنين، وهذا خطأ بإجماع النحويين كلهم، لا يجوز ضُرِبَ زيداً، تريد ضرب الضرب زيداً لأنك إذا قلتَ ضرب زيدٌ فقد علم أنَّه الذي ضُربَه ضَرْبٌ[1]، فـلا فائـدة في إضمـاره وإقامتـه مع الفـاعل. وروايـة أبي بكر بن عيـاش في قـولـه نُجِّي المؤمنين[2] يخالف قراءة أبي عمروٍ نُنْجي بنونين.

وقوله: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾.

يروى أنها كانت عقيماً فجعلها اللَّه ـ عزّ وجلَّ ـ ولوداً، ويـروى أنه كـان في خُلُقِها سُوءٌ فأصلح اللَّه ذلك وحسَّنَ خُلُقَها.

وقوله: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً﴾.

وقرئتْ رغْباً ورَهْباً، فالرَّغْبُ والرَّهْبُ مَصْدرَانِ، ويجوز رُغْبـاً ورُهْباً، ولا أعلم أحـداً قرأ بهمـا، أعني الرُّغْب والـرُّهْبُ ـ في هـذا المَـوْضِـع. والـرُّغْبُ والرَّغَب مثل البُخْل والبَخَل، والرُّشْد والرَّشَد.

وقوله: ﴿والَّتي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾.

«التي» في موضع نَصْبٍ، المعنى واذكر التي أحصنت فرجها. ويروى في بعض التفسير أنه يعني جيبها[3].

---

(١) أي الذي وقع عليه ضربٌ.

(٢) قـراءة نجى ليس الفعل فيهـا مبنياً للمجهـول، ولكن أدغمت النون في الجيم فـالفعـل من أنْجَى وليس من نجى المضعف.

(٣) وهي كناية عن العفة.

﴿وَجَعَلْنَاهَا وابْنَها آيَةً لِلْعَالِمِينَ﴾.

لو قيل آيتين لصلح، ولكن لمَّا كان شأنهما واحداً، وكانت الآيـة فيهما جميعاً معناها آية واحدةٌ، وهي ولادةٌ من غير فحل جاز أن يقول آية.

وقوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾.

أمتكم رفـع خبر هـذه، المعنى أن هذه أمتكم في حـال اجتماعهـا على الحق، فإذا افترقت فليس من خالف الحق داخلاً فيها، ويقرأ أمةٌ واحدة، على أنه خبر بعد خبر، ومعناه إنَّ هذه أمَّةٌ واحِدَةٌ ليست أُمَمـاً، ويجوز نصب أمتكم [illegible]

[illegible]

المعنى أن الله أعلمهم أن أمر الحجة واحدٌ وأنهم تفرقوا، لأن تقطيعهم [illegible]

[illegible]

وقوله: ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾.

وهو ـ والله أعلم ـ أنه لما قال: ﴿فَلَا كُفْرانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ أعلمنا أن الله عزّ وجلّ قَدْ حرَّمَ قُبُولَ أعمال الكافرين وبين ذلك بقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[1] فالمعنى حَرام عَلَى قَرْيَةٍ أهلكناها أن نَتقبل منهم عملاً لإنهم لا يرجعون، أي لا يتوبون، وحَرِمَ وحَرُمَ في معنى حرام، إلا أن حَرَاماً اسم، وحَرِمَ وَحَرُمُ فعل.

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾.

بهمزٍ وغير هَمْزٍ، وهما قبيلَتَانِ من خلق اللّه. ويروى أن الناس عشرة أجزاء تسعة منهم يأجوج ومأجوج، وهما اسمان أعجميان، واشتقَاقُ مثلهما من كلام العَرَبِ يخرج من أجججت النار، ومن النار الأُجَاجِ وهو أَشَدُّ وهو الشديد الملوحة، المحرق من مُلُوحَتِهِ.

وقوله: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾.

ورويت أيضاً من كل جَدَثٍ ينسلون، ـ بالجيم والثاء ـ والأجود في هذا الحرف «حَدَبٍ يَنْسِلُونَ» بالحاء، والحدب كل أَكَمةٍ، وينسلون يُسْرِعُونَ.

وقوله: ﴿واقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ﴾.

قال بعضهم: معنى الواو الطرح[2]. والجوابُ عِندَ البَصْريِّينَ قوله: ﴿يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ وههنا قول محذوف، المعنى حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوجُ واقترب الوعْدُ الحقُّ قالوا: ﴿يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِن هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

وجاء في التفسير أن خروجَ يأجوجَ ومأجوجَ من أعْلَامِ الساعة.

---

(١) أول سورة محمد.

(٢) في الأصل لا يجوز تطرح ويكون معناها الطرح ـ وظاهر أنه سهو ـ

قوله:﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾.

قرئت على ثلاثة أوجه، حَصَبُ جهَنَّم، وحطب جهَنَّم، وحَضَبُ جَهَنَّم -بالضاد معجمة- . فمن قرأ حَصَبُ فمعناها كل ما يرمى به في جهنم[1] ومن قال حطب فمعناه ما توقد به جهنم - كما قال عزّ وجلّ :﴿وَقُودُهَا النَّاسُ والحِجَارَةُ﴾[2]، ومن قال: حَضَب - بالضَّادِ معجمةً - فمعناه ما تَهيجُ به النارُ وتُذْكى به، والحَضْبُ الحيَّةُ.

وقوله:﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾.

وللكتاب، ويقرأ السِّجْل بتخفيف اللام، فمن خَفَّفَ أسْكَنَ الجيم، وجاء في التفسير أن السِّجِلَّ الصَّحِيفةُ التي فيها الكتابُ، وقيل إنَّ السِّجِلَّ مَلَكٌ وقيل إنّ السِّجلَّ بِلُغَةُ الجيْشِ الرَّجُل، وعن أبي الجوزاء أن السِّجِلَّ كاتب كان للنبي ﷺ وتَمَامُ الكلام «للكُتُب»[3].

وقوله:﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾.

مستأنف، المعنى نبعث الخلق كما بدأناهم، أي قدرتنا على الإعادة كَقدرتنا على الابتداء، ويجوز يوم تُطوى السَّمَاءُ كطي السِّجِلّ، ويجوز يوم يَطْوِي السَّمَاءَ كطيّ السُجِلّ، ولم يقرأ «يَطْوِي»، وقرئت نَطْوِي وتُطْوَى بالنون والتاء.

وقوله :﴿وَعْداً عَلَيْنَا﴾.

«وعْداً» منصوب على المصْدرِ، لأن قوله «نُعِيدُهُ» بمعنى وَعَدْنَا هَذَا وَعْداً

---

(١) في القاموس: الحصب محركة والحصبة الحجارة - واحدتها حصبة نادِرٌ. والحطب وما يرمى به في النار حصب، أو لا يكون الحطب حَصَباً حتى يسجر به.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٤، والتحريم الآية ٦.

(٣) للكتابة.

وقوله :﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ .

أي قادرين على فِعْل ما نشاءُ .

وقوله:﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ .

الزبور جميع[1] الكتب، التوراة، والإنجيل، والفرقان، زبورٌ، لأن الـزَّبُورَ والكتـاب بمعنىً واحدٍ. ويقـال زَبَـرْتُ وكتبتُ بمعنىً واحـدٍ، والمعنى : ولقـد كتبنا في الكتُبِ من بَعْدِ ذِكْرِنَا في السماء﴿أَنَّ الأَرْضَ يرثها عبادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ .

قيل في التفسير إنهـا أرْضُ الجنة، ودَليـلُ هذا القـول قولـه :﴿أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ، الَّـذِينَ يَرِثُـونَ الفِرْدَوْسَ﴾[2] . وقيل إن الأرض ههنـا يعنى بهـا أرض الدنيا، وهَذَا القَوْلُ أشْبَهُ ـ كما قال اللَّه عزّ وجلَّ :﴿يُسَبِّحُ لِلَّـه مَـا فِي السَّمـواتِ وَمَـا فـي الأَرْضِ﴾[3] والأَرْضُ إذَا ذُكِـرَتْ فهـي دليـلة[4] على الأرض الـتي نعرفها، ودليل هذا القول أيضاً: قوله:﴿وَأَوْرَثْنَا القَوْمَ الَّـذِينَ كَانُـوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَها الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾[5] .

وهذه الآية من أجل شواهد الفقهاء أن الأرض ليس مجراها مجرى سائرِ مَا يُعْمَرُ[6] .

وقوله:﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ .

الأجـود أَنَّما بفتـح أن، وهي القراءة، ولـو قرئت إنمـا لجـاز، لأن معنى

(١) في الأصل جمع .

(٢) سورة المؤمنون الآية ١٠ ـ ١١ .

(٣) أول سورتي الجمعة والتغابن .

(٤) دالَّة .

(٥) سورة الأعراف الآية ١٣٧ .

(٦) عبارة غير واضحة، والظاهر أنه يعني أن أجزاءها ليست جميعاً في مستوى واحـد من التعمير، لأن بعضها بورك فيه دون بعض .

﴿يُوحَى إِلَيَّ﴾ «يُقالُ لي»[1] ولكن القراءة الفتح لا غير.

وقوله: ﴿فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾.

﴿آذنتُكُمْ﴾ أعْلَمْتُكُمْ بما يوحى إليَّ لِتَسْتَوُوا في الإيمان به.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿إِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾.

أي وما أدري ما آذنتكم به فتنة لكم أي اختبارٌ لَكُمْ.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالحَقِّ﴾.

ويقرأ: ﴿قلْ رَبِّ احْكم بالحق﴾، ويجوز وقد قرئ به: قال رَبِّيَ احْكُم بالحقّ، وكان من مضى من الرُّسُل يقولون: ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق، ومعناه احكم، فأمر اللَّه ـ عزّ وجلَّ ـ نَبِيَّه أن يقول: ﴿رَبِّ احكُمْ بالحَقِّ﴾.

وقوله: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصفُونَ﴾.

أَيْ عَلَىٰ مَا تَكْذِبُونَ.

---

(١) أي يوحى مضمنة معنى القول فتكسر إن بعدها.

سُورَةُ الحَجّ
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: ﴿يَا أَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾.

يا أيها ـ نداء مبهم مفردٌ، وها للتنبيه، وهو مبْنيٌّ على الضم، والناس رفعٌ تبع لـ (يا أيها)، والنحويون لا يجيزون إلا رفع الناس ههنا. والمازني أجاز النَّصْبَ في يا أيها الرَّجُلَ أقْبِلْ، كما تقول يا زيدُ الظريفَ والظريفُ، وهذا غلط من المازني، لأن زيداً يجوز الوقف والاقتصار عليه دون الظريف ويا أيها ليس بكلام، وإنما القصد الناسُ، فكأنه بمنزلة ـ يا ناس اتقوا ربكم.

وجاء في التفسير أن كل شيء جاء في كتاب الله من يا أيها الناس فمكي، وما كان فيه من يا أيها الذين آمنوا فمدني.

وقوله: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾.

قيل إن هذه الزلزلة في الدنيا وأن يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها وقيل إنها الزلزلة التي تكون مع الساعة(١).

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾.

ويجوز تُذْهِل كلَّ مُرْضِعَةٍ، ومعنى تُذْهِلُ تحَيّرُ، وتترك كل مرضعة قد ذَهَلَتْ عَمّا أَرْضَعَتْ، ومرضعة جار على المُفْعِل على ما أرضعت، ويقال:

---

(١) نسخة معها الساعة.

امرأة مُرْضِعٌ أي ذات رضاع أرضعت وَلَدَهَا أوْ أرْضعت غيرَهُ والقصْدُ قصد[1] مُلْبِن أي ذات لَبُون وَلَبَنٍ.

وقوله: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾.

وقرئت: ويُرى الناس سَكْرَى، واسم[2] الفاعل مضمر في ترى. المعنى ترى أنت أيها الإنسان الناسَ، ومن قرأ: ترى الناس سكرى كان بمنزلة وترى أنت الناس سكرى. وفيه وجه آخرُ مَا قُرِئَ بِهِ [وهو] وَيُرَى الناس سكرى، فيكون الناس اسم يُرَى[3]، ووجه آخر لم يقرأ به: وَيَرَى النَّاسَ سَكرى، المعنى وَيَرَى الإنسانُ الناس سكرى[4].

ويقرأ وتَرَى الناسَ سَكْرَى وما هم بسكرى، وترى الناسَ سُكارى وما هم بسكارى.

ويجوز وترى الناس سَكارَى ومال هم بسَكارَى. والقراءة الكثيرة: وترى الناس سَكْرَى وما هُمْ بسُكْرى، وترى الناس سُكارى وما هم بسُكَارَى أيضاً.

والتفسير أنك تراهم سكارى من العذاب والخوف، وما هم بسكارى من الشَّرابِ ويدل عليه: ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّه شديدٌ﴾.

وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾.

أي يتبع ما يُسَوِلُ له الشيطان، ومَرِيد وَمَارِد معناه أنه قد مَرَدَ في الشَّرِ.

---

(١) والكلمة جارية مجرى ناقة ملبن أي ذات لبن أراد به لبون، والمرضعة هي التي تباشر الارضاع فعلاً أما المرضع فهي التي لها هذه الصفة سواء كانت قائمة أم مقدرة.

(٢) الاسم الذي هو فاعل.

(٣) الاسم المرفوع بها أي نائب الفاعل.

(٤) يُخَيَّل إليه أو تريه الملائكة حالهم.

وتأويل المَرِوَدِ أن يبلغ الغاية التي يخرج بهـا من جملة ما عليـه ذلك الصِّنْفُ، وجائز أن يُسْتَعْمل ذلك في غير الشيطان، فتقول قد تمرد هذا السيِّىء[1] أي قد جاوز حَدَّ مثله، وأصله في اللغـة امْلِسَاسُ الشيء، من ذلـك قولـك للإنسـان أَمْرَدَ إذا لم يكن في وَجْهِهِ شَعْرٌ، ويَقَال للصخرة مرداء إذا كانت ملساء.

وقوله عزّ وجلّ:﴿كُتِبَ عَلَيه أنَّه مَنْ تَوَلَّاهُ﴾.

﴿أنه﴾ في موضع رفع.

﴿فَأَنَّه يُضِلُّهُ﴾، عـطف عليه، ومـوضعه رفـع أيضاً، والفـاء الأجـود فيهـا أن تكون في معنى الجزاء، وجائز كسر إنَّ مع الفاء، ويكون جزاء لا غير.

والتـأويل: كُتِب عليـه أي على الشيطان إضْـلَال مُتَـولِّيـه وهـدايتُهم إلى عذاب السعير، وحقيقة «أنَّ» الثانية أنها مكررة مع الأولى على جهـة التوكيـد، لأن المعنى كُتبَ عليه أنه من تولاه أضله.

وقوله:﴿يَا أَيُّهاالنَّاسُ إنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ﴾.

ويقرأ من البَعَثِ بفتح العين، والريب الشك، فـأما البَعَثْ بفتـحْ العين - فذكر جميع الكوفيين أن كل ما كـان ثانيـه حرفـاً[2] من حروف الحلق، وكـان مُسكَّناً مفتوح الأول جاز فيه فتحُ المسَكَّن نحو نَعْلٌ ونَعَلٌ، وشَعْرٌ وشَعَرٌ، ونَهْـرٍ ونَهَرٌ، ونَخْلٌ ونَخَل. فأما البصريـون فيزعمـونَ أن ما جـاء من هذا فيـه اللغتان تُكُلِّمَ به على ما جاءَ. وما كان لم يسمع لم يَجُزْ فيه التحريك نحو وَعْد، لأنك لا تقـول: لـك عَلَيَّ وَعَـدُ، أي عليَّ وِعْـدَةٌ، ولا في هـذا الأَمْـر وَهَنٌ[3] - في

---

(١) نسخة الشّقيّ.

(٢) في الأصل حرف.

(٣) في القاموس: الوَهْنُ الضعفُ في العمل ويحرك. والفِعْلُ كوعد وورث وكَرُمَ.

معنى وَهْنٌ ـ. وهـذا في بـابـه مثـل رَكٍّ، ورَكَـكٍ وقـدْرٍ وقــدَرٍ، وَقَصّ الشَّـاةِ وقَصَصِهَا فلا فرق في هذا بين حروف الحلق وغيرها.

وقيـل للذين جحدوا البعث وهم المشـركـون: إن كنتم في شَـكٍّ من أنَّ اللَّه يبعث الموتى فتدبـروا أمر خلقكم وابتـدائكم فإنكم لا تجـدون في القدرة فـرقاً بين ابتـداء الخلق وإعادتـه، وإحياء المـوتى. ثم بيَّن لهم ابتـداء خَلْقِهم فَأَعْلَمُهُم أنهم خُلقوا من تراب، وهو خلق آدم عليه السلام، ثم خُلِقَ ولـدُه من نطفة، ثم من عَلَقَةٍ ثم من مُضْغَةٍ. وأعلمهم أحوال خلقهم.

ويُروى أن الإنسانَ يكُونُ في البطن نطفةً أربعين يـوماً ثم مُضْغَـةً أَرْبَعينَ يـوماً، ثم يبعث اللَّهُ مَلَكـاً فينفخ فيـه الروح. ومعنى﴿مُخَلَّقـةٍ وغَيـر مُخَلَّقَـةٍ﴾ وصفُ الخَلق أو منهم مَن يُتَمّم مضغتـه فتخلَقُ لـه الأعضـاءُ التي تكمـل آلات الإِنْسَانِ ومنهم من لا يتمم اللَّه خلقه.

وقوله:﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾.

أي ذكرنا أحـوال خلق الإنسان. ووجـه آخر [هـو] خلقناكم هـذا الخلق لنبين لكم.

﴿وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾.

لا يجـوز فيها إلا الـرفع، ولا يجـوز أن يكون معنـاه فعلْنَا ذلـك لنُقِرَّ في الأرحـام، وَأَنَّ اللَّه ـ عز وجـل ـ لم يخلق الأنام لمـا يُقَـرُّ في الأرحـام، وإنمـا خلقَهُم ليدُلَّهُمْ عَلَى رُشدهم وَصَلاَحِهِمْ.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ:﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾.

في معنى أطفال، ودل عليه ذكر الجماعـة. وكأنَّ طفـلاً يَدُلُّ على معنى ويُخْرَجُ كلُّ واحدٍ منكم طفلاً.

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾.

قد فسرنا الأشدَّ، وتأويله الكَمالُ في القُوّةِ والتمييز، وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين.

وقوله: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ﴾.

أرذل العمر هو الذي يخرف فيه الإنسان من الكِبَر حتَّى لا يَعْقِلَ، وَبيَّنَ ذلك بقوله: ﴿لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾.

ثم دَلَّهُمْ عَلى إحْيائه الموتى بإحيائه الأرض فقال:

﴿وَتَرى الأَرْضَ هَامِدَةً﴾.

يعنى جافةً ذاتَ تُرابٍ.

﴿فإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾.

وتقرأ ورَبأتْ. فاهتزازها تحركُها عند وقُوع المَاءِ بها وإنباتها، ومَنْ قرأ: وَرَبَتْ فهو من ربا يربو إذا زاد على أي الجهات[1]، وَمَنْ قَرَأَ وَرَبَأَتْ بالهمز فمعناه ارْتَفَعَتْ.

﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾.

أي من كل صنف حَسَنٍ من النبات.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ وأَنَّهُ يُحْيِي المَوْتَى﴾.

المعنى الأمر ذلك، أي الأمر ما وُصف لكم وبُيِّنَ لكُمْ بأَنّ اللَّه هو الحقُّ وأنه يُحيي الموتى، ﴿وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾.

فالأَجْوَدُ أن يكون موضع ﴿ذلك﴾ رفعاً. ويجوز أن يكون نصباً على معنى فعل اللَّه ذلك بأنه هو الحق وأنه يحيي الموتى.

(١) في الأصل إذا زاد على أي الجهات زاد.

وقوله: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عن سَبِيل اللَّهِ﴾.

وليَضِـلَّ عن سبيل اللَّه، وثـاني منصوب على الحـال، ومعنـاه التنـوين، ومعناه ثانياً عِطفَه، وجاء في التفسيـر أن معناه لَاوِيـاً عُنُقَه، وهـذا يوصف بـه، فالمعنى ومن الناس من يجادل في اللَّه بغير علم مُتَكَبِّراً.

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾.

يقـال: هذا العـذاب بما قـدمت يداك، وموضع ﴿ذلك﴾ رفع بـالابتـداء، وخبـره ﴿بما قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾، وموضع «أَن» خفض المعنى ذلـك بما قـدمت يداك وبأن اللَّه ليس بظلام للعبيد، ولو قـرئت [إنَّ] بالكسـر لجاز. ويجـوز أن يكون مـوضع ذلـك رفعاً على خبـر الابتداء. المعنى الأمر ﴿ذلك بمـا قدمت يداك﴾، ويكون موضع أن الرفع على معنى ﴿أَنَّ اللَّهَ ليس بظلام للعبيد﴾.

وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾.

جاء في التفسير على شَكٍّ، وحقيقتُه أنَّـه يعبدُ اللَّه على حَـرْفِ الطَّرِيقَـةِ في الدينِ، لا يدخل فيه دخول متمكن.

﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾.

أي إن أصابه خِصْبٌ وكَثُرَ مَالُه وماشِيَتُه اطْمأنَّ بما أصابه ورضي بدينه.

﴿وَإِن أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾.

اختبار بجدْب وقِلَّـةِ مَالٍ.

﴿انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾.

رجع عن دينه إلى الكفر وعبادة الأوثان.

وقوله: ﴿يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾.

يعنى يدعو الوثن الذي لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ ولا ينفعُ ولا يضُرُّ.

وقوله:﴿يَدْعُولَمَنْ ضَرُّه أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾.

فقال: ولا يضره، وقال ضَرُّه أقربُ من نفعه، معناه الضَّرَرُ بعبادَتِه أقـرب من النفع، فإن قال قائل: كيف يقال: أقـربُ من نفعه ولا نفـع من قِبَلِهِ البتَّةَ، فالعرب تقول لِمَا لَا يكون: هذا بعيـد، والدليـل على ذلك قـوله تعالى: ﴿ أَئِذَا مِتْنَا وكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجعٌ بَعِيدٌ﴾[1].

وقد اختلف الناس في تفسير هذه اللاَّم[2]، وفي ﴿يدعو﴾ بأي شيء هي معلَّقَةٌ ونحن نفسر جميع ما قالوه وما أغفلوه مما هو بيِّن من جميع مـا قالـوا إن شاء اللَّه.

قال البصريون والكوفيون: اللام معناها التأخير، المعنى يدعو من لضَـرِّه أقربُ من نَفْعِهِ ولم يُشْبِعُوا الشرحَ، ولا قـالوا من أين جـاز أن تَكُونَ الـلاَّمُ فِي غير مَوْضِعِها. وشرح ذلـك أن اللام لليمين والتـوكيد فحقهـا أن تكون في أول الكلام فقدمت لِتُجْعَلَ في حقها[3]، وإن كان أصلُها أنْ تكون في «لَضَرُّهُ» كما أن لام «إنَّ» حَقُّها أن تكون في الابتداء، فلما لم يجز أَنْ تَلِيَ «إنَّ» جُعِلَت في الخَبر في مثل قولك: إن زيداً لقائِمٌ، ولا يَجُوزُ «إنَّ لَزَيْداً قائِمٌ»، فـإذا أمكن[4] أن يكون ذلك في الاسم كان ذلك أجود الكلام، تقول إن في ذلك لآية، فهذا قول.

وقالوا أيضاً: أن يَدعُو مَعَها هاءٌ مُضْمَرةٌ، وأنَّ ﴿ذلِك﴾[5] في موضع رفع ويدعو في موضع الحال، المعنى ذلك هو الضلال البعيـد يَدْعُـوه، المعنى في

---

(١) سورة ق آية ٣.

(٢) لام لَمَنْ ضَرُّهُ.

(٣) في موضعها المناسب وهو صدر الجملة، لأنها يمين وقسم.

(٤) في الأصل أمكنك.

(٥) من ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾. والتقدير: ذلك هو الخسران يدعوه.

حال دُعَائِه إيَّاهُ، ويكون ﴿لَمَنْ ضَرُّه أقربُ من نَفْعِه﴾ مستأنفاً مرفوعاً بالابتداء، وخبره ﴿لَبِئْسَ المَوْلَى وَلَبِئْسَ العَشِيرُ﴾.

وفيه وجه آخَرُ ثَالثٌ، يكون يدعو في معنى يقول، يكون من في موضع رفع وخَبرُه محذوف، ويكون المعنى: يقول لمن ضره أقرب من نفعه هو مولاي[1]، ومثله يدعو في معنى يقول في قول عنترة[2].

يدعون عنتر والرماح كأنها ... أشطان بئر في لبان الأدهم

ويجوز أن يكون «يَدْعو» في معنى «يُسَمّى» كما قال ابن أُحْمَر[3]:

أهرى لها مِشقصاً حَشْراً فشبرقها ... وكنتُ أدعُو قذاها الأثمد القَردَا

ووجه هذا القول الذي قبله.

وفيها وجه رابع وهو الذي أغفله الناس، أن «ذلك» في موضع نصب بوقوع يدعو عليه، ويكون «ذلك» في تأويل الذي، ويكون المعنى الذي هو الضلال البعيد يدعو، ويكون لمن ضرُّه أقرب من نفعه مستأنفاً، وهذا مثل قوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِك﴾[4]، على معنى وما الَّتِي بيَمِينِك يَا مُوسَى، ومثله قول الشاعر:[5]

---

(١) ويكون ذلك إنكاراً على نفسه أي أبَلَغَ مني أن فعلت ذلك.

(٢) من معلقته انظر شرح الزوزني «٥٤»ط. صبيح البيت ٦٩.

ويدعون ينادون باسم عنترة، والأشطان الحبال ولبان الأدهم صدره يريد أن الأبطال يهتفون باسمه والرماح الطويلة ـ تدق في صدر جواده.

(٣) البيت في الطبري ١٦/٨٧، وروايته قذاها، وكذلك في مجاز أبي عبيدة ٢/١٣ ـ والمشقص مقص كبير، وحشرا أي لطيفاً، وشبرقها مزقها، والأثمد حجر يتخذ منه الكحل ـ والقرد ما تلبد من الصوف وغيره.

(٤) الآية في سورة طه والشاهد أن تلك إستعملت بمعنى الذي فقاس عليها هنا جعل ذلك بمعنى الذي.

(٥) تقدم. ـ ويروى «أمنت» بدل عتقت.

عَـدَسْ مـا لعبـاد عـليـك إمـارة عَـتقْـتِ، وهــذا تحـمـلين طـليـق

وقوله عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾.

هذه الهاء لمحمد ﷺ، أي من كان يظن أن لن ينصر اللَّه مُحمـداً حتى يـظهره على الـدين كله فليمت غيظاً، وهـو تفسيـر قـولـه: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾.

السبب الحبل، والسماء السقف، أي فليشدُدْ حَبْلاً في سَقْفِهِ.

﴿ثُمَّ لِيَقْـطَعْ﴾.

أي ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقاً.

﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾.

أي هل يذهبن كيده غيظه. وقُرِئت ثم لِيَقْطع، وثم لْيَقْطَعْ، بكسر الـلام وجزمها.

وقـوله: ﴿إِنَّ الَّـذِينَ آمَنُوا والَّـذِينَ هَادُوا وَالصَّـابِئِينَ والنَّصَارَى والمَجُـوسَ والذين أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾.

يَفْصِلُ اللَّه بين هذه الفرق الخَمْس وبين المؤمنين.

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَـابٌ مِنْ نَارٍ﴾، والمؤمنون يدخلون الجنـة وهو قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّـذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـالِحَاتِ جَنَّـاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَـا الأَنْهَارُ﴾.

وخبر إن الأولى جملة الكلام مع إنَّ الثانيةِ. وقَدْ زعم قوم أن قولك: إنَّ زَيداً إنه قائم رديء وأنَّ هذه الآية إنما صلحت في الذي. ولا فرق بين الـذي وغيره في باب إن، إن قلت إن زيداً إنه قائم كان جيداً ومثله قول الشاعر[1]:

(١) هو جزير يمدح أحد الخلفاء المروانيين، والبيت في معاني القرآن للفـراء ص ٢١٨ حـ ٢. والشطر الثاني:

إنَّ الـخـليـفَـةَ إنّ اللّـه سَـربَـلَهُ

وليس بين البصريين خلاف في أن «إنَّ» تـدخل على كـل ابتداء وخبـر، تقول إن زيداً هو قائم وإن زيداً إنه قائم.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾.

والسجـود ههنا الخضـوع للّه عزّ وجـلّ، وهي طاعـة ممن خلق اللّه من الحيوان والموات. والدليل على أنه سجودُ طَاعَةٍ قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾. هذا أجود الوجوه أنْ يكـونَ تَسْجُدُ مُـطِيعةً، للّه عـز وجل، كما قال اللّه تعالى: ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهـاً قالتـا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾، وكمـا قال: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا﴾ يعني الحجارة ﴿لما يهبط من خَشْيَةِ اللَّهِ﴾، فـالخشيـة لا تكـون إلاَّ لما أعْـطاه اللّه مِمَّا يَخْتَبِرُ به خشيتـه. وقال قـوم: السجود من هـذه الأشياء التي هي موات ومن الحيـوان الذي لا يعقـل إنما هـو أَثَرَ الصَّنْعَـةِ فيها والخضوع الذي يدل على أنها مخلوقة، واحتجوا في ذلك بقول الشاعر:[1]:

بجَيْشٍ يَضِـلُّ البلق في حَجَـراتِـه ... تُـرى الأُكْمُ فيـه سُجَّـداً للحـوافـر

أي قـد خشعت من وطء الحوافِـرِ عَلَيْهَا، وذلـك القول الـذي قالـوه لأن السجود الذي هو طاعة عِندهم إنَّما يكونُ ممن يَعْقِلُ، والذي يكسر[2] هذا مـا وصف اللّه عـز وجل مِنْ أن مِن الحجـارةِ لما يهبط من خشيـة اللّه، والخشية والخوفُ ما عقلناه إلا للآدميين، وقد أعلمنا اللّه ـ عـزّ وجلّ ـ ان من الحجـارة

= سـربـال مـلـك بـه تـرجـى الخـواتيـم

ويروى: يكفي الخليفة أن اللّه سربله. ـ هذا، «وإن» تعاد عند طول الكلام والفصل البعيد بـين اسمها وخبرها.

(١) هو الراعي.

(٢) الذي ينقض أن الخشوع إنما يكون ممن يعقل.

ما يخشاه، وأعلمنا أنه سَخّر معَ داودَ الجبالَ والطيرَ تسبح معه، فلو كان تسبيح الجبال والطير أثرَ الصنعة ما قيل سخرنا ولا قيل مع داود الجبال لأن أثر الصنعة يتبين معَ دَاوُدَ وَغيره، فَهُوَ سُجودُ طاعةٍ لا محالة، وكذلك التسبيح في الجبال والطير، ولكننا لا نعلم تسبيحها إلاّ أن يجيئنا في الحديث كيف تسبيح ذلك. وقال اللّه عزّ وجلّ - ﴿وإن من شيء إلّا يُسَبِّحُ بحَمْدِهِ ولٰكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾.

الخصمان المُؤمِنُونَ والكَافِرون - جاء في التفسير أن اليهود قالوا للمسلمين ديننا أقْدَمُ من دينكم وكتابنا أقدَمُ من كتابكم، فأجابهم المسلمونَ بأنا آمنا بما أنزل إلينا وأنزل إليكم وآمنا باللّه وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله، وأنتم كفرتم ببعض الرسل فظهرت حجة المسلمين على الكافرين. وقيل اختصموا وقد قال خَصْمَانِ لأنهما جَمْعانِ.

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾.

وجاء في التفسير أنَّ الثِّيَابَ التي من نارٍ هي نُحَاسٌ قَدْ أُذِيبَ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الحَمِيمُ. يُصْهَرُ به مَا فِي بُطُونِهِمْ والجُلُودُ﴾.

يغلى به ما في بطونهم حتَّى يَخْرُجَ من أَدْبَارِهم، فهذا لأحد الخصمين، وقال في الخصم الذين هم مؤمنون:

﴿إنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ولُؤْلُؤٍ﴾.

و ﴿لُؤْلُؤاً﴾ يقرأ ان جميعاً، فمن قرأ ﴿ولؤلؤاً﴾ فعلى معنى يحلون فيها أساور من

---

(١) سورة الإسراء من الآية ٤٤.

ذهب ويُحلَّوْنَ لُؤلُؤاً، ومن قرأ وَلُؤْلُؤ أراد وَمِنْ لؤلؤ. وجائز أن يكون اسَاوِرَ من ذَهَبٍ وَلُؤْلؤٍ، فيكون ذلك فيها خلطاً مِنَ الصِّنْفيْن ويقرأ يَحْلَوْنَ فيها على معنى قَوْلِك حَلِيَ يَحْلَى إذا صار ذا حَلْيٍ.

وقوله: ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ [والمَسْجِدِ الحَرامِ الَّذِي جَعَلْناهُ للنَّاسِ سواءً العاكِفُ فيه والبادِ، ومَنْ يُرِدْ فيه بإلْحَادٍ بظلم نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ]﴾.

لفظ يَصُدُّونَ لفظ مستقبل عطف به على لفظ الماضي، لأن معنى الذين كفروا الذين هم كافرون، فكأنه قال إنَّ الكَافرين والصَّادِّينَ. وخبر إن فيه قولان أحدهما أن يكون محذوفاً فيكون المعنى إنَّ الذين هذه صِفَتُهم هلكوا وجائز أن يكون ـ وهو الوجه ـ الخبر ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

فيكون المعنى إن الكافرين والملحدين في المسجد الحرام نُذِقْهُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ[1].

وقوله تعالى: ﴿سَوَاءً العَاكِفُ فِيه والبَادِ﴾.

القراءة الرفعُ في سَوَاءٍ، ورفعه من جهتين إحداهما أن يكون وقف التمام [هو] ﴿الذي جَعَلْنَاهُ للنَّاسِ﴾، كما قَال: ﴿إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ للنَّاسِ﴾[2]. ويكون ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ على الابتداء والخبر، ويجوز أن يكون على جعلناه سواء العاكف فيه، فيرتفع سواء على الابتداء، ويكون الخبر ههنا العاكف فيه، أعني خبر ﴿سواء العاكف﴾ ويكون خبر ﴿جَعَلْنَاهُ﴾ الجملة.

---

(١) هذا لا يستقيم إذا كانت «مَنْ» شرطية، وهي شرطية، إنما يستقيم إذا كانت موصولة. ونذقه إذا كان جملة خبرية يجب أن يكونَ مرفوعاً، ولكن يبدو أن الخبر محذوف وجملة الشرط دالة عليه.

(٢) سورة آل عمران الآية ٩٦ وهي: ﴿إن أوّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَاس لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً﴾ وجعل الناس هناك تمام الآية وجه غير جيد.

وتفسير قوله: ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ أنه يستوي في سُكنى مكَّةَ المقيم بها والنَّازع[1] إليها من أي بَلَدٍ كانَ، وقيل سواء في تفضيله وإقامة المَنَاسِكِ العاكف المقيم بالحرم والنَّازعُ إلَيْهِ.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾.

قيل الإلحاد فيه الشرك بالله، وقيل كُلُّ ظَالِمٍ فيه مُلْحِدٌ، وجاء عن عُمَر أن احتكار الطعام بمكَّة إلحادٌ. وقال أهل اللغة إن معنى الباء الطرح. المعنى ومن يرد فيه إلحاداً بظلم، وأنشدوا قول الشاعر:[2]

هُنَّ الحرائرُ لا ربَّاتُ أخمِرَةٍ   سودُ المحاجر لا يقرأن بالسُّوَرِ

المعنى عِنْدهم لا يقرأن السُّورَ، وأنشدوا:[3]

بوادٍ يَمانٍ ينبت البَثَّ صدْرُه   وأَسْفَلُهُ بالمرخ والشَّبَهَانِ

أي وينبت أسفلُه المرخَ والشبهان. والذي يذهب إليه أصحابنا أن الباءَ ليست بملغاةٍ، المعنى عندهم ومن إرادته فيه بأن يلحد بظلم وهو مثل قوله:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما   تمثل لي ليلى بكل سبيل[4]

المعنى أريد، وإرادتي لهذا.

ومعنى الإلحاد في اللغة العدول عن القَصْد.

---

(١) المتجه إليها والقادم من مكان آخر.

(٢) هو الراعي ـ والبيت في الخزانة ٣/٦٦٨، واللسان (سور) والقرطبي ١/١٥٨، وشواهد المغنى ١١٦.

(٣) ينسب لامرئ القيس، وللأحول اليشكري واسمه يعلى، والشبهان نبت يشبه الثمام وقيل هو الثمام، والمرخ من شجر النار كثير الورى سريعه. والشث ـ بالثاء المثلثة شجر طيب الريح مر الطعم يدبغ به، والبيت في اللسان (شث): «ينبت الشث فرعُه»، وفي (شبه) كما هنا.. وهو في الطبري ١٧/٩٤، والقرطبي ١٢/٣٦.

(٤) تقدم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكانَ الْبَيْتِ﴾.

جعلنا مكان البيت مبوأً لإبراهيم، والمبوأ المنزل، فالمعنى أن اللّه أعلم إبراهيم مكان البيت فبنى البيت على أسه القديم، وكان البيت في أيام الطوفان رفع إلى السماء حينَ غَرَّقَ اللّهُ الأرضَ ومَا عليها فَشَرَّفَ بيْتَه بأن أخرجه عن جُملة مَا غرّق. ويروى أن البيت كان من ياقوتة حمراء.

وقوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ والقَائِمِينَ﴾.

قيل: المعنى طهره من الشرك. والقائمونَ هَهُنا المصَلُّونَ.

وقوله: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ﴾.

رُوي أنّ أذان إبراهيم بالحَج أن وقف في المقام فقال: أيها النـاسُ أجيبوا يا عباد اللّه أطيعوا اللّه يا عباد اللّه اتقوا اللّه، فَوَقَرَتْ في قلب كل مؤمن ومؤمنة وأسمع ما بين السماء والأرض وأجابه من في الأصلاب ممن كتب له الحج، فكل من حج فهو ممن أجاب إبراهيم، ويروى أنَّ أَذَانَه بالحج كان يا أيها الناس كتب عليكم الحج.

وقوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾.

﴿رجالاً﴾ جمع راجل مثل صَاحِب وصِحَاب، وقائِم وقِيَام: ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ﴾، أي يأتوك رِجَالاً ورُكْبَاناً. وقال يأتين على معنى الإبل المعنى وعلى كل بعيد ضامر يأتي من كل فج عميق، وعميق بعيد، قال رؤبة[١]:

وَقَاتِم الأَعْماق خَاوي المخترق

الأعماق الأَقْعَار، ومن هذا قيل: هذه بِئر «عَمِيقة»، أي بَعِيدَة القَرار.

---

(١) من أرجوزة له طويلة - وهو في الطبري ١٥/٥٩، واللسان (قتم) وبديوانه ١٠٤، وطبقات ابن سلام ص ٧٦١ (ت محمود شاكر).

وقوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾.

أي ليشهدوا مَا نَدَبَهُم اللَّهُ إليه مما فيه النفـع لهم في آخرتهم.

﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ﴾.

يعني به يومَ النَّحْرِ والأيَّامُ التي بعده يُنْحَرُ فِيهَا لأن الذكر ههنا يـدل على التسمية على ما يُنْحَر لقوله على ما رَزَقَهُمْ مِن بهِيمةِ الأنعام.

وقوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾.

﴿البائس﴾ الذي قد ناله بؤس، والبؤس شدة الفقر، يقال: قد بؤس، وبأس إذا صار ذا بؤس. وقوله ﴿فَكُلوا مِنْهَا﴾ ليس بأمر لازم، من شاء أكل من أضحيته ومن شاء لم يأكل، وإنمـا هو إباحة كما قال: ﴿وإذا حَلَلْتم فاصْطَادُوا﴾[١]. فإنمـا قـال فاصـطادوا، لأنه كـان قد حـظر عليهم الصيد وهم مُحْـرِمون، فـأبـا حَهمُ الصَّيْـدَ. وكذلـك هذا الأمـر ههنا إبـاحـة بعـد حـظرهم[٢] على أنفسهم أكـل الأضـاحي، لأن أهـل الجـاهليـة كـانـوا إذا نحـروا لم يستحلوا أن يـأكلوا من نسِاكِهِم[٣] شيئاً، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن ذلك جائز.

وقوله: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾.

قرئت ثم لِيَقْضُوا بكسر اللام، وكذلك قرأ أَبو عَمْرٍو، والقراءة بـالتسكين مع ثم كثيرة.

والتفث في التفسير جاء[٤]، وأهل اللغة لا يعرفون إلا من التفسير، قالوا

---

(١) سورة المائدة الآية: / ٢.

(٢) هم الذين حرموا أكل الأضاحي على أنفسهم.

(٣) جمع نسيكة، وهي الحيوان الذي يذبح نسكاً وقرباناً للَّه.

(٤) لم يأت شرحه إلا في كتب التفسير.

التفث الأخذ من الشارب وتقليم الأظافر ونتف الأبِطِ وحَلقُ العَانة والأخْـذُ مِنَ الشَّعَرِ، كأنه الخروج منِ الإحرام إلى الإحلال.

قوله: ﴿وَلْيَطَوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾.

قيل في العتيق أقوال، قال الحسنِ هو البيت القديم، ودليل الحسن على ذلك قوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً﴾(١).

وقيل إن البيت العتيق الذي عَتَق من الغرق أيام الطوفانِ، ودليل هذا القول: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾، فهذا دليل أن البيت رفع وبقي مكانه. وأكثر ما جاء في التفسير أنه أُعْتِقَ من الجبابرة، فلم يَغْلِبْ عليه جَبَّارٌ، وقيل إنَّه سُمِّيَ العتيقَ لأنه لم يَدعْهُ أَحَدٌ من الناس. وقيل إنما سمي العتيق لأنه لم يقصده جبار إلا أهلكه اللّٰه، يقال أعتقت المملوك فهو مُعْتَقٌ وَعَتِيق. وكل ما مر في تفسير العتيق فجائزٌ حَسنٌ ـ واللّٰه أعلم بحقيقة ذلك ـ وهذه الآية تدل على أنّ الطواف يوم النحر فرضٌ(٢).

وقوله: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾.

وحرماتُ اللّٰه الحجُّ والعمرةُ وسائر المناسك، وكل ما فرض اللّٰه فهو من حرمات اللّٰه، والحرمةُ ما وجب القيامُ به وحَرَّمَ تركَهُ والتفريطَ فيه. وموضع ﴿ذلك﴾ رفع، المعنى الأمر ذلك.

وقوله: ﴿وأُحِلَّتْ لكُمُ الأَنْعَامُ إلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾.

«ما» في موضع نصب أي إلا ما يتلى عليكم من الميتة والدم والمنخنقة والموقوذَةِ وسائر ما تلي تحريمه.

وقوله: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾.

---

(١) سورة آل عمران الآية ٩٦.

(٢) ليس فيها دلالة على تحديد يوم للطواف والواو تقتضي الجمع ولا تقتضي التعقيب.

«مِنْ» ههنا لتخليص جنس من أجناس[1] المعنى فاجتنبوا الرجس الذي هو وَثَن

وقوله: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾.

الزور الكذب، وقيل إنَّه ههنا الشِّرْكُ باللَّهِ، وقيل أيضاً شهادَةُ الزور، وهذا كله جائز. والآية تدل - واللَّه أعلم - على أنهم نُهُوا أن يُحرِّمُوا ما حَرَّم أصحابُ الأوْثانِ نحو قولهم: ما في بطون هذه الأنعام خالصةٌ لذكورنا ومحرَّمٌ على أزواجنا، ونحو نحرهم البَحيرَةَ والسَّائِبَةَ، فأعلمهم اللَّه أَنَّ الأنْعَامَ مُحَلَّلَةٌ إلَّا ما حرَّمَ اللَّهُ منها، ونهاهم اللَّه عن قول الزور أن يقولوا هذا حلال وهذا حرام لِيَفْتَروا على اللَّهِ كَذِباً.

وقوله: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّه﴾.

منصوبٌ على الحال، وتأويله مُسْلِمِين لا يَمِيلُونَ إلى دِينٍ غير الإسلام.

وقوله: ﴿غيرَ مُشْرِكِينَ بِهِ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُه الطَّيْرُ﴾.

ويقرأ فَتَخْطَفُهُ الطّيرُ وفَتَخِطِّفُهُ. وقرأ الحسن فَتِخِطِّفُهُ بكسر التاء والخاء والطاء. فمن قرأ فَتَخْطَفُه بالتخفيف فهو من خَطِفَ يخطَفُ، والخَطْفُ الأخْذُ بسرعة، ومن قرأ فَتَخِطِّفُه - بكسر الطاء والتشديد - فالأصل فَتَخْتَطِفُه فأدغم التاء في الطاء وألقى حركة التاء على الخاء ففتحها، ومن قَالَ بكسر الخاء والطاء، كسر الخاء لسكونها وسُكُون الطاء، ومن كسر التاء والخاء والطاء - وهي قراءة الحسن - فهو على أن الأصل تَخْتَطِفُه.

وهذا مثل ضَرْبَةِ اللَّه للكافر في بُعْده عِنَ الحق - فأعلم اللَّه أَنَّ بُعْدَ من أشْرَكَ به مِنَ الحق كبُعْدِ مَنْ خرَّ من السماء فذهبت به الطير أو هَوَتْ به الريحُ في مكانٍ سحيق - [أي] بَعِيدٍ.

---

(١) بيانيّة.

قوله: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى القُلُوب﴾.

شعائر اللّه المعالم التي نَدَبَ إليها وأَمَر بِالقِيام بِها، واحَدتها شعيرة، فالصفا والمروةُ من شعائر اللّه، والذي يُعْنَى به هنا البُدْنُ.

وقوله: ﴿لَكُمْ فِيها مَنَافِعُ إِلى أَجَلٍ مُسَمَّىً ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى البيتِ العتيقِ﴾، يعني أن لكم في البدن ـ قبل أن تُعْلِمُوهَا، وتُسَمُّوهَا هَدْياً إلى بيتي ـ مَنَافِعَ، فإذا أشْعَرْتُموهَا ـ والاشعار أن يشق في السنام حتى يَدْمَى ويعلق عليها نَعْلاً ليعلم أنها بدنة[1]، فأكثرُ النَّاسِ لا يرى الانتفاع بها إذا جُعِلَتْ بدنةً، لا بِلَبَنِهَا ولا بِوَبَرِهَا وَلَا بِظَهْرِهَا، يقول لا يُعْطَى لبنها ووبرها وظهرها أحداً لأنها بدنة فلا ينتفع بها غير أَهْلِ اللّهِ إلّا عند الضرورة المخُوفِ معها الموت، وبعضهم يقول: إنَّ له أنْ ينتفع بها فيركبها المُعْيِي وينتفع بمنافعها إلى وقت محلها ـ مَكانِ نَحْرِها ـ . والحجة في ذلك أنّ النَبي ﷺ مرَّ برَجُلٍ يسُوقُ بدَنَةً فأمره ﷺ بركوبها، فقال إنَّها بدنة فأمَره الثانية وأَمَرهُ الثالثة، وقال له في الثالثة: اركبها ويْحَكَ، فهذا ـ يجوز أنّ النبي ﷺ رآه مُضْطراً في ركوبها من شدة الاعياء، وجائز على ظاهر الحديث أن يكون ركوبُها جائزاً. ومن أجاز ركوبَها والانتفاع بها يقول: ليس له أنْ يُهْزِلَها وينضِيَها لأنها بدنة.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكاً﴾.

وتقرأ مَنْسَكاً، والمنسك في هذا الموضع يدل على معنى النحر فكأنه قال جعلنا لكل أمَّةٍ أن تتقرَّبَ بأن تَذْبح الذَّبَائح لِلّه، ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿لِيَذْكُروا اسمَ اللّهِ على ما رَزَقَهُم من بَهيمَةِ الأَنْعَامِ﴾، المعنى ليذكروا اسم اللّه على نَحْرِ ما رَزقهم من بهيمة الأنعام، وقال بعضهم: المنْسَكُ الموضِعُ الذي يجب تعهده، وذلك جائز.

---

(١) البدنة من الإبل والبقر ـ محركة ـ كالأضحية من الغنم تهدى إلى مكة والبدنة تقال للذكر وللأنثى ـ ويجمع على بُدُن مثل كُتُب وجملة «قبل أن يعلم أنها بدنه» بمعنى قبل أن يعلم أنها هدي ـ لأن بدنة بمعنى هدي.

ومن قال مَنْسِك فمعناه مكانُ نُسُكٍ مثل مَجْلِس مكـان جُلوس. ومن قال مَنْسَك فهو بمعنى المصدر نحو النُّسُك والنُّسُوكِ.

وقوله: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾.

أي لا ينبغي أن تذكروا على ذَبَائحكم إلاّ اللَّهَ وحده.

وقوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾.

قيل المخبتون المتواضعون، وقيل المخبتون المطمئنون بالإيمان باللَّه عزّ وجلَّ، وقيل المخبتون الذين لا يظلمون وإذا ظُلِمُوا لم ينتصروا. وكل ذلك جائز.

واشتقاقه من الخَبْتِ مِنَ الأَرْضِ وهي المكان المنخْفِضُ منها، فكل مُخْبِت متواضع.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿والمُقِيمي الصَّلاةِ﴾.

القراءة الخفضُ واسقاط التَّنْوين، والخفض على الإضافة، ويجوز: والمقيمين الصَّلاةَ، إلا أنه بخلاف المصحف. ويجوز أيضاً على بُعْدٍ والمُقِيمي الصَّلاةَ، على حذف النون ونصب الصلاة لطول الاسم، وأنشد سيبويه:(١)

الحافظو عورةَ العشيرةِ لا يأتيهم من ورائِهم نطف

وزعم أنه شَاذٌّ.

وقوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾.

النصب أحسن لأن قبله فِعْلًا، المعنى وَجَعَلْنَا البُدْنَ، فنصب بفعل

---

(١) الشاهد ٢٩٨ في الخزانة. وكتاب سيبويه ١/٩٥، والأشموني ٢/٢٤٧. قال ابن السراج: وقد أجازوا «رأيت الضاربي زيداً»، وليس بحسن، وإنما جواز ذلك على أنك أردت التنوين فحذفتها لطول الاسم. والعورة: موطن الضعف، والنطف ـ بفتحتين العيب.

والبيت لعمرو بن امرىء القيس الخزرجي، وهو جاهلي، جد عبد الله بن رواحة ـ وكان لمالك بن العجلان يسمى بُجيرا فخر بسيده مالك الخزرجي بين الأوس، فقتله رجل منهم يقال له سمير، وأصر مالك على قتل سمير أو أخذ دية رجل حر. فوقعت بينهم حرب. ثم احتكموا إلى عمرو فقضى بدية مولى ولم يقبل مالك ـ فقال عمرو هذه القصيدة.

مُضْمَرٍ الذي ظهر يفسره. وإن شئت رفعت على الاستئناف. والبُدْن بتسكين الدَّال وَضمِّها. بَدَنَةٌ وبُدْنٌ، وبُدْنٌ مثل قوله ثَمَرَةٌ وثُمْر وثُمُرٌ. وإنما سميت بَدَنَةً لأنها تَبْدُن، أي تَسْمَنُ.

وقوله: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْها صَوَافَّ﴾.

﴿صَوَافَّ﴾ منصوبة على الحال، ولكنها لا تنون لأنها لا تنصرف، أي قَدْ صَفَّتْ قَوَائِمَها، أي فاذكروا اسم اللَّه عليها في حال نحرها. والبَعِيرُ ينحر قائماً، وهذه الآية تدل على ذلك، وتقرأ صَوَافِنَ، والصافن الذي يقوم على ثَلَاثٍ، فَالبَعِيرُ إذا أرادوا نَحَره تعقل إحدى يديه فَهُو صَافِنٌ، والجمع صَوافِنُ يا هذا، وقرئت صَوافِيَ بالياء وبالفتح بِغَيْر تَنْوِينِ وتفسيره خَوَالص - أي خالصة للَّه عزّ وجلَّ، لا تُشْرِكوا في التَّسْمِيَةِ على نحرها أَحَداً.

وقوله: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُها﴾.

أي إذا سقطت إلى الأرض.

﴿فَكُلوا مِنْها وأَطْعِمُوا القَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾.

بتشديد الراء، ويجوز والمُعْتَرِي بالياء، ويقال: وجب الحائط يَجِبُ وَجْبَةً إذَا سَقَط، ووجب القلب يجب وَجْباً وَوَجيبا إِذَا تَحَرَّكَ من فَزَعٍ، ووجب البَيْعُ يجب وجُوباً وجِبَةً، والمستقبل في ذلك كله يجبُ، وقيل في القَانِع الذي يَقْنَعُ بما تُعْطِيهِ، وقيل الذي يَقنع باليسير. وقيل وهو مذهب أَهْل اللُّغَةِ السائل، يقال قَنَعَ الرجل قُنُوعاً إذَا سأَلَ، فهو قانع، وأَنْشَدُوا للشَّماخِ[(١)].

كمالُ المرء يُصْلِحُهُ فيُغْنِي ... مَفَاقِرَهُ أَعَفُّ من القُنُوعِ

أي أعفّ من السؤال، وقنِعَ قناعةً إذا رَضِيَ فهو قَنِعٌ، والمُعْتَرُّ: الذي

---

(١) انظر الطبري ١٧/١١٠، والقرطبي ١٢/٦٤ واللسان (قنع - فقر) ومجاز أبي عبيدة ط/٢٥١ - والمفاقر وجوه الفقر، وقيل جمع فقر على غير قياس مثل مشابه وملامح والقنوع السؤال.

يعتريك فيطلب مَا عِنْدَكَ، سألك إذ سئِلتَ عن السؤال وكذلك المعتري.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُها وَلاَ دِمَاؤُهَا﴾.

وقرئت: ﴿لَن تَنَالَ اللَّهَ لحُومُها﴾ بالتاء، فمن قرأ بالياء فَلِجَمْعِ اللحوم، ومن قرأ بالتاء فلجماعة اللحوم - وكانوا إذا ذَبحُوا لَطَّخوا البيت بالدَّمِ، فأعلم اللَّه - عزّ وجلَّ - أنَّ الَّذِي يَصِلُ إليهِ تَقْواهُ وطَاعَتُه فيما يَأْمُر بِهِ.

﴿وَلَكِنْ يَنَالُه التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾.

وتناله التقوى منكم - بالياء والتاء - فمن أَنَّثَ فللفظ التقوى، ومَنْ ذَكَّرَ فلأن معنى التقوى والتقى واحِدٌ

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

ويدْفَعُ [عن الذين آمنوا]. هذا يدل على النَّصْرِ مِنْ عِنْده، أي فإذَا دَفَعْتُم، أي فإذا فَعَلْتُم هذا، وخَالَفْتُم الجَاهِلِيّةَ فيما تفعلونَهُ فِي نَحْرِهِمْ، وإشراكهم باللَّه، فإنَّ اللَّه يدْفَعُ عن حِزْبِه.

وقوله: ﴿كَلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾.

﴿خَوَّان﴾ فعَّال من الخِيَانَةِ، أي من ذكر اسم غير اللَّه وتَقَرَّبَ إلى الأصنام بِذَبِيحَتِه فهو خَوَّانٌ كَفُورٌ.

والبُدْنُ قيل إنها الإِبِلُ خاصَّةً، وقيل إنها الإبل والبَقَرُ، وَلاَ أَعْلَمُ أَحَداً قال: إن الشاء داخلة فيها، فأما من قال إنَّها الإِبِلُ والبَقَرُ فَهُمْ أكبر فقهاء الأمْصَارِ، ولكن الاستعمال في السِّيَاقةِ إلَى البَيْتِ الإبل فلذلك قال من قال إنها الإِبِلُ[1].

---

(١) أي من قال إن البدن هي الإبل فقط وليست البقر داخلة فيها قال ذلك مستنداً إلى أن الاستعمال فيما يساق للبيت هو الإبل.

وقوله: ﴿أُذِنَ للذين يُقَاتِلونَ﴾.

ويقرأ أُذِن للذين يُقَاتَلونَ، ويُقـرأ أَذِن للذين يُقَاتِلون ويُقَـاتَلونَ. والمعنى أذن للذين يقاتلون أن يقاتِلُوا. ويُرْوَى أَنَّها أول آيَةٍ نزلت في القِتَالِ.

﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾.

أي أُذِنَ لهم أن يقاتلوا بسبب ما ظلموا

وقوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

وعدهم اللَّه النَّصْرَ، ولا يجوز أن يقرأ و «أَنَّ» اللَّـه - بفتـح أَنَّ، ولا بَيْنَ أهـل اللغة خِـلَافٌ في أن هذا لا يجـوز لأن «أَنَّ» إذا كانت معهـا الـلام[1] لم تفتح أَبَداً.

وقوله: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا﴾.

﴿الذين﴾ في موضع جَرٍّ، المعنى «أُذِنَ للذين أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغير حق إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ».

«أَنْ» في مَوْضِع جَرٍّ، المعنى أُخرِجُوا بلا حَقٍّ، إلَّا بِقَوْلِهم ربُّنَا اللَّهُ أي لم يخرجوا إلا بأن وَحَّدُوا اللَّه، فأخرَجَتْهُمْ عَبَدَةُ الأوثان لتوحيدهم.

وقوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ [صَوَامِعُ]﴾.

المعنى: ولولا أن دفع اللَّه بعض الناس ببعضٍ لَهُدِّمَتْ صوامع، وتقـرأ لَهُدِمَتْ، وهي صوامع الرُّهْبَانِ.

﴿وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ﴾.

والبِيَعُ بِيَعُ النصارى، والصَّلَوَاتُ كَنَائِسُ اليَهود، وهي بالعبرانيَّة صَلُوتَـا،

---

(١) أن المفتوحة لا تأتي لام التوكيد في خبرها.

وقرئت صَلاَةٌ وَمَسَاجِدُ، وقيل إنها مَوْضعُ صَلَواتِ الصَّابِئِين، وتأويل هذا: لولا أن اللَّه ـ عزّ وجلَّ ـ دَفَع بعض الناس بَبَعْض لهُدِّمَ في شريعة كُلِّ نَبِيٍّ المَكَانَ الَّذِي كان يُصَلِّي فيه، فَكَانَ لولاَ الدَّفعُ لَهُدِمَ في زَمن مُوسى عليه السلام الكنائس التي كان يصلي فيها في شريعته، وفي زَمَنِ عيسى الصوامع والبِيَعُ، وفي زمن محمد ﷺ[1] المساجِدُ.

وقوله: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُه﴾.

أي من أقام شريعة مِن شرائعه، نصر على إقامة ذلك، إلاَّ أنَّهُ لاَ يُقَام في شريعة نَبِيّ إلاَّ ما أُتِيَ به ذلك النبيِّ ويُنْتَهَى عما نَهَى عَنْهُ.

وقوله: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ﴾.

﴿الذين﴾ في موضع نصب على تفسير مَنْ، المعنى ولَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ ينصُرُه ثم بيَّن صِفَةَ ناصِريه فقال:

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ في الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالمعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ﴾.

فَصِفةُ حِزْبِ اللَّه الذينَ يُوحِّدونَه، إقَامةُ الصلاة، وإيتاءُ الزّكاة والأمْرُ بالمَعْرُوف والنهي عن المنكر، وهما واجبان كوجوب الصلاة والزّكاة أعْنِي الأمرَ بالمعروف والنَّهيَ عَنِ المُنْكَر.

﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِي خَاوِيةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾.

ويقرأ أهْلَكتُها، المعنى فكيف كانَ نِكير أيْ ثم أخَذْتُهم فأبْلَغْتُ أبلغ الإنكار. فأهْلكت قُرًى كثيرةً، لأن معنى فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيةٍ معنى فكم مِنْ قَرْيةٍ، ومعنى كم من قريةٍ عدد كثير من القُرَى.

(١) نسخة عليه السلام.

ويجوز كأيِّن بتشديد الياء، ويجوز كـائِن مِنْ قَرْيَـةٍ، وهو عنـد البَصْرِّيين في معنى العدد الكبير، تقول: وكائن مِنْ رَجُلٍ جَاءَنِي معنـاه العدد الكثيـرُ مِنَ الرِّجَالِ.

﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾.

والعُـروش السُّقـوفُ، فـالمعنى أنهـا قَـدْ خَـرِبَتْ وخَلَتْ فصـارت على سُقُوفها كما قال في مَوْضعٍ آخر: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾(١)، يقال خوتِ الـدَّارُ والمدينةُ خَواءً، ممدودٌ، فهي خاوِيةٌ، وخَوِيَتِ المرأةُ وخـوِيَ الإِنْسَانُ إذا خَـلاَ مِنَ الطَّعَامِ خَوًى، مَقْصورٌ فهو خَوٍ.

وقوله: ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾.

أكثـر ما جـاء في مَشِيدٍ من التَّفْسِيـر مُجَصَّصٌ، والشِّيـدُ الجصُّ والكَلْسُ أيضاً شِيدٌ، وَقِيلَ مَشِيدٌ مُحَصَّنٌ مُرْتَفِعٌ، والمُشَيَّد إِذَا قيل مُجَصَّصٌ فهـو مُرْتفـعٌ في قَدْرِهِ وَإِن لَمْ يرتفع في سُمكِهِ، وأصل الشِّيدِ الجصُّ والنُّورَةُ، وكل مـا بُنِيَ بِهِمَا أو بِأَحَدِهمَا فهو مُشَيَّدٌ.

وقوله: ﴿وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.

القلبُ لا يكـون إلاَّ في الصَّـدْرِ ـ ولكن جَـرَى عَلَى التَّـوكِيـدِ كمـا قـال عزَّ وَجَلَّ ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾(٢)، وكما قال: ﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾(٣)، وكما قرأ بعضهم: ﴿لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُـونَ نَعْجَةً﴾(٤). فالتـوكيـد جـار في الكـلام مبـالـغٌ في الإِفْهَامِ.

---

(١) سورة الحجر الآية ٧٤.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٦٧.

(٣) سورة الأنعام الآية ٣٨.

(٤) سورة ص الآية ٢٣.

وقوله: ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾.

قيل إنَّ يوْماً من أيَّامِ عَذَابِهم كألف سَنَةٍ، ويدل على ذلك الحديث الذي يُرْوَى أن الفقراء يُدْخُلونَ الجنة قَبْلَ الأَغْنِياءِ بِنِصفِ يوم.

وجاء في حديث آخر تفسير هذا القول بخمسمائةِ عَامٍ. فهذا يدل على أنَّ اليومَ مِن أيَّامِ القِيامة ألفُ سَنَةٍ، والذي تدل عليه الآية - واللَّهُ أعلَمُ - أنهم اسْتَعجَلُوا فأعلم اللَّه عزّ وَجَلَّ أنه لا يَفُوتُه شيءٌ، وأَنَّ يوماً عنده وألف سنةٍ في قُدْرَتِه وَاحدٌ، وأن الاستعجال في ميعادهم لا فرق [فيه] بين وقوع ما يستعجلون به من العذاب وتأخره في القدرة إلَّا أنَّ اللَّهَ - جلّ ثناؤه - تفضل بالإمهال، وغَفَر بِالتوبَةِ، فالتأخير الفرق بينه وبين التقديمَ تفَضُّل اللَّه عزّ وَجَلَّ بالنَّظِرَةِ. ثم أعلم - عزّ وَجَلَّ - أنَّه قد أخذ قَوْماً بعد الإملاءِ والتأخير عُقوبةً منه ليزدادوا إثماً فقال بعد قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بالعَذَابِ﴾، وبعد تمام الآية ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُها وَإِليَّ المَصِيرُ﴾.

المعنى ثم أخَذْتها بالعَذَابِ، واستُغنِيَ عن ذكر العذاب لِتقَدُّمِ ذكره في قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بالعَذَابِ﴾.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾.

أي ظانِّينَ أنَّهم يعجزونَنَا لأنهم ظَنُّوا أنهم لا يُبْعَثُونَ، وأنَّهُ لَا جَنَّةَ ولا نار،. وقيل في التفسير معاً جزين معاً ندين، وليس بخارج من القول الأول، وقُرِئت معَجِّزين، وتأويلها أنهم كانوا يُعَجِّزُونَ من اتبع النبي ﷺ ويُثَبِّطُونَهُمْ عنه.

وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إلَّا إذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشيطان فِي أُمْنِيتِهِ﴾.

معنى إذَا تَمَنَّى إذَا تَلَا، ألقى الشيطان في تِلَاوَتِهِ، فذلك

محنةٌ من اللَّه ، ـ عزّ وَجلَّ ـ وله أنْ يمْتحن بما شاء، فألقى الشيطان على لسان النبي ﷺ شيئاً من صفة الأصنام فافتتن بذلك أهلُ الشقاق والنفاقِ ومن في قلبه مرض فقال اللَّهُ عزّ وَجلَّ :

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ والقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ ثم أعلم أنهم ظالِمُونَ، وأنَّهُمْ في شِقاقٍ دَائِمٍ ، والشِّقاق غاية العداوةِ فقال:

﴿وإنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾.

ثم أعلم أن هؤلاَءِ لا يَتُوبُونَ فقال:

﴿ولايَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا في مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ أي في شك منه.

﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي مفاجأة.

﴿أوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾.

أصل العُقم، العقمُ في الولادة، يقال: هَذِهِ امرأةٌ عقيمٌ، كما قال اللَّه ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿وَقَالَتْ عجُوزٌ عقيم﴾[1]، وكذلك رجل عقيم إذا كان لا يُولِدُ

قال الشاعر[2]:

عَقِيمَ النِّسَاءُ فَلاَ يَلِدْنَ شَبِيهَه ... إن النساء بمثله عقمُ

والريح العقيمُ التي لا تأتي بسحاب يُمْطِر، وإنما تأتي بالعذاب، واليوم العقيمُ هُوَ الَّذِي لا يَأْتي فيه خيرٌ، فيوم القيامةِ عقيمٌ على الكفار كما قال اللَّه

---

(١) في سورة والذاريات الآية ٢٩ وهي: ﴿فأقبَلتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾.

(٢) في اللسان (عقم) وقبله:

نــذر الكــلام من الحيـاء تخالـه ... ضـمـناً وليس بجسمه سُقْمُ

متهلل بنَعمْ، بلا متباعدٌ ... سيان منه الوفر والعدم

والضمن السقيم. والأفصح في عقم أن يقال: عَقَمَ اللَّه رحمها، بالتشديد وعقَمَتْ هي، ومن قال عقَمت أو عقِمت ـ بفتح العين أو كسرها قال أعقمها اللَّه وهي عقيم.

ـ عزّ وجلـ : ﴿عَلَى الكَافِرينَ غيرُ يَسِيرٍ﴾[١]. وليس هو على المؤمنين الـذين أُدْخِلوا في رحمة اللَّه كذلك.

وأنشد بعض أهل اللغة في قوله تمنى في معنى تلا قول الشاعر[٢]:

تـمـنـى كـتـاب الـلَّه أول لـيـلة ... تـمنـى داود الكـتـاب عَلَى رِسْـلِ

أي تلا كتاب اللَّه مترسِّلاً فيهِ كما تلا داود الزبور مترسِّلاً فيه.

وقوله: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾.

﴿ذلك﴾ في موضع رفع، المعنى الأمر ذلك، أي الأمر ما قصصنا عليكم.

قوله: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾.

الأول لم يكن عقوبةً، وإنما العقوبة الجزاء[٣]، ولكنَّه سُمي عقوبـةً لأن الفِعلَ الذي هو عقوبة كان جزاء فسمي الأول الذي جوزي عليه عقوبة لاستواء الفعلين في جنس المكروه. كما قـال عزّ وَجَـلَّ: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾[٤]، فالأول سيئة والمجازاة عليها حسنةٌ من حسنات المُجَازِي عليها إلا أنها سُمِيَتْ سيِّئَـةً بأنهـا وقَعَتْ إساءة بـالمفعول بـه، لأنه فُعِـلَ بِهِ مَـا يَسُوءهُ وكـذلك قـوله ﴿مُسْتَهزِئُونَ. اللَّه يَسْتَهْزِئ بِهِمْ﴾[٥]، جعل مجازاتهم باستهزائهم مسمَّى بلفظ فِعْلِهِمْ لأنه جَزَاءُ فعلهم.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾.

وقرئت مَخْضَرَةً.

---

(١) سورة المدّثر الآية ١٠.

(٢) هو حسان بن ثابت رضي اللَّه عنه يرثي عثمان بن عفان ـ وأول ليلةٍ أو أول لَيْلِهِ ـ أي قرأ القرآن كله أول الليل. (انظر شواهد الكشاف).

(٣) الأول اعتداء والثاني عقوبة لأنه رد على الاعتداء.

(٤) سورة الشورى الآية / ٤٠.

(٥) سورة البقرة الآية ١٤ ـ ١٥.

ذكر اللَّه جلّ ثناؤه ـ ما يدل على توحيده من إيلاج الليل في النَّهارِ والنهار في الليل، وذكر إنزاله الماء يُنْبِتُ وذكر تسخير الفلك في البحر وإمساك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، فدل أنه الواحدُ الذي خلق الخلق وأَتى بما لا يمكن الْبَشَرَ أن يأتُوا بمثله، ثم ذكر جهل المشركين في عِبَادَتِهِمْ الأصنام فقال عزّ وَجَلَّ:

﴿وَيَعْبُدونَ مِنْ دُونِ اللَّه مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً﴾.

أي ما لم يُنْزِلْ بِهِ حُجةً وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ.

ثم ضرب لهم مَثَلَ مَا يَعْبُدون، وأنه لا ينفع ولا يضر.

وأما القراءة: «فتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً لَا غَيرُ» قال سيبويه: سألت الخليل عن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أنَّ اللَّه أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ فقال هذا واجبٌ ومعناه التنبيه كأنه قال: أَتَسْمَعُ؟ أنْزَلَ اللَّه من السماء ماء، فكان كذا وكذا، وقال غيره مثل قوله. قال مجاز هذا الكلام مجاز الخبر كأنه قال: اللَّه ينزل من السماء ماء، فتصبح الأرضِ مخضرَّةً، وأنشدوا(١).

ألم تَسْألِ الرَّبْعَ القواءَ فينطقُ وهل يُخْبِرَنكَ اليومَ بيداء سملقُ

قال الخليل: المعنى فهو مما ينطق، وأما من قرأ مَخْضَرَةً فهو على معنى ذات مَخْضَرة مثل مَبْقَلة ذات بقل، ومَشْبَعة ذات شِبَع، ولا يجوز مَخَضَرَّة ـ بفتح الميم وتشديد الراء ـ لأن مفعلَّة ليس في الكلام ولا معنى له.

وقوله عزّ وَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّه سَخَّر لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ والفُلْكَ تَجْري﴾.

---

(١) البيت لجميل بن معمر ـ والربع القواء المقْفر ـ والسملق الذي لا شجر فيه وينطق خبر المبتدأ أي فهو ينطق، ولهذا رفع الفعل بعد فاء السببية. والبيت في شواهد المغني ٢١٦٢ ومعاني الفراء ٢٢٩/٢، والعيني ٤٠٣/٤ ـ ومن شواهد النحو الشائعة.

[الفُلْكَ] بالنَّصْب نَسقٌ على «ما» المعنى وسخر لكم الفلك! ويكون تجري حالاً، أي وسخر لكم الفلك في حَالِ جريها، ويقرأ: ﴿والفلكُ تجري في البحر بأمْرِه﴾، فيكون الفلكُ مرفوعاً بالابتداء، وتجْري هو الخبر، والمعنى معنى التسخير لأن جريها بأمره هو التسخير.

وقوله: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إلَّا بِإذْنِهِ﴾.

على معنى كراهة أن تقع على الأرض، وموضع «أن» نَصبٌ بيُمْسِكُ، وهي مفعول. المعنى لكراهة أن تقع.

وقوله: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسِكاً﴾.

ومَنْسَكاً، وقد تقدم الشرح في هذا

وقوله: ﴿فَلاَ يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ﴾.

أي لا يجادِلُنَّكَ فيه، ومعناه لا تُنَازِعَنَّهُمْ، والدليل على أن المعنى لا يُجَادِلنَّك وَلاَ تُجَادِلَنَّهُمْ قوله: ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

هذا قبل القتال، فإن قال قائل: فهم قد جَادَلُوه فَلِمَ قيل فلا يُنَازِعُنَّكَ في الأمر وهم قد نازعوه، فالمعنى أنه نَهْيٌ له ﷺ عن منازعَتِهِمْ كما يقول: لا يخَاصِمَنَّكَ فُلاَنٌ في هذا أبداً، وهذا جائز في الفعل الذي لا يَكونُ إلا من اثنين لأن المجادلة والمخاصمة لا تتم إلا باثنين، فإذا قلت لا يُجَادِلَنَّكَ فُلانٌ فهو بمنزلة لا تجادِلَنَّهُ، ولا يجوز هذا في قوله: لا يَضْرِبَنَّكَ فُلاَنٌ، وأنت تريد لا تضربْهُ. ولكن لو قلت لا يُضَارِبنَّكَ فلانٌ لكان كقولك لا تُضَارِبَنَّ فلاناً. ويقرأ: «فَلاَ يَنْزِعُنَّكَ في الأمر»: معناه لا يغلبُنَّكَ في المنازعة فيه، يقال: نَازَعَنِي فُلاَنٌ فنزعتُه وَعَازَّني فَعَزَزْتُه(١)، أنزعه وأغْلِبُه، المعنى فلا يَغْلِبُنَّكَ في الأمْرِ.

وقوله: ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بالَّذِينَ يَتْلُونَ عليهِمْ آيَاتِنَا﴾.

---

(١) عازّني أي غالبني، وعزَّني غلبني.

أي يكـادون يبطشـونَ بسطوةٍ على النبي ﷺ وأصحـابـه، والـذين يتلون عليهم القرآن.

وقوله :﴿قُلْ أفأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمْ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ﴾.

القـراءة بـالــرفـع وهي أثبت في النحـــو مِنَ الجـرِّ والنَّصْبِ والخفض، والنَّصْبُ جائز، فأما من رفع فعلى معنى هو النار، وهي النار، كأنهم قالوا: مَا هَذَا الَّذي هُوَ شَرٌّ فقِيلَ النَّارُ. ومن قال النَّار بالجرِّ، فعلى البَدَلِ مِنْ شَرٍّ، ومَنْ قَـالَ النَارَ بِـالنَصْبِ، فهو على معنى أعْني النـار، وعلى معنى أُنَبِّئُكُمْ بشَـرٍّ من ذلكم كأنه قال أُعَرِّفُكُم شَرًّا من ذلكم النار.

وقوله: ﴿ يا أَيُّها النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا له ﴾.

لأنهم عبدوا من دون اللَّه ما لا يَسْمَـع ولا يُبْصِرُ ومـا لم يُنَزِّلْ بـه حجةً، فَأَعْلَمَهُم اللَّهِ عزّ وَجَلَّ الجواب فيما جعلوه للَّه مثلاً، وجعلوه له نِدًّا، فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَو اجْتَمَعُوا لَه ﴾.

يعني الأصنام، وكل من دُعِيَ مِن دُونِ اللَّهِ إلٰهاً لَا إلَهَ إلا اللَّهُ وحْدَه.

وقوله:﴿وَإِنْ يَسْلُبْهمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْه﴾.

أعلم اللَّه ـ جلّ ثناؤه ـ أنه الخالق، ودل على وحـدانيته بجميـع ما خلق ثم أعلم أن الَّذين عَبَدُوا مِنْ دُونِهِ لا يَقْدِرون على خَلقِ وَاحِدٍ قَلِيلٍ ضعيفٍ مِنْ خَلْقِه، ولا على اسْتِنْقَاذِ تَافِهٍ حقيرٍ منه. ثم قال:

﴿مَاقَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

أي مـا عظمـوه حقَّ عَظَمتِـه، ثم أَعْلَمَ بَعْدَ ذِكـره ضعْفَ قوة المَعْبُـودِينَ قُوَّتَهُ[1] فقال:﴿إِنّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

(١) أعلم قوته بعد ذكر ما بالمعبودين من ضعف.

وقوله: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ والمَطْلُوبُ﴾.

يجوز ضَعُفَ، وضُعِفَ الطالب والمطلوب، أي فهم يضعفون عن أن يخلقوا ذُبَاباً، وعن أن يستنقذوا من الذباب شيئاً مع ضعف الذباب.

وقوله عزّ وَجلَّ: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلاَئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾.

اصطفى اللَّه من الملائكة جبريل ومكائيل واسرافيل ومَلَكَ الموتِ واصطفى من الناسِ النبيينَ والمرسلين، صلّى اللَّه عليهم أجمعين.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا واسْجُدوا واعْبُدوا رَبَّكُمْ﴾.

أي اقصدوا بركوعكم وسُجُودِكم اللَّه وحدَهُ.

﴿وافْعَلُوا الخَيْرَ﴾.

والخير كلُّ مَا أَمرَ اللَّهُ بِهِ.

وقوله: ﴿لَعلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

هذا ليس بشكٍّ، ولكن معناه لتَرْجُوا أَنْ تكونوا على فلاح، كما قال لموسى وهارون: ﴿اذْهَبَا إلى فِرعَوْنَ إنَّهُ طَغَى، فَقُولاَ له قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾(١)، أي اذهبا على رجائِكُمَا، كما يرجو النبي ممَّنْ يُبْعَثُ إليه، واللَّه عزّ وَجَلَّ من وراء العلم بما يؤول إليه أَمْرُ فرعونَ إلا أن الحجَّةَ لا تَقُوم إلاَّ بعدَ الإِبَانَةِ.

وقوله عزّ وَجَلَّ: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾.

قيل إنه بمنزلة قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّه حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، وأَن نسخها قوله: ﴿فاتقوا اللَّه ما استطعتم﴾.

وقوله: ﴿هو اجْتَبَاكُمْ﴾: معناه اخْتَارَكُمْ.

---

(١) سورة طه الآية ٤٤.

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عليْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.

أي مِنْ ضِيقٍ، جعــل اللَّه على من لم يستـطع الشيء الــذي يثقـل في وَقْتٍ، مـا هُو أخف منـه، فجعل للصـائم الافطار في السفـر، وبِقَصْر الصـلاة للمُصَلِّي إذا لم يُـطِقِ القِيام أن يُصَلِّى قَاعِداً[1]، وإن لم يـطق القُعُـودَ أَنْ يُـومِىءَ إيماءً، وجعل للرجل أن يتزوج أَرْبعاً، وجعل له جميع ما ملكتْهُ يمينُـهُ. فوسَّـعَ اللَّه ـ عزّ وَجَلَّ ـ عَلَى خلقِه.

وقوله: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾.

معناه اتّبعوا مِلّةَ أبِيكم إبراهيم. وجائز أن يكون مَنْصُـوباً بقـوله: اعبـدوا ربكم وافعلوا الخير فعْلَ أبيكم إبراهيم.

وقوله: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾.

«هُـوَ» رَاجِعَةٌ إلى اللَّه ـ عَـزَّ وَجَلَّ ـ المعنى: اللَّه سَمَّـاكُم المُسْلِمِينَ مِنْ قَبْـلِ أَنْ يُنَزِّلَ القـرآن، وفي هذا القـرآن سَمَّاكم المُسْلِمِينَ. وجـائز أنْ يكـون إبراهيمُ عليه السلام سمَّاكُم المُسلِمِينَ من قبـل، وفي هذا، أي حكم إبـراهيم أن كل من آمن بمحمد مُوَحِّداً للَّه فقد سماه إبراهيم مُسْلِماً.

وقوله: ﴿وتكـونـوا شُهَـدَاءَ على النَّاسِ﴾.

يروى أن اللَّه سبحانه أعطى هذه الأمة ثلاثة أشياء لم يُعْطَها إلاّ الانبياء، جُعِلَتْ شَهِيـدَةً على سائـر الأُمَمِ، والشهادة لكـل نبي على أُمَّتِــه. وأن يقـال للنبي عليه السلام: اذهب ولا حرج عليك، وقال [اللَّه] لهذه الأمَّة: ﴿وما جعل عليكُمْ في الدِّينِ مِنْ حَرجٍ﴾، وأنه قال لكل نَبِيٍّ سَلْ تُعْـطَه، وقال لهـذه الأمّةِ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

---

(١) هكذا جاءت هذه العبارة في الأصل والمقصود منها واضح ولكنها غاية في سوء التركيب.

الفهارس

فهرس البحوث اللغوية

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس أنصاف الأبيات

فهرس المحتويات

البحوث اللغوية

الأبيات الشعرية

أنصاف الأبيات

فهرس الكتاب

معاني القرآن وإعرابه

للزجاج

أبي إسحق إبراهيم بن السري

المتوفى سنة ٣١١ هـ

شرح وتحقيق

دكتور عبد الجليل عبده شلبي

الجزء الرابع

عالم الكتب

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

معانی القرآن واعرابہ

بسم الله الرحمن الرحيم

بيروت - المزرعة، بناية الإيمان - الطابق الأول - ص.ب ٨٧٢٣
تلفون: ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقيا: نابعلبكي - تلكس: ٢٣٣٩٠

سُورَةُ المؤْمِنُونَ
مَكِّيَّة

بسم الله الرحمن الرَّحِيمِ

ومن السورة التي يذكر فيها المؤمنون.

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

أي قد نَالُوا البَقاء الدائم في الخير، ومن قرأ قد أُفْلِحَ المؤمنونَ. كان معناه: قد أُصِيرُوا إلى الفلاح، ويروى عن كعب الحَبْر[1]. ان اللَّه عز وجل لم يخلق بيده إلا ثلاثة أشياء، خلق آدمَ ﷺ بِيَدِه وخلق جنة عَدْنٍ بيده، وكتب التوراة بيده، فقال لجنة عدن تكلمي فقالت «قد أفلح المؤمنون» لما رأت فيها من الكرامة لأهلها،

(١) هو كعب الأحبار، تسميته بذلك أشهر من تسميته بكعب الحبر، وهو كعب بن ماتع الحميري يكنى أبا إسحاق، من آل ذي الكلاع الحميري، أدرك النبي ﷺ رجلاً ولكنه لم يسلم إلا في خلافة عمر وقيل في خلافة أبي بكر - وهو من القصاصين المشهورين وبسببه هو وابن وهب دخل الاسلام شيء كثير - دخل عليه عوف بن مالك وهو يقص على الناس في المسجد فقال سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: لا يقص على الناس إلا أمير أو مأمور أو محتال - (في رواية أو متكلف) فأمسك عن القصص - حتى أمره به معاوية - وكان معاوية يقول عنه انه من أصدق المحدثين عن أهل الكتاب وأنه مع ذلك لنبلو عليه الكذبَ - وفسره بعضهم بانه يعني عدم الوقوع لما يخبر عنه أنه سيقع ولكن رويت عنه أحاديث بها شيء من التغيير - روى عنه من الصحابة ابن عمر وأبو هريرة وابن عباس وابن الزبير ومعاوية وكثيرون - من كبار التابعين - ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي الشام - قدم من اليمن إلى المدينة ثم خرج إلى الشام فمات بحمص سنة اثنتين وثلاثين. وانظره في الاصابة ت رقم ٧٤٩٦.

والمؤمنون المصدِّقونَ بما أتى من عند اللّه، وبأنه واحد لا شريك له، وأن محمداً ﷺ نبيه.

وقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

أصل الخشوع في اللغة الخضوع والتَّواضع، ودليل ذلك قوله: ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْواتُ للرَّحْمَنِ فَلاَ تَسْمَعُ إلاَّ هَمْساً﴾[1]. وقال الحسن وقتَادَةُ: خاشعون خائفون، وروي عن النبي ﷺ أنه كان إذا وقف في صلاته رفع بصره نحو السماء، فلما نزلت ﴿الذين هم في صَلاَتِهِم خَاشِعُونَ﴾ جَعَلَ نظره موضع سُجُودِهِ.

﴿والَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾.

اللغو كل لَعِبٍ وهَزْلٍ، وكُلُّ مَعْصِيَةٍ فمُطَّرحة مُلْغَاةٌ[2]، وهم الذين قد شغلهم الجد فيما أمرهم اللّه به عن اللَّغْوِ.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ للزَّكاةِ فَاعِلُونَ﴾.

معنى ﴿فَاعِلُونَ﴾ مُؤْتُونَ.

﴿والَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾.

أي يحفظون فروجهم عن المعاصي.

﴿إلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾.

مَوْضِعُ «ما» خفَضٌ ودخلت «على» ههنا لأن المعنى أنهم يلامون في إطْلاقِ ما حُظِرَ عَلَيْهِم، إلاَّ على أَزْوَاجِهِمْ فإِنَّهُم لاَ يُلاَمون على ما أُحِلَّ لَهُمْ مِنْ تَزَوُّجِ أَرْبعٍ، ومِنْ ملك اليَمِين، والمعنى أنهم يلامون على ما سِوى أَزْوَاجِهِمْ وملك أيمانِهِمْ.

(١) سورة طه / ١٠٨.

(٢) مفروض أنها ليست من شأنهم فلا حديث لهم عنها.

﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ﴾.

أي فمن طلب مَا بَعْدَ ذَلِكَ.

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ﴾.

ومعنى ﴿العادون﴾ الجائرون الظَّالمونَ الذين قَدْ تعدَّوا فِي الظُّلْمِ.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ﴾.

ويقرأ لأمانتهم واحداً وَجَمْعاً.

﴿وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾.

أي يقومُون على حفظ أَمَانَتِهِمْ وَعَهْدِهم، يَرْعَوْنَ ذلك، وأصل الرَّعْيِ في اللُّغَةِ القيامُ على إصلاح ما يتولَّاه الراعي من كل شيءٍ، تقول: الإمام يَرْعَى رَعِيَّتَهُ، والقيِّمُ بالغنم يَرْعَى غَنَمه، وفلان يَرْعَى مَا بَيْنَه وبَيْنَ فُلانٍ، أي يقوم على إصْلاح ما بينه وبينه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ﴾. وَصَلَوَاتِهِم يقرأان جميعاً.

﴿يُحَافِظُونَ﴾.

معناه يُصَلُّونَها لوقتها، والمحافظة على الصَّلَواتِ أَن تُصَلَّى في أَوْقَاتِها. فأما الترك فَداخِلٌ في بَابِ الخُرُوجِ عَنِ الدِّينِ. والذين وُصِفُوا بالمحافظة هم الذين يرْعَوْنَ أَوْقَاتَها.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ﴾.

أيَ من وصف بما جرى من الإِيمَانِ والعَمَلِ بما يلزم المؤمِنَ أُولئِكَ هُم الوارِثُونَ.

﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ﴾.

روي ان اللّه ـ جل ثناؤه ـ جعل لكل امْـرِئ بَيْتاً في الجَنَّةِ وَبَيْتاً في النَّارِ فمن عَمِلَ عَمَلَ أهلَ النَّارِ وَرِث بيتَه مِنَ الجَنَّةِ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ أهـلِ الجَنَّةِ، ومن عَمِلَ عَمَلَ أهْلِ الجنة ورث بيته من النار من عَمِلَ عَمَل أهل النَّارِ، والفِـرْدَوْسُ أصله رُومِيٌّ أعـرب وهـو البُسْتَـانُ، كـذلـك جاء في التفسيـر. وقـد قيـل إنَّ الفِرْدَوْس يعرفه العَرَب، ويُسمَّى الموضِعُ الذي فيـه كـرم فـردوسـاً.

قال أبو إسحـاق: روينا عَنْ أَحْمَـدَ بنِ حَنْبل رحمـه اللّه في كتابه «كتاب التفسير»، وهـو مـا أجـازه لي عبـد اللّه ابنه عنـه أن اللّه عـز وجـل، بنى جَنَّـةَ الفِرْدَوْسِ لَبِنةً من ذهب ولَبِنَةً من فِضَّةٍ، وجَعَلَ جِبَالهـا المِسْكَ الأذْفَـر. ورَوَيْنَا عن غيره أن اللّه ـ جَلَّ ثناؤه ـ كنس جَنّة الفردَوْسِ بيدِه، وبنـاها لبنـةً من ذهب مُصَفًّى ولبنةً مِنْ مِسْكٍ مُذَرَّى[1]، وغرس فيها مِنْ جَيِّدِ الفَاكِهَةِ وَجَيِّد الرَّيْحَانِ.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾.

سُلَالَة فُعالة. فخلق اللّه آدم ـ عليه السلام ـ مِنْ طِينٍ.

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾.

على هذا القول يَعْنِي وَلَـدَ آدم. وقيل مِنْ سُـلَالَةٍ مِنْ طينٍ، من مَنِيّ آدم ﷺ وسُلَالَة: القليلُ فيما يَنْسَلُّ. وكل مَبْنًى عَلَى فُعـالة، يـراد به القليـل. فمن ذلك الفُضَالَة والنُّخَالة والقُلَامَة. فَعَلَى هذَا قياسُه.

وقوله: ﴿فَخَلَقْنَـا العَلَقَة مُضْغَـةً فخلقنا المُضْغَـةَ عِظَامـاً فَكَسَوْنَـا العِظَام لَحْماً﴾ وتقرأ على أَرْبَعةِ أَوْجُهٍ أحدها ما ذكرنا. وتقرأ: ﴿فَخَلَقنا المضغة عَظْماً فكسونا العظم لحماً﴾ ويقرأ: ﴿فخلقنا المضغة عظاماً فكسونـا العظم لحمـاً﴾ ويقرأ: ﴿فخلقنا المضغة عَظْماً فكسونا العظام لحماً﴾. والتوحيد والجمعُ ههنا جائزان، لأنه يُعْلم أن الانسانَ ذُو عظام، فإذَا ذُكِّرَ على التوحيد فلأنه يَدُلّ على

---

(١) مصفى، لا تراب فيه.

الجمع، ولأنّهُ مَعه اللحْمَ، ولفظه لفظ الواحِدِ، فقد عُلِمَ أَنّ العَظْمَ يُرَادُ به العِظَامُ. وقد يجوز من التوحيد إذا كان في الكلام دليلٌ على الجمع مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هذا قال الشاعر:

في حلقكم عظم وقد شجينا[1]

يريد في حلوقكم عِظامٌ.

وقوله عز وجل: ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ﴾.

فيه ثلاثة أقوال: قِيل جُعِلَ ذكراً أَوْ أنثى، وقيل نفخ فيه الروح، وقيلَ أُنْبِتَ عليه الشَّعْرُ.

ويروى أَن عُمَر كان عند رسول اللَّه ﷺ حين نزلت هذه الآية، فقال عَمرُ: فَتَبَارَكَ اللَّه أَحْسَنُ الخَالِقِينَ، فقال ﷺ لعمر ان اللَّه قد ختم بها الآية.

وقوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾.

ويجوز لمائِتون، ويجوز لَميْتُون. وأَجْوَدُها لَمَيِّتُونَ، وعليها القراءة. وجاءت مائتون لأنها لما يستقبل.

وقوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرائِقَ ﴾.

يُعنَى به سبعُ سموات، فكل واحدة طريقة.

﴿وما كنَّا عن الخلق غَافِلِينَ﴾، أي لم نكن لنغفُلَ عن حفظهنَّ، كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً﴾[2]. وجائز أن يكون ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ أي إنا لِحِفْظِنَا إِيَّاهُمْ خلقنا هذا الخلق[3].

---

(١) تقدم جـ ١/ ٨٣.

(٢) سورة الأنبياء / ٣٢.

(٣) على أن المراد بالخلق في الآية بنو آدم، وهذه الأشياء خلقت لأجلهم كقوله تعالى: ﴿خلق لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ﴾.

ويروى أن أربعة أنهار من الجنة، دجلةُ والفراتُ وَسِيحانُ وجِيحانُ، ومعنى فاسكناه في الأرض جعلناه ثابتاً فيها لا يزول.

وقوله: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾.

﴿شجرة﴾ منصوب، عطف على قوله: ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ به جَنَّاتٍ﴾ [أَي] وأنشأنا لكم به شجرةً. ويقرأ ﴿من طور سَيْنَاءَ﴾ بفتحَ السين، وبكسر السِّين، والطور الجبل، وقيل إن سيناء حجارةٌ، وهو - واللَّه أعلم - اسمٌ لِمكَانٍ. فمن قال سَيْناء، فهو على وصف صحراء، لا ينصرف، ومن قال سِينَاء - بكسر السين - فليس في الكلام على وزن فِعْلَاء على أن الألف للتأنيث، لأنه ليس في الكلام ما فيه ألف التأنيث على وزن فِعْلَاءَ، وفي الكلام نحو عِلْباءٍ مُنْصَرِفٌ، إلا أن سِيناء ههنا اسم للبقعة فلا ينصرف.

قوله: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾.

يقال نبت الشجر وأَنْبَتَ في مَعْنًى واحدٍ، قال زُهير:

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم   قطيناً لهم حتى إذا أنبت البَقْلُ[(١)]

ومعنى ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ أي تنبت وفيها دُهْنٌ وَمَعَها دُهْنٌ كما تقول: جاءني زيد بالسيف، تريد جاءني ومعه السيف.

وقوله تعالى: ﴿وَصِبْغٍ لِلآكِلِينَ﴾.

---

(١) من لاميته المعروفة انظر اللسان (نبت شهب) وقبله.

إذا السنة الشهباء بالناس أجحفت   ونال كرام المال في الحجرة الأكل

والسنة الشهباء المجدبة التي لا مطر فيها، وقيل البيضاء لكثرة الثلج وعدم النبات وكرام المال - الابل الكريمة - ينالها الأكل أي تنحر لعدم اللبن بها - والحجرة: السنة الشديدة. شاهد الانصاف ٩٨ - والقصيدة في الديوان. وانظر اللسان (سبت).

يعنى بها الزَّيْتُون.

قوله: ﴿ إنْ هُوَ الاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ ﴾.

جنَّة في معنى جُنُون، والجنَّةُ اسم للجِنّ.

وقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً ﴾.

تقرأ مُنْزَلاً وَمَنْزِلاً جميعاً، فالمَنْزِل اسم لكل ما نزلتَ فيه، والمُنْزَلَ المصدر بمعنى الانزال، يَقُول: أَنْزَلْتُه إِنْزَالاً وَمُنْزَلاً ويجوز مَنْزَلاً، ولم يقرأ بها ـ فلا تقرأن بهاـ على معنى نزلت نزولاً وَمَنْزَلاً.

وقوله عز وجل: ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مُتُّمْ ـ ومِتّم ـ وكُنْتُم تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ. هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾.

وهذا جوابُ الملأ مِنْ قَوْمِ ثمودَ. فأمَّا «أَنَّكُمْ» الأولى، فموضعها نصب على معنى أيَعِدُكم بأَنَّكُمْ إذا متم، وموضع «أَنَّ» الثانية عند قوم كموضع الأُولى، وإنما ذُكِرَتْ تَوْكِيداً. فالمعنى على هذا القول: أَيَعِدُكم أنكُمْ تُخرَجُونَ إِذَا مِتمْ، فلما بَعُدَ مَا بَيْنَ أن الأولى والثانية بقوله: ﴿إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُراباً وَعِظَاماً﴾ أُعِيدَ ذِكر «أَنَّ» كما قال عز وجل: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّه مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَه فَأَن لَهُ نَارَ جَهَنَّم﴾[1] المعنى فله نار جهنم. هذا عَلَى مذهب سيبويه، وفيها قولان آخران أجودهما أن تكون أن الثانية وما عملت فيه في موضع رفع ويكون المعنى أَيَعِدُكُمْ أنكم إخراجُكم إذا مُتم[2]. فيكون انكم مخرجون في معنى إخراجكم، كأنه قيل: أيعدكم أنكم إخراجكم وقت موتكم وبعد مَوْتكم، ويكون العامِلُ في «إذَا» إخراجكم، على أن «إذا» ظرف، والمعنى أنكم يكونُ إخراجكم إذا مِتم. الثالث أن يكون إذا العامِلُ فيها «مَتُّمْ»، فيكون المعنى إنكمْ

---

(١) سورة التوبة الآية ٦٣.

(٢) لا بدّ من تقدير خبر ـ مثل اخراجكم حادث أو واقع أو محقق.

متى مُتُّمْ يقع إخْراجُكم، فيكون خبر إنّ مُضْمَراً، والقولَان الأوّلاَنَ جَيِّدانِ.

ويجوزُ: أَيَعِدُكم أَنَّكُمْ إذا مِتّم أنكم مُخْـرَجُونَ، ولم يُقْـرأ بِهَا فـلا تقرأن بها. ويكونَ[1] المعنى في يعدكم يقول لكم[2] ولكنها لا تجوز في القراءة لِأَنَّ القِرَاءَة سُنَّةٌ.

وقوله: ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُون ﴾.

يقرأ بفتح التاء وبكسر التـاء، ويجوز هيهـاتٍ هيهاتٍ - بـالتنوين - ويجوز هيهاتاً هيهاتاً، فأما الفتح والكسر بغيـر تنوينٍ فكثيـرتان في القـراءة، وذكرهمـا القراء والنحويون، وقد قرئت بالكسر والتنوين، فأما التنوين والفتح فـلا أَعْلَمُ أَحَدَاً قَرَأَ بِهِمَا[3]، فلا تقرأَنَّ بِهَا.

فأما الفتح فالوقف فيه بالهاء. تقول هَيْهاهْ هَيْهاهْ - إذا فتحت ووقفت بَعْد الفتح، فإذا فتحتَ وَقَفْت على التاء سواءٌ عليك كنتَ تنوّنُ في الأصـل أو كنت مِمَّنْ لا يُنَوِّنُ.

فمن فتحها - وموضعها الرَّفْعُ وتأويلها البعد لما توعدونَ - فلأنها بمنزلـة الأصواتِ، وليْست مشتقَّةً من فِعْـلٍ فَبُنِيَتْ هيهاه كمـا بُنِيَتْ ذَيَّه وَذِيَّـه[4]. فإذَا كَسَرْتَ جَعْلَتها جَمْعاً وبَنيتها على الكسر. قال سيبويه: هي بمنـزلة عَلقـاه[5]. يعني في تأنيثها.

ومن جَعَلَهـا جَمْعاً فهي بمنـزلة قـول العـرب: استـأصـل اللَّه عَرْقَاتِهِمْ[6]

---

(١) في الاصل ويقول.

(٢) أي لأنها بمعنى «قال» كسرت إن بَعْدَها.

(٣) أي بالتنوين والفتح. وقوله فلا تقرأن بها أي بهذه القراءة.

(٤) يقولون ما بها ذِيّة أي ما بها قرٌّ.

(٥) مفرد علقى، وهي اشجار تدوم خضرتها في القيظ، ذات أفنان طوال.

(٦) العَرْقاةُ والعُراقَةُ - بضم العين وبالراء المهملة - النطفة من الماء والمطرة الغزيرة.

وَعَرْقاتَهُمْ. فالذي يقول: عرقاتِهم ـ بالكسر[١]، جعلها جمعاً، وواحدها كأنه عَرْقَةٌ وَعَرْقٌ، وواحد هيهات على هذا اللفظ وان لم يكن حاله واحِداً: [٢]هَيْهَةٌ. فان هذا تقديره ـ وان لم ننطق به. وأما عَرْقَاتٌ فقد تكلم بِوَاحِدِهَا. يقال عرق وعرقاة وَعَرْقَةٌ وَعَرْقَانٌ. وإنّما كُسِرَ في الجَمْعِ لأنَّ تاء الفتح في الجمع كسر تقول: مررت بالهنداتِ، وكذلك رأيتُ الهنداتِ.

ويقال أَيْهَات في معنى هيهات. ويقال هيهات ما قلتَ وهيهات لما قُلْتَ، فمن قال هيهات ما قلت فمعناه البعد ما قلت، ومن قال: هيهات لما قلت فمعناهُ البعد لقولك، وأنشدوا:

فأيهات أيهات العقيق ومن به وأيهات خل بالعقيق نواصله[٣]

فأمَّا مَنْ نَوَّنَ هيهات فجعلها نكرة، ويكون المعنى: بُعدٌ لِمَا تُوعَدون.

وقوله تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾.

معناهُ عَنْ قليل، و «مَا» زائدةٌ بمعنى التوكيد، كأن مَعْنَاه: عَنْ قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ حَقًّا.

وقوله: ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ﴾.

الغثاء الهالكُ والْبَالِي من وَرَق الشّجرِ الذي إذا جرى السيلُ رأيته مُخَالِطاً زَبَدَهُ.

وقوله: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى ﴾.

ويقرأ تَتْرًى، ويجوز تَتْرِي غير مُنَوَّنة بالكسر[٤]، ولم يُقْرَأْ بِهِ فلا تَقْرأَنَّ

---

(١) بالكسر مكررة في الأصل.

(٢) في الأصل واحدٌ.

(٣) لجرير ـ يروى بالهمزة وبالهاء. والبيت في معاني الفراء ٢ / ٢٣٤. شواهد شذور الذهب ١٢٣.

(٤) بالامالة.

بِهِ. من قرأ بالتنوين فمعناه وَتْراً فأَبْدَل التَّاءَ من الواو كما قالوا تَوْلج وهو من وَلِجَ، وأصله وَوْلج، وكما قالَ الشَّاعِرُ.

فإن يكن أَمْسَى البِلَى تَيْقُوري[1]

أي وَيْقُورِي، وهو فيعول من الوقار. وكما قالوا: تُجَاه وإنما هو وُجَاه من المُواجِهة، ومن قال تترى بغير تَنْوِينٍ فإنما جعلها على فَعْلَى بألف التَّأْنيثِ فلم ينَوّن، ومعنى تَتْرَى من المواتَرةِ، وقال الأصمعي معنى واتَرْتُ الخبرَ اتبعت بعضَه بَعْضاً وبين الخبرين هُنيَّة. وقال غيره: المُوَاتَرَةُ المتابعة، وأصل كل هذا من الوِتْر، وهو الفَرْدُ، وهو أَنْ جَعَلْتَ كل وَاحِدٍ بعد صاحبه فَرْداً فَرْداً.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّه آيَةً﴾.

ولم يقل آيتين، لأن المعنى فيهما آيَة واحدة، ولو قيل آيَتَيْن لجاز لأنهما قد كان في كل واحد منهما ما لم يكن في ذَكَرٍ وَلَا أنثى، مِنْ أن مَرْيَم وَلَدَتْ من غير فَحْل، ولأن عيسى روح من اللَّه ألقاه إلى مَرْيَمَ ولم يكن هذا في ولد قط.

وقوله: ﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إلى رُبْوَةٍ ﴾.

في ربوة ثلاث لغات رَبْوَة، ورِبْوَة، ورُبوة، وفيها وجهان آخران، رَبَاوَة، وَرِباوة. وهو عند أهل اللغة المكانُ المرتَفِع وجاء في التفسير أنه يعني بربوة هَنَا بيتُ المَقْدِس، وأَنه كَبِدُ الأرْضِ وأنه أقرب الأرض إلى السماء. وقيل يعني به دِمَشْقُ، وقيل فلسطِينُ والرَّحْلَةُ، وكل ذلك قد جاء في التَّفسير.

وقوله عز وجل: ﴿ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾.

---

(١) التيقور فيعول من الوقار ـ يقال: وقر يقر وقاراً ـ كوعد وقيل التيقور هو التوقير ـ ويتقوري في البيت مضاف لياء المتكلم انظر اللسان (وقر).

أي ذات مُسْتَقَرٍّ، و «مَعينٌ» ماء جَارٍ من العُيُونِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ يجوز أن يكون «فَعِيلا»[1] من المَعْنِ، مشتقاً من المَاعُونِ. وهذا بَعِيدٌ لأن المَعْن في اللغة الشيء القليل، والماعونُ هُوَ الزكاةُ، وهو فاعول من المَعْنِ، وإنما سُمِيَتِ الزَّكَاةُ بالشيء القليل، لأنه يُؤْخَذُ مِنَ المالِ رُبْعَ عُشْرِهِ، فهو قليل من كثير، قال الراعي:

قوم على الاسلام لمَّا يَمْنَعوا ... مَاعُونَهم ويُبَدِّلُوا التَّنْزِيلا[2]

وقوله: ﴿يَا أَيُّها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ واعْمَلُوا صَالِحاً﴾.

أي كلوا من الحلال، وكل مأكول حَلَالٍ مُسْتَطَابٍ فهو داخل في هذا. وإنَّمَا خُوطب بهذا رسول اللَّه ﷺ فقيل: يَاأَيُّها الرُّسُلُ، وتَضَمَّنَ هَذَا الخطابُ أن الرُّسُلُ جَمِيعاً كذا أُمِرُوا. وَرُوِيَ أن عيسى عليه السلام كان يأكل مِنْ غَزْلِ أُمِّه، وأَطْيبُ الطَّيِّباتِ الغنائمُ.

وقوله: ﴿وَإِنَّ هَذِه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وأنا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾.

أي فاتْقُون لِهذَا. وقد فسرنا في سورةِ الأنْبياء كل ما يجوز في نظير هذه الآية.

وجملة تأويلها أن دينَكُمْ دِينٌ واحد، وهو الاسلام.

وأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أَنَّ قَوماً جعلوا دينهم أَدْيَاناً فقال:

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بينهم زُبُراً﴾.

---

(١) في الأصل فعيل.

(٢) من لاميته بآخر ديوان جرير ط مصر. وهي لاميته المطولة التي قدمها لعبد الملك ـ وفيها تبرأ من أشياء كثيرة مثل اتباعه ابن الزبير أو الانحراف عن الاسلام في شيء، وتقدمت أبيات منها.

ويقرأ زُبَراً، فمن قرأ زُبُراً فتأويله جعلوا دينهم كُتُباً مُخْتَلِفة جمع زَبُورٍ وَزُبُرٍ، ومن قرأ زُبَراً أراد قِطَعاً.

وقوله عز وجل: ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ ﴾.

ويجوز في غَمَراتِهِمْ، ومعناه في عَمايَتِهِمْ وَحَيْرتِهِم.

ومعنى: ﴿حَتَّى حِينٍ﴾.

أي إلى حين يأتيهم ما وُعِدُوا به من العَذَابِ.

وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسارِعُ [لهم في الخيرات]﴾ - بالنون - ويُسَارِع - بالياء - ويُسَارَعُ على ما لم يُسَمَّ فاعله.

وتأويله أيحسبون أن إمْدَادَ اللَّهِ لَهُمْ بالمال والبنين مجازاة لَهُمْ؟ وإنما هو استدراج من اللّه لهم، و «ما» في معنى الذي، المعنى أيحسبون أن الَّذِي نمدهم به من مال وبنين. والخبر معه محذوف[1] المعنى نسارع لهم به في الخيرات، أي أيحسبون إمْدَادَ ما نُسارِعُ لهم به. فأما من قرأ يسارع فعلى وَجْهَين، أَحَدُهُمَا لا يحتاج إلى اضمار، المعنى: أيحسبون أن إمدادنا لهم يسارع لهم في الخيرات، ويجوز أن يكون على معنىً يسارع اللّه لهم به في الخيرات، فيكون مثل نُسَارِعُ، ومن قرأ يسارَع لهم في الخيرات يكون على معنى يُسارَع الامْدَادُ لهم في الخيرات وعلى معنى نسارَع لهم في الخيرات، فيكون تقوم مقام مَا لَمْ يُسَمَّ لهم، ويكون مضمراً معه به. كما قلنا؛

وقوله: ﴿والَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا، [وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إلى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ]﴾.

ويقرأ يَأْتُونَ مَا أَتَوْا - بالقَصْرِ[2] - وكلاهما جَيِّدٌ بَالغٌ، فمن قرأ «يُؤْتُونَ

(١) العائد على الخبر مقدر.

(٢) في الأصل قصر.

مَا آتَوْا﴾فإن معناه يعطون ما أَعْطَوْا وهم يخافون ألا يَتقبل منهم. قلوبُهم خائفة لأنهم إلى رَبّهم رَاجِعُونَ، أي لأنهم يوقنون بأنهم راجعون إلى اللَّه ـ عز وجل ـ.

ومن قرأ «يأتون ما أَتَوْا» أي يعملون من الخيرات [مَا يَعْمَلُونَ] وقلوبُهم خَائِفةٌ. يخافون أن يكونوا مع اجتهادهم مقصرين.

﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ﴾.

وجائز يُسْرِعُونَ في الخيرات، ومعناه معنى يسارعون. يقال اسْرَعت، وسَارَعْتُ في معنى واحدٍ، إلاَّ أن سارعت أبلغ من أَسْرَعْتُ.

وقوله: ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾.

فيهِ وجهانِ أحدهما معناه إليها سابقون، كما قال: بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لهـا، أي أَوْحَى إليها، ويجوز: ﴿وَهُمْ لها سابِقُونَ﴾أي من أجل اكتسابها، كما تقول: أَنَا أُكْرِمُ فُلاَناً لك، أي مِنْ أَجْلِكَ.

وقوله: ﴿وَلاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَهَا﴾.

ويجوز: ولا يُكَلِّفُ نفساً إلاَّ وُسْعَها، ولم يقرأ بها ولو قرئ بها لكانت النون أجود ـ لقوله عز وجل:﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالحَقِّ﴾.

وقوله: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرةٍ مِنْ هَذَا﴾.

يجوز أن يكون «هَذَا» إشارةً إلى ما وصف من أعمال البرِّ في قوله: ﴿إنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ ـ إلى قوله ﴿يُسَارِعُونَ في الخيرات﴾[1].

أي قُلُوبُ هؤلاء في عَمَايةٍ من هذا، ويجوز أن يكون «هذا» إشارةً إلى

(١) بعده:﴿وَالَّذِينَ هُمْ بآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤمِنُونَ، والَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ﴾.

الكتاب، المعنى بل قلوبهم في غمرة من الكتاب الذي ينطِقُ بالحقِّ، وأعمالهم مُحْصَاةٌ فيه.

قوله: ﴿ وَلَهُم أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴾.

أخبر اللَّه ـ عز وجل ـ بما سيكون فيهمُ، فأعلم أنهم سيعملون أَعْمالاً تباعد من اللَّه غير الأعمال التي ذكروا بها.

وقوله عز وجل: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ [أي] يضجُّون، والعذاب الذي أُخِذُوا بِهِ السَّيْف، يقال جَأَر يجأر جُؤَاراً، إذا ضَجَّ.

وقوله: ﴿تَنْكِصُونَ﴾ [أي] تَرْجِعُونَ.

وقوله: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ به﴾.

منصوب على الحال، وقوله «به» أي بالبَيْتِ الحرام، يقولون: البَيْتُ لَنَا.

وقوله: ﴿سَامِراً﴾.

بمعنى «سُمَّارا» ويجوز سُمَّاراً، والسَّامِرُ الجَمَاعَةِ الذين يَتَحَدَّثُونَ لَيْلاً، وإنما سُمُّوا سُمَّاراً مِنَ السَّمَرِ، وهو ظل القمر، وكذلِكَ[1] السُّمْرَةُ مشتقة من هذا.

وقوله: ﴿تَهْجُرُونَ﴾.

أي تَهجْرونَ القُرآن، ويجوز تَهْجِرُونَ: تَهذُونَ. وَقُرِئَتْ: تُهْجِرُونَ أي تقولون الهُجْرَ، وقيل كانوا يسبُّون النبي ﷺ. ويجوز أن تكون الهاء للكتاب، وَيَكُونُ المعْنَى فكنتُمْ على أَعْقَابَكُمْ تَنكِصُون مستكبرين بالكتاب. أي يحدث

---

(١) في الأصل وكذَلِكَ من السُّمرة مُشتقة من هذا.

لكم بتلاوته عَلَيكُمْ اسْتِكْبَارٌ، ويجوز تنكَصُونَ، وَلاَ أعْلَمُ [أَحداً] قرأ بها.

وقوله: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ ﴾.

جَاءَ في التفسير أن الحق [هو] اللَّه - عز وجل - ويجوز أن يكـون الحق الأول في قوله: ﴿بَلْ جَاءَهُمْ بِالحَقِّ﴾ [التنزيـل] أي بالتنـزيل الـذي هُوَ الحَقُّ، ويكون تأويل: ولو اتَّبع الحق أَهْوَاءَهُمْ. أي لو كان التنزيل بِمَا يُحِبُّونَ لَفَسدتِ السمواتُ والأرْضُ.

وقوله: ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ ﴾.

أي بمـا فيه فخـرهم وشَرَفَهُمْ، ويجـوز أن يكون بـذكرهم، أي بـالذكـر الذي فيه حظ لهم لو اتَّبَعُوهُ.

وقوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فخراج رَبّكَ خَيْرٌ ﴾.

أي أم تسألهم على ما أتيتهم به أجراً. ويقرأ: ﴿خِرَاجاً فَخَراجُ رَبِّك خَيْرٌ﴾.

ويجوز خَراجاً فَخَرْج رَبّكَ خَيْرٌ.

وقوله: ﴿لَناكِبُونَ﴾.

معناه لَعَادِلُونَ عن القَصْدِ.

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ ومَا يَتضَرَّعُونَ ﴾.

أي ما تواضعوا. والذي أُخذوا به الجُوعُ.

﴿حَتَّى إذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾.

قيل السّيف والقتل.

﴿إذَا هُمْ فيه مُبْلِسُونَ ﴾.

المبلس الساكن المتحيّر.

﴿قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا ان كنتم تعلمـون، سَيَقُـولُـونَ لِلَّهِ﴾.

هذه للَّه لا اختلاف بَيْنَ القُرَّاء فيها، ولو قرئت اللَّهُ لَكَانَ جَيْداً. فأما اللَّتَانِ بعـدها فـالقراءة فيهمـا سيقولـون اللَّهَ ولِلَّهِ. فمن قرأ سيقـولـون اللَّهُ فهـو على جواب السؤال، إذا قال: ﴿من رب السمـوات السّبع﴾، فـالجواب اللَّهُ، وهي قراءة أهل البَصْـرَة، ومن قرأ للَّه فَجيّـدٌ أَيْضاً، لـو قيل مَنْ صَـاحِبُ هذه الـدار فـأجيب زيـدٌ لكـانَ هـذا جـواباً على لفظ السؤال. وَلَـوْ قلت في جـواب من صاحب هذه الدار: لِزَيْدٍ، جاز. لأن معنى «من صاحب هذه الـدار» ـ لمن هذه الدار.

وقوله: ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْه ﴾.

أي هُوَ يُجير من عَذَابِه ولا يجير عليه أَحَدٌ من عَذابه. وكذلـك هو يجيـر من خلقه ولا يجير عليه أَحَدٌ.

وقوله: ﴿ فَأَنَّى تُسْحَرُونُ﴾.

معنى تُسْحَرُونَ، وتُؤْفَكُونَ: تصرفون عن القَصْدِ والحَقِّ.

وقوله تعالى: ﴿إِذَنْ لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُم عَلَى بَعْضٍ ﴾.

أي طلب بعضُهم مغالبَة بعْضٍ.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾.

معنـاه تنزيـه اللَّه وتبرئتـه من السُّوءِ، ومن أن يكـون إلٰهٍ غَيـرُهُ تعالَى عَنْ ذَلِك عُلُوًّا كَبيراً.

وقوله: ﴿ قُـلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُـوعَدُونَ، رَبِّ فَـلاَ تَجْعَلْني فِي القَـوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾.

الفاء جَوَابُ الشَّرْطِ شرط الجزاء، وهو[1] اعتراض بين الشرط والجزاء، المعنى إمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ فلا تجعلني يا ربِّ في القوم الظالمين، أي إنْ نَزَلَتْ بِهِمُ النِّقمةَ يا ربّ فاجعلني خارجاً عنهم، ويجوز «فَلاَ تَجْعَلَنِّي»، ولم يقرأ بها.

وقوله: ﴿وقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾.

واحد الهمزات هَمْزَة، وهو مَسُّ الشَّيْطانِ، ويجوز أن يكون نَزَغَاتِ الشيطان، ونَزْغُ الشيطان وَسْوَسَتُه حتى يَشْغَل عَنْ أَمْرِ اللَّهِ تعالَى.

وقوله: ﴿ وأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾.

ويجوز «وَأَعُوذُ بِكَ رَبُّ أَن تَحْضُرُونِ» ولم يقرأ بها فلا تقرأن بها. ويجوز وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّي أَنْ يَحْضُرُونِ، ويجوز رَبِّيْ. فهذه أربعة أَوْجُهٍ. ولا ينبغي أن يقرأ الا بواحد، وهو الذي عليه الناس.. رَبِّ بكسر الباء وحَذْفِ الياء، والياء حُذِفَتْ للنِّدَاءِ، والمعنى وأعوذ بك يا رَبِّ. من قال ربُّ بالضَّمِّ فعلى[2] معنى يا أيها الربُّ ومن قال رَبِّي فعلى الأصل. كما قال يا عبادِي فاتَّقُونِ.

وقوله: ﴿ حَتَّى إذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ ﴾.

يعني به الذين ذُكِرُوا قَبْلَ هذا المَوْضِع. ودَفَعُوا[3] البَعْثَ فأعلم أنه إذا حضر أَحَدَهُم الموتُ ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ. لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فيما تَرَكْتُ﴾.

وقوله: ﴿ارْجِعُونِ﴾ وهو يريد اللَّه ـ عز وجل ـ وَحْدَه، فجاء الخطابُ في المسألة على لفظ الاخْبار[4] لأن اللَّه عز وجل قال: ﴿إنا نحن نحيي ونميتُ﴾.

---

(١) أي لفظ الجلالة «رب» نداء معترض بين الشرط وجزائه.

(٢) في الأصل على.

(٣) أنكروه.

(٤) بلفظ الجماعة ـ والجملة ليست خبراً اذ هي دعاء.

وهـو وحْدَهُ يُحْيِي ويُمِيتُ. وهـذا لفظ تعرفـه العَرَبُ للجليـل الشأن يخبـر عن نفسه بما يخبر به الجماعةُ، فَكذلك جاء الخطاب في ارْجِعُونِ.

وقوله: ﴿كَلَّا﴾: ردع وتنبيه.

وقوله عز وجل: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

«يوم» مضافٌ إلى «يُبْعَثُونَ» لأن اسماء الزمان تضاف إلى الأفعال والبـرزخ في اللغة الحاجز، وهو هَهُنا ما بَيْنَ موت الميت وبَعْثِه.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾.

قيـل: هـذا في النفخة الأولى ويجـوز أن يكـون بعـد النفخـة الثـانيـة والصور، جاء في التفسير أنه قَرْنٌ ينفخ فيه فيبعث الناس في النفخة الثانية، قال عز وجل: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْـرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾[1]. وقـال أهل اللغـة كثير منهم: الصور جَمْعُ صُورة، والذي جاء في اللُّغَةِ جمع صورة صُـوَرٌ، وكذلـك جاء في القرآن: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكم﴾[2]، ولم يقرأ أحدٌ فأحسن صُورَكم، ولو كان أيضاً جمع صُورة لقال أيضاً: ثم نُفِخَ فِيهَا أُخْرَى، لأنـك تقول: هـذه صُور، ولا تقول هَذَا صُوَرٌ إلا على ضَعْفٍ فهو عَلَى مَاجاء في التفسير.

فأَما قوله: ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾.

وقال في موضع آخر: ﴿وَقِفُوهُم إِنَّهُم مَسْؤولُونَ﴾[3] وقال في مـوضع آخـر ﴿وأقبل بعضهم عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾[4] فيقول القائل: كيف جاء «ولا يتساءلون»، وجاء «وأقبل بعضهم على بعض يَتَسَاءَلُونَ». فـإن يوم القيـامةِ مقـداره خمسون

(١) سورة الزمر الآية ٦٨.

(٢) هذا رأي أبي عبيدة وحدُه.

(٣) سورة والصافات الآية ٢٤.

(٤) سورة والصافات الآية ٢٧.

ألف سنة، ففيه أزمنة وأحوال. وإنما قيل يومَئِذٍ كما تقول: نحن اليوم بفعل كذا وكذا، وليس تريد به في يومك إنما تريد نحن في هذا الزمان، «فيومَ» تقع للقطعة من الزمان. وأمَّا ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾[1]. فلا يسأل عن ذنْبِهِ ليستفهم، قد علم اللَّه عز وجل ما سَلَفَ مِنْهُمْ. وَأَمَّا قوله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾ فيسألون سؤال توبيخ لا سؤال اسْتِفْهَامٍ كما قال: ﴿وإذا الموؤودة سُئِلَتْ بأي ذنب قُتِلَتْ﴾[2]، وإنما تسأل لتوبيخ مَنْ قَتَلَهَا، وكذلك قوله: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[3]. فما يُسأل عنه يومَ القيامة تَقْرِيرٌ وتوبيخٌ، واللَّه ـ عز وجل ـ قَدْ عَلِمَ ما كان، وأَحْصَى كبير ذلك وصَغِيرَهُ.

وقوله: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾.

يلفح وينفح في مَعْنًى واحِدٍ، إلا أن اللفح أَعْظَمُ تأثيراً، ﴿وَهُمْ فِيها كَالِحُونَ﴾.

والكَالِحُ الذي قَد تَشَمَّرتْ شَفَتُه عَنْ أَسْنَانِه، نحو ما ترى من رُؤوسِ الغَنَم[4] إذا مسَّتْهَا النَّار فبرزت الاسنان وتشمرت الشِّفَاهُ

﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾.

وَتُقْرَأُ شَقَاوَتُنَا، والمعنى وَاحِدٌ.

﴿وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ﴾.

أَقَرُّوا بذلك.

---

(١) سورة الرحمن ٣٩.

(٢) سورة التكوير الآية٨ و٩.

(٣) سورة المائدة الآية ١١٦.

(٤) الرؤوس المذبوحة التي تطبخ.

وقوله: ﴿ قَالَ اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾.

معنى اخْسَأُوا تباعَدُوا تَبَاعدَ سُخْطٍ. يقال خَسَأْتُ الكلْبُ أَخْسَؤُهُ إذا زَجَرْتُه ليتباعَدَ.

وقوله: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾.

الأجود إدْغام الدال في التاء لِقُرْب المَخْرَجَيْن[١]، وإن شئت أظهرت، لأن الدال من كلمة والتاءَ مِنْ كلمة، والدال بينها وبين التاء في المخرج شيءٌ مِنَ التَّبَاعِدُ، وليست الذَّال من التاء بمنزلة الدال من التاء. والتاءُ والطَّاءُ مِنْ مَكَانٍ وَاحِدٍ، وهي من أُصُولِ الثنايَا العُلَا وطرف اللِّسَانِ. والذال من أطراف الثنايا العُلَا وَدُوَيْنَ طَرَفِ اللِّسَانِ.

وقوله: ﴿سُخْرِيًّا﴾. يقرأ بِالضَّم والكَسْرِ، وكلاهما جَيِّدٌ، إلَّا أَنَّهُمْ قالوا إن بعض أهل اللغة قال: ما كان من الاستهزاء فهو بالكسر، وَمَا كان من جهة التسخير فهو بالضم، وكلاهما عند سيبويه والخليل وَاحِدٌ، والكسرُ لإتباع الكسر أحسن[٢].

وقوله: ﴿إني جَزَيْتُهُم اليَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الفَائِزُونَ﴾.

الكسر أجود لأن الكسر على معنى إنِّي جَزَيْتُهُمْ بِمَا صَبروا، ثم أَخْبَر فقال: إنهم هُمُ الفَائِزُونَ: والفتح جَيِّدٌ بالغ، على معنى: ﴿إني جَزَيتُهم﴾ لأنهم هم الفائزون، وفيه وجه آخر: يكون المعنى جزيتهم الفوز، لأن معنى ﴿أَنَّهُم هم الفَائِزُونَ﴾. فوزُهُمْ، فيكون المعنى جزيتهم فَوزَهُمْ.

وقوله: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾.

---

(١) لا تقرأ «فاتختموهم». لأن الذال لا تدغم ـ كما تدغم الدال ـ في التاء.

(٢) كسر السين في سخريا لإتباع الراء.

«كم» في موضع نَصْبٍ بقوله: ﴿لَبِثْتُم﴾، و ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ منصوب بِكَمْ، ويجوز كم لَبِثّتم في الأرض مُشَدَّدَ التَّاءِ[1]، وكذلك يجوز في الجَوابِ.

﴿قالوا لَبِثْنَا [يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ] ﴾ وَلُبِثْنَا.

وقوله: ﴿ فَاسْأَلِ العَادِّينَ ﴾.

أي فاسأل الملائكة الذين يحفظون عَدَدَ مَا لَبِثْنا ﴾.

﴿قَالَ إن لَبِثْتم إلاَّ قَلِيلاً لو أَنَّكُمْ كنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

معناه ما لَبِثْتُمْ إلاَّ قليلاً.

وقوله: ﴿ وَأَنَّكُمْ إلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ وَتَرْجِعُونَ.

وقوله: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُه عِنْدَ رَبِّه إنَّه لَا يُفْلِحُ الكافِرُونَ﴾.

التأويل حسابه عند رَبِّه فإنه لا يفلح الكافرون والمعنى الذي له عند رَبِّهِ أنه لا يفلح[2]، وجائز أَنَّه لا يفلح الكافرونَ بفتح أَنَّ، ويجوز أن يكون فأنما حِسَابه عند ربّه فيجازيه عليه كما قال: ﴿ثُمَّ إن عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾[3].

---

(١) جعلت الثاء تاء وأدغمت التاء في التاء.

(٢) لا يستقيم هذا مع كسر أن إذ هي في موقع الخبر.

(٣) سورة الغاشية الآية ٢٦.

سُورَةُ النور
مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾.

القراءة الرفعُ، وقرأ عيسى بنُ عُمَر سُورةً بالنَّصْب. فأما الرفع فعلى إضمار هذه سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا، ورفعها بالابتداء قبيحٌ لأنها نَكِرَةٌ، وأَنْزَلْناهَا صفةٌ لها. والنَّصْبُ على وَجْهَيْن، على معنى أنزلنا سُورَةً، كما تقول زيداً ضربته، وعلى معنى اتْلُ سُورَةً انزلناها.

﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾.

بتخفيف الراء، ويقرأ بالتشديد في الراء، فمن قرأ بالتخفيف فَمَعْنَاهُ ألزمناكم العَمَل بما فُرِضَ فيها، ومن قرأ بالتَّشْدِيد فَعَلَى وجهين، أحدهما على معنى التكثير، على معنى انا فَرَضْنَا فيها فُرُوضاً كثيرةً وعلى معنى بيَّنَّا وفصّلنَا ما فيها من الحلال والحرام.

وقوله: ﴿الزَّانِيَةُ والزَّانِي فاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَائَةَ جَلْدَةً﴾.

القراءة الرفع، وقرأ عيسى بنُ عُمرَ بالنصب، الزانيةَ والزَّانِيَ بفتح الهاء. وزعم الخليل وسيبويه أن النصب المختارُ وزعم سيبويه أن القراءة الرفع. وزعم غيرهم من البصريين والكوفيين أن الاختيار الرفعُ، وكذا هُو عِندي، لأن الرفع كالإجماع في القراءة، وهُوَ أَقْوَى فِي العربيَّةِ، لأن معناها معنى من زَنَى

فاجلدُوه، فتأويله الابتداء، وقال سيبويه والخليلُ أنَّ الرفع على معنى: «وَفِيما فَرَضْنَا عَلَيكُمُ الزانيةُ والزاني» ـ بالرفع ـ أو الزانيةُ والزاني فيما فُرِضَ عَلَيْكم، والدليل على ان الاختيار الرفع قوله عز وجل: ﴿والَّلذَانِ يَأْتِيانِها مِنْكُمْ فَآذُوهُما﴾(١)، وإنَّما اختارَ الخليل وسيبويه النَّصْبَ لأنه أَمْرٌ، وَأَنَّ الأمْرَ بالفعلِ أولى. والنصب جائز على مَعْنى اجلدوا الزانيةَ والزانيَ.

والاجماع أن الجَلْدَ على غير المحصنين، يجلد غير المحصن وغير المُحْصَنَةِ مائة جلدة، وينفى مَعَ الجَلْدِ في قول كثير من الفقهاء(٢)، يجلد مَائةً ويُغرَّبُ عَاماً. فأما أهل العراق فيجلدونه مِائةً.

وقوله: ﴿ وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾.

وتقرأ رَآفَةٌ في دين اللَّه على وزن رَعَافَة، وتقرأ يأخذكم بالياء، ورآفة مثلُ السّآمَةِ مثل قولك سئمت سآمَةً، ومثله كآبة ففعاله من اسْمَاءِ المَصَادِر، وسآمةعلى قياس كلاَلَة.

وَفَعَالَةٌ في الخِصَالِ مثل القَبَاحَةِ ـ والمَلاَحَة والفخامة. وهذا يكثر جدًّا، ومعنى ﴿لاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾، لاَ تَرْحَمُوهُمَا فَتُسْقِطُوا عنهما مَا أَمَر اللَّهُ بِهِ من الحَدِّ، وقيل يبالغ في جلدِهِمَا.

وقوله تعالى: ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ﴾.

القراءةُ إسْكانُ اللام، ويجوز كسرها.

واختلف الناس في الطائفة، فقال بعضهم الواحد فما فوقه طائفةٌ، وقال آخرون لا تكون الطائفة أقل من اثنين، وقال بعضهم ثلاثة، وقال بعضهم أَرْبَعةٌ، وقال بعضهم عَشَرةٌ، فأما من قال واحِدٌ فهو على غير ما عندَ أَهْلِ

---

(١) سورة النساء الآية ١٦.

(٢) أي يغرب، ويبعد عن بلده.

اللغة، لأن الطائفة في معنى الجماعَةِ وأقل الجماعة اثنان، وأقل ما يجب في الطائفة عِنْدِي اثنان. والذي ينبغي أن يُتَحَرَّى في شَهَادَة عَذَاب الزَّانِي أن يكونُوا جَمَاعةً لأن الأغلب على الطائفة الجَمَاعَةُ.

وقوله: ﴿ لزَّانِي لَا يَنْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً، والزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إلاَّ زانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾.

ويجوز الزاني لا يُنْكَحُ إلاَّ زانية، والزَّانِيَةُ لا يُنْكَحُهَا إلاَّ زَانٍ ولم يقرأ بها. وتأويل «الزَّانِي لَا يُنْكَحُ إلاَّ زَانيةً» على معنى لا يتزوَّجُ، وكذلك الزانية لا يَتَزَوَّجها إلاَّ زانٍ، وقَالَ قومٌ: إنَّ مَعْنَى النكاح ههنا الوَطْء، فالمعنى عندهم الزاني لَا يَطَأُ إلاَّ زانيةً والزانية لا يطؤها إلاَّ زَانٍ. وهذا القول يَبْعُد، لأنه لا يعرف شيء من ذكر النكاح في كتاب اللَّه إلاَّ على معنى التَّزويج، قال اللَّهُ سُبْحَانَه: ﴿وَأَنْكِحُوا الأيَامَى مِنْكُمْ والصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وإِمَائِكُمْ﴾[١]، فهذا تزويجٌ لَا شكَّ فيهِ، وقال اللَّه، عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا إِذَا نَكَحْتُم المُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾[٢]. فأعلم عز وجل أن عقد التزويج يُسمَّى النكاحَ.

وَأَكْثَرُ التفسير أَنَّ هذه الآيَةَ نزلت في قومٍ مِنَ الْمسلمين فقراء كانوا بِالمَدينة، فهمُّوا بأن يتزوجوا بِبَغايَا كنَّ بالمدينة - يزنين، ويأخُذْن[٣] الأُجْرَةَ، فَأَرَادُوا التَّزْوِيج بِهِنَّ لِيَعُلْنَهُمْ[٤]، فأنزل اللَّه عز وجل تَحرِيمَ ذَلِكَ، وقيل إنهم أرادوا أن يُسَامِحُوهُنَّ، فأعلموا أن ذَلك حَرَامٌ.

---

(١) الآية ٣٢ من هذه السورة.

(٢) الآية ٤٩ من سورة الأحزاب.

(٣) في الأصل ويأخذون الأجرة وهو خطأ.

(٤) كتبت في الاصل لِيُعلنهن، وأشير في الهامش إلى «ليعلنهم» والظاهر أن البغايا كنّ على ثراء وأراد هؤلاء أن يستفيدوا من ثرواتهن.

ويروى ان الحَسَنَ قال إن الزاني إذا أُقِيمَ عَلَيْهِ الحَدُّ لا يزوج الا بامرأة أُقيمَ عليها الحَدُّ مِثْلُه، وكذلك المرأة إذا أقيم عليها الحدُّ عِنْدَهُ لا تزوج إلَّا برجل مثلها، وقال بَعْضُهم: الآية منسوخةٌ نسخها قوله: ﴿وأَنْكِحُوا الأيَامَى مِنْكُم. . .﴾(١)، واكثر القول أن المعنى هَهُنَا على التزويج ﴾.

ويجوز «وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى المُؤْمِنِينَ» بمعنى وحرَّمَ اللّه ذلك على المُؤْمِنين، ولم يقرأ بها.

وهذا لفظُهُ لفظ خَبَرٍ، ومعناه معنى الأمْرِ، ولو كان على ماقال مَنْ قَالَ إنه الوَطْءُ لما كان في الكلام فَائِدَةٌ، لأن القائل إذا قال الزانية لا تَزْني إلَّا بِزَانٍ، والزاني لا يزني الا بزانيةٍ، فليس فيه فائدة إلَّا عَلَى جهة التغليظ في الأمر، كما تقول للرجل الذي قَدْ عَرفْتَهُ بالكذبِ: هذا كذاب، تريدُ تغليظ أَمْرِهِ. فعلى ما فيه الفائدة وَمَا توجبُه اللُّغَةُ أن المعنى مَعنى التَّزْوِيج.

وقوله تعالى: ﴿والَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً﴾.

معنى ﴿يَرْمُونَ المحصنَاتِ﴾ [أي] بالزِّنا، لكنه لم يَقُلْ بالزِّنَا، لأن فيما تَقَدَّمَ مِنْ ذِكْرِ الزَّانيةِ والزاني دليلاً على أن المعنى ذَلِك، ومَوْضِعُ ﴿الذين﴾ رفع بالابتداء. وعلى قراءة عيسى بن عُمَر، يجب أن يكون مَوضَعُ الذين يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ نَصْباً على معْنَى اجلدوا الذين يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ ثم لم يأتوا بأربعة شهداء. وعلى ذلك اختيار سيبويه والخليل. والمحصنات ههنا: اللواتي أحْصَنَّ فُرُوجَهُنَّ بالعِفَّةِ.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً، وَأولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ، إلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْد ذَلِك وَأَصْلَحُوا﴾.

---

(١) سورة النور آية ٣٢.

اختلف الناس في قبول شهادة القاذف، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إذَا تَابَ مِنْ قَذْفِهِ قُبِلَتْ شهادَتُه. ويروى أَنَّ عُمَر بنَ الخَطَّابِ قَبلَ شهادة قاذفيْن، وقال لأبي بكرة انْ تُبْتَ قَبِلتُ شَهَادَتَك. وتوبته أن يـرْجِع عن القذف. وهذا مذهب أكثر الفقهاء، وأما أَهْلُ العِرَاقِ فيقولون شهادَتُه غير مقبولة لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ولا تقبلوا لَهُمْ شَهَادَةً أبداً﴾، قالوا، وقوله: ﴿إلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

قالوا: هذا الاستثناء من قوله: ﴿وأولئك هم الفاسقون﴾، فاسْتُثْنِيَ التَّائِبُونَ مِنَ الفَاسِقين. وقال من زعم أن شهادته مَقْبُولَةٌ أن الاستثناء من قوله: ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أبداً. إلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ قالوا وقوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾، صِفَةٌ لَهُمْ، وَأَجْمَعُوا أن من قذف وهو كافرٌ ثم أسلم وتَابَ، وكان بَعْدَ إسْلَامِه عَدْلاً قبلت شَهادَتُه وإن كان قاذفاً، والقياس قبول شهادة القاذف إن أتاب، واللَّه - عز وجل - يقول في الشهادات: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾[1] فليس القاذف بِأَشدَّ جُرْماً مِنَ الكافِر، فحقه أنه إذا تاب وأصلح قُبِلَتْ شهادَتُه، كما أن الكافِرَ إذا أسلم وأصلح قبلت شَهادَتُه.

فإن قال قائل: فما الفائدة في قوله ﴿أبداً﴾[2]. قيل الفَائِدَةُ أن الأبدَ لكل إنسانٍ مقدار مُدَّتِهِ في حياته، ومقدار مدَّته فيما يتصل بقصَّتِهِ. فتقول: الكافر لا يُقْبَلُ منه شَيْءٌ أَبَداً فمعناه، ما دام كافراً فلا يقْبَلُ منه شيءٌ، وكذلك إذَا قُلْتَ: القَاذِفُ لا تُقْبَلُ منه شَهادَةُ أبداً، فمعناه ما دَامَ قَاذِفاً، فإذا زال عنه الكفر فقد زال أَبَدُه وكذلك القاذفُ إذا زال عنه القذفُ فقد زال عنه أَبَدُه، ولا فرقَ بين هَذا وذَلكَ.

وتقرأ ﴿ثم لم يأتوا بِأَرْبَعَةٍ شهدَاءَ﴾ - بالتنوين - ﴿فَاجْلِدُوهُمْ﴾، فأرْبَعة

---

(١) سورة البقرة.

(٢) أي إن كلمة أبداً تقتضي التأبيد، أي نفي قبول الشهادة إلى الأبد وقد فسر الآبد بما ذكر.

مخفُوضَةٌ مُنَوَّنةٌ، وَ﴿شَهداء﴾ صفة للأربعة، في موضع جَرّ، ويَجُوْزُ أَنْ يَكونَ في موضع نَصْبٍ مِنْ جهتين، احـداهما على معنى ثم لم يُحْضِـرُوا أَرْبَعَةً شهـداءَ، وعلى نصب الحال مع النَّكِرةِ ثم لم يأتوا حال الشهادة[١].

فأما ﴿إلاَّ الَّذِينَ تَابُوا﴾ فيجوز أَنْ يَكُـونَ في مَوْضِـع جَرٍّ على البَـدَلِ من الهاء والميم[٢]، على معنى ولا تقبلوا لهم شهادةً أبداً إلا الذين تابوا، ويجـوز أن يكون في موضع نَصْبٍ على الاستثناء على قوله:

﴿وأولئك هم الفَاسِقُونَ ـ إلاَّ الَّذِينَ تَابُوا﴾، وإذا استُثْنُوا من الفَاسِقِينَ أيضاً، فقد وجب قبول شَهَادَتِهم لأنهم قد زال عنهم اسم الفِسْقِ.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إلاَّ أَنْفُسُهُمْ﴾.

معناه والذين يرمون أزواجهم بالزِّنَا.

وقوله: ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ﴾.

ويقـرأ أربعَ شهـاداتٍ باللّه بِـالنَّصْبِ، فمن قرأ أَرْبَـعُ بالـرفْع فَعَلَى خبـر الابتـداء، المعنى فشهادة أحـدهم التي تدرأ حَـدَّ القَاذف أَربـعٌ، والدليـل على ذلك قوله عز وجل:

﴿وَيَدْرَأُ عَنْها العَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهادَاتٍ باللَّهِ﴾.

ومن نصب أَرْبعاً فالمعنى فَعَلَيْهم أن يَشْهَدَ أَحَدُهُم أَرْبَعَ شهاداتٍ.

---

(١) على كلا التقديرين الباء حَرْفُ جَرٍّ زائـدٍ وأربعة مضـاف لتمييز محـذوف أي بأربعـة أشــخـاص ـ فيجوز مجيء الحال منهـا ـ ولا مسـاغ لكـون الحـال من واو الجمـاعـة ـ إلا أن يكـون بمعنى مستشهدين، وشهيد غير مستشهد.

(٢) من ولا تقبلوا لهم ـ والاستثناء من غير الموجب يجوز فيه الإتباع والنصب.

وعلى معنى فالذي يَدْرَأُ عنها العَـذَابَ أَنْ يَشْهَدَ أَحَـدُهم أَرْبَعَ شهـاداتٍ باللَّه.

﴿ والخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّه عَلَيْهِ ﴾.

ويجوز والخامِسَةَ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّه عليـه، وكذلـك والخَامِسَـةُ أَنَّ غضبَ اللَّهِ عليها، والخامِسَةَ جميعاً، فمن قال: والخامِسَةَ فعلى مَعْنَى وَيَشْهَدُ الخامِسَةَ.

فـإذا قَذَف القـاذِفُ امرأَتَـه، فشهـادَتُـه أن يَقُـولَ: أَشْهَـدُ بـاللَّه إني لَمِنَ الصَّادِقِينَ فِيمَا قَذَفْتُها بِهِ، أو يقول: أحلف باللَّه إني لمن الصَّادِقِينَ فِيما قَذَفْتُها بـه، أَرْبَعَ مَـرَّاتٍ، ويقول في الخـامِسَةِ لعنـة اللَّه عليه إن كـان من الكَـاذبين. وكـذلك تقـولُ المرأَةُ: أَشْهَـدُ بِاللَّه إنَّـهُ لِمنَ الكاذبين فيمـا قـذفني بـه، أربـع مرات، وتقول في الخـامِسَةِ: وعَلَيَّ غَضَبُ اللَّه إن كـان من الصادقين. وهـذا هو اللِّعَانُ، فإذا تلاعنا فُرِّقَ بينهما، واعتدت عِدةَ المطلَّقَةِ من وقتها ذلك. فإذا فعـلا ذلك لم يَتَـزَوَّجْهَا أبـداً في قـول أكثـر الفقهـاء من أهـل الحجـاز وبعضُ الكوفيين يُتابِعُهُمْ، وهو أبو يوسُفَ، والقياسُ ما عليه أهل الحجاز، لأن القاذفَ قَذَفَها بالزِّنَا، فهو لا ينبغي له أن يتزوّج بزانيةٍ، وليس يظهر لهذا تَوْبَةٌ، واللِّعَانُ لا يكون إلا بحاكم من حكام المسلمين.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾.

ههنا جواب لولا متروك، والمعنى - واللّه أعلم - ولولا فضلُ اللَّه عليكم لنال الكاذب لمـا ذكرنـا عَذابٌ عـظيمٌ، ويدل عليـه: ﴿وَلَوْلَا فَضْـلُ اللَّه عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُه في الدنيا والآخرة لَمسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ﴾.

معنى الإفك ههنا الكذبُ. وقد سُمِّيَ بعضُهُمْ في الآثار، وَلَمْ يُسمَّوْا في

القـرآن فمِمَّنْ سُمّيَ حسَّانُ بنُ ثَـابتٍ[١]. ومِسْطَح بنُ أُثـاثَةَ[٢]، وعبـدُ اللَّه بنُ أُبَيّ[٣]. ومن النساء حِمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ[٤].

﴿لَا تَحسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

وقيل لكم والتي قُصِدَتْ عائشـة رحمها اللَّه، فقيـل لكم يعنى به هِيَ ومن بسببها[٥] من النبي ﷺ وأبي بكر رحمه اللَّه.

وقوله: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُم﴾.

ويُقْرأ كُبْرَهُ مِنْهُم.

---

(١) هو حسان بن ثابت بن المنذر الانصاري من بني النجار. شاعر الانصـار وشاعـر رسول اللَّه ﷺ وشاعر اليمن كلهـا. دافع عن رسـول اللَّه ﷺ بشعره، وكـان شعره أشد على القـرشيين من وقع السهام، وقال له رسول اللَّه ﷺ: اهجهم وروح القدس معك. وكان من سوء حـظه أن وقع في عرض عائشة في حديث الإفك وأقيم عليه الحد وجلد وقد تبرأ من ذلك في شعر منه هذا البيت الآتي. كان حسان جباناً لم يشهد أية موقعة، وكان معمـراً عاش مـائة وعشـرين سنة ومـات سنة ٥٤ هـ. انظر ترجمته في الاستيعاب ٣٣٥ جـ ١ والاصابة ١٧٠٤ ص ٣٢٦.

(٢) مسطح بن أثاثة. يقال ان «مسطحاً» لقبه واسمه هو عوف - وذكره ابن حجر في حرف العين باسم عوف. قرشي مطلبي وأمه قرشية تيمية هي بنت خالة أبي بكر الصـديق وهي سلمى بنت صخر - وكان أبو بكر ينفق عليه - وقد خاض في عـرض عائشـة أم المؤمنين (ض) وجلد أيضاً - أنـظر الاصابة ٦٠٩٠ والاستيعاب ٤٩٤ جـ ٣. توفي مسطح سنة ٣٤ هـ.

(٣) رأس النفاق من أشراف قومه - اجتمعت عليه الأوس والخزرج ولم يجتمعوا على أحد منهم قبله ولا بعده - كان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه، فلما ظهر الاسلام انصرفوا عنـه فكان يرى أن رسول اللَّه ﷺ استلبه ملكه ويضطغن عليه - ثم تظاهر بالاسـلام - وقد هم ابنـه عبد اللَّه بقـتله فمنعه رسول اللَّه ﷺ وحديثه طويل انظر سيرة ابن هشام ٤٢٣ جـ ٢ (ت محيـي الدين).

(٤) هي حمنـة بنت جحش الاسـديـة القـرشيـة أخت عبـد اللَّه بن جحش وأم المؤمنين زينب بنت جحش وأمهم أميمـة بنت عبد المـطلب شهـدت أحـداً وكـانت تسقي الجـرحى. كـانت زوجـاً لمصعب بن عميـر فقتل يـوم أحد فتـزوجها طلحـة بن عبيـد اللَّه وهي والـدة محمـد بن طلحـة وخـاضت في حديث الإفك مع من جلد في رواية من صحح الجلد. وانـظر الاصـابـة ت ٣٠٣، والاستيعاب ٢٧٠ جـ ٤.

(٥) من على صلة بها.

﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

فمن قرأ كِبْرَه فمعناه من تولَّى الإِثْمَ في ذلك، ومن قرأ كُبْرَه أراد مُعْظَمَهُ.

ويروى أن حسان بن ثابت دَخَل علَى عائشة، فقيل لها أَتُدْخِلين هذا الذي قال اللَّه عز وجلَّ فيه: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُم لَهُ عَذَابٌ عظيمٌ﴾ فقالت أَوَ لَيْسَ قَدْ ذهب بَصَرُه. ويروى أنه أنشدها قوله في بيته:

حَصَانٌ رزانٌ ما تُزَنُّ بريبة وتصبح غرثى مِنْ لُحُوم الغوافل[1]

فقالت له: لكنك لست كذلك.

وقوله تعالى: ﴿والْخَامِسَةُ أن غَضَبُ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾.

بتخفيف أَن ورفع غَضَبُ على معنَى أَنَّه غَضَبُ اللَّه عليها، ويجوز أَنْ غَضِبَ اللَّهِ عليها، وههنا «هاءٌ» مُضْمرةٌ، وأن مخففةٌ من الثَّقِيلَةِ. المعنى أَنَّهُ غَضِبَ اللَّه عليها، وأنه غَضَبُ اللَّهِ عليها، قال الشاعر:[2]

في فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كلُّ من يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ

وجاء في التفسير في قوله: ﴿لَا تَحْسَبُوه شرًا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أنه يعنى به عَائِشَةُ وصَفْوانُ بنُ المعَطِّل[3]، ويجوز «لكم» في معنى

---

(١) البيت في اللسان (حصن). والاستيعاب ٣٤١ جـ ١، وهو مع جزء من القصيدة في سيرة ابن هشام ٧٧٣ ت محيي الدين.

غرثي أي جائعة بمعنى أنها لا تفتأ بهن ـ والحصان هي التي أعفت نفسها بالاسلام أو الزواج أو الحرية. وتزن أي تتهم. وقولها لكنك لست كذلك ـ تشير به إلى أنه أغتابها ونهش عرضها.

(٢) للأعشى من قصيدته ودع هريرة. وهي في ديوانه ص ٤٣.

(٣) هو صفوان بن المعطل بن ربيعة، أسلم قبل غزوة المريسيع وشهدها وقيل قبل الخندق وشهد الغزوات بعدها. . وكان يكون على ساقة رسول اللَّه ﷺ وكان شجاعاً جواداً ـ وهو الذي اوذي =

«لكما»(١)، والذي فسَّرْنَاهُ أولاً يَتَضَمَّنُ أمـر عائشـة وَصَفْوانُ والنبي ﷺ وكـل من بينه وبين عـائشة سَبَبٌ، ويجوز أن يكون لكُلِّ مَنْ رُمِيَ بِسَبَبٍ.

وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُموه ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ والْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً﴾.

معناه هَلاَّ إِذْ سِمعتُموه، لِأَنَّ المعنى ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ بِأَنْفُسِهِمْ، في موضـع الكنايَةِ عَنْهُمْ وعن بَعْضِهِمْ، وكذلك يقال للقوم الذين يَقْتُل بَعْضُهُمْ بعضـاً أَنَّهُمْ يَقْتُلونَ أَنْفُسَهُمْ.

﴿وقالوا: هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾، أي كذِبٌ بَيِّنٌ.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ والسَّعةِ﴾.

وَقُـرِئَتْ: وَلَا يَتَأَلَّ أُولُـو الفَضْـلِ [مِنْكُمْ والسَّعَـةِ]. وَمَعْنَى تَـأْتَلِي تَحْلِفُ وكذلك يَتَأَلَّى يحلف.

ومعنى ﴿أن يُؤتـوا﴾: أَنْ لَا يُؤْتُـوا ﴿أُولِي القُـرْبى﴾، المعنى ولا يحلف أولو الفضل منكم والسَّعَةِ أَنْ لَا يُعْطوا ﴿أُولِيَّ الْقُرْبَى والمَسَاكِينَ﴾.

ونـزلت هذه الآيـة في أبي بكر الصِّـدِّيقِ، وكـان حلف أَنْ لَا يُفْضِـل(٢) على مِسْطَح بن أُثَاثَة، وكان ابنَ خَالَتِهِ بِسَبَبِ سَبِّهِ عَائِشَةَ فَلَمَّا نَزَلَتْ:

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾.

قـال أبو بكـر: بَلَى، وَأَعَادَ الإِفْضَـالَ عَلَى مِسْطَح وعلى مَنْ حَلَفَ أن لاَ يُفْضِلَ عَلَيْه(٣) وَكَفَّر عن يمينه.

= في حـديث الإفك حتى بـرأه اللّه تعالى ـ وقـد تعرض لحسـان بن ثابت فضـربه بـالسيف ـ لما خاض فيه من حديث الافك. ويقـال إنه غزا الروم في خـلافة معـاوية فـاندقت سـاقه ولم يـزل يطاعن حتى مات وذلك سنة ٥٨ هـ.

(١) أي أن الجمع لا يراد به مفرد، بل هو لاثنين.

(٢) يَتَفَضَّل، ويعطي من فَضْلِه.

(٣) في تصحيح بالهامش: أن لا يفضل عليه أن يفضل ويُكَفِّر.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾.

قيل إنه يعنى به أزواج النبي ﷺ، وقيل إن الأَصْلَ فيه أَمْرُ عائشة، ثم صار لكل مَنْ رَمَى المؤمِنَاتِ. ولم يَقل هَهُنَا والمؤمنين استغناء بأنه إذا رَمَى المؤمِنَةَ فلا بد أَنْ يَرْمِيَ معها مُؤْمِناً، فاستغنى عن ذكر المؤمنين لأنه قد جرى ذِكْرُ الْمُؤْمِنِينَ والمؤمِنَاتِ، وَدَلَّ ذكرُه المؤْمِنَاتِ عَلَى المُؤْمِنِين، كما قال: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ﴾(١) ولم يَقُلْ وَتَقِيكُمُ البَرْدَ، لأنّ ما كان وقى الحرَّ وقى البَرْدَ، فاستَغْنَى عَنْ ذِكْرِ أَحدهما بالآخر.

وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الحَقَّ﴾.

ويقرأ الحقُّ، فمن قرأ الحقُّ فالحقُّ من صِفَةِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ، فالمعنى يوْمَئِذٍ يوفيهم اللَّهُ الحقُّ دِينَهُمْ، ومن قرأ دينهم الحقَّ، فالحق من صِفَةِ الدِّينِ والدين ههنا الجزاء، المعنى يَوْمَئِذٍ يَوَفِّيهمُ اللَّه جزاءهم الحقَّ، أي جزاءهم الواجب.

وقوله جل وعز: ﴿الخبيثاتُ للخبيثين، والخبيثون للخبيثاتِ، والطيبات للطَّيِّبينَ والطَّيِّبونَ للطَّيِّبَاتِ﴾.

فيها وَجْهَانِ، المعنى الكلمات الخَبِيثَاتُ للخبيثين من الرجال، والرجال الخَبِيثونَ للكلمات الخبيثَاتِ، أي لا يَتَكلَّم بالخبيثات إلا الخبيثُ من الرِّجَال والنساء، ولا يتكلَّمْ بالطَّيبَاتِ إلاَّ الطَّيبُ من الرجال والنساء، ويجوز أن يكون معنى هذِهِ الكَلِمَاتِ الخبيثات إنما تلصق بالخَبِيثين من الرِّجال والخبيثات مِن النِّسَاءِ، فأَمَّا الطَّاهِرَاتُ الطيبات فلا يلصق بِهِنَّ شيءٌ، وقيل الخبيثات من النساء للخبيثين من الرِّجَالِ وكذلك الطيبات من النساء، للطَّيبين من الرجال.

(١) سورة النحل الآية ٨١.

وقوله: ﴿ أولئك مبرأون مِمَّا يَقُولُونَ ﴾.

أَي عـائِشة وَصَفْـوانُ بنُ المُعَطَّل، وكـذلك كـل من قُـذِفَ من المُؤْمِنينَ والمُؤْمِنَاتِ مُبَرَّأُونَ ممَّا يَقُول أهل الخُبْث القَاذِفُونَ.

﴿لهم مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾.

أي للذين قُذِفوا ورُمُـوا مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كـريمٌ، وللقاذفين اللَّعْنَـةُ في الدُّنيَـا والآخرة وَعَذَابٌ عَظِيمٌ.

وقوله: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَه بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾.

معناه إذ يلقيه بعضكم إلى بَعْضٍ، وقرأت عائشة رحمها اللّه: إِذْ تُلْيقُونَهُ بألسنَتِكُمْ، ومعناه إِذْ تُسْـرِعُونَ بـالكَذِبِ، يقـال وَلَق يلِقُ إِذَا أَسْرَع فِي الكَـذِبِ وغيره، قال الشاعر:[1]

جَاءَتْ بِهِ عَنْسٌ مِنَ الشَّام تِلقْ

أي تسرع.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غيرَ بُيُوتِكُمْ﴾

يُقْرَأُ بِالضَّمِّ والكَسْرِ، ولكن الضَّـمَّ أَكْثَرُ، فمن ضمَّ فَعَلَى أصـل الجمع، يجمع بَيْتُ وبيوتُ مثل قَلْب وقُلوب وفَلْسٌ وفلوس، وَمَنْ قرأ بِالكَسْرِ فإنَّما كَسَر للِيـاء التي بعد البـاء، وذلك عنـد البَصْرِيِّينَ رَدِيءٌ جـدًّا، لأنـه ليس في كـلام العرب فِعُول ـ بكسر الفاء ـ.

وقوله: ﴿حَتى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّموا عَلَى أَهْلِهَا ﴾.

---

(١) الـوَلْق ـ كضَرْبٍ ـ الإسـراع في المشي إثْر الشيء، وهـذا الشطر من رجـز قالـه الشماخ يهجو به جليداً الكلابي: اللسان «ولق» ومعاني الفراء ٢/٢٤٨. والعنس الناقة الغليظة.

معنى تستأنسوا في اللغة تَسْتَأْذِنُوا، وكذلـك هو في التفسيـر، والاستئذان الاستعــلام، تقـول آذَنتُــه بكـذا أي أَعْلَمْتُــه، وكــذلــك آنست مِنْــهُ كــذا وكذا، عَلِمْتُ منه، وكذلك، ﴿فَـإِنْ آنَسْتُم منهم رُشْداً﴾(١) أي علمتم، فمعنى حتى تَسْتَأْنِسُوا حتى تستعلِمُوا أيريـد أهلها أن يُـدخلوا أَمْ لاَ، والدليـل على أَنَّه الإِذْنُ قوله:﴿فإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فلا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُـونَةٍ فيهـا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾.

أي ليس عليكم جناح أَنْ تَدْخُلوا هَذِهِ بِغَيْرِ إِذْنٍ.

وجاء في التفسير أنه يعنى بها الخـانات، ويقـال للخَانِ فُنْـدق وفُنْتُق. ـ بـالدال والتـاء ـ. وإنما قيـل: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أن تـدخُلُوا هَذِهِ البُيُـوتَ لأَنَّه حَـظَرَ أن تُدْخَـلَ البُيُوتُ الَّتي ليست لهم إلاَّ بِـإِذْنٍ، فـأُعْلِمُـوا أَن دُخـولَ هـذه المواضعَ المُبَاحَةَ ـ نحو الخانات وحوانيت التجارة التي تباع فيها الأَشْيَاءُ وَيُبِيحُ أهلُها دُخُولَها ـ جائزٌ. وقيل إنه يُعْنَى بِهَا الخَرِبَاتُ التي يَدْخُلُها الرَّجُلُ لِبَوْلٍ أَوْ غَائِطٍ.

ويكـون معنى: ﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾: بمعنى إِمْتاعٍ، أي مُتفـرَّجُون فيهـا مِمَّا بِكُمْ.

وقوله تعالى: ﴿ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾.

أي لا يبـدين زينَتَهُنَّ البـاطِنَـةَ، نحـو المِخْنَقَـةِ(٢) والْخلْخَـال والـدُّمْلُجُ والسِّوار. والتي تُظْهَرُ هي الثيابُ والوَجْهُ.

---

(١) سورة النساء الآية ٦.

(٢) رباط العنق، والدملج يلبس في اليد كالسوار.

وقوله تعالى: ﴿ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾.

كانت المرأة ربما اجتازت وفي رجلها الْخلخال، وربما كان فيها الخَلاَخِلُ فإذا ضَرَبتْ بِرِجْلِها عُلِمَ أنها ذاتُ خَلْخَالٍ وزينةٍ، وهذا يحرك من الشَّهْوَةِ فنُهِيَ عنه، كما أُمِرْنَ ألاَّ يُبْدِينَ(١)، لأن استماعَ صَوْتِه بمنزلة إبْدَائِه.

وقوله: ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ والصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾.

قُرِئَتْ من عَبِيدِكُمْ، وكلاهما جائز، وهذا لازِمٌ في الأَيَامَى، والمَعْنَى وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين مِنْ عِبَادِكُمْ وإِمَائِكُم إنْ أَرَدْن تَحَصُّناً.

ومعنى ﴿وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً﴾.

أي لا تكرهوهن على البغاء الْبَتَّةَ، وليس المعنى: لا تكرهوهن إنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً. وان لم يردْن فَلَيْس لنا أَنْ نُكْرِهَهُنَّ.

وقوله: ﴿ إنْ يكونُوا فقراء يُغْنِهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾.

فحث اللّه ـ عز وجل ـ على النكاح وأعلم أنه سَبَبٌ لِنَفْيِ الفَقْر، ويروى عن عمر رحمه اللّه أنه قال: عَجَبٌ لِامْرِئٍ كيف لا يَرْغَبُ في البَاءَةِ واللَّه يَقُولُ إنْ يَكُونُوا فقراءَ يُغْنِهُمُ اللّه من فَضْلِهِ.

وقوله: ﴿والَّذِينَ يَبْتَغُونَ الكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إن عَلِمْتُمْ فيهم خَيراً﴾.

معنى ﴿إن عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خيراً﴾، قيل إن علمتم أَدَاءَ ما يفارق عليه(٢)، أي عَلِمْتُمْ أنهم يَكتِبُونَ ما يُؤَدّونَهُ. ومعنى المكاتبة أن يكاتب الرجل عبده أو أَمَتَهُ

---

(١) نهين عن اسماع وسوسة حليهن كما نهين عن اظهاره.

(٢) إن علمتم قدرتهم على أداء نجوم الكتابة أي الأجر الذي يحررون عليه.

عَلَى أن يُفَارِقَهُ، أنه إذا أَدَّى إليه كذا وكذا من المـال في كذا وكـذا من النجوم فالعبدُ حُرٌّ إذا أَدّى جميع ما عليـه، وَوَلاَؤه لمولاَه الذي كاتبه، لأن مـولاه جاد عليه بالكسْب الذي هو في الأصل لمولاه[١].

وقوله: ﴿ وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾.

هذا ـ عند أكثر الفقهاء ـ على النَّدْبِ، للمولى أن يُعْطِيَهُ شَيْئاً مما يُفَارِقُه عليه، أو من ماله ما يستعين به على قضاء نجومِهِ، ولـه ألاَّ يفْعَلَ، وكـذلك لـه أَنْ يكاتِبَهُ إذا طلب المكاتبة وَلَه أَلاَّ يكاتِبَهُ. ومخرج هذا الأمر مخرجُ الإِبَاحَـةِ، كما قال: ﴿وإِذَا حَلَلْتُم فاصطادوا﴾[٢] لأنـه حرَّم عليهم الصَّيـدَ ما دَامَـوا حُرُمـاً، وكـذلك قـوله: ﴿فـإذا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فـانتشـروا في الأَرْضِ وابتغـوا من فضـل اللَّه﴾[٣] هذا بَعْدَ أن حَظَر عليهم البيعَ في وقت النداء إلَى الصَّلاَة، فهـذا أباحَـهُ فيـهِ لأن العَبْدَ المملوك لا مـال لـه، ولا يقـدر على شيءٍ، فـأبـاح اللَّه لَهُم أن يُقْدِرُوهُ[٤].

ويروى عن عُمَرَ أنه كَاتَبَ عَبْداً له يُكْنَى أَبَـا أُمَيَّةَ، وهـو أول عَبْدٍ كـوتب في الاسـلام، فأتـاه بأول نجم فـدفَعَهُ إلَيْـهِ عُمـر، وقـال لـه: اسْتَعِنْ بـه عَلَى مُكَاتَبَتِكَ، فقال: لَوْ أَخْرته إلى آخرِ نَجْم، فقال أَخَافُ أَلاَّ أدرك ذلك.

وقوله: ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾.

وذلـك أنه لا يَحِـلُّ أن ترى المشـركاتُ مـا يحِلُّ أن تـراه المؤمِنَـاتُ من

---

(١) الاصل أن العبد وما يكسبه ملك لمولاه.

(٢) سورة المائدة الآية ٢.

(٣) سورة الجمعة الآية ١٠.

(٤) يعينوه ويهيئوا له القدرة.

المُؤْمِنَاتِ، يُعْنَى بِنِسائِهِنَّ نساء المؤمنـات، ﴿والمُؤْمِنُـونَ، والمؤمِنَاتُ بَعضُهُمْ أولياءُ بَعْضٍ﴾[1]

وقوله تَعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أو التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الإِرْبَةِ﴾.

«غير» صفة للتابعين دَليلٌ على قوله: ﴿أو مَا مَلكت أَيْمَانُهُنَّ﴾، معْنَاهُ أيْضاً غير أولي الإربَةِ من الرِّجَال. والمعنى لا يبدين زينتهن لمماليكهنَّ ولا لِتُبَّاعِهِنَّ إلاَّ أن يكونُوا غير أُولِي إربَة. والإِرْبَـةُ الحاجَـةُ، ومعناه هَهُنَـا غير ذَوي الحـاجات إلى النِّسَاءِ، فَأَمَّـا خَفْضُ «غير» فصفـة للتابعين، وإن كـانت «غير» تـوصف بها النَّكِرَةُ، فَإِنَّ التَّابِعِينَ هَهُنَا ليس بمَقْصُـودٍ إلى قوم ٍ بـأَعْيانِهِمْ، إنمـا معناهُ لكـل تَـابِـعٍ غيـر أولي إرْبـةٍ. ويجـوز «غير» بنصب «غيـرَ» على ضـربين، أَحَـدهمـا الاستثنـاء، المعنى لا يبـدين زينتهن إلا للتـابعين إلاَّ أُولي الإربـة فـلا يبـدين زينَتَهن لَهُمْ، ويجوز أن يكون منصوباً على الحال، فيكون المعنى، والتـابعين لا مُرِيدينَ النِّسَاءَ، أي في هذه الحال.

وقوله عز وجل: ﴿أو الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾.

ويقرأ «عَوَرات» ـ بالفتح الواو ـ لأن فَعْلَة يجمع على فَعلات ـ بفتح العين ـ نحو قَولِكَ جَفنة وَجَفَنَات، وصَحْفَة وصَحَفَات، فإذا كان نحو قولِكَ لَوْزَة وجَوْزَة وعَوْرَة، فالأكثر أَنْ تُسكَن، وكذلك قوله بَيْضَات، لثقل الحركة مع الواو والياء، ومن العرب من يَلْزَمُ الأصلَ والقياسَ في هذا فيقول جَوَازات وبَيَضَات. وعلى هذا قـرئ عَوَراتٍ. ومعنى لَمْ يَظْهرُوا على عورات النساء، لم يبلغوا أن يُطيقُوا النساء، كما تقول: قد ظهر فلان على فـلانٍ إذا قوي عليـه. ويجوز أَنْ يَكُونَ «لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَـاءِ» لم يَدْرُوا مـا قباحَـةُ عورات النسـاء من غيرها.

(١) سورة التوبة الآية ٧١.

وقوله: ﴿ولقد أنْزَلْنا إليكُمْ آياتٍ مُبينات﴾.

يقرأ بالفتح والكسر ـ فمن قرأ مبيَّناتٍ بالفتح فالمعنى أنه لَيْسَ فيها لَبْسٌ، وَمَنْ قرأ بالكَسْرِ فالمعنى أنها تُبَيِّنُ لكم الحلال من الحرام. ثم أعلم عزّ وجل أنّه قَدْ بيَّنَ جميع أَمْر السماء، وأمْر الأرض بَيَاناً نيِّراً لا غاية بَعْدَ نُورِهِ فقال:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾.

أي مُدَبِّر أَمْرِهِمَا بِحِكْمَةٍ بَالِغةٍ وحجَّةٍ نيِّرَةٍ. ثم مثَّلَ مَثَلَ نُورِه ذلك في القلوبِ بأبينِ النُّورِ الذي لم يدرك بالأبْصَارِ فقال:

﴿مَثَلُ نورِهِ كَمِشْكَاةٍ فيها مِصْبَاحٌ﴾.

فَنُورُهُ يجوز أن يكون ما ذكرنا من تدبيره، وجائز أنْ يكونَ كتابُه الذي بَيَّنَ بِهِ فقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نورٌ وكتابٌ مُبِينٌ﴾[(١)] وجائز أن يكون النبي ﷺ هو النور الذي قال مثل نُورِهِ، لأن النبي ﷺ هو المرشِدُ والمبيِّنُ والناقل عن اللَّه ما هو نيِّرٌ، بَيِّنٌ.

وقال: ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾، وهي الكوَّةُ، وقيل إنها بلغة الحَبَشِ، والمشكاة من كلام العرب، ومثلها ـ وإن كانت لغيرِ الكُوَّةِ ـ الشَّكْوَةُ وَهِي مَعْرُوفَةٌ[(٢)]، وهي الدقيق الصغير أو مَا يُعْمَل مِثْلُه[(٣)].

﴿فِيها مِصْبَاحٌ، [المِصْبَاحُ في زُجَاجَةٍ]﴾.

والمصباح السِّراج. وقال: ﴿المِصْبَاحُ في زُجَاجَةٍ﴾ ـ لأن النور في الزُّجاج،

---

(١) سورة المائدة الآية ١٥.

(٢) الشكوة وعاء مَنْ أَدَمٍ للمَاءِ واللَّبَن ا هـ قاموس.

(٣) الشيء الدقيق.

وضـوء النَّارِ أَبْيَنُ منـه في كل شيءٍ، وضـوؤه يـزيـدُ في الـزُّجَـاجِ. ثم وصف الزجاجة فقال:

﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾.

ودُرِّيٌّ، منسوب إلى أنّه كالـدُّرِ، في صَفَائِه وحُسْنِهِ، وَقُرِئَتْ دِرِّيٌّ وَدَرِّيٌّ ـ بالكسر والفتح ـ وقَد رُوِيَتْ بالهَمْزِ. والنحـويون أجمعـون لا يعرفـون الوجـه فيه، لأنه ليس في كلام العَرَبِ شيء عَلَى فِعِّيلٍ، ولكن الكسر جَيِّـدٌ بِالهَمْـز ـيكون على وَزْنِ فِعِّيل، ويكون من النجوم الدَّرَارِي التي تَدَرُ ـ.

أي يَنْحـط ويَسِيرُ مُتَدافِعـاً، ويجوز أن يكـونَ دِرِّيٌّ بغير همـزٍ مُخَفَّفاً مِنْ هذا.

قال أبو إسحاق: ولا يجوز أن يضم الدال وَيُهْمَـزُ، لأنه ليس في الكـلام فُعِّيلٌ، ومثال «دُرِّيّ» فُعْلِيّ مَنْسُوبٌ إلي الدُّرِّ، وَمَنْ كَسَرَ الدَّالَ قَـالَ دِرِّيٌّ فكان لـه، أَنْ يهْمِـزَ ولا يَهْمِـزَ، فمن هَمَـزَ أَخَـذه من درأ يـدرأ الكَـوْكَبُ إذَا تَـدافـع مُنْقَضًا، فتضاعف ضَوْءُه، يقال: تدارأ الرَّجُلَانِ إذَا تَدَافَعَـا، ويكون وزنـه على فِعِّيـل. ومن كسـرهـا فـإنمـا أَصْلُه الهَمْـزُ فَخُفِّفَ، وبقيتْ كسـرة الـدال عَلَى أَصْلِهَا. ووزنه أيضاً فِعِّيلٌ كما كان وهو مهموز.

وقوله: ﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرةٍ مُبارَكَةٍ ﴾.

ويقرأ [تُوقَدُ] بالتاء، فمن قرأ بالياء عنى به المصباح، وهـو مذكّـر. ومن قرأ بالتاء عَنَى بِهِ الـزُّجَاجَـةَ. ويجوز «في زَجَـاجَةٍ» بفتـح الـزاي وفيهـا وجهان آخران قُـرِئَ بِهِمَا ـ تَوَقَّـدَ ـ بفتح الدَّالِ وضمِّها وتشديد القـافِ فيهما جميعـاً، فمن قرأ تَوَقَّدُ، فالمعنى تَتَوَقَّدُ الزجاجةُ، ومن قرأ تَوَقَّدَ فتحـه لأنه فِعْـلٌ مَاضٍ، ويكون المعنى:المصباحِ في زُجَاجَةٍ تَوَقَّدَ المِصْبَاحُ.

وقوله:﴿مِنْ شَجَرةٍ مُبارَكةٍ زَيْتُونَةٍ﴾.

وليس شيء في الشَّجَرِ يورِقُ غُصْنُه من أوّله إلى آخره مثلُ الزَّيْتُونِ والرُّمَّانِ قَال الشَّاعِرُ(١):

بورِكَ الميتُ الغريبُ كما بُورِكَ نَظْمُ الرُّمان والزَّيْتُونِ

قوله عز وجل:﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾.

اكثر التفسير أنها ليست مما تطلعُ عليه الشمسُ في وقت شروقها فقط أو عِنْدَ الغُرُوبِ، أي ليس يسترها في وقت من النَّهَارِ شيءٌ، أي فهي شرقية غربيّة، أي تصيبها الشمس بالغداة، والعَشِيِّ، فهو أنضر لها وأجود لزيتها وزَيْتُونِها.

وقال الحسن: إن تأويلَ قوله: ﴿لا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَربيَّةٍ﴾ أنها ليست من شجر الدُّنْيَا أي هي من شجر الجنَّةِ.

وقوله عز وجل:﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾.

جاء في التفسير أَن تُبْنَى، وقال الحسنُ: تأويل «أَنْ تُرْفَعَ» أن تُعظَّمَ. و «في» من صِلَةِ قوله «كَمِشْكَاةٍ». المعنى كَمِشْكَاةٍ في بُيُوتٍ، أي فِي مَسَاجِدَ، وقال الحسن يُعْنَى بِهِ بيتُ المقدِسِ. ويجوز أن تكون «في» متصلة «بِيُسَبِّحُ» ويكون فيها تكريراً على التوكيد، فيكون المعنى يسبح للَّه رِجَالٌ في بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ لأنْ تُرْفَع. وتقرأ «يُسَبَّحُ» له فيها، فيكون رفع رجال هَهُنَا على تفسير ما لم

---

(١) هو أبو طالب عم النبي ﷺ ـ من قصيدة له رثى بها مسافر بن أبي عمرو بن أمية، وقد أوردها صاحب الخزانة جـ ٤/٣٨٦. أبياتاً منها أولها:

ليت شعري مسافر بن أبي عمرو وليت يقولها المحزون

وانظر البحر المحيط ٤٥٧/٦ ومختار الأغاني ٣٨٢/٦ ـ وكان مسافر سيداً جواداً، وهو أحد أزواد الركب، وكان يهوى هنداً بنت عتبة، وخطبها بعد الفاكه فرده لفقره، فذهب إلى النعمان يستعينه ـ فتزوجت هنداً أبا سفيان في غيبته ـ وكان أبو سفيان أول من قابل مسافراً بالحيرة وأخبره فشق ذلك عليه، واستسقى بطنه فعاد الى مكة فمات بمكان يقال له هباله ودفن به.

يسم فَاعِلُه، فيكون المعنى على أنه لما قال: «يُسَبِّحُ لَـهُ فِيهَا» كـأنه قيـل: من يسبح اللَّه فقيل يُسبّحُ رِجَالٌ كما قال الشاعر:(١)

لِيُبْـكَ يـزيـد ضَـارِعٌ لِخُصُـومَـةٍ ومختبط مما تـطيـح الـطوائـح

﴿والآصال﴾: واحدها أُصُل، وهي العَشَايَا.

ومعنى: ﴿لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وإقَامِ الصَّلَاةِ وإيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾. أي لا يشغلهم أمرٌ عن ذَلِكَ.

ويروى أن ابن مَسْعُودٍ رأى قـوماً من أَهْـل السُّوقِ، وقـد نُودِيَ بـالصَّلَاةِ فتركوا بِيَاعاتِهِمْ(٢) ونَهضُوا إلَى الصَّلاةِ، فقـال: هؤلاء من الذين قـال اللَّه - عزّ وجل - [فيهم] ﴿رجال لَا تُلْهِيهِمْ تِجارة وَلَا بيعٌ عَنْ ذِكْر اللَّهِ﴾.

وقوله: ﴿ وإقَامِ الصَّلَاةِ وإيتَاءِ الزَّكاةِ﴾:

الكـلام أقمت الصلاة إقَـامَةً، وأصلها أَقَمْتُ(٣) إقْواماً، ولكن قُلِبَت الـوَاوَ أَيضاً فاجتمعت الفان، فحذفت احداهما لالْتِقَاءِ السَّاكنين، فبقي أَقَمْتُ الصلاة إقَـامَةً(٤) وأدخِلَتِ الهـاء عِـوَضـاً من المَحْـذُوفِ، وقـامت الاضـافـة ههنـا في التعويض مقام الهاء المحذوفة. وهذا إجماع من النحويين.

وقوله: ﴿يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبِ والأَبْصَارُ﴾.

ويجـوز تَقَلَّبُ فيـه القلوب والأبْصَـارُ، في غير القـرآنِ، ولا يجـوز في القران «تَقَلَّبُ» لأن القراءة سُنَّةٌ لا تخالَفُ وإن جاز في العربية ذَلِكَ.

---

(١) لضرار بن نهشل يبكي أخاه يزيد. وفي كتاب سيبويه للحرث بن نهيك وانظر الخزانة ١٤٧/١، الشاهد ٤٥، ففيها أنه لنهشل بن حرّى (بتشديد الراء) وهو شاعر مخضرم حسن الشعر وابنه حرى أيضاً شاعر مجيد، وحارب نهشل مع علي ويوم صفين قتل أخوه مالك ورثاه نهشل بمرات كثيرة. وهم من بيت شريف، وانظر العيني ٤٥٤/٢، وابن يعيش ٩٠/١.

(٢) بياعات جمع بياعة - بكسر الباء فيهما. وهي السلعة.

(٣) أصلها أقومت إقواماً.

(٤) أصلها إقواماً - فلما حذفت الألف استعيض عنها بالتاء التي حذفت هنا.

ومعنى تَتَقلَّبُ أي تَـرْجُفُ وَتَجفُ من الجَـزَعِ والخَـوْفِ، ومعنـاه أَن مَنْ كَانَ قلبُه مُوقِنـاً بالبعـث والقيامَةِ ازداد بَصِيرَةً، ورأى ما يحبُّه مما وُعِدَ بِهِ، ومن كان قلبه على غير ذلك رأى ما يُوقِنُ مَعَهُ بِأَمْرِ القِيامة والبعْثِ، فَعَلِمَ ذلك بقلبه وشاهده بِبَصَرِهِ، فذلك تَقَلُّبُ القلوب والأَبْصَارِ.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ﴾.

والقيعـة جمع قـاعٍ ، مثـل جَـارٍ وَجِيـرَةٍ، والقيعـة والقـاع مـا انبسط من الأرْض ولم يكن فيه نباتٌ، فالذي يسير فيه يَرَى كأَنَّ فيه ماءً يَجْرِي. وذَلِكَ هُـوَ السَّرابُ، والآل مثلُ السَّـرابِ إلَّا أنه يـرتفع وقت الضُّحَى كـالماء بين السمـاء والأرْضِ.

﴿يَحْسَبُه الظَّمـآنُ مَاءً﴾.

يجوز يَحْسِبُه وَيَحْسَبُه، ويجوز الظَّمآن والظَّمانُ، على تخفيف الهَمْـزَةِ، وهُوَ الشديـدُ العَطَشِ يقـال ظمئ الرجـل يظمـأ ظمأً فَهُـو ظمآنُ، مثـل عَطِشَ يَعْطَشُ عطشاً فَهُوَ عطشانُ.

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيئاً﴾.

أي حتى إذا جـاء إلى السراب وإلى مـوضعـه رأى أرضـاً لا مـاء فيهـا، فأعلم اللَّه -عز وجل- أن الكافر يظن عَمَلَه قد نفعه عند اللَّه، ظَنُّه كـظَنِّ الذي يـظن أن السَّرابَ مـاء، وأن عمله قَـدْ حَبِط وذَهبَ. وضـرب اللَّه هـذا المثـلَ لِلكَافِرِ فقال: إن أعمال الكفار كهذا السَّرابِ.

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِيٍّ﴾ -الآيـة[1].

---

(١) تمـام الآية: ﴿ يَغْشَـاهُ مَـوْجٌ مِنْ فَوْقِـهِ مَوْجٌ مِنْ فَـوْقِهِ سَحَـابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهـا فَوْقَ بَعْضٍ﴾.

لأنه عز وَجل وصف نوره الـذي هو للمؤمنين، وأعلم أن قلوب المؤمنين وأعمـالهم بمنزلـة النُّورِ الَّـذي وصَفَهُ، وأنهم يجـدونه عنـد اللَّه يجازيهم عليـه بالجنة، وأن أعمال الكافـرين وإن مثلت بما يـوجَدُ فمثله كمثـل السَّرابِ، وإنْ مثلت بِمَا يُرَى فهي كهـذه الظلمات التي وَصَفَ في قولـه: ﴿أَوْ كَظُلُمَـاتٍ في بَحْرٍ لُجيّ﴾ الآية.

وقوله: ﴿إذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾.

معناه لم يرها ولم يكد، وَقَالَ بَعضُهُم يراها من بُعْدٍ[1] إن كـانَ لا يَراهَـا من شِـدَّةِ الـظلمـة، والقـولُ الأولُ أَشْبَـهُ بهـذَا المعنى، لِأَنَّ في دُونِ[2] هــذه الظُّلُمَاتِ لا يُرَى الكفُّ.

وقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً [فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ]﴾.

أي من لم يهـده اللَّهُ إلى الاســلام لم يَهْتَـدِ.

وقولـه: ﴿أَلَمْ تَـرَ أَنَّ اللَّه يُسَبِّحُ لَـهُ مَنْ فِي السَّمَـواتِ وَالأَرْضِ وَالـطَّيْـرُ صَافَّاتٍ﴾.

ويجوز «والطيرَ» على معنى: «يسبح له الخلق مَعَ الطَّيْرِ» ولم يُقْرأْ بها.

وقوله: ﴿كـلٌّ قد علم صلاته وتسبيحه﴾.

معناه كلٌّ قد علم اللَّهُ صَلاتَه وتسبيحَه، والصلاة للناس، والتسبيـح لغير النـاس، ويجوز أن يكـون ﴿كل قَـدْ عَلِمَ صَلاَتَـه وَتَسْبِيحَهُ﴾كـل شيء قـد علم

(١) غير واضح المعنى، ولعله يعني الفعل المنفي أي لا يراها من بعد، ويمكن أن يراها من قرب، أو يخيل اليه وهي قريبة أنها بعيدة.

(٢) أي ان رؤية الكف من القرب لا تدل على ظلمة شديدة، ففي الظلمة التي هي أقـل مما وصف لا يَرى الانسان يده.

صلاة نفسه وتسبيحَهَا، ويجوز ان يكـون كل انسـان قَدْ عَلِمَ صـلاة اللّٰه، وكل شيء قد علم تسبيح اللَّه. والأجود أن يكون كل قد علم اللّه صلاته وتسبيحه، ودليل ذلك قوله ـ ﴿واللَّهُ عَليمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

وقوله :﴿أَلَمْ تَرَ أَنّ اللَّه يُزْجِي سَحَاباً﴾.

معنى :﴿يُزْجِي﴾ يَسُوقُ، ﴿ثُمَّ يؤَلِّفُ بينَهُ﴾ أي يجعل القطع المُتَفَرِّقَة مِنَ السَّحَابِ قطعةً وَاحِدَةً ﴿ ثم يَجْعَلُهُ رُكاماً﴾، أي يجعـل بَعْضَ السحاب يـركب بعضاً.

﴿فتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِه ﴾.

الوَدْقُ المطرُ، ويقرأ من خَلَلِه، وخِلاَلِـه أَعَمُّ وأجوَدُ في القـراءة، وخِلاَل جمـع خَلَلٍ وخِلاَل، مثـل جَبَل وجِبَـالٍ، ويجـوز أن يكـون السحـاب جمـع سحابة ويكون «بينَه» أي بينَ جميعه، ويجوز أن يكون السحاب وَاحِـداً إلا أنه قال بينه لكثرته، ولا يجوز أن تقول جلست بين زَيْدٍ حتى تقول وعَمْرٍو، وتقول ما زلت أدور بين الكوفة، لأن الكوفة اسم يتضمَّن أَمْكِنَةً كثيـرة، فكأنـك تقول ما زلت أدور بين طرق الكوفة.

وقوله تعالى :﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فيها مِنْ بَرَدٍ﴾.

ويجوز ويُنْزِل بالتخفيف، ومعنى مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبَالٍ فيها من بَرَدٍ، مِن جِبَالِ بَرَدٍ فيها[١] كما تقول هذا خاتم في يدي مِنْ حَـدِيدٍ، المعنى هـذا خاتَمُ حَـديدٍ في يَـدِي. ويجوز ـ واللّه أعلم ـ أن يكـون معنى «مِن جبَالٍ» مِنْ مِقْدارِ جِبَالٍ مِنْ بَرَدٍ كما تقول عِنْدَ فُلاَنٍ جِبَالُ مَالٍ تريد مقدار جبال مِنْ كَثْرَتِه.

قوله :﴿يَكَادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بالأَبْصَارِ ﴾.

(١) التقدير اذن من جبال من برد تنزل من السماء.

وقرأ أبو جعفر المدني: يُـذْهِبُ بالأبْصَـارَ، ولم يقرأ بهـا غيرُه، ووجههـا في العربيَّةِ ضعيفٌ، لأن كلام العَرَبِ: ذَهَبْتُ بِهِ وَأَذْهَبْتُه. وتلك جائزة أيضـاً - أعني الضم في الياءِ في يُذْهِبُ. ومعنى ﴿سَنَا بَرْقِه﴾ ضَوْءُ بَـرْقِه، وقـرئت سنا بُرْقِه يذهب بالأبصـار، على جَمْعِ بُـرْقَةٍ وبُـرْقٍ، والفرق بين بُـرْقِهِ - بـالضَّمِّ - وبَرْقِهِ بالفتح أن البرق المقدارُ من البرق، والبرقَةُ أن يبرق الشيء مَرَّةً واحِدَةً، كما تقول: غَرفْتُ غَرفَـةً وَاحِدَةً تـريد مَـرَّةً وَاحِدَةً. والغَـرْفَةُ مقـدار ما يُغْـرَفُ، وكذَلِكَ اللقمة واللُّقْمَة.

وقوله تعالى: ﴿ واللَّه خَالِقُ كُلِّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ﴾.

ويقرأ، ﴿واللَّه خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ من ماء﴾، فَدَابَّةٌ اسم لِكل حيوان مُمَيِّزٍ وغيره: فلما كان لما يعقل ولما لَا يعقِلُ قال ﴿فمنهم﴾، ولوكان لما لَا يَعْقِـل لقيلَ فمنهـا أو مِنْهُنَّ. ثم قال: ﴿مَنْ يَمْشي عَلَى بَطْنِه﴾.

فقال «مَنْ» - وأصل مَنْ لِمَـا يَعْقِل -، لأنّه لَمَّا خَلَط الجمـاعةَ فقيـل فمنهم جعلت العِبَارَةُ بِمَنْ، وقيل يمشي على بطنه، لأن كـل سائـر كان لـه رجلان أو أربع أوْ لَمْ تكن له قَوائِم، يقال له ماشٍ وقَدْ مَشَى، ويقال لكل مُسْتَمِرٍّ مَاشٍ، وإن لم يكن من الحيوان حَتّى يقال قد مشى. هذا الأمْرِ.

﴿مِنْ مَاءٍ﴾، وإنَّما قيل من ماءٍ كما قال اللَّه سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ﴾(١).

وقوله جل وعلا: ﴿ [وإنْ يَكُنْ لهم الحقُّ] يَأْتُوا إلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾.

جـاء في التفسير «مُسْـرِعين»، والإذْعَانُ في اللغةِ الاسْراعُ مَـعَ الطَّاعَـةِ، تقـول: قَدْ أَذْعَنَ لي بِحَقِّي، معنـاه قَدْ طَـاوَعَني لِمَا كُنْتُ أَلْتَمِسُـه مِنه، وصـارَ يُسْرِعُ إلَيْه.

---

(١) سورة الانبياء الآية ٣٠.

وقوله: ﴿قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾.

تأويلُهُ طاعَةٌ مَعْرُوفَـةٌ أمثلُ مِنْ قَسَمِكُمْ لِمَـا لَا تَصْدُقُـونَ فِيهِ[1]. والخبـر مُضْمَـرٌ، وهُوَ «أَمْثَلُ» ـ وَحُذِفَ لأن في الكلام دَلِيلاً عليه، لأنه قال: ﴿وَأَقْسَمُوا بِـاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـانِهِمْ لِئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾. واللَّه عز وجـل وراء مَا فِي قلوبِهِـم فقـال: ﴿قل لا تُقْسِمُـوا، طاعـة مَعْروفَـةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بمـا تَعْمَلُونَ﴾. ويجـوز طـاعةً معـروفةً على مَعْنى أَطِيعُـوا طَاعَـةً مَعروفَـةً، لأَنهم أقسَمُوا إن أُمِـروا أَنْ يُطيعُوا فقيل أطيعوا طاعة معروفةً، وَلَا أَعْلَمُ أَحَداً قَرأ بهـا[2]، فإِنْ لَم تُـرْوَ فلا تُقْرَأْ بها، وهذا يُعْنَى به المنافقونَ.

وقـولـه عـز وجل: ﴿وَعَـدَ اللَّهُ الَّـذِينَ آمَنُـوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّـالِحَـاتِ لَيَسْتَخْلِفنَّهُم في الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

وإنما جاءت اللام لأن «وَعَدْتُه بِكَذَا أَو كَذَا» و «وَعَدْتُـه لأكْرِمَنَّـهُ» بمنزلـة قُلْتُ لأن الـوَعْـدَ لا ينعقِـدُ إلاَّ بقـولٍ، ومعنى ليستخلفهم في الأَرْضِ، أي ليجعلنَّهم يخلفون مَنْ بَعْدَهم من المؤمنين فَاستخلَفَ الذّين من قبلِهِمْ، وقرِئت كما اسْتُخْلِفَ الذين مِنْ قَبلِهِم.

﴿ولَيُمَكِنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾.

يعني به الاسلام.

﴿ولَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾: وقرئت وَلَيُبْدِلَنَّهُمْ.

وقوله: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيئاً﴾.

يجوز أن يكن مستأنفاً، ويجوز أن يكون في موضـع الحال، على معنى وعد اللَّهُ المؤمنين في حالِ عبـادتهم وإخلاصهم لِلَّهِ ـ عـز جلَّ ـ ليفعَلَنَّ بهم، ويَجُوزُ أَنْ يكونَ اسْتِئنَـافاً على طـريق الثناء عليهم وَتَثْبيتـاً كأنـه قال: يَعْبُـدُنِي المُؤمِنُونَ لَا يُشركون بي شيئاً.

---

(١) لعدم صدقكم فيه.

(٢) أي بقراءة النصب.

وقوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ﴾.

القراءة بالتاء على معنى: لا تَحْسَبَنَّ يا مُحَمَّد الكَافِرِينَ مُعْجِزِينَ، أي قدرةُ اللَّهِ محيطةٌ بِهِمْ وقرئت: لَا يُحْسَبَنَّ عَلَى حَذْفِ المفعول الأوّل مِنْ يحسَبَنَّ على معنى لا يَحْسَبَنَّ الذين كفروا إياهم معجزين في الأرض، كما تَقُولُ زَيْدٌ حَسِبهُ، فانما تريد حَسِبَ نَفْسَه قَائِماً، وكأنه لا يَحْسَبَنَّ الذين كفروا أَنْفُسَهم مُعْجِزين، وهذا في بَابِ ظَنَنْتُ، تطرح فيه النفس يُقَالُ ظننتُنِي أَفْعَلُ، ولا يقال ظننت نفسي أفعلُ، وَلَا يَجُوزُ ضَرَبْتُنِي، استُغْني عنها بِضَرَبتُ نَفْسِي[١].

وقوله: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأذِنْكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ والَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُمَ مِنْكُمْ ثلاث مَرَّاتٍ﴾.

فأمر اللَّه عز وجل بالاستئذان في الاوقات التي يُتَخَلَّى فيها[٢] ويتكشفون، وَبيَّنَها فقال: ﴿مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الفَجْرِ، وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ، وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ العِشَاءِ﴾.

يعنى به العَتَمة عشاء الآخرة، فأعلم أنها عورات فقال ﴿ثَلَاثُ عَوْراتٍ لَكُمْ﴾، على معنى هي ثلاث عورات لكم، وقرئت «ثَلَاثَ عَوَرَاتٍ لَكُمْ» والإسكان أكثر لثقل الحركة والواو. تقول طلحة وطَلَحات، وجمْرة وجمَرات، ويجوز في لوزة لَوَزَات بحركة الواو، والأَجْوَدُ لَوْزَات، ويجوز ثَلاثَ عَوراتٍ بالنَّصْبِ، على معنى ليستأذنوكم ثلاث عَوْرَاتٍ، أي في أَوْقَاتِ ثلاث عَوْراتٍ.

وقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُم وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾.

أي ليس عليكم جناح ولا عليهم في أنْ لَا يَسْتَأذِنُوا بعد أن يمضي كل وَقْتٍ من هذه.

---

(١) لا يجيء الفاعل هو المفعول إلّا في هذا الباب، وفي غيره تذكر كلمة النفس، تقول أطعمت نفسي وسقيت نفسي ولا تقول سقيتني.

(٢) يَتخلَّى الناس فيها عن ملابسهم الخارجية.

وقوله تعالى: ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ﴾.

على معنى هُم طَوَّافُونَ عَلَيْكُم.

وقوله: ﴿بَعْضُكُم عَلَى بَعْضٍ﴾: على معنى يَطُوف بَعْضُكُم على بعْضٍ.

وقوله: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ منكُمُ الحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾.

فالبالغ يستأذن في كـل الأوقات، والـطفلُ والمملوكُ يستـأذن في الثلاث العورات.

وقوله: ﴿والقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لَا يَرْجُونَ نكاحاً﴾.

القواعد جمع قاعـدة، وهي التي قعدت عن الـزواج، اللاَّتِي لَا يَـرْجُونَ نكاحاً، أي لَا يُرِدْنَهُ، ولا يَرْجُونَـه، وقيل أيضـاً اللاتي قَـدْ قعدْنَ عَنِ الحيض، ﴿فَلَيْس عليهِنَّ جُناحُ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غيرَ مُتَبرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾.

قال ابن مسعود: أن يضعن المِلْحَفَةَ والرِّدَاء.

﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾.

أي أنْ لَا يضَعْن الرداء والملحفة خير لهن من أن يَضَعْنَه[١].

وقـولـه: ﴿لَيْسَ عَلَى الأعْمَى حَـرَجٌ وَلَا عَلَى الأعْـرَج حَـرَجٌ وَلَا عَلَى المَرِيض حَرَجٌ﴾.

الحرج في اللغة الضيق، ومَعْنـاهُ فِي الدِّين الإثمُ، وجـاء في التفسير أن أهل المدينة قبل أن يُبعثَ النبي ﷺ كانُوا لا يُؤَاكِلونَ هؤلاءِ، فقيـل إنهم كانـوا يفعلون ذلك خوفاً من تمكن الأصحاء في الطعام، وقِلَّةِ تمكُّنِ هؤلاء[٢]، فقيل

(١) يضعنه بمعنى يلقينه عن جسـدهن. أي هذا خيـر لهن من وضع الـرداء، وتدخـل فيه الملحفـة والأصل أن يقول يضعنهما.

(٢) عدم قدرتهم عليه وأخذهم منه نصيباً يكفي.

لهم ليس في مُؤاكَلِتِهْمْ حَرَجٌ، وقيل إنهم كانوا يفعلون ذلك تقززاً، وقيـل أيضاً إنَهُمْ كانوا إذا خـرجوا مـع رسول اللّه ﷺ خَلَّفُوا هؤلاء فكانـوا يتحوبـون[١] أن يأكُلُوا مما يحفـظونه فـأُعْلِمُو أنّـه ليس عَلَيهم جُنَاحٌ، وقيـل أيضاً انـه كان قـوم يَـدْعُونَهم إلى طعـامِهِم فربمـا صاروا إلى منـازلهم فلم يجـدوا فيهـا طعـامـاً، فيمضون بهم إلى آبائهم.

وجميع ما ذكروا جيّدٌ[٢] بالغ إلا ما ذكروا من ترك المؤاكلة تَقَزُّزاً، فـإني لا أدري كيف هو.

وقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُم جُنَاحٌ أَن تَأكُلوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتاتاً﴾.

معنى أشتاتاً متفرقين مُتَوَحِّدِين. ونصب «جميعاً» على الحال، ويروى أَن حَيًّاً من العرب كان الرجـل منهم لَا يَأْكُـل وحدَهُ، وهم حَيٌّ من كنـانة، يمكث الرجل يَـوْمَهُ فـإن لم يجد مَنْ يؤاكله لم يـأكل شيئـاً، وربما كـانت مَعَهُ الابـلُ الحُفَّـلُ، وهي التي مِلْءُ أخـلافها اللَّبَنُ فـلا يَشْرَبُ من ألبـانها حتى يَجِـدَ من يُشَارِبُه، فأعلم اللّه عز وجل أَنَّ الرَّجُلَ منهم إن أكل وحده فلا إثم عليه.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾.

معناه فلْيُسَلِّمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، فالسلام قد أمر اللّه به، وقيل أيضاً: إذَا دَخَلْتُم بيوتاً وكـانت خَالِيـةً فَلْيَقُلِ الـدَّاخِل: السَّـلامُ علينا وعلى عبـاد اللّهِ الصَّالِحِينَ.ـ

وقوله عز وجل: ﴿تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللّهِ﴾.

---

(١) يتأثمون من الحُوب وهو الاثم.
(٢) في الأصل فجيد.

مَعْنَاهُ[1] النَّصْبُ على المصدَرِ، لأن قوله فَسَلِّمُـوا، معناه تَحَيَّوْا، ويحيي بَعْضُكُمْ بعْضاً، تَحِيَّةً من عنـد اللَّه. فأعلم اللَّه ـ عـز وجل ـ أن السـلام مُبَارَكٌ طَيِّبٌ.

وقوله: ﴿ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾.

قال بعضهم كان ذلـك في الجمعة، فهـو ـ واللَّه أعلم ـ أن اللَّه عز وَجَـلَّ أمـر المؤمنين إذَا كانـوا مع نبيِّـه فيما يُحتـاج فيه إلى الجمـاعة، نحـو الحـرب لِلْعَدُوّ، أَوْ مَا يَحضرونه مما يُحْتَاجُ إلى الجمع فِيه، لم يذهبُوا حَتَّى يستـأذِنُوه، وكذلك ينبغي أن يكونوا مَعَ أَئِمَّتِهِمْ لا يخالفـونهم ولا يرجعـونَ عنهم في جمع من جموعهم إلاَّ بِإِذْنِهِمْ، وللإمام أن يأذن، وله أن لا يـأذَنَ، على قدر مـا يرى من الحَظِّ فِي ذَلِكَ لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْض شَأْنِهم فَـأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾.

فجعل المشيئة إليْه فِي الاذْنِ.

﴿ واسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ ﴾.

أي اسْتَغْفِرْ لَهُمْ بِخُروجِهِمْ عن الجماعة إذا رأيت أنَّ لهم عُذْراً.

وقوله: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً ﴾.

أي لا تقولوا: يا محمد كما يَقُولُ أَحَدُكم لِصَاحِبِه، ولكن قولوا يا رسول اللَّه ويا نبي اللَّهِ بتبجيلٍ وَتَوْقِيرٍ وَخَفْض صَوْتٍ.

أعلمهم اللَّه عـز وجـل فضل النَّبي عليه السـلام على سـائـر البـريَّـة في المخاطبة.

---

(١) أي تقديره، وقد مر كثيراً أنه يقول المعنى كذا وكذا وهو يريد التقدير.

وقوله: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذاً ﴾.

أُظْهِـرَتِ الوَاوُ في «لِـوَاذاً» على معنى لَاوَذْتُ لِـوَاذاً، ومعنى لِـوَاذاً ههنـا الخلاف [أي] يُخَالِفُونَ خلافاً، ودليل ذلك قوله: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّـذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾.

فأما مَصْدَرُ لُذْتُ فقولك: لُذْتُ بِهِ لِيَاذاً.

سُورَةُ الفُرْقَانِ
[مكية]

بِسْمِ اللّهِ الرَّحمن الرَّحيم

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾.

﴿تبارك﴾معناه تفاعل من البَرَكَةِ، كذلك يقول أهلُ اللغة،وكذلك رُوِيَ عن ابن عباس، ومعنى البركة الكثرة في كل ذي خيرٍ. والفرقانُ القرآن، يُسمى فرقاناً لأنه فُرِّقَ به بين الحق والبَاطِل.

وقوله: ﴿ليكون للعَالَمين نَذِيراً﴾.

«النذير» المخوف من عذاب اللّه، وكل من خوَّفَ فقد أَنْذَرَ، قال اللّه ـ عزّ وَجَلّ ـ ﴿ فأنذرتكم ناراً تَلَظَّى ﴾[1].

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾.

خلق اللّه الحيوان وقدر له ما يُصْلحه ويقيمُه، وقَدَّرَ جميع ذلك لخلقه بحكمة وتقديرٍ وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الذينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ﴾.

«الإفك» الكَذِبُ.

﴿وَأَعَانَه عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾.

يعنونَ اليَهُودَ.

---

(١) سورة والليل إذا يغشى، الآية ١٤.

﴿فقد جَاءوا ظُلماً وَزُوراً﴾.

والـزُّورُ الكَذبُ، ونصبُ ﴿ظُلماًوَزُوراً﴾ على: فقد جـاءوا بظلم وَزُورٍ، فَلَمَّا سقطت الباء أفْضَى الفِعْلُ فَنَصَبَ.

﴿وَقَالُوا أَسَاطِير الأوَّلِينَ﴾.

خبر ابتداء محـذوف، المعنى وقالـوا: الذي كتـابه أسـاطير الأولين[1]، معنـاه مِمَّا سَـطَّرَهُ الأوَّلُونَ، وواحـدُ الأسـاطيـر أُسْـطُورَةٌ، كمـا تقـول أحْـدُوثـة وأَحَادِيث.

وقوله عز وجل: ﴿ فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾.

الأصيل العَشِيُّ.

وقوله: ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأسْوَاقِ ﴾.

«مـا» منفصِلةٌ من اللام، المعنى أي شيء لهـذَا الرَّسُـول في حـال أكله الطَّعَامَ وَمَشْيِهِ في الاسواق. التمسوا أن يكون الرسول على غير بِنْيَةِ الآدَمِيينَ، والواجب أن يكون الرسولُ الى الآدَمِيِّينَ آدَمِيًّا ليكون أقرب إلى الفهم عنه.

وقوله: ﴿لَوْلاَ أُنْزِلَ إلَيْه مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً﴾.

طلبـوا أن يكون في النُّبـوةِ شَركـةٌ، وأن يكون الشـريك مَلَكـاً، واللَّه عز وجـل يقول: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَـاهُ مَلَكـاً لَجَعْلَنَـاهُ رَجُلاً﴾[2] أي لم يكن لِيُفْهِمهم حَتَّى يكون رَجُلاً، وَمَعْنَى لَوْلاَ: هَلاَّ وتـأويل هـلاّ الاستفهامُ، وانتصبَ فيكـونَ على الجواب بالفاء للاستفهام.

---

(١) قالوا الكتاب الذي جاء به أساطير ـ اي الذي هو كتابه انما هو أساطير.

(٢) سورة الأنعام الآية ٩.

﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْه كَنْزٌ أَوْ تَكونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾.

وإن شئت أو «يَكُـونُ» لـه جَنَّـةٌ، ولا يجـوز النَّصْبُ في يكـون لـه، لأن يكون عطف على الاستفهـام، المعنى: لولا أنزل إليه مَلكٌ أو يُلْقَى إليه كَنْزٌ، أو تكون له جَنَّةٌ، والجنة البستان فأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أنه لو شاء ذلك وخيراً منه[1] لَفَعَلَه، فقال:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَـاءَ جَعَل لَـكَ خَيْراً مِنْ ذَلِـكَ جَنَّاتٍ تَجْـرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً﴾.

أي لو شاء لفعل أكثر مِمَّا قَالُوا، وقد عرض اللَّه ـ عز وجـل ـ على النبي أمر الدنيا فَزَهِدَ وآثَرَ أَمْرَ الآخِرَةِ. فَأَمَّا «يَجْعَلْ» فبالجزم، المعنى إن يشأ يَجْعَـلْ لَكَ جَنَّاتٍ، وَيَجْعَلْ لك قُصُـوراً ومن رفع فعلى الاستئنـاف، المعنى وسَيَجْعَلُ لَكَ قُصُوراً، أي سيعطيك اللَّه في الآخرةِ اكْثَرَ مِمَّا قالوا.

وقوله: ﴿ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُل مِنها﴾ ويأْكُلُ منها.

وقوله: ﴿سمعوا لها تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾.

أي سمعوا لها غليان تَغَيُّظٍ.

وقوله: ﴿ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً﴾.

في معنى «هلاكاً» ونصبه على المصدر كأنهم قالوا ثُبِرْنا ثبوراً.

﴿لاَ تَدْعُوا اليَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كثيراً﴾.

أي هلاككم أكثر من أن تـدعوا مَـرَّةً واحِدَةً. و[قيـل] ثبوراً كثيـراً، لأن ثبوراً مصدرٌ فهو للقليل والكثير على لفظ الوَاحِـدِ، كما تَقُـولُ: ضربتـه ضَرْبـاً

---

(١) لو شاء أن يعطي النبي ذلك وأكثر منه من خير الدنيا فعل.

كثيراً، وَضَرَبْتُه واحِداً، تريد ضربته ضرباً وَاحِداً.

وقوله عز وجل: ﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ ﴾.

إنْ قَالَ قَائِلٌ: كيف يقال: الجنة خير من النار، وليسَ في النَّارِ خيرٌ البَتَّةَ، وإنما يقع التفضيل فيما دخل في صنفٍ وَاحدٍ؟، فالجنة والنار قَدْ دُخلاَ في بَابِ المنازِلِ في صنف واحِدٍ، فلذلك قيل أذلك خير أم جنة الخُلْدِ، كما قال اللّه عز وجل:

﴿خَيرٌ مستقرًا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾[1].

وقوله عز وجل: ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْداً مَسْؤولاً﴾.

مَسْؤُولُ ذَلك[2] قول الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتي وَعَدْتَهم وَمَنْ صَلَح مِنْ آبائهم﴾[3].

وقوله: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾.

لما سُئِلَتْ المَلائكةُ فَقِيلَ: ﴿ أَأَنْتُم أَضْلَلْتُم عِبَادِي هَؤُلاَءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴾.

وجائز أن يكونَ الخِطَابُ لِعِيسَى والعُزَيْرِ، وقرأ أبو جَعْفَر المدني وَحْدَهُ: قالوا سبحانَكَ ما كان ينبغي لنا أن نُتَّخَذَ من دونِك مِن أَوليـاء، بِضَمِّ النُّونِ على ما لم يسَمَّ فاعلُه وهذه القراءة عند اكثر النحويين خَطأً، وإنما كانت خطأً لأن «مِنْ» إنما يدخل في هذا الباب في الأسماء إذا كانت مَفْعُولَة أولاً، ولا تَدْخُل على مفعول الحال، تقول ما اتخذت من أَحَدٍ وَلِيًّا، ولا يجوز ما اتخذت أَحَداً مِنْ وَلِيٍّ، لأن «من» إنَّما دخلت لأنها تنفي واحداً في معنى

(١) الآية ٢٤ من هذه السورة.

(٢) الذي سئل بذلك أي ما سألت الملائكة اللّه تعالى أن يمن به.

(٣) سورة غافر الآية ٨.

جميع، تقول: مَا مِنْ أَحَدٍ قَائماً، وما من رَجُلٍ مُحِبًّا لما يَضُرَّه، ولا يجوز «ما رجل من مُحِبٍّ مَا يَضُرُّه». ولا وجه لهـذه القِرَاءَةِ، إلَّا أَنَّ الفـرَّاء أجازهـا على ضَعْفٍ، وزعم أنه يجعل مِنْ أَوْلِياءَ هو الاسم، ويجعل الخبر ما في تتخَّذَ كَأَنه يُجْعَلُ على القلب، ولا وجه عندنا لهـذا البَتَّةَ، لـو جَازَ هـذا لجَازَ في ﴿مَا مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزين﴾ ما أَحَدٌ عَنْه مِنْ حَاجِزينَ. وهذا خطأ لا وَجْهَ له فاعْرِفه، فإن مَعْرِفَةَ الخطأ فيه أَمْثل من القراءة، والقُرّاءُ كلهم يُخَالفون هذا منه، ومن الغلط في قراءة الحسن: وَما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطُونَ(١).

وقوله تعالى: ﴿ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً ﴾.

قيل في التفسير «هَلْكَى»، والبائِر في اللغة الفَاسِـدُ، والذي لا خيـر فيه، وكذلك أرض بائرة متروكة من أن يزرع فيها.

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾.

وتقرأ بما يقولون ـ بالياء والتاء ـ فمن قرأ بمـا تَقُولُـونَ ـ بالتَـاءِ ـ فالمعنى فقد كَذَّبُوكُم بقولهم إنهم آلهة، ومن قرأ بالياء فالمعنى فقد كـذَّبُوكُـمْ بـقولهـم: ﴿سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾(٢).

وقوله عز وجل: ﴿ فما تستطيعون صرفاً ولا نَصْراً ﴾.

أي ما تستطيعون أَنْ تَصْرِفُـوا عن أَنْفُسِهم ما يحـل بهم من العذاب. ولا ان ينصـروا أَنْفُسَهُمْ.

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٠ وصحتها الشياطين لأنه جمع تكثير.

(٢) عبارة الأصل هكذا: فمن قرأ بما تقولون ـ بالتاء ـ فإن المعنى فقد كذبوكم بقولكُمْ: إنهم آلهـة، ومن قرأ بالياء فالمعنى فقد كذبوكم بقولهم: ﴿سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء﴾. والمعنى المراد أنهم بما قالـوه كذبـوكم في هذه العبـارة (سبحانـك... الخ) ومعنى كذبوكم بقولهم إنهم آلهة. أنهم بشـركهم كذبـوكم في كلمة التوحيد وعبـارته غيـر مستقيمة لأن المسلمين لم يقولوا إنهم آلهة.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُـونَ فِي الأَسْوَاقِ﴾.

هذا احتجاج عليهم في قولهم: ﴿ما لهذا الـرسـول يـأكل الطعام وَيَمْشِي في الأَسْوَاقِ.

فقيـل لهم: كذلك كان مَنْ خَلاَ من الـرسل يـأكـل الـطعـام ويمشي في الاسواق، فكيف يكون محمدٌ ﷺ بـدعـاً من الرُّسُل. فأما دخول «أَنَّهُمْ» بعـد «إلاَّ» فهو على تَأْوِيلِ ما أَرْسَلْنَا رُسُلاً إلاّ هُمْ يأكلون الطعام، وإلاّ أنهم لَيَأكلون الطعام، وحُـذِفَتْ رُسُلاً لأن «من» في وقوله تعالى ﴿من المرسلين﴾ دليـل على ما حذف منه، فأما مثل اللاَّمِ بعد «إلاَّ» فَقَوْلُ الشَّاعِر[1]:

مـا أَنـطيـانـي ولاَ سَـأَلْتُـهـمَـا إلاَّ وإنـي لَـحـاجـزٌ كـرمـي

يـريد أعطياني، وزعم بعض النحويين أن «مَنْ» بعـد إلاَّ مَحْذُوفَـةٌ، كأن المعنى عِنْدَهُ إلاَّ «مَنْ» ليأكلون الطعام. وهـذا خطأ بيّنٌ، لأنَّ «من» صِلَتُها «أَنَّهُم ليأكلون»، فلا يجوز حذف الموصول وتبقيةُ الصِّلَةِ.

وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾.

فيه قولان: قيل كان الرجل الشريف ربَّمَا أراد الاسلام فعلم أن مَنْ دُونَه فِي الشَّرَفِ قد أَسْلم قبلَهُ فيمتنع من الاسلام لئلا يقال أسلم قبله من هو دُونَهُ، وقيل كان الفقير يقول: لِمَ لَمْ أُجْعَـلْ بِمَنْزِلَـةِ الغَنِيّ، ويقول ذو البـلاء: لِمَ لَمْ أُجعل بمنزلة المُعَافى، نحو الأعمى والزَّمِن ومن أشبه هَؤُلاءِ.

وقوله تعالى: ﴿ أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً ﴾.

---

(١) لكثيربن عبد الرحمن ـ وقد أورد سيبويه هذا الشاهد وذكر الآيـة أيضاً انـظر كتاب سيبـويه ١٤٥ جـ ٣ ت هرون ـ وهو في العيني ٢/٣٠٨ والأغاني ٨/٢٨ وروايته بالعين ما أعـطياني ـ والنـون رواية أخرى.

أي أتصبرون على البلاء فقد عُرِّفْتُمْ مَا وُعِدَ الصابرون.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا المَلَائِكَةُ﴾.

معنى «لولا» هَلَّا.

﴿أَو نَرَى رَبَّنَا [لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِم وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيراً﴾.

فأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أنَّ الذين لا يوقنون بالبعث، ولا يرجون الثواب على الأعمال عند لقاء اللَّه طلبوا من الآيات ما لم يأت أُمَّةً من الأُمَمِ. فأعلم اللَّه عز وجل أنهم قد استكبروا في أنفُسِهم وَعَتَوْا عُتُوًّا كبيراً، ويجوز عتواً كثيراً بالثاء، والعتو في اللغة المجاوزة في القدر في الظُّلْمِ. وأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أن الوقت الذي يَرَوْنَ فيه الملائكة هو يوم القيامَةِ، وأن اللَّه قد حرمهم البُشْرى في ذلك الوقت فقال:

يَوْمَ يَرَوْنَ المَلَائِكَةَ لَا بُشْرى يَوْمَئِذٍ للمُجْرِمِينَ.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾ مَنْصُوبٌ على وَجْهَيْن، أحدهما على معنى لا بُشْرى تكون للمجرمين يوم يَرَوْنِ الملائكة، وَ «يَومَئِذٍ» هو مؤكد «لِيَوْمَ يَرَوْنَ المَلَائِكَةِ»، ولا يجوز أن يكون مَنْصُوباً بقوله «لَا بُشْرى» لأن ما اتصل بلا لا يَعْمَلُ فيما قَبْلَهَا، ولكن لَمَّا قيل لَا بُشْرى للمُجْرِمين بُيِّنَ في أي يوم ذَلِكَ، فكأنه قيلَ يجمعون البشرى يوم يرون الملائكَةَ، وهو يوم القيامة.

﴿وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً﴾.

وقرئت «حُجراً» بضم الحاء، والمعنى وتقول الملائكة حِجْراً مَحْجُوراً، أي حراماً مُحَرَّماً عَلَيْهم البُشْرى، وأصل الحجر في اللغة ما حَجَرْتَ عليه أي ما مَنَعْتَ من أن يوصل إليه، وكل ما منعت منه فقد حَجَرت عليه، وكذلك حَجَر القُضَاةُ على الأيْتَام إنما هو مَنَعُهم إيَّاهُمْ عن التصرف في أَمْوَالِهِمْ، وكذلك الحجرة التي ينزلها الناس هو ما حَوَّطوا عليه، ويجوز أنْ يَكُونَ «يومَ»

مَنْصُوباً على معنى اذْكُرْ يَومَ يـرونَ الملائكـة، ثم أخبر فقال: ﴿ لَا بُشْرى يَـوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ ﴾. والمجرمون[1] الذين اجْتَـرَمُوا الـذُّنُوبَ، وهم في هـذا الموضـع الذين اجترموا الكفر باللَّه عز وجل.

وقوله: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ ﴾.

معنى قدمنا عمدنا وقصدنا كما تقول: قام فلان يشتم فلاناً، تـريد قصـد إلى شتم فُلانٍ، ولا تريد قام من القيام على الرِّجْلين.

﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾.

«الهباء» ما يخرج من الكَوَّةِ مع ضوء الشَّمْسِ شبيهاً[2] بالغبار. وتأويله ان اللَّه عز وجَلَّ أحبط أعمالهم حتى صارت بمنـزلة الهبـاء المنثور. ثم أعلم اللَّه عز وجل فضل أهل الجنة على أهل النار فقال:

﴿أَصْحَابُ الجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾.

والمقيـل المقامُ وَقْتَ القـائِلة، وقيل هُـوَ النَومُ نصفَ النَّهـارِ، وجـاء في التفسير أنَ أهل الجنَّةِ يصيرون إلى أهليهم في الجنَّةِ وقت نصف النهار.

وقوله عز وجل: ﴿ويومَ تشقَّقُ السماءُ بالغمام﴾: ويقرأ تَشَّقَّقُ بتشديد الشِّينِ والمعنى تَتَشقَّقُ.

﴿ونُزِّلَ الملاَئِكَةُ تَنْزِيلاً ﴾.

جاء في التفسير أنه تتشقّق سَماءً سَماءً وتنزل المـلائكة إلى الأرض وهـو قوله ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ والملكُ صَفًّا صَفًّا﴾[3].

---

(١) في الاصل والمجرمين.

(٢) في الاصل شبيهةً.

(٣) سورة والفجر.

وقوله عز وجل: ﴿ المُلْكُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ للرَّحْمَنِ ﴾.

الحق صفة للمُلْكِ، ومعناه أن الملك الذي هو الملك حقًّا هو ملك الرحمن يوم القيامة كما قال عز وجل: ﴿لِمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ﴾[1] لأن المـلكَ الزَّائِلَ كأنه ليس بملك. ويجوز الملك يَوْمَئِذٍ الحَقَّ للرحمن ولم يقرأ بها فلا تقرأن بها، ويكون النصب عَلَى وجْهَيْن: أحدهما على معنى الملك يومئذ للرحمن أَحُقُّ ذَلِكَ الْحَقِّ، وعلى أَعْنِي الحَقَّ.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾.

يروى أن عقبة بن أبي مُعَيْط هو الظالم ههنا، وأنه يأكل يَدَهُ ندما ثُمَّ يَعُودُ وأنه كان عزم على الاسلام فبلغ [ذلك] أُمَيَّةَ بن خَلَفٍ فقال له أُمَيَّة: وَجْهي من وجهك حرام إنْ أَسْلَمْتَ، إنْ كَلَّمتُك أبداً[2]، فامتنع أمية من الاسلام لقول أُمَيَّةَ فإذا كان يوم القيامَةِ أكل يَدَهُ نَدَماً وتمنَّى أن آمن واتخذ مع النبي عليه السلام طريقاً إلى الجَنَّةِ. وهو قوله: ﴿يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً، لَقَدْ أَضَلَّنِي عن الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾.

وقد قيل أيضاً في ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخذ فُلَاناً خَلِيلاً﴾، أي لم أتخذ الشيطان خَلِيلاً، وتصديق هَذَا القول ﴿وَكَانَ الشَّيطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً﴾.

ولا يمتنع أن يكون قبوله مِنْ أُمَيَّةَ من عمل الشيطانِ وأعوانه. ويجوز «اتَّخَذْتُ» بتبيين الذال، وبإدغامها في التاء، والإِدْغَام أكثر وأَجْوَدُ.

وقوله عز وجل: ﴿وقال الرسول: يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هـذَا القُرآنَ مَهْجُوراً﴾.

---

(١) سورة غافر.

(٢) أي لَا أكلمك أبداً.

جَعَلوه بِمَنزِلة الهُجْرِ. والهُجْرُ ما لا ينتفعُ به من القولِ، وكانوا يقولون إنَّ النبي ﷺ يَهْجُر، ويجوز أن يكون مَهْجُوراً متروكاً، أي جعلوه مَهْجُوراً لاَ يَسْتَمِعُونَه ولا يتفهَّمُونَهُ.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ المُجْرِمِينَ﴾.

عَدُوًّا لفظه لفظ وَاحِدٍ، ويجوز أن يكون في معنى الجماعة والوَاحِد كما قال ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ العَالَمِينَ﴾(١) فيجوزُ أن يكون في معنى أَعْدَاءٍ، وقد جاء في التفسير أن عدوَّ النبي ﷺ أبو جَهْل بن هشام.

وقوله: ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً﴾.

وهادياً ونَصِيراً منصوبان على وجهين أحدهما الحال، المعنى وكفى ربك في حال الهداية والنَصْرِ، والوجْهُ الثّاني أن يكون منصوباً على التمييز على معنى كفى ربُّك من الهُدَاةِ والنُّصَّارِ.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾.

معناه: هَلاَّ نُزِّلَ علَيْه القُرآنُ في وَقْتٍ واحِدٍ، وكان بَيْنَ أَوَّلِ نُزُولِ القرآن وآخره عِشْرُونَ سَنَةً، فقالوا: لِمَ لَمْ ينزل جَمْلَةً وَاحِدَةً كما أُنْزِلَتِ التوراةُ: فأعلم اللَّه عز وجل أَنَّ إنْزَاله مُتَفَرِّقاً ليثْبتَ في قَلْبِ النبي ﷺ فقال: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ أي أَنْزَلْنَاهُ كَذَلِكَ مُتَفَرِّقاً، لأن معنى قولهم: لَوْلا نُزِّل عليه القرآنُ جملة واحدةً يدل على معنى لِمَ نُزِّلَ عَلَيْهِ القرآنُ مُتَفَرِّقاً فأعلموا لم ذلك، أي للتثْبيت.

﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾.

أي نَزَّلْناه على التَّرْتِيل، وهو ضِدُّ العَجَلَةِ، وهو التَّمَكُّث.

وقوله: ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾.

---

(١) سورة الشعراء ٧٧.

معنـاه ولا يأتـونك بمثـلٍ إلاَّ جئناك بـالذي هـو الحقّ وأحسن تفسيراً من مَثَلِهِمْ، إلاَّ أَنَّ «مِنْ» حُذِفَتْ لأن في الكلام دَلِيـلاً عليها، لـو قُلْتَ: رَأَيت زَيداً وعَمْراً فكان عمـرٌو أَحْسَنَ وَجْهاً، كـان الكلام فيـه دليل على أنـك تريـد: مِنْ زَيدٍ.

وقوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿ الَّـذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَـى وُجُوهِهِمْ إلى جَهَنَّمَ أُولَئِـكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾.

«الـذين» رَفْـعٌ بـالابْتِـدَاءِ، و «أُولَئِـكَ» رَفْـعُ ابتـداءٌ ثـانٍ، و «شَـرٌّ» خبـر «أُولئـكَ»، و «أولئك» مـع «شرٌّ» خبـر «الَّـذِينَ». وجـاء في التفسيـر أَنَّ النَّـاسَ يُحْشَـرُون يَوْمَ القِيَـامَةِ على ثـلاثَة أصنـافٍ، صنفِ على الـدَّوَابِّ وَصِنْفٍ على أَرْجُلِهم وصنفٍ عَلَى وُجُوهِهِمْ.قيل يا رسول اللَّه: كيف يمشون عَلَى وُجُوهِهِمْ، فقال النبي ﷺ الذي مشاهم على أقدامهم قادرٌ أن يُمشِّيَهُم عَلَى وُجُوهِهِمْ.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً﴾.

الوزير في اللُّغَةِ الذي يُرْجَعُ إليه ويُتَحَصَّنُ برأيِـهِ، والوَزَرُ مـا يلتجأ إليـه ويُعْتَصَمُ بِهِ، ومنه قوله: ﴿كَلا لا وَزَرَ﴾(١) أي لَا مَلْجأَ يومَ القيامَةِ ولا مَنْجا إلاَّ لمن رحم اللَّه عز وجل.

وقوله: ﴿ فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيراً ﴾.

يعني به فِرعونُ وقومُه، والذين مُسِخوا قردةً وخنازير.

وقوله: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أُغْرَقْنَاهُمْ ﴾.

يـدلُّ هذا اللفظ أن قـوم نوح قـد كذَّبُـوا غير نـوح أَيْضاً لقـوله «الرُّسُل»، ويجـوز أن يكون الـروح يعنى به نـوح وحدَهُ، لأن من كَـذَّب بِنَبيّ فقد كـذَّبَ

---

(١) سورة القيامة الآية ١١.

بجميع الأنْبياء، لأنه مخالف للأنبياء، لأن الأنبياء يؤمنون بـالله وبجميع رُسُلِه، ويجوز أن يكون يُعْنَى بِهِ الواحدُ. ويُذَكَّرُ لَفظُ الجِنْسِ كما يقول الرجل للرَّجُلِ ينفق الدِّرْهَمَ الواحد أنت مِمَّن يُنْفِقُ الدِّرَاهِمَ، أي ممن نَفَقَتُه مِنْ هَذَا الجِنْس، وفلان يركبُ الدَّوابَّ وان لم يركب إلاَّ واحِدةً.

وقوله: ﴿ وَعَاداً وَثَمُوداً وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُـرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً ﴾.

قـومَ نوحٍ «مَنْصُـوبون»[1] على معنى وأغـرقنا قـومَ نُوحٍ، وعَـاداً وَثَمُوداً وَأَصْحَابَ الـرَّسِّ نصب عـطف على الهاء والميم[2]، التي في قـوله جعلنـاهم للنَّـاسِ آيَةً. ويجـوز أن يكون معـطوفاً على معنى﴿وَأَعْتَـدْنَا للظَّالِمِينَ عَـذَابـاً أَلِيمـاً﴾ ويكونُ التـأويل: وَعَـدْنَـا الـظالمين بـالعَـذَابِ، ووعـدنـا عـاداً وثمـوداً وَأَصحابَ الـرَّسِّ.

قال أبو إسحاق: والدليل على ذلك قوله: ﴿وَأَعتَدْنَا للظَّالِمِينَ عَذَاباً أليماً﴾.

والرَّسُّ بِئْرٌ، يروى أَنَّهُمْ قَومٌ كذبوا بِنبيِّهِمْ وَرَسُّوهُ في بِئرٍ، أي دَسُّوه فيها، ويروى أن الرَّسَّ قرية باليمامة يقال لها مَلْح، ويروى أن الرس ديار لطائفة من ثمود.

وقوله: ﴿ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً ﴾.

يروى أن القرن مُدَتُه سبعون سَنَةً.

وقوله: ﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ ﴾.

«كُـلًّا» منصوب بفعـل مضمر الـذي ظهر تفسيـره، المعنى وأنذرنـا كُلًّا ضربنا له الأمثالَ.

﴿وَكُلًّا تَبَّرْنا تَتْبِيراً﴾.

التتبير التدمير والهلاك، وَكُـلُّ شيء كسَّرتَـهُ وَفَتَّتَّهُ فقـد تَبَّرْتَـهُ، ومن هذا

---

(١) الأولى أن يقول منصوب، أي هذا اللفظ منصوب لأن قوم نوح البشر لا ينصبون.

(٢) على الضمير.

قيل لمكَسَّر الـزجـاج التِّبْرُ، وكذلك تبر الذَّهَبِ.

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى القَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَر السَّوْءِ ﴾.

﴿أَتَوْا﴾ أي مشركو مَكّة، يعنى بِـهِ[١] قريـة قوم لـوط التي أمـر اللَّه عليهـا الحجارة، فأعلم اللَّه عز وجل أن الذي جرأهم على التكذيب، وأنهم لم يبالوا بما شاهدوا من التعذيب في الدُّنْيا أنهم كانوا لا يصـدِّقون بالبعث فقال: ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لاَ يَرْجُونَ نُشُوراً﴾.

قيل لاَ يَخافون مَا وُعِـدُوا بِهِ منَ العَـذَاب بَعْدَ البَعْثِ. والـذي عند أهـل اللغة أن الرَّجَاء ليس على معنى الخوف، هذا مذهب من يرفع الاضـداد، وهو عندي الحق ، المعنى بل كانوا لا يرجون ثوابَ مَنْ عَمِل خيراً بعد البَعْثِ فـركبوا المَعَاصِي.

وقوله: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهَذا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً ﴾.

المعنى يقولون: أهذا الذي بعث اللّه إلينا رَسُولاً.

وقوله: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ﴾.

يروى أنّ الواحِـدَ مِنْ أَهْل الجَـاهِلِيَّة كـان يعبد الحجـر، فإذا مـر بحَجرٍ أَحْسَن مِنْهُ ترك الأول وَعَبَدَ الثاني، وقيل أيضاً مَنِ اتَّخَـذ إِلٰهه هَـواهُ، أي أطاع هَواهُ وركبه فلم يُبَالِ عَاقِبَةَ ذلك.

وقوله: ﴿ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾: أي حفيظاً.

وقوله عز وجل: ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كالأنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾.

معناه ما هم إلاَّ كالأنعام في قلة التمييز فيما جُعِـلَ دَلِيلاً لهم من الآيَـاتِ والبرهان.

---

(١) يعنى بهذا القول.

قال: ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾.

لأن: الأنعام تسبح بحمد اللَّه وتسجُدُ له وهم كما قال اللَّه عز وجل: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كالحجارة أو أَشَدُّ قَسْوَةً﴾(١).

وقوله عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾.

الظل من وقت طلوع الفجر إلى وقت طلوع الشمس.

﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَه سَاكِناً﴾، أَي ثابتاً دائِماً لَا يَزُول.

﴿ثم جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ﴾.

فالشمس دَليلُ عَلَى الظِّلِ، وهي تنسخ الظِّلَّ.

﴿ثم قَبَضْنَاهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً ﴾.

قيل خَفِيًّا، وقيل سَهْلاً، ومعنى أَلَمْ تر، ألم تَعْلَم، وهذا من رؤية القلب. ويجوز أن يكون ههنا من رؤية العَيْن، ويكون المعنى: ألم تر كيف مَدَّ الظِّلَّ رَبُّكَ ! والأجْودُ أَنْ يَكُونَ بمعنى ألم تَعْلَمْ.

وقوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾.

فيها ستة أَوْجُهٍ، نَشْراً بفتح النون، ونُشْراً بِضَمِّهَا، ونُشُراً بضم النُّونِ والشِّينِ، ويجوز بُشْرَى مؤنث بالباء على وزن فُعْلَى، وبُشْراً بالتنوين والباء، وبُشُراً بين يدي رَحْمَتِه، فهذه سِتَّةُ أَوْجُهٍ منها أربعة يقرأ بها. فأما نَشْراً فمعناه إحْيَاءً ينشر السحاب الذي به المطر، الذي فيه حياة كل شيءٍ، ومن قرأ نشُراً فهو جمع نُشُور ونُشُر مثل رسول وَرُسُل، ومن قرأ بالإسكان أَسْكَنَ الشِّينَ اسْتِخفَافاً، فهذه ثلاثة أوجه فِي النُّونِ. فأما الباء فمن نَوَّنَ بالبَاءِ وَضَمِّهَا وَتَسْكِين الشِّين، فإنما هو بِتَسْكين العَيْنِ من قولك بُشْراً، وإذا لم يُنَوِّنْها فألِفَها

(١) سورة البقرة / ٧٤.

للتَّأْنِيثِ. ومن قرأ بُشْراً بالتنوين فهو جمع : يقال: ريح بَشُورٌ، كما قال: ﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّراتٍ﴾ أي تبشر بالغَيْثِ. ومن قرأ بُشُراً ـ بِالضَّمِّ فهو على أَصْلِ الجمع. ومن قرأ بُشْرَى بغير تنوين فهو بمعنى بشارة.

وقوله: ﴿[وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ] مَاءً طَهُوراً﴾.

كل ما نزل من السماء أو خرج من بحر أو أُذِيبَ مِنْ ثَلْج أو بَرِدٍ فهو طهور، قال عليه السلام في البحر: هُو الطَّهُورُ مَاؤُهُ الحِلُّ مَيتَتُهُ.

وقوله: ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً﴾.

ولو كان ميتة لجاز وقيل: «مَيْتاً» ولفظ البلدة مؤنث، لأنَّ معنى البلد والبلدة وَاحِدٌ.

وقوله: ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً﴾.

أَنَاسِيُّ جمع إِنْسِيّ مِثْلُ كُرْسِيَ وكَرَاسِيّ ويجوز أن يَكُونَ جَمعَ إِنْسَان وتكون الياء بَدَلاً من النُّون، الأصل أَنَاسِين بِالنُّون مثل سَرَاحِين.

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّروا ﴾.

أَيْ صَرَّفْنَا المَطَر بَيْنَهُمْ لَيَذَّكَروا، أَيْ لِيَتَفكَّروا في نِعَمِ اللَّه عَلَيْهِمْ فيه، ويحْمَدُوهُ عَلَى ذَلِكَ.

﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إلاَّ كُفُوراً ﴾.

وهم الذين يقولون: مُطِرْنَا بِنوءِ كَذَا، أي بسقوط كوكب كذا، كما يَقُول المُنَجِّمونَ فجعلَهُم اللَّه بِذَلِكَ كَافِرِينَ.

وقوله: ﴿فَلاَ تُطِعِ الكَافِرين وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾.

ويجوز كَثِيراً، والقراءة بالبـاء، ومعنى به أي بِـالحَقِّ، أيي بالقـرآن الذي أنزل إليك وهُوَ الحقُّ.

وقوله عز وجل: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ البَحْرَيْنِ ﴾.

معنى مَرَجَ خَلَّى بَيْنَهُمَا، تقول: مَرَجْتُ الدَّابَّةَ وَأَمْرَجْتُها إذا خليتها تَرْعَى والمَـرْجُ من هذا سُمِّيَ، ويقـال مَرِجَتْ عُهُـودُهُم وَأَمَانَـاتُهُمْ إِذَا اخْتَلَطَتْ. يروى ذلك عن النبي ﷺ.

وقوله: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾.

فراتٌ صفةٌ لِعَـذْبٍ، والفرات أَشَـدُّ المياه عُـذُوبةً، والمعنى هَـذَا عَذْبٌ أَشَدُّ الماء عُذُوبَةً.

﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾.

والأُجَاجُ صفة لِلْمِلْح، المعنى وهذا ملح أَشَدُّ المُلُوحَةِ.

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً ﴾.

البـرْزَخُ الحاجـز فهما في مَـرْأى العين مُخْتلِطَان، وفي قـدرة اللَّه ـ عـز وجل ـ مُنْفَصِلاَنَ لا يختلط أَحَدُهُمَا بالآخرِ.

وقوله عزّ وَجَلَّ: ﴿ وَهُو الَّذِي خَلَقَ مِنَ المَاءِ بَشراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً ﴾.

فـالأصهـار من النسب من يجـوز لهم التَّـزْوِيـجُ، والنَّسَبُ الـذي ليس يُصْهِـر، من قـولـه: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـاتُكُمْ ﴾ إلـى ﴿وأَن تجمعـوا بين الأُخْتَيْن﴾[1].

وقوله: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً ﴾.

---

(١) الآية ٢٣ من سورة النساء.

معنى الظَّهِيرِ المُعينُ، لأنه يتابع الشَّيْطَانَ ويعاونه على مَعْصِية اللَّه، لأنَّ عِبَادَتَهم للأَصْنَامِ معاونة لِلشَّيْطَانِ.

وقوله عز وجل: ﴿الرَّحمنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبيراً﴾.

ويجوز «الرَّحْمَنِ فاسأل»، فمن قال: الرَّحْمَنُ فهو رَفْعٌ من جِهَتَيْن، إحْدَاهما عَلَى البَدَلِ مِمَّا في قوله: ﴿ثم استوى﴾، ثم بَيَّنَ بقوله الرَّحْمَنُ. ويجوز أن يكون ابتداءً و«فاسأل به» الخبر، والمعنى فاسأل عنه خبيراً. ومن قالَ الرَّحْمَنِ، فهو على معنى وتوكل على الحَيِّ الذي لَا يَمُوتُ الرَّحْمَن. صفة للحَيِّ.

وقوله عز وجل: ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾.

وتقرأ يأمرنا، والرحمن اسم من اسماء اللَّه مذكور في الكُتُبِ الأُوَلِ ولم يكونوا يعرفُونَهُ من اسماء اللَّه فقيل لهم إنَه من أسماء اللَّه، ﴿قل ادعوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾[1].

ومعناه عند أهل اللغة ذو الرَّحْمَة التي لا غاية بعدها في الرَّحْمَةِ، لأنَّ فَعْلَانَ بِنَاءٌ مِنْ أَبْنِيَةِ المُبَالَغَةِ، تقول: رَجُلٌ عَطشان وَرَيَّان إذا كان في النهايَةِ في الرِّيِّ والعَطَشِ، وكذلك فَرْحَان وَجَذْلَان وخزيان، إذا كان في غَاية الفرح أو في نهاية الخِزْي.

وقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً﴾.

البروج قيل هي الكواكب العظام، والبَرَجُ تباعَد بين الحَاجِبَيْن، وكل ظاهر مرتفع فقد بَرَجَ، وإنما قيل لها بُرُوج لظهورها وتباينها وارتفاعها.

---

(١) سورة الاسراء الآية ١١٠.

﴿وَجَعَلَ فِيها سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً﴾.

ويقرأ سُرُجاً، ويجوز سُرْجاً بتسكين الـرَّاءِ، مثل رُسُـل ورُسْل، فمن قَـرَأَ سِراجاً عَنَى الشَّمْسَ كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً﴾(١)، ومن قرأ سُرُجاً أراد الشمس والكَوَاكِبَ العِظَامَ مَعَها.

وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ والنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ﴾.

ويقرأ لمن أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ. قال الحسن: من فاته عَمَلُه من التَذكُّرِ والشُّكْرِ كان له في الليل مُسْتَعْتَبٌ، ومن فَاتَهُ بالليـل كان لـه في النهار مُسْتَعْتَبٌ، وقـال أهلُ اللغة خِلفة يجيء هذا في أثر هذا، وأنشدوا قول زُهَيْرٍ(٢):

بهـا العين والآرام يـمشـين خِـلفـة وأطـلاؤهـا يَنْهَضْنَ من كـل مَجْثَمِ

وجـاء أيضاً في التفسيرِ خلفة مختلفـانِ كما قـال اللَّه عز وجل: ﴿إنَّ في خَلْقِ السَّمواتِ والأرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ والنَّهارِ لآيَاتٍ لأُولِي الألْبَابِ. الَّـذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً﴾الآية(٣).

وقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأرْضِ هَوْناً﴾.

أي يمشون بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ وَحِلْمٍ.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا: سَلَاماً﴾.

أي نتسلم منكم سلاماً لا نُجَاهِلُكم، كأنهم قالوا تَسَلُّماً مِنْكُمْ، و «عبادُ»

---

(١) سورة نوح الآية ١٦.

(٢) البيت الثـالث من معلقته، والعين جمـع أعين وعيناء. وهي ذوات العيـون الواسعـة والاسم منه عين ـ كفرح ـ وأراد بها البقر الوحشية، والآرام جمع ريم. وهو الظبي الخالص البياض والاطلاء جمع طلى، وهو ولد البقرة والظبية.

أراد بها الظباء الخالصة البياض ـو المجثم موضع الجثوم، كالمرقد، يـريد يخلف بعضهـا بعضاً أي يأتي قطيع بعد آخر.

(٣) سورة ال عمران الآية ١٩٠، ١٩١.

مَرْفوعٌ بالابتداء، والأحسن أن يكون خبـر الابتداء ههنا مـا في اخر السـورة من قوله:﴿أولئك يُجْزَونَ الغرفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾، كأنه قال: وعباد الـرحمن الذين هـذه صِفَتُهُمْ كلها ـ إلى قوله ـ ﴿وَاجْعَلْنَا للمتَّقِينَ إمَـاماً﴾. ويجـوز أن يكون قـوله ﴿وَعِبَادُ الرحمن﴾ رفعاً بالابتداء، وخبره ﴿الذين يمشون على الأرض هوناً﴾.

وقوله تعالى: ﴿إنَّ عَذَابَها كَانَ غَراماً﴾.

الغَرَامُ في اللُّغَةِ أَشَدُّ العَذَابِ، قال الشاعر:

ويـومَ الـنِّـسَـارِ ويــوم الـجـفـار كـانـا عــذاباً وكـانـا غـرَامـاً[1]

وقوله عز وجل:﴿إنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقاماً﴾.

مستقرًّا ومُقامـاً منصوبـان على التمييز، المعنى أنهـا ساءت في المستقـر والمقام.

وَقَوله: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً﴾.

كل من أدْركه الليل فقد بـاتَ يَبِيتُ، نَامَ أَوْ لَمْ يَنَمْ، بَـاتَ فلانٌ البَـارِحَةَ قَلِقاً، إنما المبيتُ إدْراكُ اللَّيْل.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾.

[يُقْتِرُوا] بضم الياء وكسر التاء، وبفتـح الياء وضم التـاء، ولم يُقَتِّرُوا ولا أعلم أحداً قرأ بها، أعني بتشديـد التاء. والـذي جاء في التفسيـر أن الاسرافَ النَّفَقَةُ في مَعْصِية اللَّه، وأنه لَا إسْرَافَ في الإِنْفَاقِ فيما قَرَّبَ إلى اللَّهِ عز وجل، وكـل مـا أنفق في مَعْصِيَـةِ اللَّه فـإِسْــرافٌ، لأن الإِســراف مجــاوزة الحـدّ

---

(١) هو الطرماح بن حكيم الخارجي. وروايته في اللسان (حجر) كانوا عذاباً وكانوا غراماً، وهو أيضاً في (غرم) وفي الطبري ١٩/ ٢١ ـ وانظر ترجمـة الطرماح في الأغاني ١٢ ص ٣٥ وما بعدها.

والقَصْدِ. وجاء في التفسير أَيْضاً أن الاسراف ما يقول الناسُ فيه فلانٌ مُسْرِفٌ. والحق في هـذا ما ادَّب اللَّه عـز وجل بـه نبيَّهُ ﷺ فقال: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَـدَكَ إلى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾[1].

وقوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾.

«يلق» جزم على الجزاء، وتأويل الأثام تأويـلُ المُجَازَاةِ على الشَّيْءِ. قـال أبو عمرو الشيباني: يقال قد لَقِيَ إثامَ ذلـك أي جــزاء ذلك، وسيبويـه والخليل يذهبان إلى أن معناه يلقى جزاء الإثام، قال سيبـويه جُـزِمَتْ. ﴿يُضَــاعَـفُ لـه العذابُ﴾، لأن مضاعفة العذاب لُقِيّ الإثام[2] كما قال الشاعر[3]:

متى تــأتنــا تلمم بنا فـي ديــارنَــا   تجـد حـطبــاً جـزلاً ونــاراً تـوقــدا

لأن الإتيـان هو الإلمـام، فجـزم تلْمم لأنـه بمعنى تـأتي، وقـرأ الحَسَنُ وَحْدَهُ «يُضَعَّفْ» له لعذاب، وهو جيّـدٌ بالـغٌ، تقول ضـاعفت الشيء وَضَعَّفْتُه، وقرأ عَاصِمٌ: يضاعفُ له العذاب بالـرفع. على تـأويل تفسيـر يلق أَثَامـاً، كأن قائلاً قال مَا لُقِيُّ الإثَام، فقيل يضاعف للإثم العَذَبُ.

وقوله: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾.

ليس أن السَّيِّئَـةَ بعينها تصيـر حَسَنـةً، ولكن التـأويـل أن السَّيِّئَــة تمحى بـالتَّوْبَـةِ وتكتب الحسنة مـع التوبـة، والكافِـرُ يُحْبِطُ اللَّه عَمَلَه ويثبت اللَّه عليه السَّيِّئَات.

وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾.

---

(١) سورة الاسراء / ٢٨.

(٢) يريد أن يضاعف له العذاب بدل من يلق أثاما.

(٣) الشاهد فية وقوع تلمم بدلاً من تأتنا، والشطر الأول ورد في أشعار أخرى كثيرة ولم أقف على قائل البيت.

قيل الزُّور الشِّركُ بالله، وجاء أَيْضاً أَنَّهُمْ لاَ يَشْهَدُونَ أَعْيَادَ النَّصَارَى.

والذي جاء في الزور أَنَّه الشِّركُ بالله، فأما النهي عن شهادة الزُّور في كِتَاب الله فقوله: ﴿ولا تَقْفُ ما ليس لك به عِلْمٌ إنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفؤادَ كُلُّ أولئك كان عنه مَسْئُولاً﴾(١).

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا مَرُّوا باللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾.

تأويله أعرضوا عنه، كما قال الله عز وجل: وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عنه، وتأويل «مروا باللَّغْوِ» مَرُّوا بجميع ما ينبغي أَن يُلْغَى، ومعنى «يُلْغَى» يطرح.

وجاء في التفسير أَنَّهُمْ إذا أرادوا ذكر النِّكَاح كَنَوْا عَنْهُ، وقال بعضُهُم: [هو] ذكر الرفث، والمعنى واحد. وجاء أيضاً أنهم لا يجالسون أَهْلَ اللَّغْوِ وهم أَهْلُ المعاصي، ولا يمالئونَهُمْ عَلَيْها، أَيْ يُعَاوِنُونَهُمْ عليها، وجاء أيضاً في ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ مَجَالِسَ الغِنَاءِ.

وقوله عزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَاناً﴾.

تأويله: إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِم خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيًّا، سَامِعِينَ مُبْصِرِينَ لما أُمِرُوا بِهِ وَنُهُوا عَنْهُ. ودليل ذلك قوله: ﴿وَمِمَّن هَدينا واجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِم آيَاتُ الرَّحْمَنِ خروا سُجَّداً وَبُكِيًّا﴾(٢)، ومثل هذا من الشعر قوله(٣):

بِأَيْدي رِجَال لم يشيموا سُيُوفَهُمْ   ولم يكثروا القتلى بها حين سُلَّتِ

---

(١) سورة الاسراء الآية ٣٦.

(٢) سورة مريم الآية ٥٨.

(٣) أنظر الكامل ١/١٨١ (تجارية) وابن يعيش، وشواهد المغني ٢٩٣ واللسان (خرر).
لم يشيموا لم يغمدوا، والواو في ولم يكثروا للحال، أي لا يغمدون سيوفهم والحال أن القتلى لم تكثر، أي لا يغمدونها إلا وقد كثرت القتلى أو لا يغمدونها دون أن تكثر، والبيت للفرزدق.

تأويله: بأيدي رِجَال شَـامُوا سُيُـوفَهُمْ وقد كثـرت القَتْلَى، ومعنى يشيموا سُيُـوفَهُمْ يَغْمِدوا سُيُـوفَهُمْ، فالتـأويل: والَّـذِينَ إذَا ذُكِّـرُوا بـآيـات رَبِّهِمْ خـرُّوا سَاجِدِينَ مُطِيعِينَ.

وقوله عز وجل: ﴿ هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾.

ويقرأ﴿وذُرِّيَاتِنَا﴾.سألوا أن يُلْحقَ اللَّهُ بهم ذُرِّيَتَهُمْ في الجنَّةِ، وأن يَجعَـلَ أَهلَهُمْ تِقرُّ بِهِمْ أَعْيُنَهُمْ.

﴿واجْعَلْنَا لِلْمتَّقِينَ إمَاماً ﴾.

أي واجْعلنا ممن يَهتَدِي به المتَّقُون، ويَهْتَدِي بِالمتَّقِينَ.

وقوله: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَاؤُكم ﴾.

أي لـولا توحيـدكم إياهُ. وجـاء في التَّفسير مـا يعبـأ بكم مَـا يَفْعَـل بِكُمْ وتأويل ما يعبأ بكم أي: أيُّ وَزْنٍ يكون لكم عنده، كما تقول: مـا عبأتُ بفـلانٍ أي ما كان له عندي وزْنٌ ولا قَدْرٌ. وأصل العِبْء في اللّغَـةِ الثِّقْلُ، ومن ذلـك عَبأتُ المتاعَ جَعَلتُ بعضَه على بعض.

وقوله: ﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُم فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً ﴾.

جاء في التفسير عن الجماعة أَنَّه يُعْنَى به يـومُ بَدْرٍ، وجـاء أنه لُـوزِمَ بين القَتْلَى لـزاماً، وقُـرِئَتْ لَزَامـاً، وتأويله ـ واللَّه أعلم ـ فسـوف يكـون تَكْـذِيبكُمْ لزاماً، يلزمكم فلا تعطون التَّوْبَةُ وتلزمكم العُقُوبَةُ، فيـدخل في هـذا يوم بـدْرٍ، وغيرُه مما يَلْزَمُهم من العذاب.

وقال أبو عبيدة: لزاماً فَيْصَلاً، وهو قريب مِمَّـا قُلْنَا، إلاَّ أن القول أشرَحُ. وأنشد أبو عبيدة لصَخْرٍ أخي الهُذَلِي[١].

---

(١) البيت لصخـر الغي من قصيدة يـرثي بها ابنـاً له يسمى تليـداً. والضمير في «ينجـوا» لحمـارين =

فـإمـا يَـنْجُـوَا مـن حَـتْـفِ أَرْضٍ فقـد لَقِيَـا حتـوفـهـمـا لـزامـاً

وتأويل هذا أن الحتفَ إذا كان مَقَدَّراً فهو لازم، وإن نجا من حَتْفِ مكان لحِقَـهُ فـي مَكَانٍ آخر لاَزِماً لـه لزامـاً، ومَنْ قرأ لَـزاماً [بفتـح اللام] فهـو على مَصْدَر لَزِمَ لَزاماً.

= وحشيين، يقول انهما لن ينجوا من الموت وإن سلما من شر مهلكة مرة فإن هذا لا يـردّ الموت عنهمـا بعد ذلـك ـ والذي في ديـوان الهـزليين ٦٥ جـ ٢ من خـوف أرض، ويـروى من حـوف بالحاء المهملة والحوف الجور، والمعنى واحد. والبيت أيضاً في الطبري ١٩/٣٣، والقـرطبي ١٣/٨٦ واللسان (لزم)

سُورة الشُّعَرَاءِ
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿طسم﴾.

قُـرِئَتْ بإدغـام النـون في الميم ووصل بعض الحـروف ببعض، وقُـرِئَتْ طَسِينْ مِيمِ بتبيين النُّونِ، والوقف على النُّونِ، ويجوز ـ ولا أعلم أَحَداً، قرأه ـ طَسِيماً ـ على أن يُجْعَلَ طسم اسما للسُّورَةِ بمنـزلة قـوله: خَمْسَـةَ عَشَرَ، ولا تجوز القراءة به.

وقوله عز وجل: ﴿ تِلْكَ آياتُ الكِتَابِ المُبِينِ ﴾ .

فيه وجهان أَحَـدُهُمَا على معنى أَنهم وُعِـدُوا بالقـرآن على لِسَانِ مُـوسَى فكـان المعنى هذه آيـات الكتاب الـذي وُعِدْتُم بـه على لسان مُـوسَى، وعلى معنى هـذه آيات الكتـاب المبين. وقد فَسَّـرنا ذلـك فِي أَوَّل سُـورةِ البَقَـرةِ في قوله: ﴿الْم ذلك الكتاب﴾.

وقوله: ﴿ لَعَلَّك باخِعٌ نَفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ .

قال أَبُو عبيـدَةَ: معناه مُهْلِكٌ نفسـك، وقيل قـاتِلٌ نَفْسَـك، وهذا كقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ باخع نَفسَكَ على آثَارِهِمْ﴾ الآية[1].

---

(١) ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلى آثَارِهِمْ إنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ أسفا﴾. سورة الكهف الآية ٦.

وموضع أن النصبُ مفعول له، المعنى فلعلك قاتل نفسَكَ لتَركِهِم الايمانُ، فأعلمه اللّه سبحانه أنه لو أراد أن ينزل ما يضطرهم إلى الطاعة لقدر على ذلك الا أنه ـ عز وجل ـ تعبَّدهم بما يستوجبون به الثَّوابَ مع الإيمان، وأنزل لهم مِنَ الآياتِ ما يتبيَّنُ به لمن قَصْدُه إلى الحقّ[1] فأما لو انْزَل على كل من عَنَدَ عَنِ الحقِّ عذاب في وَقْتِ عُنُودِهِ لَخَضَعَ مضْطَرّاً، وآمن إيمان من لا يَجِدُ مَذهبا عن الإيمان.

وقوله تعالى: ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لها خَاضِعِينَ ﴾.

معناه فتظَلُّ أَعْنَاقُهُمْ، لأن الجزاء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستَقْبَلِ تقول: إنْ تَأتِني أَكْرَمتُكَ، معناه أكْرِمْك، وأن أتيتني وأحْسَنْتَ معناه وتُحسنُ وَتُجْمِلُ.

وَقال ﴿خَاضِعِينَ﴾ وذكر الأعناق لأن معنى خُضوع الأعْنَاقِ هُوَ خضوعُ أصحاب الاعناق. لَمَّا لم يكن الخُضُوعُ إلاَّ لِخُضُوعِ الأعْنَاقِ جاز أن يُعَبِّر عن المضافِ إليه كما قال الشاعر:[2]

رأت مَرَّ السنينَ أَخَذْنَ مِنّي كما أَخَذَ السِّرارُ من الهِلَالِ

لَمَّا كانت السِّنُونَ لا تكون الا بِمَرِّ[3] أخبر عن السّنينَ وإن كان أضاف اليها المُرُورُ، وَمِثْلُ ذلك أَيْضاً قول الشاعر:[4]

---

(١) أي أن الاجبار على الايمان لا يستتبع ثواباً، وإنما يثاب من يؤمن بالتأمل ويهتدي بالاقتناع والارادة.

(٢) هو جرير، والبيت من شواهد النحو وهو في ديوانه ٤٢٦ والطبري ٢٣/٤ بُولاق ومن الابيات الشائعة في كتب النحو، والسرار اختفاء الهلال آخر الشهر وأخذ السرار منه، يعني نحوله كلما دنا لآخر الشهر. والشاهد أنه أعاد الضمير على «السنين» المضاف إليه.

(٣) انما تحدث السنون بمرور الأيام.

(٤) تقدم جـ ٣٦٢/١.

مشين كما اهتزت رياح تَسَفَّهتْ   أعاليها مَرُّ الرياح النَّواسِمِ

كأنه قال تسفهتها الرياح، لما كانت الرياح لا تكون إلا بالمرور، وجاء في التفسير «أَعْنَاقُهم» يُعنى به كبراؤهم ورؤساؤهم، وجاء في اللُّغَةِ أَعْنَاقُهُمْ جَمَاعَاتهم، يقال: جاء لي عُنقٌ من الناس أَيْ جَمَاعَةٌ وذكر بَعْضُهُمْ وجهاً آخَر، قالوا: فظلَّتْ أَعْنَاقُهُم لَهَا خَاضِعِينَ هُمْ، وأضمَرُهم، وَأَنْشَدَ(١)

تــرى أربــاقَــهُــمُ مُــتَــقــلِّدِيــهَــا   إذَا صَــدِئَ الحــديــدُ عَلَى الحُماةِ

وهذا لا يجوز في القرآن، وهو على بَدلِ الغَلَطِ يجوز في الشِّعْرِ، كأنه قال: يرى أرباقهم يرى متقلِّديها، كأنه قال: يرى قوماً متقلدين أَربَاقَهُم فلو كان على حذف هم لكان مما يجوز في الشعر أيضاً(٢).

وقوله عز وجل: ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْباءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

انباء أخبار المعنى فَسَيعلمون نبأ ذلك في القِيامَةِ، وجائز أن يعجل لهم بعض ذلك في الدنيا نحو ما نالهم يَومَ بَدْرٍ.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾.

معنى زوج نوع، ومعنى كريم محمود فيما يحتاج إليه، كمعنى من كل زوج نافع لا يقدر على انباته وإنشائه إلاَّ ربُّ العَالَمِين. ثم قال:

﴿إنَّ في في ذلك لآية﴾.

---

(١) للفرزدق. وهو في ديوانه ١٣١ ومجاز أبي عبيدة ٢/٨٤ ـ وذكر أبو عبيدة أن يونس حكى هذا الرأي عن أبي عَمْرٍو. وعزا الفراء في معانيه ٢٧٧ جـ ٢ مثل هذا للكسائي. والأرباق جمع ربق ـ وهو حبل به عرى تشد به صغار الشاء كيلا ترضع أمها. ويرى الكماه بدل الحماة، والكماة جمع كمي وهو شاكي السلاح ـ والحماة الذين يحمون الحديد. وتقدير الكلام متقلديها هم.

(٢) ظاهر البيت أنه ـ ترى أرباقهم حاله كونهم متقلديها ـ فرّق الفراء بين التعبيرين وقال لو كانت الآية: فظلت أعناقهم خاضيعها لصلح هذا أن يكون شاهداً.

دليلاً على أن اللّه ـ عز وجل ـ واحد وان المخلوقات آياتٌ تـدُلُ عَلَى أن الخالق واحدٌ ليس كمثله شيء.

وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾.

معناه وما كان أكثرهم يؤمن، أي علم اللّه أَنَّ أَكثَرهم لا يؤمِنُونَ أَبداً كما قال: ﴿ولاَ أَنْتُمْ عَابِـدُونَ مَا أَعْبُـدُ﴾[1] أي لستم تعبدون مـا أُعبُدُ الآن ﴿ ولا أنتم عابدون ما أَعْبُدُ﴾[1] فِيمَا يُسْتَقْبل، وكقوله في قصة نُوح عليه السلام: ﴿أَنَّه لن يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ﴾[2]، فأعلمه أن اكثرهم لاَ يُؤمِنُونَ.

وقوله: ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أن ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾.

موضع إذْ نصبٌ، على معنى.. وَاتْلُ هذه القصَّـةَ فيما تَتْلُو، ودليـل ذلك قوله عطفاً على هذه القصة: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نبأَ إِبْرَاهِيمَ﴾.

وقوله: ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلاَ يَنْطَلِقُ لِسَانِي ﴾.

بـالنَّصْبِ والـرَّفْـع[3]، فمن رفـع فعـطفٌ على أَخَـاف، على معنى إني أخـاف. ويضيقُ صدري، وَمَن نَصَـبَ فعـطفٌ على أن يكـذِّبُـونِ، وأن يضيق صدري وأن لا ينطلق لساني. والرفع أكثر في القراءة.

وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هـرونَ﴾.

أي ليعينني ويُؤازِرَني على أمــري، وَحُـذِفَ لأنَّ فــي الكــلام دليــلاً عليه.

قوله تعالى: ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فأخاف ان يَقْتُلُونِ ﴾.

---

(١) سورة الكافرون آية ٣، ٥.

(٢) سورة هود ٣٦.

(٣) في يضيق.

يعني بـالذنب الـرَّجُل الـذي وَكَزَهُ فقضى عليـه، إني أخـاف أن يقتلوني بقتلي إياهُ.

﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا﴾.

كلَّا ردع وزجر عن الاقامة على هَذَا الظَّنِّ، كـأنه قـال: ارْتَدِعْ عن هـذا الظَّنِّ وَثِقْ بالله.

وقوله عز وجل: ﴿فقولا إنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

معنـاه إنا رِسَـالَـةُ رَبِّ العـالمين، أي ذوو رسـالـة رب العـالمين، قـال الشاعِرُ[1]:

لقد كذب الـواشون مـا فهت عِندهم بسـوء ولا أَرْسَـلْتهـم بِـرَسُـولِ

وقوله سُبْحَانَه: ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إسْرَائِيلَ﴾.

موضع «أَن» نَصْبٌ، المعنى أَرْسِلْنا لترسل - أي - لأنْ تُرْسِلَ معنا بني إسرائيل.

﴿قال أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً﴾.

أي مولوداً حين وُلِدْتَ.

﴿ولَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾.

ويجوز من عُمْرِكَ بإسكان الميم، ويجوز من عَمرِكَ بفتح العَيْنَ، يقال:

---

(١) هو كثير عزة، وجاء البيت في شواهد المغني: ما بحت عندهم بليلى، وقد كنى كثير عن عزة باسم ليلى في مطلع القصيدة: ألَا حيا ليلى أَجَدَّ رحيلي ويروى آآن رحيلي - وهي من جياد قصائد كثير وفيها كثير من الابيات السائرة مثل:

أريد لأنسى ذكرها فكـأنمـا تـمثل لـي ليلى بكل سبيل

ويقال انه سرقه من جميل، والبيت في الديوان ٢/٢٤٣، القرطبي ١٣/٢٩٣ والطبري (بولاق) ١٩/٢٣٧ واللسان (رسل) ومجاز أبي عبيدة ٢/١٩٨. ومعناه ما أرسلت إليهم رسالة.

هو العُمْر والعُمُرُ والعَمْر في عُمْر الإنْسانِ، فأما في القَسَمِ فلا يجوز إلا «لَعَمْـرُ اللَّهِ» لا غيـر ـ بفتح العين. ذكـر سيبويـه والخليل وجميـع البصريين ان القسَمَ مفتوح لا غَيْرُ.

فاعْتَدَّ(١) فرعون على موسى بأنه ربَّاه وَليداً منذ وُلِدَ إلى أَنْ كَبِرَ.

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾.

وقرأ الشعبي فِعْلَتَكَ ـ بكسر الفاء ـ والفتح أجود وأكثره لأنه يـريد قتلت النفس قَتْلَتَـكَ على مـذهب المـرّةِ الـواحـدة، وقـرأ الشعبي على معنى وقتلت القِتْلَةَ التي عرفتها، لأنه قتله بوكـزة، يقال: جَلَسْتُ جَلْسَـةً تُرِيـدُ مَرّةً واحـدةً، وجَلَسْتُ جِلْسَةً ـ بالكسر تريد هيئة الجلوس.

﴿وأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

فيه وجهان أحدهما من الكافرين لنعمتِـي، والآخر وأنت من الكافرين بقتلك الذي قتلت، فنفى موسى ﷺ الكفر واعترف بأن فعله ذلك جهلٌ فقال:

﴿فَعَلْتُها إِذَنْ وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾.

أي من الجاهِلِينَ، وقد قرئت وأنا من الجاهلين.

وقوله عز وجل: ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً﴾.

يعنى التوراة التي فيها حكم اللَّه(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمنُّها عَلَيَّ أن عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

أخرجه المفسرون على جهة الانكار أنْ تكون تلك نِعْمةٌ، كأَنَّه قال فـأية نعمة لك عليَّ في أَنْ عَبَّدْتَ بني إسرائيـل، واللفظ لفظ خبر، والمعنى يخـرج

(١) عدّ من نعمه عليه أنه رباه صغيراً.

(٢) الحكم بمعنى الحكمة.

على ما قالوا على أن لفظه لفظ الخبر وفيه تبكيتٌ للمخاطب كأنه قال له: هذه نعمة أَن اتخذت بني إسرائيل عبيداً على جهة التبكيت لِفِرْعَوْنَ[١]، واللفظ يوجب ان موسى ﷺ قال: هذه نِعْمَةٌ لأنك اتخذت بني إسرائيل عبيداً ولم تتخذني عَبْداً. ويقال: عَبَّدْتُ الرَّجُلَ، وَأَعْبَدْتُه، اتخذته عَبْداً. وموضع أن رفع على البَدَلِ من نعمةٍ، كأنه قال: وتلك نِعمةٌ تَعَبُّدُكَ بني إسرائيل وتركك إياي غير عَبْدٍ. ويَجُوزُ أن يكون «أَنْ» في موضع نَصْبٍ، المعنى إنما صارت نِعْمَةً عليَّ لأن عَبَّدْتَ بَنِي إسْرَائيل. أي لو لم تفعل ما فعَلْتَ لكفلني أهلي ولم يَلْقُونِي في اليم، فإنما صارت نِعْمَةً بما فَعَلْتَ من البلاء.

وقال الشاعر في أَعْبَدْتُ اتخذتُ عَبْداً:[٢]

عَلاَمَ يُعْبِدُني قَوْمي وقد كثرت فيهم أَبَاعِرُ ما شاءوا وَعِبْدانُ

وقوله عز وجل: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ العَالَمِينَ﴾.

فأجابه موسى ﷺ بما هو دليل على اللّه ـ جل وعزّ ـ بما خلق مما يعجز المخلوقون عن أن يأتوا بمثله فقال:

﴿رَبُّ السَّمواتِ والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾.

فتحيَّر فرعونُ ولم يَرْدُدْ جَوَاباً يَنْقُضُ به هذا القول، فقال لمن حوله: ﴿أَلاَ تَسْتَمِعُونَ﴾.

فزاده موسى في البيان فقال: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُم الأَوَّلِين﴾.

---

(١) خرجه ابن هشام في المغني على حذف همزة الاستفهام، أراد أوَ تلك نعمة؟.

(٢) البيت للفرزدق. انظر معاني الفراء ٢/٢٧٩، ومشاهد الانصاف ١٣١ واللسان (عبد) جاء البيت مرتين نسبه في الثانية للفرزدق ـ ورواه في الأولى حتام يعبدني قومي. وجاء في الطبري ١٩/٦٩ ـ (ط الحلبي) بدون نسبة.

فلم يجبه أيضاً، فقال: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.

فقال موسى زيادة في الابانة:

﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

فلم يجبه في هذه الأشياء بنقض لحجته.

﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾.

فزاده في البيان واحتجّ بما شاهده هو والملأ من حوله:

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ. قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ، فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾.

والثعبان الكبير من الحيات، فإنْ قال قائل: فكيف جاء، فإذا هِي ثعبان مبينٌ، وفي موضعٍ آخرَ ﴿تَهْتَزُّ كأنها جانٌّ﴾، والجانُّ الصغيرُ من الحيّاتِ، فالجواب في هذا مما يَدُلُّ على عِظم الآية، وذلك أن خَلْقَها خلقُ الثعبان واهتزازُها وحركتها وخفتُها كاهتزاز الجَانِّ وخِفَّتِه(١).

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾.

نَزَعَ يده من جيبه فأخرجها بيضَاءَ بَيَاضاً نُوريًا، مِنْ غَيْرِ سوء، أي من غير بَرَصٍ، فلم يكن عنده دفع لما شَاهَدَهُ إلاّ أن قال: إن هذا سحر فَقَالَ لِلْمَلإِحَوْلَهُ: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾.

فجعل الآية المعجِزَة سحراً، ثم استكانَ وخضع للذين هم من أتباعه فقال:

---

(١) وصفُ العصا بأنها جَانٌّ كان عند ما كلم الله موسى بجانب الطور، فهي هناك ثعبان صغير، وأمام فرعون وقومه حية تسعى.

﴿يُـرِيدُ أَنْ يُخْـرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمـاذَا تَأْمُـرونَ. قَـالُـوا أَرْجِـهْ وَأَخَاهُ﴾.

بكسر الهاء وضمّها، وبالياء والواو[1] أرْجِهي وأَرْجِهُو وأَخَاه.

﴿وابْعَثْ فِي المَدائِنِ حَاشِرِينَ﴾.

فمعنى «أَرْجِـهُ» أَخِّـرْهُ، وجـاء في التفسيـر احْبِسْـهُ وأخـاه، والمعنـى واحِدٌ وتأويله أَخِّره عن وقتك هـذا وأَخِّرْ اسْتِتْمـامَ مُنَاظَـرتِه إلى أن يجتمـع لك السَّحَرةُ.

وقوله: ﴿فجُمِعَ السَّحرةُ لِميقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾.

فغنيّ عن أن يقول فبعث فجمع السَّحرة[2].

وقوله: ﴿قالَ نَعَمْ وَإنَّكُمْ إذَنْ لَمِنَ المقَرَّبِينَ﴾.

أي لكم مـع أجْـرَتِكم وجـزائكم على غلبتِكُمْ مـوسى إن غلبتمـوه مـع الفـائدة، القـربى والزُّلْفَى عنـدي، ويقرأ أئن لنـا لأجراً على جهـة الاستفهام، ويجوز إن لنا لأجراً ـ على غير الاستفهام. وعلى جهة الثّقَةِ مِنْهُمْ به، قَـالُوا إنَّ لَنَا لأَجْرَاً.

أي إنّك مِمَّن يَحْبُونا وَيُجَازِينَا.

﴿فَأَلْقَوْا حِبَـالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وقالـوا بِعِزَّةِ فِـرْعَوْنَ إنَّـا لَنَحْنُ الغَالِبُونَ. فَـأَلْقى مُوسَى عَصَاهُ فَإذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾.

أي ممـا جَمَعُوا من كيـدهم وعِصِيّهمْ. ورُوِي عَنْهُمْ أَنهم[3] كـانـوا اثني

(١) قراءة حفص أرجهْ بسكون الهاء.

(٢) استغنى الكلام عن ذلك.

(٣) في الأصل أنه.

عشر ألف ساحر، فنُصِرَ موسى عليه السلام أكثرَ ما كانَ السِّحرُ وأَغْلَبُه على أَهْلِ ذلك الدَّهر، وكانت آيتُهُ آيةً باهرةً من جهتين، إحداهما أنه أتى بما يعجِزُ عنه المخلوقون، والثانية أن السحرة، وعَدَدُهم هذا العَدَدُ أُلْقُوا سَاجِدينَ.

﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ العَالَمِينَ﴾.

فَسَلَّمُوا الأَمْرَ للَّهِ وتبيَّنَ لهم ما لا يُدْفَعُ. وكذلك بعث النبي ﷺ أشعرَ ما كانت العرب وأخطب ما كانت وأبلغِ ما كانت[1] فدعاهم الى الايمان باللَّه مع الآيات التي أتى بها النبي ﷺ وبالقران الذي دعاهم إلى أن يأتوا بسورَة مِثله فعجزوا عن الإتيان بسورة مثله.

ويروى أيضاً انّ السَّحَرَةَ كانوا تسعَة عَشَرَ أَلْفاً.

وقوله: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

اللام دخلت على سوف بمعنى التوكيد، ولم يُجِزِ الكوفيون: إنَّ زيد لَسَوفَ يَقوم، وقد جاء دخول اللام على سوف، وذلك أن اللام مُؤَكِدَةً.

وقوله عز وجل: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾.

وروي في التفسير أن أول من قطَّع وصَلَّب فرعونُ.

﴿قَالُوا لَا ضَيْر إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾.

أي لا ضرر علينا فيما ينالنا في الدنيا مع أملنا للمغفرة.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) اي والعرب أبلغ وأخطب ما كانوا ـ لم يكونوا في وقت من الأوقات أبرع في القول مما كانوا في هذا الوقت.

بفتح «أن» أي لِأَنْ كنا أوّل المؤمنين، وزعم الفراء أنهم كانوا أوّل مُؤمِني أهل دَهْرِهِمْ، وَلَا أحسبه عرف الرواية فِي التفسير لأنه جاء في التفسير أن الذين كَانُوا مَعَ موسَى عليه السلام ستمائة ألف؛ وقيل ستمائة ألف وسبعون ألفاً، وإنما معنى ﴿أَنْ كُنَّا أَوَّلَ المؤْمِنين﴾. أي أول من آمن في هذه الحال عند ظهور آية موسى حين ألقوا حبالهم وعصيَّهم واجتهدوا في سِحْرِهم، ويقال: لا ضير ولا ضَوْرَ، في معنى لا ضرَّ ولا ضَرَرَ.

وقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾، يقال: أسرى يُسْري إذا سار لَيْلًا، وَسَرَى يَسْرِي، قيل هو في معنى أَسْرَى يُسْري أيضاً.

وقوله: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾.

أي أرسل من جمع له الجيش، معناه فجمع جمعَه، فقال:

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾.

والشرذمة في كلام العرب القليل، يُروى أن هؤلاء الذين سَمَّاهُمْ شرذمةً كانوا ستَّمائةِ أَلْفٍ وسَبْعِينَ ألفا، وكانت مقدمَةُ فرعون سبعمائة ألف كلُّ رَجُلٍ منهم على حِصَانٍ، وعلى رأسه بيضة، فاستقل من مع موسى عليه السلام[1] عند كثرة جمعه، وقال «قليلون» فَجمعَ «قَلِيلًا» كما يقال: هؤلاء واحدون فيجمع الواحد، كما قال الكميتُ:

فقد رَجَعُوا كحيٍّ واحِدِينا[2]

وقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾.

---

(١) اعتبر فرعونُ قوم موسى عدداً قليلاً.

(٢) صدر البيت: فضم قواصي الأحياء منهم.
اللسان (وحد).

يقال قد غاظني فلانٌ، ومن قال أغاظني فقد لَحَن.

وقوله: ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ ﴾.

ويقرأ حَاذِرُون، وجاء في التفسير أن معنى حَاذِرُون، مُؤْدُونَ أي ذَوُو أداة، أي ذَوُو سِلَاحٍ والسلاح اداة الحرب، فالحاذر المستعدُّ، والحذِرُ المتيقِّظُ.

وقوله تعالى: ﴿ فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴾.

أي في وقت شروق الشَمس، يقال أشرقنا اي دَخَلْنَا في وقْتِ طلوع الشمس، ويقال شرقت الشَّمْسُ إذا طلعت، وأشرَقَتْ إذا أضاءت وصَفَتْ، وأشرقنا نحن دخلنا في الشروق.

وقوله: ﴿ فلما تراءى الجمعانِ ﴾ أي لمَّا واقف جمعُ موسى جمعَ فرعونَ وكان أصحاب موسى قد خَرجُوا ليلاً، فقال أصحابُ مُوسى: ﴿ إنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ أي سيُدْرِكُنَا جَمعُ فرعَوْنَ هذا الكثيرُ، وَلَا طاقة لَنا بِهِمْ.

﴿قَالَ كَلَّا إنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾.

أي قال موسى كلا أي ارتدعوا وازدجروا فليس يدركوننا.

وقوله عز وجل: ﴿ فأَوْحَيْنَا إلَى مُوسَى أن اضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كلُّ فِرْقٍ ﴾.

أي كُلُّ جزءٍ تَفرّقَ مِنْهُ.

﴿كالطَّوْدِ العَظِيم ﴾.

أي كالجبل العظَيم.

وقوله: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ ﴾.

أي قَرَّبْنَا ثَمَّ الآخرين مِنَ الغَرقِ، وهم أصحاب فرعون ـ وقال أبو عبيدة: أَزْلَفْنَا جمعنا ثَمَّ الآخرين، قال ومن ذلك سميت مُزْدَلفة جمعاً، وكلا القولين حسنٌ جميل، لأن جمعهم تقريب بَعْضِهِم من بَعْضٍ وأصل الزُّلْفَى في كلام العرب القُرْبَى.

قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾.

معناهُ خَبَرَ إبْراهيم.

وقوله: ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾.

معناه مقيمين على عِبَادَتِها.

وقوله: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾.

إن شئت بَيَّنْتَ الذال، وإنْ شِئْتَ أَدْغَمْتَها في التاء فجعلتها تَاء فقلت «إِتَّدْعُونَ»، وهو أجود في العربية لقرب الذال من التاء، ويجوز إِذَّدُعونَ، ولم يُقْرأ بها كما قال مُدَّكِر، وأصله مُذْتَكِرْ.

وقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

قال النحويون: إنَّهُ اسْتِثْناء ليس من الأول، أي لكن ربُّ العالمين، ويجوز أن يكونوا عبدوا مع اللَّه الأصنام وغيرها، فقال لهم: إن جميع من عَبَدْتُمْ عَدُوٌّ لي إلاَّ ربَّ العَالَمِين لأنهم سوَّوْا آلهتهم باللَّه فأَعْلَمَهُمْ أنه قد تبرأ مما يَعْبُدونَ إلاَّ اللَّهَ فإنه لم يَتَبرَّأ من عبادته.

وقوله: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾.

جاء في التفسير أن خطيئته قوله: إن سَارَّة أُخْتي، وقوله بل فعله كبيرهم هذا فَاسْأَلُوهُمْ.

وقوله: ﴿ فَقَالَ إنّي سَقِيمٌ ﴾.

وقد بيَّنا معنى قوله: ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾.

ومعنى خطيئتي أن الانبياء بَشَرٌ، وقد يجوز أن يقع عليهم الخطيئة الا أنهم صلوات اللّه عليهم لا تكون منهم الكبيرة لأنهم مَعْصُومون مُخْتَارُون على العالمين كل نبي هو أفضل من عالم أهل دَهْرِه كُلِّهِمْ.

قوله: ﴿واجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾.

معناه اجعل لي ثناء حسناً باقياً إلى آخر الدهر.

وقوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ الجنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

معناه قُرِّبَتْ، وتأويله أنه قرب دخولهم إياها، ونظرهم إليها.

قوله: ﴿ وَبُرِّزَتِ الجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾.

أي أُظْهرت لِلضّالِّينَ، والغَاوي الضّال.

وقوله: ﴿فكُبْكِبُوا فِيهَا﴾.

أي في الجحيم، ومعنى كُبْكِبُوا طُرِحَ بعضُهم على بعْضٍ، وقال أهل اللُّغَةِ معناه هُوِّرُوا[1]، وحقيقة ذلك في اللغة تكرير الانكباب كأنه إذا أُلْقِيَ يَنْكَبُّ مَرَّةً بعد مرَّةٍ حتى يسْتَقِرَّ فيها يَسْتَجِيرُ باللّهِ منها.

وقوله: ﴿تَاللَّهِ إنْ كُنَّا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ. إذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

معناه واللّه ما كنّا إلاَّ في ضلالٍ مبين حيث سويناكم باللّه ـ عز وجل ـ فأعظمناكم وعبدناكم كما يُعْبَدُ اللّهُ[2].

---

(١) هوَّرَ الرجل ـ كعلّم ـ صرعه، وهور البناء هدمه.

(٢) لا وجه للقصر في هذا التعبير، وإن هي المخففة أي إنه الحال والشأن لقد كنا في ضلال.

وقوله عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾.

دَخَلَتْ التاء وقوم نوح مُذَكَّرونَ، لأن المعنى كذبت جماعةُ قَوْمُ نوح، وقال المرسلين، ويجوز أَنْ يَكُونُوا كذَّبُوا نوحاً وحْدَهُ، ومن كذب رَسُولاً واحِداً من رسل اللّه فقد كذَّب الجماعة وخالفها، لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل، وجائز أن يكونَ كذبَتْ جميع الرُّسُلِ.

وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾.

وقيل أَخوهم لأنه منهم، وكلِ رسول يأتي بلسان قَوْمِه ليوضح لهم الحجَّةَ ويكون أَبْينَ لهم.

وقوله: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾.

ويقرأ وأَتْباعُكَ الأَرْذلون، وهي في العربية جَيِّدةٌ قَويَّةٌ لأنّ واو الحال تصحبُ الاسماءَ أكثَر في العربية، لأنك تقول: جئتُكَ وَأَصْحَابُكَ الزيدُونَ، ويجوز: وَصَحِبَكَ الزَّيْدُونَ، والأكثر جئتك وَقَدْ صَحِبَكَ الزيدون، وقيل في قوله: الأَرْذَلُون: نسبوهم الى الحياكةِ والحجامَةِ، والصناعات لا تَضُرُّ في باب الدِّيَانَاتِ[١].

وقوله: ﴿مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾: أي بالحجارة.

وقوله: ﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾.

واحدها فَلَك وجمعها فُلْك، وزعم سيبويه أنه بمنزلة - أَسَدٍ وَأُسْدٍ، وقياس فُعْلٍ قياس فَعَل، أَلا ترى أنك تقول قُفْل وأقفال وجمل وأجمال، وكذلك أَسَدٌ وأُسْدٍ وآسَادٍ، وفَلَك وفُلْك وأَفْلاَك في الجمع - والمشحون المملوء، يقال شحنته أي ملأتُه.

---

(١) الرذل كضخم، والرذال - كغراب - والرّذيل - الدون الخسيس أو الرديء من كل شيء.

وقوله عز وجل: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾.

يقرأ رِيع ورَيْع ـ بكسر الراء وفتحها ـ وهو في اللغة الموضعُ المرتفع من الأرض ومن ذلك كَمْ رَيْعُ أَرْضِكَ، أي كم ارتفاع أَرْضِكَ، جاء في التفسير: ﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾ كل فَجّ والفَجّ الطريق المُنْفَرِجُ في الجبل، وجاء أيضاً بِكل طريق، وقوله ﴿آية﴾: عَلاَمَةً.

وقوله: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾.

واحد المصانع مَصْنَعةٌ وَمَصْنَعٌ، وهي التي تتخذ للماء، وَقِيلَ مَبَانٍ ومعنى لعلكم تخلدونَ أي لِأَنْ تَخْلدوا، أَيْ وتتخذون مباني للخلودِ لا تتفكرون في الموتِ.

وقوله: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾.

جاء في التفسير أَنَّ بطْشَهم كانَ بالسَّوطِ والسَّيْفِ، وإنما أنكر ذلك عليهم لأنه ظلم، فأما في الحق فالبطش بالسوط والسيف جائز.

وقوله عز وجل: ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُها هَضِيم﴾.

الهضيم: الداخل بعضه في بعض، وهو فيما قيل أنّ رُطبَهُ بغير نوًى، وقيل الهضيم الذي يَتَهشَّمُ تَهَشُّماً، والهضيم في اللغة الضامِرُ الداخل بعضه في بعضٍ ولا شيء في الطلع أبلغ من هذا.

وقوله: ﴿فَرِهِين﴾.

جاء في التَفسير أَشِرِين وجاء في التفسير مَرِحِين، وقرئت ﴿فَارِهين﴾ ومعنى فَارِهين حاذقين. و «فرهين» منصوب على الحال.

وقوله: ﴿مِنَ المُسَحَّرِينَ﴾.

أي مِمَّن لـه سَحْر، والسَّحْـرُ الـرئـةُ، أي إنمـا أَنْتَ بَشَرٌ مِثْلُنَـا، وجائز أن يكون من المسحرين من المفَعَّلِينَ من السِّحْر أي ممن قد سُحِرَ مرَّةً بعد مَرَّةً.

وقوله: ﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ خَلْقُ الأَوَّلِينَ ﴾.

ويقرأ ﴿خُلُق الأوَّلِينَ﴾، فمن قـرأ خُلُق الأوَّلِين بِضَمِّ الخَـاءِ فمعنـاه عادَةُ الأولين، ومن قرأ خَلْقُ بفتح الخاء، فمعنـاه اخْتِلاقُهُمْ وَكَـذِبُهُـمْ. وفي ﴿خَلْقُ الأولين﴾ وجه آخر، أي خُلِقْنَـا كما خُلِقَ من كـان قَبلَنَا، نحيـا كما حَيُوا، ونموتُ كما ماتوا وَلاَ نُبْعَثُ، لأَنَّهُمْ أنكروا البعث.

وقوله: ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً﴾.

معناه احكم بيني وبينهم حكماً، والقاضي يسمى الفَتَّاحُ مِن هذا.

قوله عز وجل: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ المُرْسَلِينَ﴾.

الأيكـةُ الشجر الملتَفُّ، ويقـال أيكةٌ وَأَيْـكٌ، مثـل أجَمَـةٌ، وأَجَمٌ والفصـل بين واحـده وجمعـه الهـاء. ويقـال في التفسيـر إن أصحـاب الأيكة هؤلاء كانوا أصحاب شجر مُلْتَفٍّ، ويقال إن شجرهم هو الدَّومُ، والـدَّوْمُ هو شجـر المُقْلِ، وأكثـر القـراء على إثبـات الألف والـلام في الأيكة، وكذلك يَقرأ أبو عمرو وأكثر القرّاءِ، وقرأ أهل المدينة أصحابُ لَيْكة مفتوحة الـلام[1]، فإذا وَقَفَ على أَصْحَـاب، قَالَ ليكَة المـرْسَلِين، وكذلك هي في هذه السُّورَةِ بغير ألف في المصحف، وكذلك أيضاً في سورة (ص) بغير ألف وفي سَائِر القـرآن بألف. ويجـوز وهو حسن جـدًّا: «كذَّبَ أصحاب آلأيكة المُرْسَلِينَ» بِغَيْـر ألف في الخطِّ على الكسر، على

(١) واعتبرت أيضاً ممنوعة من الصرف ففتح آخرها لأن «ال» تنوسِيَتْ.

أن الأصل الأيكة فَأُلْقِيَتِ الهَمْزَةُ فقيل لَيْكَةِ، والعرب تقول الاحمر جاءني، وتقول إذا أَلْقَتْ الهمزة لَحْمَرُ جاءَ في بفتح اللاَّم وإثبات ألف الوصل، ويقولون أيضاً: لاحْمر جاءني يُرِيدُون الأحمر، واثبات الألف واللام فيهما في سائر القرآن يدل على أنَّ حَذْفَ الهمزة منها التي هي ألف الوصل بمنزلة قولهم لَاحمر.

قال أَبُو إسْحَاق: أعني إنّ القَراءَةَ بِجرّ لَيْكَةِ، وأنت تريد الأيكَةِ واللام، أجود من أَنْ تَجْعَلَها لَيْكة، وأنت لا تقدّرُ الألفَ واللامَ وَتَفتَحُها لأنها لا تَنْصِرُفُ، لأنَّ لَيْكة لا تعرفُ وَإنما هي أيكةُ للواحِد وأيك للجمع، فأجود القراءة فيها الكسر، وإسقاط الهمزة لموافقة المصحف، وأهل المدينة يفتحون على ما جاء في التفسير أن اسم المدينة التي كانت للذين أرسل إليهم شُعَيبٌ عليه السلام «لَيْكَةُ». وكان أبو عُبَيْدْ القاسم بن سلام يختار قِراءةَ أَهْلِ المدينة والفَتْحَ، لأن لَيْكَة لا تنصرف، وذَكر أنه اختار ذلك لِمُوَافَقَتِها الكتاب مع مَا جَاءَ في التفسير، كأنها تسمى المدينة الايكة، وتسمَّى الغيضَةُ التي تَضَمُّ هذا الشَّجَرَ الأيكة. والكسر جَيّدٌ[1] على ما وصفنا، ولا أعلَمُه إلاَّ قد قرئَ بِهِ.

وقوله: ﴿ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾.

الظُّلَّةُ سحاب أَظَلَّتْهُم، فاجتمعوا تحتَها مستجيرين بها مما نالهم من حَرِّ ذلك اليوم ثُمَّ أَطْبقَتْ عَلَيْهِمْ فَكان من أعظم يوم في الدنيا عَذَاباً.

﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

---

(١) أي جر الأيكة لمراعاة تعريفها بالألف واللام.

ولو كان في غير القرآن لجاز عَظيماً، والجرُّ أَجْوَدُ كَمَا جَاءَ به القرآنُ.

وقوله: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾.

وقرأ ابن مَسْعُودٍ مَا أَصْلَحَ لَكُمْ رَبُّكُمْ من أزواجكم، يعنى به الْفُرُوجُ، وعلى ذلك التفسير. وذلك أَنَّ قومَ لُوطٍ كانوا يَعْدِلُونَ في النساء عن الفروج إلى الأدْبَارِ، فأعلم اللَّهُ عز وجَلَّ أَنَّهُمْ بفعلِهم هذا عَادُونَ.

وعادون ظالمونَ غاية الظُّلْمِ.

ويروى أنّ ابنَ عُمَرَ سئل عن التّحمِيضِ، فقال: أَوَ يفْعَل ذلكَ المُسْلِمُون والتحميض فعل قوم لوط بالنّساء والرجال. ومن أجاز هذا في النساء فمخطئٌ خطأ عَظِيماً.

وقوله: ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ القالين﴾.

والقالي التارك للشيء الكاره له غاية الكراهة.

وقوله: ﴿إلاَّ عَجُوزاً فِي الغَابِرِينَ﴾.

جاء في التفسير في الباقين في العذاب، والغابر في اللغة الباقي وأنشدوا للعجاج[1].

فما ونى محمدٌ مُذْ أَنْ غفَرْ ... لَهُ الإلَهُ ما مَضَى وَمَا غَبَرْ

---

(١) الرجز للعجاج وهو في ديوانه ص ١٥ ـ والقرطبي ٢٤٦/٧ والطبري ١٩٨/١١، ١١٢/١٦ (بولاق) ـ وهو يمدح به عمر بن عبد اللّه بن معمر ـ ومحمد يعني به رسول اللّه ﷺ وهو يعني أنه ﷺ غفر اللّه له ما تقدم وما تأخر، ولم يقصر في عبادته.

وأنشدوا للعجَاجِ[1]:

لا تَكَسَعِ الشولَ بأغبارها ... إنَّك لا تَدْرِي مَن النَّاتِجُ

أغبارها ما بقي من اللبن في أخلاف الناقَةِ.

وقوله عز وجل:﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾.

ويقرأ نَزَّل به الروحَ الأمِينَ، المعنى نزل اللَّه به الروحَ الأمينَ، والروح الأمين جبريل عليه السلام.

وقوله: ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾.

مَعْنَاهُ نَزَل عَلَيك فوعاه قَلْبُكَ وَثَبَتَ فلا تنساهُ أَبداً ولا شيئاً منه، كما قال عز وجل: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنْسَى﴾[2].

وقوله: ﴿وإنَّهُ لَفِي زُبُر الأوَّلِينَ﴾.

تأويله واللَّه أعلم أنَّ ذِكرَ مُحمَّدٍ عليه السلام وذكر القرآن في زُبُر الأولين، والزُّبُر الكُتُب، زَبُورٌ وَزُبُرٌ مثل قولك رَسُولٌ وَرُسُلٌ كما قال اللَّه عزَّ وجل: ﴿يَجِدُونَه مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ والإنْجِيلِ﴾[3].

وقوله عزَّ وجل: ﴿والجِبِلَّةَ الأوَّلِينَ﴾.

---

(١) الشعر للحرث بن حلزة ـ والمضارع مجزوم بلا الناهية ـ وكسع الناقة أن يترك في ضرعها بقية من لبن ـ والعرب تقول: كسع الناقة بغبرها والغبر هو هذه البقية. والشَّوْل جمع شائلة وهي التي بلغت سبعاً، يقول لا تترك شيأً من لبن الناقة بل احلبها للضيف، فقد يستولي عليها عدوك فيبوء دونك بنفعها ـ فهو اذن ناتجها. وانظر اللسان (غبر ـ كسع ـ نتج). ومعاني الفراء ٢/٢٨٢، والقرطبي ١٣٣/٣، ونسبته للعجاج غير جيدة.

(٢) سورة الأعلى آية ٦.

(٣) سورة الأعراف من الآية ١٥٧.

عطف على الكاف والميم[1]. المعنى اتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُم وخلق الجِبلَّة الأوّلِينَ، ويقرأ والجُبُلَّةَ بضم الجيم والباء، ويجوز: والجِبْلَة الأولين والجُبلة الأوّلين. فأما الأوْلَيَانِ فالقراءة بهِمَا، وهاتانْ جائزتان.

قوله: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِنَ السَّمَاءِ﴾ - وكِسْفاً - يُقْرأ بهما جميعاً.

فمن قرأ كِسْفاً - بإسْكانِ السِّينِ - فمعناه جانباً، وَمَنْ قَرأ كِسَفاً فتأويله قِطَعاً من السماء جمع كِسْفَة وكِسَف، مثل كِسْرة وكِسَر.

وقوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ [عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ]﴾.

إذا قلت يَكُنْ فالاختيار نصب ﴿آيةٍ﴾، ويكونُ ﴿أَنْ يَعْلَمَه﴾ اسم كان ويكون آيةً خبر كان، المعنى أو لم يكن عِلْمُ علماء بني إسرائيل أن النبي عليه السلام حق وأنَّ نبوَّتَه حقٌّ آيةً؟ أي علامة موضِّحةً، لأن العُلَمَاءَ الذين آمنوا من بني اسرائيل وجدوا ذكر النبي عليه السلام ﴿مكتوباً عِنْدَهُمْ في التوراة والإنجيل﴾ كما قال اللّه عز وجل[2]. ومن قرأ أو لم تَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ - بالتاء - جعل «آيـة» هي الاسم، و«أن يَعْلَمَه» خبر يكن، ويجوز أيضاً أو لم تَكُنْ لهم آيَةً بالتاء ونصب آية كما قال عز وجل: ﴿ثم لم تكن فِتْنَتهم إلا أَنْ قَالوا﴾[3]، ومثله قول لبيد[4]:

فمضى وقدمها وكانت عادةً ... منه إذا هي عَرَّدَت أَقدامُهَا

---

(١) الآية: ﴿واتقوا الَّذِي خَلَقَكُمْ والجِبِلَّةَ الأوَّلِينَ﴾ فالجبلة عطف على الضمير المنصوب في خلقكم.

(٢) في الآية السابقة من سورة الأعراف ١٥٧.

(٣) سورة الأنعام /٢٣.

(٤) من معلقته يصف عَيْراً وأُتُناً تعدو نحو الماء، والفاعل في مضى العير والضمير في قدمها=

فنصب «عادة» وقد أنّث «كَانَتْ» وهي للأقدام، لأن الاسم والخبر في كان لشيء وَاحِد وقد جَاوَرَ الفعلَ لفظ التأنيث.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ﴾.

﴿الأعجمين﴾ جمع أعجم، والأنثى عجماء، والأعجم الذي لا يفصح، وكذلك الأعجميُّ، فأما العَجَميُّ فالذي من جنس العَجَم، أَفْصَحَ أو لم يفصح.

وقوله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ المُجْرِمِينَ﴾.

أي سلكنا تَكذِيبَهُم به في قُلُوبهم، جعل اللّه - عز وَجَلَّ - مُجازَاتَهُمْ أَنْ طَبَعَ على قلوبهم وَسَلك فِيها الشِّركَ.

﴿لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ﴾.

أخبر عز وجل أنه لما سلك في قلوبهم الشرك منعهم من الإيمان به.

وقوله عز وجل: ﴿فَيأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾: معنى بغتة فجاءةً.

وقوله: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إلاَّ لها مُنْذِرُونَ. ذِكْرَى﴾.

[ذكرى] يكون نَصْباً ويكون رَفْعاً إلاَّ أن الإعراب لا يظهر فيها لأن آخرها ألف مَقْصُورَة، فمن نَصَبَ فعلى المصدَرِ ودَلَّ عَلَيْه الإنذارُ لأن قوله: ﴿إلاَّ لها مُنْذِرُونَ﴾ معناه إلاَّ لها مُذَكِّرونَ ذكرى، ويجوز ان تكون

= للأتان، أي مَضَى العَيْر نحو الماء وقدم أتّناه، وكانت عادتُه أن يقدّم الأتان إذَا تراخت. وهو معنى عرّدت. والتأخير الجبن والتأخر، والاقدام مصدَر أَقْدَم بِمَعْنَى قَدَّم، وأنث الفعل لما ذكر المصنف أو لأن الاقدام بمعنى التقدمةِ - كما قال الآخر: غفرنا وكانت من سَجِيَّتِنا الغَفْرُ، أي المغفرة. وإقدامها اسم كان وعادة هي الخبر - انظر شرح الزوزني. ص ١٠٤ ط صبيح.

في موضع رفع على معنى إنْذَارُنَا ذِكْرَى، على خَبَـرِ الابْتِداء، ويجوز ذِكراًوما كنا ظالمين، مُنَوَّنٌ ولا أعلم أَحَداً قرأ بها، فلا تقرأنَّ بها إلاَّ أنْ تثْبتَ بها رِوايةٌ صَحِيحَةٌ، يقال: ذَكَّرْتُه ذِكرَى بألف التأنيث وذكرته ذِكْراً وَتَذْكيراً وَتَذْكِرَةً وذَكْراً، وهو مِنِّي عَلَى ذُكْرٍ لَا غَيْرُ.

وقوله: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾.

وقرأ الحسن الشَّيَاطُونَ، وهو غَلَطٌ عِنْدَ النحويين، ومخَالَفَةٌ عند القراء للمصحف. فليس يجوز في قراءة ولا عند النحويين، ولو كان يجوز في النَّحْو، والمصحفُ على خلافه لم تَجُزْ عندي القراءةُ به.

وقوله: ﴿إنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾.

لمَّا رُمُوا بالنجوم مُنِعُوا من السَّمْعِ.

وقوله عز جل: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِينَ﴾.

يُرْوَى في التفسير أنَّه لما نزلت هذه الآية نادى النبي ﷺ: يا بني عبد المطلب، يا بني هاشم، يا بني عبد مناف يا عباسُ عَمَّ النبي يا صَفيَّةُ عَمَّةَ رسول اللَّه، إني لا أملك لكم من اللَّه شيئاً، سَلُونِي من مَالِي ما شِئْتُم. ويروى أَيْضاً أنه لما نزلت هذه الآية صَعَدَ الصَّفَا، وَنَادَى الأقربَ فالأقْرِبَ فخذاً فَخذاً.

وقوله عز وجل: ﴿واخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبعكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

تأويله: أَلِنْ جَنَاحَكَ، أُمِرَ النبي ﷺ بالإنَةِ الجانب مَعَ مَا وَصَفَهُ اللَّه به من لين الخلق وتعظيم خُلُقِه فِي اللِّينِ وجميل الأخلاقِ، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] ﷺ.

(١) سورة «ن» الآية ٤.

وقــولــه: ﴿الَّـذِي يَـرَاكَ حِينَ تَقُــومُ وَتَقَلُّبَـكَ في السَّــاجِـدِينَ﴾.

أي المصلين.

وقوله: ﴿هل أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾.

ثم أنبأ فقال: ﴿تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيم﴾.

لأنـه عز وجـل قال: ﴿وإنـه لَتَنْزِيـلُ رَبِّ العَـالَمِينَ﴾ ثم قـال ﴿نَـزَلَ بـه الرُّوحُ الأمِينُ..﴾ و﴿ما تنزلت به الشَّيَاطِينُ﴾ كالمتَّصِـلِ بهذا، ثم أعلم أن الشياطين تَنَزَّلُ على كل أَفَّاكٍ أثيم، أي على كل كَذَّابٍ، لأنها كانت تأتي مُسَيْلِمَـةَ الكذَّابَ وَغَيـرَهُ من الكَهَنَةِ فيلقـونَ إلَيْهِـم وَيَزِيـدُونَ أولئكَ كَذِباً[1].

وقوله عز وجل: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ﴾.

ويجـوز يَتْبَعُهُـم - بالتشـديد والتخفيف - والغـاوونَ الشَّيَـاطِين في التفسيـر، وقيل أيضـاً الغاوون من النـاس، فـإذا هجـا الشـاعِـرُ بمـا لا يجوز، هَوِيَ ذلك قَوْمٌ وأَحَبُّوه، وَهُمْ الغاوونَ، وكذلك إن مَدَح مَمْدوحاً بما ليس فيه أَحَبَّ ذَلِك قَومٌ وتابَعُوه فهم الغاوون.

وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾.

ليس يعنَى بِـهِ أَوْدِية الأرْض، إنمـا هو مثـل لقولهم وشعرهم، كما تقول في الكلام: أنا لك في وادٍ وَأَنْتَ لي في وادٍ، وليس يُريدُ أنك في وادٍ من الأرْضِ، إنما يريد أنا لَكَ في وادٍ مِنَ النفع كبيـرٍ وأنت لي في صِنْفٍ. والمعنى أنهم يَغْلُونَ في الـذَّمِّ والمَـدْحِ، وَيُكَـذِّبُـونَ. ويمـدَحُ [الشَّاعِرُ] الرجلَ بِمَا لَيْسَ فيه، وكذلك الذَّمُّ فيَسبُّونَ، فذلك قوله:

---

(١) تزيد الشياطين هؤلاء القوم كذباً.

﴿في كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾.

وهـذا دليـل على تكـذيبهم في قَـوْلِهِمْ. ثم استثنى - عـز وجـل - الشعـراء الذين مَـدَحُـوا رسـول اللّه ﷺ وَرَدُّوا هجـاءَ مَنْ هجـاه وهجـا المسلمين فقال:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثيراً﴾.

أي لَمْ يَشْغَلْهم الشِّعْـرُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَـزَّ وَجَلَّ ولم يجعلوه هِمَّتَهُمْ، إنَّمَا نـاضَلُوا عن النبي ﷺ بِـأَيْـديهم وَأَلْسِنَتِهِمْ، فَهَجَـوْا من يستحق الهجاءَ وأحقُّ الخلقِ بالهجاء من كذَّب رسول اللّه ﷺ وهجاه، فقال:

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كثيراً وانتصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾.

وجاء في التفسير أن الذين عُنُوا بـ ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ عبـدُ اللّه بنُ رواحـة الأنْصَـارِي وكعبُ بن مَـالِـك وحسَّـانُ بن ثـابت الأنْصَارِي.

وقوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

يعني أنهم ينقلبون إلـى نار جهنم يُخلَّدون فيها. و «أي» منصوبة بقوله يَنْقَلِبُونَ، لا بقولـه وسَيَعْلَم، لأنّ «أيًّا» وَسَـائِرَ الاستفهـام لا يعمل فيها مَا قَبْلَها[١].

---

(١) أي إن «أيَّ» مفعول مطلق ـ أي ينقلبون أي انقلاب.

سُورَةُ النَّمْلِ
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

﴿طٰسٓ﴾.

قال ابن عباس ﴿طٰسٓ﴾ اسم من أسماء اللَّه [تعالى] أقسم به، وقال قتادة إنه اسم من أَسْمَاءِ القُرآن.

وقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ القُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

معنى ﴿تلك﴾ أنهم كانوا وعدوا بالقرآن في كُتُبِهِمْ، فقيل لهم هَـذِه «تلك الآيات» التي وُعِدْتُمْ بِها، وقد فسرنا ما في هذا في أوَّلِ سورة البقرة و «كتاب» مخفوض على معنى تلك آيات القرآن أَيَاتُ كِتَابٍ مُبِينٍ، ويجوز وكتَابٌ مُبِينٌ، ولا أعلم أَحَداً قرأ بها، ويكون المعنى: تلك آيات القرآن وذلك كِتابٌ مُبينٌ.

وقوله: ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

يجوز أن يكون «هُدًى» في موضع نَصْبٍ على الحال، المعنى: تلكَ آيات الكِتابِ هَادِيَةً وَمُبشِّرَةً. ويجوز أن يكون في موضع رفع من جهتين، إحداهما على إضمار هُو هدًى وبشرى، وإن شئت على البدل من آيات على معنى تِلْكَ هُدًى وبشرى، وإن شئت على البدل من آيات على معنى تِلْكَ هُدًى وَبُشْرًى. وفي الرفع وجه ثَالِثٌ حَسَنٌ، على أن

يكون خَبـراً بَعْـدَ خَبَرٍ، وهمـا جميعاً خَبـرٌ لِتِلْكَ على معنى قولهم: هـو حُلْو حـامضٌ أي قد جمـع الطعمين، فيكـون خيـر تلك آيات وخبـرهـا هدى وبشرى، فتجمـع أنها آيات وأَنَّها هَادِيَةٌ مُبَشِّرَةٌ.

وقوله عز جل: ﴿إنَّ الَّذِينَ لَا يُؤمِنُونَ بالآخِرة زَيَّنَّا لهم أَعْمَالَهُمْ﴾.

أي جعلنا جزاءهم على كفرهم أَنْ زَيَّنَّا لهم مَا هُمْ فيه.

﴿فهم يَعْمَهُونَ﴾.

أي يتحيَّرون، قال العجـاج(١):

أعمى الهدى بالجَاهِلِيـنَ العُمَّـة

وقوله عز وجل: ﴿وَإنَّكَ لَتُلَقَّى القُرآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾.

أي يلقى إليك القرآنُ وَحْياً مِنْ عِنْد اللَّه أَنْزَلَه بعلمه وَحِكْمَتِهِ.

وقوله عز وجل: ﴿إذْ قال موسى لأهله إنّي آنَسْتُ ناراً﴾.

مَـوْضِعُ إذْ نَصْبٌ، المعنى اذْكُـر إذْ قَـالَ مُـوسَى لأهْلِه، أي اذكـر قِصَّةَ مُوسَى، وَمَعْنى آنَسْت ناراً رأيت ناراً.

وقوله ـ عز وجل ـ ﴿أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾.

يقـرأ بالتَّنْـوين وبـالإضـافَـةِ، فمن نَـوَّنَ جعـل «قَبَسٍ» من صِفَـةِ شِهَابٍ، وكلُّ أَبْيضَ ذي نُورٍ فَهُو شِهَاب.

وقوله عز وجل: ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

جـاء في التفسيـر أنهم كـانـوا في شِتـاءٍ، فلذلـك احتـاجـوا إلى الاصطلاء وقوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾.

---

(١) تقدم في الجزء الأول ص ٩١.

أي فلمَّا جاء موسَى النارَ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ في النَّارِ وَمَن حَوْلها﴾.

فموضع «أَنْ» إن شئت كان نصباً وإن شئت كان رَفْعاً، فمن حكم عليها بالنصب فالمعنى نوديَ مُوسَى بأَنَّه بورك من في النَّار، واسم ما لم يسَمَّ فاعله مُضْمَر في نُودِيَ، ومن حكم عَلَيْها بالرَّفْعِ، كَانَتْ اسم ما لم يُسَمَّ فاعله، أي نُودِيَ أَنْ بُورِكَ. وجاء في التفسير أَنَّ ﴿مَن في النار﴾ ههنا نورُ اللَّه ـ عز وجل ـ ﴿ومن حولها﴾ قيل الملائِكَةُ وقيل نور اللَّه.

وقوله: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾.

معناه تنزيه اللَّه تبارك وتعالى عن السُّوء، كذلك جاء عن النبي ﷺ وكذا فسَّره أَهْلُ اللُّغَة.

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ﴾.

أي تتحرك كما يتحرك الجَانُّ حركةً خفيفة، وكانت في صورة الثُّعْبَانِ، وهو العظيم من الحيات.

﴿وَلىَّ مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾.

جاء في التفسير «لم يُعَقِّبْ» لم يلتفت، وجَاءَ ايضاً لم يَرْجِعْ، وأَهل اللغة يقولون لم يرجع، يقال: قَدْ عَقَّبَ فُلانٌ إذا رجع يُقَاتِلُ بَعْدَ أَنْ وَلىَّ، قال لبيد[1]:

حتى تهجَّرَ في الرَّوَاح وهاجه ... طَلَبُ المَعقِّبِ حَقَّه المَظْلُومُ

(١) اللسان (عقب) والخزانة ٢٠٨ جـ ٢ (سلفية) الشاهد ١٢٢. وتهجّر سار في وقت الهجير. منتصف النهار. والرواح الوقت من بعد الزوال الى الغروب، والبيت ضمن أبيات يصف بها لبيد حماراً وأتانه. وانظر شواهد الكشاف: الآية ﴿واللَّه يحكم لا معقب لحكمه﴾ ومشاهد الانصاف ١١٧. والتقدير طلب المعقب المظلوم حقه. والمعقب مضاف إليه في محل رفع فاعل طلب، فنعت بمرفوع.

وقوله عز وجل: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾.

معناه لا يخاف عندي المُرْسَلُونَ.

وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾.

إلا استثناء ليس من الأوَّلِ، والمعنى، واللَّه أعلم، لكنَّ مَنْ ظَلَمَ ثم تابَ من المرسلين وغيرهم، وذلك قوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقوله عز وجل: ﴿وأدخل يدك فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيرِ سُوءٍ﴾.

المعنى أدخل يدك في جيبك وأخرجها تخرج بَيْضَاءَ مِنْ غيرسُوءٍ. جاء في التفسير ﴿من غير سوء﴾ من غير برص، وجاء أيضاً، أنه كانت عليه مَدْرَعَةُ صُوف بغير كُمَّيْنْ.

وقوله عز وجل: ﴿في تِسْع آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِه﴾.

«في» من صلة قوله: وَأَلْقِ عَصَاكَ، وأدخل يَدَكَ. فالتأويل: وأظهر هَاتَيْن الآيتن في تِسْع آياتٍ وَتَأْويله مِنْ بَيْن آياتٍ. وجاء في التفسير أَنَّ التِّسْعَ كونُ يدِه بيضاءَ من غيرسوء، وكونُ العَصَا حَيَّة وما أَصَابَ آل فِرْعَوْنَ من الجدْبِ فِي بَوَادِيهِمْ، وَنَقْصُ الثِّمَارِ مِنْ مَزَارِعِهمْ، وإرْسالُ الجَرادِ عَلَيْهم، والقُمَّل، والضَّفَادِعُ، والدَّمُ والطُّوفَانُ. فهذه تِسْعُ آياتٍ.

ومثل قوله: ﴿فِي تِسْع آيَاتٍ﴾، وَمَعْنَاهُ، مِنْ تِسْعٍ قَوْلُهم: خُذْ لي عَشْراً مِنَ الإبل فيها فَحْلانِ، المعنى منها فَحْلانِ.

وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آياتُنا مُبْصِرَةً﴾.

أي واضحة، ويجوز مُبْصَرةً، ومعناها مُبَيِّنَة تُبْصَرُ وَتُرى.

وقوله عز وجل: ﴿واسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا﴾.

المعنى: وجحدوا بها ظَلْماً وعُلُوًّا، [أي] تَرَفُّعاً عَنِ أَنْ يُؤْمِنُوا بما جاء به مُوسَى عليه السلام. فَجَحَدوا بها وَهم يَعْلَمُونَ أَنَّها مِنْ عِنْد اللَّهِ.

وقوله عز جل: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾.

جاء في التفسير أنه وَرَثَه نُبَوَّتَهُ وَمُلْكَهُ، وَرُوِيَ أنه كان لداود تسعةَ عشَرَ وَلَداً فورثه سُلَيْمَانُ من بينهم النبُوَّةَ والمُلْك(1).

وقوله: ﴿وقال يَاأَيُّها النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾.

وجاء في التفسير أنه البُلْهُ مِنها(2). وأحسبه ـ واللَّه أعلم ـ مَا أَلْهَمَ اللَّهُ الطَّيرَ مما يُسَبِّحُهُ به، كما قال: ﴿وَسَخَّرنَا مَعَ دَاوُدَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ والطَّيْرَ﴾(3).

وقوله: ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

المعنى أوتينا من كل شيء يجوز أَنْ يُؤْتَاهُ الأَنْبِياءُ والنَّاسُ وكذلك قوله: ﴿وَأُوتِيَتْ من كل شيء﴾(4) أي من كل شيء يؤتاه مِثْلُهَا وعلى هَذا جرى كلام النَّاسِ، يقول القائل: قد قَصَدَ فُلاَناً كل أَحَدٍ في حَاجَتِهِ، المعنى قصده كثير من الناس.

---

(1) أي إن سليمان من بين الاخوة وَرِثَ أَبَاهُ في النُّبوَّةِ والمُلْكِ.
(2) كذا بالأصل وليست واضحة المعنى.
(3) سورة الأنبياء آية ٧٩.
(4) الآية ٢٣ من هذه السورة.

وقوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ والإنْسِ والطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

في اللغة يُوزَعُونَ يُكَفُّونَ، وجاء في التَّفْسِير يُكَفُّ أَوَّلُهُمْ ويحبَسُ أَوَّلُهُم عَلَى آخِرِهم.

﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ﴾.

يروى أن وادي النمل هذا كان بِالشَّامِ، وأن نَمْلَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كان مثال الذُّبَاب.

﴿قالت نملةٌ ياأَيُّها النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾.

جاء لفظ ادْخُلوا كلفظ ما يَعْقِل، يقال للناس: ادخلوا وكذلك للملائِكَةِ والجنِّ، وكذلك دَخَلُوا، فإذا ذكرت النمل قلت: قَدْ دَخَلْنَ وَدَخَلَتْ، وكذلك سائر ما لا يعقل، إلاّ أَنَّ النمل ههنا أُجْرِيَ مَجْرَى الآدَمِيِّينَ حين نطق كما ينطق الآدَمِيُّونَ.

﴿[لَا تَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ]﴾.

ويقرأ﴿لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ﴾، ولا تُحَطِّمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ، ولا يُحَطِّمنكُمْ جائزةٌ.

وقوله: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا﴾.

لأنّ أكثرَ ضحِكَ الانبياءِ عليهم السلام التبسم، وَضَاحِكاً منصوب، حال مُؤَكِّدَةٌ، لأن تبسَّمَ بمعنى ضَحِكَ.

﴿وقال: رَبِّ أَوْزِعْني أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾.

معنى ﴿أَوْزِعْني﴾ أَلْهِمْني، وتأويله في اللغة كُفَّنِي عن الأشياء إلاَّ

عَنْ شُكْـرِ نِعْمَتِـكَ ، أَيِ كُفَّنِي عمَّـا يباعِـدُ مِنْكَ، ﴿وَأَنْ أَعْمَـلَ صَـالِحـاً تَرْضَاهُ﴾ .

وقوله عز وجل: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيرَ فَقَالَ ما لِيَ لَا أَرَى الهُدْهُـدَ أَمْ كَانَ مِنَ الغَائِبِينَ﴾ .

بفتح الياء وإِسْكانِها فِي مَالِيَ ، والفتحُ أَجْوَد، وقد فسـرنا ذلـك. وقـوله أَمْ كـانَ مِنَ الغائبين، معنـاه بَلْ كـان مِنَ الغائبين(١)، وجـاء في التفسيـر أن سليمان ﷺ تفقـد الهُدْهُـدَ لأنه كـان مهندسَ المـاء، وكان سُلَيْمَـانُ عليه السـلام، إذا نَزَلَ بفـلاةٍ مِنَ الأَرْضِ عرف مقـدار مسافـةِ المـاء من الهُـدْهُـدِ. وقيـل إنَّ الهُـدْهُـدَ يـرى المـاء في الأَرْضِ كمـا يُرى الماءُ في الزُّجَاجَةِ.

وقوله عز وجل: ﴿لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أو لأَذْبَحَنَّهُ﴾ .

رُوِيَ أنَ عذاب سُلَيْمَانَ ـ كان للطير ـ أن ينتفَ ريش جناح الطائر ويُلْقَى في الشَّمْسِ .

﴿أولَيأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبينٍ﴾ .

أي ليأتِينيّ بحجَّةٍ في غَيْبَتِه .

وقوله : ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ .

ويقرأ فَمَكُثَ بضم الكاف وفَتْحِها، أي غَيْرَ وَقْتٍ بَعِيد(٢) .

وقوله : ﴿فقالَ أَحَطْتُ بما لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ .

---

(١) المعروف في «أم» أو «بل» أنها لا يفارقها معنى الاستفهام، وعليـه يكون التقـدير «بـل أكان من الغائبين» ـ وعلى تقديره يكون سليمان قد جزم بأنه كان غائباً.

(٢) أي لم يمض غير وقت قليل حتى جاء الهُدْهُد .

المعنى فجاء الهُدْهُدُ فَسأله سُلَيمَانُ عن غَيبته، فقال أَحَطتُ بما لم تُحِطْ بِه، وحذف هذا لأن في الكلام دليلًا عليه، ومعنى أَحَطْتُ علمتُ شيئاً من جميع جهاته، تقول: أحطتُ بهذا علماً، أي علمتُه كُلَّه لم يَبْقَ عليَّ منه شيء.

وقوله: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبإٍ يَقِينٍ﴾.

يقرأ بالصرف والتنوين، ويقرأ من سَبَأَ - بفتح سَبأ وحَذْفِ التنوين، فأما من لم يَصْرِف فيجعله اسم مَدِينةٍ، وأما من صَرَف، فذكر قوم من النحويين أنه اسمُ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وذكر آخرُونَ أن الاسم إذَا لم يُدْرَ ما هُوَ لم يُصْرَف، وأحد هذين القولين خطأ لأن الأسماء حقها الصَّرْفُ، فإذا لم يعلم الاسم للمذكر هو أو للمؤنَّثِ فحقُّه الصَّرْفُ حَتَّى يُعْلَمَ أنه لا ينصرف، لأن أصل الاسماء الصَّرف، وكل ما لا ينصرف فهو يُصْرَفُ في الشعر. وأما الذين قالوا إنَّ سبأ اسم رجل فغلط أيضاً لأن سبأ هي مدينة تعرف بمأرب مِنَ اليَمَنِ بينها وبين صَنْعَاءَ ثلاثَةُ أَيَّامٍ، قال الشاعر:

من سبأ الحاضرين مَأْرِبَ إذ يَبْنُونَ مِن دُونِ سَيْلِهِ العَرِمَا(١)

فمن لم يصرف لأنه اسم مدينة، ومن صرفه - والصرف فيه أكثر في القراءة - فلأنه يكون اسماً لِلْبَلَدِ فيكون مُذَكَّراً سُمِّيَ بِهِ مُذَكَّرٌ فإن صحت فيه رواية، فإنما هو أن المدينة سميت باسم رَجُلٍ.

---

(١) البيت لأُميةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ وهو في ديوانه ٥١، وفي الجمهرة ٢١٥/٣ والقرطبي ٢٨٣/١٤، واللسان (عرم) وكتاب سيبويه ٢٨/٢، وينسب البيت للنابغة الجعدي وهو في ديوانه ١٣٤، وينسب للأعشى. وحَاضِرُو مَأْرِب، المقيمون على الماء بها، والعرم جمع عرمة وهي السَّد العالي. أي المقيمون على هذا الماء يبنون السُّدُود من دونه حتى لا يتبدَّد.

وقوله : ﴿ وأوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ولها عرشٌ ﴾ .

معناه وأوتيت من كل شيء تعطاه المُلُوكُ وَيُؤْتاهُ النـاسُ، والعَرْشُ سَرِيرٌ عَظِيمٌ .

وقولـه : ﴿ أَلَّا يَسْجُــدُوا لِلَّهِ الَّـذِي يُخْــرِجُ الخَبْءَ فِي السَّمَـواتِ والأَرْضَ ﴾ .

ويقـرأ أَلَا يسجـدوا ، فمن قـرأ بـالتشـديـد ، فـالمعنى وزَيَّن لهم الشيطان أَعْمَالَهُمْ فصدهم أَلَّا يسجدوا ، أي فَصَدَّهُمْ لِئَلَّا يَسْجُدُوا للَّه ، ومَوْضِع أَنْ نَصْبٌ بقـوله فَصَـدَّهُـمْ ، ويجوز أن يكـون مَوْضِعُهَـا جرًّا وَإِنْ حُذِفَتِ اللَّامُ . ومن قرأ بالتخفيف فَألَا لِابْتِدَاءِ الكلام والتنبيه ، والوقوف عليـه أَلَايَا ـ ثم يستـأنف فيقول : اسْجُـدوا للَّه ، وَمَنْ قرأ بـالتخفيف فهو مـوضع سَجْـدَةٍ من القـرآن ومن قـرأ آلَّا يَسجُـدُوا ـ بـالتشـديـد ـ فليس بموضع سَجْدة ، ومثل قوله أَلَا ياسْجُدوا بالتخفيف قول ذي الرُّمَّةِ .

الا يَا اسْلَمِي يَا دَارَ مَيَّ علَى البِلَا   ولا زال مُنْهلًا بِجرعَائِكِ القَـطْرُ[(1)]

وقال الأَخْطَلُ :

ألا يا اسْلمي يا هِنْدُ هِندَ بني بَدْرِ   وإن كان حَيَّانَا عِدًى آخِرَ الدَّهْرِ[(2)]

وقال العجاج[(3)] :

---

(١) الـديوان ص ٢٠٦ مـطلع قصيدة، واللسـان (يـا) وشـواهـد المغني ٢١٠ ومعـه قصص طـريف والجـرعاء أرض رَمْلِيـة مُسْتوِيـةٌ لا نَبات بهـا ـ وقام حـول البيت نقد ودفـاع ذكره السيـوطي في شواهد المغني ـ فيحسن الرجوع إليه .

(٢) البيت في ديـوان الأخطل ١٦٣ ، وأمـالي القالي ٣ / ٦٥ ومجـاز أبي عبيـدة ٢ / ٩٤، وابن يعيش ٢ / ٢٤ ، ومعاني الفراء ٢ / ٢٩٠ .

(٣) تـقـدم فـي الجزء الأول ـ وانظر ديوانه ص ٥٨ ، وابن يعيش ١ / ٨٩٠ .

يا دار سَلْمَى يا اسلمي ثم اسلمي   عَنْ سَمْسَمٍ وَعَنْ يَمِين سَمْسَم

وإنما أكثرنا الشاهد في هذا الحرف كما فعل من قبلَنَا، وإنما فعلوا ذلك لقلة اعتياد العَامَّةِ لدخول «يا» إلاّ في النِداء، لا تَكادُ العامَّةُ تقُول: يَا قَدْقَدِم زَيْدٌ، ولا يا اذْهَبْ بِسَلامٍ.

وقوله: ﴿[للَّه الذي يخرج] الخبء في السَّمَواتِ والأرْضِ﴾.

كل ما خبأته فهو خبء، وجاء في التفسير أن الخبء ههنا القَطْرُ من السَّمَاءِ، والنبات من الأرْضِ. ويجوز وهو الوجه أَنْ يكون الخبء كل ما غاب، فيكون المعنى يعلم الغيب في السموات والأرْضِ، ودليل هذا قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخفون وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿أَلْقِهْ إلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ ـ خمسةُ أَوْجه:

فـأَلْقِهِي إليْهِم بإثبات الياء ـ وهو أكثر القراءة، ويجوز فـألْقِهِـ إلَيْهِمْ بحذف الياء وإثبات الكسرة، لأن أصله فـأُلْقيه إلَيْهِم. فحذفت الياء للجزم، أعني ياء ألقيه، ويجوز فَـأَلْقِهُـو إليهم باثبات الواو، ويجوز فألقِهُ إليهم بالضَّمِّ، وحُذِفَتِ الواو، وقد قُرئَ فألقِهْ إليهم باسكان الهاء. فأما إثبات الياء فهو أَجْوَدُها فألقهي، فإن الياء التي تسقط للجزم قَدْ سقطت قبل الهاء، لأن الأصل فألقيه إليهم، ومن حذف الياء وترك الكسرة بعد الهاء فلأنَّهُ كان إذا أثبت الياء في قولك أنا ألقيه اليهم كان الاختيار حذف الياء التي بعد الهاء. وقد شرحنا ذلك في قوله يُؤَدِّه إليك شرحاً كافياً.

ومن قرأ فألقِهو إليهم ردّه إلى أصله، والأصل إثبات الواو مع هاء الإضمار. تقول ألقيتُهو إليك. ومعنى قولنا إثبات الواو والياء أعني في اللفظ ووصل الكلام، فإذا وقفت وقفت بهاء، وإذا كتبت كَتَبْتَ

بهاء. ومن قرأ بحذف الواو وإثبَاتِ الضَّمَّةِ فذلك مثل حذف الياء وإثبات الكسرة، ومَنْ أَسْكَنَ الهاءَ فغالط، لأن لهاء ليست بمجزومة ولها[1] وَجْهٌ من القِياس، وهو أنه يُجْري الهاء في الوصل على حالها في الوقف، وأكثر ما يقع هذا في الشعر أن تحذف هذه الهاء وتُبقي كسرة.

قال الشاعر:

فإنْ يَكُ غثاً أو سميناً فإنَّني   سأجعل عينيه لِنَفْسِهْ مَقْنَعاً

وقوله تعالى: ﴿ثم تَوَلَّ عنهم فَانْظُر مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾.

فيه قولان. قال بعضهم: معناه التقديم والتأخير، معناه اذهب بِكِتَابي هذا فألقه إليهمْ فانظر مَاذَا يَرْجِعُونَ ثم تول عنهم، وقال هذا لأنَّ رُجُوعَه من عندهم والتولي عنهم بعد أن ينظُر ما الجواب[2]، وهذا حسن، والتقديم والتأخير كثير في الكلام، وقالوا معنى ﴿ثم تول عنهم﴾: تول عنهم مُسْتَتِراً من حَيْثُ لا يَرَوْنَكَ، فانظر ماذا يردُّونَ مِنَ الجواب.

وقوله عز وجل: ﴿قَالَتْ يا أَيُّها المَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إلى كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾.

فمضى الهدهد فألقى الكتاب إليهم فسمِعَها تَقُول: ﴿يَا أيها الملأ﴾ فحذف هذا لأن في الكلام دليلاً عليه، ومعنى ﴿كِتَابٌ كَرِيم﴾ حَسَنٌ ما فيه، ثم بَيَّنَتْ ما فيه فَقَالَتْ:

﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وإنه «بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيم أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُوني مُسْلِمِينَ﴾.

---

(١) في نسخة «وله» كما أشير في الهامش.

(٢) أي إن التولي إنما يكون بعد معرفة إجابتهم.

فهذا ما كان في الكتاب، وكُتُبُ الأنبياءِ صَلَواتُ اللَّهِ عليهم جاريةٌ عَلَى الإيجاز والاختصار، وقد رُوِيَ أن الكتاب كان من عبد اللَّه سُلَيمانَ الى بلْقيس بنت سراحيل، وإنما كتب الناس من عبد اللَّه احتذاء بسُلَيْمَانَ.

ومعنى ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ﴾: أَلَّا تترفَّعُوا عليَّ وإنْ كُنْتُم مُلُوكاً.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا المَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾.

أَي بَيِّنُوا لي ما أَعمَلُ، والملأ وجُوهُ القَوْمِ، الذين هم مُلَاءٌ بِمَا يحتاجُ إلَيْهِ.

﴿قَالُوانَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾.

ويروى أنه كان مَعَها ألف قِيلٍ والقَيْلُ الملِك، ومع كل قيل أَلْفُ رَجُلٍ، وقيل مائة ألف رجل، وأكثر الرواية مائة ألف رجل.

وقوله: ﴿حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾.

بكسر النُّونِ، ولا يجوز فتح النون لأن أصله حتى «تشهدونَنِي» فَحُذِفَتْ النون الأولى للنَّصْبِ وبقيت النُّونُ والياء للاسم، وحُذِفَت الياءُ لأنَّ الكسرةَ تدلّ عليها، ولأنه آخر آية، وَمَنْ فتح النون فَلَاحِنٌ، لأنَّ النُّونَ إذا فتحت فهي نون الرفع، وليس هذا من التي ترفع فيه حَتَّى، ويجوز أنه مِنْ سُلَيْمان وأنه بسم اللَّه الرحمن الرحيم، بفتح الألف فيكون موضع أن الرفع على معنى: أُلْقِي إليَّ أنه من سُلَيمَانَ، ويجوز أن تكون أن في مَوْضع نَصْبِ على معنى كتاب كريم لأنه من سُلَيْمان ولأَنَّهُ بسم اللَّه الرحمن الرحيم، فأما ﴿ أَلَّا تعلوا عليَّ﴾ فيجوز أن يكون أنْ فِي مَوْضِع رَفْعٍ وفي موضع نَصْبٍ، فالنصب على معنى كِتَابٌ بِأَنْ لَا

تَعْلُوا عليَّ أي كتب بترك العُلُوِّ، ويجوز على مَعْنى: ألقِيَ إليَّ أَلَّا تَعْلُوا عليَّ، وفيها وجه آخر حَسَنٌ على معنى قال لا تعلوا عَلَيَّ، وفسرَّ سيبويه والخليل أنَّ «أَنْ» في هذا الموضع في تـأويل أي[١]، على معنى أي لَا تعلوا عَلَيّ، ومثله من كتـاب اللَّه عـز وجــل: ﴿وَانْـطَلَق الْمَــلَأُ مِنْهُم أَنِ آمْشِوا﴾[٢] وتأويل أي ههنا تأويل القول والتفسير، كما تقول فعـل فلان كذا وكذا، أي إنِّـي جوادٌ، كأَنَّكَ قُلْتَ: يقول اني جوادٌ.

وقـوله: ﴿قَـالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُو قَرْيَـةً أَفْسَدُوهَـا وَجَعلُوا أَعِـزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً﴾.

مَعْنَاه إذا دخلوها عَنْوة عن قتال وغلبة.

﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

هو من قول اللَّه عز وجل ـ واللَّه أعلم ـ لأنها هي قد ذكـرت أنَهم يُفْسِدُونَ فليس في تكرير هذا مِنْهَا فائدةٌ.

وقوله:﴿وَإِنّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾.

جاء في التفسير أنها أهْدَت سليمـان لَبِنَةً ذَهَبٍ في حَـرِيرٍ، وقيـل لَبِنٌ ذَهِبٍ في حــريـر. فـأمـر سليمــانُ بِلِبنَـةِ ذهب[٣] فـطرحت تحت الدَّوَابّ، حيث تبول عليها الدَّوابُّ وتَرُوثُ، فَصَغُرَ في أَعْينهم ما جاءوا به إلى سليمان، وقد ذُكِر، أن الهَدِيَّة قَـدْ كَانَتْ غيـرَ هَذَا، إلا أَنَّ قـولَ سُلَيْمَانَ: ﴿أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ﴾ مما يدل على أن الهديَّة كانت مالاً.

وقوله عز وجل:﴿بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾.

---

(١) أي هي تفسيرية.

(٢) سورة ص الآية ٦.

(٣) من اللبن الذي أحضروه.

حروف الجر مع «مَا» في الاستفهام تحذف مَعَها الألفِ من «مَا» لأنَّهُمَا كالشّيءِ الواحِدِ، وليُفْصَلَ بينَ الخبر والاستفهام؛ تقولُ: قَدْ رَغِبْتُ فيما عندك، فَتَثْبُتُ الألف، وتقول: فيم نظرت يا هذا فتحذف الألف.

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيمانَ﴾.

معناه فلما جاء رَسُولُها سُلَيْمَانَ، ويجوز أن يكون فلَمَّا جَاءَ بِرُّهَا[1] سُلَيْمَانَ إلاَّ أَنَّ قوله: أرجع إليهم مخاطبةٌ للرَّسُول.

وقوله تعالى: ﴿لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾.

معناه لا يَقْدُرُونَ على مُقَاوَمَةِ جُنُودِهَا.

وقوله: ﴿قَالَ يَاأَيُّها المَلأ أَيُّكُمْ يَأْتيني بِعَرْشِهَا﴾: أي بسريرها.

﴿قَبْلِ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾.

أحب سليمانُ ﷺ أن يأخُذَ السَّرِيرَ مِنْ حيثُ يَجُوزُ أَخْذُهُ، لأنهم لَوْ أَتوا مُسْلِمِين لَمْ يَجُزْ أَخْذُ مَا في أيديهم، وجائز أن يكون أرادَ سُلَيْمَانُ إظهار آيةٍ مُعْجِزَةٍ في تصيير العَرْشِ إليْهِ في تلك السّاعَةِ لأنّها مِنَ الآيَاتِ المعجزات.

﴿قالَ عفريتٌ مِنَ الجِنِّ﴾.

والعفريت النافِذُ في الأمْرِ المبالغُ فيه مع خُبثٍ وَدَهَاءٍ، يقال: رَجُلٌ عِفْرٌ وَعِفْرِيتٌ، وعِفْرِيَةٌ نِفْرِيةٌ، وَنُفارِيَّةٌ، في معنى وَاحدٌ.

﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾.

---

(١) أي هديتها والمال الذي بعثت به ـ وانظر هل يصح أن يسمى برًّا.

أي مقدار جُلُوسِكَ الَّـذِي تَجْلِسُه مـع أصحابـك، وقيـل قَبْـلَ أَنْ تقومَ من مَجْلِسِك للحُكْمِ.

وقوله: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ﴾.

ويقال إنه آصف بن بَرَخْيَا.

﴿أنا آتيك به قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾.

أي بمقدار ما يبلغُ البالغ إلى نهـاية نـظرك ثم يَعُودَ إِلَيْـكَ، وقيلَ في مِقْدارِ ما تفتح عَيْنَكَ ثُمَّ تَطْرِف، وهذا أشبه بارتِـدَادِ الطرف، ومثله من الكـلام: فعل ذلك في لحـظة عَيْنٍ، أي فِي مِقْـدَارِ مـا نـظر نـظرة واحِدةً.

ويقال في التفسير إِنَّهُ دَعَا باسْمِ اللَّه الأعْظم، الـذي إذا دُعِيَ به أَجَـابَ، وقيـل إنـه: يـا ذا الجـلال والإكـرام، وقيـل إِنَّهُ يَـا إِلٰهَنَـا وإلٰـه الخلق جَميعاً إلٰهاً وَاحِداً لا إلٰه إلاَّ أَنْتَ، فذكر هـذَا الاسْمَ ثم قال إئت بِعَرْشِها، فَلَمَّا استَتَمَّ ذَلِكَ ظهر السرير بين يَدَيْ سُلَيْمَانَ.

وقوله: ﴿قَالَ نَكِّروا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي﴾.

الجزم في ننظَر الوجه وعَلَيْهِ القِرَاءَةُ، ويجـوز نَنْظُرُ بـالرَّفْـعِ فمن جـزم فلجـواب الأمْـرِ، ومن رفع فعلى معنى فَسَنَنْـظُرُ، وقولـه أَتَهْتَـدِي معناه أَتَهْتدي لِمَعْرِفته أَمْ لاَ.

وقوله: ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾.

ولم تقُلْ إنه عَرْشُها، ولاَ قَالَتْ: ليس هو بِعَرْشِها، شَبَّهَتْه بِهِ لِأَنـهُ مُنَكَّرٌ، يُرْوَى أنَّهُ جُعِلَ أَسْفَلَهُ أَعْلاَهُ.

وقوله: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إنها كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كافِرِينَ﴾.

أي صدها عن الايمانِ العادَةُ الَّتِي كَانَت عَلَيْها[1]، لأنها نَشَأَتْ ولم تعرف الا قوماً يعبدون الشَّمْسَ، فَصَدَّتها العَادَةُ، وَبَيَّنَ عادَتَها بقوله: ﴿إنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كافِرين﴾.

ويجوز أنَّها كَانَتْ من قوم كافرين فيكون المعنى صَدَّها كَونها من قومٍ كافِرِينَ ويكون مبيناً[2] عن قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ما كانت تعبد من دون اللَّه﴾.

وقوله: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾.

والصَّرْح في اللُّغَةِ القَصْرُ، والصَّحْنُ، يقال هذه سَاحَةُ الدار وصحنة الدار وباحة الدَّار وقاعَةُ الدَّار وَقَارِعَةُ الدَّارِ، هذا كله في معنى الصَّحْنِ.

وقوله: ﴿ فلما رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾.

أي حَسِبَتْهُ ماءً، وكان قد عُمِلَ لِسُلَيْمَانَ صَحْنٌ[3] من قَوارِير وَتَحْتَهُ الماء والسَّمَكُ، فظنَّتْ أنه ماء فكشفت عن سَاقَيْهَا. وذاك أن الجنَّ عابوا عِنْدَهُ ساقيها ورِجْلَيها وذكروا أن رِجْلَيْها كحافِرِ الحِمَارِ فتبين أمرُ رِجْلَيها.

وقوله عز وجل: ﴿فَإذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾.

---

(١) «ما» الموصولة في ﴿ما كانت تعبد﴾ هي عادتها التي صدتها عن الإيمان.

(٢) في الأصل مبينٌ وهو خطأ.

(٣) في الأصل صَحْناً.

أي فـإذَا قَوْمُ صَـالِحٍ فـريقان مؤمن وكـافِرٌ يختصمـون فيقولَ كـل فـريقٍ مِنْهُم الحَقُّ مَعِي، وطلبت الفرقَـةُ الكَـافِـرَةُ على تصديق صـالـح العـذابَ،(١) فقال: ﴿لِمَ تَستعجلون بـالسّيئةِ قَبْـلَ الحسنةِ﴾، أي لم قُلْتُم إن كان ما أتيتَ به حَقًّا فأتنا بِالعَذَابِ.

﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

أي هَلَّا تَستغفرون اللّه.

قوله: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾.

الأصل تطيرْنا فـأدغمت التاء في الـطاء، واجتلبت الألف لسكون الـطاء، فإذا ابتـدأت قُلْتَ اطَّيَّرْنـا بِكَ، وإذا وصلت لَمْ تُـذْكِـرْ الألِفُ. وتسقط لأنها ألف وَصْلٍ.

﴿قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

أي ما أصابكم من خَيْرٍ أو شَرٍّ فمن اللّه.

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾.

[أي] تختبرون، ويجوز تُفْتَنُون من الفِتْنَةِ، أي تَطَيُّركم فِتْنَةٌ.

﴿وَكَانَ فِي المَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ في الأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾.

هؤلاء عتاة قَوْمِ صَالِحٍ.

﴿قالوا تقاسموا باللّه لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ. [ثُم لَنَقولَنَّ لِوَلِيِّهِ]﴾.

وتجوز لَتُبَيِّتُنَّهُ، ويجوز لَيُبَيِّتَنَّهُ وأهله بالياء، فيها ثَلَاثَة أَوْجُهٍ. فمن قـرأ بالنـون قرأ «ثم لَنَقُـولَنَّ» لِوَلِيِّـهِ، ممن قرأ «لَتُبَيِّتُنَّـهُ» بالتـاء قرأ «ثُمَّ لَتَقولُنَّ» ومن قرأ «لَيبيِّتُنه» بالياء قرأ «ثم لَيَقُولُنَّ» لِوَلِيِّه.

(١) تحدوه وطلبوا أن يسقط عليهم العذاب إن كان نبياً حقاً.

فمن قرأ بالنون فكأنهم قالوا: احْلِفُوا لَنُبَيِّتَنَّه وأهلَه، ومن قرأ بالتاء فكأنهم قالوا احلفوا لتبيتنه، فكأنه أخرج نفسه في اللفظ، والنون أَجْوَدُ في القراءة، ويجوز أن يكون قد أدْخل نفسه في التاء لأنه إذا قَالَ تَقَاسَمُوا، فقد قال تحالفوا ولا يخرج نفسه من التحالف، ومن قرأ قالوا تقاسموا باللَّه ليبيتُنَّه، فالمعنى قالوا لَيُبَيِّتُنَّه متقاسمين، فكأنَّ هؤلاء النفر تحالَفُوا أَن يُبَيِّتُوا صالحا وَيَقْتُلوه وأهله في بَيَاتِهِمْ، ثم ينكرون عند أولياء صالح أنهم شَهِدُوا مَهْلِكَهُ وَمَهْلِكَ أهله، ويحلفون أنهم لصادقون. فهذا مَكرٌ عزموا عَلَيه.

قال اللَّه ـ عز وجل: ﴿ومَكَرُوا مَكْراً ومَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

فمضوا لِبُغْيتِهِمْ فأرسل اللَّهُ عليهم صَخْرةً فدَمَغَتْهُمْ[1]، وأرسل على باقي قومهم مَا قَتَلَهُمْ بِهِ.

وقوله: ﴿ فانظُرْ كيف كان عاقبةُ مَكْرِهِم [أَنَّا دَمَّرناهم وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِين]﴾.

يقرأ إنَّا دَمَّرنَاهُم ـ بكسر إن وبفتحها ـ فمن قرأ بِالكسر رفع العَاقِبة لا غير، المعنى فانظر أي شيء كان عاقبة مَكْرِهم، ثم فَسَّرَها فقال: إنّا دَمَّرنَاهُمْ، فدل على أن العاقبة الدَّمَارُ، ومن قرأ أنا دَمَّرناهم ـ بالفتح ـ رفع العاقبة وإنْ شاء نَصَبَها، والرفعُ أَجْوَدُ على معنى فانظر كيف كان عاقبةُ أَمْرِهِمْ، وأضمر العَاقِبَةَ. أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ. فيكون أنا في موضع رَفْعٍ عَلَى هذا التفسير، ويجوز أن تكون أنا في موضع نَصْبٍ، على معنى فانظر كيف كان عاقبة مكرهم لأنا دَمَّرناهم، ويجوز أن

---

(١) حطمت أدمغتهم.

تكـون «أنّا دَمَّـرْنَاهُمْ» خَبَـر كانَ المعنى فـانظر كيف كـان عاقبـة مَكْرِهُمُ الدَّمَارَ، ويجوز أن يكون اسم كان أنا دَمَّرنَاهُمْ وَعَاقبة أَمْرِهم منصوبـةٌ، المعنى فانظر كيف كان الدَّمَارُ عاقبـةَ مَكْرِهِمْ، وكيف في مـوضع نصب في جميـع هـذه الأقـوال، ـ ونصبهـا ـ إذا جُعِلَت العـاقِبَـة اسم كـان وكيف الخبرُ لأنها في مـوضع خبر كان، فـإذا جُعِلَتْ[١] اسم كان وخبرُها مَـا بَعْدها فهي[٢] منصوبة على الـظرفِ[٣]، وعمل فيهـا جملة الكلام كمـا تقول: كيف كان زيدٌ، وكيف كان زيد قائماً.

وقوله: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾.

اكثر القراء نَصَبَ خاويةَ على الحـال، المعنى فانـظر إلى بُيُوتِهِمْ خَاوِيةً بِمَـا ظَلَمُوا. ورفعهـا من أربعة أوجُـهٍ قد بيَّنّـاهَا فيمن قـرأ﴿وهذا بَعْلِي شيخ﴾[٤].

وقوله عز وجل: ﴿ولُوطاً إذ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾.

نَصْبَ لـوط من جهتين، على معنى وأَرْسَلْنَـا لُـوطـاً وعلى معنـى واذكر لُوطاً إذ قال لِقَوْمِهِ، لأنه قد جرت أقاصيص رُسُلٍ، فدخـل معنى اضمار اذكر هَهنَا.

﴿أَتأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾.

أي وأنتم تعلمون أنها فاحشة، فهو أعظم لذُنُوبِكم.

﴿أئِنكم لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾.

---

(١) العاقبة.

(٢) كيف.

(٣) هي حال.

(٤) انظر تفسير سورة هود. الآية ٧٢.

يجـوز على أوجـه، إإئنكمْ بهمـزتين بينهمـا ألف، ويجـوز أَئِنَكُمْ بهمزتين مُحَقَّقتَيْن، والأجودُ أينكمْ بجعل الهمزة الثـانية بينَ بيْنَ تكـون بين الياء والهمزة.

﴿فَمَا كَانَ جَوابَ قَوْمِهِ إلاّ أَنْ قَالُوا﴾.

«جَوابَ» خَبرُ كـانَ وَ «أَنْ قالـوا» الاسم، ويجوز فمـا كان جَـوَابُ قومِهِ إلاّ أَنْ قالوا.

وقوله: ﴿إنَّهُم أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

قـال قوم لـوط هـذا لِلُوطٍ ولمن آمن مَعَـهُ، على جهـة الهـزُؤ بِهِمْ لأنهم تطهَّروا عن أَدْبَار الرِّجَال وأَدْبَارِ النِّسَاءِ.

ويروى عن ابن عمر أنه سُئِلَ: هل يجوز هذا في النساء؟ قيـل له مـا تَقُول في التحميض فقـال: أو يفعل ذلـك المِسْلِمُونَ؟ فهـذا عـظيم جدًّا[1]. وهو الذي سَمَّاهُ اللَّهُ فاحِشَةً.

وقوله عز وجل: ﴿آللَّهَ خَيْرٌ أَمَّـا يُشْرِكُونَ﴾.

وتشركون بـالياء والتـاء، ويقرأ آللَّه، وآللَّه، بـالمد وتـرك المَدِّ، ويجوز - واللَّه أعلم - اللَّه خير أَمَّا يشركون[2].

قـال أبـو إسحاق: إذَا ضُمَّت التَّـاءُ واليَـاءُ فمعنـاه أَنَّهُمْ جَعَلُوا للَّه شُـرَكَـاءَ، وإذا فُتِحَتْ التَّـاء والـراءُ، فمعنـاه أنكم تجعلون أنفسكم لِلَّه شُرَكَاءَ، يقال: شَرِكْتُ الرَّجُلَ [أَشْرَكه] إذا صِرْتُ شَرِيكَهُ.

وقوله عز وجل: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ البَحْرَيْنِ حَاجِزاً﴾.

---

(١) تقدم هذا في سورة الشعراء من هذا الجزء. (٢) بالإمالة.

حجز بينهما بقدرته فلا يختلط العذب بالمِلحِ .

وقوله عز وجل:﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

بالرفع القراءة[1]، ويجوز النصب، ولا أعلم أحَداً قَرَأَ به، فلا تقرأن به. فمن رَفَعَ في قوله: إلَّا اللَّهُ فَعَلَى البَدلِ، المعنى لا يعلم أَحَدُ الغَيْبَ إلا اللَّه، أي لا يعلم الغيب الا اللَّه، ومن نصب فعلى معنى لا يعلم أحد الغيب الا اللَّه، على معنى آسْتَثْنِي اللَّه عز وجل، فإنه يعلم الغيبَ.

وقوله:﴿وَمَا يَشْعُرونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾.

وأيَّان تُبْعَثونَ جميعا، أيْ لَا يَعْلَمُون متى البَعْثُ.

وقوله تعالى:﴿بَلِ ادَّارَك عِلْمُهُم في الآخِرَةِ﴾.

فيها أوجه: قرأ أبوعَمْرٍو: بل أُدْرِك عِلْمُهُمْ في الآخرةِ، وقرأ أكثر الناس بل ادَّراك بتشديد الدَّالِ، وروي عن ابن عباس بَلَى أَدْرَكَ عِلْمُهم في الآخرة، ويجوز بلى ادّارك علمهم في الآخرة فمن قرأ بل ادَّارَكَ علمهم في الآخرة وهو الجَيدُ، فعلى معنى بَلْ تَدَارَكَ علمُهُمْ في الآخرة، على معنى بل يتكامل عِلْمُهُم يَوْمَ القِيَامَةِ، لأنَهُمْ مبْعُوثُونَ، وكل ما وعدوا به حَقٌ، ومن قرأ بل أَدْرَكَ عِلْمُهُم فعلى معنى التقرير[2] والاستخبار، كأنه قيل: لم يُدْرِكِ عِلْمُهم[3] في الآخرةِ أي ليس يَقفون في الدنيا على حقيقتها، ثم بين ذلك في قوله:﴿بل هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾

---

(١) أي في لفظ الجلالة.

(٢) أي هناك همزة محذوفة، وهي استفهام للتقرير أي هل ادرك علمهم الآخرة.

(٣) في الآخرة متعلق بعلمهم، أي علمهم بما في الآخرة.

وقـالوا في تفسيـر ﴿بل ادَّارَكَ عِلْمُهم﴾: أَمّ أَدْرَكَ عِلْمُهُم، والقـراءة الجَيّـدَةُ ادَّارك على معنى تدارك بـإدغام التـاء في الـدَّال، فتصيـر دالاً سَاكِنَةً فلا يُبتدأ بِهـا، فيَأتي بـألف الوصـل لتصل إلى التكلُّمُ بهـا. وإذَا وقفت على بل وابتدأت قلت ادَّارك، فإذا وَصَلْتَ كسرت اللام [في بل] لسكونها وسكون الدَّال.

وقوله: ﴿حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾.

الحدائق واحدتها حديقـة، والحديقـة البُسْتَانُ، وكـذلك الحـائط وقيـل القـطعــةُ من النخـل، وقــولــه ذات بَهْجَــةٍ معنـاه ذات حُسْنٍ

ويجـوز في غير القراءة ذوات بهجة، لأنها جماعة، كما تقـول: نِسْوَتُك ذوات حُسْنٍ، وإنمـا جاز ذات بهجـة لأن المؤنث يخبر عنـه فِي الجَمْـع بلفظ الواحِـدَةِ، إذا أردتَ جمَاعَـةً، كـأنـك قلت جمـاعـة ذاتَ بَهْجَةٍ.

وقوله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾.

معناه يكفُرُون، أي يَعْدِلُونَ عَنِ القَصْدِ وطريق الحق.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرونَ﴾.

يُقْرأ في ضَيْقٍ وَضِيقٍ.

وقوله: ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

قيـل في التَّفْسِير عجِـلَ لَكُمْ ومعناه في اللُّغَـةِ رَدِفَكُمْ مِثْلُ رَكِبَكُمْ وجاء بَعْدَكُمْ.

وقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي العُمْيَ عن ضَلَالَتِهِمْ﴾.

وتقرأ: وما أَنْتَ تهـدي العُمْيَ عن ضَلاَلَتِهِمْ، ويجـوز بهادٍ العُمْىَ عن ضَلاَلَتِهِمْ. فأمـا الوَجْهَـانِ الأولان فجيّدانِ في القـراءة، وقد قـرئَ بهما جميعاً، والوجه الثالث يجوز في العَرَبية، فَإنْ ثبتت به روايـةٌ وإلاَّ لم يُقْرأْ به، ولا أعلم أحداً قرأ به.

وقوله عز وجل: ﴿إنْ تُسْمِعُ إلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بآياتِنَا﴾.

معناه ما تُسْمِع إلاَّ من يؤمن، وتأويل ما تُسْمِعُ، أي مَا يَسْمَعُ مِنْكَ فَيَعِي ويَعْمَـلُ إلاَّ من يُؤْمِنَ بآيـاتنا، فـأما من سمـع ولم يقبـل فبمنـزلـة الأصَمِّ. كما قال اللّه عز وجل: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾[1]، قال الشَّاعِرُ:

أَصَمَّ عَمَّا سَاءَهُ سَمِيعُ[2]

وقوله عز وجل: ﴿وَإذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾، أي إذَا وَجَبَ.

﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾.

وَتَكْلِمُهُمْ، ويـروى أن أول أشراط السـاعة خـروجُ الدَّابَّـةِ وطلوعُ الشمس مِنْ مَغْـرِبها، وأَكْثَـرُ ما جـاء في التفسير أنهـا تخـرج بِتُهَامَـــةَ. تَخْرجُ مِنْ بَيْنِ الصَّفَا والمروَةِ. وقد جـاء في التفسير أنهـا تخرج ثـلاث مرات في ثلاثـة أمْكِنَةٍ، وجـاء في التفسير تنكت في وَجْـهِ الكَافِـر نكتة سـوداء وفي وجه المؤمن نكتـة بيضاء، فتفشـو نكتة الكـافر حتى يسـودَّ منهـا وجهه أجمـع وتفشو نكتـة المؤمن حتى يَبْيَضَّ منها وَجْهَـهُ فتجتمع الجماعة على المائِدَةِ، فَيُعْرَفُ المؤمِنُ مِن الكافِرِ.

فمن قـرأ «تكَلِّمُهُمْ» فهـو من الكـلام، ومن قـرأ تَكْلِمُهُمْ فهـو من الكَلْمِ، وهو الأثر والجُرْحُ.

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨.

(٢) تقدم.

وقوله: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

القراءةُ النَصْبُ، ويجوز الرفع: صُنْعُ، فمن نصب فعلى معنى المَصْدَرِ، لأن قوله: ﴿وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ...﴾ دَلِيل على الصَّنْعَةِ، كأنه قِيلَ صَنَعَ اللَّه ذلك صنعاً. ومن قال صُنْعُ اللَّه بالرفع، فالمعنى ذَلِك صُنْعُ اللَّهِ.

وقوله عزو جل: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾.

وَأَتَاهُ داخرين، مَنْ وَحَّدَ فللفظ كُلّ، ومن جمع فلمعناها.

وقوله: ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هِذِه البَلْدَةِ الَّذِي حَرّمَهَا﴾.

﴿الذي﴾ في موضع نصب من صفة ﴿ربَّ هذه البلدة﴾ وقد قُرِئَتْ: التي حَرَّمَهَا؛ وقد قرئ بها لكنها قليلة، فالتي في مَوْضِع خَفْضٍ مِنْ نعت البلدة.

وقوله عز وجل: ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾.

أي سيُريكم اللَّه آياته في جميع ما خَلَق، وفي أنفُسُكم.

سُورةُ القَصَص
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسم﴾: قد تقدم ما ذكر في هذا.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ﴾.

يقال: بان الشيء وأَبَانَ في مَعْنى واحِدٍ، ويقال بَانَ الشيء، وأَبَنْتُه أنا، فمعنى مبين مُبَيِّنٌ خَبْره وَبَرَكَتِهِ، وَمُبَيِّنُ الحَقِّ من الباطل والحلال من الحرام، ومبين أَنَّ نُبوَّةَ النبي ﷺ حق لأنَّه لَا يَقْدرُ أَحَدٌ بِمِثْلِه، ومبينٌ قصص الأنبياء.

وقوله: ﴿نتلو عليك من نبأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالحَقِّ﴾.

أي من خبر موسى وخبر فرعونَ.

قوله: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ معناه يُصَدِّقُونَ.

وقوله: ﴿إنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ﴾: مَعناه طَغَى

﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيعاً﴾.

معنى شيع فرق، أي جعل كل فرقة يُشيع بعضها بعضاً في فِعْلِها.

وقوله عز وجل: ﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾.

معنى نسائهم ههنا أنه كان يستحيي بَنَاتِهِمْ، وإنما كان يعمل ذَلِكَ لأنه قال له بعضُ الكهنة إن مَوْلُوداً يُولَدَ في ذلك الحين يكونُ سَبَبَ ذَهَاب مُلْكِكَ، فالعَجَبُ من حُمْقِ فِرْعَوْنَ، إن كان الكاهن عنده صادقاً فما ينفع القَتْلُ، وإن كان كاذباً فما معنى القَتْل.

وقوله عز وجل: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِين اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ﴾.

يعني بني إسرائيل الذين استضْعَفهم فرعونُ.

﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾.

أي نجعلهم ولاةً يُؤتَمُّ بِهِمْ[1].

﴿وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ﴾.

أي يرثون فرعون وملكه.

وقوله: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهَمْ في الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ﴾.

القراءة النَّصبُ، نُمَكِّنَ ونُرِيَ. وَيَجوزُ الرَّفع.. وَنُمكِّنُ لَهُمْ في الأَرْض وَنُرِي - بإسكان الياء، فمن نَصَبَ عطف على نَمُنَّ، فكأن المعنى وان نمكِّنَ وَأَنْ نُرِيَ، ومن رفع فعلى معنى ونَحْنُ نمكن، وقُرِئَتْ: ويُرَى فِرْعَوْنُ وهامانُ وَجُنُودُهُمَا، فَيُرى يكونُ في مَوْضِعِ نَصْبٍ على العطف على نُمَكِّن، ويجوز أَنْ يكون في موضع رفع على وسَيُرَى فِرْعَونُ وهامان وجنودُهما.

وقوله: ﴿وَأَوْحَينا إلى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾.

قيل إن الوحيَ ههنا أَلْقَاءُ اللَّهِ في قلبها، وما بعد هَذا يَدُلَ-واللَّهُ

(١) في الأصل: يؤتم به.

أعلم ـ أنه وَحْيٌ من اللَّه عز وجل على جهة الاعلام للضَّمَانِ لها.

﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

ويدل عليه: ﴿ولتعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾.

وقد قيل إنَّ الوحي ههنا الإلهام، وجائز أن يُلْقي اللَّه في قلبها أَنَّهُ مردودٌ إليها وأنه يكون مُرْسَلاً، ولكن الإعلام أَبْيَنُ في هذا أَعْني أن يكون الوحي ههنا إعْلَاماً. وأصل الوحي في اللغة كلها إعْلَامٌ في خِفْي، فلذلك صار الإلْهَامُ يُسمَّى وَحْياً.

وقوله: ﴿فَأَلْقِيهِ فِي اليمّ﴾: اليمُّ البَحْرُ.

وقوله تعالى: ﴿فالتقطه آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وحَزَنَاً﴾.

ويجوز وحُزْناً، ومعنى ليكون لهم عَدُوًّا أي ليصير الأمر إلَى ذَلِكَ لا أنهم طلبوه وأَخذُوهُ لهذا كما تقول للذي كسب مالاً فأَدّى ذلك إلى الهَلَاكِ: إنما[1] كسب فلانٌ لِحَتْفِهِ، وهو لم يَطْلُب المَالَ للحَتْف، ومثله: فَلِلْمَوْتِ ما تَلِدُ الوَالِدَةُ، أي فهي لَمْ تَلِدْهُ طَلَباً أَنْ يَمُوتَ وَلَدُهَا ولكن المصير إلى ذلك.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لي وَلَكَ﴾.

رفع قُرَّةُ عَيْن على إضمار هو قرةُ عين لي ولك، وهذا وقفُ التَّمَامِ، وَيَقْبُح رفْعُه علَى الابتداء وأن يكون الخبر «لا تَقْتُلوهُ» فيكون كأنَّه قَدْ عَرَفَ أنه قرة عين له[2]، ويجوز رفعه على الابتداء عَلَى بُعْدٍ على معنى إذا كان قرة عين لي ولك فلا تَقْتُلْه، ويجوزُ النَّصْبُ ولكن لا

(١) في الأصل وإنما.

(٢) يقبح أيضاً لأن الخبر إنشائي.

تقرأْ به لأنه لم يأتِ فيه روايةُ قراءة، والنصبُ على معنى لا تَقْتُلُوا قُرَّةَ لي ولك لا تقتلوه، كما تقول زيداً لَا تَضْرِبْهُ.

وقوله عز وجل: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً﴾.

المعنى أصبح فارغاً من كل شيء إلا مِن ذِكْرِ مُوسَى ، وقيل إلاّ مِنَ الهمِّ بموسى والمعنى واحدٌ.

﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾.

المعنى إن كادت لتظهَر أنه ابنُهَا، وقد قُرِئَتْ فَرِغاً، والأكثرفارِغاً.

﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾.

معناه لولا رَبْطُنَا على قَلْبها، والربط على القلب إلْهَامُ الصَّبْرِ وتشديدُهُ وتَقْوِيتُهُ.

وقوله: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾.

بمعنى اتْبعي أَثَرَهُ.

﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ﴾.

معناه فاتْبَعَتْهُ، فَبصُرَت به عن جُنُبٍ أي عن بعد تُبْصِرُ ولا تُوهِمُ أنها تراه، يقال: بَصُرْتُ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَعَنْ جَنَابَةٍ إذَا نَظَرتْ إلَيْهِ عن بُعْدٍ، قال الشاعِرُ[1]:

فلا تحرمَنِّي نائلا عن جنابة ... فإنِّي امْرُؤٌ وَسْطَ القِبَابِ غَرِيبُ

أي لا تحرمني نائلا عَنْ بُعْدٍ، وإن كنت بعيداً مِنكَ.

---

(١) لعلقمة بن عبدة. الكامل ٢/ ٣٧ (تجارية) والمفضليات ٧٨٩، والقرطبي ٥/ ١٨٣، والسنتمري ٢/ ٤٢٣، والديوان من الستَّة ١٠٧.

وقوله عز وجل: ﴿ وَحَرَّمْنا عَليه المَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ﴾.

معناه من قبل أن نَرُدَّهُ على أُمِّه، وكان موسى لم يأْخُذْ من ثَدْيٍ، أي لم يرضع من ثَدْيٍ إلى أَنْ رُدَّ إلى أُمِّهِ فرضع منها، وهذا معنى ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ المَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾.

﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ ﴾.

أي فقالت أخت موسى عليه السلام لما تعذَّرَ عَلَيْهِمْ رَضَاعُه: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكفلونه لكم وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾.

فلما سمعوا قولها: ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾. قالوا: قد عَرَفْتِ أَهْلَ هَذا الغُلام - بقولك وهُمْ لَه ناصحون، فقال عَنيتُ «هم له» هم للمَلِك نَاصِحُونَ، فَدَلَّتْهم على أُمِّ مُوسَى، فَدُفع إليها تربِّيه لهم فِي حِسَابِهِمْ(١)

وقوله: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَي تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعدَ اللّه حَقٌّ ﴾.

يعني ما وعدت به مما أُوحِيَ إليها من قوله: ﴿ إِنَّا رَادُّوه إِلَيْكِ وَجَاعِلُوه مِنَ المُرْسَلِينَ ﴾. واستقر عندها أنه سيكون نبياً.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ واسْتَوَى ﴾.

قيل الأَشَدُّ بِضع وثلاثون سنة. وهو ما بين ثلاث وثلاثين الى تسع وثلاثين. وتأويل «بَلَغ أَشُدَّهُ» استكمل نهاية قوَّةِ الرَّجُل وقيل إن معنى واسْتَوَى - بلغ الأَرْبَعين، وجائز أن يكون «اسْتوى» وَصَل(٢) حقيقة بلوغ الأَشُدِّ.

---

(١) في تقديرهم وظنهم أنها تربيه لهم.

(٢) في الأصل: وَصَفَ.

وقوله: ﴿ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً ﴾.

فَعَلِمَ مُوسَى عليه السلام وحكم قبل أَنْ يُبْعَثَ.

﴿ وكَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِين ﴾.

فجعل اللّه إتيان العلم والحكمة مجازاةً على الاحْسَان لأنَّهُمَا يَؤَدِّيانِ الى الجنةِ التي هي جزاء المحسنِين، والعالمُ الحكيمُ مَن استعمل عِلْمَهُ، لأن اللّه ـ عز وجل ـ قال: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُم لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾(١).

فجعلهم اذ لم يَعْملُوا بالعلم جُهَّالاً.

وقوله عز وجل: ﴿ وَدَخَلَ المَدِينَةَ عَلَى حِين غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ﴾.

جاء في التفسير أنه دخلها وقت القائلة، وهو انتصاف النَّهَار وقوله: ﴿ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾.

هذا موضع فيه لطف، وذلك أَنه قيلَ في الغائِب «هذا» والمعنى وَجد فيها رَجُلَيْن أَحَدُهُمَا مِنْ شِيعَتِه وأَحدُهما مِن عَدُوِّه، وقيل فيهما هذا وهذا على جهة الحكاية للحضرة، أي فوجد فيها رَجُلَيْنِ إذا نظر إليهما النَّاظِرُ قال هذا من شيعته وهذا مِنْ عَدُوّه.

﴿ فَاسْتَغَاثَه الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ ﴾.

اي استنصره، والذي من شيعته من بني إسرائيل، والذي من عَدُوّه من اصحاب فرعون. وجاء في التفسير أن فرعون كان رجلاً من أهل اصطخر، ويقال إن الرجل الذي هو من عدوه رجل من القِبْطِ، وقيل أيضاً من أهل اصْطَخْرٍ.

(١) سورة البقرة الآية ١٠٢.

﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضى عَلَيْهِ ﴾.

أي فَقَتَلَهُ، والوَكْزُ أَنْ تَضْرِبَ بِجُمع كَفِّك، وقد قيل وكزه بالعصا.

وقوله: ﴿ قَالَ هذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾.

يدل أن قتله إياه كان خطأ وأنه لم يكن أُمِرَ «موسى» بقَتْلٍ ولا قِتالٍ ﴿قَالَ رَبِّ إني ظلمتُ نفسي فاغفرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾.

وقوله: ﴿ فأصبح في المدينة خائفاً يَتَرَقَّبُ، فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ﴾.

أي يستغيث به، والاستصْراخُ الإِغَاثةُ والاسْتِنْصَارُ.

﴿قَالَ يَا مُوسَى إنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴾.

وقوله: ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرادَ أَنْ يَبْطِش بالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا ﴾.

وتقرأ يَبْطُشُ. المعنى - واللَّه أعلم - فلما أَرَادَ المُسْتَصْرِخ أَنْ يَبْطِشَ مُوسَى بالذي هو عَدُوٌّ لَهُمَا، ولم يفعل موسى، قال موسى إنك لَغَوِيٌّ مُبينٌ.

﴿قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كما قَتَلْتَ نَفْساً بالأَمْسِ إنْ تُرِيدُ إلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً في الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكونَ مِنَ المُصْلِحِينَ ﴾.

فأفشى على مُوسَى عليه السلام. ويقال إنَّ من قتل اثنين فهو جَبَّارٌ، والجبار في اللغة المتعظّمِ الذي لا يتواضع لأمْرِ اللَّهِ، فالقاتِلُ مؤمِناً جَبَّارٌ، وكل قاتل فَهُوَ جَبَّارٌ. قتل واحداً أو جماعة ظُلْماً.

وقوله: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾.

يقال إنه مؤمن آل فِرْعَونَ، وإنَهُ كان نَجَّاراً، ومعنى يَسْعَى يَعْدُو.

﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلوكَ﴾.

الملأ أشراف القوم، والمنظورُ إليهم، ومعنى يأتمرون بك يأمر بعضهم بعضاً بقتلك.

﴿فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾.

أي فاخرج من المدينة، وقوله «لك» ليست من صلة النَّاصِحِينَ لأن الصلة لا تقدَّمُ على الموصول، والمعنى في قوله «إني لك» أنها مُبينَةٌ كأنه قال إني من الناصحين ينصحون لك، والكلام نصحت لك، وهو أكْثَرُ من نَصَحْتُكَ.

وقوله: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾.

أي يرقبُ أن يلحقه مَنْ يَقْتُله، وينظر الآثار.

وقوله عز وجل: ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

يعني من قوم فرعون.

وقوله: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِينَى سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.

«مَدْيَن» مَاءٌ كان لقوم شعيب يقال إنّ بيْنَهُ وبيْنَ مِصْرَ مَسِيرَةُ ثَمانية ايام، كما بين البصرة والكوفة، وكان موسى عليه السلام خرج مِنْ مِصْرَ ومعنى تلقاء مَدْيَن، أي سَلك في الطريق التي تلقاء مَدْيَنَ فيها.

﴿قال عَسَى رَبّي أن يهدني سواءَ السَّبيل﴾.

السبيل الطريق، وسواء السبيل قصد الطريق في الاستواء.

قوله: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾.

مَدْيَن في موضع خفض، ولكنه لا ينصرف لأنه اسم للبقعة.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾.

أمة جماعة.

﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾.

أي تذودان غَنَمَهُمَا عن أَنْ يَقْرُبَ موضع الماء، لأنَّها يَطْرِدُهَا عن الماء من هو على السَّقي أقوى مِنْهُمَا.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾.

أَي مَا أَمْرُكما، معناه مَا تَخْطُبان، أي ما تُرِيدَانِ بِذَوْدِكُمَا غَنَمكُمَا عن الماء.

﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يَصْدُرَ الرِّعَاءُ﴾.

وقرئت ﴿حتى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ - بضم الياء وكسر الدال - أي لا نَقْدِرُ أن نسقي حتى تَرُدَّ الرعاةُ غَنَمَهُمْ وَقَد شَرِبَتْ فيخلو الموضع فَنَسْقي. فَمن قرأ يَصْدُر بضم الدال فمعناه حتى يرجعَ الرِّعاءُ، والرِّعاء جمعُ راعٍ، كما يقال صاحب وصحاب.

وقوله: ﴿وَأبونا شيخ كبير﴾.

الفائدة في قوله: ﴿وَأبونا شيخ كبير﴾. أي لا يمكنه أن يَرِدَ وَيَسْقي.

فلذلك احتجنا ونحن نِسَاءٌ أَنْ نسقيَ.

﴿فَسَقى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ الآية.

أي فسقى لهما من قَبْلِ الوَقْتِ الذي كانتا تسقيان فيه، ويُقَال إنَّهُ رَفع حَجَراً عن البِئْرِ كان لا يرفعه إلاَّ عَشَرةُ أَنْفُسٍ. وقيل إنَّ مُوسى كان في ذلك الوقت من الفقر لا يقدر على شَقِّ تمرةٍ[1].

وقوله: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُما﴾.

المعنى فلما شَرِبَتْ غنمهما رَجَعَتَا إلى أَبِيهِمَا فأخبرتاه خبر مُوسَى وَسَقْيه غَنَمَهُمَا، وجاءتاه قبل وقتهما شاربةً غَنَمُهُمَا، فوجَّهَ بإِحْداهُما تَدْعُو مُوسَى فجاءته ﴿تمشي عَلَى اسْتِحيَاءٍ﴾. جَاءَ في التفسير أنها ليست بخرَّاجَةٍ مِنَ النِّسَاءِ ولا ولَّاجَةٍ، أي تمشي مَشْيَ مَنْ لم تَعْتَدِ الدخول والخروج مُتَخَفِّرَةً مستحيية.

﴿قَالَتْ إنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾.

المعنى فأجابها فمضى معها إلى أبيها.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيه القَصَصَ﴾.

أي قصَّ عليهِ قِصَّتهُ في قتلهِ الرَّجُلَ، وأنهم يطلبونه ليقتلوه.

﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

وذلك أَنَّ القوم لم يكونوا في مملكة فِرْعَونَ[2]، فأعلم شعيبٌ موسى أنَّه قد تَخَلَّصَ من الخوف، وأنه لا يقدر عليه - أعني بالقوم قوم مَدْيَنَ الذين كان فيهم أبو المرأتين. ويقال في التفسير إنه كان ابن أخي شعيب النبيّ عليه السلام.

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾.

أي اتخذه أجيراً.

---

(١) لا يملك ما يعادل نصف تمرة.

(٢) أي قوم مَدين.

﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ﴾.

أي انَّ خير من اسْتَعْمَلْتَ مَنْ قَوِيَ على عملك وأَدَّى الأمانَةَ فيـه، وإنما قالت «القَوِيُّ الأمين» فَوَصَفَتْـه بالقـوَّة لِسَقْيِهِ غنمهـا بِقُوَّة وشـدَّة، وقيل لقوته على رفع الحجـر الذي كـان لا يُقِلُّه أقلُّ من عَشَـرةِ أَنفس. وقد قيل إنه كان لا يقله أقلُّ من أرْبعين نَفْساً. فأَما وصفهـا له بـالأَمَانَـةِ فقيل إنَّ مُوسَى لما صار معهـا إلى أبيها تقـدَّم أَمَامَهَـا وأَمَرهَـا أن تكون خلفـه، وَتَـدُلَّـه على الـطريق، وخـاف إذا كـانت بين يـديـه أَنْ تُصِيبَ مَلْحَفَتَها الرِّيحُ فيتبيَّن وصْفها، فذلك ما عرفته من أمانته.

وقوله: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾.

معنى أُنْكِحُكَ أُزَوِّجُكَ.

﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمانِيَ حِجَجٍ﴾.

أي تكون أجيراً لي ثماني سنين.

﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدَكَ﴾.

أي فذلك بفضلٍ منك ليس بِوَاجِبٍ عَلَيْكَ.

﴿قالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾.

أي ذلك الذي وَصَفْتَ لِي بيني وبينك، ومعناه، مـا شَرَطْتَ عَلَيَّ فلك وما شرطت لي فلي، كذَلك الأَمرُ بَيْنَنَا، ثم قال:

﴿أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلاَ عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾.

والعُدْوَانُ المجاوزة في الظُّلِمْ، وعُدْوَانُ منصـوبٌ بلاَ، ولـو قُرِئَتْ

فَلَا عُدْوَانٌ عليَّ لجاز من جهتين إحْدَاهما أَنْ تَكونَ «لا» رافعة كَلَيْسَ كما قال الشاعِرِ:[1]

مَـن صَـدَّ عـن نِـيـرانِـهـا فـأنـا ابن قيسٍ لَا بَـراحُ

ويجـوز أن يكون «عُـدْوَانُ» رَفْعاً بـالابتـداء و«عَلَيَّ» الخبرُ، و«لا» نافية غير عَامِلةٍ، كما تقول لاَ زَيْدٌ أَخُوكَ وَلاَ عَمْرٌو، و«أيّ» هي في موضع الجزاء مَنْصُوبةٌ بِقَضَيْتُ، وجواب الجزاء فَلا عُدْوَانَ، و«ما» زائدة موكّدة، والمعنى أي الأجلين قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى ما نَقُولَ وَكِيلٌ﴾.

أي واللَّهُ عَزّ وَجَلَّ شَاهِدُنا على ما عَقَدَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ.

وقوله: ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾.

يُروَى أنه قضى أتمَّ الأجَلَيْنِ، وهو عَشْرُ سِنِين.

وقوله: ﴿ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً﴾.

آنس علم وأبصر، يقال: قد آنست ذلك الشخص أي أَبْصَرْته.

﴿قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إنّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلّي آتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ﴾.

أي لعلي أعلم لِمَ أُوقِدَتْ.

﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ﴾.

الجـذوة القطعـة الغليظة من الحـطب، ويقرأ: أَوْ جُـذوة بالضَّمِّ، ويقال حَذْوة بالفتح. فيها ثلاث لغات.

وقوله: ﴿في البُقْعَةِ المُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾.

---

(١) تقدم ص ٢٧٠ جـ ١.

سُمَيتْ مباركة لأن اللّه كلم موسى فيها، وبعثه نبيًّا، ويقال بُقعَةٌ وبَقْعة بالضَّمّ والفَتْح. وقد قرئ بهما جميعاً، فمن جمع بِقاعاً فهي جمع بَقْعَةٍ بالفتح، مثل قَصْعَة وقِصَاع، ومن قال بُقْعة - بالضم - فأجود الجمع بُقَع مثل غُرفة وغُرَفٌ، وقد يجوز في بُقْعة بقاع مثل حُفْرَة وحِفَار.

وقوله: ﴿أَنْ يَا مُوسَىٰ﴾.

«أن» في موضع نصب المعنى نُودي بأنه يَا مُوسَى وكذلك ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ عطفٌ عليها.

﴿فَلما رآها تهتز كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾.

معناه لم يَلْتَفِتْ.

وقوله: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ﴾.

أي قد آمنت من أن يَنَالَك منها مكروه وهي حيَّةٌ.

﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾: أي من غَيْر بَرَصٍ. ﴿واضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾.

والرُّهْبِ جميعاً ومعناهُمَا واحدٌ، مثل الرُّشد والرَّشَدِ، والمعنى في جناحك ههنا هو العَضُد، ويقال اليد كلها جناحٌ.

وقوله: ﴿فَذانِك بُرْهَانَانِ﴾.

تقرأ بتخفيف النون وتشديدها - فَذَانِّك - فكأن فَذَانِّكَ تَثْنِيةُ ذَلِكَ وذانك تثنية ذَاكَ جعل بدل اللام في ذلك تشديد النُّونِ في ذَانِك وبرهانان آيَتَانِ بَيِّنَتَان.

﴿ إلى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾.

أي أرسلناك إلى فرعون وَمَلَئِهِ بهاتين الآيتَين.

وقوله: ﴿فَأَرْسِلْه مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾

ويُصَدِّقْنِي - بالرفع والجزم - قرئ بهما جميعاً، فمن قرأ يُصَدِّقُنِي بضم القاف فهو صفة قوله «رِدْءًا» - والردء العَوْنُ، تقول رَدَأْتُهُ أَردؤه رَدْءًا، إذا أعنته، والرِّدْءُ المُعينُ. ومن جزم «يُصَدِّقْني» فعلى جواب المسألة، أرسله يُصَدِّقْنِي، ومن رفع يصدقني فالمعنى رِدْءاً مُصَدِّقاً لِيَ.

وقوله: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾.

أي سنعينك بأخيكَ، ولفظ العضُدِ على جهة المثل، لأنّ اليد قوامُها عَضُدُهَا، فكل مُعِينٍ عَضُدٌ. وتقول قد عاضَدَنِي فلان على الأمر أي عاونني.

وقوله: ﴿وَنَجْعَلُ لكُمَا سُلْطَاناً﴾.

أي حجة نَيِّرَةً بَيِّنَةً، وإنما قيل للزيت السليط لأنه يستضاء به، فالسُّلْطانُ أَبْيَنُ الحُجَجِ.

وقوله: ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بآيَاتِنَا﴾.

أي بسلطاننا وحجتنا. فبآياتنا مِنْ صِلَة يَصِلُونَ، كأنه قال: لَا يَصِلُونَ إليكُمَا، تَمْتَنِعَانِ منهم بآياتنا. وجائز أن يكون «بآياتنا» متصلا[1] بنجعل لكما سُلطاناً بآياتنا، أي حجة تدلُّ عَلَى النُّبوَّةِ بآياتنا، أي بالعَصَا واليَدِ، وسائر الآيات التي أُعْطِيَ مُوسَى عليهِ السلام. ويجوز أن يكونَ بآيَاتِنَا مُبيناً عن قوله: ﴿أنتما وَمَن اتَّبَعَكُمَا الغَالِبُونَ﴾

(١) في الأصل «متصل».

أي تغلبون بآياتنا.

وقوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بآياتنا بَيِّنَاتٍ﴾ الآية.

لم يأتوا بحجة يدفعون بها مَا ظَهَرَ مِنَ الآيَاتِ الَّا أن قالوا إنها سِحْرٌ فلما جُمِعَ السَّحَرةُ بينوا أَنَّ آيات موسى عليه السلام ليست بسحر، فغلَبَ موسى بآيات اللَّه وبحجته كما قال عز وجل به.

وقوله: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾.

أي اعمل آجرًّا، ويقال إنَّ فرعونَ أولُ من عَمِلَ الآجُرَّ.

﴿فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً﴾.

والصرح كل بناء متسع مرتفع(١)

وقوله: ﴿لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلهِ مُوسَى﴾.

فظن فرعون أنه يتهيأ له أَنْ يبلغ بصرحه نحو السماء فَيَرَى السَّماءَ وَمَا فِيها.

﴿وَإِنِّي لأظُنُّه مِنَ الكَاذِبِينَ﴾.

الظَّنُّ في اللُّغَةِ ضَربٌ يكون شَكًّا ويَقِيناً. وقول فِرْعَوْنَ: وإني لأظُنُّه اعتراف بأنه شاكٌّ، وانه لم يتيقَن أَنَّ موسى كاذِبٌ، ففي هذا بيان أنه قد كفربموسى على غير يقين أَنَّه ليس بِنَبِيّ، وقد وَقَعَ في نفسه أنه نبي لأن الآيات التي هي النبوة لا يجْهَلها ذو فطرة، وقوله في غير هذا الموضع: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ والأرضِ بَصَائِرَ...﴾(٢)، دليل على أنه قد أَلْزَمَ فرعونَ الحجَّةَ القَاطِعَةَ.

---

(١) انظر ص١٢٢من هذا الجزء الآية: ﴿قيل لها ادخلي الصرح﴾.

(٢) سورة الاسراء الآية ١٠٢.

وقوله : ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي اليَمِّ ﴾ .

اليَمُّ البحرُ وهو الذي يقال له «إيسَافُ» وهو الذي غرق فيه فِرعَوْنُ وجنوده بناحية مصر .

وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ .

أي من اتبعهم فهو في النار .

﴿وَيَوْمَ القِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾ :

أي لا نَاصِرَ لَهُمْ ولا عَاصِمَ من عذاب اللَّه .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ مِنْ بَعْدِمَا أَهْلَكْنَا القُرُونَ الأُولَى ﴾ .

فكان خاتَمَة إهْلَاكِ القُرون بالعَذَاب في الدُّنْيا أن جعل المُكَذِّبِينَ بِمُوسَى الذين عَدَوْا في السَّبِت قِرَدةً خاسِئينَ عند تكذيبهم بِمُوسَى عليه السَّلَامُ .

وقوله : ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ ﴾ .

أي مُبَيِّناً للناس ، المعنى ولقد آتينا موسى الكتاب بصائر للنَّاسِ أي هذه حال إتْيَانِنَا إيَّاهُ الكتاب مُبَيِّناً نُبَيِّنهُ للناس ، ﴿ وهدًى ورحمةً ﴾ عطف على بصائِرَ ، ولو قرئت بالرفع على معنى فهو هُدًى ورحمةٌ جَازَ والنصب أجود ولا أعلم أَحَداً قرأ بالرفع ـ فلا تقرَآن بها .

وقوله : ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الغَرْبِيِّ ﴾ .

أي وما كنت بجانبِ الجبل الغربي .

﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾ .

أَي مَا كنتَ مُقِيماً في أهلِ مَدْيَنَ.

﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إذْ نَادَيْنَا ﴾: يَعْنِي [نادينا] مُوسَى.

﴿وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾.

المعنى إنـك لم تشاهـد قَصَصَ الأنبياء، ولا تُلِيَتْ عَلَيْـكَ، ولكن أَوْحَينـاها إليـك، وقَصَصْنَاهـا عليك رحمـةً مِنْ رَبِّكِ لتنـذِر قـومـاً، أي لتعرِّفهمُ قَصَصَ مَن أُهْلِكَ بِالعَذَابِ ومن فاز بـالثواب، ولـو قرئت «ولكن رحمةٌ» لكان جائزاً على معنى ولكنْ فِعلُ ذلك رَحْمةٌ من رَبِّك، والنَّصْبُ على معنى فعلنا ذلك للرحمـة، كما تقـول: فعلت ذلك ابتغـاء الخَيْر، أي فعلته لابتغاء الخَيْر، فهو مفعول له.

وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بمـا قَدَّمَتْ أَيْـدِيهِمْ فيقولـوا رَبَّنَا لولا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فنتبعُ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ ﴾.

أي لولا ذلك لم يحتج إلى إرْسَالِ الرُّسُل، ومواترة الاحْتجاج.

وقوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا ﴾.

أي فلمـا جـاءتهم الحجـة القَـاطِعَـةُ التي كـان يجـوز أَنْ يَعْتَلُّو بتأَخُّرِهَا عنهم.

﴿قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ ما أُوتِيَ مُوسَى ﴾.

الـمعـنـى: هــلا أوتـي مُـحـمَّـدٌ مثـلَ مـاَ أوتـي مــوسـى، صـلى اللَّه عَلَيْهِمَا من أمر العصا والحية وانفـلاق البحر، وسـائر الآيـات التي أَتَى بِهَـا مُوسَى، فقـد كفروا بـآيات مـوسى كما كفـروا بـآيـات محمَّدٍ عليهما السلام[١].

﴿قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا ﴾.

---

(١) طلبوا معجزات مادية، ولو جاءتهم لكفروا بها.

أي تعاونا. جاء في التفسير أنهم عَنَوْا موسى وهرون. وقالوا عَنَوْا موسى وعيسى، وقيل عَنَوْا موسى ومحمَّداً عليهما السلام. وقرئ ﴿سِحْرانِ تَظَاهَرَا﴾ يَعْنُونَ كِتَابَيْنِ، فقالوا: الانجيل والقرآن، ودليل مَن قرأ سِحْران قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا﴾.

وهذا لا يمنع سَاحِران، لأن المعنى يصيرُ: قل فأتوا بكتاب من عِنْد اللَّه هُوَ أَهْدَى مِنْ كِتَابَيهِمَا.

وقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾.

فأعلم أن مَا ركبُوه من الكفر لا حجَّةَ لَهُم فِيه، وإنما آثروا فِيه الهَوَى وقد علموا أنه هو الحق.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ القَوْلَ﴾.

أي فَصَّلْنَاه بأن فصَّلْنا ذكر الأنبياء وَأَقَاصِيصَهُمْ، وأقاصيص مَنْ مَضَى، بعضها بِبَعْضٍ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: أي لَعَلَّهُمْ يَعْتَبِرُونَ.

وقوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هم به يُؤْمِنُونَ﴾.

جاء في التفسير أن هؤلاء طائفة من أهل الكتاب كانُوا يَأْخُذون به وينتهون إلَيْهِ ويقفون عندَهُ. كانوا يحكمون بحكم اللَّه، بالكتاب الذي أُنْزِلَ قَبل القرآن. فلما بُعِثَ مُحمَّدٌ ﷺ وتلا عليهم القرآنَ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إنَّه الحَقُّ مِنْ رَبِّنَا.

وذلك أَنّ ذكَرَ محمد ﷺ كان مَكْتُوباً عندهم في التوراة والانجيل، فلم يعانده هؤلاء وآمَنُوا وَصَدَّقُوا، فأثنى اللَّه عليهم خيراً وقال:

﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾.

أي يؤتون أجرهم بإيمانهم بالكتاب الذي مِنْ قبلِ محمد ﷺ، ويُؤْتَوْنَ أجرهم بالإيمان بمحمد ﷺ والقرآن.

﴿ويَدْرَأُونَ بالحَسَنةِ السَّيِّئَةَ﴾.

معنى يَدْرَأُون يدفعون ـ بما يعلمون من الحسنات ـ ما تَقَدَّم لهم من السَّيِّئَاتِ.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾: أَيْ يَتَصَدّقون.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾.

أي إذا سمعوا ما لا يجوز وينبغي أن يُلْغَى لم يلتفتوا إليه.

﴿وقالوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لا نبتغي الجَاهِلِينَ﴾.

ليس يريدون بقولهم ههنا سلام عليكم التحيَّة، المعنى فيه أعرضوا عنه وقالوا سلام عليكم، أي بيننا وبينكم المتَاركةُ والتَّسَلُّمُ. وهذا قبل أن يُؤْمَرَ المُسْلِمُون بالقِتَالِ.

وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ولَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

أجمع المفسرون أنها نزلت في أَبِي طَالِبٍ، وجائز أن يكون ابتداء نزولها في أبي طَالِبٍ وهي عامَّةٌ، لأنه لا يهدي إلا اللَّه، وَلَا يُرْشِدُ ولا يوفق الا هو، وكذلك هو يُضِلُّ من يشاء.

﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾.

كانوا قالوا للنبي ﷺ إنا نعلم أن ما أتيت به حَقٌّ، ولكنا نكره إنْ آمَنَّا بِكَ

أن نُقْصَـدَ ونُتَخَطَّفَ منْ أَرْضِنَـا فأعلمهم اللَّه أنـه قَدْ تَفَضَّـلَ عَلَيْهِمْ بـأن آمنهم بمكَةَ، فَأَعْلَمَهُم أن قد آمَنَهُمْ بحرمَـةِ البَيْتِ، ومنع منهم العَـدُو[1] أي فلو آمنوا لكـان أولى بالتمكن والأمن والسَّلاَمَةِ.

وقـولـه عـز وجـل: ﴿وَمَـا كَانَ رَبُّـكَ مُهْلِكَ القُـرَى حَتَّـى يَبْعَثَ فِي أُمِّهـا رَسُولاً﴾.

يعني بأمها مَكَّةَ، ولم يكن ليُهْلكَهَا إلاَّ بظلِمْ أهْلِهَا.

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْـداً حَسَناً فَهُـوَ لاَقِيــهِ كمن مَتَّعْنَـاه متاعَ الحَيَـاةِ الدُّنْيَا﴾.

يعني المؤمِنُ والكـافِر، فـالمؤمِنُ من آمن باللَّه ورسـوله وأطـاعه ووقف عند أَمْرِه فَلُقِّيَهُ جزاءَ ذَلِكَ، وهو الجنَّةُ، والذي مُتِّعَ متاعَ الحيـاة الدنيا كافرُ. لم يُؤْمِنْ باللَّه ثم أُحْضِرَ يوم القيامَةِ العَذَابَ وذلك قوله عز وجل:

﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ المُحْضَرِينَ﴾.

وجاء في التفسير أن هـذه الآية نَـزَلَتْ في محمد ﷺ وأبي جَهْـلِ ابْنِ هِشَـامٍ فالنبي ﷺ وُعِـدَ وَعْداً حسنـاً فَهُوَ لاَقِيـه في الدنيـا بأنـه نُصِرَ على عَدُوِّهِ في الدنيـا، وهو في الآخـرة في أعلى المراتب من الجنـة، وأبو جهل من المُحْضَرِينَ.

وقوله عز وجل: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَت مَعِيشَتَها﴾.

«معيشتها» مَنْصُوبَةٌ بإسقـاط في وَعَمَل الفِعْـل. وتأويله بـطرت في مَعِيشَتِها والبطرُ الطغيانُ بالنِّعْمَةِ.

---

(١) منع العَدُوَّ من التعدي عليهم.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

أي يوم ينادي الأنَس. وسماهم «شركائي» على حِكَايَةِ قَوْلِهِمْ، المَعْنَى أين شركائي في قولكم، واللَّه واحدٌ لا شريك له.

﴿قال الذين حقَّ عَلَيهِمُ القَوْلُ﴾: الجِنُّ، والشَّيَاطِينُ.

﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ [كَمَا غَوَيْنَا]﴾.

يعْنُونَ الإنْسَ، أي سولنا لهم الغَيَّ والضلاَلَ.

﴿أَغْوَيْنَاهُم كَمَا غَوَيْنا﴾.

أي أضللناهم كما ضَلَلْنَا.

وقوله عز وجل: ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾.

برئ بعضهم من بَعْضٍ، وصاروا أَعْداءً، كما قال اللَّه عز وجل: ﴿الأخلاءُ يومئذٍ بعضُهم لبعْضٍ عَدَوٌّ إلَّا المُتَّقِينَ﴾(١).

وقوله: ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾.

أي لم يُجيبوهم بحجَّةٍ.

﴿وَرَأَوُا العَذَابَ لَوْ أَنَّهُم كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾.

جواب «لو» محذوف ـ واللَّه أعلم ـ المعنى لو كانوا يَهْتَدُونَ لما اتَّبعُوهم ولا رأوا العذابَ.

وقوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، مَا كَانَ لَهُمُ الخِيرَةُ﴾.

أجود الوقوف على ويختار، وتكون «مَا» نفياً. المعنى ربك يخلق ما يشاء، وربك يختار لَيْسَ لهم الخيرة، وما كانت لهم الخيرةُ، أي

(١) سورة الزخرف /٦٧.

ليس لهم أن يَخْتـاروا على اللَّه، هـذا وجـه. ويجـوز أن تكـون مـا في معنى الذي فيكون المعنى ويختار الذي كـان لهم فيه الخيـرة. ويكون معنى الاختيار ههنا ما يتعبدهم به، أي ويختار لهم فيمـا يدعـوهم إليه مِنْ عِبَادَتِه ما لهم فيه الخيرة، والقول الأول أجـودُ - [أي] أن تكون مـا نَفْياً.

وقوله: ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

معنى سبحان اللَّه تنزيه له من السُّـوءِ. كذا هـو في اللغة - وكـذا جاء عن النبي ﷺ.

قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم إنْ جَعَلَ اللَّهُ عليكم النهَارَ سَرْمَداً إلى يَوْمِ القِيَامَةِ﴾.

السَّرمَدُ في اللُّغَةِ الدَّائِمُ.

وقوله: ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضَيَاءٍ﴾.

أي بِنَهـارٍ تُبْصـرون فيـه وتتصـرفـون في مَعَـايشكم، وتصْلحُ فيـه ثماركم وَمَنَابتكُمْ لأن اللَّـه - عز وجل - جعل الصلاح للخلق بـالليل مـع النهار، فلوكان واحِدٌ منهما دون الآخر لهلك الخَلْقُ[1]، وكذلك قـوله في النهار:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إلَى يَوْمِ القِيَـامَةِ مَنْ إلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾.

أعلمهم أن الليل والنهار رحمةٌ فقال:

﴿وَمِنْ رَحْمَتِـهِ جَعَـلَ لَكُمُ اللَّيْـلَ وَالنَّهَـارَ لِتَسْكُنُـوا فِيـهِ وَلِتَبْتَغُـوا مِنْ فَضْلِهِ﴾.

(١) لو وجد النهار دون الليل أو الليل دون النهار.

المعنى جَعَل لكم الزَّمانَ لَيْلاً ونَهاراً، لتسكنوا بالليل وتبتغوا من فضل اللَّه بالنهار. وجائز أن تَسْكنوا فيهما، وأن تبتغوا من فضل اللَّه فيهما، فيكون المعنى جعل لكم الزمان ليلاً ونهاراً لتسكنوا فيه ولتبتغُوا مِنْ فَضْلِه.

وقوله: ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شهيداً﴾.

أي نزعنا من كل أمّة نَبِيّاً أي ٱخْتَرْنَا منها نبياً وكلَّ نَبيٍّ شاهد على أمته.

وقوله: ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾.

أي هاتوا فيما اعْتَقَدْتُم بُرْهَاناً أيْ بَيَاناً أنكم كنتم على حَقٍّ.

﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الحقَّ لِلَّهِ﴾.

أي فعلموا أَنَّ الحقَّ تَوحِيدُ اللَّه وَمَا جَاءَ بِهِ أنبياؤُه.

وقوله: ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

أي لم ينتفعوا بكل ما عَبَدُوه مِنْ دُونِ اللَّهِ، بل ضرهم أعظم الضَّرَرِ.

وقوله تعالى: ﴿إنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾.

قَارُون اسم أَعْجميٌّ لا ينصرفُ، ولو كان فَاعولاً مِنَ العربيَّةِ، مِنْ قَرَنْتُ الشّيءَ - لا يُصْرف[1]. فلذلك لم يُنَوَّنْ.

وجاء في التفسير أَن قارون كان ابنَ عَمِّ مُوسَى، وكان مِنَ

---

(١) يريد أنه مع ان صيغة فاعول موجودة في اللغة العربية مثل جاسوس وقاعود وقانون، وقارون فاعول من قرنت ولكنه لا ينصرف لأنه علم أعجمي.

العُلَماء بالتَّوْرَاةِ. فبغَى على موسى وَقَصَدَ إلى الإفساد عليه وتكذيبه، وكان من طلبه للإفْسَادِ عَلَيْه أَنَّ بَغِيًّا كانت مَشْهُورَةً في بني إسرائيل فَوَجَّهَ إليها قارونُ ـ وَكَانَ أَيْسَرَ أَهلِ زَمَانِهِ ـ يأمرها أن تَصِيرَ إليه، وهو في مَلأٍ مِنْ أَصْحابه لِتَتَكَذَّبَ على مُوسَى وتقول: إنه طلبني للفساد والرِّيبَةِ، وضمن لها قَارُونُ أَنْ فعلتْ ذلك أن يَخْلِطها بِنِسَائِهِ، وَأَنْ يُعْطِيها على ذلك عَطَاءَ كبيراً، فجاءت المرأةُ ـ وقارون جالس مع أصحابه ـ وَرَزَقها اللَّهُ التوبة فقالت في نفسِها مالي مَقَامُ توبةٍ مثلُ هذا، فأقبلت على أهل المجلس وقارُونَ حَاضِرٌ، فقالت لهم إن قارونَ هَذَا وَجَّه إليَّ يأمُرُنِي وَيَسْأَلُني أن أتكذَّب على موسى، وأن أقول انه أرادَني للفساد وإنَّ قارونَ كاذبٌ في ذلك فلما سمع قارون كلامها تحيَّر وَأُبْلِسَ[1] واتَّصَلَ الخَبَرُ بمُوسَى ـ عليه السلام ـ فجعل اللَّهُ أَمْرَ قارون إلى مُوسَى وأمر الأرض أَنْ تُطيعَه فيه، فَوَرَدَ مُوسَى على قارونَ فَأَحَسَّ قارون بِالبَلاءِ، فقال يا موسى ارْحَمْني، فقال: يا أرض خُذِيهِ فخُسِفَ به وَبِدَارِه إلى رُكْبَتَيهْ، فقال: يا موسى ارحمني، فقال: يا أرض خُذِيه فَخُسِفَ به إلى سُرَّتِهِ، ثم قال: يا أرض خذيه فخسف به إلى عُنُقِهِ واسترحَمَ موسى فقال يا أرض خذيه فخسف به حتى ساخت الأرضُ بِهِ وبداره، قال اللَّه عز وجل: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ له من فِئَةٍ يَنْصُرُونَه مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ المُنْتَصِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وآتيناه من الكنوز مَا إنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالعُصْبَةِ أُولِي القُوَّةِ﴾.

روي في التفسير أنَّ مَفَاتِحَه كانت من جُلُودٍ على مقادر الاصبع وكانت تحمل على سبعين بَغْلاً أو ستين بَغْلاً، وجاء أَيْضاً أَنَّ مفاتحه

(١) بهت ولم يجد ما يقول.

خزائنُه، وقيل إن العُصْبَةَ ههنا سَبْعُونَ رَجُلاً، وقيل أربعون، وقيل ما بين الخَمسة عَشَرَ إلى الأرْبَعِين، وقيل ما بين الثلاث إلى العشرة. والعُصْبَةُ في اللغة الجماعة الذين أَمْرُهُمْ وَاحِدٌ يتابع بعضهم بعضاً في الفِعْلِ ويتعصَّبُ بعضهم لِبَعْضٍ. والأشبَهُ فيما جاء في التفسير أنّ مفاتحه خزائنهُ، وأنها خزائن المال الذي يُحْمَلُ على سَبْعِينَ، أو على أربعين بَغْلاً - والله أعلم - لأن مفاتَح جلودٍ على مِقْدَارِ الاصْبَع، تُحمَلُ على سبعين بغلاً للخزائن أمر عظيم - والله أعلم -.

ومعنى لَتَنُوءُ بِالعُصْبَةِ، لَتُثْقِلُ العُصْبَةَ. قَالَ أَبُو زَيْدٍ: يقال نُؤْتُ بالحِمْلِ أَنُوءُ به نُوءًا إذا نَهَضْت به، وناء بي الحمل إذا أَثْقَلَنِي.

وقوله: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الفَرِحِينَ ﴾.

جاء في التفسير لا تَأْشَرْ[1] إنّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الأشِرينَ. ولا تفرح ههنا - والله أعلم - أي لا تفرح لكثرة المال في الدنيا لأن الذي يفرح بالمال ويصرفه في غير أَمْر الآخِرةِ مَذْمُومٌ فيه، قال الله عَزّ وجلّ: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾[2].

والدليل على أنهم ارادوا لا تفرح بالمال في الدنيا قولهم: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾.

ولا تنس نصيبك من الدنيا، أي لا تنس أن تعمل به لآخرتك، لأن حقيقة نصيب الانسان من الدنيا الذي يعمل به لآخرَتِهِ.

---

(١) معنى لا تفرح لا تأشر ولا تبطر.

(٢) الآية ٢٣ من سورة الحديد: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ، واللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

﴿قَالَ إنَّما أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾.

ادَّعى أن المال أُعْطِيَهُ لعلمه بالتوراة، والذي رُوِيَ أنه كانَ يَعْمَلُ الكِيميَاء، وهذا لا يصح لأن الكيمياء باطلٌ لَا حقيقة لهُ.

وقوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾.

جاء في التفسير أنه خرج هُوَ وأصحابُهُ عَلَى خَيْلِهِمْ، وَعَلَيْهِمْ وَعَلَى الخَيْلِ الأُرْجُوَانُ. والأرجوان في اللغة صبغٌ أَحْمَرُ، وقيل: كان عليهم وعلى خيلهم الدِّيبَاج الأحْمَرُ.

وقوله: ﴿وَلَا يُلَقَّاهَا إلَّا الصَّابِرُونَ﴾.

أي لا يُلَقَّى هَذه الفَعْلَةَ، وهذه الكلمة يعني قولهم: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾.

وقوله: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُ بالأَمْسِ﴾.

يعني الذين قالوا: ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ ما أُوتِيَ قَارُونُ﴾.

﴿يَقُولُونَ: وَيْكَ أَنَّ اللَّه يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا، وَيْكَ أَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ﴾.

هذه اللفظة لفظة «وَيْكَ» قد أَشْكَلَتْ على جَمَاعَةٍ من أَهْلِ اللغةِ وجَاءَ في التفسير أن معناها ألم تر أنه لَا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ، وقال بعضهم معناها أَمَا تَرَى أنه لا يفلح الكافرونَ، وقال بعض النحويين - وهذا غلط عظيم - إنّ مَعناها وَيْلَكَ اعْلَمْ أنه لا يفلح الكافرون فحذف اللام فبقيتْ وَيْكَ وَحَذَفَ اعلم أنه لا يفلح الكافرون، وهذا خطأ من غير جهة، لو كان كما قال لكانت أن مكسورة كما تقول: ويلك إنه قَدْ كَانَ كذا وكذا، ومن جهة أخرى أنْ يُقَالَ لمن خاطب القوم بهذا

فقالوا: ويلك «إنه لا يفلح الكافرون»[1]، ومن جهة أخرى أنه حذف اللام من ويل.

والقول الصحيح في هذا ما ذكره سيبويه عن الخليل ويونس. قال سألت عنها الخليل فزعم أنها «وَيْ» مفصولة من كأن. وان القوم تنبهوا فقالوا: وَيْ، مَتندّمِينَ على ما سلف منهم، وكل من تندم أو ندم فإظهار تندمه أو ندامته أن يقول «وي» كما تعاتب الرجل على ما سلف منه فقول: وي، كأنك قصدت مكروهي، فحقيقة الوقف عليها وَيْ، وهو أجود في الكلام، ومعناه التنبيه والتندم، قال الشاعر:[2]

سَألَتَاني الطلاق إذ رأتاني   قلّ مالي. قد جِئْتُما فِي بنكر
وَيْكَأَن مَن يكن له نَشَبٌ يُحْبَبْ   ومن يفتقر يَعِشْ عَيْشَ ضَبْرِ

فهذا تفسير الخليل، وهو مشاكل لما جاء في التفسير، لأن قول المفسرين هو تنبيه.

وقوله تعالى: ﴿إنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ القُرآنَ لَرَادُّكَ إلَى مَعَا دٍ﴾.

معنى فرض عليك القرآن أنزله عليك وألزمك، وفرض عليك العمل بما يوجبه القرآن.

---

(١) قوم قارون بعد أن خسف اللّه به وبداره أصبحوا يشكرون اللّه. على النجاة مما أصابه ويقولون: لولا أن مَنَّ اللّه علينا لخسف بنا، وهم يخاطبون بهذا من ليس على مذهب قارون - فلا يناسب ان يقولوا له «ويلك انه لا يفلح الكافرون» والعبارة غير جيدة.

(٢) عمرو بن نفيل يتحدث عن زوجتين له فركتاه لقلة ماله وقبله

تلك عرساي تنطقان على العمد   إلى اليوم قول زور وهتر

والبيت الأول في كتاب سيبويه ٢/١٧٠ - وانظر الخزانة ٣/٩٥، ٩٦ وابن يعيش ٤/٧٦. والبيت الثاني في الكشاف في الآية نفسها وذكر المرزوقي في مشاهد الانصاف البيتين وبيتاً بعدهما - وقال ان الشعر ينسب أيضاً لسعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة.

﴿لَرَادُّكَ إِلَى معاد﴾: جاء في التفسير: لرادُّك إلى مكانك بمكة، وقيل إلى معادٍ إلى مكانك في الجنة، واكثر التفسير لباعثك، وعلى هذا كلام الناس: اذْكُر المَعَادَ. أي اذكر مبعثك في الآخرة.

وقوله عز وجل: ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ ﴾.

أيْ مُعيناً للكَافِرين، ويجوز فلا تَكُونَنْ ظهيراً، ولكني أكرهها لأنها تخالف المصحف، ويجب أن تكتب بالتخفيف بالألف.

وقوله: ﴿كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ﴾.

وجهه منصوب بالاستثناء، ومعنى الا وجههُ الا إياه، ويجوز إلاَّ وجهُهُ بالرَّفْع، ولكن لا ينبغي ان يقرأ بها، ويكونُ المعنى كل شيء غير وجهه هالك، وهو مثل قول الشاعر:[1].

وكل أخ مفارقه أخوه لَعَمْرَ أبيك إلاَّ الفَرقَدَان

المعنى وكل أخ غير الفرقدين مفارقه أَخُوه.

---

(١) البيت لعمرو بن معد يكرب الزبيدي - ومن شواهد النحو السائرة انظر الأغاني ١٤/٢٤، والاصابة ت (٥٩٧٠) والاستيعاب ٢/٥٢٠ وشواهد المغني ٧٨، وكتاب سيبويه ١/٣٢٣ بولاق، والكامل ٣٥٧ (ط المعارف). وقد تقدم.

سُورَةُ العَنْكَبُوتَ
مكيَّة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله: ﴿أَلم. أَحَسِبَ النَّاسُ﴾.

﴿أَلَم﴾تفسيرها أنَا اللّه أعلم. وقد فسرنا كل شيء قيل في هـذا في أول سورة البقرة.

وقوله: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أن يَقولُوا آمَنَّا﴾.

اللفظ لفظ استخبار والمعنى معنى تقرير وتوبيخ، ومعناه أَحَسِبُـوا أَنْ نَقْنَـع منهم أن يقولـوا «إنا مؤمنـون» فقط ولا يمتحنون بمـا يَتَبَيَّنُ بـه حقيقة إيمانهم.

وجـاء في التفسير في قـولـه ـ جـل وعـز ـ: ﴿وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ﴾، لا يختبرون بِمَا يُعْلَمُ بِهِ صدقُ إيمانهم من كذبه. وقيل: ﴿لَا يُفْتَنُونَ﴾: لَا يُبتَلَوْنَ فِي أَنْفُسِهم وأموالهم. فيعلَمُ بالصبر عَلى البَلاءِ الصَّـادِق ـ الايمانُ مِنْ غَيْرِه.

ومـوضــع «أن »الأولى نصبٌ اسمُ حَسِبَ وخبـره، ومـوضــع «أن» الثـانية نصب من جهتين أجْـوَدُهُمَا أَنْ تَكُـونَ مَنْصُوبَـةً بِيُتْرَكُـوا، فيكون المعنى أحسب الناس ان يتركوا لأنْ يقولوا، وبأن يقـولوا، فلمـا حذف حرف الخَفْضِ وصل بتُتْـرَكوا إلى أن فَنصبَ، ويَجُـوزُ أن تكون الثـانية

العـاملُ فيهـا «أَحَسِبَ»، كـأن المعنى على هـذا ـ واللّه أعلم ـ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وهم لا يُفْتَنُونَ. والأَوَّلُ أَجْوَدُ.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ فتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

أي اخْتَبَرْنَا وابْتلينا.

وقوله: ﴿فَليَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ﴾.

المعنى ولَيَعْلَمَنَّ صِـدْقَ الصَّـادِق بـوقـوع صِــدْقِـه منــه، وكَـذِبَ الكَـاذِبِ بوقـوع كَذِبـه مِنْهُ، وهـو الـذي يُجَـازِي عليـه، واللَّه قـد عَلِمَ الصَّـادِق من الكاذِبِ قبـل أَنْ يَخْلُقَهما ولكنَّ القَصْـدَ قَصْدُ وقـوع العلم بما يُجَازَى عَلَيْه.

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا﴾.

أي يَحْسَبُونَ أَنَّهم يَفُوتُونَنا، أي ليس يُعْجِزُونَنَا.

﴿ساء ما يحكمـون﴾ على معنى ساء حكمـاً يحكمونَ، كمـا تقول نعم رَجُــلاً زَيْـدٌ ـ ويجــوز أن تكـون رفعــاً، على معنى ســاء الحكم حكمهم.

وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ﴾.

معناه واللَّه أعلم من كان يَرْجُو ثوابَ لِقاءِ اللَّه، فأما من قال: إن معناه الخوف، فالخوف ضِـدَّ الرَّجَـاءِ، وليس في الكلام ضِـدٌّ. وقد بينـا ذلك في كِتَابِ الأَضْدَادِ.

وقوله: ﴿فإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ﴾.

«من» في معنى الشـرط، يرتفـع بالابتـداء، وخبرهـا كان، وجـواب الجزاء فإن أجل اللّه لآتٍ.

وقوله: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً﴾.

القـراءة حُسْنـاً، وقـد رويَتْ إحْسَـانـاً، وحُسْنـاً أَجْـوَدُ لمـوافقـة المصحف، فمن قـال حُسْناً فهـو مِثْلُ وَصَّيْنَـا إلا أن يفعل بـوالديـه مـا يَحْسُنُ، ومن قرأ إحساناً فمعنَاهُ ووصينا الانسان أن يحسـن إلى والديـه إحساناً، وكأن حُسْناً اعَمُّ في البِرِّ.

وقوله: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا﴾.

معناه: وان جاهَدَكَ أيها الانسان والداك لتشرك بي، وكذلك على أَنْ تُشْرِكَ بي، ويروى أن رَجُلًا خرج مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِراً إلى النبي ﷺ إلى المدينة، فَحَلَفَتْ أمُّه أَنْ لا يظلهـا بيت حتى يرجـع، فأعلم اللّه أَنَّ بـرَّ الوَالِدَيْنِ وَاجِبٌ، ونهى أَنْ يَتابَعَا على مَعْصِيَةِ اللّه والشرك به، وإن كان ذلك عند الوالدين برًّا.

وقوله: ﴿ومن الناس مَنْ يَقُولُ آمَنَّـا باللَّهِ فـإذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾.

أي فإذا نالَه أَذًى أَوْ عَذَابٌ بسبب إيمانه جَـزِعَ من ذلك مـا يجزع من عذاب اللّه. وينبغي للمؤمن أَنْ يَصبرَ على الأذيَّةِ في اللّه عز وجل.

وقـوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَـرُوا لِـلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُـوا سَبِيلَنَـا وَلْنَحْمِـلْ خَطَايَاكُمْ﴾.

يقرأ وَلْنَحْملْ بسكون اللام وبكسرها. في قوله ولِنَحْمِلْ. وهو أمر في تأويل الشرط والجزاء، والمعنى إن تَتَّبِعُوا سَبِيلَنَا حَمْلنا خطايـاكم.

والمعنى إنْ كَانَ فيه إثم فنحنُ نَحْتَمِلُه، ومعنى «سبيلِنَا» الطريقَ في ديننا الذي نسلكه، فأعلم اللَّه عز وجل أنهم لا يحملون شيئاً من خطاياهم فقال:

﴿وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيءٍ﴾.

معناه من شيء يُخففُ عن المحمولِ عنه العذابَ، ثم أعلم أنهم يَحملُونَ أَثْقَالَهُمْ وأثقالاً مع أَثْقَالِهم كما قال عز وجل: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(١)، فقال في هذه السورة: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أثقالَهُمْ وأثقالاً مع أَثْقَالِهِم﴾.

وجاء في الحديث تفسير هذا أنه من سَنَّ سُنَّةَ ظُلْمٍ، أو من سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فعليه إثمها وإثم من عمل بها، ولا ينتقصُ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِين عَمِلُوا بِهَا شَيءٌ. وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً كان له أَجْرُهَا وأَجْرُ من عمل بها إلى يوم القيامةِ وَلاَ يُنْتَقَصُ من أُجُورِهِمْ شيءٌ وعلى قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾(٢)، أي علمت ما قَدَّمَتْ من عَمَلٍ، وما سَنَّتْ مِنْ سُنَّةٍ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فإن ذلك مِمَّا أَخَّرَتْ. ويَجُوزُ أن يكون «مَا قَدَّمَتْ وأَخَّرَتْ» ما قَدَّمَتْ مِنْ عَمَلٍ وما أَخَّرت مما كان يجب أن تُقَدِّمَهُ. ثم أعلم اللَّه ـعَزَّ وَجَلَّ ـ أَنَّه يُوَبِّخُهُمْ فقال:

﴿وَلَيُسأَلُنَّ يَوْمَ القِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

فذلك سُؤالُ تَوْبِيخٍ كما قال: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾(٣) فَأَمَّا سُؤَالُ اسْتِعْلَامٍ فقد أعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أَنَّهُ لا يَسْأَلُ سُؤَالَ اسْتِعْلَامٍ في

---

(١) سورة النحل الآية ٢٥.

(٢) سورة الانفطار / ٥.

(٣) سورة «الصَّافَّات» ٢٤.

قوله : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾[1] .

وقوله : ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً﴾ .

فالاستثناء مُسْتَعْمَلٌ في كلام العَرَبِ، وتأويلُه عند النَّحْوِيِّينَ توكيدُ العَدَدِ وتحصيلُه وكمالُه، لأنك قد تذكر الجملةَ ويكون الحاصلُ أَكْثَرَهَا، فإذا أردت التَّوْكِيدَ في تمامها قُلْتَ كلّها، وإذا أردت التوكيدَ في نقصانِها ادْخَلت فيها الاسْتثناء، تقول : جاءني إخوتك يعني أَنَّ جَمِيعَهُم جاءك. وجائز أَنْ تَعْنِيَ أَنَّ أكثرهم جاءَك، فَإِذَا قُلْتَ: جاءني إِخْوَتُكَ كُلُّهُمْ أَكَّدْتَ معنى الجَمَاعَةِ، وأَعْلَمْتَ أنه لم يتَخَلَّفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ. وتقول أَيْضاً: جاءني إِخْوَتُكَ إلاّ زيداً فتؤكد أنَّ الجَمَاعَةَ تنقُصُ زيداً. وكذلك رُءُوس الأعْدَادِ مُشَبَّهَةٌ بالجماعات، تقول: عندي عَشَرةٌ، فتكون ناقِصَةً، وجائز أن تكون تامَّةً، فإذا قُلْتَ: عَشَرَةٌ إلاَّ نِصْفاً أو عشرةٌ كامِلةٌ حَقَّقْتَ، وكذلك إذَا قُلْتَ: أَلْفٌ إلاّ خَمْسِينَ فهو كقولك عشرةٌ إلاَّ نِصْفاً لأنك إنَّما اسْتَعْمَلْتَ الاستثناء فيما كان أَمْلَكَ بالعَشَرَةِ[2] من التِّسْعَةِ، لأنَّ النِّصْفَ قَدْ دَخل في بابِ العَشرةِ، ولو قُلْتَ عشرة إلاَّ واحداً أو إلاَّ اثنَيْن كان جائزاً وفيه قُبْحٌ، لأن تِسْعةً وَثمانيةً يؤدي عَنْ ذَلِكَ العَدَدِ، ولكنه جائز من جهة التَّوْكِيدِ أَنَّ هَـذِه التِّسْعَةَ لا تَزِيد ولا تنقُصُ، لأَنَّ قَوْلَكَ عَشرةٌ إلاَّ واحداً قد أخبرت [فيه] بحقيقة العَدد واسْتثنيت ما يكون نقصاناً من رأس العَدَدِ.

والاختيار في الاستثناء في الاعداد التي هي عُقُودُ الكُسُور والصِّحَاحِ [أنه][3] جَائِزٌ أن يستثنى. فأما استثناء نصف الشيء فقبيح

(١) سورة الرَّحْمن ٣٩.

(٢) أدخل في عدد العشرة وأدل عليها.

(٣) زيادة لا بد منها لخلو الخبر من الرابط.

جـدًّا، لا يتكلم به العَـرَبُ، فإذَا قلتَ عشـرةً إلا خمْسَةً فليس تَـطُور[1] العَشَرةُ بِالخَمْسَةِ لأنها لَيْسَتْ تَقْـرُبُ منها، وإنمـا تتكلم بالاستِثْنَـاء كما تتكلم بِالنُّقْصَانِ، فتقول: عندي درهـم ينقص قِيـرَاطاً، ولـو قلت عندي درهم ينقص خمسة دوانيق[2] أو تنقُصُ نِصْفَه كان الأولى بذلك: عِنْدِي نصف دِرْهَمٌ. ولم يأت الاستثناء في كلام العَرَبِ إلاَّ قليلٌ من كثير[3].

فهذه جملة كافيةٌ.

وقوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

الطُّوفَانُ مِن كُلِّ شيءٍ ما كان كثيراً مُطِيفاً بالجماعة كلها كـالْغَرَقِ الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى المـدُنِ الكَبِيـرَةِ. يقـال فيه طـوفانٌ. وكـذلك القتـل الذَّرِيعُ والموت الجارف طوفانٌ.

وقوله: ﴿فَأَنْجيناهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾.

قد بَيَّن في غير هـذه الآية مَنْ أَصْحَـابُ السفينةِ، في قـوله: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثنين وأَهْلَكَ إلاَّ مَنْ سَبَق عَلَيْه القَوْلُ﴾[4].

وقوله: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾.

المعنى وَأَرْسَلْنَا إبراهِيمَ عَطْفاً على نوحٍ.

وقوله: ﴿إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وتخلقون إفْكاً﴾.

---

(١) الطور ـ كنهر وكعود ـ والطوار ـ ما كان بحذاء الشيء أو جواره، والمراد أن الخمسة ليست دانية من العشرة.

(٢) جمع دانق، وجمعه دوانق ـ والدرهم عشرة دوانق.

(٣) لم يأت الا استثناء الشيء القليل من الكثير.

(٤) سورة هود الآية ٤٠.

وقرئت «وَتُخَلِّقُونَ إِفْكاً». أَوْثاناً أَصْناماً. وتخلقون إفْكاً فيه قَولانِ، تخلقون كذِباً، وقيل تعملون الأصْنَامَ، ويكون التأويلُ على هذا القول: إنما تعْبُدُونَ من دون اللَّه أَوْثَاناً وأَنْتُم تصنعونَها.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الخَلْقَ ثم يُعِيدُهُ﴾، وتقرأ تَرَوا بالتَّاءِ.

﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ﴾.

أي ثم إن اللَّه يبعثهم ثانيةً بِنَشْئِهِمْ نشأةً أخرى، كما قال: ﴿وأَنَّ عَلَيْه النَّشْأَةَ الأُخْرَى﴾[1]. وأكثر القراءة النشأة بتسكين الشِّين وترك لمدَّة، وقرأ أَبُو عَمْرٍو النَّشَاءَةَ الأُخْرَى بِالمَدِّ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أنتم بِمُعْجِزِينَ فِي الأرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءَ﴾.

أي ليس يعجز اللَّهَ خَلْقٌ في السماء ولَا في الأرْضِ. وفي هذا قولان أَحَدُهُما معناهُ ما أنتم بمعجزين في الأرض ولا أهل السماء مُعْجِزين في السَّمَاءِ، أي من في السموات ومن في الأرض غير مُعْجِزِينَ. ويجوز - واللَّه أعلم - وما أنتُمْ بمعجزين في الأرْضِ، لا ولو كنتم في السماء، أي لا ملجأ من اللَّه إلاَّ إليْهِ.

وقوله عزوجل: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بآيَاتِ اللَّه وَلِقَائِهِ أُوَلَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتي﴾.

روي عن قَتَادَة أنه قال: إنَّ اللَّهَ ذَمَّ قَوْماً هَانُوا عَلَيْه فقال: أولئك يئسوا مِنْ رَحْمَتِي، وقال: إنه لا يَيْأَسُ من رَوْح اللَّه إلاَّ القوم الكافرون، وينبغي للمؤمن ألاَّ ييئَسَ من روح اللَّه، ولا من رَحْمَتِه، وَلَا يأمَنُ مِنْ عَذَابِه وعِقَابِه، وصِفَةُ المُؤمِنِ أن يكون راجياً للَّه، خائفاً.

(١) سورة النجم الآية ٤٧.

﴿فَمَاكَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إلاَّ أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ﴾.

وقرأ الحسنُ فما كان جَوَابُ قَوْمِهِ ـ بالرفع ـ فمن نصب جَعَل «أَنْ قَالُوا» اسم كَـانَ، ومن رفع الجَـوَابَ جَعَلَه اسمَ كان وجَعَـلَ الخَبَرَ «أَنْ قَـالُوا» وَمَـا عَمِلَتْ فيه، ويكـون المَعْنَى ما كـان الجوابُ إلاَّ مَقـالَتَهُم: اقْتُلوه، لما أَنْ دَعَـاهُـم ابراهيم إلى توحيد اللَّه عز وجَلَّ، واحتَجّ عَليْهم بـأنهم يعبـدون مـا لا يضـرهم ولا ينفعُهُمْ، جعلوا الجـواب اقتلوه أو حَرِّقُوهُ.

وقوله: ﴿فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾.

المعنى فحرَّقوه فأنجاه اللَّه من النَّـارِ. ويُرْوَى أن إبـراهيم ﷺ لم تعمل النَّارُ في شيء منه إلاّ في وَثَاقِـهِ الذي شُـدَّ بِهِ. ويـروى أن جميع الدواب والهَوَامِّ كانت تطفـئُ عن إبراهيم إلا الوزغ[1]، فإنها كانت تنفخ النار، فأمِرَ بِقَتْلِهَا ويـرد أنه لم ينتفـع في ذلك اليـوم بِالنّـارِ، أعني يَوْمَ أخذوا إبراهيـم عليه السلام.

وجميعَ ما ذكرناه في هذه القِصَّةِ مِمَّـا رواه عبد اللَّه بن أحمـد بن حَنْبَل عَنْ أَبيه، وكـذلك أكثـر ما رَوَيْتُ في هـذا الكتاب من التفسيـر. فهو من كتاب التفسير عن أحمد بن حنبل.

وقال عز وجل: ﴿إنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً﴾.

أي قال إبراهيم لقوْمِهِ إنمـا اتخذتم هـذه الأوثان لِتَتَـوادُّوا بها في الحياة الدُّنْيَا.

﴿ثُمَّ يَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُر بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾.

---

(١) الوزغ هو سام أ.

وهـذا كما قـال اللّه ـ عز وجـل: ﴿الأخِلاَّءُ يَـوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدوٌّ إلاَّ المُتَّقِين﴾[1].

وفيهـا في القـراءَةِ أَرْبعَـةُ أَوْجُـهُ. مِنْهَـا مَـوَدَّةَ بَيْنِكُمْ، بفتـح مـودّة وبـالإِضـافـة إلى بَيْنِ، وبنصْب مَـوَدَّة والتنـوين، ونصب بَيْنَ، «مَـودَّةً بينَكُمْ» ويجـوز مودَّةُ بَيْنِكُمْ ـ بـالرفـع والإِضَافَـةِ إلى بين، ويجوز مَـوَدَّةٌ بَيْنَكُمْ ـ بـالرفـع والتنوين ونصبُ بَيْنٍ. فـالنَّصْبُ في مَوَدَّة من أجـل أنها مفعـول لهـا، أي اتخـذتم هـذا للمـودَّةِ بينكم. ومن رفـع فمن جهتين إحْـدَاهُمَـا أن يكـون «مـا» في معنى «الـذي» ويكـون المعنى: إنَّ مـا اتخذتموه من دون اللّه أوثاناً مَوَدَّةُ بينكم، فيكون مودة خبرَ إنَّ، ويكون بـرفع مـودَّة على إضْمارِ هيَ، كَـأَنّهُ قـال: تِلْكَ مودَّةُ بَيْنَكُمْ في الحيـاة الـدنيا، أي أُلْفَتُكُمْ واجتمـاعكم على الأَصْنَامِ مـودَّةُ بينكم في الحيـاة الدنيا.

وقوله عز وجل: ﴿فآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إنّي مُهَاجِرٌ إلَى رَبّي﴾.

صَـدَّق لُوط إبـراهيم عليه السـلام، وقـال إني مهـاجـر إلى ربي. إبْرَاهِيمُ هاجَرَ من كُوثَى[2] إلى الشام.

وقوله: ﴿وآتَيْنَاهُ أَجْرَه فِي الدُّنْيَا﴾.

قيـل الذكـر الحسن، وكذلـك ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْه فِي الآخِرينَ﴾. وقيل ﴿وآتيناه أجْـرَهُ في الـدُّنيا﴾ أنـه ليس مِنْ أمَّـةٍ من المُسْلمين واليهـودِ والمجـوسِ والنَّصارى الا وهم يعـظمون إبـراهيم. وقيل﴿وآتينـاه أَجْرَه

---

(١) سورة الزخرف الآية ٦٧.

(٢) المعـروف تاريخيـاً أن إبراهيم كـان في أور الكلدانيين ـ قريبـاً من بابـل ـ ولعل كـوثى اسم من اسمائها أو هي قرية قريبة منها.

في الدُّنْيَا﴾أن الانبياء مِنْ وَلَدِه، وقيل الولد الصالح .

وقوله تعالى :﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِه إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

المعنى أنه لم يَنْزُ ذَكرٌ على ذَكَرٍ قبل قَوْمِ لُوطٍ.

وقوله :﴿أَئِنكم لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾.

اللفظ لفظ استفهام، والمعنى معنى التقرير والتوبيخ .

﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾.

جاء في التفسير ويقْطَعُونَ سبيلَ الوَلَدِ، وقيل يعترضون النـاسَ، في الطُّرُقِ لِطلَب الفَاحِشة .

﴿وتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ المُنْكَرَ﴾.

أي تأتون في مجالسكم المنكَر، قيل إنهم كانوا يَخْذِفُونَ[1] النَّاسَ في مجالِسِهِمْ ويسخرون مِنْهم، فأعلم اللّٰه جل وعز. أن هذا من المنكر، وأنه لا ينبغِي أن تتعاشر الناس عليه، ولا يجتمعوا إلاَّ فيما قَرَّب إلى اللّٰه وباعَدَ مِنْ سَخَطِهِ، وألاَّ يجتمعوا على الهزء والتَّلَهّي، وقيل: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ المُنْكَرَ﴾ أَنَّهُمْ كانوا يَفْسُقَونَ في مَجَالِسِهِم .

وقوله :﴿وعاداً وثموداً وقَدْ تَبَيَّنَ لكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ﴾.

المعنى وأهلكنا عاداً وثموداً، لأَن قبل هذا قَارُونَ وأَصْحَابَهُ، فأَخذتهم الرجفة .

وقوله :﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْه حَاصِباً﴾.

(١) الخذف بالخاء المعجمة رمي الحصا بالسبابة .

وهم قومُ لوطٍ.

﴿وَمِنْهُم مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ وهم قوم ثمودَ وَمَدْين.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ﴾: وهم قارون وأَصْحابُه.

﴿وَمنهم من أَغْرَقْنَا﴾: وهم قوم نوحٍ وفرْعَوْنَ.

فأعلم اللَّه أن الذي فُعِلَ بهم عَدْلٌ، وأنه لم يَظْلِمْهُمْ، وأنهم ظلموا أَنْفُسَهُمْ. لأنه قَدْ بَيَّنَ لَهُمْ، وذلك قوله: ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾.

أتوا ما أَتَوْه وَقَدْ بَيَّن لهم أن عاقبته عَذَابُهُمْ.

وقوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ العَنْكَبُوتِ اتخذت بَيْتاً . . . ﴾الآية[1].

«لَوْ» مُتَّصِلةً بقوله اتَّخَذُوا، أي لو علموا أن اتخاذهم الأولياء كاتِّخَاذِ العنكبوتِ، ليس أنهم لا يَعْلَمُونَ أن بيت العنكبوت ضعيف، وذلك أن بيت العنكبوت لا بَيْتَ أضعفُ منه، فيما يَتَّخِذُه الهَوَامُّ في البيوت، ولا أقل وقايةً منه من حَرٍّ أو بَرْدٍ، والمعنى أن أولياءَهُمْ لَا يَنْفَعُونَهُمْ، ولا يرزقونهم ولا يدفعون عنهم ضَرَراً، كما أن بيت العَنكَبُوتِ غير مُوَقٍّ للعنكبوت.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ﴾.

قال الحسن وَقَتَادَةُ: من لم تنهه صَلَاتُه عن الفحشاء والمنكر فليست صَلَاتُه بِصَلاةٍ، وهي وَبَالٌ عَلَيْه.

---

(١) بقيتها: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ البُيوتِ لَبَيْتُ العَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله : ﴿لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ .

فيها أوجه : فمنها أن أكبر في معنى كبير، وجَاءَ في التفسير: ولذكر اللَّه إيَّاكم إِذَا ذَكَرْتُمُوهُ أكبر من ذكركم، ووجه آخر معناه ﴿ولذكر اللَّه أكبر﴾هو النهيُ عن الفحشاء والمنكر، أكبر من الانتهاء عن الفحشاء والمنكر، لأن اللَّه قد نهى عنها .

وقوله :﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إلاّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ .

[أي] أهلَ الحربِ، فالمعنى : لا تجادلوا أهل الجزيَةِ إلاَّ بالتي هي أَحَسَنُ، وقاتلوا الذين ظلموا . وقيل إن الآية منسوخة بقوله : ﴿قاتلوا الذين لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِاليَوْمِ الآخِرِ﴾(١) . إلى قوله حتى ﴿يعطوا الجزية عَنْ يَدٍ وهم صاغرون﴾ . فكان الصَّغَارُ خارجاً مِنَ الَّتي هي أَحْسَنُ، فالأَشْبَهُ أن تكون مَنْسُوخَةً . وجائز أن يكون الصغار أخذَ الجزية مِنهم وَإن كرهوا، فالذين تُؤْخَذُ منهم الجزية بنص الكتاب اليهودُ والنَّصَارَى، لأنهم أصحابُ التَّوراة والانجيل، فأما المجوسُ فأخذت منهم الجِزْيَةُ لقول رسول اللَّه ﷺ : «سُنُّوا بِهِم سُنَّة أهل الكتاب» . واختلف الناسُ فيمن سِوى هؤلاء من الكفار مثل عبدَة الأوثان ومن أَشْبَهُهُمْ فهم عند مالك بَن أنس يجرون هذَا المجرى . تؤخذ منهم الجزية كانوا عَجَماً أو عَرَباً، وأما أهل العِراقِ فقالوا نَقْبَلُ الجزية من العَجَم غير العَرَبِ إذا كانوا كفَّاراً، وإن خرجوا من هذه الأَصْنافِ أعني اليهود

(١) بقيتها: ﴿ولا يُحرّمُون ما حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الحَقّ مِنَ الَّذِينَ اوتُوا الكتاب﴾ سورة التوبة الآية ٢٩ .

والنصارى والمجوس، نحو الهندِ والترك والديلم، فأما العَرَب عندهم فإذا[1] خرجوا من هذه الثلاثة الأَصناف لـم تُقْبَلْ منهم جِزْيَـةٌ، وكان القتـل في أمرهم إن أقاموا على مِلَّةٍ غير اليَهُوديَّةِ والنصرانية والمجوسيَّةِ، وبعض الفقهاء لا يـرى إلا القَتْلَ في عبدة الأَووثان والأَصنام ومن أشبَهُهُمْ.

وقوله عـز وجل: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِـنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ولا تخـطه بيينك إذاً لارْتَابَ المبْطلُونَ﴾.

أي ما كنت قرأت الكتُبَ وَلاَ كُنْتَ كاتباً، وكذلك صفة النبي ﷺ عندهم في التوراة والانجيل.

وقوله: ﴿لارْتَابَ المُبْطِلُونَ﴾ قيل إنهم كُفَّارُ قُرَيْشٍ.

وقوله: ﴿بل هو آياتٌ بَيِّنَاتٌ في صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ﴾.

قيل فيه ثلاثة أوجُهٍ، منها بل القرآن آياتٌ بينات، ومنها بل النبي ﷺ وأموره آيات بيناتٌ، ومِنْها «بل هو آيـات بيِّناتٌ» أي بـل إنه لا يقـرأ ولا يكتبُ، آيات بَيِّنَاتٌ، لأنـه إذا لـم يكن قرأ كتـاباً، ولا هـو كاتب ثم أخبر بأقـاصيص الأولين والأنبياء فـذلك آيـاتٌ بينَاتٌ في صـدور الذين أوتوا العلم.

وقـوله: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَـكَ بـالعَـذَابِ وَلَـوْلاَ أَجَـلٌ مُسَمًّى لَجَـاءَهُمُ العَذَابُ﴾.

هذه نزلت في قـوم جهلة قالوا: ﴿اللَّهُمْ إنْ كَانَ هَـذَا هُوَ الحقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْـطِر عَلَيْنَا حِجَـارَةً مِنْ السَّمَاءِ﴾[2]، فأعلم اللَّه ـ عز وجـل ـ أنَّ

---

(١) في الأصل إذا خرجوا وزدنا الفاء في جواب أمّا.

(٢) الآية ٣٢ من سورة الانفال.

لِعَذَابِهِمْ أَجَلاً فقال:﴿بل السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ، والسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾(٢).

وقوله عز وجل:﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً﴾.

مَعناه فُجَاءَةً، وبغتَةً اسم مَنْصُوبٌ في موضع الحال، ومعناه وَلَيأتينَّهُمْ مفاجأةً﴾.

وقوله عز وجل:﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾.

كان قوم من المسلمين كتبوا شيئاً عن اليهود فأتوا به النبي ﷺ. فقال عليه السلام: كَفَى بها حَماقةَ قَوْمٍ، أو ضَلاَلَة قَوْمٍ أَنْ رَغبوا عما أَتى بِهِ نَبيُّهُمْ إلى ما أتى به غير نبيِّهِمْ إلى غير قومهم.

وقوله عز وجل:﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإيَّايَ فَاعْبُدونِ﴾.

تفسيرها: قيل إنَّهُمْ أُمِرُوا بالهجرة من الموضع الذي لا تمكنهم فيه عبادة اللَّه - عز وجل - وأداء فرائضِه، وأصل هذا فيمن كان يمكنه مِمَّنْ آمن وكان لا يمكنه إظهار إيمانه، وكذلك يجب على كل من كان في بلد يُعمل فيه بالمَعَاصِي ولا يمكنه بغير ذلك أن يُهَاجِرَ وينتقِلَ إلى حيث يَتَهَيَّأ له أن يعبُدَ اللَّه حق عِبَادَتِهِ.

وقوله عز وجل:﴿فإيَّايَ فَاعْبُدونِ﴾.

«ايَّايَ» منصوب بفعل مضمر، الذي ظهر يُفَسِّرُهُ، المعنى فاعبدوا إياي - فاعبدوني، فاستغنى بأحد الفعلين، أعني الثاني - عن إظهار الأول، فإذا قلت: فإياي فاعبدوا، فإياي منصوب بما بعد الفاء، ولا

(١) سورة القمر الآية ٤٦.

تنصِبْه بِفِعْل مُضْمَر كما أنك إذا قُلْتَ: بِزَيْد فَامْرُر، فالباء متعلقة بامْرُرْ، والمعنى: أنَّ أرضي واسِعَةٌ فَاعْبُدونِ، فالفاء إذا قُلْتَ زيداً فاضرب لا يصلح إلا أنْ تكون جواباً للشَّرطِ، كأن قائلاً قال: أنا لا أَضربُ عَمْراً، ولكني أضرب زيداً، فقُلتَ أنت مُجيباً له: فاضرب زيداً، ثم قلت زيداً فاضرب، فجعلت تقديم الاسم بدلاً من الشرط، كأنك قلت إن كان الأمر على ما تصف فاضرب زيداً، وهذا مذهب جميع النحويين البصريين.

وقوله:﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾.

كل حيوان على الأرض مما يعقل، وما لا يَعْقِل فهو دابَّةٌ، وإنما هو من دَبَّتْ علَى الأرض فهي دَابَّةٌ، والمعنى نفسٌ دابَّةٍ، ومعنى وكأين: وكم من دَابَّةٍ.

وقوله: ﴿لا تحمل رِزْقَهَا﴾.

أي لا تدَّخر رزقها، إنما تصبح فَيَرْزُقُها اللَّه. وعلى هذا أكثر الحيوان والدِّبِيبِ وليس في الحيوان الذي هو دبيب ما يدخِرُ فيما تبيَّن غيرُ النَّمْلِ، فإن ادِّخَارَه بيِّنٌ.

وقوله:﴿وإنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

معناه هي دار الحياة الدائمة.

وقوله عز وجل:﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ من الجَنَّةِ غُرَفاً﴾.

وقرئت لَنُثَوِّيَنَّهُمْ - بالثاء - يقال ثوى الرجل إذا أقام بالمكان وَأَثْوَيْتُه أنزلته منزلاً يقيم فيه.

وقوله عز وجل:﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾.

قـــرئ بِكَسْـر الـلام وتسكينهـا، والكســر أَجْـوَدُ على معنى لكي يكفروا وكي يتمتَّعُوا.

وقوله:﴿فإذَا رَكِبُوا فِي الفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

أي لم يدعوا أن تُنْجِيَهُمْ أَصنامُهُم وما يعبدونه مع اللّه.

﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى البَرِّ إذا هم يُشْرِكُونَ﴾.

أي يعبدون مع اللّه غيره.

وقوله:﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

أعلم اللّه أنه يَزِيدُ المجاهـدين هدايـةً كما أَنَّـهُ يُضِلُّ الفـاسقين، ويَزِيد الكافرين بِكُفْرِهِمْ ضَلاَلَةً، كذلك يَزِيدُ المُجَاهِـدِين هِدايـةً ـ كذا قال عز وجل:﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُـمْ هُـدًى وِآتَاهُـمْ تَقْوَاهُمْ﴾[1]، فالمعنى أَنَّهُ آتاهم ثواب تقواهم وَزَادَهم هُدًى عَلَى هِدَايتِهِم.

وقوله: ﴿وَإِنَّ اللَّـه لَمَع المُحْسِنِينَ﴾.

تـأويله إن اللّه نَاصِـرُهم، لأن قولـه: ﴿والذين جـاهدوا فينا﴾. اللّه معهم[2]. يـدل على نصرهم، والنصـرة تكون في عُلُوِّهِمْ على عَـدُوِّهِمْ بالْغَلَبَةِ بالحِجَّةِ والغَلَبة بالقَهْرِ والقدرة.

---

(١) سورة محمد آية ١٧.

(٢) العبارة غير جَيِّدَةٍ، ويظهر أنه يريد أن المجاهدين من المحسنين، فاللّه معهم أي ناصرهم ـ لأن الآية «وان اللّه لمع المحسنين» وليست «مع المجاهدين» لكن معية المحسنين عامة تستلزم معية المجاهدين، وربما سقط من كلامه شيء.

سُورَةُ الرُّومِ
مَكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿ألم. غُلِبَتْ الرُّومُ﴾.

قد شَرَحْنَا ما جاء في ﴿الم﴾، وقُرِئَتْ غُلِبَتْ بضم الغَيْنِ، وقرأ أبو عَمْرٍو غَلَبَتْ - بفتح الغَيْن - والمعنى على غُلِبَتْ، وهي إجماع القراء. وذلك أن فارِسَ كانت قد غَلَبَتِ الروم في ذلك الوَقْتِ، والروم مغلوبة، فالقراءة غُلِبَتْ.

وقوله: ﴿في أَدْنَى الأَرْضِ﴾.

قيل في أطراف الشام، وتأويله أدنى الأرض مِنْ أَرْض العَرَبِ.

وقوله: ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ في بِضْعِ سِنِينَ﴾.

هذه من الآيات التي تدل على أن القرآن من عند اللّه، لأنه أَنْبَأَ بما سيكون، وهذا لا يعلمه إلا اللّه - عز وجل - وكان المشركون سُرُّوا بأن غَلَبَتْ فَارِسُ الرُّومَ، وَذَلِكَ لأنَّهم قالوا: إنَّكُمْ أيها المسلمون تَزْعَمُونَ بأنَّكُمْ تُنْصَرون بأنكم أهلُ كتاب، فقد غَلَبَتْ فَارِسُ الرُّوم، وفارس ليست أهل كتاب، والروم أهل كتابٍ، فكذلك سنغلبكم نحن، فأعلم اللّه - عز وجل - أَنّ الرُّومَ سَيَغْلِبُونَ في بِضْعِ سِنِين، وَسَيُسَرُّ المسلمُونَ بِذَلِكَ فراهَنَ المُسْلِمُونَ المُشْرِكين وبايعوهم على صحة هذا الخبر. والبِضْعُ ما بين الثلاث إلى التِّسْع، فلما مضى بعض البِضْع

طـالبَ المشركـون المُسْلِمِين وقالـوا قَدْ غَلَبْنَـاكُمْ، لأنه قـد مَضَت بضع [سنين] ولم تغلب الروم فَـارِسَ واحـتج عليهم المسلمون بـأن البِضْعَ لَمْ يَكْمُـل، وزادوهم وأخروهم إلى تمـام البِضْع، فغلبت الـروم فارسَ وقمَـرَ المسلمون وذلـك قبل أن يُحَـرَّمَ القِمَارُ وَفَـرِحَ المسلمون وخَـزِيَ الكافرون.

وقوله عز وجل:﴿لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾.

القـراءة الضَّمُّ، وعليـه أهـل العـربيـة، والقـرّاء كُلُّهم مجمعـون عليه، فأما النحويـون فيجيزون مِنْ قَبْـلٍ ومن بَعْدٍ بـالتنوين، وبعضهم يجيز من قَبْلِ وَمِن بَعْـدِ ـ بغير تنـوين، وهذا خَـطَأٌ لأن قَبْل وبَعْـد ههنا أصلهما الخفض ولكن بُنِيَتَا علَى الضَّمِّ لأنهما غايَتَانِ. ومعنى غايـة أن الكلمـة حـذفت منهـا الاضـافَـةُ، وَجُعِلَت غـايـة الكلمـة مـا بقيَ بعـد الحَـذْفِ. وإنمـا بُنِيَتَـا على الضم لأن إعـرابَهُمَـا في الإِضَـافَـةِ النصبُ والخَفْضُ. تقول: رأيته قبلَكَ وَمِنْ قَبْلِكَ، ولا يرفعان لأنهمـا لا يُحدَّث عَنْهُمَـا لأنهما اسْتُعْمِلتَا ظـرفَيْنِ، فلمـا عُـدِلاَ عن بـابهمـا حُـرِّكـا بغيـر الحـركتين اللَّتَيْنِ كانتـا تَدْخُـلاَنِ عليهما بحق الاعـراب. فـأمـا وجـوب ذهاب إعْرَابِهما، وَبِنَاؤُهما فلأَنَّهمـا عُرِّفَـا من غير جهـة التعريف، لأنـه حذف منهما ما أضيفتا إلَيْه.

والمعنى للَّه الأمر من قبل أَنْ يُغْلَبَ الروم ومن بعدما غُلِبَتْ، وأَما الخَفْض والتَّنْـوِينُ فعلى من جعلهمـا نكـرتين، المعنى: لِلَّهِ الأمـر مِنْ تَقَدُّمٍ وَتَأَخُّرٍ. والضَّمُّ أَجْوَدُ، فأما الكسر بلا تنوينٍ فذكر الفرّاء أَنَّه تَرْكُه عَلَى مـا كَـانَ يَكُـونُ عَلَيْـه في الإِضـافَـةِ ولم يُنَـوَّنْ، واحـتـج بقـول الأول:[1].

(١) البيت للفـرزدق وصـدرهُ: يـا من رأى عـارضـاً أُسَرّ بـه، وهـو في ابن يعيش ٢١/٣، والعيني =

بَيْنَ ذراعَيْ وَجَبْهَةِ الأسَدِ

وبقَوْلِه[1]:

أَلَّا غُلَالَةَ أَوْ بَدَاهَةَ قارِحٍ نَهْدِ الجُزَارَة

وليس هذا كذلك لأن معنى بين ذراعيْ وجبهة الأسَدِ. بين ذراعيه وَجَبْهَتِهِ فقد ذكَرَ أَحَدَ المضافَيْن إلَيْهِمَا، وذلك لو كان للَّه الأَمْرُ من قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ كَذا لجاز وكان المعنَى من قبل كذا ومن بعد كذا. وليس هذا القول مما يُعرَّج عَلَيْهِ ولا قاله أحد من النحويين المتقدمين.

وقوله عز وجل: ﴿مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾.

الغَلَبُ والطَّلَبُ مَصْدَران، تقول: غَلَبْتُ غَلَباً، وَطَلَبْتُ طَلَباً، وزعم بعض النحويين أَنَّه في الأصل مِنْ بَعْد غَلَبَتِهِم، وذكر أن الاضافة لما وقعت حذفت هاء الغَلَبَةِ، وهذا خطأ. الغلبةُ والغَلَبُ مصدر غَلَبْتُ مثل الجَلَبُ والجَلبةُ.

وقوله: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾.

القراءة النَّصْبُ في وَعْد، ويَجُوز الرَّفْعُ، ويجوز النصب، ولا أعلم أَحداً قرأ بالرفع. فالنصب على أَنَّهُ مَصْدَرٌ مؤكِّدٌ، لِأَن قوله «وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سيغلبون».

هو وعد من اللَّه للمؤمنين، وقوله «وَعْدَ اللَّه» بمنزلة وعدَ اللَّه

= ٣/٤٧٢ وكتاب سيبويه ٢/٢٧٧ والخزانة ٢/٢٧٧ (سلفية) والسنتمري ١/٩٢.

والعارض السحاب تعترض الأفق وذراع الأسد وجبهة الأسد مجموعتان من الكواكب ـ وللاسد ذراع مقبوضة وأخرى مبسوطة ـ كل منهما كوكبان.

(١) البيت للاعشى من قصيدته:

يا جارتا ما أنت جاره ... بانت لتحزننا عفاره

والبيت في الخزانة ٣/١٣١ وهو الشاهد ٢٣، وفي العيني ٣/٤٥٣، وفي الديوان ١١٦، وفي الخصائص ٢/٤٠٧.

وَعْداً. ومن قال: وَعْدُ اللّه كان على معنى ذلك وَعْدُ اللّه كما قال: كأنهم ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إلَّا سَاعَةً من نهارٍ بَلَاغٌ﴾[1].

وقوله عز وجل: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

هـذا في مشركي أهـل مكـة المعنى يعلمـون من معـايش الحيـاة الدنيا، لأنهم كانوا يعـالجون التجـارات، فأعلم اللّه ـ عـز وجل ـ لمـا نفى أنهم لا يعلمون مَا الَّذِي يَجْهَلُونَ، ومقدار ما يَعْلَمُونَ فقال:

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُم عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُون﴾.

«هم» الأولى مرفوعة بالابتـداء، «وهم» الثانية ابتداء ثـانٍ، وغافلون خبر «هم» الثانية، والجملة الثانية خبرهم الأولى. والفائدة في الكـلام او ذكر «هم» ثانية، وإن كانت ابتداء تَجْري مجـرى التوكيـد كما تقـول زيد هو عَالِمٌ، فهو أوكد من قولـك زيد عـالم. ويصلح أن تكون «هـم» بدلاً من هم الأولى مُؤكّدَةً أَيْضاً، كما تقول: رأيته إيّاهُ.

وقوله عز وجل: ﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إلَّا بِالحَقِّ﴾.

معناه أو لم يتفكروا فيعلموا، لأن في الكلام دليـلاً عَلَيْه، وَمَعنى بالحقّ ههنا «إلَّا للحَقِّ» أي لأقامة الحقِّ.

﴿وأَجَلٍ مُسَمًّى﴾.

أي لإقامة الحق ورَجَلٍ مُسَمًّى؛ وهو الوقتُ الذي تُـوَفَّى فيه كُـلُّ نَفْس ما كَسَبَتْ.

وقوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾.

---

[1] (١) سورة الأحقاف آية ٣٥.

[أي لكـافرون] بلقـاءِ رَبِهـم، تَقَدَّمت البـاءَ لأَنها مُتَّصِلةٌ بكـافِرُونَ، ومـا اتَّصَلَ بخبرِ إن جازَ أن يُقَدَّم قبْلَ اللام، ولا يجـوز أن تَدْخـلَ اللاَّمُ بَعْـدَ مُضيٍّ الخَبَرِ. لا يجوز أن تقول إن زيداً كافر لبالله. لأنَّ اللام حَقُّهَـا أن تدخـل عَلى الابتداء والخبر. أو بين الابتـداء والخَبر، لأَنهـا تؤكد الجملة، فلا تأتي تَـوْكيداً وقـد مضَت الجملة. ولا اختلاف بين النحـويين في أن الـلام لا تـدخـل بغيـر الخبر.

وقوله عز وجل: ﴿وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾.

يعني أن الذين أهلكوا من الأمم الخـالِيةِ، كـانُوا أكثـر حَرْثـاً وعِمارَةً من أهل مكة، لأَن أهل مكة لم يكونوا أصحاب حرث.

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى [أَن كَذَّبُوا. . .]﴾.

القراءة بنصب عاقبـة ورفعها، فمن نصب جعـل السوءى اسم كـان ومن رفع «عَاقِبَةَ» جعل السُّوءَى خبراً لِكان، والتفسير، في قوله أَسَـاءُوا ههنـا أنهـم أشـركـوا، والسُّـوءى النَّـارُ، وإنمـا كـان أسـاءوا ههنـا يَـدُلُّ على الشـرك لقوله:﴿وإنَّ كَثيراً مِنَ النَّاسِ بِلقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾.

فإساءتُهم ههنا كفرهم، وجزاء الكُفْرِ النَّارُ. وَدَلَّ أيضـاً على أَنَّ اسـاءوا ههنا الكُفْرَ:﴿أَنْ كَذَّبُوا بآياتِ اللَّه وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

فالمعنى: ثم كانَ عَاقِبةُ الكافِرينَ النَّارَ لتكذِيبِهمْ بـآيات اللَّهواستهزائهم.

وقوله عز وجل: ﴿يُبْلِسُ المُجْرِمُونَ﴾.

أعلم اللَّه عز وجل أنهم في القيـامة ينقـطعون فِي الحجـة انقطاع يئسين منْ رَحْمـةِ اللَّه، والمبلس الساكت المنقـطع في حجته، اليـائس من أن يَهتدِي إليهـا، تقول: نـاظرت فـلاناً فـأبلس أي انقطع وأمسـك ويئس من أن يحتج.

وقوله:﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾.

جاء في التفسير أنـه افتراق لا اجتمـاعَ بعده، وفيمـا بعده دليـل على أن التفرق هو للمسلمين والكافرين، فقال:﴿يومئِذ يتفرقون﴾،ثم بين على أي حال يتفرقون فقال:﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبِرُونَ﴾.

وجـاء في التفسير أن «يُحْبَـرُونَ» سمـاع الغنـاء في الجنـة، والحبـرة في اللغة كل نعمة حسنة، فهي حَبْـرة، والتحبير التحسين والحَبْـرُ العالِم أيضـاً هو من هـذا، المعنى أنه متخلق بأحسـن أخـلاق المؤمنين، والحِبْـرُ المِـدادِ إنمـا سُمّيَ لأنَّه يُحَسَّنُ به.

وقوله:﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بآيَاتِنَا ولِقَـاءِ الآخِرَةِ فَـأُولَئِكَ فِي العَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

أي حال المؤمنين السماع في الجنـة، والشغل بغـاية النعمـة(١)، وحال الكافرين العذاب الأليم هم حاضروه أبـداً غير مُخَفَّفٍ عنهم، ثم أعلم عز وجل بعد هذا ما تُدْرَكُ به الجَنَّةُ، ويتباعد به عَن النَّارِ بقـوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُـونَ، وَلَهُ الحَمْـدُ فِي السَّمَواتِ والأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾.

جـاء في التفسيـر عن ابن عبـاس أن الـدليـل على أنَّ الصلوات خمس هـذه الآيـة ﴿فسبحـانَ اللَّه حين تُمسـون وحينَ تُصْبِحُـون﴾ فحين تمسون صلاة المغرب وَعِشَاءُ الآخـرَة وحين تصبحون صـلاة الغداة(٢)، وعشياً صلاة العصر، وحين تظهرون صلاة الـظهر. وقـد قيل ان قـوله:

---

(١) لا يشغلهم الا التمتع بالنعم الكبرى.

(٢) صلاة الصبح.

﴿وَمِنْ بَعْدِ صلاة العِشاءِ ثلاث عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾[1] إنها الصلاة الخامسة، فيكون على هذا التفسير قوله: ﴿حين تمسون﴾ لصلاة واحدة.

ومعنى سبحان اللّه تنزيه اللّه من السوء. هذا لا اختلاف فيه.

وقوله ـ عز وجل ـ ﴿يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّت وَيُخْرِجُ الميّتَ مِنَ الحيّ﴾.

جاء في التفسير أنه يخرج النطفَة ـ وهي الميت ـ من الحي مِنَ الإنسان، ويخرج الحيَّ من المَيِّتِ، يخرج الانسان من النطفة.

﴿وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا.

أي يجعلها تنبت، وإحياء الأرض إخراج النّبات منها.

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾.

أيْ وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ مَبْعُوثِينَ، وموضِعُ الكاف نَصْبٌ بِتُخْرَجُونَ، والمعنى أن بعثكم عليه كخلقكم، أي هما في قُدْرَتِهِ مُتَسَاوِيانِ.

وقوله عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَكُمْ من تُرَابٍ﴾.

أَيْ من العَلَامَاتِ التي تدل على أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لا مثيل له ظهورُ القُدرة التي يعجز عنها المخلوقون، ومعنى خلقكم مِنْ تُرَابٍ، أي خلق آدَمَ مِنْ تُرَابٍ.

﴿ثُمَّ إذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾.

[أي] آدَمُ وَذرِيَّتُهُ.

---

(١) سورة النور الآية ٥٨.

﴿وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾.

خلق حَوَّاءَ مِنْ ضِلْعٍ من أضلاع آدم، وجعل بين المرأة والزَّوج المودَّة والرَّحمة مِنْ قِبَلِ اللَّهِ، وأن الفِرْك وهو البُغْضُ مِنْ قِبَلِ الشيطانِ، يقَال فَرِكَت المرأة زوجها تَفْرِكه فِرْكاً، إذا أبغضته.

وقوله عز وجل:﴿وَمِنْ آيَاتِه يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفاً وَطَمعاً﴾.

خوْفاً وطمعاً منصوبان على المفعول له، المعنى يريكم البرق للخوف والطمع، وهو خَوْفٌ لِلمُسَافِر، وطمع للحَاضِرِ. المعنى ومن آياتِهِ آيَةٌ يريكم بها البرق خوفاً وطَمَعاً. هذا أَجوَدُ في العَطْفِ. لأنه قال: «ومن آياته خَلْقٌ» فنسق باسم على اسم، ومثله من الشعر.

وما الدهر إلا تارتان فمنهما أَمُوتُ،وأخرى ابتغي العيش أكدح[1]

المعنى فمنهما تارة أموتها أي أموت فيها، ويجوز أن يكون المعنى ويريكم البرق خوفاً وطمعاً من آياته، فيكون عطفاً بِجُمْلَةٍ عَلَى جُمْلَةٍ.

وقوله عز وجل:﴿وَمِنْ آيَاتِه أَنْ تَقُومَ السَّماءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِه﴾.

أي تقوم السماء بِغَيْرِ عَمَدٍ، وكذلك الأرض قائمة بأَمْرِه[2]، والسماء محيطة بها.

وقوله عز وجل :﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ﴾.

أي للبعث بعد الموت.

وقوله:﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّموات والأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾.

---

(١) تقدم.

(٢) في نسخة أخرى أي تقوم بأمره.

معناه مطيعونَ، والمعنى: وهذا من آياته، ولم يذكر «ومن آياتـه» لأنه قد تقدم ذكر ذَلِكَ مَرَّاتٍ، ومعنى «قانتون» مطيعون طاعة لا يجوز أن تقع معها معصية، لأن القنوت القيام بالطاعة. ومعنى الطاعة ههنا، أنَّ من في السموات الأرض في خلقهم دليل على أنهم مخلوقون بإرادة اللَّه ـ عز وجل ـ لا يقدر أحَدٌ على تغيير الخلقة، ولا يقدر عليه ملك مُقرَّبٌ، فآثار الصنعة والخلقة تدل على الطاعة، ليس يعني طاعة العباد، إنما هِيَ طاعَةُ الارادة والمشيئة.

وقوله عز وجل:﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾.

فيه غير قول، فمنها أن الهاء تعود على الخلق، فالمعنى الاعادة والبعث أهون على الانسان من إنشائه، لأنه يُقَاسِي في النشء ما لا يقاسيه في الإعادة والبعث.

وقال أبو عبيدة وكثيرُ من أهل اللغة: إن مَعْنَاهُ: وَهُوَ هيّنٌ عليه، وإن «أَهْون» ههنا ليس معناه أن الإعادة أهون عليه من الابتداء، لأن الإعادة والابتداء كلٌ سَهْلٌ عَلَيْه ومن ذلك من الشعر:(١)

لعمرك ما أدري وإني لأوْجَلُ　　على أينا تعدو المنية أول

فمعنى لأوجل لَوَجِلٌ، وقالوا اللَّه أكبر أي اللَّه كبيرٌ، وهو غير منكر، وَأَحْسَنُ مِنْ هذين الوجهين أنه خاطب العباد بما يعقلون فأعلمهم أنه يجب عندهم أن يكونَ البعث أسْهَلُ وأهون من الابتداء

(١) لمعن بن أوس المزني ـ وكان قد طلق زوجه وتزوج بأخرى فغضب عليه صهره أخوزوجه وقاطعه فأخذ أوس يستعطفه بهذه الأبيات وهي غاية في الاستعطاف والرقة، وأشار فيها إلى هذا الحادث إذ قال:

فلا تعجبن أن تستعار ظعينة　　وترسل أخرى كل ذلك يفعل

انظر شرح الحماسة للمرزوقي ص ١٣٢ جـ٣، والكامل ٢/١٤ والخزانة ٣/٥٢٥.

والانشـاء، وجعله مثـلاً لهـم فقـال: ﴿وله المثـل الأعلى في السَمـواتِ والأرض﴾.

أي قـولـه: ﴿وَهُو أهـون عليه﴾ قـد ضـربَـهُ لكم مَثَـلاً فبمـا يصعب ويسهل.

وقـوله تعـالى: ﴿ضَـرَب لَكُمْ مَثَـلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَـلْ لَكُمْ مِنْ مَـا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ﴾.

هذا مثل ضربهُ اللَّه ـ عـز وجل ـ لمن جَعَلَ له شَـريكاً مِنْ خلقـه. فأعلم ـ عز وجل ـ أَنَّ مَمْلُوكَ الإنسان ليس بشريكه في ماله وزوجته، وأنه لا يخـافُ من مملوكه أن يَـرِثَه فقـال: ضـرب لكـم مثـلا من أنفسكم أن جعلتم ما هو مِلْـكٌ للَّه من خلقه مثلَ اللَّه، وأنتم كَـلكم بَـشَـرٌ، ليـس ممـاليككم بمنزلتكم في أمـوالكم، فاللَّه ـ عـز وجل ـ أَجْـدَرُ أَلَّا يَكـونَ يُعْـدَلُ به خلقُه.

﴿كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَات﴾.

موضع الكاف نَصَب.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ للدِّين حَنِيفاً﴾.

الحنيف الـذي يميـل إلى الشيء فـلا يـرجـع عنـه كـالحَنَفَ في الرِّجلِ وهو مَيْلها إلى خارجها خلْقَةً. لا يَملكُ الأحنَفُ إنْ يَرُدَّ حَنَفَهُ.

وقوله ـ عز وجـل ـ: ﴿فِـطْرَةَ اللَّه الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾.

«فـطرة اللَّه» منصـوب بمعنى اتَّبِـعْ فـطرة اللَّهِ، لأن معنى «فَـأَقِمْ وَجْهَكَ» اتبع الدينَ القَيِّمَ. اتبع فِطرةَ اللَّه، ومعنى فطرة اللَّه خِلْقَةَ اللَّه التي خلق عليها البشرَ، وقول النبي ﷺ: كل مَـوْلُودٍ يُـولَدُ على الفِـطرة

حتى يكون أبواه يُهوِّدَانِه وَيُنَصِّرَانه ويُمَجِّسَانه، مَعْنَاهُ أن اللَّه ـعزوجل- فـطر الخلق عـلى الإيمان على ما جـاء في الحـديث، أن اللّه ـ جـل ثناؤه ـ أخرج مِنْ صُلب آدم ذُرِّيَّتَهُ كالـذَّرِ، وَأَشْهَدَهُمْ على أَنْفُسِهِمْ بـأنه خَـالِقُهُمْ، قال اللَّه عـزوجل: ﴿وَإِذْ أَخَـذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُـورِهِمْ ذرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[1]. فكل مولـود فهو من تلك الذُّرِّيَّةِ الَّتي شَهِدَتْ بِأنَّ اللَّهَ خَالِقُهَا.

فمعنى «فطرَةَ اللَّهِ» دين اللّه الذي فَطَرَ الناس عليه.

وقوله عز وجل: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾.

أكثر ما جاء في التَّفْسِير أن معنـاه لا تبديـل لِدين اللَّهِ، ومـا بعده يدل عليه، وهو قوله: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَر النَّـاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يعلمون بحقيقة ذلك.

وقوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهُ﴾.

مَنْصُوبٌ عَلَى الحال بقوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾. زعم جميع النحويين أن معنى هذا فأقيموا وُجُوهَكم منيبين إليـه، لأن مخاطبـة النبي ﷺ يدخُـلُ معه فيها الأمَّةُ، والدليل على ذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُم النِّسَاءَ﴾.

وقوله «منيبين» معناه راجعين إليه إلى كلِّ ما أَمَر به ولا يخرجون عن شيء مِنْ أَمْرِه، فأعلمهم اللَّه ـ عـز وجل ـ أن الـطريقة المستقيمـة في دين الاسلام هو اتباع الفطرةِ والتَّقْوَى مع الاسـلام وأداء الفرائض، وأَنه لا ينفع ذلك إلَّا بالإخْلَاصِ في التوحيد فقال:

﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ. مِنَ الَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ﴾.

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٧٢

وقرئت ﴿فَرَّقوا﴾ دينهم.

﴿وَكَانُوا شِيعاً﴾.

فِرَقاً، فأمرهم اللَّه ـ عز وجل ـ بالاجتماع والأُلْفَةِ ولُزوم الجماعة، والسنَّةُ هي الهدايةُ، والضَلاَلة هي الفُرْقَةُ.

وقوله عز وجل:﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

أي كل حزب من هذه الجماعة الذين فارقوا دينهم فَرِحٌ يَظُنُّ أَنَّهُ هو المُهْتَدِي. ثم أعلم اللَّه عز وجل أنهم إذا مَسَّهُم ضُرٌّ دَعَوْا ربهم منيبين إليه، أي لا يلجأون في شدائدَهم إلى مَنْ عَبَدوه مع اللَّه ـ عز وجل ـ إنّما يَرجِعُون في دُعائِهِمْ إلَيْه وَحْدَه.

﴿ثُمَّ إذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

أي إذا أذاقهم رحمةً بأن يخلصهم من تلك الشدة التي دعَوْا فيها اللَّه وحده مَرُّوا بعد ذلك على شركِهِم.

وقولهم عز وجل:﴿لِيَكْفُروا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: معنى «فَتَمَتَّعُوا» خطاب بعد الاخبار لأنه لَمَّا قال: «لِيَكْفُرُوا» كان خبراً عَنْ غائب. فكأن المعنى فتمتعوا أيها الفاعلون لِهَذا فسوف تعلمون، وليس هذا بأمرٍ لازمٍ أَمرَهُمْ اللَّه بِهِ.

وهو أمرٌ عَلَى جهة الوَعِيدِ والتَهدُّد، وذلك مستعمل في كلام الناس تقول: إن أسمعتني مَكْروهاً فَعَلْتُ بك وَصَنَعْتُ ثم تقول: افعَلْ بي كذا وكذا[1] فإنك سترى ما ينزل بك، فليس إذا لم يُسْمِعْكَ كان عاصياً لك. فهذا دليل أنه ليس بأمرٍ لازم، وكذلك ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ

---

(١) أي اسمعني هذا المكروه.

وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرِ﴾[١] وكذلك: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾[٢].

لم يُخَيَّروا بين الايمان والكفر ولكنه جرى على خطاب العِبَاد وحِوَارِ العربِ الذي تستعمله في المبالغة في الوعيد، ألا ترى أن قوله بعد ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُر: إِنَّا أَعْتَدْنَا للظَّالِمِينَ نـاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُها﴾[٣] فهذا مما يؤكد أمر الوَعِيدِ.

وقوله:﴿فآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ وَالمِسْكِينَ وابنَ السَّبِيلِ﴾.

جعل اللَّه عز وجل لذي القُرْبَى حَقًّا وكذلك للمساكين. وابنُ السّبيل الضَّيفُ فجعل الضيافة لازمةً. فأما القَرابَاتُ فالمواريث قدْ بَيَّنَتْ مَا يَجِبُ لكل صنف منهم، وفرائض المواريث كأنها قَدْ نسخَتْ هذا أعني أمر حق القرابة، وجائز أن يكون للقرابة حق لازم في البرِّ.

وقوله:﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ﴾.

يعني به دفع الانسان الشيء ليعوض ما هو أكثر منه، فذلك في أكثر التفسير لَيْسَ بحرام، ولكنه لَا ثَوابَ لمن زادَ عَلَى ما أَخَذَ. والرِّبَا ربوان، والحرام كل قرض يؤخذ به أكثر منه أو يجر مَنفعة، فهذا حرام[٤]، والذي ليس بحرام هو الذي يَهَبُه الانسان يستدعي به ما هو أكثر مِنْهُ، أو يهدي الهدِيَّة يستدعي بها ما هو أكثر منها.

وقوله:﴿وَمَا آتَيْتُم مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾.

---

(١) سورة الكهف الآية ٢٩.

(٢) سورة فصلت الآية ٤٠.

(٣) سورة الكهف آية ٢٩.

(٤) في الاصل فحرام.

أي وما أَعْطَيتُمْ من صَدَقَةٍ لا تطلبون بها المكافأة وإنما يقصدون بها ما عند اللّه.

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ المُضْعَفُونَ﴾.

أي فأهلها هم المضعَفُونَ، أَيْ هم الذي يضاعف لهم الثواب، يعطون بالحسنة عشْرةَ أمثالها ويضاعف اللّه لمن يشاء، وقيل ﴿المُضْعِفُونَ﴾ كما يقال رجل مَقْوٍ، أي صاحب قوَّةٍ، وموسِر أي صاحب يَسَارٍ، وكذلك مُضْعِفٌ، أي ذو أضعاف من الحسنات.

وقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرِّ والبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِنُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾.

ويقرأ بالياء أيضاً «لِيُذيقَهُمْ» أي ليذيقهم ثواب بَعْضِ أَعْمَالِهم، ومعناه ظهر الجَدْبُ في البَرِّ والقَحْطُ في البَحْرِ، أي في مُدُنِ البحر، أي في المدُن التي عَلَى الأنْهَارِ، وكل ذي ماء فهو بَحْرٌ.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلّدين القَيِّم مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللّه يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾.

معنى «فأقم وجهك» أَقم قصدك واجْعَلْ جِهَتَك اتباع الدين القيِّم من قبل أن تأْتِيَ السَّاعَةِ وتقوم القيامَةُ فلا ينفع نفساً إيمَانُهَا لم تكن آمَنت من قبل أَوْ كَسَبَتْ فِي إيمَانِها خَيْراً.

وَمَعْنَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾.

يتفرقون فيصيرون فَرِيقاً في الجنَّةِ وَفَرِيقاً في السَّعيرِ.

وقوله: ﴿فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾.

أي لأنفسهم يوطئون.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾.

أي فَرَأَوا النَّبْتَ قد اصْفَرّ وَجَفَّ.

﴿لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِه يَكْفُرُونَ﴾.

ومعناه ليظلُّنَّ، لأن معنى الكلام الشرط والجزاء فيهم يستبشرون بالغيث ويكْفِرُون إذا انقطع عنهم الغَيْثُ وجفّ النباتُ.

وقوله: ﴿[وَيَجْعَلُه] كِسَفاً﴾: [أي] قطعاً من السحاب.

وقوله: ﴿فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ﴾.

أي فترى المطر يخرج من خلل السحاب، فأعلم عز وجل أَنَّه يُنْشِئُ السَّحابَ ويحيي الأرض ويرسل الرِّيَاحَ، وذلك كله دليل على القدرة التي يعجز عنها المخلوقون، وأنه قادر على إحياء الموتى.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾.

المعنى أن ينْزِلَ عليهم المطر، ويقرأ أن يُنَزَّل، وَمَعْنَى مُبْلِسينَ مُنْقَطِعين انقطاع آيسين، فأما تَكْرِيرُ قوله «من قبل» ففيه وَجْهَانِ، قال قطرب إن قَبْلَ الأولى للتنزيل، وقَبْل الثانية لِلْمَطَرِ. وقال الأخفش وَغيرُه من البَصْرِيّين: تكرير قبل على جهة التوكيد، والمعنى وإن كانوا من قبل تنزيل المطر لَمُبْلِسينَ. والقول كما قالوا لأن تنزيل المطر بمعنى المطر، لأن المطر لا يكون إلا بِتَنْزِيلٍ كما أن الرِّياحَ لا تُعْرَفُ إلا بِمُرورِهَا قال الشاعر(١):

(١) هو ذو الرِّمة ـ وقد تقدم البيت حـ ١/٣٦٢.

مَشَينَ كما اهتزت رِمَاح تَسَفَّهتْ أَعَالِيهَا مَرُّ الرياح النَّوَاسِمِ

فمعنى مَرُّ الرِّياح كقولك تَسَفَّهتْ أعاليها مر الرياح النواسم.

وقوله عز وجل:﴿فانظر إلى أَثَر رَحْمَة اللَّهِ﴾.

ويقرأ ﴿آثاررحمةاللَّه﴾، يعني آثار المطر الذي هو رحمة من اللَّه ﴿كيف يحيي الأرض بعد مَوْتِها﴾، وإِحْيَاؤها أَنْ جَعَلها تُنْبِتُ فكذلك إحياءُ الموتى، فقال:

﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيي المَوْتَى﴾.

ذلك إشارة إلى اللَّه عز وجل.

وقوله: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ المَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾.

هذا مثل ضربه اللَّه للكفار كما قال: ﴿صُمٌّ بكمٌ عُمْيٌ﴾، فجعلهم في تركهم العَمَل بما يسمعون وَوَعْيِ ما يُبْصِرُونَ بمنزلة الموتَى، لأن ما بيَّنَ من قدرَتِه وصنعته التي لا يقدر على مثلها المخلوقون دليل على وحدانيته.

وقوله: ﴿إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بآيَاتِنَا﴾.

أي ما يَسْمَعُ إلا من يؤمن بآياتنا، وجَعَلَ الاسماع ههنا إسماعاً إذا قُبِلَ وعُمِلَ بما سُمِعَ[1]، وإذا لم يُقْبَل بمنزلة ما لم يُسْمع ولم يُبْصَر.

وقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي العُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾.

---

(١) من يسمع ولا يعمل بما سمع كأنه لم يسمع ـ فجملة... ان تسمع الا من يؤمن، تعني لا تسمع سماعاً ذا فائدة الا لمن يؤمن.

القــراءة بـالجــرفي «العُمْيِ» والنَّصب جـائــز، بهَــادٍ العُمْيَ عن ضلالَتِهِمْ. فالقـراءة بالجرّ، فأمـا النَّصْبُ فإن كـانت فيها رِوَايـةٌ، والا فَلَيْسَت القراءة بها جائزة، لأن كل ما يُقْرأُ به ولم يتقدم فيه رِوَايةٌ لِقُرَّاء الأمصار المتقدِّمِينَ فالقراءة به بِدْعَةٌ وإن جاز في العربية، والعمـل في القراءة كلها على اتباع السُّنَّةِ.

وقوله عـز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْـدِ ضَعْفٍ قوةً ثُمَّ جَعَل مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُق مَا يَشَاءُ﴾.

تأويله أنه خلقكم من النُّطَفِ في حالِ ضَعْفٍ ثم قَـوّاكُمْ في حال الشبيبة ثم جَعَل بَعْدَ الشَّبِيبةِ ضعفـاً وَشَيْبَةً. وروي في الحـديث أن ابن عمـر قال: قـرأتُ على النبي ﷺ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ من ضَعْفٍ...﴾ قال فأقرأني من ضُعْفٍ، وقرأ عطيةُ على ابن عمر من ضَعْفٍ فأقـرأه من ضُعْفٍ، وقال له: قرأتُها على النبي ﷺ من ضَعْفٍ فأقرأني من ضُعْفٍ، فالذي روى عطية عن ابن عمر عن النبي ﷺ [من ضُعْفٍ] بالضَّم، وقـد قِرِئَتْ بفتح الضَّادِ، والاختيارُ الضَّمُّ، للرواية.

وقوله عز وجل:﴿وَيَـوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ المُجْرِمُونَ﴾.

يعني يـوم القيامَـةِ، والسّاعَـةُ في القُرآنِ على معنى السـاعة التي تقـوم فيهـا القيـامـة فلذلـك تـرك ذِكْـرَ أَنْ يُعـرِّف أَيُّ سَـاعَـةٍ هي.

﴿يُقْسِمُ المُجْرِمُونَ﴾: يَحْلِفُ المجرمون.

﴿مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾.

أي ما لبثوا في قُبُورهم الا ساعةً واحدة.

﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾.

أي مثل هذا الكَذِبِ كذبهُم لأنهم أقسموا على غَيْر تحقيق.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ والإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ البَعْثِ﴾.

أي في علم اللَّهِ المُثْبَتِ في اللَّوْحِ المَحْفُوظِ.

وقوله: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾.

أي إنّ ما وَعَدَك اللّه من النَّصْرِ عَلَى عَدُوّك حق، وإظهار دين الاسلام حقٌّ.

﴿ولا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾.

أي لا يستفزَّنَّكَ عن دِينَكِ الذين لا يوقنون، أي هم ضُلَّالٌ شَاكُّونَ.

سُورَةُ لُقْمَان
مكية

ما خَلاَ ثلاث آيات منها مَدَنِيَّـة، قولـه: ﴿ولو أن مـا في الأرْضِ﴾ إلى تمام الثلاث إيات[1].

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

﴿آلم﴾: قال ابن عباس معنى «آلم» أنا اللَّه أعلم، وقد فسرنا في سـورة البقرة جميعَ ما قيل في «آلم» وما أشبهها.

وقوله:﴿تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ﴾.

معنـاه هـذه الآيـات، تلك الآيـات التي وُعِـدْتُمْ بهـا في التَّـوْرَاةِ ويجوزُ أن يكون بمعنى هذه آيات الكتاب، وقد تقـدم تفسير مثـلِ هذا من سورة البقرة أيضاً.

وقوله:﴿هُدًى وَرَحْمَةً للمُحْسِنِينَ﴾.

القراءة بالنصب على الحال، المعنى تلك آيات الكتاب في حال الهداية والرحمة.

---

(١) جرياً على عـادته في كثيـر من السور يضـع البسملة قبل عنـوان السورة وقـد نبهنا لهـذا من قبل وآثرنا وضع البسلمة قبل بداية السورة وبعد كتابة العنوان، والصواب أن يقال: الثلاث الآيات.

وقوله عزو جل:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ لِيَضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.

ويقرأ: لِيُضِلَّ عن سبيل اللَّه.

فأكثر ما جاء في التفسير أنَّ «لَهوَالحديث» ههنا الغِنَاءُ لأنه يُلْهِي عَنْ ذكر اللَّه، وقد روي عن النبي ﷺ أنه حرم بيع المغنية. وقد قيل في تفسير هذه الآية إن لهو الحديث ههنا الشركُ، فمن قرأ لِيُضِلَّ -بضم الياء- فمعناه ليضل غيرَهُ، فإذا أضلَّ غيرَهُ فقد ضَلَّ هُوَ أيضاً، ومن قرأ لِيَضِلَّ فمعناه ليصير أمرُه إلى الضَّلاَلِ، فكَأَنه وَإِنْ لم يَكُنْ يُقَدِّرُ أَنه يَضِلّ فسيصير أمره إلى أنْ يَضِلَّ.

وقوله:﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً﴾.

أي يَتَّخِذَ آياتِ اللَّه هُزُوًا، وقد جرى ذكر الآيات في قوله:﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾. وقد جاء في التفسير أيضاً أن قوله:﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزَواً﴾ يَتّخِذَ سَبيلَ اللَّه هُزَوًا.

وقوله:﴿خَلَقَ السَّمَواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى في الأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ الآية.

وصف اللَّه عز وجل خَلْقَه الذي يَعْجِزُ المَخْلُوقُونَ عن أن يأتوا بمثله، أَوْ يَقْدِرُوا على نَوْعٍ منه ثم قال:﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِه﴾.

وقوله:﴿بغير عَمَدٍ تَرَوْنَها﴾، قيل في التفسير إنها بِعَمَدٍ لاَ تَرَوْنَهَا، أي لا ترون تلك العَمَدِ، وقيل خلقها بغير عَمَدٍ وكذلك ترونها[1].

---

(١) جملة «ترونها» إما مستأنفة، أي ترونها كذلك،وإما صفة لعمَدٍ أي بغير عَمَدٍ مَرْئيةٍ، ويفسر بغير عمد أصلاً، أو بعمد لا ترى.

والمعنى في التفسير يؤول إلى شيء وَاحِدٍ، ويكون تأويل «بغير عمد ترونها الذي فُسِّرَ بعَمدٍ لا ترونها. يكون معنى العمد قدرته عز وجل التي يمسك بها السماوات والأرض.

﴿وَأَلْقَى في الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾.

﴿رَوَاسي﴾ جِبالٌ ثَوابِتُ، كما قال - عز وجل: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً. وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾[1]. فمعنى ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ كَراهةَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ، ومعنى «تميد» تتحرك حركة شَدِيدَةً.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ للَّهِ﴾.

معناه لأن تشكر للّه، ويجوز أن تكون «أَنْ» مُفَسِّرةً، فيكون المعنى أي اشْكُرْ للّه تبارك وتعالى: وتأويل «أن اشكر للّه» قُلنَا له: أشكر للّه على ما آتاك.

وقد اختلف في التفسير في لقمانَ فقيل: كان نبياً، وقيل: كان حكيماً، وقيل كان رَجُلاً صَالِحاً، وقيل: كان حبشياً غليظ المَشَافِرِ مُشَقَّقَ الرِّجْلَيْنِ ولكنَّ اللَّهَ آتاهُ الحكمةَ، فلسنا نشك أنه كانَ حكيماً لقول اللّه عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ﴾. وقيل كان نَجَّاراً وقيل كان خيَّاطاً، وقيل كان رَاعِياً.

وَرُوِيَ في التفسير أَنَّ إنساناً وقف عليه وهو في مجلسه فَقَالَ لَهُ: أَلَسْتَ الَّذِي كُنْتَ تَرْعَى مَعِي في موضع كذا وكذا، قال: بلى، قال فما بلغ بكَ ما أَرَى؟ فقال: صِدْقُ الحَدِيثِ والصَّمْتُ عَمَّا لا يعنيني.

وقوله: ﴿[وَإِذْ] قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ﴾.

---

(١) سورة النبأ الآية ٦ و٧.

موضع «إذْ» نَصْبٌ بقوله:﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ أي ولقد آتينا لقمان الحكمة إذ قال، لأن هذه الْمَوْعِظَةَ حكمةٌ.

وقوله:﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

يعني أن اللّه هُوَ المحيي المميتُ الرّازِق الْمُنْعِمُ وحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فإذا أَشْرَكَ به أَحَدٌ غيره فذلك أعظَمُ الظُّلْمِ لأنه جَعَل النِّعْمَةَ لِغَير رَبِّهَا، وَأَصْلُ الظُّلْمِ في اللغة وضع الشيء في غير مَوْضِعِه. وقد بيّنا ذَلِكَ فِيمَا سَلَفَ من الكِتَابِ.

وقوله عز وجل:﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ، وَفِصَالُه فِي عَامَيْنِ أَنِ آشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾.

جاء في التفسير وهناً على وَهْنٍ، ضَعْفاً على ضَعْفٍ، أي لَزِمَهَا لحملها إياه أن ضَعُفَتْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ. وموضع «أَنْ» نَصْبٌ بوصَّيْنا. المعنى وصَينا الانسان أن اشْكَره لي ولوالديك، أيْ وَصَّيْنَاه بشكرنا وَبِشُكْرِ والديه.

وقوله عز وجل :﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾.

يُرْوَى أَنَّ سَعْدَ بنَ أَبِي وَقَّاصٍ ذكر أن هذه الآية نَزَلَتْ بسببه، وذلك أنه كان أَسْلَمَ فحَلَفَتْ أُمُّه أَلَّا تأكُلَ طعاماً، ولا تشرب شراباً حتى يَرْتَدَّ إلَى الكُفْرِ، فمكثت ثلاثاً لا تطْعَمُ ولا تَشْرَبُ حتى شَجَرُوا فاها - أي فتحوه - بعِودٍ. حتى أَكلت وشربت، وَيُرْوى أنه قال: لو كانت لها سَبْعُونَ نَفْساً فخرجت لما ارتْددْتُ عَنِ الاسلام.

وقوله عز وجل:﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾.

يقال: صَاحَبْتُه مُصَاحَباً وَمُصاحَبَةً. ومعنى المعروف ما يستحسن من الأفعال.

﴿واتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إلَيَّ﴾.

أي اتّبِعْ سَبِيل مَنْ رَجَع إليَّ.

وقوله:﴿يَا بُنَيَّ إنَّها إنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾.

وتقرأ مثقالُ حَبةٍ. الآية إلى قوله ﴿لطيف خبير﴾[1] أي لطيف في استخراجها خبير بمكانها. ويقال في صخرة، أي في الصخرة التي تحت الأرض.

ويروى أن ابن لقمان سأل لقمانَ فقال: أَرَأَيْتَ الحَبَّةَ تَكُونَ في مَقْلِ البَحرِ[2]، أي في مغاص البحر أَيَعْلَمُهَا اللّه. يقال مَقَلَ يَمْقُل إذا غَاصَ، فَأَعْلَمَهُ أنَّ اللّه ـ عز وجل ـ يعلم الحَبَّةَ حيث كانت، وفي أخفى المواضع، لأن الحبَّة في الصخرة أخفى من الماء، ثم أعلمه أَنَّهَا حيث كانت يَعْلَمُها بلُطْفِه ـ عز وجل ـ وخِبْرَتِه.

وهذا مثلٌ لأعمال العِبَادِ أَنَّ اللَّه يأتي بأعمالهم يومَ القيامة فمن يعمل مثقالَ ذرَّة خيراً يرَهُ، ومن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرّةٍ شراً يَره.

فأَما رفع «مثقال» مع تأنيث «تك» فلأن مِثْقَالَ حبة من خردل راجع إلى معنى خَرْدَلَةٍ، فهو بمنزلة إن تك حَبَّةٌ من خردل. ومن قرأ: إنها إن تك مثقالَ حبة ـ بالنصب ـ فعلى معنى انَّ الّتي سَأَلْتني عنها إن تك

---

(١) تمام الآية: ﴿يا بني إنها إن تَكُ مثقال حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ فَتَكَنْ في صَخْرةٍ أَوْ فِي السَّمَواتِ أو في الأرْضِ يَأتِ بِهَا اللَّهُ إنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

(٢) في غوصه وأعماقه

مثقـال حبة، وعلى معنى أنَّ فَعْلَةَ الانسـان وإن صَغُرَتْ يـأت اللَّه بها، ويجوز أنها إن تك بالتـاء مثقال حبـة من خردل، على معنى انَّ القصـة كما تقول[1]: انهـا هند قـائمةٌ، ولـو قُلْتَ انها زيـد قائم لجـاز، إلاَّ أن النحـويين يختارون ذلـك مَعَ المُـذَكَّرِ، ويجيزون مـع المؤنث التـأنيث والتذكير، يقـولون: انَّـهُ هِنْدٌ قَـائِمَةٌ، وانهـا أمة اللَّه قـائمة. فيجيـزون الوَجْهَيْن. فأما انها إن تَكُ مثقَالَ حَبَّةٍ من خردل عنـد من لا يجيز «إنَّهـا زَيْدٌ قَائِمٌ»، فيجوز عنده هـذا لأن مَعْنَاه التـأنيث بِرَدِّ «مـا» إلى الحبَّةِ من الخردل.

وقوله تعالى:﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾.

ويقرأ تُصَاعِرُ، ويجوز في العربية: ولا تُصْعِرْ، ولا أعلم أحَداً قرأ بها، فإذا لم ترو فلا تقرأ بها، ومعناه لا تُعْرِضْ عن الناس تَكَبُّراً، يقال أصاب البعيرَ صَعَرٌ وصَيَدٌ إذا أَصَابه دَاءٌ فلوى منه عنُقَهُ، فيقـال للمتكبر فيه صَعَرٌ، وفيه صَيَدٌ، فـأما تُصَعِّـر فعلى وجه المُبَـالَغَة، ويصـاعر جـاء على معنى يُفَاعِل، كأنك تُعَارِضُهُمْ بِوَجْهِـك. ومعنى تُصْعِرْ تلزم خَـدَّك الصَّعَرَ، لأنه لا داء بالانسان أَدْوَأَ من الكِبْرِ.

والمعنى في الثـلاثـة هـذا، المعنى، إلاَّ أن تُصَعِّـرْ وَتُصَـاعِـرْ أَبْلَغُ [من تُصْعِرْ].

وقوله:﴿وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً﴾.

أي لا تَمْشِ[2] مُتَبَخْتِراً مُخْتَالاً.

وقوله عز وجل: ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾.

---

(١) أي ان الضمير في إنها إن تك ـ ضمير الشأن والحالة.

(٢) في الأصل: لا تمشي.

معنى اغْضُض انقص، ومن ذلك غضضت بَصَرِي، وَفُلاَنٌ يَغُضّ بَصَرَهُ من فُلاَنٍ أي يتنقَصُّهُ.

ومعنى:﴿أَنْكَرُ الأَصْوَاتِ﴾، أقبح الأصوات، يقال: أَتَانَا فُلانٌ بوجه مُنكَر الخِلْقَةِ، أي قبيح.

وقوله عز وجل:﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لكم مَا فِي السَّمَواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾.

تسخير ما في السموات الشمس والقمرُ والنُّجُومُ، ومعنى تسخيرها للآدميين الانتفاع بها في بلوغ مَنَابِتهم[1]، والاهتداء بالنجوم فِي مَسَالِكِهِمْ، وتسخير ما في الأرض تسخير بحارها وأنهارها ودوابها وجميع منافعها.

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾.

ويقرأ﴿نِعَمَهُ﴾على الجمع. فمن قرأ نعمةً فعلى معنى ما أعطاهم من توحيده عز وجل، ومن قرأ نِعَمَهُ فعلى جَميعِ مَا أَنْعَمَ به عَلَيهِمْ.

قوله عزوجل: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بالعُرْوَةِ الوُثْقَى﴾.

أي من أسلم فقد استمسك بقول: لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَهِيَ العُرْوَةُ الوُثْقَى.

وقوله تعالى:﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ والبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾.

ويقرأ «والبحرُ» بالرَّفْعِ.

---

(١) ما يستنبتونه ويثمرونه من النبات.

فأمّا النصبُ فعطفٌ على «ما» والمعنى ولو أن ما في الأرْضِ ولـو أن البحرَ، والرفع حسن على وجهين على معنى. والبحرُ هَذِه حَاله[1]، ويجوز أن يكون معطوفاً على موضع إن مع ما بعدها لأن معنى لو أَنَّ ما في الأرض لَوْ وقع ما فِي الأرْضِ، لأن «لو» تطلب الأفعال فـإذا جاءت معها إنَّ لم تذكر معها الأفعال، لأنه تذكر معها الأسماء والأفعال[2].

وقوله عز وجل:﴿مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾.

معنـاه ما انقـطعت، ويروى أَنَّ المشـركين قالـوا في القـرآن: إنَّ هَذا كلامٌ سَيَنْفَدُ، وسيقطع، فأعلم اللَّه عز وجل أَنَّ كَلِمَاتِـه وحكمتَهُ لا تَنفدُ.

وقوله: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾.

تـأويله الا كخلق نفس وَاحِدَةٍ، وكبعث نَفْسٍ وَاحِـدَةٍ، أي قُـدْرَةُ اللَّهِ عَلَى بعث الخلق أجمعين وعلى خلق الخلق أجمعين كَقُدْرَتِه على خلق نفسٍ واحدةٍ وبعث نفس وَاحِدَةٍ.

وقوله:﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾.

معناه يدخل الليل في النهار، لَيْلَ الصيف في نَهاره.

﴿وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ﴾.

يدخل نهار الشتاء في ليله.

وقوله عز وجل:﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفُلْكَ تَجْرِي فِي البَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾.

ويقـرأ بِنِعِمات اللَّه، ويجوز بِنَعْمَات اللَّه، ويجـوز بِنِعَمَـات اللَّه

(١) أي هي جملة مستأنفة.

(٢) لا تذكر الأفعال بعد «لو» إذا كان في حيزها «أن» ـ وبغير أن تذكر الأفعال والأسماء.

بفتح العين ففيها ثلاثة أوجه إذَا جُمِعَتْ، وأكثر القراءة بنعمة اللَّهَ على الـواحدة، وأمـا الكسر فعلى [مـذهب] من جَمَع كِسْـرةً على كِسِـرَاتٍ، ومَنْ أَسْكن وهـو أجود أَوْجُهِـهِ[1] فعلى من جمع كِسْـرات، لأن كِسْراتٍ بقـل مثله في كلام العَـرَبِ، إنما جـاء في أصول الأبنيـة ما تـوالت فيه كسرتان نحـو إبل وإطِـل فقط، ومن قرأ بِنِعَمَـات اللَّه فلأن الفتـح أخف الحركات، قال الشاعر:[2]

ولمــا رأونــا بــاديــاً رُكَبَــاتُـنَــا على مَوْطِنٍ لا نَخْلِطُ الجِدَّ بالهَزْلِ

والأكثـر رُكَبات، ورُكْبَـات أَجْوَدُ لِثِقَـلِ الضَّمَّـةِ، ولكنـه أكثـر من الكلام من نِعِمَات، وكِسِراتٍ.

وقوله عز وجل:﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

روى قتادَةُ أن أحبَّ العِبَادِ إلَى اللَّه مَنْ إذَا أُعْطي شَكَرَ وإذا ابْتُلِيَ صَبَرَ. فأعلم اللَّه ـ عـز وجل ـ أَنَّ المُعْتَبِـرَ المُتَفَكِّرَ في خلق السمـوات والأرض هو الصبار الشكور.

وقوله عز وجل:﴿وَإذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾.

قال في الموج: «كَالظُّلَلِ» لأنّ موج البحر يعظمَ حتى يصيرَ كأَنَّهُ ظُلَلٌ.

وقوله: ﴿خَتَّارٍ كَفُورٌ﴾.

الخَتْرُ أقبح الغَدْرِ.

وقوله عز وجل:﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِه شَيْئاً﴾.

---

(١) ليس إسكان العين وجها جيداً.

(٢) تقدم جـ ١/٢٤١.

«جاز» في المصحف بغير ياء، والأَصْلُ جَازِيٌّ. وَذَكَر سيبويه والخليل أن الاختيار في الوقف هُوَ جَازْ، بغيرياء والأصل جازيٌ بضمة وتنوينٍ، فَثَقُلَتِ الضَّمةُ في الياء، فحذفت وسكنت الياء والتنوين فحذفت الياء لالتقاء الساكنين، وكان ينبغي أن يكونَ في الوقف بياءٍ لأن التنوين قد سقط ولكن الفُصحَاءَ مِنَ العَرَبِ وقفوا بغيرِ ياء لِيُعْلمُوا أن هذه اليَاءَ تَسْقُط في الوصل. وزعم يُونُس أن بعض العرب الموثوقِ بهم يقف بياء، ولكنَّ الاخْتِيار اتباعُ المصحف والوقف بِغَيْر يَاءٍ

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الغَرُورُ﴾.

﴿الغَرور﴾ الشيطان.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غداً وما تدرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾.

جاء في التفسير أن هذه الخمسَ مفاتحُ الغَيْب التي قال اللَّه عز وجل [فيها]: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِح الغَيْب لا يعلمها إلاَّ هُوَ﴾[1] فمن ادَّعى أنه يعلم شيئاً من هذه فَقد كَفَرَ بالقُرآنِ، لأَنَّهُ قَدْ خَالَفَهُ.

(١) سورة الانعام الآية ٥٩.

سُورَةُ السَّجدة
مكية

إلا ثلاث آيات منها مدنية، ﴿[أَفَمَنْ كانَ مُؤمِنياً كَمن كانَ فَاسِقاً﴾ إلى تَمامِ الثلاثِ آيات[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿الم. تَنْزِيلُ الكِتابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾.

روى أحمد بن حنبل بإسناد له أن النبيّ ﷺ كان يقرأ في كل لَيْلةٍ سورةَ السَّجْدَةِ «الم تنزيل»، وسورة «تبارك الملك»، وروى كَعْبُ الأحبار أنه قال: من قرأ سورة السجدة كَتبت له سَبْعُونَ حسنةً وحُطَّتْ عَنْهُ سبعونَ سَيِّئَةً وَرَفعَتْ له سَبْعُونَ دَرَجَة.

وقوله: ﴿الم. تنزيل الكتاب﴾ قد شرحنا ما قيل في «الم»، ورفع «تنزيل» على خبر الابتداء على إضمار الذي نتلو تنزيل الكتاب، ويجوز أن يكون في المعنى خبراً عن «الم»، أي «الم» مِنْ تنزيل [الكتاب] ويجوز أن يكون رفعه على الابتداء، ويكون خبر الابتداء لاَ رَيْبَ فيه.

وقوله عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾.

معناه بل أيقولون افتراه.

---

(١) الصحيح أن يقال الثلاث الآيات.

وقوله: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾، وَمِثْلُهُ ﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أُنْـذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾(١)، و«ما» في جميع الموضعين نَفْيٌ، أي لم يشاهدُوا هُمْ ولا آباؤهم نبياً. فأما الانذار بما تقدم من رسل اللّه صلى اللّه عليهم فعلى آبـائهم به الحجـة، لأن اللّه عز وجـل لا يُعَذِّبُ إلا من كفـر بالـرُّسُـل، والدليل على ذلك قوله:﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾.

قوله:﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُه أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾.

أعلم اللّه عـز وجل أنـه يُـدَبِّـرَالأَمْـرَ من السَّمـاء إلى الأرض، ثم يعـرج الأمر إليـه في يوم، وذلـك اليوم مقـداره ألفُ سَنَةٍ ممـا تعدُّونَ. ومعنى يَعْـرُج ينزل ويَصْعَدُ يقال عَرَجْتُ في السِّلْمِ أَعْرُجُ، ويُقَـالُ عَرِج يَعْرَجُ إذَا صَار أَعْرَجَ.

وقوله تعالى:﴿الذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾.

وقد قرئ﴿خَلَقَهُ﴾- بتحريك اللام وتسكينها جميعاً - ويجـوز خَلْقُهُ بالرفـع ولا أعلم أحداً قـرأ بها. فـأما «خَلَقَـهُ» فعلى الفِعْلِ المَـاضِي. وتأويل الإِحْسَانِ في هذا أنه خَلَقَهُ على إرَادَتِه فخلق الإِنْسَانَ في أحسن تَقْوِيمٍ، وخلق القِرْدَ على مـا أحب - عز وجـل - وخَلْقُه إيـاهُ على ذلك مِنْ أَبْلَغِ الحكمةِ. ومن قرأ خَلْقَـهُ بتسكين اللام فعلى وَجْهَيْنِ أحـدهما المَصـدَرَ الذي دل عليـه أَحْسَنَ، والمعنى الذي خلق كـل شيء خلقه، ويجوز أن يكون على البَدَلِ فيكون المعنى الذي أَحْسَنَ خَلْقَ كُلَّ شيء خَلقَهُ، والرفعُ على اضمار: «ذَلِكَ خَلْقُه».

وقوله عز وجل:﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الانْسَانِ مِنْ طَينٍ﴾.

(١) سورة يس الآية ٦. (٢) سورة الاسراء ١٥.

يعني آدم وَذُرِّيَّتَهُ، فآدم خلق من طين.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾.

ومعنى مَهِين ضَعِيفٌ، ومعنى السلالة في اللغة ما ينسَلُّ من الشيء القليل، وكذلك الفعالةُ نحو الفُضَالَةُ والنُّخامَةُ والقُوارةُ[1].

وقوله عز وجل:﴿وقالوا أئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأرْضِ أئِنَّا لَفِي خلق جَدِيدٍ﴾.

ويقرأ أَنَّا لَفِي خلق جَدِيدٍ، ويقرأ إنَّا لَفِي خَلْق جَديدٍ[2]، وموضع «إذَا» نصبٌ، فمن قرأ «أَئِنَّا» فعلى معنى أنُبْعَث إذا ضَلِلْنَا في الأرْضِ، وَيَكُونُ يَدُلُّ عَلَيه «إنَّا لَفِي خَلْق جَدِيدٍ»، ومن قرأ إنا لفي خلق جديد فإذا منصوبة بضللنا، ويكون بمعنى الشرط والجزاء، ولا يضر ألاَّ يذكر الفاء، لأن «إذَا» قد وليها الفعل الماضي، ولايجوز أن ينتصبَ «إذا» بما بعْدَ «أنَّ»، لا خلاف بين النحويين في ذلك، ومعنى «إذَا ضَلَلنا» إذا مُتْنَا فصِرْنَا تُراباً وعظاماً فَضَلِلْنَا في الأرض فلم يتبيَّنْ شيء من خَلْقِنَا، ويقرأ صَلَلْنَا بالصَّادِ، ومعناه على ضربين أحدهما أَنْتنَّا وَتَغَيَّرْنَا، وتَغَيَّرَتْ صُوَرُنا، يقال صَلَّ اللحم وَأَصَلَّ إذا أَنْتَنَ وَتغيَّرَ، والضَّرب الثَّاني صَلَلْنَا صرنا من جِنْسِ الصَّلَّةِ، وهي الأرض اليابسة.

وقوله:﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ﴾.

من تَوْفِيَةِ العَدَدِ، تأويله أنه يقْبِضُ أَرْواحَكُم أَجْمعين فلا ينقص واحدٌ منكم، كما تقول: قد استَوْفَيْتُ مِنْ فُلاَنٍ وتوفَّيْتُ من فلان مالي عنده، فتأويلُه أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ لي عَلَيه شيء.

---

(١) القوارة ما قور من الثوب وغيره مثل قوارة الجيب والبطيخ.

(٢) أي بالاثبات بدون استفهام وإنا مفتوحة الهمزة ومكسورتها.

وقوله:﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

هذا متروك الجواب، وخِطابُ النبي ﷺ خطابُ الخلق. الدليل عليه ذلك:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُم النِّسَاءَ..﴾ فهو بمنزلة وَلَوْ تَرَوْنَ فالجواب لرأيتم ما يعتبر به غاية الاعتبار.

وقوله:﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾.

فيه إضمار «يَقُولُون» رَبَّنا أَبْصَرْنا.

وقوله:﴿وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾.

تأويله مثل قوله:﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُم عَلَى الهُدَى﴾[1]، ومثله ﴿فَظَلَّتْ أعناقُهُمْ لها خَاضِعِينَ﴾[2].

وقوله:﴿وَلَكِنْ حَقَّ القَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّم مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

قال قتادة بذنوبهم، وهذا حسن، لأن اللَّه عَزَّ وَجَلَّ قال:﴿إِنَّما تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ﴾[3].

وقوله:﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾.

تأويل النسيان ههنا التَّرْكُ، المعنى فذوقوا بما تركتم عمل لقاء يومكم هذا فتركناكم من الرحمة.

وقوله عزل وجل:﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمعاً﴾.

---

(١) سورة الأنعام الآية ٣٥ أي لو شاء جمعهم لجمعهم.

(٢) سورة الشعراء، الآية ٣. ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ آيةً فَظَلَّتْ...﴾.

(٣) سورة الطور الآية ١٦.

معنى «تتجافى» ترتفع وَتُفَارِقُ المضاجعَ، ومعنى «خوفاً وَطَمَعاً» خوفاً من عذاب اللّه وطمعاً في رحمة اللّه. وانتصاب «خوفاً» و «طَمَعاً» لأنه مفعول له، كما تقول: فَعَلْتُ ذلك حِذَارَ الشَّرِ أي لِحذارِ الشَّر وحقيقته أنه في موضع المصدَرِ، لأن «يَدْعُونَ رَبَّهُمْ» في هذا الموضع يدل على أَنَّهُم يَخَافُونَ عذابَه ويَرْجُونَ رَحْمَتَهُ، فهو في تأويل يَخَافُونَ خوفاً ويطمعون طمعاً.

وقوله:﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

أي ينفقون في طاعة اللّهِ، وقد اختلف في تفسيرها، وأكثر ما جاء في التفسير أنهم كانوا يصلون في الليل وقت صلاة العتمة المكتوبة لا ينامون عنها، وقيل التطوع بين الصلاتين، صلاة المغرب والعشاء الآخرة.

وقوله:﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾.

دليل على أنها الصَّلَاةُ في جَوْفِ اللَّيْلِ، لأنه عمل يستسِرُّ الإِنْسَانُ به فجعل لفظ ما يجازى به «أُخْفِيَ». ويقرأ بإسكان الياء[1]، ويكون المعنى ما أخفي أنا لهم. اخبار عن اللّه. وإذا قرئت: أُخفِيَ لهم من قرة أَعْينٍ - بفتح الياء - فعلى تأويل الفعل الماضي، ويكون اسم ما لم يسم فاعله مافي أُخْفِيَ من ذكر «ما»[2] وقرأ الناس كلهم من قُرّة أَعْيُنٍ إلاّ أبا هُرَيْرَةَ فإنه قرأ من قُرَّاتِ أَعْيُنٍ. ورواه عن النبي ﷺ.

جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

---

(١) في أُخْفِي. أي عبر عن مجازاته بكلمة «أخفى» لإخفائه صلاته.

(٢) نائب الفاعل هو الضمير المستتر العائد على «ما».

«جزاء» أيضاً منصوب مفعول لـه. وقرئت: فـلا تعلم نفسٌ ما أَخْفَى لَهُمْ، أي ما أخفى اللّٰه لهم.

وقوله:﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُون﴾.

جاء في التفسير أنها نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام، وعُقْبَةَ بنِ أَبي مُعَيْطِ. فالمؤمن عَلِي رضي اللّٰه عنه، والفاسقُ عقبة ابن أبي معيط، فشهد اللّٰه لِعلي بالإيمان وأنه في الجنة بقوله:

﴿أَمَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ المَأْوَى﴾.

وقال: ﴿لا يستوون﴾، ولو كان قال: لا يتسويان لكان جَائزاً. ولكن «مَنْ» لفظها لفظ الواحد، وهي تدل على الواحِد وعلى الجماعة فجاء «لا يَسْتَوُونَ». على معنى لا يستوي المؤمِنُونَ والكَافِرُونَ، ويجوز أن يكونَ «لا يَسْتُوُونَ» للاثنين، لأن معنى الاثنين جماعة.

وقوله عز وجل:﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ العَذَابِ الأَكْبَرِ﴾.

الأدنى ما يصيبهم في الدنيا، وقد اختلف في تفسيرها، فقيل:﴿ما يصيبهم من الجدب والخوف، ويكون دليل هذا القول قوله:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيءٍ مِنَ الخَوْفِ والجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأمْوَالِ وَالأَنْفُسِ والثَّمراتِ﴾[1]، وقيل «العذاب الأدنى» ههنا السِّبَاءُ والقتل، وجملته أن كل ما يعذَّبُ به في الدنيا فهو العذاب الأدنى، والعذاب الأكبر عذاب الآخرة.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾.

(١) سورة البقرة الآية ١٥٥.

جاء في التفسير لا تكن في شك من لقاء موسى عليه السلام، ودليل هذا القول في التفسير قوله: ﴿واسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾(١)، فالمعنى لا تكن يا محمد في مِرْيةٍ من لقائه، والخطابُ للنبي عليه السلام بمنزلة الخطاب له ولِأُمَّتِهِ في هذا الموضع، أي فلا تكونوا في شك من لقاء النبي عليه السلام بموسى، وَقِيلَ «فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ من لقائه» أي من لقاء موسى الكتاب(٢)، وتكون الهاء للكتاب، ويكون في لقائه ذكرُ مُوسى، ويجوز أن يكون الهاء لموسى، والكتاب محذوف، لأنَّ ذكر الكتاب قد جرى كما جرى ذكر موسى.

وهذا واللّه أعلم أشبه بالتفسير

وقوله:﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدونَ بِأَمْرِنَا﴾.

أكثر البصريّينَ لا يجيزون«أَئِمةً»بهمزتين، وابن أبي إسحاق وحدَهُ يجيز اجتماعَ هَمْزَتين، وسيبويه والخليل وجميع البصريين - إلّا ابنَ اسحاق- يقولون أيمَّة - بهمزة وياء - وإذا كانَ الهمزتان في كلمة وَاحِدَةٍ لم يجيزوا إلا ابدال الثانية في نحو أَيِمَّة وآدم، ومن قرأ أَئِمةً لَزِمَه أَنْ يَقُول في «آدم» أَأْدَم» لأنه أفعل من الأدْمَةِ، وأئمة أَفْعِلَة، ولا ينبغي أن تقرأ إلّا أيمَّةَ، لأن من حقّق الهمزة فيما يجوز فيه تخفيفُ الهمز أجاز التخفيف فكذلك هو يجيز التخفيف في أيمة، فتصير قراءة أَيِمَّة إجماعاً.

وقوله: ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾.

وَلِمَا صَبروا، والقراءة بالتشديد والتخفيف في «لَمَّا»، فالتخفيف معناه جعلناهم أئمة لِصَبْرِهِمْ، ومن قرأ «لمَّا» صَبَروا فالمعنى مَعنى

---

(١) سورة الزخرف الآية ٤٥.

(٢) لقائه بمعنى تلقيه.

حكاية المجازاة. لَمَّا صَبَرُوا جعلناهم أئمة، وأصل الجزاء في هذا كأَنَّهُ قيل إن صَبرتُمْ جعلناكم أئمةً، فلما صبروا جُعِلوا أَئِمةً.

وقوله عز وجل: ﴿أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا﴾.

وقرئت بالنُّونِ «أَوَ لَمْ نَهْدِ لَهُمْ». وزعم بعض النحويين أن «كم» في موضع رفع بـ «يَهْدِ» والمعنى عنده أو لم نُبَيِّنْ لهم القرون التي أهلكنا مِنْ قَبْلِهِمْ. وهذا عندنا ـ أعني عند البصريين ـ لا يجوز، لأنه لا يعمل ما قبل «كم» في «كم»، لايجوز في قولك كم رَجُلٍ جاءني، وأنت مخبر أن تقول جاءني كم رجل، لأن كم لا تُزَالُ عن الابتداء[1]، ولذلك جاز أن يفصل بينها وبين ما عملت فيه إذَا نصبت بما في الخبر والاستفهام تقول في الخبر:

كَمْ بجودٍ مُقْرِفاً نالَ الغِنَى[2]

---

(١) لا تحول عنه.

(٢) هو شطر من أبيات لأنس بن زنيم الصحابي الجليل، وقد وجه بهذه الابيات الى عبيد اللّه بن زياد، وكان وعده بشيء ثم أبطأ فبعث اليه يستعطفه منها:

سل أميري ما الذي غيره ... عن وصالي اليوم حتى ودَعَه

لا تهني بعد إكرامك لي ... فشديد عادة منتزعة

لا يكن وعدك برقاً خلّباً ... إن خير البرق ما الغيث معه

كم يجود مقرفاً نال العلا ... وكريم بخله قد وضعه

والمقرف المهجن أو الوضيع الأصل ـ ويونس يرى جواز الفصل بين كم الخبرية وتمييزها المضاف إليه بالظرف ـ وهو هنا منصوب ـ والتقدير كم مقرفاً. وفي الأبيات شاهد آخر على استعمال ماض لودع ـ في البيت الأول، ويروى أيضاً:

ليت شعري عن خليلي ما الذي ... غاله في الود حتى ودعه

ومثل هذا بيت أبي سويد في عينيته:

فسعى مسعاته في قومه ... ثم لم يدرك ولا عجزاً ودع

انظر الخزانة جـ٣/١٢١، ١٢٢، وشرح شواهد الشافية ص ٥٢.

ففصلت بين «كم» وبين قولك مقرفاً بِقَوْلِكَ «بجودٍ»، فيكون الفَصْلُ فيها بين كم وما عملت فيه عِوَضاً من تصرفها، الا ترى أنه لا يجوز عشرون عندي درهماً، ويجوز في الخبر كم عندي دِرهماً جَيِّداً.

وحقيقة هذا أن «كم» في موضع نصبٍ بأهلكنا، وفاعل «يَهْدِ» ما دل عليه المعنى مما سلف من الكلام، ويكون «كم» أَيْضاً دليلا على الفاعل في يهدي، ويدل على هذا قراءة من قرأ أو لم نَهْدِ - بالنُّونِ - أي ألم نبين لهم. ويجوز أيضا على «يهد» بالياء - أن يكون الفعلُ للَّه - عز وجل - يدل عليه قراءة من قرأ «أَوَلَم نَهْدِ».

وقوله - عز وجل - ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ المَاءَ إِلَى الأَرْضِ الجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ﴾.

يُقرأ الجُرُزَ، ويجوز، الجَرَزَ والجُرْز والجَرْز. كل ذلك قد حكي في الجرز.

جاء في التفسير أنها أرض اليَمَنِ، والجرز عند أَهْل اللُّغَةِ الأرض التي لا تُنْبِتُ. وكان أصلها أنها تأكل نباتها، يقال امرأة جَرُورٌ إذا كانت أكولاً، ويقال: سيف جرازٌ ذَا كان مستأصلا. فمن قال جُرْزٌ فهو تخفيف جرُز، ومن قال: جَرَزٌ وَجزرٌ فهما لغتان. ويجوز أن يكون جَرْزٌ مَصْدَراً وُصِفَ به كأنه أرض ذات جَرْزٍ - أعني بإسكان الراء، أي ذَات أكل للنَّبَاتِ.

وقوله: ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾.

ويجوز في «يَمْشون» في مساكنهم: تَمْشُون.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

جاء في التفسير أن أصحاب النبي عليه السلام قالوا: يُوشِكُ أن يكون لنا يومٌ نستريح فيه، فقال المشركون: مَتَى هَذَا الفَتحُ إن كُنتُم صَادِقِينَ، فأعلم اللَّه عَزَّ وَجَلَّ أن الراحة في الجنة في الآخرةِ. وجاء أيضاً في الفتح مَتَى هذا الحَكمُ إنْ كنتم صادقين، ومتى هذا الفَصلُ. فأعلم اللَّه - عز وجل - أَنَّ يَوْمَ الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمَانُهُمْ وَلَا هم يُنْظَرُونَ.

أَيْ أَنَّهم ماداموا في الدنيا فالتوبة مَعْرُوضَةٌ لَهُمْ ولا توبة في الآخرةِ.

﴿[فَأَعْرِضْ عَنْهم وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ]﴾.

وقرئت: فانتظر انهم منتظرونَ، ومُنْتَظَرونَ.

سُورَة الأحْزَابِ
مَدَنية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿يا أيُّها النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾.

معناه اثبُتْ على تقوى اللَّه ودُم عَلَيها(١).

وقوله:﴿إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾.

أي كان عليماً بما يكون قبل كونه، حكيماً فيما يخلقه قبل خلقه إياه.

﴿واتَّبعْ مَا يُوحَى إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾: يَعْني به القرآنَ.

وقوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّه وَكِيلاً﴾.

معناه وكفى اللَّه وكيلاً، دخلت الباء بمعنى الأمر، وإن كان لفظُه لفظَ الخبرَ. المعنى اكتف باللَّه وكيلاً.

وقوله عزَّ وَجَلَّ:﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِه﴾.

قال ابن عباس: إن النبي ﷺ صَلَّى فسها كما يسهو الرجال في صلاته وخطرت على باله كلمة فقال المنافقون إنَّ لَه قَلْبَيْن، قلباً معكم وقلباً مع أصحابه. وأكثر ما جاء في التفسير أن عبد اللَّه بن خَطَلٍ

(١) في الأصل: ودم عليه.

كانت قُرَيْشٌ تسميه ذا القلبين، وروي أنه قال: إنَّ لي قَلْبَيْنِ أَفْهَمُ بِكلِّ وَاحِدٍ منهما أكثر مما يَفْهَمُ محمّدٌ، فأكـذبه اللّٰه ـ عز وجل ـ فقال: ﴿ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾. ثم قَرَنَ بهـذا الكلام مـا يقولـه المشركونَ غيرُهم مما لا حقيقة له فقال عز وجل:

﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِـرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾.

وتُقْرَأ تَظَّاهَرُونَ مِنْهُنَّ، فمن قَرأ تُظَاهِرُونَ بالتخفيف فعلى قولك: ظاهر الرَّجُلُ من امْرَأَتِه، ومن قرأ تَظَّاهَـرُونَ ـ بالتشـديد ـ فعلى تـظاهر الرَّجُلُ من امْرأته، ومعنـاه أنه قـال لها: أَنْتِ عليَّ كَـظَهْرِ أُمِّي، فـأعلم اللّٰه ـ عز وجل ـ أن الزوجة لَا تَكُونُ أُمًّا، وكانتِ الجَاهِلِيَّـة تُطَلِّقُ بهـذا الكلام، فأنزل اللّٰه كفارة الظهار في سور المجادلة.

وقوله عز وجل:﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾.

أي مـا جعل من تـدعونـه ابناً وليس بِـوَلَدٍ في الحقيقـة ـ ابناً[1]. وكانوا يتوارثون على الهجرة ولا يرث الاعرابي من المُهَاجِـر، وَإِنْ كان النَّسَبُ يـوجب لـه الإرث. فـأعلم اللّٰهُ أَنّ أُولي الأرحـام بعضُهُمْ أولى بِبَعْضٍ، وأبطل الإرث بالهجرة.

وقوله:﴿ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾.

أي ادّعاؤكم نَسبَ من لا حقيقة لنسبه قولٌ بِـالْفَمِ لا حقيقةَ معنًى تَحْتَـهُ.

﴿واللَّهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾.

أي اللّٰه لا يجعل الابن غير الابن، وهو يَهْدِي السَّبِيلَ، أي يَهْدِي

(١) من تتبنونه تدعونه ابناً هو في الواقع ليس بابن ـ ولم يجعله اللّٰه ابناً.

السبيلَ المستقيمة مثل قوله:﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[1].

وقوله:﴿ٱدْعُوهُم لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ ٱللَّهِ﴾ : أي هو أَعْدَلُ.

﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ﴾.

أي فإنْ لم تعلموا أنَّ المدعوَّ ابنُ فُلانٍ فهو أخوكَ في الدِّينِ إذا كان مُؤْمِناً، أي فقل يا أخي.

﴿وَمَوَالِيكُمْ﴾: أي بَنُو عَمِّكم، ويجوز أن يكون: وَمَوالِيكُمْ - [أي] أَوْلياؤكُمْ في الدِّين.

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُم جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ولكن ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾.

في هذا وَجْهَانِ، أَحَدُهُما وليس عليكم جناح فيما أَخْطَأْتُمْ بِهُ مِمَّا قد فعلتمُوهُ قَبْلَ أن تُنْهَوْا عن هذا، ولكن ما تعمدَّتْ قَلوبُكم، أي ولكن الاثم فيما تعمدَّت قُلُوبُكُمْ، و «ما» في موضع جَرٍّ. عطف على «مَا» الأولَى[2] المعنى. وليس عليكم جناح في الذي أخطأتم به، ولكن في الذي تعمدت قلوبكم. ويجوز أن يكون: ولا جناح عليكم في أن تقولوا[3] له يا بُنَيَّ على غير أن تَتَعَمَّدَ أن تجريه مجرى الوَلَدِ في الإِرْثِ.

وقوله عزَّ وَجَلَّ:﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُه أُمَّهَاتُهُمْ﴾.

وفي بعض القراءة: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهُوَ أَبٌ

---

(١) سورة البقرة الآية ١٠٨.

(٢) التقدير ولكن فيما تعمدت قلوبكم.

(٣) في الأصل أن تقول له.

لَهُمْ، ولا يجوز أن تقرأ بها لأنها لَيْسَت في المصحف المجمع عليه. والنبي عليه السلام أبو الأمة في الحقيقة، ومعنى وأَزْوَاجُه أُمَّهاتُهُمْ، أي لا تحل زوجة النبي ﷺ لأحَدٍ بَعْدَه إذْ هي بمنزلة الأُمّ.

وقوله: ﴿وَأُولُو الأرْحَامِ بَعْضُهم أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُهَاجِرِينَ﴾.

أي ذو الرَّحِم بِذِي رَحِمِه أولى من المُهَاجِر إذَا لم يَكُنْ مِنْ ذَوِي رَحِمِهِ.

وقوله عز وجل: ﴿إلاَّ أَنْ تَفْعَلُوا إلَى أَوْلِيَائِكم مَعْرُوفاً﴾.

«إلاَّ أَنْ» استثناء ليست من الأول المعنى لكن فِعْلُكُم إلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْروفاً جائِزٌ، وهو أن يوصي الرجلُ لِمَنْ يَتولاَّهُ بما أحب من ثُلُثِهِ، إذَا لم يكن وارثاً، لأنه لاَ وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ.

﴿كانَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ مَسْطُوراً﴾.

أي كان ذلك في الكِتابِ الذي فُرِضَ فيه الفرضُ مسطوراً أيْ مكتوباً.

وقوله: ﴿وَإذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وإبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى بنِ مَرْيَمَ﴾.

موضع «إذْ» نصبٌ المعنى اذكر إذْ أَخَذْنَا، فذكرَهُ اللَّهُ ﷺ في أَخْذِ الميثاقِ قبل نوحٍ. وجاء في التفسير: إنِّي خُلِقْتُ قَبْلَ الانبياء، وَبُعِثْتُ بَعْدَهُمْ. فَعَلى هذا القولِ لا تَقْدِيمَ في هذا الكلام ولا تأْخِيرَ. هو على نَسَقِه، وَأخِذَ الميثاق حيث أخرجوا مِنْ صُلْبِ آدَمَ ـ صلى اللَّه عليه ـ كالذَّرِّ، وَمَذْهَبُ أهل اللغة أن الواو معناها الاجتماع، وليس فيها دَلِيلٌ

أن المذكور أوَّلاً لا يستقيم أَنْ يكُونَ مَعْناه التَّأْخِيرُ. فالمعنى على مذهب أَهْلِ اللُّغة، وَمِنْ نُوحٍ وإبـرَاهيم ومُوسَى وعِيسَى ابن مَريمَ وَمِنْك. ومثله قوله: ﴿وَاسجُدِي وَارْكَعِي مع الراكِعِينَ﴾[1].

وقوله:﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾.

معناه ليسأل المبلغين من الرُّسُلِ عَنْ صِدْقِهِمْ في تبليغهم، وتأويل مَسْأَلَةِ الرُّسُلِ - واللَّه يعلم أنهم صادقون - التَّبكيتُ للذين كفروا بِهِمْ، كما قال اللَّه - عز وجل -﴿وإذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أأنتَ قلت لِلنَّاسِ اتَّخِذُوني وأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، فأجاب فقال: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ، إنْ كُنْتُ قُلْتُه فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾، ثم قال﴿ما قلت لهم إلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾[2]، فتأويله التَّبْكِيتُ لِلْمُكَذِّبِينَ، فعلى هذا ﴿ليسأل الصادقين عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ للكَافِرِين عَذَاباً أَلِيماً﴾، أي للكافرين بالرُّسُلِ.

وقوله:﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فأرسلْنا عَلَيْهِم رِيحاً، وَجُنوداً لم تَرَوْهَا﴾.

هؤلاء الجنودُ هم الأحْزابُ، والجنود الذين كانوا: [هم] قُرَيْشٌ مَعَ أبي سُفْيَانَ وغطفَانُ وبنو قريظة، تحزبوا وتظاهروا على حرب رسول اللَّه ﷺ فأرسل اللَّه عليهم ريحاً كفَأَت قُدُورَهُمْ، أي قَلَبَتْهَا، وقَلَعَتْ فساطيطهم[3] وأظعنتهُمْ من مَكانهم، والجنودُ التي لم يروها المَلاَئِكَةُ.

---

(١) سورة آل عمران الآية ٤٣.

(٢) سورة المائدة الآية ١١٦، ١١٧.

(٣) جمع فسطاط وهو الخيمة من الشعر، والأظعنة الهوادج جمع ظعينة، ويطلق على المرأة في الهودج.

وقوله:﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾.

جاءت قريظة من فَوْقِهِمْ، وجاءت قريش وغَطَفَانُ من ناحية مَكَّةَ، مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ.

وقوله:﴿وَتَظُنُّون بِاللَّهِ الظُّنُونَ﴾.

اختلف القــراءُ فيهـا. فقــرأ بَعْضُهُمْ بِـإِثْبَــاتِ الأَلِفِ فِي الـوَقْفِ والـوَصْلِ وقـرأ بعضهم «الظُّنُـون» بغير أَلِفٍ في الـوصـل، وبـألف في الـوقف. وقرأ أبـو عَمْرٍ، «الظنـون» بغيـر ألف، في الـوصـل والـوقف، والـذي عليه حُـذَّاق النحويين والمتَّبِعُـونَ السُّنَّةَ من حُـذَّاقِهِمْ أَن يقرأوا «الـظُّنُونَـا». ويقفون على الألف ولا يَصِلُونَ[1]، وإِنَّمَـا فَعَلُوا ذَلِـكَ لأن أواخـر الآيات عِنْـدَهُـمْ فَوَاصِـلُ، ويثَبِّتُون في آخـرها في الـوقف ما قـد يحذف مثله في الوَصْلِ. وَهَؤُلاءِ يتبعُون المُصْحَفَ ويكرهون أَنْ يَصِلُوا ويثبتـوا الأَلِفَ، لأن الآخر لم يقفـوا عَلَيْهِ فيجـروه مجرى الفَـوَاصِـلِ. ومثل هذا من كلام العَرَبِ في القَــوَافِـي:

أَقِلِّي اللوم عَاذِل والعِتَابَا[2].

فأتيت الألف لِأَنَّهَا في موضع فاصِلةٍ وهي القافية.

وقوله عز وجل:﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ المؤمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾.

ويجوز زَلْزَالاً. بفتح الزاي، والمصدر من المَضَاعَفِ يجيء على ضـربين فَعْلال وَفِعْــلال نحــو قَلْقَلَهُ قَلْقَـالاً وَقِلْقَالاً وَزَلَـزلْزَلْتَـهُ زَلْزَالاً وَزِلْزَالاً، والكسر أكثر وَأَجْوَدُ لأَنَّ غيـرَ المَضَاعَفِ من هـذا الباب مكسـورٌ

---

(١) كلام مستأنف أي هم يقفون ولا يصلون.

(٢) الشطر الثاني: وقولي ـ إن أصبت ـ لقد أصابا. من قصيدة لجرير مشهورة.

الأول، نحو دَحْرَجْتُه دِحْراجاً لا يجوز فيه غير الكسر، ومعنى: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ المؤْمِنُونَ﴾ أَيْ فِي تلكَ الحال اخْتُبِرَ المؤمِنُونَ، ومعنى ﴿زُلْزِلُوا زِلْزَالاً شديداً﴾، أُزْعِجُوا إزعاجاً شديداً وحُرِّكوا.

وقوله: ﴿وإِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ. [مَاوَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُه إلاَّ غُرُوراً]﴾.

موضع «إِذْ» نَصْبٌ المعنى اذكر إذ يَقُول المنافقون، ومعنى الآية أن المنافقين قالوا: وَعَدَنا محمَّدٌ ﷺ أن فارسَ والرُّومَ تُفْتَحَانِ عَلَيْنَا، وَنَحْن بمكاننا هذا ما يقدر أحدنا أن يبرز لحاجَتِه، فهذا وعْد غُرور.

وقوله عزَّ وَجلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: يا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فارْجِعُوا﴾.

ويقرأ «لاَ مَقَام لَكُمْ» بفتح الميم، فمن ضمَّ الميم فالمعنى لا إقامة لكم[1]، تقول: أقمت في البَلَدِ إقامةً ومُقاماً، ومن قرأ «لا مَقَام لكم» - بفتح الميم، فالمعنى لا مكان لكم تقيمون فيه، وهؤلاء كانوا يُثَبِّطُونَ المؤمنين عن النبي ﷺ.

﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يقولون إنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾.

أي مُعَوَّرَةٌ وذلك أنهم قالوا إن بُيُوتَنَا مِمَّا يَلِي العَدُوَّ، ونحن نُسْرَقُ مِنْهَا، فكذَّبَهُم اللَّه تعالى وأعلم أن قَصْدَهُمُ الهَرَبُ والفرارُ، فقال:

﴿وَمَا هِيَ بِعَورَةٍ﴾.

ويقرأ: وَمَا هِيَ بِعَوِرَةٍ، يُقَال عَوِرَ المَكَانُ يَعْوَرُ عَوَراً، وهو عَوِرٌ

---

(١) مصدر ميمي من أقام.

وبيـوت عَوِرةٌ، وبيـوت عَوْرَةٌ على ضَـربَيْن، على تسْكِين عَـوْرَة، وعلَى مَعْنَى ذات عَوْرَة.

﴿إنْ يرِيدُونَ إلاَّ فِرَاراً﴾.

أي ما يريدون تَحرُّزاً مِنْ سَـرَقٍ، ولكن المنافقين يـريدون الفـرار عن نُصْرَةِ النبي عليه السلام.

﴿وَلو دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا﴾.

أي ولو دُخِلَتْ البيوتُ من نواحيها ﴿ثم سُئِلوا الفتنة لآتَوْهَا﴾، ويقرأ بالقصر ﴿لأتَوْهَا﴾، فمن قرأ لآتوها بالمدِّ فالمعنى لأعطوها، أي لَوْ قِيلَ لَهُمْ كُونوا على المسلمين مُظْهِرِينَ الفتنـةَ لَفَعَلُوا ذَلِكَ، ﴿وَمَا تَلَبَّثوا بِهَـا إلاَّ يَسِيراً﴾، ومن قرأ «لأَتَوْهَا» بالقصر، فالمعنى لَقَصدُوها.

وقوله عز وجل:﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ المُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالقَائِلِينَ لإخْوَانِهِم هَلُمَّ .[إلَيْنَا]﴾.

أي الذين يُعَوِّقون عن النبي ﷺ نُصَّارَهُ، وذلـك أنهم قالـوا لِنُصَّار النبي ﷺ: ما محمـد وأصحـابـه إلاَّ أكلة رَأْسٍ[١]. ولـو كـانـوا لحمـاً لالْتَهَمَهُمْ أَبُو سفيانَ وأَصْحابُه فخلوهم وَتَعَالَوْا إِلَيْنَا.

وقوله:﴿وَلاَ يَأْتُونَ البَأْسَ إلاَّ قليلاً﴾.

أي لا يـأتـون الحـرب مـع أصحـاب النبي ﷺ الا تَعْـذِيـراً[٢] يُوهِمُونَهِمْ أَنَّهم مَعَهُمْ ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾.

«أشِحَّـةً» منصوبٌ عَلَى الحَـال، المعنى يَـأْتُـونَ الحـربَ بُخَـلاءَ عَلَيكُمْ

---

(١) شيء هين كرأس الذبيحة لا يشبع آكلاً.

(٢) أي ليكون لهم عذر في أنهم لم يتخلفوا.

بالظفر والغنيمة فَإذَا جَاءَ الخَوْفُ فهم أَجْبَنُ قَوْمٍ ، فـإذا جاءت الغنيمـةُ فأشحُّ قَوْمٍ وَأَخْصَمُهُم .

﴿فَإذَا جَاءَ الخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرونَ إلَيْكَ تَدُورَ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ﴾ .

لأنهم يحضرون على غَيْر نية خَيْرٍ، إلاَّ نية شَرٍّ.

﴿فإذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ .

معنى «سَلَقُوكم» خاطبوكم أَشَدَّ مُخَاطَبةٍ وَأَبْلَغَهَا في الغنيمة، يقال: خَطِيبٌ مِسْلَاقٌ وسَلَّاقٌ إذَا كانَ بَلِيغاً في خُطْبَتِهِ .

﴿أشحَّةً على الخَيْرِ﴾ .

أي خاطبوكم وهم أَشِحَّةٌ عَلَى المالَ والغنيمة .

وقوله: ﴿أولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فأحبط اللَّه أَعْمَالَهُمْ﴾ .

أي هم وإن أظهروا الإِيمانَ ونافقوا فليسوا بمؤمنين .

وقوله: ﴿يَحْسَبُونَ الأحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ .

أي يحسبون الأحزاب بعدَ انْهِزامهم وذَهَـابِهم لم يذهبـوا لِجُبْنِهِمْ وَخَوفِهِـم منهم .

﴿وَإنْ يَأْتِ الأحْزَابُ يَوَدُّوا لَو أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأعْرابِ﴾ .

أي إذا جاءت الجنودُ والأحزابُ ودُّوا أنهم في البادية .

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى المُؤْمِنُـونَ الأحْزَابَ قَـالُوا هَـذَا مَا وَعَـدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُه﴾ .

فوصف اللَّهُ حَالَ المنـافِقين في حَرْبِ الكـافرين وحـال المؤمنين في حَـرْبِ الكَـافِـرينَ. فـوصف المنـافقين بـالفشـل والجُبْنِ والـرَّوَغَـانِ والمسـارعة إلى الفتنـةِ والزيـادة في الكُفْرِ، ووصف المؤمنين بـالثُّبُوتِ عند الخوف في الايمان(١)، فقال، ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب﴾الآية.

﴿وَمَا زَادَهُمْ إلاَّ إيمَاناً وَتَسْلِيماً﴾.

والوعد أن اللَّه قال لهم: ﴿أَمْ حَسِبْتُم أَنْ تَدْخُلُوا الجنَّـةَ وَلَمَّا يَـأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُم البَأْسَاءُ والضَّـرَّاءُ وَزُلْزِلُـوا حَتَّى يَقُول الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمنوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾(٢).

فكذلك لَمَّا ابْتُلِي أصحاب النبي ﷺ وزُلْزِلُوا زلزالاً شَدِيداً عَلِمُوا أنَّ الجنَّةَ والنَّصْرَ قَدْ وَجَبَا لَهُمْ.

وقوله تعالى:﴿مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾.

المعنى أَنَّهُم عَاهَدُوا في الاسلام فَأَقَامُوا عَلَى عَهْـدِهِمْ، وموضـع «مَا» نَصْبٌ بِصَدَقُوا.

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾.

أي أجله وَلَمْ يُبَدِّلْ. وهو قوله:﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾.

فالمعنى أَنَّهُ مات على دينه غيرَ مُبَدِّلٍ.

﴿لِيَجْـزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ المُنَافِقِينَ﴾.

---

(١) وصفهم بالثبات في إيمانهم عند الخوف.

(٢) سورة البقرة الآية ٢١٤.

أي ليجزي الذين صدقوا فِي عَهْدِهم، والمنافقون كذبوا في عهدهم لأنَّهم أظهروا الاسلام وأَبْطَنُوا الكُفْرَ.

وقوله تعالى:﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾.

أي أو يَنْقُلَهُمْ من النفاقِ إلى الإيمانِ.

وقوله: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيظِهِم لَمْ يَنَالُوا خَيْراً﴾.

يعنى به هَهُنَا أبا سُفْيَانَ وَأَصْحَابه الأَحْزَاب، لم يَنَالُوا خَيْراً.

أي لم يظفروا بالمسلمين وكان ذلك عندهم خيراً فخوطبوا عَلَى استعْمَالِهِم.

وقوله:﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾.

يُعْنَى بِهِ بنو قريظة، ومعنى ظَاهَرُوهُمْ عَاوَنُوهم على النبي ﷺ فقذف اللَّه في قلوبهم الرعب وأَنْزَلَهُمْ على حُكْم سَعْدٍ؛ وكان[1] سعد حكم فِيهِمْ بأنْ يُقْتَلَ مُقَاتِلُهم، وتُسْبَى ذَرَارِيهِمْ.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾.

جعل النبي ﷺ أرْضَهم وديارَهُمْ وَأَمْوَالَهُم للمهاجرِينَ لأنهم لم يكونوا ذوي عَقَارٍ.

ومعنى الصَّيَاصِيّ كل ما يُمْتَنَعُ بِهِ، والصياصي ههنا الحُصُونُ، وقيل القُصُورُ، والقُصُورُ قد يُتَحَصَّنُ فيهَا. والصَّيَاصِيُّ قرونِ البقر والظِّباءِ، وكل قَرْنٍ صَيْصَيةٌ، لأن ذوات القُرُونِ يَتَحَصَّنُ بِقُرونها وتَمْتَنِعُ بِها، وصيصة الديك شوكتهُ لأنه يَتَحَصَّنُ بها أيضاً.

---

(١) نسخة فكان. وسعد هو سعد بن معاذ سيد الأوس.

وقـوله : ﴿يا أيُّهـا النبي قـل لأزواجـك إنْ كُنْتُنَّ تُـرِدْنَ الحَيَـاةَ الـدُّنْيَـا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾.

وَكُنَّ أَرَدْن شَيئـاً من أَمْرِ الـدُّنْيَا، فـأمـر اللَّه رسـولـه ﷺ أَنْ يَخيِّـرَ نسـاءَهُ بين الاقامـة مَعَهُ على طلب مـا عند اللَّه، أو التَّسْـريـح إنْ أَرَدْنَ الحياةَ الدُّنْيَا وزينتها، فآخترن الآخرة على الدنيا والجنَّة على الزينة.

وقوله:﴿وإنْ كنتن تُرِدْنَ اللَّه وَرَسُولَه والدار الآخِرَةَ، فإنَّ اللَّهَ أَعَـدَّ للمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً﴾.

أي من آثر منكن الآخرة فَأَجْرُه أَجرٌ عَظِيمٌ.

وقوله:﴿يَا نِسَاءَ النَّبِّي لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾.

ولم يقل كواحدة من النساء، لأن أَحَداً نفي عام للمذكر والمؤنث والواحِدِ والجماعة.

وقـوله:﴿إن اتَّقَيتُنَّ فَـلاَ تَخْضَعْنَ بِالقَـوْلِ فَيَـطْمَـعَ الَّـذِي فِي قَلْبِـه مَرَضٌ﴾.

أي لا تَقُلْن قولاً يجد به مُنَافِقٌ سَبيلاً إلى أن يطمـع في مُوَافقتكن له.

﴿وَقُلْنَ قَولاً مَعْـرُوفاً﴾.

أي قلن ما يوجبه الدين والاسلام بغير خضوعٍ فيه، بل بتصريحٍ وَبَيَانٍ، «فَيَطْمَعَ» بالنصب وهي القِراءَةُ، وَجَوَابُ فـلا تَخْضَعْنَ «فيطمَـعَ»، ويقـرأ فيـطمِـعْ الـذي في قلبـه مـرض، بتسكين العَيْن، نسق على فـلا تَخْضَعْنَ فيطمعْ.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾.

ويقـرأ «وقِرْنَ» ـ بكسـر القـاف ـ فمن قـرأ بـالفتـح فهـو من قَـرِرْتُ بالمَكَانِ أَقَرُّ. فـالمعْنى، واقرَرْن فإذا خُفِّفَتْ صـارت وَقَرْنَ حـذفت الألف لثقل التضعيف في الراء، وألقيت حركتها على القـاف. والأجْوَدُ وَقِـرْنَ فِي بُيُـوتِكُنَّ ـ بكسـر القـاف ـ وهـو من الـوَقَـارِ، تقـول: وَقَـرَ يَقـرُ في المكان. ويصلح أن يكون من قَرَرْتُ في المكانِ أَقِرُّه فيحذف على أنـه من «واقْـرِرْنَ» بكسـر الـرَّاءِ الأولى، والكســر من جهتين، من أنـه من الوقار، ومن أنه من القرار جميعاً.

وقوله تعالى:﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾.

التبـرُّجُ إظْهَارَ الـزِّينَةِ، ومـا تُسْتَـدْعَى بـه شهـوةُ الـرَّجُـلِ، وقيـل إنَّهُنَّ(١) كنَّ يتكسَّرْن في مِشْيَتِهِنَّ، وَيَتَبخترْنَ، وقيل إن الجاهلية الأولى من كان من لدن آدم إلى زمن نوح، وقيل من زمن نوح إلى زمن إدريس، وقيل منذ زمن عيسى إلى زمن النبي ﷺ. والأشبه أن تكون منذ زمن عيسى إلى زمن النبي ﷺ لأنهم هم الجاهليةُ المعروفُونَ لأنه روى أنهم كانـوا يتخذون البغَايَا ـ وهن الفواجر يُغْلِلْنَ لَهُمْ(٢).

فإن قيل: لم قيل الأولى، قيل يقـال لكل متقـدِّمٍ ومتقدِّمَـةٍ أولى وأول، فتأويله أنهم تقدَّمُوا أُمَّةَ محمـد ﷺ. فهم أولى وهم أول من أمة محمد ﷺ.

وقوله عز وجل:﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾.

---

(١) أي نساء الجاهلية.

(٢) ينتجن لهم غَلَّةً ومالاً، لأنهم كانوا يتخذونهن وسيلة للكسب وربمـا أكرهـوهن على هذا ـ كمـا أشارت الآية: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾.

وتقرأ مُبَيَّنةٍ.

﴿يُضَاعَفْ لَهَا العذابُ ضِعْفَين﴾.

القراءة يُضَاعَفْ بـألِفٍ، وقَرَأَ أَبُـو عَمْرٍو وَحْـدَهُ يُضَعَّفْ، وكلاهمـا جَيِّدٌ. وقال أبُو عُبَيْدَة: يعذب ثلاثة أَعْذِبَةٍ، قال: كـان عليها أن يعَـذَّب مَرةً وَاحِدَةً، فإذا ضُوعِفَتْ المرَّة ضِعْفَينِ، صار العـذاب ثلاثـة أَعْذِبَـةٍ. وهـذا القول ليس بشيء لأنَّ معنى يضـاعف لهـا العـذاب ضعفين يجعل عذاب جرمها كعذابَيْ جُرْمَيْنِ. والدليل عليه «نُؤتها أجرهـا مَرَّتَيْنْ»، فـلا يكون أن تعطى على الطاعة أَجْرَين وعلى المَعْصِيَةِ ثلاثة أَعْـذِبَةٍ ومعنى ضعف الشيء مِثلُه، لأن ضِعف الشيء الـذي يُضْعِفُـه بمنـزلـة مثقــال الشيء.

ومعنى يقنت يقيم على الطاعة.

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً﴾: جاء في التفسير أَنَّهُ الجنَّةُ.

وقوله:﴿إنَّما يُرِيدُ اللَّه لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهلَ البيْتِ﴾.

«أهـلَ» البيتِ، منصوب على المـدح، ولـو قـرئت أهـلِ البيْـتِ ـ بالخفض ـ أو قـرئت أهـلُ البيت بـالـرفـع لجـاز ذلـك ولكنَّ القــراءَةَ النصبُ. وهــو على وجْهَيْنِ. على مَعْنَـى أعنـي أهــلَ البَـيْتِ، وعـلى النـداء، على معنى يـا أهـل البَيْتِ، والـرِّجْسُ في اللُّغَـةِ كـل مستنكـر مُسْتَقْذرٍ من مأكول أو عَمَلٍ أَوْ فَاحِشَةٍ.

وقيـل ان أهل البيت ههنـا يعنى به[1] نسـاء النبي ﷺ وقيل نسـاء النبي والـرجال الـذين هم آله. واللغـة تدل على أنـه للنساء والـرجـال

---

(١) يعني بهذا التعبير أو بهذا القول.

جميعاً لقوله «عَنْكم» بالميم، ولِيُطَهّرَكُمْ. ولو كان للنساء لم يجز إلا عَنكُنَّ وَيُطَهِّرُكُنَّ. والدليلُ على هذا قوله: ﴿واذكُرْنَ مَا يُتْلَى في بُيُوتِكُنَّ﴾ حين أفرد النساء بالخطاب.

وقوله عز وجل: ﴿إنَّ المُسْلِمِينَ والمُسْلِمَاتِ﴾ إلى قوله ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وأَجْراً عَظِيماً﴾.

لما نزل في نساء النبي ﷺ ما نزل، قال النساء من المُسْلِمَاتِ: فما نزل فينا نحن شيءٌ، فأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أن النساء والرِّجَالَ يجازَوْنَ بِأَعْمَالِهِم المغفرة والأجرَ العظيمَ.

وقوله عز وجل: ﴿والحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ والحَافِظَاتِ والذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً والذَّاكِرَاتِ﴾.

المعنى والحافظين فروجهم والحافظاتها والذاكرين اللَّه كَثِيراً، والذَّاكِراتِهِ. استغنى عن ذكر الهاء بِمَا تَقَدَّمَ ودل على المحذوف، وَمِثْله ونخلعُ ونتركُ من يَفْجُرك، المعنى ونخلع من يفجُرُكَ ونترُكُهُ، ومثله من الشعر.

وكُمتاً مُدَمَّاة كأن متونها ... جَرَى فوقَها واستشعرت لونُ مُذْهَبِ[1]

على رفع لوْنِ. المعنى جرى فوقها لون مذهب واستشعرته.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

بالياء، ﴿وَتَعْمَلْ﴾ بالتاء.

(١) البيت لطفيل الغنوي ـ اللسان ـ (كمت) وكُمتا جمع أكمت، مدمَّاة أي مشربة بلون الدم، وهو في كتاب سيبويه ١/٧٧، واللسان (دمي ـ كمت).

الأول محمـول على اللفظ، وتعمـل على المعنى. ومن قـرأهمـا جميعـاً بالتـاء حمل على المعنى. أراد والتي تقنت منكن للّه ورسـولـه وتعمـل. ومن قرأ الأول بـالتـاء قبُـحَ أن يَقْـرأ وَيَعْمَـلْ، لأنـه قـد حمـل على المعنى، وأوضح الموصول بأنه مؤنث، فيقبح الحمل على اللفظ.

وقوله عزوجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُـه أَمْراً أن يكونَ لهم الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.

الخِيَرَةُ التَّخْيِيرُ. ونـزلت هذه الآيـة بسبب زينبَ بنتِ جحْشٍ[١]، وكانت بنت عمَّةِ رَسُول اللّه، ﷺ وزَيْدِ بن حَـارِثَةَ[٢]، وكـان زيد مـولى رسول اللّه ﷺ وكانت منزلته منه في محبَّتهِ إيـاه كمنزلـة الولـد، فخطب رسول اللّه ﷺ زَيْنَبَ ليزوجهـا من زَيْدٍ، فـظنت أنه خـطبها لنفسـه عليه السلام، فلما علمت أنه يريدها لـزيدٍ كـرهت ذلك. وأعلم اللّه ـ جـل وَعَلاَ ـ أنه لا اختيار على ما قضاه اللّه ورسوله، وزوَّجَها مِنْ زَيْدٍ.

وقـولـه عـز وجل: ﴿وَإذْ تَقُـولُ لِلَّذِي أَنْعَم اللَّهُ عَلَيْـه وَأَنْعَمْتَ عَلَيْـهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ واتَّقِ اللَّهَ﴾.

---

(١) هي أم المؤمنين ـ زينب بنت جحش أخت عبـد اللّه ـ قيل أسمهـا حمنة وان كـل بنات جحش كن يسمين زينب، وأمهـا أميمة بنت عبـد المطلب عمـة رسول اللّه ﷺ كـانت زوجاً لـزيـد بن حارثة وتزوجها بعده رسول اللّه ﷺ وفيها نزلت آيات من سورة الأحزاب. ﴿وإذ تقول للذي أنعمت عليـه وأنعم اللّه عليه أمسـك عليك زوجك. . .﴾ الخ ـ وكـانت سيدة كـريمـة ذات جـود وحب للصدقة ـ كانت تدبُغُ الجلود وتتصدق بما تنال من عملها ـ وجاء فيها الحديث «أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يدا» ـ وماتت في خلافة عمر.

انظر الاصابة في (٤٧٠، ٤٧١) والاستيعاب ٣١٣، ٣١٤.

(٢) زيد بن حارثة بن شراحبيل الكعبي ـ اختطفته بنوقين في الجاهلية فباعوه بسـوق عكاظ. اشتـراه حكيم بن حزام لعمتـه خديجة، فلما تزوجها رسول اللّه ﷺ وهبته له، ثم طلبه أهله فآثـر البقاء مع النبي ﷺ فتبناه وظل يدعى زيد بن محمد حتى نزلت آية تحريم التبني ـ وزوجه رسول اللّه زينب وقصتهما معروفة.

معنى أنعم اللَّه عليه هداه للاسلام، وأنعمت عليه أعتقته من الرق، وكان زيدٌ شَكا الى النبي عليه السلام أَمْرَ زَيْنَبَ، فأمره بالتمسك بها، وكان عليه السلام يحب التزوُّج بها[1] إلا أنه عليه السلام آثر ما يحب من الأمر بالمعروف فقال: ﴿أَمْسِكْ عَلَيكَ زَوْجَكَ واتَّق اللَّه﴾.

﴿وَتُخْفِي في نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾.

أي تكره مقالة النَّاس.

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَها﴾.

أي فلما طلقها زيدٌ. والوَطَرُ في اللغة والأَرَبُ بمعنًى واحد، قال الخليل: معنى الوطر كلُّ حاجَةٍ يكون لك فيها هِمَّةٌ، فإذا بلغها البالغ قيل قد قضى وطره وَأَرَبَه، أي بَلَغ مُرادَه مِنها.

وقوله - عزوجل: ﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ في أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً﴾.

أي زوجناك زينب وهي امرأةُ زيد الذي قد تبنّيت به، لئلا يُظَنَّ أَنَّهُ من تبنَّى بِرَجُلٍ لم تحِل امرأتُه للمُتَبَنِّي.

وقوله تعالى:﴿مَاكَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾.

أي لم يكن [زيدٌ] ابنَ[2] محمد، لم يلده، وقد وُلِدَ لِرَسُولِ اللَّه

---

(١) في الأصل التزويج وهو غير مناسب.

(٢) في الأصل أي لم يكن أبَا مُحمَّدٍ

ﷺ ذكورٌ إبراهيم والطيِّبُ والقاسم والمطهَّر[١]، وإنما تأويله: ما كان يحرم عليه مِمَّنْ تبنى به ما يحرم على الوالد، والنبي ﷺ أبو المؤمنين في التبجيل والتعظيم. وقرئت: وخاتِمَ النبيينَ وخاتَم النبيين[٢]، فمَنْ كَسَرَ التاء فمعناه ختم النبيين، ومن قرأ وخاتَم النبيّينَ - بفتح التاء - فمعناه آخر النبيين، لاَ نَبِيَّ بعده ﷺ. ويجوز: ولكن رسول اللَّهِ وخاتمُ النبيينَ. فمن نصب فالمعنى ولكن كان رَسُولَ اللَّهِ وكان خاتَمَ النبيينَ، ومن رفع فالمعنى ولكن هُوَ خَاتَمُ النبيين.

وقوله عز وجل:﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيما فَرَضَ اللَّهُ لَه، سُنَّةَ اللَّهِ [في الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ]﴾.

«سنة» منصوب على المصدر، لأن معناه «ما كان على النبي من حرج فيما فرض اللَّه سَنَّ اللَّه سُنَّةً حسنة وَاسِعَةً لاَ حَرج فيها». أي لا ضِيقَ فيها والسُّنَّة الطريقة، والسَّنَنُ مِنْ ذَا كُلِّه.

وقوله عزوجل:﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾.

معناه في النبيّينَ الذين قبل محمد ﷺ وعليهم. أي سنَّةُ اللَّه في التَّوْسعة على محمد ﷺ فيما فرض اللَّه له كسُنَّتِهِ في الانبياء المَاضِين.

وقوله تعالى:﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللَّهِ﴾.

«الذين» في موضع خَفْضٍ نعت لقوله في الذين خَلَوا من قبل، ويجوز أن يكون رَفْعاً على المدح عَلَى هَمْ الذين يُبَلِّغُونَ رسالات اللَّه، ويجوز أن يكون نصباً على معنى أعني الذين يُبَلِّغون.

---

(١) لم يكن له ﷺ غير ثلاث بنين، وكان عبد اللَّه يلقب بالطيب والطاهر.

(٢) قرأ عاصم وحده بفتح التاء.

وقوله : عز وجل:﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ﴾.

صلاة اللّه على خلقه رَحْمَتُه وهدايته إياهم.

وقوله:﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ﴾.

تحية أهل الجنَّةِ سلام، قال اللّه عز وجل: ﴿تَحِيَّتُهُم فِيهَا سَلاَمٌ﴾.

وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّها النبي إنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾.

[أي] شاهداً على أُمَّتِكَ بالإِبْلَاغِ ، إبلاغ الرسالة، ومبشراً بالجنة ومُنذِراً من النَّارِ، وهذا كله منصوب على الحال، أي أَرْسَلْنَاكَ في حال الشهادة والبِشَارَةِ والانذار.

﴿وَدَاعِياً إلى اللّه بِإِذْنِهِ﴾.

أي داعياً إلى توحيد اللّه وما يُقَرِّبُ منه، وبإِذْنِهِ أي بِأَمْرِه.

﴿وَسِرَاجـاً مُنِيراً﴾.

أي وكتاباً بَيِّناً، المعنى أرسلناك شاهداً وذَا سراج مُنِيرٍ وذا كتـاب بَيِّنٍ، وَإنْ شئت كان «وَسِرَاجاً» منصوباً على معنى دَاعِياً إلى اللّهِ وتـالِياً كتاباً بيّناً.

وقوله عز وجل: ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾.

معنـاه دع أذى المنـافقين، وتـأويـل دع أذاهم دَعْهُم لا تجـازِهِمْ عَلَيْه إلى أن تُؤْمَرَ فيهم بِأَمْرٍ.

وقـولـه عـز وجـل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّـذِينَ آمَنُـوا إذَا نَكَحْتُمُ المُؤْمِنَـاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمسُّوهُنَّ﴾.

معنى ﴿تمسوهنّ﴾ تقرَبُوهُنَّ[1].

﴿فَما لكم عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾.

قال بعضهم «متعوهن» نسخها قوله عز وجل:﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أن تمسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَافَرَضْتُمْ﴾[2]، والنصف ينوب عن التمتيع، إلاّ أن يكون لم يسم لها مَهْراً، فلها نصف مَهْرِ مِثْلِهَا. وأسقط اللّه العدَّة عن الّتِي لم يَدْخُلْ بِها، لأن العدَّةَ في الأصل استبراء.

وقوله: ﴿يَاأَيُّها النَّبِيّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّلاتي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾.

«أجورهن»: مهورهن.

﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُك مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾.

وأصل الاملاك في الإماء والعبيد ما يجوز سَبْيُهُ وفيئه، فأما سَبْيُ الخبيثة فلا يجوز وَطْئُه ولا مِلْكُه، يقال هذا سَبْيُ طِيِّبَةٍ، وسَبْيُ خِبْثَةٍ، فسبي الطيِّبَةِ سَبْيُ من يجوز حَرْبُه من أهل الكفر، فأما من كان له عهد فلا يجوز سبيه ولا مُلْكُ عَبْدٍ منه ولا أمَةٍ.

وقوله عز وجل: ﴿وامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا للنبي إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنكِحَها خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنينَ﴾.

وتقرأ إِنْ وَهَبَتْ بالفتح. أي: أَنْ وَهَبَتْ نفسها للنبي حَلَّتْ لَهُ ومن

---

(١) أي من قبل أن تدخلوا بهن.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣٧.

قرأ «أنْ وَهَبَتْ» بالفتح فالمعنى أَحَلَلْنَاها لأنْ وَهَبَتْ نفسها. «وخالِصَةً» منصوب على الحال. المعنى إنا أَحْلَلنَا لك هؤلاء. وأحللنا لك من وَهَبَتْ نفسها لك. وإنما قيل للنبي ههنا لأنه لو قيل أن وهبت نفسها لك كان يجوز أن يتوهم أنَّ في الكلام دليلاً أنه يجوز ذلك لغير النبي عليه السلام، كما جاز في قوله: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ﴾، لأن بَنَاتِ العَمّ وبنات الخال يحللن للناس.

وقوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِم في أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾.

أي ان التزويج لا يَنْعَقِدُ إلاَّ بِوَلِيّ وَشَاهِدين، وملك اليمين لاَ يَكُونَ إلاَّ مِمَّنْ يَجُوزُ سَبْيُه.

وَقَوله: ﴿تُرْجي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾.

ترجي بالهمز وغير الهمز، والهمز أكثر وأَجْوَدُ، ومعنى تُرْجِي تُؤَخِرَ بالهَمْزِ وَغيرِ الهمز، المعنى واحدٌ، وهذا مما خص اللّه به النبي عليه السلام فكان له أن يؤخر من أحب من نِسائه ويؤوي إليه من أحب من نسائه وليس ذلك لغيره مِنْ أُمَّتِهِ، وله أَنْ يَرُدَّ من أَخَّر إلى فراشه عليه السلام.

﴿وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾.

أي ان أردت ممن عزلت أن تُؤْوِيَ إليكَ فلا جناح عليك.

﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلاَ يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾.

أي ويرضيْنَ كلُّهُنَّ بما أَعْطَيْتَهُنَّ من تقريب وإرجاء ويجوز النصب في كلّهنَّ توكيداً للهاء والنُّونِ.

وقوله عز وجل:﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَـاءُ مِنْ بَعْدُ﴾.

وتقرأ: لا تحل لك النساء ـ بالتاء، فمن قرأ بالياء فلأن اليـاء في معنى جمـع النسـاء، والنسـاء يـدل على التـأنيث فيستغنى عن تـأنيث يحل. ويجوز لا تحل ـ بالتاء ـ على معنى لا تحل لك جماعة النساء.

وقـوله:﴿وَلَا أَنْ تَبَـدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَـكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَـا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾.

موضع«ما»رفع المعنى لا يحل لك إلاَّ مَا ملكتْ يَمينُكَ. جعـل ما بدلاً مِنَ النِّساءِ ويجوز أن يكون موضعُ ما نَصْباً على معنى لا يحـل لك النساء أَسْتَثْنِي ما ملكت يمينك.

وقوله عز وجل:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾.

بضم البَاءِ وقد رُويت عَنْ عَاصِم «بِيُوت» بكسر الباء وعن جَمَـاعَةَ من أهل الكوفة. وليس يروي البصريون بِيُوت بكسر الباء، بل يقـولون إن الضم بعـد الكسر ليس مـوجوداً في كـلام العرب ولا في أشعـارِها، والذين كسروا فكأنَّهم ذهبوا إلى اتبـاع الياء، والاختيـار عند الكـوفيين الضَّمُّ في بُيُوتٍ.

وقوله:﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُم إلى طَعامٍ﴾.

في موضع نصب. المعنى إلاَّ بأن يُؤذنَ لَكم، أو لأَنْ يُؤْذَنَ لكم.

وقوله:﴿ إلى طَعَامٍ غَيرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾.

انـاه نَضْجُه وبلوغُـه، يقال أَنَى يـأْنِي إِنَاءً إذا نَضِـج وَبَلَغَ، و«غيرَ» منصوبةٌ على الحال، المعنى إلا أن يؤذن لكم غير منتظرين، ولا يجوز الخفض في «غيـر» لأنها إذا كـانت نعتـاً للطعـام لم يكن بُدٌّ من إظهـار

الفاعل لا يجوز إلا غير ناظرين إناه أنتم(١).

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكم كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾.

ويجوز فيستحي منكم بياء واحدة، وكذلك قوله: ﴿ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ﴾ ويستحي بالتخفيف على استحيَيْتُ واسْتَحَيْتُ، والحذف لثقل الياءين.

وكان النبي ﷺ يحتمل إطَالَتُهُمْ كرماً منه فيصبر على الأذى في ذلك، فعلم اللَّه من يحضره الأدَبَ فصار أَدَباً لهم ولمن بعدهم.

وقوله: ﴿وإذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾.

أي إذا أردتم أن تخاطبوا أزواج النبي ﷺ في أمر فخاطِبُوهُنَّ من وراء حِجَابٍ، فنزل الأمر بالاستِتَارِ.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾.

أي ما كان لكم أذاه في شيء من الأشياء.

﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَه مَنْ بَعْدِهِ أَبَداً﴾.

مَوْضع «أَنْ» رَفعٌ، المعنى: وَمَا كان لكم أن تنكحوا أزواجه من بعده، وذَلِكَ أنه ذُكِرَ أن رَجُلاً قال: إذَا تُوفِّيَ مُحمدٌ تَزَوَّجْتُ امْرَأَتَهُ فلانةً(٢)، فأعلم اللَّه أن ذَلِكَ محرم بقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً﴾.

أي كانَ ذنباً عَظِيماً.

وقوله: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ﴾ إلى قوله ﴿ ولا ما مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾.

---

(١) ناظرين يحتاج لفاعل إذا كانت نعتاً، أما إذا كانت استثناء فهي تابعة لفاعل الجملة السابقة.

(٢) كان الرجل يسمى طلحة بن عبيد الله، تيمي من آل أبي بكر، وهو غير طلحة الفياض أحد العشرة المبشرين وأحد أهل الشورى، والزوجة هي السيدة عائشة ـ رضي الله عنها.

ولم يرد في هذه القِصَّةِ أَعْمَامَهُنَّ وَلاَ أَخْوَالَهُنَّ. فجاء في التفسير أنه لم يذكر العَمَّ والخَالَ، لأنَّ كُلَّ واحد منهما يحل لابنة المرأة، فتحِلُّ لابن عمها وابن خالها. فقيل كُرِهَ ذلك لأنهما يصفانها لأبنائِهِمَا. وهذه الآية نزلت في الحجاب فيمن يحل للمرأةِ البُرُوزُ لَهُ، فذكر الأب والابْنُ إلى آخر الآية.

المعنى لا جناح عليهن في رؤية آبَائِهِن لَهُنَّ، ولم يذكر العمَّ والخالَ لأنهما يجريان مجرى الوالدين في الرؤيَة. وقد جاء في القرآن تسمية العم أباً في قوله: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلٰهَكَ وَإِلٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلٰهاً وَاحِداً﴾، فَجَعَلَ العمَّ أباً.

وقوله عز وجل:﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ والمُرْجِفُونَ فِي المَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾.

المعنى لَنسلطنك عليهم.

﴿ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إلاَّ قَلِيلاً ملْعُونِينَ﴾ منصوب على الحال، المعنى لا يجاورونك إلاَّ وهم ملعونون(١).

وقوله:﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا﴾.

لا يجوز أن يكون «ملعونين» منصوباً بما بعد أينما، لا يجوز أن تقولَ: مَلْعُوناً أَيْنَمَا ثقف أُخِذَ زَيْدٌ يُضْرَبُ، لأن ما بعدما حروف الشرط لا يعمل فيما قبلها.

وقوله: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾.

﴿سنةَ اللَّهِ﴾ مَنْصُوبٌ بمعنى قوله أخذوا وَقُتِّلُوا، فالمعنى سَنَّ اللَّه

---

(١) في الأصل: الا وهم معلونين.

في الذين ينافقون الانبياء ويرجفون بِهِمْ أن يُقتّلُوا حَيْثُما ثُقِفُوا[1].

وقوله:﴿إنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ﴾.

الاختيار «السبيلا» بألف، وأن يوقف عليها، لأن أواخر الآي وفواصلها يجري فيها ما يجري في أَوَاخِر الأبياتِ من الشِّعْر، والفَوَاصِل، لأنه خوطب العربُ بما يعقلون في الكلام المؤلَّفِ فَيُدَلّ بالوقف في هذه الأشياء وزيادة الحروف فيها، ـ نحو: الظنونا، والسبيلا، والرسولا ـ أن الكلام قد تم وانقطع، وان ما بعده مستأنف.

وقوله: ﴿وَالْعَنْهُم لَعْناً كَبِيراً﴾.

ويقرأ كثيراً ومعناهما قريب.

وقوله: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾.

أي لا تؤذوا النبي ـ عليه السلام ـ كما آذى أَصحاب موسى مُوسَى، عليه السلام، فينزلَ بكم ما نزل بهم.

وكان أذاهم لموسى فيما جاء في التفسير أَنهم عابُوه بشيء في بدنه فاغتسَل يوماً ووضع ثوبه على حجر فذهب الحجر بثوبه فأتبعه موسى فرآه بنو إسرائيل ولم يروا ذلك العيب الذي آذوه بذكره.

﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّه وَجِيهاً﴾.

كلَّمَهُ اللَّه تكليماً وبرأه من العيب الذي رموه به بآية معجزة.

وقوله عز وجل:﴿إنَّا عَرَضْنَا الأمَانَةَ عَلَى السَّمَوات وَالأرْضِ والجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وأشفقن منها وَحَمَلَها الإنْسَانُ إنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾.

---

(١) يقال ثقفته ثقفاً أي صادفته ووجدته.

رُوي عن ابن عَبّاسٍ وسَعِيدِ بن جبير أنهما قالا: الأمانة ههنا الفرائض التي افترضها اللّٰه على عبادة، وقال ابن عُمَر: عرضت على آدمَ الطاعةُ والمعصيةُ وعرف ثوابَ الطاعة. وعقابَ المعصية. وحقيقة هذه الآية ـ واللّٰه أعلم، وهو موافق للتفسير ـ أن اللّٰه عز وجل ائتمن بني آدم على ما افترضه عليهم من طاعته، وائتمن السّمواتِ والأرضَ والجبالَ على طاعته والخضوع له، فأعلمنا اللّٰه أنه قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ أئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعينَ﴾[١]، وأعلمنا أن من الحجارة ما يَهْبِطُ من خشية اللّٰه وأن الشمس والقمرَ والنجومَ والملائكةَ وكثيراً من الناس يسجدون للّٰه، فأعلمنا اللّٰه أن السموات والأرض والجبال لم تحتمل الأمانة، أي أدَّتْها، وكل من خان الأمانة فقد احتملها، وكذلك كل من أثِمَ فقد احتمل الاثم، قال اللّٰه عز جل: ﴿وليحملُنَّ اثقالهم وأثقالاً مَعَ أثقَالِهم﴾[٢]. فأعلم اللّٰه أن من باء بالاثم يسمَّى حاملا للاثمِ، فالسموات والأرض والجبال أَبَيْنَ أن يحملن الأمانة وأدّينَها. وَأَدَاؤها طاعة اللّٰه فيمَا أَمَر به، والعَمَلُ به وترك المَعْصِيَةِ.

﴿وحَمَلَها الانْسانُ﴾، قال الحَسَنُ: الكافر والمنافق حَمَلا الأمانة ولم يطيعا. فهذا المعنى واللّٰه أعلم. ومن أطاع من الأنبياء والصديقين والمؤمنين فلا يقال كان ظلوماً جَهُولاً، وتصديق ذلك ما يتلو هذه الآية من قوله: ﴿لِيُعَذِّبَ اللّٰهُ المُنَافِقِينَ والمُنَافِقَات والمُشْرِكِينَ والمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللّٰهُ عَلَى آلْمُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ وَكَان اللّٰهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾.

---

(١) سورة فصلت الآية ١١.

(٢) سورة العنكبوت الآية ١٣.

سُورَةُ سَبأ

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الحَمْدُ فِي الآخِرَةِ﴾.

واللّٰهُ المحمُود فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وحمدُه فِي الآخرة يدل عليه قول أهل الجنة: ﴿الحَمْدُ لِلّٰه الَّذِي صَدَقَنا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾(١) أي أورثنا أرض الجنَّةِ .

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾.

أي ما يدخل في الأرض وما يخرج منها. ما يدخل في الأرض من قَطْرٍ وغيره، وما يخرج منها من زرع وغيره.

﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾.

ما يَصْعَدُ فِيها، يقال عرج يَعْرُجُ إذا صَعَدَ، والمعارج ـ الدَّرَجُ ـ من هذا، ويقال: عَرِج يَعْرَجُ، إذا صار ذَا عَرَجٍ ، وَعَرَجَ يَعْرُجُ إذَا غَمَزَ من شيء أصابه(٢).

---

(١) سورة الزمر الآية ٧٤.

(٢) عرج بالفتح ارتقى وَأَصَابَهُ شيء في رجله ليس بخلقة، فإذا كان خلقة فالفعل عرج مثل فرح.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾.

الساعة التي يبعث فيها الخَلْقُ، المعنى أنهم قالوا: لَا نُبْعَثُ، فقال اللَّه تعالى:

﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الغَيْبِ [لَا يَعْزُبُ عَنْه مِثْقَالُ ذَرَّةٍ]﴾.

بالخَفْضِ [في عالم] صفة للَّه عز وجل، ويقرأ بالرفع من وجهين، أحدهما الابتداء، ويكون المعنى: عَالِمُ الغَيْبِ «لَا يَعْزُبُ عَنْهُ». ويكون «لَا يَعْزُبُ عَنْهُ» هو خَبَر عالم الغَيْبِ، ويرفع على جهة المدح للَّه عز وجل.

المعنى هو عالم الغيب ويجوز النَّصبُ ولم يُقْرأْ به على معنى اذْكُرْ عالمَ الغيب، ويقرأ علَّامُ الغيوبُ وعلَّامَ الغيبِ جَائزٌ.

ويقرأ لا يعزِب عنه بِكَسْرِ الزاي، يقال: عَزَب عَنِّي يَعْزُبُ ويعْزِبُ إذَا غَابَ.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

اللام دخَلت جواباً لقوله: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ للمجازاة أي من أجل المجازاة بالثواب والعقاب.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

بيّن اللَّه أَنَّ جزاءَهم المغفرةُ وهي التغطيةُ على الذُّنوب.

وقوله: ـ جل وعلا ـ: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَجِّزِينَ﴾.

ويقرأ ﴿مُعاجِزين﴾ وَمُعاجزينَ في مَعْنَى مُسَابقين، ومن قرأ مُعَجِّزِينَ فمعناه أنهم يُعَجِّزُونَ من آمن بها، ويَكُونُ في معنى مُثَبِّطِينَ وهو معنى تعجيزهم من آمن بها.

وقوله : ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيم﴾.

بالخفض نعت للرِّجْزِ، «أليم» نعت للعذاب.

وقوله تعالى : ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمِ [الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الحَقَّ]﴾.

ههنا علماء اليهود الذين آمَنُوا بالنبي عليه السلام، منهم كعبُ الأحبار وعبدُ اللّه بنُ سلام، أي وَلِيَرى، وموضع «يرى» عطف على قوله : «ليجزي» و«الحق» منصوب. خبر ليرى[1] الذي[2] و «هُوَ» ههنا فصل يدل على أن الذي بعدها ليس بنعتٍ، ويسميه الكوفيون العماد، ولا تدخل «هو» عماداً إلاّ في المعرفة وما أشبهها، وقد بينا ذلك فيما مَضَى. والرفع جائز في قوله «هو الحقّ».

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ . . .﴾ الآية[3].

هذا قول المشركين الذين لا يؤمنون بالبعث، يقول بعضهم لبعض : هل ندلكم على محمد الذي يزعم أنكم مبعوثون بعد أنْ تكونوا عظاماً وتراباً ورفاتاً. وفي هذه الآية نظر في العربية لطيف، ونحن نشرحه إن شاء اللّه.

«إذا» في موضع نَصْب بِمزَّقْتُمْ، ولا يكون أَنْ يَعْمل فيها ﴿جَدِيدٍ﴾[4] لأن ما بعد «أنَّ» لا يعمل فيما قبلها. والتأويل هل ندلكم على رجل يقول لكم انكم إذا مزقتم تبعثونَ، ويكون «إذا» بمنزلة «إن» الجزاء، يعمل فيها الذي يليها، قال قيس بن الخطيم :

---

(١) مفعول ليرى، وفي الأصل حبر ليعلم.

(٢) اصل الجملة قبل دخول الناسخ «الذي انزل اليك من ربك هو الحق».

(٣) تمام الآية :﴿ ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد﴾.

(٤) من ﴿إنكم لفي خلق جديد﴾.

إذَا قصُرتْ أسْيافُنـا كان وَصْلُهـا خـطانا إلى اعـدائنـا فنضـاربُ[1]

المعنى يكون وصلها، الدليل على ذلك جزم «فَنُضَارِبْ».

ويجـوز أن يكون العـامل في «إذا» مضمـراً، يـدل عليه ﴿إنكم لفي خلقٍ جديد﴾ ويكون المعنى هل ندلكم على رجل يُنَبئُكُمْ يقول لكم إذا مزقتم بعثتم، إنكم لفي خلق جديد، كما قـالوا: ﴿أئِـذَا مِتْنَا وَكُنَّـا تُرابـاً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[2]. فإذا يجوز أنْ تكون منصوبة بفعل يدل عليه «إنَّا لَمَبْعُوثُونَ» ولا يجوز «إنَّكُمْ لَفِي خلق جديد» بـالفتح، لأن الـلام إذا جاءت لم يجز إلاَّ كسر إن.

وقـوله عـز وجل: ﴿أَفَلَمْ يَـرَوْا إلَى مَـا بَيْنَ أَيْـدِيهِمْ وَمَـا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ والأرْضِ﴾.

أي ألم يَتَأمَّلُوا ويعْلَمُوا أن الذي خلق السماء والأرض قـادر على ان يبعثهم، وقَـادِرٌ أن يخسف بِهِمُ الأرْضَ أو يـسقط الـسمـاء عـليهـم كِسَفاً.

وقوله عز وجل: ﴿إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾.

أي إن في ذلك عَلاَمةً تَدُلُّ مَنْ أَنَابَ إلى اللَّه ورجع إليه وتأمَّل ما خلق على أنه قادر على أن يحيـي الموتى.

وقـوله تعـالى: ﴿وَلَقَـدْ آتَيْنَـا دَاوُدَ مِنَّـا فَضْـلاً يَا جِبَـالُ أَوِّبِي مَعَـهُ [وَالطَّيْرَ]﴾.

---

(١) البيت في ابـــن يعيش ٤/٩٧، ٧/٧٤، وأمالي ابن الشجري ١/٣٣٣، وكتاب سيبويه ٣/٦١ (ت هرون) ـ يصف قومه ونفسه بالأقدام والهجوم على الأعداء، فهم لا يضربون من بعيد.

(٢) هي عطف في كلا الاعرابين. إما عطف مفرد وإما عطف جملة.

المعنى فقُلْنـا يَا جِبَـالُ أَوِّبي مَعَـهُ، وَتُقْـرأ أُوَبِي معـه، على معنى عودي في التسبيح معه كلَّما عاد فيه، ومن قرأ أَوِّبِي مَعَه فمعنـاه رَجِّعِي مَعَهُ، يقال آب يؤوب إذَا رَجَـع، ومعنى رَجِّعِي مَعَه سَبِّحي معـه ورَجِّعي التسبيح معه.

وَالطَّيْرَ ـ والـطَّيْرُ، فـالرفـع من جهتين. إحداهمـا أن يكون نسقـاً على ما في أَوِّبي، المعنى يَا جِبَالُ رجِّعي التسبيح أنت والطَّيْرُ، ويجوز أن يكـون مرفـوعاً عـل البَدَل. المعنى: يـا جبال ويا أيُّهَـا الـطيـرُ أوّبي مَعَه.

والنّصْبُ مِنْ ثَلاثِ جَهاتٍ. أن يكونَ عطفاً على قوله: «ولقد آتينـا داود مِنَّا فَضْلاً والطَّيرَ»، أي وسَخَّرْنَا له الطَّيْـرَ[١]. حَكى ذلك أبـو عبيدة عن أبي عمرِو بنِ العلاء، ويجوز أن يكون نصباً على النداء، المعنى: يـا جبال أَوِّبي مَعَـهُ والطَّيْـرَ، كأنـه قال دعـونا الجبـال والطيـر، فالـطير معطوف على مَوْضِع الجِبَالِ في الأصل، وكل منـادى ـ عند البصـريين كلهم ـ في موضع نصبٍ. وقد شرحنـا حال المضمـوم في النداء، وأن المعرفة مبني عَلَى الضَّمِّ. ويجوز أن يكون «والطَّيْرَ» نصب على معنى «مع» كما تقول: قمت وزيداً، أي قمت مع زيدٍ، فالمعنى أوّبي معه ومع الطير.

وقوله عز وجل:﴿وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ [أَنِ آعمَلْ سَابِغَاتٍ]﴾.

[أي] جعلنـاه لَيِّنـاً. وَأَوَّل مَنْ عَمِـل الـدّرُوع دَاودُ، وكـان مـا يُسْتجنُّ[٢] به مِنَ الحديد إنما كانَ قِطَعَ حَـدِيدٍ نحـو هذه الجَـواشِنَ[٣]،

---

(١) منصوب بفعل مقدر مناسب كما في علفتها تبناً وماء.

(٢) يستجن به يستعمل للوقاية.

(٣) جمع جوشَنٍ ـ وهو الدرع.

و «أن» ههنا، في تأويل التفسير كأنه قيل: وألَنَّا له الحديد أن أعمل سابغاتٍ، بمعنى[١] قلنا له: اعمل سابِغَاتٍ، ويكون في معنى لأن يعمل سابغات. وتصل إن بلفظ الأمر، ومثل هذا من الكلام أَرْسَلَ إليه أَنْ قُمْ إليَّ، أي قال قم إلى فلانٍ، ويكون بمعنى ارسل إليه بأن يقوم إلى فلانٍ.

ومعنى «سَابِغَاتٍ» دروع سابغات فذكر الصفة لأنها تدل على الموصوف، ومعنى السابغ الذي يغطي كل شيء يكون عليه حتى يَفْضُل.

﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾.

السَّردُ في اللغة[٢] تقدمة شيء إلى شيء تأتي به مُنَسَّقاً بَعْضُه في إثْرِ بَعْض مُتَتَابِعاً فمنه سَرَدَ فلانٌ الحدِيثَ، وقيل في التفسير: السَّرْدُ السَّمْرُ[٣] والسِّتْر والخلق وقيل هو أَنْ لاَ يَجْعَل المِسْمَارَ غليظاً والثقبَ دَقيقاً، ولا يجعلَ المسمارَ دَقِيقاً، والثقبَ واسِعاً فيتقَلْقَلْ وَيَنْخَلِع وينقصفُ. قَدِّرْ في ذلك أي اجْعَلْهُ عَلَى القصد وقدر الحاجة.

والذي جاء في التفسير غَيْرُ خارج عن اللغة لأن السَّمْرَ تقدِيمُك طرف الحلقة إلى طرفها الآخر، وزعم سيبويه أن قول العرب: رجل سَرَنْدِيٌّ مشتق من السَّردِ، وذلك أن معناه الجريء، قال: والجرِيء الذي يمضي قُدُماً.

---

(١) في الأصل: وبمعنى.

(٢) في القاموس: السرد الخَرْزُ في الأدِيمِ، ونسج الدِّرْع، واسم جامع للدروع وسائر الخلَق.

(٣) الشد بالمسامير. يقال سَمَرَ الشَّيْءَ يسمِرُهُ ـ كنصر وكضرب. وسمَّره، بمعنى شده بمسمار وثبته.

وتفسير : ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ﴾ جعلناه ليناً كالخُيُوط يطاوعه حَتَّى عَمِلَ الدروعَ .

وقوله تعالى :﴿وَلِسُلَيمانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾ .

النصب في الريح هو الوجه وقراءة أكثر القراء، على معنى وسَخَّرْنَا لسلَيمانَ الريح، ويجوز الرفع ولسليمان الريح غدوها شهرٌ، والرفع على مَعْنَى ثبتت له الريح، وهو يؤول في المعنى إلى معنى سخرنا الريح، كما أنك إذا قلت: للَّه الحمد فتأويله استقر للَّه الحمدُ، وهُوَ يرجعُ إلى معنى أحمدُ اللَّه الحمْدَ .

وقوله :﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ .

أي غدوها مَسيرةُ شَهْرٍ، وكذلك رَوَاحُها. وكان سليمان يجلس على سريره هو وأصحابه فتسير بهم الريح بالغداة مسيرة شهر، وتسيرُ بالعَشِي مَسِيرَة شَهْرٍ.

﴿وأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ﴾ .

القطر النُّحَاسُ، وهو الصُّفرُ، فأذيب مذ ذاك وكان قبلَ سليمانَ لاَ يذُوبُ .

﴿وَمِنَ الجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ .

موضع «مَنْ» نصب، المعنى سخرنا له من الجن مَنْ يعمَلُ، ويجوز أن يكون موضع «مَنْ» رفعاً، ويكون المعنى فيما أعطيناه من الجن ﴿مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْه بإذْنِ رَبِّه﴾ أي بأَمْر رَبِّه .

﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ .

أي من يعدل[1]. ثم بَيَّن ما كانوا يعملون بين يَدَيْه فقال:

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ﴾.

المحرابُ الذي يُصَلَّى فيه، وأشرف موضع في الدَّارِ وفي البيت يقال له المحراب.

﴿وَجِفَانٍ كالجَوَابِ﴾.

اكثر القُرَّاء على الوقف بغير ياءٍ، وكان الأصل الوقفَ بالياء، إلاّ أن الكسرة تنوب عنها، وكانت بغير ألف ولام الوقف عليها بغير ياء[2]، تقول: هذه جواب، فأُدْخِلَت الألف واللام وترك الكلام على ما كان عليه قَبْلَ دُخُولِهِمَا. والجوابي جمعُ جَابية، والجابية الحوض الكبير قال الأعشى[3]:

كجابية السيح العراقي تَفْهَقُ

أن يعملون له جفانه كالحياض العظام التي يجمع فيها الماء.

﴿وقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾: ثابتات.

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً﴾.

«شكراً» منتصب على وَجْهَيْن: أحدهما اعملوا للشكر، أي اشكروا

---

(١) من يميل ويتحول.

(٢) أي متى كانت منكرة حذفت الياء للتنوين.

(٣) صدر البيت: نفى الذّم عن رهط المحلق جفنة. ويروى: آل المحلق.

وتقرأ «السيح العراقي» أي الماء والفيضان لكثرة الماء هناك دون الجزيرة العربية، وتقرأ «الشيخ» أي الرجل ـ لأن العراقي لا يعرف مواقع الماء فيحتاط بملء جابيته حتى تفيض، انظر الكامل ١/ ٤ (تجارية).

اللّه على مـا آتاكم . ويكـون ﴿اعملوا آل داود شكراً﴾ على معنى اشكـروا شكراً .

وقوله تعالى :﴿مَادَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إلاَّ دَابَّةُ الأرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَه﴾ .

المنسـأة العصـا ، وإنمـا سُمِّيَتْ منسـأة لأنهـا يُنْسَـأُ بهـا ، ومعنى ينسأ بها يطرد بها ويؤخر بها ، فلما توفي سليمان توفي وهو متكىء عليها ـ على عصاه ـ فلم يعلم الجن بموته حتى أكلت الأرضَةُ العصـا . حَتَّى خَرَّ .

﴿فلمَّا خَرَّ تَبيَّنَتِ الجِنُّ﴾ مَوْتَهُ ، المعنى ﴿أن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ ما لبثوا فِي الْعَذَابِ المُهِينِ﴾ .

المعنى لأنهم لو كانوا يعلمون ما غاب عَنْهُم مَا عَمِلُوا مُسخَّرِين ، إنَّما عَمِلُوا وهم يظنون أنه حَيٌّ يقف عَلَى عَمَلِهِمْ ، وقـال بعضهم تبينت الأنسُ الجِنَّ[1] أن لـو كانـوا يعلمـون الغَيْبَ ، ويجـوز أن يكـون تبينت الجِنُّ أن لـو كانـوا يعلمون الغَيْبَ ، والجن تتبيَّنُ أَنَّهـا لا تعلمُ الغَيْبَ ، فكانَتْ تُوهِمُ أنها تعلم الغَيْبَ فَتَبَيَّنَتْ أنه قـد بان للنـاس أنَّها لَا تَعْلَمُ ، كما تَقُولُ للذي يدعي عندَكَ البـاطِلَ إذا تبينت لـه : قد بينتُ أن الـذي يقول بَاطِلٌ ، وهو لـم يزل يعلم ذلك ولكنك أردت أن توبخَـهُ وَأَنْ تُعْلِمَهُ أنك قد علمت بطلان قوله .

وقوله عز وجل : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِم [آيَةٌ]﴾ .

ويقرأ «مَسْكِنِهِمْ» بفتح الكاف وكسرها : ويقرأ مَسَاكِنِهم ويقرأ لِسَبَأَ

---

(١) أي عـرف النـاس حقيقتهم أنهم لا يعلمـون ، أو تبينت الجن بمعنى اتَّضَحَتْ حَـالُهم وقـد قـرأ يعقوب : تُبيِّنَتِ الجن ـ بالبناء للمجهول .

ـ بالفتح وترك الصرف ـ وَلِسَبإٍ. فمن فتح وترك الصَّرْفَ فلأنه جَعَلَ سَبأ اسم قبيلة، وَمَنْ صرف وكسر ونوَّنَ جعل سبأ اسْماً للرَّجُل واسماً للحي وكلٌّ جائز حَسَنٌ.

﴿آيةٌ جَنَّتَانِ﴾.

«آية» رفع اسم كان، وَجَنَّتَان رفع على نوعين، على أنه بدَلٌ من آيةٍ وعلى إضمارٍ[1] كأنه لما قيل آية، قيل الآية جَنَّتَانِ، والجَنَّتَانِ البُسْتَانَانِ. فكان لهم بستانان، بستان يَمْنَةً، وبُسْتَانٌ يَسْرَةً.

﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ [وَاشْكُرُوا لَهُ]﴾.

المعنى قيل لهم: كلوا مِنْ رِزقِ ربِّكُمْ ـ واشْكُروا لَهُ.

وقوله عز وجل: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾. على معنى هذه بلدة طيبة.

﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ على معنى واللَّه رَبٌّ غَفُورٌ.

﴿فَأَعْرَضُوا﴾ المعنى [أعرضوا] عن أمر اللَّه.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العَرِمِ﴾.

والعَرِمُ فيه أقوالٌ قال أبو عبيدة جمع عَرِمَةٍ، وهي السَّكْرُ والمُسنَّاةُ[2] وقيل العَرِمُ اسمُ الوَادِي، وقيل العَرِمُ ههنا اسم الجُرَذ الذي ثقب السَّكْرَ عَلَيْهِم، وهو الذي يقال له الخُلْدُ. وقيل: العَرِمُ المطر الشديد، وكانوا في نِعْمةٍ وكانت لهم جِنَانٌ يمنَةً وَيَسْرةً، وكانت المرأة تخرج على رَأسها الزَّبِيلُ فتعمل بيديها وتسير بين ذلك الشجر

---

(١) أي على اضمار مبتدأ، أي هي جنتان. فهو إذن كلام مستأنف.

(٢) السَكْرُ سَدُّ النَّهر، وبالكسر اسم منه وما سُدَّ به النَّهْرُ ويكون المعنى السَّيْلُ الذي حطم السَّد ـ فهو لذلك يسمى سيل السد. والمسناة السيل الجارف.

فيسقط في زبيلها ما تحتاج إليه من ثمار ذَلِكَ الشَّجَرِ، فلم يَشْكُرُوا. فبعث اللَّه عليهم جُرَذاً، وكان لهُم سَكْرٌ فيه أبوابٌ، يفتحون ما يحتاجون إليه من الماء، فثقب ذلك الجرذ حتى نقب عَلَيْهِم فَغرَّق تينك الجنتين.

﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ﴾.

أيْ بِهَاتَيْنِ الجنتَينِ المَوْصُوفتين.

﴿جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾.

وأُكْلٍ خَمْطٍ - الضَّمُّ والإسكان في الكافِ جَائِزَانِ، ويقرأ ذَوَاتَيْ أكُلٍ خمطٍ وذواتي أُكْلٍ خمْطٍ. ومعنى خمط: يقال لكل نبت قد أَخَذ طَعْماً من مرارة حتى لا يمكن أكله خَمْطٌ. وفي كتاب الخليل الخمطُ شَجَرُ الأَرَاكِ وقد جاء في التفسير أَنَّ الخَمْطَ الأراك وأكله ثمَرهُ، قال اللَّه عز وجل: ﴿تُؤْتِي أُكُلَها كلَّ حِينٍ﴾[1].

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾.

«ذلك» في موضع نَصْبٍ، المعنى جزيناهم ذلك بكفرهم.

﴿وَهَلْ نُجَازِي إلاَّ الكَفُورَ﴾.

وتقرأ وهل يُجَازَى، ويجوز وهل يُجَازَى إلاَّ الكَفُورُ، وَهَذَا مِمَّا يُسأَلُ عَنْهُ.

يقال: اللَّه - عَزَّ وَجَلَّ - يُجازي الكَفُورَ وغيرَ الكَفُورِ. والمعنى في هذه الآية أن المؤمن تُكَفَّرُ عنه السَّيِّئَاتُ، والْكَافِرَ يحبطُ عمله فيجازى بكل سوء يعمله قال اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيل

---

(١) سورة إبراهيم آية ٢٥.

اللَّهِ أَضَلَّ أعمالهم﴾[1] وقال: ﴿ذَلك بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[2] فأعلم - جل وعزَّ - أنه يحبط عمل الكافِرِ، وأعْلَمَنا أن الحَسَنَاتِ يذهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، وان المؤمنَ تُكفِّرُ عنه سَيِّئَاته حَسَنَاتُهُ.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾.

هذا عطف على قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ في مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ﴾ ﴿وجعلنا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القُرَى الَّتي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾. فَكَانُوا لا يَحْتَاجُونَ من وادي سبأ إلى الشام إلى زَادٍ، وقيل القُرَى التي باركنا فيها بَيْتُ المقْدِسِ، وقيل أيضاً الشَّامُ، فكانت القرى إلى كل هذه المواضِعِ من وادي سبأ متصلة.

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾.

جعلنا مَسِيرَهُمْ بمقدار حيث أرادُوا أن يقيموا حَلُّوا بقرية آمِنينَ.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِّدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾.

ويقرأ ﴿ربنا باعِدْ بين أَسْفَارِنَا﴾، ويقرأ «رَبُّنا بَعَّدَ بين أَسْفَارِنا»، ويقرأ رَبَّنَا - بالنَّصْبِ - بَعُدَ بَيْن أسفارنا - برفع بَيْن -، ويقرأ بَيْنِ أسفارنا، ويقرأ رَبُّنا بَاعَدَ بين أَسْفَارِنَا.

﴿وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾.

فمن قرأ بَعُدَ بَيْنُ أَسْفارنا برفع بيْن، فالمعنى بَعُدَ ما يتَّصِلُ

(١) أول سورة القتال.

(٢) سورة القتال الآية ٢٨.

بِسَفَرِنَا، ومن قرأ بَعُدَ بين أَسْفارنا فالمعنى بَعُدَ ما بين أسفارنا، وَبَعُد سَيْرُنا بين أَسْفَارِنا، ومن قرأ باعِدْ فعلى وجه المسأَلَةِ، ويكون المعنى أنهم سئموا الرَّاحَةَ وبطِرُوا النِّعْمَةَ، كما قال قوم موسى: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ﴾[1] - إلى قوله: ﴿الَّذي هُوَ أدنى بالَّذِي هُوَ خَيرٌ﴾.

﴿وَمَزَّقناهُمْ كُلَّ مُمَزَّق﴾.

أي فرقناهم في البلاد لأنهم لما أذهب اللَّه بِجَنَّتَيْهِمْ وغرق مَكَانَهُم تبدَّدُوا في البلاد فصارت العَرَبُ تتمثَّل بِهُم في الفرقَةِ فتقول: تفرقوا أَيْدِيَ سبَأ، وأيادي سَبَأ قال الشاعِرِ:

مِنْ صَادِرٍ أو وَارِدٍ أَيْدي سَبَا.

وقال كثير[2]:

أيادي سبا ياعزّ ما كنت بعدكم   فلم يحل للعينين بعدك منظر

﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾.

ويقرأ ﴿صَدَّقَ عليهم إبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ - برفع إبْلِيسَ ونصب الظَّنّ، وصدقُه في ظَنِّه أَنَّهُ ظَنَّ بهم إذا أَغْوَاهم اتَّبَعُوهُ فوجدهم كذلك فقال: «وَعِزَّتِكَ لأُغْوِينَّهُمْ أَجْمَعين إلاَّ عبادَك منهم المخلصين». فمن قال صَدَّق نَصَبَ الظن لأنه مفعولٌ بِهِ، ومن خَفَّفَ فقال «صَدَق» نصب الظن مصدراً

---

(١) سورة البقرة الآية ٦١.

(٢) انظر اللسان (سبأ) وكتاب سيبويه ٣/٣٠٤ (ت هرون)

يريد أنه عاش مشرداً مشتت الشمل - قدرت «أيادي سبا» بمنزلة قالي قلا، وبادي بدا، واعتبرت تركيباً مزجياً مثل خمسة عشر.

على معنى صدق عليهم ابليس ظَنًّا ظَنّه، وصدق في ظنه. وفيها وجهانِ آخرانِ، أحدهما ولقد صدق عليهم إبليسُ ظنُّهُ، ظَنُّه بدل من إبْلِيسَ، كما قال تعالى:﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾(١). ويجوز وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إبْلِيسَ ظَنُّهُ، على معنى صدق ظنُّ إبليسَ باتباعِهم إيَّاهُ وقد قُرِئ بهما.

وقوله جل وعز:﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾.

أي ما كان له عليهم من حجة كما قال:﴿إنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾(٢).

﴿إلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْها فِي شَكٍّ﴾.

أي إلاَّ لنعلم ذلك علمَ وقوعه مِنْهُمْ، وهو الذي يُجَازَوْنَ عَلَيْه، واللَّه يعلم الغيبَ وَيَعْلَمُ مَنْ يؤمن مِمَّن يَكْفُر قبلَ أَنْ يؤمِنَ المؤمنُ ويكفُرَ الكافِرُ ولكن ذلك لا يُوجِبُ ثواباً وَلاَ عِقَاباً، إنما يثابون ويعاقبون بما كانوا عَامِلِينَ.

وقوله:﴿وَمَالَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾.

يعني أن الذين يزعمون أنهم شركاء اللَّه مِنَ المَلاَئكة وَغَيْرِهِمْ لاَ شِرْكَ لهم ولا مُعينَ للَّه عز وجل فيما خَلَق.

وقوله عز وجل:﴿وَلاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾.

بضم الهمزة وفتحها(٣)، ويكون المعنى لمن أذن له. [أي] لمن أذن اللَّه له أن يشفع، ويجوز إلا لمن أذن أن يُشْفَعَ له فيكون «من»

---

(١) سورة البقرة. آية ٢١٧.
(٢) سورة الحجر آية ٤٢.
(٣) همزة أَذِنَ.

للشـافعين، ويجوز أَنْ يكـونَ للمَشْفُـوعَ لَهُمْ. والأجـود أن يكـون للشافعين، لقوله:﴿حَتَّى إذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾.

لأن الـذين فزع عن قلوبهم ههنـا الملائكـةُ، وتقرأ «حتى إذَا فَـزَّعَ عن قُلُوبِهِمْ» ـ بفتح الفـاء ـ وقـرأ الحسن: حَتَّى إذَا فَـرَغَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ـ بالراء غيـرَ المعجمة وبـالغين المعجمة ـ ومعنى فُـزِّعَ كُشِفَ الفَزَعُ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَفَـزَّعَ عن قلوبِهِمْ كشـفَ اللَّه الـفَـزَع عن قُـلُوبِهِـمْ، وقـراءة الحسن، فُرِّغَ تَرْجع إلى هذا المعنى لأنَّهما فَرغتْ من الفَزَع.

وتفسير هذا أن جبريل عليـه السلام كـان لِما نـزل إلى محمد ﷺ بالْوَحْي ظنت الملائكة أنَّه نزل لِشيءٍ من أمر السَّاعَـةِ فَتَفَزَّعَتْ لِـذَلِكَ، فلما انكشف عنها الفَزَعُ:﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾.

فسألت لأيِّ شيءٍ ينزل جبريل.

﴿قَالُوا الحقَّ﴾.

أي قـالوا قـال الحق، ولو قـرئت قالـوا الحقُّ لكان وَجْهـاً. يكون المعنى قالوا هو الحق.

﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

روي في التفسيـر أن المعنى وإنـا لعلى هـدى وانكم لفي ضـلال مبين، وهـذا في اللغـة غيـر جـائـز ولكنـه في التفسيـر يَؤُول إلى هـذا المعنى. إنـا لعلى هدى أو في ضـلال مبين أو إنكم لعلى هـدى أو في ضـلال مبين، أو إنكم لعلى هدى أو في ضـلال مبين. فهذا كمـا يقول القائل: إذا كانت الحال تدل على أنه صَـادقٌ ـ أَحَدُنـا صادق، وأَحَـدُنا كاذبٌ، والمعنى أَحَدُنَـا صادق أو كـاذب. ويؤول معنى الآية إلى: إنَّـا لِمَا أقمنا من البرهان لعلى هدى، وإنكم لفي ضلال مبين.

وقوله:﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنا بِالحَقِّ﴾.

معنى يفتح: يحكم، وكذلك الفتّاح: الحاكم.

وقوله ـ جل وعز ـ: ﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾.

المعنى الحقتموهم به، ولكنه حذف لأنه في صلة الذين[1].

وقوله:﴿كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾.

معنى كـلَّا رَدْعٌ وتنبيه، المعنى ارْتَـدِعُوا عَنْ هـذَا القولِ وَتَنَبَّهُـوا عَن ضَلاَلِتكُمْ، بل هو اللَّه الواحد الذي ليس كمثله شيء.

وقوله ـ عزّوجل ـ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾.

معنى كافَّة الإحـاطَةُ في اللغـة، والمعنى أرسلناك جـامعاً للنـاس في الانــذار والابـلاغ، فـأَرْسَـلَ اللَّه النبي ﷺ إلى العــرب والعجم، وقال: أنا سَابِقُ العَرَبِ إلى الاسلام، وَصُهَيْبٌ سابق الروم وبلال سابق الحبشة وسلمانُ سابق الفرس، أي الرسالة عامة، والسابقـون من العجَم هؤلاء.

وقوله:﴿وَقَـالَ الَّذِينَ كَفَـرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا القُـرْآنِ وَلَا بِالَّـذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: يعنون لا نؤمن بما أتى به محمد ﷺ ولا بالكتب المتقدِّمَةِ.

وقوله:﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾.

معناه بل مكركم في الليل والنهار.

﴿وَنَجْعَلَ له أَنْدَاداً﴾: أَشْبَاهاً.

﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا العَذَابَ﴾.

(١) حذف العائد بعد فعل متعَدٍّ.

أَسَرُّوها بينهم. أقبل بعضهم يَلُوم بَعْضاً، ويُعرِّف بعضهم بَعْضاً النَّدامَةَ.

﴿إلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾.

مُتْرَفوها أُولو التُّرْفَةِ وهم رؤساؤها وقادة الشَّر وَيَتبعُهُمْ السِّفْلَةُ.

وقوله عز وجل:﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفى﴾.

ولم يقل باللَّتَين ولا باللَّذَيْنِ ولا باللاَّتِي، وكل ذلك جائز، ولكن الَّذِي في المصحف الَّتِي، والمعنى وما أَمْوَالكم بالتي تقربكم ولا أَوْلاَدُكم بالذين يُقَرِّبُونكم ولكنه حُذِفَ اخْتِصاراً وإيجَازاً، وقد شرحنا مثل هذا.

وقوله:﴿إلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾.

موضع «مَنْ» نصب بالاستثناء على البدل من الكاف والميم، على معنى ما يُقَرِّبُ إلا مَنْ آمَنَ وَعَمِل صَالحاً، أي ما تُقَرِّبُ الأموالُ الاَّ مَنْ آمن وعمل بها في طاعة اللَّه.

﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾.

الضعف ههنا يحتاج إلى تفسير ولا أَعْلَمُ أَحداً فَسَّرَهُ تفسيراً بيِّناً. وجزاء الضعف ههنا عشر حسنات، تأويله فأولئِكَ لهم جَزاءُ الضِّعْفِ الذي أَعْلَمْناكم مقدارهُ، وهو قوله:﴿مَنْ جَاء بالحسنة فله عَشْرُ أمثالها﴾ وفيه أوجُهُ في العَرَبيَّةِ، فالذي قرئ به خفض الضعف بإضافَةِ الجزاء إليه، ويجوز فأولئك لهم جزاءً الضِّعْفُ، على معنى فأولئك لهم الضعفُ

جزاءً، المعنى في حال المجازاة[1]، ويجوز فأولئك لهم جزاءً الضِّعْفَ على نصب الضِّعْفِ. المعنى، فأولئك لهم أَنْ نُجَازِيَهم الضعْفَ.

ويجوز رفع الضعف من جهتين، على معنى فأولئك لهم الضِّعْفُ عَلَى أن الضَعْفَ بدل من الجزاء، فيكون مرفوعاً على إضمار هو، فأولئك لهم جزاء، كأنه قال ما هو فقال: الضِّعْفُ. ويجوز النَّصْبَ فِي الضِّعْفِ على مفعول ما لم يسم فاعله على معنى فأولئك لهم أن يجازَوْا الضِّعْفَ.

والقراءة من هذه الأوجه كلها خفض الضعف ورفع جزاء.

وقوله جل وعز:﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَها وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾.

يُعْنَى به مشركو العَربِ بمكَّةَ لَمْ يَكُونُوا أَصْحابَ كُتُبٍ ولا بعث إليهم بنبيٍّ قبل محمَّد ﷺ.

﴿وكذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾.

أي عُشْر الذي آتينا من قبلهم من القوة والقُدْرَةِ.

﴿فَكَذَّبُوا رُسُلي فكيف كَانَ نَكِيرِ﴾.

حذفت الياء، المعنى فكيف كان نكيري، لأنه آخر آيةٍ.

وقوله عز وجل:﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾.

أي أَعِظُكُمْ بأن توحدوا اللّه وأَنْ تَقُولُوا لا إله إلاَّ اللَّهُ مخلصاً وقد قيل واحدة في الطاعة، والطاعة تَتَضَمَّن التوحيدَ والإخلاصَ. المعنى

---

(١) لا يستقيم هذا لأن «جزاء» تمييز وليست حالاً. وإنما يكون «لهم الضعف جزاء».

فأنا أعظكم بهذه الخصلة الواحدة أن تقُومُوا، أي لأنْ تَقُومُوا.

﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾.

أي أعظكم بطاعة اللَّه لأن تقومُوا للَّه منفردين ومُجْتَمِعين.

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾.

المعنى ثم تتفكرُوا فتعلموا أن النبي ﷺ ما هو بمجنون كما تقولون، والجنة الجُنُونُ.

﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

أي يُنْذِرُكم أنكم إنْ عَصَيْتُمْ لقيتم عذاباً شديداً.

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾.

معناه ما سألتكم من أجر على الرِّسالة أُؤَدِّيها إليكم، والقرآن الذي أتيتكم به من عند اللَّه، ـ فهو لكم ـ وتأويله أني إنما أنذركم وأُبَلِّغُكُمْ الرسالة ولستُ أَجُرُّ إلى نفسي عَرَضاً من أعراض الدنيا.

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ﴾.

أي إنما أَطْلُب ثوابَ اللَّه بتأدية الرِّسَالةِ، والياء في «أجري» مُسَكَّنَةٌ وَمَفْتُوحةٌ والأجود الفتح لأنها اسم فيبنى على الفتح.

وقوله ـ عزوجل ـ: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالحَقِّ عَلاَّمُ الغُيُوبِ﴾ ـ بكسر الغين ـ ويجوز علامَ الغيوب بالنَّصْبِ، فمن نَصَب فعَلاَّم الغيوب صِفةٌ لِـرَبِّي المعنى قل إن ربي علامَ الغيوب يقذف بالحق ومن رفع «علام الغيوب» فعلى وجهين أحدهما أن يكون صِفةً على موضع ان ربي، لأن تأويله قل ربي عِلام الغيوب يقذف بالحق، وإنَّ مؤكدة. ويجوز

الرفع على البَدَلِ مِمّا في تَقْذِف، المعنى قل إن ربي يقذف هو بالحق علامُ الغيوبِ، ومعنى يقذف بالحق أي يأتي بالحقِّ ويرمي بالحق، كما قال ـ جل وعز ـ : ﴿بل نَقذفُ بالحقِّ عَلَى الباطل فَيَدْمَغُهُ﴾(١) .

وقوله: ﴿قُلْ جَاءَ الحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ البَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ .

أي قل جاء أمر اللَّه الذي هو الحق، وما يُبْدِئُ البَاطِلُ، «ما» في موضع نصب على مَعْنى وأَيَّ شيء يبدئ الباطِلُ وأيَّ شيء يُعِيدُ. والأجود أن يكون «ما» نفياً على معنى ما يبدئ الباطل وما يعيد، والباطل ههنا إبليس. المعنى وما يعيد ابليس وما يفيد، أي لا يخلق ولا يبعث، واللَّه ـ عز وجل ـ الخالقُ والباعث. ويجوز أَنْ يكونَ البَاطِلُ صَاحِبُ البَاطِلِ وهو إبليس.

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا [فَلاَ فَوْتَ]﴾ .

هذا في وقت بَعْثِهِم .

وقوله: ﴿فَلاَ فَوْتَ﴾ أي فلا فوت لهم، لا يمكنهم أن يَفُوتُوا.

﴿وَأُخِذُوا مِنْ مكانٍ قَرِيبٍ﴾ .

في التفسير: من تحت أقدامهم. ويجوز فَلاَ فَوْتٌ، ولا أعلم أحداً قَرَأَ بِهَا فإن لم تثبت بها رِوَايةٌ فَلاَ تقرأن بها، فإن القراءة سُنَّةٌ.

وقوله: ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ .

﴿قالوا: آمنا﴾، في الوقت الذي قال اللَّه ـ جل وعلا فيه(٢): ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْساً إيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ والتَّنَاوُشُ التناوُلُ، أي فكيف

---

(١) سورة الأنبياء /١٨ .

(٢) قال في شأنه، والآية في سورة الأنعام رقم ١٥٨ .

لهم أن يتناولوا ما كان مبذولاً لهم وكان قريباً منهم، فكيف يتناولونه حين بَعُدَ عَنْهُمْ. وَمَنْ هَمزَ فقال: التَّنَاؤُش، فلأن واو التناوُش مَضْمُومَةٌ، وكل واو مضمومةٌ ضمَّتُها لازمة، إن شئت ابْدَلْتَ منها همزة وإن شِئْتَ لم تبدل نحو قولك أَدْوُر وتقاوُم[1]، وان شئت قلت: أدؤر وتَقَاؤم فهَمَزْتَ، ويجوز أن يكون التَّنَاؤُش من النَّئِيش[2]، وهي الحركة في إبطاء فالمعنى من أين لهم أن يتحركوا فيما لا حيلة لهم فيه.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

أي كانوا يرجمون ويرمون بالغيب، وترجيمهم أنهم كانوا يظنون أنهم لا يبعثون.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾.

المعنى من الرجوع إلى الدنيا، والإيمان.

﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾.

أي بمن كان مذهبُه مَذْهَبَهُم.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾.

فقد أعلمنا اللَّه جل وعز أنه يُعذّبُ عَلَى الشَّكِ، وقد قال قوم من الضُّلَّالِ ان الشاكين لا شيء عليهم، وهذا كفر ونقض للقرآن لأن اللَّه - جل وعز - قال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّماءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾[3].

---

(١) جمع دار.

(٢) النأش بوزن المنع والتناؤش هو التناول والأخذ، والبطش والتأخير والنهوض، ويقال فعله نَيْشا أي أخيراً.

(٣) سورة ص الآية ٢٧.

سُورَةُ المَلائِكَةِ
مَكِّيَّة

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

﴿الحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَواتِ والأَرْضِ﴾.

قال ابن عباس رحمه اللّٰه: ما كنت أدْري ما فاطِرُ السمواتِ والأرْض حتى اختصم إلى أعرابيَّان في بِئْرٍ فقال أحدهما: أنا فَطَرْتُها، أي ابتدأْتُهَا. وقيل فاطر السموات والأرض خالق السموات والأرض. ويجوز فَاطِرُ وفَاطِرَ بالرفع والنصب، والقراءة على خفض فاطر، وكذلك ﴿جَاعِلِ المَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾.

معنى أولي أصحاب أجنحة، وثُلاثَ ورُبَاعَ في موضع خفضٍ. وكذلك مثنى إلاّ أنه فتح ثُلاثَ ورُبَاعَ لأنه لا يتصرف لِعِلتَيْن إحداهما أنه معدول عن ثلاثة ثلاثةٍ وَأَرْبَعِةٍ أَرْبعةٍ واثنين اثنين، فهذه علة، والعلة الثانيةُ، أَنَّ عُدُولَهُ وَقع فِي حَالِ النَّكِرَةِ قال الشاعر:(١)

ولكنما أهلي بوادٍ أنيسه ذئابٌ تبَغَّى الناسَ مَثْنَى وَمَوْحَداً

وقوله عز وجل: ﴿يَزِيدُ في الخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾.

يعنى في خلق الملائكة، والرُّسُلُ مِنَ الملائِكَةِ جبريلُ وميكائيلُ وإسرافيلُ ومَلَكُ الموت.

---

(١) ساعدة بن جؤبة تقدمت ترجمته ص ٩. وتقدم البيت. برفع موحد، والقصيدة على الرفع وهي في ديوان الهذليين ١/٢٧٧، ومنها:

ألا بات من حولي نياما ورقد وعاودني حزني الذي يتجدد

وعاودني بثي فبت كأنما خلال ضلوع الصدر شرع ممدد

﴿مَا يَفتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَها﴾.

«يفتح» في موضع جزم على معنى الشرط والجزاء، وجواب الجزاء «فلا مُمْسِكَ لها»، ولو كان فلا ممسك له لجاز لأن «ما» في لفظ تذكير[1]، ولكنه لَمَّا جَرَى ذكرُ الرحمة كان فلا ممسك لها أحسن، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾.

ومعنى ما يفتح اللَّه أي ما يَأْتيهِمْ بِهِ من مَطَرٍ ورِزقٍ فلا يقدر أَحَدٌ أن يُمْسِكَه، وما يُمْسِكْ اللَّهُ من ذلك فلا يقدر قادرٌ أن يرسله، ويجوز -ولا أعلم أحَداً قرأ به - ما يفتحُ اللَّه للناس من رحمة وَما يُمْسِكُ برفعهما على معنى الذي يفتحه اللَّه للناس من رحمة فلا ممسك لها، والذي يمسك فلا مرسل له، ويجوز فلا مُمْسِكٌ لها بالتنوين، وما يمسك فَلاَ مُرْسِلٌ له من بعده، وَلاَ أعْلَمُ أَحَداً قرأ بها فلا تقرأن بما لم تثبت فيه رواية وان جاء في العربية لأن القراءة سنة.

وقوله عز وجل: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غيرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ﴾.

هذا ذكر بعد قوله: ﴿ما يفتح اللَّه للناس من رحمة فلا ممسك لها﴾ فأكد ذلك بأن جعل السؤال لهم ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَواتِ وَالأرْضِ﴾.

وقرئت هل من خالق غير اللَّه بالرفع، على رفع غير، المعنى هَلْ خَالِقٌ غير اللَّه لأن «من» مؤكدة، وقد قرئ بهما جميعاً، غَيْرُ وَغَيْرِ، وفيها وجه آخر يجوز في العربية نصب غير «هل مِنْ خالقٍ غَيرَ اللَّهِ يرزقكم»، ويكون النصب على الاستثناء، كأنه هل من خالق إلاَّ اللَّهُ يرزقكم.

---

(١) أي فلا ممسك لما يفتحه.

﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾.

أي من أين يقـع لكم الإفْـكُ والتكـذيب بتـوحيـد اللَّه وإنكـار البعث.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فقد كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾.

هـذا تَأَسٍّ للنبي ﷺ أعلمـه اللَّه أَنـه قـد كُـذِّبَت رُسُـلٌ من قبله، وَأَعْلَمَهُ أنه نَصَرَهُمْ فقال جل وعز،﴿فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُـذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾[١].

﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾.

وتَـرْجِـعُ الأمُـورُ، المعنى الأمْـرُ رَاجـعٌ إلى اللَّه في مجـازاة من كذَّبَ، ونُصْرةِ من كُذِّب مِن رُسُلِهِ.

وقوله:﴿يَا أَيُّها النَّاسُ إنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾.

أي ما وعدكم اللَّه من مجازاة فحق.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾.

أي وإن كان لكم حظ في الدنيا يَغُضُّ مِنْ دِينِكُمْ فلا تؤثـروا ذلك الحظَّ.

﴿وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الغَرُورُ﴾.

والغَـرُورُ الشيـطانُ، ويَقْـرَأُ الغُـرورُ بضمّ الغَيْنِ، وَهِيَ الأَبَـاطِيـلُ ويجوز أن يكون الغُرور جمع غَارّ وغرور، مثل قاعد وقُعُود، ويجوز ان يكون جمع غَرٍّ مَصدَرُ غَرَرْتُه غـرًّا. فَأَمـا أَن يكون مصـدر غررتـه غُروراً

---

(١) سورة الأنعام الآية ٢٤.

نَبعيدٌ. لأن المتعدّية لا تكاد تقع مصادِرَهَا عَلَى فُعُولٍ[١]، وقد جاء بعضها على فُعُول نحو لزمته لزوماً، وَنَهِكَه المرض نُهُوكاً فيجوز غررته غروراً على ذلك.

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرآهُ حَسَناً فَإنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾.

الجواب هَهُنَا عَلَى ضَرْبَيْن أحدهما يدل عليه ﴿فَلَا تَذْهَب نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾. ويكون المعنى أفمن زين له سوء عمله فأضله اللَّه ذهبت نفسك عَلَيْه حَسْرةً، ويكون «فلا تذهب نفسك» يدل عليه، وقد قرئت فلا تُذْهِبْ نَفْسُكَ بضم التاء وجزم الباء ونصب النفس. ويجوز أن يكون الجواب محذوفاً ويكون المعنى أفمن زُيِّن له سوء عمله كمن تعداه اللَّه، ويكون دليله ﴿فإن اللَّه يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾.

وقوله: ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيْتٍ﴾ وَمَيِّتٍ.

﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها كذلك النُّشُورُ﴾.

أيْ نُنْشِئُ[٢]. المعنى مثل ذلك، أي مثل إحْيَاءِ الأرْض، وكذلك بعثكم.

﴿مَنْ كَانَ يُريدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّة جَمِيعاً﴾.

أي من كان يريد بعبادته غير اللَّه العِزَّةَ فلله العزة جميعاً، أي في حال اجْتِمَاعِها، أي يجتمع له في الدنيا والآخرة. ثم بين كيف يَعِزُّ باللَّه فقال:

(١) فعول هو مصدر فعل المفتوح العين اللازم ـ نحو قعد وخرج وقد يجيء من المتعدي نحو شهده شهوداً بمعنى رآه.

(٢) مثل إحياء الأرض بعد موتها ننشئ الحياة في الأجسام الموتى.

﴿إِلَيْه يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.

أي إليه يصل الكلم الذي هو توحيد اللَّه، وَهُوَ قَوْلُ لَا إِلَه إِلَّا اللَّهُ والعمل الصَّالِحُ يَرْفَعُه. المعنى إِذَا وَحَّدَ اللَّهَ وعجل بِطَاعَتِه ارْتَفَع ذَلِكَ إلى اللَّه، واللَّه ـ عز وجل ـ يرتفع إليه كل شيء ويعلم كلَّ شيء، ولكن المعنى فيه ههنا العمل الصالح هو الذي يرفع ذكر التوحيد حتى يكون مُثَبِّتاً للمُوَحِّدِ حقيقة التوحيد. والضمير في يرفعه يجوز أن يكون أَحَدَ ثلاثة أشياء، وذلك قول أهل اللغة جميعاً، فيكون والعمل الصالح يرفع الكلمَ الطيبَ، ويجوز أن يكون والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب، أي لا يقبل العمل الصالح إلاَّ من مُوَحِّدٍ، والقول الثالث ان يرفعه اللَّه عز وجل.

﴿والَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيئَاتِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ﴾.

المعنى مكرُ الذين يمكرون بالنبي ﷺ.

﴿هُوَ يَبُورُ﴾.

أَيْ يَفْسُدُ، وقد بين ما مكرهم في سورة الأنفال، في قوله:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾[1]. ففسد جميع مكرهم فجعل اللَّه كلمة نبيه وأوليائه العُلْيَا، وَأَبْدَيَهم العَالِيَةَ بالنصر والحجة.

﴿وَمَا يُعمَّرُ من مُعَمَّرٍ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْ عُمُره﴾.

وقرئت يَنْقُصُ. ويجوز «وما تُعَمِّر مِن مُعَمِرٍ ولا نَنْقُصُ بالنُّون جَمِيعاً ولَكِنَّهُ لم يقرأ بها فيما بلغني، فلا تقرأنّ بها. وتأويل الآية أن

(١) سورة الأنفال الآية ٣٠.

الله جل وعز قد كتب عُمَرَ كُلِّ مُعَمِّرٍ وكتب يُعَمَّـر كذا وكـذا سنةً وكـذا وكـذا شهرا، وكـذا وكذا يَـوْماً، وكـذا وكذا سـاعةً، فكـلُّ ما نَقَصَ مِنْ عُمْره من سنة أو شهر أو يوم أو ساعةٍ كتب ذلك حتى يبلغ أَجَلَهُ.

﴿وَمَا يَسْتَوِي البَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُراتٌ﴾.

الفُرَاتُ المبالِغُ في العُذُوبَةِ.

﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾.

الأجاج الشديد المرارة، والأجاج أيضاً الشديدُ الحَرَارَةِ.

﴿وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾.

وإنما تستخرج الحلية مِنَ المِلْح دُونَ العذْبِ، إلا أنهما لما كـانا مُخْتَلِطَيْنِ العَـذْبُ والمِلْحُ، جـاز أن يقـال تستخـرجـون الحليـة - وهي اللؤلؤ والمَرْجَانُ وما أشبه ذلك مِنْهُمَـا - كما قال: ﴿يخرج منهمـا اللُّؤْلُؤْ والمُرجَانُ﴾(١).

﴿وَتَرَى الفُلْكَ فيه مَـوَاخِرَ﴾.

المعنى في مـواخر تشق المـاء. وجاء في التفسيـر أنهـا تُصَـاعِـدُ وَتَنْحَدِرُ في البَحْرِ بريح وَاحِدَةٍ. والفُلْكُ جمع فُلْكٍ - لفظ الواحد كلفظ الجمـع لأن فُعْلاً جمـع فَعَلٍ نحـو أَسَدٍ وَأُسْـدٍ، وَوَثَنٍ وَوُثْنٍ، فكـذلـك جَمْـعُ فُعْـل لأنهـمـا أخْتَـانِ في الجمـع، تقـول: جَبَـل وأَجْبَـالٌ، وَقُفْـل وأقفال، وكذلك أسد وآسَادٌ. وفُلْكٌ للواحد وفُلْكٌ للجَمْاعَةِ.

وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾.

وهي لُفَافَةُ النواة، والنقير النقـرةُ فِي ظَهْرِ النَّـواةِ، والفتيل الـذي في وَسَطِ النَّوَاةِ.

---

(١) سورة الرحمن /٢٢.

﴿وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾.

المعنى يقولون: ما كنتم إيَّانَا تَعْبُدُونَ، فيكفرون بِعِبَادَتِكم إيَّاهُمْ

﴿وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾.

وهو اللَّه، لأن ما أَنبأ اللَّه بِهِ مِمَّا يَكُون فهو وحدَه يخْبُرُهُ، لا يَشْرَكُه فِيه أَحَدٌ.

﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا﴾

المعنى إن تدع نَفْسٌ مُثقَلَةٌ بالذُّنُوبِ إلى حِمْلِها، إلى ذُنوبها، لا يُحْمَلْ مِنْ ذنوبها شيءٌ.

﴿وَلَوْ كَانَ ذا قُرْبَى﴾.

أي ولو كان الذي تدعوه ذا قربى مثل الأب والابن، ومن أشبه هؤلاء.

﴿إنَّما تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ﴾.

فتأويل «تنذر الذين يخشون رَبَّهُمْ» - وهو النبي ﷺ تنذر الخلق أَجْمَعِين، والمعنى ههنا أَنَّ إنْذَارَك ينفع الذين يخشون رَبَّهُمْ.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ ولاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورَ وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الحَرُورُ﴾.

هذا مثل ضَربه اللَّه للمؤمنين والكافرين، المعنى لا يستوي الأعمى عن الحق وهو الكافر، والبصير بالحق وهو المؤمِنُ الذي يبصر رَشْدَهُ. وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورُ، الظلمات الضلالات، والنور الهدي ولا الظل ولا الحرور، المعنى لا يستوي أصحاب الحقِّ الذين هم في

ظِـلٌّ من الحَقِّ، ولا أصحاب البـاطل الـذين هم في حَـرُورٍ أي في حَـرٍّ دَائِمٍ لَيْـلاً ونهـاراً والحَـرُورُ استيقـاد الحـرّ ولفحـه بـالنهـار وبـالليـل، والسَّمُومُ لا يكون إلاَّ بالنَّهَارِ.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الأحْيَاءُ وَلاَ الأمْوَاتُ﴾.

الأحيـاء هم المؤمنون، والأمـوات الكافـرونَ، ودليل ذلـك قولـه ﴿أَمْوَاتٌ غيرُ أحياءٍ﴾(١).

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّـذِينَ اصْطَفَيْنَـا مِنْ عِبَادِنَـا﴾ إلى قوله: ﴿جَنات عَدْنٍ يَدْخُلُونَها﴾(٢).

قـال عمر بن الخـطاب ـ رحمه اللَّه ـ يَـرْفَعُه(٣): سـابقنـا سـابق، وَمُقْتَصِدُنَا نَاجٍ، وظالمنـــا مَغْفُورٌ لَهُ.

والآيـة تـدل على أن المؤمنين مغفـور لهم، لمقتصـدهم الـظَّالِم لِنَفْسِـهِ منهم بعد صحـة العقد. وقـد جاء في التفسيـر أن قـولـه: منهم ظالـم الكَافِرُ وهو قول ابن عباسٍ، وَقَد رُوِيَ عنِ الحَسَنِ أَنَّه الْمُنَـافِقُ، واللفظ يدل على ما قاله عمر عن النبي ﷺ وَمَا عليـه أَكْثَرُ المفسِّـرِينَ، لأن قـوله: ﴿ثم أَوْرَثْنـا الكِتَابِ الَّـذِينَ اصْـطَفَيْنَـا مِنْ عِبَـادِنَـا فَمِنْهُمْ ظَـالِمٌ لِنَفْسِـه﴾ يدل على أن جملة المصـطَفَيْنَ هـؤلاء، وقال اللَّه ـ عـز وجل ـ ﴿قُـلِ الحَمْـدُ لِـلَّه وَسَـلاَمٌ عَلَى عِبَـادِهِ الـذين اصْـطَفَـى﴾(٤).

﴿وَمِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا.

---

(١) سورة النحل الآية ٢١.

(٢) بقية الآية: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ومِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ومِنْهُمْ سَابِقٌ بِالخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُو الفَضْلُ الكَبِيرُ ـ جَنَّاتُ عَدْنٍ . . .﴾.

(٣) اي سمعه من النبي ﷺ بلا واسطة بينهما.

(٤) سورة النمل الآية ٥٩.

جُـدَدٌ جمـع جُـدَّة، وهي الخطَّةُ والطريقَةُ، قال امرؤ القيس[1]

كَـأن سَـراتَـه وَجُـدَّةَ مَـتْـنِـهِ   كِـنـائن يـجـري بيـنهـن دَلـيصُ

جُـدَّةُ مَتْنه الخُـطَّة السوداء التي تـراها في ظَهْـرِ حِمارِ الـوَحْشِ، وكل طريقةٍ جادَّة وجُدَّة.

﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾.

أي ومن الجبـال غَـرابِيبُ وهي الحِـرَارُ، الجبـال التي هي ذات صُخورٍ سُـودٍ. والغِـرْبِيبُ الشديد السَّوادِ.

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُه [كذلك]﴾.

المعنى وفيمـا خلقنـا مختلف ألـوانـه، ومن النـاس والـدواب والأنْعَامِ كذلك أي كاختلاف الثمرات والجبال.

﴿إِنَّمـا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾.

أي من كان عالماً باللَّه اشتدت خشيته له. وجاء في التفسير كفى بخشية اللَّه عِلْماً، وبالاغْتِرَارِ باللَّه جَهْلاً.

﴿يَـرْجُـونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾.

أي لَنْ تَفْسُدَ وَلَنْ تَكْسَدَ.

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إنه غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

غفور لذنُوبِهم شكور لِحَسنَاتِهِمْ.

---

(١) الدليص ـ البريق ـ والجدد جمع جُدَّة ـ الخطة السـوداء في متن الحمار ـ والسـراة أعلى متنه، وهـو الخط فوق العمـود الفقـري منـه، والبيت في اللسـان (دلص ـ جـدد) وفي معـانى الفـراء ٢/٣٦٩ «كان سراتيه».

﴿يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ﴾.

فيها وجهان، أحدُهُما يُحلَّوْنَ فيها من أساور من ذهب ومِنْ لُؤْلُؤٍ، ويجوز ولُؤْلُؤاً على مَعْنَى يحلون أساورَ، لأن معنى من أَسَاوِرَ كمعنى أَسَاورَ. والتفسير على الخفض أكثر، على معنى يحلون فيها من أَسَاوِرَ مِنْ ذَهبٍ ولُؤْلُؤٍ. وجاء في التفسير أَنَّ ذَلِكَ الذَّهَبَ في صَفاءِ اللُّؤْلُؤِ، كما قال عز وجل:﴿قواريرَ قواريرَ من فضة﴾(١)، أي هي قوارير ولكن بياضها(٢) كبياض الفضَّةِ، والفضة أَصْله. وَيَجُوزُ أَنْ يكون يُحَلَّوْنَ مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ، وَيُحَلَّوْنَ من لُؤْلُؤٍ. ويجوز على مَعْنَى وَيُحَلَّوْنَ لُؤْلُؤاً. وأساور جمعُ إِسْوِرَة وَأَساوِر وَوَاحِدُهَا سِوَار. والأُسْوَارُ من أساوِرَةِ الفُرْس، وَهُوَ الجيِّدُ الرَّمْي بالسهام(٣).

قال الشاعر(٤):

وَوَتَّــر الأَسَــاوِرُ الــقَــيَــاسَــا   سَــعْــدِيَّــة تــنــتــزعُ الأنْــفَــاسَــا

﴿وَقَالُوا الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ﴾.

ويجوز الحُزْن مثل الرُّشْد والرَّشَد، والعُرْبُ والعَرَب، ومعنى أذهب عنا الحَزَنَ أذهب عنا كلَّ ما يُحْزِنُ، من حُزْنٍ في مَقَاسٍ أو حُزْنٍ لِعَذابٍ، أَوْ حُزْنٍ للمَوْتِ، وقد أذهب اللَّه عن أهل الجنَّةِ كُلَّ حُزْنٍ.

﴿الذي أَحَلَّنَا دَارَ المُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

---

(١) سورة الانسان الآيتان ١٥، ١٦.

(٢) في الاصل «بياضه».

(٣) الأسوار ـ بضم الهمزة وكسرها ـ قائد الفرس، والجيِّد الرَّمْي.

(٤) قال أبو عبيدة للقلاخ بن حزن المنقري ـ وهو في اللسان (قوس) ـ وذكر معه شطرٌ ثالث هو ـ حتى يقول الأزد لا مساسا ـ في القرطبي ١١/٢٤٠، ومجاز أبي عبيدة ٢/٢٧ ـ ويروى أيضاً صفديه، وصفد اسم جبل، وأيضاً اسم بلد.

مثل الاقامة، تقول: أقمت بالمكان إقامة ومقامةً ومُقَاماً أي أَحَلَّنا دار الخُلُودِ من فَضْله، أي ذلك بتفضله لا بأعْمَالِنَا.

﴿لاَ يَمَسُّنا فيها نَصَبٌ﴾: أي تَعَبٌ.

﴿وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾.

واللُّغُوب الإعياء من التَّعَب. وقد قرأ أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ لَغُوب - بفتح اللام - والضَّمُّ أكثر، ومعنى لَغُوب شيء يَلْغَبُ مِنه، أي لا نتكلف شيئاً نَعْيَا مِنْهُ.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾.

«فيموتوا» نصبٌ. وعلامة النصب سقوط النون، وهو جواب النفي، والمعنى لا يقضى عليهم الموت فيموتوا.

﴿وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾.

أي من عذاب نار جهنم.

﴿كَذَلِكَ يُجْزَى كُلُّ كَفُورٍ﴾.

و ﴿نَجْزِي كلَّ كَفُورٍ﴾. وفيها وجه ثالث: كَذَلِكَ يَجْزِي كلَّ كَفُورٍ، أي كذلك يجزي اللَّهُ، المعنى مثلَ ذلك الجزاء الذي ذكرنا. ولا أَعْلَم أَحَداً قرأ بها، أعني يجزي بالياء وفتحها.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيها﴾: يستغيثون رَبَّنَا أَخرِجْنَا.

المعنى يقولون: ﴿رَبَّنا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَل﴾.

المعنى إن تخرجنا نعمَلْ صَالِحاً، فوبَّخَهُمُ اللَّه فقال:

﴿أَو لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾.

معناه أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكم العُمْرَ الذي يتذكر فيه من تذكر. وجاء في التفسير: لَقَدْ أَعْذَرَ اللَّه إلى عَبْدٍ عَمّرهُ ستين سنةً، ويقال من الستين إلى السبعين. وقد جاء في التفسير أنه يدخل فيها ابنُ سبعَ عَشْرَةَ سَنة وقد قيل أربعين.

﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾.

يعنى النبي ﷺ وقيل الشَّيْبُ. والقولُ الأوّل أن النبي ﷺ النذيرُ أكثرُ التفسير عليه، وقد قيل الأربعين.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَواتِ وَالْأَرْضِ﴾.

القراءة الكثيرة بالخفض[1] ويجوز عالم غيبَ السموات على معنى يعلم، وعالم غيب على معنى قد علم ذلك.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ في الأَرْضِ﴾.

«خلائف» جمع خليفة، المعنى جَعَلَكُمْ أُمَّةً خلفت مَنْ قبلها، ورأت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغي أن يعتبر به.

﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُه﴾.

المعنى فعليه جزاء كفره.

﴿[وَلَا يَزِيدُ الكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ] عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مقْتاً﴾.

المقت أشد الإبغاض.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾.

معناه قل أَخْبِروني عن شركائكم.

---

(١) بإضافة عالم إلى الغيب.

﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأرْضِ﴾.

المعنى بـأي شيء أوجبتم لهم شـركـة اللّه، أبخلق خلقـوه من الأرض.﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَواتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً﴾.

أي أم أعطيناهم كتاباً بما يدعونه من الشركة.

﴿فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ﴾.

ويقرأ بَيِّناتٍ.

﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ ([أي] ما يَعِدُ)، الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلَّا غُرُوراً﴾.

والغرور الأباطِيـلُ التي تغُرُّ، ومعنى إن يعـد: ما يعـد، وبَعْضُهُمْ بَدَلٌ مِنَ الظالمين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَواتِ وَالْأَرْضَ [أَنْ تَزُولاَ]﴾.

معنى يمسك يمنع السماوات والأرض من أن تزولا.

ولما قالت النصارى المسيحُ ابن اللّه وقـالت اليَهُودُ عُـزَيْرٌ ابنُ اللّهِ كـادت السموات يَتَفَـطَّرْنَ منه، وكـادَت الجبال تَـزُول، وكادت الأرض تنشق، قال اللّه: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً. لَقَدْ جِئْتُم شَيْئاً إِدًّا﴾. الثلاث الآيات(١) فأمسكها اللّه.

وقال السَّمواتِ والأرْضَ لأن الأرْضَ تَدُلُّ عَلَى الأرَضِينَ

﴿وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾.

يحتمل هذا ـ واللّه أعلم ـ وجهين من الجواب. أحدهما زوالهما

---

(١) سورة مريم الايات ٨٨، ٨٩، ٩٠ ـ وبقيتها: ﴿تكادُ السَّمواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْه وتَنْشَقُّ الأَرْضُ وتَخِرُّ الجبالُ هَـدًّا. أَنْ دَعْوا للرحمنِ وَلَداً. وَمَا يَنْبَغِي للرَّحْمنِ أن يَتَّخذَ وَلَداً.﴾.

في القيامة قال الله: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾[1] ويحتمل أن يقال إن زالتا وهما لا يزولان[2].

وقوله في هذا الموضع: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾.

فإن قوماً سألوا فقالوا: لِمَ كان في هذا الموضع ذكرُ الحلم والمَغْفِرَةِ وهذا موضع يدل على القدرة. فالجواب في هذا أنه لما أمسك السموات والأرض عند قولهم: ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً﴾. حَلُمَ فلم يعجل لهم بالعقوبة وأمسك السموات والأرضَ أن تزولا من عظم فِرْيَتِهِمْ.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾.

يعني المشركين، وكانوا حَلَفُوا واجتهدوا لَئن جَاءَهُم نَذِيرٌ ليكونُنَّ أَهْدَى مِن إحدَى الأُمَم، أي من اليهود والنصارى وغيرِهِمْ.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾.

وهو محمد ﷺ.

﴿مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُوراً﴾.

إلا أن نفروا عن الحقِّ.

﴿اسْتِكْبَاراً فِي الأَرْضِ﴾.

«استكباراً» نصب، مفعول له. المعنى ما زادهم إلا أَنْ نَفَرُوا للاستكبارِ.

---

(١) سورة التكوير الآية ١١.

(٢) أي زوالهما في هذه الدنيا.

﴿وَمَكْرَ السيّىء﴾ .

أي وَمَكْرَ الشّرك .

﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ : يُحِيطُ .

وقرأ حمزَةُ : ولا يَحيقُ المكْرُ السيءْ على الوقف، وهذا عند النحويين الحذَّاقِ لَحْنٌ، ولا يجوز، وإنما يجوز مثله في الشعر في الاضطرار قال الشاعر :

إذَا اعْوَجَجْنَ قُلتُ صَاحِبْ قَوِّمِ [(١)].

والأصل يا صَاحِبُ قَوِّمِ ، ولكنه حذف مُضْطَراً . وكأنَّ الضَّمُّ بعدَ الكَسْرِ والكسر بعدَ الكسر يستثقل . وأنشدوا أيضاً .

فـاليوم أَشْرَبْ غيـر مستحقب إثـمـاً مـن الـلَّه وَلَا وَاغِـلِ [(٢)]

وهذان البيتان قد أنشدهما جميع النحويين المذكورين وزعموا كلُّهم أن هذا من الاضطرار في الشعر ولا يجوز مثله في كتاب اللَّه . وأنشدناهما أبو العباس محمد بن يزيد رحمه اللَّه :

إذا اعوججن قلت صاحِ قوِّم

وهذا جيِّدٌ بالغ ، وأنشدنا :

فاليوم فَاشْرَبْ غَيرَ مستحقب

وأما ما يروى عن أبي عمرو بن العلاء في قراءته إلى بَارِئْكُم . فإنما هو أن يختلس الكسر اختلاساً ، ولا يَجْزِم بَارِئكم ، وهذا أعني

---

(١) تقدم .

(٢) تقدم . وما هنا ليس من هذا إنما هو من إدغام المثلين . إذ هما همزتان .

جزم بارئكم إنما رواه عن أبي عمرو من لا يضبط النحو كضبط سيبويه والخليل، ورواه سيبويه باختلاس الكسر، كأنه تقلَّلَ صَوْتَه عند الكسرة.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلَّا سُنَّةَ الأَوَّلِينَ﴾.

معناه فهل ينتظرون إلَّا مثلَ أيّام الَّذينَ خَلَوْا من قَبْلِهِمْ، والمعنى فهل ينتظرون إلا أن ينزل بهم من العذاب مثلُ الذي نزل بمن قبلهم.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيءٍ﴾.

المعنى لَيفُوتَه من شيءٍ من أَمْر السَّموات ولا مِنْ أَمْرِ الأَرْضِ.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾.

قالوا: قال على ظهرها[1]، لأن المعنى يُعْلَم أنَّهُ على ظهر الأرض، وهذا حقيقتُه أَنَّهُ قد جرى ذكر الأرض بقوله فيما قَبْلَ هذه الآية يليها قوله:﴿وما كان اللَّه ليُعْجِزَهُ من شيءٍ في السموات ولا في الأرض﴾ فلذلك جاء على ظهرها.

وقوله:﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾.

فيه قولان، فقيل مِن دَابَّةٍ من الانس والجن وكل ما يعقل. وجاء عن ابن مَسْعُودٍ كادَ الجُعَل يهلكُ في جُحْرِه لذَنْبِ ابن آدم. فهذا يدل على العموم. والَّذِي جاء أنه يُعْنَى به الانسُ والجِنُّ كأنه أشبه، واللَّه أعلم.

آخر سورة الملائكة.

---

(١) أي ولم يقل على ظهر الأرض.

سُورَة يس
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

جاء في التفسير ﴿يسۤ﴾ معناه يا إنسانُ، وجاء يا رجل وجاء يا محمَّدُ والذي عند أهل العربية أنه بمنزلة «الۤمۤ» افتتاح السُّورَةِ، وجاء أن معناه القسم، وبعضهم أعنى بعضَ العَرَب تقول: يَاسِنَ وَالقُرْآنَ بفتح النون، وهذا جائز في العربية، والتسكين أجودُ لأنها حروف هجاء. وقد شرحنا أشباه ذلك. فأما من فتح فعلى ضربين، على أن «يسۤ» اسم للسورة حكاية كأنه قال: اتْلُ يس، وهو على وزن هابيل وقابيل لا ينصرف، ويجوز أن يكون فتحَ لالتقاء الساكنين.

وقوله جل وعز: ﴿وَالْقُرآنِ الحَكِيمِ﴾.

معناه أن آياتِه أحكمتْ وَبُيِّنَ فِيهَا الأمْرُ والنَّهيُ والأمثال وأقاصيص الأمم السالفة.

﴿إِنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ﴾.

هذا خطاب لمحمد ﷺ وهو جَوابُ القَسَمِ جواب «والقُرْآن إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

[أي] على طريق الانبياء الذين تقدموك. وأحسن ما في العربية أن يكون «لَمِنَ المرسلين» خَبرُ «إن» ويكون «على صراط مستقيم»

خبراً ثانياً، فالمعنى انك لمن المرسلين الذين أرسلوا على طريقة مستقيمة.

وقوله ـ عز وجل ـ : ﴿تَنزِيلَ العَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾.

تقرأ تنزيلٌ ـ بالرفع والنصب ـ فمن نصب فعلى المصدر على معنى نَزَّلَ اللَّه ذلك تنزيلا. ومن رفع فعلى معنى الذي أنزل اليك تنزيل العزيز الرحيم.

﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾.

جاء في التفسير لتنذر قوماً مِثْلَ مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ، وجاء لتنذر قوماً لم يُنْذَرْ آبَاؤهم، فيكونُ مَا جُحْداً ـ وهذا ـ واللَّه أعلم ـ الاختيار، لأن قوله «فَهُمْ غَافِلُونَ» دليل على معنى لم ينذر آباؤهم وإذا كان قد أنذر آباؤهم فهم غافلون ففيه بُعْدٌ، ولكنه قد جاء في التفسير. ودليل النفي قوله :﴿وما آتيناهم مِنْ كُتُبٍ يدرُسُونها وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾[1]. ولوكان آباؤهم منذرين لكانوا مُنْذَرِينَ دَارِسِين لكتب ـ واللَّه أعلم.

﴿لَقَدْ حَقَّ القَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾.

القول ههنا ـ واللَّه أعلم ـ مثل قوله:﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ العَذَاب عَلَى الكَافِرِينَ﴾[2]. المعنى لقد حق القول على اكثرهم بكفرهم وعِنَادِهم. أَضَلَّهم اللَّه وَمَنَعَهُمْ مِنَ الهُدَى.

---

(١) سورة سبأ آية ٤٤.

(٢) سورة الزُّمَر الآية ٧١.

وقوله جل وعز ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً﴾.

وقرأ ابن عباس وابن مسعود رحمهما اللّه: إنا جعلنا فِي أيْمَانِهِمْ. وقرأ بعضهم في أَيْدِيهم أَغلَالاً، وهاتان القراءتان لا يجب أن يقرأ بواحدة منهما(١) لأنهما بخلاف المصحف.

فالمعنى في قوله في أعناقهم ومن قرأ في أيمانهم ومن قرأ في أيديهم فمعنى واحدٌ. وذلك أنه لا يكونُ الغُلُّ في العنقُ دُونَ اليَدِ ولا في اليد دون العُنُق، فالمعنى إنا جعلنا في اعْنَاقِهِمْ وفي أيمانهم أَغْلَالاً.

﴿فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ﴾.

كناية عن الأيدي لَا عن الأعناق، لأنَّ الغُلَّ يجعل اليد تلي الذَّقْنَ، والعُنُق هو مُقَارِبٌ للذَّقَن، لَا يجعَلُ الغُلُّ العُنَقَ إلى الذَّقَنِ.

وقوله: ﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾.

«المُقْمَحُ» الرافع رأسِه النَّاصُّ بَصرِه، وقيل للكانونين شَهْرَا قُمَاح(٢) لأن الإبل إذَا وَرَدَتْ الماءَ ترفع رُءوسَها لِشدَّةِ بَرْدِه، ولذا قيل شهرا قِمَاحٍ، وإنما ذكرت الأعناق ولم تذكر الأيدي إيجازاً واختصاراً لأن الغل يتضمَّنُ العُنُقَ واليَدَ. ومن قرأ في أيمانهم فهو أيضاً يدل على العُنُق، ومثل هذا قول المثقّب(٣):

وما أدري إذا أممت أرضاً ... أُرِيدُ الخير أيُّهما يليني

أأَلخير الذي أَنَا أبْتَغِيه ... أَمِ الشرُّ الذي هُوَ يَبْتَغِينِي

---

(١) في الأصل بواحدة منها.

(٢) الشهران الشديدا البرد ـ كانون الأول وكانون الثاني ـ أي ديسمبر وديناير. وقِماح كَكِتاب وغُرَابٍ، ويقال: قمح البعير إذا رفع رأسه ممتنعاً من الشرب.

(٣) من نونية المثقب العبدي ـ تقدم بيت منها. وانظر حـ ١/ ٤٨.

وإنمـا ذكر الخيـر وحـده، ثم قـال أَيُّهمـا يليني، لأن قـد علم أَنَّ الانسان الخيرُ والشر مُعرَّضَانِ له، لا يـدري إذا أَمَّ أَرْضاً أَيَلْقاه هذا أم هذا، ومثله من كتاب اللَّه:﴿سَـرَابِيلُ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾[1]، ولم يذكـر البرد، لأن ما وَقَى هذا وَقَى هذا.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾.

وسُدًّا ـ بالفتح والضَّمِّ ـ ومعناهمـا واحدٌ. وقـد قيل: السَّـدُّ فعل الانْسَـانِ والسُّد خلقـة المسدود. وفيـه وجهان: أحـدهمـا قـد جـاء في التفسيـر، وهو أَنَّ قـوماً أرادوا بـالنبي ﷺ سـوءاً فحـال اللَّه بينهم وبين ذلك فجعلوا بمنزلة من هذه حاله، فجعلوا بمنزلة من غُلَّتْ يمينـه وسُدَّ طـريقه من بين يـديه ومن خَلْفِـهِ وَجُعِلَ على بَصَـرِهِ غِشَاوةٌ، وهـو معنى ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾.

. ويقـرأ فَأَعْشَيْنَـاهُمْ بـالعَيْن غيـر معجمـة، فحـال اللَّه بينهم وبين رسـوله وكـان في هؤلاء أبو جهـل فيما يُـرْوَى، ويجوز أن يكـون وَصَفَ إضْـلاَلَهُم فقال: إنَّـا جَعَلْنَا فِي أَعْنَـاقِهِمْ أَغْـلاَلاً فَهِيَ إِلَى الأذْقَـانِ، أي أضللنـاهم فـأمسكنـا أيـديهم عن النفقـة في سبيـل اللَّه والسَّعيِ فيمـا يقـرب إلى اللَّهِ ﴿وَجَعلنـا من بين أيـديهم سـدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾، كمـا قال: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ الآية[2].

والدليل على هذا قوله:﴿وَسَواء عَلَيْهِمْ أَأَنْـذَرْتَهُـمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾، لأن من أضله اللَّه هذا الإضلال لـم ينفعه الإنذار.

﴿إِنَّما تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾.

---

(١) سورة النحل الآية ٨١.

(٢) سورة البقرة الآية ٧ وبقيتها: ﴿وَعَلى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

أي من استمع القران واتبعه.

﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالغَيْبِ﴾.

أي خاف اللّه من حيث لا يراه أحدٌ.

﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾.

المعنى من اتبع الذكر وخشي الرحمن فبشره بمغفرةٍ وَأَجْرٍ كريمٍ.

المغفرة هي العفو عن ذنوبه، وأجر كريم بالجنة.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي المَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وآثارَهُمْ﴾.

ما أسلفوا من أعْمَالِهم، ونكتب آثارهم أي من سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً كُتِبَ له ثوابها، ومن سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كتبَ عَليه عقابها، وقد قيل: وتكتب آثارهم أي خُطَاهُمْ، والأول أكثر وأبْيَنُ.

﴿واضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً﴾.

«مثلاً» مفعول منصوب به، معنى قول الناس: اضرب له مثلاً أي اذكر له مثلاً، ويقال: عندي من هذا الضرب شيء كثير، أي مِنْ هـذَا المِثَال وتقول: هـذه الأشياء على ضرب واحد أي عَلَى مِثَالٍ واحدٍ، فيعني اضرب لهم مثلاً: مثل لهم مَثَلاً.

وقوله: ﴿أَصْحَابَ القَرْيَةِ﴾.

أي خبر أصحاب القرية.

﴿إِذْ جَاءَهَا المُرْسَلُونَ﴾.

جاء في التفسير أنهم أهل إنطاكيّة، وجه إليهم عيسى اثنين فَكَذَّبُوهُمَا قال: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾.

ويقرأ فَعَزَزْنا - بالتشديد والتخفيف - ومعنى فعززنا فقوَّيْنَا وشدَّدْنَا الرسالة بثالث أي برسول ثالث

﴿فقَالُوا إنَّا إلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾: إلى قوله ﴿البَلَاغُ المُبِينُ﴾[1].

فأعلمهم الرُّسُلُ إنما عليهم البلاغُ.

﴿قَالُوا إنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾: أي تَشَاءَمْنَا.

﴿لَئِن لم تنهتوا لنرجُمَنَّكُمْ﴾.

أي لنقتلنكم رَجْماً.

﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ [مَعَكُمْ]﴾ ويجوز طَيْرُكُم معكم.

لأنه يقال طَائرٌ وَطَيرٌ في معنى واحد، ولا أعلم أحَداً قرأ ههنا طيركم بغير ألف، والمعنى قالوا شُؤْمُكُم مَعَكُمْ.

﴿أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾.

أي أإن ذكرتم تَطَيَّرتم، ويقرأ أَأَنْ ذُكِّرتم، أي لأن ذكِّرْتُمْ.

وقوله:﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى المَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾.

هذا رجل كان يعبد اللّه في غارٍ في جَبَلٍ، فلما سمع بالمرسلين جاء يسعى، أي يَعْدُو إليهم، فقال: أتريدون أَجْراً على ما جئتم به فقال المرسلون: لا، وكان يقال لهذا الرجل فيما رُوي حبيبُ النجار

(١) بقية الآية: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْـزَلَ الرَّحْمَن مِنْ شَيءٍ إنْ أَنْتُمْ إلَّا تَكْـذِبُونَ، قـالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إنَّا إلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إلَّا البَلَاغُ المُبِين﴾.

فأقبل على قومه فقال: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ، اتَّبِعُوا من لاَ يَسْالكم اجرا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿فاسمعون﴾[1].

فأشهد الرسلَ على إيقانِه ـ قال قتادة: هذا رجل دَعَا قومه إلى اللَّه ومحَّضَهُمُ النَّصِيحَةَ فقتلوه على ذلك وأقبلوا يرجمونه وهو يقول: اللهم اهد قومي اللهم اهد قومي، فأدخله اللَّه الجنة فهو حي فيها يرزق، والمعنى فلما عَذَّبَهُ قومه، ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾.

فلما شاهدها قال:﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾.

أي بمغفرة ربي لي، ﴿من المكرمين﴾ أي من الْمُدْخَلِينَ الجنَّةَ، وقيل أيْضاً بما غفر لي ربي أي ليتهم يعلمون بالعمل والايمان الذي غفر لي به رَبِّي، ويجوز «بِمَ غَفَرَ لِي رَبِّي»، على معنى بأي شيء غفر لي ربي، ويجوز أن يكون «بما» في هذا المعنى بإثبات الألف، تقُول: قد علمت بما صَنَعْتَ هذا، وقد علمت بم صنعت هذا، أي قد علمت بأي شيء صنعت هذا، وحذفُ الألف في هذا المعنى أجود.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾.

المعنى لم نُنزِلْ عَلَيْهِمْ جُنْداً، لم نَنْتَصِرْ للرّسول الذي كَذَّبُوهُ بِجُنْدٍ.

ومعنى ﴿إنْ كَانَتْ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾.

ما كانت الا صيحة واحدةً، إلاَّ أَنْ صِيحَ بهم صيحة واحدة فماتوا

---

(١) بقية الآية: ﴿وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، أأتخذ من دُونِهِ آلِهَةً إنْ يُرِدْنِي الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لاَ تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنْقِذون. إني إذَنْ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ، إني آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾.

معذبين بها، ويقرأ إلّا صيحةٌ وَاحِدةٌ ـ قَرَأ بها أَبُو جَعْفَرٍ المدني وحدَهُ، وهي جيدة في العربية، فمن نصب فالمعنى ما وقعت عليهم عقوبـة الاَّ صيحةً واحدةً[1].

﴿فإذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾.

أي ساكنون قَدْ ماتُوا وصاروا بمنزلة الرماد الخَامِدِ الهَامِدِ.

﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾.

وقرئت يا حسـرةَ الْعِبادِ بغيـر على، ولكنني لا أحب القراءة بشيء خـالف المصحف ألبتَّةَ. وهـذه من أصعب مسألـة في القرآن، إذا قـالَ القَائِلُ: ما الفائدة في مناداة الحسرة، والحسرة مما لا يجيب فالفـائدة في مناداتها كالفائدة في مناداة ما لا يعقل، لأن النـداء باب تنبيـه، إذَا قلت يا زيدُ فإن لم تكن دعوته لتخاطبه لِغير النداء[2] فلا معنى للكلام، إنما تقول يا زيد فتنبهه بالنداء ثم تقول له: فعلت كذا وافعل كذا، وما أحببت مما له فيه فائدة، ألا ترى أنـك تقولُ لِمَنْ هُـوَ مُقْبِلٌ عَلَيْـكَ: يا زيـد ما أَحْسَنَ مَـا صَنَعْتَ، ولو قلت لـه: ما أَحْسَن مَـا صَنَعْتَ كنت قد بلغت في الفائدة ما أفهمت به، غير أن قولك يا زيد أوكد في الكـلام، وأبلغ في الافهام. وكذا إذا قلت للمخاطب أنا أعجب مما فعلتَ، فقد ١
أَفَدْتَه أنك متعجب، ولو قلت: وأعجباه مما فعلت، ويـا عجباه أتفعـل كـذا وكذا، كـان دعـاؤك العجب أبلغَ في الفـائـدة. والمعنى يَـا عَجبُ أقبل، فإنه من أوقاتك، وإنما نَداءُ العَجَبِ تنبيه لتمكن علم المخاطب بالتعجب من فعله، وكذلك إذَا قُلتَ: ويلٌ لزيدٍ أَوْ وَيـلَ زَيْدٍ: لم فعـل

(١) يقتضي هذا التحليل أن يكون هذا استثناء تاماً موجباً، وليس كذلـك، إنما هـو استثناء مفـرغ، وصيحة خبر كان. ومن رفع اعتبر كان تامة، أي ما حدث الا صيحة وَاحِدةٌ.

(٢) أي لتذكر شيئاً بعد النداء تريده من المنادي.

كـذا وكذا كـان أبلغ. وكذلـك في كتاب اللّه ـ عـز وجل ـ: ﴿يَـا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وأَنَا عَجُـوزٌ﴾[1] وكذلـك ﴿يَا حَسْـرَتَا عَلَى مَـا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهُ﴾[2]، وكذلك ﴿يا حَسْرةً على العِبَادِ﴾.

والمعنى في التفسيـر أن استهـزاءهم بـالـرُّسُـل حَسْـرةٌ عليهـم، والحَسْـرَةُ أن يَرْكَبَ الإنسـانَ مِنْ شِدَّة النَّـدَمِ ما لا نهـاية لـه بعده حتى يبقى قلبُه حَسِيراً.

وقوله عز وجل:﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ من القُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

[أي] فيخافون أن يعجّل لَهُم في الدنيا مثلُ الـذي عُجّل لغيـرهم مِمَّن أُهْلِكَ، وأنهم مع ذلك لا يعودون إلى الدنيـا أبداً، ومـوضع «كم» نصبُ بـأهلكنـا، لأن «كَـمْ» لا يعمـل فيهـا مـا قبلهـا، خبـراً كـانت أو استفهاماً. تقول في الخبر: كم سِرْتُ، تـريد سرت فراسخ كثيـرةً، ولا يجوز سرت كم فرسخاً، وذلك أن كم في بابها بمنزلة رُبَّ، وأن أصلها الاستفهام والابهام، فكمـا أنك إذا استفهمت فقلت للمخـــاطب: كم فرسخاً سرت لم يجز سرتَ كم فرسخاً، لأن الاستفهام لا يعمـل فيه مـا قبله، فكذلك إذا جُعِلَتْ كم خَبَراً فالابهامُ قائم فيها، و «أَنَّهُمْ» بدل من معنى ﴿ألم يروا كم أهلكنا﴾. والمعنى ألم يـروا أن القرون التي أهلكنـا أنهم لا يرجعون.

ويجوز﴿إِنَّهم لا يَرْجِعُـونَ﴾ بكسر «إنَّ» ومعنى ذلـك الاستئنـاف، المعنى هم إليهم لا يَرْجِعُون.

---

(١) سورة هود الآية ٧٢.

(٢) سورة الزمر الآية ٥٦.

وقوله عز وجل:﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرونَ﴾.

من قرأ بالتخفيف [لَمَا] فما زائدة موكدة، والمعنى إنْ كل لجميع لدينا مُحْضَرُونَ، ومعناه وَمَا كُلٌّ إلاَّ جميعٌ لدينا [مُحْضَرونَ]. ويقرأ لمَّا بالتَّشْدِيد ومعنى «لما» ههنا «أَلَّا»، تقول سألتك لَمَّا فعلت.

وتفسير الآية أنَّهم يحضرون يومِ القيامة فيقفون على ما عملوا.

وقوله: ﴿وآيـةٌ لَهُمُ الأرضُ المَيْتَـةُ أَحَيْيْنَـاهَـا﴾: ويقرأ بالتشديد[1] وأصل الميْتة الميِّتَـة، والأصل التشديد، والتخفيف أكثر، وكلاهما جائز. وآية مفروعة بالابتداء، وخبرها «لَهُمْ»[2] أي وعلامة تدلهم على التوحيد وأَن اللَّه يبعث الموتى إحياءَ الأرض الميتَـةِ. ويجوز أن يكون آية مرفوعة بالابتداء، وخبرها الأرض الميتة.

وقوله:﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ العُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾.

ويجوز ثُمْره ـ بإسكان الميم وضَمّ الثاء.

﴿وَمَا عَمِلَتْه أَيْدِيهِمْ﴾.

ويقرأ عملت بغير هاء، وموضع «ما» خفض. المعنى ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم، ويجوز أن تكون «ما» نفياً، على معنى ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيْدِيهِمْ. هذا على إثبات الهاء، وإذا حذفت الهاء فالاختيار أن يكون «ما» في موضع خفض، ويكون «ما» في معنى الذي، فيحسن حذف الهاء[3]، ويكون هذا على قوله:

---

(١) في الميتة.

(٢) الخبر هو الأرض الميتة.

(٣) عائد الصلة بعد الفعل المتعدي.

﴿أَفَرَأَيْتُم مَا تَحْرُثُونَ. أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعُونَ﴾[1].

وقوله:﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾.

﴿سبحان﴾ تَبْرِئَةُ اللَّه من السُّوءِ وتنزيهه. ومعنى الأزواج، الاجناس كلها من النَّبات والحيوان وغيرها.

﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾.

مما خلق اللَّه من جميع الأنواع والأشباه.

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾.

ومعنى نسلخ نُخْرِجُ منه النهار اخراجاً لا يبقى معه شيء من ضوء النهار، وذلك من العلامات الدالة على توحيد اللَّه وقدرته.

﴿والشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾.

المعنى وَآيَةٌ لَهُمُ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا.

أي لأجَلٍ قَدْ أُجِّلَ لَهَا وقدِّرَ لها. ومن قرأ «لا مُسْتَقَرَّ لها» فمعناه أنها جارية أبداً لا تثبت في مكانٍ.

﴿والْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾.

يقرأ بالرَّفْع والنصب، فمن نصب فعلى «وَقَدَّرْنَا القَمَرَ مَنَازِلَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ» والرفع على معنى وآية لهم القَمَرُ قَدَّرْنَاهُ، ويجوز أن يكون على الابتداء وقدرناه الخبر.

﴿حَتَّى عَادَ كَالعُرْجُونِ القَدِيمِ﴾.

العُرجونُ عودُ العِذقِ الذي يسمى الكباسة وحقيقة العرجون

---

(١) سورة الواقعة الآيتان ٦٣، ٦٤، أي أرأيتم الذي تحرثونه.

أنـه الـعـود الـذي عـليـه الـعـذق، والـعـرجـون عـود الـعـذق الـذي تـركبـه الشمـاريـخ من الـعـذق، فـإذَا جَفَّ وَقَـدُمَ دَقَّ وَصَغُـرَ فحينئذ يشبه الهِلاَلَ في آخر الشهر، وفي أول مطلعه[1].

وتقدير «عُرْجُون» فُعْلُول. منَ الانعراج.

﴿لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أنْ تُدْرِكَ القَمَرَ﴾ الآية[2].

المعنى لا يذهب أحدهما بمعنى الآخر.

﴿وَكُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

لكـل وَاحِدٍ منهمـا فَلَكٌ، ومعنى يسبحون يَسيـرُونَ فيه بـانبساط، وكل من انبسط في شيء فَقَدْ سَبحَ فيه، ومن ذلك السباحة في الماء.

﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ في الفُلْكِ المَشْحُونِ﴾.

خـوطب بهذا أَهْـلُ مَكَّةَ، وقيـل حَمَلْنَـا ذُرِّيَّتَهُمْ لأن من حمـل مع نـوح عليه السـلام في الفلك فهم آباؤهم، وذُرِّيـاتُهُمْ، والمشحـون في اللغة المملوء، شحنت السفينة إذا ملأتها، وشحنت المدينة وأشحنتهـا إذا مَلأتها.

وقوله:﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾.

الأكثر في التفسير أن مِنْ مِثْلِه من مثل سفينة نوح، وقيل من مثله يُعْنَى به الابل، وأن الابل في البريَّةِ بمنزلة السُّفُنِ في البحر.

﴿وإنْ نَشَأْنُغْرِقْهُمْ فَلاَ صَرِيخَ لَهُمْ﴾.

أي فلا مُغِيثَ لهم.

(١) قولان إذن في العَرجون، وفي القاموس أنَّهُ العذق إذا يبس واعْوَجّ أو أصله أو عود الكباسة.

(٢) بقيتها: ﴿وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

﴿إلاَّ رَحْمَةً مِنَّا﴾.

منصوبة مفعول لها، المعنى: ولا يُنْقَذُونَ إلَّا لرحمة منا ولِمَتَاعٍ إلى حِينٍ. إلى انقضاء الأجل.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾.

ما أسلفتم من ذُنُوبكم، وما تعملونه فيما تستقبلون، وقيل ما بين أيديكم وَمَا خلفكم، على معنى اتَّقُوا أن ينزل بكم من العذاب مثلُ الذي نزل بالأُمَمِ قَبْلَكُمْ، وَمَا خَلْفَكُمْ، أي اتقوا عذاب الآخرة. وَمِثْلُه.

﴿فَإِن أعرضوا فَقَدْ أَنْذَرْتُكُم صَاعِقَةً مثلَ صاعِقَةِ عادٍ وثمود﴾[1].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾.

أي أطعموا وتصَدَّقُوا.

﴿قَالَ الَّذِين كَفَـرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾.

كأنهم يقولون هذا على حد الاستهزاء. وجاء في التفسير أنَّها نَزَلَتْ في الزنادقة، وقيل في قوم من اليهود.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

متى إنجاز هذا الوَعْد، أردنا ذلك.

﴿مَا يَنْظُرُونَ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾.

في يَخِصّمُون أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ. سكونُ الخاء والصاد مع تشديد الصَّادِ على جمع بين ساكنين، وهو أشد الأربعة وَأَرْدَؤُهَا، وكان بعض من

(١) سورة فصّلَتْ الآية ١٣.

يروي قراءة أهل المدينة يذهب إلى أن هذا لم يُضْبَطْ عن أهل المدينة كما لم يضبط عن أبي عَمْرٍو إلى بارِئكم. وإنما زعم أن هذا تُخْتَلَسُ فيه الحركة اختلاساً وهي فتحة الخاء، والقول كما قال. والقراءة الجيِّدَة «يَخَصِّمُونَ» بفتح الخاء، والأصل يَخْتَصِمُونَ، فطرحت فتحة التاء على الخاء، وأدغمت في الصاد، وكسرُ الخاء جَيِّدٌ أيضاً ـ تكسر الخاء لِسُكُونِها وسُكُونِ الصَّاد، وَقُرِئَتْ يختصمون، وهي جيدة أيضاً ومعناها يأخذهم وبعضهم يَخْصِمُ بَعْضاً، ويجوز أن يكون تأخذهم وهم عِنْدَ أَنْفُسهم يخصمون في الحجة في أنهم لا يبعثون، فتقوم الساعة وهم متشاغلون في متصرفاتهم.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾.

لا يستطيع أحد أن يوصي في شيء من أَمْرِهِ.

﴿وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾.

لا يلبث إلى أن يصير إلى أهله ومنزله. يموت في مكانه.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾.

الصور كما جاء في التفسير القرن الذي ينفُخ فيه اسْرافيلُ، وقد قال أَبُو عُبَيدة: إنَّ الصُّورَ جمعُ صُورَة، وصورة جمعها صور، كما قال اللَّه عز وجل: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[1] وما قرأ أحد أحْسنَ صُورَكُمْ وَلَا قرأ أحد: وَنُفِخَ في الصُّوَرِ من وجه يثبُتُ.

والأجداث القبور، واحدها جَدَثٌ، وَيَنْسِلُونَ: يخرجون بسرعة.

وقوله: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾.

هذا وقف التمام، وهذا قول المشركين.

---

(١) سورة التغابُن الآية ٣.

وقوله:﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾.

«هذا» رفع بالابتداء، والخبر «ما وعد الرحمن»، وهذا قول المشركين، أعني هذا ما وعد الرحمن، ويجوز أن يكون «هذا» من نعت مرقدنا على معنى من بَعَثَنا من مَرْقَدِنَا هَذَا الذي كنا راقدين فيه، ويكون ما وعد الرحمن وصدق المرسلون على ضربين، أحدهما على إضمار هذا، والثاني على اضمار حق، فيكون المعنى حق ما وعد الرحمن. والقول الأول أعني ابتداء هذا عليه التفسير، وهو قول أهل اللغة.

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾.

وإلا صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ، وقد مضى إعْرَابُهما.

﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾.

فالمعنى إن إهلاكَهُمْ كان بصيحة وبعثهم وَإِحْيَاءَهم بصيحة.

﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

المعنى من جوزي فإنما يجازى بعمله.

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغلٍ فَكِهُونَ﴾.

و﴿فاكهون﴾ تفسيره فرحون. وجاء في التفسير أَنَّ شُغْلَهُمْ افتضاض الأبكار، وقيل في شغل عما فيه أهل النار، ويقرأ في شُغُلٍ وَشُغْلٍ وَشُغْل وشَغَل. يجوز في العربية.

وقوله عز وجل:﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ﴾.

وظُلَلٍ، ويجوز ظُلُلٍ.

﴿عَلَى الأَرَائِك مُتَّكِئُونَ﴾.

وهي الفرش في الحجال[1]، وَقِيلَ إنَّهَا الفرش، وقيلَ الأسِرَّةُ، وهي على الحقيقة الفرش كانت في حجال أو غير حجال.

﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾.

أي ما يَتَمَنَّوْنَ، يقال: فلان في خَيْرِ مَا ادَّعَى، أي ما تمنّى، وهو مأخوذ من الدعاء. المعنى كل مايدعو أهلُ الجَنَّةِ يَأْتِيهِمْ.

﴿سَلَامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾.

«سلام» بدل من «ما» المعنى لهم ما يتمنون به سلام، أي وهذا مُنَى أهل الجنة أن يسلِّمَ اللَّه -عز وجل- عَلَيْهِم، وقولاً منصوب على معنى لهم سلام يقوله اللَّه -عز وجل- قَوْلاً.

﴿وَامْتَازُوا اليَوْمَ [أَيُّهَا المُجْرِمُونَ]﴾.

أي انفردوا عن المؤمنين.

﴿أَلَمْ أَعْهدْ إِلَيْكُمْ﴾.

وتقرأ أعْهِدْ - بالكسر، والفتحُ أكثر، على قولك عَهِدَ يَعْهَدُ. والكسر يجوز على ضربين على عَهدَ يَعْهِدُ، وعلى عهِدَ يَعْهِد مثل حَسِبَ يَحْسِبُ، ومعناه ألم أتقدم إليكم بِعَهْدِ الإيمان وترك عبادة الشيطان.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جُبْلاً﴾.

ويقرأ ﴿جِبِلًّا﴾-بكسر الجيم والباء، ويُقْرأ جُبُلًّا - بضم الجيم والباء

---

(١) واحدتها حجلة، وهي كالقبة، وشيء يزين بالثياب والستور للعرائس.

ـ وتُقْرَأُ جُبْلًا على إسكان الباء وضم الجيم، ويجـوز جَبْلًا بفتـح الجيم وَجِبْلًا بكسر الجيم، ويجوز أَيْضاً جِبَلًا ـ بكسر الجيم وفتح البـاء بغيـر تشديد اللام، على جمع جِبْلَةٍ. وجِبَـل، والجِبْلَةُ في جميع ذلـك معناه خليقة كثيرة وخلقٌ كثير.

وقوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾.

المطموس الأعمى الذي لا يُتَبَيَّن له جَفْنٌ. لَا يُرَى شَفْرُ عينه، أي لو نشاء لأَعْمَيْنَاهُمْ فعدلوا عن الطريق فمن أَيْنَ يُبْصِـرونَ لو فعَلْنـا ذلك بِهم.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾.

ومكاناتهم، والمكانة والمكانُ في معنىً وَاحِدٍ.

﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾.

أي لم يقدروا على ذَهاب وَلَا مَجِيءٍ.

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ﴾.

وَ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ وَنَنْكِسْهُ، يقال نكسْتُه أَنْكُسُـه وأَنْكِسُهُ جميعـاً، ومعناه من أطَلْنا عُمْرَهُ نَكَّسْنَا خلقه، فَصَارَ بدلُ القوة ضَعْفاً وَبَدَلُ الشَّبَابِ هَرَماً.

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾.

أي ما علمنا محمداً ﷺ قولَ الشِّعْرِ، وما ينبغي لـه أي ما يتسهـل له ذلك.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرآنٌ مُبِينٌ﴾.

أي الـذي أتى به النبي ﷺ وزعم الكفـار أنه شعـر ما هـو بشعـر.

وَلَيْسَ يوجب هذا أن يكون النبي لم يتمثل ببيت شعر قط. إنما يوجب هذا أن يكون النبي عليه السلام ليس بشاعر، وأن يكون القرآن الذي أتى به من عند اللّه، لأنه مُبَاينٌ لكلام المخلوقين وأوزان أشعار العرب، والقرآن آية مُعجزةٌ تدل على أن نبوة النبي ﷺ وآياته ثابتة أبداً.

وقوله:﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾.

يجوز أن يكون المضمر في قوله «لِيُنْذِرَ» النبي عليه السلام. وجائز أن يكون القرآن

ومعنى :﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾.

أي من كان يعقل ما يخاطب به، فإن الكافِرَ كالميِّت في أنه لم يتدبَّرْ فَيَعْلَمَ أن النبي ﷺ وما جاء به حق.

﴿وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

ويجوزُ وَيَحُقَّ القَوْلَ، أي يوجب الحجة عليهم. ويجوزُ لِتُنْذِر من كان حيًّا - بالتاء - خطاب للنبي ﷺ. ويجوز لِيَنْذَرَ أَيْ لِيَعْلَمَ، يقال نَذِرْتُ بكذا وكذا، أَنْذَرُ مثل عَلِمْتُ أَعْلَمُ.

وقوله:﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾.

معنى «مالكون»، ضابطون، لأن القَصْدَ ههنا إلى أنها ذليلةٌ لَهُمْ ألا ترى إلى قوله ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ ومثله مِنَ الشِّعر(١):

---

(١) من شعر الربيع بن ضبع الفزاري - من المعمرين يقال إنه نيف على المائتين، يصف ضعفه عن الحرب وعجزه عن احتمال الرياح والبرد، وبعده:

والذائب اخشاه ان مررت به وحدي وأخشى الرياح والمطرا

والبيت في الخزانة ٣/٣٠٨، وكتاب سيبويه ١/٤٦ (١/٨٩) ت هرون.

أصبحت لا أحمــل الســلاح ولا أمْـلِكُ رأسَ الـبَـعِـيــر إن نَـفَــرا

أي لا أضبط رأس البعير.

وقوله: ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾.

معناه مَا يَرْكَبُونَ، والدليل قراءة من قرأ «فَمِنْهَـا رَكُوبَتُهـمْ» ويجـوز رُكُوبُهم - بضم الراء ولا أعلم أحداً قرأ بها، على معنى فمنها رُكُـوبُهم وأكلُهُم وَشُرْبُهُمْ.

﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾.

أي هم للأصنام ينتصرون، والأصنام لا تستطيع نصرهم.

وقوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ الآية[1].

جاء في التفسير أن أُبَيَّ بن خَلَفٍ جـاء إلى النبي ﷺ بعظمٍ بَـالٍ ففركه ثم ذَرَّاهُ، وقال مَنْ يحيي هذا، فكان جوابه:

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

فابتداء القُدْرَةِ فيه أَبينُ منها في الاعادة، ويقـال إن عبد اللّه بن أُبيّ كـان صاحب القصَّـةِ؛ ويقال العـاص بن وائـل. وأعْلَمهـم أن خلق السموات والأرض أبلغ في القدرة، وعلى احياء الموتى فقال:

﴿أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّموات وَالأَرْضَ﴾ الآية.

وقـال في مـوضـع آخـر: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَـرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾[2].

---

(١) بقيتها: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِ العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾.

(٢) سورة غافر الآية ٥٧.

وقال:﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

معناه تنزيه الله من السوء ومن أن يوصف بغير القدرة، الذي بيده ملكوت كل شيء أى القدرة على كل شيء.

﴿وإليه تُرْجَعُونَ﴾.

وَتَرْجِعُونَ أي هو يبعثكم بعد موتكم.

سُورَةُ وَالصَّافَّاتِ

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿والصَّافَّاتِ صَفًّا﴾.

أكثر القراءة تبيين التاء، وقد قرئت على إدغام التاء في الصَّادِ، وكذلك ﴿فَالزَّجِرَاتِ زَجْراً﴾.

فإن شئت أدْغمت التاء في الزَّاي، وإن شئت بَيَّنْتَ، وكذلك ﴿فالتَّالِيَاتِ ذِكْراً﴾.

﴿إنَّ إلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾.

أقسم بهذه الأشياء - عز وجل - أنه وَاحِدٌ. وقيل معناه ورَبِّ هذه الأشياء إنه وَاحد.

وتفسير الصافات أنها الملائكة، أي هم مطيعون في السماء يسبحون اللَّه - عز وجل - فَالزَّاجِراتُ، رُوِيَ أن الملائكةَ تزجر السَّحاب، وقيل: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً﴾: كل مَا زَجَرَ عَنْ مَعْصِية اللَّه.

﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً﴾.

قيل الملائكةُ، وجائز أن يكون الملائكة وغيرهم أيضاً مِمَّنْ يَتْلُونَ ذِكْرَ اللَّه.

﴿وربُّ المَشَارِقِ﴾ [والمغَارِبِ]

قيلِ المشارق ثلاثمائة وستون مشرقاً، ومثلها مِنَ المَغَارِبِ.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الكَوَاكِبِ﴾.

على إضافة الزينة إلى الكواكب، وعلى هذا أكثرُ القِراءَةِ، وقد قرئت بالتنوين وَخَفْضِ الكواكب، والمعنى أن الكَواكِبَ بدل من الزينة.

المعنى إنا زينا السماء الدنيا بالكواكب، ويجوز بِزِينةٍ الكَواكِبَ، وهي أقل ما في القراءة، على معنى بأن زينا الكَوَاكِبَ. ويجوز أن يكون الكواكب في النَّصْبِ بَدَلاً من قوله بزينةٍ، لأنَّ «بِزينةٍ» في موضع نصب، ويجوز بزينةٍ الكواكبُ، ولا أَعْلَمُ أَحَداً قرأ بها، فلا تقرأن بها إلّا أن ثبتت بها رواية، لأن القراءة سنَّةٌ. ورفع الكواكب على معنى أنا زيَّنَّا السماء الدنيا بأن زَيَّنتها الكواكبُ، وبأن زُيِّنَتِ الكَوَاكِبُ.

وقوله: ﴿وَحِفظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾.

على معنى وحفظناها من كل شيطانٍ مَارِدٍ، على معنى وَحَفِظْناها حِفظاً من كل شيطان ماردٍ. يُقْذَفونَ بها إذا استرقوا السّمعَ.

﴿لا يَسْمَعُون إِلَى المَلإِ الأعْلَى﴾.

ويقرأ بالتشديد على معنى يتسمَّعُونَ.

﴿وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُوراً﴾.

أي يُدْحَرُونَ أي يُبَاعَدُونَ.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾.

قيل دائم وقيل موجع.

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ﴾ ـ بفتح الطاء وكسرها، يقال خَطِفْتُ أَخْطَفُ، وخطَفْتُ أَخْطِفُ، إذا أخذت الشيء بسرعة، ويجوز الا من خَطَّفَ بتشديد الطاء وفتح الخاء. ويجوز خِطِّفَ. بكسر الخاء وفتح الطاء، والمعنى اختطف، فأدغمت التاء في الطاء وسقطت الألف لحركة الخاء، فمن فتح الخاء ألقى عليها فتحة التاء التي كانت في اختطف، ومن كسر فلسكونها وسكون الطاء. فأمّا مَنْ روى خِطِفَ الخطفة ـ بكسر الخاء والطاء ـ فلا وجه له إلا وجهاً ضعيفاً جداً يكون على اتباع الطاء كسر الخاء.

﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ [ثاقب]﴾.

يقال تَبِعْتهُ وَأَتْبَعْتهُ، واتَّبَعْتُه، إذا مَضَيْتُ في أثره، «وشهاب ثاقب» كوكب مُضيءٌ.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾.

أي سَلْهم سؤال تَقْرِيرٍ.

﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾: من الأمم السالفة قبلهم وغيرهم من السموات والأرضين.

﴿مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾.

ولازم ومعناهما واحد، أي لازق.

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾.

وتقرأ عَجِبْتُ ـ بضم التاء ـ ومعناه في الفتح بل عجبتَ يَا مُحمَّد مِن نُزُول الوحي عليك وَيَسْخَرون، ويجوز أن يكون معناه بل عجبت

من انكارِهم البعث. ومن قرأ عَجِبتُ فهو إخبار عن اللّه. وقد أنكر قومٌ هَذِهِ القراءةَ، وقالوا: اللّه - عز وجل - لا يعجب. وإنكارهم هذا غلط، لأن القراءة والرواية كثيرةٌ والعجب من اللّه - عز وجل - خلافُهُ من الآدميين كما قال: ﴿وَيَمْكُرُ اللَّه﴾[1]، و ﴿سَخِرَ اللَّهُ منهم﴾[2]، ﴿وهو خادعهم﴾[3]. والمكر من اللّه والخداع خلافه من الآدميين، وأصل العجب في اللغة أن الانسان إذا رأى ما ينكره ويقل مثله قال: عجبت من كذا وكذا، وكذا إذا فعل الآدميون ما ينكره اللّه جاز أن يقولَ فيه عجبتُ واللّه قد علم الشيء قبل كونه، ولكن الانكار إنما يقع والعجب الذي يلزم به الحجة عند وقوع الشيء.

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾.

أي إذا رأوا آية معجزة استسخروا واستهزأوا.

﴿وَقَالُوا إن هَذَا إلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

فجعلوا ما يدل على التوحيد مِمَّا يَعجِزون عنه سحراً، نحو انشقاق القَمَر وما أشبهه.

وقوله: ﴿أئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾.

ويجوز إنا، فمن قرأ إنا اجتزأ بألف الاستفهام، والمعنى في الوجهين أَنُبْعَثُ إذا كنا تراباً وعظاماً، وتفسيره لمبعوثون.

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾.

---

(١) سورة الأنفال الآية ٣٠.

(٢) سورة التوبة . . ٧٩.

(٣) سورة النساء الآية ١٤٢.

المعنى قل نعم تُبْعَثُونَ وَأَنْتُم صَاغِرُونَ، ثم فسر أن بعثهم يقع بزجرة واحدة بقوله:﴿فإنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾.

أي يحيون ويبعثون بُصَرَاءَ ينظرون.

﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾.

و«الويل» كلمة يقولها القائل وقت الهلكة.

ومعنى ﴿هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾.

يوم الجزاء، أي يَومٌ نُجازى فيه بأعمالنا، فلما قالوا هذا يوم الدين قيل لهم نعم:﴿هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

أي هذا يوم يفصل فيه بين المحسن والمسيء، ويجازى كلٌّ بعَمَلِه، وبما يتفضل اللّه به على المسلم.

﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾.

معناه ونظراءهم وضرباءهم، تقول عندي من هذا أزواج، أي أمثال، وكذلك زوجان من الخفاف، أي كل واحد نظير صاحبه، وكذلك الزوج المرأة والزوج الرجل، وقد تناسبا بعقد النكاح، وكذلك قوله:﴿وَآخرُ مِنْ شَكْلِه أَزْوَاجٌ﴾(١).

﴿فَاهْدُوهُمْ إلَى صِراطِ الجَحِيمِ﴾.

يقال: هديت الرجل إذا دللته، وهديت العروس الى زوجها. وأهديت الهديَّة، وكذلك تقول في العروس: أهديتها إذا جعلتها كالهدية.

---

(١) سورة ص الآية ٥٨.

وقوله:﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾:أي احبسوهم .

﴿وما لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾

قوله :﴿لا تناصرون﴾ في موضع نصب على الحال، المعنى ما لكم غير مُتَنَاصِرين .

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾.

أي يُسَائِلُ بعضُهم بعضاً.

﴿قَالُوا إِنكم كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ اليَمِينِ ﴾.

هذا قول الكفار للذين أضلوهم[1]. كنتم تخدعوننا بأقوى الأسباب، أي كنتم تأتوننا من قبل الدين فَتُرُوننا[2] أن الدينَ والحقَّ ما يضلوننا به[3].

﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾.

أي إنَّما الكفْرُ مِنْ قِبَلِكُمْ .

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ﴾.

حِقت علينا كلمة العذاب .

﴿إنا لَذَائِقُونَ﴾.

أي ان الجماعة، المضِلَّ والضَّالَّ في النَّارِ.

﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾.

---

(١) في الاصل: قول الكفار الذين أضلوهم. وهو خطأ.

(٢) تظهرون لنا.

(٣) تبدون أن الدين والحق الذي يدعونا إليه الأنبياء إنما هو شيء يضلوننا به.

أي أضْلَلْنَاكُمْ إنَّا كنا غَاوينَ ضَالِّين .

﴿إنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بالمُجْرِمِينَ﴾ : المجرمون المشركون خاصة .

﴿إنَّهُمْ كَانُوا إذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ .

يعني عن توحيد اللَّه عز وجل، وألَّا يَجْعَلُوا الأصْنَامَ آلِهة .

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ﴾ :

الكأس الاناء إذا كانت فيه خمرٌ فهو كأس، ويقَعُ الكـاسُ لكلِّ إنـاء مع شَرَابِهِ .

﴿مِنْ مَعِينٍ﴾ .

أي من خمر تجري كما يجري الماء عَلَى وجه الأرض مِنَ العُيُونِ .

﴿بَيضاء لَذَّةٍ﴾ .

أي ذَاتَ لَذَّةٍ .

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ .

لا تَغْتَالُ عُقُولَهم، لا تَذْهَبُ بِها، ولا يُصِيبهُم منها وجع .

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يَنْزِفُونَ﴾ .

﴿يُنْزِفُونَ﴾ ـ بفتح الزاي وكسـرها . فمن قـرأ «يُنْزَفُـونَ» فالمعنى لَا تَـذْهَبُ عقولهم بشربها، يقال للسكران نزيف ومنـزوف، ومن قرأ يُنْـزِفُـونَ، فمعنـاه لا يُنْفِدُونَ شَرابَهم، أي هـو دائم أبداً لهم . ويجـوز أن يكون يُنْـزِفُونَ يَسْكَـرُونَ، قال الشاعر(١) :

---

(١) البيت للابيرد وهو في اللسان (نزف) وقبله :

شـربـتـم ومـدَّرتـم وكـان أبـوكـم   كـذاك إذا مـا يشـرب الكـاس مـدَّرا

لعمــري لَئن أَنْــزَفْتُمْ أو صَحَــوْتـم لبئْسَ النــدامى كنتـم آلَ أَبْـجَـرَا

﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾.

أي عندهم حُورٌ قد قصرن طرفَهنَّ أي عُيُونَهُنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ. «عِينٌ» كِبَارُ الأَعَيْنِ حِسَانُها. الواحدة عيناء.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾.

أي كأن ألوانهن ألوانُ بيض النَّعَامِ، «مَكْنون»، الذي يكِنُّه رَأْسُ النَّعَامِ، ويجوز أن يكون مكنـون مَصُونٌ، يقـال كننت الشيء إذا سترتـه، وصُنْتَهُ، فهـو مَكْنونٌ، وأكْنَنْتَهُ إذَا أَضْمَرْتَه في نفسك.

﴿أئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾.

مخففـة من صَدَّقَ فهـو مُصَـدِّقٌ، ولا يجـوز ههنـا تشـديـد الصـاد، لأن المصَّدقين الذين يعطون الصدقة، والمُصَدِّقين الذين لا يُكذِّبون، فالمعنى كان لي قرين يقول أئنَّك مِمَّن يُصَدِّق بـالبعْث بَعدَ أن تَصِيـرَ تُرابـاً وعظامـاً، فأحب قرينُه المسلم أن يراه بعد أن قيل له: ﴿هَلْ أَنتم مُطَّلِعُونَ﴾.

أي هل تحبون أن تطَّلِعُوا فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار.

﴿فاطَّلَعَ [فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الجَحِيمِ]﴾.

فاطلع المسلم فرأى قرينه الذي كان يكذب بالبعث في سَـواء الجحيم، أي في وسط الجحيم، وسـواء كل شيء وسَـطُه، ويقرأ: هَـلْ أَنْتُمْ مُطْلِعُـونَ ـ بفتـح النـون وكسـرهـا وتخفيف الـطاء ـ فمن فتـح النُّـونَ مـع التخفيف فقـال «مُطْلِعُونَ» فهو بمعنَى طَالِعُون ومُطَّلِعُونَ. يقال طلعت عليهم واطْلَعْتُ واطَّلَعْتُ بمعنًى ومن قـرأ مُطْلِعُـون ـ بكسـر النـون قـرأ «فَـأُطْلِعَ» ومن قـرأ بفَتْـح النُّـونِ «مُطْلِعُونَ» وجب أن يقرأ فأُطْلَعَ. ويجوزُ «فَأُطْلِعَ» على معنى هـل أنتم مُطْلِعُـونَ

أَحَداً، فأما الكسر للنون فهو شاذٌّ[1] عند البصـريين والكوفيين جميعـاً وله عنـد الجماعة وجه ضعيف وقد جاء مثله في الشعر:

هم القـائلون الخيـر والآمـرونـه ... إذا ما خَشَوْا مِن مُحَدث الأمرْ معظما[2]

وأنشدوا:

ومـا أدري وظـنـي كـل ظَـنّـي ... أَمُسْلِمُني إلى قـومي شَـرَاحِ[3]

والـذي أَنْشَدَنيـه محمد بن يـزيد: أَيُسْلِمِنُي إلى قـومي، وإنمـا الكـلام أمُسْلِمِي وَأَيُسْلِمُنِي، وكذلك هم القائلون الخير والآمروه، وكل اسماء الفاعلين إذا ذكرت بعدها المضمر لم تذكر النون ولا التنوين، تقول: زَيْدٌ ضَارِبي وهما ضارباك ولا يجوز وهو ضارِبُني، ولا هم ضاربـونك. ولا يجـوز هم ضاربـونك عندهم الا في الشّعر الا أنّه قد قُـرِئ بالكسـر: هلْ أَنْتُم مُـطَّلِعُون على معنى مطلعوني، فحـذفت الياء كمـا تحذف في رؤوس الآي، وبقيت الكسـرة دليلاً عليهـا. وهو في النحـو ـ أعني كسر النـون ـ على مَا أَخْبَـرْتُكَ، والقـراءة قليلة بها، وأجودُ القراة وأكثرها مُطَّلِعُونَ ـ بتشديد الطاء وفتـح النون ـ ثم الـذي يليه مُطْلِعُونِ بتخفيف الطاء وفتح النون.

﴿قَالَ تَاللَّهِ إنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾.

---

(١) شذوذه بسبب الاتيان بنون الوقاية في آخر الاسم، والقياس مطلعي.

(٢) يقـال إنه من الأبيـات التي صنعها النحـويون، ورآه سيبـويه محمـولاً على الضـرورة ـ وهـو في شواهد الكشاف ١٢٣، والكامل ١/٢١٤ (تجارية) والخزانة ٤/٢٠١ سلفيـة وابن يعيش ٢/١٢٥، واللسان (حين) ومعاً في الفراء ٢/٣٨٦. والشاهد فيه «والآمرونه» وقياسه والآمروه.

(٣) البيت في العيني ١/٣٨٥ بدون نسبة وفي معاني الفراء ٢/٣٨٦ وفي شـواهد المغني ٢٦١ أنـه ليزيد بن مخرم الحارثي وذكر كما في العيني أن هذه روايـة الفراء وهي خطأ ـ والصواب

فـمـا ادري وظـنـي كـل ظـن ... أيـسلمـنـي بـنـو الـبـدو الـلقـاح

واللقاح يفتح اللام ـ الذين لا يدينون للملوك ولم يصبهم سبي في الجاهلية، وبنو خمر بـطن من كندة، أما شراحِ فهو ترخيم شراحيل.

تاللَّه معناه واللَّه، والتاء بدل من الواو، لَتُرْدِينِ أي لتهلكني، يقال رَدِيَ الرَّجُلُ يَرْدَى رَدًى إذا هَلَكَ، وَأَرْدَيْتُه أَهْلَكته.

﴿لَكُنْتُ مِنَ المُحْضَرِينَ﴾.

أي أُحْضَرَ العذاب كما أُحضِرتَ.

﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ﴾.

المعنى أنعيم الجنة وطعامها خير نزلاً أم شجرة الزَّقُّوم خيرٌ نزلاً، والنُّـزُلُ ههنا الرَّيْـعُ والفَضْلُ، تقـول: هذا طعـام له نُـزُل ونُزْلٌ بتسكين الـزَّاي وَضمِّها وَنَـزَل، ويكون ذلـك خير نُـزُلاً، أي أذلك خيـر في باب الإِنْـزَال التي تُتَقـوت ويمكن معهـا الاقامـةُ أَمْ نُزُلُ أهـل النّـارِ. وإنما قيلَ لَهُمْ فيمـا يقـام للنـاس من الأنزال أقمت لهم نُزُلَهُمْ أي غذاءهم، وما يصلح معه أن ينزلوا عليه.

ومعنى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾.

عبـرةً للظالمين، أي خبرةً افتتنـوا بها، وكـذبوا بهـا فصـارت فتنـة لهم، وذلـك أنهم لما سمعـوا أنها شجـرة تخرج في أصـل الجحيم قـالُـوا: الشجـرَ يحترق بالنَّارِ، فكيف ينبت الشجر في النار فافتتنوا وكذبوا بذلك.

﴿طَلْعُها كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينَ﴾.

فيه ثلاثـة أقوال: قيـل الشياطين حيـات لها رءوس فشُبِّـه طَلْعُهَا بـرءوس تلك الحيات، وقيل رءوس الشياطين نبت معروف، وقيل وهو القَوْل المعروفُ ان الشيء إذا استقبح شُبِّهَ بالشيطان، فقيـل: كأنـه وجه شيـطانٍ، وكأنـه رأسُ شيطان، والشيطان لا يُرى، ولكنه يستشعر أنه أقبح ما يكون من الأشياء، لو رُئِيَ لرُئي في أقبح صورة، قال امرُؤ القيس[1]:

---

(١) من لاميته ـ ألاَ أنعم صباحاً أيها الطلل البالي. وهو من شواهد البلاغة ـ جاء في دلائل الاعجاز =

أيـقتـلني والـمشــرفـي مضــاجـعي ومسنــونــة زرق كــأنيــاب أغــوال

ولم تُـرَ الغولُ قط ولا أنيـابُها ولكن التمثيـل بمـا يستقبـح أبلغ في بـاب المذكر، يمثَّل بالشيطان وفي باب ما يستقبح منِ المؤنث يشبه بالغول.

﴿ثُمَّ إنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً [مِنْ حَمِيمٍ]﴾.

أي لخلطاً ومِزَاجاً، ويُقْرأ لَشُوباً مِنْ حَمِيم، الشَّوْبُ المصـدر، والشُّوبُ الاسمُ، والخَلْطُ: المخلوط.

﴿فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يَهْرَعُونَ﴾.

أي هم يَتْبعُونَ آثارَهم اتباعاً في سُرْعةٍ، ويقال﴿يُهْرَعُون﴾ كأنهم يزعجونَ من الاسراع إلى اتباع آبـائهم، يقال هُـرِعَ وأهرع في معنًى واحـدٍ إذا اسْتُحِثَّ وَأَسْرَعَ.

وَقَولَه: ﴿إلاَّ عَبَادَ اللَّهِ المُخْلَصِينَ﴾.

المخلصين الـذين أخلَصَهُم اللَّه واصطفـاهم لعبادَتِـه، ويقرأ المُخْلِصِينَ أي الموَحِّدِينَ.

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ المجُيبُونَ﴾.

أي دعانا بأن ننقذه من الغرق، والمعنى فلنعم المجِيبون نَحْنُ.

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ﴾.

يعني كرب الغَرَقِ الذي هو عذاب.

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ البَاقِينَ﴾.

= وذكر السيوطي في شواهد المغني جزءاً كبيراً من هذه القصيدة. انظر شواهد المغني ١١٧.

لما جاء الطوفان لم يبق إلاَّ نُوحٌ وَذُرِيَّتُهُ، والخلق الباقون من ذُرِيَّةِ نوح.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ﴾.

أي تركنا عليه الذكر الجميل إلى يوم القيامة، وذلك الذكر قوله: ﴿سَلاَمٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾.

المعنى تَركنَا عليه في الآخرين أن يصلى عليه إلى يوم القيامة.

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾.

أي من شيعة نوح، من أهل مِلَّتِه يعني نوحاً.

﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

جاء في التفسير سليم من الشرك، وهو سليم من الشرك ومن كل دَنَسٍ.

﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

قال إبراهيم لقومه ـ وهم يعْبُدُون الأصْنَامَ: أي شيءٍ ظنكم بِرَبِّ العَالمين وأنتم تعبدون غيره. وموضع «ما» رفع بالابتداء، والخبرُ ظَنُّكُمْ.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾.

قال لقومه وقد رأى نجماً إني سَقِيمٌ، فأوهمهم أن الطَّاعُونَ بِهِ، ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْه مُدْبِرِينَ﴾.

فِراراً من أن يُعْدَى إليهم الطاعونُ، وإنما (قال إني سَقِيمٌ) لأن كل واحد وان كانَ مُعَافىً فلا بد مِن أَنْ يَسْقَم ويموت، قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾[1]. أي انك ستموت فيما يستقبل، وكذلك قوله: إِنِّي

(١) سورة الزمر الآية ٣٠.

سَقِيمٌ، أي سَأَسْقَمُ لا محالة. وقد روي في الحديث: لم يكذب إبراهيم إلاَّ في ثَلاَثةٍ، وَقَدْ فَسَّرنا ذَلِك، وان هذه الثلاث وقعت فيها معارضة في قوله:﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾. على معنى: إنْ كَانُوا يَنْطِقون فَقَدْ فَعَله كَبِيرُهُمْ وقوله:﴿سَارَةُ أُخْتِي﴾، أي أختي في الاسلام، وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ على ما فسّرنا.

﴿فَرَاغَ عليهم ضَرْباً [بِاليَمِينِ]﴾.

معنى راغ عليهم مال عليهم، وضرباً مصدر، المعنى فمال عَلَى الأصنام يضربُهُمْ ضرباً بِالْيَمِينِ، يحتمل وجهين بيمينه، وبالقوة والمكانة، وقال: عَلَيْهِم وهي الأصنام لأنهم جعلوها معبودةً بمنزلة ما يميز كما قال: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(١).

﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ﴾: يعني قوم إبْرَاهِيم.

﴿يَزِفُّون﴾: يُسْرِعُونَ إِلَيْهِ. ويقرأ على ثَلاثةِ أَوْجُهٍ. يَزِفُّونَ ـ بفتح الياء ويُزِفّونَ ـ بِضَمِّهَا، ويَزِفُونَ ـ بتخفيف الفاء. وأَعْرَبُها(٢) كُلُّها يَزِفُّون بفتح الياء وتشديد الفاء، وأصله من زفيف النعام، وهو ابتداء عَدْوِهَا، يقال زَفَّ النعام يَزِفُّ. ويُقْرَأ يُزِفُّون أي يصيرون إلى الزَّفِيفِ، ومثله قول الشاعر(٣):

تمنى حصين أن يسودَ جِذاعَه ... فأضحى حصين قد أُذِلَّ وَأُقْهِرَا

معنى أَقْهَرَ صار إلى القَهْرِ، وكذلك يُزِفُّونَ. فأَمَّا يَزِفُونَ ـ بالتخفيف فهو من وَزَفَ يَزِفُ، بمعنى أَسْرَعَ، ولم يَعْرِفُهُ الفَرَّاء، ولا الكِسَائِيُّ، وعَرفه غيرُهُمَا.

وقوله: ﴿فِي الْجَحِيمِ﴾.

---

(١) سورة يس الاية ٤٠.

(٢) ادخلها في العروبة والاعراب.

(٣) للمخبل السعدي يهجو الزبرقان بن بدر ـ وهو حصين ـ وقومه يعرفون بالجذاع.

كل نار بعضُها فوق بَعض ٍ، وهي جَحْمٌ.

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

يقول: هب لي ولداً صَالِحاً من الصَّالِحِينَ.

﴿فبشرناه بِغُلَام ٍ حَلِيم﴾.

وهذه البِشَارَة تدل على أنه غلام وأنه يبقى حتى يُوصفَ بالحلم.

﴿فَلَمَّا بَلَغ مَعَهُ السَّعْيَ﴾.

أي أدرك معه العَمَل، يقال إنه قد بلغ في ذلك الوقت ثلاث عشرة سنةً.

﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنَام ِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾.

[تقرأ] غَيْرَ مماله، وَتَرى ـ مُمَالَة، ـ وتُرِي ـ بـلا إمالة، ـ وتُرِي ـ بالامالة ـ وماذا تُرَى، ففيها خمسة أوجه، ترى ـ بـالفتح وبـالكسر. وكـذلك في تُـرِي وتُرَى،. وفيها خمسة أوجه أخر لم يقرأ بشيء منهـا، فَلَا تقـرأن بها، وهـو ان تأتي الخمسة التي ذكرناها ممالة وغير ممالة بغير همز فتهمزها كلهـا، فما كـان مُمَالاً هَمِزَ وأمال، وما لم يكن مما لا أمال ولم يهمز. ويجوز ماذا تَرْأَى ممال، وماذا تُرْئِي، وماذا تُرْأَى، وماذا تَرَى وَمَاذا تُرَى.

فمعنى ماذا تَرأَى وتُـرْئِي من الرأي، ومعنى مـاذا تُرَى مَـاذَا تُشِيرُ، وَزَعَم الفـراء أن معناه مَـاذَا تُرِيني من صَبْـرِكَ، ولا أعلم أحَـداً قَـالَ هَـذَا. وفي كـل التفسير ما تُرِي ما تشير.

﴿قال: يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾.

ورؤيـة الانبياء في المنـام وحي بمنزلـة الـوحي اليهم في اليقـظة، وقـد فَسَّرْنَا يا أَبَهْ، وإعرابَهُ فيما سَلَفَ من الكتاب.

﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.

يَقُول على أمر اللَّه.

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾.

أَسْلَما اسْتَسْلَمَا لأمر اللَّه. رضي إبراهيم بأن يذبح ابنه، ورضي ابنه بأن يذبح تصديقاً للرؤيا وطاعة للَّه.

واختلف الناس في الذي أمر بذبحه مَنْ كانَ، فقال قوم إسحاق. وقال قوم اسماعيل. فأما من قال إنه إسحاق، فعليٌ رحمة اللَّه عليه وابنُ مَسْعُودٍ وكعبُ الأحبار، وجماعة من التابعين. وأما من قال إنه إسماعيل فابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وسعيد بن المسيب وجماعة من التابعين.

وحجة من قال إنه إسماعيل قوله:﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، وَحُجة من قال انه اسحاق، قال: كانت في إسحاق بشارتان الأولى فبشرناه بغُلامٍ حَلِيمٍ. فلما استسلم للذبح واستسلم ابراهيم لذبحه بُشِّرَ به نبياً من الصالحين.

والقول فيهما كثير واللَّه أعلم أيهما كان الذبيح.

فأما جواب﴿فلما أَسْلَمَا وتلَّهُ للجبين﴾أي صَرَعَهُ، فقد اختلف الناس فيه فقال قوم جوابه وناديناه، والواو زائدة، وقال قوم إن الجواب محذوف بان في الكلام دليلاً عليه. المعنى فلما فعل ذلك سعِدَ وأتاه اللَّه نبوة وَلَدِه وأجزلَ لَهُ الثواب في الآخرة.

﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾.

الذبح بكسر الذَّال الشيءُ الذي يُذْبَح، والذَّبْح المصدر، تقول: ذبحته أَذْبَحُه ذَبْحاً. وقيل إنه الكَبْشُ الذي تُقَبِّلَ من ابن آدم حين قرَّبه، وقيل انه رَعَا

في الجنـة أربعين سنة، وقيـل إنَه كـان وَعِلاً من الأوْعَـالِ. والأوعال التيـوس الجبليَّةُ.

﴿وَنَجَّينَاهُما وَقَوْمَهُمَا مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ﴾.

قيل من الغرَقِ كما فُعِلَ بِفِرْعَوْنَ وَقَوْمِه.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ﴾.

جـاء في التفسيـر أنـه إدريس، ورويت عنِ ابن مَسْعُـودٍ أنــه قـرأ: وإن ادريس، ورويت سلام على إدْرَاسِين.

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً [وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الخَالِقِينَ]﴾.

قيل إن بعلاً كانوا يعبدونه، صنماً من ذهب، وقيل إن بعلاً [تعني] رَبّاً.

وقرئت ﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾: على صِفَـةِ أَحْسَنِ الخَـالِقِينَ اللَّـهَ. وقرئت: «اللَّهُ رَبُّكُمْ» عَلَى الابتداء والخبر.

﴿سَلامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾.

وقرئت إلْيَاس. فمن قرأ بالوصل فموضع ﴿اليـاسين﴾ جمعٌ، هـو وأمتُـه المؤمنـون، وكذلـك يجمـع مَـا يُنْسَب إلى الشيء بلفظ الشيء، تقـول: رأيت المَسامِعَة والمَهَالِبَةَ، تريد بني المهَلَّب وبني مِسْمَع، وكذلـك: رأيت المهلبين والمِسْمَعِين. وفيها وجه آخر تكون فيـه لغتان اليـاس والياسين كمـا قال ميكـال وميكائيل.

وقوله:﴿إلَّا عَجُوزاً فِي الْغَابِرِينَ﴾: يعني في البَاقِينَ.

وقوله:﴿إِذْ أَبَقَ إِلى الفُلْكِ المَشْحُونِ﴾.

«أَبَق» هَرَبَ إلى الفلك المشحون، والمشحون المملوء.

فَسَاهَمَ قارع، والمُدْحَضِينَ المَغْلُوبِينَ.

لما صَارَ يونس في السّفينة فلم تَسِرْ فقارَعَـهُ أهل السفينـة، ووقعت عليه القرعة فخرج منها وألقى نَفْسَهُ في البحر.

﴿فالْتَقَمَهُ الحُوتُ﴾.

وهو السمكة، ولما خرج من السفينة سَارَتْ.

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾.

قد أتى بما يلام عليه، يقال: قد أَلَامَ الرجلُ فهو مُليمٌ، إذا أتى ما يجب أن يلام عليه.

﴿فَلَوْلَا أَنَّه كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ﴾:منَ المُصَلِّين.

﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِه إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

جاء في التفسير أنـه لبث أربعين يومـاً، وقال الحسن لم يَلْبَثْ إلّا قَليـلاً وأخرج من بطنه بُعَيْدَ الوقت الذي التُقِمَ فيه.

﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالعَرَاءِ﴾.

يعني بـالمكـان الخـالي، والعـراء عَلَى وَجْهَيْن، مَقْصُـورٌ وَمَمْـدُودٌ، فالمقصور الناحِيَةُ، والعراء ممدود المكان الخالي، قال أَبُو عُبَيدَةَ وغَيْرُهُ: إنمـا قيل له العراء لأنه لا شجر فيه، ولا شيءَ يُغَطيه، وقيل ان العراء وجه الأرْض، ومعناه وجه الأرض الخالي، وأنشدوا:

رَفَعْتُ رِجْـلاً لَا أَخَـافُ عِثَـارَهَـا   وَنَبَـذتُ بـالبَلَدِ العَـراءِ ثِيَـابِي[1]

---

(١) في اللسان (عرا) ورفعت رجلًا ـ وهو في الكامل ١٦٢/١ (تجارية) والقرطبي ٨٩/١٩ ـ ومجاز أبي عبيدة جـ ٢ ص ١٧٥ ـ لبعض الهذليين.

﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْه شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾.

كل شجرة لا تنبت على ساقٍ، وإنما تمتد على وجه الأرض - نحو القَرْعِ والبطِّيخ و الحنظل - فهو يقطين. وأحسب اشتقاقها من قَطَنَ بالمكان إذا أقام به، فهذا الشجر كله على وجه الأرض، فلذلك قيل يقطين.

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مَائةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾.

قال غير واحد معناه بل يزيدون، قال ذلك الفراء وَأَبُو عبيدة وقال غيرهما معناهُ أَو يزيدونَ فِي تَقْدِيركم أنتم إذا رآهم الرائي قال هؤلاء مائة ألف أو يزيدون على المائة وهذا على أصل «أو».

وقال قوم: معناها معنى الواو. و «أو» لا تكون بمعنى الواو، لأن الواو معناها الاجتماع، وليس فيها دليل أن أحد الشيئين قبل الآخر، و «أَوْ» مَعناها إفراد أحد شيئين أو أشياء.

وقوله عز وجل: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾.

أي سلهم مسألة توبيخ وتقرير، لأنهم زعموا أن الملائكة بنات الله تعالى الله عَنْ ذَلِكَ.

﴿أَمْ خَلَقْنَا المَلاَئِكَةَ إِنَاثاً﴾.

معناه بل أَخَلَقْنَا الملائكة إناثاً ـ. ﴿وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾.

﴿أَلاَ إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. أَصْطَفَى البَنَاتِ عَلَى البَنِينَ﴾.

هذه الألف مفتوحة[1]، هذا الاختيار، لأن المعنى سَلْهُمْ هل أصطفى البَنَاتِ على البَنِين، فالألف ألف استفهام. ويجوز اصطفى على أن يكون

---

(١) الألف في أصطفى.

حكاية عن قولهم ليَقُولُونَ اصطفى. وفتح الألف وقطعها أجود على أأصـطفى، ثم تحذف ألف الوصل.

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجِنَّةِ نَسَباً﴾.

الجِنَّةُ هَهُنَا المَلاَئِكَةُ.

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ إنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾.

أي ولقـد علمت الجنة وهم المـلائكـة أن الـذين قالوا: ولد اللَّه... لَمُحْضَـرونَ العَذَابَ.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

تنزيه اللَّه من السوء عن وَصْفِهِم.

﴿فَإنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْه بِفَاتِنِينَ﴾.

أي ما أنتم بمضلين عليه إلاَّ مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ.

﴿إلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الجَحِيمِ﴾.

أي لستم تضلون إلاَّ أهـلَ النَّارِ، وقـرأ الحَسَنُ إلاَّ من هُوَ صَـالُ الجَحِيم بضم اللام، والقراءة بكسر اللام، على معنى صَـالي، والوقف عليهـاينبغي أن يكون بالياء، ولكنها محذوفة في المصحف، ولقـراءة الحَسنِ وجْهَان، أحدهما أن يكون أراد صالونَ الجحيم فحذفت النُّونُ للإضـافة وحـذفت الواو لسكـونها وسكون اللام من الجحيم، ويَذْهَبُ بِمَنْ مَذْهَبَ الجِنْسِ، أي بـالجنس الذين هم صـالوا الجحيم، ويجـوز أن يكـون صَـالُ في معنى صـائـل، مفعـول من صَالَى، مثل جرف هارٍ أي هائرٍ، والقراءة التي هي الاجماع كسر اللام.

﴿وَمَا مِنَّا إلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾.

هـذا قول الملائكة، وههنا مضمر، المعنى مَا مِنَّا مَلَكٌ إلَّا لـه مقام معلوم.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾: أيْ نحن المصلونَ.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾.

المُمَجِّدون للَّه، الذين ينزهُونَه عَنِ السُّوءِ.

﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْراً مِنَ الأَوَّلِينَ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾.

كان كفار قريش يقولون لو جاءنا ذكر كما جاء غيرنا من الأولين لأَخْلَصْنا العبادة للَّه عزَّ وَجَلَّ، فلما جاءهم كفروا به.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

أي سوف يعلمون مَغَبَّةَ كفرهم، وما ينزل بِهِم من العذاب والانتقام منهم في الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا [الْمُرْسَلِينَ]﴾.

أي تقدم الوعدُ لهم بأن اللَّه ينصرهم بالحجة وبالظفر بِعَدُوِّهِمْ في الدنيا، والانتقام من عدوهم في الآخرة.

﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

حزب اللَّه لَهُمُ الغَلَبة.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾.

حتى تنقضي المدَّةُ التي أُمْهِلُوا إليها.

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾.

نزل بهم العَذَابُ، وكان عذاب هؤلاء في الدنيا القَتْل.

وقوله:﴿فساء صباح [المُنْذَرِينَ]﴾:أي فبئس صباح.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ﴾.

فيه ثلاثة أوجه، فمن نصب فعلى مدح الله عز وَجَلَّ، ومن قرأ بالرفع فعلى المدح أيضاً على معنى هُوَ رَبُّ العزَّةِ، ومن خفض فعلى قوله رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ، وفي النصب أيضاً أعني رَبَّ العزَّةِ، واذكر ربَّ العِزَّةِ.

سُورَةُ صٓ
مكية

بسم اللّه الرَّحمن الرّحيم

﴿[صٓ]﴾.

قـرئت بـالفتـح وبـالكسـر، وبتسكين الـدال، وهي أكثـر القـراءة، فمن أسكـن «صاد» من حروف الهجاء، وتقدير الدال الوقف عليها. وقد فسرنا هذا في قوله «ألم» أعني باب حروف الهجاء، ومعناه الصادق اللّه، وقيل إنها قسم.

وقوله: ﴿وَالْقُرآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾.

عطف عليها، المعنى أقسم بصاد وبالقرآنِ ذي الذكـر، ومن فتحها فعلى ضَرْبيْن، يكون فتحـاً لالتقاء السـاكنيْن، ويكون على معنى اتـل صادَ، ويكـون صـاد اسماً للسـورة لا ينصرف. ومن كسـر فعلى ضربين، لالتقـاء السـاكنين، ويكسرها على معنى صاد القرآن بعَمَلِك، من قـولك صـادَى يُصَادِي إذَا قَـابَل وَعَادَل، يُقـال صاديته إذا قابلتـه، وجواب قـوله: صَـادِ والقرآن ﴿إنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾[1] وقال قـوم: الجوابُ: ﴿كم أهلكنـا قبلَهم مِنْ قَرْنٍ﴾، ومعناه لكم أهلكنا قبلهم مِنْ قَرْنٍ فلما طال الكلام بَيْنَهُمَا حذفت اللام.

ومعنى﴿ والقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾.

أي ذي الـذكر والشـرف، وقيل ذي الـذكر: قـد ذكـرت فيـه أَقَـاصِيصُ الأوَّلين والآخرين وما يُحتاج إليه في الحلال والحرام.

﴿فَـنَـادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَناصٍ ﴾.

(١) تأتي في أواخر السورة آية ٦٤.

جاء في التفسير ولات حين نداء، وقال أهلُ اللُّغَةِ وَلَاتَ حينَ مَنْجًى ولا فَوْتَ، يقال نَاصَه ينوصُه إذَا فاته. وفي التفسير لات حين نداء معناه لات حِينَ نِـداءٍ يُنْجي. ويجوز لات حِينُ مَنَـاصٍ. والرفـع جيّدٌ، والـوقف عليها «لَاتْ» بالتاء، والكسائيُّ يقف بالهـاء «لَاهْ» لأنه يجعلهـا هاء التـأنيث. وحقيقة الـوقف عليها بالتاء، وهـذه الـتـاء نـظيرةُ التـاء في الفعل في قـولك ذَهَبَتْ وجَلَسَتْ، وفي قولك: رأيتُ زيداً ثمت عَمراً، فَتَاءُ الحروف بمنزلة تاء الأفعال، لأن التاء في الموضعين دخلت على ما لا يعـرب، ولا هو في طـريق الأسماء فإن قال قائِلٌ: نجعلها بمنزلـة قولهم: كـان من الأمر ذيـهْ وذيهْ، فهـذه هاء في الـوقف وهذه هاء دخلت على اسم لا يعرب، وقد أجازوا الخَفْضَ فقالوا: لَاتَ أَوَانٍ، وأنشدوا لأبي زُبَيْدٍ:

طـلبـوا صـلحـنـا ولات أوان   فـأجـبنـا ان لـيس حيـن بـقـاء[1]

والذي أنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد ورواه:

طلبوا صلحنا ولات أَوَانٌ

وذكر أنه قد روي الكسرُ.

فـأما النصب فعلى أنهـا عَمِلَتْ عمـل ليس، المعنى وليس الـوقت حين مناصٍ ومن رفع بها جعل حين اسم ليس وأضمـر الخبر على معنى لَيْس حينُ مَنْجًى لَنَـا ومن خفض جعلها مبينـة مكسـورَةً لالتقـاء السَّـاكِنَين، كمـا قـالـوا: قَدلَكَ[2] فبنوه على الكسر.

---

(١) لابي زبيد الطائي من قصيدة طويلة، سببهـا ان رجلاً من شيبـان نزل على رجـل من طيء فقراه وسقاه، فلما سكر وثب الشيباني على صاحبه فقتله وفر، وافتخرت بها شيبان انظر الأغاني جـ ٥ والخزانة ٢/١٣٦ الشاهد ٢٨٢.

(٢) يقال قدك وقدلك بمعنى حسبك. وهو بإسكان الدال، والكسر قليل.

والمعنى ليس حين مناصنا وحين منجانا، فلما قال: ولا ت أَوَانٍ جعله على معنى ليس حينَ أَوَانِنَا، فلما حُذِفَ المضَافُ بُنِيَ على الوقف ثم كُسِرَ لالتقَاءِ السّاكِنين، والكسر شَاذٌّ شبيه بالخطأ عند البصريين، ولم يَرْوِ سيبويه والخليل الكسر، والذي عليه العمل النصب والرفع، وقال الأخفَشُ: إن ﴿لَاتَ حينَ مناصٍ﴾ نصبها بلا كما تَقُولُ لَا رَجُلَ في الدار، ودخلت التاء للتأنيث.

وقوله جل وعز:﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ - إلى قوله ﴿لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ (١).

في معنى عجيب، ويجوزُ عُجَّاب في معنى عجيب يقال: رجل كريمٌ وكُرَّامٌ(٢) وكُرَام.

وهذه حكاية عن ملأ من قُرَيْشٍ لما مَرِضَ أبو طالب المرضة التي مات فيها أتاه أبو جهل بن هشام وجماعةٌ من قريش يعودونه فشَكَوْا اليه النبي ﷺ وقالوا يشتم آلهتنا ويفعل، فعاتبه أبو طالب، فقال النبي ﷺ إني أدعُوكم إلى كلمة يدين لكم العرب بها، وتؤدي بها اليكم العجم الجزيَةَ، فقال أبو جهل: نَعَمْ وَعَشْراً على طريق الاستهزاء أي نقُولها وعشراً معها، فقال: لَا إِلَهَ إلَّا اللَّهُ، فقالوا: أَجَعَلَ الآلِهَةَ إلهاً وَاحِداً. ثم نَهَضُوا وانطلقوا من مجلسهم يقول بعضهم لبعْضٍ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ.

وقوله :﴿وَانْطَلَقَ المَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا﴾.

معناه أي امشوا، وتأويله يقولونَ امْشُوا. ويجوز: وانطلق الملأ منهم بأَنِ امشوا أي بهذا القول.

وقوله:﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي المِلَّةِ الآخرةِ﴾.

---

(١) ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ الهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لشيءٌ عُجَابٌ﴾.
(٢) مثل ﴿ومكروا مكراً كُبَّاراً﴾ أي كبيراً.

حكاية عنهم أيضاً، أي ما سمعنا بهذا في النَّصْرانِية وَلاَ اليهوديَّةِ ولا فيما أدركنا عليه آباءنا.

﴿إنْ هَذَا إلَّا اخْتِلَاقٌ﴾.

أي إلا تَقَوُّلٌ.

﴿أأُنْزِلَ عَلَيْه الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾.

أي كيف أنزل الذكر عليه من بيننا، أي كيف أُنْزِلَ على محمد القرآن من بيننا.

﴿بَلْ هُمْ في شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾.

أي ليس يقولون ما يعتقدونه إلَّا شَاكِّين.

وقوله:﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾.

إن قال قائِل: ما وجه اتصال ﴿أَمْ عِندهم خزائن﴾ بقوله:﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ من ذكري﴾، أو بقوله ﴿أأنزل عليه الذكر من بيننا﴾. فهذا دليل على حَسَدِهم النّبيّ ﷺ بما آتاه اللّه من فَضْل النُّبوّةِ. فأعلم اللّه أن الملكَ لَهُ والرِّسالَة إلَيْهِ، يصطفي من يشاء، ويؤتي الملك من يشاء وينزل الغيث والرحمة على من يشاء فقال:﴿أم عندهم خزائن رحمة رَبِّكَ﴾. أي ليس عندهم ذلك.

﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَواتِ والأرْضِ﴾.

أي ليس من ذلك شيء.

﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ﴾.

أي إن ادَّعَوا شيئاً من ذلك فليصعدوا في الاسباب التي توصلهم إلى السماء، وجائز أن يكون فليرتقوا في هذه الاسباب التي ذكرت وهي التي لا

يملكها الا اللّه. ثم وعد اللّه نبيه عليه السلام النَصْرَ عَلَيْهم فقال:

﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الأحْزَابِ﴾.

«ما» لغوٌ، المعنى جند هُنَالِكَ مهزوم من الأحزاب.

﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو الأوْتَادِ﴾.

جاء في التفسير أن فرعون كانت له حبال وأوتادٌ يلْعَبُ له عَلَيْها.

﴿مَالَها مِنْ فَواقٍ﴾.

وفُواق بضم الفاء وفتحها، أي ما لها من رجُوع، والفُـواق ما بين حَلْبَتَي الناقَةِ، وهو مشتق من الرجوع أيضاً لأنه يَعُودُ اللَّبَنُ إلى الضَّرْعِ بين الحلبتين، وأفاق من مرضه من هذا، أي رجع إلــى الصحة. فالفواق هو من هذا أيضاً.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا﴾.

«القِطُّ» النصيب، وأصله الصحيفة يكتب للانسان فيها شيء يصل إليه قال الأعشى.

ولا الملك الـنعـمـان يـوم لقـيتـه بـأمَّتِه يعـطي القـطوط ويـأفِقُ[1]

يأفِق يُفْضِلُ، وهذا تفسير قولهم: ﴿عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا﴾ ـ وهو كقولهم ﴿اللَّهُمَّ إنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَـأَمْطِرْ عَلَيْنَا﴾ ـ الآية[2] وقيـل إنهم لما سمعـوا أن المؤمن يؤتى كتابه بيمينـه والكافـر يؤتى كتابـه بشمالـه، فيسعد المؤمن ويهلك الكـافـر، قالـوا ربنا عجـل لنا قِـطّنا. واشتقـاق القِط من قططت أي قـطعتُ، وكذلك النصيب انّما هو القطعة من الشيء.

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأيْدِ﴾.

ذا القوة، وكانت قوته على العبادة أتم قوة، كان يصوم يوماً ويفطر يـوماً، وذلك أَشَدُّ الصَّوْمِ، وكان يُصَلّي نصفَ الليل.

(١) البيت في اللسان (قطط). (٢) سورة الأنفال / ٣٢.

﴿إنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

رجاع إلى اللّه كثيراً، الآيب الراجع، والأوَّابُ الكثيرُ الرُّجوعِ.

﴿إنَّا سَخَّرْنَا الجِبَالَ مَعه يُسبِّحْنَ بالعَشِيِّ والإِشْرَاقِ﴾.

«الاشراق» طلوع الشمس وإضاءتُهَا، يُقَالُ شَرِقَت الشَمْسُ إذا طلعت، وأشرقت إذا أضاءت، وقد قيل شرقت وأشرقت إذا طلعت في معنى واحد، والأول أكثر.

﴿والطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾.

كانت الجبال تُرَجِّع التسبيح، وكانت الطير كذلك، فيجُوز ان تكون الهَاءُ للّه -جل وعز- أي كل للّه مسبح، الطير والجبال وَدَاودُ يسبحون للّه عز وجل، ويرجعون التسبيح. ويجوز - واللّه أعلم - أن يكون ﴿كلٌ له أوَّاب﴾ كل يُرَجِّعْنَ التسبيح مع داود، يجبنه، كلما سبح سبحت الجبال والطير معه.

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾.

ويجوز وشدَّدنا، ولا أعلم أَحداً قَرَأَ بهَا. معناه قوينا ملكه فكان من تقوية ملكه أنه كان يَحْرُسُ محرابه في كل ليلة ثلاثةٌ وثلاثون ألفاً مِنَ الرِّجَال، وقيل أيضاً إنَّ رَجُلاً استعدى إليه على رجل، فادعى عليه أنه أخذ منه بَقَراً، فأنكر المدعى عليه فسأل داود المدعَى البينة فلم يقمها، فرأى داود في منامه انّ اللّه يأمره أن يقتل المدعى عليه، فتثبت[1] داود، وقال هو منام، فأتاهُ الوحي بعد ذلك أَنْ يَقْتُلَه فأحضره ثم أعلمه أن اللّه أَمَرهُ بقَتْلِه، فقال المُدَّعَى عليه: إن اللّه -جل وعز- ما أخذني بهذا الذنب[2]، وإني قتلت أبا هذا غِيلةً فقتله داود، فذلك مما كان عظم اللّه هيبته وشدَّدَ ملكه [به].

---

(١) تثبت تريث وتمهل.

(٢) أي ذنب المماطلة ونكران الدَّيْنِ بل بذنب آخر.

﴿وآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ﴾.

قيل في ذلك أن يحكم بالبينة واليمين، وقيل في فصل الخطاب، أن يفصل بين الحق والباطل، وقيل «أَما بعد»، وهو أول من قال أَمَّا بَعْدُ.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ﴾.

والمحرابُ أرفع بيت في الدار، وكذلك هو أرفع مكان في المسجد، والمحراب ههنا كالغرفة، قال الشاعر[1]:

رَبَّةُ مِحْرَابٍ إذَا جِئْتُهَا لم أَلْقَهَا أَو أَرْتَقي سُلَّما

و «تسوَّروا» يدُلُّ على عُلُوّ. وقال «الخَصْمُ» ولفظه لفظ الواحد، و «تسَوَّروا» لفظ الجماعة لأن قولك خصم يصلح للواحد والاثنين والجماعةِ والذكر والأنثى، يقال: هذا خَصمٌ وهي خصم وهما خصم وهم خُصْمٌ. وإنما صلح لجميع ذلك لأنه مصدر، تقول خصمته أَخْصِمُه خَصْماً، المعنى هما ذوا خصم وهم ذوو خصم، وان قلت خصوم جاز كما تقول هما عدل وهما ذوا عدل، وقال [اللّه تعالى] ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾[2]. فمعنى هما عدل هما ذوا عدل. فما كان من المصادر قد وصفت به الاسماء فتوحيده جائز، وان وصفت به الجماعة، وتذكيره جائز وان وصفت به الأنثى، تقول هو رضًى وهما رِضًى، وكذلك هذه رضًى.

وقوله تعالى:﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾.

لأَنَّهم أَتَوْه مِن غَير مَأْتَى الخُصوم، وفي غير وقتهم[3]، وفي وقت لم يكن

---

(١) تقدم.

(٢) سورة الطلاق الآية ٢.

(٣) في غير وقت الخصوم.

داود يأذن فيه أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْه أَحَدٌ، فأنكر ذلـك وَفزِعَ. وإنمـا بُعِثَ إليه مَلَكَـان فَتَصَوّرا في صورة رَجُلَيْن متخاصِمَيْن.

﴿قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾.

القراءة الرفع، والرافع لِخَصْمانِ نحن، والمعنى نحن خَصْمَـانِ ولو كـان في الكـلام لَا تَخَفْ خَصْمَيْنِ بَغَى بَعْضُنَـا على بَعْضٍ [لجـاز](1)، على معنى أَتَينَاكَ خَصْمَيْنِ لأنه أنكر إتيانهم، وإتْيَانُ الخُصُومِ قَدْ كَان يعتاده كثيراً(2).

﴿فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالحَقِّ لَا تُشْطِطْ﴾.

أي لا تَجُـرْ، يقال أَشَطَّ يُشِطُّ إذا جَـار، ويقرأ لَا تَشْـطُطْ بمعنى لا تَبْعُـد عن الحق، وكـذلك لَا تَشْـطِطْ ـ بكَسْرِ الـطاء وفتح التـاء ـ معناه كمعنى الأول قال الشاعر(3):

تَـشُطُّ غَـداً دَارُ جِـيـرَانِـنَـا ... وَلَـلدَّارُ بَـعْـد غَـدٍ أَبْـعَـدُ

﴿واهْدِنا إلى سَواءِ الصِّراطِ﴾.

الى قصد الطريق ـ اي طريق الحق.

﴿تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾.

كَنَى بالنّعجة عن المرأة، قال الأعشى:

فـرميتُ غـفلةَ عَـيْنـه عـن شَـاتِـه ... فـأصبت حبـة قلبهـا وطحـالهـا(4)

عنى بالشاة ههنا المرأة.

---

(1) زيادة لا بد منها لأن الكلام خالٍ من جواب الشرط.

(2) كان الخصوم يترددون عليه كثيراً.

(3) هو عمر بن أبي ربيعة ـ انظر الطبري ٢٣/ ٨١ ـ اللسان (شطط). ومجاز أبي عبيد ٢٥/ ١٨١.

(4) من قصيدة يمدح بها قيس بن معد يكرب في ديوانه ٢٤ والبيت في أمالي المرتضى. يريد رمي شاته وهو غافل غير مراقب لها. كأنه غازلها وتلطف إليها حتى فتنها.

﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ .

أي اجعلني أبا أَكْفُلُهَا، وانزل أنت عنها .

﴿وَعَزَّنِي فِي الخِطَابِ﴾ .

غلبني في الخُصومَةِ، أي كان أقوى على الاحتجاج مِنِّي .

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾ .

المعنى بسؤاله نعجتك ليضمها إلى نعاجه .

﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الخُلَطَاءِ﴾ .

من الشركاء، تقول فلان خليطي وشريكي في معنى وَاحِدٍ .

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ .

أي قليل هم .

وقوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّما فَتَنَّاهُ﴾ :الآية[1] .

ويقرأ بالتخفيف ـ فتناهُ ـ يعنى به الملكانِ .

ومعنى ظن أيقن، إلَّا أنَّـه ليس بيقينِ عيانٍ، أَمَّـا العِيَانُ فـلا يقال فيه إلَّا عَلِمَ .

﴿فاسْتَغْفَر رَبَّه وَخَرَّ رَاكِعاً﴾ .

مكث أَرْبَعِينَ يَوْماً سَاجِداً لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ يستغفر اللَّه من ذَنْبِـهِ، إلَّا لصلاة مكتوبة ومَا لَا بُدَّ له منه، وَلَا ترقأ دَمْعَتُه[2] .

---

(١) اختبرناه .

(٢) هذا مما لا يعقل ولا يصدق . ورقأ الدمع جف وانقطع سيلانه .

ويروى في التفسير أن قصةَ داودَ والملكين سَبَبُها أن إبليس ـ غَضِبَ اللّهُ عَليه ـ تمثل له في صورة طَيْرٍ مِنْ ذَهَبٍ فسقط بقربه، فأوى إلَيْه ليأخذه فتنحَّى وطلبـه حتى إذَا قَارَبَ أنْ يتنـاولـه تنحى فَبَصُـرَ دَاودُ في اتّبـاعِ الـطيـر بِـامـرأةٍ تغْتَسِلُ، وَبَصُرَتْ به فتجلَّلَتْ[١] بشعرها حتى سترها ويقال إنها امرأة أُورِيَّـا بن حَنـان، ويُرْوَى أنـه كتب إلى صاحب جنـده أن يُقْدِمَ أُورِيَّـا في حَرْبٍ كـانت، فقدَّمَهُ فَقُتِلَ فتزوَّجها دَاودُ[٢]، ويُرْوَى أن عليًّا عليه السـلام قال: من قـال: ان داود عليه السلام قَارَفَ مِن هذه المرأة ريبةً جَلَدْتُـه مائـة وستين جلدة، لأن من قذف غير النبي جُلِدَ ثمانين جلدة، ومن قذف نبياً جلد مائةً وستّين جَلدة.

وكان في التفسير أن داود أحب أن يُتْلِفَ أُورِيَّا حتى يتزوج داود بامرأته، وهذا ـ واللّه أعلم ـ إنما كان من داود على جهة محبّة ان يتفق له ذلك من غير أن يتعمـد أو يسعى فى دم الرجـل، فجعله اللّه له ذنبـاً لما أحبـه، ويجـوز أن يكون كتب في أن يُقَـدَّمَ أمام التابوت هذا الـرَّجُلُ لبـأْسه ونَجْـدَتِه في الحـرب وَرَجَا كفايته فاتفق مـع ذلك أن أصيب وبـه حلت له امـرأته فعـوتب على محبة امرأة رجل ليس له غيرها، ولداود تسـع وتسعون امـرأة، فكان ذلـك من ذنوب الانبياء، فلما بالغ في التوبة وجهد نفسه في الرغبة إلى اللّه في العفو حتى كاد أن يتلف نفسه تائباً ومُتَنَصِّلاً إلى اللّه من ذنبه، واللّه عز وجـل قد وصف ذلـك فقال:﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

وَقَوْل عَلِيٍ عليه السلام ـ صلى اللّه على داود ورحمه ـ يدل على صحـة هذا التأويل، واللّه أعلم.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾.

---

(١) اتخذته جلالاً لها، استترت به.

(٢) انظر قصة اوريـا الحثي في سفر الملوك في العهـد القديم. وفيـه أن داود استقدمـه من الحرب برسالة وغرضه أن يبيت مع زوجه فيخفي عـار حملها منه، ولكن أوريا بـات على عتبة داود، وقال لا أترفه ورفاقي يحـاربون ـ فـطلب من القائـد أن يضعـه في الصّف الأمامي فقتـل، وهذه المرأة هي أم سليمان.

بهذا جاز أن يقال للخلفاء خلفاء اللّٰه في الأرض.

﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ﴾.

أي بحكم اللّٰه إذ كنت خليفته.

وقوله:﴿بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ﴾.

أي بتركهم العَمَل لهذا اليوْمِ صاروا بمنزلة الناسين، وإن كانوا يُنْذَرُونَ ويُذَكَّرُونَ.

﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية[1].

أعلمهم اللّٰه أنه يعذبهم على الظن. وكذلك:﴿وظَنُّوا أَنَّهُم الَيْنَا لاَ يُرْجَعُونَ﴾[2]- وإنما قيلَ لهم هذَا لأنَّهم جَحدوا البَعْثَ. ودليلُ هذا قوله: ﴿أفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾ الآية[3].

إذا لم يكن رجعة لم يكن فصل بين الفاجر والبَرِّ، وبعد هذا: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالمُفْسَدِين في الأرْضِ﴾.الآية[4] ثم قال:﴿كتاب أَنْزَلْنَاهُ [إلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِه]﴾.

المعنى هذا كتاب ليدّبّروا آياته. ليُفكِّروا في آياته، وفي أَدْبَارِ أُمُورِهم، أي عواقبها.

﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾:أي ذَوُو العقولِ.

﴿نِعْمَ العَبْدُ إنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

(١) ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾.

(٢) سورة القصص الآية ٣٩.

(٣) سورة المؤمنون الآية ١١٥.

(٤) أم نجعل المتقين كالفجار.

المعنى نعم العبدُ سُلَيْمَانُ انه أواب كَثِير الرُّجوعِ .

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الجِيَادُ﴾ .

الصافنات الخيل القائمة، وقال أهلُ اللُّغَة وأهل التفسير، الصَّافِنُ القائم الـذي يثني إحدى يـديه أو إحـدى رجليه حتى يقف بهـا على سَنْبُكِهُ[1]، وهـو طرف الحافِرِ، فثلاث من قوائمه متصلة بالأرض، وقائمـة منها تَتَّصِـلُ بالأَرْضِ طرف حافِرِهَا فقط قال الشاعر[2]

ألف الصفـون فمـا يـزال كـأنـه ... ممـا يقـوم على الثـلاث كسيـرا

وقال بعضهم الصافِن القائِمُ ثَنَى إحْدَى قَوائِمِه ولم يثنها، والخيل أكثر ما تقف ـ إذا وقفت ـ صافنةً، لأنها كأَنَّهَا تُراوح بين قوائمها .

﴿فَقَالَ إِنِّي أَحَبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي [حَتَّى تَوَارَتْ بِالحِجَابِ]﴾ .

«الخير» ههنا الخيلُ، والنبي ﷺ سمَى زيد الخيـل ـ زيد الخيـر[3]، وإنّما سميت الخيل الخير لأن الخير معقود بنـواصي الخيل ـ كـذا جاء في الحـديث . وكـانت هذه الخيـل وردت على سليمان من غنيمـة جيش كـان لـه، فتشـاغـل

---

(١) طرف حافره .

(٢) البيت في شـواهـد المغني ٢٤٨، والقـرطبي ١٢/٦٢، وفي اللسـان (صفن) ممـا ذكـره ابن الأعرابي في وصف فرس ـ و «ما» في «مما يقـوم» اسم موصـول أي من النوع الـذي يقوم على ثلاث، وكسيراً حال ـ وأشير في هامش النسخة الى رواية أخرى ترفع «كسيرا» ـ ويكون المعنى حينئذ أنه من قيـامه على الثـلاثة كـأنه كسيـر ـ وليس هذا بشيء ـ وقـد رضي الشرح الأول ابن الأعرابي ونقله ابن الحاجب عنه، وجعل «ما» مصدرية، أي من قيامه جيد جداً .

(٣) هو زيد بن مهلهل بن يزيد الطائي من الشعراء الفرسان المخضرمين، وكان جميلاً طـوالاً من أتم الناس خلقة، قال له رسول اللّه ﷺ: ما وصف لي رجل قط فرأيته الا كان دون ما وصف به الا أنت، انـك فوق مـا قيل، إن فيـك لخصلتين يحبهما اللّه ورسـوله: الاناة والحلم، وقد أصـابته الحمى فمات بعد ذلك بقليل . انظر ترجمته في الاغاني جـ ١٦/٤٦ وما بعدها .

باعتراضها إلى أن غابت الشمس وفاتته صلاة العصر. قال أهل اللغة:

﴿حَتَّى تَوارَتْ بِالحِجَابِ﴾.

يعنى الشمس، ولم يَجْرِ للشمس ذكر. وهذا لا أحسبهم اعْطَوُا الفكرَ حقَّه فيه، لأن في الآية دليلاً يدل على الشمس، وهو قوله: إذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيّ [والعِشيُّ] في معنى بَعدَ زَوال الشمس. حتى تَوارَتِ الشمسُ بالحجاب، وليس يجوز الاضمارُ إلا أن يجرِيَ ذكْرٌ أو دَليلُ ذِكْرٍ بمنزلة الذِّكْرِ. وكان سليمان لِهَيْبَتِه لا يَجْسُر عليه أَحَدٌ حَتَّى يُنَبِّه لوقت صلاة، ولست أدري هل كانت صلاةُ العَصْرِ مَفْروضَةً في ذلك الوقت أم لا، إلا أن اعتراضه الخيل قد شغله حتى جاز وَقْتُ يذكر اللَّه ـ جل وعز ـ فيه.

ومعنى أَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ آثرت حب الخير على ذكر اللَّه.

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً [بِالسُّوقِ وَالأعْنَاقِ]﴾

المسح ههنا على ما جاء في التفسير القطع، وَروي أنه ضَرَبَ سُوقها وأعناقَها، وسُوقٌ جمعُ سَاقٍ، مثل دَارٍ ودُور. ولم يكن سليمان ليضرب أعناقها الا وقد أباح اللَّه ذلك، لأنه لا يجعل التوبة من الذنب بذَنْبٍ عظيم. وقال قوم إنه مسح أعناقها وسوقها بالماء وبيده، وهذا ليس يوجب شغلها إياه، أعني أن يمسحها بالماء، وإنما قال ذلك قوم لأن قتلها كان عندهم منكراً. وليس ما يبيحه اللَّه بمنكر، وجائز أن يباح ذلك لسليمان في وقته ويحظر في هذا الوقت، ومالك يذهب إلى أنه لا ينبغي أن يؤكل لحم الخيل والبغال والحمير، لقول اللَّه عز وجل: ﴿وَالخَيْلَ والبِغَالَ والحَمِيرَ لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾(١) وقال في الابل: ﴿لِتَرْكَبُوا مِنها ومنها تأكلون﴾(٢)

---

(١) سورة النحل الآية ٨.

(٢) سورة غافر الآية ٧٩ ـ وهي في الأنعام عامة وليست في الإبل وَحْدَهَا. والآية: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكم الأَنْعَامَ لِتَركَبُوا مِنْها ومِنْها تَأْكُلون﴾.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾.

«فتنا» امتحنا.

﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾.

جاء في التفسير أنه كان لسليمان ابن فخاف عليه الشياطينَ، لأن الشياطين كانت تَقْدِر[1] الراحة مما كانت فيه بموت سليمان، فقالت إن بقي له وَلَدٌ لَمْ نَنْفكَّ[2] مما نحن فيه، فغذاه في السحاب اشفاقاً عليه فمات. فألقى على كرسيه جَسَدٌ، فجائز أن يكون هذا مُجازاتَهُ على ذَنْبِه، وجائز أن يكون، فأثكله اللَّه وَلَدَهُ.

وأكثر ما جاء في التفسير أن «جسداً» ههنا شيطان، وأن سليمان أُمِرَ ألَّا يتزوج امرأةً الا من بني إسرائيل، فتزوج من غيرهم امرأةً كانت تعبد غير اللَّه، فعاقبه اللَّه بأن سَلَبَه مُلكَهُ وكان ملكه في خاتمه فدفعه عند دخوله الحمام إلى شيطانٍ، وجاء في التفسير أنه يقال له صَخْر، فطرحه في البحر فمَكث أربعين يوماً يتيه في الأرض حتى وَجَدَ الخاتم في بطن سَمكةٍ. وكان شيطان تصور في صورته وجلس مجلسه، وكان أمره ينفذ في جميع مَا كَان يَنْفُذُ فيه أَمْرُ سُلَيمانَ، خَلاَ نساءِ سُليمانَ، إلى أن رَدَّ اللَّه عليه ملكه.

قال: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾.

أي ذلك الذنب.

﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾: حسن مَرْجع.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ﴾.

(١) نتوقع الخلاص منه.

(٢) لم نخلص من الفِكَاك.

أي هب لي ملكاً يكون فيه آية تدل على نبوَّتي، لا ينبغي لأحد من بعدي من الآدميين الذين ليسوا بأنْبياء، يكون له آية تدل على أنك غفرت لي وَرَدَدْتَ إليَّ نُبُوَّتي. والدليل على هذا قوله:﴿فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾.

﴿رُخَاءً﴾ لَيِّنةً، وقيل﴿تجري بأمره﴾ليست بشديدة كما يجب.

﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: إجماع المفسرين وأهل اللُّغَةِ أنه حيث أراد، وحَقِيقَتُهُ قَصَدَ، وكذلك قولك للمجيب في المسألة: أَصَبْتَ، أي قَصَدْتَ، فلم تخطئ الجوابَ[1].

﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾.

﴿الشياطين﴾ نسق على الريح، وقوله ﴿كل بناء وغواص﴾ يدل على أنه من الشياطين. المعنى وسخرنا له كل بناء من الشياطين وكل غوَّاص، وكان من يبني[2]: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ﴾[3].

وكان من يغوص يخرجون له الحلية من البحر.

﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ﴾.

مَرَدَةُ الجن الشياطين، سُخِّروا له حتى قَرَنَهم في الأَصْفَادِ، والأصفاد السلاسل من الحديد، وكل ما شددته شدًّا وثيقاً بالحديد وغيره، فَقَد صَفَدْتَه وكل من أعطيته عطاء جزيلاً فقد اصفدتَه كأنك أعطيته ما ترتبط به، كما تقول للمُتَخِذِ مَالاً أَصْلاً يبقى عليه: قد اتخذت عقدةً جَيِّدَةً.

﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ﴾: أي أطلق من شئت مِنهم.

(١) وهذا غير جيد لأنه يقتضي أن الريح تجري بأمره حيث كان قاصداً حسن الرأي أما إذا لم يكن قاصداً فإنها لا تجري بأمره.

(٢) أي وكان البناءون من الجن يبنون له ما يشاء.

(٣) سورة سبأ /١٣.

﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ : أو أحبس مَن شئت ولا حِسَابَ عليك في حَبْسِه، وجائز أن يكون عطاؤنا ما أعطيناكَ من المال والكثرة والملك، فامنن، أي فأعْطِ منه.

﴿أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

بغير مِنَّةٍ عَلَيْكَ، وإن شئت بغير حساب بغير جَزاء.

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾.

«عبدنا» منصوب بوقوع الفعل عليه، و «أيوب» بدل من «عبدنا»، لأن أيوب هو الاسم الخاص، والاسم الخاص لا يكون نعتاً إنما يكون بدلاً مُبَيِّناً بِنُصْبٍ، وَنَصَبٍ - بفتح النون والصاد، ونُصْبٍ بضم النون بمعنًى وَاحِدٍ - وقَدْ قُرئتْ بِنُصْبٍ بضم النون وإسكان الصاد، وقرئت بفتح النون وإسكان الصاد. وَنَصَبٍ بفتح النون والصَّادِ بِمَنْزِلَةِ نُصْبٍ بضم النُّونِ، والنُّصْب والنَّصَب بمنزلة الرُّشْد والرَّشَدِ، والبخل والبخل والعُرْب والعَرَب. والنَّصْبُ - بفتح النون وإسْكانِ الصَّادِ على أصل المصدر، والنُّصْب والنَّصَبُ على معنى نَصَبْتُ نَصْباً وَنُصْباً. وَنَصْباً على أصل المصدر.

ومعنى ﴿بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ بضُرٍّ في بَدِنِي، وَعَذَابٍ في مَالِي وَأَهْلِي ويجوز أن يكون بضُرٍّ في بَدَني وعذاب فيه.

وروي أنه مكث أيوب عليه السلام سَبْعَ سِنِينَ مُبتَلًى يسعى الدُّودُ من بَدَنِه، فنادى رَبَّه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وأنت أرحم الراحمين﴾[1].

﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾.

المعنى قلنا له: أركض برجلك: معناه دُس الأرض برجلك فداس الأرْضَ دَوْسَةً خفيفةً، فنبعت له عَيْنٌ فاغتسل منها فَذَهَب الداء من ظاهر بدنه، ثم داس دَوْسة ثانية فنبع ماء فشرب منه فغسلَت الداء من باطن بَدَنِه.

---

(١) الأنبياء /٨٣.

﴿وَوَهَبْنَا لَه أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾.

قيل: وَوَهَبْنَا لـه أهله أعطيناه في الآخِرة ثـوابَ فقدهم، ووهبنـا له في الدنيا مثلهم، وقيل أُحْيِيَ له أَهْلُه، وَوُهِبَ لَهُ مِثْلُهم.

﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾.

«رحمة» منصوبة مفعول لها.

﴿وَذِكْرَى لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾.

لذوي العقول، ومعنى ﴿وذكرى لأولي الألباب﴾ إذا ابتُلِيَ اللَّبِيبُ ذَكَـر بَلاءَ أَيُّوبَ فصَبَرَ.

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً﴾.

المعنى وقلنا خذ بيدك. والضغث الحِزْمَةُ مِنَ الحَشِيش او الريحان او ما أشبه ذلك.

وجـاء في التفسير أن امـرأة أيُّـوبَ قـالت لـه: لـو تقـربت إلى الشيـطان فذبحت له عَنَاقاً[1]: قال ولا كفًّا من تُرَابٍ، وَحَلَفَ أن يَجْلِدَها إذا عُـوفِيَ مائـةَ جَلْدةٍ، وشكر اللَّه لها خِدْمَتَها إيَّاهُ فجعل تحلة يَمِينِهِ أن يأخذ حزْمَـةً فيها مـائة قضيبٍ فيضـربها ضربة واحـدة. فاختلف النـاسُ فقَالَ قـومٌ هذا لِأَيُّـوبَ ـ عليه السلام ـ خاصَّةً، وقال قوم: هذا لسائـر الناس.

﴿أَوَّابٌ﴾: كثير الرجوع إلى اللَّه.

﴿واذْكر عَبْدَنَا ـ (وعبادنا) ـ إبْرَاهِيمَ واسْحَقَ وَيَعْقُوبَ﴾.

من قال ﴿عبادَنا﴾ جعل إبراهيمَ وإسحاق ويعقوبَ بدَلاً مِنْ عِبادِنَا، ومن قرأ

---

(۱) بعيراً.

عبَـدنَا جعـل إبراهيم وحـدَهُ البَدَلَ، وجعل إسحاق ويعقوب عَـطْفاً على قـولـه عَبْدنا.

وقوله:﴿أُولِي الأَيْدِي﴾.

وقرئت الأَيْد بغير ياء ومعنى أولي الأيدي أولي القوة في العبادة.

﴿والأَبْصَارِ﴾ أي هم ذوو بَصِيرةٍ فيما يقرب إلى اللَّه، وقـد يقول للقوم: لهم أَيَدي بهؤلاء أي هم قادرون عليهم قال الشاعر:

فَـاعْمَـدْ لِمَـا تَعْلُو فمـا لَـك بِـالَّـذِي لا تستــطيــع من الأمُــورِ يــدان[1]

أي اعمـد لما تَقْهـرُ ولا تعمد لمـا تُقْهَرُ فِيـه، أي فما لـك قَوَّةٌ. من قـرأ أُولِي الأَيْدِ بِغَير يَاءٍ، فمعناه من التأييد والتقوية على الشيء.

وقوله:﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾.

ويقـرأ بخالصـةِ ذكرى الـدار على إضافـة خالصـة إلى ذكـرى ومن قـرأ بـالتنوين جعـل ذكرى الـدار بدلاً مِنْ خَـالِصَةٍ، ويكـون المعنى إنا أَخْلَصنـاهم بـذكـرى الـدَّارِ. ومعنى الـدار ههنـا الـدار الآخـرة، وتـأويله يحتمـل وجهين أحدهما: إنا أَخْلَصْنَاهم جعلناهـم لنا خالصين، بأن جعلناهم يُذَكِّـرُون بالـدار الآخرة، ويُزَهِّدُونَ في الدنيا، وكذلك شأن الأنبياء صلوات اللَّه عَلَيْهِم. وَيَجُوزُ أَنْ يكون بأنهم يكثرون ذكر الآخرة والرجوع الى اللَّه جل وعَزَّ.

﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ المُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ﴾.

أي الـذين اتَّخذهم اللَّه صَفْـوةً، صَفَّـاهم من الأدنـاس كُلِّهَـا وَأَخْلَصَهُم منها.

---

(١) في اللسان (علا) انه لكعب بن سعيد الغنوي يخاطب ابنه علي بن كعب وقيل هـو لعلي نفسه وقبله:

وإذا رأيــت الـمــرء يــشـعــب امــره شَـعبَ الـعصـا وَيَـلجُّ في الـعـصـيــان

وقوله :﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ والْيَسَعَ وذَا الْكِفْلِ ﴾.

ويقرأ واللَّيْسَعَ وَذَا الكِفْلِ . وكان تكفَّلَ بعمل رَجُلٍ صالح . يقال إنه كان يصلي ذلك الرجل في كل يوم مائة صلاة فتُوُفِّيَ الرجل الصالح فتكفل ذو[1] الكفل بعمله، فكان يعمل عمله، ويقال ان ذا الكفل تكفل بأَمْرِ أَنْبِيَاءَ فخلَّصهم من القتل فسُمِّيَ ذا الكِفْلِ .

﴿وَكُلٌّ مِنَ الأَخْيَارِ﴾.

المعنى وكل هؤلاء المذكورين من الأخيار، والأخيار جمع خيِّر وأَخْيارٌ مثل ميت وأمواتٌ .

﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ للمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾.

معناه ـ واللَّه أعلم ـ هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أَبداً، وإن لهم مع ذلك لَحُسْنَ مآبٍ أي لحسن مَرْجعٍ . يذكرون في الدنيا بالجميل ويرجعون في الآخرة إلى مغفرة اللَّه . ثم بين كيف حسن ذلك المرجع فقال:

﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوابُ﴾.

﴿جنات﴾ بدل من ﴿لَحُسْنَ مآب﴾ ومعنى مفتحة لهم الأبواب أي منها، وقال بعضهم: مُفَتَّحَةً لهم أَبْوَابُها والمعنى وَاحِدٌ، إلَّا أن على تقدير العَرَبِيَّةِ «الأَبْوابُ مِنْهَا» أجودُ من أَنْ تجعل الألف واللام بدلاً من الهاء والألف . لأن معنى الألف واللام ليس معنى الهاء والألف في شيء. لأن الهاء والألف اسم،[2] والألف واللام دخلتا للتعريف، ولا يبدل حرف جاء لمعنى من اسم ولا ينوب عنه . هذا محال.

﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾.

---

(١) في الأصل «ذا».　　(٢) من «منها».

يعني حُوراً قد قَصَرْن طَرْفَهُنَّ على أزواجهن فلا يَنْظُرْنَ إلى غيرهم.

﴿أَتْرابٌ﴾.

أقران، ﴿وَكَواعِبَ أَتْرَاباً﴾[1] أي أسنانهن وَاحِدَةٌ، وهن في غاية الشباب والحُسْنِ.

﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الحِسَابِ﴾.

أي ليوم تجزى كل نفس بِمَا عَمِلَتْ، ثم أعلم اللّه -عز وجل- أن نعيم أهل الجنة غير منقطع فقال:

﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَالَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾.

أي ماله من انقطاع.

﴿هذا وَإِنَّ للطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾.

المعنى الأمر هذا. فهذا رفع خبرَ الابتداء المحذوف، وإن شئت كان هذا رفعاً بالابتداء والخبر محذوف، وجهنم بدل مِنْ «شَرِّ مَآب»، أي شر مَرْجِعٍ.

﴿هَـذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾.

بتشديد السِّين وتخفيفها، وحميم رفع من جهتين احداهما على معنى هذا حميم وغسّاق فليذوقوه، ويجوز أن يكون «هذا» على معنى تفسير هذا فليذوقوه ثم قال بعد حميم وغسَّاقٌ.

ويجوز أن يكون «هذا» في موضع نصب على هذا التفسير، ويجوز أن يكون في موضع رفع. فإذا كان في موضع نصب فعلى «فَلْيَذُوقُوا هَذا» فليذقوه، كما قال: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونَ﴾[2]. ومِثْلُ ذَلِكَ زَيداً فاضربه.

---

(١) سورة عم الآية ٣٣.

(٢) سورة البقرة الآية ٤١.

ومن رفـع فبـالابتـداء ويجعـل الأمـر في مـوضـع خبـر الابتـداء، مثـل ﴿والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾[1].

وقيل إن معنى ﴿غسّاق﴾ الشديدُ البـرْدِ الـذي يُحْـرِقُ من بَـرْدِه، وقيـل إن الغساقَ ما يغسق من جلود أهل النار. ولو قطرت منه قطرةٌ في المشـرقِ لأَنْتَنَتْ أهل المغرب، وكذلك لو سقطت في المغرب.

﴿وَآخَرُ مِنْ شَكْلِه أَزْوَاجٌ﴾.

وَيُقْرأ «وأُخَرُ». ﴿وآخر﴾ عطف على قوله ﴿حميمٌ وغَسَّاق﴾، أي وعَذَابٌ آخَرُ مِنْ شَكْلِه ـ يقـول مثل ذلـك الأول، ومن قرأ وأُخَـرُ، فالمعنى وأنـواع أُخر من شكله، لأن قوله: ﴿أزواج﴾، معناه أنواع.

﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ﴾.

الفوج هم تُبَّاعُ الرُّؤَسَاءِ وَأَصْحـابهم في الضلالـة وقيل لهـم: ﴿لاَ مَرْحَباً﴾ مَنْصُـوبٌ كقولـك رَحُبَتْ بِلاَدُكَ مـرحبا، وصَـادَفْتَ مَرْحَبـاً، فأدْخَلْتَ «لا» على ذَلِكَ المعنى.

﴿قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لاَ مَرْحَباً بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾.

هذا قول الأتْباعِ للرؤساء.

﴿قَالُوا رَبَّنَا من قَدَّمَ لَنَا هَذَا﴾ الآية[2].

أي زِدْه على عذابه عذاباً آخـر. ودليل هـذا قولـه تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَـادَتَنَا وَكُبَـرَاءَنَا فَـأَضَلُّونَا السَّبِيـلاَ، رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ﴾[3] وَمعنى ضِعْفين مَعْنَى فِزده عذاباً ضِعْفاً.

---

(١) سورة المائدة الآية ٣٨.

(٢) ﴿قَالُوا رَبَّنا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ﴾.

(٣) سورة الأحزاب. آية ٦٨.

وقوله تعالى: ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سُخْرِيًّا﴾.

يقرأ بقطع الألفِ وفتحها على مَعْنَى الاستفهام، ومن وصلها كان على معنى. إنا اتَّخَذْنَاهُمْ سِخريًّا، ويقرأ ﴿سِخْرِياً﴾ وسُخْرِيًّا ـ بالكَسْر والضمِ، والمعنى واحد، وقَدْ قَال قَوْمٌ: إن ما كان من التسخير فهو مضموم الأول، وما كان من الهزؤ فهو مكسور الأول[1].

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾.

أي إن وَصْفَنَا الذي وصفناه عَنْهُم لَحَقٌّ، ثم بيَّن ما هو فقال: هو تخاصم أهل النار، وهذا كله على معنى إذا كان يومُ القيامة قال أهل النار كذا وكذلك كلُّ شيء في القرآن مما يحكي عن أهل الجنة والنار.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلاَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

أي قل إنك تنذر، وإنك تدعو إلى توحيد اللَّه، ولَوْ قُرِئَتْ: «إلاَّ اللَّهَ الواحدَ القَهَّارَ» ـ بالنصب ـ لجَازَتْ ولكنَّهُ لم يقْرأ بها، فَلاَ تقرأنَّ بها، ومن نصب فعلى الاستثناء، ومن رفع فعلى معنى ما إله إلاَّ اللَّهُ.

وقوله جل وعز: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾.

أي قل النبأ الَّذِي انبأتكم به عن اللَّه ـ عز وجل ـ نبأٌ عَظِيمٌ، والذي أنبأتكمْ به دليل على نُبُوَّتي. يعني ما أنبأكم به النبي ﷺ من قصة آدم وإبليس، فإن ذلك لا يعلم الا بقراءة الكُتُبِ أو بِوَحْيٍ من اللَّه، وقد علم الذين خاطبهم النبي ﷺ أنه لم يقرأ كتاباً ولا خطه بيمينهِ ولا كان رَيْبٌ فيما يخبر به أنه وحيٌ ثمَّ بيَّن ذلك فقال:

﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلأَ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾.

---

(١) الأول من سخره أي كلفه عملاً شاقاً وأخضعه للقيام به، والثاني من سخر منه أي هزئ به.

هم الملأ من الملائكة، وملأ كل قرية وجوههم وأفَاضِلهَم.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ﴾.

أي ما عملت هذه الأقاصيصَ إلا بِوَحْيٍ منَ اللَّهِ(١).

﴿قَالَ يا إبليسُ ما مَنَعكَ أنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ، أَسْتَكْبَرْتَ﴾.

تقرأ على ثلاثة أوجه، بيـدَيَّ على التَّثْنِية، وبيَـدِيَ اسْتَكْبَرْتَ بفتـح الياء وتخفيفها وتوحيد اليد، وبتسكين اليد والتوحيد، بيديْ استكبرت.

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾.

أي فإنَّكَ لَعينٌ، معناه فإنك مرجوم باللعنة.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلى يَوْمِ الدِّينِ﴾.

يوم تدان كل نفس بما كسبت، ومعنى يوم الدين يوم الجزاء.

﴿إِلَى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ﴾.

الَّذِي لَا يَعْلَمُه إلَّا اللَّهُ، وَيَوْم الوَقْتِ يَومُ القيامة.

وقوله:﴿إلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ﴾.

بفتح اللام، أَخْلَصَهُم اللَّه لِعِبَادَتِه، ومن كسر اللام، فـإنَّمَا أراد الَّـذِيـن أَخْلَصُوا دينَهُمْ اللَّه.

﴿قَالَ فَالحَقُّ وَالحَقَّ أَقُولُ﴾.

---

(١) ترتيب الآيات: ﴿ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون. إن يوحى إليّ إلاّ أنمـا أنا نـذير مبين. إذ قال ربك للملائكة﴾ - والمؤلف ربط الآيتين الأخيـرتين كلاّ بـالاخرى - وجملة «أي مـا عملت هذه الاقاصيص» إنما هي تفسير للآية المحذوفة.

وقـرئت: «قال فـالحقَّ والحقَّ أَقُولُ» بنصبهمـا جميعـاً، فَمن رَفَـع فعلى ضربين، على معنى فَأَنا الحقُّ، والحقَّ أقُولُ. ويجوز رفْعُه على معْنَى فَـالحَقُّ مِنِّي. ومن نصب فعلى معنى فالحقَّ أَقُولُ والحق لأملأن جهنم حَقًّا.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نبأه بَعْدَ حِينٍ﴾: أي بعد الموت.

سُورَة الزُّمَر

مكية ما خلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة، قوله ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنْفُسِهم﴾ إلى تمام ثلاث آياتٍ. يقال سورة الغُرَف ويقال سورة الزُّمَر. روي عن وهب بن منبه أنه قَالَ: مَنْ أَحَبَّ أن يعرف قضاء اللّه في خلقه فليقرأ سورةَ الغُرَف.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله جل وعز:﴿تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ، إنا أَنْـزَلْنَا إلَيْـكَ الكتابَ بالحقِّ﴾.

الكتاب ههنا القرآن، ورفع تنزيل الكتاب من جهتين، احداهما الابتداء ويكون الخبر من اللّه، أي نـزل من عند اللّه، ويجوز أن يكون رفعه على: هذا تنزيل الكتاب.

وقوله:﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾.

﴿الدين﴾ منصوب بوقوع الفعل عيه، و﴿مُخْلصاً﴾ منصوب على الحال، أي فاعبد اللّه موحداً لا تشرك به شيئاً. وزعم بعض النحويين أنه يجوز مخلصاً له الدِّينُ، وقال يرفع الدين على قولك مخلِصاً، له الدينُ، ويكون مخلصاً تمام الكلام، ويكون له الدين ابتداء، وهذا لا يجوز من جهتين. إحداهما أنه لم

يقرأ به، والأخرى أنه يفسده «أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ» فيكون «له الـدين» مكرراً في الكـلام، لا يحتاج إليـه، وإنمـا الفـائـدة في «أَلاَ لِلَّه[1] الـدِّينُ الخَـالِصُ» تحسن بقوله مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ.

ومعنى إخلاص الدّين ههنا عبادة اللَّه وَحْدَهُ لَا شَـرِيكَ لَـهُ، وهذا جـرى تثبيتاً للتوحيد، ونفياً للشرك، الا ترى قوله:﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِـه أَوْلِيَاءَ مَـا نَعْبُدُهُمْ﴾[2] ـ إلى قوله ﴿ إِنَّ اللَّه لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾.

أي فَـأَخْلِصْ أَنْتَ الـدّينَ، ولا تتخـذ من دونـه أوليـاء، فهـذا كله يُؤَكِّـدَ مخلصاً له الدِّينَ.

ومـوضع ﴿وَالَّـذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِـه أَوْلِيَـاءَ مَـا نَعْبُـدُهُمْ . . ﴾ «الذين» رفع بالابتداء، وخبرهم محذوف، في الكلام دليل عليه المعنى والذين اتخـذوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ يقولون مـا نَعْبُدُهم إلاَّ لِيُقَـرِّبُونَـا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى. والدليـل على هذا أيضاً قراءة أُبَيٍّ : «مَا نَعْبُدكُمْ إلاَّ لتُقَرِّبُونَـا إِلَى اللَّهِ». هذا تصحيـح الحكايـة، المعنى يَقُولُون لأولِيَائِهِمْ: ما نعبـدكم إلاَّ لتقربـونا إلى اللَّه زلفى، وعلى هـذا المعنى، يقولون مـانعبدهم، أي يقـولـون لمن يقـول لهم لم عبـدتمـوهم: مـا نعبدهم إلا لِيُقَرِّبُونَا الى اللَّه زلفى. أَيْ قُرْبَى.

ثم أعلم عز وجل ـ أنه لا يهدي هؤلاء فقال:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾.

ثُمَّ أَعْلَمَ جل وعز: أنه تعالى عن هذه الصفة فقال:

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ﴾.

---

(١) في الأصل ألا له الدين الخالص.

(٢) الآية: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُـونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَـا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُـونَ، إِنَّ اللَّه لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾.

أي تنزيهاً له عن ذلك.

﴿هُوَ اللَّهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ﴾.

وفي هذا دليل أن الـذين اتخذوا من دونـه أولياء قـد دخل فيهم من قـال عيسى ابن اللَّه ـ جل اللَّه وعز عن ذلك ـ. ومن قال: العُزَيْرُ ابن اللَّه. ثم بَيَّنَ ـ جل وعز ـ مَا يَدُل على توحيده بما خلق ويعجز عنه المخلوقونَ فقال:

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾.

«ثُمَّ» لا تكـون إلاَّ لشيءٍ بعد شيءٍ. والنفس الـواحدة يعني بهـا آدم ﷺ وزوجها حَوَّاءُ. وإنما قولـه «ثم» لمعنى خلقكم من نَفْسٍ واحدةٍ، أي خلقهـا وَاحِدة ثم جعل منها زوجها، أي خلقها ثم جَعَل مِنها زَوْجَها قَبْلَكُمْ.

وقوله: ﴿وأَنْـزَلَ لَكُمْ مِن الأنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾.

يعنى من الابـل ذَكَراً وأُنْثَى، ومن البقـر ذكراً وأنثى ومن الضـأن كذلـك ومِن المَعْـزِ ذكراً وأُنثى. يقـال للذكر والأنثى زوجـان كل وَاحِـدٍ منهما يقـال له زوج.

﴿يَخْلُقُكُمْ في بطونِ أُمَّهاتِكُم خَلْقـاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ [فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ]﴾.

نُـطَفاً ثم عَلَقـاً ثم مُضَغاً ثم عِـظَاما ثم تُكْسَى العـظَامُ لحْماً، ثم تُصَـوَّرُ وتنفخُ فيها الرُّوحُ، فذلك معنى قوله: خَلْقاً من بعْدِ خَلْقٍ في ظلمات ثلاث في البطن، والرَّحِم، والمشيمة. وقد قيل في الاصلاب والرَّحِم والبَطْن.

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ [رَبُّكُمْ له المُلْكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ]﴾.

المعنى الَّذِي دَبَّر الخَلْقَ هَذا التَّدْبِيرَ لَيْس كَمِثِله شيء.

﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾.

المعنى فمن أين تصـرفون عن طـري الحق، مثل: ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾، أي فكيف تعدلون عن الحقِّ بعد هذا البيانِ الذي يدل على صحة التوحيد.

﴿وَإِنْ تَشكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾.

معناه يرضى الشكر، لأن قوله «ان تشكروا» يَدُلُّ عَلَى الشكر.

وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

لا يؤخذ أَحَدٌ بِذنب أَحَدٍ.

وقوله جل وعز: ﴿مُنِيباً إِلَيْهِ﴾: أي تائباً إليه.

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ﴾.

أي أذهب الضُّرَّ عَنْهُ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ.

﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾.

يقول: نسي الدُّعَاء الذي كان يتضرع به الى اللّه ـ جل وعز ـ، وجائـز أن يكون معناه نسي اللّه الذي كان يَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ من قبل، ومثله: ﴿وَلَا أَنا عَـابِدٌ مَـا عَبَدْتُم وَلَا أَنْتُم عَابِدُونَ مَا أَعْبُدَ﴾[1]. فكانت «ما» تدل على اللّه، و «من» عبارة عن كل مُمَيِّزٍ. و «ما» يكون لكل نوع، تقول: ما عندك، فيكونُ الجوابُ رجل أو فرس أو ما شئت من الأجنـاس، فَيَدْخُـل المميز في «مـا» من جهةِ دُخـولِها على الأجناس.

﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِك قَلِيلاً﴾.

لفظ هـذا لفظ أمر، ومعنـاه التهديـد والـوعيـد، ومثله ﴿فتمتعوا فسـوف تعلمون﴾ ومثله: ﴿فمن شـاء فليؤمن ومن شـاء فليكفر﴾[2]، ومثله قـولـه لمن

(١) سورة «الكافرون».
(٢) سورة الكهف ٢٩.

يتهـدده: عُدْ لِما أكره وَحَسْبُـكَ، فأنت لست تـأمره في المعنى وإنما تـوعـده وتتهدده.

وقوله عز وجل:﴿أَمْ مَنْ هُوَ قانتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾.

ساعات الليـل، واكثر القـراءة بتشديـد الميم عَلى معنى بل أم من هـو قانت ـ والقانت المقيم على الطاعة، ودعاء القُنُوتِ الدعاء في القيام، فالقانت القـائم بمـا يجب عليـه من أمـر اللّه، ويُقـرأ أَمَنْ هـو قـانِتٌ بتخفيف الميم، وتأويله: أمن هو قانت كهذا الـذي ذكرنـا ممن جعل للّه أنـداداً، وكذلـك أَمَّنْ معناه بَلْ أَمَنْ هو قانت كغيره، أي أمن هو مُطيعٌ كَمن هُوَ عَاصٍ.

﴿يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبّه﴾.

معناه يحذر عذاب الآخرة.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾: الآية[1].

أي لا يستوي العالم والجـاهل، وكـذلك لا يَسْتَـوي المُطيـعُ والعَاصِـي و﴿أُولُوا الأَلْبَابِ﴾: ذوو العقول، وواحد الألباب لب وهي العقول.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِه الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضَ اللّه وَاسِعَةٌ﴾.

ذكر سعةِ الأرض ههنـا لِمَن كان يعبـد الأصنام. وَأَمَـرنا بـالمهاجـرة عن البَلَدِ الـذي يُكَـرهُ فيـه على عبـادتهـا، كمـا قال: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَـةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾[2] وقد جرى ذكر الأوثـان في قولـه: ﴿وَجعلَ لِلّهِ أَنْـدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيله﴾.

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

---

(١) تمامها: ﴿وَالذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ، إنَّمَا يَتَذَكَّر أولُو الألْبَابِ﴾.

(٢) سورة النساء/ ٩٧.

أي من صبر على البلاء في طاعة اللّه أَعْطِيَ أَجْرَهُ بغَير حساب، جاء في التفسير بغير مكيال وَغير مِيزَانٍ. يُغْرَفُ لَهُ غَرْفاً، وهذا وإن كـان الثوابُ لا يقـع على بعضه كيلٌ ولا وَزْنٌ مِمَّا يَتنَعَّمُ به الانسان من اللَّذَةَ والسُّرُور والرَّاحة، فإنَّهُ يمثل ما يعلم بحاسَّةِ القلب بما يدرك بالنَّظَرِ، فيعرف مقدار القلَّة من الكثرة.

وقوله:﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾.

يقول: إنّي أمرت بتوحيد اللّه، وأُمِرَ الخلقُ كلُّهُمْ بذلك، وَأَلاَّ يُتَّخذَ من دُونِهِ وَلِيًّا ولا يجعلَ له أَنْدَاداً.

وقوله:﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِه﴾.

هذا على ما قلنا من الوعيد مثل قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً﴾، وهذا يدل ـوالله أعلم ـ على أنـه قَبْلَ أن يؤمَـرَ المسلمون بـالحرب، وهـو مثل ﴿فمن شاء فليؤمن ومَنْ شَـاءَ فَلْيَكْفُر﴾، وقـد بين حظ المؤمنين من جـزيـل الثـواب، وحظ الكافرين من عظيم العقاب.

وقـولـه تعـالى:﴿قُـلْ إِنَّ الْخَـاسِـرِينَ الَّـذِينَ خَسِـرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾.

هذا يعني به الكفار، فإنهم خسروا أَنْفُسَهُم بالتخليد في النَّارِ، وَخَسِـرُوا أَهْليهم لأنهم لم يـدْخُلوا مَدْخَـل المؤمنين الذين لهم أهـل في الجنة، ثم بين حَالهم فقال:﴿أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ. . ﴾: الآية[١].

وهذا مثل قوله﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ العَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾[٢]

---

(١) ﴿مِنَ النَّار وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾.

(٢) سورة العنكبوت الآية ٥٥.

﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾.

أي ذلك الذي وُصِفَ مِن العَذَابِ وما أَعَدَّهُ لأهل الضَّلَالِ الَّذِي يخوف اللَّه به عباده.

﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾.

القراءة بحذف الياء، وهو الاختيار عند أهل العربية، ويجوز: يَا عِبَادِي وَيَا عِبَادِيَ، والحذف أجود وعليه القراءة.

وقوله:﴿والَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدوهَا﴾.

أي الذين اجْتَنَبُوا الشياطين أن يتبعوهم.

﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ البُشْرَى، فَبَشِّرْ عِبادِ. الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾: الآية.

وهذا فيه واللَّه أعلم وَجْهَانِ. أَحَدهما أن يكون يستمعون القرآن وغيره فيتبَعُونَ القرآن، وجائز أن يكونوا يستمعون جميع ما أمر اللَّه به فيتّبعون أحسن ذلك نحو القصاص والعفو، فإن من عفا وترك ما يجب له أعظم ثواباً ممن اقتص، ومثله: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[1]. ﴿وَلَمَنِ انْتَصَر بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِن سَبيلٍ﴾[2].

وقوله:﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْه كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ في النَّارِ﴾.

هذا من لطيف العربية، ومعناه معنى الشرط والجزاء، ! وأَلِفُ الاستفهام ههنا مَعْنَاهَا معنى التوقيف، والألف الثانية في﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ من في النارِ﴾ جاءت مُؤَكِّدةً مُعَادَةً لمَّا طال الكلام[3]، لأنه لا يصلح في العربية أن تأتي بألف الاستفهام في الاسْمِ وألفٍ أُخْرَى في الخبر. والمعنى أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذه، وَمِثْلُه ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ

---

(١) سورة الشورى /٤٣. (٢) الشورى /٤١.

(٣) جاءت همزة الاستفهام من «أفمن حق» وأُعيدت في «أَفَأَنْتَ» ـ للتوكيد.

مُخْرَجُونَ﴾(١) أعَادَ «أنكم» ثانية، والمعنى أَيَعدُكُمْ أَنَّكُمْ إذا مِتُّم وَكُنْتُم تَراباً وعِظَاماً مُخْرَجونَ، ويكون ـ واللَّه أعلم ـ على وجه آخر، على أنه حُـذِفَ وفي الكلام دليل على المحذوف، على معنى أفمن حق عليه كلمة العـذاب يَتَخَلَّصُ منه، أو يِنْجُو مِنه، أفأنت تنقذه، أي لا يقدر أحد أن ينقـذَ مَنْ أَضَلَّه اللَّهُ، وسبق في علمه أنَّه من أَهْلِ النَّارِ.

وقوله ـ جل وعز ـ : ﴿أَلَمْ تَر أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَسَلَكَـهُ يَنَابِيـعَ فِي الأَرْضِ﴾.

جـاء في التفسير أَنَ كُـلَّ مَـا فِي الأَرْضِ فـابتَـداؤه مِنَ السَّمَـاءِ، ومعنى «ينابيعُ» الأمكنة التي ينبع منها الماء، وواحد الينابيع يَنْبُوع، وتقدره يَفْعُول من نَبَعَ يَنْبُعُ.

﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾.

منازل في الجنة رفيعة، وفوقها منازل أَرْفَعُ مِنْهَا.

﴿وَعْـدَ اللَّه﴾.

القـراءة النصب ويجوز وَعْـدُ اللَّهِ فَمَنْ نَصَبَ وَهِي القِراءةُ، فبِمَعْنى لَهُم غُرَفٌ. لأن المراد وعدهم اللَّه غرفاً وَعْداً، فوعدُ اللَّه مَنْصُـوبٌ عَلَى المَصْدَرِ، ومن رفع فالمعنى: ذلـك وَعْـدُ اللَّهِ.

وقوله ـ جل وعز ـ: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ﴾.

ألوانه خُضرة وصُفْرةٌ وَحُمْرةٌ وبياض وغير ذلك.

﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾: يَجِفُّ، قال الأَصْمَعيُّ يقال للنَّبْتِ إِذَا تَمَّ جفافـه: قد هَـاجَ يَهِيجُ هيجاً.

---

(١) سورة المؤمنون الآية ٣٥.

﴿ثُمَّ يَجْعَلُه حُطَاماً﴾.

الحطام ما تَفَتَّتَ وَتَكَسَّر من النَّبْتِ وغَيْره، ومثل الحطام الرفاتُ والدَّرين.

﴿إنَّ في ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الألْبَابِ﴾.

أي تَفَكُّرٌ لذوي العُقُولِ، فيذكرون ما لهم في هذا من الدلالة على توحيد اللَّه جل وعز.

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَعلى نُورٍ[مِنْ رَبِّهِ]﴾.

فهذه الفاء فاء المجازاة، والمعنى أفمن شرح اللَّه صَدْرَهُ فاهْتَدَى كمن طبع على قلبه فلم يَهْتَدِ لِقَسْوَتِه، والجواب متروكٌ لأن الكلام دَالٌّ عليه، ويُؤكد ذَلك قوله - جل وعز -: ﴿فويل للقاسية قلوبُهُم من ذكر اللَّه﴾، يقال: قسا قلبه عن ذكر اللَّه ومن ذكر اللَّه، ؛ فَمَن قال من ذكر اللَّه، فالمعنى كُلَّما تُلِيَ عليه ذكر اللَّه قَسَا قلبه، كما قال: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسَاً إلى رِجْسِهِمْ﴾[1]. ومن قال: عن ذكر اللَّه فالمعنى أنه غلظ قلبه وجفا عن قبول ذكر اللَّه.

﴿أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

يعني القاسية قلوبهم. الآية.

وقوله:﴿اللَّه نَزَّل أَحْسَنَ الحَدِيثِ كتاباً مُتَشَابِهاً﴾، يعني القرآن، ومعنى متشابهاً، يشابه بعضه بعضاً في الفضل والحكمة، لا تناقض فيه، و«كتاباً» منصوب على البدل من «أحسن الحديث».

وقوله : ﴿مَثَانِيَ﴾ من نعت قوله ﴿كِتَاباً﴾ منصوب على النعت، ولم ينصرف ﴿مثاني﴾ لما فسرناه من أنَّه جمع ليسَ عَلَى مِثالِ الوَاحِدِ.

---

(١) سورة التوبة.

﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جلودَ الذين يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾.

يقول: إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين للَّه.

﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إلى ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

إذا ذكرت آيات الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم.

﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾.

يقول: الذي وهبه اللَّه لهم من خشيته وخوف عَذَابِهِ ورجاء رحمته هدي اللَّه.

﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ العَذَابِ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾.

هذا مما جوابه محذوف، المعنى كمن يَدخل الجنة، وجاء في التفسير أن الكافِرَ يُلْقَى في النار مَغْلُولاً، لا يتهيأ له أن يتَّقيَ النار إلاَّ بِوَجْهِه.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾ - إلى قوله ﴿عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾(١).

﴿عربياً﴾ منصوب على الحال، المعنى ضَرَبْنا للنّاس في هذا القرآن ما(٢)، حال عَرَبِيَّتِه وبيانه، وذكر ﴿قرآناً﴾ توكيداً، كما تقول: جاءني زيد رَجُلاً صالِحاً، وجاءني عمرو إنْسَاناً عَاقِلاً. فَتَذْكُرُ رَجُلاً. . و «إنساناً» توكيداً.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً﴾ - إلى قوله ﴿وَرَجُلاً سَالِماً لِرَجُلٍ﴾(٣).

ويقرأ ﴿سَلَماً﴾ وَسِلْماً، فسالماً على معنى اسم الفاعل. سَلِمَ فَهُوَ سَالِمٌ، وَسَلْمٌ وَسَلَمٌ مصدران وصف بهما على معنى وَرَجُلاً ذا سَلَمٍ. ومثله مما جاء

---

(١) تمام الآية: ﴿فِي هَذا القُرْآنِ مِنْ كلّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، قرآناً عَرَبيًّا غَيرَ ذِي عِوَجٍ﴾.
(٢) هكذا جاءت، ويظهر أنه سقط شيء من الناسخ أي ضربنا ما فيه من الأمثال.
(٣) ﴿رَجُلا فِيهِ شركاءُ مَتَشَاكِسُونَ، وَرَجُلاً. . .﴾.

من المصادر فِعْلاً وَفَعَلاً قولهم: رَبِحْتُ رِبْحاً وَرَبْحاً، قال الشاعِرُ: (١)

إذا الحسنـاء لم تـرحَضْ يَـدَيْهَـا ... ولـم يُقْصَـرْ لـهـا بَصَـرٌ بِسِتْـرِ
قَـرَوا أَضْيَـافَـهُـمْ رَبَحـا بِبُـحٍّ ... يـجـيء بِـفَـضْـلِهِـنَّ الـمَشُّ سُـمْـرِ

أَيْ قَرَوْا أضيافهم بذبح القِداح الَّتِي يضْرِبُونَ بها فِي المَيْسرِ.

وَتَفسيرُ هذا المثل أنه ضُرِبَ لمن وحَّدَ اللَّه، ولِمَن جَعَلَ له شريكاً، فالذي وحد اللَّه مثله مثل السَّالِم لرجل لا يشركه فيه غيرُه، ومثل الذي عَبَدَ غير اللَّه مثل صاحب الشُّرَكَاءِ المَتَشَاكِسين. و «الشركاء المتشاكسون»، المختلفون العَسِيرُونَ الذين لا يَتَّفِقُونَ.

وقوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً﴾.

أي هل يَسْتَوِي مَثَلُ المَوحِّدِ وَمَثَلُ المشرك.

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾.

يَخْتَصِم المؤمِنُ والكافِرُ، ويخاصِمُ المظلومَ الظَّالِمَ.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾.

المعنى أي أحد أظلمُ مِمَّن كذب على اللَّه وكذب نبيَّه ﷺ.

﴿وَالَّذِي جَاءَ بالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾: الآية.

---

(١) من شعر خفاف بن نُدبة السُّلمي ـ وجاء معها بيت ثالث في اللسان (نحح) هو:

هـم الأيسـار إن قـحـطت جمـادي ... بـكـل صَـبـيـر غـاديـة وقَـطْرِ

وجاء البيت الثاني فقط في (ربح) ـ والرُّبَح الفصيل والشحم ـ ويجمع رَبَحٌ على رباح مثل جمل وجمال، والبح قداح الميسر ـ أي يتقامرون على الفصال حيث اعوزتهم الكبار، والصبير من السحاب ما يكون متراكباً، والمش هو المسح ـ ويروى الحيّ ـ وسمر نعت للبح ـ أي بقداح سمرٍ ـ يريد أنه إذا أجدب الناس ولم يطعموا ما يغسلون منه أيديهم قرى قومه الأضياف فصالاً بالتقامر بالأزلام السمر فيطعمون ويمشون أيديهم وندبة أم خفاف.

روي عن علي رحمه اللّه أنه قال: الذي جاء بالصِّدْقِ محمد ﷺ والذي صدَّق به أبـو بَكْرٍ. رحمـه اللّه. وروي ان الذي جـاء بالصـدق جبريـل والذي صـدق به محمـد صلى اللّه عليهما، وروي أنَّ الَّـذِي جـاء بـالــصـدق محمد وصــدَّق بـه المؤمنون. وجميع هذه الوجوه صحيح.

والذي جاء في حرف[1] ابن مسعودٍ: والَّذِينَ جَاءُوا بالصِّدْق وصدَّقُوا بِـهِ و «الذين» ههنا و «الذي» في معنى واحد، توحيده ـ لأنه غير مُـوَقّت ـ جائـز[2] وهو بمنزلة قولك من جاء بالصِّدق وصدَّقَ بـه.

﴿أُولَئِـكَ هُمُ المُتَّقُونَ﴾.

و «الـذي» ههنا للجنس، المعنى والقبيـل الذي جـاء بالصـدق، وقـولـه ﴿أولئك هم المتقون﴾ يدل على معنى الجماعة، ومثله من الشِّعر[3]:

إن الـــذي حـــانـت بفـلج دمــاؤهم   هم القــوم كـل القــوم يَـا أمَّ خَـالِـدِ

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾.

ويقرأ «عباده»، ولو قرئت «كـافِي عَبْدِه» و «كـافي عِبادِه» لجـازَتْ، ولكن القراءة سنة لا تخـالف، ومعنى ﴿بكاف عبـده﴾ يدل علـى النصـر، وعلى أنه كقوله: ﴿ليظهره على الدين كله﴾[4]، وهو مثل: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[5].

---

(١) في قراءته.

(٢) غير مُؤقت أي غير معين لشخص بعينه، بل هو جنس عام فيستوي فيه الجمع والمفرد ـ كقولك الرجل قَوَّامٌ عَلَى زوجه والرِّجَالُ قوَّامُونَ على أزواجهم.

(٣) للاسود بن رميلة النهشلي ـ يقال زميله ـ بالراء والزاي ـ وهي أمه. وأبوه ثـور بن أبي حارثـة ـ من الشعراء الاسلاميين. عده الجمحي في الطبقة الرابعة ـ والبيت من شواهد النحو الشـائعة ـ انـظر شواهد المغني ١٧٥ ـ حيث ذكر السيوطي على طريقته أبياتاً في رثاء أقارب له منها هذا البيت، والخزانة ٢/٥٠٧ والعيني ٤٨٢/١ وشواهد الكشاف للمرزوقي ٢٥. وقيل «الذي» هي الذين، حذفت منها النون.

(٤) سورة التوبة آية ٣٣.

(٥) سورة الحجر ٩٥.

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بالَّذِينَ مِنْ دُونِه﴾.

أي يخوفون بآلهتهم وأَوْثَانِهِم. ويروى أن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى العُزَّى ليكسرها، فلما جاء خالد قال له سَادِنُها(١): أُحَذِّرُكَهَا يا خَالِدُ إنَّ لها شدةً لا يقوم لها شيء فعمد خالِدٌ إلى العزى فهشم أنفها، فهذا معنى ويخوفونك بالذين من دونه، لأن تخويفهم خالِداً هو تخويفهم النبي ﷺ لأنه وجهه.

ثم أعلم - مَعَ عِبَادَتِهم العُزَّى وَالْأَوْثَان - أنهم مُقرّونَ بأن اللَّهِ خَالِقُهُمْ فقال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَواتِ والْأَرْضَ لَيُقُولُنَّ اللّه قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ - إلى قوله ﴿هل هُنَّ مُمْسِكاتُ رَحْمَتِه﴾(٢).

ويقرأ كاشفاتُ ضُرِّه - بترك التنوين والخفض في ضره ورحمته - فمن قرأ بالتنوين فلأنه غير واقع في معنى هَلْ يكشِفْنَ ضُرَّه أو يُمْسِكنَ رحمَتَه ومن أضاف وخفض فعلى الاستخفاف وحذف التنوين. وكلا الوجهين حسن قرئ بهما.

﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾.

و﴿على مكاناتكم﴾. هذا اللفظ أمر على معنى الوعيد والتهدُّدِ(٣) بعد أن أعلموا ما يجب أن يعملوا به، ثم قيل لهم: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾، وهذا كلام يستعمله الناس في التهدد والوعيد. تقول: متى أسأت إلى فلانٍ انتقمت مِنْكَ، ومتى أَحْسَنتَ إليه أحسنتُ إليك فاعمل ما شئت واختر

---

(١) حارسها وخادمها.

(٢) تكملة الآية: ﴿إنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ، هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِه﴾.

(٣) من تهدَّدَهُ بمعنى تَوعَّدَهُ.

لنفســك، فخوطب العبــاد على قـدر مُخَـاطَبَـاتِهِم وَعِلْمِهِمْ، وقــولـه على «مَكَانَاتِكُمْ» و ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ معناه على نـاحيتكم التي اخترتمـوها، وجهتكم التي تمَكَّنْتُمْ ـ عند أَنْفُسِكم ـ في العلم بها.

﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾[١].

ولم يقل على جهتي، لأنَّ فِي الكلام دَلِيلاً على ذلك.

﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.

أي ما انت عليهم بحفيظ، ثم أخبر بأنه الحفيظ عليهم القدير فقال:

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا، وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾.

أي ويتـوفى الأنفس الَّتِي لم تَمُتْ في مَنَامِهـا، فالميتَـةُ المتَوَفَّـاةُ[٢] وَفَـاةَ المَوْتِ الَّتي قد فارقتها النفس[٣] التي يكون بها الحياة والحركة، والنفسُ التي تميـز بها. والتي تتـوفى في النـوم نفس التمييـز لا نفس الحيـاة[٤]، لأن نفس الحيـاة إذا زَالَتْ زال معها النَّفَسُ[٥]، والنـائم يتنفَّسُ. فهذا الفـرق بين تَـوفِّي نفس النائم في النوم وَنَفْس الحيّ.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ . . .﴾ الآية.

معنى ﴿اشمأزت﴾ نفرت، وكانوا ـ أعني المشركين ـ إذا ذكر اللَّه فقيل: «لا إله إلاَّ اللَّه» نَفَرُوا من هذا، لأنهم كانوا يقولون: اللات والعزى، وهذه الأوثان آلهة.

---

(١) أي لم يقل: إني عامل على مكانتي.
(٢) في الأصل والمتوفاة وهو خطأ لعدم وجود خبر للمبتدأ.
(٣) في الأصل الذي فارقته.
(٤) عندما يكون الشخص نائماً إنما يفقد النفس المميزة لا نفس الحياة.
(٥) التنفُّس.

وقوله عز وجل: ﴿فَإِذَا مَسَّ الإنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا . . ﴾ الآية.

﴿ثم إِذَا خَوَّلْنَاهُ﴾: أَعْطَيْنَاهُ ذلك تفضُّلاً، وكل من أعطى على غير جزاء فقد خول.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيته عَلَى عِلْمٍ﴾.

أي أعطيته على شَرفٍ وفَضْل يجب لـه به هـذا الَّـذِي أعـطيت، فقـد علمت أني سأُعْطَى هُدًى، فأعلم اللَّه أنه قد يعطى اختباراً وابتلاءً فقال:

﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾.

أي تلكَ العَطِيَّةَ فِتْنَةً من اللَّه وبلوى يبتلى بها العَبْدُ ليشكر أو يكفر.

﴿قَدْ قَالَها الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ. [فَمَا أَغنى عَنْهُمْ ما كانوا يَكْسِبُونَ]﴾.

يقول: فأَحْبَطت أعمالهم.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا، والَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾.

أي إلى اللَّه مرجعهم فيجَازِيهم بِأعْمالهم.

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾.

ومعنى ﴿لا تقنطوا﴾ لا تيأسوا، وجاء في التفسير أن قوماً من أهل مكة قالوا إنَّ محمداً يقول: إنَّ مَنْ عَبَدَ الأوثان واتخذ مع اللَّه إلٰها وقتل النفس، لا يغفر لـه، فأعلم اللَّه أن من تـاب وآمن غفر اللَّه لـه كل ذنب، فقال: ﴿لَا تَقْنَطُوا من رحمة اللَّه إن اللَّهَ يغفرُ الذنوبَ جميعاً﴾، وقال:

﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾.

أي تـوبوا، وقيـل إنَّها نـزلت في قوم فتنـوا، في دينهم، وعُـذِّبُـوا بمكـةَ

فَرَجَعُوا عن الاسلام، فقيل إنّ هؤلاء لا يُغْفَرُ لَهم بعد رُجوعهم عن الاسلام فأعلم اللّه أنهم إن تابوا وأسلموا غفر لهم.

﴿واتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

يعني القرآن ودليله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً﴾.

وقوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيكُمُ العَذَابُ بغتةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

بغتة: فجأة.

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾.

أي يا نَدَما، وحرف النداء يدل على تمكن القصة من صاحبها، إذَا قال القائل: يا حسرتاه ويَا وَيْلاَهُ، فتأويله الحسرة والويل قَدْ حَلاَّ بِهِ وانهما لازمان له غير مفارقين، ويجوز يا حسرتي، وزعم الفراء أنه يجوز يا حسرتاهُ على كذا وكذا بفتح الهاء، ويا حَسْرَتَاهُ ـ بالكسر والضم. والنحويون أجمعون لا يجيزون أن تثبت هذه الها في الوصل وزعم أنه أنشده من بني فَقْعس رجلٌ من بني أسد: (١).

يا رَبُّ يا رَبَّاهُ إيَّاكَ أَسَلْ　　عفراء يا رباه من قبل الأجل

وأنشده أيضاً(٢):

---

(١) لبعض بني أسد، انظر الخزانة ٣/٢٦٢ وبعده.

فإن عفراء من الدنيا الأمل

وأورده الفراء في معانيه في الآية نفسها. وأسل بمعنى أسأل.

(٢) انظر الشاهد ١٤٧ من الخزانة ص ٣٣٩ جـ ٢ (سلفية) ـ وهو شاهد على أن هاء السكت بعد الألف ـ تضم وتفتح ـ وبعده:

إذا أتى قربته للساقية

وضبط ناجية بالجيم والميم ـ وبنو ناجية قوم من العرب، وناجية ماء لبني أسد وموضع بالبصرة ـ والسانية الدلو العظيمة، والناقة التي يسقى عليها من البئر ـ يقال ايضاً يسني عليها. وجاء البيت:

يا مَرْحَبَاهِ بِحَمارِ ناجية

والذي أعرف ان الكوفيين ينشدون:

يا مرحَبَاهُ بجمار ناجية

قال أبو إسحاق: ولا أدري لم اسْتُشْهِدَ بهذا، ولم يُقرأْ بِهِ قطُّ، ولا ينفع في تفسير هذه الآية شيئاً، وهو خطأ.

وَمَعْنَى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾.

خوفَ أن تَقُولَ نفس وَكَراهة أن تَقُولَ نفسٌ. المعنى اتبعوا أَحْسَنَ ما أُنْزِلَ خوفاً أن تصيروا إلى حَال يقال فيها هذا القول، وهي حال النَّدَامَةِ ومعنى ﴿على ما فَرَّطْتُ في جَنْبِ اللَّه﴾: في أمر اللَّه، أي فرطت في الطريق الذي هو طريق اللَّه الذي دعاني إليه وهو توحيده والاقرار بنبوة رسول اللَّه ﷺ.

﴿وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾.

أي وما كنت إلَّا من المستهزئين.

أو تقولَ:﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ إلى قوله ﴿فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(١).

أي وكراهة أن تقول هذا القول الذي يؤدي إلى مثل هذه الحال التي الانسان فيها في الدنيا، لأنّ اللَّه قد بين طُرُقَ الهدى، والحي في نيَّتِهِ بمنزلة من قد بعث، لأن اللَّه خلقه من نطفة وبلغه إلى أن مَيَّزَ، فالحجة عليه.

وقوله ﴿بَلَى﴾جواب النفي وليس في الكلام لفظ النفي، ومعنى ﴿لو أن اللَّهَ هَدَاني﴾، و ﴿لَو أَنَّ لِي كَرَّةٍ﴾. كأنه قيل: ما هُدِيتُ، فقيل:﴿بلى قَدْ

= في معاني الفراء ٢/٤٢٢ - «بحمار ناهية» ويظهر أنه تصحيف أو تحريف.

(١) ﴿لَو أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتَ مِنَ الْمُتَّقِينَ، أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا واسْتَكْبَرْتَ﴾. وقال [اللّه تعالى]: ﴿ولو رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْه وإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾(١) [أي] حيث قالوا: ﴿يا ليتَنَا نرد﴾ ـ الآية(٢).

وقد رويت عن النبي ﷺ بكسر الكاف: «بَلَى قَدْ جَاءَتْكِ آيَاتي» جواب للفظ النفس ـ كما قال: ﴿أَنَّ تقول نفس﴾.

وإذا قال: ﴿بلى قد جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾ [بالفتح] فلأن النفس تقع على الذكر والأنثى، فخوطب المذكرون. ومثل ﴿قد جاءتكِ آياتي﴾ ـ على خطابه المؤنث: ﴿يَا أيتُها النفس المُطْمَئِنَّةُ إرْجِعي إلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾(٣).

وقوله ـ عز وجل ـ:

﴿وَيَوْمَ القِيامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾.

القراءة على رفع ﴿وجوهُهم مسودَّةٌ﴾ على الابتداء والخبر، ويجوز «وجُوهَهُمْ مسوَدَّةً» على البدل من الذين كفروا، المعنى ويوم القيامة ترى وجوه الذين كذبوا على اللّه مُسْوَدَّةً، والرفع(٤) أكثر وعليه القُرَّاءُ ومثل النصب قول عَدِيِّ بن زيدٍ:

دَعِينِي إن أَمْرَكِ لَنْ يُطَاعا وما أَلْفَيْتِني حلمي مضاعاً(٥)

﴿بِمفَازَتِهِمْ﴾.

و «بمفازاتهم» يقرأان جميعاً.

---

(١) سورة الأنعام الآية ٢٨.

(٢) ﴿يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾. الأنعام الآية ٢٧.

(٣) سورة الفجر الآيات ٢٧ ـ ٣٠.

(٤) أي وجوههم بدل من الذين كفروا.

(٥) البيت من شواهد النحو ـ انظر باب البدل في ابن عقيل وشواهد شذور الذهب ١٣١، وفي كتاب سيبويه ١/٧٧ منسوباً إلى رجل من نجيلة أو خثعم، وهو في الخزانة ٢/٣٦٨.

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوات [وَالْأَرْضِ] ﴾.

أي مفاتيح السموات، المعنى ما كان من شيء من السموات والأرض فاللَّه خالقه وفاتح بابه.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بآياتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾.

أي الذين يقولون إنّ شيئاً ليس مما خَلَقَ اللَّهُ أو رزقه من السموات والأرض فليس اللَّه خالِقَه، أولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ.

ثم أعلم اللَّه -جَل وعز- أنه إنما ينبغي أن يعبد الخالق وحده لا شريك له فقال قل لهم بعد هذا البيان: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّه تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الجَاهِلُونَ ﴾.

﴿أَفَغير﴾ منصوب «بِأعْبُد» لا بقوله ﴿تَأْمُرُونِّي﴾ المعنى أفغير اللَّه أعْبدُ أيُّها الجَاهِلُونَ فيما تأمرونني.

﴿بَل اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾.

نصب لفظ ﴿اللَّه﴾[(١)] - جل وعز - بقولك ﴿فاعبد﴾، وهو إجماع في قول البصريين والكوفيين، والفاء جاءت على معنى المجازاة، كأنه قال: قد تَبيَّنْتَ فَاعْبُدِ اللَّهَ.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾.

ويقرأ قَدَرِهُ - بفتح الدال. جاء في التفسير: ما عَظَّمُوه حقَّ عَظَمَتِهُ. والقدْرُ والقَدَر ههنا بمعنى وَاحِدٍ.

﴿والأرضُ جميعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾.

﴿جميعاً﴾ منصوبٌ عَلَى الحالِ، المعنى والأرض إذا كانت مجتمعةً قَبْضَتُه يومَ القيامة ﴿والسمواتُ مطوياتٌ بيمِينه﴾.

(١) في الأصل: نصب اللفظ باللَّه عز وجل.

أَكْثَرُ القِرَاءَةِ رَفْعُ ﴿مَطْوِيَّاتٌ﴾ على الابتداء والخبر، وقد قرئت: «والسموات مَطْوِيَّاتٍ» ـ بكسر التاء على معنى: والأرض جميعاً والسموات قبضته يَوْمَ القِيَامَةِ وَ «مَطْوِيَّاتٍ» منصوب على الحال(١).

وقد أجاز بعض النحويين «قَبْضَتَهُ» بنصب التاء، وهذا لم يقرأ به ولا يجيزُه النحويُّونَ البصريون، لا يقولون: زَيْدٌ قَبْضَتَكَ، ولا «المال قَبْضَتَكَ» على معنى في قَبْضَتِكِ، ولو جاز هذا لجاز زيد دَارَكَ يريدون زَيْدٌ في دَارِكَ.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: وقد فسرناهُ.

﴿فَصَعِقَ﴾: أي مات.

﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾.

وجاء في التفسير أنه القَرْنُ الذي ينفخ فيه اسرافيل، وقال بعض اهل اللغة: هو جمع صورة(٢).

﴿إِلَّا مَنْ(٣) شَاءَ اللَّهُ﴾.

جاء في التفسير أن هذا الاستثناء وقع على جبريل وميكائيل ومَلَكِ الموت، وجاء أن الاستثناء على حملة العرش.

﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾.

معناها لما أراد اللَّه الحساب والمجازاة أَشْرقت الأرض، وفي حديث النبي ﷺ أنه قيل له: أترى رَبَّنَا يا رسول اللَّه، فقال: أَتُضَارُّن في رُؤْيَة الشَّمْسِ والقمر في غير سَحَابٍ، قالوا: لا، قال فإنكم لا تُضَارُونَ في رُؤيته.

---

(١) السموات معطوف على الأرض ـ وخبرها محذوف. أي هي أيضاً في قبضته.

(٢) سبق أنه رأى أبي عبيدة وأنه غير جيد.

(٣) في الأصل إلا ما شاء.

وجاء في الحديث: لا تضامون في رؤيته، والذي جاء في الحديث مخفف تُضَارُّونَ، وتضامُونَ، وله وجه حسن في العربيَّةِ.

وهذَا مَوضِعٌ يحتاج إلى أن يُسْتَقْصَى تفسيره لأنه أصل في السنة والجماعة ومعناه لا يَنالُكُمْ ضَيرٌ وَلَا ضَيمٌ في رُؤيَتِهِ، أي ترونه حتى تستووا في الرؤية فلا يَضِيمُ بعضُكم بَعْضاً، ولا يِضِيرُ بعضكم بعضاً.

وقال أهل اللغة قولين آخرين: قالوا: لا تُضَارُّون بتشديد الراء ولا تضامُّون بتشديد الميم. مع ضم التاء في تضامون وتضارّون.

وقال بعض أهل اللغة بفتح التاء وتشديد الراء تَضارّون في رُؤيته ولا تَضَامُّونَ على معنى تتضارون وتتضامون. وتفسير هذا أنه لا يُضَامُّ بَعْضُكمْ بَعضاً وَلَا يُخَالِفُ بَعْضُكم بَعْضاً في ذلك. يقال: ضارَرْتُ الرَّجُلَ أُضَارُّه مضارَّةً وضِراراً إذا خالفته قال نابغة بني جَعدَة:

وَخَصْمَيْ ضِرار ذَوَيْ تُدْرَإٍ متى يأت سلمها يشغب[1]

ومعنى لاَ تضامُّونَ في رؤيته لا ينضم بعضكم إلى بعض، ويقول واحد للآخر: أرنيه كما تفعلون عند النظر إلى الهلال، فهذا تفسير بيّنٌ، وكلٌّ ما قيل في هذا.

﴿وأَشْرَقَتِ الأرْضُ﴾: أُلْبِسَتِ الإشْرَاقَ بِنُورِ اللَّهِ.

وقوله عز وجل: ﴿حَتَّى إذا جَاءُوها وفتحتْ أبوابها﴾ إلى قوله ﴿خالدين﴾[2].

اختلف الناس في الجواب لقوله ﴿حتى إذا جاءوها﴾. فقال قوم: الواو مسقطة[3] المعنى حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها.

قال أبو إسحاق: سمعت محمد بن يزيد يذكر أن الجواب محذوف، وان

---

(١) في الديوان ـ ٧ الضرار المضارة، وتدرأ تدافع ومشادة. والشغب اهاجة الشر.

(٢) ﴿وَقَالَ لَهُمْ خزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا﴾. (٣) زائدة تسقط تقديراً.

المعنى، حتى إذا جاءوها إلى آخر الآية سعدوا. قال فالمعنى في الجواب حتى إذا كانت هذه الأشياء صاروا إلى السعادة.

وقال قوم حتّى إذَا جَاءُوها جَاءُوها وفتحت أبوابها، فالمعنى عندهم أن «جاءوها» محذوفٌ. وعلى معنى قول هؤلاء أنه اجْتَمَع المجيءُ مع الدخول في حال، المعنى حتى إذا جاءوها وقع مجيئهم مع فتح أَبْوَابِها.

قال أبو إسحاق: والذي قلته أنا ـ وهو القول إن شاء اللَّه ـ أن المعنى ﴿حَتَّى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ دخلوها، فالجواب «دخلوها»، وحذف لأن في الكلام دليلاً عليه.

ومعنى ﴿طِبْتُم﴾ أي كنتم طيِّبين في الدُّنْيَا لم تكونوا خبيثين، أي لم تكونوا أصحابَ خبائثَ.

وقوله: ﴿وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ﴾.

يعني أرض الجنة نتخذ منها من المنازل ما شئنا، والعرب تقول لكل من اتخذ منزلاً: تبوأ فلان منزلاً.

﴿وَتَرَى المَلاَئِكَةَ حَافِّينَ﴾.

معنى ﴿حَافِّين﴾ مُحْدِقِين، وكذا جاء في التفسير.

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالحَقِّ وَقِيلَ الحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

فابتدأ اللَّه ـ عز وجل ـ خَلْقَ الأشياء بالحمد وخَتمْه بالحمد، فقال: ﴿الحمد لِلَّه الَّذِي خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنُّورَ﴾[1] فلما أفنى الخلق وبعثهم وَحَكَم بَيْنَهُم، فاستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ختم بقوله: ﴿ الحمد للَّه رب العالمين﴾.

---

(١) أول سورة الأنعام.

سُورَةُ المُؤْمِن

بسم اللَّهِ الرَّحْمَن الرَّحِيم

﴿حٰم . تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ العَلِيمِ ﴾ .

الحـواميم كلها مكيـة، نزلت بمكـة، قال النبي ﷺ: مثـل الحواميم في القرآن كمثل الحِبَرات في الثياب. وقال ابن مسعود: الحـواميم ديباج القـرآنُ، وجاء في التفسير عن ابن عباس ـ رحمه اللّه ـ ثلاثة أقـوال في حٰم ، قال: حٰم اسم اللّه الأعـظم، وقال: حٰم قَسَمٌ، وقـال: حٰم حـروف الـرحمن مقـطعـه، والمعنى: «ألٰر» و «حٰم» بمنزلة الرحمن. وقد فسرنا إعراب حـروف الهجاء في أول البقرة.

والقراءة فيها[١] على ضربين، حم بفتح الحـاء، وحم بكسر الحـاء[٢]، فـأما الميم فسـاكنة في قـراءة القراء كلهم الا عيسى بن عمـر فـإنه قـرأ: حَمَ والكتـاب، بفتح الميم،وهو على ضربين أحدهما أن يجعل حٰم اسما للسُّـورَةِ، فَنَصَبَه ولا ينونه لأنه على لفظ الأسمـاء الأعجمية نحـو هابيـل وقابيـل، ويكون المعنى اتـل حٰم . والأجود ان يكـون فتح لالتقـاء السـاكنين حيث جعله اسمـاً للسورة، ويكون حكاية حروف هجاء.

(١) في حم.
(٢) بالامالة.

وقوله عز وجل: ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾.

على صفات اللَّه، فَأمَّا خفضُ ﴿شديـدِ العقاب﴾ فعلى البـدل لأنـه مما يوصف به النكرة.

وقوله: ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾.

معناه ذي الغِنَى والفضل والقدرة. تقول: لفلان على فُلانٍ طَوْلٌ إذا كان له عليه فضلٌ.

وقوله جل وعز: ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّه [إلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا] ﴾.

المعنى في دفع آيات اللَّه بالباطل ليُدْحِضَ به الحقَّ، إلَّا الذين كَفَرُوا.

﴿ ومعنى فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي البِلَادِ ﴾.

أي فلا تغررك سَلاَمَتُهُمْ بَعد كُفْرهم حتى إنَّهُمْ، يَتَصرَّفُونَ كيف شاءُوا، فإن عاقبة كفرهم العَذَابُ والهلاكُ. ثم بين كيف ذلك وأعلم أن الأمم التي كـذَّبتْ قبلَهُم أنَّهُمْ أهلكوا(١) بقوله:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾.

يعني عاداً وثمودَ وَقَومَ لوط والأمم التي أُهْلِكَتْ بيْنَ ذلك.

﴿وَهَمَّتْ كل أمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾.

أي ليتمكنوا منه فيَقْتُلوه.

﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾.

أي ليدفعوا به الحقَّ.

---

(١) أعلم أن الأمم التي كذبت قبلهم نالهم الهلاك.

﴿فَأَخَذْتُهمْ﴾.

أي جعلت جزاءهم على إرادة أخذ الرُّسُلِ أَنْ أَخَذْتُهم فعَاقَبْتُهـمْ.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾.

أي إنهم يجتازون بالأمكنة التي أهلك فيهَا القَوْمُ فيرونَ آثار الهلاك.

﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

أي ومثل ذلك حقت كلمة ربك - يعني [بـه] قولـه ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّم﴾(١) ﴿أَنَّهم أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

ويجوز «إِنَّهُمْ»، ثم أخبر - جَلَّ وعز - بِفَضْل المؤْمنين فقال:

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾.

يعني الملائكة.

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ للَّذِينَ آمَنُوا﴾.

فالمؤمن تستغفر له الملائكة المقَرَّبُونَ.

ويعني: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيءٍ رَحْمَـةً وَعِلْماً فَـاغْفِرْ للَّذِينَ تَـابُوا واتَّبَعُـوا سَبِيلَكَ﴾.

المعنى يقـولون: ربنـا وسعت كل شيء، أي تقـول الملائكـة. وقولـه: ﴿رحمةً وَعِلْماً﴾ منصوب على التمييز.

﴿فَاغْفِرْ للَّذِينَ تَابُوا واتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾.

---

(١) في الأصـل. يعني بقوله: ﴿لأمْلأنَّ جهنم﴾ والآية رقم ١١٩ من سورة هـود هي: ﴿وَتَمَّتْ كَلمَـةُ رَبك لأمْلان جَهَنَّم مِنَ الجنّةِ والنَّاسِ أَجْمَعين﴾.

أي لزموا طريق الهدى التي دعوت إليْهَا.

وقوله تعالى:﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾.

«مَنْ» في موضع نَصْبٍ، عطف على الهاء والميم في قوله:﴿ رَبَّنا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾،[أي] وأدخل من صلح. ويصلح أن يكون عطفاً على الهاء والميم في قوله:﴿وَعَدْتَهُمْ﴾ فيكون المعنى وَعَدْتَهُمْ ووعدت من صلح من آبَائِهِمْ.

وقوله تعالى:﴿يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾.

معناه أن الذين كفروا ينادون إذا كانوا في حال العذاب لمقت اللّه إيّاكم في الدنيا﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الايمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾.

﴿أكبر من مقتكم أنفسكم﴾ إذ عُذِّبْتُم في النَّارِ.

قَالُوا﴿رَبَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنا اثْنَتَيْنِ فاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾.

أي قد أَرَيْتَنَا من الآيات ما أَوْجَبَ علينا أنْ نَعْتَرف.

﴿فَهَلْ إِلَى خُروجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾.

وقالوا في ﴿أَمَتَّنَا اثنتين وأَحْيَيتَنا اثنتين﴾ أي خلقتنا أمواتاً ثم أَحْييتنا ثم أَمَتَّنَا بعدُ، ثم بعَثْتَنا بعدَ المَوْت.

وقد جاء في بعض التفاسير أن احدى الحياتين، وإحدى الموتتين أن يحيا في القبر ثم يموت، فذلك أدل على أَحْيَيْتَنَا وأَمَتَّنَا، والأول أكثر في التفسير.

وقوله عز وجل:﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.

جاء في التفسير أن الروح الوحي، وجاء أن الروح القرآنُ وجاء أن الروح

أمر النبوَّة. فيكـون المعنى تلقي الروح أو أمـر النبوَّة على من تشـاء، على من تختصه بالرسالة.

﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾.

أي لينذر النبي ﷺ بالذي يوحى إليه يوم التلاق، ويجوز أن يكـون لينذر اللَّه يـوم التلاق، والأجـود ـ واللَّه أعلم ـ أن يكون لينـذرَ النبي ﷺ. والـدليـل على ذلك أنه قـرئ لتُنْذِرَ يـوم التلاق ـ بـالتاء ـ. ويجـوز يوم التَّـلَاقِي بإثبـات الياء، والحذف جائز حسن لأنه آخر آية.

ومعنى التلاقي يوم يلتقي أهل الأرض وأهل السماء. وتأويل الروح فيما فسّرنا أنه به حياة الناس، لأن كل مُهتَدٍ حَيٌّ، وكل ضَالٍّ كالميّتِ، قال اللَّه عز وجل: ﴿أَمْوَاتٌ غَيرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[1]. وقال: ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَـأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَـا لَهُ نـورا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾[2]. وهـذا جـائـز في خـطاب الناس، يقول القائل لمن لَا يفقه عَنه ما فيهِ صَلَاحُه: أنت مَيِّتٌ.

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ﴾.

معنى أنذرهم خوِّفهم، والآزفة يوم القيامَةِ، كذا جاء في التفسيـر، وإنما قيل لها آزفة لأنها قريبة وان اسْتَبْعَدَ الناس مَدَاها. يقال قد أَزِفَ الأَمْرُ إذَا قَرُبَ.

وقوله :﴿إِذِ القُلُوبُ لَدَى الحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾.

نصب ﴿كاظمين﴾ على الحال، والحال محمولة على المعنى لأن القلوب لا يقال لها كاظمة، وإنمـا الكاظمـون أصحابُ القُلوبِ والمعنى إذ قلوب النـاس لدى الحناجر في حَالِ كَظمِهِمْ. وجاء في التفسيـر أن القلب من الفزع يـرتفع

---

(١) سورة النحل آية ٢٢.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٢٢.

فيلتصقُ بالحنجرة فلا يرجع إلى مكانه ولا يخرج فَيُسْتَراحُ من كَرْبِ غَمِّهِ.

﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾.

﴿يُطاع﴾ من صفة شفيع، أي ولا من شَفيع مُطَاعٍ.

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ﴾.

إذا نظر الناظر نظرة خيانة عَلِمَها اللّه، فإذا نظر أول نظرة غير متعمد خيانةً فذلك غير إثم، فإن عاد ونيَّتُه الخيانة في النّظرِ علم اللّه ذلك، واللّه -عز وجل- عالم الغيب والشهادة، ولكنه ذكر العلم ههنا ليعلم أن المجازاة لا محالةَ واقعة.

وقوله - جل وعز -: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾.

أي بعلاماتنا التي تدلُّ على صِحّته نبوته، من العصا وإخراج يده بيضاء من غير سوء، وأشباه ذلك.

﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: أي حجة ظاهرةٍ.

﴿إِلَى فِرْعَونَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ﴾.

هذه الاسماء في موضع خفض إلّا أنها فتحت لأنها لا تَنصَرِفُ لأنها معرفة وهي أعجمية.

﴿فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾.

المعنى فقالوا هو ساحر كذاب، جعلوا أمر الآيات التي يعجز عنها المخلوقون سِحْراً.

﴿فَلَمَّا جَاءهُم بالحقِ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ واسْتَحيُوا نِسَاءَهُمْ﴾.

وإنه كان قِيلَ لفرعون إن ملكه يزول بسبب غلام يُولَد، فقيل افعلوا هذا حتى لا ينجو المولود.

﴿وَمَا كيدُ الكَافِرِينَ إلاَّ في ضَلاَلٍ﴾.

أي يذهب باطلاً، ويحيق اللَّه به ما يُرِيدُ(١).

وقوله:﴿أَوْ أَنْ يَظْهَرَ فِي الأَرْضِ الفَسادُ﴾.

على هذا مصاحف أهل العراق، وفي مصحف أهل الحجاز: ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ﴾ بغير ألف، ويجوز وأن يَظْهر، ومعنى أو وقوع أحد الشيئين فالمعنى على «أو» أن فرعون قال إني أخاف أن يُبَدِّلَ دينكم أو يُفْسِدَ، فجعل طاعة اللَّه تعالى هي الفساد، فيكون المعنى إني أخاف ان يبطل دينكم البتة، فإن لم يبطله أَوْقَع فيه الفَسادَ، ومن قرأ «وَأَنْ» فيكون المعنى أخاف إبطال دينكم والفساد مَعَهُ.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إيمَانَهُ﴾.

جاء في التفسير أن هذا الرَّجُلَ أعني مؤمنَ آل فرعونَ، كان يسمى سِمَعَانَ، وقيل كان اسمه حَبِيباً، ويكون ﴿مِنْ آل فِرْعَوْنَ﴾ صفة للرَّجُلِ، ويكون ﴿يكتم إيمانه﴾ معه محذوف، ويكون المعنى يكتم إيمانه مِنْهُمْ، ويكون يكتم من صفة رجل، فيكون المعنى: وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعونَ.

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾.

المعنى لأن يقول ربي اللَّه.

﴿وَقَدْ جَاءَكم بالبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

أي بما يدل على صدقه من آيات النُّبوَّةِ.

﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْه كَذِبُه﴾: أي فلا يَضُرُّكم.

---

(١) ينزل بمكر فرعون ويحيط به ما يريد مما يفسده.

﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾.

وهـذا من لطيف المسائل، لأن النبي ﷺ إذا وعد وعْداً وقع الوعدُ بأسره، لم يقع بعضه، فالسؤال في هذا من أيْنَ جاز أن يقول بعض الذي يَعِدُكُمْ، وحق اللفظ كل الذي يَعدُكم فهذا باب من النَّظَرِ يذهب فيه المناظرِ إلى الزام الحجة بأيْسَرِ ما في الأمر، وليس في هذا نفي اصابة الكل ومثل هذا قول الشاعر[1]:

قد يدرك المتأني بعض حاجته وَقَدْ يَكُونَ مَع المستعجل الزَّلَلُ

إنما ذكر البعضَ ليوجب له الكُلَّ، لا أن البعضَ هوالكل ولكن للقائل إذا قال أَقَلُّ ما يكون للمتَأَنِّي إدراك بعض الحاجة، وأقل ما يكون للمستعجل الزلل، فقد أبان فضل المتأني على المستعجل بما لا يقدر الخصم أن يدفعه، وكأنَّ مُؤمِنَ آل فرعونَ قال لهم: أقلُّ مَا يكون في صدقه أن يُصِيبَكُمْ بعضُ الذي يعدكم، وفي بعض ذَلِك هَلاَكُكُمْ، فهذا تأويله والله أعلم.

﴿يا قَوْمِ لَكُمُ المُلْكُ اليَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ﴾.

هذه حكاية قول مؤمن آل فرعون. أعلمهم الله أنَّ لهم الملك في حال ظهورهم على جميع الناس. ثم أعلمهم أن بأس الله لا يدفعه دافع ولا ينصر منه ناصر فقال:

﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إنْ جَاءَنَا﴾.

﴿مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ﴾.

أي مثل يوم حَزْبِ حِزْبٍ، والأحزاب ههنا قوم نوح وعادٍ وثمودَ وَمَن أُهلكَ بعدَهُمْ وَقبلَهُمْ.

---

(١) هو القطامي وتقدمت أبيات من هذه القصيدة. انظر شواهد المغني ١٢٣ مع أبيات أخرى من القصيدة يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك، وهو في شواهد الكشاف، ونسبه المرزوقي الى الأعشى وهو خطأ ـ والقصيدة مشهورة أولها ـ إنا محيوك فاسلم أيها الطلل.

ومعنى :﴿ مِثْلَ دَأْبِ [قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ].

مثل عادة، وجاء في التفسير مثل حال قـوم نوح، أي أخـاف عليكم أن تقيموا على كُفْرِكُمْ فينزل بكم(١) ما نزل بالأمَم السَّالِفَةِ المكذِّبَةِ رُسُلَهم.

﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾.

بكسر الدال ـ وقـرأ الحَسَنُ يوم التنـادي ـ بإثبـات الياء ـ، وأكثـر القراءة التناد، وقرأ ابن عباس يوم التَّنَادِّ ـ بتشديد الدال، والأصل التنادي وإثبات الياء الـوجه، وحـذفها حسن جميـل لأن الكسرة تـدل عليهـا اليـاء وهـو رأس آيـة، وأواخر هذه الآيات على الدال(٢).

ومعنى يوم التنادي يوم ينادي ﴿أصحابُ الجنة أصحابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾(٣) وينادي ﴿أصحابُ النار أصحاب الجنة أَنْ أَفيضوا علينا من الماء﴾(٤). ويجوز ـ واللَّه أعلم ـ أن يكـون «يَوْمَ التَّنَـادِ» يوم يـدعى كـل أنـاس بإمَامِهِمْ(٥).

ومن قرأ يوم التَّنادِّ بتشديد الدَّالِ، فهو من قولهم نَدَّ فلانٌ ونـدَّ البعيرُ إذَا هَرَبَ على وجهه، ومما يدل على هذا قوله: ﴿يَوْمَ تُوَلُّون مُدْبِرِينَ﴾(٦). وقـوله ﴿يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾(٧).

---

(١) في الأصل بهم.

(٢) هكذا في الأصل، ويبدو أنه «على الكسر» فهذا ما يقتضيه السياق.

(٣) سورة الأعراف الآية ٤٤.

(٤) في سورة الأعراف الآية ٥٠ ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الجَنَّةِ أَن أَفِيضُوا عَلَيْنا من الماء﴾.

(٥) سورة الاسراء الآية ٧١.

(٦) الآية التي بصدد التفسير: ﴿وَ يَا قَوْمِ إنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّون مدبـرين مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾.

(٧) سورة عبس آية ٢٤، ٢٥.

وجاء في التفسير أنهم يؤمر بهم إلى النار فيفـرون ولا يعصمهم من النار عاصِمٌ.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالبَيِّنَاتِ﴾.

أي الآيات المعجزات.

﴿حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً﴾.

أي أقمتم على كفركم وظننتم أنه لا يجدد عليكم إيجاب الحجة.

﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾.

أي مثـل ذلك الضـلال يضل اللَّه من هـو مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ: ﴿مُسْرِفٌ﴾ههنا كافر، و ﴿مُرتابٌ﴾ شاكٌّ في أمر اللَّه وأنبيائه.

﴿الَّذِين يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْر سُلْطانٍ أَتَاهُمْ﴾.

«الذين» في موضع نَصْبٍ على الرد على«مَنْ»أي كذلك اللَّه يُضل الذين يجادلون في آيات اللَّه بغير حجة أَتَتْهُمْ، ويجوز أن يكون موضع «الذين» رفعـاً على معنى مَنْ هُوَ مُسْرِف مرتابٌ هم الذين يُجَادِلُونَ.

وقوله عز وجل:﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

أي كبُر جِدَالُهُمْ مَقْتاً عند اللَّه وعند الَّذِينَ آمنوا.

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كَلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ [جَبَّارٍ]﴾.

ويقرأ عَلَى كلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّـرٍ، والأول الوجـه، لأن المتكبر هـو الانسان، وقد يجوز أن تقول: قلب متكبِّرٌ، أَيْ صَاحِبُه مُتَكَبِّرٌ.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْن لِي صَرْحاً﴾.

والصرح القصر، وكل بناء عظيم فهو صرح.

﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ﴾.

جاء في التفسير أبْوابَ السماء، والأسباب في اللُّغَة ما اتصل بالشيء، وكذلك يقال للحبل سبب، لأنه يُوصَلُ بالأشياء. وجاء في التفسير أيضاً طُرُقَ السَّموات. فالمعنى ـ واللَّه أعلم . لعلي أبلغ إلى الذي يؤديني إلى السموات. ويقرأ ﴿فَأَطَّلِعُ﴾ ـ بالرفع والنصب.

﴿وإني لأظُنُّهُ كَاذِباً﴾.

هذا قول فرعونَ، يقول وإن كنت زعمت أني أطَّلِعُ إلى إله موسى، فأنا قلت هذا على دعوى موسى لا على أني على يقينٍ من ذلك. فيروى أن هامان طَبخ الأجُرَّ لبناء الصَرْحِ وأن أوَّلَ من طَبَخَ الأجُرَ هَامَانُ.

﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِه﴾.

موضع الكاف نصب المعنى وزين لفرعون سوء عمله مثل ما وَصَفْنَا.

﴿وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾[1].

أي صُدَّ عن السَبيل المستقيم. أي المستقيمة بكفره.

﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إلاَّ فِي تَبَاتٍ﴾.

إلاَّ في خسرانٍ، يقال: تبت يداه أي خسِرتا.

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِي أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾.

يعني سبيل القصد إلى اللَّه عز وجل، وأخرجكم عَنْ سَبِيل فرعونَ. فأهدكم جزم جواب للأمر. المعنى إن تتبعوني أُهدِكُمْ.

﴿لاَ جَرَمَ أَنَّما تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلاَ فِي الآخِرَةِ﴾.

---

(١) قرأ عاصم «صُدَّ» بالبناء للمجهول.

يعني أنه ليس له استجابة دعوة في الدنيا ولا في الآخرة.

قال سيبويه: سألت الخليل عن قوله: ﴿لَا جَرَمَ﴾، فقال: لا جَرَمَ رَدٌّ لِكَلَامٍ. والمعنى وجب أَنَّ لَهُمُ النَّارَ، وحق أن لهم النَّارَ، وأَنْشَدَ[1]:

ولقد طعنت أبا عيينة طَعْنَةً جَرَمَتْ فَزَارةَ بَعدهَا أَن يغضبوا

المعنى كسبتهم الغَضَبَ، وأحَقَّتْهُمُ بالغضب، فمعنى ﴿لَا جرم أَنَّ مَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ لقد وجب أن ما تدعونني إليه ليس له دَعْوَةٌ أي وجب بطلان دعوته.

﴿وأَنَّ مَرَدَّنَا إلى اللَّهِ﴾.

وَجَبَ مَرَدُّنا إلى اللَّهِ، وكذلك ﴿وَأَن المُسرفِين هم أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿سُوءُ العَذَابِ. النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيها﴾.

﴿النار﴾ بدل من قوله ﴿سُوءالعَذَابِ﴾، وجائز أن تكونَ مرتفعة على إضمار تفسير سوء العَذَابِ، كأن قائلا قال: ما هو، فكان الجوابُ هو: ﴿النار يعرضون عليها﴾ فإن قال قائل: كيف يُعرضُونَ عليها وهم من أهل النار.؟ فجاء في التفسير أن أرواحهم في أجواف طير سُودٍ تعرض على النار بالغَدَاة والعشيّ إلى يوم القيامَةِ. ألا ترى أن بعده ﴿وَيَوْمَ تقُوم السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آل فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ﴾ ويقرأ ادخُلُوا على معنى الأمر لهم بالدخول، كأنه ويوم تقوم الساعة يقول ادخلوا يآل فرعون أشد العذاب.

وقرئت ﴿أدخِلُوا﴾ على جهة الأمْرِ للملائكة بإدخَالِهِمْ أَشَدَّ العَذَابِ.

﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾.

[أي] الملائكة، واحدهم شاهدٌ، مثل صاحب وأصحاب.

---

(١) تقدم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ في آيَاتِ اللَّهِ﴾.

أي يجادلون في دفع آيات اللَّه﴿بِغَيْرِ سلطانٍ أَتَاهُمْ﴾.

أي بغير حجة أَتَتْهُم.

﴿إن فِي صُدُورِهِمْ إلاَّ كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾.

[أي ماهم] ببالغي إرادتهم فيـه، وإرادتهم دفع آيـات اللَّه عز وجـل وَدَلّ على هـذا المعنى ﴿يُجَادِلُونَ في آيَاتِ اللَّهِ﴾. لأن الكبـر هم قـد أوقعـوه فليس يلبس هذا ببالغي الكبرِ.

وجاء في التفسير أنه يُعْنى بِهِ اليهـودُ، وان الكبر الـذي ليس هم ببالغيـه تَوقُّعُ أمر الدَّجَّالِ، فتكبروا مُتَـرَبّصِينَ يتوقعون خروج الدَّجَّـالِ. فأعلم اللَّه أن هذه الفرقة التي تجادِلُ لا تبلغ خـروج الدَّجَـالِ. ويدل على قـول من قال هـذا قول اللَّه ـ عز وجل ـ يعقب هذا:﴿فاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾.

وقوله جل وعز:﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

معناه صَاغِرِينَ.

﴿وَلَقَـدْ أَرْسَلْنَـا رُسُـــلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهم مَنْ قَصَصْنَـا عَلَيْــكَ وَمَنِهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾.

جـاء في التفسير أن اللَّه عَـزَّ وَجَـلَّ بعث ثمـانيـة ألف نَبِيٍّ، مِنْهُمْ أربَعَـةُ آلاف من بني اسـرائيل، ومنهم أربعـة آلاف من سائـر الناس، وجـاء عن علي رضي اللَّه عنه أنه قال: في قولـه تعالى:﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ أنّ اللَّه بعث نبياً أسود. فهو ممن لم تذكر قصته في القرآن.

وقوله تعالى:﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلونَ﴾.

الأنعام هَهُنَا الابل.

وقوله:﴿إذِ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاَسِلُ﴾.

يجوز على ثلاثة أوجُهٍ «والسَّلاَسِلَ» بالنصب، و«السَّلاَسِلِ» بالخفض.
فمن رفع فعطف على الأغلال ومن جر فالمعنى إذ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وفي السلاسِلِ، وَمَنْ نَصَب ففتح اللاّم قرأ ﴿والسَّلاسِلَ يَسْحَبُونَ﴾(١).

﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُم تَفْرَحُونَ﴾ الآية(٢).

يدل عليه قوله تعالى:﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ﴾.

أي ذلك العذاب الذي نزل بكم بما كنتم تفرحون بالباطل الذي كنتم فيه، و﴿تمرحون﴾ أي تأشرون وتبطرون وتستهزئون.

﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رأَوْا بَأْسَنَا﴾.

يقول حين عاينوا العذابَ.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾.

على معنى سَنَّ اللّه هـذه السُّنَّةَ فِي الأُمَمِ كُلِّهَا، لاَ يَنْفَعُهُمْ إيمانُهُمْ إذا رأوا العذاب.

﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الكَافِرُونَ﴾.

وكذلك: ﴿وخَسِرَ هُنَالِكَ المبْطِلُونَ﴾.

والمبطلون والكافرون خاسرون في ذلكَ الوقت وفي كل وقتٍ خاسرون، ولكنه تعالى بيَّن لهم خُسْرانَهُمْ إذا رأوا العذاب.

---

(١) على أنه مفعول معه.

(٢) ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾.

سُورَة فُصِّلَتْ

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

﴿حٰم .تَنْزِيلٌ [مِنَ الرَّحمن الرَّحِيم]﴾ .

[تنـزيل] رفـع بالابتـداء، وخبـره ﴿كَتاب فُصِّلَتْ آيـاتُـهُ﴾. هـذا مـذهب البصرِيِّينَ، وقال الفَرَّاءُ يجوز أن يكون ﴿تنزيل﴾ مرتفعاً بِحَمٍ ، ويجوز ان يـرتفع بإضمار هذا. المعنى هذا تنزيل من العزيز الرحيم، أي هو تنزيل.

﴿قُرآناً عَرَبيّاً﴾ .

نصب ﴿قرآناً﴾ على الحال. المعنى بينت آياتـه قرآنـاً، أي بينت آياتـه في حال جمعه عربياً.

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ : أي بينا لمن يعلم .

﴿بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ : من صفته .

وقوله عز وجل:﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴾ .

فِي غُلُفٍ، أي ما تدعونا إليه لا يصل إلى قلوبنا لأنها في أغطية، وواحد الأَكِنَّةِ كِنَان .

﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ .

أيْ صَمَمٌ. وقفل يمنع من الاستماعِ لقولك أي نحن في ترك القبول منك بمنزلة من لا يستمع قولك.

﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَينِكَ حِجَابٌ﴾.

أي حاجز في النِّحْلَةِ والدِّينِ. وهو مثل قُلوبِنَا في أَكِنَّةٍ، إلّا أنّ معنى هذا أَنَّا لا نُجامِعُك فِي مَذْهبٍ.

﴿فاعْمَلْ إنَّنا عَامِلُونَ﴾.

أي على مذهبنا، وأنت عامل على مَذْهَبَكَ. ويَجُوزُ أَنْ يكونَ فاعمل في إبطال مذهبنا إنا عاملون في إبطال أَمْرِكَ.

﴿وَوَيْلٌ لِلمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لاَ يُؤْتونَ الزَّكَاةَ﴾.

أي لا يرونها واجبة عليهم، وَلاَ يُعْطُونها.

﴿قل أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ في يَوْمَيْنِ﴾.

لو أراد -جل وعَلاَ- أَنْ يخلقها في لَحظَةٍ لَفَعَلَ ولكان ذلك سائغا في قُدْرَتِهِ، ولكنه أحب أن يُبْصِرَ الخَلْقُ وُجُوهَ الأناةِ والقُدْرَةِ على خلق السموات والأرض في أيام كثيرة وفي لحظةٍ وَاحِدَةٍ لأن المخلوقين كلُّهُم والملائكَةَ المقَرَّبِينَ لو اجتمعوا على أن يخلقوا مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْهَا مَا خَلَقُوا.

وجاء في التفسير أن ابتداء خلق الأرْضِ كان في يوم الأحَدِ واستقام خلقها في يوم الاثنين.

﴿وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَها﴾.

في الثلاثاء والأربعاء فصارت الجملة أَربعة أَيَّام، فذلك قوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فيها وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَها في أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾.

أي في تتمة أرْبَعةِ أَيَّامٍ .

﴿سَواءً [لِلسَّائِلينَ]﴾ .

وَسَواءٍ، ويجوز الرفعُ. فمن خفض جَعَلَهُ صفَةً للأيَّامِ .

المعنى في أربعة أَيَّامٍ مُسْتَوِيَاتٍ، ومن نصب فعلى المصدر، على معنى استوت سَواءً، واسْتِوَاءً. ومَنْ رَفَع فعلى معنى هي سَوَاءٌ.

ومعنى﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ ،مُعَلَّقٌ بِقَوْلِه :﴿وَقَدَّرَ فيها أَقْوَاتَها﴾، لكل محتاج إلى القُوتِ. وَإِنَّما قِيلَ للسَّائِلِينَ، لأن كُلًّا يَطْلُبُ القُوتَ وَيَسْأَلُه. ويجوز أن يكون للسائلين لمن سأل في كم خُلِقَت السَّمواتُ والأَرَضُونَ؟ فقيل: خُلِقَتْ الأَرْضُ في أربعة أيام سَواءٍ، لَا زيادَةَ فِيهَا وَلَا نقصانَ جَوَاباً لِمَنْ سَأل.

﴿ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وِللأَرْضِ ﴾الآية.

معنى استوى عَمَدَ إلى السَّماءِ وَقَصَدَ.

﴿[قَالَتَا أَتَيْنَا] طَائِعِينَ ﴾.

على الحال مَنْصُوبٌ، وإِنَّما قِيلَ طَائِعين دُونَ طَائِعَاتٍ، لِأَنَّهُنَّ جَرَيْن مَجْرَى ما يَعْقِلِ وَيُميِّزُ، كما قيل في النجوم:﴿وَكُلٌّ في فَلَكٍ يُسْبَحُونَ﴾ وقد قِيلَ قَالَتَا أَتَيْنَا [أَيْ] نَحْنُ وَمَنْ فينا طَائِعِينَ، وَمَعْنَى﴿طَوعاً أو كَرْهاً﴾على معنى أَطِيعَا لما أَمَرتُ طَوْعاً، بمنزلة أَطِيعَا الطَّاعَةَ أو تُكْرَها إكراهاً.

﴿فَقَضَاهُنَّ﴾.

فَخَلَقَهُنَّ وَصَنَعُهُنَّ. قَالَ أَبو ذُؤَيْبٍ(١).

---

(١) من عينيته التي رثى بها أولاده ـ وهي المفضلية ٨٧٨، وفي اللسان وتُبَّع قضي، وديوان الهذليين ١٩. مسرودتان درعان منسوجتان ـ وقد سبق.

وَعَليْهِما مسـرودتـان قضـاهمـا   دَاودُ، أَوْ صَنَـع السـوابـغَ تُبَّـعُ .

معناه عملهما وَصَنَعُهَما.

﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾.

قِيلَ ما يُصْلِحُهَا، وَقِيلَ مَلاَئِكَتُهَا.

﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً﴾.

معناه وحفظناها مِنَ اسْتِمَاعِ الشَّياطِين بالكواكب حِفْظاً فقال:

قـل أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بمن هـذه قـدرتـه وتجعلون لـه أنـداداً أي أصنـامـاً تنحتونها بِأَيْدِيكم.

﴿ذَلِكَ تَقديرُ العزيزِ العليم﴾.

اي الـذي هـذه صفتـه ولـه هـذه القـدرة رَبُّ العَـالَمِينَ.

ثم قال: ﴿فإِنْ أَعْرَضُوا﴾.

أي فإن لم يقبلوا رسالتك بعد هذه الإِبَانَةَ ويوحدوا اللّه.

﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾.

أي أنذرتكم بِأَنْ يَنْـزِلَ بكم ما نـزل بمن كفر من الأُمَمِ قَبلَكُمْ، ثم قصَّ قصة كُفْرِهِمْ والسَّبَب في عُتُوِّهِمْ وإقامتهم على ضلالتهم فقال:

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وقالوا من أَشَدُّ مِنّا قُوَّةٍ﴾.

فأرسل اللّه عليهم ريحاً صَرْصَراً فقال:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾.

ويروى نَحْسَاتٍ، قال أبو عبيدة: الصَّرْصَرُ الشديـدة الصَّوْتِ. وجـاء في

التفسير الشديدة البَرْدِ، وَنَحِسَاتٍ مشئومَاتٍ واحدهـا نحِسٌ، ومن قرأ نَحْسَـات فَواحدها نَحْسٌ، قال اللَّه ـ عز وجل ـ:﴿في يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمرٍّ﴾.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾.

الجَيِّدُ اسقاط التنوين، ويقرأ ثَمودٌ ـ بالتنـوين ـ ويجـوز ثَمُوداً بِـالنَّصْبِ، بفعل مضمر الذي ظهر تفسيـره، ومعنى «هَدَيْنَـاهُمْ» قال قَتَـادَةُ بَيَّنَّا لَهُمْ طـريق الهُدَى وطَريق الضَّلاَلَةِ، ﴿فـاسْتَحَبُّـوا الْعَمَى عَلَى الهُـدَى﴾.

والاختيار رفع ثمود على الابتداء والخبر، وهذا مذهب جميع النحويين، اختيار الرفع، وكلهم يجيز النَّصْبَ.

وقوله ـ عز وجَلَّ ـ:﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ العَذَابِ الهُونِ﴾.

فَالهونُ والخزيُ الذي يهينهم ويخزيهم.

﴿وَيَـوْمَ يُحْشَر أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

يقـرأ الى النَّارِ ـ بفتـح النون والتفخيم ـ وقـراءة أبي عَمْرٍو ـ إلى النّـارِ ـ على الإمالة إلى الكسر ـ وإنما يختار ذلك مع الرَّاءِ ـ يعني الكسر ـ لأنها حرفٌ فيه تكريرٌ، فلذلك آثَرَ أَبُو عَمْرٍ الكسرَ.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

جـاء في التفسيـر يُحْبَسُ أَوَّلُهم على آخِـرِهِمْ، وأصله من وزعْتُـهُ إذا كففته، وقال الحسن البَصْـرِي حين وَلِيَ القضاءَ: لَا بُـدَّ للناس من وَزَعـةٍ[2]، أي لا بد لهم من أَعْوانٍ يَكُفُّونَ الناس عَنِ التَّعَدِّي.

---

(١) ﴿إِنَّا أرسلنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً...﴾ سورة القمر/ ١٩.

(٢) يقال وزعه يزعه ـ بفتح الزاي وكسـرها وَزْعـاً ـ كفه، والـوازع في الحرب المـوكل بـالصفوف ـ وجمع الوازع وزعة.

﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾.

جاء في التفسير «جُلُودُهُمْ» كناية عن الفَرج، المعنى شَهِدَتْ فروجهم بمعاصيهم.

﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ﴾.

أي جَعَلنا اللّه شهوداً.

﴿وذلكم ظَنُّكُمُ﴾.

مرفوع بخبر الابتداء، و ﴿أَرْدَاكُمْ﴾ خبر ثانٍ، ويجوز أن يكون ﴿ظنكم﴾ بَدَلاً مِنْ ﴿ذَلِكُمْ﴾، ويكون المعنى وظنكم الذي ظننتم بِرَبِّكُمْ أَرْداكم، ومعنى «أَرْدَاكُمْ» أَهْلَكَكُمْ.

﴿وَقَيَّضْنَا﴾: وسببنا من حيث لا يَحْتَسِبُونَ﴾.

﴿لَهُمْ قُرَنَاءَ.. ﴾ الآية[1].

يقول زينوا لهم أعْمَالَهُم الَّتِي يَعْمَلُونَها ويشاهدونها، وَمَا خَلْفَهُمْ، وما يَعْزِمُونَ أَنْ يَعْمَلُوه[2].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾.

أي عارضوه بكلام لَا يُفهَم يكون ذلك الكلام لَغْواً، يقال: لغا يَلْغُو لَغْواً، ويقال لَغِيَ يلْغَى لَغْواً إذا تكلم باللغو، وهو الكلام الذي لَا يُحَصَّل ولا تفهم حقيقته.

﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ﴾.

هذا يدل على رفعه.

قوله: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَاباً شَدِيداً﴾.

المعنى ذلك العذاب الشديد جزاء أعداء اللّه، ﴿النارُ﴾ رفع بدل من ﴿جزاء

(١) ﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

(٢) ما يأتي بعد ذلك.

أعداء اللَّه﴾، وإن شِئت رفعت النَّارَ على التفسير، كأنه قيل ما هو فقيل هي النَّارُ.

﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الخُلْدِ﴾.

أي لهم في النَّارِ دار الخلد، والنار هي الدَّار، كما تقول: لك في هذه الدَّارِ دَارُ السُّرور، وأنت تعني الدار بِعَيْنِها كما قال الشاعر(١):

أخور غائب يعطيها ويُسْألها ... يأبى الظُّلاَمَةَ مِنه النَّوْفَلُ الزُّفَرُ

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذين كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا﴾.

بكسر الراء وبإسكانها ـ لثقل الكسرة كما قالوا في فَخِذٍ فَخْذٌ، ومن كسر فعلى الأصل، والكسر أَجْوَدُ لأنه في الأَصْلِ أَرْئِنَا فحذفت الهمزة وبقيت الكسرةُ دليلاً عليها والكسر أجود.

ومعنى الآية فيما جاء من التفسير أنه يعني بهما ابن آدم قابيل الذي قتل أخاه، وإبليس، فقابيل مِنَ الإنس وإبليس مِنَ الجِنّ.

ومعنى:﴿نجعلْهُمَا تحت أَقْدَامِنَا﴾.

أي يكونان في الدرك الأسفل.

وقوله عز وجل:﴿إنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾.

[أي] وحدوا اللَّه ، واستقامو :عملوا بِطَاعَتِهِ ولزموا سنَّة نبيِّهِ.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلاَئِكَةُ﴾.

بُشَراءَ يبشرونهم عند الموت وفي وقت البعث فلا تَهُولُهُم أَهَوالُ القيامة.

وقوله:﴿نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴾.

---

(١) تقدم في الجزء الأول /٤٥٢.

معناه وأَبْشِروا بالجنة تنزِلُونَها نُزُلاً. قال أبو الحسن الأخفش: ﴿نُزُلاً﴾ منصوبٌ من وجهين أحدهما أن يكون مَنْصُوباً على المصدَرِ، على معنى لكم فيها ما تشتهي أنفسكم أَنْزَلْنَاهُ نُزُلاً، ويجوز أنْ يكون منصوباً على الحال على معنى لكم فيها ما تشتهي أَنْفُسُكُمْ منزلا نُزُلاً، كما تقول جاء زيد مَشياً في معنى جاء زيد ماشياً.

﴿وَمَنْ أحسَنُ قَوْلاً﴾.

منصوب على التفسير كما تقول زيد أحسن منك وجهاً، وجاء في التفسير أنه يعنى به محمد ﷺ لأنه دعا إلى توحيد اللّه، وجاء أيضاً في التفسير عن عائشة وغيرها أنها نزلت في المؤذنين.

﴿ولَا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾.

و «لا» زائدة مؤكدة، المعنى لا تستوي والسيئة.

﴿ادفَعْ بالَّتي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

معناه ادفع السيئة بالتي هي أحسن.

﴿كَأَنَّه وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾: الحميم القريب.

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾.

أي ما يلقى مجازاة هذا أي وما يلَقَّى هذه الفعلة إلَّا الَّذِين صبروا، أي إلَّا الذين يكظمون الغيظ.

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

الحظ ههنا الجنة، أي وما يلقاها إلَّا من وجبت له الجنة، ومعنى ﴿ذُو حَظٍّ عظيم﴾، أي حَظٍّ عظيمٍ في الخير.

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطَانِ نَزْغٌ﴾.

يقول إن نزغك مِنَ الشيطان ما يصرفك به عن الاحتمال فاستعذ بالله من شره وامض على حلمك.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ والنَّهارُ﴾.

أي مِنْ عَلامَاتِهِ التي تَدُلُّ على أنه واحد.

وقوله: ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾.

وقد قال: الليلُ والنهار والقمر وهي مُذَكَّرَةٌ، وقال: ﴿خلقهن﴾ والهاء والنون يدلان على التأنيث، ففيها وجهان أحدهما أَنَّ ضمير غير ما يعقل على لفظ التأنيث، تقول: هذه كِبَاشُك فسُقْها، وَإِنْ شئت فسُقْهُنَّ، وإنما يكون «خَلَقَهُمْ» لما يعقل لا غير، ويجوز أن يكون خلقهن راجعاً على معنى الآيات لأنه قال: ومن آياته هذه الأشياء.

﴿وَاسْجُدُوا لِلَّه الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾.

﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾.

هذه خطاب لمحمد ﷺ و﴿الَّذِينَ﴾ ههنا يعنى به الملائكة، فالمعنى فإن استكبروا وَلَمْ يُوحِّدُوا اللَّهَ وَيَعْبُدوه ويؤمنوا برسوله، فالملائكة ﴿يسبحون له بالليل والنهار﴾.

﴿وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾.

لَا يَملُّون ـ ثم زَادَهُمْ في الدلالة فقال:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً﴾.

أي مُتَهَشِّمَةً متغيرة، وهو مثل هامدة.

﴿ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾.

ويقـرأ وَرَبَأَتْ بـالهمز، ومعنى ربت عـظمت، ومعنى ربأت ارْتَفَعَتْ لأنَّ النبت إذا هـم أن يظهر ارتفعت له الأرض.

وقوله ـ عز وجل ـ:﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ [فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا] ﴾.

[يَلْحَدُونَ] بفتح الياء والحاء، وتفسير يَلْحدُونَ يجعلون الكلام على غير جِهَتِـه، ومن هذا اللَّحْـدُ لأنه الحفـرُ في جانب القَبْـر، يُقال لَحَـد وَأَلْحَدَ، في معنى وَاحِدٍ.

﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُم﴾.

لفظ هذا الكلام لفظ أَمْرٍ، ومعناه الوعيد والتهدد، وقد بيَّنَ لهم المجازاة على الخير والشر.

وقوله عز وجل:﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لَا يَأْتِيهِ البَـاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَـدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾.

فيه وجهاد أحدهما أن الكتب التي تقدمت لا تبطله وَلَا يأتي بعده كتـابٌ يُبْطِلُه، والوجه الثاني أنه محفوظ من أن يَنقُصَ منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه، والدليل على هذا قولـه:﴿إِنَّا نَحْنُ نَـزَّلْنَا الـذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(١).

﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا ما قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ﴾.

أي تكذيبك كمـا كُذِّبَ الـرُّسُلُ مِنْ قَبلِكَ، وقيـل لهم كما يقـول الكفارُ لك، ثم قال:

(١) سورة الحجر الآية ٩.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾: المعنى لمن آمن بك.

﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾: لِمَنْ كَذَّبَك.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرآناً أَعْجَمياً لَقَالُوا لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُه﴾.

أي بُيِّنَت.

﴿[ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ]﴾.

وتقرأ ءَأعجمي بهمزتين وَأَعجميٌّ بهمزةٍ واحدةٍ وبهمزة بعدها مخففة تشبه الألف، ولا يجوز أن يكون ألفاً خَالِصَةً لأن بعدها العين وهي ساكنة، وتقرأ أَعجَمِيٌّ وعَرَبيٌّ - بهمزة واحدة وفتح العين، وقرأ الحسن أَعْجَميّ بهمزة وَسَكُونِ العَيْن.

والَّذِي جَاءَ في التَّفْسِير أَنَّ المعنى ولو جَعَلْنَاهُ قرآنا أَعْجَميًّا لقالوا: هلا بينت آياتِهِ، أقرآن أعجمي ونبي عربي. فمن قرأ آاعجمي فهمزة وألفٍ فإنَّهُ مَنْسوبُ إلى اللِّسَانِ الأعجم، تقول: هذا رَجُل أعجمي إذا كان لا يُفْصِحُ إن كَانَ مِنَ العَجَمِ أو من العَرَبِ، وتقول: هذا رجل عَجَمِيٌّ إذا كان من الأعاجم، فصيحاً كان أَمْ غَيرَ فصيح، ومثل ذَلِكَ: هذا رَجُلٌ أعرابي إذا كان من أهل البادية، وكان جنسه من العَرَبِ أو من غير العَرَبِ، والأجودُ في القرآن أَعْجَمِيٌّ بهمزة وأَلِفٍ على جهة النسبة إلى الأَعْجَمِ، ألا ترى قوله:﴿ولو جعلناه قرآنا أعجمياً﴾، ولم يقرأ أَحَدٌ عَجَميًّا، فأما قراءة الحسن أعني أَعْجَميٌّ بإسكان العَيْنِ لا على معنى الاستفهام ولكن على معنى هَلاَّ بُيِّنَتْ آياتُه، فجعل بعضه بياناً للعجم وبعضه بياناً للعرب، وكل هذه الأوجه الأربعة[1] سائغ في العربية وعلى ذلك تفسيره.

---

(١) الضمير بالتذكير لكل - أي كل وجه منها أو جميع هذه الأسئلة.

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾.

يعني القرآن.

﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾.

أي هم في ترك القبول بمنزلة من في أذنه صمم.

﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾:

ويقرأ «وهو عَلَيْهِمْ عَمٍ» بكسر الميم والتنوين، ويجوز وهو عَلَيْهِمْ عَمِيَ بإثبات الياء وَفَتْحِهَا، ولا يجوز إسكان الياء وترك التّنوين.

﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

يعني من قسوة قلوبهم يُبعَدُ عنهم مَا يُتْلَى عليهم.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾.

الكلمة وَعْدَهُمُ السَّاعة، قال عز وجل: ـ ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾[1] ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾[2].

[أي] على نفسه. ويدل على أن الكلمة ههنا الساعة قوله: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾.

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا﴾.

نحو خروج الطلع من قشره.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي﴾.

---

(١) سورة القمر الآية: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ والسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾.

(٢) الآية ٤٦ من هذه السورة.

المعنى أين قولكم إن لي شركاء، واللّه ـ جل وعلا ـ واحدٌ لا شـريك لـه، وقد بين ذلك في قوله: ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِي قالوا آذَنَّاك مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾.

﴿آذَنّـاكَ﴾ أَعْلَمْنَاكَ مَا مِنَّا من شهِيدٍ لَهُمْ.

﴿وَظَنـوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ﴾.

أَي أيقنوا.

﴿لَا يَسْأَمُ الانْسَانُ مِنْ دُعَـاءِ الخَيْرِ﴾: لا يَمَـلُّ الخيـر الـذي يُصيبـه، وإذا اختبربشيء من الشر يئس وقنط.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾.

أي هذا واجب لي، بعملي استحققته، وهذا يعنى به الكَافِرُونَ، ودليـل ذلك قوله:﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إلى رَبّي إن لي عنده لَلْحُسْنَى﴾، يقول: إني لست أُوقِنُ بالبعث وقيام الساعة، فإن كـان الأمر على ذلـك إن لي عنده للحسنى.

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانَ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِه﴾.

ويقرأ ناء والمعنى مُتَقَارِبٌ، يقول: إذا كان في نعمةٍ تباعَدَ عن ذكـر اللَّه وَدُعَائِه ﴿وإذَا مَسَّه الشر فذو دعاء عَرِيضٍ﴾، وعريضٌ ههنا كبير، وكذلك لو كان ذو دعاء طويل كانَ معناه كبيرٌ.

وقوله:﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾.

أي سنريهم الأعلام التي تدل على التوحيد في الآفاق، وواحـدها أُفُقٌ، يقول: سنريهم آثار مَن مَضَى قبلهم مِمَّنْ كَذّبَ الرُّسُلَ من الأمم وآثرَ خلقِ اللَّه في كل البلاد وفي أنفسهم من أنهم كـانوا نُـطَفاً ثم عَلَقـاً ثم مُضَغـاً ثم عِـظاماً

كُسِيَتْ لحماً، ثم نقلوا إل التمييز والعقل، وذلك كلُّه دَليـلٌ على أن الذي فعله واحدٌ ليس كمثلِه شيء.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ﴾.

ويجوز «إِنَّهُ»، والقراءة «أَنَّه» بالفتح. وموضع ﴿بربك﴾ في المعنى رفع، المعنى أولـم يكف رَبُّكَ، وموضع ﴿أنه﴾ نصب، وإن شئتَ كانَ رفعاً، المعنى في النصب أو لم يكف ربك بأنه على كل شيء شَهِيدٌ، ومن رفع فعلى البدل، المعنى أَوَ لم يكف أَنَّ رَبَّـكَ عَلَى كُـلِّ شيء شَهِيـدٌ، أي أَوَ لم يكفهم شهـادة ربـك، ومعنى الكفاية ههنا أنه قَد بَيّن لهم ما فيه كفاية في الدِّلاَلَةِ على تَوْحِيدِهِ وبينت رُسُلُه.

﴿أَلاَ إِنَّهُم فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾.

في شك، «ألا» كلمة يبتدأ بها ينبَّهُ بِهَا المخاطب توكيداً يَدُلُّ عَلَى صحة مابعدها.

﴿أَلاَ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾.

أي عالم بكل شيء علماً يحيطُ بما ظَهَر وَخَفِيَ.

سورة الشُّورَى

حم عسق، مكية

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿حٰم .عسق﴾.

قد بيّنا حروف الهجاء، وجاء في التفسير أن هذه الحروفَ اسم من أسماء اللّٰه، ورويت حم سق - بغير عين - والمصاحفُ فيها العين بائنة.

وقوله عز وجل:﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾.

وقرئت يُوحَى، وقرئت نُوحِي إليك وإلى الذين من قبلك بِالنُّونِ. وجاء في التفسير أن «حٰم عسق» قد أُوحِيَتْ إلى كُلِّ نَبِيٍّ قبلَ محمد ﷺ وعليهم أجمعين. وموضع الكاف من «كذلك» نصبٌ، المعنى مثل ذلك يوحى إليك، فمن قرأ يوحِي بالياء، فاسم اللّٰه عز جل رفع بفعله وهو يُوحِي، وَمَنْ قَرأَ يُوحَى إليك فاسم اللّٰه مبين عما لم يسم فاعله، ومثل هذا من الشّعْرِ.

ليبك يزيد ضارع لِخُصُومَةٍ ومختبط مما تطيح الطوائح[1]

فبين من ينبغي أن يبكيه.

ومن قرأ نُوحِي اليك بالنون جعل نوحي إخباراً عن اللّٰه -عز وجل-.

ورفع ﴿اللّٰه﴾ بالابتداء وجعل ﴿العزيز الحكيم﴾ خبراً عن اللّٰه، وإن شاء كان

(١) لضرار بن نهشل يبكي أخاه يزيد، وفي كتاب سيبويه ١/٢٨٨ للحرث بن نهيك، وانظر الخزانة ١/١٤٧ وابن يعيش ١/٩٠ والعيني ٢/٤٥٤.

﴿العزيز الحكيم﴾ صفة للَّه ـ عز وجل ـ يرتفع كما يرتفع اسم اللَّه، ويكون الخبر ﴿لَهُ مَا فِي السَّمواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾.

قوله:﴿تَكَادُ السَّمواتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾.

وقرئت مِمَّنْ فَوْقَهُن، وقرئت ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾، ومعنى يَنْفَطِرنَ ويتفطَّرن يَنْشَقِقْن، ويَتَشَقَّقْنَ، فالمعنى ـ واللَّه أعلم ـ أي تكاد السمواتُ ينفطرن من فوقهن لعظمة اللَّه، لأنه لما قال: ﴿وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ﴾، قال: تكاد السموات ينفطِرْنَ لعَظمِتِه، وكذلك ينفطرن ممن فوقِهِنَّ، أي من عظمة من فوقَهُنَّ.

وقوله عز وجل: ﴿وَالْمَلاَئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ﴾.

مَعنَى ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ يعظمون اللَّه وينزهونه عن السوء، ﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾ من المؤمنين. ولا يجوز أن يكون يَسْتَغْفِرُونَ لكل من في الأرض، لأن اللَّه تعالى قال في الكفار:﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّه وَالمَلاَئِكَةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، ففي هذا دليل على أن الملائكة إنما يستغفرون للمؤمنين، ويدل على ذلك قوله في سورة المُؤْمِن: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا [وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمةً وعِلْماً]﴾[1].

وقوله عزوجل:﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.

﴿أم القرى﴾ مكة، وموضع ﴿مَنْ حَوْلَهَا﴾ نصب، المعنى لتنذر أهل أم القرى ومن حولها، لأن البلد لا يعقل، ومثل هذا ﴿وَاسْأَلِ القَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيها﴾[2]

وقوله: ﴿وتنذرَ يَوْمَ الجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾.

أي يوم يبعث الناس جَميعاً، ثم أعلم مَا حَالُهم في ذَلِكَ اليوم فقال: ﴿فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.

---

(١) سورة غافر /٧. (٢) سورة يوسف /٨٢.

وقوله جل وعز:﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُـدْخِلُ مَنْ يَشَـاءُ فِي رَحْمَتِهِ، والظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

ارتفع ﴿الظالمون﴾ بالابتداء.

وقوله: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ والظالمين أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾(١)، الفصل بين هذا والأول أنّ أَعدَّ لهم فِعلٌ فنصب﴿الظالمين﴾ بفعل مضمر يفسره ما ظهر، المعنى وَأوعد الظالمين أعد لهم عذاباً أليماً.

وقوله:﴿جَعَلَ لَكُم مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً﴾.

أي خلق الذَّكَرَ والأُنْثَى مِنَ الحَيَوانِ كُلِّهِ.

وقوله:﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾.

أي يُكَثِّركم بِجَعْلِهِ منكم وَمِنَ الأَنْعَامِ أزواجـاً.

وقوله:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

هـذه الكـاف مؤكَـدةٌ، والمعنى ليس مثله شيء، ولا يجـوز ان يقـال: المعنى مثلَ مثلِهِ شيء، لأن من قال هذا فقد أثبت المثـل للّه تعالى عن ذلـك عُلُوًّا كَبيراً.

قوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً﴾.

روي في التفسير أن أول من أتى بتحريم البنات والأخَوَات والأمهات نوح.

﴿وَالَّـذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾.

أي وشرع لكم ما وصى به إبراهيم وموسى وعيسى.

وقوله عزَّ وَجَلَّ:﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾.

---

(١) سورة الانسان آية ٣١.

تفسيرقوله: ﴿ما وَصَّى بِهِ إِبْرَاهِيمَ﴾ - وموضع «أن» يجوز أن يكونَ نَصْباً وَرَفْعاً وَجَرًّا، فالنصْبُ على معنى شرع لكم أن أقيموا الدّين، والرفع على معنى هو أن أقيموا الدين، والجر على البدل من الباء[1]، والجر أَبْعَدُ هذه الوُجُوه، وجائز أن يكونَ أن أقيموا الدين تفسيراً لما وصى به نوحاً ولقوله ﴿والذي أوحينا إليك﴾ ولقوله: ﴿وما وَصَّيْنَا بِهِ إِبرَاهِيم﴾، فيكون المعنى: شرع لكم وَلِمَنْ قبلكم إقامة الدِّينِ وَتَرْكَ الفرقة، وشرع الاجتماع على اتباع الرُّسُلِ

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾.

أي وما تفرق أهل الكتاب الا عَنْ عِلْمٍ بأن الفرقة ضَلَالَةٌ ولكنهم فعلوا ذلك بغياً أي للبغي.

وقوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾.

أي لَجُوزُوا بأعمالهم، والكلمة هي تأجيله الساعة، يدل على ذلك قوله: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾.

وقوله: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ واسْتَقِمْ [كَمَا أُمِرْتَ]﴾.

معناه فإلى ذلك فادع واستقم أي إلى إقامَةِ الدِّين ﴿فَادْعُ واسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾.

أي آمَنْتُ بكتبُ اللَّه كُلِّهَا، لأن الذين تفرقوا آمنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض.

وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الكِتَابَ بِالحَقِّ وَالمِيزَانَ﴾.

﴿الميزان﴾: العدل.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾.

إنما جاز ﴿قريب﴾ لأن تأنيث الساعة غير تأنيث حقيقي، وهو بمعنى لعل

---

(١) بدل من الضمير المجرور بالباء.

البعث قريب، ويجوز أن يكونَ على معنى لعَلَّ مجيء السَّاعَةِ قريبٌ.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾.

أي يستعجل بها من يظن أنه غير مبعوث.

وقوله:﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾.

لأنهم يعلمون أنهم مبعوثون مُحَاسَبُون.

﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ﴾.

أي الذين تدخلهم المرية والشك في الساعة، فيمارون فيها ويجحدون كونها، ﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾، لأنهم لو فكروا لعلموا أن الذي أنشأهم وخلقهم من تراب ثم من نطفة ثم من عَلَقةٍ إلى أن بَلَغُوا مَبَالِغَهُمْ، قادر على إنشائهم وبعْثِهِمْ.

وقوله جل وعز:﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَه فِي الآخرة مِنْ نَصِيبٍ﴾.

جاء في التفسير أن معناهمَنْ كان يُرِيدُ عمل الآخرة،فالمعْنَى- واللَّه أعلم- أنه من كان يريد جَزاءَ عمل الآخرة نزِدْ له في حرثه، أي نوفقه، ونضاعف له الحسنات، ومن كان يُريدُ حرث الدنيا، أي مَنْ كَانَ إنَّما يقْصِدُ إلى الحظِّ من الدنيا وهو غير مؤمن بالآخرة نُؤْتِهِ من الدنيا أي نرزُقه من الدنيا لا أنه يُعطَى كل ما يريدُهُ وإذا لم يؤمن بالآخرة فلا نصيب له في الخير الذي يصل إليه من عمل الآخرة.

وقوله:﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾.

أي تراهم مشفقين من ثواب ما كسبوا، وثواب ما كسبوا النار،﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾أي وثواب كسْبِهِمْ وَاقعٌ بِهِم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

[أي] والظالِمُونَ لهم النار، والمؤمنون لهم الجنة.

وقوله:﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَه الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

يقرأ: يُبشِّرُ وَيَبْشرُ، ويُبْشِرُ.

وقوله:﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْه أَجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾.

أي إلا أن تودوني في قرابتي. وجاء في التفسير عن ابن عباس رحمه اللّه أنه قال: ليس حيٌّ من قريش إلاَّ وللنبي ﷺ فيه قرابة، وروي أن النبي ﷺ قال لقريش: أنتم قرابتي وأول من أجابني وأَطَاعَنِي، وروي أن الأنصار أتت النبي ﷺ فقالت: قد هدانا اللّه بك وأنْتَ ابن إختنا، وأتوه بنفقة يستعين بها على ما ينوبه، فأنزل اللّه عز وجل:﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾.

قال أبو إسحاق: وَنَصْبُ ﴿المودة﴾ أن يكون بمعنى استثناء ليس من الأول، لا على معنى أسألكم عليه أجراً المودة في القُرْبَى، لأن الانبياء صلوات اللّه عليهم لا يسألون أجراً على تبليغ الرسالة، والمعنى ـ واللّه أعلم ـ ولكنني اذكركم المودة في القربى.

قوله :﴿ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً ﴾.

أي من يعمل حسنة نضاعِفْها له.

﴿إنَّ اللّه غفورٌ شكور﴾.

غفور للذنوب قبول للتوبة مثيب عليها.

وقوله ـ عز وجل ـ :﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَإنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحو اللَّهُ البَاطِلَ﴾.

معنـاه فإن يشـأ اللَّه يُنْسِكَ مـا أتاك، كـذلك قـال قتـادة، ويجـوز ﴿فـإن يشـأ اللَّه يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ يـربط على قلبك بـالصبـر على أذاهم وعلى قـولهم ﴿افترى على اللَّه كَذِباً﴾، ﴿ويمحو اللَّه الباطل﴾، الوقوف عليها «ويمحوا» بواو وألف[١] لأن المعنى واللَّه يمحو الباطل على كل حال، وكتبت في المصحف بغير وأو لأن الواو تسقط في اللفظ لالتقاء الساكنين، فكتبت على الـوصـل، ولفظ الواو ثابت، والدليل عليه ﴿ويحق الحق بكلماته﴾، أي ويمحو اللَّه الشرك ويحق الحق بما أنزله من كتابه على لسان نبيِّهِ عليه السلام.

وقوله: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

المعنى ويجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

قوله عزوجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾.

ويقرأ قَنِطُوا بكسر النون، يقال قَنط يقنِطُ، وَقَنِطَ يَقْنَطُ إذا يئس.

ويـروى أن عمر قيـل له قـد أَجْدَبَتِ الأرض وَقَنِطَ النَّـاسُ فقال: مُـطِرُوا إذَنْ، لهذه الآية.

وقوله: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾.

﴿[وَيَعْلَمَ الذين يجادلون في آياتنا...]﴾.

وهي في مصحف أهل المدينة بِمَا كَسَبَتْ أَيْـدِيكُمْ - بغَيرِ فَاء -، وكذلك يقرأونها خلا أَبَا جَعفر فإنه يثبت الفاء وهي في مصـاحف أهل العـراق بالفـاء، وكـذلك قـراءتهم، وهو في العـربية أجـود لأن الفاء مجـازاة جـواب الشـرط، المعنى مـا تُصِبْكُمْ من مُصِيبَةٍ فبمـا كسبت أيـديكم، وقـرئت ﴿ويعْلَمُ الَّـذِينَ يجادلونَ﴾، والنصب على إضمار أن، لأن قبلها جزاء، تقـول: ما تصنـع أصنع مثله وأُكْرِمَكَ، وإن شئت قلت وَأُكْرِمُكَ على وَأَنا أكرمك، وإن شئت: وَأُكْرِمْكَ جزماً.

---

(١) هكذا ضبطه: ولا داعي للألف لأن الواو ليست للجماعة، وإنما هي حرف علة.

وروي عن علي رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: إن اللّه أكرم من أن يَثْنِيَ على عبده العُقوبَةَ، أي إذا أصابته في الدنيا مصيبة بما كسبت يداه لم يثن عليه العقوبة في الآخرة.

وأما من قرأ:﴿وما أصابكم مِنْ مُصِيبَةٍ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكم ويعفو عن كثير﴾ أي لا يجازى على كثير مما كسبت أيديكم في الدنيا، وجائز أن يكون ﴿يَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ فلا يجازى عليه في الدنيا ولا في الآخرة.

ومعنى: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾.

ما لهم من مَعْدِلٍ، ولا مِنْ مَنجى، يقال حاص عنه إذا تنحى، ويقال حاض عنه في معنى حاص، ولا يجوز أن يقرأ ما لهم من محيض، وان كان المعنى واحداً، فأما موضع ﴿الذين﴾ في قوله: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فيجوز أن يكون نصباً، ويجوز أن يكون رفعاً، فمن نصب فعلى معنى ويجيب اللّه الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ومن رفع فعلى معنى يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات للّه ـ عزّ وجل ـ أي لما يدعوهم اللّه إليه.

وقوله:﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ والفَوَاحِشَ﴾.

موضع ﴿الذين﴾ خفض صفة لقوله ﴿للذين آمنوا وعلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَلونَ﴾.

و ﴿كبائر الإثم﴾، قال بعضهم كل ما وعد اللّه عليه النار فهو كبيرة، وقيل الكبائر من أول سورة النساء من قوله:﴿ولا تتبدلوا الخبيث بالطيّب﴾ إلى قوله: ﴿إنْ تجتنبوا كَبَائِرَ مَا تُنْهوْنَ عَنْه نُكَفِّرْ عنكُمْ سَيئَاتِكمُ﴾. وقد قيل: الكبائر الشرك باللّه، وقتل النفس التي حرم اللّه، وقذف المحصنات، وعقوق الوالدين، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف، واستحلال الحرام.

وقوله عز وجل:﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقامُوا الصَّلاةَ﴾.

﴿الذين﴾ في موضع خفض أيضاً، على معنى وما عند اللّهِ خَيْرٌ وأبقى للذين آمنوا وللذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة.

وقوله:﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾.

أي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه، وقيل إنَّه ما تشاور قوم قطُّ إلاَّ هُدُوا لأحسنِ ما يحضرهم.

﴿والَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾.

جاء في التفسير أنهم كانوا يكرهون أَنْ يَذلُّوا أَنْفُسَهُم. فيجترئ عليهم الفساق. وروي أنها نزلت في أبي بكر الصديق. فإن قال قائل: أهم محمودون على انتصارهم أم لا، قيل هم محمودون، لأن من انتصر فأخذ بحقه ولم يجاوز في ذلك ما أمر اللّه به فلم يُسْرِفْ في القتل إن كان ولي دم ولا في قصاص فهو مطيع للّه عز وجل، وكل مطيع محمود، وكذلك من اجتنب المعاصي فهو محمود، ودليل ذلك قوله:﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً﴾.

وقوله:﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾.

فالأولى ﴿سيئة﴾ في اللفظ والمعنى، والثانية ﴿سيئة﴾ في اللفظ، عاملها ليس بمسيء، ولكنها سميت سيئة لأنها مجازاة لسوء، فإنما يجازي السوء بمثله، والمجازاة به غيرُ سيّئة توجب ذَنْباً، وَإِنَّمَا قيل لها سيئة ليعلم أَنَّ الجَارِحَ والجاني يُقْتَصُّ مِنْهُ بمقدار جنايته، وهذا مثل قوله [تعالى]: ﴿فَمِن اعتدى عليكم فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ تأويله كافئوه بمثله، وعلى هذا كلام العرب.

وقوله:﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وغَفَر إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُور﴾.

أي الصابر يؤتى بصبره ثواباً فكل من زادت رغبته في الثواب فهو أتَمّ عَزْمٍ [١]، وقد قال بعض أهل اللغة إن معنى قوله [تعالى: ﴿واتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[٢] إن منه القصاصَ والعفوَ. فالعفو أحسنه[٣].

وقوله تعالى:﴿يَنْظُرونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾.

يعني ينظرون إلى النار من طرف خَفِيٍّ، قال بعضهم إنَّهم يُحْشرونَ عُمْياً فيرونَ النارَ بِقُلوبِهِمْ إذا عُرِضُوا عَلَيْها، وقيل ينظرونَ إليها مُسَارَقَةً.

وقوله عز وجل:﴿مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾.

أي ليس لكم مَخلَصٌ من العَذَابِ، ولا تَقْدِرُونَ أن تنكروا ما تقفون عليه مِنْ ذُنوبَكُمْ ولا ما يَنْزِلُ بِكُمْ مِنَ العَذَابِ.

وقوله:﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً﴾.

أي ويجعل ما يهبه من الولد ذُكرانا وإناثاً، فمعنى ﴿يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً﴾، أي يُقْرِنُهُمْ، وكل اثنين[٤] يقترن أحدُهما بالآخر فهما زوجان، كل واحد منهما يقال له زوجٌ. تقول: عندي زوجان من الخفاف، يعني أن عندك من العدد اثنين أي خُفَّيْن، وكذلك المرأة وزوجها زوجان.

وقوله: ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً﴾.

أي يجعل المرأة عقيماً، وهي التي لا تَلِدُ، وكذلك رَجُلٌ عقيمٌ أيْضاً لا يولد له، وكذلك الريح العقيم التي لا يكون عنها مطر وَلاَ خيْرٌ.

وقوله:﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾.

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) سورة الزمر: ٥٥.

(٣) أحسن ما أنزل.

(٤) في الأصل وكل شيء

يقرأ «أَوْ يُرْسِلُ» برفع يرسل و «فيوحِي» بإسكان الياء. والتفسير أن كلام الله للبشرإما أن يكون برسالة مَلَكٍ إلَيْهِمْ كما أرسل إلى أنبيائه، أو من وراء حجابٍ كما كلم موسى عليه السلام، أو بإلهام يُلْهِمُهُمْ.

قال سيبويه: سَألت الخليلَ عن قوله [تعالى] ﴿أو يُرْسِلَ رَسُولاً﴾ بِالنَّصْبِ، فقال: «يرسل» محمول على «أن يوحي» هذه التي في قوله أن يكلّمَهُ اللَّه. قال لأن ذلك غير وجه الكلام لأنه يصرف المعنى: ما كان لبشر أن يرسل اللّه رسولا، وذلك غير جائز، وإنما نرسل محمول على وحي، المعنى ماكان لبشر ان يكلمه اللّه إلاّ بأن يوحى أو أن يرسل.

ويجوز الرفع في «يرسل» على معنى الحال، ويكون المعنى: ما كان لبشر أن يكلمه اللّه إلاّ موحياً أو مرسلاً رسولاً كذلك كلامُهُ إيَّاهُمْ. قال الشاعر:

وخيل قد دَلفت لها بخيل تحيةُ بينهم ضربٌ وجيعُ(1)

ومثل قوله: ﴿أَوْيُرسِلَ﴾ بالنصب قوله الشاعر(2):

ولولا رجال من رِزَامٍ أعزةٍ وآل سبيع أو أسوءك علقما

والمعنى أو أن أسوءك.

وقال: ويجوز أن يرفع «أو يرسل» على معنى أو هو يرسل، وهذا قول الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعلمه.

وقوله جل وعز: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إلَيكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾.

---

(1) تقدم.

(2) من قصيدة المتلمس - يعيرني أمي رجال - وهي في الأصمعيات ١/٦٤، وانظر الخزانة ٤/٢١٤ والديوان ١٦٦، والاغاني ٢٣ ط بيروت - وتقدم شيء منها وسيأتي بيت في سورة والعصر.

أي فعلنا في الوحي اليك كما فعلنا بالرسل من قبلك، وموضع ﴿كذلك﴾ نصبٌ بقوله ﴿أَوْحَيْنا﴾، ومعنى ﴿رُوحاً مِن أَمْرِنَا﴾ ما نحيي به الخلق من أمرنا، أي ما يُهْتَدَى به فيكون حيًّا.

وقوله: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ ولَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً﴾.

ولم يقل جَعَلْنَاهُمَا لأن المعنى ولكن جعلنا الكتابَ نُوراً، وهو دليل على الايمان.

وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

ويقرأ: وإنك لتهدي، فمن قرأ لتَهْدِي، فالمعنى تهدي بما أوحينا إليك إلى صراط مستقيم، ويجوز أن يَكونَ «لَتُهْدَى» مخاطبة للنبي ﷺ وأمَّتِه، فيكون المعنى وإنك وأمتك لتُهدَوْنَ إلى صراط مستقيم، كما قال: ﴿يا أَيُّها النَّبيّ إذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ فهو بمنزلة يا أيها الناس المؤمنون إذَا طلقتم النساء.

وقوله: ﴿صِرَاطِ اللَّهِ﴾.

خفض بدل من صراط مستقيم، المعنى وإنك لتهدي إلى صراط اللَّه. ويجوز صراط اللَّه بالرفع، وصراط اللَّه بالنصب، ولا أعلم أحدا قرأ بهما ولا بواحدة منهما، فلا تقرأن بواحدة منهما لأن القراءة سنة لا تخالف، وان كان ما يقرأ به جائزاً في النحو.

سُورة الزُّخرُف
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿حم. وَالكِتَابِ المُبِينِ﴾.

قد فسرنا معنى «حم»، ومعنى «الكتاب المبين»، الذي أبان طرقَ الهدى من طرق الضلالة، وأبان كل ما تحتاج إليه الأمَّةِ.

وقوله عز وجل: ﴿إنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾.

معناه إنا بيّناه قرآنا عربياً.

وقوله: ﴿وَإنَّه فِي أُمِّ الكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.

﴿أم الكتاب﴾ أصل الكتاب، وأصل كل شيء أُمُّه، والقرآن مثبت عند اللّهِ في اللوح المحفوظ، والدليل على ذلك قوله: ﴿بَلْ هُوَ قرآنٌ مَجِيدٌ في لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[1].

وقوله: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَنْ كُنْتُم قَوْماً مُسْرِفِينَ﴾.

ويقرأ «إن كنتم قوماً مسرفين»، فمن فتحها فالمعنى أفنضرب عنكم الذكر صفحاً لأن كنتم، ومن كسرها فعلى معنى الاستقبال، على معنى إن تكونوا مسرفين نضرب عنكم الذكر، ويقال: ضربت عنه الذكر وأضربت عنه الذكر، والمعنى أفنضرب عنكم ذِكْر العذاب والعذابَ بان أسرفتم. والدليل على أن

(١) آخر سورة البروج.

المعنى هـذا وأنه ذِكْـرُ العذابِ قـوله:﴿فَـأَهْلَكْنَا أَشَـدَّ مِنْهُم بَطْشـاً وَمَضَى مَثَـلَ الأَوَّلِينَ﴾.

أي مضت سنتهم، ويكون ﴿أفنضـرب عنكم الـذِّكر﴾أي نهملكم فـلا نعرفكم ما يجب عليكم لأن أسرفتم، ومثله:﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾(١).

وقوله:﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً﴾: طرقاً.

وقوله:﴿وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾.

معناه خلق الأصناف كلها، تقول عندي من كل زوج أي من كل صنف.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِن الفُلْكِ والأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾.

أي خلق لكم وسخرها لكم: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾.

وقوله عز وجل:﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولوا سُبْحان الَّذِي سَخَّر لَنَا هَذَا﴾.

أي تحمدون اللّه وتعظمونه، فيقـول القائـل إذا ركب السفينة: بسم اللّه مجراها ومرساها، ويقول إذا ركب الدابة: الحمـد للّه سبحان الـذي سخر لنـا هذا وما كنا له مقرنين، أي مطيقين، واشتقاقه من قولـك: أنا لفـلان مقرن أي مطيق، أي قد صرت قرناً له.

﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾.

أي نحن مقرون بالبعث.

وقوله عز وجل:﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾.

يعنى بـه الذين جعلوا المـلائكة بنـات اللّـه، وقد أنشـدني بعـض أهـل

(١) سورة القيامة /٣٦.

اللغـة بيتـاً يـدل على أن معنى جـزء مـعنى الإنــاثِ ولا أدري البَيْتَ، قديم أم مَصْنُوعٌ، أنشـدني[1]:

إنْ أُجْزِأَتْ حُرَّةٌ يَوْماً فَـلاَ عَجَبٌ   قـد تجزئ الحـرة المـذكـار أحيـانـاً

أي إن أنثت، ولدت أنثى.

وقوله عز وجل: ﴿أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ [فِي الحِلْيَةِ]﴾.

ويقرأ يُنَشَّأُ، وموضع «من» نَصْبٌ. المعنى أَجَعَلُوا من يُنَسَّأُ في الحلية - يعني البنـات - للّه.

﴿وَهو فِي الخصام غَيْرُ مُبِينٍ﴾.

يعنى البنات، أي الأنثى لا تكاد تستوفي الحجة ولا تبين. وقـد قيل في التفسيـر ان المـرأة لا تكـاد تحتـج بحجـة إلاَّ عليهـا. وقـد قيـل إنـه يعني بـه الأصنام. والأجود أن يكون يعني به المؤنث.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا المَلاَئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً﴾.

الجَعْـلُ ههنا في معنى القـول والحكم على الشيء. تقول: قَـدْ جَعَلْتُ زيداً أعلم الناس، أي قد وصفته بذلك وحكمت به.

وقوله - عز وجل -: ﴿سَتُكْتَبُ شَهادَتُهُمْ﴾.

وتقرأ سنكتب، ويجوز سيَكْتُب، المعنى سيكتب اللّه شَهادَتُهم ولا نَعْلَمُ أَحَداً قرأ بها. والقراءة بالتاء والنُّونِ.

---

(١) نقل صاحب اللسان كلام الزجاج هذا، وزاد: والمعنى في قوله ﴿وجعلوا له من عباده جزءاً﴾، أي جعلوا نصيب اللّه من الولد الإناث، ثم قال: قال: ولم أجده في شعر قديم، ولا رواه عن العرب الثقات، وأنشد أبو حنيفة:

زوجتها من بنات الأوس مجزئة   للعوسج اللدن في أبياتها زجل

يعني امرأة غزالة بمغازل سويت من شجر العوسج. وهذا الكلام لم يذكره الزجاج في كتابنا هذا.

وقوله:﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَالُهمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾.

المعنى ما لهم بقولهم إنَّ الملائكة بنات اللَّه من علم، ولا بجميع ما تخرصوا به.

وقوله:﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِنْ قَبْلِهِ﴾.

أي أم هل قالوا عن كتابٍ، المعنى أشهدوا خلقهم أم آتيناهم بكتاب بما قالوه من عبادتهم ما يعبدون من دون اللَّه، ثم أعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أنَّ فِعلَهم اتباع ضلالة آبائهم فقال:﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾.

ويقرأ «على إِمَّةٍ» بالكسر، فالمعنى على طريقة.

وقوله عز وجل:﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾.

أي قد قالوا لك هَؤلاء[1] كما قال أمثالهم للرسل مِنْ قَبْلِكَ.

وقوله:﴿وَإِنَا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾.

معناه نقتدي بهم، ويصلح أن يكون خبراً لإنا مهتدون، و «على» من صلة مهتدين، وكذلك مقتدون، فيكون المعنى وإنهم مهتدون على آثارهم، وكذلك يكون المعنى مقتدون على آثارهم، ويصلح أن يكون خبراًبعد خبر، فيكون ﴿وإنا على آثارهم﴾ الخبر ويكون﴿مهتدون﴾خبراً ثانياً، وكذلك ﴿مقتدون﴾.

وقوله: ـ عز وجل ـ﴿ قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُم عَلَيْه آبَاءَكُمْ﴾ المعنى فيه قل أَتَتَّبِعُون ما وجدتم عليه آباءكم وإن جِئْتُكُمْ بِأَهدى منه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تعبدونَ، إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾.

---

(١) هكذا بالأصل.

﴿براء﴾ بمعنى بريء مِمَّا تعبدون، والعرب تقول للواحد منها أنا البراء منك، وكذلك الأثنان والجماعة والذكر والأنثى يقولون نحن البراء منك والخلاء منك، ولا يقولون: نحن البراءان منك ولا البراءونَ. وإنما المعنى إنا ذوو البراء منك ونحن ذوو البراء منك كما تقول رجل عدل وامرأة عَدْل وَقَوْمٌ عَدْلٌ، والمعنى ذوو عدل وذوات عدل.

وقوله: ﴿إلا الذي فطرني﴾.

المعنى إنا نتبرأ مما تعبدون الا من اللّه عز وجل، ويجوز أن يكون «إلا» بمعنى لكن فيكون المعنى لكن الذي فطرني فإنه سيهدين.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾.

يعني بها كلمة التوحيد وهي لا إله إلا اللّه باقية في عقب ابراهيم، لا يزال من ولده من يوحد اللّه عز وجل.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيم﴾.

المعنى على رجل من رَجُلَي القريتين عظيم، والرَّجُلاَنِ أحدهما الوليد ابن المغيرة المخزومي من أهل مكة، والآخر حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي من أهل الطائف، والقريتان ههنا مكة والطائف.

ويجوزلولا نَزَّل أي لولا نَزَّل اللّه هذا القرآن، ويجوز لوْلَا نَزَلَ هـذا القرآن.

ومعنى لولا هلاّ ولم يُقْرَأْ بهاتين الأخْرَيين، إنما القراءة نُزِّل، و «هـذا» في موضع رفع، والقرآن ههنا مُبَيِّن عن هذا ويسميه سيبويه عطف البيان، لأن لفظه لفظ الصفة، ومما يبين أنه عطف البيان قولك مررت بهذا الرجل وبهذه الدار، و﴿هذا القرآن﴾ إنما يذكربعد هذا اسما يبيِّنُ بها[1] اسم الاشارة.

وقوله عز وجل: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾.

(١) أي بهذه الجملة.

أي قولهم: لِمَ لَمْ يُنَزَّلْ هذا القرآنُ على غير محمد عليه السلام اعتراض منهم، وليس تفضل اللّه عز وجل يقسمه غيره. ولما أتى النبي ﷺ بالرسالة قالت العرب - أو أكثرها -: كيف لم يرسل اللّه مَلَكاً وكيف أرسل اللّه بَشراً، فقال اللّه عز وجل:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾(١)، وقال: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾(٢). فلما سمعوا ان الرسالة كانت في رجال من أهل القرى قالوا:﴿وَلَوْلَا نُزِّلَ على أَحَدِ هذين الرجلين﴾، وقال - عز وجل -:﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ، نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾.

فَكَما فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ في الرزق وفي المنزلة، كذلك اصطفينا للرسالة من نشاء.

وقوله:﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سِخْرِيًّا﴾.

وسُخْرِيًّا، أي ليستعمل بعضهم بَعْضاً، ويستخدم بعضُهم بعضاً، ؛ وقيل سِخْرِيًّا [أي] يتخذ بعضهم بعضاً عبيداً. ثم أعلم - عز وجل - أن الآخرة أَحَظُّ من الدنيا فقال:

﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

وأعلمَ قِلَّةَ الدنيا عنده عز وجل فقال:

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُر بالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ﴾.

ويقرأ سَقْفاً مِنْ فِضَّةٍ، ويجوز سُقْفاً بسكون القاف وَضَمّ السين، فمن قال سُقُفاً وَسُقْفاً فهو جمع سَقْف كما قيل رَهْنٌ وَرُهُنٌ وَرُهْن، ومن قال سَقْفاً فهو واحد يَدُلُّ على الجمع المعنى جعلنا لبيت كلٍّ واحد منهم سقفاً من فضة.

(١) سورة يوسف ١٠٩. (٢) سورة يونس /٢.

وقوله:﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾.

﴿معارج﴾: دَرَج واحدها مَعْرَج، المعنى وجعلنا معارج من فِضَّةٍ، وكذلك:

﴿ولِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً﴾.

أي أَبْواباً من فِضَّةٍ وسُرُراً من فِضَّةٍ.

﴿وزُخْـرُفاً﴾.

الـزخـرف ـ جـاء في التفسير أنـه ههنا الـذَّهَبُ، إلا زيد بن أسلم[١] فإنه قال: هو متـاع البيت، والزخـرف في اللغة الـزينة وكمـال الشيء فيها، ودليـل ذلك قوله:﴿حَتَّى إِذَا أَخَذتِ الأَرْضُ زُخْرُفَها﴾[٢] أي كمالهـا وتَمـامَهـا.

﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

معناه وما كل ذلك الا متـاع الحياة الـدُّنْيَا، ويقـرأ لَمَا متـاع و «ما» ههنـا لَغْوٌ، المعنى لَمَتاعُ.

وقوله:﴿وَلَوْلاَ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾.

أي لَوْلاَ أن تميل بهم الدنيا فيصيرَ الخلق كفاراً لأعـطى اللّه الكافـر في الدنيا غاية ما يتمنى فيها لِقِلَّتِهَا عِنْدَهُ، ولكنـه ـعزّوجلّ ـ لم يفعـل ذلك لعلمـه بأن الغالب على الخلقِ حبُّ العَاجِلَة.

وقوله:﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾.

ويقرأ وَمَن يَعْشَ بفتح الشين من عَشِيَ يَعْشَى، أي من يَعْمَ عن ذكر الرّحْمنِ.

---

(١) زيد بن أسلم من مشهوري التـابعين ـ مولى عمـر بن الخطاب، فقيـه محدّث مفسـر، روى عن كثيرين منهم أبوه وابن عمر وعائشة، وروى عنه كثيرون منهم أولاده الثلاثة والسفيانـان، وكانت له حلقة في مسجد رسول الله.وما رؤي المستمعون أهيب لمعلم منهم لـه، وكان مجلسـه يضم أربعين حبراً (فقيهاً) عدا الآخرين، وكان علي بن الحسين يتخطى مجلس قومه ليجلس إلى زيد، ويقول: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه، وكان يفسر القرآن برأيه ويكثر من ذلك، توفي سنة ١٣٦ هـ ـ وهو معدود في الثقات وبعضهم يغمزه ـ (تهذيب التهذيب جـ ٣/٣٦٥ ـ ٩٧).

(١) سورة يونس الآية ٢٤.

﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً﴾.

نسبب له شيطاناً، يجعل اللّه له ذَلِكَ جزاءه.

وقوله:﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

أي الشياطين تصدهم عن السبيل، ويحسب الكفار أَنَّهُم مُهْتَدُونَ.

وقوله - عز وجل -: ﴿لِمَنْ يَكْفُر بالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِم﴾:

يصلح أن يكونَ بدلاً من قوله لمن يكفر بالرحمن، ويكون المعنى لجعلنا لبيوت من يكفر بالرحمن، ويصلح أن يكون لِبُيوتِهِمْ على معنى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن على بُيُوتِهِم.

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا﴾.

ويقرأ جَاءَانَا، فمن قرأ جاءانا فالمعنى حتى إذَا جَاءَ الكَافِرُ وشيطانه، ومن قرأ حتى إذا جاءنا فعلى الكافر وحده.

﴿قال يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ القَرِينُ﴾.

معنى ﴿المشرقين﴾ ههنا بعد المشرق والمغرب، فلما جعلا اثنين غلب لفظ المشرق كما قال:[1].

لنا قمراها والنجوم الطوالع

يريد الشمس والقمر، وكما قالوا سنَّةُ العُمَرَيْن يراد سنَّةُ أبي بكر وعمر، رحمةُ اللّه عَلَيْهِمَا.

وقوله عز وجل:﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ اليَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي العَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾.

المعنى لَنْ تَنْفَعَكُم الشَّرِكَةُ في العذاب، قال محمد بن يزيد في جواب

(١) للفرزدق من قصيدة له مشهورة يفتخر بآبائه ويهجو جريراً.

وقد جاء جزء منها في شواهد المغني ص ٣، وصدره: أخذنا بأطراف السماء عليكم.

هذه الآية إنَّهُمْ مُنِعُوا رَوْح التَّأَسِّي لأن التَّأسِّي يُسَهِّلُ المصيبة، فاعلموا أنْ لَنْ يَنْفَعَهم الاشْتراكُ في العَذاب وان اللّه -عزوجل-لا يجعل فيه أُسْوةً، قال وأنشدني في المعنى للخنساء[1]:

ولولا كثرة الباكين حولي على إخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وما يبكون مثل أخي ولكن أعزي النفس عنه بالتَّأَسِّي

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ، أَوْ نُرِيَنَّكَ ﴾.

دخل «ما» توكيداً للشرط والنون الثقيلة في قوله: ﴿نَذْهَبَنَّ﴾ دَخلتْ أيضاً توكيداً، وإذا دَخَلَتْ «ما» دخلت معها النون كما تَدْخُل مع لام القَسَمِ، والمعنى إنا نَنْتَقِمُ مِنْهُم إنْ توفِّيتَ أو نريك ما وعدناهم وَوَعَدْنَاكَ فِيهِمْ من النَّصْرِ، فقد أراه اللّه ـ عز وجل ـ ما وعَدَهُ فيهِمْ وَوَعَدَهُمْ مِنْ إهْلاَكِهِمْ إن كذَّبوا. وقد قيل إنه كانت بعد رسول اللّه ﷺ أشياء لم يُحْبِبِ اللّه أَنْ يُريَه إياها.

وقوله عز وجل:﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾.

يريدُ أن العذابَ شرفٌ لك ولقومك[2].

وقوله:﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾.

معناه سوف تسألون عن شِكر ما جعله اللّه لكم من الشرف.

وقوله: ﴿واسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾.

في هذه المسألة ثلاثَةُ أَوْجُهٍ جاء في التفسير أن النبي ﷺ ليلة أسري به جمع له الأنبياء في بيت المقدس فأمهم وصلى بهم، وقيل له: سَلْهُمْ فلم

---

(١) من رثائها أخاها صخرا ـ انظر شواهد الكشاف ص ٦٤، والديوان ص ٣٧.

(٢) عذاب أعدائه وهزيمتهم دليل على صدق الاسلام، والأولى أن يكون الضمير عائداً على القرآن، لأن الآية السابقة هي: ﴿فاستمسك بالذي أوحى إليك...﴾.

يشكك عليه السلام ولم يَسَلْ، ووجه ثانٍ وهو الذي أختاره، وهو أنَّ المعْنَى سل أُمَمَ من أَرْسَلْنَا من قبلك من رُسْلِنَا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدونَ، ويكون معنى السؤال ههنا على جهة التقرير كما قال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[١] فليس يَسْأَلُهمْ ههنا عَمَّنْ خَلَقَهُمْ إلا على جهةِ التقرير وكذلك إذا سأل جميع أمم الأنبياء لم يأتوا بأنَّ في كتُبِهِمْ أن اعبدوا غيري.

ووجه ثالث يكون المعنى في خطاب النبي ﷺ معناه مخاطبة الأمَّة، كأنه قال: واسألوا، والدليل على أنَّ مخاطبة النبي ﷺ قد يدخل فيها خطاب الأمة قوله: ﴿يَا أيُّها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾[٢].

وقوله: ﴿يا أيُّها السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا [لمهتدون]﴾.

إن قال قائل: كيف يقولون لموسى عليه السلام يا أيُّها الساحر وهم يزعمون أنهم مهتدون. فالجواب أنهم خاطبوه بما تقدم له عندهم من التسمية بالسِّحر، ومعنى بما عَهِدَ عنْدَكَ أي بماعهدعندك فيمَنْ آمن به مِنْ كشف العذاب عنه[٣]، الدليل على ذلك قوله: ﴿فَلما كَشَفْنَا عَنْهُمُ العَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾.

أي إذا هم ينقُضُون عَهْدَهُمْ.

وقوله عز وجل: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾.

«مصر» ههنايعنى بها مدينة مصر المعروفة، فمصر مذكر سُمِّيَ بِهِ مؤنث لأن المدينة الغالب عليها التأنيث، وَقَدْ يَجُوزُ مَلكُ مِصْرٍ، يذهب به إلى أن مصر اسم لبلد، وهذا فيه بُعْدٌ من قِبَلِ أن أكثر ما يستعمل البلد لما يضم مدناً

---

(١) سورة الزخرف الآية ٨٧.

(٢) أول سورة الطلاق.

(٣) عهد اللّه إليه أن يكشف العذاب عمن آمن به. فهم يطلبون أن يشكف عنهم العذاب ثم يؤمنون بعد كشفه.

كبيرةٌ نحو بلاد الرُّوم وبلاد الشام وبلد خراسان. ويجوز أن تصرف مصراً إذا جعلته اسماً لبلد عند جميع النحويين من البصريين.

وقوله عز وجل:﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾.

قال سيبويه والخليل عطف «أَنَا» بأم على قوله ﴿أفلا تبْصِرُونَ﴾ لأن معنى ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ معناه أَمْ تُبْصِرُونَ، كأنه قال: أَفَلَا تبصرون أَمْ تُبصِرُونَ، قال لأنهم إذَا قالوا أنت خير منه فقد صاروا عنده بُصَرَاءَ، فكأنّه قال أفلا تبْصِرُونَ أم أنتم بُصَرَاءُ.

وَمَعْنَى ﴿مَهِين﴾: قليل.

يقال شَيءٌ مَهِينٌ أَي قَليلٌ، وهو فعيل من المهانة.

وقوله:﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾.

قال ذلك لأنه كانت في لسان موسى عليه السلام لثغة، والأنبياء ـ صلوات اللّه عليهم ـ أجمعون مُبَيِّنُونَ بُلَغَاءُ.

وقوله عز وجل:﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الملائكة مقترنين﴾.

كأنه لما وَصَفَ نفسه بالمُلْكِ والرِيَاسَةِ قال: هَلَّا جاء مُوسَى بشيء يُلْقَى عليه فيكون ذلك أَسْوِرَةً مِنْ ذَهَبٍ تدل على أنها من عند إلٰهه الذي يدعوكم إلى توحيده، أو هلَّا جاء معه الملائكةُ مقترنين أي يمشون معه فيَدُلُّونَ على صحة نُبوَّتِهِ، وقد أتى موسى عليه السلام من الآيات بما فيه دلالةٌ على تثبيت النُّبُوَّة، وليس للذين يرسل إليهم الأنبياءُ أَنْ يَقْتَرِحُوا من الآيات ما يريدون هم.

وتقرأ أساوِرَةٌ مِنْ ذَهبٍ، ويصلح أن يكون جمعَ الجمعِ تقول أَسْوِرَة وَأَسَاوِرَة، كما تقول: أقوال وأقاويل ويجوز أن يكون جَمعَ إسْوار وأساورة،

وإنما صَرَفْتَ أساورة لأنك ضَمَمْتَ الهـاء إلى أَسَاور فصـار اسْماً وَاحِـداً وصار الاسم له مِثال في الواحد مثل عَلاَنية وعباقية.

وقوله عز وجل:﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾.

معنى ﴿آسفـونا﴾ أغضبـونا.

﴿فَجَعَلْنَـاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ﴾.

جعلناهم سلَفاً مُتَقَدِّمِينَ ليتَعِظَ بهم الآخرون، ويُقْـرأُ سُلُفاً ـ بضم السين والـلام، ويُقرأُ سُلَفـاً ـ بضم السين وفتح الـلام ـ. فمن قال سُلُفـاً ـ بضمتين ـ فهو جمع سَلِيف، أي جميع قد مضى، ومن قرأ سُلَفاً فهو جمع سُلْفَة أي فرقة قد مَضَتْ.

وقوله عز وجل :﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إذَا قَوْمُكَ مِنْـهُ يَصِدُّونَ﴾.

ويقـرأ يَصُدُّون ـ بضم الصـاد ـ والكسر أكثـر ومعناهمـا جميعاً يضجُّـونَ ويجوز أن يكون معنى المضمومة يُعْرِضُونَ.

وجـاء في التفسير أن كُفَّـارَ قريش خـاصمت النبي ﷺ فلمـا قيـل لهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ قالوا(١) قد رضينا أن تكون آلهتُنا بمنـزله عيسى بن مـريم والملائكـةِ الـذين عُبِدوا من دون اللَّه(٢). فهـذا معنى ضَرْبِ عيسى المثل.

وقوله:﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إلاَّ جَدَلاً﴾.

أي طلباً للمجادلة لأنهم قد علموا أن المعنى في حصب جهنم ههنا أنـه يعني به الأصنام وهم.

---

(١) في الأصل فقالوا، والآية في سورة الأنبياء رقم ٩٨.

(٢) أي حيث عبد هؤلاء.

وقوله تعالى:﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْه وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

يعني بـه عيسى بن مريم، ومعنى ﴿جعلناه مثلاً لبني إسرائيل﴾ أنـه يدلهم على نبوته.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلاَئِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾.

معنى ﴿يخلفون﴾ يخلف بعضهم بعضاً، والمعنى لجعلنا منهم بَـدَلاً منكم.

﴿وإنه لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾.

ويقرأ لَعَلَمٌ للسَّاعةِ، المعنى أنّ ظهورَ عيسى بن مريم عليه السلام لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ، أي إذا ظهر دَلَّ على مجيء الساعة، وقد قيل إنه يعني بـه أن القرآن العلم للساعة يدل على قرب مجيئها، والدليل على ذلك قوله :﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانْشَقَّ القَمَرُ﴾. والأول أكثر في التفسير.

وقوله:﴿فَلاَ تَمتَرُنَّ بِهَا﴾: أي لا تَشُكُّنَّ فيها.

وقوله عز وجل:﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالحِكْمَةِ وَلأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾.

قوله جاء بالحكمة أي بالانجيل وبالبينات أي الآيات التي يعجز عنها المخلوقون، وقالوا في معنى ﴿بَعْضَ الَّذي تَخْتَلِفونَ فِيهِ﴾ أي كل الذي يختلفون فيه[1] واستشهدوا بقول لبيد:

(١) لم يقل هذا غير أبي عبيدة في مجازه. وقد سبق هذا في تفسير الآية ﴿ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم﴾. وصدر البيت:

تراك أمكنة إذا لم أرضها

وهو من معلقة لبيد. وانظر المجاز ص ٩٤ جـ ١ وص ٢٠٥ جـ ٢. ولم يوافق أحد أبا عبيدة فيما قال. وتقدم هذا في جـ ١.

او تخترم بعض النفوس حمامُها.

يـريد كـل النفوس، واستشهـدوا أيضاً بقـول القطامي:

قـد يـدرك المتأني بعض حاجته[1].

قالوا معناه كلُّ حاجته. وهـذا مذهب أبي عبيـدة، والصحيح أن البعض لا يكـون في معنى الكل، وهـذا ليس في الكلام، والـذي جاء بـه عيسى في الانجيـل إنمـا هـو بعض الـذي اختلفـوا فيه، وبين اللّٰه سبحـانـه لهم من غيـر الانجيل ما احتاجوا إليه، وكذلك قوله: أو يخترم بعض النفوس حمامهـا، إنما يعني نفسه، ونفسه بعض النفوس.

وقوله عز وجل:﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾.

﴿الأحزاب﴾ قيل إنهم الأربعة الذين كانـوا بعد عيسى، يعني بـه اليهـود والنصارى.

وقوله:﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾.

جاء في التفسير عن النبي ﷺ أنه قال: الأَخِـلاَّءُ أَرْبَعَةٌ مؤمنـان وكافـران فمات أَحَدُ المؤمِنَيْنِ فَسُئِلَ عن خليله فقال ما علمته إلاَّ أمَّـاراً بالمعـروف نهَّاءً عن المنكر، اللهم اهده كما هَدَيْتَنِي، وأَمِتْه على مَا أَمتَّني عليه، وسئل الكـافر عن خليله فقال: ما علمته إلاَّ أمَّاراً بـالمنكر نهـاء عن المعروف، اللهم أضلله كما أضللتني، وأَمِتْـهُ على ما أَمتّني عليه، فإذا كان يوم القيامـة أُثنى كل واحـد على صاحبه شَرًّاً.

---

(١) عجزه: وقد يكون مع المستعجل الزلل.
من قصيدته التي أولها: إنا محيوك فاسلم أيها الطلل.
انظر شواهد المغني ٢٢٣. وشواهد الكشاف ٩١.

قوله:﴿يَا عِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

وتقرأ يا عبادي ـ بإثبات الياء، وقد فسرنا حذف الياء وإثباتها في مثل هذا فيما سلف من الكتاب.

وقوله:﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾.

«الذين» في موضع نصب على النعت لِعِبَادِي، لأن عبادي منادى مضاف، وإنما قيل ﴿لاَ خَوْفٌ عليكم اليوم﴾ للمؤمنين لا لغيرهم، وكذلك ﴿ادْخُلوا الجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾ يعنى يا عبادي المؤمنين ادخلوا الجنة.

وقوله: ﴿أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾.

﴿تحبرون﴾ تكرمون إكراماً يبالغ فيه، والحَبْرَةُ المبالغة فيما وصف بجميل.

وقوله: ﴿بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وأكوابٍ﴾.

«الصحاف» واحدها صَحْفَة وهي القصعة، والأكواب واحدها كوب وهو إناء مستدير لا عروة له.

وقوله:﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِي الأَنْفُسُ﴾.

وقرئت ﴿تشتهيه الأنفسُ﴾ بإثبات الهاء، وأكثر المصاحف بغيرها، وفي بعضها الهاء.

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾.

المبلس: الساكتُ المُمْسِكُ إمساك يائِسٍ من فَرَجٍ.

وقوله:﴿وَلَكِنْ كَانُوا هُمَ الظَّالِمِينَ﴾.

«هُمْ» ههنا فصل كذا يسميها البصريون، وهي تأتي دليلاً على أن ما

بعدها ليس بصفة لما قبلها، وأن المتكلم يأتي بخبر الأول. ويسميها الكوفيون العِمَاد. وهي عِندَ البصريينِ لا موضع لها في رفع ولا نصب ولاَ جَرٍّ، ويزعَمُون أنها بمنزلة «ما» في قوله سبحانه:﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللّهِ لِنْتَ لهم﴾(١) وقد فسرتُ ما في هذا فيما تقدم من الكتاب ويجوز «ولكن كانوا هم الظَّالِمُونَ» في غير القرآن، ولكن لا تقرأن بها لأنها تُخَالِفُ المُصْحَفَ.

وقوله عز وجل:﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾.

وقد رُوِيَتْ يَا مَالِ - بغير كاف، وبكسْرِ اللام - وهذا يسميه النَّحوِيُّونَ التَرخيم، وهو كثير في الشِّعْر في مالك وعامر ولكنني أكْرَهُهُمَا لمخالفتهما المصحف.

وقوله عز وجل:﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمراً فإنا مُبْرِمُونَ﴾.

أي أم أحكموا عند أنْفُسِهِمْ أمراً من كيد أو شَرٍّ فإنا مُبْرِمُونَ.

مُحْكِمُونَ مُجَازَاتهم كيداً بكيدِهِمْ، وشَرًّا بِشَرِّهِمْ.

وقوله:﴿قُلْ إنْ كَانَ للرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنا أَوَّلُ العَابِدِينَ﴾.

معناه إن كنتم تزعمون أن للرحمن وَلَداً فأنا أول المُوَحِّدِينَ لأن من عبد اللّه - عز وجل - واعترف بأنه إلٰهه فقد دفع أن يكون له وَلَدٌ. والمعنى إن كان للرحمن ولد في قولكم، كما قال: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كنتم تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾(٢) أي في قولكم. واللّه واحد لا شريك له. وقد قيل إنَّ «إنْ» في هذا الموضع في موضع «ما» المعنى ما كان للرحمن وَلَد، ﴿فأنا أَوَّلُ العَابِدِينَ﴾، وقد قيل إن العابدين في معنى الآنفين، فأنا أول من يأنف من هذا القول.

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

(٢) سورة النحل ٢٧.

وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وفي الأَرْضِ إِلَهٌ﴾.

المعنى هو الموحَّدُ في السماء وفي الأَرْضِ، وقرئت «في السَّماءِ اللَّهُ وَفِي الأَرْضِ اللَّهُ». ويدل ما خلق بَيْنَهُما وفيهما أَنه وَاحِدٌ حكيم عليم، لأن خلقُهما يدل على الحِكْمَةِ والعِلْمِ.

وقوله: ﴿وَقِيلَهُ: يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

ويُقْرَأُ ﴿وقِيلِهِ﴾، وقيلُه يا ربُّ، فيها ثلاثة أوجه، والخفض على مَعْنَى ﴿وعنده علم الساعة﴾ وعلمُ قِيلِه يَا رَبُّ والنصب من ثلاثة أوجه، قال أبو الحسن الأخفش إنه منصوب من جهتين إحداهما على العطف على قوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُون أنا لا نسمع سِرَّهُم وَنَجْواهم﴾ وقيلَهُ، أي ونسمع قيله. ويكون على وقال قيله.

قال أبو إسحاق: والَّذي أختاره أنا أن يكون «قيلَه» نصْباً على مَعْنَى وعنده علم الساعة ويعلمُ قيلَهُ، فيكون المعنى انه يعلم الغيب ويعلم قيله، لأنَّ معنى عنده علم الساعة يعلم الساعة ويعلم قيله. ومعنى الساعة في كل القرآن الوقت الذي تقوم فيه القيامَةُ.

والرفع على معنى وقيلُه هذا القول، أي وقيله قوله ﴿يا ربّ إن هؤلاء قوم لا يؤمنون﴾.

سُورَةُ الدُّخَان
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

جاء في التفسير: من قرأ سورة الدخان في ليلة الجمعة تصديقاً وإيماناً غفر اللّه له.

وقد فسرنا معنى ﴿حم﴾ فيما سَلَفَ.

وقوله: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ قسمٌ.

وقوله:﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾.

جاء في التفسير أنها ليلة القدر، قال اللّه ـ عز وجل ـ:﴿إِنَّا أنزلنا في ليلة القدر﴾، وقال المفسِّرُون: في ليلة مباركة هي ليلة القدر.

نزل جملة إلى السَّماءِ الدُّنْيَا في ليلة القَدْرِ، ثم نزل عَلَى رَسُول اللّه ﷺ شيئاً بعد شيء.

وقوله عز وجل: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾.

يَفْرُق اللّه عز وجل في ليلة القدر كل أمر فيه حكمة من أرزاقِ العِبادِ وآجالِهِمْ وجميع أَمْرِهم الذي يكون مُؤَجَّلاً إلى ليلة القدر التي تكون في السنة المقبلة.

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا﴾، وقوله: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾.

منصوبان ـ قال الأخفش ـ على الحال، المعنى إنا أنزلناه آمرين أَمْراً وراحمين رَحْمةً. ويجوز أن يكون منصوباً بِيُفْرَقُ بمنزلة يفرُقُ فرقاً لأن أَمْرَاً بمعنى فَرْقاً، لأن المعْنَى يؤتمر فيها أمراً.

ويجوز أن يكون﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾مَفْعُولاً له، [أي] إنا أنزلناه رحمةً أي للرَّحْمَةِ.

وقوله:﴿ربِّ السَّمَواتِ والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾.

بالخفض والرَّفع. فالرفعُ عَلَى الصِّفَةِ، والخفض على قوله: مِنْ رَبِّكَ رَبِّ السَّمَواتِ، ومن رفع فعلى قوله: انه هو السميع العليم ربُّ السَّمواتِ، وإن شئت على الاستئناف على معنى هو رب السموات.

وقوله:﴿لَا إِلٰه إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ﴾.

ويقرأ ﴿رَبِّكُمْ وَرَبِّ آبائِكم الأَوَّلِينَ﴾: ـ فالخفض على معنى رحمة من ربك رَبِّكم وربِّ آبائكم الأولين.

وقوله:﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ﴾.

﴿فارتقب﴾ فانتظر، وفي أكثر التفسير أن الدخان قَدْ مَضَى وذلك حين دعا رسول اللَّه ﷺ عَلَى مُضَرٍ فقال: اللهم اشدد وطأتك على مُضَرٍ واجْعَلْها عَلَيْهِم سِنِينَ كسني يُوسُفَ، أي اجْعَلْهُم سِنُوهم[1] في الجدب كسني يوسف، والعَرَبُ أيضاً تسمي الجدبِ السَّنَةَ، فيكونُ المْعَنى اجعلها عليهم جَدُوباً. فارتفع القَطْرُ، وأجْدَبَتِ الأرضُ وصار بين السماء والأرض كالدُّخانِ.

وقوله: ﴿هذا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾،

---

(١) في الأصل سنيهم. على أنها بدل.

المعنى يقول الناسُ الذين يحل بهم الجَدْبُ:﴿هذا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾وكذلك قوله:﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا العَذَابَ﴾.

وقوله ـ عز وجل ـ:﴿إِنَّا كَاشِفُو العَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾.

ويجوز أَنَّكُمْ عَائِدُونَ. فمن قرأ أَنَّكُمْ عـائدونَ فهـو الوجـه، والمعنى انه يعلمهم أنهم لا يتّعِظُونَ، وأنهم إذَا زال عنهم المكروه عادوا في طُغْيانِهم.

وقوله ـ عز وجل:﴿يَوْمَ نَبْطِشُ[البَطْشَةَ الكُبْرَى إنَّا مُنْتَقِمُونَ]﴾.

يوم نَبْطِش، وَنَبْطُش إنَّا منتقمُونَ.

هذا مثل عَكَفَ يَعكُف وَيَعْكِفُ، وعَرَشَ يَعْرِشُ وَيَعْـرُشُ وهذا في اللغـة كثير. وقيل إنَّ البـطشة الكبـرى يوم بَـدْر. و «يومَ» لا يجـوز أن يكون منصُـوباً بقوله مُنْتَقِمُونَ، لأن ما بَعْـدَ إنَّا لا يجـوز أن يعمل فيمـا قبلَها، ولكنـه مَنْصُوبٌ بقوله: واذكر يوم نبطش البطشة الكبرى.

وقوله عز وجل:﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَـوْمَ فِرْعَوْنَ﴾.

وَمَعْنَى: ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عَبَادَ اللَّه﴾.

أن أسلموا إليَّ عباد اللَّه، يعني بني إسرائيل كما قال: ﴿فأرسل معنا بني إسْرائيل وَلَا تعذِّبْهُمْ﴾[1]، أي أطلقهم من عَذَابِكَ[2]. وجائز أن يكون عباد اللَّه مَنصُوباً على النداء، فيكون المعنى أن أدوا إليَّ ما أمركم اللَّه به يا عباد اللَّه.

﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾.

أي بِحجَّةٍ وَاضحةٍ بَيِّنَةٍ تَدل على أني نبي.

وقوله:﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمونِ﴾.

أي أن تقتلون.

---

(١) سورة طه: آية ٤٧.

(٢) عباد الله على هذا مفعول به.

وقوله:﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فاعتزلونِ﴾.

أي إن لم تؤمنوا لي فلا تكونوا عليَّ ولا مَعِي.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾.

من كسر إنَّ فالمعنى قال إن هؤلاء، وَ «إنَّ» بعد القول مكسورة. ويجوز الفتح على معنى فدعا ربّه بأن هؤلاء.

وقوله:﴿واتْرُكِ البَحْرَ رَهْواً﴾.

جاء في التفسير «يَبَساً» كما قال: ﴿فاضربْ لهم طريقاً في البحر يبساً﴾[1] وقال أهل اللغة: رَهواً سَاكِناً.

وقوله:﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ﴾.

جاء في التفسير أن المقام الكريم يعنى به المنابر ههنا، وجاء في مَقامٍ كريمٍ أي في منازل حسنة.

قوله:﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ﴾.

المعنى الأمر كذلك. موضع كذلك رفع على خبر الابتداء المضمَر.

وقوله عز وجل:﴿فَمَا بَكَتِ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالأَرْضُ﴾.

لأنهم ماتوا كفاراً، والمؤمنون إذا مَاتُوا تبكي عليهم السماء والأرض، فتبكي على المؤمن الأرض مُصَلَّاه أي مكان مُصَلاهُ ومن السماء مكان مصعد عمله ومنزل رزقه، وجاء في التفسير أن الأرض تبكي على المؤمن أربعين صَبَاحاً.

وقوله:﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾.

---

(١) سورة طه الآية ٧٧.

أي ما كانوا مؤخرين بالعذاب.

﴿وَلَقَد اخْتَرنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

أي على عالمي دهرِهم.

وقوله:﴿إنَّ هَؤُلاءِ لِيَقُولُونَ: إنْ هِيَ إلَّا مَوْتَتُنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِين﴾.

هـذا قالـه الكفار من قـريش، معنى «إن هي» مـا هي، ومعنى بِمُنْشَرِينَ بمبعوثين، يقال أنشر اللَّه الموتى ونشروا هم.

وقوله عز وجل: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾.

جاء في التفسير أن تُبَّعاً كان مؤمناً، وأن قومـه كانـوا كافـرين، وجاء أنـه نظر إلى كتاب على قبرين بناحية حمير، على قبر أحدهمـا: هذا قبـر رَضْوَى، وعلى الآخر هذا قبر حُبىً ابْنتي تُبَّعٍ لا يشركان باللَّه شيئاً.

وقوله عز وجل:﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إلَّا بِالحَقِّ﴾.

يعنى به السموات والأرض أي إلّا لإِقامة الحق.

وقوله عز وجل:﴿إنَّ يَوْمَ الفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

ويجوز ميقاتهم بنصب التـاء، ولا أعلم أنه قـرئَ بها، فـلا تقرأن بهـا. فمن قرأ ميقاتهم بالرفع جعل يوم الفصل اسم إنَّ، وجعل ميقاتهم الخبر، ومن نصب ميقاتهم جعله اسم إنَّ ونصب يوم الفصل على الظرف، ويكـون المعنى ميقاتهم في يوم الفصل.

وقوله عز وجل:﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىً عَنْ مَوْلَى شَيْئاً﴾.

لا يغني ولي عن وَلِيِّهِ شيئاً، ولا والد عن ولده، ولا مَوْلُودٌ عن وَالِدِه.

وقوله:﴿إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأثِيمِ﴾.

يعنى به(١) ههنا أبو جهل بن هشام. والمهل نُرديّ الزَّيْتِ ويقال: المهمل ما كان ذائباً من الفضة والنحاس وما أشبه ذلك.

وقوله: ﴿خذوه فَاعْتِلُوهُ﴾.

ويقرأ فاعْتُلوه - بضم التاء وكسرها. المعنى يا أيها الملائكة خذوه فاعتلوه. والعَتْلُ أن يؤخذَ فيمْضَى به بِعَسْفٍ وَشِدَّةٍ.

﴿إلى سَوَاءِ الجَحِيمِ﴾: إلى وَسَطِ الجَحِيمِ.

وقوله: ﴿ذُقْ إنَّك أنت العَزِيزُ الكَرِيمُ﴾.

الناس كلهم على كسر «إنَّكَ» إلا الكسائي وحده فإنه قرأ: ذق أَنَّكَ أنت، أي لأَنَّكَ قُلْتَ إنَّك أنت العزيز الكريم، وذلك أنه كان يقول: أنا أعز أهل هذا الوادي وَأَمْنَعُهمُ فقال اللَّه عز وجل ذق هذا العذابَ إنَّك أنت القائل: أنا العزيز الكريم.

وقوله: ﴿إنَّ المُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾.

أي قد أمنوا فيه الغِيَرَ.

وقوله: ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وإسْتبْرَقٍ مُتَقَابِلِين﴾.

قيل الاستبرق الديباج الصَّفيقُ، والسندس الحرير، وإنما قيل له استبرق - واللَّه أعلم - لشدة بريقه.

وقوله عز وجل: ﴿لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا المَوْتَ إلاَّ المَوْتَةَ الأُولَى﴾.

المعنى لا يذوقون فيها الموت البتة سوى الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا، وهما كما قال: ﴿وَلاَ تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ من النِّساءِ إلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾(٢).

---

(١) بالأثيم.

(٢) سورة النساء الآية ٢٢.

وقوله عز وجل:﴿فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ﴾.

ويجوز «فَضْلٌ مِنْ رَبِّكَ»، ولا يقرأن بها لخلاف المصحف، والنَّصْبُ على معنى قـوله ﴿يـدعونَ فيهـا بكل فـاكهة آمنين﴾، وعلى معنى ﴿إنّ المتقين في مقام أمين﴾ وذلك بفضـل من اللّه، فـالمعنى فعَـل اللّه بهم ذلـك فضـلاً منـه، وتفضلاً منه.

وقوله:﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴾.

معناه فانتظر إنهم منتظرون.

سورة الجاثية
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل:﴿إنَّ فِي السَّمواتِ والأرْضِ لآيَاتٍ للمُؤْمِنِينَ﴾.

المعنى - والله أعلم - إن في خلق السموات والأرض لآياتٍ ويدل عليه قوله:﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ﴾.

يقرأ آياتٍ وآياتٌ بخفض التاء ورفعها وهي في موضع نصب على النَّسَق على قوله: ﴿إنَّ في السّموات والأرْضِ لآياتٍ﴾.

المعنى أن في خَلْقِكم لآيــات، ومن قـرأ لآيـاتٌ فعلى ضـربين، على الاستئناف على معنى وفي خلقكم آياتٌ، وعلى موضع أن مـع ما عملت فيـه، تقول: إنّ زيداً قائمٌ وَعَمْراً وعَمْـرٌ. فتعطف بعَمْـرٍو على زيد إذا نَصَبْتَ، وإذَا رفعت فعلى موضع إنَّ مع زيدٍ، فإنَّ مَعْنَى إنَّ زَيداً قائم زيدٌ قائم.

وقـوله:﴿وَاخْتِـلافِ اللَّيْلِ والنَّهـارِ وَمَا أَنْـزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾ إلى قوله:﴿آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

يقرأ بالرفع وبكسر التاء والتنوين، والموضع موضعُ نَصْبٍ ويكون قـوله: ﴿واخْتِلَافِ اللَّيْلِ والنَّهـارِ﴾ عطف على قـوله: ﴿وفي خلقكم﴾، وعلى قـوله:

﴿إن في السموات والأرض﴾، وإن في ﴿اختلاف الليل والنهار﴾ آياتٍ، وهذا عطف عَلَى عَامِلَيْن ومثله من الشعر:[1]

أكـل امــرئ تـحـسـبـيـن امـرأً ونـار تـوقـد بـالـلَّـيْـل نـاراً

عطف على ما عملت فيه كل، وما عملت فيه أتحسبين. وقد أباهُ بعض النحويين، وقالوا: لا يجوز إلا الرفع في قوله: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آياتٌ﴾ وجعله عطفاً على عامل واحد على معنى واختلاف الليل والنهار وتصريف الرياح آياتٌ، وهذا أيضاً عطف على عاملين لأنه يَرْفَعُ آياتٍ على العطف على ما قبلها كما خفض «واختلافَ» على العطف على ما قبلها. ويكون معطوفاً إن شئت على موضع أنَّ وَمَا عَمِلتْ فيه، وإن شئت على قراءة من قرأ: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ﴾.

وقوله عز وجل: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾.

وتؤمنون جميعاً، والمعنى ـ واللَّه أعلم ـ فبأي حديث بعد كتاب اللَّه وآياته يؤمنون. قال اللَّه عز وجل: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحديثِ كِتاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ﴾[2] فجعل القرآن أحسن الحديث.

وقوله: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾.

﴿أفاك﴾ كذاب.

وقوله: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحمةٌ﴾.

(١) ينسب لابي داود جويرية بن الحجاج، والى جارية بن حمـ ، الحذافي، والى عدي بن زيد وأول القصيدة:

ودار يـقـول لـهـا الـرائـدون ويـلـم ار الـحـذافـي دارا

انظر شواهد المغني ٢٣٩، والخزانة ٤/٣٩٤، والكامل ١ ١٦٩ (التجارية) وشواهد الكشاف ـ وهو من شواهد النحو الشائعة في معظم كتبه.

(٢) سورة الزمر/ ٢٣.

﴿هذا﴾ إشارة إلى القرآن، المعنى هذا القرآن بصائر للناس.

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾.

ويقرأ ﴿سواءً مَحْياهُمْ ومَمَاتُهُمْ﴾، وقد قرئت سواءٌ مَحْياهم وَمَماتَهُمْ بنصب الممات. وحكى بعض النحويين أن ذلك جائز في العربية. ومعنى اجترحوا اكتسبوا، ويقال: فلانٌ جَارِحةُ أهله أي كاسبهم، والاختيار عند سيبويه والخليل وجميع البصريين سواء برفع سواء، وعليه اكثر القراء، ويجيزون النصب، وتقول: ظننت زيداً سواءٌ أبوه وأمُّه، وسواءٌ أبوه وأُمُّه. والرفع أجود، لأن سواء في مذهب المصدر كما تقول: ظننت زيداً ذو استواء أبوه وأمه، ومن قرأ سواءً بالنصب جعله في موضع مستوياً محياهم وَمَمَاتُهُمْ ومن نصب محياهم ومماتهم، فهو عند قوم من النحويين سواء في محياهم وفي مماتهم، ويذهب به مذهب الأوقات، وهو يجوز على غير ذلك على أن يجعله بدلاً من الهاء والميم، ويكون المعنى أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعل محياهم ومماتهم سواءً كالذين آمنوا وعملوا الصالحات، أي كمحيا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ومَمَاتهم.

وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾.

وقد رويت آلِهَةً هَوَاهُ، ولها وجه في التفسير وروي أن قريشاً كانت تعبد العُزَّى وهي حجر أبيض فإذا رأت حجراً أشد بياضاً منه وأحسن اتخذت ذلك الأحسن واطَّرَحت الأوَّلَ، فهذا يدل على آلهته، وكذلك أيضاً إلٰهه.

وقوله: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّه عِلى عِلْمٍ﴾.

أي على ما سبق في علمه قبل أن يخلقه أنه ضال.

﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾.

ويقرأ عَشْـوة بفتح العَيْن بغير ألف، ويقرأ عُشَاوَةَ ـ بضم العين والألف.

وقوله:﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾.

فإن قال قائل: كيف قالوا نموت ونحيا وهم لا يقـرون بالبعث، فالدليـل على أنهم لا يقرون بالبعث قولهم ما هِيَ إلَّا حياتنـا، وفي نموت ونحيـا ثلاثـة أقوال.

يكـون المعنى نموت ونحيـا، يحيا أولادُنـا، فيمـوت قـوم ويحيـا قـوم، ويكــون معنى ﴿نمـوت ونحيــا﴾ نحيـا ونمــوت، لأن الــواو لــلاجتمــاع، وليس فيهـا دليل على أن أحـد الشيئين قبل الآخـر. ويكون ﴿نموت ونحنا وما يهلكنـا إلَّا الدَّهر﴾ أي ابتداؤنـا مـوات في أصـل الخلقـة، ثم نحيـا ثم يهلكنـا الدَّهْرُ.

فَأَعْلَمَ اللَّه ـ عز وجل ـ أَنَّهم يَقولُونَ ذلك ضُلَّالاً، شَاكِّين فقال:

﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

المعنى ما هم إلَّا يظنون.

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿ما كان حُجَّتَهم إلَّا أَنْ قَالُوا﴾.

يجوز في حُجَّتِهِمْ الرفْعُ، فمن رفع جعل حجتهم اسم كان و﴿أَنْ قَالُوا﴾ خبر كان. ومن نصب حجتهم جعل اسم كان أَنْ مَعَ صِلَتِها، ويكـون المعنى ما كان حجتهم إلَّا مَقَالَتَهم ائتوا بآبائنا.

وقوله عز وجل:﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً. كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾.

اي كل أحد يُجزى بما تضمنه كتابـه، كما قـال عز وجـل:﴿وَكُلَّ إِنْسَـانٍ

أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً. اقْرأْ كِتَابَكَ﴾[1].

فهذا مثل قوله: ﴿كلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إلى كِتَابِها﴾.

رفع «كل» بالابتداء، والخبر «تُدْعى إلى كتابها»، ومن نصب جعله بدلاً من «كُلَّ» الأول، والمعنى وترى كل أمة تدعى إلى كتابها، ومعنى «جاثية» جالسة على الركب، يقال قد جثا فلان يجثو إذا جلس على ركبته، ومثله جَذا يجذو[2]، والجُذُوّ أشدُّ استيفازاً[3] من الجثو لأن الجذو أن يجلس صاحبه على أطراف أصابعه.

وقوله:﴿إنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

الاسْتِنْسَاخُ لا يكون إلَّا من أَصْلٍ، وهو أن يستنسخ كتاباً من كتابٍ، فنستنسخَ ما يكتب الحفظة ويثبت عند اللَّه - عز وجل -.

وقوله:﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾.

جواب أما محذوف، لأن في الكلام دليلاً عليه، المعنى وأما الذين كفروا فيقال لهم: ألم تكن آياتي تتلى عليكم، ودلت الفاء في قوله «أفلم» على الفاء المحذوفة في قولك فيقال لهم.

وقوله عز وجل:﴿وَإِذَا قِيلَ إنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ والسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾.

والسَّاعَةَ، فمن نصب فَعَطفٌ على الوعد، المعنى: وإذا قيل ان وَعْدَ اللَّه حق وَأن الساعة، ومن رفع فعلى معنى وقيل الساعة لا ريب فيها.

---

(١) سورة الاسراء /١٣ و١٤.

(٢) جذا يجذو جَذْوا، وجُذُوًّا، وأَجْذى، ثبت قائماً، وجثا، وقام على أطراف أصابعه.

(٣) من الوفز وهو العجلة، واستوفز في قعدته انتصب غير مطمئن أو وضع ركبتيه ورفع إليتيه، أو استقل على رجليه ولما يستو قائماً، وقد تهيأ للوثوب.

وقوله عز وجل:﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُم، كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾.

أي اليوم نترككم في العذاب، كما تركتم الايمان والعمل ليومكم.

والدليل على ذلك قوله:

﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْها﴾ ويَجوز لا يَخْرُجُون منها.

﴿ولا هم يُسْتَعْتَبُون﴾:

لا يردون ولا يلتمس منهم عملٌ وَلَا طَاعةٌ.

وقوله:﴿وَلَهُ الكِبْرِيَاءُ في السَّمواتِ والأَرْضِ﴾.

أي له العظمة في السموات والأرض.

وقوله:﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾[١].

ويقرأ مِنَّةً.﴿جميعاً﴾ منصوب على الحال، والمعنى كل ذلك منه تفضُّلٌ وإحسان. ومِنَّة على معنى المفعول له، والمعنى فعل ذلك مِنَّةً، أي مَنَّ مِنَّةً، لأن تسخيره بمعنى مَنَّ عليكم[٢].

---

(١) كما هو واضح. موضع هذه الآية قبل ذلك، وسبق أن الزجاج يؤخر أحياناً بعض الآيات عن موضعها.

(٢) على هذا التقدير تكون منه مفعولاً مطلقاً ـ لا مفعولاً لأجله ولكن هذه طريقة الزجاج في شرح المفعول له. كما سبق مراراً.

سورة الأحقاف

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل:﴿مَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ والأرْضَ، وَمَا بَيْنَهُمَا إلاَّ بالحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾:

جاء في التفسير: ما خلقناهما إلاَّ للحق، أي لإقامة الحق، وتكون على معنى ما قامت السموات والأرض إلا بالحق، وقوله بعقب هذا:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عما أُنْذِروا مُعْرِضُونَ﴾.

أي أعرضوا بعد أن قام لهم الدليل بخلق اللّٰه السموات والأرض، وما بينهما ثم دعاهم إلى الدليل لهم على بطلان عبادة ما يعبدونَ من الأوثان فقال:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾:

ويقرأ أَرَيْتُمْ بغير ألف.

﴿مَا تَدْعُونَ مِنْ دونِ اللَّهِ﴾:

ما تدعونه إلٰهاً من دون اللّٰه.

﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأرْضِ أَمْ لَهُمْ شِركٌ في السَّمٰوَاتِ﴾.

أي في خلق السموات، أي فلذلك أشركتموهم في عبادة اللّٰه عز وجل.

﴿إئتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾.

أي ايتوني بِكتابِ أنزل فيه برهانُ ما تَدَّعُونَ.

﴿أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾:

ويقرأ أو أثارة من علم، وقرئت أو أَثْرةٍ من علم ـ بإسكان الثاء ـ ومعناها إذا قال: أَثارة على معنى عَلاَمةٍ مِنْ عِلْمٍ، ويجوز أن يكون على معنى بقية من علم، ويجوز أن يكون على معنى ما يُؤْثر من العلم.

وقوله عـز وجل: ﴿وَمَن أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُـو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾:

أي من أضـل مِمَّنْ عَبَدَ غيـرَ اللَّه. وجَمِيعُ مَـا خلق اللَّه دليـل على وَحْـدَانِيَّتِـهِ فمن أضـل ممن عبـد حجراً لا يستجيب لـه. وقـال و«مَـنْ» وقـال و «هم»[1] وهـو لغير مـا يعْقِل، لأن الـذين عبدوهـا أجْـرَوْهَـا مجرى مـا يميز فخوطبوا على مُخَاطَبَاتِهِمْ كما قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[2]،

ولو كانت «ما» لكان جَيِّداً كما قال: ﴿لِمَ تَعْبُدُ ما لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِر﴾[3].

وقـوله عـز وجل: ﴿وَإِذَا حُشِـرَ النَّاسُ كَـانُوا لَهُمْ أَعْـدَاءً وَكَـانُـوا بِعِبَـادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾:

أي كانت الأصْنامُ كَافِرةً بعبادتهم إياها، تقولُ ما دعوناهم إلى عبادتنا.

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُه فَلَا تَملِكُـونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيئاً، هُـوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾:

---

(١) يريد أنه أوقع على الأصنام ضمير العاقل.

(٢) سورة الزمر الآية ٣.

(٣) سورة مريم الآية ٤٢.

أي فَلَسْتُمْ تملكون من اللَّه شيئاً، أي اللَّه أملك بعباده.

﴿كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾:

أي كفَى هو شهيداً. وَ «بِهِ» في موضع رفع، وقوله في هذا الموضع:

﴿وَهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾:

معناه أنه مَنْ أَتَى من الكبائر العِظَام ما أتيتُمْ به من الافتراء على اللَّه جَلَّ وعز وَعَلا - ثم تاب فإن اللَّه غفورٌ رَحيمٌ له.

وقوله:﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾.

أي ما كنت أول من أُرْسِلَ. قد أرسل قبلي رُسُلٌ كثيرونَ.

وقوله عز وجل:﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي ولا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾:

كان رسول اللَّه ﷺ رأى في منامه أنه سيصير إلى أَرْضٍ ذَاتِ نَخْلٍ وَشَجرٍ، وقد شكا أصحابه الشدةِ التي نالتهم فلما أَعْلَمَهُم أنه سيصير إلى أرض ذات نَخْلٍ وَشَجرٍ، وتأخّر ذَلِكَ استبطأوا ما قال عليه السلام، فأعلمهم أن الذي يتَّبِعُهُ ما يُوحَى إليه، إن أمر بِقِتَالٍ أو انتقالٍ، وكان ذلك الأمْرُ وحياً فَهُوَ مُتَّبِعُهُ، ورؤيا الانبياء عليهم السلام وَحْيٌ.

وقوله:﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ واسْتَكْبَرْتُم﴾.

جاء في التفسير أن عبد اللَّه بن سلام صار إلى النبي ﷺ فآمن به، وقال له: سَلْ اليهودَ عني فَإِنَّهُمْ سَيُزَكُّونَنِي عندك ويخبرونك بمكانِي من العِلْمِ، فَسَأَلَهُم النبي ﷺ عنه[1] من قبل أن يَعْلَمُوا أنَّه قَدْ آمن. فأخبروا عنه بأنه أعلمُهُم بالتوراة وبِمَذْهَبِهِم، وأنه عالم ابن عالم ابن عَالِم. فآمن بحضرتِهِم وشهِدَ أن محمداً رسول اللَّه فقالوا بَعْدَ إيمانه أنتَ شرُّنَا وابن شَرِّنَا. قال: ألم

(١) في الأصل عليه.

يأتكم في التوراة عن موسى عليه السلام: إذا رأيتم محمداً فاقرِئوه السلام مني وآمنوا به، وأَقْبَلَ يَقِفُهُمْ من التوراة على أَمْكنةٍ فيها ذكر النبي ﷺ وصفتُه، وهم يستكبرون ويجحَدون ويتعمدون ستر ذلك بِأَيْدِيهم[1].

وجواب: ﴿إِنْ كان من عند اللَّه وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم﴾ أَتُؤمِنُونَ.

ثم أعلم أن هؤلاء المغاينين خاصة لَا يُؤْمِنُونَ، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

أي قد جعل جزاءَهم على كفرهم بعدما تَبَيَّنَ لهم الهُدَى مَدَّهم في الضَّلَالَةِ.

وَقِيلَ في تفسير قوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ عَلَى مثل شهادَةِ عبْد اللَّه بن سَلَامٍ. والأجود - واللَّه أعلم - ان يكون ﴿عَلَى مِثْلِه﴾ على مثل شهادة النبي ﷺ.

وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِين كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾.

جاء في التفسير أنه لما أسلمت جُهَينةُ ومُزَينَةُ وأسلمُ وغِفَارٌ، قالت بَنُو عَامِرٍ وغطفان وأسد وأشجع: لو كان ما دخل فيه هؤلاء مِنَ الدِّين خَيراً ما سبقونا إليه، ونحن أعزُّ مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا هؤلاء رُعَاةُ الْبَهْمِ.

وقوله عز وجل: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً﴾.

﴿إِمَاماً﴾ منصوب على الحال وقوله: ﴿ورحمةً﴾ عطفٌ عَلَيْهِ.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيًّا﴾.

---

(١) عبدالله بن سلام بن الحرث - أبو يوسف - إسرائيلي من ذرية يوسف الصديق - من بني قينقاع، كان حليفاً لبعض بني الخزرج، وكان اسمه الحصين وسماه النبي عبدالله، روى عنه ابناه يوسف ومحمد وعدد كبير من الصحابة، اسلم أول ما قدم النبي المدينة، وقيل بعد ذلك. وأوصى معاذ بن جبل أن يلتمس العلم عند أبي الدرداء وسلمان وابن مسعود وابن سلام. ومن أعماله أنه نهى علي بن أبي طالب عن الخروج للعراق، وقال: الزم منبر النبي فإنك إن فارقته

المعنى واللّه أعلم، وهو مصدقٌ لما بين يَدَيْهِ لساناً عَربيًا، لما جاء بعد هذا الموضع.

﴿قالوا يَاقَوْمَنَا إنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لما بين يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ﴾.

وحذف له(١) ههنا أعني من قوله: ﴿وهذا كتابٌ مصدقٌ﴾ لأن قبله ومن قبله كتاب موسى، فالمعنى وهذا كتاب مُصَدِّقٌ له، أي مُصَدِّقٌ التَّوْرَاةَ و﴿لساناً عربياً﴾ منصوبان على الحال. المعنى مصدق لما بين يديه عربياً، وذكر لساناً توكيداً، كما تقول جاءني زيد رجلاً صالحاً، تريد: جاءني زيدٌ صالحاً.

وتذكر رجلاً توكيداً، وفيه وجه آخر، على معنى وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً. المعنى مصدق النبي عليه السلام، فيكون المعنى مصدق ذا لسانٍ عربيٍّ.

وقوله: ﴿لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾:

ويقرأ لتنذر الذين ظلموا.

﴿وبُشْرَى لِلمُحْسِنِينَ﴾:

الأجود أن يكون ﴿بشرى﴾ في موضع رفع، المعنى وهو بشرى للمحسنين، ويجوز أن يكون بشرى في موضع نصب على معنى لينذر الذين ظلموا ويُبَشِّرَ المحسنين بُشرى.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾.

= لا تراه بعد. وناصر عثمان في شدته، ونزل فيه من القرآن: ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾ و﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ مات سنة ٤٣ هـ. الاصابة ت ٤٧٢٥.

(١) في الأصل: وحذف من ههنا.

معنى ﴿ثم استقاموا﴾ أي أقاموا على توحيد اللّه وشريعة نبيه عليه السلام.

وقوله عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً﴾:

وتُقْرأُ ﴿إحْساناً﴾، وكلتاهما جيّد، ونصب إحساناً على المصدر، لأن معنى وصيناه بوالديه أمرناه بأن يحسن اليهما احساناً.

وقوله عز وجل: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّه كُرْهاً﴾:

وَكَرْهاً، وقد قرئ بهما جميعاً. المعنى حملتـه أمه على مشقـة ووضعته على مشَقَّة.

وقوله: ﴿وَحَمْلُهْ وَفِصَالُه ثَلاَثُونَ شَهْراً﴾:

وقد قرئت وفصله ثلاثون شَهـراً. ومعنى فِصَالـه فطامُـه. وَأَقَلُّ مـا يكون الحمل لستة أَشْهُر. والاختيار وفصاله، لأن الذي جاء في الحديث: «لا رِضَاعَ بعد الفِصَالِ» يعني بعد الفطام.

وقوله:﴿حتى إذا بلغ أَشُدَّه وبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾:

جاء في التفسير أن الأشد ثلاث وثلاثون سنة، وقيل الأشد ثَماني عشـرة سـنـة، وقيل الأشد بلوغ الحلم، والأكثر أن يكـون ثلاثـاً وثلاثين، لأن الـوقت الـذي يكمل فيـه الانسانُ في بـدنـه وقـوتـه واستحكـام شبـابـه أن يبلغ بِضْعـاً وثلاثين سنة، وكذلك في تمييزه.

وقوله:﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَتِي﴾.

معناه اجعل ذريَّتِي صالحين.

وقوله:﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يُتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾.

ويجـوز ﴿أولئك الـذين نَتَقَبَّلُ عنهم أَحْسَنَ مـا عَمِلُوا﴾، فالقِرَاءَةُ يُتَقَبَّـل وَنَتَقَبَّل، وكذلك يُتجاوزُ ونَتجاوزُ، ويَتقبَّلُ جائز، ولاَ أَعْلَمُ أَحداً قَرأ بها.

وقوله:﴿وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾.

هذا منصوبٌ لأنه مَصْدَرٌ مؤكد لما قبله، لأن قوله: أولئك الذين نَتَقبَّلُ عَنْهُم أحسنَ مَا عَمِلُوا. بمعنى الوعد، لأنه قد وعدهم اللّه القَبُولَ. فوعدُ الصِّدْقِ توكيد لذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾:

وقد قرئت ﴿أُفٍّ لكما﴾ وَأُفَّ لِكما. وقد فسرنا ذلك في سُورَةِ بني إسرائيل.

وقولهِ: ﴿أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ﴾.

ويقرأ أَنْ أَخرُجَ، ويجوز أَتَعِدَانِّي بالإِدْغام، وإن شئت أَظْهَرت النُّونَيْنِ. وإنْ شئت أسكنت الياء، وإن شئت فتحتها. وقد رُوِيَتْ عن بعضهم أَتَعِدانَني - بالفتح. وذلك لحنٌ لا وجه له، فَلَا تَقْرَأَنَّ به، لأن فتح نُونِ الاثْنَيْنِ خطأ، وإن حُكِيَ ذلكَ في شُذُوذٍ، فلا تحمل القراءة على الشذوذِ.

ويروى أن قوله في الآيةِ التي قبل هذه إلى قولك له: ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم﴾ نزلت في أبي بكر رَحْمَةُ اللّه عَلَيْه.

فأما قوله:﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾.

فقال بعضهم: إنها نزلت في عبد الرحمن[١] قبل إسلامه، وهذا يبطله قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَق عَلَيْهِمُ القَوْلُ فِي أُممٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِم مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ إنَّهُم كَانُوا خَاسِرِينَ﴾.

---

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر - وقد روى عن السيدة عائشة أنها نَفَتْ هذا وقالت ما أنزل اللّه فينا قرآناً - وكان الذي اتهمه بهذا هو مروان بن الحكم حين طلب من أهل المدينة البيعة ليزيد بن معاوية فعارضه عبد اللّه.

فـأعلم اللّه أن هؤلاء قد حقَّتْ عَلَيْهِم كلمـة العذاب، وإذا أعلم بـذلك فقـد أعلم أنهم لا يؤمنون، وعبـد الـرحمن مؤمن، ومن أفـاضـل الْمُؤْمِنِينَ، وسَرَوَاتِهم.

والتّفسير الصّحيح أنها نزلت في الكافر العاق[1].

وقوله عزوجل: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾:

ولنوفيهم جميعاً، بالنون والياء.

وقوله:﴿وَيَوْمَ يُعرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾.

أكثر القراءة الفتح في النون والتفخيم في النَّارِ[2]، وأكثر كلام العرب على إمالة الألف إلى الكسر، وبها يَقْرأ أَبُو عَمْرٍو «عَلَى النَّارِ» يختار الكسر في الرَّاءِ، لأن الراء عندهم حرف مُكرَّر، فكأن كسرتَه كسرتانِ.

وقوله عز وجل: ﴿أَذْهَبْتُم طَيِّبَاتِكُمْ﴾:

بغيـر ألف الاستفهـام، ويقـرأ أَأَذْهَبْتُم - بهمـزتين محققتين، وبهمـزتين الثانية منهما مخففة، وهذه الألف للتوبيخ، التوبيـخ إن شئت أثبت فيه الألف، وإن شئت حذفتها، كمـا تقول: «يـا فلان أحـدثت مَا لَا يَحِـلُّ لك جَنَيْتَ عَلَى نَفْسِك» إذا وَبَّخْتَهُ، وإن شئت: أأخذت مَا لَا يَحِلُّ لَكَ، أجنيت على نفسك.

وقوله عزوجل: ﴿فَالْيَوْمَ تُجزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾: معناه الهَوَانَ.

وقوله:﴿واذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَه بالأحْقَافِ﴾.

«الأحقاف» رمال مستطيلة مُرْتفعة كالدَّكَّاوات[3]، وكـانت هذه الأحقـافُ منازلَ عَادٍ.

---

(١) ايّ كافرٍ عاقٍّ.

(٢) يريد بدون إمالة الألف.

(٣) جمع دكاء.

وقوله: ﴿وقد خلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْه ومن خلفِهِ ألاَّ تعبدوا إلاَّ اللَّهِ﴾:

أي قد أنذروا بـالعذاب إنْ عَبَـدُوا غير اللَّه فيمـا تَقَدَّمَ قَبْـلَ إنْذَارِ هُـودٍ، وعلى لسان هود عليه السلام.

﴿إنّي أخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيم، قالوا أَجِئْتَنَا لتأفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾:

أي لِتَصْرِفنا عنها بالإِفْكِ والكَذِب.

﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾: أي ائتنا بالعذاب الذي تَعِدُنا، ﴿إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾:

﴿قَـال إنَّمـا العِلْمُ عِنْـدَ اللَّهِ﴾: أي هــو يعلم متى يـأتيكم العَــذَابُ ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ [إلَيْكُمْ].

ويقرأ بالتخفيف وأُبْلِغكُم.

﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ﴾: أي أدُلُّكُمْ على الـرَّشَـادِ وأنتم تَصُــدُّون وَتَعْبُدونَ آلِهَة لا تَنفع ولا تَضُرُّ.

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيتِهِمْ﴾.

أي فلمـا رَأَوُا السحاب الـذي نشأت منـه الـريح التي عُـذِّبُوا بِهَـا قـد عَرَضت في السماء، قالوا الذي وَعَدْتَنا به سحـابٌ فيه الغيث والحيـا والمطر، فقال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿بَلْ هُوَ ما اسْتَعْجَلتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وقرأ بعضهم: قُل بَلْ هُوَ ما اسْتَعْجَلْتُم، وكانت الـريح من شـدتها تـرفع الراعي مَعَ غَنَمِهِ، فأهلك اللَّه قوم عَادٍ بتلك الرِّيح.

وقوله: ﴿مُمْطِرُنَا﴾ لَفظه لفظ معرفـة، وهو صفـة للنكرة، المعنى عَـارِضٌ مُمْطِرٌ إيَّانَا، إلا أنَّ أَيَّانَا لا يفصل ههنا.

وقوله: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إلاَّ مَسَاكِنُهُمْ﴾.

في هـذا خمسـة أوجـه، أجـودهـا في العـربيــة والقـراءة، ﴿لا يُرَى إلاَّ مَسَاكِنُهُمْ﴾ ،وتـأويله لا يـرى شيء إلاَّ مَسَـاكِنُهُمْ لأنَّهُمْ قـد أُهْلِكُـوا، ويجــوز فأصبحوا لاَ تُـرَى الاَّ مساكِنُهُمْ فيكـون المعنى لا تُرَى أشخـاصٌ إلاّ مَسَاكِنُهُم، ويقرأ فأصبحوا تَرَى مَسَاكِنَهُمْ، أي لا ترى شيئاً إلاّ مساكِنَهُمْ، وفيها وجهان بحذف الألف، فأصبحوا لا يُرَى إلا مَسْكِنُهُمْ، وَمَسْكَنُهُمْ، ويجوز فأصبحوا لا ترى إلا مَسْكَنَهُمْ.

يقال: سَكَن يَسْكُن مَسْكَناً وَمَسْكِناً.

وقوله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي القَوْمَ المُجْرِمِينَ﴾ :

المعنى مثل ذلك نجزي القوم المجرمين أي بالعَذَابِ.

وقوله:﴿وَلَقَدْ مَكَّنَاهُمْ فِيمَا إنْ مَكَّنَّاكم فِيهِ ﴾.

إن ههنـا في معنى «ما» و «إن» في النفي مـع «ما» التي في مَعْنَى الَّـذِي أحسن في اللفظ مِنْ «مَا»(١)، ألا ترى أنـك لو قلت رغبت فيمـا ما رَغِبَت فيـه لكان الأحسن أن تقول: قَدْ رَغِبْتَ فيما إن رَغِبْتَ فيه، تريد في الذي مـا رغبـت فيه، لاختلاف اللفظين.

وقوله عز وجل: ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إفْكُهُمْ﴾ :

أي دعـاؤهم آلهتهم هُـوَ إفكُهُمْ، ويقـرأ أَفَكَهُمْ، بمعنى وذلـك كـذِبُهُمْ وَكُفْرُهُمْ، والأفك والأفَكَ مثل النَّجْس والنَّجَسُ ويقرأ أَفَكُهُمْ، أي ذلك جَعَلَهُم ضلالاً كافرين، أي صَرَفَهُمْ عنِ الحقِّ، ويقرأ آفَكَهُمْ أَيْ جَعَلَهُمْ يأفكونَ، كما تقول: ذلك أكفرهم وأضَلَّهُمْ.

وقوله عزوجل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إليك نَفَراً مِنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُـونَ القُرآنَ، فَلَمَّـا حَضَرُوه قَالُوا أَنْصِتُوا﴾.

---

(١) المعنى اذن مكناهم فيما لم نمكنكم فيه.

أي قال بعضهم لبعض صَهْ، ومعنى صه اسْكُتْ، ويقال إنَّهُمْ كانوا تسعة نَفرٍ أو سبعة نَفرٍ، وكان فيهم زوبَعَة.

﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾.

أي فلما تلى عليهم القرآن حتى فرَغَ منه، ولَّوا إلى قومهم مُنْذِرِين ويُقْـرَأُ فَلما قضَاهُ.

﴿قَالُوا يَا قَوْمَنا إنا سَمِعْنا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لما بين يَدَيْه﴾.

أي يُصَدِّقُ جَمِيعَ الكُتب التي تقدمَتْهُ والأنبياء الذين أَتَـوْا بها، وفي هـذ دليل أن النبي ﷺ بعث الى الإنس والجِنّ.

وقوله عـز وجل:﴿أَوَ لَمْ يَـرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَق السَّمَـوَاتِ والأرْضَ ولم يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى﴾.

دخلت الباء في خبر إن بـدخـول «أَوَ لَمْ» في أول الكـلام، ولـو قلت: ظَنَنْتُ أن زيداً بقائم لم يجز، وَلَوْ قُلْتَ: ما ظننتُ أَنَّ زيداً بقـائم جاز بـدخول ما، ودخول ان إنما هو توكيد للكلام فكأنـه في تقديـر أَلَيْسَ اللَّهُ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى فيما ترون وفيما تعلمونه.

وقد قرئت يَقْـدِرُ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى، والأَوْلَى هي القـراءة التي عليها أكثر القراء. وهذه جائزةٌ أيضاً.

وقوله عز وجل:﴿فاصْبِرْ كَمَا صَبَر أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾.

جاء في التفسير أن أُولي العَزْمِ نوح وإبراهيم ومُوسَى وعيسى ومحمَّـدٌ، صَلواتُ اللَّه عليهم أجمعين(١).

---

(١) أشير في الهامش إلى أنه جاء في بعض النسخ بعد هذا جملة «من أولي العزم».

قوله:﴿لَمْ يَلْبَثُوا الَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ ﴾.

الـرفع على معنى ذلـك بَلَاغٌ، والنصبُ في العـربيَّةِ جيـدٌ بالـغٌ. إلاّ أنَّه يخـالف المصحف، وبَلَاغـاً على معنى يبلغون بَـلَاغاً، كمـا قال:﴿كِتَابَ اللَّه عَلَيْكُمْ﴾، مَنْصُوبٌ عَلَى معنى: ﴿حُرِّمَتْ عليكم أُمَّهَاتُكُمْ﴾، تأويله: كتب اللَّه ذلك كتاباً.

وقوله عز وجل:﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إلَّا القَوْمُ الفَاسِقُونَ﴾.

تأويله أنه لا يهلك مع رحمة اللَّه وتَفَضُّله الا القومُ الفَاسِقُـونَ ولو قـرئت فهل يَهْلِكُ إلاّ القوم الفَاسِقُون كان وجهاً، ولا أعلم أحداً قرأ بها.

وما في الرجاء لرحمة اللَّه شيء أقوى من هـذه الآية. وهي قـوله:﴿فهـل يُهْلَكُ إلا القومُ الفَاسِقُونَ﴾.

الفهارس

البحوث اللغوية

فهرس الأبيات الشعرية

أنصاف الأبيات

تراجم

فهرس الكتاب

معاني القرآن وإعرابه

للزجاج

أبي إسحق إبراهيم بن السري

المتوفى سنة ٣١١ هـ

شرح وتحقيق

دكتور عبد الجليل عبده شلبي

الجزء الخامس

عالم الكتب

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

معاني القرآن وإعرابه

بسم الله الرحمن الرحيم

بيروت - المزرعة، بناية الإيمان - الطابق الأول - ص.ب ٨٧٢٣
تلفون: ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً: نابعلبكي - تلكس: ٢٣٣٩٠

سورة محمد [ﷺ]
مكية

بسم اللّـه الرحمن الرحيم

﴿[الَّذِينَ كَفَرُوا وصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ]﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهم﴾.

أحبطها فلا يرون في الآخرة لها جزاء، والمعنى أن حبط ما كان من صدَقَاتِهِمْ وصلتهم الرَّحِمَ وأبواب البر بكفرهم، كما قال عزّ وجلّ: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهُمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُم حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ﴾[(١)] وقوله ﴿كَسَرَابٍ بِقيعَةٍ﴾[(٢)] وهؤلاء هم الذين صدوا عن النبي ﷺ والدليل على ذلك قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وآمنوا بما نُزِّلَ عَلَى مُحمَّدٍ وهو الحقُ مِنْ رَبِّهِمْ كفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِم، [وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ]﴾.

أي كفَّر عَنْهُم وما اقترفوه وَهُمْ كافرونَ لمَّا آمنوا باللّه وبالنبي عليه السلام، وسائر الأنبياء أجمعين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾.

أي أَصْلَحَ أَمْرَهُمْ وحالهم.

وقوله: ﴿ذَلِكَ بأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتبعوا البَاطِلَ﴾.

أي الأمر ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل. وجائز أن يكون ذلك الإِضلال لاتباعهم الباطل، وتلك الهداية والكفارات باتباع المؤمنين الحقَ، ثم قال عزّ وجلّ:

---

(١) سورة البقرة /١٦٧.

(٢) سورة النور الآية ٣٩: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُم كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾.

﴿كذلك يَضْرِبُ اللَّهُ للنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾.

أي كذلك يبين اللَّه للناس أمثال حسنات المؤمنين وسيئات الكافرين أي كالبيان الذي ذكر، ومعنى قول القائل: ضربت لك مثلاً، أي بينت لـك ضربـاً من الأمثال، أي صنفاً منها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾.

معناه فاضـربوا الـرقاب ضـرباً، منصـوبٌ على الأمر، وتـأويله فإذا لقيتُم الذين كفروا فاقتلوهم، ولكن أكثر مواقع القتـل ضرب العُنُق، فـأعلمهـم اللَّه - عزّ وجلّ - كيف القصد، وكيف قال: ﴿واضْرِبُوا مِنْهُم كُلَّ بَنَانٍ﴾[1] أي فليس يتوهم بهذا أن الضَّربَ محظور إلّا على الرَّقبة فقط.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُـمْ فَشُدُّوا الوَثَاقَ﴾.

﴿أثخنتموهم﴾ أكثرتم فيهم القتل، كما قال: ﴿ما كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَـه أَسْرَى حَتَّى يُثْخِن في الأَرْضِ﴾[2]، فالأسر بعد المبالغة في القتل.

ثم قال: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾.

أي بعد أن تَأسِرُوهُمْ إما مننتم عليهم مَنًّا، وإما أطلقتموهم بفداء.

وقوله: ﴿حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾.

﴿حتى﴾ موصولة بالقتـل والأَسْرِ، المعنى فـاقتلوهم وأسِرُوهُمْ حتى تضـع الحرب أوزارها. والتفسير حتى يؤمنوا وَيُسْلِمُوا، فلا يجب أن تحاربوهم، فمـا دام الكفر فالجهاد والحرب قائمة أبداً.

وقوله: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءَ اللَّهُ لاَنْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾.

---

(١) سورة الأنفال الآية ١٢.

(٢) سورة الأنفال الآية ٦٧.

﴿ذلك﴾ في موضع رفعٍ، المعنى الأمر ذلك، ويجوز أنْ يكون مَنْصُوباً على معنى افعلوا ذلك.

﴿وَلَوْيَشَاءُاللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾.

أي لويشاء اللّه لَعذَّبَهُمْ وأهلكهم لأنه قادِرُ عَلَى ذَلِك.

﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾.

المعنى ولكن أمركم بالحرب ليبلو بعضكم ببعض، أي ليمَحِصَ اللَّه المؤمنين ويمحقَ الكافِرينَ.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يَضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.

ذكر في أول السورة: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل اللّٰه أضل أعمالهم﴾ وأعلم أن الذين قاتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم، ويقرأ عَلَى أربعة أَوْجُهٍ: قَاتَلُوا في سبيل اللَّه، وقُتِلُوا في سبيل اللّه، على ما لم يسمَّ فاعله، ويُقْرَأُ قُتِّلُوا بتشديد التاء، ويُقْرَأُ قَتَلُوا في سبيل اللّه، بفتحِ القاف.

وقوله: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾.

يُصْلِحُ لَهُمْ أمر معاشهم في الدنيا مع ما يجازيهم به في الآخرة، كما قال - عزّ وجلّ - : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ والإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِم مِنْ رَبِّهِمْ، لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ [وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِم]﴾[1] أي لو أنهم قبلوا ما فيها وما في الكتب وعملوا به لأكلوا من فوقهم ومن تحت أَرْجُلِهِم، وكما قال: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّه كان غفَّارا، يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً، ويُمْدِدْكُمْ بأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾[2] فوعد اللَّه عزّ وجلّ المؤمنين إصلاح شأنهم وبالهم في الدنيا والآخِرة.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.

---

(١) سورة المائدة /٦٦، (٢) سورة نوح الآيات ١٠ - ١٢.

﴿الَّذين﴾ في موضع رفع على الابتداء. ويكون ﴿فتعساً لهم﴾ الخبر، ويجوز أن يكون نصباً على معنى أتعسهم اللَّه. والتعس في اللغة الانْحِطاطُ والعُثور.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُم كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

كرهوا القرآن ونبوة النبي عليه السلام فأحبط اللَّه أعمالهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

المعنى فينظروا كيف كان عاقبة الكافرين الذين من قبلهم.

﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، أي أهلكهم اللَّه.

﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ أي أمثال تلك العاقبة، فأهلك اللَّه عزّ وجلّ بالسّيف من أهلك ممن صد عن النبي ﷺ.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

أي بأن اللَّه ولي الذين آمنوا يتولّاهم في جميع أُمورِهم في هدايتهم والنصر على عدوهم.

﴿وَأَنَّ الكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾.

أي لا ولي لهم ينصرهم من اللَّهِ في هِدَايةٍ ولا عُلُوٍّ على المؤمنين، ثم أعلم اللَّه - عزّ وجلّ - ما أعد للمؤمنين مع النصر والتمكين، وما أَعَدَّ للكافرين مع الخذلان والإضلال فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وعملوا الصالحاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾.

ثم بين صفات تلك الجنات وقال:

﴿والَّذِين كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ والنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾.

والمثوى المنزل.

وقوله - عزّ وجلّ - : وَكَأَيِّن مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ﴾.

المعنى وكم من أهل قَرْيةٍ هي أَشد قوَّةً مِنْ أَهْلِ قَرْيتِكَ التي أخرجتك. أي الذين أخرجُوك أهلكناهم بتكذيبهم للرسل فَلاَ نَاصِرَ لَهُمْ، ثم أعلم فقال:

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّه كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِه واتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ.

وهذه أَلِفُ توقِيفٍ وتَقْرِيرٍ، لأن الجواب معلوم، كما أنك إذا قُلْتَ من يفعل السَّيئات يشق، ومن يفعل الحسنات يَسْعَد، ثم قلت: الشقاء أحب إليك أم السَّعادَة. فقد علم أن الجواب السَّعَادَة، فهذا مجرى ألف التوقيف والتقرير.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَثَلُ الجنَّةِ﴾.

تفسير لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾، ففسر تلك الأنهار فقال: ﴿مَثَلُ الجَنَّة التي وُعِدَ المتَّقُونَ﴾، [أي] مما عرفتموه من الدنيا من جناتها وأنهارها جنَّةٌ ﴿فيها أنهارٌ مِنْ مَاءٍ غير آسِنٍ﴾.

ويقرأ من ماء غير أسِنٍ، ويجوز في العربية أَسْنٍ، يقال أَسَنَ الماءُ يأسِنُ فهو آسِنٌ، ويقال: أَسَنَ الماءُ فهو أَسِنٌ إذا تغيرت رائحته، فأعلم اللَّه - عزّوجلّ - أن أنهار الجنة لا تَتَغيَّر رائحة مائها، ولا يَأسَنُ، ﴿وأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّر طَعْمُه﴾.

أي لا يدخله ما يدخل ألبان الدنيا من التغيُّرِ.

﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبينَ﴾.

ليس فيها غَوْلٌ أي لا تُسْكِرُ وَلاَ تفنى.

﴿وَأَنْهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾.

معناه مصفى لم يخرج من بطون النحل فَيُخالطه الشَّمْعُ.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾.

كما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّـذِين آمَنُوا وَعَمِلوا الصَّـالِحَاتِ جَنَّـاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَـا الأَنْهَارُ﴾، وصف تلك الجنَّاتِ فقال: مثـل الجنة جنَّـةٌ كمـا وصف. وقيل إن المعنى صِفَةُ الجنَّةِ، وهو نحوٌ مِمَّا فسَّرنَا.

ثم قال: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾.

أي لهم فيهـا من كل الثَمـرات وَلَهُمْ مَغْفِرةٌ من رَبهِـمْ، يَغْفِـر ذُنُوبَهُمْ ولا يجـازون بالسيئـات، ولا يوبَّخُـونَ في الجنَّةِ، فَيُهَنَّـوْنَ الفـوز العـظيم والعَـطاءَ الجَزِيلَ. ثم قال:

﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ في النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾.

المعنى أفمن كان على بَيِّنَةٍ من رَبِّه وأَعْطَى هَـذِهِ الأَشْيَاء، كَمَن زُيِّنَ لـه سوء عمله وهو خَالِدٌ في النَّارِ.

﴿وَسُقُوا ماءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾.

واحد الأمعاء مِعًى، مثل ضِلَع وَأَضْلاَعْ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ يعني المنافقين.

﴿حَتَّى إِذَا خَرجُوا مِنْ عِنْـدِكَ قالـوا للذين أُوتُوا العِلْمَ مَـاذَا قَالَ آنِفاً﴾.

كانُوا يَسْمُعونَ خطبة النبي ﷺ فإذا خرجوا سألوا أصحاب رسول اللَّه استهزاء وإعـلاماً أنهم لم يلتفتـوا إلى ما قـال، فقالـوا: مَاذَا قَـال آنِفـاً، أي مـاذا قـال الساعة، ومعنى آنفاً من قولك استأنَفْتُ الشيء إذا ابْتَـدَأْتُه، ورَوْضَـةٌ أُنُفٌ، إذَا لَمْ تُرْعَ بَعْدُ، أي لها أَوَّلٌ يُرعَى، فالمعنى ماذا قال من أول وَقْتٍ يَقْرُب مِنَّا.

وقوله: ﴿أُولَئِـكَ الَّذِينَ طَبَـع اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ واتَّبَعُوا أَهْـوَاءَهُمْ، والَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾.

الضميـر الـذي في ﴿زَادَهُمْ﴾ يجـوز أن يكـون فيـه أَحَـدُ ثـلاثـة أوْجُـهٍ، فـأَجْوَدُهَـا ـ واللَّه أعلم ـ أن يكون فيـه ذكـر اللَّه، فيكـون المعنى مَـرْدُوداً على

قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ واتَّبَعُوا أَهْـوَاءَهُمْ، والذين اهْتَـدَوْا زَادَهُم هُـدًى﴾، ويجـوز أَنْ يَكُـونَ الضَّميـرُ في زَادَهم قـول الـرسـول [ﷺ]. فيكون المعنى والذين اهتدوا زادهم ما قال رسول اللّه هُدًى، ويجوز أن يكون زَادَهم إعراضُ المنافقين واستهزاؤهم هُدًى.

قوله: ﴿وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾.

يجـوز أن يكون وَأَلْهَمَهُمْ تقـواهم، كما قـال عزّوجلّ: ﴿وَأَلْـزَمَهُمْ كَلِمَـةَ التَّقْوَى وَكانُوا أَحَقَّ بِهَا وأَهْلَهَا﴾(١)، ويجوز أن يكون ـ واللّه أعلم ـ وأَتَاهُمْ ثَـوَابَ تَقْوَاهُمْ.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿فَهَلْ يَنْظُرونَ إلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾.

ويقرأ «إلا السَّاعة إنْ تأتِهُمْ» بغير ياء، والأولى أجْوَد لموافقة المصحف.

وموضع «أنْ» نَصْبٌ على البدَلِ مِنَ السَّاعَـةِ. المعنى فهل ينـظرون إلاَّ أن تأتِيَهُـمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً، وهذا من البدل المشتمل على الأول في المعنى وهو نحـو قوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ تَطَؤُوهُمْ﴾(٢) المعنى لولا أن تطؤوا رِجالاً مُؤْمِنين ونساء مُؤْمِنَاتٍ.

ومعنى ﴿هَلْ يَنْظُرون﴾ هَلْ يَنْتَظِرونَ واحِدٌ.

ومن قرأ إن تأتهم بغتة ﴿فقد جـاءَ أَشْرَاطُهَـا﴾ فعلى(٣) الشرط والجـزاء، وأشراطها أعلامها.

﴿فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾.

المعنى فمن أين لهم ذكراهم إذا جاءتهم الساعة، ﴿وذكراهم﴾ في موضع رفع بقوله فَأَنَّى.

---

(١) سورة الفتح /٢٦.

(٢) سورة الفتح ٢٥.

(٣) في الاصل «على» بدون فاء.

وقوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

هـذه الفاء جـاءت لَلجزاء، المعنى قـد بَيَّنَّا مَـا يَـدُلُّ على أنَّ اللَّه وَاحِـدٌ فأعلم اللَّه أنه لا إله إلا اللَّه، والنبي عليه السـلام قد علِم ذلـك ولكنه خـطاب يدخل الناس فيه مع النبي [ﷺ] كما قال اللَّه عزّ وجل: ﴿يَا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾، والمعنى من عَلِمَ فليقم على ذلك العلم، كمـا قال: ﴿اهْدِنَا الصِـرَاطَ المُسْتقيم﴾[٢] أي ثبتنـا على الـهـدايـة.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾.

أي يعلم متصـرفاتكم ويعلم مثـواكم، أي يعلم أين مقـامكم في الـدنيـا والآخرة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾.

كـان المؤمنون ـ رحمهم اللَّه ـ يـأنسون بـالوحي ويَسْتَـوْحِشُونَ لإِبْـطائِـه فلذلك قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلت سورةٌ﴾.

﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وذُكِرَ فِيهَا القِتَالُ﴾.

ومعنى ﴿مُحْكَمَةٌ﴾، غير منسوخة، فـإذا ذكر فيهـا فَرْضُ القِتَـالِ ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: يعنى المنافقين.

﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْك نَظَرَ المَغْشِيِّ عَلَيْه مِنَ المَوْتِ﴾.

لأنهم منافقون يكرهون القتال، لأنهم إذا قعدوا عنه ظَهَرَ نِفَاقُهُمْ، فَخَافُوا عَلَى أَنْفُسِهِم القَتْل.

﴿فَأَوْلَى لَهُمْ﴾.

﴿أَوْلَى لَهُمْ﴾ وعيدٌ وتَهَدُّدٌ، المعنى وليهم المكروهُ

وقولهُ: ﴿طَاعَـةٌ وَقَوْلٌ مَعْـرُوفٌ﴾.

---

(١) أول سورة الطلاق.

(٢) سورة الفاتحة الآية ٤.

قال سيبويه والخليل: المعنى طاعة وقول معروف أَمثل، وقيل إنهم كان قولهم أولاً طاعة وقول معروف، ويجوز ـ واللَّه أعلم ـ أن يكون المعنى فإذا أنزلت سورة ذات طاعة أي يؤمر فيها بالطاعة، وقول معروف، فيكون المعنى فإذا أنزلت سورة ذات طاعة وقول معروف.

﴿فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾.

المعنى فإذا جَدَّ الأَمْرُ ولزم فرض القتال، فلو صدقوا اللَّه فآمنوا بالنبي وعملوا بما نزل عليه وما أمروا به من فرض القتال لكان خيراً لهم، المعنى لكان صدقهم اللَّه بإيمانِهِمْ خيراً لهم.

وقوله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُم إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾.

وقرأ نافع «فَهَلْ عَسِيتُمْ» واللغة الجيدة البالغة عَسَيْتُمْ ـ بفتح السين ولو جاز عَسِيتُمْ لجاز أن تقول: عَسِيَ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ.

ويقرأ أَن تَوَلَّيْتُمْ وإِنْ تُوُلِّيْتُمْ ـ بضم التاء وفتحها.

﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾.

فمن قرأ ﴿تَوَلَّيتُم﴾ ـ بالفتح ـ ففيها وجهان أَحَدُهُمَا أن يكون المعنى لعلكم إن توليتم عما جاءكم به النبي أَنْ تَعُودُوا إلى أمر الجاهلية، فتفسدوا وَيَقْتُلُ بعضكم بعضاً. ﴿وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكَم﴾، أي تئدوا البنات، أي تدفنوهن أحياء، ويجوز أن يكون فلعلكم إن توليتم الأمر أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أَرْحَامَكُمْ، ويَقْتُلُ قُرِيشٌ بَنِي هاشم، وَبَنُو هَاشِمٍ قُرَيْشاً، وكذلِكَ إن توليتم.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الهُدَى﴾.

المعنى رجعوا ـ بعد سماع الهدى وتَبَيُّنِهِ ـ إلى الكُفرْ.

وقوله: ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾.

معنى ﴿سوّل لهم﴾ زَيَّنَ لَهُمْ ﴿وَأَمْلَى لهم﴾، أملى اللَّه لهم كما قال: ﴿إنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً﴾[1] معناه إنما نؤخرهم، وقد قرئت: الشيطان سَوَّلَ لَهُمْ وَأُمْلِي لهم على الأخبار عَنِ اللَّه عزّ وجلّ، المعنى وأَنَا أُمْلِي، وقرئت وَأُمْلِيَ لهم بفتح الياء على ما لم يسم فاعله.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّه سَنُطِيعُكُمْ في بَعْضِ الأَمْرِ﴾.

المعنى ـ واللَّه أعلم ـ الأمر ذلك، أي ذلك الإضلال بقولهم للذين كرهوا ما نزل اللَّه، وجاء في التفسير أنهم اليهود، قالوا سنطيعكم في بعض الأمر، أي سنطيعكم في التظاهر على عداوة النبي ﷺ.

﴿وَاللَّهَ يَعْلَمُ أَسرارَهُمْ﴾.

و﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ قرئ بهما جميعاً، فمن قرأ أَسْرارهم ـ بالفتح ـ فهُو جمعُ سِرٍّ وأسرار، مثل حمل وأحمال، ومن قرأ إسرارهم فهو مصدر أَسْرَرْتُ إسرَاراً.

وقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوفَّتْهُمُ الملاَئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُم وَأَدْبَارَهُمْ﴾.

يفعلون بهم ذلك في نار جهنم ـ واللَّه أعلم ـ ويكون المعنى فكيف يكون حالهم إذا توفتهم الملائكة وهم يضربون وجوههم وأَدْبَارَهم.

قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا ما أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾.

المعنى ـ واللَّه أعلم ـ ذلك جزاؤهم بأنهم اتبعوا الشيء الذي أسخط اللَّه وكرهوا رضوانه، أي اتبعوا من خالف النبي ﷺ ومن خالف الشريعة وكرهوا الإيمان بالنبي ﷺ واتباع شريعته.

﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

---

(١) سورة آل عمران /١٧٨.

أي ما كان من عمل خير نحو صلة رحم أَوْ بِرٍ أو صَدَقةٍ، أحبط اللَّه ذلك بكفرهم بما أتى به النبي ﷺ.

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ ﴿الذين في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ المنافقون أي لن يبدي اللَّه عداوتهم لرسوله عليه السلام ويظهره على نفاقهم.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾.

معنى ﴿لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾ لعَرَّفْنَاكَهُمْ، تقول: قد أَرَيْتَكَ هَذَا الأَمْر أي قد عرفتك إياه، المعنى لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة وهي السيمياء.

﴿فَلَعَرفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾.

أي بتلك العلامة.

﴿وَلَتِعْرِفَنَّهُم في لَحْنِ القَوْلِ﴾، أي في نحو القَوْلِ(١).

فدَلَّ بهذا ـ واللَّه أعلم ـ أن قولَ القائِل وفِعْلَهُ قد يـدل على نِيَّتِه، وقـولُ النَّـاسِ: قد لَحَن فـلانٌ، تأويله قـد أخذ في نـاحية عن الصـواب، عـدل عن الصواب إليها، وقول الشاعر(٢):

[منطق صائب] وتلحن أيحـانـاً   وخيـر الكـلام مَـا كَـانَ لحنـاً

تأويله خير الحديث من مثل هذه ما كان لا يعرفه كلُّ أَحَـدٍ، إنما يُعْـرَفُ أمرها في أَنحاءِ قَوْلِهَا.

---

(١) في اتجاهه وإشاراته ومنحاه.

(٢) يقال لحن يلحن لحناً كفرح يفرح فرحاً، إذا أصـاب وفطن ولحنـاً ـ كضربـاً ـ إذا قال مـا يفهمه صـاحبه عنـه ويخفى على الآخرين ومنـه هذا البيت، وتلحن أحيـاناً ـ أي تغمض وتـغوص في حديثها، وأفضل الكلام ما فهمه صاحبها دون النـاس ـ وهذا رأي ابن دريـد انظر أمـالي القالي ص ٦ جـ ١. ولم يذكر قائله.

وقوله :﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ﴾ .

معنى ﴿لَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ لنختبرنكم بالحرب .

حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكم والصَّابِرِينَ .

وهو عزّ وجلّ قَدْ عَلِمَ قَبْلَ خَلْقِهِم المجاهدين منهم والصابرين، ولكنه أراد العلم الذي يقع به الجزاء، لإنه إنما يجازيهم على أعمالهم . فتأويله حتى يعلم المجاهدين علم شهادة، وقد علم - عزّ وجلّ - الغيب، ولكن الجزاء بالثواب والعقاب يقع على علم شهادة .

وقوله - عزّ وجلّ - :﴿ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ .

أعلم - عزّ وجلّ - أنه لا يغفر لمن مات على الكفر .

وقوله:﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾ .

والسَّلَم، ومعناه الصُّلْحُ، يقال للصُّلِحَ هو السِّلْمُ، والسَّلْمُ، والسَّلَمُ . ومعنى ﴿لَا تَهِنُوا﴾ لا تَضْعُفوا . يقال: وَهَنَ يَهِنُ، إذَا ضَعُفَ، فمنع اللَّه المُسْلِمينَ أن يَدْعُوا الكافرين إلَى الصُّلْحِ وأَمَرَهُمْ بِحَرْبِهِمْ حتى يُسْلِمُوا .

وقوله عزّ وجلّ:﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ .

تأويله أَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ في الحُجَّةِ ومَعَكُمُ النبيُّ ﷺ وَمَا أَتَى به من الآياتِ التي تدل على نُبُوَّتِه، ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ أي نَاصِرُكُمْ .

وقوله - عزّ وجلّ - ﴿وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ .

أي لن يُنْقِصَكُمْ شيئاً مِن ثَوَابِكُمْ .

وقوله :﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤتكم أُجُورَكُمْ﴾ .

وقد عرفهم أنَّ أجورهم الجنَّةُ .

﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُم، إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا﴾ .

أي إن يجهدكُمْ بالمسألة ﴿تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾.
ونُخْرِجْ أَضْغَانُكُمْ، وقد قرىء بهما جميعاً.

وقوله: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ. ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾.

جاء في التفسير: إن تَولَّى العِبَادُ استَبْدَلَ اللَّهُ بِهِمُ المَلاَئِكَةُ.

وجـاء أَيْضاً: أَن تَـوَلَّى أهل مكَّـةَ استبدل اللَّه بهم أهـل المدينـة، وجاء أيضـاً ـ يَستَبْدِلْ قَـوْماً غَيْـرَكُمْ مِـن أهل فَـارِسَ، فأمـا ما جـاء أنه يستبـدل بهم الملائكة، فهو في اللُّغةِ عَلَى مَا أَتَوَهَّمُ فيه بُعْدٌ لأَنه لا يقال للملائكة قومٌ، إنّما يقـال قوم لِـلآدَمِيِّينَ. والمعنى ـ واللَّه أعلم ـ وَإِنْ تَتَوَلَّـوْا يستَبْـدِل قَـومـاً أَطْـوَعَ مِنكم، كما قال ـ عزّ وجلّ ـ ﴿عَسَى رَبُّـهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ، أَنْ يُبْدِلَـهُ أَزْواجاً خَيْـراً مِنكُنَّ﴾[1]. إلى آخر القصة.

فلم يتول جَميعُ الناس ـ واللَّه أعلم.

---

(١) سورة التحريم الآية (٥).

سُورَةُ الفَتحْ

مَدنيةٌ كلها بإِجْمَاعٍ

بسم اللَّه الرحمن الرَّحيم

قوله ـ عزّ وجلّ ـ :﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتحاً مُبيناً﴾ .

جاء في التفسير أنه فتحُ الحُديبية، وَكان هذا الفتح عَن غَير قتالٍ قيل إنه كان عن تراضٍ بين القوم. والحُدَيْبِيَةُ بئرٌ فسمي المكان باسم البئر، والفتح إنما هُوَ الظَّفَرُ بالمكان والمدينةِ والقَرْيَةِ، كان بحرب أو بغَيْر حُرْبٍ، أو كان دخول عَنْوَةٍ أَوْ صُلْح، فَهوَ فتحٌ لأن الموضع إنما يكون مُنْغَلِقاً فإذا صار في اليَدِ فَهُوَ فتحٌ .

ومعنى ﴿فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبيناً﴾ ـ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ـ هو الهداية إلى الإِسْلَام .
وجاء في التفسير: قضينا لكَ قضاء مُبيناً أي حكمنا لك بإظهار دين الإسلام والنصرة على عدوك.

وأكثَرُ ما جاء في التفسير أنه فتح الحُدَيْبِيَّةِ، وكان في فتح الحديبية آية عظيمة من آيات النبي [ﷺ] وذلك أنها بئر فاسْتُقِيَ جميعُ ما فيها من الماء حتى نَزَحَت ولم يبق فيها ماء، فتمضمض رسول اللَّه ﷺ ثم مَجَّهُ فيها فدرت البئر بالماء حتى شَرِبَ جميع من كان مع النبي ﷺ. وليس يخرج هذا من معنى فتحنا لك فتحاً مبيناً أنه يُعْنَى به الهداية إلى الإِسْلَام، ودليل

ذلك قوله ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾.

فالمعنى فتحنا لك فتحاً في الدين لتَهْتَدِيَ بِهِ أنت والمُسْلِمُونَ.

ومعنى ﴿نَصْراً عَزِيزاً﴾ نَصْراً إِذَا عَزَّ لَا يَقَعُ مَعَهُ ذُلٌّ.

ثم أعلم أنه عن أسباب فتح الدين على نبيه عليه السلام فقال:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيماناً مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾.

أي أَسْكَنَ قُلوبَهُمُ التعظيم للَّهِ ولرسوله، والوقار.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾.

تأويله ـ واللَّه أعلم ـ أن جميع ما خلق اللَّه في السموات والأرض جنودٌ لـه، لأن ذلك كله يـدل على أنه واحـد وأنه لا يَقْـدِرُ أَحَدٌ أنْ يـأتِيَ بمثل شيءٍ واحد ممَّا خلق اللَّه في السموات والأَرْضِ.

ومن الدليل أيضاً على أن معنى قوله: ﴿إنا فتحنا لك﴾: أي إنَّـا أرشدنـاك إلى الإِسلام وفتحنا لك أمر الدِّينِ قوله عزّ وجلّ:

﴿وَيُعَذِّبَ المُنَافِقِينَ والمُنَافِقَاتِ والمُشْرِكِينَ والمُشْرِكَـاتِ الظانِّينَ بـاللَّهِ ظَنَّ السّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾.

كانوا يظنون أن لن يَعُودَ الرسولُ والمؤمِنُونَ إلى أَهْليهمْ أبـداً وَزُيِّنَ ذلك في قُلُوبِهِمْ، فجعل اللَّه دائرة السُّوْءِ عَلَيْهم. ومن قرأ «ظن السُّوءِ» فهو كَما ترى أيْضاً، قال أبوإسحاق: وَلَا أَعْلَمُ أَحَداً قَـرأَ بِهَا، وقـد قيل أيضـاً أنه قـرئَ بِهِ، وزعم الخليـل وسيبويـه أن معنى السوء هِهنـا الفساد. والمعنى: الـظانّين باللَّهِ ظَنَّ الفَسَادِ، وهو ما ظَنُّوا أن الرسول عليـه السلام ومن معـه لا يَرْجِعُـونَ. قال

اللَّه تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾. أي الفساد والهلاك يقع بهم ﴿وغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

تفسيره مثل الأول.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً: عَالِياً حَكيماً فِيما دَبَّرَهُ﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شاهِداً ومُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾: أي شاهداً على أمتِك يوم القيامة. وهذه حال مُقَدَّرَة أي مُبشِّراً بالجنة من عمل خَيْراً ومُنْذِراً مَنْ عَمِل شرًّا بالنَّار.

﴿لِتُؤْمِنُوا باللَّهِ وَرَسُولِه﴾.

الخطاب للنبي ﷺ وخطاب للنَّاس وَلِأُمَّتِه. والمعنى يَدُلُّ على ذلك. ويجوز لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِه. وقَدْ قرِئَ بهمَا جميعاً. وجائز أن يكون ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ خِطَاباً للمؤْمِنينَ ولِلنَّبِّي جَميعاً. لأن النبي ﷺ قد آمن باللَّه وبآياته وكتُبه ورسُلِه.

فقوله ﴿شاهداً﴾ حال مقدرة، أي يكون يوم القِيَامَةِ، والبشارة والإنذار حال يكون النبي ﷺ ملابساً لها في الدنيا لمن شاهده فيها من أُمَّتِه، وحال مُقدَّرة لمن يأتي بعده من أمَّتِه إلى يوم القيامَةِ مِمَّنْ لم يشاهده. يَعْنِي بقوله مُقدَّرة أن الحال عنده في وقت الإخبار عَلَى ضَرَبَيْن. حال مُلَابسةٌ يكونُ المُخْبِرُ مُلَابِساً لها في حين إخْبارِه، وَحَالٌ مُقَدَّرَةٌ لأن تُلابَسَ في ثانٍ مِنَ الزَّمَانِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وتُوَقِّرُوهُ﴾.

معنى ﴿تُعَزِّرُوه﴾ تنصروه، يقال: عَزَّرْتُه أُعَزِّرُهُ، أي نصرته مَرَّةً بعْدُ مرَّةٍ، وجاء في التفسير لتنصروه بالسَّيْفِ ويجوز وَلِتَعْزُروه، يقال: عَزَرْتُه أعْزُرُه عَزْراً، وعَزَّرْتُهُ أُعَزِّرُهُ عَزْراً وتعْزِيراً. ونصرة النبي ﷺ هي نُصْرَةُ اللَّه عَزّ وجلّ.

﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾.

فهذه الهاءُ تَرْجِعُ عَلَى اللَّهِ عَزَ وَجَلَّ. ومعنى يُسبحـون اللَّه، أي يُصَلُّون له. والتسبيح في اللُّغَةِ تعظِيم اللَّه وتنزيهه عن السُّوءِ.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّما يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾.

أي أَخْـذُكَ عَلَيْهِم البَيْعَةَ عَقْـدٌ لِلَّهِ عزّ وجـلّ عَلَيْهِم. ومعنى ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ يحتمل ثلاثة أَوْجُهٍ منها وَجْهَـانِ جاءا في التفسيـر، أَحدُهمـا يَدُ اللَّه في الوَفَاء فَـوْقَ أيْدِيهم، وجـاء أَيْضاً يـد اللَّه في الثواب فـوق أيْدِيهم. والتفسيـر ـ واللَّه أعلم ـ يد اللَّه في المِنَّةِ عَلَيْهِمْ في الهِدَايَةِ فوق أَيْدِيهِمْ في الطاعة.

وقوله: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾.

والنكث في اللُّغَةِ نقضُ مَا تَعْقِدهُ، وما تُصْلِحُه. وجاء في التفسير: ثلاثة أشياء تَرجِعُ عَلى أَهْلِهَا، أَحَدُهَا النكث. والبغي والمكر. قال اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ ﴿إِنَّما بَغْيُكُم عَلَى أَنْفُسِكم﴾[1]، والمكْرُ قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَحيقُ المَكْرُ السَّيِّىءُ إلَّا بِـأَهْلِهِ﴾[2] وقولـه: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمـا ينكُثُ عَلَى نَفْسِـه وَمَن أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّه فَسَنُؤْتِيهِ أَجْراً عَظيماً﴾.

ويقرأ ﴿فَسَيُؤتيه أَجْراً عظيماً﴾. ويقرأ عَلَيْهِ اللَّه، وعَلَيهُ اللَّهَ. وقـد فسرنـا مثل هذا فيما سلف.

سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فاسْتَغْفِرْ لَنَا.

بإظهار الراء عند اللَّامِ ، وقد رُوِيت عَنْ أَبِي عَمْرٍو فاستغفِلَّنـا بالادغـام، وكذلك في قوله يَغْفِلَّكُمْ. ولا يُجيزُ سيبويه والخليل إدغـام الراء في الـلام.

ولا يحكون[3] هذه اللغة عن أحدٍ من العرب، ويذكرون أن إدغام الـراء

---

(١) سورة يونس /٢٣. (٢) سورة فاطر /٤٣. ٨٣.

(٣) ليس هـذا راجعاً لسيبـويه والخليـل فيما يـظهر ـ وإنمـا يريـد أن الرواة لم يحكـوا هذه اللغـة ـ =

في اللام غير جائز لأن الراء عندهم حرفٌ مَكرَّر، فإذا أدغم في اللام بطل هذا الإشباع الذي فيه.

وأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن هؤلاء منافقون فقال:
﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

وأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أنهم تخلفوا عن الخروج مع النبي ﷺ بظنِهم ظن السّوءِ، فأطلع اللَّه نبيه على ذلك، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ والمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبداً وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُم ظَنَّ السَّوْءِ﴾.

أي ظن الفساد.
﴿وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً﴾.
أي هالكين عند اللَّهِ ـ عزّ وجلّ ـ فاسِدين في عِلْمِه.
وقوله عزّ وجلّ: ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا﴾.
أي ليس لنا من يَقُوم بها.
﴿وأَهْلُونَا﴾.

أي وشغلتنا أهلونا، ليس لنا من يخلفنا فيهم، ويجوز وأَهْلُنَا، ولكن القراءة المشهورة بالواو، فمن قال وَأَهْلُونا فهو جمع أهل وأهلون، ومن قال وأهلنا فهويتضمَّن الجماعة كُلَّها.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿سَيَقُولُ المخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُم إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أن يُبَدِّلوا كَلَامَ اللَّهِ﴾.

يعنى بقوله: يريدون أن يُبَدِّلوا كلام اللَّه ـ قوله عزَ وجَلّ[1]: ﴿قُلْ لَنْ

= بدليل أن الضمائر بعدها جاءت بصيغة الجمع.

(١) في الأصل وقوله.

تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾[١]، فأرادُوا أن يأتوا بما ينقض هذا. فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنهم لا يعقلون، ولا يقدرون على ذلك فقال:﴿قل لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾.

ولو كان الكلام نهياً لقال: قل لا تَتَّبِعُونا. وقرئت: «يُرِيدُونَ أنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ».

فالْكَلِمُ جمع كلمة، والكلام في موضع التَّكْلِيم.

وقوله:﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأعْرابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾.

وقد قرئت أو يُسْلِموا، فالمعنى تقاتلونَهُمْ حتى يسلموا، وإلَّا أن يسلموا. فإن قال قائِلٌ: قد قال رسول اللَّه ﷺ لهم:﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾[١] فكيف جاز أن يقول:﴿سَتُدْعَونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلونَهُمْ﴾، فإنما قال ﷺ ذلك لأن اللَّه أعلمه أنَّهُمْ منافقون، وأعلمه مع ذلك أنهم لا يُقَاتِلُونَ معَه.

وجاء في التفسير أنه عُنِيَ بقوله: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ﴾ بنو حنيفة، وأبو بكر رحمه اللَّه، قاتلهم في أيام مسيلمة. وجاء أيضاً هوازِن، والمعنى أن كل من ظَاهِرُهُ الإسلام فعلى أصحاب النبي ﷺ أنْ يدعوهم إلى الجهاد. والصحابة لم يُطْلَعُوا في وقت الجهاد على من يُقَاتِل ومن لا يُقَاتِلُ، ولا على من ينافق ومن لا ينافق، لأن الاظهار على ذلك من آيات الانبياء عليهم السلام.

وقد قيل:﴿إِلَى قَوْمٍ أُولِيَ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [أي] إلى فارس والرُّوم، وذلك في أيام أبي بكر وعُمَر رحمة اللَّه عليهما وَمَنْ بَعْدَهُم.

---

(١) سورة التوبة الآية ٨٣.

﴿فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أجْراً حَسَناً﴾.

أي إن تُبْتُم وتَرَكْتُم النِّفَاقَ وجَاهَدْتُم. ﴿يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً ، وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمُ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أليماً﴾.

أي إِنْ أَقمْتُم على تقاكـم وتولَّيْتُمْ عن الإِيمـان والجهادِ كمـا تولَيتم على عهد رسول اللَّه [ﷺ] يُعذِّبكُمْ عَذَاباً أليماً.

ثم أعلم عزّ وجلّ بخبر من أخلص نيَّتَهُ فقال:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُـونَـكَ تَحْتَ الشَّجَـرَةِ فَعَلِمَ مَـا فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

أي علم أنهم مُخْلِصُـون. وجـاء في التفسيـر أن الـذين بـايعـوا تحت الشجرة كانوا ألفاً وأرْبَعَمائة، وقيل ألفاً وخسمائة، وقيل ألفاً وثَلاثَمـائةٍ وكـانوا بـايعـوا النبي [ﷺ] على أن لا يُـوَلـوُّا في القتـال وَلاَ يَهْـرَبُـوا، وسُمِّيَتْ بيْعـةَ الـرضوانِ لقـولـه [تعـالى]: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنينَ إذ يبـايعُـونَـكَ تحت الشَّجرة﴾ وكانت الشجرةُ سَمُرَةً[١].

﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾.

قيل إنه فتح خَيْبَر.

﴿وَمَغانِمَ كثيرةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾.

﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكَمْ هَذِهِ﴾.

وهذا التكرير تكرير في الوَعْدِ، أي فعجَّلَ هذه يَعْني خَيْبَر.

﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً للمُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) السمر هو شجر الطلح يجمـع على سَمُر وسمـرات وأَسْمُر ـ والسمـر ضرب من العضـاة، وقيل ضرب من الشجر صَغار الورق قصار الشوك ـ وليس في العضاة شيء أجـود خشباً من السَمـر ـ وفي السمر ثمرة يأكلها الناس ـ وفي حديث سعد ما لنا طعام إلا هذا السَّمُر.

أي كف أيديَ الناس عَنْهُمْ لَمَّا خرجوا وخلفوا عِيَالَهُمْ بالمدينة حَفِظَ اللَّه عِيالَهُمْ وَبَيْضَتَهُمْ[١]، وَقَد همَّت اليَهُودُ بِهِمْ فَمَنَعَهُمُ اللَّهُ ذَلِكَ.

﴿ وَأُخْرى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ﴾.

المعنى وعدكم اللَّه مغانم أخرى ﴿قد أَحَاطَ اللَّهُ بها﴾، قد علمها اللَّه، وهو مَا يَغْنَمُ المُسْلِمُون إلَى أَنْ لاَ يُقَاتِلَهُمْ أَحَدٌ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ قَاتَلكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيراً. سُنَّةَ اللَّهِ الَّتي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ ﴾.

المعنى لو قاتلك من لم يقاتلك لَنُصِرْتَ عَلَيْهِم، لأن سنة اللَّه النَّصْرُ لأوليائه وحِزْبه.

﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾.

وسنة اللَّه منصوبة على المَصْدَرِ، لأن قوله ﴿لَوَلَّوْا الأدبار﴾ مَعناه سن اللَّهُ خِذْلاَنَهُمْ سُنَّةً، وقد مرَّ مثل هذا في قوله: ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَليكُمْ﴾[٢]، وفي قوله: ﴿صُنْعَ اللَّهِ﴾[٣]، ولو قرئت «سُنَّةُ اللَّهِ الَّتي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ» لكان جيّداً في العربيَّةِ. المعنى تلك سنة اللَّه التي قد خَلَتْ مِنْ قَبْلُ، ولكن لا أعلم أحداً قرأ بها فلا تقرأنَّ بها.

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾.

﴿مَكَّة﴾ لا تَنْصَرِفُ لأَنَّها مؤنَّثةٌ وهي مَعْرِفَة.

وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ أَن أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾.

جاء في التَّفْسِيرِ أن رسول اللَّه ﷺ أُتِيَ باثنيْ عشر رَجُلاً أُخِذُوا بلا عهد

---

(١) مدينتهم ومقر إقامتهم.

(٢) سورة النساء الآية ٢٤. ﴿والمُحْصَنَاتُ مِنَ النِسَاءِ إلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾.

(٣) سورة النمل الآية ٨٨ ﴿وَترى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللَّهِ﴾.

ولا عقد فخلاهم النبي ﷺ ومَنَّ عَلَيْهِمْ، وكان عاقبة ذلك أن سلِمَ للرجل مَنْ بَيْنَهُ وبينه قَرابةٌ وَمَن هُوَ مؤمِنٌ أن يُصابَ قال اللَّه عزّ وجلّ :﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤْمِنَاتٌ لم تَعْلَمُوهُمْ أن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

وموضع «أن» رفع بدلٌ مِنْ رجال، المعنى لولا أَنْ تطأوا رجالا مُؤْمِنينَ ونساءً مُؤْمِنَاتٍ.

ثم قال:﴿لَو تَزَيَّلُوا لعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾.

أي لو تَمَيَّزَ الكافِرُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ لأنزلنا بالكافرين ما يكون عَذَاباً لَهُمْ في الدُّنيَا.

وَمَعْنَى : ﴿فَتَصِيبَكُمْ مِنهم مَعَرَّةٌ﴾.

قيل: لولا أن يقتلوا منهم قوماً مؤمنين خطأً فَتَلزَمُكُم الدِّيَاتُ والمعنى - واللَّه أعلم - لولا كراهة أَنْ يَلحقكُمْ عَيبٌ بأن قتلتم من هو على دينكم إذ أنتم مختلِطُونَ بهم لعَذَّبنا الذين كفروا مِنهُمْ عذاباً أليماً.

وقوله :﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يبلغَ مَحِلَّهُ﴾.

﴿الهَدْيَ﴾ مَنْصُوبٌ سبق على الكاف والميم، المعنى وصَدُّوا الهَدْيَ، و﴿مَعكوفاً﴾ مَحْبُوساً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ.

﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ﴾: كما وَصَفْنَا لنَصَرْنَاكُمُ عَلَيْهِم، ولكن الذي مَنَع عن ذلك كراهةُ وَطْءِ المؤمنين بالمكرُوه والقَتْلِ. وموضع ﴿أَنْ يبلُغَ مَحِلَّه﴾ منصوب عَلَى مَعْنى وصدوا الهَدْيَ محبوساً عن أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ.

وقوله - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلى المُؤْمِنِين﴾.

أَنْزَلَ اللَّه عَلَيْهِم الوقار والهيبة.

﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾.

جاء في التفسير أن شعارَهم لا إله إلا اللهُ، وكلمة التَّقْوَى تَوْحِيد اللَّهِ والإيمان برسوله عليه السلام.

﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾.

أي كانوا أحق بها من غيرهم، لِأَنَّ اللَّهَ ـ جلّ وعزَّ ـ اختارَ لنبيه ولدينه أَهْلَ الخَيْرِ ومُسْتَحِقّيه، ومن هو أولى بالهِدَايَة مِنْ غيره.

وقوله:﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُم وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾.

رأى رسول اللَّه ﷺ في منامه كأنَّهُ وأَصْحابَهُ ـ رحمهم اللَّه ـ يدخلون مكَّة محلّقِين ومُقَصّرِين، فَصَدَق اللَّهُ رسوله الرُّؤْيَا فدخلوا على ما رأى. وكانوا قد استبطأوا الدُّخُولَ.

ومعنى ﴿إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ يخرج على وَجْهَيْن. أحدهما لتدخُلُنَّ إِنْ أَمَرَكُمُ اللَّه. ويجوز وهو حسن أن يكون «إِن شَاءَ اللَّهُ» ـ جرى على ما أمر اللَّه به في كل ما يُفعَلُ مُتَوَقّعاً، فقال: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾(١).

وقوله عزّ وجلّ:﴿مُحَمَّدٌ رسُولُ اللَّهِ والَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بينَهُمْ.

وَصَفَهُم اللَّهُ بِأَنَّ بعضَهُمْ مَتَحَنِّنٌ على بَعْضٍ، وأن عَلَيْهِم السَّكِينَةَ والوقَارَ، وبعضهم يخلص المودَّةَ لبَعْضٍ، وهم أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ. أشداء جمع شديدٍ، والأصل أشدِدَاء، نحو نصيب وأَنْصِبَاء، ولكن الدَّالَيْنِ تَحَرَّكَتا فأُدْغِمتِ الأولى في الثانية، ومثل هذا قوله:﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَنْ دِينِه فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهمْ ويُحِبُّونَهُ أذِلَّةٍ عَلَى المُؤْمنينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ﴾(٢)

---

(١) سورة الكهف /٢٣ ـ ٢٤. (٢) سورة المائدة /٥٤.

وقوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾.

أي في وجوههم عَلامَةُ السُّجُودِ، وهي علامة الخاشِعين لِلَّه المُصَلِّين. وقيل يبعثون يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحجَّلينَ من أثر الطُّهُورِ، وهذا يجعله اللَّه لَهُمْ يَوْمَ القيامَةِ عَلامَةً وهي السيماء يُبَيِّنُ بها فَضْلَهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ.

وقوله: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهم في الإِنْجِيل﴾.

أي ذلك صفة محمد ﷺ وأصحابه في التَورَاةَ، ثم أعلم أنَّ صِفَتَهم في الإنجيل أيضاً.

﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾.

معنى ﴿أخرج شطأه﴾ أخرج نباته ﴿فآزَرَهُ فاستغلظ﴾، أي فآزَرَ الصِّغارُ الكبارَ حتى استوى بعضُه مع بعْضٍ، ﴿عَلى سُوقِهِ﴾ جمع ساقٍ.

وقوله: ﴿يُعْجِبُ الزُّرَاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ﴾.

﴿الزُّرَاعَ﴾ محمد عليه السلام والدّعاة إلى الإِسْلَامِ وهم أَصحَابُه.

وقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾.

﴿مِنْهُمْ﴾ فيه قولان، أن تكون «مِنهم» ههنا تخليصاً للجنس من غيره كما تقول: أنفق نَفَقَتَك مِنَ الدَّرَاهِمِ لَا مِنَ الدَّنَانِيرِ، المعنى اجعل نفقتك من هذا الجنس، وكما قال: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾[1]، لا يريد أن بعضها رجس، وبعضها غير رِجْسٍ، ولكن المعنى اجتنبوا الرجس الَّذِي هُوَ الأوثانُ.

---

(١) سورة الحج / ٣٠. يريد أن «من» بيانية.

فالمعنى وعد اللّه الذين آمنوا وعملوا الصالحات من أصحـاب النبي ﷺ المؤمنين أجراً عظيماً وفَضَّلَهُمْ اللَّه على غيرهم لِسَابِقَتِهِم وَعَظَّم أجْرَهُمْ.

والوجه الثاني أن يكون المعنى وعد اللَّه الذين أقاموا منهم على الإِيمَـانِ والعمل الصالح مَغْفِرةً وأجراً عظيماً.

سُورَةُ الحُجُرَات

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾.

وقد قرئت لا تقْدَموا بفتح التاء والدَّال، والمعنى إذا أُمِرْتُم بـأَمْرٍ فلا تفعلوه قبلَ الوقتِ الَّذي أُمِرْتم أن تفعلوهُ فِيهِ.

وجاء في التفسير أن رجلاً ذبح يوم الأَضْحَى قَبْلَ صَلاةِ الأَضْحَى فتقدم قبل الوقت فأعلم [اللَّه] أن ذلك غير جائز. ففي هذا دليل أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أن يؤدى فَرْضٌ قبل وقْتِهِ وَلَا تطوعٌ قَبْلَ وَقْتِهِ مِمَّا جاءَت به السُّنَّةُ، وفي هذا دليل أن تقديم الزكاةِ قبل وقتها لا ينبغي أن يجوز، فأما ما يروى أن النبي ﷺ استسلَفَ من العباس شيْئاً من الزكاة، فلا أعلم[1] أن أَحَداً ممن أجاز تقديم الزكاة احتج إلا بهذا الحديث، وهذا إن صح فهو على ضربين أحدهما أن يكون مخصوصاً والآخر أن يكونَ الحاجة اشتدت فوقع اضطرار إلى استسلاف الزكاة.

والإجماع أن إعطاءها في وقتها هو الحق، وهو الفَضْلُ إنْ شَاء اللَّه.

ومن قرأ: ﴿لاَ تَقَدَّمُوا﴾ فمعناه كمعنى لا تُقَدِّمُوا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوق صَوْتِ النَّبيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾.

---

(١) في الأصل ولا اعلم.

أمرهم اللّه ـ عزّ وجلّ ـ بتبجيل نبيه عليه السلام، وَأَنْ يَغُضّوا أَصْوَاتَهُمْ وأن يخاطبوه بالسكينة والوقار، وأن يفضلوه في المخاطبة، وذلك مما كانوا يفعلونه في تعظيم ساداتهم وكبرائهم.

ومَعنى ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُم لِبَعْضٍ﴾ أي لا تنزلوه منزلةَ بعضكم من بعض، فتقولوا: يا محمدِ خاطبوه بالنبوة، والسكينة والإعظام.

وقوله: ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾.

معناه لا تفعلوا ذلك فتحبط أعمالكم. والمعنى لئلا تحبط أعمالكم فالمعنى معنى اللام في أن. وهذه اللام لام الصيرورة وهي كاللام في قوله: ﴿فَالْتَقَطَه آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً﴾[1] والمعنى فالتقطه آل فرعون ليصير أمرهم إلى ذلك، لَا أَنَّهُمْ قصدوا أن يصير إلى ذلك. ولكنه في المقدار فيما سبق من علم اللّه أن سبب الصير التقاطهم إياه، وكذلك لا ترْفَعُوا أصواتكم فيكون ذلك سبباً لأن تحبط أعمالكم.

وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرونَ.

هذا إعلامٌ أن أَمْرَ النَّبِيِّ [ﷺ] ينبغي أن يُجَلَّ ويُعَظَّم غايَة الإجْلَالِ.

وأنه قد يُفعل الشيءُ مما لا يَشْعَرُ به من أمر النبي ﷺ فيكون ذلك مُهلكاً لِفَاعِلِه أو لِقَائِله، ولذلك قال بعض الفقهاء: من قال إن زِرَّ رسول اللّه ﷺ وسخ يريد به النقص منه وجب قَتْلُه.

هذا مذهبُ مالِكٍ وأَصْحَابه.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾.

أَخْلَصَ قُلُوبَهُمْ ـ وَ «هُمْ» يخرج على تفسير حقيقة اللغة، والمعنى

(١) سورة القصص /٨.

اختبر اللَّه قُلُوبَهم فَوَجَدَهُمْ مُخْلِصِين ـ كما تقول: قد امتحنت هذا الذهب وهذه الفضة. تأويله قد اختبرْتُهُمَا بأن أَذَبْتُهَمَا حتى خَلَّصْتُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فَعَلِمْتُ حَقِيقَةَ كل واحد منهما.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِين يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُراتِ﴾.

يقرأ بضم الحاء والجيم، والحُجَرَاتَ بِفَتْح الجيم، ويجوز في اللغة الحُجْرات. بتسكين الجيم ـ ولا أعلم أحَداً قَرأَ بالتَّسْكِينِ وَقَدْ فَسَّرْنَا هذا الجمع فيما تقدم من الكتاب.

وواحد الحجرات حُجْرَةٌ. ويجوز أن تكون الحُجراتُ جمع حُجَرٍ وحُجراتٍ، والأجود أن تكون الحُجُرَات جمع حُجرة، وأن الفتح جاز بدلاً من الضَّمَّةِ لثقل الضَّمَتَيْن.

وهؤلاء قوم جاءوا إلى النبي [ﷺ] من بني تميم فَنَادَوْه من وراء الحجرات. ولهم في التفسير حديث فيه طول، وجملته أنهم جاءوا يفاخرون النّبي وأنَّهُمْ لم يلقَوْه بما يجب له عليه السلام.

قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيم﴾.

أي من تاب بعد هذا الفِعْلُ فاللَّه غفور رحيم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبأٍ فَتَبَيَّنُوا أنْ تُصِيبُوا﴾.

ويقرأ فتثبتوا أنْ تُصيبوا.

﴿قَوْماً بِجَهَالةٍ﴾.

جاء في التفسير أنها نزلت بسبب الوليد بن عقبة. وكان رسول اللَّه ﷺ بَعَثَهُ ساعِياً يجْبي صدقات بني المصطلق، وكان بينه وبينهم أحْنَةٌ أي عداوة،

فلما اتَّصَلَ بهم خَبَرُهُ وقد خرج نحوهم قال بعضهم لبعْضٍ: قد علمتم ما بيننا وبين هذا الرجل، فامْنعُوهُ صَدَقَاتِكُمْ، فاتصل به ذلك فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره أنهم مَنَعُوهُ الصدقة وأنهم ارْتَدُّوا، وأَعَدُّوا السِّلَاحَ للحَرْبِ، فوجه رسول اللَّه ﷺ بخالد بن الوليد ومعه جيش، وتقدم إليْه أن ينزل بعقوتهم ليلاً، فإن رأى ما يدل على إقامتهم على الإسلام من الأذان والصلاة والتّهجُّد أمسك عن محاربتهم، وطالبهم بصَدَقَاتِهِمْ فلما صار خَالِدُ إليهم ليلاً سَمِعَ النداء بالصَّلَاة، ورآهم يُصَلّونَ وَيَتهجَّدُونَ، وقالوا له: قد استبطأنا رسالة رسول اللَّه ﷺ في الصَّدَقَاتِ، وسلموها إليه، فأنزل اللَّه ـ عز وجل ـ ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾ أي بخَبرٍ ﴿فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمَاً بِجَهَالَةٍ﴾ أي كراهة أن تُصِيبُوا قوماً بِجَهَالَةٍ وهذا دليل أنه لا يجوز أن يقبل خبر من فاسق وإن تَبَيَّنَ[1] وأَنّ الثقة يجوز قبول خبرِه. والثقةُ من لم تجرب عليه شهادَةُ زُورٍ وَلَا يُعْرَف بفِسْقٍ وَلَا جُلِدَ في حَدٍّ، وهو مع ذلك صحيح التمييز.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾.

أي لو أطاع مثل هذا المخبر الذي أخبره بما لا أصل له لوقعتم في عَنَتٍ، والعَنَتُ الفساد والهَلَاكُ.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ﴾.

هذا يعنى به المؤمنون المخلصون.

﴿وَزَيَّنَهُ في قُلُوبِكُمْ﴾.

ويحتمل في قلوبكم وجهين ـ أحدهما أنه دلهم عليه بالحجج القاطعة البينة، والآيات التي أتى بها النبي ﷺ المعجزةِ، والثاني أنه زينه في قلوبهم بتوفيقه إياهم.

---

(١) وإن ظهر أنه صحيح.

﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ والفُسوقَ والعِصْيَانَ﴾.

وذلك أيضاً تبْيينُه ما عليهم في الكفر وتوفيقـه إياهم إن اجْتَنَبُوه.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾.

أي هؤلاء الـذين وفقهم اللَّه ـ عزّ وجـلّ ـ بتحبيب الإيمان إليهم وتكـريه الكفر أولئك هم الراشدون.

﴿فَضْلاً مِنَ اللَّه وَنِعْمَةً﴾.

منصوب مفعول له ـ المعنى فعل اللَّه ذلك بكم فضلاً من اللَّه ونعمةً أي للفضل والنَّعْمةِ، ولو كان في غيـر القرآن لجـاز فَضْلٌ من اللَّه ونعمـة، المعنى ذلك فضل من اللَّه ونعمة.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَـأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَـا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتي تَبْغِي﴾.

والباغية التي تعدل عن الحق وما عليـه أئمة المُسْلِمين وَجَمَـاعَتُهُمْ.

﴿حَتَّى تَفِيءَ إلى أَمْرِ اللَّهِ﴾.

حتى ترجع إلى أمر اللَّه.

﴿فإِنْ فاءَتْ﴾: فإن رَجَعَتْ.

﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالعَدْلِ وَأَقْسِطُوا﴾.

أي وأَعْدِلُوا.

﴿إنَّ اللَّه يُحِبُّ المُقْسِطِينَ﴾.

وهذه ـ قيل ـ نزلتْ بسبب جَمْعَيْن من الأَنْصَارِ كـان بينهم قِتَالٌ ولم يكن ذلك بسيوف ولا أَسْلحة، جاء في التفسير أنه كان بينهم قِتال بـالأيدي والنِّعَـال وَتَرَامٍ بِالحِجَارةِ.

﴿إنَّماالمُؤْمِنُونَ إخْوَةٌ فأصلحوا بينَ أَخَوَيْكُمْ﴾.

ويقرأ بين إخْوَانكم، وبين إخْوَاتِكُمْ وبين أُخْوَتكم. فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن الدِّينَ يجمعهم وأنهم إخوَةٌ إذا كانوا متفقين في دينهم فرجعوا في الاتفاق في الدين إلى أصل النَّسَبِ، لأنهم لآدَم وحَوَّاء، ولو اختلفت أَدْيَانُهم لافترقوا في النَّسَبِ، وإن كان في الأصل أنهم لأب وأم، ألَا ترى أنه لا يرث الولدُ المؤمن الأب الكافرَ ولا الحمِيمُ المؤمِنُ نسيبه الكافِر.

وقوله: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾... الآية.

عسى أن يكون المسخور منه خيراً من الساخرين، وكذلك عسى أن يكون النساء المسخور منهن خيراً من النساء الساخرات، فنهى اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن يسخر المؤمنون من المؤمنين، والمؤمنات من المؤمنات.

﴿وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾.

واللمز والهمز العيب والعض من الإنسان. فأعلم اللَّه أن عيب بعضهم بعضاً لازم لهم، يلزَمُ العائِبَ عيبُ المعيب.

﴿وَلاَ تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ والنبز واللقب في معنىً وَاحِدٍ، لا يقول المسلم لمن كان يَهودياً أو نصرانياً فأسلم لقباً يعيره فيه بأنه كان نصرانياً أو يهودياً.

﴿بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ﴾، أي بئس الاسم أن يقول له: يا يهودي ويا نصراني وقد آمن، ويحتمل أن يكون في كل لقب يكرهه الإنسان، لأنه إنما يجب أن يخاطب المؤمن أخاه بأحب الأسماء إليه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّها الذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إثْمٌ﴾.

أمر اللَّه عزّ وجلّ باجتناب كثير مِنَ الظَّنِّ، وهو أن تظن بأهل الخير سوءاً

إذا كنا نعلم أن الذي ظهر منه خير، فأما أهل السوء والفسق فلنا أن نظن بهم مِثْلَ الذي ظهر منهم.

وقوله: ﴿ولا يَغْتَبْ بَعْضُكُم بَعْضاً﴾، والغيبة أن يُذْكَرَ الإنسانُ من خلفه بسوء وإن كان فيه السوء، فأما ذكره بما ليس فيه فذلِكَ البَهْتُ والبُهْتَانُ ـ كذلك جاء عن النبي [ﷺ].

وقوله عزّ وجلّ ـ: ﴿أيُحِبُّ أَحَدُكمُ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيه مَيْتاً﴾.

ويجوز مَيِّتاً وتأويله أن ذكرك بِسوءٍ من لم يَحْضر لـك بمنزلة أكل لحمه وهو مَيِّتٌ لَا يُحِسّ هُوَبذلك، وكذلك تقول للمغتاب فلان يأكل لحوم الناس.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَكرِهْتُمُوهُ﴾.

ويُقرأ «وَكُرِهتموه» ـ فتأويله كما تكرهون أكل لحمه مَيتاً كذلك تجنبوا ذكره بالسوء غائباً.

وقوله: ﴿يَا أَيُّها النَّاسُ إنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى﴾.

خلقناكم من آدم وحوّاء، وكلكم بنو أبٍ وَاحِدٍ وَأُمٍّ وَاحِدَةٍ إِلَيْهما تَرْجِعُونَ.

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾.

والشعب أعظم من القبيلة. أي لم يجعلكم شعوباً وقبائل لتفاخروا وإنما جعلناكم كذلك لتتعارَفُوا، ثم أعلمهم اللّه ـعزّوجلّ ـ أن أرفعهم عِنْدَهُ مَنْـزِلَةً أَتْقَاهُمْ فقال:

﴿إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

ولـو قرئتِ أَنَّ أكـرمكم عند اللّه أتقـاكم جاز ذلـك على معنى وجَعَلْناكم

شعوباً ليعرف بعضكم بعضاً لأن أكرمكم عند اللّٰه أتقاكم.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾.

وهذا موضع يحتاج الناس إلى تفهمه، وأين ينفصل المؤمن من المسلم. وأين يستويان.

والإسلام إظهار الخضوع والقبول لما أتى به النبي ﷺ، وبذلك يحقن الدَّمُ. فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب فذلك الإيمان الذي مَنْ هُوَ صفته فهو مؤمن مُسْلِم، وهو المؤمن باللّٰه ورسوله غَيْرَ مرتابٍ ولا شاكٍّ، وهو الذي يرى أن أداء الفرائض واجب عليه، وأن الجهاد بنفسه وماله واجب عليه لا يدخلُه في ذلك رَيبٌ، فهو المؤمِنَ وهو المُسْلِمُ حقاً، كما قال عزّ وجلّ:﴿إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا باللّٰه ورَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ في سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

أي إذا قالوا إنا مؤمنون فهم الصَّادقون، فأما من أظهر قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه فهو في الظاهر مسلم، وباطنه غير مُصَدق، فذلك الذي يقول أسلمتُ لأن الإيمانَ لا بد من أن يكون صاحبه صديقاً، لأنَّ قولك آمَنْتُ بكذا وكذا معناه صدقت به، فأخرج اللّٰه هؤلاء من الإيمان فقال: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾.

أي لم تصدقوا إنما أسلمتم تعوذاً من القتل، فالمؤمن مُبْطِنٌ من التصديق مثل ما يظهر، والمسلم التام الإسلام وهو مظهر الطاعة مع ذلك مؤمن بها، والمسلم الذي أظهر الإسلام تعوذاً غير مؤمن في الحقيقة، إلاَّ أن حكمه في الظاهر حكم المسلمين.

وقوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لاَ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلاَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

قيل إنّ هذه نزلت في المنافقين. فاعلموا أنكم إنْ كنتم صادقين فإنكم قد أسلمتم فلله المنُّ عَلَيْكُمْ لإخراجه إياكم من الضلالة إلى الهدى.

وقد قيل: إنها نزلت في غير المنافقين، في قوم من المسلمين قالوا آمنا وهاجرنا وفعلنا وصنعنا فمنوا على رسول اللَّه بذلك.

والأشبه ـ واللَّه أعلم ـ أن يكون في قوم من المنافقين.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَه لاَ يَأْلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شيئاً﴾.

ويُقرأ ﴿لاَ يَلِتْكُمْ﴾، فمن قرأ ﴿يَأْلِتْكُمْ﴾ فدليله ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيءٍ﴾[1] ومعناه وما نقصناهم، وكذلك لا يَأْلُتُكُمْ لا ينقصكم، ومن قرأ ﴿لاَ يَلِتْكُمْ﴾ فهو من لات يليت، يقال: لاَتَه يَلِيتُهُ. وَأَلاَتَهُ يُلِيتُه إذا نقصه أيضاً، والمعنى فيهما واحدٌ. أعني يألتكم ويلتكم، والقراءة ﴿لاَ يَلِتْكُمْ﴾ أكثر، والأخرى أعني يَأْلِتُكُمْ جيدة بالغة، ودليلها في القرآن على ما وصفنا.

---

(١) سورة والطور.

سورة ق
خمس وأربعون آية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجَلّ ﴿ق وَالْقُرآنِ المَجِيدِ﴾.

أكثر أهل اللغة وما جاء في التفسير أن مَجاز «ق» مجاز الحروف التي تكون في أوائل السُّوَر نحو ﴿ن﴾، و ﴿ألم﴾، و ﴿ص﴾ وقد فسرنا ذلك ويجوز أن يكون معنى «قَافْ» معنى قضي الأمر، كَمَا قِيلَ ﴿حم﴾ حمَّ الأَمْرُ، واحتج الذين قالوا من أهل اللغة أن معنى «ق» بمعنى قضي الأمر بقول الشاعر[١]:

قلنا لها قفي قالت قاف لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف

معناه فقالت أقف[١]

ومذهب الناس أن قاف ابتداء للسورة على ما وصفنا، وقد جاء في بعض التفسير أن قاف جبل محيط بالدنيا من ياقوتة خضراء وأن السماء بيضاء وإنما اخْضَرَّتْ مِنْ خُضْرَتِه، واللَّه أعلم .

وجواب القسم في ﴿ق والقُرآنِ المَجيد﴾ مَحْذُوف، يدل عليه ﴿أَإذا مِتْنَا وكُنَّا تراباً﴾، المعنى واللَّهِ أعلم: والقرآن المجيد أنكم لمبعوثون[٢]، فعجبوا فقالوا ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُراباً﴾.

---

(١) تقدم في الجزء الأول في شرح ﴿الم﴾. (٢) في الأصل انكم مبعوثون.

أي أنبعث إذَا مِتْنَا وكنا تُراباً. ولو لم يكن إذا متعلق[1] لم يكن في الكلام فائدة.

وقوله: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾.

أي يبعد عندنا أن نبعث بَعَدَ المَوْتِ،

ويجوز أن يكون الجواب ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ﴾، فيكون المعنى ق والقرآن المجيد لقد علمنا ما تنقص الأرض منهم وحذفت اللام لأن ما قبلها عوض منها كما قال: ﴿والشمس وضحاها﴾[2] إلى قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾[3]، المعنى لقد أفلح من زكاها. والمعنى ﴿ما تَنَقُصُ الأَرْضُ مِنْهُم﴾. ما تأخذه الأرض من لحومهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالحقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ في أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾.

مَريج مختلف ملتبس عليهم مرة يقولون للنبي ﷺ شاعر ومرة ساحِر ومرة معلم. فهذا دليل على أن أمرهم مريج ملتبس عليهم، ثم دلهم عزّ وجَلّ على قدرته على بعثهم بعد الموت بعظيم خلقه الذي يدل على وحدانِيته وأنه على كل شيء قدير فقال:

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُم كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾.

وأن اللّه عزّ وجلّ ممسكها بغير عَمَدٍ من أن تقع على الأرض.

﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾.

لا صدع فيها ولا فرجة.

﴿والأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾.

والرواسي الجبال.

﴿وأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ، تَبْصِرَةً وَذِكْرَى﴾.

---

(١) كذا بالأصل ـ ويظهر أن كلمة مفقودة ـ والفرض إذا لم تكن «إذا» متعلقة بالفعل لم يكن للكلام معنى.

(٢) أول سورة الشمس. (٣) سورة الشمس الآية ٩.

أي فعلنا ذلك لنبصر به وندلَ عَلى القدرة.ثم قال ﴿لِكلِّ عَبْـدٍ مُنيبٍ﴾ أي لكل عبد يرجع إلى اللّه ويفكر في قدرته.

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿وَحَبَّ الحَصِيـدِ﴾.

أي وأنبتنـا فيها حب الحَصِيدِ، فجمع بذلك جميع ما يقتـات به من حب الحنطة والشعير وكل ما حَصِدَ.

﴿والنَّخْـلَ بَـاسِقَـاتٍ﴾.

بسوقها طولها، المعنى وأنبتنـا فيها هذه الأشياء.

وقوله: ﴿رِزْقاً للعِبَادِ﴾.

ينتصب على وجهين أحـدهما على معنى رزقنـاهم رزقاً لأن إنبـاته هـذه الأشياء رزقٌ، ويجوز أن يكون مفعولاً له، المعنى: فأنبتنا هذه الأشياء للرزق. ثم قال:

﴿كَذَلِكَ الخُروجُ﴾.

أي كما خلقنا هذه الأشياء نبعثكم.

وقوله عزّ وجلّ:﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾.

أي فحقت عليه كلمة العذاب والوعيد للمكذبين للرسل، وكذلك قوله: ﴿فَأَنْذَرْتُكُم نَاراً تَلَظَّى، لَا يَصْلَاهَا إلَّا الأَشْقَى، الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾(١).

وقوله: ﴿أَفَعَيِينَا بِالَخلْقِ الأَوَّلِ﴾.

هذا تقرير لأنهم اعترفوا بأن اللّه ـ عـزّ وجلّ ـ الخَـالِقُ، وأنكروا البعث، فقـال: ﴿أَفَعَيِينا بـالخَلْقِ الأَوَّلِ﴾، يقال: عَيِيتُ بـالأمر إذا لم تعْـرف وجهـه، وأَعْيَيْتُ إذَا تعبتُ.

(١) سورة الليل الآية ١٤ ـ ١٦.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

أي بل هم في لَبْسٍ مِنَ البَعْثِ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُه﴾.

أي نَعلَمُ ما يخفي وما يكنه في نفسه.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ﴾.

والوريد عرق في باطن العنق، وهما وريدان، قال الشاعر.

كأن وريداه رشاء أَخْلبِ[1]

يعني من ليف.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ إِذْ يَتلقَّى المَتَلَقِّيَانِ عَنِ اليَمين وَعَنِ الشِّمَال قَعِيدٌ﴾.

﴿المُتَلَقِّيَانِ﴾ كاتباه الموكَّلانِ بِهِ، يَتَلقيان ما يعمله فيُثبتانه، المعنى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، فدل أَحَدُهما على الآخر، فحذف المدلول عليه، ومثله قَوْلُ الشَّاعِر.

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف[2].

أي نحن بما عندنا راضون وأنت بما عندك راض، ومثله أيضاً

رماني بأمر كنتَ منه ووالدي بريئاً ومن أجل الطوى رماني[3]

المعنى رماني بأمر كنت منه بريئاً، ووالدي بريئاً منه.

---

(١) من رجز رؤبة وقبله: «غادرته مجدلاً كالكلب» وروايته في ديوانه والمصادر الأخرى: رشاء خُلْبِ. والخلب الليف، والرشاء الحبل - أي تركه ملقى على الأرض وقد انتفخت عروقه فصار كحبال الليف.

ملحقات ديوانه ١٦٩، ابن يعيش ٨٢/٨، الخزانة ٣٥٦/٤. والعيني ٣٩٩/٢ واللسان (خلب)، وسيبويه ١٦٤/٣ (ت هرون) وشواهد الكشاف.

(٢) تقدم.

(٣) للفرزدق - تقدم.

وقوله: ﴿عَتِيدٌ﴾ أي ثابت لازم.

وقوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾.

أي جاءت السكرة التي تدل الإنسانَ على أنه ميت، ﴿بالحق﴾ أي بالمَوْتِ الذي خلق له. وقال بعضهم: وجاءت سكرة الحق بالموت، ورويت عن أبي بكر رحمه اللَّه والمعنى واحد، وقيل الحق ههنا اللَّه عزّ وجلّ.

وقوله: ﴿وَجَاءَتْ كَلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائقٌ وَشَهِيدٌ﴾.

قيل في التفسير سائقٍ يسوقها إلى محشرها، وشهيد يشهد عَلَيْها بِعَمَلِها وقيل ﴿وَشَهِيدٌ﴾ هُوَ العَمل نفسه.

وقوله: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾.

وهذا مَثلٌ، المعنى كنت بمنزلة من عليه غطاء وعلى قلبه غشاوة.

﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾.

أي فعلمك بما أنت فيه نافذٌ، ليس يراد بهذا البصر من ـ بَصَـرِ العيـن ـ كما تقول: فلان بصير بالنحو والفقه، تُرِيدُ عَالِمَاً بِهِمَا، ولم ترد بصر العَيْن.

وقوله: ﴿قَال قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَّي عَتِيدٌ﴾.

«ما» رفع بهذا و «عتيد» صفة لما فِيمَنْ جَعَلَ «ما» في مذهب النكرة، المعنى هذا شيء لديّ عتيد، ويجوز أن يكون رفعه على وجهين غير هذا الوجه، على أن يُرْفَع عَتِيدٌ بإضْمارٍ، كأنك قلت: هذا شيءُ لَدَيَّ هو عتيـد ويجوز أن تـرفعه على أنه خبر بعد خبر، كما تقول هذا حلو حامض، فيكـون المعنى هذا شيء لَدَيّ عتيدٌ، ويجـوز أن يكون رفعـه على البدل من «مـا»، فيكون المعنى هـذا عتيد.

وقوله: ﴿أَلْقِيَا في جَهَنَّم كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾.

أي عَنِـدَ عن الحق، وقولـه: ﴿أَلْقِيَا﴾، الـوجه عنـدي ـ واللَّه أعلم ـ أن يكون أمر الملكين، لأن ﴿أَلْقِيَـا﴾ للاثنين، وقـال بعض النحويين: إن العـرب

تأمر الواحد بلفظ الاثنين، فتقول قوماً واضربا زيداً يا رجل، ورووْا أن الحجاج كان يقول: يا حَرَسِيُّ اضربا عنقه، وقالوا: إنما قيل ذلك لأن أكثر ما يتكلم به العرب فيمن تأمره بلفظ الاثنين، نحو.

خليلي مُرَّا بي على أمِّ جُنـدَبِ[1]

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ[2]

وقال محمد بن يزيد: هذا فعل مثنى توكيداً كأنه لمَّا قال أَلْقِيَا ناب عن قوله أَلْقِ أَلْقِ، وكذلك عنده قفا معناه عنده قف قف، فناب عن فعلين فبنى. وهذا قولٌ صالحٌ وأنا اعتقد أنه أمر الاثنين، واللَّه أعلم.

وقوله:﴿قَالَ قَرِينُه رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ في ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾.

المعنى إنما طغى وهو بضلاله وإنما دعوته فاستجاب، كما قال:﴿وَقَالَ الشَّيطَانُ لَمّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدتُكُمْ فَأخْلَفْتُكم وَمَا كانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُم لِي﴾[3].

وقوله:﴿مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

أي من عمل حسنة فله عشر أمثالها، ومن عمل سيئة فلا يجزى إلاَّ مثلها.

وقوله عزّ وجَلّ: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّم هَلِ امْتَلأْتِ﴾.

وقرئت يوم يقول لجهنَّم، نصب يوم على وجهين على معنى ما يبدل القول لديّ في ذلك اليوم، وعلى معنى أنذرهم يوم نقول لجهنم، كما قال: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرةِ إِذْ قُضِيَ﴾[4].

---

(١) أول قصيدة علقمة ـ والشطر الثاني: لنقضي حاجات الفؤاد المعذب ـ وقد قدمته بها على امرئ القيس ـ وقد ذكرت شواهد المغني جزءاً منها.

(٢) أول معلقة امرئ القيس. (٣) سورة إبراهيم الآية ٢٢. (٤) سورة مريم / ٣٩.

وقوله عزّ وجَلّ: ﴿هَلِ امْتَلأْتِ﴾.

[أي] أم لم تمتلىء، وإنما السؤال توبيخ لمن أُدْخِلَهَا، وزيادة في مكروهه، ودليل على تصديق قوله: ﴿لأَملأنَّ جَهَنَّمَ مِنك ومِمَّنْ تَبَعَكَ منهم [أجمعين]﴾(١).

فأما قوله: ﴿وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾.

ففيه وجهان عند أهل اللغة أحدهما أنها تقول ذلك بعد امتلائها فتقول: هل من مزيد، أي هل بقي في موضع لم يمتلىء، أي قد امتلأت، ووجه آخر: تقول: هل من مزيد تغيظاً على من عصى كما قال عزّ وجلّ: ﴿سَمِعوا لَها تَغَيُّظاً وزفيراً﴾. فأما قولها هذا ومخاطبتها فاللَّه عزّ وجلّ جعل فيها ما به تُميِّزُ وتخاطب، كما جعل فيما خلق أن يسبح بحمده، وكما جعل في النملة أن قالت: ﴿يا أَيُّها النَّمْلُ ادخُلُوا مَسَاكِنَكُم﴾(٢) وقد زعم قوم أنها امتلأت فصارت صورتها صورة من لو ميَّزَ لَقال: هل من مزيد كما قال الشاعر:

امتلأ الحوض وقال قطني(٣)
مهلاً رويداً قد ملأت بطني

وليس هناك قول. وهذا ليس يُشْبِه ذاك، لأن اللَّه عزّ وجَلّ قد أعلمنا أن المخلوقات تسبح وأننا لا نفقه تسبيحها، فلو كان إنما هو أن يدل على أنها مخلوقة كنا نفقه تسبيحها.

وقوله عزّ وجَلّ:﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيها وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾.

المعنى لهم فيها ما يشاءون ولدينا مزيد مما لم يخطر على قُلوبِهِمْ، وجاء في التفسير أن السحاب يمر بأهل الجنة فيمطر لهم الحور، فيقول الحورُ نحن الذين قال اللَّه عزّ وجَلّ [فيهم] ﴿ولدينا مزيد﴾.

---

(١) سورة ص / ٨٥. (٢) سورة النحل / ١٨.

(٣) رجز يذكره النحويون في باب اسم الفعل، ولم يذكر قائله ـ وقطني بمعنى حسبي. انظر ابن يعيش ١٣١/٢. وقد تقدم.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنا قبلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً﴾ .

اختلف الناس في القرن فقال قوم: القرن عشر سنين، وقال قوم ثلاثون سنة، وقال قوم أربعون سنة، وقال قوم سبعون سنة، وقالوا مائة سنة، وقال قوم مائة وعشرون سنة.

والقرن واللَّه أعلم مقدار التوسط في أعمار أهل الزمان، فالقرن في قوم نوح على مقدار أعمارهم.

واشتقاقه من الاقتران فكأنه المقدار الذي هو أكبر ما يقترن فيه أهل ذلك الزَّمان في بقائهم.

وقوله عزّ وَجَلّ: ﴿فَنَقَّبُوا فِي البِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ .

وقرئت فَنَقَبُوا - بالتشديد والتخفيف - المعنى طوَّفوا وفتشوا فلم يروا محيصاً من الموت، قال امرؤ القيس[1] .

وقد نقبت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

وتقرأ فنقِّبُوا في البلاد، أي فتشوا وانظروا، ومن هذا نَقيبُ القومِ للذي يعرف أمرهم، مثل العريف.

قوله عزّ وجلّ: ﴿إنَّ في ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شهِيدٌ﴾ .

وقرئت أو أُلقِيَ السمعُ، ومعنى من كان له قلب أي من صرف قلبه إلى التّفَهُّمِ، ألا ترى أن قوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ أنهم لم يستمعوا استماع متفهم مسترشد فجعلوا بمنزلة من لم يسمع كما قال الشاعر:

---

(١) في الطبري ٢٦/٢٩٦، والقرطبي١٧/٢٢. ومجاز أبي عبيدة ٢/٢٢٤. والكامل ١/٣٢٥. وفي الديوان: وقد طوفت.

أَصَـمُّ عـما ساءه سميعُ[1]

ومعنى ﴿أو ألقى السمع﴾ أي استمع ولم يشغل قلبه بغير ما يسمع، والعرب تقول: ألق إليَّ سَمعَك، أي استمع مني، ومعنى وهو شهيدٌ، أي وقَلْبُه فيما يسمعُ[2]، وجاء في التفسير أنه يعنى به أهل الكتاب الذين كانت عندهم صفة النبي ﷺ. فالمعنى على [هذا] التفسير ﴿أو أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شهيدٌ﴾ أن صفة النبي عليه السلام في كتابه.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمْا في سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾.

اللُّغُوب التَّعَب والاعياء، يقال: لَغَبَ يلْغُبُ لُغُوباً. وهذا فيما ذكر أن اليهود ـ لُعِنَتْ ـ قالت: خلق اللّٰه السموات والأرض في ستَّةِ أيامٍ أولُها الأَحَدُ وآخرها الجمعة، واستراح يوم السبت، فأعلم اللّٰه عزّ وجَلّ أنه خلقها في ستة أيام وسبحانه وتعالى أن يوصف بتعب أَوْ نَصَبٍ.

ثم قال: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُروب﴾.

يعني قبل طلوع الشمس صلاة الفجر، وقبل الغُروب صلاةَ العَصْرِ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ صلاة المغرب.

﴿وأَدْبَارَ السُّجُودَ﴾ الركعتان بعد صلاة المغرب على هذا، ويجوز أن يكون الأمر بالتسبيح بعد الفراغ من الصلاة، ويقرأ ﴿ومن الليل فسبحه وأَدبار السُّجودِ﴾ وإدبار السجود، فمن قرأ وأَدْبَارَ بفتح الألف فهو جمع دُبُر، ومن قرأ وإدبَارَ فهو على مصدر أَدْبَرَ يُدْبِرُ إدباراً.

---

(١) تقدم

(٢) انتباهه لما يسمع فقط.

وقوله تعالى:﴿واسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي المُنَـادِ مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ﴾

جاء في التفسير أنه يعنى به أنه ينادى بالحشر من مكـان قريب، وقيـل: هي الصخرة التي في بيت المقدس، ويقال إنها في وسط الأرْضِ.

قوله عزّ وجَلّ:﴿ذَلِكَ يَوْمُ الخُروجِ﴾.

أي يوم يبعثون ويخرجون، ومثله﴿يَوْمَ يَدْعُ الـدَّاعِ إِلىَ شَيءٍ نُكُرٍ، خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأجْدَاثِ﴾[1] والأجـداث القوب وقـال أبو عبيـدة: يوم الخروج من أسماء يوم القيامة، واستشهَدَ بقول العَجَّاجِ[2].

ألَيس يــوم سمي الخــروجــا أعـظَمَ يَـوْمٍ رَجَّــه رَجُـوجَــا

وقوله:﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّـرْ بالقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

هذا كما قال: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾[3] وهذا قبل أن يؤمر النبي ﷺ بالحرب لأن سورة «ق» مكية.

---

(١) سورة ٦، ٧.

(٢) في مجاز أبي عبيدة ٢/٢٢٣، وفي ديوانه ص ١١.

(٣) سورة الغاشية ٢٢.

سورة الذَّاريات
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿والذَّارِيَاتِ ذَرْواً﴾.

جاء في التفسير عن علي رضي اللّه عنه ان الكواء سأله عن ﴿والذَّارِيَاتِ ذَرْواً﴾فقال علي: هي الرياح، قال: ﴿فالْحَامِلاَتِ وِقْراً﴾ قال السَّحابُ، قال: ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً﴾ قال الفلك، قال: ﴿فالمقسمات أمْراً﴾ قال الملائكة.

والمفسرون جميعاً يقولون بقول علي في هذا.

﴿والذَّارِيَاتِ﴾ مجرور على القسم، المعنى أحلف بالذاريات وبهذه الأشياء، والجواب :﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾.

وقال قوم: المعنى وَرَب الذَّارِيَاتِ ذَرْواً كما قال عزّ وجّل: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾[٢]، والذاريات من ذَرَتِ الريح تَذرو إذا فرقت التراب وغيره، يقال: ذرت الريح وأذرت بمعنى وَاحِدٍ، ذرت فهي ذاريةٌ، وهن ذارياتٌ، وأذرت فهي مُذْرِية ومُذْرِياتٌ للجماعة، وذاريات أيضاً، والمعنى ورب الرياح الذاريات، ورب السُّفُن الجاريات، ورب الملائكة المقسمات، إنّ ما توعدون لَصَادِقٌ.

وقوله:﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾.

أي إن المجازاة على أعمالكم لواقعة.

---

(١) سورة الذاريات ٢٣.

وقوله:﴿والسَّمَاءِ ذَاتِ الحُبُكِ. إِنَكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾.

جاء في التفسير أنها ذات الخلق الحسن، وأهل اللغة يقولون ذات الحبك ذات الطرائق الحسنة، والمحبوك في اللغة ما أُجِيدَ عَمَلُهُ وكل ما تراه من الطرائق في الماء وفي الرمل إذا أصابته الريح فهو حبك، وواحدها حِبَاك، مثل مِثَال ومُثُلٍ، وتكون واحدتها أيضاً حبيكة مثل طريقة وطرق.

وقوله:﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ أي في أمر النبي ﷺ.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾. أي يُصرف عنه من صُرِفَ.

وقوله عزّ وجَلّ: ﴿قُتِلَ الخَرَّاصُونَ﴾.

هم الكذابون، تقول: قد تَخَرَّصَ عليَّ فُلانٌ الباطل، ويجوز أن يكون الخرّاصون الذين يتظنون الشيء لا يُحِقُّونه، فيعملون بما لا يدرون صحته.

وقوله عزّ وجَلّ:﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾.

ويجوز إِيَّان بكسر الهمزة وفتحها، أي يقولون متى يوم الجزاء.

وقوله:﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾.

بنصب يوم، ويجوز يَوْمُ هم على النَّار يفتنونَ، فمن نَصَبَ فهو على وجْهَين أحدهما على معنى يقع الجزاء يَوْمَ هُمْ عَلَى النار يُفْتَنُونَ ويجوز أن يكون لفظه لفظَ نَصْبٍ ومعناه معنى رفع، لأنه مضاف إلى جملة كلام، تقول يعجبني يَوْمَ أَنْتَ قَائِمٌ، ويومُ أنت قائمٌ، وَيَوْمُ أَنْتَ تَقُومُ، وإن شئت فتحت وهو في موضع رفع كما قال الشاعر:(١)

لم يمنع الشرب منها غَيْرَ أن نطقت حمامة في غُصُون ذَاتُ أَوْ قَال

وقد رويت غَيْرُ أن نطقت، لما أضاف غير إلى أن وليست بِمُتَمكِّنةٍ فتح، وكذلك لما أضاف يوم إلى ﴿هُمْ عَلَى النَّارِ﴾ فتح، وكما قرئت:﴿ومِنْ

(١) تقدم.

خِزْيِ يَوْمَئِذٍ﴾، ففتحت يوم وهو في موضع خفض لأنك أضفته إلى غير متمكن.

ومعنى ﴿يُفْتَنُونَ﴾ يحرقون وَيُعَذَّبونَ، ومن ذلك يقال للحجارة السود التي كأنها قد أحرقت بالنَّور الفَتِينُ.

وقوله عزّ وجَلّ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. آخِذِينَ مَا آتاهم رَبُّهُمْ﴾.

أعلم عزّ وجَلّ ما لأهل النَّار، ثم أعلم ما لأهل الجنَّة لأنَّهُ لَمَّا قَالَ: ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ أعلم جزاء أهل الجنَّةِ، وجزاء أهل النَّارِ.

وقوله: ﴿آخِذِينَ﴾ نصب على الحال، المعنى إن المتقين في جَنَاتٍ وعيون في حال أَخْذِ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ، ولو كان في غير القرآن لجاز «آخِذُونَ» ولكن المصحَفَ لاَ يُخَالف، ويكون المعنى إن المتّقين آخِذُونَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ في جنات وعُيُونٍ، والوجه الأول أَجْوَدُ في المعنى وعليه القراءة.

وقوله عزّ وجَلّ: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾.

المعنى كانوا يهجعون قليلاً من الليل، أي كانوا ينامون قليلاً مِنَ اللَّيْلِ، ثم أعلم اللَّه عزّ وجَلّ في أي شيء كانَ سَهَرُهُمْ فقال: ﴿وبالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرونَ﴾.

وجائز أن يكون «ما» مُؤَكِّدةٌ لَغْواً، وجائز أن يكون «ما» مع ما بعدها مَصْدراً، يكون المعنى كانوا قليلاً من الليل هجوعهم.

﴿وفي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ للسَّائِل والمَحْرُوم﴾.

﴿المحروم﴾ جاء في التفسير الذي لا ينمو له مال، والأكثر في اللغة لا ينمى له مال، وجاء أيضاً أنه المجازف الذي لا يكاد يكتسب.

قوله: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إنَّه لَحَقٌّ﴾.

أي إن ما أتى به النبي [ﷺ] حق وإن قوله:﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ حَقٌّ.

فالمعنى أن هذا الذي ذكرنا في أمر الآيات والرِّزْقِ وأمر النبي ﷺ حق ﴿مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾

وقرئت مِثْلُ ما أنكم تنطقونَ، وهذا كما تقول في الكلام: إنَّ هذا لحقٌّ كما أنك متكلمٌ، فمن رفع «مثل» فهي من صفة الحق، المعنى إنه لحق مِثْلُ نُطْقِكُمْ، ومن نصب فعلى ضربين أحدهما أن يكون في موضع رفع إلاّ أنه لما أضيف إلى «أنَّ» فتح، ويجوز أن يكونَ منصوباً على التوكيد، على معنى إنه لحقٌّ حَقًّا مثل نطقكم.

وقوله:﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾.

جاء في التفسير أنه لما أَتَتْهُ الملائكةُ أكرمهم بالعِجل، وقيل: أكرمهم بأنه خَدَمَهُمْ، صلوات اللَّه عليه وعليهم.

﴿فَقَالُوا سَلَاماً﴾ قَالَ سِلْمٌ.

وقرئت: ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾. فنصب الأولى على معنى السَلامُ عليكم سَلاماً، وسلمنا عليك سلاما، ومن قرأ،﴿قَالَ سَلَامٌ﴾فهو على وجهين على معنى قال سَلامٌ عليكم، ويجوز أن يكون على معنى أمرنا سَلامٌ. ومن قرأ سِلْمٌ فالمعنى قال سلم أي أمري سِلْمٌ، وأمرنا سِلْمٌ، أي لا بَأْس علينا.

وقوله: ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾.

رفعه على معنى أنتم قوم منكرونَ.

﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فجاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾.

معنى ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ﴾ عدل إِلَيْهِمْ من حيث لا يعلمون لأيِّ شيء عَدَل،

وكذلك يَقُولُ: راغ فلان عنا إذا عدل عنهم من حيث لا يعلمون.

وقوله: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾.

المعنى فقربه إليهم ليأكلوا منه فلم يأكلوا، قال ألا تـأكُلُونَ على النكير، أي أمركم في ترك الأكل مما أنْكِرُه.

وقوله: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ﴾.

معنى «أَوْجَسَ» وقع في نَفْسِه الخوفُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وبشَّروهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾ معنى «عليم» أنه يبلغ وَيَعْلَمَ.

وقوله: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرأَتُه في صَرَّةٍ﴾ والصرَّةُ شدة الصياحِ ههنا ﴿فصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ أي لطمت وَجْهَهَا.

﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾.

المعنى وقالت أَنَا عَجُوزٌ عَقِيمٌ، وكيف ألِدُ. ودليل ذلك قوله في موضع آخر: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذا بَعْلِي شَيخاً﴾[1].

﴿قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾.

أي كما قلنا لك قال ربـك، أي إنما نخبـرك عن اللَّه - عزّ وجَلّ - واللَّه حكيمٌ عَلِيمٌ، يقدر أن يجعل العقيم ولوداً، والعجوز كذلك. فعلم إبراهيم أنهم رسل وأنهم ملائكة.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّها المُرْسَلُونَ﴾ أي ما شأنكم وفيم أرْسِلْتُمْ.

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ، لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ طِينٍ﴾.

أي إنا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ لنهلكهم بِكُفْرِهَمْ.

﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾.

---

(١) سورة هود /٧٢.

أي مَعَلَّمَـة على كل حجـر منها اسم من جعـل إِهْلاَكُـه به، والمسَـوَّمَـة المعلَّمَةُ أُخِذَ من السُّومَةِ وهي العَلاَمة.

وقوله:﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ العَذَابَ الأَلِيمَ﴾.

أي تركنا في مدينة قوم لوط علامة للخائفين تَدُلُّهُمْ عَلَى أَنَّ اللَّه أهلكهم لينكل غيرهم عن فعلهم.

وقوله:﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إلى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾.

هذا عطف على قوله: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِنَ﴾ وعلى قوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ العَذَابَ الأَلِيمَ﴾.

وقوله: ﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾، أي بحجة واضحة.

﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ﴾: أي تولى بما كان يتقوَّى به من جُنْدِهِ ومُلكِهِ.

﴿وَقَالَ سَاحِرٌ أَو مَجْنُونٌ﴾:

المعنى وقال هذا ساحر أو مجنونٌ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي اليَمِّ﴾.

﴿فَأَخَذْنَاهُ﴾ وركنه الذي يتقوى به ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ في اليمّ﴾، واليمُّ البحر.

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي اللائمة لازمة له، أي ليس ذلك الذي فعل به بكفارة له.

والمُلِيمُ في اللغة الذي يأتي بما يجب أن يلام عليه، ومعنى نبذناهم ألقيناهم، وكل شيء ألقيته تقول فيه قد نبذته، ومن ذلك نبذت النبيذ، ومن ذلك تقول للملقوط منبوذ لأنه قد رُمِيَ به.

وقوله: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ﴾.

أي وفي عادٍ أيضاً آيةٌ على ما شرحنا في قوله: ﴿وَفِي مُوسَى﴾ والريح العقيم التي لا يكون معها لَقْحٌ، أي لا تأتي بمطر، وإنما هي ريح الإهلاك.

﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾.

والرميم الورق الجاف المتحطم، مثل الهشيم، كما قال: ﴿كَهَشِيم الْمُحْتَظِرِ﴾[1].

﴿وفي ثمود﴾ أي وفي ثمود أيضاً آيةٌ.

وقوله: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ﴾.

قرئت وقومِ نوحٍ ـ بالخفض ـ وقومَ نوحٍ ـ بالنصب ـ فمن خفض فالمعنى في قوم نوح، ومن نصب فهو عطف على معنى قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرونَ﴾.

ومعنى أخذتهم الصاعقة أهلكناهم، فالمعنى فأهلكناهم وأهلكنا قوم نوح من قبل، والأحسن واللّه أعلم أن يكون محمولاً على قوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَه فنبذناهم في اليَمِّ﴾، لأن المعنى فأغرقناه وجنوده وأغرقنا قوم نوح من قبل.

والسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ: أي بقُوَّةٍ.

﴿وإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾: جعلنا بينها وبين الأرض سعة.

﴿وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾.

عطف على ما قبله مَنْصُوبٌ بفعل مضمر، المعنى وفرشنا الأَرْضَ فرشناها.

ومعنى ﴿فَنِعْمَ المَاهِدُونَ﴾ نحن، ولكن اللفظ بقوله فرشناها يدُل على المضمر المحذوف.

وقوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾.

المعنى ـ واللّه أعلم ـ على الحيوان لأن الذكر والأنثى يقال لهما زَوْجَانِ ومثله ﴿وأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأُنْثَى﴾[2]، ويجوز أن يكون الزوجان من كل

---

(١) سورة القمر / ٣١. (٢) سورة والنجم / ٤٥.

شيء، ويكون المعنى في كل شيء في الحيوان الذكر والأنثى ويكون في غيره صِنفان أصل كل حيوان ومَوَاتٍ، واللَّه أعلم.

وقوله عزّ وجَلّ: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾.

المعنى ففروا إلى اللَّه من الشرك باللَّه ومن مَعَاصِيه إليه.

﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾، أي أنذركم عذابه وعقابه.

وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلٰهاً آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ، كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ﴾.

المعنى الأمر كذلك، أي كما فعل من قبلهم في تَكذيبِ الرُّسُلِ.

﴿إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.

أي إلا قالوا هذا ساحر، ارتفع ساحر بإضمار هو.

وقوله: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾.

معناه أوصى أولهم آخرهم، وهذه ألف التوبيخ وألف الاستفهام.

وقوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾.

أي لا لوم عليك إذا أديت الرِّسَالةَ.

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المؤمِنِينَ﴾.

أي ذكرهم بأيام اللَّه وعذابه وعقابه ورحمته.

قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

اللَّه ـ عزّ وَجَلّ ـ قد علم من قبل أن يَخْلُقَ الجنَّ والإِنسَ من يعبده مِمَّنْ يكفر به، فلو كان إنما خلقهم ليجبرهم على عِبَادَتِه لكانوا كلهم عباداً مؤمنين ولم يكن منهم ضُلَّال كافِرونَ، فالمعنى. وما خلَقت الجنَّ والإِنس إلا لأدعوهم إلى عِبَادَتِي، وأَنَا مُرِيدٌ العِبَادَةَ مِنْهُمْ، يعني من أهلها.

﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾.

أي ما أريد أن يرزقوا أحَداً من عبادي، وما أريد أن يطعموه[1] لأني أنا الرزاقُ المطعِمُ.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾.

والقراءة الرفْعُ وهو في العربية أحسن بكون رفع المتين صفة لِلَّهِ عزّ وجَلّ، ومن قرأ ذو القوةِ المتينِ ـ بالخفض ـ جعل المتين صفة للقوة لأن تأنيث القوة كتأنيث الموعظة، كما قال: ﴿فمن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ﴾ المعنى فمن جاءه وَعظٌ.

ومعنى ﴿ذُو القُوَّةِ المتين﴾ ذو الاقْتِدَاءِ الشديد.

وقوله: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوباً مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾.

الذَّنُوب في اللغة النصيب والدلو يقال لها الذنوب، المعنى فإن للذين ظلموا نصيباً من العذاب مثلَ نَصيبِ أَصْحَابِهم الذين أهلكوا نحو عاد وثمود وقوم لوط.

﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾، أي إن أُخِّرُوا إلى يَوْمِ القيامَةِ.

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾، أي من يوم القيامة.

---

(١) الأولى أن يكون التقدير: ما أريد أن يطعموني، وذلك لوجود نون الوقاية في «يطعمون».

سُورَةُ وَالطُّورِ
مكيــة

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

قوله: ﴿والطُّورِ﴾.

قسم، والطور الجبل، وجاء في التفسير أنـه الجبل الـذي كَلَّمَ اللّٰه عليه موسى عليه السلام.

﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ. في رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾.

الكتاب ههنا ما أثبت على بني آدم من أعمالهم.

﴿والْبَيْتِ المَعْمُورِ﴾.

في التفسير أنه بيت في السماء بإزاء الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم يخرجون منه وَلاَ يَعُودُونَ إليه.

وقوله:﴿إنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾.

جواب القسم، أي وهذه الأشيـاء إن عذاب ربـك... وجائـز أن يكون المعنى ـ واللّٰه أعلم ـ ورب هذه الأشياء ﴿إنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لواقع﴾.

وقوله:﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً﴾.

﴿تمور﴾ تدور، و «يوم» منصوبٌ بقوله ﴿إنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾، أي لواقع يوم القيامة.

فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِين، والويل كلمة يقولها العرب لكل من وقع في هلكة.

قوله:﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾.

أي يشاغلهم بكفرهم لعب عاقِبَتُه العذاب.

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾.

أي يوم يزعجون إليها ازعاجاً شديداً، ويدفعون دفعاً عنيفاً، ومن هذا قوله: ﴿الذِي يَدُعُّ اليَتِيمَ﴾، أي يدفعه عما يجب له.

وقوله:﴿هَذِهِ النَّارُ التي كُنْتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

المعنى فيقال لهم:﴿هذه النار التي كنتم بها تكذبون﴾.

﴿والبَحْرِ المَسْجُورِ﴾.

جاء في التفسير أن البحر يسجر فيكون نارجهنم، وأما أهل اللغة فقالوا: البحر المسجور المملوء. وأنشدوا:(١)

إذا شاء طالع مسجورة ترى حولها النبع والسَّاسَمَا

يعني ترى حولها عيناً مملوءة بالماء.

وقوله عز وجل:﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾.

لفظ هذه ألألف لفظ الاستفهام، ومعناها ههنا التوبيخ والتقريع أي أتصدقون الآن أن عذاب اللّه لواقع.

وقوله عز وجل: ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُم﴾ سواء مرفوع بالابتداء، والخبر محذوف، المعنى سواء عليكم الصبر والجزع.

(١) للنمر بن تولب. وهو في الخزانة ٤/٤٣٤، والشنتمرى ١/١٣٥، والعيني ١/٥٧٥، وشواهد المغني ٦٥. يقول في الابيات السابقة: لو كان لمخلوق أن ينجو من الموت لكان الوعل الأعصم، لأن أمه تلده في مضلة لا يهتدى إليها إذا شاء طالع مسجورة: أي مملوءة بالماء تحيط بها هذه الاشجار ـ من النبع وهو شجر قوي تصنع منه القسي، والساسم هو الآبنوس.

﴿إنَّما تُجزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

معنى إنما ههنا ما تجزون إلَّا ما كنتم تعملون، أي الأمر جارٍ عليكم على العدل، ما جوزيتم إلّا أعمالكم.

وقوله :﴿إنَّ المتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ . فاكِهينَ بِمَا آتاهُمْ رَبُّهُمْ﴾.

وفاكِهين جميعاً، والنصب على الحال، ومعنى ﴿فاكهين بما آتاهم رَبُّهُمْ﴾ أي معجبين بما آتاهم رَبُّهُمْ

﴿وَوَقاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الجَحِيمَ﴾.

أي غفر لهم ذنوبهم التي توَجِبُ النَّار بإسلامهم وتوبتهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كُلُوا واشْرَبوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾،

المعنى: يقال لهم ﴿كلوا واشربوا هنيئاً﴾. وهنيئاً منصوب وهو صفة في موضع المصدر، المعنى كلوا واشربوا هُنِّئْتُمْ هَنيئاً وليهنكم ما صرتم إليه.

وقوله :﴿يَتَنَازَعُونَ فِيها كَأْساً لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تأثِيمٌ﴾.

معنى ﴿يتنازعون﴾ يتعاطون فيها كأساً، يُتَناول هذا الكأس من يد هذا وهذا من يد هذا، وقوله :﴿لَا لَغْوٌ فِيها ولا تأثيم﴾، معناه لا يجري بينهم ما يُلْغَى، أي لا يجري بينهم باطل ولا ما فيه إثم كما يجري في الدنيا لِشَرَبَةِ الخمر، والكأسُ في اللُّغة الإِنَاءُ المملوء، فإذا كان فارغاً فليس بكأس. وتقرأ: لا لغوَ فيها ولا تَأثِيمَ. بالنَّصْبِ، فمن رفع فعلى ضربين، على الرفع بالابتداء، و «فِيْهَا» هو الخبر، وعلى أن يكون «لا» في مذهب «ليس» رافعة.

أنشد سيبويه وغيره[1]:

مَن صدَّ عن نِيرَانِها فَأَنَا ابنُ قَيْسٍ لَا براحُ

(١) تقدم

ومن نصب فعلى النّفْي والتبرية كما قال في قـوله: لا ريب فيـهِ، إلا أن الاختيارَ عند النحويين إذا كرِّرَتْ «لا» في هـذا الموضـع الرفـع، والنَّصْبُ عند جميعهم جائز حَسَنٌ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ. قالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾.

الكلام ـ واللَّه أعلم ـ يدل ههنـا أنهم يتساءلـون في الجنة عن أحـوالهم [التي] كانت في الدنيا، كان بعضهم يقولُ لبعضٍ: بم صرت إلى هذه المنزلة الرفيعة، وفي الكلام دليل على ذلك وهو قوله في جواب المسألة: ﴿إِنَّا كُنّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾.

أي مشفقين من المصير إلى عذاب اللَّه عـزّ وجَلّ، فعملنـا بطَاعَتِـه، ثم قرنوا الجوابَ مع ذلك بالإخلاص والتوحيد بقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُـوهُ إِنَّهُ هُوَ البرُّ الرَّحِيمُ﴾.

أي نُوَحِّدُه ولا ندعو إلٰهاً غيره.

﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾، أي عذاب سموم جهنم.

وقوله: عزّ وجلّ: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلاَ مَجْنُونٍ﴾.

أي ذكـرهم بما أعتَدْنَـا للمتَّقِينَ المؤمنين والضـلال للكافِرين، فما أنت بنعمة رَبِّك بكـاهن ولا مجنون أي لست تقـول ما تَقُولُـه كهـانَةً، ولا تنـطق إلَّا بَوَحْيٍ من اللَّه عزّ وَجَلّ.

وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُونِ﴾.

﴿رَيْبَ المَنُونِ﴾ حوادث الدهر.

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ المُتَرَبِّصِينَ﴾.

فجاء في التفسير أن هؤلاء الذين قالوا هذا ـ وكان فيهم أبو جهل ـ هلكوا كلهم قبل وفاة رسول اللّه ﷺ.

وقوله:﴿أَمْ تَأْمُرُهُم أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا﴾.

أي أتأمرهم أَحْلَامُهُم بترك القبول ممن يدعوهم إلى التوحيد وتأتيهم على ذلك بالدلائل، ويعملون أحْجَاراً ويعبدونها.

﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾.

أي أم هم يكفرون طغياناً وقد ظهر لهم الحق.

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾.

أي إذا قالوا أن النبي ﷺ تقوله فقد زعموا أنه من قول البشر، فليَقُولُوا مثلَهُ فما رام أَحَدٌ مِنهم أن يقول مثل عَشْرِ سُور ولا مثل سورةٍ.

وقوله:﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ﴾.

معناه بل أَخُلِقُوا من غير شيء، وفي هذه الآية قولان، وهي مِنْ أَصْعَب ما في هذه السورة. قال بعض أهل اللغة: ليس هم بأشد خلقاً من خلق السموات والأرض، لأن السموات والأرض خُلِقَتَا من غير شيء، وهم خُلِقُوا من آدم وآدم من تراب.

وقيل فيها قول آخر، ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيرِ شَيءٍ﴾ أم خُلِقُوا لِغَيْر شيءٍ أي خلقوا باطِلاً لا يحاسبون ولا يؤمرون ولا يَنْهَوْنَ.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا واتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّاتُهُمْ بإيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتَهُمْ﴾.

وقرئت ﴿أَلحقنا بهم ذُرِّيَاتِهِمْ﴾، وقرئت «واتبعتم ذُرِّيَّاتُهِمْ» وكلا الوجهين جائز، الذُّرِّية تقع على الجماعة، والذُّرِّيَّات جَمعٌ، وذُرِّيَّة على التوحيد أكثر.

وتأويل الآية أن الأبناء إذا كانوا مؤمنين، وكانت مراتب آبائهم في الجنة

أعلى من مراتبهم أُلحق الأبناء بالآباء، ولم ينْقص الآباء من عملهم شيئاً، وكذلك إن كان عَمَلُ الآبَاء أنقص، أُلْحِقَ الآبَاءُ بالأبْنَاءِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا أَلَتْناهم مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيءٍ﴾.

معناه ما أنْقَصْنَاهم، يقال أَلَتَه يَأْلِتُهُ أَلْتاً إِذَا نَقَصَهُ، قال الشاعِرْ[1]

أبلغ بني ثُعَلٍ عَنِّي مُغَلْغَلَةً ... جهد الرسالة لا أَلْتاً وَلَا كَذِباً

ويقال لأته يليتهُ لَيْتاً إذا نَقَصَهُ وصرفَهُ عن الشيء، قال الشاعر[2]:

ولَيلةٍ ذات نَدًى سَرَيْتُ ... وَلَم يَلِتْني عن هواها ليتُ

وقوله عزّ وجَلّ: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ المُصَيْطِرُونَ﴾ المصيطرون الأرباب المتسَلِّطُونَ، يقال: قد سيطر علينا وتسيطر. بالسين والصّاد، والأصل السين، وكل سين بعدها طاء يجوز أن تقلب صاداً، تقول: سيطر وصيطر، وسطا وصَطا.

وتفسير ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾، أي عندهم ما في خزائن ربك من العلم، وقيل - في «خزائن ربك» أي رزق ربك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾.

وقال أهل اللغة: معنى يستمعون فيه، يستمعون عليه ومثله: ﴿لأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[3] أي على جذوع النخل.

﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾.

---

(١) للحطيئة - انظر مجاز أبي عبيدة ٢/٢٢١، واللسان (ألت) ومعاني الفراء ٩١ جـ٣ - في الآية نفسها.

(٢) أورده أبو عبيدة في مجازه ٢/٢٢١ منسوباً لرؤبة، وهو في معاني الفراء ٩١ جـ٣ غير منسوب، وانظر القرطبي ١٦/٣٤٩.

(٣) سورة طه الآية ٧١.

أي بحجـة واضحة، والمعنى ـ واللَّه أعلم ـ أنهم كجبـريل الـذي يـأتي النبي ﷺ بالوحي ويبين تبيينه عن اللَّه، ما كـان وما يكـون. ثم سفر أحـلامهم في جعلهم البنات للَّه فقال:

﴿أَمْ لَهُ البَنَاتُ وَلَكُم البَنُونَ﴾.

أي أنتم يجعلون للَّه ما تكرهون وأنتم حكماء عند أنفسكم.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾.

المعنى أن الحجـة واجبـة عليهم من كـل جهـة، لأنـك أتيتهم بـالبيـان والبرهان ولم تسألهم على ذلك أجراً.

وقوله جـلّ وعلاّ:﴿أَمْ يُـرِيدُونَ كَيْـداً فَالَّـذِينَ كَفَرُوا هُمُ المكِيدُونَ﴾.

أي أم يريدون بكفرهم وطغيانهم كيداً. فاللَّه عزّ وجلّ يكيدهم ويجزيهم بكيدهم العذاب في الدنيا والآخرة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيرُ اللَّهِ﴾.

المعنى بـل أَلَهُمْ إلـهٌ غيـر اللَّه. فـإن قـال قـائـل: هم يـزعمـون أَنَّ الأصنـام آلهتهم، فكيف قيـل لهم: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلـهٌ غَيـرُ اللَّهِ﴾ فـالجـواب في ذلـك أَلَهُمْ إلَهٌ غيـر اللَّه يخلق ويرْزُق ويفعـل ما يعجـز عنه المخلوقـون، فمن يفعل ذلك إلا اللَّه عـزّ وجلّ، ثم نَـزَّهَ نفسه عـزّ وجلّ فقـال:﴿سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّـا يُشْرِكُونَ﴾.

جاء في التفسير وفي اللغة أن معناه تنـزيه اللَّهِ عمَّـا يشركـون، أي عمن يجعلون شريكاً للَّه عزّ وجلّ.

وقوله:﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّماءِ سَاقِـطاً يَقُولُـوا سَحابٌ مَرْكُومٌ﴾ أي وإن يروا قطعة من العذاب يقـولوا لشـدة طغيانهم وكفـرهم: هذا سحـاب مركـوم، ومركوم قـد ركم بعضه على بعض، وهـذا في قوم من أئمـة الكفر وهم الـذين

قال اللّه ـ عزّ وجلّ ـ فيهم: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِن السَّمَاءِ فَظَلُّوا فيه يَعْـرُجُونَ لَقَالُوا إنما سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا، بَلْ نَحْنُ قَوْمٌمَسْحُورُونَ﴾[1] فأعلم اللّه عـزّ وجَلّ أَنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَعْتَبِرُونَ وَلَا يوقِنُونَ ولا يؤمنون بأبْهَرِ ما يكون من الآيات.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يَصْعَقُونَ﴾.

وقرئت: ﴿يُصْعَقُـونَ﴾، أي فذرهم إلى يوم القيامـةِ، ثم أعلم أنـه يعجل لهم العذاب في الدنيا فقال:

﴿وَإِنَّ لِلَّذينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

المعنى وإن للذين ظلمـوا عذابـاً دون عـذاب الآخـرة، يعني من القتـل والأسر وسبي الذَّرَارِي الَّذِي نزل بهم، وأعلم اللّه ـ عزّ وجلّ ـ أنه ناصِـرٌ دينه ومهلك من عادى نبيه، ثم أمره بالصبر إلى أن يقع العذاب بهم فقال:

﴿واصْبِرْ لِحكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾.

أي فـإنك بحيث نـراك ونحفظك ونـرعـاك، ولا يصلون إلى مكـروهك.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾.

أي حين تقوم من منامك، وقيل حين تقوم في صلاتك، وهو ما يُقَالُ مع التكبير: سبحانك اللهم وبحمدك.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾.

وقرئت «وأَدْبَارَ النجـومِ»، فمن قرأ إدبـار بالكسـر فعلى المصدر أَدْبَـرْتُ إِدْباراً، ومن قرأ أدبار بالفتح فهو جمع دبر. وأجمعوا في التفسير أن معنى أَدْبَارَ السُّجُود، معناه صلاة الركعتين بعـد المغرب، وأن إدبـار النجوم صـلاة ركعتي الغداة[2].

---

(١) سورة الحجر الآية ١٤ ـ ١٥.

(٢) معنى التسبيح في هذا الوقت هو الصلاة.

سورة والنجم[١]

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾.

أقسم اللّه ـ عزّ وجَلّ ـ بالنجم.

وقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾، جَوَابُ القسم.

وجاء في التفسير أن النجم الثُّرَيَّا، وكذلك يسميها العَرَبُ، وجاء أيضاً في التفسير أن النجم نزول القرآن نَجماً بعد نجم، وكان ينزل منه الآية والآيتان، وكان بين أول نزوله إلى استتمامه عشرون سنةً، وقال بعض أهل اللغة: النجم بمعنى النجوم وأنشدوا[٢].

فظلت تعد النجم في مُسْتَحِيرَةٍ   سريع بأيدي الآكلين جمودها

يصف قِدْراً كثيرة الدسم، ومعنى تعد النجم أي من صفاء دسمها ترى النجوم فيه، والمستحيرة القدر، فقال يجمد على الأيدي الدَّسَمَ مِنْ كَثْرتِه وقالوا مثله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾[٣].

ومعنى: ﴿إِذَا هَوَى﴾، إذا سقط، وإذا كان معناه نزول القرآن فالمعنى في «إِذَا أَهَوَى»، إذَا نزل.

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) للراعي. انظر اللسان (نجم)، وشواهد الكشاف، وأورده أبو عبيدة في مجازه ٢/٢٣٥، «وباتت تعد النجم» وكذلك الطبري ٢٧/٢٢ والقرطبي ١٧/٨٢.

(٣) سورة الواقعة / ٧٥.

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾: يعني النبي [ﷺ].

وقوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى﴾، أي ما الذي يأتيكم به مِمَّا قَاله بهَواه.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.

«إن» بمعنى «ما»، المعنى: ما هو إلا وحي.

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى﴾، يعني به جبريل عليه السلام.

وقوله: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾.

﴿ذو مِرَّةٍ﴾ من نعت قوله ﴿شديد القُوَى﴾، والمرَّةُ القوَّة، ﴿عَلَّمَـهُ﴾ علم لنبي ﷺ.

وقوله: ﴿ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى ﴾.

قال بعض أهل اللغـة: «هو» ههنـا يعنى به النبي عليـه السلام، المعنى فاستوى جبريل والنبي ﷺ بـالأفق الأعلى، وهذا عنـد أهل اللغـة لا يجوز مثله إلا في الشعر إلا أن يكون مثل قولك: استويت أنا وزيدٌ، ويستقبحون استويت وزيدٌ، وإنما المعنى استوى جبريل وهو بـالأفق الأعلى على صورته الحقيقية، لأنه كان يتمثل للنبي ﷺ إذا هبط عليه بالوحي في صورة رجلٍ، فأحبَّ رسول اللَّه أن يراه على حقيقته فاستوى في أفق المشرق فملأ الأفق. فالمعنى ـ واللَّه أعلم ـ فاستوى جبريل في الأفق الأعلى على صورته.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾.

ومعنى ﴿دَنَا وَتَدَلَّى﴾ واحد، لأن المعنى أنه قَرُبَ، وتدلى زَادَ في القرب، كما تقول: قد دنا فلان مني وقرب، ولو قلت: قد قُرُبَ مني ودنا جاز.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾.

المعنى كان ما بينه وبين رسول اللَّه مقدار قوسين مِنَ القَسِيِّ العربيَّةِ أو أقرب. وهذا الموضع يحتاج إلى شرح لأن القائل قد يقول: ليس تَخْلُو «أو» من أن تكون للشك أو لغير الشك، فإن كانت للشك فمحال أن يكون موضع شك، وإن كان معناها بل أدنى، بل أَقْرَبُ فما كانت الحاجة إلى أن يقول: ﴿ فكان قاب قَوْسَيْنِ﴾: ـ كان ينبغي أن يكون كان أدنى من قاب قَوسَيْنْ.

والجواب في هذا ـ واللَّه أعلم ـ أن العباد خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وقيل لهم في هذا ما يقال للذي يحزر، فالمعنى فكان على ما تُقَدِّرونَه أنتم قدر قوسين أو أقل من ذلك، كما تقول في الذي تقدره: هذا قدر رُمْحَينِ أو أنقص من رُمْحَين أو أرجح. وقد مر مثل هذا في قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[1].

﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾، أي فأوحى جبريل إلى النبي عليه السلام ما أوحى.

قوله:﴿مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى﴾.

وقرئت: ﴿ما كذّب الفؤاد ما رأى﴾ بتشديد الذّال.

وقوله:﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّه الكُبْرَى﴾.

جاء في التفسير أن النبي ﷺ رأى رَبَّهُ ـ عزّ وجلّ ـ بقلبه، وأنه فَضْلُ خُصَّ به كما خُصَّ إبراهيم عليه السلام بِالخُلَّةِ[2]. وقيل رأى أَمْراً عظيماً، وتفسيره﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ :﴿أَفَتَمْرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾.

---

(١) سورة الصافات /١٤٧.

(٢) أي اتخذه الله خليلاً.

و ﴿أفَتُمارُونَه﴾ وقرئت بالوجهين جميعاً، فمن قـرأ ﴿أَفَتَمرونَـهُ﴾ فالمعنى أفَتَجْحَـدونَهُ، ومن قـرأ ﴿أَفَتُمارُونَـه﴾ فمعناه أتجـادولنه في أنـه رأى اللَّه ـ عـزّ وجلّ ـ بقلبه، وأنه رأى الكبرى من آياته.

وقوله تعالى:﴿مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى﴾.

أي ما زاغ بصر رسـول اللَّه ﷺ وَمَا طَغَى، ما عدل وَلاَ جَـاوَزَ القصْدَ في رؤيته جبريل قد ملأ الأُفُقَ.

وقوله تعالى :﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَـةً أُخْرَى. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى.

أي رآه مرة أخرى عند سدرة المنتهى.

﴿عِنْـدَهَا جَنَّةُ المَأْوَى﴾.

جـاء في التفسير أنهـا جنة تصيـر إليها أرواح الشهـداء، فلما قصَّ هـذه الأقاصيص، وأعلم ـ عزّ وجلّ ـ كيف قصه جبـريل، وأن النبي ﷺ يـأتيه ذلـك من عند اللَّه الذي ليس كمثله شيء قيل لهم:

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾.

كأن المعنى ـ واللَّه أعلم ـ أخبرونا عن هذه الآلهـة التي لكم تعبدونها من دون اللَّه ـ عـزّ وجلّ ـ هل لها من هـذه القـدرة والعـظمـة التي وصف بهـا رب العزة ـ جلّ وعزّ ـ شيء.

وجـاء في التفسيـر أن الـلاَّت صَنَمٌ كـان لثقيف يعبـدونـه، وأن العُـزَّى سَمُرةٌ، وهي شجرة كانت لغطفـانَ يعبدونهـا، وأن مناة صخـرة كانت لِهُـذَيْلٍ وخزاعة يعبدونها من دون اللَّه، فقيل لهم أخبرونا عن هذه الآلهـة التي تَعْبدُونَهـا وتعبدون معها الملائكة، تزعمون أن الملائكة وهـذه بنات اللَّه، فـوبَّخَهُمْ اللَّه فقال: أرأيتم هذه الأناث أَلِلَّهِ هي وأنتم تَخْتَارُونُ الذُّكْرَانَ.

وذلك قوله:﴿أَلَكُمُ الذَكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى﴾.

ومن قرأ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَّ والعُزَّى﴾ بتشديد التاء فزعموا أن رَجُلاً كان يَلِتَّ السَّويق وَيَبيعُهُ عند ذلك الصنم فسمي الصنمُ اللاَّتُّ ـ بتشديد التاء ـ والأكثر «اللاَّتَ» بتخفيف التاء. وكان الكسائي يقف عليها بالهاء، يقول «اللاه» وهذا قياس والأجود في هذا اتباع المصحف والوقف عليها بالتاء. وقرئت عندها جَنَّةُ المأوى ـ بالهاء[1] ـ والأجود جَنَّةُ المَأْوَى، لأنه جاء في التفسير كما ذكرنا أنه يحل فيها أرواح الشهداء.

وقوله عزّ وجَلّ: ﴿تَلك إِذَنْ قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾.

أي جَعْلكم للَّه البنات ولكم البنين، والضيزى في كلام العرب الناقصة الجائِرةُ، يقال: ضازه يضيزه إذا نقصه حَقَّه، ويقال ضأزه يضأزه ـ بالهمز ـ وأجمع النحويُّونَ أن أصل ضيزى ضوزى وحُجَّتُهُمْ أنها نقلت من فُعْلَى إلى فِعْلَى أي من ضوزى إلى ضيزى لتسلم الياء، كما قالوا أبيض وبيضٌ، فهو مثل احْمر وحُمْر، وأصله بُيْضٌ فنقلت الضمة إلى الكسرة.

وقرأت على بعض العلماء باللغة في ضيزى لُغَات قَالَ: يقال: ضيزى وضُوزَى وضؤزى بالهمز، وضَأزى على فَعلى مفتوحة. ولا يجوز من هذا في القرآن إلَّا مَا قرئَ به وهو ضيزى بالياء غير مهموز. وإنما لم يقل النحويون إنها على أصلها لأنهم لا يعرفون في الكلام فُعْلَى صفةً، إنما يعرفون الصفات على فعلى بالفتح نحو سكرى وغَضْبىَ، أو بالضّم نحو حبلى والفُضْلَى. وكذلك قالوا مشية حيكي، وهي مشية يحبك فيها صاحبها، يقال: حاكَ يحيك إذا تبختر، فحيكى عِنْدَهُم فُعْلَى أيضاً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ في السَّموَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً﴾.

جا ﴿شفاعتهم﴾ واللفظ لفظ واحد، ولو قيل شفاعته لجاز ولكن المعنى

---

(١) أي: المهوى.

معنى جماعة، لأن «كَمْ» سؤال عن عَدَدٍ وإخبار بِعَـدَدٍ كثير، لأن «رُبَّ» لِلْقِلَّةِ و «كم» للكثرة، ومعنى شفاعتهم ههنا يفسرها قوله ـ عزّ وجلّ ـ :﴿الَّذِين يَحْمِلونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ ـ إلى قولـه: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُـلَّ شَيْءٍ رَحْمةً وَعِلْمـاً فَاغْفِـرْ لِلَّذِينَ تَابُوا واتَّبَعُوا سَـبِيلَكَ﴾ ـ إلى قوله: ﴿وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾[1].

فأعلم اللّه ـ عزّ وجلّ، أنَّهُمْ لاَ يَشْفَعُون إلاَّ لمن ارْتَضى.

فهذا تأويل قولـه ﴿لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئـاً إلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَـأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾.

وقوله عزّ وجَلّ:﴿إِنَّ الَّـذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِـالآخِرَةِ لَيُسَمُّـونَ المَلاَئِكَـةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى، وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾.

أي يقولون إن الملائكة بنات اللّه عزّ وجلّ.

وقوله:﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾.

لأنه وَصَفَهُمْ بأنهم لا يريدونَ إلاَّ الحياة الدنيا فقال:﴿فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إلاَّ الحَيَاةَالدُّنْيا. ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾.

إنّما يعلمون ما يحتاجون إليه في مَعَـاشِهِم، فقد نبـذوا أمر الآخـرة وراء ظهورهم.

وقوله عزّوَجَلّ: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ والْفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ﴾.

قيل إن اللمم نحو القُبلة والنظرة وما أشبـه ذلك، وقيـل إلا اللمم إلاَّ أن يكون العبد قد ألم بفاحشة ثم تاب.

وقوله عزّ وجلّ:﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ المَغْفِرَةِ﴾.

يدل هذا على أن اللمم هوَ أن يَكونَ الإِنْسانُ قد ألم بالمعصية ولم يُصِرّ ولم يُقِمْ على ذلك، وإنّما الإلمَامُ في اللغة يوجب أنك تـأتي الشيء الوقت ولا تقيم

(١) سورة غافر /٧ ـ ٩.

عليه، فهذا ـ والله أعلم ـ معنى اللمم في هذا الموضع.

وقوله عزّ وجلّ ـ ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى، وأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى﴾.

معنى «أكدى» قطع، وأصله من الحفر في البئر يقال للحافر إذا حَفَر البئر فبلغ إلى حَجَرٍ لا يمكنه معه الحفر: قد بلغ إلى الكدية، فعند ذلك يقطع الحفر.

وقوله: ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾.

معناه فهو يعلم والرؤية على ضربين، أحَدُهُمَا «رَأَيْتُ» أَبْصَرتُ والآخر عَلِمْتُ، كما تقول: رأيت زيداً أَخَاكَ وَصَدِيقَكَ مَعْنَاهُ عَلِمْتُ. ألا تَرَى أَنَّ المَكفُوفَ يقول: رأيت زيداً عَاقِلاً، فلو كان من رؤية العَيْنِ لم يجز.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى، وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ أي قضى، يقال إن إبراهيم ﷺ وَفَّى مَا أُمِرَ به، وما امْتُحِنَ به من ذبح وَلدِه، فعزم على ذلك حتى فداه الله بالذبح وامْتُحِن بالصبر على عداوة قومه حين أُجِّجَتْ له النار فطُرِحَ فيها، وَأُمِرَ أيضاً بالاختتانِ فاختتن، وقيل وفَّى وهي أبلغ من وَفَى لأن الذي امتُحِنَ به من أعظم المِحَنِ، ومعنى ﴿أَمْ لَمْ يَنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَهِيمَ﴾ أي أم لم يخبر، ثم أعلم ما في الصحف.

ومَوْضعُ ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ خَفْضٌ، المعنى أم لم يُنَبَأ بأن لا تزر وازرة وِزْرَ أُخْرَى.

وَ «أنْ» ههنا بدل من ما، ويجوز أن تكون «أَنْ» في مَوْضع رَفْع على إضمار «هو» كَأَنَّهُ لما قِيلَ: بما في صحف موسى قيل: مَا هُوَ؟ قيل هو أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى، ومعناه ولا تؤخذ نفس بإثم غيرها، وكذلك قوله: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإنْسَانِ إلاَّ مَا سَعَى﴾.

أي هـذا أيضاً مما في صحف إبراهيم ومـوسى عليهما السـلام، وَمَعْنَاهُ ليس للإنسان إلاَّ جزاء سعيه، إن عَمِلَ خيراً جُزِيَ خيراً، وإن عَمِـل شَرًّا جُـزِيَ شرًّا..

وتزر من وَزَرَ يَزِرُ إذَا كسبَ وِزْرَاً وهو الإثم.

وقوله عزّ وجلّ:﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾.

إن قَالَ قَائِلٌ: إن اللَّه عزّ وجلّ يَرَى عَمَلَ كل عَامِلٍ ويعلمه، فمـا معنى ﴿سَوْفَ يُرَى﴾ فالمعنى أنه يرى العَبْدُ سَعْيَـهُ يوم القيـامَةِ، أي يـرى في مِيزَانـه عَمَلَه.

﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الجَزَاءَ الأَوْفَى﴾.

أي يجزي عمله أو في جزاء. وجائز أن تقرأ سَوْفَ يَرَى، والأَجْوَدُ يُرَى، لأن قـولك إن زيـداً سوف أكـرم، فيه ضَعْفٌ لأن إنّ عـاملة وأكرم عـاملة، فلا يجـوز أن ينتصب الاسم من وجْهَيْن، ولكن يجـوز على إضمـار الهـاء، على معنى سوف يراهُ، أو على إضمار الهاء في «أَنّ» تقول: إن زيداً سَـأُكْرِمُ، على أنه زيد سأكرم.

وقوله تعالى:﴿وإِنَّ إلى رَبِّكَ المُنْتَهَى﴾.

أي إليه المرجع، وهذا كله في صحف إبـراهيم ومُوسَى.

﴿وَأَنَّهُ هو أَغْـنَى وَأَقْنَى﴾.

قيل في أقنى قولان: أحدهما «أَقْنَى» هـو أَرْضَى، والآخر أَقْنَى جعـل له قِنْيَةً، أي جعل الغنى أصْـلاً لِصَاحِبِـه ثَابتـاً، ومن هذا قـولك: قـد اقْتَنَيتُ كذا وكذا، أي عملت على أنه يكون عِنْدِي لا أخرجه مِنْ يَدِي.

وقوله عزّ وجَلّ:﴿ وأنه هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾.

﴿الشعرى﴾ كوكب خَلْفَ الجوزاء،وهو أحد كوكبي ذِرَاع الأَسَد، وكان قوم من العرب يعبدون الشعرى، فأعلم اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ أنه رَبُّهَا وأن خَالِقُهَا، وهُوَ المَعْبُودُ ـ عزّ وجلّ ـ .

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأُولَى﴾.

هؤلاء هم قوم هودٍ، وهم أُولَى عَادٍ. فأما الأولى ففيها ثلاثِ لُغاتٍ: بسكون اللام وإثْباتِ الهَمْزَةِ، وهي أجْوَدُ اللُّغَاتِ والَّتي تَليها في الجَوْدَةِ «الأُولى» ـ بضم اللام وطرح الهَمْزَةِ، وكان يجب في القياس إذا تحركت اللام أن تسقُطَ ألف الوَصْلِ، لأن أَلِفَ الوَصْلِ اجْتُلِبَتْ لسكون اللام، ولكن جاز ثُبُوتُهَا لأن ألف لَامِ المَعْرِفَةِ لا تسقط مع ألف الاستفهام، فخالفت ألفات الوَصْلِ. ومن العرب من يقول: لُولي ـ يريد الأولى ـ فطرح الهمزة لتحرك اللام. وَقَدْ قُرِئَ «عَاداً اللُّوليَ». على هذه اللُّغَةِ، وأُدغِمَ التنوين في اللام. والأكثرْ عاداً الأولى بكسر التنوين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَثَمُوداً فَمَا أَبْقَى﴾.

ثمود نسق على عادٍ، ولا يجوز أن ينصب بقوله ﴿فما أبقى﴾ لأَنَّ مَابَعْدَ الفاء لا يعمل فيما قبلها، لا تقول: زيداً فضربت. فكيف وَقَدْ أتت «ما» بعد الفاء، وأكثر النحويين لا ينصب ما قبل الفاء بما بعدها. والمعنى وأهلك ثمود فما أبقاهم.

﴿والمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾.

المؤتفكة المخسوفُ بهَا، أي ائتفكت بأهلها، ومعنى أهوى، أي رُفِعَتْ حِينَ خُسِفَ بهم إلى نحو السماء حتى سمع من في السماء أصوات أهل مدينة قوم لوط ثم أهويت أي أُلقِيَتْ في الهاوية.

﴿فَغَشَّـٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾.

معناه فغشاها اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ من العذاب ما غَشَّى.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾.

هذا ـ واللَّه أعلم ـ خطاب للإنسانِ. لما عُدِّدَ عليه مما فعله اللَّه به، مما يدل على وحدانيته. كان المعنى أيها الإنسان بأي نعم ربك التي تدلك على أنه واحد تتشكك، لأن المرء به الشَّكُّ.

وقوله: ﴿هَـٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰ﴾.

أي النبي ﷺ مجراه في الإنذار مجرى مَنْ تَقَدَّمَهُ من الأنبياء، صلوات اللَّه عَلَيْهم، وجائز أن يكون في معنى هذا إنذار لكم، كما أنذر من قبلكم وقد أعلمتم بما قص اللَّه عليكم من حال من كَذَّبَ بالرُّسُلِ، وما وقع بهم من الإهلاك.

وقوله: ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾.

معناه قربت القريبة، تقول: قد أزف الشيء إذا قرب ودنا، وهذا مثل ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾.

ومعنى ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾.

معناه لا يكشف علمها متى تكون أحَدٌ إلا اللَّه عزّ وجلّ، كما قال ـ عزّ وجلّ ـ ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾(١).

﴿أَفَمِنْ هَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾.

أي مما يتلى عليكم من كتاب اللَّه، ﴿تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ تفسيره لاهون.

---

(١) سورة الأعراف / ١٨٧.

وقوله: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾.

معناه فاسجدوا للَّه الذي خلق السموات والأرَضِين، ولا تعبدوا اللاَّتَ والعُزَّى ومناة الثالثة الأخرى، والشِّعْرَى، لأنه قَدْ جرى ذكر معبوداتهم في هذه السورة.

سورة القَمَر
مكيــة

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانْشَقَّ القَمَرُ﴾.

اجمع المفسرون، -ورَوَيْنـا عن أهل العلم المـوثوق بهم -أن القمر انشق على عهد رسول اللَّه [ﷺ].

قال أبو إسحاق: وزعم قوم عَندوا عَنِ القَصْدِ وما عليه أهل العلم: أَنَّ تأوِيلُه أن القمـر ينشق يوم القيـامة، والأمـر بين في اللفظ وإجْمـاعِ أهـلِ العلم لأن قوله:﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ﴾.

فكيف يكون هذا في القيامَةِ.

قال أبو إسحـاق: وجميع ما أملي عليكم في هذا مـا حَدَّثني به إسماعيل ابن إسحاق قال حَدَّثَنَا محمد بن المنهال، قال حَدَّثنا يـزيد بن زُرَيْـع قال ثَنـا[1] شُعْبَةَ عن قَتَادة عن أنس أن أهل مكة سألوا النبي [ﷺ] آية فَأَراهم القَمَرَ مَرَّتَيْنِ انشقاقه، وكـان يذكـر هذا الحـديث عند هـذه الآية: ﴿اقْتَـرَبَتِ السَّاعَـةُ وانْشَقَّ القَمَرُ﴾.

حدثنا إسماعيل بن إسحاق قال ثنـا مُسَدَد، قـال ثنا يحيى عن شعبـة عن قتادة عن أَنَسٍ قال: انشق القمر فرقتين.

(١) كذا بالأصل ـ وهذا كثير جداً بمعنى حدثنا ـ ويكتفى بذكر «ثنا» اختصاراً. وهذا مألوف.

ثنا نصر بن علي قال ثنا حرمي بن عمارة، قال ثنا شعبة عن قتادة عَنْ أنس بن مالك قال: انشق القمر على عهد رسول اللّٰه [ﷺ].

حدثنا إسماعيل قال ثنا محمد بن عيد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عَن أَنَسٍ قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر بمكة مرتين، فقال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانْشَقَّ القَمَرُ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾، يعني ذَاهِبٌ.

ثنا إسماعيل قال ثنا نصر قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن سماك عن إبراهيم عن الأسود عن عبد اللّٰه قال: انشق القَمَرُ فأبصرت الجبل بين فرجتي القَمَر.

ثنا إسماعيل قال ثنا نصر قال حدَّثَنِي أبي قال أخبرنا إسرائيل عن سماك عن إبراهيم عن الأسود عن عبد اللّٰه في قوله: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمرُ﴾ قال: انشق القمر حتى رأيت الجبل بين فلقتي القَمَر.

ثنا إسماعيل قال ثنا محمد بن عبداللّٰه بن نمير قال ثنا أبو مُعاوِيَةَ قال ثنا الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد اللّٰه قال: انشق القمر ونحن مع النبي ﷺ بمعنى حتى ذهبت فرقة منه خلف الجبل فقال رسول اللّٰه [ﷺ] اشْهَدُوا.

ثنا اسماعيل قال ثنا مسدد قال ثنا يحيى عن شعبةَ وسفيانٍ عن الأَعْمَشِ وعن إبراهيم عن أبي مَعْمَر عن أبي مسعود قال: انشق القمر على عهد النبي ﷺ فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال رسول اللّٰه ﷺ: اشهدوا

ثنا إسماعيل قال ثنا مسعود قال ثنا يحيى عن شعبة عن الأعمش عن مجاهدٍ عَن ابن عمر مثله.

ثنا إسماعيل قال ثنا علي بن عبد اللّٰه قال ثنا سفيان قال أخبرنا ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن أبي معمر عن عبد اللّٰه: انشق القمر على عهد

رسول اللَّه ﷺ شقتين، فقال لنا رسول اللَّه [ﷺ] اشهدوا اشهدوا.

ثنا إسماعيل قال قال علي وحدثنا به مَـرَّةً أخرى عن ابن أبي نجيـح عن مجاهِدٍ عن أبي معمر عن عبد اللَّه بن مسعود: انشق القمر شقتين حتى رأيناه، فقال لنا رسول اللَّه ﷺ: اشْهَدُوا.

ثنـا إسماعيـل قال ثنـا محمد بن أبي بكـر قـال ثنـا محمـد بن كثيـر عن سليمـان يعني ابن كثير عن حصين عن محمـد بن جبير عن أبيـه، قال: انشق القمر على عهد رسول اللَّه ﷺ فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل فقـال الناس: سحر نا محمد، فقال رجل: إنْ سَحَركم فلم يسحر الناسَ كُلَّهُمْ.

وحدثنا اسماعيل قال ثنا محمد بن أبي بكر قـال ثنا زهيـر بن إسحق عن دَاوُدَ عن علي بن أبي طلحـة عن ابن عباس قـال: ثـلاث قـد ذكـرهن اللَّه في القرآن قد تقضين: ﴿اقتربت الساعـة وانشق القمر﴾، فقـد أنشق القمر على عهـد رسول اللَّه ﷺ شقتين حتى رآه الناس.

ثنا إسماعيل قال ثنا نصر بن علي قـال ثنا عبـد الأعـلى قال ثنـا داود بن أبي هِنْدٍ عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله اقتربت الساعة وانشق القمر، قال: قد مضى قبل الهجرة وانشق القمر حتى رأوا شقتيه.

حدثنا اسماعيل قال ثنا علي بن عبد اللَّه قال: ثنا سفيان قال قال عمـرو عن عكرمة قـال انشق القمر على عهـد رسول اللَّه ﷺ فقـال المشركـون سَحَرَ القمَر سَحَر القَمَرَ، فأنزل اللَّه ـ عزّ وجـلّ ـ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّـاعَةُ وانشَقَّ القَمَـرُ. وإِنْ يَرَوْا آيةً يُعْرِضُوا ويَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾.

حدثنا اسماعيل قال ثنا محمد بن أبي بكر قال ثنا الضحاك بن مخلد عن ابن جريج عن عمروٍ عن عكرمة: انشق القَمَرُ على عهـد رسول اللَّه ﷺ فقـال

المشركون: سَحَرَ القَمَرَ ، سَحَرَ القَمَرَ، فنزلت: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمر﴾.

حدثنا إسماعيل قال ثنا عارم بن الفضل وسليمان بن حرب قالا: ثنا حماد ابن زيد عن عكرمة عن عطار بن السائب عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِي قال: انطلقت مع أبي يوم الجمعة فخطبنا حذيفة ـ وقال سليمان في حديثه: فخطب حُذَيْفَةُ وهو بالمدائن فتلا: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾، ثم قال: ألا إن الساعة قد اقتربت وإن القمر قد انشق، آلا وأن المضمار اليوم والسباق غدا، قال سليمان في حديثه: فقلت لأبي يا أبتاه ترسل الخيل غداً وقال عارم في حديثه: فقلت لأبي يستبق الناس غداً، فلما كانت الجمعة التي تليها خطبنا فتلا: ﴿اقتربت الساعة وانشق القَمَرُ﴾، فقال: ألا أن الساعة قد اقتربت وإن القمر قد انشقَّ على عهد نبيكم ﷺ ألا وأن المضمار اليوم والسباق غداً، والغاية النار والسابق من سبق إلى الجَنَةِ.

حدثنا إسماعيل قال: ثنا حجاج بن المنهال قال: حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن عبد اللَّه بن حبيب، قال: كنا بالمدائن فجئنا إلى الجمعة فخطبنا حذيفة فحمد اللَّه وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن اللَّه تبارك وتعالى يقول: اقتربت الساعة وانشق القمر، ألا إنَّ اليَوْمَ المضمارُ وغداً السباق، ألا وَانِ الغاية النارُ، فلما كانت الجمعة الأخرى خطبنا فحمد اللَّه وأثنى عليه قال فقال مثل قوله، وقال: السابق من سبق إلى الجنة.

ثنا اسماعيل ثنا علي قال ثنا سُفْيَانُ عن سليمان، وقَطَرٍ عن مسلم عن مسروق عن عبد اللَّه قال: مضى اللزام ومضت البطشة ومضى الدخان ومضى الروم.

حدثنا إسماعيل قال ثنا عبد اللَّه بن إسماعيل عن عبد الرحمن بن زيد

ابن أسلم في قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿اقتربت الساعة وانشق القَمَـرُ﴾، قال ابن زيـد: انشق القمرُ في زمان رسـول اللّه ﷺ فكان يـرى نصفه على قُعَيْقِعَـانَ والنصف الآخر على أبي قيس.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿[سِحْرٌ] مُسْتَمِرٌّ﴾.

أي ذاهب وقيل دائم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾.

تأويله أنه يستقر لأهل النار عملهم ولأهل الجنة عملهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾.

يعنى من أخبار من قد سلف قبلهم فأهلكوا بتكذيبهم ما فيه مُزْدَجَرٌ، أي ما فيه مُنْتَهَى، تقول: نهيتُه فانتهى وزجرته فازدجر. والأصل فازتجر بالتاء، ولكن التاء إذا وقعت بعد زَايٍ أبدلت دَالاً نحو مُزْدَان أصله مُزْتَان، وكذلك مزتجـر، وإنما أبدلت دالاً لأن التاء حرف مهموس والزاي حـرف مجهورٌ فـأبْدِلَ من التـاء من مكـانها حـرف مجهـورٌ، وهـو الـدال، فهـذا لَا يفهمـه إلَّا من أحكم كـل العربية، وهذا في آخر كتاب سيبويـه، والذي ينبغي أن يقـال للمتعلم إذا بنيت افتعل أو مفتعل مِمَّا أوله زاي فاقلب التاء دَالاً، نحو ازدجر ومزدجر.

وقال عزّ وجلّ: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾.

رُفِعَتْ ﴿حِكمَةٌ﴾ بدلاً من «ما»، المعنى ولقد جـاءهم حكمة بـالغـة، وإن شئت رفعت حكمة بإضمار هو، المعنى هو حكمة بالغةٌ.

وقوله: ﴿فَمَا تُغْنِي النُّذُرُ﴾.

«ما» جائز أن يكون في لفظ الاستفهام، ومعناها التوبيخ، فيكون المعنى فأي شيء تغني النُّذُرُ، ويكون موضعها نصباً بتغني. ويجوز أن يكون نفياً على معنى فليست تغني النذر.

وقوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾.

وقف التمام فتول عنهم، وقوله إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ إلى ما كانوا يَنْكِرُونَهُ من البعث، فتول عنهم يوم كذا في الآية. ويوم منصوب بقوله يخرجون من الأجداث. فأما حذفُ الواو من يدعُو في الكتاب فلأنها تحذف في اللفظ لالتقاء الساكنين، وهما[1] الواو من يدعو واللام من الداعِي، فأجريت في الكتاب على ما يلفظ بها، وأما الداعي فإثبات الياء فيه أجْوَدُ. وقد يجوز حذفها لأن الكسرة تدل عليها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿خُشَّعاً [أَبْصَارُهُم]﴾، منصوب على الحال، المعنى يخرجون من الأجداث خشّعاً أبصارهم. وقرئت خَاشِعاً أَبْصَارُهُم، وقرأ ابن مسعود خَاشِعةً أبصارُهم. ولك في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة التوحيد نحو خاشعاً أبصارهم، ولك التوحيد والتأنيث ـ لتأنيث الجماعة ـ، خاشعة أبصارهم. ولك الجمع نحو خُشَّعاً أَبْصَارُهم. تقول: مررتُ بشباب حَسَنٍ أوجههم، وحِسَانٍ أَوْجُهُهُمْ، وحَسَنَةٍ أوجههم، قال الشاعر[2]:

وشَبَابٍ حَسَنٍ أَوْجُهُهُمْ ... مِنْ إِيَادِ بْنِ نِزَارِ بنِ مَعَدّ

وقوله عزَّ وجلّ: ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾.

مَنْصُوبٌ أيضاً على الحال، المعنى يخرجون خُشَّعاً أبصارُهُم مهطعين، ومعنى مُهْطِعِينَ ناظِرين لا يقلعون أبْصَارُهم.

وقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُم قَومُ نُوحٍ﴾.

أي كذبتِ قوم نُوحٍ نُوحاً قبل قومك يا مُحَمَّدُ.

﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾.

وقالوا هو مجنون كما قال قومك يا محمد لك، ﷺ وعليهم أجمعين

---

(١) في الأصل وهي.

(٢) لم أقف على قائله.

وازدُجِر، زُجِرَ بالشَّتْمِ. وقد بينا ما في مزدجر في انقلاب التاء دَالاً وأصل هذا وازتجر.

وقوله :﴿فدعا رَبَّهُ أَني مَغْلُوبٌ فانْتَصِر﴾.

والقـراءة أني بفتح الألف وقـرأ عيسى بن عمـر النحـوي إِنِّي ـ بكسـر الألف ـ وفسر سيبويه إني بالكسـر فقال على إرادة القـول على معنى فدعـا ربَّهُ فقال إني مغلوبٌ، قال: ومثله: ﴿والذينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ما نَعْبُدُهُـمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونا إلى اللَّهِ زُلْفَى﴾(١)، المعنى قالوا ما نعبدهم إلا لقربونا. ومن فتح ـ وهو الوجه ـ فالمعنى دعا ربَّهُ بأني مغلوبٌ.

وقوله:﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءَ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾.

المعنى فأجبنا دعاءهُ فنصرناهُ، وبيَّن النَصْرَ الذي نصر به فقال: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّماءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾.

ينصب انصباباً شديداً.

﴿وَفَجَّرنا الأَرْضَ عُيُوناً﴾.

هذا أكثر القـراءة عُيُونـاً بِالضَّمِّ، وقـد رويت عِيُونـاً ـ بكسر العين ـ وهي رديئة في العربية.

وقوله عزّ وجلّ:﴿فَالْتَقَى المَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾.

يعني ماء السماء والأرض ولم يقل فالتقى الماءان، ولو كـان ذلك لكـان جائزاً، إلَّا أن الماء اسم يجمع مَاَء الأرض وماءَ السماءَ، ومعنى ﴿على أمر قد قُدِرَ﴾ أي قدْ قُدِرَ في اللوح المحفوظ، وقيلَ قَدْ قُـدِرَ أي كان قـدر ماء السمـاء كقدر ماء الأرض.

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾.

المعنى على سفينـة ذات ألواح، والـدُّسُر اسم المسامير والشروط(٢) التي

---

(١) سورة الزمر /٣.

(٢) جمع شريطة وهي حبال يُربط بها.

نَشَـدُّ بها الألـواح، وكل شيء كـان نحو السَّمْـرُ أو إدخال شيء في شيء بقـوَّةٍ وَشِدَّة فهو الدَّسْر، يقال: دَسَرْتُ المسمارَ أَدْسُرُهُ وأدْسِرُهُ دَسْراً، والدُّسُرُ واحدها دِسَار نحو حِمَارٍ وحمرُ.

وقوله:﴿لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴾.

أي فعلنا ذلك جزاء لنوح وأصحابه، أي نجينـاه ومن آمن مَعَهُ، وأغـرقنا من كذَّبَ به جزاء لِما صُنِعَ بِهِ.

وقوله: ﴿تَجري بأَعْيُنِنَا﴾ أي تجري بمرأى مِنَّا وحفظ.

قوله عَزَّ وَجَلَّ:﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً ﴾.

أي تركنا هذه الفَعْلَة وأمر سفينة نُوحٍ ، آيَةً أي علامَةً لِيُعْتَبَرَ بها.

﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.

القراءة بادال غير المعجمة، وأصله مُذْتَكِر بـالذال والتـاء، ولكـن التـاء أبدل منها الدال، والذال من موضع التاء، وهي أشبه بالدال من التـاء فأدغمت الذال في الدَّالِ، فهذا هو الوجه، أعني القراءة بالدَّال ـ غير معجمة ـ وقد قال بعض العرَبِ «مُذَّكِر» بالذال معجمةً، فأدغم الثاني في الأول وهذا ليس بالوجه إنما الوجه إدغام الأول في الثاني.

وقوله عزّ وجلّ:﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾.

المعنى سَهَّلْنَا، وَقِيل: إنَّ كُتُبَ أهل الأَدْيانَ نحـو التوراة والإنجيـل إنما يتلوها أهلها نظراً، ولا يكادون يحفظون كُتُبَهُمْ من أولها إلى آخرها كمـا يحفظ القرآنُ.

وقوله عزّ وجلّ:﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحاً صَرْصَراً ﴾.

صَرْصَرٌ شديدة البرد.

﴿في يَـوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾.

يعني نَحس مشـؤوم، مستمر أي دائم الشؤم، وقيـل في يـوم أربعـاء في آخر الشهر لا يدورُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾.

«كَـأَنَّهُمْ» ههنا في مـوضع الحـال، والمعنى تنزع النـاس مُشْبِهِينَ النَّخْلَ المنْقَعِر، فالمنْقَعِرُ المقطوع من أُصُولِه، وكانت الرِّيحُ تَكُبُّهُمْ على وُجُوهِهِم.

وقوله: ﴿مُنْقَعِر﴾: النخل يـذكر ويؤنث، يقـال: هذا نخـل، وهـذه نَخْـلٌ فمنقعِـرٌ على من قال: هـذا نخل، ومن قـال: هذه نخـل. فمثل قـوله تعـالى ﴿أعجازُ نَخْـلٍ خَاوِيَـة﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بـالنُّذُرِ﴾ ـ النُّـذُر جمعُ نَـذِير.

﴿فَقَـالُوا أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ﴾.

﴿بشـراً﴾ منصوب بفعل مُضْمَرَ الذي ظهر يُفَسِّرُهُ، المعنى أنَتَبعُ بشراً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا إِذاً لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾.

معناه إنا إذاً لفي ضلال وجنون، يقال: ناقة مسعورة إذا كان بها جُنونٌ، ويجوز أن يكون على معنى إن اتبعناه فنحن في ضَلَال وفي عَذَابٍ.

وقوله: ﴿بَـلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾.

﴿أَشِرٌ﴾ بمعنى بَطِر، يقال: أَشِرَ يأْشَرُ أشـراً فهو أَشِـرٌ، مثل بَطِر يبطَرُ بَطَراً فهو بَطِرٌ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ﴾.

﴿فتنةً﴾ منصوب مفعـول لـه، المعنى إنــا مـرسلو النَّـاقـة لنفتنهم، أي لنختبرهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحتَضَرٌ﴾.

أي الماء قسمة بين الناقة وبين ثمود لها يوم ولهم يوم، وهـذا معناه كـل شرب محتضر، يحْضَرُ القوم الشرب يوماً، وتحضر الناقة يَـوْماً.

﴿فَنَـادَوْا صَاحِبَهِمْ فَتَعَاطَى فَعَقَر﴾.

وكان يقال لـه أحمر ثمـود، وَأُحَيْمِرُ ثمـود، والعرب تَغْلِطُ فتجعَـلُ أحمر عادٍ فنضرب به المثل في الشؤم، قال زهير يَصِفُ حَرْباً.

فتنـج لـكم غِـلْمَـانَ أشـأم كلهـم كـأحْمَرَ عَـادٍ ثم تـرضـع فتعـظم

ومعنى فتعاطى فعقر فَتَعَاطى عَقْرَ النَّاقَةِ فعقر فبلغ ما أرادَ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَـا عَلَيْهِم صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُـوا كَهَشِيمِ المُحْتَـظِر﴾ بكسر الظاء، ويقرأ المحتظر بفتـح الظاء، والهشيم مـا يبسَ من الورق وتَكسَّر وتحطَم، أي فكانوا كالهشيم الذي يجمعه صاحب الحظيرة، أي قد بلغ الغاية في الجفاف، حتى بلغ إلى أن يجمع ليـوقد، ومن قـرأ المحتظر ـ بفتح الظاء ـ فهو اسم للحظيرة. المعنى كهشيم المكان الـذي يُحتَظر فيـه الهشيم، ومن قرأ «المُحْتَـظِر» ـ بكسـر الـظاء نسبـة إلى الـذي يجمـع الهشيم من الحـطب في الحظيرة، فإن ذلك المحتَـظِرُ، لأنه فاعل.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾.

«سَحَر» إذا كان نكرة يراد به سحراً من الأسحـار انصرف، تقـول: أتيت زيداً سحراً من الأسحار، فإذا أردت سحر يومك قلت أتيته لِسَحَر يا هَـذَا وأتيته سَـحَـرَ يـا هـذا.

وقـوله تعالى: ﴿نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنا﴾، منصـوبٌ مفعولُ لـه. المعنى نجيناهم للإنعام عليهم، ولو قرئت «نعمـةٌ مِنْ عِنْدَنَـا» كان وجهـاً، ويكون المعنى تلك

(١) من معلقته.

نِعمَةً مِنْ عِنـدِنا، وَإِنْجَاؤُنا إِيَّاهُمْ نعمة من عندنا. قال أبو إسحـاق: ولكني لا أعلم أَحَداً قرأ بها، فلا تقرأن بها إلّا أن تثبت رواية صحيحة، قال مشايخنا من أهل العلم: القراءة سُنَّةٌ متَّبَعَةٌ، ولا يرون أن يقرأ أحد بما يجوز في العـربية إِذَا لَمْ تَثْبُتْ رِوَايةٌ صحيحة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾.

بكرة وغدوة إذا كانتا نكرتين نُوِّنَتَا وصُرِفَتَا، وإذا أَرَدْتَ بهما بكـرة يومـك وغداة يومـك لم تصرفهمـا، فبكرة ههنـا نكرة، ولـو كانت قـرئت بكرةَ عَـذَابٌ مستقرٌ، وقرئت «نجيناهـم بِسَحَرَ نَعمَةً مِـنْ عِنْدِنَـا» كانتا جـائزتين في العـربية، يكـون المعنى بكرةَ يـومهم، وسَحَرَ يَـوْمِهِمْ، ولكن النكرة والصـرف أجـود في هذه الآية، ولم تثبت روايةٌ في أنه كان في يوم كذا من شهر كذا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾.

راودَ قـومُ لوط لـوطاً عن ضيفـه، وهـم الملائكـة، فأمـر اللَّه ـ عـزّ وجـلّ جبريل فسفق أعينهم بجناحيه سَفْقَةً[1]، فأذهبها وَطَمَسَها، فبقـوا في البيت عمياً حيارى.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خيرٌ مِنْ أُولَائِكُمْ﴾.

أي أكفاركم يا معشر العرب، ومن أرسل إليه النبي ﷺ خيرٌ مِن أولائكم أي الكفار الذين ذكرنا أَقَاصِيصَهُمْ وَإِهْلَاكَهُمْ.

﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ في الزُّبُرِ﴾.

أي أم أتاكم في الكُتُبِ أنكم مُبَرَّأُونَ مِمَّا يُوجِبُ عِذَاءَكُمْ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾.

والمعنى بل أَيَقُولُون نحن جميع مُنْتَصِـرٌ، فيدلـون بقوة واجتماع عليك،

(١) السفقة والصفقة الضربة.

ثم أعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أنه يُهلِكُهُمْ في الجهة التي يقدرون الغلبة منها فقال:

﴿سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾.

فأعلم اللَّه عزّ وجلّ ـ نبيَّه ـ عليه السلام ـ أنه يظهره عليهم ويجعل كلمته العُلْيَا، فقال: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾، فكانت هذه الهزيمةُ يوم بَدْرٍ.

ثم قال عزّ وجلّ: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾.

أي لَيْسَ مَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الْقَتْلِ في يوم بدر والأسر بمخفف عنهم من عذاب الآخرة شيئاً، فقال: ﴿والساعة أدهى وأمَرُّ﴾، أيْ أَشَدُّ، وكل داهية فمعناها الأمر الشديد الذي لا يُهْتَدى لدوائه، ومعنى «وأمرُّ» أشد مَرَارَةً من القتل والأسر.

وقوله: ﴿إِنَّ المُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾.

في التفسير إن هذه الآية نزلت في القَدَرِيَّةِ.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾.

المعنى يقال لهم: ﴿ذوقوا مَسَّ سَقَرَ﴾.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

أي كل ما خلقناه فمقدور مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه، ونصب «كل شيء» بفعل مضمر، المعنى إنا خلقنا كل شيء خلقناه بِقَدَرٍ، ويدل على هذا ﴿وَكُلُّ شَيءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ، وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾.

﴿مستطر﴾ مفعول من السطر، المعنى كل صَغِيرْ من الذنوب وكبير مستطر مكتوب على فاعليه قبل أن يفعلوه، ومكتوب لهم وعليهم إذا فعلوه لِيجازَوْا عَلَى أفعالهم.

وقوله: ﴿سَيُهْزَمُ الجمع وَيُوَلُّونَ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾.

المعنى وَيُوَلُّونَ الأَدْبَارَ، كما قال: ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لَا

يُنْصَرُونَ﴾، (١)، وكذا المعنى في قوله: ﴿إِنَّ المتَّقِينَ في جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾.

المعنى في جنات وأنهار والاسم الواحد يدل على الجميع فَيُجْتَزَأُ بِهِ من الجميع، وأنشد سيبويه والخليل:

بها جيف الحسرى فأما عظامها فبيض وأما جلدها فصلب(٢)

يريدون وأما جلودها، وأنشد:

في حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شجينا(٣)

المعنى في حلوقكم عظام، وكما قال:

كلوا في بعض بطنكم تعفوا فإن زمانكم زمن خبيص

المعنى كلوا في بعض بطونكم(٣).

---

(١) سورة آل عمران /١١١.

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

سورة الرحمن
مكيــة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ : ﴿الرحمنُ عَلَّمَ القرآنَ﴾ .

﴿الرحمن﴾ اسم من أسماء اللّه تعالى . لا يقال لغيره، وهو في الكتب المتقدّمَة، ومعناه الكثير الرحمة .

وقوله : ﴿عَلَّمَ القُرآنَ﴾ .

معناه يسَّرهُ لأن يذكر.

وقوله:﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ البَيَانَ﴾ .

قيل إنه يعني بالإنسان ههنا النبي ﷺ عَلَّمَهُ البَيَانَ. علمه القرآن الذي فيه بيان كل شيء، وقيل الإنسان ههنا آدم ﷺ. ويجوز في اللغة أن يكون الإنسان اسماً لجنس الناس جميعاً، ويكون على هذا المعنى عَلَّمَه البَيانَ جعله مميزاً حتى انفصل الإنسان من جميع الحيوان.

وقوله تعالى : ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ .

﴿الشمسُ والقمرُ﴾ مرفوعان بالابتداء، وقوله ﴿بحسبان﴾ يَدُل عَلَى خبرِ الابتداء ويكون المعنى : الشمس والقمر يجريان بحساب، ويكون أيْضاً معنى بِحُسْبَانٍ [أنهما] يَدُلَّانِ على عدد الشهور والسنين وجميع الأوقات .

وقوله تعالى:﴿وَالنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ .

قال أهل اللغة وأكثر أهل التفسير: النجم كل ما نبت على وجه الأرض مما ليس له سَاقٌ. والشَّجَرُ كل ما له ساقٌ، ومعنى سجودهما دوران الظل معهما كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ﴾(١). وقد قيل إنَّ النجم أيضاً يراد به النجوم، وهذا جائز أن يكون، لأن اللّه ـ عزّ وجلّ ـ قد أعلمنا أن النجم يسجد، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ﴾(٢).

ويجوز أن يكون النجم ههنا يعني به ما نبت على وجه الأرض وما طلع من نجوم السماء، يقال لكل ما طلع: قَدْ نَجَمَ.

وقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾.

المعنى رفعها فوق الأرض وأمسكها أن تقع على الأرض، ووضع الميزان لينتصف بعض الناس من بعض، وقيل: الميزان ههنا العدل، لأن المعادَلَةَ موازنة الأشياء.

وقوله: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾.

ألا يجاوزوا القدر والعدل، ويجوز «أَلَّا تَطْغَوْا» بمعنى اللام، «لِأَنْ لَا تَطْغَوْا»(٣) وتكون أن لا تطغوا على النهي(٤) ومعنى «أن» التفسير، فيكون المعنى ـ واللّه أعلم ـ ووضع الميزان أي لا تطغوا في الميزان(٥)، ويدل عليه المعطوف عليه وهو قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾.

القراءة بضم التاء، وروى أهل اللغة: أَخْسَرْتُ المِيزَانَ وَخَسَرْتُ، فعلى

---

(١) سورة النحل /٤٨. (٢) سورة الحج ١٨.

(٣) أي إن حرفَ الجر محذُوفٌ، وتقدير التعبير لئلا تطغوا.

(٤) أن مخففه واسمها ضمير الشأن محذوفاً، ولا ناهية.

(٥) هذا وجه ثالث ـ تجعل فيه أن مفسرة، وهي التي تأتي بعد كلام يتضمن معنى القول دون حروفه.

خَسَرتُ «ولا تَخْسِرُوا». ولا تقرأن بها إلاّ أن تثبت رواية صَحيحةٌ عن إمامٍ في القراءة. وقد رُوِي أن إنساناً قرأ بها من المتقدمين ولكنه ليس مِمَّن أخذت عنه القراءة ولا له حرف يقرأ بِه.

وقوله: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾: الأَنَامُ الإِنْسُ والجِنُّ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾.

معنى ﴿الأكمام﴾ ما غَطَّى، وكل شجرة تُخْرِجُ ما هو مُكَمَّم فهي ذات أكمام، وَأكمام النخلة ما غطى جُمَارَهَا من السعف والليف والجدع. وكل ما أخرجته النخلة فهو ذو أكمام، والطلعَةُ كمُّها قَشْرُهَا، ومن هذا قيل للقلنسوة كِمة لأنها تغطي الرأس، ومن هذا كُمَّا القميص لأَنَّهُمَا يغطيان اليَدَ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿والحَبُّ ذُو العَصْفِ والرَّيْحَانُ﴾.

ويقرأ والريحانَ، وأكثر القراءة «والرَّيْحَانُ». والعصف ورق الزرع ويقال: التين هو العصْفُ، ويقال العَصْفَة، قال الشاعر[1].

يسقي مذانب قد مالت عصيفتها آتيُّها من أَتِيِّ الماء مطموم

ويروى بأتِيّ الماء.

ومعنى ﴿ذو العَصْفِ والرَّيْحَان﴾ ذو الورق والدرق، العرب تقول: سُبْحَانَ اللَّه وَرَيْحانه. قال أهل اللغة: معناه واسترزاقه، قال النمر بن تولب[2].

سلام الإله وريحانه ورحمته وسماء درر

قال: معنى ريحانه رزقه لمن قرأ، والريحانُ عطف على العصف، ومن

---

(١) البيت لعلقمة ـ اللسان (عصف) والقرطبي ١٧/١٥٧، والطبري ٢٧/٦٥.

(٢) في الأصل سماء اللَّه ـ ويظهر أنه خطأ من الناسخ. وهو في اللسان (روح). وفي الطبري ٢٧/٦٥، والقرطبي ١٧/١٥٧، ومجاز أبي عبيدة ٢٠/٢٤٣.

قرأ: والرَيْحَانُ عطف على الحب ويكون المعنى فيهما فاكهة فيهما الحب ذو العصف وفيهما الريحان، فيكون الريحان ههنا الريحان الذي يشم، ويكون أيضاً ههنا الرزق.

فذكر اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ في هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الإنسان وتعليم البيان ومن خلق الشمسِ والقمر والسماءوالأرض ثم خاطب الإنس والجن فقال:

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

أي فبأي نعم ربكما تكذبان من هذه الأشياء المذكورة، لأنها كلها منعم بها عليكم في دلالتها إياكم على وحدانيته وفي رزقه إياكم ما به قوامكم والوصلة إلى حياتكم، والآلاء واحدها أَلىً وَإِلىً، وكل ما في السورة من قوله ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فمعناه على ما فسَّرْناه، فبأي نعم رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالفَخَّارِ﴾.

وقال في موضع آخر: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾[1] وقال: ﴿مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[2] وقال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ﴾[3]. وهذه الألفاظ التي قال اللَّه عزّ وجلّ إنه خلق الإنسان منها مختلفة اللفظ وهي في المعنى راجعة إلى أصل وَاحدٍ. فأصل الطين التراب.

فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أنه خلق آدم من تراب جُعِلَ طيناً ثم انتقل فصار كالْحمَأ ثم انتقل فصار صَلْصَالاً كالْفَخَّار، والصلصال اليابس، فهذا كله أصله التراب وليس فيه شيء ينقض بعضه بعضاً. وإنما شرحنا هذا لأن قوماً من

---

(١) سورة الصافات الآية ١١

(٢) سورة الحجر الآية ٢٦.

(٣) سورة آل عمران ٥٩.

الملحدين يسألون عن مثل هذا لِيُلْبِسُوا على الضعفة، فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ من أي شيء خلق أبا الإنس جميعاً آدم عليه السلام، وأعلم من أي شيء خلق أصل الجنّ فقال: ﴿وَخَلَقَ الجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾.

والمارج اللهب المختلط بسواد النَّار.

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿رَبُّ المَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ المَغْرِبَيْنِ﴾.

يعنى به مشرقَي الشمس وكذلك القمر، ومغربي الشمس والقَمَر، فأحَدُ المشرقين مشرق الشتاء والآخر مشرق الصيف، وكذلك المغربان.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ معناه على الأرض.

قوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾.

يعني بالثقلين الإنس والجن، ويجوزُ سَنَفْرَغُ لكم بفتح الراء، ويجوز سَيَفْرَغُ ـ بفتح الياء[1] ـ ويجوز سَيُفْرَغُ لكم ـ بضم الياء وفتح الراء ـ ومعناه سنقصد لِحِسَابِكُمْ، واللَّه لا يَشْغَلُه شأن عن شأن، والفراغ في اللغة على ضربين أحدهما الفراغ من شُغلٍ والآخر القصد للشيء، تقول: قد فرغت مما كنت فيه، أي قد زال شغلي به، وتقول: سَأَتَفرغ لفلانٍ، أي سأجْعَلُ قَصْدِي له.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ إن اسْتَطَعْتُم أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ﴾.

والأقطار النَّواحي.

﴿لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾.

أي حيثما كنتم شاهدتم حجةً للَّه وسلطاناً تدل على أنه واحدٌ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُواظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحاسٌ﴾.

ويقرأ ونحاسٍ ـ بكسر السِّين ـ والنحاس الدُّخان، والشواظ اللهب الذي لا دُخَانَ معه.

---

(١) الجملة في الأصل مذكورة مرتين: مرة سيفرغ، ومرة سيفرغ لكم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾.

معنى مرج خلط، يعني البحر الملح والبحر العذب.

وقوله تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يبغِيَانِ﴾.

البرزخ الحاجز، وهو حاجز من قدرة اللَّه، لا يبغيان لا يَبْغي الملح على العذب فيختلط به، ولا العذب على الملح فيختلط به.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ والمَرْجَانُ﴾.

﴿المرجان﴾ صغار اللؤلؤ، واللؤلؤ اسم جامع للحَبِّ الذي يخرج من البحر. وقال يخرج منهما وإنما يخرج من البحر الملح لأنه قد ذكرهما وَجَمَعَهُمَا، فإذا خرج من أحدهما فقد خرج منهما، ومثل ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً، وجَعَلَ القَمَرَ فيهنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً﴾[1] والشمس في السماء الدُّنْيَا إلَّا أنه لما أجمل ذكرَ السبع كأن ما في إحداهن فِيهِنَّ، ويقرأ: «يُخْرَجَ منهما» بضم الياء.

وقوله عزّوجلّ: ﴿وَلَهُ الجَوَارِ المُنْشَآتُ فِي البَحْرِ كَالأَعْلَامِ﴾.

الجواري الوقف عليها بالياء، وإنما سقطت الياء في اللفظ لسكون اللام، والاختيار وصلها، وأن وقف عليها واقف بغير ياء فذلك جائز على بعد، ولكن يروم الكسر في الراء ليدل على حذف الياء، ويقرأ «المُنْشِآتُ» - بكسر الشين - والفتح أجود في الشين. ومعنى المنشآت المرفوعات الشُّرُع، والمنشِئَات على[2] معنى الحاملات الرافعات الشرع، ومعنى كالأعلام كالجبال، قال الشاعر[3]:

---

(١) سورة نوح / ١٥، ١٦.

(٢) في الأصل فعلى.

(٣) من رجز لجرير يمدح به الحكم بن يزيد الثقفي - والعلم الجبل، والضمير للابل وبقيته كما في اللسان: =

إذا قطعن عَلَمَاً بدا علم

والجواري السُّفُن.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾.

معنى ﴿وردة﴾ صارت كلون الورد، وذلك في يوم القيامة، ومعنى ﴿كالدِّهَانِ﴾ تتلون من الفزع الأكبر تَلَوْن[١] الدهان المختلفة، والدِّهَانُ جمع دُهْن، ودليل ذلك قوله ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالمُهْلِ﴾[٢] أي كالزيت الذي قد أُغْلِيَ. وقيل «فَكَانَتْ وَرْدَةً كالدِّهَان» أي فكانت كلون فرسٍ وردَةٍ، والكَمِيتُ[٣] الوردُ يتلون فيكون في الشتاء لونه خلاف لونه في الصيف، ويكون في الفصل[٤] لونه غير لونه في الشتاء والصيف.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾.

وقال في موضع آخر: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾[٥] فإذا كان ذلك اليوم كانت سيما المجرمين سواد الوجه والزرقة، ودليل ذلك قوله: ﴿يُعْرَفُ المُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ أي بعلامتهم هذه، ودليل ذلك قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[٦]، وقوله: ﴿وَنَحْشُرُ المُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾[٧].

= حتى تناهين بنا الى الحكم خليفة الحجاج غير المتهم

في ضنضيء المجد وبؤبؤ الكرم.

والبيت في الطبري ٢٧/٧٠، والقرطبي ١٧/١٦٤، ومجاز أبي عبيدة.

(١) في الا يتلون.

(٢) سورة المعارج الآية ٥.

(٣) في القاموس: الكميت الذي خالط حمرته قنوء (أي الأحمر الأقنى) ولون الاكمت الكمتة، وقد كمت كمتا وكمته كماتة.

(٤) ويكون في أي فصل غير فصلي الشتاء والصيف بلون آخر، ولعله يعني بالفصل هنا ـ أنه في الفاصل بين الشتاء والصيف بلون آخر.

(٥) سورة الصافات / ٢٤.

(٦) سورة آل عمران الآية ١٠٦.

(٧) سورة طه الآية ١٠٢.

وقوله: ﴿فَيُؤْخَذُ بالنَّوَاصِي والأَقْدَامِ﴾.

قيل تجعل الأقـدام مضمومـة إلى النواصي من خلف ويلقـون في النار، وذلك أشد لعذابهم، والتشويه بهم.

وقوله: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا المُجْرِمُونَ، يَطُوفُـونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾.

يعني «آنٍ». قـد أنى يأنى فهـو آنٍ إذا انتهى في النضج والحـرارة، فـإذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم الآني الذي قـد صار كـالمهل، فيـطاف بهم مرّةً إلى الحميم ومرة إلى النار. أَسْتَجِيرُ باللَّه وبرحمته منها.

ثم أعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ ما لمن اتقاه وخافه فقال:

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾.

قيل من أراد معصية فذكر ما عليه فيها فتركها خوفـاً من اللَّه ـ عزّ وجـلّ ـ ورهبةَ عِقَابه ورجاء ثوابه فله جنتانِ. ثم وصفهما فقال:

﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾.

والأفنـان جمع فَنٍّ، أي لـه فيها مـا تشتهي الأنفس وتلذ الأَعْيُن من كـل فَنٍّ، والأفنان الأَلْوَانُ، والأفنان الأغصَانُ، واحدها فَنَن، وهو أجود الوجهين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾: الزوجان النوعان.

وقوله: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَات الطَّرْفِ﴾.

معناه فيهن حورٌ قاصرات الـطرف، قد قَصَـرْنَ طرفَهُنَّ على أَزْوَاجِهِنَّ لا ينظرن إلى غيرهم.

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾.

لَمْ يَمْسَسْهُنَّ، ويقـرأ «لَمْ يَطْمُثْهُنَّ»، وهي في القـراءة قليلةٌ، وفي اللغة

طَمَثَ يطمِثُ ويطمُثُ. وفي هذه الآية دليل على أن الجني يغشى، كما أن الإنسيَّ يغشى.

وقوله عز وجل:﴿كَأَنَّهُنَّ اليَاقُوتُ والمَرْجَانُ﴾.

قال أهل التفسير وأهل اللغة: هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان والمرجان صغار اللؤلؤ وهو أشد بياضاً، وقوله: «فِيهنَّ» وإنما ذكر جنَّتين يعني من هاتين الجنتين وما أعد لصاحب هذه القصة غير هاتين الجنتين.

وقوله عز وجل: ﴿هَلْ جَزَاءُ الاحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ﴾.

أي ما جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يُحْسَنَ إليه في الآخرةِ.

وقوله ـ عز وجل:﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾.

أي لمن خاف مقام ربه جنتان وله من دونهما جَنَّتَان، والجنة في لغة العرب البستان.

وقوله عز وجل: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾.

يعني أنهما خَضْراوَانِ تضرب خضرتهما إلى السَّواد، وكل نبت أخضَر فتمام خضرته وَرِيّه أن يضرب إلى السَّوَادِ.

وقوله عزّ وجلّ:﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾.

جاء في التفسير أنهما ينضخان كُلَّ خيرٍ.

وقوله عزّ وجلّ:﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾.

قال قوم: إن النخل والرُّمَّانَ ليسا من الفاكهة، وقال بعض أهل اللُّغَةِ، منهم يونس النحوي، وهو يتلو الخليل في القدم والحذق: إن الرُّمَّان والنخل من أفضل الفاكهة، وإنما فُصِلاَ بالواو لفضلهما، واستشهد في ذلك بقوله تعالى:﴿مَنْ كانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلاَئِكَتِه ورُسُلِه وجِبْرِيلَ ومِيكَالَ﴾[1]. فقال لفضلهما فُصِلاَ بالواو.

---

(١) سورة البقرة /٩٨.

قوله عزّ وجلّ: ﴿مُتَّكِئين على فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ اسْتَبْرَقٍ وجَنَى الجنّتَيْنِ دَانٍ﴾.

قيل الاستبرق الديباج الصفيق جدًّا نحو ما يعمل للكعبة والبطائن ما يلي الأرض.

وقوله: ﴿وَجَنَى الجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾.

أي ما يجنى من ثمرهما إذا أرادوه دنا من أفواههم حتى يتناوَلُوه بأفواههم وأيديهم.

وقوله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾.

أَصْلُه في اللُّغَة خَيِّراتٌ، والمعنى أنَّهن خَيِّراتٌ الأخلاق حسان الخلق، وقد قرئ بها ـ أعني بتشديد الياء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيَامِ﴾.

الخيام في لُغَةِ العَرَبِ جَمْعُ خَيْمَةٍ، والخيام شيئانِ: الخيام الهوادج والخيام البيوت، وجاء في التفسير أن الخيمة من هذه الخيام منْ دُرَّةٍ مُجَوَّفَةٍ، ومعنى مقصورات مُخَدَّرات، قد قصرن على أَزْوَاجِهِنَّ.

وقوله: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وعَبْقَرِيِّ [حِسَانٍ]﴾.

وقرئت على رفارف خُضْرٍ وعَبَاقِرِيّ ـ «حِسَانٍ».

القراءة هي الأولى، وهذه القراءة لا مخرج لها[1] في العربية، لأن الجمع الذي بعد ألفه حرفان نحو مساجد ومفاتيح لا يكون فيه مثل عباقري[2] لأن ما جاوز الثلاثة لا يجمع بياء النسب. لو جمعت «عبقري» كان جمعه

(١) في الأصل: فلا مخرج لها.

(٢) ينسب إلى مفرده ولا ينسب لجمعه.

عباقرة، كما أنك لو جمعت «مُهَلَّبِيّ» كان جمعه مَهَالِبَة، ولم يقل مَهَالِبيّ، فإن قال قَائِلٌ: فمن أين جاز عبقَريّ حِسَانٌ، و «عَبْقَري» واحد، وحسان جمع، فالأصل أن واحده عبقريَّةٌ، والجمع عبقري، كما تقول ثَمَرَةَ وثَمَر ولوزَةٌ ولَوْزٌ. ويكون أيضاً عبقري اسماً للجنس، فالقراءة هي الأولى.

وأما تفسير ﴿رَفْرَفٍ خُضْرٍ وعَبْقَرِيٍّ﴾ فقالوا: الرَّفْرَفُ ههنا رياض الجنَّةِ وقالوا: الرفرف الوسائد، وقالوا المحابس، وقالوا أيضاً فضول المحابس للفرش. فأما العبقري، فقالوا: البُسُط، وقالوا: الطنافِسُ المبْسُوطَةُ والذي يدل على هذا من القرآن قوله: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ. وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾(١) فالنمارق الوسائد، والزرابيُّ البسط. فمعنى «رفرف» ههنا، و «عَبْقَرِيّ» أنه الوسائد والبُسط. ويدل ـ واللَّه أعلم ـ على أن الوسائد ذوات رَفْرَفَ.

وأصل العبقري في اللغة صفة لكل ما بولغ في وصفه، وأصله أن عبقر اسم بلد كان يوَشَّى فيه البسط وغيرها، فنسب كل شيء جيد، وكل ما بولغ في وصفه إلى عبقر. قال زهير(٢):

بِخَيْلٍ عليها جِنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ جديرُون يوماً أن ينالوا فيستَعْلُوا

وقوله: ﴿فبأيِّ آلاَءِ رَبكما تُكَذِّبَانِ﴾.

أي فبأي نعم رَبِّكما التي عددت عليكما يا معشر الجن والإنس تكذبان. فإنما ينبغي أن يعظما اللَّه ويمجداه، فختم السورة بما ينبغي أن يمجَّدَ به ـ عزّ وجلّ ـ ويُعظم ـ فقال عزّ وجلّ:

﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذُو الجَلاَلِ والإِكْرَامِ﴾.

---

(١) سورة الغاشية الآية ١٥ ـ ١٦.

(٢) من لاميته التي تقدمت أبيات منها، والبيت في اللسان ـ عبقر. أيضاً.

سُورَةُ الوَاقِعَةِ
مكيــة

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ﴾.

يقال لكل آت كان يتوقع قد وَقَعَ، تقول: قد وقع الأمر، كقولك قد جاء الأمر. والواقعة ههنا الساعة والقيامة.

وقوله: ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾.

المعنى أنها تخفض أهل المعاصي، وترفع أهل الطاعة، و﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ القراءة بالرفع، والنصبُ جائزٌ ولم يقرأ به إمام من القرَّاءِ، وقد رويت عن الزِيدي صاحب أبي عمرو ابن العلاء، فمن رفع وهو الوجه، فالمعنى هي خافضة رافعة ومن نصب فعلى وجهين أحدهما إذا وقعت الواقعة خافِضَةً رافِعةً على الحال ويجوز على إضمار «تقع» ويكون المعنى إذا وقعت تقع خافضة رافعة ـ على الحال من تقع المضمر.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾.

أي لا يردها شيء كما تقول: قَدْ حَمَلَ فُلانٌ لا يُكَذِّبُ، أي لا يرد حَمْلَته شيءٌ، و «كَاذِبَةٌ» مصدر كقولك عافه اللّٰه عافيةٌ وعَاقَبَهُ عاقبة، وكذلك كذب كاذبة، وهذه أسماء في مَوْضِعِ المَصَادِرِ.

وقوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا﴾.

موضع «إذا» نصب. المعنى إذا وقعت في ذلك الوقت، ويجوز النَّصْب على «تقع إذا رُجَّت الأرض رَجًّا»، ومعنى رجت حركت حركة شديدة وزلزلتْ.

﴿وَبُسَّتِ الجِبَالُ بَسًّا﴾.

بُسَّتْ لُتَّتْ وخُلِطَتْ، وبُسَّتْ أيضاً سِيقَتْ.

﴿هَبَاءً مُنبثًّا﴾.

غباراً، ومثله ﴿وَسُيِّرَتِ الجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً﴾(١)، ومثل بُسَّتْ خُلِطَتْ وَلُتَّتْ قول الشاعر:

لا تخبزا خبزا وبُسَّا بَسًّا(٢)

ومثل سيقت وانساقت قوله:

وانْبِسَّ حَيَّاتُ الكثيب الأَهْيَل(٣)

وقوله عزّ وجلّ: وَكُنْتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاَثَةً.

أي أصنافاً ثلاثة، يقال للأصناف التي بعضها مع بعضٍ أزواجٌ كما يقال للخفين زوجان.

وقوله: ﴿فَأَصْحَابُ المَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ المَيْمَنَةِ﴾.

رفع بالابتداء، والمعنى وأصحاب الميمنة ما هم، أي شيء هُمْ ﴿وأصحاب المشأمة﴾ أي شيء هم. وهذا اللفظ مجراه في العربية مجرى

(١) سورة النبأ الآية ٢٠.

(٢) بعده: ولا تطيلا بمناخ حبْساً.

قيل إنه للص من غطفان أراد أن يخبز عجيناً فـاكله عجينا لأنـه كان خـائفاً يـريد الهـرب والمراد بالبس أن يلت الدقيق بالزيت أو السمن. ويسمى حينئـذ بسيسة، ويؤكـل دون خبز ـ وهـو رجز شائع ذكره الثعالبي في فقه اللغة باب تفصيل الشـدة والشديـد، وفي الاشباه والنـظائر واللسـان (خبز ـ بس) ـ الطبري ٢٧/ ٨٧، القرطبي ١٧/ ١٩٦.

(٣) في اللسان: (بسس) ولم يذكر غير هذا الشطر.

التَّعَجُّب، ومجراه من اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ في مخاطبة العباد مجرى ما يعظم به الشأنُ عندهم. ومثله ﴿الحاقة ما الحاقَّة﴾، و﴿القارعة ما القارعة﴾، ومعنى أصحاب الميمنة أصحاب اليمين، وأصحاب المشأمة أصحاب الشمال، وأصحاب اليمين هم أصحاب المنزلة الرفيعة، وأصحاب الشمال هم أصحاب المنزلة الدنيئة الخسيسة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾.

معناه ـ واللَّه أعلم ـ السابقون السابقون إلى طاعة اللَّه عزّ وجلّ والتصديق بأنبيائه، والسابقون الأول رفع بالابتداء، والثاني توكيد، ويكون الخبر أولئك المقربون، ثم أخبر أين محلهم فقال: ﴿في جَنَّاتِ النَّعيم﴾.

ويجوز أن يكون السَّابِقُون الأول رفعاً بالابتداء، ويكون خبره ﴿السابقون﴾ الثاني، فيكون المعنى ـ واللَّه أعلم ـ السابقون إلى طاعة اللَّه السابقون إلى رحمة اللَّه. ويكون ﴿أولئك المقربون﴾ من صِفتهم.

وقوله: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾.

«ثلة» رفع على معنى هم ثلثة، والثلثة الجماعَة، وهذا ـ واللَّه أعلم ـ معنى ﴿ثُلةٌ منَ الأوَّلين﴾ أي جماعة ممن عاين الأنبياء وصدق بِهِمْ، فالذين عاينوا جميع النبيين وصدقوا بِهِم أكثر ممن عاين النبي عليه السلام، وذلك قوله في قصة نوح: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلى مَائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إلى حِينٍ﴾[1].

هؤلاء سوى سائر من آمن بجميع الأنبياء ممن عاينهم وصَدَّقَهُم ويجوز أن يكون الثلة بمعنى قليل من الأولين وقليل من الآخرين، لأن اشتقاق الثلة من القطعة. والثل الكسر والقطع، والثلة نحو الفئة والفرقة.

وقَوْلُه: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ـ مُتَّكِئين عَلَيْهَا مُتَقَابِلينَ﴾.

---

(١) سورة الصافات /١٤٧ ـ ١٤٨.

متكئين ومتقابلين منصوبان على الحال، المعنى أولئك المقربون في جنات النعيم في هذه الحال. والسرر جمع سرير، مثل كثيب وكثب، ومعنى «متقابلين» ينظر بعضهم إلى وجوه بعض ولا ينظر في أقفاء بعضٍ.

وصفوا مع نعمهم بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق، وصفاء المودة ومن ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾[1] وجاء في التفسير ﴿موضونة﴾ مرمولة ومعنى مرمولة منسوجة، نحو نسج الدروع، وجاء في التفسير أنها من ذهب، ومثل موضونة قول الأعشى[2].

ومن نسج داود موضونة   تساق مع الحي عِيرا فعيرا

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾.

الأكواب آنية لا عُرى لها ولا خراطيم، والإبريق ما له خرطوم وعُروة.

﴿وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾.

والكأس الإناء فيه الشراب، فإن لم يكن فيه شراب فليس بكأسٍ، وقوله: ﴿مِنْ مَعِينٍ﴾ معناه من خمر تجْري من العُيُونِ.

وقوله: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ﴾.

تأويله لا ينالهم عن شربها ما يَنال أهل الدنيا من الصُّداع، ﴿ولا ينزفون﴾ لا يسكرون، والنزيف السكران، وإنما قيل له نزيف ومنزوف لأنه نزف عقله، ويقرأ ولا يُنزَفون، معناه لا ينزف شَرابُهُمْ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾.

---

(١) سورة الحجر /٤٧.

(٢) البيت في اللسان (وضن)، والطبري٢٧ / ٨٩.

ومجاز أبي عبيدة ٢ / ٢٤٨، والقصيدة في الديوان وتقدمت الاشارة إليها. وبعض أبياتها.

بالخفض، وقرئت بالرَّفع، والذين قرأوها بالرفع كرهوا الخفض لأَنَّهُ عطف على قوله:﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ﴾، فقالوا: الحور ليس مما يطاف به، ولكن مخفوض على غير ما ذهب إليه هؤلاء لأن معنى ﴿يطوف عليهم وِلْدَانٌ مخلدونَ﴾ ينعمون بهذا، وكذلك ينعَّمُونَ بلحم طيرْ وكذلك ينعمون بحورٍ عِينٍ. ومن قرأها بالرفع فهو أحْسَنُ الوجهين لأن معنى ﴿يطوف عليهم وِلْدانٌ مُخَلَّدونَ﴾ بهذه الأشياء بمعنى ما قد ثبت لهم فكأنه قال: ولهم حُورٌ عينٌ. ومثله مما حمل على المعنى قول الشاعر[1]:

بادت وغير آيُهُنَّ مع البلى ... إلاَّ رَوَاكِدَ جَمْرُهُنَّ هَبَاءُ
ومشجح أما سواء قذاله فبدا ... وغير سَارَهُ المِعْزَاءُ

لأنه قال: إلاَّ رَوَاكِدَ، كأن المعنى بها رَوَاكِدُ، فَحَمَلَ ومُشَجَّحٌ على المعنى.

وقد قرئت «وحوراً عِيناً» بالنَّصْبِ على الحمل على المعنى أيضاً، لأن المعنى يُعْطَوْن هذه الأشياءَ ويُعْطَون حوراً عيناً، إلاّ أن هذه القراءة تخالف المصحف الذي هو الإِمَامَ، وأهل العلم يكرهون أَنْ يُقْرَأَ بِمَا يَخَالِفُ الإِمَامَ.

ومعنى الحور: الشديدات البياض، والعِينُ الكبيرات العُيُونِ حِسَانُها. ومعنى ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤلُؤ المكْنُونِ﴾ أي كأمثال الدر حين يخرج من صَدَفِه وَكِنِّه، لم يغيره الزَّمَانُ واختلاف أحوال الاستعْمَال وإنما يعنى بقوله: ﴿كأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ﴾ أي في صفائهن وتَلأْلُئِهِنَّ كصفاء الدّر وتَلاَلِئِه.

وقوله:﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

منصوب مفعول له، المعنى يفعل بهم ذَلِكَ لِجَزاءِ أَعْمَالَهم، ويجوز أن يكون «جَزَاءً» منصوباً على أنه مصدر، لأن معنى ﴿يطوف عليهم ولدانٌ

(١) تقدم في الجزء الأول.

مُخَلَّدُونَ﴾ يجازون جزاء بأعمالِهم. وهذا الوجه عليه أكثر النحويين.

وقوله: ﴿إلَّا قيلا سَلَاماً سَلَاماً﴾.

﴿قيل﴾ منصوبٌ بقوله ﴿لَا يَسْمَعُونَ فيها لَغْواً ولا تأثيماً إلَّا قِيلًا سَلَاماً سَلَاماً﴾، فالمعنى لا يسمعون إلا قيلًا سلاماً سلاماً، مَنْصُوبٌ من جهين إحداهما أن يكون من نعت قيلَ، فيكون المعنى لا يَسْمَعُون إلَّا قيلًا يسلم فيه من اللغو والإثم. والوجه الثاني أن يكونَ ﴿سَلَاماً﴾ منصوباً على المصدر، فيكون المعنى لا يسمعون فيها إلا أن يَقُولَ بعضهم لبعض سَلَاماً سَلَاماً. ودليل هذا قوله تعالى: ﴿تحيتهم فيها سلام﴾[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾.

المخضود الذي قد نزع شوكه، والطلح جاء في التفسير أنه شجر الموز، والطلح شجر أم غَيلان أيضاً، وجائز أن يكون يعنى به ذلك الشجر، لأنَ له نوراً طيب الرائحة جدًّا، فخوطبوا ووعدوا بما يحبُّونَ مثله، إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾: معناه تام دائم.

وقوله: ﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾، يعنى به أنه ماء لا يتعبون فيه ينسكب لهم كيف يحبون.

وقوله: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾.

يعني الحورَ، أُنْشِئْنَ لأولياء اللَّه عَزَّ وجلّ، لَيْسَ ممن وقعت عليه ولادة.

﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أبكاراً﴾: لَمْ يُطْمَثْنَ.

عُرُباً، والعرب المتحببات إلى أَزْوَاجِهِنَّ.

---

(١) سورة يونس. الآية ١٠.

وقوله: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الآخرِينَ﴾.

معناه ـ والله أعلم ـ جماعة ممن تبع النبي ﷺ وعاينه، وجماعة ممن آمن به وكان بعده.

وقوله: ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾.

اليحموم الشديد السواد، وقيل إنه الدخان الشديد السَّوَاد، وقيل ﴿وظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ أي من نار يعذبون بها، ودليل هذا قوله عزّ وجلّ: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾،(١) إلا أنه موصوف في هذا الموضع بشِدة السواد.

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الحِنْثِ العَظِيمِ﴾.

قيل في التفسير: الحنث الشرك، وَقيل على الإثم العظيم، وهو ـ والله أعلم ـ الشرك والكفر بالبعث، لأن في القرآن دليل ذلك وهو ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ، بلى وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا﴾(٢) فهذا ـ والله أعلم ـ إصرارهم على الحنث العظيم.

﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ﴾.

ويقرأ شرب الهِيمِ، والشَّرْبُ المصدر، والشُّربُ الاسم، وقد قيل إن الشرب أيضاً مَصْدَرٌ. والهيم الإبلُ العِطَاشُ.

وقوله: ﴿هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾.

أي هذا غذاؤهم يوم الجزاء، أي يوم يجازَوْنَ بأعمالهم.

وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾.

أي ما يكون منكم من المَنِيّ الذي يكون مِنْهُ الوَلَدُ، يقال: أَمْنى الرجل يمني، ومَنَى يَمْنِي. فيجوز على هذا «تمنون» بفتح التاء، ولا أعلم أَحَداً قرأ بها، فلا تقرأن بها إلا أن تثبت رواية.

(١) سورة الزمر /١٦. (٢) سورة النحل /٣٨.

وقـولـه : ﴿أَأَنتُمْ تَخْلُقُـونَـهُ أَمْ نَحْنُ الخَالِقُونَ﴾ .

احتـج عليهم في البعث بالقـدرة على ابتداء الخلق كمـا قال عـزّ وجلّ : ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ،قل يُحْيِيها الذي أنشأَها أول مَرَّةٍ وهو بكل خلق عليم﴾[١]

وقوله عزّ وجلّ :﴿نَحْنُ قَـدَّرْنَا بَيْنَكُمُ المَـوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُـوقِينَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾ .

أي إن أردنـا أن نخلق خلقـاً غيـركم لم يسبقنـا سـابق ولا يفـوتنـا ذلك .
وقوله :﴿ونُنْشِئَكُمْ فِيمَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ .

أي إن أردنـا أن نجعل منكم القـردة والخنازيـر لم نسبق ولاَ فَاتَنـا ذَلك .

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولىَ فَلَوْلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ .

أي قد علمتم ابتداء الخلق فلم أنكرتم البعث ، ومعنى «لولا تذكرون» هلا تذكرون .

وقوله :﴿فَظَلْتُم تَفَكَّهُونَ﴾ .

أي لو جعلنا ما تزرعون حطاماً ، أي أبطلناه حتى يكون متحطماً لا حنطة فيه ولا شيء مما تَزْرَعُونَ .

﴿فَـظَلْتُم تَفَكَّهُـونَ﴾ .

أي تَنَدَّمُون ، ويجُوزُ فَظِلْتُم تفكهون ـ بكسر الظاء ـ

وقوله : ﴿إِنَّـا لَمُغْـرَمُـونَ﴾ .

أي يقولون قد غرمنا وذهب زرعنا ،﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ .

وقوله:﴿أَأَنتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ المُزْنِ﴾ .

وهي السحاب واحدته مُزْنَةٌ وجمعه مُزْنٌ .

---

(١) سورة يـس . الآية ٧٨ ـ ٧٩ .

وقوله: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً﴾.

الأجاج الماء الملح الذي لا يمكن شربه البتة.

﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾، معناه «فَهَلَّا».

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ التَّي تُورُونَ﴾.

معناه تقدحونَ، تقول وري الزند يَرِي ورْياً، فهو وارٍ إذا انقدحت منه النار، وأوريت النار إذا قدحتها، والعرب تقدَحُ بالزَّنْدِ والزَّنْدَةِ، وهذا خشب يحك بعضه على بعض فيخرج منه النار، فقال: ﴿أَأَنتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها أَمْ نَحْنُ المُنْشِئُونَ، نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ﴾.

أي إذا رآها الرائي ذَكَرَ جهنم وما يخافه من العذاب، فذكر اللّه عزّ وجلّ واستجار به منها، ومعنى ﴿متاعاً للمقوين﴾، المقوي الذي ينزل بالقواء، وهي الأرض الخالية.

فذكر اللّه ـ عزّ وجلّ ـ جميع ما يدل على توحيده وما أنعم به عليهم من خَلْقِهِم، وتغذيتهم مما يأكلون ويشربون، مما يدل على قَدْرَتِهِ ووحدانيتـه، ثم قال عزّ وجلّ: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ﴾.

أي فبرِّئ اللّه ـ عزّ وجلّ.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ﴾.

معناه أقسم، ودخلت «لَا» توكيداً كما قال عزّ وجلّ: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ، معناه لأن يعلم أهل الكتاب، ومواقع النجوم مَسَاقِطُها، كما قال ـ عزّوجلّ ـ رَبُّ المَشَارِقِ المَغَارِبِ، وقيل إن مواقع النجوم يعنى به نجوم القرآن، لأنه كان ينزل على النبي ﷺ نُجُوماً شيئاً بَعْدَ شَيْءٍ، ودليل هذا القول: ﴿وَإِنَّه لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٍ إِنه لَقُرْآنٌ كَرِيم﴾.

وقوله: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾.

أي مصون في السماء في اللوح المحفوظ.

وقوله: ﴿لَا يَمسُّه إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾.

يعنى به الملائكة. لا يمسه في اللوح المحفوظ إلا الملائكة، ويقرأ «المُطَهِّرُونَ» وهي قليلة، ولها وجهان أحدهما الذين طَهَّروا أنفسهم من الذُّنُوبِ، والثاني أن يكون الَّذين يُطَهِّرُونَ غيرهم.

وقوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

صفة لقوله ﴿كريم﴾، وإن شئت كان مرفوعاً على قوله هو تنزيل من رب العالمين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾.

أي أفبالقرآن تكذِبُونَ، والمُدْهِنُ المدَاهِنُ والكذاب المنافق.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

كانوا يقولون: مطرنا بنوء كذا، ولا ينسبون السقيا إلى اللَّه - عزّ وجلّ - فقيل لهم: أتجعلون رِزقكم أي شكركم بما رزقتم التكذيبَ، وقرئت «وتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أنكم تُكَذِّبُونَ» ولا ينبغي أن يقرأ بها لخلاف المصحف. وقد قالوا إن تفسير رزقكم ههنا الشكر، ورووا أنه يقال «وتجعلون رزقي في معنى شكري» وليس بصحيح. إنما الكلام في قوله ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ يدل على معنى «وتجعلون شكركم أنكم تكذَبُونَ» أي تجعلون شكر رزقكم أن تقولوا: مطرنا بنوء كذا، فَتُكَذِبُونَ في ذلك.

وقوله: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾.

يعنى إذا بلغت الروح الحلقوم.

﴿وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾.

أي أنتم يا أهل الميت في تلك الحال ترونه قد صار إلى أن تخرج نفسه.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾.

جاء في التفسير أنه لا يموت أحد حتى يعلم أهو من أهل الجنة أم من أهل النار.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

ومعناه هلا ترجعون الروح إن كنتم غير مَدِينين، أي غير مَمْلوكين مُدَبَّرين ليس لكم في الحياة والموت قدرة، فهلا إن كنتم كما زعمتم ومثل قولكم الذي جاء في القرآن: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِم وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا، قل فادرأوا عن أنفسكم الموت إن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ كما قال ﴿أو كانوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾.

فالمعنى إن كنتم تقدرون أن تؤخروا أَجَلاً فهلا تَرْجِعُون الروح إذا بلغت الحلقوم، وهلا تدرأون عن أنفسكم الموت.

وقوله: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾.

بفتح الراء في روح. ومعناه فاستراحة وبرد، وريحان رزق قال الشاعر:

سلام الإله وريحانه ... ورحمته وسماء دِرَرْ(١)

ورُوِيت «فَرُوحٌ» بضم الراء، وتفسيره فحياة دائمة لا موت بعدها وريحان رِزقٌ. وجائز أن يكون ريحان ههنا تحية لأهل الجنة، وأجمع النحويون أن أصل ريحان في اللغة «رَيِّحَان» من ذوات الواو فالأصل «رَيْوِحان» فقلبت الواو

---

(١) في الاصل: سلام اللّه. والبيت في اللسان (روح ودرر) ـ وهو للنمر بن تولب ـ وجاء في اللسان (درر) بعده.

غمام ينزل رزق العباد ... فأحيا البلادَ وطاب الشجر

وانظر مجاز أبي عبيدة ٢/٢٤٣، وتفسير الطبري ٢٧/٦٥، والقرطبي ١٧/١٥٧.

ياء وأدغمت فيها الأولى، فصارت ريّحان، فخفف كما قالوا [في] ميتٍ ميت، ولا يجوز في «رَيْحان» التشديد إلا على بعد لأنه قد زيد فيه ألف ونون فخفف بحذف الياء وألزم التخفيف.

ورفعه على معنى فأما إن كان المتوفى من المقربين فله روح وَرَيْحانٌ.

وقوله:﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابَ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ.

وقد بيَّن ما لأصحاب اليمين في أوَل السورة.

ومعنى ﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ [اليَمِينِ]﴾ أنك ترى فيهم ما تحب من السَّلَامةِ وقد علمت ما أعدلهم من الجزاء.

وقوله:﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ المكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾.

ويُقْرَأُ فَنُزْل بالتخفيف والتثقيل. فمعناه فغذاء من حميمٍ وتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ.

أي إقامةً في جحيم. فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن الجحيم ههنا للمكذبين الضالين.

وقوله:﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ﴾.

أي إن هذا الذي قصصنا عليك في هذه السورة من الأَقاصيص وما أعد اللَّه لأوليائه وأعدائه وما ذُكِرَ مما يدل على وحدانيته لَيَقِينٌ حَقُّ اليقين، كما تقول: «إن زيداً لعالم حق عالم، وإنه للْعَالِمُ حقُّ العَالِم» إذا بالغت في التوكيد.

وقوله:﴿فَسَبِّحْ باسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ﴾.

أي فَنُزِه اللَّه ـ عزّوجلّ ـ من السُّوء، لأن معنى سبحان اللَّه تنزيه اللَّه من

السُّوءِ. كذلك جاء عن رسول اللَّه ﷺ، وأهلُ اللغة كذلك يُفَسِّرُونَهُ. بَرَاءةُ اللَّه من السوء، وأَنْشَدَ سِيبَوَيْه في هذا المعنى[1]:

أقــول لمــا جــاء في فخــره ... سبحـان من علقمـة الفــاجـر

أي أبرأ منه.

(١) تقدم.

سورة الحديد
مدنية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ: ﴿سَبَّح لِلَّه مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْض ِ﴾.

قال قوم: التسبيح آثار الصنعة في السموات وفي الأرض ومن فيهما وكذلك فسروا قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾، وهذا خطأ، التسبيح تمجيد اللَّه وتنزيهه من السوء ودليل ذلك قوله: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[1] فلو كان التسبيح آثارَ الصّنعة لكَانَتِ مَعقولة، وكانوا يفقهونها. ودليل هذا القول أيضاً قوله: ﴿وسَخَّرْنَا مَعَ داوُدَ الجبال يُسَبِّحْنَ وَالطَّيرَ﴾، فلو كان تسبيحها آثار الصنعة لم يكن في قوله «وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ والطَّيْرَ» فائدة[2].

وقوله: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْض ِ يُحْيِي ويُمِيتُ﴾.

أي يحيي الموتى يوم القيامةِ، ويُميتُ الأحياء في الدنيا. ويكون يحيي ويُميت: يحيي النطف التي إنَّما هي مَوَاتٌ، ويميت الأحياء.

ويكون موضع ﴿يُحْيي ويُمِيتُ﴾ رَفْعاً على معنى هو يحيي ويميت. ويجوز أن يكون نصباً على معنى له ملك السموات والأرض مُحْيياً ومُمِيتاً قادِراً.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

(٢) لا يكون ثم ميزة لداود.

وقوله تعالى:﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ والظَّاهِرُ والبَاطِنُ﴾.

تأويله هو الأول قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء، والظاهر العالم بما ظهر والباطن العالم بما بطن، كما تقول: فلان يُبْطُنُ أمر فُلانٍ، أي يعلم دِخْلَةَ أمْرِه.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه شيء

وقوله تعالى:﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ﴾.

تأويله يعلم ما يدخل في الأرض من مَطَرٍ وَغَيْرِه، ﴿وما يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من نبات وغيره.

﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من رزق ومطر وملك.

﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيها﴾.

أي ما يصعد إليها من أعمال العباد، وما يَعْرُج مِنَ الملائكة.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾.

معناه يدخل الليل في النهار بأن ينقص من الليل ويزيد في النَّهارِ.

وكذلك ﴿يولج النهار في الليل﴾ ينقص من النهار ويزيد في اللَّيْلِ وهو مثل قوله:﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾(١).

وقوله: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

معناه صَدِّقوا بأن اللَّه واحد وأن محمداً رسوله.

﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾.

أي أنفقوا مما مَلككم، فأنفقوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا يُقَرِّبُ مِنْهُ.

وقوله:﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ولِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ﴾.

---

(١) سورة الزمر /٥.

تـأويله وأي شيء لكم في ترك الإنفـاق فيما يقـرب من اللّه وأنتم مَيِّتُونَ تَارِكُونَ أَمْوَالَكُم.

وقـوله: ﴿لَا يَسْتَـوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْـحِ وقَاتَلَ أولئـك أعْـظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أنفقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾.

لأن من تقدم في الإيمان باللّه وبرسوله عليه السلام وصَدَّقَ به فهو أفضل مِمَّنْ أَتَى بعدَهُ بالإيمان والتصديق، لأن المتقدِّمينَ نالهم من المشقـة أكثر ممـا نال مَنْ بَعْدَهُمْ، فكانت بصائرهم أيضاً أنفد.

وقال: ﴿وَكُلًّا وَعَد اللّهُ الحُسْنَى﴾.

إلَّا أنه أعلم فضل السابق إلى الإيمان على المتأخر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً، فَيُضَاعِفُهُ لَهُ﴾.

ويقـرأ ﴿فيضاعفَهُ﴾ لـه ـ بـالنصب، فمن نصب فعلى جـواب الاستفهـام بـالفاء، ومن رفـع فعلى العـطف على يقـرض، ويكـون على الاستئنـاف على معنى فهو يضاعفه له. ومعنى يقرض ههنا يفعَـلُ فعلاً حسنـاً في اتّباع أمـر اللّه وطاعته. والعـرب تقول لكـل من فعل إليهـا خيراً: قـد أَحْسَنْتَ قَرْضِي، وقـد أقرضتني قرضاً حَسَناً، إذا فعل به خيراً، قال الشاعر:

وإذا جـوزيت قـرضـاً فـاجـزه ... إنما يجزي الفتى غيـر الجمل[1]

المعنى إذا أسدي إليك معروف فكافئ عليـه.

وقـولـه: ﴿يَـوْمَ تَـرَى المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَـاتِ يَسْعَى نُـورُهُمْ بَيْنَ أَيْـدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾.

﴿يَوْمَ﴾ منصوب بقوله: ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ في ذلك اليوم.

---

(١) تقدم ويروى: ليس الجمل.

ومعنى: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وبِأَيْمَانِهِمْ﴾.

أي بمعنى نورهم بين أَيْدِيهِمْ، وهو علامة أيديهم الصالحة.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾[1]، أي بلغنا به إلى جَنَّتِك.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ والْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾.

وقرئت «أَنْظِرُونا» ـ بقطع الألف ووصلها ـ فمن قال: انظرونا فهو من نظر ينظر، معناه انتظرونا، ومن قال: أَنْظِرونا ـ بالكسر ـ فمعناه أخرونا، وقد قيل إنَّ مَعْنَى «أنْظِرونا» انتظرونا أيضاً، وأَنْشَدَ [القائل] بيت عمرو بن كلثوم:

أَبَا هِنْدٍ فَلا تعجل عَلَيْنا ... وأَنْظِرْنا نخبِرُكَ اليَقِينَا

وقوله: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾.

تأويله لا نور لَكم عندنا.

وقوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العَذَابُ﴾.

أي ما يلي المؤمنين ففيه الرحمة، وما يلي الكافرين ظاهره يأتيهم من قِبَلِه العَذَابُ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ولكنكم فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ﴾.

معنى ﴿فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ اسْتَعْمَلْتُموهَا في الفِتْنَةِ، وتربصتم بالنبي ﷺ والمؤمنين الدوائر.

﴿وَغَرَّتْكُمْ الأَمَانِيُّ﴾.

أي ما كنتُمْ تَمنَّونَ من نزول الدوائر بالمؤمنين.

﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّه﴾.

---

(١) سورة التحريم آية ٨.

(٢) من معلقته. الاهبي بصحنك.

آي حتى أنزل اللَّه نَصْرَهُ عَلَى نَبِيِّهِ والمؤمنين.

﴿وَغَـرَّكُمْ بِاللَّهِ الغَـرُورُ﴾.

أَيْ غَرَّكُمُ الشَّيْطَانُ، وهـو الغرور على وَزْن الفَعُـول، وَفَعُول من أسمـاء المبـالغة، تقـول: فـلان أكـول إذا كـانَ كثيـر الأكـل وضـروبٌ إذَا كـانَ كثيـر الضَّرْبِ، ولذلك قيل للشيـطان: الغرور لأنـه يَغُرُّ ابنَ آدم كثيـراً، فإذا غـرَّ مرة واحدةً فهو غارٌّ، ويصلح غارٌ للكثيـر، فأمـا غَرورٌ فـلا يصلح لِلْقَلِيْلِ، وقـرئت الغُرُورُ، وهو كل ما غرَّ من متـاع الدنيـا.

ومعنى ﴿ارْتَبْتُمْ﴾ غَلَّبْتُمُ الشَّكَّ على اليقين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَأْوَاكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾.

هي أَوْلَى بِكُمْ لما أَسْلَفْتُمْ من الذُّنُوبِ، ومثل ذلك قول الشاعر[1]:

فغـدت كلا الفـرجين تحسب أنه   مـولى المخافـة، خَلْفُها وأَمَـامُهـا

مثـل ذلك. أي مولى المخافة خلفها وأمامها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الحَقِّ﴾.

ويقـرأ ﴿وَمَا نَـزَلَ﴾ من الحق ـ بالتخفيف. وقـوله «يـأن» من أَنَى يَأْنِي، ويقال آن يئين. وفي هذا المعنى ومعناه «حَانَ يَحِينُ».

وهذه الآية ـ واللَّه أعلم ـ نزلت في طائفـة من المؤمنين حُثُّوا عَلَى الـرِّقَّة والـرَّحمَةِ والخشـوع. فأمـا من كان ممن وصفـه ـ عزّوجلّ ـ بالخضـوع والرقـة والرحمة فطائفة من المؤمنين فوق هؤلاء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾.

---

(١) هو لبيد في معلقته البيت ٤٨، يصف بقرة وحشية سمعت صوتاً لم تدراً هـو أمامهـا أم وراءها. فـذعرت ولم تعـرف كيف تنجو وهي تحسب أن كـلا الفـرجتين. مـا بين رجليهـا الخلفيتين أو الأماميتين أولى أن تخافه. ومولى المخافة ـ أي الأولى بأن تخافه.

وقرئت بالتاء، ـ تكونوا ـ

﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

أي لا تكونوا كالذين لما طالت عليهم المدَّة قست قُلُوبُهُمْ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿اعْلَمُوا أنَّ اللَّه يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ﴾.

معناه أن إحياء الأرض بعد موتها دليل على توحيد اللَّه، ومن آياته الدالة على ذلك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ المصَّدِّقِينَ والمصَّدِّقَاتِ﴾.

بتشديد الصّاد، معناه أن المتَصَدِّقين والمتصدِّقَاتِ، ويقرأ أن المصَدِّقين والمصدقات بالتخفيف، ومعناه أن المؤمنين والمؤمنات مِمَّنْ صدق اللَّه ورسوله فآمن بما أتى به النبي ﷺ.

وقوله: ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾.

أي تصدَّقوا من مال طيب.

﴿يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

أي يضاعف لهم ما عملوا، ويكون ذلك التضعيف أَجْراً كريماً.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسِلِه أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾.

على وزن «الفعِيلينَ» واحدهم صِدِّيقٌ وهو اسم للمُبَالَغَةِ في الفِعْلِ تقول: رجل «صِدِّيقٌ» كثير التصديق وكذلك رجل سكيت كثيرُ السَّكوتِ. فالمعنى أنَّ المُؤمِنَ المصَدِّقَ باللَّه ورُسُلِهِ هو المبالغ في الصِّدْقِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾.

يصلح أن يكون كلاماً مُسْتَأْنفاً مرفوعاً بالابتداء، فيكون المعنى «والشُّهَدَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ لهم أجرهم ونورهم. والشهداء هم الأنبياء، ويجوز أن يكون «والشهداء» نسقاً على ما قبله، فيكون المعنى أولئك هم الصِّدِّيقُونَ

وأولئك هم الشهداء عند رَبِّهِمْ، ويكون ﴿لهم أجرهم ونورهم﴾ للجماعة من الصديقين والشهداء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ - إلى قوله[1] ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُه﴾.

الكاف في موضع رفع من وجهين، أَحَدُهُما أن تكون صفة فيكون المعنى: «إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم مَثَلُ غيثٍ، وهو المطر ويكون رفعها عَلَى خبرٍ بَعْدَ خَبَرٍ، على معنى أن الحياة الدنيا وزينتَها مِثْلُ غَيْثٍ أعجب الكفار نباته.

والكفار ههنا له تفسيران أحدهما أنه الزَّرْعُ، وإذا أعجب الزُّرَّاعَ نَبَاتُه مع علمهم به، فهو في غاية ما يستحسن، ويكون الكفار ههنا الكفار باللَّه[2]، وهم أشد أعجاباً بزينة الدُّنْيَا من المؤمنين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا﴾.

معنى ﴿يهيج﴾ يأخذ في الجفاف فَيَبْتَدِئ به الصُّفْرَة.

﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً﴾.

أي متحطماً متكَسِّراً ذاهِباً. وضرب اللَّه هذا مثلاً لزوال الدنيا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾.

ويقرأ «ورُضْوان»، وقد روينا جميعاً عن عاصم - بالضم والكسر - فمعناه فمغفرة لأولياء اللَّه وعذاب لأعدائه.

وقوله: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾.

المعنى سابقوا بالأعمال الصالحة.

---

(١) بقية الآية: ﴿وَزِينَةٌ وَتَفَاخُر بينكم وتَكَاثُرٌ في الأَمْوالِ والأَوْلَادِ﴾.

(٢) هذا هو الوجه الثاني.

وقيل إن الجَنَّات سَبْعٌ ، وقيل أَرْبَعٌ لقوله ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ وقوله بعد ذلك ﴿وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتَانِ﴾. وقيل عرضها ولم يذكر طولها ـ واللَّه أعلم ـ وإنما ذِكْرُ عَرْضِها هَهنا تمثيلُ للعِبَادِ بِمَا يَفْعَلونَهُ وَيَقَعُ فِي نُفُوسِهِم، وأكبر ما يقع في نفوسهم مقدار السموات والأرض.

وقوله عزّ وجلّ:﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّه يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾.

وهذا دليل أنه لا يدخل أَحَدٌ الجنَةَ إلاَّ بفضل اللَّه.

ثم أعلمهم أن ذلك المؤدِّي إلى الجنَّةِ أو النار لَا يكون إلاَّ بقضاء وَقَدَرٍ فقال عزّ وجلّ:

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ في الأَرْضِ وَلاَ في أَنْفُسِكُمْ إلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرأَهَا﴾.

أي مِنْ قَبل أن نَخْلُقَهَا، فما وقع في الأرض من جَدْبٍ أَوْ نَقْصٍ وكذلك ما وقع في النفوس من مرضٍ وموتٍ أو خُسْرانٍ في تجارةٍ أو كسب خيرٍ أو شَرٍّ فمكتوبٌ عند اللَّه معلومٌ.

وقوله عزّ وجلّ:﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُم وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾.

فمن قرأ «أَتاكُمْ» فمعناه جاءكم، ومن قرأ ﴿آتَاكُمْ﴾ فمعْنَاهُ أَعْطَاكُم ومعنى «تفرحوا» ههنا لا تفرحوا فَرَحاً شد يداً تأشروا فيه وتبطروا ودليل ذلك: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

فدل بهذا أنه ذم الفرح الذي يختال فيه صاحبه ويبطر له، فأما الفرح بنعمة اللَّه والشكر عليها فغير مذموم.

وكذلك ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾.

أي لا تحزنوا حزناً يطغاكم حتى يخرجكم إلى أن تلزِمُوا أَنْفُسِكُم الهَلَكَة ولا تعتدوا بثواب اللَّه ما تسلبونَهُ وَمَا فاتكم.

وقوله:﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرونَ النَّاسَ بِالبُخْلِ ﴾.

ويقرأ «بالبَخَلِ» مثل الرشدِ والرَّشَد، وهذا على ضربين أَحَدُهُمَا في التفسير أنهم الذين يبخلون بتعريف صفة النبي ﷺ التي قد عرفوها في التوراة والإنجيل، والوجه الثاني أنه لما حَثَّ على الصِّفَةِ، أعلم أنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بها ويأمرون بالبخل بها، فإنِ اللَّه عزّ وجلّ غني عنهم.

وقوله عزّ وجلّ:﴿وَأَنْزَلْنَا الحَدِيدَ فِيه بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾.

جاء في التفسير أن آدم عليه السلام هبط إلى الأَرْضِ بالعلاة والمطرقة والكلبتين. والعلاة هي التي يسميها الحدادونَ السِّنْدَانَ.

وقوله عزّ وجلّ:﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾.

[أي] يمنَعُ بِه، ويحارَبُ به.

﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾.

يستعملونه في أدواتهم وما ينتفعون به من آنِيَتِهِمْ، وجميع ما يتصرف فيه.

وقوله:﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بالْغَيْبِ﴾.

أي ليعْلَمَ اللَّه من يقاتل مع رسلِه في سُبُلِهِ. وقد مر تفسيره ومعناه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا﴾.

أي أتبعنا نوحاً وإبراهيم رُسُلاً بعْدَهُمْ.

﴿وَقَفَّيْنا بِعِيسَى بنِ مَرْيَمَ وآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ﴾.

جـاء في التفسير أن الإنجيل آتاه اللَّه عيسى جُمْلَةً واحدةً.

وقوله ﴿وَجَعَلْنَا في قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾.

ويجوز رآفة على وزن السماحة، حكى أبو زيد أنه يقال: رَؤُفْتُ بالرَّجل رَأْفَةً، وهي القِراءةُ. وقد قرئَت ورآفة.

وقوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾.

هذه الآية صعبة في التفسير. ومعناها ـ واللَّه أعلم ـ يحتمل ضَرْبَيْن أَحَدُهُمَا أن يكون المعنى في قوله: ﴿وَرَهْبَانيةً ابتدعوها﴾ ابتدعوا رهبانية كما تقول: رأيت زيداً، وعمراً أكرمتُه، وتكون ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيهِمْ﴾ معناه لم نكتبها عليهم ألبتَّةَ، ويكون ﴿إلَّا ابْتغَاءَ رضوان اللَّه﴾ بَدَلاً من الهاء والألف[1]، فيكون المعنى ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رِضْوَانِ اللَّه، وابتغاءُ رضوان اللَّه اتِّبَاعُ مَا أَمَرَ بِهِ. فَهذا ـ واللَّه أعلم ـ وجه.

وفيها وجه آخر في ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾.

جاء في التفسير أَنَّهُمْ كانوا يَرَوْنَ من مُلُوكهم ما لا يَصْبِرُونَ عليهِ فاتخذوا أسراباً وصَوَامِعَ[2]. فابتدعوا ذلك، فلما ألزموا أَنْفُسَهُم ذلك التطوع ودَخَلُوا فيه لزمهم تَمِامُهُ، كما أن الإِنسان إذا جعل على نفسه صوماً لم يُفْتَرَضْ عليه لزمه أَنْ يُتِمَّهُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾.

على ضربين ـ واللَّه أعلم ـ:

أحدهما أن يكونوا قصَّروا فيما ألزموه أَنْفُسَهُم، والآخر وهو أجود أن يكونوا حين بُعِثَ النبي ﷺ فلم يؤمنوا به كانوا تاركين لطاعة اللَّهِ، فما رعوا تلك الرهبانية حق رعايتها. ودليل ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾.

أي الذين آمنوا منهم بالنبي عليه السلام.

---

(١) في كتبناها.

(٢) الأسراب هي السراديب، والصوامع جمع صومعة وهو ما يتخذه الرهبان للرهبنة.

﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: أي كافرونَ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّها الَّـذِينَ آمَنُوا اتَّقُـوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِـرَسُولِـهِ﴾.

يعني آمنوا برسوله، صَدِّقُوا برسُوله.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾.

معناه يؤتكم نصيبين من رحمته، وإنما اشتقاقه في اللغة من الكِفْل، وهو كساء يجعله الراكب تحته إذا ارتدف لئلا يسقط، فتأويله يؤتكم نصيبين يحفظانكم من هلكة الْمَعَاصي.

﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾.

كما قال عزّ وجلّ: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾(١)

وهذه علامة المؤمنين في القيامة، ودليل ذلك قوله:

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظرونا نقتبس مِنْ نُورِكُمْ﴾.

ويجوز أن يكون والله أعلم: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾: يجعل لكم سبيلاً واضحاً من الهدى تهتدون به.

وقوله: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ أَلَّا يَقدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ من فضل اللَّه﴾.

المعنى فعل الله بكم ذلك كما فعل بمن آمَن مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لأنْ يَعْلَموا و «لا» مؤكدة. و «أَنْ لَا يَقْدِرُونَ» «لا» ههنا يدل على الإضمار في «أن» مع تخفيف «أن» المعنى أنهم لا يقدرون، أي لِيَعْلَمَ أهلُ الكتاب أنهم لَا يَقْدِرُونَ على شيء من فضل الله.

---

(١) سورة التحريم آية ٨.

سورَة المُجَادَلَةِ

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾.

إدغام الدال في السين حسن، لقرب المخرجين. يقرأ «قد سَّمِعَ اللَّهُ» بإدغام الدال في السين حتى لا يلفظ التكلم بدال. وإنما حسن ذلك لأنَّ السين والدال من حروف طرف اللسان فإدغام الدال في السين تقوية للحرف. وإظهار الدال جائز لأنّ موضع الدال - وإن قَرُبَ من موضع السين - فموضع الدال حَيِّزٌ على حدة. ومن موضع الدال الطاء والتاء، هذه الأحرف الثلاثة موضعها واحدٌ. والسين والزَّايُ والصَّادُ من موضع واحدٍ، وهي تسمى حروف الصَّفِير، فلذلك جاز إظهار الدال.

وهذه الآية نزلت بسبب خَوْلَة بنت ثعلبة، وَأَوْس بن الصامت وكانا من الأنصار، قال لها: أنت عليَّ كظهر أُمِّي، وقيل قَالَ لها أنت عليَّ كأُمِّي، وكانت هذه الكلمة مما يطلق بها أهل الجاهلية، فرووا أنها صارت إلى النبي ﷺ فقالت: إنَّ أوْساً تزوَّجَنِي وأنا شَابَّةٌ مرغوب فِيَّ، فلما خلا سني ونثَرَتُ بَطني، أي كثر ولدي جعلني عليه كأُمِّه. فروي أن رسول اللّٰه ﷺ قال لها: ما عندي في أمرك شيءٌ، فشكت إلى اللّٰه عزّ وجلّ وقالت: اللهم إني أشكو إليك. وروي أيضاً أنها قالت للنبي عليه السلام فيما قالت: إن لي صبية صِغَاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليَّ جاعوا، فأنزل اللّٰه

ـ عزّ وجلّ ـ كفارة الظهار،وفي هذا دَليل أنه لا يكون ما يطلق به الجاهلية طلاقاً إلاّ أن يأتي الإسلام بذلك نحو ما قالوا في خليَّة وبَرِيَّـة وحبلك على غاربـك. وأصــل قـولهم: أنْتِ طَـالِقٌ لَمَّا أتـى الإســلام بحكم فيـه مضى على حكم الإسلام.

وقوله:﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُن أُمَّهَاتِهِمْ﴾.

المعنى ما اللواتي يجعلن من الزوجات كالأمهات بأُمَّهَاتٍ.

﴿إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائي وَلَدْنَهُمْ﴾.

المعنى ما أمهاتهم إلا اللائي وَلَدْنَهُمْ، فـذكر اللّه ـ عـزّ وجلّ ـ الأُمَّهـاتِ في موضع آخر فقال:﴿وأُمَّهاتُكم اللاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾، فـأعلم اللّه أنَّ المرضِعَـاتِ أمهاتٌ، والمعنى ما أمهاتهم إلا اللائي ولَدْنَهم، أي الوَالِـداتُ والمرضِعَـاتُ. فلا تكن الزوجات كهؤلاء، فأعلم اللّه ـ عزّ وجلّ ـ أن ذلك منكر وباطل فقال:

﴿وَإِنَّهُم لَيَقُولُونَ مُنْكَـراً مِنَ القَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُـوٌّ غَفُورٌ﴾.

عفـا عنهم وغفر لهم بجعله الكفـارة عليهم. و ﴿الَّذِين﴾ في مَـوْضِـع رَفْـعٍ بالابتداء، وخبره ﴿مَا هُنَّ أمَّهَاتِهِمْ﴾، وأمهاتهم في موضع نصب على خبر ما، المعنى ليس هن بأُمَّهاتِهِمْ.

وقوله :﴿والذين يُظَاهِرُون. . . ﴾ الآية.

﴿الذين﴾ رفع بالابتداء، وخبرهم فعلهم تَحْرِيـرُ رَقَبَةٍ، ولم يـذكر «عَلَيْهم» لأن في الكلام دليلاً عليه، وإن شئت أضمرت فكفارتهم تحريـرُ رَقَبَةٍ.

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾.

فاختلف أهل العلم فقال بعضهم: الكفارة للمسيس، وقال بعضهم: إذا أراد العوْدَ إليها والإقامة مس أو لم يمس كفَّرَ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ﴾.

المعنى ذلكم التغليظ في الكفّارة توعظون به، وقال بعض الناس لا تجب الكفارة حتى يقول ثانية: أنت عليَّ كظهر أمي. وهذا قول من لا يدري اللغة، وهو خلاف قول أهل العلم أجمعين. إنما المعنى ثم يعودون العودة التي من أجل القول، فلتلك العودة تلزم الكفارة لا لكل عودَةٍ. وفيها قول آخر للأخفش وهو أن يُجْعَلَ «لما قالوا» من صلة فتحرير رقبة، فالمعنى عنده: والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون فتحرير رقبة لما قالوا، فهذا مذهب حسن أيضاً، والدليل على بطلان هذا القائل أن «ثم يعودون لما قالوا» أن يقول ثانية: أنت عليَّ كظهر أمي ـ قول جميع أهل العلم ومتابعته هو إياهم: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا﴾[1] فأجمعوا أنه ليس «فَإِنْ فَاءُوا» فإن حَلَفُوا ثانية، ومعنى فاءوا في اللغة وعادوا معنى واحد.

وقوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾.

كناية عن الجماع، ودليل ذلك قوله: ﴿وإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أن تَمَسُّوهُنَّ﴾[2].

فالمعنى من قبل أن تدخلوا بِهِنَّ.

وقوله: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾.

المعنى فمن لم يجد الرقبة فكفارته صيام شهرين متتابعين، وإن شئت فعليه صيام شهرين متتابعين، ولو قرئت فَصِيَامٌ شهرين جَازَ كما قال اللّه ـ عزّ وجلّ ـ ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ﴾. ولا أعلم أحداً قرأ بالتنوين.

وقوله: ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً﴾.

---

(١) سورة البقرة /٢٢٦. (٢) سورة البقرة /٢٣٧.

«من» في موضع رفع على معنى فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ الصِّيـام فكفارتُـه إطعام سِتِّينَ مِسْكِيناً، وكذلك فإطعامٌ بالتنوين ولا أعلم أَحَداً أقرأ بها.

وقوله: ﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ في مَوْضِعِ رَفْعٍ، المعنى الفـرض ذَلِـكَ الَّـذِي وَصَفْنَـا، ومعنى لتؤمنوا باللَّه ورسـوله، أي لِتُصَـدِّقُوا مـا أتى به رسـول اللَّه، ولِتُصَدِّقـوا أن اللَّه أمرنا به.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾.

أي تلك التي وَصَفنا في الظهار والكفارة حدود اللَّه.

﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أي لمن لم يصدق بها، وأليم مؤلم.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

معنى ﴿كُبِتُوا﴾ أُذِلُّوا وأُخْزُوا بالعذاب وبأن غُلِبُوا، كما نزل بمن قَبلَهُم مِمَّنْ حَـادَّ اللَّه ومَعنى ويُحـادّونَ اللَّـه ويشاقـون اللَّه أي هم في غير الحَـدِّ الذي(١) يكون فيه أولياء اللَّه، وكذلك يُشَاقُّون يكونون في الشق الذي فيه أعداء اللَّه.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً﴾.

﴿يَوْمَ﴾ منصوب بمعنى قوله: ﴿ولِلْكَـافِرِينَ عَـذَابٌ مُهِينٌ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جميعاً﴾، أي يبعثهم مجتمعين في حال واحدة.

﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾.

أي يخبرهم بذلك ليعلموا وجوب الحجة عليهم.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾.

(١) في الأصل التي.

أي يعلم كل ما في السموات وكل ما في الأرض مما ظهر للعباد ومما بطن.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَايَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾.

أي ما يكون من خَلْوَةِ ثلاثةٍ يسرون شيئاً وَيتناجون به إلا وهو رابعهم عالم به، وهو في كل مكانٍ، أي بالعلم، ونجوى مشتق من النجوة وهو ما ارتفع وَتَنَحَّى تقول: فلان من هذا المكان بنجوةٍ إذا كانت ناحية[٢] منه فمعنى تناجون يتخالون بما يريدونَ. وذكر اللّه هذه الآية لأن المنافقين واليهودَ كانوا يتناجَوْنَ، فيوهمونَ المسلمين أنهم يتناجون فيما يسوءهم ويؤذيهم فيحزنون لذلك، فنهى اللّه عزّ وجلّ ـ عن تلك النجوى فعاد المنافقون واليهودُ إلى ذلك فأعلم اللّه ـ عزّ وجلّ ـ النبي ﷺ أنهم قد عادوا في مثل تلك النجوى بعينها فقال:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْه، ويتناجَوْنَ بالإثم والعُدْوان وَمَعْصِية الرَّسُولِ﴾.

أي يوصي بعضهم بعضاً بمعصية الرسول.

﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ، وَيَقُولُون فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بما نَقُولُ﴾.

أي هَلَّا يعذّبُنَا اللّه بما نقول، وكانوا إذا أتوا النبي ﷺ قالوا: السام عليكم، والسام: الموت، فقالوا: لم لا ينزل بنا العذاب إذا قلنا للنبي ـ عليه السلام ـ هذا القول، واللّه ـ عزّ وجلّ ـ وَعدهم بعذاب الآخرة وبالخزي في الدنيا، وبإظهار الإسلام وأَمْرِ النبي ﷺ وغَلَبَةِ حِزْبِه، فقال: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا﴾، وقال: ﴿كُبِتُوا كما كُبِتَ الذين مَنْ قَبْلِهِمُ﴾، وقال: ﴿أَلَا أَنَ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الغَالِبُونَ﴾.

فصدق وَعْدَهُ ونصر جُنْدَهُ وأَظْهَرَ دِينَهُ وكبت عَدُوَّهُ.

وقوله عزّ وجلّ :﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلاَ تَتَنَاجَوْا بالإِثم ِ وَالعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وتناجَّوْا بالبِّرِّ والتَّقْوَىَ﴾.

أي إذا تخالَيْتُمْ لِلسِّر فلا تخالوا إلاّ بالبَـرِّ والتقوى، ولا تكونوا كاليهود والمنافقين. وفي تناجوا ثلاثة أوجهٍ، فلا تتناجَوْا بتاءين ظاهرتين، وبتاء واحدة مدغمة مشـدَّدَةٍ: فلا تَنَاجَوْا. وإنما أدْغمت التاءان لأنهما حرفان من مخرج واحد مُتحرّكان وقبلهما ألف، والألف قد يكون بعدها الدغم نحو دَابَّةٍ وَرَادٍّ، ويجوز الإظهار لأن التاءين في أول الكلمة وأن «لا» كلمة على حالها، و «تتناجوا» كلمة أخرى، فلم يكن هذا البناء لاَزِماً فلذلك كان الإظهار أجود. ويجوز الإدغام، ويجوز حَذْفُ التاء لاجتماع التاءين، يحكى عن العرب «تبين هذه الخصلة، وتبيَّن هذه الخَصْلَةُ»، وفي القرآن لعلكم تَذَكَّرُون، وَتَتَذَكَّرُونَ وتذكرون واحدة، ولا أعلم أحداً قرأ «ولا تناجوا» بتاء واحدة ولكن تقرأ «فَلاَ تَنْتَجُوا»أي لا تفتعلوا من النجوى.

وقوله:﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

أي النجوى بالإِثْم ِ والعُدْوَانِ مِنَ الشَّيطَانِ ليحزن الذين آمنوا، ويجوز لِيُحْزِنَ الذين آمنوا ـ بضم الياء وكسر الزاي ـ. العرب تقول: حزنني الأمر وأحزنني.

﴿وَلَيْسَ بضَارِّهِمْ شَيْئاً﴾.

أي ليس يضر التناجي المؤمنين شيئاً، ويجوز أن يكون وليس بضارهم الشيطان شيئاً.

وقوله :﴿إلاَّ بِإِذْنِ اللَّه﴾، أي لا يضرهم شيء إلا ما أراد اللَّه ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾.

أي يكلون أمرهم إلى اللَّه ويستعيذون به من الشيطان الرجيم.

وقوله: ﴿يَا أَيُّها الذين آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تفسَّحُوا فِي المَجْلِسِ﴾.

ويقرأ ﴿في المَجَالِسِ﴾ وتقرأ «تَفَاسَحُوا».

وجاء في التفسير أن المجلس ههنا يعنى به مجلس النبي ﷺ وقيل في المجالس مجالس الحرب مثل قوله تعالى: ﴿مقاعد للقتال﴾، فأمَّا مَا أمِرُوا به في مجلس النبي عليه السلام فقيل إن الآية نزلت بسبب عبد اللّه بن شَمَّاسٍ وكان من أهل الصُّفَّةِ، وكان من يجلس في مجلس النبي ﷺ من ذوي الغِنَى والشرف كأنهم لَا يُوَسِّعُون لِمَنْ هُو دُونَهُمْ، فأمر اللّه المؤمنين بالتواضع وأن يفسحوا في المجلس لمن أرادَ النبي ﷺ ليتساوى الناس بالأخذِ بالحظ منه.

﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا﴾.

أي إذا قيل انهضوا - قوموا - فانهضوا. وهذا كما قال: ﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحي مِنْكُمْ﴾[1]، وَقِيلَ أَيْضاً: ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فانْشُزوا﴾ أي إذا قيل قوموا لصلاة أو قضاء حَقٍّ أو شهادَةٍ فانشُزُوا، ويجوز «انشُروا فانْشُرْوا، جميعاً يقرأ بهما ويرويان عن العرب نشر ينشرُ وينْشِزُ.

وقوله: ﴿ يَرْفَعِ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ والَّذِينَ أُوْتُوا العِلْمَ دَرجاتٍ ﴾.

والدليل على فضل أهل العلم ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: عبادةُ العالم يَوْماً واحِداً تعدِلُ عِبَادَةَ العابد الجاهل أربعين سنةً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّها الَّذِين آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾.

أي إذا خاليتم الرسول بالسر فقدموا قبل ذلك صدقة وافعلوا ذلك.

وقيل إن سبب ذلك أن الأغنياء كانوا يستخلون النبي ﷺ فَيُسَارُّونَه بما يريدونَ، وكان الفقراء لا يتمكنون من النبي ﷺ تمكنهم ففرض عليهم

---

(١) سورة الأحزاب /٥٣.

الصدقة قبل النجوى ليمتنعوا من ذلك، فروي أن عَلِيًّا رحمه اللَّه أراد أن يناجِيَ النبي [ﷺ] فتصدق بدينار باعه بعشرة دَرَاهم قبل مُنَاجَاتِه، ثم نسخ ذلك الزكاة فقال ـ عزّ وجل:

﴿أأشفَقْتُمْ أن تُقَدِّمُوا بين يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

أي أطيعوه في كل أَمْرٍ، ودخل في ذلك التَّفَسُّحُ في المجْلِسِ لِتَقَارُب النَّاسِ في الدُّنُوِ من النبي عليه السلام.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ منكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

هؤلاء المنافقون تولَّوا اليهودَ، ومعنى قوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الكَذِبِ﴾ يَدُلُّ على تفسيره قوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إنهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنكم وَلٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾[(١)] وقوله: ﴿يَومَ يَبْعَثُهُمُ اللَّه جميعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كما يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ يدل عليه قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إلاَّ أَنْ قَالُوا واللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ. انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا على أنْفُسِهِمْ﴾[(٢)].

وقوله: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

معنى «استحوذ» في اللغة استولى، يقال: حُذْتُ الإِبِلَ وَحُزْتُهَا إذا استوليت عليها وجمعتها، وهذا مما خرج على أصله ومثله في الكلام أَجْوَدْتُ وأَطيبتُ، والأكثر أجدتُ وأَطَبتُ، إلَّا أنَّ استحوذ جاء على الأصل، لأنه لم يُقَلْ عَلَى حَاذَ لإنه إنما بني على استفعل في أول وهلة كما بني افتقر على افتعل وهو من الفقر ولم يُقَلْ منه فَقُرَ ولا استعمل بغير زيادة، ولم يقل: حاذ عليهم الشيطان ولو جاء استحاذ كان صواباً، ولكن استحوذ ههنا أجود لأنَ

---

(١) سورة التوبة /٥٦.

(٢) سورة الأنعام /٢٣، ٢٤.

الفعل في ذا المعنى لم يستعمل إلا بزيادة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾.

قال أبو عبيدة: حزب الشيطان جند الشَيطان، والأصل في اللغة أن الحزب الجمع والجماعة، يقال منه: قد تحزب القوم إذا صاروا فِرَقاً، جماعةً كذا وجماعة كذا.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾.

قد فسرنا يحادون ومعناه يشاقُّونَ أي يصيرون في غير حَدٍّ أولياء اللَّه، وفي غير شِقِّهِمْ، ﴿أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾، أي أُولَئِكَ في المغلوبين.

وقوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾.

أي قضى اللَّه قضاء ثابتاً، ومعنى غلبة الرُّسُل عَلَى نَوعين، مَنْ بُعِثَ بالحرب فغالب في الحربْ، ومن بعث منهم بغير حرب فهُو غالب بالحجة.

﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

أي مانع حزبه من أن يُذَلَّ لأنه قال جلّ وعلاّ: ﴿أولئك في الأَذَلِّينَ﴾، والعزيز الذي لا يغلب وَلاَ يُقْهَرُ.

وقوله: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ إلى آخر القصة.

جاء في التفسير أن هذه الآية نزلت بسبب حاطب بن أبي بَلْتَعة، وكان النبي ﷺ عزم على قصد أهل مكة فكتب حاطب يشرح لهم القصَّةَ ويُنْذِرَهُمْ ليحرَّزوا فنزل الوحي على رسول اللَّه [ﷺ] فذكر حاطبُ لَمَّا وُبِخَ بذلك أن له بمكة أهلاً وأنه لَيس لَهُ أَحَدُ يكنفهم، وإنما فَعَلَ ذلك ليحاط أهله، فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن إيمان المؤمِنِ يَفْسُدُ بِمَوَدَّةِ الكفار بالمعاونة على المؤمنين، وأعلم اللَّه تعالى أنه من كان مؤمناً باللَّه واليوم الآخر لا يوالي مَنْ كَفَر، ولو كان أباه أو أُمَّهُ أو أخاه أَوْ أَحَداً مِنْ عَشِيرته.

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾.

يعني الذين لا يوادّون من حَادَ اللَّهَ ورَسوله، ويوالون المؤمنين.

وقوله: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾.

أي قـواهم بنور الإيمـانَ وبإحيـاء الإيمان، ودليـل ذلك قـوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَـاهُ نُوراً نَهْدِي به مَنْ نَشَاءَ مِنْ عِبَادِنَا﴾[1].

فكذلك: ﴿وأَيَّدهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾.

فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن ذلك يوصلهم إلى الجنَّة فقال:

﴿وَيُدْخِلُهِمْ جَنَّـاتٍ تَجْـرِي مِنْ تَحْتِهَـا الأَنْهَارُ خَالِدينَ فيها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورَضُوا عنه. أُولئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾.

أي الذين لَا يُوادُّونَ من حاد اللَّه ورسوله ومن المؤمنين، وحزب اللَّه أي الداخلون[1] في الجمع الذي اصطفاه اللَّه وارتضاه.

وقوله: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾.

«أَلَا» كلمة تنبيه، وتوكيد للقصَّةِ، والمفلحون المدركون البقاء في النعيم الدائم.

---

(١) سورة الشورى ٥٢.

(٢) في الأصل: الداخلين.

سُورَةُ الحَشْرِ
مَدنيـــة

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله تعالى :﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾.

افتتح اللَّه السورة بذكر تقديسه وأن له أشياء تُبـرِّئُهُ من السَّوءِ ومثل ذلـك قوله:﴿وَإِنْ مِنْ شَيءٍ إلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِه﴾.

وقـوله تعـالى:﴿هُوَ الَّـذِي أَخْرَجَ الَّـذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْـلِ الكِتَابِ﴾ـ الآية هَؤُلاَءِ بنـو النضير، كـان لهم عز ومنعـة مِنَ اليهود، فـظن النـاس أنهم لعـزهم وَمَنْعَتِهِمْ لا يخـرجون من ديـارِهِمْ، وظنَّ بنو النضيـر أنَّ حُصُـونَهُمْ تمنعهم من اللَّه، أي من أمر اللَّه ﴿فأتـاهُم اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُـوا وَقَـذَفَ في قلوبهم الرعب﴾.

كان بنو النضير لما دخل النبي عليه السـلام المدينـة عاقـدوه ألَّا يكونـوا عليـه ولا معه، فلمـا كان يـوم أحـد وظهـر المشـركـون على المسلمين نكثـوا ودخلهم الريب، وكان كعب بن الأشرف رئيساً لهم فخـرج في ستين رَجُلًا إلى مكة وعاقـد المشركين على التـظاهر على النبي عليـه السلام، فـأطلع اللَّه نبيه عليه السلام على ذلك، فلما صار إلى المدينـة وَجَّهَ رسـول اللَّه ﷺ محمد بن مسلمـة لِيَقْتُلَه، وكان محمـد بن مَسْلَمَـةً رضيعـاً لكعب، فـاستَـأْذَنَ محمـد بن مسلمة رسول اللَّه [ﷺ] في أن ينال منه ليعتر كعب بن الأشرف، فجاءَهُ محمد

ومعه جماعة فاستنزله من منزله وأوهمه أنه قَدْ حُمِلَ عَلَيْهِ في أخذ الصَّـدقَةِ مِنـهُ فلمـا نزل أخـذ محمد بن مَسْلَمَـةً بناصيتـه وكَبَّرَ، فخـرج أصحـابـه فقتلوه في مكانِه، وغَدَا رسول اللَّه ﷺ غازياً بني النَّضِيـر فأنـاخ عليهم، وقيل إنـه غزاهم على حمـار مخطومٍ بليف، فكـان المؤمِنُونَ يخـربـون من منـازل بني النضيـر ليكون لهم أمكنة للقتال، وكان بنو النضير يخربون منـازلهم ليَسُدُّوا بهـا أبْوابَ أزقتهم لِئَـلاَّ يُبْقَى علي المؤمنين، فقـذف اللَّهُ في قلوبهم الـرَّعْبَ ﴿يُخَـرِّبُـونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ومعنى إخرابها بـأيدي المؤمنين أنهم عَـرَّضُوهَـا لِذَلـك. ففارقـوا رسول اللَّه ﷺ على الجـلاء من منـازلهم وأن يحملوا مـا استقلت بـه إبِلُهُمْ مـا خـلا الفضـة والذهب، فجلوا إلى الشـام وطائفـة منهم جلت إلى خيبر وطـائفـة إلى الحيـرة، وذلك قـوله: ﴿هُـوَ الَّذِي أَخْـرَجَ الَّذِينَ كَفَـرُوا مِنْ أَهْلِ الكتـابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الحَشْرِ﴾.

وهو أول حَشْرٍ حُشِرَ إلى الشَّامِ ـ ثم يحشر الخلق يوم القيامةِ إلى الشّامِ ولذلك قيل لأول الحشر. فجميع اليهود والنصارى يُجْلَوْنَ من جزيرة العَرَبِ.

وروي عن عمرَ أن النبي ﷺ قال: لأُخْرِجَنَّ اليهُودَ مِنْ جَـزِيرَةِ العَـرَبِ. قال الخليل: جزيرة العرب مَعْدِنُها وَمَسْكَنُها، وإنما قيل لها جَزِيـرةُ العَرَبِ لأن بحـر الحبسِ وبحـر فـارس ودجلة والفـرات قـد أحـاطت بهـا، فَهِيَ أَرْضُهـا وَمَعْـدِنُها. قـال أبو عبيـدة: جزيـرة العرب من جَفْـر أبي موسى إلى اليَمَنِ في الطول ومن رمل يَبْـرِينَ إلى منقطع السمـاوة في العرض. وقـال الأَصْمَعِيُّ إلى أقصى عَدَن أَبْيَن إلى أطراف اليمن حتى تبلغ أطرافَ بَوادي الشّام.

وقوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾.

أي ما قطعتم من نخلة ـ والنخل كله ما عدا البرني والعجوة يسميه أهـل المدينة الألْوَانُ، وأصل لينه لِوْنَهَ فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها فقيل لينة.

فأنكر بنو النضير قطع النخل فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن ذلك بإذنه ـ القطع والترك جميعاً.

﴿وليُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾.

بأن يريهم أموالهم يتحكم فيها المسلمون كيف أحبوا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ﴾.

يعني ما أفاء اللَّه على رسوله من بني النضير مما لم يوجفوا عليه خيلاً ولا ركاباً ـ والركاب الإبلُ والوَجِيفُ دون التقريب من السَّير، يقال: وجف الفرس وأوجَفته، والمعنى أنه لا شيء لكم فيه إنما هو لرسول اللَّه ﷺ خالصاً يعمل فيه ما أحب، وكذلك كل ما فتح على الأئمة مما لم يوجف المسلمون عليه خيلاً ولا ركاباً.

وقوله:﴿مَا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَىَ فِلِلَّهِ ولِلرَّسُول﴾.

معنى فلِلَّهِ أي له أن يأمركم فيه بما أحَبَّ:﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى﴾.

يعني ذوي قرابات النبي ﷺ لأنهم قد منعوا الصدقة فَجُعِلَ لهم حَقٌّ في الفيء.

﴿وَالْيَتَامَى والمَسَاكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ كَيْ يَكُونَ دُوَلَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾.

وقوله : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ المُهَاجِرِينَ﴾.

بَيَّنَ من المَسَاكِينُ الذين لهم الحقُّ فقال:﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾.

وقوله:﴿والذين تَبَوَّأُوا الدَّارَ ﴾.

يعني الأنصار.

﴿والإِيمَـانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، يعني المهاجرين.

﴿يُحِبُّـونَ مَنْ هَـاجَـرَ إِلَيْهِمْ﴾، أي يحب الأنْصَارُ المُؤْمِنِينَ.

﴿وَلاَيَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾.

أي لا يجد الأنصار في صدورهم حاجة ممَّا يُعْطَى المهاجرونَ.

وقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

قال أبو إسحاق: ما أفاء اللَّه على رسوله من أهل القُرَى نحـو خيبر. ومـا أشْبَهَهَا، فالأمر عند أهل الحجاز في قسمة الفيء أنه يُفَـرَّقُ في هذه الأصْنَـافِ المسمَّاة على قَدْرِ ما يراه الإمام على التحري للصلاح في ذلك إن رأى الإمـام ذلك، وإن رأى أنَّ صِنفاً من الأصناف يحتاج فيـه إلى جميع الفيء صـرف فيه أو في هذه الأصنافِ عَلى قَدْرِ مَا يَرَى.

قوله: ﴿كَيْلاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾.

يقرأ بضم الدال وفتحهـا ـ فالـدُّولَةُ اسم الشيء الـذي يتداول، والـدَّوْلَةُ الفِعْلُ والانتقال من حـال إلى حالٍ. وقـرئت أيضاً. دُولَـةٌ ـ بالـرفع ـ فمن قـرأ «كَيْلاَ يَكُونَ دُولَةٌ» فعلى أن يكون على مذهب التمام، ويجوز أن يكون «دولـة» اسمَ يكـونُ وخَبَرُهـا «بين الأغنياء»، والأكثـر ﴿كيـلا يكـونَ دولـةً بَيْنَ الأَغْنِيَـاءِ مِنْكُمْ﴾ على معنى كيلا يكون الفيء دولةٍ، أي متداولاً.

وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾.

أي من الفيء.

﴿وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ﴾ أي عن أخذه ﴿فَانْتَهُوا﴾.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يقولون رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾.

أي مـا أفـاء اللَّه على رسـولـه من أهـل القُـرى فلله ولـرسـولـه ولهؤلاء

المسلمين وللذين يجيئـون من بعدهم إلى يـوم القيامـة، ما أقـاموا على محبـة أصحاب رسول اللّه عليه السلام.

ودليل ذلك قوله: ﴿والذين جاءوا من بعدهم﴾ في حال قولهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ..﴾ .الآية.

فمن يترحم على أصحاب رسول اللّه ولم يكن في قلبه غِلٌّ لهم أجمعين فله حظٌّ فِي فَيْء المسلمين، ومن شَتَمُهُمْ ولم يتـرحم عَلَيهم أو كـان في قَلْبِـهِ غِلٌّ لَهُمْ فما جعل اللّه حقاً في سبي المسلمين.

فهذا نصٌّ فِي الكِتَابِ بَيِّنٌ.

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُـولُونَ لإِخْـوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَـرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ﴾.

هُمْ إِخْوَانُهُمْ يَضُمُّهُمْ الكُفْرُ.

﴿لَئِنْ أُخْـرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلاَ نُـطِيـعُ فِيكُمْ أحـداً أَبَـداً وَإِنْ قُـوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ، واللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُم لَكَاذِبُونَ﴾.

وقد بَانَ ذلك في أمر بني النَّضِير الذين عاقدهم المنافقون لأنهم أخرجوا من ديـارهم وأموالهم فلم يخـرج معهم المنـافقـون، وقُـوتِلُوا فلم ينصـروهم. فأظهر اللّه عزّ وجلّ كَذِبَهُمْ.

فإن قال قائل: ما وجه قوله: ﴿وَلَئِنْ قُوتِلُوا لاَ يَنْصُرُونَهُمْ﴾ ثم قال: ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنْصَرُونَ﴾.

قال أهل اللغة في هذا قولين: قالوا معناه أنهم لـو تَعَاطَـوْا نَصْرَهُمْ، أي ولئن نَصَرهُم مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ لَيُوَلُّن الأَدبار.

وقوله: ﴿لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلاَّ فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أو مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾.

وقـرئت أو من وراء جدار ـ على الـوَاحِد ـ وقـرئت بتسكين الدال. فمن قـرأ جُدُر فهـو جمع جـدار وجُدُرٍ مثـل حمار وَحُمُـرٍ، ومن قـرأ بتسكين الـدال حذف الضمة لِثِقَلِهَا كما قالوا صُحْفٌ وَصُحُفٌ. ومن قـرأ جِدَار فهـو الوَاحِـدُ. فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنهم إذا اجتمعوا على قتالِكم لما قذف اللَّه في قلوبهم مِنَ الرُّعبِ لا يبرزون لحربكم إنما يقاتلون متحصنين بالقُرى والجُدْرانِ.

وقوله:﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾.

أي مختلفون لا تستوي قلوبهم ولا يتعـاونون بِنيـات مُجْتَمِعَةَ لأن اللَّه ـ ـعزّ وجلّ ـ ناصر حزبه وخاذِلُ أعدائِه.

وقـوله: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَـرِيباً ذَاقُـوا وَبَالَ أَمْـرِهِمْ وَلَهُمْ عَـذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

مثل ما نال أهل بَدْرٍ.

وقوله عزّ وجلّ :﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّـا كَفَرَ قَـالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾.

أي مثل المنافقين في غـرورهم لبني النَّضِير وَقَـوْلِهِم لَهُمْ: لَئن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم للنصرنكم ـ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلمـا كفر قـال إني بريء منـك، وهو ـ واللَّه أعلم ـ يـدل عليـه قولـه: ﴿وإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْـطَانُ أَعْمَـالَهُمْ وقـال لا غـالِبَ لَكُمُ اليـومَ مِنَ الناسِ وإِنِي جَارٌ لَكَمْ، فلما تَرَاءَتِ الفِئَتانِ نَكَصَ على عَقِبَيْهِ، وقال إني بَرِيءٌ منكم﴾(١).

فكذلك المنافقون، لَمَّا نَزَلَ ببني النَّضِيرِ ما نزل تبرأوا منهم.

وقـد جاء في التَّفسير أن عابـداً كان يقـال له بَـرْصِيصَا كـان يُدَاوِي مِنَ الجُنُونِ فداوى امرأة فأعَجَبته فأغـواه الشيطان حتى وَقَـعَ بها ثم قتلهـا ـ ثم تبرأ

---

(١) سورة الأنفال /٤٨.

منه الشيطان، وفي الحديث طُولٌ ولكن هذا معناه.

وقوله: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا﴾.

وقرأ عبد اللّٰه بن مسعود أنهما في النار خَالِدَان فِيهَا، وَهُوَ في العربيَّةِ جائزٌ إلّا أنه خلاف المصحف، فمن قَالَ خَالِدَيْن فيها فنصب على الحال، ومن قرأ خالدان فهو خبر إن. والقراءة فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا على اسم كانَ ويكون خبر كانَ أنهما في النار على معنى فكان عاقبتهما كَوْنَهُما في النَّارِ ويقرأ فكان عاقِبَتُهُمَا والنصب أحسَنُ. ويكون اسم كان أَنَّهُمَا.

وقوله: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾.

أي ليوم القيامَةِ، وقُرِّبَ على الناسِ فجعل كأنه يأتي غَداً.

وأصل غَدٍ غَدْوٌ إلا أنه لم يأت في القرآن إلّا بحذف الواو، وقد تُكُلِّمَ به بحذف الواو، وجاء في الشِّعْر بإثبات الواوِ وحَذْفِها، قال الشاعر في إثباتها[1]:

وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم حلوها وغَدْواً بَلَاقِعُ

وقال آخر[2]:

لا تَقْلُوَاهَا وادْلُوَاهَا دَلْواً إن مَعَ اليَوْم أخاه غَدْواً

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾.

نسوا اللّٰه تركوا ذكره وما أمرهم به فترك اللّٰه ذكرهم بالرحمة والتوفيق.

وقوله: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا القُرآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَه خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾.

---

(١) هو لبيد في رثاء أخيه من عينيته التي أولها:
بلينا وما تبلي النجوم الطوالع. وهي في الديوان، وجزء منها به. هذا البيت في ترجمة.
لبيد في مختار الأغاني جـ ٦ / ١٣٩.

(٢) يقال: دلا الناقة يدلوها إذا ساقها برفق ـ وقلاها يقولها ساقها بشده وعنف ـ البيت في اللسان (دلا).

أعلم اللَّه عزّ وجلّ أنِ من شـأن القرآن وعَـظَمَتِهِ وَبَيـانِه أنـه لو جُعِـلَ في الجبل تمييز كما جعل فيكم وأنـزل عليه القـرآن لخشع وتصـدع من خشية اللَّه ومعنى خشع تطأطأ وخضع، ومعنى تصدَّع تشقَّقَ.

وجائز أن يكون هذا عَلَى المَثَـلِ لقولـه: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس﴾ كمـا قَالَ ـ سبحـانه ـ: ﴿لقد جئتم شيئاً إدًّا تكـاد السموات يتفـطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا﴾.

وقوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ﴾.

هذا رد على أول السورة، على قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّه مَا فِي السَّمَـوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وهو العزيزُ الحكيم﴾. ﴿هو اللَّهُ الذي لا إله إلاّ هو﴾.

قوله: ﴿المَلِكُ القُدُّوسُ﴾.

والقدوس الطاهـر ومن هذا قيـل: بيت المقدس أي بيت المكـان الذي يتطهر فيه من الذُّنُوبِ.

وقوله: ﴿السَّلَامُ﴾.

اسم من أسماء اللَّه عزّ وجلّ، وقيل السلام الذي قد سَلِمَ الخلقُ من ظُلْمِهِ.

﴿المُؤْمِنُ﴾.

الذي وَحَّد نَفْسَـهُ بقولـه: ﴿شَهِدَ اللَّه أنـه لا إله إلا هـو والملائكة﴾، وقيل المؤمِنُ الذي أمِنَ الخلقُ من ظُلْمِه.

وقوله: ﴿العَزِيزُ﴾.

أي الممتنِعُ الذي لا يغلبه شيء.

﴿المُهَيْمِنُ﴾.

جاء في التفسير أنه الشهيدُ، وجـاء في التَّفسِّير أنـه الأمين، وزعم بَعْضُ

أهل اللغة أن الهاء بدل من الهمزة وأن أصله المؤيْمِنُ، كما قالوا: إياك وهِيَّاكَ، والتفسير يشهد لهذا القول لأنه جاء أنه الأمِينُ، وجاء أنه الشَّهِيدُ، وتأويل الشهيد الأمين في شهادته.

وقوله: ﴿الجَبَّار﴾.

تأويله الذي جبر الخلق على ما أراده من أمْرِه.

وقوله: ﴿المُتَكَبِّرُ﴾.

الذي تكبر عن ظلم عِبَادِه.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

تأويله تنزيه اللَّه عن شركِهِمْ.

قوله:﴿هُوَ اللَّهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ﴾.

وقد رويت رواية لا ينبغي أن تُقْرَأَ، رويت البارِئُ المصورُ بالنّصب معناه الذي برأ آدم وصَوَّرَهُ.

وقوله: ﴿لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾.

جاء في التفسير أنها تسعة وتِسْعُون اسماً، من أحصاها دَخَل الجَنَّةَ وجاء في التفسير أن اسم اللَّه الأعظم اللَّه، ونحن نبينُ هذه الأسماء واشتقاق ما ينبغي أن يبين منها إن شاء اللَّه.

روى أبو هريرة الدوسي عن النبي عليه السلام قال إن للَّه مائة اسم غير واحِدٍ من أحصاها دخل الجنة، وهو اللَّه الواحد الرحمن الرحيم الأحَدُ الصَّمَدُ الفرد السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور الحي القيوم العَلِيُّ الكبير الغني الكريم الولي الحميد العليم اللطيف السميع البصير الودود الشكور. الظاهر البَاطِنُ الأول الآخر المبدي البديع الملك القدوس الذَّارِىءُ الفَاصِلُ الغَفُورُ المجيد الحليم الحفيظ الشهيد الرَّبُّ

القدير التَّوَّاب الحافظ الكفيل القريبُ المجيب العَظيمُ الجليل العَفُوّ الصَّفُوح الحق المبين المعز المذل القويُّ الشديد الحنَّان المنَّان الفتّاح الرؤوف القابض الباسط الباعثُ الوَارِث الدَّيَانُ الفاضل الرقيب الحسيب المتين الوكيل الزكي الطاهر المحسن المجمل المبارك السُّبُّوح الحكيم البر الرَّزَّاق الهادي المولى النصير الأعلى الأكبر الوهاب الجواد الوفيّ الواسع الخلَّاق الوِتْر.

جاء في التفسير أن اسم اللَّه الأعظم اللَّه، قال سيبويه: سألت الخليل عن هذا الاسم فقال: الأصل فيه إلٰه فأدخلت الألف واللام بدلاً من الهمزة، وقال مرة أُخْرَى: الأصل لَاهْ وأُدْخِلَتِ الألف واللام لَازِمَةٌ. وأما الرحمن الرحيم فالرحمن اسم اللَّه خاصة لا يقال لغير اللَّه رحمن، ومعناه المبالغ في الرَّحْمَةِ وأرحم الراحمين - وَفَعْلانُ من بناء المُبَالَغَةِ، تقول للشديد الامتلاء ملآنُ وللشديد الشبع شبعَانُ، والرحيم اسم الفاعِلِ من رحم فَهُوَ رَحِيمٌ، وهو أيضاً للمبالغة والأحدُ أصله الوَحَدُ بمعنى الواحد، وهو الواحد الذي ليس كمثله شيء. والصَّمَدُ السيد الذي صَمَدَ له كل شيء، أي قصد قَصْدَهُ، وتأويل صمود كل شيء للَّه أن في كل شيء أثر صنعة اللَّه، السلام الذي سلم الخلق من ظلمه، وقد فَسَّرْنَا المؤمِن المهَيْمِن، وفسرنا الجبار المتكبر. والباريء الخالق، تقول برأ اللَّه الخلق يبروؤهم أي خلقهم، والقيُّوم المُبَالِغُ في القيام بكل ما خَلَقَ، وما أراد، والولي المتولي للمؤمنين اللطيف للخلق من حيث لا يعلمون ولا يقدرون، والودُودُ المحب الشديد المحبَّةِ، الشكور الذي يرجع الخيرعنده، الظاهر الباطن الذي يعلم مَا ظَهَرَ وَمَا بَطَن، المبدئ الذي ابتدأ كل شيء من غير شيء، والبديع الذي ابتدع الخلق على غير مثالٍ، القدُّوس قد رويت القَدُّوس بفتح القاف، جاء في التفسير أنه المبارك، ومن ذلك أرض مقدَّسَةٌ مباركة، وقيل الطاهر أيضاً. والمذرئ - مهموز - الذي ذرأ الخلق أي خلقهم، والفاصل الذي فصل بين الحَقِّ والباطل، والغفور الذي

يغفر الذنوب، وتأويل الغفران في اللغة التغطيـةُ على الشيء ومن ذلك المِغْفَـرُ مـا غطِّيَ بـه الرأس. المجيـد الجميل الفعـال، والشهيـد الـذي لا يغيب عنـه شيء، والرَّبُّ مالك كل شيء والصفـوح المتجاوز عَنِ الـذُّنُوبِ يصفـح عنها، الحَنَّـانُ ذو الرحمـة والتعطف المَنَّـان الكثير المَنِّ على عبـاده بمُظَاهـرة النعم، الفتاح الحاكم، الدَّيَّانُ المجازي، الرقيب الحـافظ الذي لا يغيب عنـه شيء، المتين الشديد القوة على أَمْرِه، الوكيل الـذي يوكـل بالقيـام بجميع مـا خلق، والـزكي الكثير الخيـر السُبُّوح الـذي بين عن كل سِرٍّ، الحليم الذي لا يعجـل بالعقوبة، وكان الحلم على هذا تأخير العقوبة.

سُورَةُ المُمْتَحِنَةِ
مدنيــة

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا لاَ تَتَّخِذُوا عَـدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَـاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بالمودَّةِ﴾.

قيـل المعنى تُلقُـونَ إليهم المـودَّةَ، والمعنى ـ واللّٰه أعلم ـ يلقـون إليهم أخبار النبي عليه السلام وسِرَّهُ بالمودَّةِ التي بينكُمْ وبينهم، ودليـل هذا القـول: تُسِرُّون إِلَيْهِمْ ما يستره النبي عليه السلام بالمودَّة.

ويروى أنها نـزلت في حاطب بن أبي بلتعـة، وكان كتب إلى أهـل مكة يتنصَّحُ لهم، فكتب إليهم أن رسول اللّٰه يريد أن يغزوكم فخذوا حذركم فأطلع اللّٰه نبيه على ذلك، وكان كتب إليهم كتاباً ووجه بـه مع امـرأةٍ يقال إنهـا كانت مولاة بني هاشم، فوجه رسول اللّٰه ﷺ بعَلِيٍّ والزبَيْـرِ خلفَها فلحقـاها فسـألاها عن الكتاب فأنكرت، ففتشا مـا معها فلم يجـدا شيئاً، فقـال علي رضوان اللّٰه عليـه: إن رسول اللّٰه ﷺ لم يَكـذِبْنا فـأقسم علي عليهـا لتخـرجن الكتـابَ أو ليضربنها بالسيف، فقالت لهما: وَلِّيَا وُجُوهكما وأخرجت الكتابَ من قـرن من قـرون شعرهـا، فجاء بـالكتاب إلى النبي عليـه السلام فعـرضـه على حـاطب فاعترف به وقال إن لي بمكـة أهلاً ومـالاً فأردت أنْ أتقـرب مِنْهُمْ، ولَنْ يرد اللّٰه بأسه عنهم، فأنزل اللّٰه عزّ وجلّ: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تتخـذوا عدوي وعدوكم﴾ الآية إلى آخر القصة.

وأما قوله:﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً في سَبِيلِي وابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾.

هـذا شرط جـوابـه مُتَقَـدِّمٌ. المعنى إن كنتم خـرجتم جهـاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخـذوا عدوي وعـدوكم أولياء، وجهـاداً وابتغاء منصـوبان لأنهمـا مفعولان لهمـا. المعنى إن كنتم خرجتم لجهـاد وابتغاء مـرضـاتي فـلا تتخـذوا عدوي وعـدوكم أوليـاء. ثم أعلمهم تعـالى أنـه ليس ينفعهم التقـرب إليهم بنَقْل أخبار النبي عليه السلام فقال:

﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾.

معنى يثقفوكم يلقَوْكم.

﴿وَيَبْسطُو إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بالسُّوءِ﴾.

ثم أعلمهم أن أهلهم وأولاَدَهم لا ينفعُـونهم شيئاً في القيـامةِ فقـال:﴿لن تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ يَفْصِلُ بيْنَكُمْ﴾..

قرئت «يفصل» على أربعـة أوجـه. يَفْصِـلُ بينَكُمْ على مَعْنَى يفصـل اللَّه بينكم، ويُفْصَـــلُ بينكم على مــا لم يسمَّ فــاعله، والمعنـى راجـع إلى اللَّه عزّ وجلّ، ويُفَصَّلَ بَيْنَكُمْ ـ بتشديـد الصاد وفتحهـا وضم الياء على مـا لم يسم فـاعله، وقرئت يفصِّـلْ بينكم، ويجوز نَفْصِّـل بينكم ونُفَصِّل بينكم ـ بـالنـون، فهذه سِتَّةُ أوجُهٍ.

وقوله تعالى:﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

ويجوز أسوة بضم الهَمْزَةِ.

﴿في إِبْراهِيمَ والَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاءَ مِنْكُمْ ومِمَّا تَعْبُدون مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن أصحاب إبراهيم صلوات اللَّه عليه تَبَـرَّأُوا من قومهم وعَادَوْهُمْ، فأمِرَ أصحاب النبي عليه السلام أن يتأسَّوْا بهم وبقولهم.

وقوله:﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾.

فإن ذلك عن موعدة وعدها إياه، فلما تبين له إقامَتُهُ على الكفر تبـرأ منه.

فأما ما يجوز في «بُـرَءآءُ منكم» فأربعة أوجه، أجـودُها بُـرَءَاءُ على فعلاء، مثل ظريف وظرفاء، وشريك وشركاء، وكذلك بري. وبُرَءَاءُ، ويجـوز بُرَاء منكم وبِرَآءُ منكم جميعاً بالمَدِّ فمن قال بِراء بالمد فهو بمنزلـة ظريف وظـراف، ومن قـال بُرَاءُ بـالضم ـ أبْدَلَ الضَمَ من الكسـرة كمـا قـالـوا رُخْلَةَ ورِخَـال[1] وقـال بعضهم: رُخـــال بضم الراء وقالوا: شاة رُبَّى وغَنَمٌ رُبَابٌ وَرِبَـابٌ ـ بضم الراء وكسرها ـ وهي الحديثة النتاج، أي الحديثة الولادة.

ويجوز بَرَاء منكم بفتح الباء، لأن العَـرَبَ تقول: أنـا البراء مِنْـكَ ويقول الاثنان والثلاثة: نحن البراء منك، وكذلك تقول المرأةُ: أنا البـراء منك. فـلا تقرأ من هذه الأوجه إلا بما قرأ به من تُوْجَد عنه القِراءةُ.

وقوله:﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

معناه لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على حق فَيَفْتَتِنُوا بِذَلِكَ.

وقـولـه:﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَـلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّـذِينَ عَـادَيْتُم مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾.

«عسى» واجبة من اللَّه. جاء في التفسير أنه يعني بهذا أن رسول اللَّه ﷺ تَزَوَّجَ أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان، فهذه هي المودَّة وقيل إنه يعني به من سلم مِنهُمْ فيكون بينكم وبينهم مودَّة.

وقوله:﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَـاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ إلى قـوله:﴿أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾.

«أن» في موضع جر بدل من «الَّذِين»، المعنى لا ينهاكم أن تبروا الَّذين لم يقاتلوكم في الدِّينِ، وهذا يدل على أن المعنى: لا ينهـاكم اللَّه عن بر الـذين

---

(١) في القاموس: الرِّخل. بالكسر وبهاء وككتف، الأنثى من الضأن ج أرخل ورِخال ويضم.

بينكم وبينهم عَهْدٌ ودليل ذلك قوله: ﴿وتُقْسِطُوا إلَيْهِمْ﴾ أي وتعدلوا فيما بينكم وبينهم، من الوفاء بالعهد، يقال أقسط الرجل فهو مقسط إذا عَدَل، وقسط فهو قاسط إذا جار، وقيل إنه يعني به النساء والصبيانُ.

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ قَاتَلوكُمْ فِي الدِّينِ وأَخْرجُوكُمْ مِنْ دِيَاركُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُم أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾.

﴿ظاهروا عَلَى إخرَاجِكم﴾ أي عاونوا على إخراجكم، ﴿أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾ «أن» في موضع جر أيضاً على البدل، المعنى إنَّمَا ينهاكم اللَّه عن أن تتولوا هؤلاء الذين قاتلوكم في الدين لأن مُكَاتَبَتُهم بإظهار ما أسره النبي عليه السلام مُوالاةٌ.

وقوله تعالى: ﴿يا أَيُّها الذين آمنوا إِذَا جَاءَكُمُ المُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾.

موضع «مهاجرات» نصب على الحال، وقيل المؤمنات وإن لم يُعْرَفْنَ بالإِيمانِ وَقَبْلَ أن يَصِلُوا إلى النبي عليه السلام، وإنما سمين بذلك لأن تقديرهُنَّ الإيمان.

﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾.

معناه اختبروهُنَّ. وهذه نزلت بسبب عهد الحديبية الذي كان بين النبي ﷺ وبين مَنْ عَاهَدَهُ بمكة من خزاعة وغيرهم، وكان عليه السلام عاهدهم على أنه من جَاءَ منهم إليه ردَّه إليهم، ومن صار من عنده إلَيْهِمْ لم يردوه إليه، فأعلم اللَّه ـ جل وعزَّ ـ أَنَّ من أتى من المؤمِنَاتِ ممن يريد الدخول في الإسلام فلا يرجعن إلى الكُفَّار، فذلك قوله: ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾.

فأعلم عزّ وجلّ ـ أن إظهار الإِيمَانِ يدخُلُ في جملة الإسلام، واللَّه عالم

بما في القلوب، وكانت المحنة إذَا جَاءَتِ المرْأَةُ المهاجِرَةُ أن تحلَّفَ باللَّه أنه ما جاء بها غَيرَةٌ على زوجها، ولا جاءت إلا مُحِبَّةً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وللرَّغْبَةِ في الإِسلام فَهذِهِ المِحنَةُ.

وقوله تعالى:﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾.

أي لا تردوهُنَّ، يقال: رجع فلانٌ ورجعته.

وقوله:﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾.

أي إنَّ المؤمنات لا يَحْلِلْنَ للكُفَّارَ ولا الكفارُ يحلون للمؤمنات وآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا.

فكان الزوج يُعْطَى مَهْرَ امرأته التي آمنت، وكان يُؤخَذُ مِنْهُمْ مَهْرُ من مضى إليهم من نساء المؤمنين مِمَّن تلحق بزوجها إذا رغبت في الكُفْرِ. فأقامَتْ عَلَيْه.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي وَلَا إِثْمَ عليكم.

﴿أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ أي أن تَزَوَّجوهُنَّ.

﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾.

وهذا دليل على أن التَّزْوِيجَ لَا بُدَّ فيه مِنْ مَهْرٍ.

﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾.

أي إذا كفرن فقد زَالَتِ العِصمَةُ بين المشركةِ والمؤمِنِ، أي قد أنبَتَّ عَقْدُ حبل النكاح، وأصل العصمة الحبل، وكلُّ ما أَمْسَك شيئاً فقد عَصَمَهُ، وقُرِئَت: وَلَا تُمْسِكُوا ولا تَمسَّكوا، والأصل تَتَمسَّكُوا من قَوْلِك تَمَسَّكْتُ بالشَّيءِ إِذَا أنتَ لَمْ تُخْلِه من يَدِك أو إرادتِك، فحذفت إحدى التاءين، وقُرِئَتْ تُمَسِّكُوا - بضم التاء والتشديد من قَوْلِكَ مَسَّك يُمَسِّكُ، وقرئت تُمْسِكُوا بضم التاء وتَخْفِيفِ السِّين على معنى أمْسَكَ يُمْسِكُ.

وقوله :﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الكُفَّارِ فَعَـاقَبْتُمْ﴾.

على فاعلتم، وقرئت فعقَبْتُمْ بغير ألف وتخفيف القاف، وجاء في التفسير فَغَنِمْتُمْ، وتأويله في اللغة كانت العقبى لكم، أي كانت العقبى والغلبة لكم حتى غنمتم. وعَقِبْتُم أَجْوَدُها في اللُّغَةِ، وفَعَقَبتُمْ بالتخفيف جَيِّدٌ في اللغة أَيْضـاً، أي صارت لكم عقبى الغلبة، إلاَّ أَنَّهُ بالتشديد أبلغ.

ومعنى ﴿فعاقبتم﴾ أصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم.

أي إنْ مَضَتْ امرأة منكم إلى من لا عهد بينكم وبينه.

﴿فآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾.

أي مثل ما أنفقوا في مُهُورِهِنَّ، وكذلك إنْ مَضَتْ إلى من بينكم وبينهم عَهْـدٌ، فنكثَ في اعطاء المَهْـرِ فالـذي ذهبت زوجَتُـهُ كَـانَ يعْـطَى من الغنيمـة المَهْـرَ، فلا ينقص شيء من حقـه، يعـطى حَقَّـهُ كمَـلاً بـعــد اخـراج مهـور النساء، فمن ثم دفع عمر بن الخطاب رحمه اللّه فيما رَوَوْا مهر أم أيمن[١].

وقوله تعالى :﴿يَا أَيُّها النبيُّ إذَا جَاءَكَ المُؤْمِنَـاتُ يُبَايِعْنَـكَ عَلَى أَلاَّ يُشْرِكْنَ باللّه شيئاً﴾ إلى قوله: ﴿ولا يَأْتِينَّ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾، أي لا يـأتين بِوَلَـدٍ ينسبنـه إلى الـزوج، فـإن ذلـك بَهتـان وَفِـريةٌ، ﴿وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾.

قيـل لا يعصينَك في أمـر في النـوح، وقيـل في تمـزيق الثيـاب وخمش الوجوه ومحادَثَةِ الرجال. والجملة أن المعنَى لاَ يُعْصِيَنَك في جميع ما تأمُـرُهُنَّ به بالمعروف.

(١) لا تبدو قصة أم أيمن منطبقة مع هذا، فقد كان الرجل من الأنصار يجعل للنبي ﷺ ـ النخلات حتى فتحت قريظة والنضير فجعل يرد بعد ذلك، وكان فيما رده ما كان قد أعطاه أم أيمن فجعلت تقول: كلا، فأعطاها النبي حسبته عشرة أمثاله أو قريباً منها.

وروي أن النبي عليه السلام جلس على الصفا، وجلس عمر رحمه اللَّه دُونَهُ، فكن يبايعن النبي ﷺ على ما تَضَمَّنَتْه الآية، ويمسحن أيدِيَهُنَّ بِيَدِ عُمرَ. وقيل كن يمسحن بأيديهن من وراء ثوبٍ.

وقوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرةِ﴾.

يعني به اليهودُ.

﴿كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ القُبُورِ﴾.

أي كما يئس الكفارُ الذين لَا يوقنون بالبعث من موتاهم أن يُبْعَثُوا، فقد يئس اليهود والذين عاقدوا النبي [ﷺ] من أن يكون لهم في الآخرة حظ، وقيل :﴿قَد يَئِسُوا من الآخرة كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ من أصحاب القُبُورِ﴾، أي من الذين في القبور، يعلمون أنهم لا حَظَّ لهم فِي الآخِرةِ.

سورة الصف
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿[سَبَّحَ لِلَّهِ مَا في السَّمٰواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعزِيزُ الحكِيمُ]﴾.

قد فسرنا ما في قوله: ﴿سَبَّحَ للَّهِ﴾.

قوله: ﴿يَا أَيُّهاالَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾.

الأصل «لما» فحذفت الألف لأن ما واللام كالشيء الواحد، فكثر استعمال «ما» واللام في الاستفهام، فإذا وقفت عليها قلت: لمه ولا يوقف عليها في القرآن بها لئلا يخالف المصحفُ، وينبغي للقارئ أَنْ يَصِلَها.

وهذا قيل لهم لأنهم قالوا: لو علمنا مَا أَحَبُّ الأعمال إلى اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ لأصبناه ولو كان فيه ذَهَابُ أنفسنا وأَمْوَالِنَا فأنزل اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ إلى قوله: ﴿وتُجَاهِدُونَ في سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالكم وأَنْفُسِكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لكم﴾.

فلما كانَ يومُ أُحُدٍ تولَّى من تَوَلَّى عن النبي ﷺ حتى كسرت رَبَاعيته وَشُجَّ في وَجْهِهِ أنزل اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُون. كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ.

﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ في موضع رفع، و ﴿مَقْتاً﴾ نصبٌ على التمييز، المعنى كَبُرَ قولكم ما لا تَفعلون مَقْتاً عند اللَّه، ثم أعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ ما الذي يحبه فقال:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾.

أي بنيانٌ لاصق بعضُه بِبَعْضٍ لا يغادر بَعْضُه بَعْضاً.

فأعلم اللَّه ـ عزّوجلّ ـ أنه يحب من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مَكَانَهُ كَثُبُوتِ البناء المَرْصُوصِ. ويجوز ـ واللَّه أعلم ـ أن يكون عني أن تستوي نِياتُهُمْ في حَرْبِ عَدُوِّهِمْ حتى يكونوا في اجتماع الكلمةِ ومُوَالاَةِ بعضهم بعضاً كالبنيانِ المرصوص.

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾.

قد بيَّنَّا في سورة الأَحْزاب ما كان آذوه به.

﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾.

أي عَدَلُوا عنِ الحقِّ وانصرفوا عنه فأضلهم اللَّه وَصَرَفَ قُلُوبَهُمْ.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الفَاسِقِينَ﴾.

معناه لا يهدي من سبق في علمه أَنَّهُ فَاسِقٌ.

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى بنُ مَرْيَمَ﴾.

موضع ﴿إذ قال عِيسى بنُ مَرْيَمَ﴾ و﴿إذ قال موسى﴾ جميعاً نصب، المعنى اذكر إذ قال موسى، واذكر إذ قال عيسى بنُ مريم، أي اذْكر لقومِكَ وأُمَّتِكَ قَصَّةَ مُوسَى وعيسى وما كان عاقبة من آمَنَ بِهِمَا وعاقبة من كفر وآذى الأنبياءَ.

وقولُه: ﴿لِلْحَوَارِيِّينَ﴾.

قيل إن الحواريين سموا بذلك لبياض ثيابِهِمْ، وقيل كانوا قصَّارِينَ، والحَوارِيُّونَ خُلْصَان الأَنْبِيَاءِ وصَفْوَتُهُمْ، والدليل على ذلك قول النبي ﷺ:

الزبيـرُ ابنُ عَمَّتِي وحَوَارِيّـي مِنْ أُمَّتِي. وأصحـاب رسـول اللَّه ﷺ حـواريُّـون. وتأويل الحوارِيين في اللغة الذين أخلَصُوا ونُقُّوا من كُلِّ عَيْبٍ، وكذلك الـدقيق الحوَّارَى من هذا، إنمـا سُمِّيَ لأَنَه يُنَقَّى من لُبَـابِ البُرِّ وخـالِصِه. وتـأويله في الناس أنه الذي إذَا رُجِعَ في اختياره مَرَّةً بعد مَرَّةٍ وُجِدَ نقياً مِنَ العُيُوب. فأصل التحوير في اللغة من حَارَ يحورُ، وهو الرجوع والترجيعُ.

فهـذا تأويله ـ واللَّه أعلم.

وقوله: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إلى اللَّهِ﴾.

أي من أَنْصَـارِي مع اللَّه، وقـال قوم مَنْ أَنْصَـارِي إلى نَصْرِ اللَّهِ، وقـال الشاعر[1]:

وَلُـــوجُ ذراعين في بـــركـــة إلــى جؤجـؤ رهــلِ المَـنْكِـبِ

المعنى الكاهل مع جؤجؤ رهل الْمنْكِبِ.

وقوله: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾.

وأكثر القراءة كونوا أنصـارَ اللَّهِ، وهو الاختيـار لقولهم نحن أَنْصَـارُ اللَّه، لأن الآيتين في جـواب كونـوا أنصاراً للَّه، نحن أَنْصَـارُ اللَّهِ، ويجوز أن يكـون «نحن أنصار اللَّه» جواباً لذلك.

وقرئت ﴿واللَّه مُتِمٌّ نُورَهُ﴾ ـ ﴿مُتِمُّ نُورِهِ﴾ وكلاهما جَيِّدٌ.

---

(١) يصف فرساً ـ يريد له ذراعان مستقيمان كأنهما لوحان ـ والجؤجؤ عـظام الصدر، والصـدر نفسه ـ والبركة هي ثغـرة نحر الفـرس، والرهـل. المنتفخ الممتـلئ باللحم، ولكنـه لا يكون متمـاسكا ـ والمراد هنا مع جؤجؤ وهومحل الشاهد والبيت في اللسان والتـاج (زفر) وفي التـاج ولوجـا بالجيم. وأكثر المفسرين يقدرون في الآية محذوفاً ـ أي متجها الى اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ﴾.

مَعْنَى ﴿أَيَّدْنَا﴾ قَوَّيْنَا، واشتقاقه من الأَيْدِ، والأَيْدُ القُوَّةُ.

وقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طيبةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾.

هذا جواب ﴿تؤمنون باللَّه وَرَسُولِه وتُجَاهِدُونَ﴾ لأن معناه معنى الأَمْرِ، المعنى آمنوا باللَّه ورسوله وجاهدوا في سبيل اللَّه بأموالكم وأنفسكم يغفر لكم ذنوبكم. أي إن فعلتم ذلك يغفر لكم.

والدليل على ذلك قراءة عَبْدُ اللَّه بن مسعودٍ: آمِنُوا باللَّهِ وَرَسُولِهِ، وقد غلِطَ بعض النحويين فقال: هذا جَوابُ «هل»، وهذا غلط بيِّن، ليس إذا دلهم النبي على ما ينفعهم غفر الله لهم، إنما يغفر اللَّه لهم إذا آمنوا وجاهدوا، فإنما هو جواب تُؤْمِنُونَ باللَّه ورَسُولِه وتجاهدون يغفر لكم. فأما جواب الاستفهام المجزوم فكقَولِكَ هل جئتني بشيء أعطكَ مثله. المعنى لو كنت جئتني أعطيتك، وَإِنْ جئتني أَعْطَيْتُكَ، وكذلك «أين بيتك أَزُرْكَ».

وقوله: ﴿فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾.

أي في جنات إقامة وخلودٍ، يقال عَدَنَ بالمكان إذَا أقام به.

وقوله: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾.

المعنى ولكم تجارة أخرى تحبونها وهي نصر من اللَّه وفتح قريب. وإن شئت كان رفعاً على البَدَلِ من أُخْرَى، المعنى يُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ ولكُمْ نَصْرٌ من اللَّه وفتح قريب.

وقوله: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾.

«مصدقاً» منصوب على الحال. أي إني رسول اللَّه إليكم في حال

تصديقٍ لما تَقَدَّمَني من التوراة وفي حال تبشير برسول ﴿يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسمُه أَحَمدُ﴾.

قُـرِئَتْ بفتح اليـاء ـ مِنْ بَعْدِيَ ـ. وبـإسـكان اليـاء، وحَـذْفِهـا من اللفظ لـلالتقاء السـاكنين، وأما في الكتـاب فهي ثـابتـة. من بَعْـدي اسْمُـه أحمـد. والاختيار عند سيبويه والخليل تحريك هذه الياء بالفتح، فأما من قرأ يَغْفِـر لَّكُمْ ـ بإدغام الراء في اللام ـ فغير جائز في القراءة عنـد الخليل وسيبـويه، لأنـه لا تدغَمُ الراء في اللام في قولهما. وقد رُوِيَتْ عن إمام عَظِيم الشأن في القِرَاءةِ، وهُوَ أبـو عمرو بن العـلاء، ولا أَحْسَبُه قـرأ بها إلاَّ وقـد سمعها عـن العَرَب. زَعم سيبويه والخليل وجميع البصريين ـ مَا خَـلاَ أبا عمـرو ان اللاَّمَ تُـدْغَمُ في الرَّاءِ، وأن الرَّاءَ لا تُدغَمُ في اللاَّمِ. وحجة الذين قـالوا ان الـراء لا تدغم في اللام أن الراء حرف مكرر قويٌّ فَإِذَا أدغمت الراء في اللام ذهب التكـرير منهـا، وَدَلِيلُهُمْ على أَن لَهَا فضلة عَلَى غَيْرِهَـا في التمكن أَنَكَ لَا تُميـلُ ما كـان على مثال فاعل إذا كان في أَوله حَرْفٌ مِنْ حُرُوف الإطباقِ أَو المُسْتَعْلِيَةِ، وهي سبعة أَحْرُفٍ منها أَربعـة مطبقـة وهي الصَّادُ والضَّـادُ والطَّاءُ والـظاء، وثلاثـة مستعلية وهي: الخَاءُ والغَيْنُ والقاف.

لا تقول: هذا صالح، بإمالـة الصَّادِ، إلى الكسـر ـ فإن كـان في مَوْضـع اللاَّم رَاءٌ جاز الكسر، تقول: هـذا صَارِمٌ. ولا تقـول: مَرَرْتُ بضَـابَطٍ ـ بإمـالة الضَّـادِ ـ ولكن تقول: مَـررت بضارِبٍ، فَتُسهِّـلَ الراءَ المكسُـورَةُ كَسْرَةَ الصـاد والضَّادِ المطبقتين.

وهذا الباب انفرد به البَصْـرِيُّونَ في النحـو وليس للكوفيين ولا المـدنيين فيه شيء، وهو باب الإمالةِ.

سورة الجُمعة
مدنية

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل:﴿الملكِ القُدُّوسِ﴾.

بضم القاف القراءة، وقد رُوِيَتْ القَدُوس بفتح القاف، وهي قليلة، ومعنى القدوس المبارَكُ وقيل الطاهِرُ أيضاً.

وقوله:﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ﴾.

﴿الأُمِّيِّينَ﴾ الذين لا يكتبون، الذين هم على ما خُلِقَت عليه الأُمَّةُ قبل تعلم الكتاب، والكتَابُ لا يكون الا بتعَلُّمٍ. وقولهم في الذي لا يعرف الكلام ولا القراءة: هو يقرأ بالسَّليقيَّة، أي لم يتعلم القرآن مُعْرَباً إنما يقرأ على ما سمع الكلام على سَلِيقَتِهِ.

والسَّلِيقَةُ والطبيعةُ والنحيبَةُ والسَّجِيَّةُ والسَرجُوجَةُ، مَعْنَاهُ كله الطبيعةُ.

وقيل أول ما بدأ الكتاب في العرب بَدَا مِنْ أَهْلِ الطائِفِ، وذكر أَهل الطائف أنهم تعلَّمُوا الكتابة من أَهل الحِيرَةِ، وذكر أَهلُ الحيرَةِ أَنهم تعلموا الكتابة من أَهل الأنبار.

وقوله عز وجل: ﴿وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾.

﴿آخرين﴾ في مَوْضِع جَرٍّ، المعنى هو الذي بعث في الاميين رسولاً مِنْهُمْ

وبَعَثَ في الـذين لم يلحقـوا بهم، أَي في آخـرين منهم لَمَّـا يَـلْحَـقـوا بِهِمْ، فالنبي عليه السلام مبعوث إلى من شاهده وإلى كل من كان بَعْدَهُمْ من العرب والعجم.

ويجوز أن يكون ﴿وآخرين﴾ في موضع نصب على معنى يعلمهم الكتاب والحكمة ويُعَلِّمُ آخرين منهم لما يلحقوا بِهِمْ.

وقوله:﴿مَثَلُ الذين حُمِّلُوا التَّـورَاةَ ثُمَّ لم يَحْمِلُوهَا كَمَثَـلِ الحِمَارِ يَحْمِـلُ أَسْفاراً﴾.

الأسفار الكُتُب الكبار، واحدها سِفْر، فأعلم اللَّه ـ عَزَّ وجَلَّ ـ أن اليَهـودَ مَثَلُهُمْ في تركهم استعمال التـوراة والايمان بـالنبي عليه السـلام الذي يجـدونه مكتوباً عندهم فيها كمثل الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً. ثم قال:

﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾.

ومعنى ﴿بئس مثل القوم﴾ المثل الذي ضَرَبْنَاهُ لَهُمْ. وقرأ أبو عَمْرٍو كمثل الحِمَارِ ـ بكسر الألف ـ وهذه الإمالة أَعْنِي كسر الراء كثير في كَلَامِ العَرَبِ.

وقوله:﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

معناه أَنه لا يهدي من سبق في علمه أنه يكون ظَالِماً.

وقوله:﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾.

وذلك لأنهم قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُه﴾ فقيل لهم: إنْ كِنتُمْ تزعمون فَتَمَنَّوا المَوْتَ.

أي فإن اللَّه سَيُمِيتُكُمْ. وَأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أَنهم لا يَتَمَنَّوْنَهُ، لأنهم قد عَلِمُوا أن النبي عليه السلام حَقٌّ وأَنهم إن تَمَنَّوهُ مَاتُوا، فلم يَتَمَنَّوْهُ.

فهذه من أدل آيات النبي ﷺ.

ثم أعلم عز وجل أنهم إنْ لم يَتَمنُّوا الموت وَلَمْ يَمُوتُوا فِي وَقْتِهِمْ أنهم يموتون لَا مَحالةَ فقال:

﴿قُلْ إِنَّ المَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾.

ودخلت الفاء في خبر إن، ولا يجوز إنَّ زَيْداً فمنطَلِقٌ، لأن ﴿الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْه فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ فيه معنى الشرط والجزاء، ويجوز أَن يكونَ تَمَامُ الكَلَامِ: «قل إن الموت الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ» كَأَنَّه قيلَ: إنْ فَرَرْتُم من أَي موتٍ كانَ مِنْ قَتْلٍ أو غيره فإنه مُلَاقِيكُمْ، ويكون «فإنَّهُ» استئنافٌ، بعد الخبر الأول.

وقوله: ﴿يَا أَيُّها الَّذِين آمَنُوا إذا نُودِيَ للصلاة مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ﴾.

وقرئت الجُمْعَة - بإسكان الميم - ويجوز في اللغة الجمَعَة - بفتحَ الميم - ولا ينبغي أن يقرأ بها إلَّا أن تثبت بها روايةٌ عن إمام من القُرَّاء، فمن قرأ الجُمْعَة فهو تخفيف الجُمُعَةِ، لثقَلِ الضَمَّتَيْنِ، ومن قال في غير القراءة الجُمَعَةِ، فمعناه التي تجمع النَّاسَ، كما تقول رجل لُعَنَة، أَيْ يُكْثِرُ لَعْنَ الناس، ورَجُلٌ ضُحَكَةٌ، يكثر الضَّحِكَ.

وقوله: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

معناه فاقصدوا إلى ذكر اللَّه، وليس معناه العدو. وقرأ ابن مَسْعودٍ: «فَامْضُوا إلى ذِكْرِ اللَّهِ» وقال: لو كانت فاسْعَوْا لَسَعَيْتُ حتى يسقط رِدَائي، وكذلك قرأ أُبَيُّ بن كَعْبٍ: «فَامْضُوا»، وَقَدْ رويت عن عمر بن الخطاب. ولكن اتباع المصحف أولى، ولو كانت عند عمر «فامضوا» لا غير، لغيرها في المصحف.

والدليل على ان معنى السَّعْيِ التصرف في كل عمل قول اللَّه عز

وجل :﴿وَأَنْ لَيْسَ للإِنْسَانِ إلاَّ مَا سَعَى وأَن سَعْيـهُ سَوْفَ يُـرَى﴾ فلا اختـلاف في أَن معناه : وأن ليس للانسان إلا ما عمل .

وقوله عز وجل : ﴿وَذَرُوا البَيْعَ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .

فالبيع من وقت الزوال في يوم الجُمَعَةِ إلى انقضاء الصلاةِ كالمحرَّمِ .

وقوله :﴿فإذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُوا في الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ .

هـذا معنـاه الإِبـاحـة، ليس معنـاه إذا انقضت الصـلاة وجب أن يَتْجـر الانْسـانُ كما قـال:﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْـطَادُوا﴾فليس على من حَلّ من إحـرام أن يصطادَ إنما هو مباح له، مثل ذلـك قولـه في الكلام : إذَا حَضَـرتني فلا تنـطق وَإذا غبت عني فتكلم بما شئت، إنّما معناه الإِباحة .

وقوله : ﴿فَتَمَنَّوُا الموتَ﴾ بضم الواو لسكونها وسكون اللام . وَاخْتِير الضَّمُّ مع الواو، لأن الواو ههنا أصل حركتها الرفع، لأنها تنوب عن اسماء مرفوعـة، وقد قرئت فتمنَّوِ الموت بكسر الواو لالتقاء الساكنين، إذا التقيا من كلمتين كسر الأول منهما كما تقول: قَلِ الحقَّ فتكسر اللام لسكون لام الحق .

وقوله:﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إلَيْهَا﴾ .

ولم يقل إليهما، ويجوز من الكلام، وإذا رأو تجارة أو لهواً انفضوا إليه انفضوا إليها، وانفضوا إليهما فحذف خبر أحدهما لأن الخبر الثاني يدل على الخبر المحذوف والمعنى إذا، رأوا تجارة انفضوا إليها أَوْ لهواً انفضوا إليه .

وروي أن النبي ﷺ كان في خطبتِهِ فجاءت إبل لدحية بن خليفة الكلبي وعليها زيت فانفضوا ينظرون إليها وتركوا النبي ﷺ يخطب، وبقي النبي عليـه السـلام مع اثني عشـر رجلاً، فقـال رسـول اللَّه ﷺ : لـو لحق آخـرُهُـمْ أَوَّلَهُمْ لالتهب الوادي نَاراً. فـأَعلم اللَّه عز وجـل أَن ما عنـد اللَّه خيرٌ من اللهـو ومن

التجـارة، وأَعلم النبي عليـه السـلام غليظ مـا في التـولي عن الإمـام إذا كـان يخطب يوم الجمعة.

واللَّهوُ هَهنا قِيلَ الطَّبْلُ، وهو ـ واللَّه أَعلم ـ كل ما يُلْهَى بِهِ.

﴿واللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

أَي ليس يفـوتهم من أَرْزَاقِهم لتخلفهم عن النظــر إلى الميـرة شيءٌ مِنْ رِزْقٍ ولا بتركهم البيعَ في وقت الصلاة والخطبة.

سُورَةُ المُنَافِقِينَ(١)
مدنية

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

قوله تعالى :﴿إذَا جَاءَكَ المُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إنَّكَ لَرَسُولُ اللّٰهِ. واللّٰهُ يَعْلَمُ إنَّكَ لَرَسُولُه. واللّٰهُ يَشْهَدُ إنَّ المُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾.

أَكْذَبَهُمْ فيما تَعتقده قُلُوبُهُمْ، وفي أنهم يحلفون باللّٰه إنهم لمنكم، ويحلفون باللّٰه ما قالوا، ولقد قالوا كلمة الكفر.

وقوله : ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾.

أي سُتْرةً يستترون بها منه، ودليل ذلك أَنَّهُم حَلَفُوا على ما وصفنا. وقد قرئت: ﴿اتَّخَذُوا إيمَانَهُم﴾ بكسر الهمزة ـ أي إظْهَارَهُم الإِيمَانَ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ.

وقوله : ﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾.

وقرئت فَطَبَعَ على قُلُوبِهِم. ورويت فطبع اللّٰه على قُلُوبِهم. والقراءة المعروفة المجمع عليها ههنا فُطُبِعَ، على مالم يسم فاعله. ويجوز في العربيَّةِ فطبعْ عَّلى قُلوبُهِمْ على إدغام العين في العين لأنهما من مخرج واحد، ولاجتماع الحركات لأنه يجتمع سِتُّ حَرَكاتٍ، ومن ترك الإدغام فلأن الجرفين

---

(١) هكذا بالأصل ـ والأولى أن تكون «المنافقون» على الحكاية.

من كلمتين وان العين من الحلق وحروف الإدغام في حروف الفم أكثر منها في حروف الحلق نحومدَّ وشَدَّ وقَرَّ وَرَدَّ وأكثر مِنْ بَابِ دَعَّهُ يُدعُّه.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾.

كَأنه وصفهم بتمام الصُّوَرِ وَحُسْنِ الإِبَانة، ثم أعلم أنهم في تركهم التَّفهُّمَ والاستبصار بمنزلة الخشب فقال: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾.

ويقرأ خُشْبٌ مُسَنَّدة بإِسْكانِ الشِّين. فمن قرأ بإسكان الشين فهو بمنزلة بَدَنةٍ وَبُدْنٍ، ومن قال خُشُب ـ بضم الشين ـ فهو بمنزلة ثَمَرَةَ وَثُمُر. ويجوز خَشَبٌ مَسَنَّدةٌ، فلا تقرأ بها إلا أن تثبت بها رواية، وخشبةٌ وخَشَبٌ مثل شجرة وشَجَر.

وقوله: ﴿يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحةٍ عَلَيْهِمْ﴾.

وصفهم اللَّه تَعَالى بِالجُبْنِ، ويكون أمر كل من خاطب النبي عليه السلام فإنَّمَا يخاطبه في أمرهم بكشف نِفَاقِهِمْ.

وقوله: ﴿هُمُ العَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾.

أي هم العدو الأدنى، فاحذرهم لأنهم كانوا أعداء النبي ﷺ، ويظهرون أنَّهم مَعَهُ.

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿قَاتَلَهُم اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.

ومعنى ﴿أنى يؤفكون﴾ من أين يصرفون عن الحق إلى الباطل.

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾.

قرأ أَبو عمرٍو يَسْتَغْفِر لَّكُمْ ـ بإدغام الراء في اللام ـ وهي عند سيبويه لا تجوز، وقد بينا ذلك في سورة الصف.

وقوله: ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾.

على فَعَّلُوا، وَقُرِئَتْ ﴿لَوَوْا رُءُوسَهُمْ﴾ بالتخفيف. وهذه قيل إنها نزلت في عبد اللَّه بن أُبَيٍّ.

وقوله: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا﴾.

هذه أيضاً نزلت في عبد اللَّه بن أُبَيّ. وذلك أنه قال لقوم ينفقون على بعض من مع رسول اللَّه: لا تنفقوا عليهم حتى ينفَضُّوا عنه.

﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

أَي ان اللَّه يرزقهم وهو رازقهم في حال إنفاق هؤلاء عليهم.

وقوله عز وجل: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إلى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾.

يعنون أَيضاً عبد اللَّه بنَ أُبيّ. فأَعلم اللَّه أَنه مظهر دينه على الدين كله ومعز رسوله ومن معه من المؤمنين فقال: ﴿وللَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وللمؤمنين﴾.

وقوله عز وجل: ﴿يا أَيُّها الذين آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

حَضَّهم(١) اللَّه على إدامة الذكر له وأن لا يضنوا بأموالهم فقال: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾.

أي من قبل أن يُعاين ما يعلم معه أَنَّه مَيتٌ.

﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

---

(١) أي حَضهم.

وقرئت ﴿فأصَّدقَ﴾ وَأَكونَ من الصالحين. فجاء في التفسير أَنهُ ما قَصَّر أَحدٌ في الزكاة أو في الحج الا سأل الكرَّة. فمن قال فاصَّدق وأَكن من الصالحين، فاصَّدَّق جواب لولا أَخَّرتني، ومعناه هـلا أَخَّرْتَني، وجـزم «وَأَكُنْ» على موضـع فـأصَّدق، لأنـه على معنى إن أَخرتني أُصَّـدَّق وأكن من الصـالحين، ومن قـرأ وأكونَ فهو على لفظ فأَصَّدَّق وَأَكونَ.

سورة التغابُن

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

مكية ما خلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة، وهي من آخرها قوله: ﴿يَا أَيُّها الـذِينَ آمَنُـوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ . . .﴾ إلى آخرها، وقيل إن الصحيح أنها مدنية كلها.

قوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾.

خلقكم في بطون أمهاتكم كفَّاراً ومؤمنين، وجاء في التفسير أن يحيى عليه السلام خلق في بطن أُمّه مؤمناً، وخلق فرعون في بطن أمه كافراً، ودليل ما في التفسير قوله عز وجل: ﴿فَنَادَتْهُ المَلاَئِكَةُ، وَهُوَ قَـائِمٌ يُصَلِّي فِي المِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُورًاوَنَبِيًّامِنَ الصَّالِحِينَ﴾[1] فأعلم اللَّه تعالى أنه مخلوق كذلك، وجائز أن يكون ﴿خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ أي مؤمن بأن اللَّه خلقه وكافرٌ بأن اللَّه خلقه. ودليل ذلك [قوله سبحانه]: ﴿قُتِلَ الإنسانُ ما أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شيءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ [فَقَدَّرَهُ]﴾، وقال: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾[2].

وقوله: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾.

ويقرأ «صِوَرَكم» بكسر الصَّادِ، وصُورَةٌ يجمع صُوَراً مثل غُرْفَة وَغُرَف، ورُشْوَة ورُشًى، ويجمع أيضاً صِوَر مثل رِشْوة وَرِشًى وفُعَل وفِعَل أختان، قالوا

---

(١) سورة آل عمران / ٣٩.

(٢) سورة الكهف / ٣٧.

حُلًى وحِلًى، ولِحىً وَلُحىً جمع لحية. ومعنى أَحْسَنَ صُورَكم خلقكم أحسن الحَيَوَانِ كُلِّه، والدليل على ذلك أن الانسان لا يُسَرُّ بأن يكون صورته على غير صورة الآدميين، فالانسان أحسن الحيوان، وقيل أيضاً فأحسن صوركم من أَرَادَ اللّه أَن يكون أبيض كان أبيض، ومن أراد أن يكـون أسودَ كـان أَسْوَدَ ومن أَراد أَن يكون دَمِيماً كان دَمِيماً أَو تاماً كان تامًّا. فأحسن ذلك ـ عز وجل ـ وأَتى من كل صورةٍ بكل صنف على إرادته.

وقـوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّـذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْـلُ فَذَاقُـوا وَبَـالَ أَمْـرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أي وذاقوا في الدنيـا عظيم السـطوات ولهم في الآخرة عَـذَابٌ أليم، ثم أعلم اللّه عـز وجل بِمَ نَـزَلَ بِهِمْ ذَلِكَ فقال: ﴿ذَلِكَ بِـأَنَّهُ كَـانَتْ تَـأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بالبَيِّنَاتِ فَقَالُوا: أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا﴾.

فأعلم اللّه ـ عز وجل ـ أنه نزل بهم العذاب في الدنيا وأنه ينزلُ بِهِمْ في الآخرة بكفرهم.

وقوله:﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ والنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾.

أي وبالقرآن الذي هو نُورٌ وكتاب مُبِينٌ.

وقوله:﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾.

﴿يَوْمَ﴾ مَنْصُوبٌ بقوله ﴿لَتُبْعَثُنَّ ثم لَتُنَبَّؤُنَّ﴾ بما عملتم يوم الجمع، ويوم التغابن يومَ يغبن أَهلُ الجنة أَهلَ النارِ، ويغبن من ارتفعت منزلته في الجنة من كان في دُونِ مَنْزِلَتِه. وضرب ذلك مثلاً للشِّراءِ والبيعِ كما قال:﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَـارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيم. تُؤْمِنُونَ باللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾(١) وقال في موضع آخر: ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾(٢). وذلك في الَّذِينَ اشْتَروا الضلالة بالهدى.

(١) سورة الصف / ١٠ ـ ١١.   (٢) سورة البقرة / ١٦.

وقوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

معناه إلَّا بِأَمر اللَّه، وقيل أَيضاً إلا بعلم اللَّه.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾.

وَيُسَلِّم في وقت المصيبة لأمر اللَّه يهد قلبه يجعله مهتدياً، وقُرِئت يَهْدَ قلبه، تَأويل هَدَأَ قَلْبُه يهدأ إذا سكن، ويكون على طرح الهمزة، ويكون في الرفع يَهْدَا قلبه ـ غير مهموز ـ وفي الجزم: مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدَ قَلْبُهُ، بطرح الألف للجزم، ويكون التأويل إذا سَلَّمَ لأمر اللَّه سَكَنَ قَلْبُه.

وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

هذه رخصة لقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾(١).

وقوله: ﴿وَأَنْفِقُوا خَيراً لأَنْفُسِكُمْ﴾ أَي قدموا خَيراً لأنفسكم من أُموالكم.

﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾، ويجوز ومن يُوَقَّ شُحَّ نَفْسِهِ، ولا أُعلم أحداً قرأ بها فلا تقرأنَّ بها إلَّا أن تثبت رواية في قراءتها.

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، معناه الظافرون بالفَوْزِ والخَيْرِ.

قوله: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾.

جاء في التفسير أن النبي ﷺ لَمَّا أَمر بالهجرة مِنْ مَكَّةَ إلى المدينة أَرَادَ قَومٌ الهِجْرَةَ فقال لهم أَزْوَاجُهُم وأَوْلَادُهُمْ: قد صبرنا لكم على مفارقة الدين، ولا نصبر لكم على مفارقتكم ومفارقة الأموال والمساكن فأعلم اللَّه تعالى أن من كان بهذه الصورة فهو عَدُوٌّ، وإن كان وَلَداً أو كانت زوجة. ثم أمر عز وجل بالعَفْو والصَّفْح فقال:

﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

---

(١) سورة آل عمران /١٠٢.

ثم أَعلم أن الأموال والأولاد مما يفتتن به فقال:

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ ما اسْتَطَعْتُمْ﴾.

أي ما أمكنكم الجهاد والهجرة مع النبي ﷺ فلا يَفْتننكُمْ الميلُ إلى الأموال والأَوْلَادِ عن ذلك.

﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾.

فَاقترض عز وجل مما رزق وأعطى تفضلاً وامتحاناً.

﴿واللَّه شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾.

يَشْكُر لكم ما عملتم ويَحْلُمُ عنكم عند استِحقَاقِكُمُ العُقُوبَةَ على ذُنُوبِكُمْ.

﴿عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَةِ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾.

يعلم ما تُكِنُّه الصُّدورُ مما لا تعلمه الحفظة، ويعلم ما تسقط من وَرَقَةٍ وما قَطَر مِنْ قَطْرِ المَطَر.

سُورَةُ الطَّلاَقِ
مَدَنِيَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾.

هـذا خطاب للنبي عليه السلام والمؤمنون داخلون معه في الخطاب، ومعناه إن أردتم الطلاق كما قال: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إلى الصَّلاَةِ﴾ معناه إذا أَرَدْتُم القيام إِلَى الصَّلاة.

وقوله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا العِدَّةَ﴾.

فطلاق السنة المجْتَمَعُ عَلَيْه في قول مَالِكٍ أَن يطلق الرجل امْرَأَته طَاهِراً من غير جماعٍ تطليقة واحدة، ثم يتركها إذا أراد المقام على فراقها ثَلاَثَ حِيَضٍ، فإذا طعنت في الحيضة الثالثة فلا يملك رجعتها، ولكن إن شاء وشاءت أن يجددا نكاحاً جَدِيداً كان ذلك لهما لأن معنى: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً﴾، أَي بعد الطلاق الواحد[1]. فإذا طلقها ثلاثاً في وقت واحد فلا معنى في قوله: ﴿لَعَلَّ اللَّه يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً﴾، وإنما تفسيره الرجعة، أعني إذا وقع الثلاث في وقت واحدٍ، وهذا قول مالك ـ رحمه اللَّه!، وقال أهل العراق إن طلقها طاهراً من غير جماع ثم أوقع عند كل حيضة تطليقة فهو أيضاً عندهم طلاق السنة، وإن فعل ما قال مالك فهو عندهم سنَّةٌ أَيْضاً. وقال الشافعي إذا طلقها طَاهِراً من غير جماع فهو مطلق للسنة أيضاً طلق واحدة أَو ثلاثاً، وهذا يسقط معه إذا كان ثلاثاً.

---

(١) في الأصل: الواحدة.

قوله: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً﴾.

وقد جاء التشديد فيمن تعدى طلاق السنة، فقال: ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ﴾، وقال: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾. يعني بحدود اللَّه حدود طلاق السنة وما ذَكَرَ مع الطلاق.

وقوله: ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾.

ويقرأ مُبَيَّنَة. فجعل للمطلقات السكنى، وقيل إن خروجهن من بُيُوتِهِنَّ فاحشة، وقيل الفاحشة المبينة الزنا. ودليل هذا القول قوله: ﴿واللَّاتي يأتين الفاحشة من نسائكم﴾، يعني الزنا. وقيل أيضاً: إلا أن يأتين بفاحشة مبينة زنا أو سَرقٌ أو شربُ خَمْرٌ، وقيل كل ما يجب فيه الحد فهو فاحشة.

قوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبْ﴾.

معناه يجعل له مخرجاً من الحرام إلى الحلال، وقيل أيضاً من النار إلى الجنَّة وَيَرْزُقْه مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبْ مَعْنَاهُ ـ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ ـ أنه إذا اتَّقى اللَّهَ وآثَرَ الحلال والصبر على أهله إن كان ذَا ضَيْقَةٍ فتح اللَّ عليه ورزقه من حيث لا يحتسب، وجائز أن يكون إذا اتقى اللَّه في طلاقه، وآثر ما عند اللَّه وجرى في ذلك على السُّنَّةِ رزقه اللَّه أهلاً بَدَل أهله.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَالِغٌ أَمْرِه﴾.

وتقرأ ﴿بالغُ أَمْرِه﴾، أي إن اللَّه بالغ ما يُرِيدُ. وقرئت إنَّ اللَّهَ بَالِغٌ أَمْرُهُ، على رفع الأمر بِبَالِغ، أَي إنَّ اللَّهَ يبلغ أَمره وينفذ.

وقوله عز وجل: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾.

وقَدَراً، أَي ميقاتاً وأَجَلاً.

وقوله: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ المَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾.

قيل في بعض التفسير إنهم سألوا فقالوا: قد عرفنا عدَّةَ التي تحيض، فما عـدَّةُ التي لا تحيض والتي لم تحض، فقيل إن ارتبتم، أي إذا ارتبتم فعدتهن ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ. والذي يذهب إليه مالك، واللغةُ تدل عليه أن معناه إن ارتبتم في حيضها وقد انقطع عنها الحيض وكانت ممن يحيض مثلها فعدتها ثلاثة أشهُرٍ، وذلك بعد أن تترك تسعة أشْهُرٍ بمقدار الحمل، ثم تعتد بعد ذلك ثلاثة أشهر، فإن حاضت في هذه الثلاثة الأشْهُرِ تمت ثلاث حِيَضٍ. وجائز أن يتأخر هذا الحيض فيكون كلما قاربت أن تخرج من الثلاثة حاضت، فهذا مذهب مالك وهو الذي يروى عن عمر رحمه اللّٰه.

وقال أهل العراق تترك ولو بلغت في ذلك أكثر من ثلاثين سنةً ولو بلغت إلى السبعين، يعنون حتّى تبلغ مبلغ من لا يحيض، وقالوا: ولو شاء اللّٰه لابتلاها بأكثر من ذلك، وكذلك في قوله: ﴿واللَّائي لَمْ يَحِضْنَ﴾ معناه عند مالك معناه إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر، واليائسة عند مالك وغيره بإجماع التي قد يئست من المحيض فلا ارتياب في أمرها أنها لا تحيض تعتد ثلاثة أشهر، ولم يأتِ في القرآن النّصُّ عَلَى ذلك، ولكن في القرآن دليل عليه وأنا أبَينه إن شاء اللّٰه.

فأما الصغيرة التي لا يُوطأ مثلها فإن دخل بها ووطئها مكانَهُ فإنما عقرها[1]، ولا عدَّةَ عند مالك عليها، إلا أن يكون مثلها يَسْتقيم أَن يُوطَأَ وإنما هي عنده في عداد من لم يُدخَلْ بها. والذي في القرآن يدل على ان اليائسة التي لا يُرتاب فيها يجب أن تعتد ثلاثة أشهر لقوله: ﴿واللائي يَئِسْنَ مِنَ المَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ واللَّائي لَمْ يَحِضْنَ﴾ فمعناه واللائي لَا يَحِضْن فعدتهن ثلاثة أَشْهُرٍ، فقياس اللائي لا يحضن قياس اللائي لم يحضن[2]

(١) في الأصل إنما.

(٢) قياس اللائي انقطع حيضها قياس من لم تصل سنّ الحيض.

فلم يحتج إلى ذكر ذكل. وإذا كان عدة المرتاب بها ثلاثة أشهر فالتي لا يرتاب بها أولى بذلك.

قوله تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾.

معناه أجلهن في الانقطاع فيما بينهن وبين الأزواج أن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ.

وقوله: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾.

ويقرأ من وِجْدِكم، يقالُ وَجَدْتُ في المال وُجْداً، أَي صرت ذا مالٍ، وَوِجداً وَجِدَةً، وَوَجَدْتُ الضَّالَّةَ وِجْدَاناً وَوَجَدْتُ على فلانٍ وَجْداً، ووجَدْت عليه مَوْجِدَةً.

فأوجب اللّه تعالى السُّكْنَى حتى تنقضِيَ العِدَّةُ. والسكنى والنفقة على الزوج إذا طلق طلاق السنة إلى أن تأتي ثلاث حِيَضٍ، فإذا أَبَتَّ الطلاقَ قبل انقضاء العِدَّةِ فعليه النفقة والسكنى في قول أهل العراق، وعليه السكنى في مذهب مالك والشافعي، فأما الحاملِ فعليه النفقة لها، وذا في القرآن نصٌّ بقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾.

وقوله: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾.

أي فأعطوهن أُجْرَةَ رِضَاعهن.

﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾.

قيل في التفسير إنه الكسوةُ والدِّثَارُ، والمعروف ـ واللّه أعلم ـ أن لا يقصِّرُ الرجلُ في نفقة المرضع التي ترضع ولَدَه إذا كانت هي والدتَه لأن الوالدَةَ أَرأف بولدها من غيرها به، فلا تقصِّرُ في رضاعه والقيام بشأنه، فحق كل واحد منهما أن يأتمر في الولد بمعروف.

﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ﴾.

معناه فليرضع الوالد غير والِدَةِ الصَّبِيِّ، وهذا خبر في مَعْنى الأَمْرِ لأن لفظ. . . ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ لفظ الخبر ومعناه فليرضع، ومثله في لفظ الخبر ومعنى الأمر قوله: ﴿وَالْوَالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾، معناه ولْيُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ.

قوله: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ من سَعَتِهِ﴾.

أَمَرَ أهل التوسِعَةِ أن يُوَسِّعوا على نسائهم المرْضِعَاتِ أَوْلَادَهُنَّ على قدر سَعتِهِنَّ.

﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْه رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتاهُ اللَّهُ﴾.

أي من كان رزقه بمقدار القوت فلينفق على قدر ذلك، كما قال: ﴿عَلَى المُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى المُقْتِرِ قَدَرُه﴾.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ أي إلا ما أعطاها.

وقوله عز وجل: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾.

أعلم اللَّه المؤمنين أنهم وَإن كانوا في حال ٍ ضَيِّقَةٍ، وقيل كان الغالب على أكثرهم في ذلك الوقت في عهد رسول اللَّه الفقرُ والفاقةُ فأعلمهم عز وجل أنه سَيُوسِرُ المسلمون ـ ففتح اللَّه عليهم بعد ذلك وجعل يُسراً بعد عُسْرٍ.

وقوله عز وجل: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً﴾.

أي عجلنا لها العذاب، وَمَعناه: عتا أهلها فحاسبنا أهلها وَعَذَّبْنَاهُم.

وقوله: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾.

أي ثِقْلَ عاقبةَ أمرها.

﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً﴾ يعني في الآخرة وهو قوله:

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾.

يعني بعد ذلك الذي نزل بِهِم في الدنيا.

ثم وعظ اللّه هـذه الأُمَّـةَ في تصـديق النبي عليـه السـلام، واتبـاع أَمْـره وأعلم أنه قد بعث رسوله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور فقال:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

ومعنى أولي الألباب أصحاب العقـول، وواحد أولي الألبـاب ذُو لُبٍّ أي ذو عَقْلٍ.

﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً، رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾.

﴿رَسُولاً﴾ مَنْصُوبٌ على ثلاثَةِ أَوْجُهٍ، أَجْوَدُهَا أن يكون قَوله: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً﴾ دليلاً على إضمار أَرْسَلَ رَسُولاً يتلو عليكم، ويجوز أن يكـون يعني بقوله ﴿رسولاً﴾ النبي عليه السلام، ويكون ﴿رَسُولاً﴾، منصوباً بقوله ﴿ذِكراً﴾. يكون المعنى قد أنزل اللّه اليكم ذِكراً رَسُولاً ذَا ذِكْرٍ رسولاً يتلو، ويكون رسولاً بَـدَلاً مِنْ ذِكرٍ، ويكون يعنى به جبريل عليه السلام. ويكون دليـل هذا القـول قولـه يعنى به جبريل عليه السلام: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾.

ومعنى: ﴿مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ﴾: من ظلمات الكفـر إلى نور الإيمـان لأن أدلة الكِفر مظلمَة غير بَيِّنَةٍ، وأدلة الاسلام واضحة بينَةٌ.

قوله: ﴿ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً﴾.

أي رزقه اللّه الجنة التي لا ينقطع نعيمها ولا يزول. ثم ذكر ـ جل وعز ـ ما يدل على توحيده فقال:

﴿اللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾.

ففي كل سماء وكل أرض خلق من خَلْقِه، وأمرٌ نافِذٌ مِن أَمْرِهِ.

وقوله عز وجلَّ: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلْماً﴾.

﴿عِلْماً﴾ منصوب على المَصدر المؤكد، لأنْ معنى قوله: ﴿وأَنَّ اللَّهَ قَـدْ أَحَاطَ بِكُلِ شَيْءٍ عِلْماً﴾، أي قد علم كل شيء علماً، ومثله: ﴿وَتَـرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَـرَّ السَّحَابِ﴾ ثم قـال: ﴿صُنْعَ اللَّـه﴾ مُـؤَكِدًا، لأن معنى قوله: صنع اللَّه صنع اللَّه الجبالَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ.

سُورَةُ التَّحْرِيم
مدنية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله تعالى:﴿يَاأَيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَـاةَ أَزْوَاجِكَ واللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

أَي وقـد غفر اللَّه لـك ذلك التحـريم. وجاء في التفسيـر أن النبي ﷺ، شرب عسلاً عند زينب بنت جحش فأجمعت عائشة وحفصة على أن يقولا له: إنَّا نَشَمُّ مِنك رِيحَ المغافير، والمغافير صمغ متغيـر الرائحـة، وقيل في التفسيـر أنـه بَقْلَةٌ، فلما صـار إلى كـل واحـدة منهمـا قـالت لـه: إني أَشَمُّ منـك ريـح المغافير فحرم النبيُ ـ عليه السلام ـ على نفسه شرب العسل، وقيل إنه حـلف على ذلك.

وجاء في التفسير ـ وهـو الأكثر ـ أن النبي ـ عليـه السلام ـ خـلا في يوم لعائشة مع جاريته أم إبراهيم، وكان يقال لها مارية القبطية فوقفت حفصـة على ذلك، فقال لها رسول اللَّه ﷺ لا تُعْلِمِي عَائِشَةَ ذلـك، فقالت لـه لَسْتُ أَفعل، وحَرَّمَ مَارِية على نفسه، وقيل إنه حلف مع ذلك أيضاً، فأعلمت حفصة عائشة الخبر واستكتمتها إيَّاه، فأطلع اللَّه نبيّه على ذلك فقال اللَّه عز وجل: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً﴾. يعني حفصة.

مـوضع «إذ» نِصْبٌ، كـأنه قـال: واذكر إذ أسـر النبي إلى بعض أزواجـه حديثاً يعني حفصة، ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ﴾، أي فلما خَبَّرت به عائشةَ.

﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾.

وقُرِئَتْ عَرَفَ بعضَه بتخفيف الراء. وأعلم اللَّه أن التحريم على هذا التفسير لا يحرّم. فقال لنبيه عليه السلام: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾.

فلم يجعل اللَّه لنبيه أن يُحَرِّمَ الا ما حَرَّمَ اللَّه، فعلى هذين التفسيرين ليس لأحد أن يحرم ما أحل اللَّه، فقال اللَّه: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾.

يعني الكفارة، لأنه قد روي أنه مع ذلك التحريم حَلَفَ، وقال قومٌ إن الكفارةَ كفارةُ التحريم.

فَأَمَّا ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾. فتأويله أنه عرف بعضه حفصة، ﴿وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ﴾ جاء في التفسير أنه لما حرم مارية أخبر حفصة أنه يملك من بعده أبو بكر وعمر، فعرفها بعض ما أفشت من الخبر، وأعرض عن بعض، فإن النبي ﷺ قد عرف كل ما كان أَسَرّه، والإعراض لا يكون إلاَّ عما يعرف.

وتأويل هذا في اللغة حَسَنٌ بَيّنٌ، معنى ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾ جازى عليه، كما تقول لمن تتوعَّدُهُ: قَدْ عَلِمْتُ مَا عَمِلْتَ وَقَد عَرَفْتُ ما صَنَعْتَ، وتأويله فسأجازيك عليه، لا أنك تقصد إلى أنك قد علمت فقط، ومثله قول اللَّه عز وجل: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾، فتأويله يعلمه اللَّه ويجازي عليه، فإن اللَّه يعلم كل ما يُفعَل، ومثله قوله [تعالى]: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِم فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾(١) واللَّه يعلم ما في قلوب الخلق أجمعين، ومثله قوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾، ليس الفائدة أنه يرى ما عمل، إنما يرى جزاء مَا عَمِلَ، فقيل إن النبي ﷺ طلق حفصة تطليقة واحدةً فكان ذلك جزاءها عنده.

---

(١) سورة النساء /٦٣.

فذلك تأويل ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ وأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ﴾.

أي جازى على بعض الحديث.

وكانت [حفصة] صَوَّامةً قَوَّامَةً فأمره اللَّه تعالى أن يراجعها فراجعها.

وقوله: ﴿إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾.

يعني به عائشة وحفصة، ومعنى صَغَتْ قُلُوبُكُمَا. عدلت قلوبكما وزاغت عن الحقِّ.

وقوله: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾.

أي تتعاونا عليه، فإن اللَّه هو مولاه أي هو يتولى نصرته، .

﴿وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُو الْمُؤْمِنِينَ﴾.

جاء في التفسير أن صالحي المؤمنين أبو بكر وعمر، وجاء أيضاً في التفسير أن صالحي المؤمنين عمر، وقيل إن صالحي المؤمنين خيار المسلمين، و «صالح» ههنا ينوب عن الجمع كما تقول: يَفْعَلُ هَذَا الخَيِرُ من الناس تريد كل خَيِّر.

﴿وَالمَلاَئِكَةُ بعد ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾.

في معنى ظُهَرَاءُ، أي والملائكة أيضاً نُصَّارٌ له النبي ﷺ.

قوله عز وجل: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أزواجاً خيراً منكُنَّ مسلماتٍ﴾ وقرئت يبدله، بتشديد الدال وفتح الباء، ويُبَدِّله للتَّكْثِيرِ، وَكِلاَهُمَا جَيِّدٌ وقد قرئ به.

وقوله: ﴿قَانِتَاتٍ﴾.

جاء في التفسير مطيعاتٍ، والقُنُوتُ القِيامُ بما يقرب إلى اللَّه ـ عز وجل ـ.

وقوله تعالى: ﴿سَـائِحَـاتٍ﴾.

جاء في التفسير عن النبي ﷺ أن السائحين هم الصائمونَ، وهو مما في الكتب الأولى، وقال أهل اللغة: إنما قيل للصائم سائح لأن الذي يسيح متعَبِّدٌ ولا زاد مَعَه، فحين يجد الزاد يطعَمُ، والصائم كذلك يَمْضِي النهار ولا يَـطعَـمُ شيئاً فلشبهه به سُمِّيَ سَائِحاً.

وقوله: ﴿قُـوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾.

معناه خذوا أنفسكم وأهليكم بمـا يَقَـرِّبُ من اللَّه ـ جـل وعـز ـ وجنبـوا أنفسكم وَأَهْليكم المعـاصي. ومعنى ﴿قوا أنفسكم﴾ أي وقُّوا أنفسكم، وجاء في التفسيـر: رَحم اللَّه رَجُلاً قـال: يا أهـلاه صَلاَتَكُمْ صيـامكم مِسْكينكم يتيمكم جيرانكم.

معناه الزموا واحفظوا صلاتكم وهذه الاشيـاء المذكـورة، ادُّوا فرض اللَّه فيها. وفي الحديث لعل اللَّه يجمعهم معه في الجنَّة.

وقوله عز وجل: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ والحِجَارَةُ﴾.

جاء في التفسير أنها حجارة الكبريت. والوَقُود بفتح الواو ما تُوقَدُ به النَّارُ من حَطبٍ وغَيْرِهِ، يقال وقدت النار وُقُوداً ـ بضم الواو ـ.

وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهـا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾.

بفتح النون، وتقرأ نُصُوحاً ـ بضم النُّون ـ فمن فتـح فعلى صفة التـوبة. ومعناه توبة بالغة في النصح، وفَعُول من أسماء الفاعلين التي تستعمل للمبالغة في الوصف، تقول رجل صبورٌ وَشَكُورٌ، وتوبة نَصُوحٌ. وَمَنْ قَرأَ نُصُوحُ ـ بضَم النُّونِ ـ فمعناه يَنصَحُونَ بهذا نُصُوحاً.

يقال: نصحت له نُصْحاً ونصاحَةً ونصوحاً.

وجاء في التفسير أن التوبة النَّصُوحُ التي لا يعاود التائب مَعَها المعْصِيةَ، وقال بعضهم التي لا ينوي معها معاودة المعصية.

وقوله: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾.

﴿يَوْمَ﴾ منصوبٌ بقوله: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ﴾.

أي في هذا اليوم.

والقراءة النصب في قوله: ﴿وَيُدْخِلَكُمْ﴾ عطف على ﴿أَنْ يُكَفِّرَ﴾ ولو قرئت بالجزم لكانَ وَجْهاً، يكون محمولا على موضع ﴿عسى رَبُّكم أَنْ يُكَفِّرَ عنكم سَيِّئَاتِكُمْ﴾ لأن عسى من اللَّه واجبة، قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِنِّي لغفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾[1].

وقوله: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لنا نُورَنَا﴾.

أي إذا رأى المؤمنون نور المنافقين يُطْفَأ سألوا اللَّه أَنْ يُتَمّمَ لهم نورهم.

قوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً للَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْن فخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيئاً﴾.

أعلم اللَّه عز وجل أن الأنبياء لا يُغْنون عمن عمل بالمعاصي شيئاً.

وجاء في التفسير أن خيانتهما لم تكن في بغاء، لأن الأنبياءَ لا يبتليهم اللَّه في نِسائِهم بفسادٍ، وقيل إن خيانة امرأة لوط أنها كانت تدل على الضيف، وخيانة امرأة نوح أنها كانت تقول: إنه مجنون ﷺ وعلى أنبيائه أجمعين. فأما من زعم غير ذلك فمخطىء لأن بعض من تأول قوله: ﴿يَا نُوحُ إِنَّه لَيْسَ مِنْ

(١) سورة طه /٨٢.

أَهْلِكَ، إنَّـه عَمَلٌ غير صَالِحٍ﴾(١) ذهب إلى جنس من الفسَادِ. والقـراءة في هـذا «عَمِلَ غير صالح، وَعَمَلٌ غَيرُ صَالِحٍ»، .وهما يرجعان إلى معنى وَاحدٍ، وذلك أَنَّ تأويل أنه عَمَلٌ غير صالح أَنَّهُ ذو عمـل غيرِ صـالح. وكـل من كفر فقـد انقطع نسبه من أَهله المؤمنين، لا يرثهم ولا يرثونه.

وقوله عز وجل: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً للَذِينَ آمَنُوا امْرَأَة فِرْعَوْنَ إذْ قَـالَتْ رَبِّ ابْنِ لي عندك بيتاً في الجَنَّةِ وَنَجِّني من فِرْعَوْنَ وعَملِه﴾.

جاء في التفسير أن فرعون وَتَد لها أَرْبَعَةَ أَوْتادٍ وشـد بدنها ورجليهـا وجعل على صدرها رَحًى، وجعلها في الشمس، وأن اللَّه فرج لها فرأت بيتها في الجنة.

وجاء في التفسير أن الملائكة كانت تظلها بأجنحتها من الشمس.

وقـوله: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْـرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهـا فنفخنا فيـه من رُوحِنَـا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّها وَكُتُبِهِ﴾.

وقرئت «وكتابه».

﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾، جاء في التَّفسير أنه يعنى به فرج ثوبها، والعرب تقـول للعفيفـ: هو نِقيُّ الثَّوْبِ، وهـو طيب الحُجْزةِ، تـريد أَنَّـهُ عفيف وأَنشدوا بيت النابغة الذبياني(٢):

رقـاق الـنعـال طـيب حُـجـزاتُهـم ... يُحَيّـونَ بـالـرَّيْحـانِ يَـوْمَ السَّبـاسِب

فسروا طيب حجزاتهم أنهم أَعِفَّـاء. وكذلك﴿فنفخنا فيـه من روحنا﴾، أي في فرج ثوبها.

---

(١) سورة هود/ ٤٦.

(٢) من قصيدته التي أولها:

كـلـيـني لهـم يـا أميـمـة نـاصـب ... ولـيـل أقـاسيـه بـطيء الـكـواكـب

وهي في الديوان ـ وكثير من كتب الأدب.

سُورَةُ المُلْكِ
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

جـاء في التفسير أَنهـا تسمى المنجية، تنجي قـارئها من عـذاب القبـر، وجـاء في التفسير أن في التـــوراة: سورةُ الملك من قـرأهـا في لَيْلَةٍ فَقَدْ أَكْثَرَ.

وقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ﴾: معناه تعالى وتعاظم.

قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾.

المتعلق بأيكم المضْمَرُ، والمعنى لِيَبْلُوَكُم فيعلم أيكم أحسن عَمـلاً علم مـا وقع، واللَّه عـز وجل قـد علم ما يكـون منهم إلَّا أَنَّ الجَـزَاء يجب بـوقـوع العَمَلِ منهم، وارتفعت «أي» بالابتداء، ولا يعمل فيها ما قَبلَها لأنها على أصل الاستفهام، وهذا مثـل قولـه: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَـا لَبِثُوا أَمَـداً﴾[1] وهذا عند النحويين في تَقْدِيـر التَّسْمِيَةِ، معنـاه معنى الألف وأم، إذا قلت: قد علمت أَيُّهم أَفْضَـلُ، فـالمعنى قـد علمت أزيـدٌ أَفضـلُ أَمْ عمـرٌو. فَعَلِمْت لا يعمل فيما بعد الألف، وكذلك لا يعمل في أي، والمعنى واحدٌ. ومعنى ﴿خَلَقَ الموتَ والحيـاةَ﴾ خلق لكم الحيـاة ليختبـركم فيهـا وخلق المـوت ليبعثكم ويجازيكم بأعمالكم.

وجاء في تفسير الكلبي خلق الموت في صورة كبش أملح[2] لا يمـر بشيء

---

(١) سورة الكهف /١٢.

(١) الملحة من الألوان بياض تشوبه شعرات سود. وكبش املح بين الملحة.

إلا مات، ولا يطأ على شيء إلاَّ مَاتَ، ولا يجد رائحته شيء إلا مات، وخلق الحياة في صورة فرس بلقاء فوق الحمار ودون البغل، لا تمر بشيء إلا أَحْيَتْهُ ولا تطأ على شيء إلاّ أحيته ولا يجد ريحها شيء إلا حيي، واللّه أعلم بحقيقة ذلك.

وقوله عز وجل: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾.

ويقرأ في خلق الرحمن من تفوُّتٍ بغير ألف، ويجوز في تفَاوُتٍ تَفَاؤُتٍ مهموز، تبدل الهمزة من الواو المضمومة، ويقال: تفاوت الشيء تفاوتاً وتفوَّت تفوُّتاً إذا اختلف، فالمعنى ما ترى في خلقه السماء اختلافاً ولا اضطراباً.

ومعنى طباقاً مطبق بعضها عَلَى بَعْضٍ، طباق مصدر طوبقت طباقاً.

وقوله: ﴿فَارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾.

أي هل ترى فيها فروجا أو صَدُوعاً.

﴿ثمارْجِعِ البَصَر كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إلَيْكَ البَصَرُ خاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾.

﴿خاسئاً﴾ منصوبٌ على الحال، ومعناه صَاغِراً، وهو حَسِيرٌ، قد أَعْيَى من قبل أَنْ يَرَىٰ في السَّمَاءِ خَلَلاً.

وقوله: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾.

بالنصب والرفع، والنصب يكون عطفاً على قوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهم عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ ﴿وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم﴾، أي وأَعتدنا للذين كفروا بِرَبِّهِمْ عَذَابَ جهنم.

قوله: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾.

معناه التي تدنو منكم من سبع السموات.

وقوله: ﴿بِمَصَابِيحَ﴾ يعني الكواكب.

وقوله عز وجل:﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً﴾. وهو أقبح الأصوات وهو كصوت الحمار.

وقوله: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾، معناه تكاد ينقطع مِنْ غيظها عليهم.

وقوله: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ. قالوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نذيرٌ﴾.

هذا التوبيخ زيادة لهم في العذاب. ثم اعترفوا بجهلهم فقالوا: ﴿لَوْكُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

أي لو كنا سَمِعْنَا سَمْعَ مَن يَعِي ويُفَكِّرُ مَا كنا في أصحاب السعير، أَو يَعْقِل عَقْل من يُمَيِّزُ وينظُر ما كنا في هل النَّار.

﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً﴾.

ويروى فَسُحُقاً بضم الحاء.

﴿لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، «سُحقاً» منصوب على المصدَر، المعنى أَسْحَقَهُم اللَّهُ سُحقاً، أَي بَاعَدَهُم اللّه من رحمته مُبَاعَدَةً، والسحيق البعيد.

وقوله: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾.

معناه في جبالها، وقيل في جوانبها، وقيل في طرقها. وأشبهُ التفسير ـ واللّه أعلم ـ تفسير من قال في جبالها، لأن قوله:﴿هو الذي جَعَل لَكم الأَرْضَ ذَلُولاً﴾، معناه سهل لكم السُّلُوكَ فيها، فإذا أمكنكم السلوك في جبالها فهو أَبْلَغُ في التَّذْلِيلِ.

قوله: ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾.

معناه إن اللَّه الذي خلق السموات بغير عَمَدٍ لا تفاوت فيها وخلق الأرْضَ وذللها لكم قادر على أن يَنْشُرَكم، أي يبعثكم.

وقوله: ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾: معنى تمور تَدُورُ.

وقوله: ﴿أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمُ حَاصِباً﴾، أي كما أرسل على قوم لُوطٍ الحجَارَة التي حَصَبَتْهُمْ.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾.

بين لهم بخلق السموات والأرْضِينَ مَا دَلَّهم على توحيده، وَبَيَّن لهم بتسخير الطَّيْرِ في جو السماء صَافَّاتٍ أَجْنِحَتهُنَّ وقابضاتها، ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إلَّا الرَّحْمن﴾ بِقُدْرَتِهِ.

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

أعلم اللَّه - عز وجل - أن المؤمن سالك الطريقة المستقيمة، وأن الكافر في ضلالته بمنزلة الذي يمشي مكباً على وجهه، وجاء في التفسير أن الكافر يمشي على وجهه في الآخرة. وَسُئِلَ رسول اللَّه ﷺ: كيف يمشون على وُجُوهِهِم فقال: الذي مشاهم على أرجلهم قَادِرٌ على أن يُمْشيَهُمْ على وُجُوهِهِمْ.

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

وقرئت «سُيْئَتْ» بإِشْمَامِ السِينِ الضَّمَّ، ويجوز «سِيتْ» على طرح الهمزة، وإلقاء الحركة على الياء.

والمعنى فلما رأوا العذاب زلفةً، أَيْ قريباً، سِيَتْ وجوه الذين كفروا. تَبين فيها السوء.

﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾.

وقُرِئَتْ ﴿تَدْعُونَ﴾، من دعوت أَدْعو، فَأَمَّا تَدَّعُونَ، فجاء في التفسير تُكَذِّبُونَ، وتأويله في اللغة هذا الذي كنتم من أجله تَدَّعُون الأباطيل والأكاذيب، أي تدعون أنكم إذَا مِتُّم وكنتم تراباً وعظاماً أَنَّكُمْ لا تُخْرَجُونَ. ومن قَرَأَ تَدْعُونَ. بالتخفيف ـ فالمعنى هذا الذي كنتم به تستعجلون وتدعون اللَّه في قولكم: ﴿اللَّهُمَّ إنْ كَانَ هَذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيم﴾[1].

ويجوز أن يكون معنى تَدَّعُونَ هذا أَيضاً تَفْتَعِلُونَ، من الدعاء. وتفتعلون من الدِعوى، يجوز ذلك ـ واللَّه أعلم.

وقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً﴾.

أي غائِراً، وهو مصدرٌ يوصف به الاسم، فتقول: ماء غَوْرٌ، وماءَان غَوْرٌ ومياه غَوْرٌ. كما تقول: هذا عَدْلٌ وهذَان عَدْلٌ وهؤلاء عَدْلٌ.

ومعنى مَعِين جارٍ من العُيونِ. وجاء في التفسير طاهر، والمعنى أَنَّهُ يظهر من العُيُونِ.

---

(١) سورة الأنفال: /٣٢.

سورة القلم
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿نُونْ والْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.

قرئت بإدغام النون في الواو، وقرئت بتبيين النون عند الواو، وقرئت نُونَ والقلم - بفتح النون. وَالَّذِي اختارَ إِدْغام النون في الواو كانت الـواو ساكنـةً أَوْ متحركة. لأن الذي جـاء في التفسير يُبَـاعِدُهَـا من الإسكان والتبْيين، لأن من أسكنها وبينها فإنما يجعلها حرفَ هجاء والذي يدَّغِمُهَا فجائز أن يَـدَّغمها وهي مفتوحة.

وجـاء في التفسير أن «نُـونْ» الحوتُ الـتي دُحِيت عَلَيْهَا سَبْعُ الأرضين[1] وجـاء في التفسير أيضـاً أن النون الـدواة، ولم يجىء في التفسير كمـا فسـرت حروف الهجاء، والإِسْكانِ لا يَجُوز أن يكون فيه إلاّ حرف هجاء.

وجـاء في التفسير أن أول مـا خلق اللَّه القلم، فقال لـه: اكتب، فقال: أيْ ربِّ، وما أكتب؟ قال: القدر، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيـامة، وجرى فيما جرى به القلم: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾

وقوله: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.

معناه: وما تكتب الملائكة.

وقوله: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾.

---

(١) كذا استعمل الحوت مؤنثاً.

هذه مسألة من أبواب النحو، تحتاج إلى تبيين.

قوله: ﴿أنت﴾ هو اسم ﴿ما﴾، و ﴿بمجنون﴾ الخبر، و ﴿بنعمة ربك﴾ موصول بمعنى النفي.

المعنى: انتفى عنك الجنون بنعمة ربك، كما تقول: أنت بنعمة اللَّه فَهِمٌ، وما أنت بنعمة اللَّه جاهل. وتأويله: فارقك الجهل بنعمة اللَّه، وهذا جواب لقولهم: ﴿وَقَالُوا يا أَيُّها الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[١].

قوله: ﴿وَإِنَّ لَكَ لأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾.

أي: غير مَقطوع، وجاء في التفسير: غير محسوب.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

قيل: على «الإسلام»، وقيل: على القرآن. والمعنى - واللَّه أعلم - أَنت على الخلق الذي أَمرك اللَّه به في القرآن.

قوله: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ، بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾.

معنى المفتون: الذي قد فُتِنَ بالجنون. قال أبو عبيدة، معنى الباء الطرح، المعنى: أيكم المفتون. قال: ومثله قول الشاعر:

نضرب بالسيف ونرجو بالفرج[٢]

---

(١) سورة الحجر الآية ٦.

(٢) لرجل من بني جعدة. أورده المغني شاهداً على زيادة الباء وهو في شواهد المغني ١١٤، ولم يذكر شيء قبله ولا بعده، وفي الخزانة ٤/١٥٩، وفي مجاز أبي عبيدة جـ٢ ص ٥ عند الآية ﴿وهُزِّي اليك بِجِزْعِ النَّخْلَةِ﴾(من سورة مريم)، وفي سورة «نون» وقبله:

نحن بنو جعدة أصحاب الفَلَج.

يقال فلج بحجته وفي حجته - يفلج - كينصر - فلجاً وفلجاً - بضم الفاء وفتحها وفَلَجا - كبطر - فاز وأصحاب الفلج أصحاب الفوز.

قال معناه: نرجو الفرج. وليس كذلك. المعنى: نرجو كشف ما فيه نحن بالفرج، أو نرجو النصر بالفرج. والباء في بأيكم المفتون لا يجوز أن تكون لغواً، وليس هذا جائزاً في العربية في قول أحد من أهلها.

وفيه قولان للنحويين. قالوا: المفتون ههنا بمعنى الفتون، المصادر تجيء على المفعول. تقول العرب: ليس لهذا معقول. أي عقل. وليس له معقود رأي، بمعنى عقد رأي. وتقول: دعه إلى ميسور. بمعنى: إلى يسر. فالمعنى: فستبصر ويبصرون بأيكم الفتون. وفيه قول آخر: بأيكم المفتون بالفرقة التي أنت فيها، أو فرقة الكفار التي فيها أبو جهل والوليد بن المغيرة المخزومي ومن أشبههم. فالمعنى على هذا: فستبصر ويبصرون في أي الفريقين المجنون. أفي فرقة الاسلام أم في فرقة الكفر.

وقوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾.

أي: ودّوا لو تصانعهم في الدين فيصانعونك.

وقوله: ﴿ولا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهين﴾.

فعيل من المهانة، وهي القلة. ومَعناه ههنا القلة في الرأي والتمييز.

وقوله: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاء بنَمِيمٍ﴾. الهماز الذي يغتاب الناس.

وقوله: ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْر مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾.

معناه: كان يمنع أهله وَوَلده ولحمته من الإسلام. وجاء في التفسير أنه الوليد بن المغيرة المخزومي، وكان موسراً كثير المال، وكان له عشرة بنين فكان يقول لهم وللحمته: من أسلم منكم منعته رفدي.

وقوله: ﴿مُعْتَدٍ أَثيم﴾.

أي متجاوز في الظلم، وأثيم: أي أثيم بربه، أي أثيم باعتدائه وذنبه.

قوله عز وجل: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾.

جاء في التفسير أن العُتُلَّ ههنا الشديد الخصومة، وجاء في التفسير أنه الجافي الخلق اللئيم الضريبة، وهو في اللُّغَةِ الغليظ الجافي.

والزنيم جاء في اللغة أنه الملزق في القوم وليس منهم، قال حسَّانُ بن ثابت الأنصاري(١).

وأنت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفردُ

وقيل إن الزنيم الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها، والزنمتان المعلقتان عند حلوق المِعْزَى.

وقوله عز وجل: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾.

وقرئت على لفظ الاستفهام، والمعنى معنى التوبيخ، وَمَوْضِعُ «أَنْ» نَصبٌ على وجهين، على معنى أَلِأَنْ كان ذا مال وبنين يَقُولُ، ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾، فيكون «أن» نصْباً بمعنى قال ذلك لأن كان ذا مال وبنين، أي جعل مجازاة النَعَمِةِ التي خُوِّلَهَا في المال والبنين والكفر بآياتنا. وَإِذَا جَاءَتْ أَلِفُ الاسْتِفْهام فهذا هو القول لا يصلح غيره.

وقيل في التفسير: ولا تطع كل حلاف مهين أن كان ذا مال وبنين أي لَا تُطعْهُ لِيَسَارِهِ وعَدَدِه، وأساطيرُ مرفوعة بإضمار هي، المعنى إذا تتلى عليه آياتنا قال هي أساطير الأولين. وواحد الأساطير أسطورة.

وقوله عز وجل: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الخُرْطُومِ﴾.

---

(١) هجاء قاله للوليد بن المغيرة بن شعبة، وكان الوليد دَعِيًّا في قريش، ادَّعَاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة من عمره، وقيل بغت أمه ولم يعرف ذلك حتى نزلت هذه الآية. والبيت في الكشاف في هذه الآية ص ٢٥ جـ ٢٤ واللسان (زنم) والقرطبي ١٨/ ٢٣٤، والطبري ٢٩/ ١٥.

ونيط: علق ـ والقدح الفرد، قعب الماء يعلق في آخر الرحل ـ أي كما يكون قدح الماء وحده منعزلاً عن بقية المتاع.

معناه سنسمه على أنفه، والخرطوم الأنف، ومعنى سنسمه سنجعل له في الآخرة العلم الذي يعرف به أهل النار من اسوداد وُجُوهِهِمْ. وجائز ـ واللَّه أعلم ـ أن يفرده بِسِمَةٍ لمبالغته في عداوة النبي عليه السلام. فيخصّ من التشويه بما يتبين به من غيره كما كانت عداوته لرسول اللَّه ﷺ عداوةً يُتَبَيَّنُ بها من غيره.

وقوله: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّها مُصْبِحين﴾.

والجنة البستان، وهؤلاء قوم بناحية اليمن كان لهم أب يتصدق من جنته على المساكين، فجاء في التفسير أنه كان يأخذ منها قوت سنته، ويتصدق بالباقي، وجاء أيضاً أنه كان يترك للمساكين ما أخطأه المنجل، وما كان في أسفل الأكداس، وما أخطأه القطاف من العنب وما خرج عن البساط الذي يبسط تحت النخلة إذا صُرِمَتْ، فكان يجتمع من ذلك شيء كثير، فقال بنوه: نحن جماعة، وإن فعلنا بالمساكين ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر فحلفوا لَيَصْرِمُنَّها بِسُدْفة من الليل، قال اللَّه عز وجل: ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾.

فحلفوا ولم يقولوا: إن شاء اللَّه، فلما كان الوقت الذي اتَّعَدُوا فِيه بسدفة. غدوا إلى جنتهم ليصرموها.

﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾.

من قولهم: حاردت السنة إذا منعت خيرها. وقيل على غَضبٍ. فأما الحرد الذي هو القصد فأنشدوا فيه:[1]

أقبل سيل جاء من أمر اللَّه ... يَحْرِدَ حَرْدَ الجَنَّةِ المُغِلَّةِ

(١) انظر اللسان (حرد) والكشاف ٤/ ١٢٩، ومعاني الفراء ٣/ ١٧٦ بتغيير طفيف ـ والكامل للمبرد ١/ ٢٩٠ وروايته به قد جاء سيل جاء.

أي يقصد قَصْدَ الجنَّةِ المغلّةِ.

﴿فَلَمّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

أي أرسل عليها عذاباً من السماء فاحترقت كُلُّها.

﴿فَأَصْبَحَتْ كالصَّرِيمِ﴾.

أي فأصبحت كالليل سواداً.

﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ، أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾.

أي إن كنتم عازمين على صرام النخل.

﴿فانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾.

أي يسرون الكلام بينهم بأن: ﴿لَا يَدْخُلَنَّها اليَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾.

والتخافتُ إسرار الكلام.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ مُحْتَرِقَةً.

﴿قَالُوا: إِنَّا لَضَالُّونَ﴾، أي قد ضللنا طريق جَنَّتِنَا، أي ليست هذه، ثم عَلِمُوا أَنَّهَا عُقُوبَةٌ فقالوا:

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾.

أي حُرِمْنَا ثَمَرَ جنتنا بمنعنا المساكين.

﴿قَال أَوْسَطُهُم: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾.

﴿أوسطهم﴾ اعدلهم من قوله: وكذلك جعلناكم أمَّةً وَسَطاً أي عَدْلاً ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ قال لهم: استثنوا في يمينكم، لأنهم أقسموا لَيَصْرِمُنَّهَا مصبحين ولم

يستثنوا. ومعنى التسبيح ههنا الاستثناء، وهو أَنْ يَقول: إن شاء اللّه.

فإن قال قائل التسبيح أن يقول: سبحان اللّه، فالجَوابُ فِي ذلكَ ان كل ما عظمت اللّه به فهو تسبيح، لأن التسبيح في اللغة فيما جاء عن النبي عليه السلام تنزيه اللّه عن السوء. فالاستثناء تعظيم اللّه والإقرار بأنه لا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَفعل فِعْلاً الا بمشيئتِهِ ـ عز وجلّ.

فالمعنى في قوله: ﴿إنَّا بَلَوْنَاهُم كَمَا بلونا أصحاب الجنة﴾، إنا بلونا أهل مكة حين دعا عليهم رسول اللّه ﷺ فقال: اللهم اشدد وطأتك على مُضَرَ واجعلها عليهم سنين كسني يوسف، فابتلاهم اللّه بالجرب والهلاك وذَهَابِ الأقواتِ كما بلى أصحاب هذه الجنة باحتراقِها وذهاب قوتهم منها.

وقوله: ﴿أَفَنَجْعَلُ المُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

هذه الألف ألف الاستفهام، ومجازها ههنا التوبيخ والتقرير. وجاء في التفسير أنَّ بعض كفار قُرَيْشٍ قال: إن كان ما يذكرون أن لهم في الآخرة حَقًّا، فإن لنا في الآخرة أكبر منه كما أنا في الدنيا أفضل منهم. فوبخهم اللّه فقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ المُسْلِمِينَ كالمُجْرِمِين﴾.

وكذلك: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

معناه على أي أحوال الكفر تخرجون حُكمَكُمْ.

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ، إنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾.

أي أعندكم كتاب من اللّه عز وجل أن لكم لما تخيرونَ.

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ﴾، معناه مؤكدة ﴿إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ إنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾.

أي حَلِفٌ على ما تَدَّعُونَ في حكمكم.

قوله: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾.

والزعيم الكفيل والضَامِنِ، والمعنى سلهم أَيُّهُمْ كَفَلَ بِذَلِكَ.

قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ. يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾.

أي فليأتوا بشركائهم يوم القِيَامةِ.

ومعنى ﴿يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ في اللغة يُكشَفُ عن الأمر الشديد، قال الشاعر:

قد شمرت عن ساقها فشُدُّوا وجدت الحرب بكم فَجِدُّوا

والقوس فيها وتر عُرُدُّ[1].

وجاء في التفسير عن أحمد بن عبد اللّٰه بن أحمد بن حَنْبَل قال ثنا أبي، قال ثنا محمد بن جَعْفَرٍ يعني غندر[2]، عن شعبة عن مغيرة عن إبراهيم قال، قال ابن عباس في قوله: يكشف عن سَاقٍ عن الأمر الشديد. وقال ابنُ مَسْعُودٍ: يكشف الرحمن عن ساقه، فأَما المؤمنون فيخرون له سُجَّداً وأما المنافقون فتكون ظهورهم طبقاً طبقاً كأن فيها السفافيد[3].

فهذا ما روينا في التفسير وما قاله أهل اللغة.

قال أبو إسحاق: هذا تأويل قوله ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ. خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾. يعنى به المنافقُونَ.

---

(١) انظر الكامل ١/٢٢٤. حيث ورد هذا الرجز في خطبة الحجاج أول ما قدم اميراً على العراق. والشطر الثالث في اللسان (عرد). والعرد الشديد.

(٢) كذا في الأصل ولم أقف لهذا الاسم على ضبط، ولم أعرف له ترجمة.

(٣) منحنية، والسفافيد جمع سفود، وهو الحديدة يوضع فيها اللحم ليشوى على النار.

وقوله: ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾: معناه تَغشاهم ذِلَّةٌ.

﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾، يعنى به في الدنيا.

وقوله: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الحَدِيثِ﴾.

ومثله: ﴿ذَرْني ومن خَلَقْتُ وَحِيداً﴾، معناه لا تَشْغَلْ قَلْبَكَ بِـهِ، كِلْهُ إليَّ فإنِّي أُجَازيه، ومثله قول الرجل: ذرني وإيـاه. وليس أنه مَنَعـه بِهِ ولكن تـأويله كِلْهُ إليَّ فإنِّي أَكْفِيكَ أَمْرَه.

وقوله: ﴿فاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الحُوتِ﴾.

يعني: يونس عليه السلام.

﴿إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾: أي مملوء غَمّاً وكرباً.

وقوله: ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بالعَراءِ، وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾.

والمعنى أنه قد نبذ بالعراء وهو غير مذمـوم، ويدل على ذلـك أن النّعمة قد شَمِلَتْه.

قوله: ﴿فاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾.

هذا تخليصٌ له من الذَّمِّ، والعراء المكان الخالي قال الشاعر:

رفعتُ رجـلا لا أخـاف عثـارهـا ونبـذت بـالبلد العـراء ثـيـابي(۱)

قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾.

وقـرئت ليزهقـونك ـ بـالهاء ـ ولكن هـذه تخالف المصحف أعني الهـاء والقراءة على ما وافق المصحف.

وهـذه الآية تحتـاج إلى فصل إبـانةٍ في اللغـة فأمـا ما رُوِيَ في التفسيـر

---

(١) تقدم.

(٢) أن يعاينه ليحسده، وتصيبه عينه بشر.

فروي ان الرجل من العرب كان إذا أراد أن يعتان شيئا . أي يصيبَه بـالعين تجوع ثلاثة أيام ، ثم يقول للذي يـريد أن يعتـانه : لَا أَرَى كـاليوم إبـلًا أَو شاءً أو مـا أراد . المعنى لَمْ أَرَ كإبـلٍ أَراهـا اليوم إبـلًا فكان يصيبهـا بالعين بهـذا القول ، فقالوا للنبي ﷺ لما سمعوا منه الذكر كما كانوا يقولون لمـا يريـدون أَنْ يُصِيبُوه بالعين .

فـأما مـذهب أهل اللغـة فالتـأويل عنـدهم أنـه من شـدة إِبْغَـاضِهِمْ لـك وعـدوانهم يكـادون بِنَـظَرهم نَـظَر البغضـاء أن يضـروك ، وهــذا مستعمـل في الكلام ، يقول القائل : نظر إليَّ نظراً يكاد يَصْرَعُنِي بِهِ ، ونظراً يكاد يأكلني فيه ، وتأويله كله أنه نظر إليّ نظراً لو أمكنه معه أكلي أَوْ أَن يَصْرَعَنِي لفَعَلَ .

وهذا بيِّن واضح ، واللَّه أعلم .

سورة الحَاقَّة
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله تعالى:﴿الحاقَّةُ مَا الحَاقَّةُ﴾.

الأَوَّلَةُ مرفوع بالابتداء، و «ما» رفع بالابتداء أَيْضاً، والحاقَّةُ الثانية خبر «ما» والعائد على «ما» الحاقةُ الثانيةُ، على تقدير ما هي، والمعنى تفخيم شأنها، واللفظ لفظ استفهام كما تقول: زيد ما هو، على تأويل التعظيم لشأنه في مَدْحٍ كان أَوْ ذَمٍّ، والحاقَّةُ السَّاعَةُ والقِيامة وسميت الحاقَّةُ لأنها تحق كل شيء يعمله إنسانٌ من خير أو شر. وكذلك ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحَاقَّةُ﴾.

معناهُ أَي شيء أعلمك ما الحاقَّة. و«ما» موضعها رفع، وان كان بعد أدراك لأن ما كان في لفظ الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله، المعنى ما أعلمك أي شيء الحاقَّةُ. ثم ذكر اللَّه ـ عز وجل ـ من كذَّبَ بالحاقَّةِ والساعة وأمر البعث والقِيَامَةِ وما نزل بِهِمْ وَعْظاً لأمَّة محمد ﷺ فقال:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالقَارِعَةِ﴾ أي بالقيامة.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بالطَّاغِيَةِ﴾.

ومعنى ﴿بالطاغية﴾ عند أهل اللغة بطغيانِهِمْ، وفاعِلَة قد يأتي بمعنى المصادِر نحو عافية وعاقبة. والذي يدل عليه معنى الآية. ـ واللَّه أعلم ـ أنهم أهلكوا بالرجفة الطاغية، كما قال:

﴿وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَة﴾.

يقال للشيء العظيم عاتٍ وعاتية، وكذلك أهلكوا بالطاغية، ودليل الوصف بالطغيان في الشيء العظيم قوله عز وجل:

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ حَمَلْنَاكُم فِي الجَارِيَةِ﴾.

فوصف الماء بالطغيان لمجاوزته القَدْرَ في الكَثْرةِ، وكذلك أهلكوا بالطاغية، واللَّه أعلم.

وقوله: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ أي بريح شديدة البرد جدًّا، والصَّرْصَرُ شدة البردِ، وصَرْصَر متكرر فيها البرد، كما تقول قد قلقلت الشيء، وأَقْلَلْتُ الشيء إذا رَفَعته من مكانه، إلاّ أن قلقلته رَدَدْتُه أي كرَّرْتُ رفعه، وأَقْلَلْتُه رفعته. فليس فيه دليل تَكْرِيرٍ، وكذلك صَرْصَرَ وَصَرَّ وصَلْصَلَ، وَصَلَّ. إذا سمعت صوت الصرير غير مُكَرَّرٍ قلت قد صَرَّ وَصَلَّ، فإذا أردت أن الصوت تكرر قلت: قد صَلْصَلَ، وصَرْصَرَ.

وقوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً﴾.

معنى ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ أقامها عليهم كما شاء، ومعنى ﴿حُسُوماً﴾ دَائِمَةً، وقالوا مُتَابِعةً، فأما ما توجبه اللغة فعلى معنى تَحْسِمُهم حُسُوماً. أي تُذْهِبُهُمْ وتُفْنِيهِمْ.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَة﴾.

﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ أصول نخل، وقيل خاوية للنخل لأن النخل تذكر وتُؤَنَّثُ. يقال: هذا نخل حسنٌ، وهذه نخل حَسَنَةٌ، فخاوية على التأنيث. وقال في موضع آخر: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾(١).

وقوله:﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ﴾.

---

(١) سورة البقر / ٢٠.

وقُـرِئَتْ وَمَن قِبَلَهُ فمن قال: ومن قِبَلَهُ فمعناه وتباعُهُ، ومن قال ومَنْ قَبْلَه فالمعنى مَنْ تَقَدَّمَهُ.

﴿والمُؤْتَفِكاتُ بِالخَاطِئَةِ﴾.

﴿المؤتفكات﴾ الذين ائتفكوا بِذُنُوبِهِمْ، أي أهلكوا بِذُنُوبِهِمْ الَّتي أعظَمُها الأفكُ، وهو الكذبُ في أمر اللَّه بأنهم كفروا وكذَّبوا بـالرُّسُـل فلذلك قيـل لهم مؤتفكـون، وكـذلـك الـذين ائتفكت بهم الأرض، أي خُسِفَ بِهِمْ إنمـا معنـاهُ انقلبت بِهِمْ كما يقلب بهم الكذاب الحقَّ إلى البَاطِلِ ومعنى﴿بالخاطئة﴾ بالخطأ العظيم، والدليل على أن من عظيم آثامهم الكذِبُ قوله:

﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذهُمْ﴾.

لإنهم كذبوا رُسُلَهُمْ.

﴿أَخْذَةً رَابِيَةً﴾: معنى رابية تَزِيدُ عَلَى الأَحْدَاثِ.

وقوله عز وجل:﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ حَمَلْنَاكُمْ في الجَارِيَةِ﴾.

معنى طغى المـاء طما وارتفـع، ومعنى الجاريـة، أي سفينة نـوحٍ عليه السلام واللَّه أعلم.

وقوله:﴿لِنَجْعَلَها لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾.

معنـاه لنجعل هـذه الفعلـة لكم تذكـرة، أي إغـراق قـوم نـوح ونجـاتـه والمؤمنين مَعَهُ.

وقوله:﴿وَتَعِيها أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾.

معنـاه أُذُنٌ تحفظ ما سَمِعَتْ وَتَعْمَـلُ بـه، أي ليحفظ السـامـع مـا سمـع ويعمل به. تقول لكل شيء حفـظته في نفسـك: قَدْ وَعَيْتُـه، يقال: قَـدْ وَعَيْتُ

العِلم وَوَعَيْتُ قُلْتَ، وتقول لما حفظته في غير نفسك: أَوْعَيْتُه، يقال أوعيت المتاعَ في الوعاء.

وقوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾.

القراءة بالرفع في نفخة على ما لم يسم فاعله. وذكر الأخفش نفخةً وَاحِدةً بالنَّصْبِ ولم يذكر قريء بها أم لا، وهي في العربية جائزةٌ على أن قولك في الصور يقوم مقام ما لم يسم فاعله، تقول: في الصور نفخاً، ففي الصور على لفظ الجر، والمعنى نفخ الصور نفخةً واحدةً، وهذا على من نصب نفخة واحدةً. ومن رفع فعلى مَعْنَى نُفِخَ نفخةٌ واحدةٌ فِي الصُّورِ. فأما تذكير نفخ فلو كان نفخت في الصور نفخة جاز لأنه تأنيثٌ ليس بِحقيقيٍّ، فتذكيره جَائِزٌ، لأن النفخة والنفخ بمعنًى وَاحِدٍ، ومثله ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّه﴾[1]، المعنى معنى الوعظ. وقال في موضع آخر: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ موعظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

وقوله: ﴿وانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾.

يقال لكل ما ضعف جدًا قد وَهَى فهو واهٍ، ويجوز واهيةٌ بإمالة الألف والواو لكسر الهاء.

وقوله: ﴿والمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾.

المعنى الملائكة على جَوَانِبَها، ورَجَا كل شيء نَاحِيَتُه، مقصور، والتثنيةُ رَجَوان والجمع أَرْجَاءِ.

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾.

يروى ثمانية أملاك أَرْجُلُهم في تخوم الأرض السابعة والعَرْشُ فوق رُؤُوسِهِم وَهُمْ مُطْرِقُونَ يُسَبِّحُونَ.

---

(١) سورة البقرة. الآية ٢٧٥.

(٢) سورة يونس. الآية ٥٧.

﴿فَأَمَّامَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَأُوا كِتَابِيَه﴾.

يروى إذا كان يوم القيامةِ عرض الخلق ثـلاث عَرَضـاتٍ في الاثنين منها الاحتجاج والاعتذار والتوبيخُ، وفي الثالثةِ تنشر الكتبُ فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله.

و «هاؤُمُ» أمر للجماعة بِمَنْزِلَةِ هَاكُمُ، تقول للواحد هَاءَ يَا رَجُلُ وللاثنين هاؤُما يا رَجُلاَنِ، وللثلاثة هاؤُم يا رجال، ولِلمَرْأَةِ هاءِ يا امرأَةُ ـ بكسر الهمـزة ـ وللاثنين هاؤما وللجَمَاعَةِ النِّسَاءِ هَاؤُنَّ. وفي هـذه ثلاثُ لُغَـات قد ذكـرتها في غير كِتَابِ القُرآنِ.

وقوله: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَه﴾.

معناه إني أيقنتْ بأني أحاسب وأبعَثُ.

فأما «كتابيه» و «حسابيه» فالوجه أن يوقف على هذه الهَائَاتِ ولا تُوصِلْ، لأنها أدخلت للوقف، وقد حذفها قوم في الوصل ولا أحب مخالفة المصحف، ولا أن أقرأ بإثبات الهاء في الوصل. وهذه رؤوس آياتٍ فالوجـه أن يوقف عنـدها، وكذلك قوله: ﴿وَمَا أدراك ماهية﴾.

وقوله:﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾.

معنـاه ذهبت عني حُجَّتِيَـهْ، والسُّلْطَانُ الحُجَّـةُ، وكـذلـك قيـل لـلأمـراء سلاطين لأنهم الذينَ تُقام بِهِمُ الحججُ والحُقُوقُ.

وقوله: ﴿قُطُوفُها دَانِيَةٌ﴾.

معناه تدنو من مريدها لا يَمْنَعُه مِنْ تَناولها بُعْدٌ وَلَا شَوْكٌ.

وقوله: ﴿في الْأَيَّامِ الخَالِيَةِ﴾، ومعناه في الأيام التي مَضَتْ لهم.

قوله: ﴿صَلُّوهُ﴾ المعنى اجعلوه يصلى النَّارَ.

قوله ﴿مِنْ غِسْلِينٍ﴾: معناه من صديد أهل النار، واشتقاقه مما ينغسِلُ مِنْ أبدَانِهِمْ.

وقوله: ﴿قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ﴾، و ﴿قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾.

«ما» مُؤَكِّدَة، وهي لَغْوٌ في باب الاعـراب، والمعنى قليلا يُؤْمِنُـونَ وقَلِيلاً يَذَّكَّرُونَ.

وقوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

رفعه بِهُوَ مُضْمِرَةٌ يدل عليها قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾، [أي] هُوَ تَنْزِيـل من رَبِّ العَالَمِينَ.

وقوله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ﴾.

يعني به النبي ﷺ ﴿لأَخَذْنَا مِنْهُ بِاليَمِينِ﴾ أي بالقُدْرَةِ والقوَّة وقال الشماخ: [١]

إذا مـا رايـة رفـعـت لـمـجـد تـلـقـاهـا عـرابـة بـالـيـمـين

قوله: ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوَتِينَ﴾: الوتين نياط القلب.

﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾، حاجزين من نعت أحد، وَأَحَدٌ في معنى جميع، المعنى فما منكم قوم يحجزون عنه.

وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ اليَقِينِ﴾، المعنى أنَّ القُرآن لليقين حقُّ اليقين.

قوله: ﴿فَسَبِّحْ باسمِ ربِّكِ العَظِيمِ﴾:

التسبيح معناه تَنْزِيهُ اللَّهِ مِنَ السُّوءِ وتنزيهه تعالى.

---

(١) في ديـوانه /٩٢، ومعـاهد التنصيص. وابن يعيش ٢/٣١، واللسـان (يمن) والقرطبي ٢٣/٤٩ والحلبي ومعاني القرآن للفراء ٢/٣٨٥.

سورة المعارج
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل:﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾.

وقرئ سال بغير همز، يقال: سألت اسأل، وسَلْتُ أَسَالُ، والرجلان يتساءلان ويتساوَلان بمعنى واحِدٍ. والتأويل دَعَا دَاعٍ بعذاب واقع. وذلك كقولهم: ﴿اللَّهُمَّ إنْ كانَ هذا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1].

وقيل معنى سأل سائِلٌ بعذاب، أي عن عذاب واقع، فالجواب قوله: ﴿لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾.

أي يقع بالكافرين، وقيل أن سال سايل بغير همز، سايل وَادٍ في جهنم.

وقوله:﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾.

قيل معارج الملائكة، وقيل ذي الفَوَاصِل.

وقوله:﴿تَعْرُجُ المَلاَئِكَةُ والرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

جاء في التفسير أَنَّه يَوْمُ القِيَامَةِ، وجاء أَيضاً أن مقداره لو تكلفتموه خمسون ألف سنة، والملائكة تعرج في كل يوم واحِدٍ. وقرئت: تعرجُ

(١) سورة الأنفال /٣٢.

الملائكةُ ويعرج الملائكة. وقيل منذ أول أيَّامِ الدُّنيا الى انقضائها خمسون ألف سنة. وجائز أن يكون «في يوم» من صلة «واقع»، فيكون المعنى سال سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، وذلك العذابُ يقع في يوم القيامة.

وقوله عز وجل: ﴿فاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً﴾.

هذا يدل على أن ذلك قبل أن يؤمر النبي عليه السلام بالقتال.

قوله: ﴿إِنَّهُم يَرَوْنَه بَعِيداً. وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾.

يرونه بعيداً عندهم كأنهم يستبعدونه على جهة الإحالة، كما تقول لمُنَاظِرِكَ: هذا بعيد لا يكون.

وقوله: ﴿وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾.

أي صحيحاً يقرب فَهْمُ مثله بما دل اللَّه على يوم البعث بقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الذي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، وما أشبه هذا من الاحتجاجات في البعث.

وقوله: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالمُهْلِ، وتَكُونُ الجِبَالُ كالعِهْنِ﴾.

العِهْنُ الصوفُ، والمهل دُرْدِيُّ الزَّيْتِ(١).

﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً﴾.

وقرئت ولا يُسْأَلُ حَمِيمٌ. فمن قرأ ولا يَسْأَلُ فالمعنى أنهم يعرف بعضهم بعضاً، ويدل عليه قوله: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾.

ومن قرأ ولا يُسْأَل حَمِيمٌ حَمِيماً. فالمعنى لا يُسْأَل قريب عن قرابته، ويَكُونُ ﴿يُبصَّرُونهم﴾ - واللَّه أعلم - للملائكة.

وقوله: ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتي تُؤْوِيه﴾: معناه أدنى قبيلته منه.

---

(١) ما يبقى أسفله.

وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّها لَظَى﴾.

«كَلَّا» ردع وتنبيه، أي لَا يَرجعُ أحدٌ من هؤلَاء فاعتبروا.

وقرئت ﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾. والقراءة نَزَّاعَةٌ، والقراء عليها وهي في النحو أَقْوى مِنَ النَّصْبِ. وذكر أَبو عُبَيْدٍ أنها تجوز في العربيَّةِ، وأنه لا يَعْرِفُ أَحَداً قَرَأَ بها. وقد رويت عن الحسن، واختلف فيها عن عَاصِمٍ، فَأَما ما رواه أبو عمرو عن عاصم فَنَزَّاعَةً - بالنصب - وروى غيره نَزَّاعَةٌ - بالرفع -.

فأَما الرفعُ فَمِنْ ثَلاث جِهَاتٍ، أحدها أن تكون «لَظَى» و«نَزَّاعة» خبراً عن الهَاءِ والألِفِ، كما تقول: إنه حُلْوٌ حَامِضٌ، تريد أنه جمع الطعمين، فيكون الهاء والألف إضماراً للقصة[1]، وهو الذي يسميه الكوفيون المجهول، المعنى أن القصة والخبر لظى نزاعة للشوى، والشوى الأطراف، اليَدَانِ والرِّجْلَانِ والرأسُ، والشوى جمع شواه، وهيَ جلدة الرأس، قال الشاعر[2]:

قالت قتيلة ماله قد جُلِّلَتْ شيباً شواته

فأما نصب ﴿نَزَّاعَة﴾ فعلى أنها حال مؤكدة كما قال: ﴿وَهُوَ الحَقُّ مُصَدِّقاً﴾ وكما تقول أنا زيدٌ معروفاً، فيكون نزاعة منصوباً مُؤَكِداً لأمر النار، ويجوز أن ينصب على معنى أنها تتلظى نَزَّاعَةً كما قال جل ثناؤه: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى﴾. والوجه الثالث في الرفع يرفع على الذَّمِ بإضمار هي على معنى هي نزاعة للشوى.

ويكون نصبها أيضاً على الذم فيكون نصبها على ثلاثة أوجه.

وقوله: ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾.

---

(١) أي ضمير الشان

(٢) هو الأعشى. اللسان (شوى) والطبري ٢٩/٤٢، والقرطبي ١٨/٢٨٨، ومجاز ابي عبيدة ٢/٢٦٩.

تدعو الكافر باسمه والمنافق باسمه.

وقوله: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾.

الهلوع على ما في الآية من التفسير يفزع ويَجْزَعُ مِنَ الشَّرِ.

وقوله: ﴿إذا مَسَّهُ الشَّرُ جَزُوعاً، وإذا مَسَّهُ الخَيْرُ منوعاً﴾.

الانسان ههنا في معنى الناس، ! فاستثنى اللَّه ـ عز وجل ـ المؤمنين المصلين فقال: ﴿إِلَّا المُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِـمُونَ﴾.

يعني به المحافظين على الصلاة المكتوبة، ويجوز أن يكون الذين لا يُزِيلُونَ وجوههم عن سمت القبلة ولا يلتفتون، فيكون اشتقاقه من الدائم وهو الساكن، كما جاء النهي عن البول في الماء الدائم، والمحروم الذي هو محارف قد حرم المكاسب. وهو لا يَسْأَلُ[1].

وقوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيرُ مَلُومِينَ﴾. [أي] على هؤلاء.

وقيل إنَّها في مَعنى «منْ» المعنى عند قائل هذا إلَّا مِنْ أَزْوَاجِهِم أَو ما ملكت وقيل إن «على» محمول على المعنى، المعنى فإنَّهُم لَا يُلَامُونَ على أزواجهم، ويدل عليه ﴿فإنهم غير ملومين﴾.

وقوله: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ﴾.

معناه في العُدْوَانِ. وهي المبالغة في مخالفة أمر اللَّه ومجاوزة القدر في الظُّلِمْ.

وقيل: ﴿فَمِنَ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ العَـادُونَ﴾، أي من طلب غير الأزواج وَمَا ملكت الأيمان فقد اعتدى.

---

(١) المحازف ـ بفتح الراء: المحروم ـ والحرفة ـ أيضاً الحرمان ومن هذا قول عمر: لحرفةُ أحدهم أشد على من عيلة.

والعَادُونِ جَمْعُ عَادٍ وَعَادُونَ.

قوله :﴿والَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾.

أي يَرْعَوْنَ العهد والأمانة ويحافظون عليها. وكل محافظ على شيء فهو مُرَاعٍ له. والإمام راعٍ لرعيته.

وقوله : ﴿فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَك مُهْطِعِينَ﴾.

﴿مهطعين﴾ منصوب على الحال، والمهطع المقبل ببصره على الشيء لا يزايله، لأنهم كانوا ينظرون إلى النبي عليه السلام نظر عداوة، قال اللّه تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾(١)، معناه غيظاً وحنقاً.

قوله : ﴿عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾.

حَلَقاً حَلَقاً وجماعةً جماعة، وعِزِينَ جمع عزة، فكانوا عن يمينه وشِمَالِه مجتمعين، فقالوا إن كان أصحاب محمد يدخلون الجنة فإنا ندخلها قبلهم، وإن أعطوا فيها شيئاً أُعطِينا أكثر منه، فقال عز وجل:

﴿أَيَطْمَعُ كلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾.

وقرئت أَن يَدْخُل جنة نعيم. ثم قال:

﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُون﴾.

أَي من تراب ومن نطفة، فأي شيء لهم يدخلون به الجنة، وهم لك على العداوة وعلى البغضاء.

وقوله : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ المَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ، عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ﴾.

معناه فأقسم برب المشارق والمغارب، و «لا» مؤكدة كما قال:﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ

---

(١) سورة الأعراف /١٩٨.

أَهْلُ الكِتَابِ﴾، ومعناه ليعلم أهل الكتـاب، ومعنى ﴿رب المشارق والمغارب﴾ أي مشارق الشمس ومغاربها، وكذلك القَمَرُ، وهي مشارق الصيف ومشارق الشتاء وَمَغَارب الصيف، ومغارب الشتاء فتشرق الشمس كل يوم من مشـرق، وتغرب من مغرب، وكذلك القَمَرُ.

وقوله: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾.

﴿يخوضوا﴾ جواب الأمر مجزوم، وقيل إنه مجزوم وإن كان لفظه بغير آلةِ الأَمْرِ لأنه وضع موضع الأمر، كأنه قال ليخوضوا ولِيَلْعَبُوا. وهذا أَمْرٌ على جهـة الوعيد، كما تقول: اصنع ما شئت فإني أعاقبك عليه.

وقد مر تفسير هذا مستقصًى.

وقـوله عز وجـل: ﴿يَوْمَ يَخْـرُجُونَ مِنَ الأَجْـدَاثِ سِـرَاعـاً [كَـأَنَّهُمْ إِلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ]﴾.

والأحداث القبور واحدها جَدَثٌ، ويقال أيضـاً حَدَفٌ في هـذا المعنى، وقرئت إلى نَصْبٍ يوفِضُونَ وَإلى نُصْبٍ ـ بضم النون وسُكُـونِ الصاد، وقُـرِئَتْ إلى نُصُبٍ بضم النـون والصـاد، فمن قَـرَأَ نُصْب، فمعنـاه كـأنهم إلى علم مَنْصُـوبٍ لهم، ومن قرأ إلى نُصُبٍ فمعنـاه إلى أَصْنَامٍ لهم، كمـا قـال: ومـا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ.

ومعنى ﴿يُوفِضُونَ﴾ يُسْرِعُونَ، قال الشَّاعِر(١):

لأنْــعَتَــنْ نَـعَــامَــةً مِــيـفَــاضَــاً   خَـرْجَـاءَ تعــدو تـطلب الأضـاضـا

الميفاض السريعة، وخرجاء ذات لونين سَوَادٍ وبياضٍ، ومعنى الأضاض الموضع الذي يُلْجَأُ إليه، يقال أَضَّتني إليك الحاجة أَضَاضاً.

(١) البيت في اللسان (أضض) الطبري ٢٩/ ٨٩.ـ ولم يذكره قائله.

معاني القرآن للفراء ٢/ ١٨٦.

قوله: ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ أي تغشاهم ذِلَّةٌ.

وقوله: ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾.

قرئت بالفتح والكسر، فمن قرأ بِكَسْرِ يَوم فَعَلَى أَصْل الإضافة لأن الذي يضاف إليه الأول مجرور بالإضافة[1]. ومن فتح يوم فلأنه مضاف إلى غير متمكن مضاف إلى «إذْ»، و «إذْ» مبهمة، ومعناه يوم إذ يكون كذا وكذا، فلما كانت مبهمة وأضيف إليها، بني المضاف إليها على الفتح، كذلك أنشدوا قول الشاعر[1]:

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت حمامة في غصون ذات أو قال

فلما أضاف «غير» إلى «أن» بناها على الفتح، وهي في موضع رفع، والرفْعُ أيضا قَد رُوِيَ، فقالوا «غيرُ» أن نطقت، كما قرئ الحرف على إعراب الجر، وعلى البناء على الفتح.

---

(١) في الأصل يضيف إليه.

(٢) تقدم.

سورة نُوح عليه السلام
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَن أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم﴾.

«أن» في موضع نصب بأرسلنا، لأنَّ الأصْلَ بأن أَنْذِرْ قَوْمَكَ، فلما اسقطت الباء أفضى الفِعْلُ إلى أن فنصبها، وقد قال قوم يُرْتَضَى عِلْمُهُمْ إن موضع مِثْلِها جَرٌّ وإن سقطت الباء، لأن «أن» يحسن معها سقوط الباء. ولا تسقط من المصدر الباء، لأنك لو قلت: إني أرسلتك بالإِنْذَارِ والتهدد لم يُجِزْ أن تقول إني أَرْسَلْتُك الانذار والتهدُّدَ، ولو قلت إني أرسلتك بأن تُنْذِرَ وان تهدد لجاز واني أرسَلْتُكَ أن تنذر وأن تهدّدَ.

وأصل الإنذار في اللغة الإعلام بما يخاف منه فيحذر، وان لا يتعرض له ويجوز أن يكون «أَن» تفسير لما أُرْسِلَ بِهِ، فيكون المعنى: إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أَيْ أَنْذِرْ قَومَكَ.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ. أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونَ﴾.

أرسل اللّه نوحاً وجميع الانبياء بالأمر بعبادته وإيثار تقواه وطاعة رسله.

وقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾.

﴿يغفر﴾ جزم جواب الأمر ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ واتقوه وأطيعوني يغفر لكم من

ذنوبكم، والنحويون البصريون كلهم ما خلا أبا عمرو بن العلاء لا يدَّغِمُونَ الراء في اللام، لا يجيزون يَغْفِر لَّكُمْ، وأبو عمرو بن العلاء يرى الإدغام جائزاً. وزعم الخليل وسيبويه ان الراء حرف مكرر متى أدغم في اللام ذهب التكرير منه، فاختلَّ الحرف، والمسموع من العرب وقرأه القراء إظهار الراء.

ومعنى ﴿من ذنوبكم﴾ ههنا ـ يغفر لكم ذنوبكم ودخلت «من» تختص الذنوب من سائر الأشياء، لم تدخل لتَبْعيض الذُّنُوب، ومثله قوله ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾. معناه اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان ليس الرجس ههنا بعض الأوثان.

وقوله:﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، إن أَجَلَ اللَّه إذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾.

معناه اتقوا اللَّه وأطيعون يؤخركم عن العذاب، أي يؤخركم فتموتوا غير ميتة المُسْتَأْصَلِين بِالعَذَابِ. ثم قال:﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ معناه إذا جاء الأجل في الموت لا يؤخر بعذاب كان أو باستئصال.

قوله:﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ في آذَانِهِمْ واسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾.

قيل إنهم كانوا يسدُّون آذانهم ويغطون وجوههم لئلا يسمعوا قَوْلَهُ، وليبالغوا في الاعراض عنه بتغطية الوجوه.

وقوله: ﴿وَأَصَرُّوا﴾: أقاموا ولم ينووا توبة منه.

﴿واستكبروا﴾: أخذتهم العزة من اتباع نوح والدليل على ذلك قوله: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ واتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾[١].

وقوله:﴿إنِّي دَعَوْتُهم جِهَاراً﴾.

أي دعوتهم مظهراً لهم الدعوة، و«وجهاراً» منصُوبٌ مصدر موضوع موضع

---

(١) سورة الشعراء / ١١١.

الحال. المعنى دعوتهم مجاهراً بالدعاء إلى توحيد اللّه وتقواه.

﴿ثُمَّ إنّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إسْرَاراً﴾.

أي خَلَطْتُ لَهُمْ دُعَاءَهم في العلانيةَ بدعاء السر، فقلت:﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إنَّهُ كَان غَفَّاراً﴾.

أي استدعوا مَغْفِرَةَ رَبِكُمْ.

﴿يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً﴾.

وقيل إنهم كانوا قد أجدبوا، فَأَعْلَمَهُم أن إيمانهم باللّه يجمع لهم مَعَ الحظِّ الوافِرِ في الآخرة. الخِصْبَ والغِنَى في الدنيا، ومدراراً: كثيرة الدَّر، أي كثيرة المطر.

﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾.

يعطيكم زينة الدنيا وهي المال والبنون.

﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾: أَي بساتين.

وقوله عز وجل:﴿مَالَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً﴾.

قيل: مَا لكم لَا تَخَافُونَ للّه عَظَمةً، وقيل لا ترجون عاقبة، وحقيقته ـ واللّه أعلم ـ مالكم لا ترجون عاقبة الايمان فتوحدون اللّه وقد جعل لكم في أنفسكم آية تدل على توحيده من خلقه إياكم، ومن خلق السموات والأرضِينَ والشمس والقمر فقال:

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾.

أي طوراً بعد طورٍ، نقلكم من حالٍ إلى حال ومن جِهَةٍ من الخلق إلى جهة ـ خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، ثم جعل المضغة عظْماً، وكسا العظم لحماً ثُمَّ قَرَّرَهُمْ فقال:

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً﴾ .

و ﴿طباقاً﴾ مَنْصُوبٌ على جهتين، إحداهما مُطَابِقَةً طِباقاً، والأخرى من نعت سبع أيْ خَلَق سبعاً ذات طباق .

﴿وَجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً﴾ .

قال أهل العربية : يجوز أن يكون في السماء الدنيا وقيل فيهن لأنهن كالشيء الوَاحِد، وجاء في التفسير أن وجه الشمس يضيءُ لأهل الأرضْ من ظَهْرها وقَفَاهَا ويضيء لأهل السموات وكذلك القمر.

﴿واللَّهُ أَنْبَتَكُم مِنَ الأَرْضِ نَبَاتاً﴾ .

و﴿نباتاً﴾ محمول في المصدر على المعنى، لأن معنى «أنبتكم» جعلكم تنبتون نباتاً والمصدر على لفظ أنبتكم إنباتاً ونباتاً أبلغُ في المعنى .

قوله :﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً﴾ ، أي طرقاً بَيِّنَةً .

وقوله : ﴿وَوُلْدُه﴾ ويقرأ : ﴿وَوَلَدُه﴾ .

والوَلَدُ والولد بمعنى واحِدٍ، مثل العَرَب والعُرْب، والعجم والعُجْمُ .

وقوله :﴿وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً﴾ .

يقال : مكر كبير وكُبَّار وكِبارَ في معنى واحد .

﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ولا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعاً﴾ .

وقُرِئَتْ وُدًّا ـ بضم الواو ـ .

﴿وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾ .

هذه خمسة أصنام كانَتْ في قَوْمِ نُوحٍ يعبدونها . ثُمَّ صَارَتْ إِلَى العَرَبِ

فكان وُدّ لكلب، وكان سُواع لِهَمَدَان، وكـان يغوث لمـذحج، وكـان نسرٌ لحمَيـر وقرئت يغوثاً ويَعُوقاً.

ويغـوث ويعـوق لا ينْصَـرِفَـان لأنَّهُمَـا في وزن الفعـل وهمـا معـرفتـان، والقراءة التي عليها القـراء والمصحف ترك الصـرف. وليس في يغوث ويعـوق ألف في الكتاب، ولذلك لا ينبغي ان يقرأ: إلا بترك الصرف. والـذين صرفـوا جعلوا هـذين الاسمين الأغلب عليهما الصـرف إذ كان أصـل الأسماء عنـدهم الصَّرْفَ، أَو جعلوهما نَكِرَةً وإن كانا معرفتين، فكأنهم قالوا: ولا تذرون صنماً من أصنامكم، ولا ينبغي أن يقرأ بها لمخالفتها المصحف.

قوله:﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾.

ويقرأ مما خطاياهم، وخطيئة يجمع على خطايا. وخطيئات، وقَد فسَّـرنَا ذلك فيما سلف من الكتاب.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾.

﴿دَيَّاراً﴾ في معنى أحد. يُقَالُ مَا في الدار أحَدٌ وما بها دَيَّار، وأصْلُهَا دَيْوَار، فيقالا فقلبت الواو ياء وأدغمت أحداهما في الأخرى.

وإنما دعا عليهم نوح عليه السلام لأنَّ اللَّه جَلَّ وَعَلاَ أوحى إليه ﴿أنَّه لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾.

قوله تعالى:﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً﴾.

قالوا بيتي مَسْجداً، وإن شئت أسكنت الياء وإن شئت فتحتها.

وقوله:﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إلَّا تَبَاراً﴾.

معناه إلا تباراً، والتبار الهلاك، وكل شيء أهلك فقد تبر، ولذلـك سُمّيَ كُلُّ مُكَسرٍ تبرا.

سورة الجِنِّ
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ﴾.

القراءة أُوحِيَ بإثبات الواو. وقد قرئت: قل أُحِيَ إِلَيّ - بغير واو، فمن قال: أُحِيَ إِلَيَّ فهو من وحيتُ إليه، والأكثر أَوْحَيْتُ إليه، والأصل وُحِي، ولكنَّ الواو إذا انْضمَّت قد تبدلُ منها الهمزةُ نحو: ﴿وإذا الرسل أُقِّتَتْ﴾، أصله وُقِّتَتْ لأنه مِنَ الوَقْتِ.

وجاء في التفسير أن هؤلاء النفر الذين من الجن استمعوا على النبي ﷺ وهو يصلي الصبح ببطن نخلة، وهو قوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا الَيْكَ نَفَراً مِنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القِرآن فَلَمَّا حَضَروهُ قَالُوا أَنْصِتُوا﴾[1] أي قال بعضهم لبعض أَمْسِكُوا عن الكلام واستمعوا. وقيل انهم كانوا من جِنِّ نَصِيبِينْ، وقيل إنهم كانوا مِنَ اليَمَن، وقيل إنهم كانوا يَهُودَ، وَقِيل إنهم كانوا مشركين.

فأما قوله: ﴿أنه اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنّ﴾، و(أنَّ) مفتوحة لا غير. وقوله: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾ وقوله: ﴿فَإِنَّ لَهُ﴾، وقوله: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ﴾. فهذه الثلاثُ مكسورة لا غير، وقد اختلف القراء فيما في هذه السورة غير هذه الحروف الثلاث فقال بعضهم: «وَأَنَّه وأَنَّا» فَأَمَّا عَاصِمٌ فروى عنه أبو بكر بن عياش مثل قراءة نافع ومن تابعه، وروى حفص بن سليمان عن الفتح فيما قرأه أبو بكر بالكسر، والذي يَخْتاره النحويُّونَ قراءة نافع ومن تابَعَهُ في هذه الآية عندهم ما كان محمولاً على

---

(١) سورة الأحقاف / ٢٩.

الـوحي فهو أنـه بفتح أن، ومـا كان من قـول الجن فهو مكسـور معطوف على قوله: ﴿فقالوا إنا سمعنا قُرْآناً عَجَباً﴾، وعلى هذه القراءة يكون المعنى، وقالوا إنه تعالى جَدُّ رَبِّنَا، وقالوا إنه كان يقول سفيهنـا. ومن فتح فـذكر بعض النحـويين أنه معطوف على الهاء. المعنى عِندَه فآمنا به وبأنه تعالى جـدُّ رَبِّنَا وكـذلك مـا بعـد هـذا عنـده، وهـذا رديء في القيـاس. لا يعـطف على الهــاء المكنيـة المحفوضة إلا بإظهار الخافض، ولكن وجهه أن يكون محمولاً على معنى آمناً به،لأن معنى آمنا به صدقناه وعلمناه، ويكون المعنى :وصدقنا أنه تعالى جدّ ربنا.

وتأويل ﴿تعالى جَدُّ رَبّنا﴾ تعالى جلال رَبِّنا وعظمته عن أن يتخذ صَاحِبَـةً أَوْ وَلَداً.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهَ كَانَ رِجَالٌ من الإِنْسِ يعُوذُونَ بِرجَالٍ مِنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾.

كان أهل الجاهلية إذا مرتْ جماعة منهم بوادٍ يقوولون: نعوذ بعزيـز هذا الوادي من مردة الجن وَسُفَهَائِهِمْ.

ومعنى ﴿فَزَادُوهُم رَهَقاً﴾ فَزادوهم ذِلـةً وضعفـاً. ويجـوز ـ واللّه أعلم ـ أن الأنس الذين كانوا يستعيذون بالجن زادوا الجن رهقاً، ويجـوز أَنْ يكون الجن زادوا الأنس رَهَقاً.

وقوله:﴿وأَنا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسَا شَدِيـداً وَشُهُباً، وَأَنّـا كنا نَقْعُدُ منها مقاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً﴾.

أي كنا نسـمع فـالآن حيـن حَاوَلْنـا الاستماع ورمينـا بالشُّهُبِ، وهي الكواكب، ورَصَداً أي حَفَـظَةً تمنع من الاستمـاع. وقيل إن الانقضـاض الذي رميت بِه الشياطين حَدَثَ بعد مَبْعَثِ النبي عليه السلام وهو أَحَدُ آيَاتِه.

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ في الأَرْضِ، أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً﴾.

المعنى إنـا لا ندري بحـدوث رجم الجواكب أَلِصَـلَاحٍ في ذلك لأهـل الأرض أو غيره.

وقوله:﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً﴾.

قِدَدٌ متفرقون، أي كنا جماعات متفرقين، مُسْلِمِينَ وغير مسلمين.

قوله:﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾.

هذا تفسير قولهم: ﴿كُنا طَرَائِقَ قِدَداً﴾، والقاسطون الجائرون.

وقوله: ﴿فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشداً﴾.

يعني قصدوا طريق الحق والرشد، ولا أعلم أَحَداً قرأ في هذه السورة رُشْداً، والرُّشْد والرَّشَدُ يجوز في العربية، إلاَّ أن أواخر الآي فيما قَبْلَ الرَّشَد وبَعْدَه على الفتح، مبني على فَعَل، فأواخر الآي أن يكون على هذا اللفظ وتَسْتَوي أَحْسَنُ، فإن ثبتت في القراءة بها رواية فالقراءة بها جائزة، ولا يجوز أن تقرأ بما يجوز في العربية إلاَّ أن تثبت بذاك رواية وقراءة عن إمام يقتدى بقراءته، فإن اتباع القراءة السنة، وتتبع الحروف الشواذ والقراءة بها بدعة.

قوله:﴿وَأَمَّا القَاسِطُونَ﴾.

يقال قسط الرجل إذَا جَارَ، وأَقسط إذَا عَدَل.

وقوله:﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً. لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾.

وهذا تفسيره لو استقاموا على الطريقة التي هي طريق الهدي لأسْقَيْنَاهُمْ ماء غَدَقاً، والغَدَقَ الكثير، ودليل هذا التفسير قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾. وكقوله: ﴿لأكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾(٢). وقد قيل إنه يعني به: لو استقاموا على طريقة الكفر. ودليل هذا التفسير عندهم قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكونَ النَاسُ أُمَّةً

---

(١) سورة الأعراف /٩٦. (٢) سورة المائدة /٦٦.

واحـدةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُـرُ بـالـرَّحْمَنِ لِبُيُـوتِهِم سُقُفَـاً مِنْ فِضَّـةٍ وَمَعَـارِجَ عليهـا يَظْهَرُونَ﴾[1].

والذي يختار وهو أكثر التفسير أن يكون يعنى بـالطريقـة طريق الهـدى، لأن الـطريقة مُعَـرَّفَةٌ بـالألف واللام، والأوجب أن يكـون طريقـة الهدى. واللّه أعلم.

وقوله: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فيه﴾، لنختبرهم بذلك.

وقوله:﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً﴾.

معناه ـ واللّه أعلم ـ عذاباً شَاقّاً، وقيل صخرة في جهنم ـ وهي في اللغة ـ واللّه أعلم ـ طـريقة شَـاقَةٌ مِنَ العـذاب. يقـال: قـد وقـع القـوم في صَعُـودٍ وَهَبُوطٍ، إذا كانوا في غير استواء وكانوا في طَرِيقة شاقة، ويقرأ لأسقينـاهم ماء غَدِقا، والغدق المصدر، والغَدِق اسم الفاعل، تقول: غَـدِق يَغْدَقُ غَـدَقَا فَهُـو غَدِقٌ، إذا كَـثُـر الـنـدى في المكان أو الماء.

وقوله:﴿وَأَنَّ المَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾.

معناه الأمر بتوحيد اللّه في الصلوات. وقيـل المساجـد مواضـع السجود من الانسان، الجبهة والأنف واليدان والركبتان والرِّجْلاَنِ.

و«أن» ههنا يصلح أن يكون في موضع نصب ويصلح أن يكونَ في مَوْضِع جَرٍّ والمعنى لأن المساجد للّه فلا تدعوا مع اللّه أَحَداً، فلما حذفت اللاَّمُ صار الموضع موضع نَصْبٍ، ويجوز أن يكون جَـرّاً وإن لم تظهـر اللام، كمـا تقول العرب: وَبَلَدٍ ليس به أنيس. تـريـد رُبَّ بَلَدٍ.

وقوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً﴾.

---

(١) سورة الزخرف / ٣٥.

ويَقرأ لُبَداً، ويجوز لُبَّداً. والمعنى أن النبي ﷺ لما صَلَّى الصُّبْحَ بذات نخلة كادت الجن ـ لما سمعوا القرآن وتعجبوا منه ـ أن يسقطوا على النبي ﷺ.

وقيل كادوا يعني به جميع الملأ التي تظاهرت على النبي ﷺ ومعنى لُبَد يركب بعضه بعضا، وكل شيء ألصقته بشيء إلصاقاً شديداً فقد لبدته ومن هذا اشتقاق هذه اللبود التي تفرش، فأما من قرأ لِبَدًا فهو جمع لِبْدَة ولِبَد. ومن قرأ لُبَداً فهو جمع لُبْدَة وَلُبَد. ولُبْدَة ولِبْدَةَ في معنى واحِدٍ. ومعنى من قرأ لُبَّداً فهو جمع لابد ولُبَّدٍ، مثل رَاكِعٍ وَرُكَّعٍ، وغازٍ وغُزَّى.

قوله: ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً﴾.

[أي] مَنْجًى الا أن اشتقاقه من اللحد، وهو مثل «لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مُدَّخَلاً» فالملتحد من جنس المدَّخَل، ونَصَبَ ﴿إِلَّا بَلَاغاً﴾ على البدل من قوله ملتحدا. المعنى ولن أجد من دونه منجىً إلا بلاغاً أي لا ينجيني إلَّا أن أبلغ عن اللَّه ما أرسلتُ به.

وقوله: ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً﴾.

أي بُعْدًا، كما قال: ﴿قل إن أدري أَقريب ما توعدون﴾.

قوله: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً، إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾.

هذه الآية توجب على من ادعى ان النجوم تدله على ما يكون من حياة وموت وغير ذلك أن قد كفر بما في القرآن، وكذلك قوله: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السمواتِ والأرضِ الغيبَ الا اللَّه﴾. والاستثناء بقوله: ﴿إِلَّا مَنِ ارتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾،معناه أنه لا يظهر على غَيْبه إلا الرُّسُلَ، لأن الرُّسُلَ يستدل على نبوتهم بالآيات المعجزات، وبأن يخبروا بالغيب فيعلم بذلك أنهم قد خالفوا غير الأنبياء.

ثم أعلم عز وجل أنه يحفظ ذلك بان يَسْلُك ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾.

إذا نـزل الملك بالـوحي أرسل اللّه معـه رصداً يحفـظون الملك من أن يأتي أحدٌ من الجن فيستمع الوحيَ فيخبر به الكهنة فيخبروا بـه الناس فيسـاوَوا الأنبياء. فأعلم اللّه أنه يسلك من بين يدي الملك ومن خلفه رَصَداً.

﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾.

فيجـوز أن يكون ليعلم النبي ﷺ أن الـرسالـة أتته ولم تصـل إلى غَيْـرِهِ ويجـوز أَنْ يكونَ ـ واللّه أعلم ـ ليعلم اللّه ان قـد أبلغـوا رسـالاته، ومـا بعده يدل على هذا وهُوَ قوله: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً﴾.

فهذا المضمر في ﴿وَأَحْصَى﴾ لله عـز وجل لا لغيره، ونصب ﴿عدَداً﴾ على ضربين، على معنى وأحصى كل شيء في حال العَدَدِ، فلم تخف عليه سقوط ورقة ولا حَبَّةٍ في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابِسٍ، ويجوز أن يكون عَـدَداً في موضع المصدَرِ المحمول على معنى وأحصى، لأن معنى أحصى وَعَـدَّ كل شيء عَدَداً[1].

(١) الأقرب أن عدداً تمييز.

سورة المُـزَّمِّل

مكية ما خلا آيتين من آخرها مدنية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله:﴿يَا أَيُّها المزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إلاَّ قَلِيلاً﴾.

هذا خطاب للنبي عليه السلام، وقيل إنه نـزل عليه هـذا وعليه قـطيفةٌ، والمزَّمِّلُ أصله المُتَزَمِّل، ولكن التاء تدغم في الزاي لقربها منها، يقال: تَزَمَّـل فُلانٌ إذا تلفف بثيابه، وكل شيء لفف فَقَدْ زُمِّلَ، قال امرؤ القيس[1]:

كـان ثبيــراً فــي عــرانيــن وبـلـه　　كبيــر أنــاس فـي بِجَـادٍ مُـزَمَّـلِ

وقيل إنه كان مُتَزَمِّلاً في حال هيئة الصلاة.

قوله: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إلاَّ قَلِيلاً. نِصْفَه أَوِ انْقُصْ مِنْه قَلِيلاً. أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾.

فالمعنى ـ واللّه أعلم ـ أن ﴿نصفه﴾ بدل من ﴿الليل﴾ كما تقول: ضربت زيداً رَأْسَهُ فإنما ذكرت زيداً لتؤكد الكلام، وهو أوكـد من قولـك ضربت رأس زيـداً فـالمعنى قم نصف الليـل إلا قليـلاً أو انقص من النصف أو زد على النصف، وذَكَر «أو انقص منه قليلاً» بمعنى الا قليلاً ولكنـه ذُكِرَ مَـع الزِّيـادة، فالمعنى قم نصف الليل أو انقص من نصف الليل أو زد على نصف. وهـذا ـ واللّه أعلم ـ قبل أن يقع فرض الصلوات الخمس.

ومعنى :﴿وَرَتِّلِ القُرآنَ تَرْتِيلاً﴾.

---

(١) من معلقته.

بيّنْه تبييناً، والتبيين لا يتم بأن يعجل في القرآن، إنّما يتم بأن تبين جميع الحروف وتوفي حَقَّها في الإشباع.

قوله ـ عز وجل ـ:﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾.

جاء في التفسير أنه يثقل العمل به، لأن الحلال والحرام والصلاةَ والصِّيَامَ وجميع ما أمر اللَّه به أن يعمل، ونهى عنه، لا يؤديه أحد الا بتكلف ما يثقل عليه.

ويجوز على مذهب أهل اللغة أن يكون معناه أنه قول له وَزْنٌ في صِحَّتِه وبيانه ونفعه، كما تقول: هذا كلام رَصِينٌ، وهذا قول له وَزْنٌ، إذا كنت تستجيدُه وتعلم أنه قد وقع موقع الحكمة والبيانِ.

قوله عز وجل:﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطَاءً، ـ وتقرأ: وَطْئاً ـ وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾.

﴿ناشئة الليل﴾ ساعات الليل كلها، كلما نَشَأَ منه، أي كل ما حدث منه فهو ناشئة، ومعنى هي أشدُّ وَطَأً أي أشد مواطأة لتقلب السمع، ومَنْ قَرَأَ وَطْئاً ـ بفتح الواو ـ فمعناه هي أبلغ في القيامِ وأبين في القول، ويجوز أن يكون أشد وطأ اغلظ على الانسانِ من القيام بالنهار، لأن الليل جُعِلَ لِيُسْكنَ فيه. وقيل أشد وَطئاً أي أبلغ في الثواب، لأن كل مجتهد فثوابه عَلَى قَدْرِ اجتهاده.

قوله:﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً﴾.

معناه فراغاً طويلاً ومتصرفاً طويلاً.

﴿واذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾.

أي إن فاتك شيء من الليل فلك في النهار فراغ.

وقرئت «سَبْخاً» بالخاء معجمة، والقراءة بالحاء غير معجمة، ومعنى «سبخاً» صحيح في اللغة، يقال للقطعة من القطن سبخة، ويقال سبخت القطن بمعنى نفَّشته، ومعنى نَفَّشتُه وسَعتُه، فالمعنى على ذلك أن لك في النهار توسُّعاً طويلا، وَمَعْناه قريب من معنى السبح.

﴿واذْكُرِاسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إلَيْهِ تبتيلاً﴾.

المعنى واذكر اسم ربك بالنهار، ومعنى ﴿تبتل إليه﴾ انقَطِع إليه في العِبَادَةِ ومن هذا قيل لمريم عليها السلام البتول لأنها انقطعت إلى اللَّه جل ثناؤه في العبادة، وكذلك صدقة بتلة منقطعة من مال المصدق وخارجة إلى سُبُل اللَّه، والأصل في المصدر في تبتل تَبتلْتُ تَبْتِيلاً، وبَتَّلْتُ تبتيلاً، فتبتيلاً محمول على معنى تبل إليه تبتيلاً.

قوله: ﴿فاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾: أي اتخذه كفيلاً بما وعدك.

وقوله: ﴿واصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ واهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾.

هذا يدل ـ واللَّه أعلم ـ قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال.

﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُولِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾.

ومثله: ﴿ذَرْنِي ومن خلقت وَحِيداً﴾(١).

فإن قال قائل ما مجاز ذَرْني، واللَّه ـ عزوجل ـ يفعل ما يشاء، لا يحول بينه وبين إرادته حائل. فالجواب في ذلك أن العرب إذا أرادت أن تأْمُرَ الانسان بأَنَّ له همة بأمْرٍ أو بإنْسَانٍ تقول: دعني وزيداً، ليس أنه حال بينه وبَيْنَ زَيدٍ أَحَدٌ، ولكن تأويله لا تَهْتَمَّ بزيدٍ فإني أكفيكه.

وقوله: ﴿إنَّ لَدَيْنَا أنكالاً وَجَحِيماً﴾.

الأنكال واحدها نِكْلٌ. وجاء في التفسير أنه ههنا قُيُودٌ مِنْ نَارٍ.

---

(١) سورة المدثر /١١.

﴿وَطَعاماذا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً﴾.

طعامهم الضريع كما قال عز وجل: ﴿لَيس لهم طعامٌ إلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ﴾ وهو الشِّبْرَقُ، وهو شوك كالعَوْسَج.

وقوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأرْضُ وَالجِبَالُ وَكَانَتِ الجبالُ كَثِيباً مَهِيلاً﴾.

يوم منصوب معلق بقوله ﴿إن لدينا أنكالاً وجحيماً﴾، أي ينكل بالكافر ويُعَذِّبهُم يوم ترجف الأرض والجبال، وترجف تزلزل وتحرك أغلظ حركة.

﴿وَكَانَتِ الجِبَالُ كَثِيباً مَهِيلاً﴾.

والكثيب جمعه الكثبان، وهي القِطَعُ العظام من الرمل، ومعنى مَهِيلاً سَائِلاً قد سَيِّلَ، وَأَصْل مَهيل مَهْيُول، يقال تراب مهيل وتراب مهيول أي مَصْبُوبٌ مُسَيَّل، والأكثر مهيل، وإنما حذفت الواو لأن الياء تحذف منها الضمة في مَهْيُول فتسكن هي والواو وتحذف الواو لالتقاء الساكنين وقد شرحنا هذا في مثل هذا الموضع أكثر من هذا الشرح، واختصرنا على ما سلف لاختلاف النحويين فيه، وأنه يطولُ شرحُه في هذا الكتاب.

وقوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾.

الوبيل الثقيل الغليظ جدا، ومن هذا قيل للمطر الغليظ العظيم وابل.

وقوله: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الوِلْدَانَ شَيباً﴾.

المعنى فكيف تتقون يوماً يجعل الولدان شيباً إن كفرتم، أي بأي شيء تحصنون من عذاب اللَّه [في] يوم من هو له يشيب فيه الصَّغيرُ من غير كبر، وتذهل فيه كل مرضعة عمَّا أَرْضَعَتْ، وَتَرَى النَّاسَ سَكْرَى وَمَا هُمْ بِسَكْرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ، ثم وصف مِنْ هَوْل ذلك اليَوْمِ أَنْ قَالَ:

﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِر بِهِ﴾.

أي السمـاء تنشق بـه كمـا قـال: ﴿إِذَا السَّمَـاءُ انْشَقَّتْ﴾(١)، وقيـل في التفسير: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ أي السماء مثقلة بالله عز وجل.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَه وَثُلُثَه﴾.

فمن قرأ نصفَه وثلثه بالنَّصْبِ فهو بيّنٌ حَسَنٌ، وهو تفسير مقدار قيامه لأنه لمَّا قال أدنى من ثلثي الليل، كان نصفـه مبيناً لـذلك الأدْنَى، وَمن قـرأ ونِصْفِه وثُلثِه، فالمعنى وَتَقُوم ادنى من نصفـه وَمِنْ ثُلُثِه.

وقوله: ﴿مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾.

ولم يقل منفطرة، ومنفـطرة جائـز وعليه جاء: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾(٢)، ولا يجوز أن يقرأ في هذا الموضع السماء منفطرة. لخلاف المصحف. والتـذكير على ضـربين أحدهمـا على معنى السماء معنـاه السقف، قال الله عـز وجـل: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً﴾(٣). والوجه الثاني على قوله: امـرأة مرضـع، أي عَلَى جِهَـةِ النَّسَبِ، المعنى السماء ذات انفـطارٍ، كما تقـول امرأة مـرضـع أَيْ ذات رَضَاعٍ(٤).

وقوله: ﴿أُولِي النَّعْمَةِ﴾.

النعمـة التنعيم، والنِّعْمَةُ اليَـدُ الجميلة عِنْـدَ الإنسـان والصنـع من الله تعـالى ولو قـرئت أولي النعمة لكـان وَجْهاً، لأن المنعم عليهم يكـونون مؤمنين وغير مؤمنين، قال الله جل ثناؤه: ﴿صِرَاطَ الذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾(٥).

---

(١) أول سورة الانشقاق. (٢) أول سورة الانفطار.
(٣) سورة الأنبياء /٣٢. (٤) وقال الفراء: السماء يذكر. (٥) سورة الفاتحة /٧.

وقوله ـ جَلَّ وَعَزَّ ـ : ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوه عِنْد اللهِ هُو خَيراً وَأَعْظَمَ أَجْراً﴾.

معناه خيراً لكم من متاع الدنيا، و«خيراً» منصوب مفعول ثانٍ لتجدوه، ودخلت «هو» فصلاً. وقد فسرنا ذلك فيما سلف من الكتاب، ولو كان في غير القرآن لجاز تجدوه هو خيرٌ. فكنت ترفع بهُوَ، ولكن النصب أجود في العربية، ولا يجوز في القرآن غيره.

سُورَةُ المُدَّثِر
مكية

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّها المدَّثِرُ﴾.

القـراءة بتشديـد، والأصلُ المُتَـدَثِّر، والعلة فيهـا كالعلَّةِ فِي المُتَـزمِّـل، وتفسيرها كتفسير المزَّمِّل. وقد رويت المُتَدَثِّر - بالتاء -

وقوله عز وجل: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾.

اي صفـه بالتعـظيم وأنه أكبـرَ، ودخلت الفاء على معنى جـواب الجزاء. المعنى قم فأنذر أي قم فكبر رَبَّكَ.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّر﴾، مثلها، وتأويـل ثيابـك فطهـر أي لا تكن غادِراً، يقـال للغادر دَنَس الثياب، ويكون وثيابك فطهر أي نَفْسَك فطهر، وقيل وثيابك فَطَهِّرْ أي ثيـابك فقصـر لأنَّ تَقْصِيرَ الثـوبِ، أَبعدُ مِنَ النجـاسـة وأنـه إذا انجـرَّ على الأرض لم يؤمن أن يُصِيبَه ما ينجسه.

﴿والرِّجْزَ فاهجُرْ﴾.

بكسر الراء، وقرئت بضم الرَّاء، ومعناهما واحد، وَتَأْوِيلُهما اهجر عبـادة الأوثـان، والـرجـز في اللغـة العـذاب، قـال اللّٰه تعـالى: ﴿وَلَمَّـا وَقَـعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزَ﴾(١)، فالتأويل على هذا ما يؤدي إلى عذاب اللّٰه فاهجره.

﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾.

أي لا تعط شيئـاً مُقَدِّراً أن تـأخذ بـدله مـا هو أكثـر منه، وتستكثـر حال

---

(١) الأعراف /١٣٤.

مُتَوَقَّعَةٌ وهذا للنبي ﷺ خاصة وليس على الانسان إثم أن يهدي هديةً يرجو بها ما هو اكثر منها، والنبي ﷺ أدَّبه اللّه بأشرف الآداب وأجل الأخلاق.

وقوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ، فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَومٌ عَسِيرٌ﴾.

النـاقور الصُّـورُ، وقيل في التفسيـر إنه يعني بـه النفخة الأولى، و﴿يـومٌ عَسِيرٌ﴾ يرتفع بقوله: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ﴾. المعنى فذلـك يوم عسيـر يوم ينفـخ في الصور و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يجوز أَنْ يكونَ رَفْعاً، ويجوز أن يكون نَصْبـاً، فإذا كـان رفعاً فإنما بني على الفتح لإضافتـه إلى «إذ» لأن «إذ» غير متمكنـة، وإذا كان نصبـاً فهو على معنى فذلك يوم عَسِيرٌ في يوم ينفخ في الصُّور.

وقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾.

قد فسرنا معنى «ذرني» في المزَّمِّل، و«وَحِيداً» مَنْصُوبٌ على الحال، وهو على وجهين. أحدهما أن يكون وحيداً من صفـة اللّه -عزوجل- المعنى ذَرْنِي ومن خلقته وَحْـدي لم يشـركني في خلقـه أحَـدٌ، ويَكـونُ وحيـداً من صفـة المخلوق، ويكون المعنى، ذرني ومن خلقته وحده لا مالَ له ولا ولَد.

﴿وَجَعَلْتُ له مَالاً مَمْدُوداً، وَبَنِينَ شُهُوداً﴾.

تقديره مال غير منقطع عنه، وقيـل ألف دينار، وبنين شُهُـوداً، أي شهودٌ معه لا يحتاجون إلى أن يتصرفوا ويغيبوا عنه.

وهذا قيل يعني بـه الوليـد بن المُغِيرَةُ، كان لـه بنون عشـرة وكان مُـوسِراً

وقوله: ﴿سَأُرْهِقُه صَعُوداً﴾.

أي سأحمله على مَشَقةٍ مِنَ العَذَاب.

قوله: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وقَدَّرَ. فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾.

معنى - ﴿قُتِـلَ﴾ ههنـا لُعِنَ، ومثله: ﴿قُتِـلَ الخَـرَّاصُـونَ﴾.

وكان الوليد بن المغيرة قال لرؤساء أهل مكة، قد رأيتم هذا الرجل -يعني النبي ﷺ - وعلمتم ما فشا من أمره، فإن سألكم الناس عنه ما أنتم قائلون، قالوا نقول: هو مجنون، قال: إذن يخاطبوه فيعلموا أنه غير مجنون. قالوا فنقول: إنه شاعر، قال: هم العرب يعلمون الشعر ويعْلَمُونَ أَنَّ ما أتى به لَيْسَ بِشِعْرٍ، قالوا: فنقول إنه كاهن، قال الكهنة لا تقول إنه يكون كذا وكذا إن شاء اللّٰه وهو يقول إن شاء اللّٰه، فقالوا قَدْ صَبَأَ الوليد. وجاء أَبو جَهْلٍ ابن أخيه، فقالوا: إن القوم يقولون إنك قد صبوت، وقد عَزَمُوا على أن يجمعوا لك مالاً فيكون عِوَضاً مِمَّا تقدر أَنْ تَأْخُذَ من أصحاب محمد، فقال: واللّٰه ما يَشْبَعُونَ، فكيف أَقْدِرُ أَن آخُذَ منهم مَالاً وإنّي لَمِنْ أَيْسَر الناس. ومر به جماعة فذكروا له ما أتى به النبي ﷺ ففكر وعَبَس وجهه وَبَسَر، أي نظر بكراهة شَدِيدَةٍ. فقال: ما هذا الذي أتى به محمد إلاَّ سِحرٌ يأثره عن مُسَيْلمة وعن أهل بابل.

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾.

أي ما هذا إلا قول البشر.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾.

﴿سَقَر﴾ لا ينصرف لأنها معرفة، وهي مؤنثة، وسَقَر اسم من أسماء جهنم. ثم أعلم اللّٰه تعالى شأن سقر في العذاب فقال:

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ تأويله وما أعلمك أي شيء سقر فقال: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ. لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾.

البشر جمع بَشَرةٍ، أي تحرق الجِلْدَ حَتَّى يَسْوَدَّ.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾.

أي على سقر تِسْعَةَ عَشَرَ مَلَكاً، وَوَصَفَهُم اللَّه في موضع آخر فقال: ﴿عَلَيْها مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّه ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1].

الذي حكاه البَصْرِيُّون تسعَةَ عَشَر بفتح العين في عَشَر، وقد قرئت بتسكين العَيْنِ والقراءة بفتحها، وإنما أسكنها من أسكنها لكثرة الحركات، وذلك أَنَّهُمَا اسمَانِ جُعِلاَ اسماً وَاحِداً، ولذلك بُنِيَا على الفتح، وقرأ بَعْضُهم تسعَةُ عَشَر فأعربت على الأصل، وذلك قليل في النحو، والأجود تِسعةَ عَشَر على البناء على الفتح، وفيها وجهٌ آخر «تِسْعَةُ أَعْشُرٍ»، وهي شاذَّة، كأنها على جمع فعيل وأَفْعُل، مثل يَمِين وأَيْمُن.

وقوله تعالى: ﴿وما جَعَلْنَا عِدَّتَهُم إلاَّ فتنةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

أَيْ مِحْنَةً، لأن بعضهم قال بعضنا يكفي هؤلاء.

وقوله: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾.

أي يعلمون أن ما أَتى به النبي عليه السلام مُوَافِقاً لما في كتبهم.

﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إيمَاناً﴾.

لأنهم كُلَّمَا صَدقوا بما يَأتي في كتاب اللَّه عز وجل زاد إيمانهم.

﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ والمُؤْمِنُونَ﴾، أَيْ لَا يَشُكُّونَ.

وقوله: ﴿وَمَا هي إلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَر﴾.

جاء في التفسير أن النار في الدنيا تذكر بالنار في الآخرة.

وقوله: ﴿وَاللَّيْلِ إذْ أَدْبَرَ﴾، ويقرأ ﴿إذا أَدْبَر﴾، وكلاهما جَيِّدٌ في العربية، يقال: دبر الليل وَأَدْبَرَ، وكذلك قبل الليل وَأَقْبَلَ، وقد قرئت أيضاً ﴿إذا أَدْبَرَ وَالصُّبْحِ إذا أسفر﴾ بإثبات الألف فيهما.

---

(١) سورة التحريم /٦.

وقوله: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الكُبِرِ، نَذِيراً لِلْبَشَرِ﴾.

هـذه الهاء كنـاية عَنِ النَّـارِ، أَي انها لكبيـرة في حَالِ الإنـذار، وَنَصْبُ ﴿نَذيراً﴾ على الحال، وذَكَّر نَـذِيراً لأَنَّ مَعْنَـاهُ معنى العَـذَابِ، ويجـوز أن يكـون التذكير على قـولهم امرأة طـاهر وطـالق، أي ذات طلاق! وكـذلك نـذير ذات إنْذَارٍ، ويجوز أَنْ يَكُونَ نَذِيراً مَنْصُوباً مُعَلَّقا بـأَوَّلِ السُّورَةِ على معنى قم نـذيراً للبشرِ.

وقوله: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾.

أي أن يتقدم فيما أمر به أو يتأخر، فقد أنذرتم.

قوله عز وجل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ، إِلَّا أَصْحَابَ اليَمِينِ﴾.

قيل أصحابُ اليمين الأَطْفَالُ لأنهم لا يسألون، تفضل اللَّه عليهم بأن أعطاهم الجنَّـةَ، وكل نفْسٍ رَهِينـةٌ بِعَمَلِهَا إِمَّـا خَلَّصَهَا وإِمَّـا أَوْبَقَهـا، والتخليص مـع عملهـا بتفضل اللَّه.

وقوله عز وجل: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الخَائِضِينَ﴾، أي نَتَّبِعُ الغاوِينَ.

وقوله: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾.

يعني الكفّار وفي هذا دليل أن المؤمنين تنفعهم شفاعة بعضهم لِبَعْضٍ.

وقوله: ﴿فما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾.

منصوب على الحال.

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾، وقرئت مُسْتَنْفَرَةٌ، قال الشاعر: (١)

---

(١) يـريـد اتجهن الى غـرب، وهـو جبـل في بـلاد بني كلب ـ والبيت في اللسـان (نفـر) اربــط. وفي القرطبي ١٩/ ٨٧، ومعاني الفراء ٣/ ٢، ٢٠٦.

أَمْسَـــك حِمَــارَك انـــه مُسْتَـنفِـــرٌ   فـي إثـــر أحمـــرة عَمَـــدْن لِغُـــرَّبِ

وقوله :﴿فَرَّت مِنْ قَسْـوَرَةٍ﴾ .

القسورةُ الاسَدُ، وقيل أيْضاً القَسورَةُ الرُّمَاةُ الذين يَتَصَيَّدُونَها .

وقوله:﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُـم أَنْ يُؤْتَى صُحُفاً مُنَشَّرةً﴾ .

قيل كانوا يقولون: كان أمن أذنب من بني اسْرَائِيلَ يجد ذنبه مكتـوباً من غَدٍ عَلَى بَابِه فما بالنا لا تكون كذلـك. وَقَدْ جَـاءَ في القرآنِ تَفْسِيـرُ طَلَبِهِمْ في سورة بني اسرائيل في قوله :﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ﴾[1] .

وقوله:﴿هُوَأَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ المَغْفِرَةِ﴾ .

أَي هو أهل أَنْ يُتَّقَى عِقَابُه، وأهل أَنْ يُعمل بما يؤدي إلى مغفرته .

(١) سورة الإسراء الآية ٩٣.

سُورَةُ القِيَامَةِ
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل:﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللَّـوَّامَةِ﴾.

لا اختلاف بين الناس أن معناه أُقسِمُ بيوم القيـامَةِ، واختلفـوا في تفسير «لَا»، فقـال بعضهم «لا» لَغـوٌ وإن كـانت في أول السـورة، لأن القـرآن كله كالسُّورَةِ الـوَاحِدَةِ، لأنـه مُتَّصِلٌ بَعْضُـه بِبَعْضٍ فجعلت «لا» ههنا بمنـزلتها في قـوله :﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ﴾[(١)]، وقال بعض النحـويين: «لَا» رَدٌّ لِكَـلَامِهِمْ، كَأَنهم أنكروا البعث فقيل لا ليس الأمر كمـا ذَكَرْتُمْ أقسم بيـوم القيامـة وقولـه: ﴿إنكم مَبْعُـوثُـونَ﴾[(٢)]. دَلَّ على الجـواب.

قوله :﴿بَلَى قَـادِرِينَ﴾.

المعنى بلى لَنَجْمَعَنَّكُمْ قَـادِرِين، المعنى أقسم بيـوم القيـامـة والنفس اللَّوَّامَةِ لَنَجْمَعنَّها قَادِرِينَ عَلَى أن نُسَوِّيَ بَنَانَهُ.

وجـاء في التفسير بلى نقـدر على أن نجعله كخُفِّ البَعِيـرِ. والـدي هـو أشكل بجمع العِظَامِ بلى نَجْمَعُها قَادِرِينَ عَلَى تَسْوِيَةِ بَنَانِه على ما كانت، وإن قَلَّ عِظَامُهَا وَصَغُرت وبلغ مِنها البِلَى.

والنفس اللوامة تفسيرهـا أن كل نفس تلوم صـاحبها في الآخِـرَةِ إن كان عَمِلَ شرًّا لَامَتْه نفسه وان كان عمل خَيراً لامته على ترك الاستكثار منه.

---

(١) سورة الحديد / ٢٩.　　(٢) سورة هود /٧.

وقوله:﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾.

معناه أَنَه يُسوِّفُ بالتوبة، ويُقَدِّم الأعمال السَّيئَةَ، ويجوز ـ واللَّه أعلم ـ أن يكون معناه ليكفرَ بِمَا قُدَّامَهُ. ودليل ذلك قوله:﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ القيامةِ﴾.

فيفجر أمامه على هذا وهو ـ واللَّه أعلم ـ يُكَذِّبُ بما قُدَّامَه مِنَ البَعْثِ.

وقوله:﴿فإذا بَرِقَ البَصَرُ﴾.

ويقرأ ﴿بَرَقَ البَصَرُ﴾، فمن قرأ بَرِق فمعناه فَزِعَ وتَحَيَّرَ، وَمَن قَرأَ بَرَق فهو من بَرَقَ يَبْرُقُ. مِنْ بَرِيق العَيْنَيْنِ.

وقوله: ﴿وَخَسَفَ القَمَرُ﴾ أي ذَهَبَ ضَوْءُ القَمَرِ.

﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ﴾ أيْ جُمِعَا فِي ذَهَابِ نُورِهما.

﴿يقول الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ المفَرُّ﴾.

وَيُقْرَأُ أين المَفِرُّ ـ بكسر الفاء ـ فمن فتح فهو بمعنى أين الفِرَارُ، ومن كسر فعلى معنى أين مكان الفِرار، والمَفْعَلُ مِن مِثْل جَلَسْتُ بفتح العَيْنِ، وكذلك المصدر، تقول: جَلَسْتُ مَجْلَساً ـ بفتح اللام ـ بمعنى جُلُوساً، فإذا قلت جَلَسْتُ مَجْلِساً، فأنت تريد المكان.

ثم أعلم تعالى أنه لَا حِرْزَ لَهُم ولا مَحِيصَ فقال:﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾.

الوَزَرُ في كلام العَرَبِ الجَبَلُ الَّذِي يلجأ إليه: هذا أصله، وَكُلُّ ما التجأت إليه وَتَخَلَّصْتَ به فَهُوَ وَزَرٌ.

وقوله:﴿بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾.

معناه بل الإنسان تشهد عليه جوارحه، قال اللَّه عز وجل:﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَاكَانُوا يَعْمَلُون﴾[1]،وقال في موضع آخر:

(١) سورة النور / ٢٤.

﴿[حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا] شَهِدَ عَلَيْهِم سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]. فأعلم اللَّه أن هذه الجوارح التي يتصرفون بها شواهد عليهم.

قوله: ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ ولو أدلى بكل حُجَّةٍ عِنْدَهُ، وجاء في التفسير المعاذير السُّتُور، وَاحِدُها مِعْذار.

وقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾.

كان جبريل عليه السلام إذا نزل بالوحي على النبي ﷺ تلاه النبي عليه السلام عليه كراهة أَنْ يَنْفَلِتَ مِنْهُ، فأعلم اللَّه - عز وجل - أنه لا ينسيه إيَّاهُ وَأَنه يجمعه في قلبه فقال:

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾.

أي إن علينا أن نُقْرِئَكَ، فَلَا تَنْسَى، وعلينا تلاوته عليك.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرآنَهُ﴾.

أي لا تعجل بالتلاوة إلى أن تقرأ عليك مَا يُنْزَلُ فِي وَقْتِهِ.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾.

أي علينا أن ننزله قرآناً عربياً غير ذي عوج، فيه بيان للناس.

قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إلى رَبِهَا نَاظِرَةٌ﴾.

نُضِّرَت بِنَعِيمِ الجَنَّةِ والنَّظَرِ إلى رَبِّهَا، قال اللَّه - عز وجل -: ﴿تعرف في وُجُوهِهِمْ نَضرَةَ النَّعِيم﴾.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ، تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بها فَاقِرةٌ﴾.

﴿بَاسِرَة﴾ كريهةٌ مقطبة، قد أيقنت بأن العذاب نازل بها.

ومعنى: ﴿تَظُنُّ أَنْ يُفْعَل بها فاقِرةٌ﴾.

---

(١) سورة فصلت / ٢٠.

توقن أن يفعل بها داهية من العذاب.

وقوله: ﴿كَلَّا﴾: رَدْع وتنبيه، ومعناه ارْتَدِعُوا عما يؤدي إلى العذاب.

وقوله جل وعز: ﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾.

ذكرهم اللَّه بصعوبة أول أيام الآخرة عند بلوغ النَّفْس التَّرْقُوَةِ.

﴿وقيل مَنْ رَاقٍ﴾،

أي من يشفي من هـذه الحال، وهـذا - واللَّه أعلم - يقولـه القائـل عِنْـدَ البـأْسِ، أي من يَقْدِرَ أَنْ يـرْقِيَ مِنَ الموْتِ. وقيـل في التفسير: ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ مَن يَرْقَى بِرُوحِه أَمَلَائكةُ الرحمة أم ملائكة العذاب.

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الفِرَاقُ﴾.

أَيْ وَأَيْقَنَ الذي تَبلغ روحه إلى تراقيه أنه مفارق للدنيا.

﴿والتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ﴾.

عند الموت تلتصق السَّاق بالسَّاقِ قيل والتفت آخر شدة الدنيا بـأول شِدَّةِ الآخرة.

وقوله: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾.

يعنى به أبو جهل بن هشام. وجاء في التفسير أَنَّ لكل أَمَّةٍ فِرْعَوْنـاً، وأَن فِرْعَونَ هذه الأَمَّةِ أَبُو جَهْلٍ بن هشام.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِه يَتَمَطَّى﴾، معناه يتبختَر، مأخُوذٌ من المطا وهو الظهر.

وقوله: ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾.

معنـاه - واللَّه أعلم - وَلِيَكَ المكـروه يا أبـا جهل، والعـرب تقـول أولى لفلان إذا دعت عليه بالمكروه.

﴿أَيَحْسَبُ الانْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ .

أي أن يترك غير مَأْمُورٍ وغير مَنْهِيٍّ ، ثم دلهم على البعث بالقـدرة على الابتداء فقال :

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ تُمْنَى﴾ .

وقـرئت ﴿يُمْنَى﴾، فمن قرأ تمنى فللفظ النـطفـة، ومَنْ قـرأ يمنى فللفظ مَنِيّ .

﴿ثم كان عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى، فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ .

ثم قررهم فقال :

﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ .

سُورَةُ الانْسَانِ
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قـوله عـز وجل: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِيـنٌ مِنَ الـدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيئـاً مَذْكُوراً﴾.

المعنى ألم يأت عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ. وقد كان شيئاً إلاَّ أَنَّهُ كَانَ تُرَاباً وَطِيناً إلى أن نفخ فيه الروح فلم يكن قبـل نفخ الروح فيه شيئاً مَذْكُوراً، ويجوز أن يكون يعنى به جميع الناس، ويكون المعنى أنهم كانوا نُطَفاً ثم عَلَقاً ثم مُضَغاً إلى أن صاروا شيئاً مَذْكُوراً﴾.

ومعنى ﴿هَلْ أتى﴾ قد أتى على الانسـان، أي ألم يأت على الإِنْسَـانِ حين من الدهر.

وقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾.

﴿أمشـاج﴾ أخـلاط مَنِّي ودم، ثم ينقـل مِنْ حَـالٍ إلى حَـالٍ، وَوَاحِـدُ الأمشاج مَشَجٌ، ومعنى نبتليه نختبره يدل عليه: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾.

أي جعلناه كذلك لنختبره.

قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾.

معناه هديناه الطريق إما لِشَقوةٍ وإما لِسَعَادَةٍ.

وقوله:﴿سَلَاسِلَ وأَغْلَالاً وَسَعِيراً﴾.

الأجود في العربية الا يُصْرَف سَلَاسِلَ، ولكن لما جُعِلَتْ رَأْسَ آيَةٍ صرفت ليكون آخر الآي على لفظٍ وَاحدٍ.

قوله:﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾.

الأبرار واحدهم بَرٌّ.

﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً﴾.

يجوز في اللغة أن يكونَ طَعْمُ الطيب فيها والكَافُورِ، وجائز أن يمزج بالكافور فلا يكون في ذلك ضرر لأن أهل الجنة لا يمسهم فيما يأكلون ويشربون ضَررٌ ولا نَصَبٌ، والكأس في اللغة الإناء إذا كان فيه الشَّرَابُ، فإذا لم يكن فيه الشراب لم يسم كأساً، قال الشاعر(١):

صددت الكأس عنا أم عمر   وكان الكاس مجراها اليمينا

وقوله:﴿عيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾.

﴿عيناً﴾ جائز أن يكون من صفة الكأس، والأجود أن يكون المعنى من عَيْنٍ.

قوله:﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفجيراً﴾.

معناه تجري لهم تلك العينُ كما يُحِبُّون.

قوله: ﴿كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾: معناه يبلغ أقصى المبالغ فيه.

قوله:﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً﴾.

---

(١) لعمرو بن كلثوم من معلقته. البيت الخامس منها ـ ويروى صببت الكأس. أي صرفتها. انظر شرح الزوزني ص ١٢٠ (ط صبح).

هـذه الهاء تعـود على الطعـام، المعنى يطعمـون الطعـام أشد مـا تكون حاجتهم إليه للمسكين، وَوَصَفَهُم اللَّه بالأثرة عَلَى أَنْفُسِهِم.

﴿وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾.

الأسير قيل كان في ذلك الوقت من الكُفَّار، وقَـدْ مُدِحَ من يـطعم الأسير وهـو كافـرٌ، فكيف بأَسَـارَى المسلمين. وهـذا يـدل عَلَى أَنَّ في إطعـام أهـل الحبوس ثواباً جزيلا، وأَهْل الحبوس أُسَرَاء.

وقوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً﴾.

المعنى يقولون إنما نطعمكم لوجه اللَّه، أي لطلب ثواب اللَّه ـ عزوجل ـ وجـائـز أن يكونوا يطعمون ولا ينطقونَ هـذا القول ولكن معنـاهم في أطعَامِهم هـذا، فَتُرْجِمَ مَـا في قُلُوبِهِم، وكـذلـك: ﴿إِنَّا نَخَـافُ مِنْ رَبِّنَـا يَـوْمـاً عَبُـوسـاً قَمْطَرِيراً﴾.

العبوس الذي يُعَبِّسُ الـوُجُوهَ، وهـذا مثل قـوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِـذٍ باسِرَةٌ﴾. وقَمْـطَرِيراً، يقـال يوم قمـطرير ويـوْمٌ قُماطـر إذا كان شَـديداً غليـظاً، وجاء في التفسير أن قمطريرا معناه تَعْبسُ فَيجمَـعُ مَا بينَ العينين وهـذا سائـغ في اللغة، يقال اقمَطَرَّتْ النَّاقَةُ إذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وَرَمَتْ بأنفها.

وقوله: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكَ﴾.

واحـدتها أريكـة، وجـاء في التفسيـر أَنَّهَـا من الحِجَالُ فيها الفرش وفيهـا الأَسِرَّةُ. وفي اللغة أن كـل متكأ عليـه فَهُوَ أَرِيكَةٌ، ونصب ﴿متكئين﴾ على الحال المعنى وجزاهم جنة في حَالِ اتكائهم فيها. وكذلك: ﴿وَدَانِيَةً عليهم ظِلاَلُهَا﴾. وجـائز أن يكـون دانية نعتـاً للجنة، المعنى وجـزاهم جنة دانيـة عَلَيْهِمْ ظِلاَلُهَـا ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾.

هذا كقوله تعالى: ﴿قطوفها دانية﴾، وقيل كلما أرادوا أَنْ يَقْطَعُوا شيئاً منها ذُلِّلَ لَهُمْ، ودنا منهم قُعُوداً كانوا أَوْ مُضْطَجِعينَ أَوْ قِيَاماً.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاً، قَوَرِيرَا﴾.

قرئت غير مصروفة، وهذا الاختيار عند النحويين البصريين لأنَّ كل جمع يأتي بعد ألفه حرفان لا ينصرف. وقد فسرنا ذلك فيما سلف من الكتاب، ومَن قرأ قواريراً فصرف الأول فلأَنَّهُ رأسُ آية، وترك صرف الثاني لأنه ليس بآخرَ آية، ومن صرف الثاني اتبع اللَّفْظَ اللفظ، لأن العرب رُبَّما قَلَبَتْ إعراب الشيء ليتبع اللفظ اللفظ، فيقولون: هذا حُجْر ضَبٍّ خَرِبٍ، وإنما الخرب من نعت الحُجْرِ، فكيف بما يترك صرفه، وجميع ما يترك صرفه يجوز صرفه في الشِّعْرِ.

ومعنى ﴿قواريرَ مِنْ فَضَّةٍ﴾، أصل القوارير التي في الدنيا من الرمل، فأعلم اللّه أن فضل تلك القوارير أن أَصْلَها مِنْ فِضَّةٍ يرى من خارجها مَا فِي دَاخِلها

ومعنى: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً﴾.

أَي جُعِلَتْ بكون الإناء عَلى قَدْرِ ما يحتاجون إليه ويُرِيدُونَهُ، وَقُرِئَتْ قَدِّرُوهَا تَقْدِيراً. أي جعلت لهم على قدر إرادتهم.

﴿وَيُسْقَوْن فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً﴾.

أي يجمع طعم الزنجبيل، والعرب تصف الزنجبيل، وهو مستطاب عندها جداً قال الشاعر:[1].

كان القَرَنْفُلَ الزنجبيل بَأتَايِفِيهَا وَأَرْياً مَشُوراً

فجائز أن يكون طعم الزنجبيل فيها، وجائز أن يكون مزاجها وَلَا غائِلَةَ لَهُ كما قلنا في الكافور.

(١) الأعشى - وتقدم بعض من هذه القصيدة.

وقوله: ﴿عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً﴾.

المعنى يسقون عيناً، وسَلْسَبِيـل اسم العَيْن إلاَّ أنه صـرف لأنه رأس آية، وسَلْسَبيل في اللُّغَةِ صفَةٌ لما كان في غاية السلاسة، فكأن العين ـ واللَّه أعلم ـ سميت بصفتها.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾.

أي يخدمهم وصفاء مُخَلَّدونَ، وتأويل مخلَّدين أي لا يجـوز واحد منهم حَـدَّ الوَصَـافَـة أَبـداً هو وصيف، والعـرب تقول للرجـل الذي لا يشيبُ: هـو مُخَلَّدٌ. ويقال مُخَلَّدون مُجَلَّون عليهم الحُلَى، ويقال لجماعة الحلى الخَلَدَةُ.

وقوله: ﴿حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً﴾.

أي هم في حسن ألوانهم وصفائها كاللؤلؤ المنثور.

قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾.

جاء في التفسير أنه «ملكا كبيراً» أنهم تسلم عليهم الملائكة، وجَاء أَيضاً تستـأذن عليهم الملائكـة، وَثَمَّ يعنَى بـه الجنـة، والعـامـل في ثم مَعْنَى رَأَيْتَ، المعنى وَإِذَا رأيت ببصرك ثَمَّ، وقيل المعنى وإذا رأيت مَا ثَمَّ رَأَيتَ نَعِيماً وهذا غَلَطٌ لان ما موصولة بقوله ثَمَّ على هـذا التفسير ـ ولا يجـوز إسقاط المـوصول وترك الصلة، ولكن «رأيت» يتعدى في المعنَى إلى ثَمَّ.

وقوله: ﴿عَالِيْهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ﴾.

بإسكان الياء، وَقُرِئَتَ عَالِيَهُمْ ـ بفتح الياء ـ وقـرئت عَلَيْهم ـ بغير ألف ـ ثِيابُ سُنْدِسٍ. وهذه الثلاثة توافق المصحف وكلها حسن في العربيـة، وقـرئ على وجهين غير هذه الثلاثة. قرئت عَالِيَتُهمُ ثيابُ سُنْدِسٍ ـ بالرفـع والتأنيث ـ وَعَـالِيَتَهُمْ بالنَّصْبِ ـ وهـذا الوجهـان جيِّـدان في العـربيـة إلاَّ أَنَّهُمَـا يخـالفـان

المصحف، ولا أرى القراءة بهما، وقراء الأمصار ليس يَقْرَأُونَ بِهِمَا. فأما تفسير إسكان عَالِيهِمْ باسكان الياء، فيكون رفعه بالابتداء، ويكون خبره «ثياب سندس خُضر»، ومن نَصَبَ فقال: عَالِيَهُمْ بفتح الياء، فقال بعض النحويين إنه ينصبه على الظَّرْفِ، كما تقول فوقَهُم ثيابٌ، وهذا لا نعرفه في الظروف، ولو كان ظرفاً لم يَجُزْ إسكان الياء. ولكن نصبه على الحال من شيئين أحدهما من الهاء والميم، المعنى يطوف على الابرار ولدان مُخَلَّدُونَ عَالِياً الأَبْرَارَ ثيابُ سندس لأنه وقد وصف أحوالهم في الجنَّةِ، فيكون المعنى يطوف عليهم في هذه الحال هؤلاء. ويجوز أن يكون حالا من الولدان، المعنى إذا رَأَيْتَهُمْ حسبتهم لُؤلُؤاً منثوراً في حال علو الثياب إياهم، فالنصب على هذا بين. فأما «عَلَيْهِم ثياب سُنْدُسٍ» فرفع كقولك عليك مَالٌ فترفعُهُ بالابتداء، ويكون المعنى وثياب سندس عليهم. وتفسير نصب عاليتهم ورفعها كتفسير عاليهم.

والسندس الحرير. وقد قرئت خُضرٌ وخُضْرٍ، فمن قرأ﴿خُضرٌ﴾ فهو أحسن لأنه يكون نعتاً للثياب، فلفظ الثياب لفظ الجميع، وخُضْرٌ لفظها لفظ الجمع. ومن قرأ خُضْرٍ فهو من نعت السندس، والسُّنْدُسُ في المعنى راجع إلى الثياب، وقرئت ﴿وإسْتَبْرَقٌ﴾ وهو الدِّيبَاج الصَّفِيق الغليظ الخشن. وقرئت بالرفع والجر. فمن رفع فهو عطف على ثياب المعنى عليهم استبرق، ومن جر عطف على السندس، ويكون المعنى: عليهم ثياب من هذين النوعين ثياب سندس واستبرق. وقرئت واستبْرَقَ على وجهين غير هذين الوجهين، كلاهما ضَعِيف في العربية جدًّا، قرئت واستبرق وَحُلُّوا ـ بنصب استبرق ـ وهو في موضع الجر ولم يصرف، قرأها ابن مُحَيصِن، وزعموا أنه لم يصرفه لأن استبرق اسم أعجميٌّ، وأصله بالفارسية استبره، فلما حول إلى العربية لم يصرف وهذا غلط لأنه نكرةٌ ألا ترى أن الألف واللام يدخلانه، تقول: السندس والاستبرق. والوجه الثاني، وآستبرَق وَحُلُّوا ـ بطرح الألف ـ جعل الألف ألف

وصـل، وجعله مُسمًّى بالفعـل من البريق، وهـذا خطأ لأن الاستبـرق معـروف معلوم أنه اسم نُقِل من العجمية إلى العربية كما سمي الـديباج وهـو منقول من الفارسية.

قوله عز وجل:﴿وَسَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾.

جاء في التفسير أنهم إذا شربوه ضمِرَت بُطُونُهم وَرَشَحَتْ جُلُودَهم عرقـاً كرائحة المسك، وقيل إنه طهور ليس برجس كخمر الدنيا.

قوله:﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُم آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾.

أو ههنا أوكد من الواو، لأن الواو إذَا قُلتَ: لا تـطع زيداً وعَمـراً فأطـاع أحدهما كان غير عاص، لأنه أمره ألَّا يطيع الاثنين. فإذا قـالَ ولا تطع آثمـا أو كفورا فـ «أو» قد دلت على أنَّ كلَّ واحد منهما أهل لأن يعصى، وكمـا أنك إذا قلت: لا تخالف الحسن أو ابن سيرين، أو: اتبع الحسن او ابن سيرين، فقد قلت: هذان أهل ان يُتَّبَعَا، وكل واحد منهما أهلٌ وقد فسرنا مثـل هذا التفسيـر في غَيْرِ هذا الحرف في أول سورة البقرةِ في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهمُ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ ناراً﴾[١] إلى آخر الآية ـ وَبَعْدَ ذلك ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ منَ السَّمَاءِ﴾[٢] وتأويله مِثْلُهُم لأنك إنْ جَعَلْتَ مثلهم كمثل الـذي استوقـد ناراً، أو مَثَّلْتَهُم بـالصَّيب أَوْ بِهِمَا جميعاً فأنت مُصِيبٌ.

وقوله عز وجل:﴿واذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾.

الأصيلُ العَشِيُّ، يقال: قَدْ أَصَلْنَا إذا دخلوا في الأصيل، وهو العشِيُّ.

قوله:﴿نَحْنُ خَلَقناهم وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾.

﴿أسرهم﴾ خلقهم جاء في التفسير أيضاً مَفَاصِلُهُمْ.

(١) سورة البقرة /١٧.
(٢) سورة البقرة /١٩.

وقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

أي لستم تشاءون الا بمشيئة اللّه.

﴿والظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾.

نصب الظالمين لأن قبله مَنْصُوباً، المعنى يدخل من يشاء في رحمته ويعذبُ الظالمين أعدَّ لهم عَذَاباً أَليما، ويكون أَعدَّ لَهُمْ تفسيراً لهذَا المضمر، وقرئت «والظالمون» ولا أرى القراءة بها، من وجهين أحدهما خلاف المصحف، والآخر إن كانت تجوز في العربية على أن يرفع الظالمين بالابتداء، والذي بعد الظالمين خبر الابتداء، فإن الاختيار عند النحويين البصريين النصب، يقول النَحْوِيُونَ اعطيت زيداً وعَمْراً أَعَدَدْتُ له بُرًّا، فيختارون النصب على معنى وَبَرَرْتُ عَمراً وَأَبر عَمراً أعددت له بُرًّا، فلا يختارون للقرآن الاَّ أَجْوَد الوجوه، وهذا مع موافقة المصحف.

سورة المرسلات
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قال أبو إسحاق: قوله عزَّ وَجَلَّ: ﴿والْمُرْسَلَاتِ عُرْفاً﴾.

جاء في التفسير أنها الرِّيَاحُ أرسلت كعرف الفرس، وكذلك: ﴿فالعَاصِفَاتِ عَصْفاً، والنَّاشِرَاتِ نَشْراً﴾، الرياح تأتي بالمطر كما قال عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِه﴾.

وقوله: ﴿فالْفَارِقَاتِ فَرْقاً﴾.

يعنى به الملائكة جاءت بما يفرق بين الحق والبَاطِلِ، وكذلك ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكراً﴾.

يعنى الملائكة. وقيل في تفسير ﴿والمرسلات﴾ أنها الملائكة أرسلت بالمعروف، وقيل إنها لعرف الفرس. وقيل - ﴿فالعَاصِفَاتِ عَصْفاً﴾ الملائكة تعصف بروح الكافِر؛ والباقي إلى آخر الآيات يعنى به الملائكة أيضاً.

وفيه وجه ثالث، ﴿والمبرسلات عرفاً﴾ يعنى به الرسل، ﴿فالعَاصِفَاتِ عَصْفاً﴾ الرياح، ﴿فالناشرات نشراً﴾ الرياح، ﴿فالفارقات فرقاً﴾ على هذا التفسير الرسل أَيْضاً، وكذلك ﴿فالملقيات ذِكراً﴾.

وهذه كلها مجرورة على جهة القسم، وجواب القسم ﴿إِنَّ مَا تُوعَدون

لَـواقِعٌ﴾؛ وقال بعض أهل اللغة: المعنى ورب المرسلات، وهذه الأشياء كما قال: ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق﴾.

وقرئت عَرْفاً وَعُرفاً والمعنى واحد في العرف والعرف.

وقوله: ﴿ عُذْراً أَو نُذْراً ﴾.

وقرئت عُذُراً أَو نُذُراً. فمعناهما المصدَرُ، والعذْرُ والعُذارُ بمعنى وَاحِدٍ، ونصب ﴿عذراً أو نذراً﴾ على ضربين أحدهما مفعول على البـدل من قولـه ذِكراً، المعنى فالملقيات عذراً أو نُذْراً، ويكون نصباً بِذِكراً، فـالمعنى فالملقيـات أن ذكرت عذراً ونذراً.

ويجوز أن يكون نصب عُذْراً أَو نُذْراً على المفعـول له، فيكـون المعنى فالملقيات ذكراً للاعذار والانذار.

وقوله: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾: معناه أُذْهِبَتْ وغُطِّيَتْ.

﴿وإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴾.

معناه شُقَّت كما قال عز وجل: ﴿إذا السماء انشقت﴾[1].

﴿وإِذَا الجِبَالُ نُسِفَتْ﴾.

ذهب بهـا كلهـا بسـرعـة، يقـال انتسفت الشيء إذَا أَخذته كله بسرعة.

﴿ وإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾.

وقرئت وقتت بالـواو، والمعنى واحد، فمن قـرأ أقتـت بالهمز فإنـه أبدل الهمزة من الواو لانضمام الواو، فكل واو انضمت وكانت ضمتها لازمةً جاز أن تبدل منها همزة، ومعنى وقتت جعل لها وقت وأجل.

قوله: ﴿لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾.

---

(١) أول سورة الانشقاق.

ثم بَيَّنَ فقال: ﴿لِيَوْمِ الفَصْلِ﴾: أي أُجِّلَتْ القضاء فيما بينها وبين الأمم ليوم الفصل.

قوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ للمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿وَيْلٌ﴾ مرفوع بالابتداء. و ﴿للمكذبين﴾ الخبر، ويجوز في العربية وَيْلاً يَوْمَئِذٍ ولا يجيزه القراء لمخالفة المصحف.

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلين، ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخَرِينَ﴾.

على الاستئناف، ويقرأ ثم نتبعْهم ـ بالجزم ـ عطف على نهلك، ويكون المعنى ألم نهلك الأولين أي أَوَّلاً وَآخِراً. ومن رفع فعلى معنى ثم نُتبع الأول الآخر من كل مجرم.

قوله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بالمُجْرِمِينَ﴾.

موضع الكاف نصب، المعنى مثل ذلك نفعل بالمجرمين.

قوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتاً أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً﴾.

﴿كفاتاً﴾ ذات جمع، المعنى تضمهم أحياء على ظُهُورِها، وأمواتاً في بطنها، و﴿أحياء﴾ منصوب بقوله ﴿كِفَاتَاً﴾، يقال كفت الشيء أكفته إذا جمعته وضممته.

﴿وَجَعَلْنَا فيها رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾.

أي جبالاً ثوابت، يقال رسا الشيء يَرْسُو إذَا ثبت، وشامخات مرتفعات.

﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتاً﴾، أي عَذْباً.

قوله: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

يعنى النار لأنهم كذَّبوا بالبعث والنشور والجنة والنار.

﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ﴾.

يعنى بالظل ههنا دُخَانُ جَهَنَّمَ، ثم أعلم عز وجل أنه ليس بظليل ولا يدفع من لهب النار شيئاً فقال: ﴿لاَ ظَلِيلٍ وَلاَ يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ. إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾.

جاء في التفسير أنه القصرُ مِنْ هذِه القُصُورِ، وقيل القصر جمع قصرةٍ، وهو الغليظ من الشجر، وقرئت كالقَصَرِ ـ بفتح الصاد ـ جمع قصرة أي كأنها أعناق الإِبِلِ.

وقوله: ﴿كأنه جِمَالاَتٌ صُفْرٌ﴾.

يقرأ جِمَالاتٌ وجمالاتٌ، ـ بضم الجيم وكسرها ـ يُعْنَى أن الشرر كالجمال السُّودِ، يقال للابل التي هي سود تضرب إلى الصُّفْرَةِ: إبل صُفْرٌ، فمن قرأ جمالات بالكسر فهو جمع جِمَال، كما تقول بُيُوتٌ وبيوتاتٌ وهو جمع الجمع، ومن قرأ جُمَالاتٌ بالضم فهو جمع جمالة، وهو القَلْسُ من قلوس سفن البحر، ويقال كالقَلْسِ من قلوس الجسر، ويجوز أن يكون جمع جَمَلٍ وجمالٍ وجمالات، كما قيل رجال جمع رجل، وقرئت جِمَالَةٌ صُفْرٌ على جمع جمل وجمالة كما قيل حجر وحجارة، وَذَكَر وذِكارة، وقرئت جماله صُفْرٌ على ما فسّرنا في جُمَالاَت.

وقوله: ﴿هَـذَا يَوْمُ لاَ يَنْطِقُونَ، وَلاَ يُـؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾.

يوم القيامة له مواطن ومواقيتُ، فهذا من المواقيت التي لا يتكلمون فيها.

وقوله: ﴿هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ﴾.

أي هذا يوم يفصل فيه بين أهل الجنة والنار وأهل الحق والبَاطِلِ.

وقوله: ﴿كُلُوا واشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

ههنا إضمار القول، المعنى أن المتقين في ظلال وعُيُونٍ وفواكه مِمَّا يَشْتَهُونَ يقال لهم: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون﴾.

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾.

إذا أمروا بالصَّلَاةِ لَمْ يُصَلُّوا.

وقوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾.

أي فبأي حديث بعد القرآن الذي أتاهم فيه البيان وأَنَّهُ مُعْجِزَةٌ وهو آية قائمة، دليلة على الاسلام مما جاء به النبي عليه السلام.

سُورَةُ النبَأ
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل :﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ .

أصله عن ما يتساءلون. فأدْغمت النون في الميم، لأن الميم تشرك النُّونَ في الغُنَّةِ في الأنف، وقد فسرنا لم حذفت الألف فيما مضى من الكتاب، والمعنى عن أي شيء يتساءلون، فاللفظ لفظ الاستفهام، والمعنى تفخيم القصة كما تقول: أي شيء زَيْدٌ. ثم بيَّن فقال:

﴿عَنِ النَّبَأِ العَظِيم﴾ .

قيل هو القرآنَ، وقيل عن البعث، وقيل عن أمر النبي ﷺ. والذي يدل عليه قوله:﴿إنَّ يَوْمَ الفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً﴾يدل على أنهم كانوا يَتساءلون عن البعث.

وقوله:﴿كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ﴾ .

وقرئت: كلا ستعلمون بالتاء، والَّذي عليه القراء: كلا سيعلمون بالياء، وهو أجود، والتاء تروى عَنِ الحَسنِ.

وقوله:﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً﴾ .

وقرئت مَهْداً، وأكثر القراء يقرأونها مِهاداً، والمعنى واحد وتأويله إنّا ذللناها لهم حتى سكنوها وساروا في مناكبها.

وقوله: ﴿وَخَلقناكم أزواجاً﴾.

خلق الذَّكَرَ والأنثى، وقيل أزواجاً أي ألواناً.

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً﴾.

والسُّبَاتُ أن ينْقطع عن الحركة والروحُ في بدنه، أي جعلنا نومكم راحة لكم،

﴿وجعلنا الليل لِبَاساً﴾، أي تسكنون فيه وهو مشتمل عليكم

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً﴾: أي سبعَ سمواتٍ.

﴿وجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً﴾.

أي جعلنا فيها الشمس سراجاً، وتأويل ﴿وهَّاجاً﴾ وَقَّاداً.

﴿وأَنْزَلْنَا مِنَ المُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً﴾.

المعصرات السحائب لأنها تعصر الماء وقيل المعصراتِ كما يقال: قد أَجَزَّ الزَّرْعُ فهو مُجَزٌّ إذا صار إلى أن يمطر. وقد أَعْصَر، ومعنى ثجاج صباب.

﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتاً﴾.

كل ما حصد فهو حَبٌّ، وكل ما أكلته الماشية من الكلأ فهو نَبَاتٌ.

﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً﴾.

أي وبساتين ملتفة، فأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ ما خلق وأنه قادِرٌ على البعث فقال:

﴿إنَّ يَوْمَ الفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً﴾.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ في الصُّورِ﴾ بدل من يوم الفصل، إن شئت كان مُفسِّراً ليوم الفصلِ. وقد فسرنا الصور فيما مضى.

﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً﴾: أي تأتي كل أمة مع إمَامِهِمْ.

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً﴾، أي تشققت كما قال عز وجل: ﴿إذا السماء انفطرت﴾[1] ﴿إذا السماء انشقت﴾[2].

وقوله: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً. [للطَّاغِينَ مَآباً]﴾.

أي يَرْصُدُ أَهلَ الكفر ومن حق عليه العذاب.

تكاد تميز من الغيظ، فلا يجاوزها من حقت عليه كلمة العذاب.

ومعنى «مآباً» إليها يرجعون.

وقوله: ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً﴾.

وَلَبِثِينَ، يقال: لبث الرَّجل فهو لابث، ويقال: هو لبث بمكان كذا أي صار اللبث شَأْنَهُ[3]. والأحقاب واحدها حُقْب، والحقب ثمانون سنة، كل سنة اثنا عشر شهراً، وكل شهر ثلاثون يوماً، وكل يوم مقداره ألف سنة من سني الدنيا، والمعنى أنهم يلبثون أحقاباً لَا يَذُوقُون في الأحقاب برداً ولا شراباً، وهم خالدون في النار أبداً كما قال عز وجل: ﴿خَالدين فيها أبداً﴾.

ومعنى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً﴾.

قيل نوماً، وجائز أن يكون لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدَ رِيحٍ وَلَا ظِلٍّ وَلَا نَوْمٍ.

﴿إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً﴾.

أي لا يذوقون فيها إلَّا حميماً وهو في غاية الحرارة.

---

(١) أول سورة الانفطار.

(٢) أول سورة الانشقاق، وفي الأصل «فإذا» وهو خطأ.

(٣) لبثَ كسمع ـ لازم ـ مصدره اللَّبْثُ بفتح اللام. وبضم، وفتح الباء فيقال اللبَثُ، واللِّبَاث، واللُّبَاث، بكسر وضم اللام. وهي مصادر شاذة لأن مصدر اللازم المكسور العين يكون على فعل ـ مثل فَرَح، واسم الفاعل لابث ولَبِثٌ ـ كفرح ـ وألبثه ولبَّثه، واللُّبثة التوقف كالتلبث.

والغَسَّاقُ: قيل ما يَغْسِقُ من جُلُودهم، أي يسيل، وقيل: الغسَّاق الشديد البَرْدِ.

﴿جَزَاءً وِفَاقاً﴾.

أي جُوزُوا وَفْق أعمالهم.

﴿إِنَّهُم كانُوا لاَ يَرْجُونَ حِسَاباً ﴾.

أي لا يؤمنون بالبعث وَلاَ يَأَنَّهُمْ يُحَاسَبُونَ، ويرجون ثواب حساب[1].

﴿وَكَذَّبُوا بآيَاتِنَا كِذَّاباً ﴾.

هذا أكثر القراءة، وَقَدْ قُرِئَتْ كذَاباً بالتخفيف، وكذَّابا بالتَّشْدِيدِ أكثر، وهو في مصادر فعَّلْتُ أجود من فِعَالٍ، قال الشاعر:

لقد طال مَا رَيَّثَتِنِي عن صحابتي   وعن حِوَج قَضَّاؤُها من شفائِيا[2]

من قضَّيت قضَّاء. ، ومثل كِذَاباً ـ بالتخفيف قول الشاعر[3]:

فصدقتها وكذبتها   والمرء ينفعه كذابه

وقوله:﴿وَكُلَّ شَيءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً ﴾.

﴿وكُلَّ﴾ منصوب، بفعل مُضْمَرٍتفسيره أَحْصَيْنَاهُ كتاباً، المعنى وأَحصينا كل شيء أحْصَيْناه، وقوله ﴿كِتاباً﴾ توكيد لقوله أُحْصَيْنَاهُ لأن معنى أُحْصَيْنَاه وكتبناه فيما يحصل ويثبت واحد، فالمعنى كتبناه كتاباً[4].

وقوله ـ جل وعز: ـ ﴿وَكَأْساً دِهَاقاً﴾.

---

(١) أي تقدير الآية لا يرجون ثواب حساب ـ فهناك مضاف محذوف.

(٢) البيت في اللسان (حوج) كذب.

(٣) للأعشى ـ اللسان (صدق)

(٤) التقدير كما ترى ـ والأقرب أحصيناه في كتاب، أو أودعناه.

قال أبو إسحاق: الكأس كل إناء فيه شرابٌ فهو كأس، فإذا لم يكن فيه شراب فليس بكأسٍ، وكذلك المائدة: ما كان عليها من الأخونة طعام فهو مائدة،ومعنى دهاقاً مليء، وجاء في التفسير أَيْضاً أنها صافية، قال الشاعر[(١)]:

يَلَذُّهُ بِكَأْسِهِ الدِّهَاقِ

وقوله: ﴿ جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ ﴾.

منصوب بمعنى ﴿إنَّ للمتقين مَفَازاً﴾، المعنى جاز اهم بذلك جزاء، وكذلك ﴿عَطَاءً حِسَاباً﴾، لأن معنى أعطاهم وجزاهم وَاحِدٌ. وحِسَاباً معناه ما يكفيهم، أي فيه ما يشتهون. يقال: أَحْسَبَنِي كذا وكذا بمعنى كفاني.

وقوله: ﴿رَبِّ السَّمواتِ والأَرْضِ ﴾.

قرئت بالجر على الصفة من قوله: «مِنْ رَبِّكَ» رَبِّ، وقرئت «ربُّ» على معنى هو رَبُّ السَّمَواتِ والأَرْضِ، وكذلك قرئت ﴿الرحمنُ﴾ لا يملكون منه خطاباً - بالجرّ والرفع. وتفسيرها تفسير رَبِّ السموات والأرض.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلاَئِكَةُ صَفًّا ﴾.

﴿الروح﴾ خلق كالإنس، وليس هو «أنس»، وقيل: الروح جبريل عليه السلام.

وقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّه مآباً﴾، أي مَرْجعاً.

وقوله: ﴿وَيَقُولُ الكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً ﴾.

جاء في التفسير أنه إذا كان يوم القيامة اقتُصَّ للجَمَّاءِ مِنَ القَرْناء. والجماء

---

(١) اللسان (دهق).

التي لا قرن لها. ثم يجعل اللّه تعالى الجميع تراباً، وذَلِك التُّرابُ هو القترة التي تَرْهَقُ وجوهَ الكفاروتعلووجوههم، فيتمنى الكافر أن يكون تُرَاباً. وقد قيل: إن معنى ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً﴾. أي ليتني لم أبعث، كما قال: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾(١).

(١) سورة الحاقة. / ٢٥.

سُورةُ النَّازِعَاتِ
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿والنَّازِعَاتِ غَرْقاً، والنَّاشِطَاتِ نَشْطاً﴾.

قيل في التفسير يعنى به الملائكةُ تنزِعُ روحَ الكَافِرِ وتنشطها فيشتد عليه أمرُ خروج نَفْسِه.

وقوله: ﴿والسَّابِحَاتِ سَبْحاً، فالسَّابِقَاتِ سَبْقاً﴾.

أرواح المؤمنين تخرج بسهولةٍ.

وقيل: ﴿والنَّازِعَاتِ غَرْقاً﴾ القسِيُّ، ﴿والنَاشِطَاتِ نَشْطَاً﴾ الأوْهَاقُ[1] ﴿والسَّابِحَاتِ سَبْحاً﴾ السُّفُنُ، ﴿فالسَّابِقَاتِ سَبْقَاً﴾ الخيل.

﴿[فَالمدَبِّراتِ أَمْراً]﴾.

والمدبرات أمراً الملائِكَةُ، جبريل وميكائيل وإسرافيل وملَكُ الموْتِ فجبريل بالوحي والتنزيل وميكائيل بالقطر والنبات، وإسرافيل للصُّورِ وملك الموت لقبض الأرْوَاحِ.

وقيل: ﴿والنازِعات غَرْقاً﴾: النجوم تنزع من مَكَانٍ إلى مكانٍ وكذلك ﴿والسَّابِحَاتِ سَبْحَاً﴾ النجوم تسبح في الفلك كما قال: ﴿وَكُلٌّ في فَلَكٍ

(١) جمع وهق. الأربطة والقيود.

يَسْبَحُونَ﴾(١)، وكذلك فالسـابقات سبقـاً فأمـا المدبـرات أمراً فالملائكةُ، وقيل ﴿فالسَّابِقَاتِ سَبْقاً﴾ الملائكة تسبق الشياطينَ بالوَحْي إلى الأنبياء كل هذا جـاء في التفسير واللَّه أعلم بحقيقة ذلك.

وقوله:﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ، تتبعها الرَّادِفَةُ﴾.

ترجف تتحرك حركة شديدة، وقيل: الراجفـة النفخة الأولى التي تمـوت معها جميع الخلق.

وَقَوْلَهُ: ﴿ تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ ﴾.

قيل النفخة الثانية التي تبعث معهـا الخلق، وهو كقـوله [تعالى]:﴿وَنُفِخَ فِي الصُّـورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَواتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلاَّ مَنْ شَـاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾(٢).

و﴿يَوْمَ﴾ منصوب على معنى قُلُوبٌ يـومَئِذٍ واجفـة يومَ تَـرْجُفُ الراجفـة، ومعنى واجفة شديدة الاضطراب.

﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾: ذليلة.

وجواب والنازعات ـ واللَّه أعلم ـ محذوفٌ، والمعنى كـأنه أَقْسَمَ فقـال: وهَذِه الاشْياء لَتُبْعثنَّ، والدَّلِيلُ عَلَى ذَلكَ قوله:

﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الحَافِرَةِ﴾.

أي إنـا نرد في الحيـاة بعد المـوت إذا كنا عـظاماً نَخِرةً، أي نُردُّ ونبعث. ويقـال: رجع فـلان في حافـرته إذا رجـع في الطريق الـذي جاء فيـه، وقرئت نخرة، و «ناخِرةً» اكثر في القراءة وأجود لشبه آخِرِ الآي بعضها ببعض؛ الحافرة

---

(١) سورة يس الآية ٤٠، وانظر سورة الانبياء ٣٣.

(٢) سورة الزمر الآية ٦٨.

وناخرة وخاسرة. ونخرة جَيِّدةٌ أيضاً، يقال: نخر العظم يَنْخَرُ فهو نخِر مثل عَفِنَ الشيءُ يعْفَنُ فهو عَفِنٌ. وَنَاخِرة على معنى عظاماً فارغة يصير فيهـا من هبوب الريح كالنخير، ويجوز ناخرة كما تقول: بَلِيَ الشيء وبليت العظام فهي بَالِيةٌ.

﴿ قالُوا تِلْكَ إذَنْ كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾.

أي هذه الكرة كرة خُسْران، والمعنى أهلها خاسرونَ، ثم أَعْلَمَ عز وجل سهولة البعث عليه فقال:

﴿فَإنَّما هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾.

والساهرة وجه الأرض.

وقوله: ﴿بِالوَادِي المقُدَّسِ طُوًى﴾.

أي المبـارك، وقرئت «طُـوَى اذْهَبْ» ـ غَيْرَ مَصْـرُوفَـةٍ ـ وطُـوًى منـونَـةً، وقـرئت طِوًى بكسـر الطاء. وطُـوًى اسم الوادي الـذي كلم اللَّه عليه مـوسى، فمن صرفه فهو بمنزلة نُغَر وَصُرَدِ[١] إذا سميت به مذكراً، ومن لم يصـرفه فهـو على ضربين أحدهما أَنْ يكون اسمَ البقعـة التي هي مشتملة على الوادي، كمـا قال: ﴿في البقعة المباركة من الشجرَةِ ﴾ وَقِيلَ إنَّه مُنِعَ الصَّرْفَ لأنـه معدول نحـو عُمَر، فكأن طوى عُدِلَ عَنْ طاوٍ كما أَنَّ عُمـرَ عُدِلَ عَنْ عَـامِر، ومن قـال طِوى بالكسر فعلى معنى المقدَّس مرَّةً بعد مَرَّةٍ، كما قال طرفة بن العَبْد[٢]:

أَعـاذل إن الـلومَ في غـيـر كنـهـه عَـلَيَّ طِـوًى من غـيـك المتـرَدِّدِ

أي إنّ اللوْمَ المكرُورَ عَلَيَّ.

وقوله: ﴿فَأَرَاهُ الآيَةَ الكُبْرَى ﴾.

---

(١) النغر فراخ العصافير واحدها نغرة.

(٢) البيت لعدي بن زيد ـ كما في اللسان (طوى).

يعنى أنه اليدُ التي أخرجها تتلألأ من غير سوءٍ.

قوله عز وجل: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى﴾.

﴿نكالَ﴾ منصوب مصدر مؤكدٌ لأنَّ معنى أخـذه اللَّه نَكَّلَ بِـهِ نكالَ الآخـرةِ والأولى أي أغرقه في الدنيا ويعذبه في الآخرة.

وجاء في التفسير أن ﴿نَكَـالَ الآخرةِ والأُولَى﴾ نكـال قولـه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلَـهٍ غَيْرِي﴾[1]، وقـوله: ﴿أَنـا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾. فنكـل اللَّه بـه نكـال هاتين الكلمتين.

قوله: ﴿أَمِ السَّمَـاءُ بَنَاهَـا﴾.

قال بعض النحويين: «بنـاها» من صلة السَّمَـاءِ، المعنى أم التي بناهـا، وقال قوم: السماء ليس مِمَّا يـوصل، ولكن المعنى أأنتم أشـد خلقاً أم السمـاء أَشَـدُّ خَلْقاً. ثم بين كيف خلقهـا فقال: ﴿بَنَاهَـا رَفَـعَ سَمْكَهَا فَسَـوَّاهَا، وأَغْطَشَ لَيْلَهَـا﴾. أي أَظْلَمَ لَيْلَهـا.

﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَـا﴾: أظهر نورها بالشمس.

وقوله: ﴿والأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾.

القراءة على نصب الأرض، على معنى: ودحا الأرض بعد ذلك، وفسـر هذا المضمر فقال دحاها، كما تقول: ضربت زيدا وعمرا اكـرمته، وقـد قرئت والأرْضُ بعد ذلك دحاها على الرفع بـالابتداء، والنصب أجـودُ، لأنك تعـطف بفعـل على فعل أحسن، فيكـون على معنى بناهـا. وفعَل وفَعَـل ودَحَا الأرض بعد ذلك.

قوله: ﴿ والْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾.

---

(١) سورة القصص الآية ٣٨.

تفسير نصب الجبال كتفسير نصب الأرض، وكذلك يجوز الرفع، وق قرئ به في الجبال على تفسير والأرض، ومعنى أَرْسَاهَا أثبتَهَا.

وقوله: ﴿مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾.

نصب ﴿متاعاً لكم﴾ بمعنى قوله أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا للإمتاع لكم، لأن معنى أخرج منها ماءها ومرعاها أمتع بذلك.

وقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الكُبْرَى﴾.

إذا جاءت الصيحة التي تَطُمُّ كلَّ شيء، الصَّيْحة التي يقع معها البعث والحساب والعقاب والعذاب والرحمة.

وقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى، وآثَرَ الحيَاةَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الجَحِيمَ هِيَ المَأْوَى﴾.

هذا جواب فإذا جاءت الطامة الكبرى، فإن الأمر كذلك، ومعنى هي المأوى أي هي المأوى له، وقال قوم: الألف واللام بَدَلٌ من الهاء، المعنى فهي مأواه لأن الألف واللام بدل من الهاء، وهذا كما تقول للانسان: غُضَّ الطرفَ يا هَذَا. فلابس الألف واللام بدلا من الكاف وان كان المعنى غضَّ طَرْفَكَ لأن المخاطب يعلم أنك لا تأمره بغض طرف غيره، قال الشاعر:

فغض الطرف انك من نُمَيْرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كِلَابا[1]

وكذلك معنى ﴿فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى﴾ على ذلك التفسير.

وقوله: ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾.

معناه متى وقوعها وقيامها، ومعنى ﴿إلى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾، اي منتهى علمها.

---

(١) من قصيدة جرير في هجاء الراعي وقبيلته. وجاء جزء منها في شواهد المغني ص ٢٥٨ وهذا البيت من الأبيات الموجعة السائرة.

وقوله: ﴿إنّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾.

وقرئت «منذرٌ» بالتنوين على معنى إنما أنت في حال إنذار من يخشاها وتنذر أيضاً فيما يستقبل من يخشاها، ومُفْعِل وفاعِلٌ إذا كان واحد منهما ومما كان في معناهما لما يستقبل وللحال نونته لأنه يكون بَدَلاً من الفعل، والفعل لا يكون الا نكرة. وقد يجوز حذف التنوين على الاستخفاف، والمعنى معنى ثبوته يعني ثبوت التنوين، فإذا كان لما مضى فهو غير مُنَوَّنٍ البتّةَ، تقول: أنت منذرٌ زيداً، أي أنت أنذرت زيداً.

وقوله: ﴿إلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾.

هذه الألف والهاء عائدة على عشية، المعنى إلاَّ عشية أو ضحاها، أوضحى العشية، فأضفت الضحى إلى العشية، والغداة والعَشِيُّ والضحوة والضحى لليوم الذي يكون فيه، فإذا قلت أتيتك صباحاً ومساءه، أو مساء وصَباحَه، فالمعنى أتيتك صباحاً ومساء يلي الصباح، وأتيتك مساء وصَبَاحاً يلي المساء.

سورة عَبَسَ
مكية

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

قوله :﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ، أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى﴾ .

أن في موضع نصب مفعول له ، المعنى لِأَن جاءه الاعمى .

وهذه الآيات وما بعدها إلى قوله ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾[1] نزلت في عبد اللّٰه ابن أُمِّ مكتوم . كان صار إلى النبي ﷺ والنبي يدعو بعض أشراف قريش إلى الاسلام رجاء أن يسلم باسلامه غيره ، فتشَاغَل ـ عليه السلام ـ بدعائه عن الاقبال على عبد اللّٰه بن أم مكتوم ، فأمره اللّٰه الا يتشاغَلَ عن الإقبالِ على أَحَدٍ من المسلمين بغيره ، فقال : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ، أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعلَّه يَزَّكَّى أو يَذَّكَّرُ فَتنفعُهُ الذِّكْرَى﴾ .

ويُقْرَأُ فَتَنْفَعه الـذِّكرى . فمن نصب فعلى جواب «لَعَلَّ» ومن رفع فعلى العطف على يزَّكىَّ .

وقوله : ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ .

أي أنت تقبل عليه ، ويقرأ تَصَّدَّى ، فمن قرأ تَصَدَّى ـ بتخفيفِ الصَّاد ـ فالأصل تَتَصَدَّى ، ولكن حذفت التاء الثانية لاجتماع تاءين ، ومن قرأ تَصَّدَّى

(١) بقيتها :﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ، أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى ، وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ .

بـإدغام التـاء، فالمعنى أيضـا تتَصَدَّى، إلاَّ أن التـاء أدغمت في الصـاد لقـرب المخرجين ـ مخرج التاء مِنَ الصَّادِ.

وقوله: ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى ﴾.

أي أي شيء عليك أن لا يسلم من تَدْعُوه إلى الإسلام.

وقـوله: ﴿فَـأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ معنـاه تَتَشَاغَـلُ، يقـال: لَهيت عن الشيء ألهى عنه إذا تشاغلت عنه.

وقوله:﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾.

يعني به هذه الموعظة التي وعظ اللَّه بها النبي عليه السلام.

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكرَهُ﴾.

ذُكِّـرَ لأن المـوعـظة والـوعظ واحـد، والمعنى راجـع إلى حَمَلَةِ القُـرآنِ المعنى فمن شـاء أن يذكـره ذكـره. ثم أخبـر جـل وعـزَّ أن الكتـابَ في اللوح المحفوظ عنده، فقال: ﴿في صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرة بِأَيْدي سَفَرَةٍ ﴾.

والسَّفَرَةُ الكتبة، يعني به الملائكـة، واحدهم سَـافِر وَسَفَـرة مثل كـاتب وكتبة، وكافر وكفرة، وَإِنَّما قيل للكتّاب سَفَرة، وللكاتب سـافِر، لأن مَعْنَـاه أنه يبَيِّن الشَّيءَ وَيُوَضِّحُه، يقال أَسْفَرَ الصُّبْحُ إذَا أضاء، وسفرت المرأة إذا كشفت النقاب عن وَجْهِهَا، ومنه: سَفَرت بين القوم أي كشفت قلب هذا وقلـب هـذا لأصلح بينهم.

وقوله: ﴿بَرَرَةٌ﴾: جمع بارّ.

وقوله:﴿قُتِلَ الإنْسَانُ ما أَكْفَرَه ﴾.

يكـون على جهة لفظ التعجُّب، ويكـون التَّعَجُّب مِمَّا يُؤمَـرُ بِهِ الآدَمِيُّـونَ

ويكـون المعنى كقـولـه: ﴿فمـا أصبـرهم على النـار﴾[1] أي اعْجَبُـوا أنتم من كُفْـرِ الإِنْسَانِ، ويجـوز على معنى التوبيـخ ولفظه لفظ الاستفهـــام، أيْ أيُّ شيء اكفَرَهُ. ثم بَيَّن مِن أَمْره مـا كان ينبغي أن يُعْلَمَ مَعَـهُ أن اللّه خَالِقُـه، وأنه وَاحِدٌ فقال:

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾.

على لفظ الاستفهام، ومعناه التقرير ثم بيَّن فقال:

﴿من نُطْفَةٍ خَلَقَه فَقَدَّرَهُ﴾.

المعنى فقدّره على الاستواء كمـا قال عـز وجلٍ: أَكَفَـرتَ بالَّـذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ ﴿مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾[2].

وقوله: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾، أي هداه السبيل إمَّا شاكراً وأما كفُوراً.

وقوله: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾.

معنى أقبره جعل له قَبراً يوارى فيه، يقال أَقْبَرْتُ فُلَاناً، جعلت لـه قبراً، وقبرت فلاناً دفنته فأنا قابِرُهُ، قال الشاعر:[3]

لَـوْ أَسْنَـدَتْ مَيْتـاً إلى نَـحْـرِهَـا   عَـاشَ ولـم يُـنْـقَـلْ إلَـى قَـابِـرِ

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ إذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾.

معنـاه بعثه، يقـال: أنشر اللّهُ المَـوْتَى، وَنَشِرُوا، فـالـواحـد نَـاشِـر قـال الشاعر:[4].

حـتـى يـقـول الـنـاس مـمـا رَأَوْا   يـا عـجـبـاً لـلمـيـت الـنَّـاشـر

---

(١) سورة البقرة الآية / ١٧٥. (٢) سورة الكهف /٣٧.

(٣) من قصيدة للأعشى في هجاء علقمة بن علاثة ـ في ديوانه ١٠٥ والطبري ٣١/٣٠.

(٤) من القصيدة نفسها بعد البيت السابق.

وقوله:﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾.

أي فلينظر الانسان كيف خلق اللّٰه طعامه وطعام جميع الحيوان الذي جعله اللّٰه سبباً لحياتِهِمْ.

﴿إِنَّا صَبَبْنَا المَاءَ صَبًّا﴾.

ويقرأ ﴿أَنَّا صببنا﴾، فمن قرأ «إِنَّا» فعلى الابتداء والاستئناف ومن قرأ «أَنَّا» فعلى البدل من الطَّعَامِ، ويكون إنا في موضع جَرٍّ، المعنى فلينظر الانسان إلى إنا صببنا الماء صَبًّا.

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الأرضَ شَقًّا﴾.

أي بالنبات.

﴿فَأنبتنا فيها حَبًّا﴾،والحبُّ كل ما حُصِدَ، كالحنطة والشعير وكل ما يتغَذى به من ذي حَبٍّ. والقضب الرَّطْبة.

﴿وَحَدَائِقَ غُلْبَاً﴾.

حدائق واحدتها حديقة، وهي البساتين، والشجر الملتف، قوله ﴿غُلْباً﴾ معناه مُتَكاثِفَة عِظامٌ.

﴿وفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾.

الأب جميع الكلأ الذي تعتلفه الماشيةُ، وذكر اللّٰه عز وجل من آياته ما يدل على وحدانيته في إنشاء ما يغذو جميع الحيوان.

وقوله:﴿مَتَاعاً لَكُمْ ولِأَنْعَامِكُمْ﴾.

منصوب، مصدر مؤكد لقوله فأنبتنا فيها الاشياء التي ذكرت، لأن إنباته هذه الاشياء قد أمتع بها الخلق من الناس وجميع الحيوان.

وقوله.﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾.

التي تكـون عنها القيـامةُ، تصـخ الأسماع أي تُصِمُّهـا فلا يسمـع الا ما يدعى فيه لإحيائها. ثم فسَّرَ في أي وقت تجيء فقال:

﴿يَومَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ ـ إلى قوله[1]: ﴿لكل امرئ منهم يَوْمَئِذٍ شَـأْنٌ يُغْنِيـهِ﴾ بالغين معجمـةً، وقد قـرئت شأْنٌ يَعْنِيـهِ، أي شأن لا يهمـه معـه غيـرُه وكذلك يغنيه لاَ يَقْدِرَ مع الاهتمام به على الاهتمام بغيره.

ثم بَيَّنَ أَحْوَالَ المُؤْمِنِينَ والكَافِرِينَ فوصف أحوال المؤمنين فقال:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾.

مسفرة مضيئة قد علمت مالها من الفـوز والنعيم.

ووصف الكفار وأهل النار فقال: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرةٌ، تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾.

أي غُبْـرَةٌ يعلوها سـوادٌ كالـدُّخَانِ، ثم بَيَّنَ مَنْ أَهْـلُ هَذِه الحـالِ فقال:

﴿أُولَئِكَ هُمُ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ﴾.

---

(١) بقية الآية: ﴿مِن أَخِيهِ وأُمِّهِ وَأَبِيهِ وصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾.

سُورَةُ التكْوِير
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله :﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾.

معنى ﴿كُوِّرَتْ﴾ جمع ضوءها ولُفَّتْ كما تلف العمامة، يقال: كرتُ العِمَامَةَ على رأسِي أكورُها، وكوّرْتُها اكوِّرها إذا لففتها.

﴿وإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾.

انكدرت تهافتت وتناثــرت.

﴿وَإِذَا الجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾. صارتْ سَرَاباً.

﴿وَإِذَا العِشَارُ عُطِّلَتْ﴾.

﴿العشار﴾ النوق الحوامل التي في بطونها أولاها، والواحِدَةُ عُشَراء، وإنما قيل لها عشار لأنها إذَا أتت عليهـا عَشَرةُ أَشهُـرٍ - وهي تضع إذا وضعت لِتَمـامٍ في سنة - فَهِيَ عُشَراء، أحسن مـا يكون في الحمـلُ، فليس يعطلهـا أهلها إلا في حـال القيامـة. وخوطبت العـرب بأمـر العِشار لأن مـالها وَعَيْشَهـا أكثرهُ من الإبل.

﴿وَإِذَا الوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾.

قيل تحشر الوحوش كلها حَتَّى الذُّبَابُ يُحْشَرُ للقصاص.

﴿وَإِذَا البِحَارُ سُجِّرَت﴾.

بالتثقيل، ويقرأ سُجِرَتْ بالتخفيف. ومعنى سجرت قيل إنه في معنى فجّرتْ، وقيل سُجِّرَتْ مُلِئَتْ، ومنه البحر المَسْجُورِ المَمْلُوء. وقيل معنى سُجِرَت جُعَلِتْ مياهها نيراناً بها يعذَّب أهل النَّارِ.

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾.

قُرِنَتْ كلُّ شيعةٍ بمن شَايَعَتْ، وقيل قُرِنَتْ بأَعمَالِها، وقيل قُرِنَت الاجسام بالأرواح.

﴿وَإِذَا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾.

ويقرأ وإذا الموؤودة سَأَلَتْ بأي ذنب قُتِلَتْ، والموؤودة التي كانت العرب تَئِيدُهَا، كانُوا إذَا وُلِدَ لأحَدِهم بنتٌ دَفَنَهَا حيَّة، فمعنى سؤالها بأي ذنب قتلت تبكيتُ قَاتِلِها في القيامة لأنّ جَوَابَهَا قُتِلَتُ بغير ذنب، ومثل هذا التبكيت قول اللّه تعالى: ﴿يَا عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ أأَنْتَ قُلْتَ للنَّاسِ اتَّخِذُوني وَأُمِّيَ إلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾(١) فإنما سؤاله وجوابه تبكيت لِمَنِ ادَّعى هذا عليه.

يقال: وَأَدْتُ أَئِدُ وَأْداً، إذا دفنت المولود حيًّا، والفاعل وَائِدٌ، والفاعلة وائدة، والفاعلات وائداتٌ، قال الفرزدق:

ومنا الذي منع الوائدات فأحيا البنات فلم توءدِ(١)

وكذلك من قرأ: سَأَلَتْ بأي ذنب قُتِلَتْ، سؤالها تبكيت لقاتلها.

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾.

---

(١) سورة المائدة /١١٦.

(٢) اللسان (وأد). والكشاف ٤/١٨٨ في الآية نفسها، وكان جد الفرزدق يفعل ذلك.

وَنَشَرَتْ. نشرت الصحف وأعطى كل إنسان كتابه بيمينه أو بشماله على قدر عمله.

﴿وَإِذَا السَّماءُ كُشِطَتْ﴾.

وقرئت قُشِطَتْ بـالْقَـافِ، ومعناهما قُلِعَت كما يُقْلَع السَّقْفُ. يقال: كَشَطْتُ السقفَ وقشطت السقف بمعنى واحد، والقاف والكاف تُبْدَلُ إحداهما من الأخرى كثيراً. وَمِثلُ ذَلِكَ لبكت الشيء ولبقته إذَا خَلطته.

﴿وَإِذَا الجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾.

وَسُعِّرَتْ بالتشديد والتخفيف، ومعناه أُقِدَتْ، وكَذَلِكَ سُعِّرَتْ، الَّا أن سُعِّرَتْ أوقدت مرة بعد مرة.

﴿وَإِذَا الجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾.

أي قربت من المتقين، وجواب هذه الأشياء قوله:

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾.

أي إذا كانت هذه الأشياء التي هي في يوم القيامة، علمت في ذلك الوقت كل نفس ما أَحْضَرَتْ، أَي مِنْ عَمَلٍ، فأثيبت عَلَى قَدْرِ عَمَلِها.

وقوله: ﴿فلا أقسم بِالخُنَّسِ الجَوَارِي الكُنَّسِ﴾.

الخُنَّس جمع خَانِسٍ، والجواري جمع جَارِيَةٍ، من جَرَى يَجْرِي. والخنس جمع خانس وخانسةٍ، وكذلك الكُنَّسُ جمعُ كانِسٍ وكانسةٍ.

والمعنى فأقسم، و «لَا» مؤكدة.

والخنس ههنا أكثر التفسير يعنى بها النجوم، لأنها تَخْنِس أَيْ تَغِيبُ لأن مَعَنا ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾، وَمَعَنَا ﴿الخُنَّس﴾. و ﴿الكُنَّس﴾ في

النجوم أنها تطلع جارية، وكذلك تخْنسُ، أي تغيب، وكذلك تكنس تدخل في كناسها، أي تغيب في المواضع التي تغيب فيها. وقيل الخنس ههنا يعنى بَقَر الْوَحْشِ وظباء الوحش. ومعنى خُنَّس جمع خَانِسٍ والظباء خنّسٌ والبَقَرُ خُنَّسٌ. والخَنَسُ قِصَرُ الأنف وتأخره عَنِ الفَمِ، وإذا كان للبقر أو كان للظباء فمعنى الكنس أي التي تكنس، أي تدخل الكِنَاسَ وهو الغُصنُ من اغْصَانِ الشَّجَرِ.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾.

يقال عَسْعَسَ الليل إذَا أَقْبَلَ، وعَسْعَسَ إذا أَدْبَرَ، والمَعْنَيَانِ يرجعان إلى شيءٍ وَاحدٍ، وهو ابتداء الظلام في أوله، وإدباره في آخره.

﴿والصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾.

إذا امتدَّ حَتَى يصيرَ نَهاراً بيّناً.

وجواب القسم في هذه الأشياء أعني ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ وما بعده قوله: ﴿ إِنَّه لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾.

يعنى أن القرآن نزل به جبريل عليه السلام.

﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي العَرْشِ مَكِينٍ ﴾.

قيل إنه من قوة جبريل ﷺ أنه قَلَبَ مَدِينة قوم لُوطٍ بِقَوَادِمِ جناحه وهي قرى أربع.

﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾.

هذا أيضاً جواب القسم، المعنى فأقسم بهذه الأشياء أن القرآن نزل به جبريل عليه السلام، وأقسم بهذه الأشياء ما صَاحِبُكُمْ بمجنونٍ، يعني به النبي

ﷺ لأنهم قالوا: ﴿يـا أَيُّها الـذي نُزِّلَ عَلَيْـهِ الذِّكْـرُ إِنَّكَ لَمَجْنُـونٌ﴾[1]، فقال: ﴿نون والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنونٍ﴾[2]، وقال في هذا الموضع:

﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ﴾.

قد فسرنا ذلك فِي سُورَةِ والنَّجمْ.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى الغَيْبِ بِظَنِينٍ﴾.

ويقرأ ﴿بِضَنِينٍ﴾ فمن قَرَأَ بِظَنِينٍ فمعناه ما هو على الغيب بِمُتَّهَمٍ وهو الثقة فيمـا أداه عن اللَّه ـ جل وعز ـ، يقال ظننت زيـداً في معنى اتهمت زيداً، ومن قرأ ﴿بِضَنِينٍ﴾ فمعناه ما هو على الغيب ببخيل، أي هو ﷺ يؤدي عن اللَّه ويُعَلِّمُ كتابَ اللَّه.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾.

معناه فأيِ طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي بينتُ لَكُمْ.

﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾.

أي الاستقامة واضحة لكم، فمن شاء أخذ في طريق الحقِّ والقصد وهو الإيمان باللَّه عز وجل ورسوله. ثم أعلمهم أن المشيئَةَ في التوفيق إليـه، وأنهم لا يقدرون على ذَلِك إلاَّ بمشيئة اللَّه وتوفيقه فقال:

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِين﴾

ودليل ذلك أيضاً: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إلاَّ باللَّهِ عليه تَوَكَّلْتُ﴾[3].

---

(١) سورة الحجر /٦.　(٢) أول سورة القلم.　(٣) سورة هود ٨٨.

فهذا إعلام أن الإنسان لا يعمل خيراً إلا بتوفيق اللَّه ولا شراً إلَّا بخذلانٍ من اللَّه، لأن الخير والشر بقضائه وقَدَرِه يضل من يشاء ويهدي من يشاء كما قال جَلَّ وَعَزَّ[1] ﴿[اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ]﴾.

---

(١) سورة الشورى. الآية ١٣.

سورة الانفطار
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾.

أي انشقت، تتشقَّق السماء يومَ القيامة بالغمام، كما قال عز وجل:

﴿وَإِذَا الكَواكِبُ انْتَثَرَتْ﴾.

أي تَسَاقطت وتهافتت.

﴿وَإِذَا البِحَارُ فُجِّرَتْ﴾، فُجِّرَ العَذْبُ إلى المالح.

﴿وَإِذَا القُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ يعني بحثرت، أي قلب ترابها وبعث الموتى الذين فيها.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخرَتْ﴾.

ما قَدَّمَتْ من عَمَلٍ أمرت به وما أَخَّرت منه فلم تعلمه، وقيل: ﴿وَأَخَّرَتْ﴾ سَنَّتْ من سُنَّةٍ عُمِل بها بعدها.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّها الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ﴾.

أي ما خدعك وَسَوَّلَ لكَ حتى أضعت ما وجب عليك.

وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَّلَكَ﴾.

أي خلقك في أحسن تقويم وتقرأ (فَعَدَلَكَ) بالتخفيف والتشديد جميعاً.

وقوله: ﴿فِي أيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾.

يجوز أن يكون ما صِلةً مُؤَكِّدَة، ويكون المعنى في أي صورة شاء رَكَّبَكَ. إما طويلا وإما قصيرا، إما مستحسنا وإما غير ذلك، ويجوز أَنْ يكون

ما في معنى الشرط والجزاء، فيكون المعنى في أي صورة ما شاء أن يركبك فيها ركبك.

وقوله: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾.

أي بل تكذبون بأنكم تبعثون وتدانون، أي تجازون بأعمالكم، ثم أعلمهم - عز وجل - أن أعمالهم محفوظة فقال:

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ فيكتبونه عليهم.

وقوله: ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ يوم الجزاء وهو يوم القيامة.

وقوله ﴿وَمَا أَدْرَاكَ ما يَوْمُ الدِّين، ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾.

فكرر ذكر اليوم تعظيماً لشأنه.

وقوله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً﴾.

وقرئت «يوم» لا يملك نفس، فمن قرأ بالرفع فعلى أن اليومَ صفةٌ لقوله ﴿يَوْمُ الدِّينِ﴾ ويجوز أن يكون رفعاً بإضمار هو، فيكون المعنى هو لا تملك لنفس شيئاً، ويجوز أن يكون في موضع رفع وهو مبني على الفتح لإضافته إلى قوله «لا تملك» لأن «ما» أضيف إلى غير المتمكن قد يبنى على الفتح وإن كان في موضع رفع أو جر كما قال الشاعر [1]:

لم يمنع الشرب غير أن نطقت ... حمامة في غُصُونٍ ذات أوقال

فأضاف غير إلى أن نطقت فبناه على الفتح، وجائز أن يكون نصبه على معنى هذه الأشياء المذكورة، يكون يوم لا تملك نفس لِنَفسٍ شيئاً.

---

(١) أبو قبيس بن رفاعة، والأوقال جمع وَقَل - بوزن جبل - هي الحجارة وما يبقى من جذوع الشجر بعد قطعه، يصف ناقته بدقة الحس، والحنين إلى وطنها - وأبو قبيس عامر بن جشم - جاهلي أوسي، كان رئيس الأوس يوم بغاث، وهو والد عقبة بن أبي قبيس الذي أسلم يوم القادسية - انظر ابن يعيش ٨/٣، وشواهد الكشاف، والخزانة شواهد، ٢٣٦، ٢٩٦ والأغاني ١٥/١٥٤ ساس.

سورة المطففين
مكية

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾.

﴿وَيْلٌ﴾ رفع بالابتداء والخبر قوله للمطففين، ولو كان في غير القرآن لجاز «وَيْلاً» للمطففين، على معنى جعل اللّٰه لهم ويلاً، والرفع أجود في القراءة لأن المعنى قد ثبت لهم هذا، والويل كلمة تقال لكل من هو في عذاب وهلكة، والمطففون الذين ينقصون المكيال والميزان وإنما قيل للفاعل من هذا مطفف، لأنه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان، إلا الشيء الحقير الطفيف، وإنما أخِذَ من طَفّ الشيء وهو جانبه، وقد فسَّر أمره في السورة فقال :﴿الذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾، المعنى إذا اكتالوا من الناس استوفوا عَلَيْهم الكيل وكذلك إذا اتَّزَنُوا استوفوا الوزن، ولم يذكر «إذا اتَّزَنُوا» لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فيما يكال ويوزن.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْوَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾.

أي إذا كالوا لهم أو وزنوا لهم يخسرون، أي ينقصون في الكيل والوزن، ويجوز في اللغة يَخْسِرون، يقال: أَخْسَرْتُ الميزان وخَسَرتُه، ولا أعلم أحداً قرأ في هذا الموضع يَخْسرون، ومن تأول معنى «كَالُوهُم» كالوا لهم لم يجز ان يقف على كالوا حتى يصلها بِـ «ـهُمْ»، فيقول «كالُوهُم». ومن

الناس من يجعل «هم» توكيداً لما في كالوا، فيجوز أن تقف فتقول: وإذا كالوا، والاختيار أن تكون «هم» في موضع نصب، بمعنى كالوا لهم. ولو كانت على معنى كالوا، ثم جاءت «هم» توكيداً، لكانَ في المصحف ألف مثبتة قَبلَ «هُمْ».

وقوله عز وجل: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

يعنى يوم القيامة، أي إنهم لو ظنوا أنهم يبعثون ما نَقصوا في الكيل والوزن.

وقوله :﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾.

﴿يَوْمَ﴾ منصوب بقوله ﴿مَبْعُوثُونَ﴾.

المعنى ألا يظنون أنهم يبعثون يوم القيامة، ولو قرئت «يَوْمِ تقوم الناس» بكسر يوم لكان جَيّداً على معنى ليوم يقوم الناس، ولو قرئت بالرفع لَكَانَ جَيّداً يومُ يقوم الناسُ، على معنى ذلك يوم يقوم الناس، ولا يجوز القراءة إلا بما قرأ به القراء «يوم يقوم الناس» ـ بالنصب ـ لأن القراءة سنة، ولا يجوز أن تخالف بما يجوز في العربية.

وقوله :﴿كَلَّا إنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لفي سِجِّينٍ﴾.

«كَلّا» رَدْعٌ وتنبيه. المعنى ليس الأمر على ما هم عليه، فليرتدعوا عَنْ ذَلِكَ وقوله :﴿في سَجِّينٍ﴾ زعم أهل اللغة أن سِجِّينَ فِعِّيلٌ من السِّجْنِ، المعنى كتابهم في حبس، جعل ذلك دَلالةً على خساسة مَنْزِلَتِهِمْ، وقيل ﴿في سِجِّينٍ﴾ في حسابٍ، وفي سِجِّينٍ في حجر من الأرْضِ السَّابِعَةِ.

وقوله:﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾.

أي ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت وَلَا قَوْمُك، ثم فسر فقال:

﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾، أي مكتوب.

وقوله عز وجل :﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾.

أساطير أباطيل، واحدها اسطورة مثل أحـدوثة وَأَحادِيث.

وقوله: ﴿كَلاَّ﴾ تفسيرها تفسير التي قبلها.

﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ بإدغام اللام في الراء وتفخيم الألف. وقد قرئت بـل ران ـ بـإمـالـة الألف والـراء إلى الكسـر، وقـرئت بـلْ ران بـإظهـار الـلام والإدغـام، والإدغام أجـود لقرب الـلام من الـراء، ولغلبـة الـراء على الـلام. وإظهار اللام جائز إلاّ أن اللام من كلمة، والراء من كلمة أخرى. وران بمعنى غطى عَلَى قُلُوبِهِمْ، يقال: ران على قلبه الذنب يَرينُ رَيْناً إذا غشي على قلبه، ويقال غان على قلبه يغينُ غَيْناً. والغَيْنُ كالغيم الرقيق، والرَّيْن كالصـدأ يغشى على القلب.

وقوله جل ثناؤه :﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾.

وفي هذه الآية دليل على أن اللَّه يُرَى في الآخرة، لولا ذلك لما كان في هذه الآية فائدة، ولا خسست منزلة الكفار بأنهم يحجبـون عن اللَّه ـ عزوجل ـ. وقـال تعالى في المؤمنين : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، ﴾ فأعلم اللَّه عز وجل أن المؤمنين ينظرون إلى اللَّه، وأن الكفارَ يُحْجَبُونَ عَنْه.

﴿ثم إِنَّهُم لَصَالُو الجَحِيم﴾.

ثم بعد حجبتهم عن اللَّه يدخلون النار وَلاَ يخرجُونَ عنها خَالِدِين فيها.

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾.

أي كنتم تكذبون بالبعث والجنة والنَّارِ. ثم أَعْلَمَ ـ عز وجـل ـ أين محل كتـاب الابرار ومـالهم من النعيم فرفـع كتـابهم على قـدر مـرتبتهم كمـا سَفَّـل وخسس كتاب الفجار فقال:﴿كَلاَّ إِنَّ كِتابَ الأَبْرَار لَفِي عِلّيِّينَ﴾.

أَي أعلى الأمكنة.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾.

وإعراب هذا الاسم كإعراب الجمع لأنه على لفظ الجمع، كما تقول هذه قِنّسْرُونَ، ورأيت قِنّسْرِين، وقال بعض النحويين: هذا جمع لما لا يُحَدُّ وَاحِده، نحو ثَلَاثُون وَأَرْبَعُونَ، فثلاثون كان لفظه لفظ جمع ثَلَاثٍ.

وكذلك قول الشاعر:(١)

قد شربت الادُهَيْدِهِينَا قُلَيِّصَاتٍ وَأُبَيْكِرِينَا

يعني ان الابل قَدْ شَرِبَت الأجمع الدُّهْدَاةِ، والدهداة حاشية الابل كان قليصات وأبيكرين، ودهيدهين جميع ليس واحده محدوداً معلوم العَدَدِ، والقول الأول قول أكثر النحويين وأَبْيَنُها.

وقوله: ﴿عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾.

الأرائك واحدها أريكةٌ، وهي الأسِرَّة في الحجال.

وقوله: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾.

الرحيق الشراب الذي لَا غِشَّ فيه، قَالَ حَسَّانٌ(٢):

يسقون من ورد البريص عَليهم بَرْداً يُصَفَّق بالرَّحِيق السَّلْسَلِ

ومعنى ﴿مختوم﴾: في انقطاعه خاصة ـ ثم بَيَنَّ فَقَالَ:

﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾.

وقرئت خاتَمه مِسْكٌ بفح التاء، وقُرِئَت خاتِمُهُ مسك، والمعنى أَنَّهُمْ إذَا

---

(١) جاء هذا الرجل في اللسان (بكسر-دهيه) إلا الدَّهَيْدِهِينَا. وهو مما استشهد به الأزهري على أن بكرا تجمع على أبكر، وصغر أَبْكُر كاعنز ـ على أبيكر ثم جمع جمعاً سالماً مذكراً، والدهيدهينا جمع دهداه وهي صغار الابل ـ جمعها بالياء والنون. والدهدهان الكبيرمن الابل.

(٢) من قصائده في مدح الغساسنة ـ والبريص نهر، ويصفق بمعنى تخلط، والسلسل العذب ـ والقصيدة في ديوان حسان، ويروى البيت يَرَدَى، وبرى نهر أيضاً.

شربوا هذا الرحيق فَنِيَ ما في الكأسِ وانقطع الشُّرْبُ، انختم ذلك بطعم المسك ورائحته.

﴿وَمِزاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ . عَيْناً﴾.

تأتيهم من علو عيناً تنسم عليهم من الغرف، فعيناً في هذا القول منصوبةٌ مَفْعولةٌ، كما قال: ﴿أو إطعامٌ في يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَة يَتِيماً﴾.

ويجوز أن يكون «عَيْناً» منصوبة بقوله يَسْقَوْنَ عيناً، أي مِنْ عَيْنٍ، ويجوز أن يكون عيناً منصوباً على الحال، ويكون «تَسْنِيمٍ» معرفة و«عيناً» نكرة.

وقوله :﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ. وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾.

هؤلاء جماعة من كفار قُرَيشٍ كان يَمُرُّ بِهِمْ من قَدُمَ إسلامُه مع النبي ﷺ. علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه، وغيره ـ رحمهم اللَّه فيعيرونَهُمْ بالاسلام على وجه السِّخرِيّ مِنْهُمْ.

﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾.

معجبيين بما هم فيه يَتَفكهونَ بذكرهم.

﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾.

أي ما أرسل هؤلاء القوم على أصحاب النبي ﷺ يحفظون عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ.

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الكُفَّارِ يَضْحَكُونَ :﴾. يعني يوم القيامةِ.

﴿هَلْ ثُوِّبَ الكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

أي هل جُوزُوا بِسُخْرِيَتهِمْ بالمؤمِنينَ في الدنيا، ويقرأ هَثُّوبَ، بإدغام اللام في الثاء.

سورة الانشقاق
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله :﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ .

تنشق يوم القيامة بالغمام، وجواب «إذا» يدل عليه: ﴿فَمُلاَقِيهِ﴾ المعنى إذا كان يوم القيامة لقي الإِنْسَانُ عَمَلَهُ.

ومعنى : ﴿أَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ .

أي سمعت، يقال: أذنت للشيء آذن إذَا سَمِعتَ قال الشاعِرُ:

صُمٌّ إذَا سمِعُوا خَيراً ذكرت به ... وَإِنْ ذُكِرْتُ بسوء عندهم أذنوا[1]

أي سمعوا.

ومعنى ﴿وَحُقَّتْ﴾ أي حق لها أَنْ تَفْعَلَ.

﴿وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ﴾ : أزيلت عَنْ هَيْئَتِهَا وَبُدِّلت.

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيها وتَخَلَّتْ﴾ : أَلْقَتْ مَا فِيهَا مِنَ المَوْتَى والكُنُوز.

وقوله : ﴿يا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً [فَمُلاَقِيهِ]﴾ .

جاء في التفسير إنك عامِلٌ لربك عَمَلاً فملاقيه، وجاء أيضاً: سَاعٍ إلى

---

(١) لقعنب بن أم صاحب. وهي كنية أُمّه وأبوه اسمه ضمرة. وانظر شواهد المغني ٣٢٦، وفي مشاهد الانصاف ١٢٦ واللسان (أذن) ـ وهي أبيات ثلاثة.

ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا ... مني ومسا سمعوا من صالح دفنوا

صم. . .

جَهْلاً عليَّ وَجُبْناً عن عَدُوِّهِم ... لبئسَت الخُلّتانِ الجهل والجبن

رَبِّك سَعْياً فَمُلاقِيهِ. والكدح في اللغة السَّعْيُ والدُّؤوب في العَمَلِ في باب الدنيا وباب الآخرة، قال تميم بن مقبل:[1]

وما الدهر الا تارتان فمنهما أموت، وأخرى ابتغي العيش أكدح

أي وَتَارة أسعى في طلب العيش وأَدْأَبُ، وقيل ﴿فملاقيه﴾ فملاقٍ رَبَّكَ، وقيل فَمُلَاقٍ عَمَلكَ.

وقوله:﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً، وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾.

رَوَيْنَا عن النبي ﷺ أن ذلك العرض على اللّه ـ عز وجل ـ وأَنَّه مَنْ نوقش الحساب عُذِّبَ، وَرَوَيْنَا أيضاً أنه مَن نوقش الحسابَ هَلَكَ.

وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً﴾.

أي يقول: يا ويلاه، يا ثبوراه، وهذا يقوله من وقع في هلكة أي من أوتي كتابه وراء ظهره، ودليل ذلك عَلَى أَنَّهُ من المُعذَّبِينَ قوله:﴿وَيَصْلَى سَعِيراً﴾.

وقرئت «ويُصَلَّى سَعِيراً»، أي يكثر عذابه.

وقوله:﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾: يعني في الدُّنْيَا.

فأما ﴿وَيَنْقَلِبُ إلى أهله مَسْرُوراً﴾ فمن صفة المؤمن، وينقلب إلى أهله في الجنانِ الَّتي أَعَدَّهن اللّه لأوليائه.

وقوله: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾.

---

(١) شاعر مخضرم عاش ١٢٠ سنة، كان يبكي أهل الجاهلية، وهاجى النجاشي الشاعر فاستعدى عليه عمر، وبعد البيت:

وكلتاهما قد خط لي في صحيفتي فلا العيش أهدى لي ولا الموت أروح

يريد أن الدهر ذو حالتين، احداهما يموت بها، والأخرى يود العيش فيها لكنه شاق عسير وكلتا الحالتين مسطور له في اللوح المحفوظ، انظر: الخزانة ١/١١٣، زهر الآداب ١/١٢٨ ـ ١٣٦، ٤١، ٤٢.

هـذه صفة الكـافر ظن أَنْ لَنْ يَحُـورَ بـأن لن يبعث، ومعنى يحـور ـ في اللغة ـ أن يرجع إلى اللّه عز وجل.

﴿بلى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً﴾.

قبلَ أن يخلقه، عالماً بأن مرجعه إليه ـ عَزَّوَجَلَّ ـ.

قوله :﴿فَلَاَ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ : معناه فأقسم وقد فسرنا ذلك.

والشَّفَق الحمـرة التي ترى في الأفق في المغـرب بعد سقـوط الشمس، وقيل الشفق النهارُ.

﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾: معنى وَسَقَ جَمَعَ وَضَمَّ، قَال الشَّاعِرُ[1].

مُسْتَوْسِقَاتٍ لَوْ يَجِدْنَ سَائِقاً

﴿والْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾.

اجتمع واستوى ليلة ثلاثَ عَشْرَةَ وأربَعَة عشرة.

﴿لَيَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾.

أي حـالاً بعد حـال حتى يصير إلى اللّه عـز وجـل، من إحيـاء وَإِقَـامَـةٍ وَبَعْثٍ، وقُرِئَتْ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾، أي لتركبن يا محمد طبقاً عن طبق من أطباق السماء.

وقوله عز وجل :﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾.

---

(١) هو العجاج والبيت في الطبري ٦٦/٣٠، والقرطبي ٢٧٥/١٩، وروايته «لـو وجدن سائقاً» وفي مشاهد الانصاف ٨٦:

ان لـنـا قـلائـصـا حـقـائـقـا مـسـتـوسـقـات أو يجـدن سـائـقـا

الحقائق جمع حقة وهي التي استحقت طروقة الفحل أو استخفت الحمل عليها ومستوسقات متحملات أو مجتمعات، و «أو» بمعنى الى. أي واقفات إلى أن يجدن من يسوقهن.

أي بما يحملون في قلوبهم، يقال: أَوْعَيْتُ المتاعَ في الوعاء، ووعيتُ العِلْمَ.

وقوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

المعنى اجعل بدل البشارة للمؤمنين بالجنة والرحمة والرضوان، للكفار العذاب الأليم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

لا يمن عليهم، قال أهل اللغة: غير ممنون غير مقطوع، يقال مننت الحبل إذا قطعته.

سورة البروج
مكية

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل:﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ البُرُوجِ ﴾.

جواب القسم: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيـدٌ﴾. وقيل ﴿ذات البـروج﴾ ذات الكواكب وقيل ذات القصور لقُصُورٍ في السماء.

﴿واليَوْمِ المَوْعُودِ﴾: يوم القيامة.

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾.

شاهد يـوم الجمعة، ومشهـود يوم عـرفة، وقيـل: وَشَاهـد يعنى به النبي ﷺ، ومشهود يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ذٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لهُ الناسُ وذٰلكَ يومٌ مَشْهُودٌ﴾(١).

وقوله عز وجل: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ﴾.

الأخدود شق في الأرض، ويجمع أَخَاديد، وقيل أصحاب الأُخْـدُودِ قوم كانوا يَعْبُدُونَ صَنما، وكان معهم قوم يكتمون إيمانَهم، يعبدون اللّٰه عز وجل. ويوحدونه، فعلموا بهم فخـدوا لهم أخدوداً ومـلأوه ناراً، وقـذفوا بهم في تلك النار فتقحموها ولـم يَرْتَدُّوا عَنْ دينهم ثبوتاً على الاسلام، ويقينـاً أنهم يصيرون إلى الجنة. فجاء في التفسير أن آخِرَ من ألقي منهم امـرأةٌ معها صَبِيٌّ رضيـع، فلمـا رأت النار صدت بَوَجْهِهَـا وَأَعْرَضَـتْ، فقـال لها الصبي: يـا أمتاه قفي ولا

(١) سورة هود / ١٠٥.

تنافقي، وقيل إنه قال لها: مَا هِيَ إلاَّ غميضةٌ، فَصَبَرَتْ فألقِيتْ في النار.

وكان النبي ﷺ إذا ذكر أصحاب الأخدودِ تَعَوَّذَ مِنْ جَهْد البلاء.

فأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ قِصَّةَ قَوْمٍ بلغت بصيرتُهم وحقيقة إيمَانِهِم إلى أن صبروا على أن يحرقوا بالنار في اللَّه عز وجل.

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا باللَّهِ العَزِيزِ الحَمِيدِ﴾.

أي ما أنكروا عليهم ذنباً إلا إيمَانَهم، ثم أعلم ـ عز وجل ـ مَا أُعِدَّ لأُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَحْرَقُوا المُؤْمِنِينَ فقال:

﴿إنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا المُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ﴾.

أي أَحْرَقُوا المُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ، يقال فتنت الشيء، أحرقته، والفَتِينُ حجارة سودٌ كأنها مُحْرَقَةٌ.

﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُم عَذَابُ الحَرِيقِ﴾.

فالمعنى واللَّه أعلم فلهم عذاب جهنم بكفرهم، ولهم عذاب الحريق بما أحرقوا المؤمنين والمؤمنات.

قوله عز وجل: ﴿إنه هُوَ يُبْدِىءُ ويُعِيدُ﴾.

أي يبدي الخلق ثم يعيده بعد بلاه.

﴿وَهُوَ الغَفُورُ الوَدُودُ﴾، أي المحب أولياءه.

﴿ذُوالعَرْشِ المَجِيدِ﴾، ويقرأ المجيدُ. ومعنى المجيد الكريم. فمن جَرَّ المجيد فمن صفة العرش، ومن رفع فمن صفة «ذو».

وقوله عز وجل: ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾.

﴿فرعون وثمود﴾ في موضع جر بَدَلاً من الجنود، المعنى هل أتاك حديث فرعون وثمود.

وقوله :﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾.

أي لا يعجزه منهم أحدٌ. قدرته مُشْتَمِلةٌ عليهم.

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾.

ويقرأ قرآنُ مَجِيدٍ، والقراءة قُرآنٌ مجيدٌ. من نعت قرآن، ومن قرأ قرآنُ مَجِيدٍ، فالمعنى هو قرآن رَبٍّ مَجِيدٍ.

وقوله:﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾.

القرآن في اللوح وهو أم الكتاب عند اللَّه، وقرئت مَحْفُوظٌ، مِنْ نعت قرآنِ، المعنى بل هو قرآن مجيدٌ محفوظ في لوح.

سورةُ الطَّارِق
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله:﴿والسَّمَاءِ والطَّارِق﴾.

جواب القسم :﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾، والطارق النجم، والنجم يعنى به النجوم، وإنما قيل للنجم طارق لأنه طلوعه بالليـل، وكل مـا أتى ليلا فهو طارقٌ، لأن الليل يسكن فيه، ومن هـذا قيل: اطـرَقَ فُلاَنٌ إذا أَمْسَـكَ عَنِ الكلامِ وَسَكَنَ.

و﴿الثَّـاقِبُ﴾ المُضِيءُ، يقال ثقب يثقُبُ ثقوباً إذا أضاء،ويقال للمُوقِـدِ: أثقب نارك أي أَضِئها.

وقوله: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾.

معناه لَعَلَيْها حافظ، و «ما» لغوٌ، وقرئت «لَمَّا» عَلَيْها حَـافِظٌ ـ بالتشـديد، والمعى معنى «إلاَّ»، استُعْمِلَتْ «لَمَّـا» في موضـع «إلاَّ» في مـوضعين أحـدهمـا هذا، والآخر في بَابِ القَسَمِ، يقال: سَأَلْتُكَ لَمَّا فَعلت بمعنى الا فعلت.

وقوله عز وجل: ﴿مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾.

معناه من فوق، ومذهب سيبويه وأصحابه أن معناه النسب إلى الاندفاق، المـمعنى من ماء ذي اندفاق.

وقوله:﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرائِبِ﴾.

الترائب جاء في التفسير أنها أربعة أضلاع من يمنة الصدر وأربَعُ أضلاع من يَسْرةِ الصدر، وجاء في التفسير أن الترائب اليدان والرجلان والعينان، وقال أهل اللغة أجمعون: الترائب موضع القلادة من الصدر، وأنشدوا لامرئ القيس: (١)

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل

وقوله:﴿إِنَّه عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾.

جاء في التفسير: على رجع الماء إلى الإحليل لَقَادِرٌ، وجاء أيضاً على رجعه إلى الصلب، وجاء أيضاً على رجعه على بعث الانسانِ، وهذا يشهد له قوله: ﴿يوم تُبْلَى السَّرائِرُ﴾.

أي إنه قادر على بعثه يوم القيامة.

وقوله:﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ . والأَرْضِ ذَاتِ اصَّدْعِ ﴾.

﴿ذات الرجع﴾ ذات المطر لأنه يجيء ويرجع ويتكرر، قال أبو عبيدة: الرجعُ الماء، وأنشد بيت المنخل الهذلي(٢):

أَبْيَضُ كالرجع رسوب إذا ما ناخ في محتفل يختلي

قال يصف السيف، يقول: هو أبيض كالماء.

---

(١) البيت الحادي والثلاثون من معلقته انظر ص ١٨ شرح الزوزني ط صبيح. يقول إنها لطيفة الخصر ـ ضامرة البطن ـ غير مفاضة ـ غير مسترخية اللحم. ولا مترهلة ـ والترائب جمع تريبة، موضع القلادة من الصدر، والسجنجل: المرآة. معربة.

(٢) يصف سهما وليس سيفاً، وقال شارحه: الرجع الغدير فيه ملأ المطر والمحتفل معظم الشيء ومحتفل الوادي معظمه، وناخ وساخ بمعنى واحد. أي غاب، ورسوب الذي يغوص ويغمض مكانه لعمقه، ويختلي يقطع. أي هو سهم أبيض ماض يعمق في رميته.
انظر ديوان الهذليين ص ١٢ جـ ٢ والطبري ٣٠/٨١.

﴿والأرْضِ ذاتِ الصَّدْعِ﴾، أي تصدع بالنبات.

﴿إنَّه لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾.

جواب القسم يعنى به القرآن، يفصل بين الحق والباطل.

﴿وَمَا هُوَ بِالهَزْلِ﴾: مَا هُوَ باللَّعِبِ.

﴿إنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيداً﴾.

يعني بـه الكفار، أنهم يخـاتلون النبي عليه السـلام، ويظهـرون مـا هم خلافه.

﴿وَأَكِيدُ كَيْداً﴾: كيد اللَّه لهم استدراجهم من حيث لا يعلمونَ.

وقوله عز وجل: ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾ أي أمهلهم قليلاً.

سُورَةُ الأعْلَى
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعْلَى﴾ أي نَزِّهْ ربَّك عن السُّوءِ وقل: سبحان ربي الأعلى.

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾، خلق الانسان مستوياً، أشهده على نفسه بأنه ربُّه، وخلقه على الفطرة.

وقوله: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾.

هداه السبيل إما شَاكِراً وَإما كَفُوراً، وقال بعض النحويين: فَهَدَى وَأَضلَّ ولكن حذفت وأضل لأن في الكلام دليلاً عليه، قال عز وجل: ﴿يُضِلُّ من يشاء وَيَهْدِي من يَشَاءُ﴾.

﴿والَّذِي أَخْرَجَ المَرْعَى فَجَعَلَه غُثَاءً أَحْوَى﴾.

﴿أحوى﴾ في موضع نصب حال من ﴿المرعى﴾ المعنى الذي أخرج المرعى أَحْوَى أي أخرجه أَخْضَرَ يضرب إلى الحوَّة، والحوَّة السَّوَادُ. ﴿فجعله غثاء أحوى﴾، جفَّفَه حتى صيره هشيماً جافاً كالغثاء الذي تراه فوق ماء السيل، .

قوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فلاَ تَنْسَى، إلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾.

أعلم اللَّه عز وجل أنه سيجعل للنبي ﷺ آيةً يتبيَّنُ له بها الفَضْلِيَّةُ بأن

جبـريل عليـه السلام ينـزل عليه بـالوحي وهـو أُمِّيٌ لا يكتب كتابـاً ولا يقرؤه، ويقـرئ أصحابه ولا ينسى شيئاً من ذلـك ولا يكرر عليـه الشيء، قال اللّه عـز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونْ﴾.

فأما ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، فقيل إلاَّ ما شـاء اللّه ثُمَّ يذكـره بعد، وقيـل إلاَّ ما شاء اللّه أن يؤخره من القرآن.

﴿وَيَتَجَنَّبُها الأَشْقَى﴾: المعنى يتجنب الذكرى الأشقى.

وقوله: ﴿ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى﴾.

لا يموت موتاً يستريـح به من العـذاب، ولا يحيا حياة يجـد معها روح الحياة.

وقوله تعـالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَـزَكَّى﴾. أي قد صـادف البقاء الـدائم والفوز بالنعيم، ومعنى تَزَكَّى تكثر بتقوى اللّه، ومعنى الزاكي النامي الكثير.

وقوله عز وجل: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.

وقرئت بل يؤثرون الحياة الدنيا بـالياء، والأجـود التاء، لأنهـا رويت عن أُبَيّ بن كعب: بل أنتم تؤثرون الحياة الدنيا.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُوَلى﴾.

يعني من قـوله: ﴿قـد أفلح من تَزَكَّى﴾ إلى هـذا المـوضـع، وقيـل بـل السورة كلها.

سورة الغاشية
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾.

قيل إن الغاشية القيامة لأنها تغشى الخلق، وقيل الغاشية النار لأنها تغشى وجوه الكفار.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾.

﴿خاشعة﴾ خبر وجوه، ومعنى خاشعة ذليلة.

﴿تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً﴾، ويقرأ تُصْلَى.

وقوله ﴿تُسْقَى مِنْ عَينٍ آنِيَةٍ﴾ أي متناهية في شدة الحرّ: كقوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾[1].

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ﴾: يعني لأهل النار، والضريع الشبرق، وهو جنس من الشوك، إذا كان رطباً فهو شبرق، فإذا يبس فهوَ الضَّرِيعُ، قال كفار قريش: إنَّ الضريع لَتَسْمَنُ عليه إبِلُنَا، فقال اللّه ـ عزوجل ـ ﴿لاَ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾.

ومعنى ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ أي هذا لم يكن من عِلْمِكَ ولا من علم قَوْمِكَ، وكذلك

---

(١) سورة الرحمن الآية ٤٤.

لأقاصيص التي أخبر بها النبي ﷺ. قال اللَّه ـ عز وجل ـ :﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أنت ولا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾.

وَمَعْنَى ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾: قيل إنها عاملة ناصبة في الدنيا لغير ما يقَرِّبُ إلى اللَّه تعالى، وقيل إنهم الرهبان ومن أشبههم، وقيل عاملة ناصبة في النار، فوصف مُقاساتها العذاب.

وقوله في صفة أهل الجنة: ﴿لَا تُسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةٌ﴾، وقرئت لا يَسْمَعُ فيها لاغيةً، وقرئت لا تُسْمَعُ فيها لاغيةٌ، أي لا تسمع فيها آثمة. ويجوز أن يكون لا تسمع فيها كلمة تلغى، أي تسقط، لا يتكلم أهل الجنة الا بالحكمة، وحمد اللَّه على مارزَقَهُم من نعيمه الدائم.

وقوله:﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾.

الأكواب آنية شبيهة بالأباريق لا عرى لها.

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾: واحدتها نمرقة.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾: الذرابِيُّ البسط، واحدتها زربية.

وقوله:﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾.

نبههم اللَّه على عظيم من خلقه قَد ذَلَّله للصَّغِيرِ يقوده وينتجهُ وينهضه، ويحمل عليه الثقيل من الحمل وهو بارك فينهض بثقيل حمله، وليس ذلك في شيء من الحوامِل غيره، فأراهم عظيماً من خلقه ليدلهم بذلك على توحيده.

﴿وَإِلَى السَّماء كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ يعنى بغير عَمَدٍ.

﴿وَإِلى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾.

﴿نصبت﴾ مرساة مثبتة لا تزول.

﴿وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي دُحِيتَ وَبُسِطَتْ.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّما أنت مُذَكِّرٌ﴾: هذا قبل أن يؤمر النبي ﷺ بالحرب.

﴿لَسْتَ عليهم بِمُسَيْطِرٍ﴾ أي بِمسَلَّط.

﴿إلاَّ مَنْ تَـوَلَّى وَكَفَرَ فَيُعَـذِّبُهُ اللَّهُ العَـذَابَ الأَكْبَرَ﴾.

أي عذاب جهنم.

﴿إن إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ وقرئت إِيَّـابَهُمْ، بـالتخفيف والتثقيـل، ومعنى إيـابهم رجوعهم، ومَعْنَى إِيَّابَهُمْ على مصـدر أَيَّبَ إِيَّابـاً، على معنى فَيْعَلَ فِيعَـالاً، من آب يَؤُوبَ والاصـل إيوابـا، فأدغمت اليـاء في الواو، وانقلبت الـواو إلى اليـاء لأنها سبقت بسكونٍ.

سورةُ الفَجْر
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل : ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِـالمِرْصَـادِ﴾ ،

الفجر انفجار الصبح من الليل، وجواب القسم ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصَادِ ﴾ ﴿وَلَيَـالٍ عَشْرٍ﴾ ليالي عشر ذي الحجة .

﴿والشَّفْـعِ والوِتْـرِ﴾ .

قرئَت والوَتر بفتح الواو، والوَتْرِ يوم النحر، والوتر يوم عرفة وقيـل الشفع والوتر الاعداد، والاعداد كلها شفع ووتر. وقيل : الوتر اللّه عز وجل، الواحد، والشفـع جميع الخلق، خُلِقُوا أزواجاً.

﴿واللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ : إذا مَضَى . سَرَى يَسْرِي ، كما قال ـ عز وجل : ـ ﴿والليل إِذَا أَدْبَر﴾ ، ويَسْر حذفت الياء لأنها رأس آية ، وقد قرئت والليل إِذَا يَسْري بإثبات اليـاء، واتبـاعُ المصحف وحـذف اليـاء أَحَبُّ إِليَّ لأن القـراءة بـذلـك أكثـر، ورُؤُوس الآي فَوَاصِلُ تحذف معها اليَاءَاتُ وتدل عليه الكسرات .

وقوله عز وجل:﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴾ .

أي لذي عَقْل وَلُبٍّ، ومعنى القسم توكيد ما يَذْكُـر وتصحيحه بـأن يُقْسِم عليه .

وقوله :﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ﴾.

قيل هما عادان عاد الأولى وَهي إرَم، وعاد الأخيرة، وقيل إرم أبو عـاد، وهـو عاد بن إرم، وقيـل إرم اسم لبلْدَتِهِمْ التي كانـوا فيهـا. وإرم لم تنصـرف لأنها جعلت اسماً للقبيلة، فلذلك فتحت وهي في موضع جر.

وقوله : ﴿ذَاتِ العِمَادِ﴾.

أي ذاتِ الطُّولِ، يقال رجـل معمَّد إذا كـان طويلاً، وقيل﴿ذات العماد﴾ ذات البناء الطويل الرفيع.

وقوله :﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالوَادِ ﴾.

جابوا قطعوا، كما قال عز وجل ـ ﴿وتنحتون من الجبال بُيُوتاً فارهين ﴾[1].

﴿وَفِرْعَونَ ذِي الأَوْتَادِ﴾.

فِرْعَون لم ينصـرف لأنه أعجمي، وقيـل ذي الأوتاد، لأنـه كان لـه أربَعُ أَسَـاطِين، إذا عـاقَب الانْسَـانَ ربط منـه كـلَّ قـائمــة إلى اسـطوانــة من تلك الأساطين. ومعناه ألم تر كيف أهلك ربك هذه الأمم التي كذبت رُسُلَها.

وكيف جعل عقوبتها أن جعل سـوطه الـذي ضربهم بـه العذاب فقـال: ﴿فَـصَـبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾.

وقوله تعـالى :﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾. أي يـرصـد من كفر بـه وعبد غيـره بالعذاب.

وقوله عز وجل :﴿فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَـهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُـولَ رَبّي أَكرَمَنْ ﴾.

والمعنى إذا ما اختبره ربُّه وَأَوْسَعَ عليه فيقول رَبّي أَكْرَمَنْ.

---

(١) سورة الشعراء /١٤٩.

﴿وأَمَّا إذَا ما ٱبْتَلاَهُ فَقَدَر عَلَيْه رِزْقَهُ﴾، أي جعل رزقه مَقدَّراً.

﴿فَيَقولُ رَبِّي أَهَانَن، كَلاَّ﴾.

أي ليس الأمر كما يظن الإنسانُ، وهـذا يُعْنَى به الكافِرُ الـذي لا يُؤمِنُ بالبَعْثِ، وإنما الكرامة عنده والهوان بكثرة الحظ في الدنيا، وَصِفَةُ المؤْمِنِ أنَّ الإِكْرَام عنده توفيق اللَّهِ إياه أي مـا يؤديه إلى حَظِّ الآخرةِ.

﴿كَـلاَّ بَلْ لاَ تُكْـرِمُونَ الْيَتِيمَ، ولا تَحُضُّـون﴾ ـ وَيُقْـرَأُ ﴿تَحَـاضُّـونَ عَلَى طَعَامِ المِسْكِينِ﴾.

وكانوا يأكلون أَمْوالَ اليَتامَى إسرافاً وَبِدَاراً فقال:

﴿وَيأْكُلُونَ التُرَاثَ أَكْلاً لَمَّا﴾.

أي تراث اليتامى ﴿لَمَّا﴾ يُلِمُّون بِجَمِيعِه.

وقـوله: ﴿ وَتُحِبُّونَ المال حُبًّا جَمًّا ﴾.

أي كثيراً، والتراث أصله الـوُراث من وَرِثْتُ، ولكن التاء تبـدل من الوَاوِ إذَا كَانَتِ الواوُ مَضْمُومَةً، نحو تُراث وأصله وُرَاث ونحـو تجاه وأصله وجـاهِ من وَاجَهْتُ.

وقوله: ﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأرض دَكًّاً دَكًّا﴾.

إذا زلزلت فَدَكَّ بعضُهَا بَعْضاً.

﴿وَجَـاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّـا صَفًّا﴾[١]، والمعنى والمـلائكة كمـا قـال جـل ثَنَاؤُهُ: ﴿هلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ والمَلاَئِكَةُ﴾[٢].

---

(١) الملك اسم جنس.

(٢) سورة البقرة الآية ٢١٠.

وقوله: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾.

كما قال: ﴿وَبُرِّزَتِ الجحيم للغاوين﴾، وقيل في التفسير جيء بجهنم تُقَادُ بألف زِمَامٍ كل زمام في أيدي سبعين ألف مَلَكٍ.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ﴾ يَوْمَئِذٍ يُظْهِرُ الانْسَانُ التَّوْبَةَ.

﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ أي ومن أين له الذكرى، أي التوبة.

﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾، أي لدار الآخرة التي لَا مَوْتَ فِيهَا.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ المعنى لَا يُعَذِّبَ عَذَابَ هذا الكافِرِ وعذاب هذا الصِّنْفَ مِنَ الكفار أَحَدٌ.

﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَه أَحَدٌ﴾.

ومن قرأ لا يُعَذِّبُ، وهو أكثر القراءة، فالمعنى لا يَتَوَلَّى يوم القيامَةِ عذاب اللَّه أَحَدٌ[1]، الملك يومئذ لِلَّه وَحْدَه - جل وعز، وقيل لا يعذب عَذَابه أَحَدٌ، أي عذاب اللَّه أَحَدٌ، فعلى هذا لا يُعَذِّبُ أحَدٌ في الدنيا عَذَاب اللَّه في الآخرة.

وقوله: ﴿يَا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ آرْجِعِي﴾.

«أيٌّ» تؤنث إذا دعوت بها مُؤَنَّثاً وَتُذَكَّرُ، تقول: يا أَيَّتُها المرأةُ، وإن شئت يا أَيها المرْأةُ، فمن ذكَّره فلان «أَيًّا» مُبْهَمَةٌ ومن أَنَّث فَلأَنَّها مع إبْهَامِهَا قد لزمها الإعراب والإضافة، وزعم سيبويه أن بعض العرب تقول كُلتُهُنَّ في كُلُّهُنَّ.

والمطمئنة التي اطمأنت بالايمان وأخبتت إِلَى رَبِّهَا.

﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيةً مَرْضِيَّةً﴾.

---

(١) العذاب الذي يعذبه الله الكافرين.

أَصْلُ مَرْضِيَّةٍ مَرْضُوَّة أي راضية بما أتاها، قد رُضِيَتْ وزُكِّيَتْ.

﴿فادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾، في جملة عبادي المصطفين، وقرئت فادْخُلي في عَبْدي.

﴿وادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

فعلى هذه القراءة - والله أعلم - ادخلي إلى صاحبك الذي[1] خَرَجْتِ مِنه فادخُلي فيه،. والأكثر في القراءة والتفسير: فادخلي في عبادي وادْخُلي جَنَّتِي.

---

(١) في الأصل التي.

سُورَةُ الْبَلَدِ
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾.

يعنى بالبلد ههنا مكة، والمعنى اقسم بهذا البلد، و«لا» أدخلت توكيداً كما قال عز وجل: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾، وقرئت لأُقْسِمُ بهذا البلد. تكون اللام لامَ القسَم والتوكيد، وهذه القراءة قليلة، وهي في العربية بعيدة لأن لام القسم لا تدخل على الفعل المستقبل إلَّا معه النون، تقول لأضربن زيداً، ولا يجوز لأضرِبُ تريد الحال، وزعم سيبويه والخليل ان هذه اللام تدخل مع أن فاستغنى بها في باب إن، تقول إني لأُحِبُّكَ.

ومعنى: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَٰذَا﴾.

أُحِلَّتْ مَكَّةُ للنبي عليه السلام ساعة من النهار، ولم تحل لأحد قبله ولا لأحَدٍ بعده، ومعنى أحلت له أُحِلَّ لَه صَيْدُهَا وان يختلى خلالها وان يعضد شجرها.

يقال: رَجُلٌ حِلٌّ وَحَلَال وَمُحَلٌّ، وكذلك رجل حرام وحِرْمٌ وَمُحْرِمٌ.

وقوله: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾.

جاء في التفسير أن معناه آدم وولده، وجاء معناه أيضاً كل والد وكل مولودٍ.

وقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾.

هذا جواب القسم، المعنى أقسم بهذه الأشياء لقد خلقنا الانسان في كبدٍ، أي يكابد أمره في الدنيا والآخرة، وقيل: في كبَدٍ أي خلق منتصباً يمشي على رِجْلَيْه وسائر الاشياء والحيوان غير منتصبة، وقيل في كَبَدٍ خَلْقُ الانسان في بَطْنِ أُمِّهِ ورأسه قِبَلَ رأسِها، فإذا أرادت الولادة انقلبَ الرأس إلى أسفل.

وقوله: ﴿أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْه أَحَدٌ﴾.

هذا جاء في التفسير أنه رجل كان شديداً جدًّا، وكان يبسط له الأديم العكاظِيّ فيقوم عليه فيهد فلا يخرج من تحت رجليه إلا قطعاً من شدَّتِه، وكان يقال له كلدة فقيل: أيحسب لشدته أن لن يقدر عليه أحَدٌ وأنه لا يبعث، وقيل أن لن يَقْدِرَ عليه اللَّه عز وجل لأنه كان لا يؤمن بالبعث.

﴿يَقُول أَهْلَكتُ مَالاً لُبَداً﴾.

وقرئت أهلكت مالاً لُبَداً، ويُقْرأ لُبَّداً. ومعنى «لُبَد» كثير بعضه قَدْ لُبِّدَ بِبَعْضٍ، وفُعَلٌ للكثرةِ، يقال: رَجُلٌ حُطَمٌ إذا كان كثير الحَطْمِ، ومن قرأ لُبَّداً فهو جمع لاَبِدٍ.

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾.

أي أيحسب أن لم يحص عليه ما أنفق، وفي الكلام دليل على أنه ادَّعَى أنه أنفق كثيراً لم ينفعهُ.

وقوله جل وعز: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ، ولِسَاناً وشفتين وَهَدَيْنَاهُ النَّجدَيْنِ﴾.

أي ألم نَفعل به ما يُسْتَدَلُّ به على أن اللَّه قَادِرٌ على أن يبعثه وأن يحصَى عليه ما يعمله.

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾.

الطريقين الْوَاضِحَيْن، النجد المرتفع من الأرْض ِ، فالمعنى ألم نعرّفه طريق الخير وَطَرِيقَ الشَّرِيَّنْيِنِ كبيان الطريقين العَالِيَيْنِ.

وقوله: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ العَقَبَةَ﴾.

المعنى فلم يقتحم العقبة كما قال: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾، ولم يذكر «لا» إلا مَرَّةٍ وَاحِدَةً، وقلما يتكلم العرب في مثل هذا المكان إلا بلا مرّتين أو أكثر، لا تكاد تقول: لا حَيَّيتَني تريد مَا حَيَّيْتَنِي، فإن قلت: لا حَيَّيْتَني ولا زُرْتَني صَلَح.

والمعنى في ﴿فلا اقْتَحَمَ العَقَبَةَ﴾ موجود أن «لا» ثانية كأنها في الكلام لأن قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ تدل على معنى فلا اقتحم العقبة ولا آمن.

وقرئت: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ، أو إطْعَامٌ في يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾، وقرئت فَكَّ رَقَبةٍ، أو أطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذي مَسْغَبَةٍ، وكلاهما جائز، فمن قال فكُّ رَقَبَةٍ فالمعنى اقتحام العقبة فك رقبة أو إطعام، ومن قرأ فَكَّ رَقبةً فهو محمول على المعنى، والمسغبة المجاعة.

وقوله: ﴿يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ﴾.

معناه ذا قرابة، تقول زيد ذو قرابتي وذو مقربتي، وزيدٌ قرابتي قبيح لأن القرابة المصدر قال الشاعر: (١)

---

(١) قيل هو ابن لبيد العذري، وقيل هو الحرث بن جبلة، وقيل عبيد بن شريَّة (كعطية الجرهمي، قال: مررت بقوم يدفنون ميتاً لهم، فلما انتهيت إليهم اغرورقت عيناي فتمثلت:

فاستقدر الله خيراً وارضين به فبينما العسر إذ تجرى مياسير
وبينما المرء في الأحياء مغتبط إذ صار في الرمس تعفوه الأعاصير

يبكي القريب عليه فقال له رجل: أتعرف من يقول هذا، إن قاتله هو الذي دفناه، وأنت الغريب تبكي عليه، وهذا الذي خرج من قبره أمسُّ الناس به رحماً وأسرهم بموته. =

يبكي الغـــريب عليــه ليس يعــرفـــه　　　وذو قــرابتُة فـي الـحـــي مـســـرور

وقوله: ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾.

يعني أنه من فقره قد لصق بالتُّرَابِ.

وقوله:﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

معنـاه إذا فعل ذلـك وكان عقـدة الايمان ثم أقـام على إيمانِه.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

أي على طاعة اللّه، والصبر عن الدخول في معاصيه، ثم كان مـع ذلك من الذين يتواصون ﴿بالمرحمة﴾، أولئـك أصحاب اليمن على أنفسهم أي كـانوا ميامين على أنفسهم غير مشاتيم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾.

أي هم المشائيم على أنفسهم، نعوذ باللّه من النار.

وقوله:﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾.

ويقرأ بغير هَمزٍ، ومعناه مطبقةٌ، يقال آصَدْتُ البَّابَ وأوصدته إذا أطبقته.

= انظر الاصابة ت ٦٣٩٥، وشواهد المغنى ١١٨، ٢٤٥ ط بيروت، وأخبار النحويين البصريين ت خفاجة ص ٢٤.

سورة والشمس
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل :﴿والشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾.

هذا قسم وجوابه :﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾، ومعناه لَقَدْ أَفْلَحَ ولكن اللام حذفت لأن الكلامَ طَالَ فصار طوله عوضا منها. ومعنى ﴿وضحاها﴾ وَضِيائِها، وقيل ضحاها النهار، وقرأ الأعمش وأَصْحَابُهُ ضحاها وتلاَّها وطحاها بالفتح، وقرأوا باقي السُّورة بالكسر. وقرأ الكسائي السورة كلها بالإمالة، وقرأها أبو عمرو بن العلاء بين اللفظين.

وهذا الذي يسميه الناس الكسر ليس بكسر صحيح، يسميه الخليل وأبو عمرو الإِمَالَةَ، وإنما كسر من هذه الحروف ما كان منها من ذوات الياء ليدلوا على أن الشيء من ذوات الياء. ومن فتح ضحاها وَتَلاَهَا وطحاها فلأنه من ذوات الواو، ومن كسر فلأن ذوات الواو كلها إذا رد الشيء إلى ما لم يسم فاعله انتقل إلى الياء، تقول قد تُلِيَ وَدُحِيَ وَطُحِيَ.

وقوله: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا﴾.

معناه حين تلاها، وقيل حين استدار فكان يتلو الشمس في الضياء والنور.

وقوله :﴿والنَّهارِ إِذَا جَلاَّهَا﴾.

قالوا معناه إذَا جَلَّى الظلمة، وإن لم يكن في الكلام ذكر الظلمة فالمعنى يـدل عليها كمـا تقول: أصبحت بـاردة، تريـد أصبحت غُداتنـا بَـارِدةً وقيـل: ﴿والنهار إذا جَلاَّها﴾ إذا بين الشمس لأنها تبين إذا انبسط النهار.

وقوله :﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾.

معناه والسماء وبنـانها، وكـذلك ﴿وَالأَرْضِ وَمَا طَحَـاهَا﴾ معناه والأرض وطحوها،

وكذلك :﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾.

وقيل معنى «ما» ههنا معنى «مَنْ» المعنى والسماء والذي بناها، ويحكى عن أهـل الحجاز «سُبْحَـانَ مَـا سَبَّحْتُ لَـهُ» أي سبحـان الـذي سبحت، وَمَنْ سَبَّحْتُ له. فأقسم اللَّه ـ عز وجل ـ بهـذه الأشياء العـظام من خلقه لأنهـا تدل على أَنَّه واحِدٌ والذي ليس كمثله شيء.

وقوله عز وجل:﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾.

قيـل علمهـا طـريق الفجـور وطَـرِيقَ الهـدى. والكـلام على أن أَلهَمَهـا التقوى، وفَّقَهَا للتقوى، وأَلْهَمَها فُجورَهَا خذلها، واللَّه أعلم.

وقوله:﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾.

أي قد أفلحت نفسٌ زَكَّاهَا اللَّهُ.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾.

خابت نَفْسٌ دَسَّاها اللَّه، ومعنى «دَسَّاهَا» جعلها قليلة خَسِيسَـةً، والأصل دَسَّسَهَا، ولكن الحروف إذا اجتمعت من لفظٍ واحِدٍ ابدَل من أحدها يـاء، قال الشاعر:

تَقَضِّيَ البَازِي إذَا البَازِي كَسَرْ[١]

---

(١) تقدم

قالوا معناه تقضض.

وقيل: قد أفلح مَنْ زَكَّى نَفْسَه بالعمل الصالح.

وقوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾.

أي بطغيانها، وأصل «طَغْـواها» طَغْيَهَـا وَفَعْلَى إذا كانت من ذوات اليـاء أبدلت في الاسم وَاواً ليفصُل بين الاسم والصفـة، تقول: هي التّقـوى، وإنما هي مِنْ أَيقنتُ، وهي التقـوى وإنما هي من يقنت، وقـالوا: امـرأَةٌ خَزْيـاً لأنها صفةٌ.

وقوله تعالى:﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾.

﴿ناقةَ﴾ مَنْصُـوبٌ على معنى ذروا ناقـة اللَّه، كما قـال سبحانـه: ﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ في أَرْضِ اللَّهِ﴾، أي ذروا سقياها، وكان للناقةِ يَوْمٌ وَلَهُمْ يَوْمٌ في الشِّرْبِ.

﴿فكذَّبُوهُ﴾ أي فلم يوقنوا أنهم يُعَـذَّبُونَ حين قـال لهم فلا تمسـوها بسـوء فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

﴿فعَقَرُوهَا. فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ ﴾.

معناه دَمْدَمَ عَلَيْهِمْ أطبق عليهم العَذَابَ، يقال: دَمْـدَمْتُ على الشيء إذا أطبقت عليه، وكذلك دَمَمْتُ عليه القَبْرَ وما أشبهه، وكذلِكَ ناقـة مَدْمُـومَةٌ، أي قد ألْبَسَها الشحم، فإذا كررت الاطباق قُلْتَ دَمْدَمْتُ عليه.

وقوله:﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾.

أكثر ما جاء في التفسير لا يخاف اللَّه تعالى تبعـةَ ما أَنـزل بِهِمْ، وقيل لا يخاف رَسُولُ اللَّهِ صَالِحُ عليه السلام الذي أرسل إليهم عُقْبَاهَا.

وقيل إذا انبعث أشقاها وهو لا يخاف عقباها.

سُورَةُ وَاللَّيْلِ
مكية

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهار إِذَا تَجَلَّى﴾.

هـذا قسم جوابه ﴿إِنَّ سَعْيَكُم لَشَتَّى﴾، أي إن سَعْيَ المؤْمِنِ والكَافِرِ لمخْتَلِفٌ بينهما بعد، ومعنى إِذَا يَغْشَى الليل الأرْضَ توارى الأُفُقَ وجميع ما بين السماء والأرض، والنهار إِذَا تَجَلَّى إذا بان وظهر.

﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَر والأُنْثَى﴾.

كما فسَرناها في قوله: ﴿والسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾(١).

وقوله: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى ﴾.

في التفسير أنها نزلت في أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ـ رَحِمَه اللَّهُ ـ وكان اشترى جماعة كان يعذبهم المشركون ليَرتَدُّوا عن الاسلام فيهم بلال فوصَفَهُ اللَّه ـ عز وجل ـ على أنه أعْطى تقوى، وصدق بالحسنى، لأنه يجازى عليه، وقيل صَدَّقَ لأنه يخلف عليه لقوله: وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه.

وقال: ﴿فَسَنُيَسِّرهُ لِلْيُسْرَى﴾.

أي للأمر السهل الذي لا يقدر عليه أَحَدٌ إلَّا المؤمنين.

وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُه لِلْعُسْرَى ﴾.

(١) سورة والشمس الآية ٥.

نزلت في رجل أكْرَهُ ذِكْرَهُ، وهي جامعة لكل مَنْ بَخِلَ وَكَذَّبَ لأن اللّه جل وعز يجازيه أو يخلف عليه.

﴿فَسَنُيَسِّرهُ لِلْعُسْرَى﴾، العذاب والأمرُ العَسِيرُ.

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾، قِيلَ إذا مات وقيل إفَا تردَّى في النَّارِ.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾.

أي إن علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضَّلَال.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى، لاَ يَصْلاَهَا إلاَّ الأشْقَى، الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾.

﴿تَلَظَّى﴾ معناه تتوهج وَتَتَوقَّدُ، وَهذه الآية هيَ الَّتي مِنْ أَجْلِهَا قال اهل الارجاء بالارجاء، فزعموا أنه لا يدخل النار إلا كافر لقوله: ﴿لا يَصْلاَهَا إلاَّ الأشْقَى الَّذي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾، وليس كما ظنوا، هذه نَارٌ مَوْصوفة بعينها لا يصلى هذه النارَ إلاَّ الاشقى الَّذي كذَّبَ وَتَوَلَّى، ولأهل النار منازل فمنها قوله: ﴿إنَّ المُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾. واللّه عز وجل كل ما وَعَد عليه بجنس من العذاب فَجَائز أن يُعَذِبَ به، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ويَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فلوكان كل من لم يشرك باللّه لا يعذب، لم يكن في قوله تعالى: ﴿ويغفر ما دون ذلك﴾. فائدة، وكان يغفر ما دون ذلك.

وقوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى، الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾.

أي يطلب أن يكون عند اللّه زاكياً، لا يطلب بذلك رياءً، ولا سمعةً، ونزلت في أبي بكر ـ رضي اللّه عنه ـ.

﴿وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾.

أي لم يفعل ذلك مجازاة لِيَدٍ أُسْدِيَتْ إليه.

﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى﴾.

اي إلاَّ طلب ثوابه.

وقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾.

أي سوف يدخل الجنة كما قال: ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وادْخُلِي جَنَّتِي﴾[1].

---

(١) سورة الفجر. الآية ٢٩ ـ ٣٠.

سورة وَالضُّحَى
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿والضُّحَى وَاللَّيْلِ إذَا سَجَا﴾.

هذا قسم وجوابه مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَا، والضحى النهار، وقيل ساعة من ساعات النهار، وقوله إذا سجا معناه إذا سكن، قال الشاعر(1):

يا حبَّذَا القمراء والليل الساج وطرق مثل مُلَاءِ النسّاج

ومعنى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾.

أي لم يقطع الوحي عنك وَلَا أَبْغَضَكَ، وذلك أنه تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ خمسة عشر يوماً، فقال ناس من الناس: إن محمداً قد ودعه صاحبه وقلاه، فأنزل الله عز وجل - ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ المعنى ما قلاك، كما قال: ﴿والذاكرين اللَّهَ كثيراً والذاكرات﴾ المعنى والذاكراته.

وقوله: ﴿ألم يجدك يَتيماً فَآوَى﴾.

وكان النبي عليه السلام يكفله عمه أَبُو طَالب.

وقوله: ﴿وَوَجَدك ضَالاً فَهَدَى﴾.

معناه - والله أعلم - أنه لم يكن يدري القرآن ولا الشرائِع فهداه الله

---

(1) البيت في اللسان (سجى) ومجاز أبي عبيدة ٢/٣٠٢ والطبري ١٢٧/٣١. ولم يذكر قائله.

إلى القرآن وشرائع الاسلام، ودليل ذلك قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ﴾[1] وقال قوم: كان على أَمْرِ قَوْمِهِ أربعين سنة.

وقوله: ﴿فَأَمَّا اليَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾، أي لا تقهره على ماله.

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾.

أي لا تنهرهُ، إما أعطيته، وإما رددته ردّاً لَيِّناً.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

أي بلّغ ما أرسلت به وحَدِّثْ بالنُّبوَّة التي آتاك اللّه وهي أَجَلُّ النعم.

---

(١) سورة الشورى /٥٢.

سورة الشرح
مكية

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

قوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، أي شرحناه للإسلام.

﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾.

شأي وضعنا عنك إثمك أن غفر اللّٰه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر.

﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ. وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾.

جعل ذكر رسول اللّٰه ﷺ مقروناً بذكر توحيد اللّٰه في الأذان وفي كثير مما يذكر اللّٰه جل وعز، يقول فيه: أشهد أن لا إله إلاَّ اللّٰه، أشهد أن محمداً رسول اللّٰه.

وقوله: ﴿إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً﴾.

فذكر العسر مع الألف واللام ثم ثَنَّى ذكره، فصار المعنى إنَّ مع العُسْرِ يُسْرَيْنِ، وقال النبي عليه السلام: لا يغلب عسرٌ يُسْرَين، وقيل: لو دخل العسر جحراً لدخل اليسر عليه، وذلك أن أصحاب النبي ﷺ كانوا في ضيقٍ شديدٍ، فأعلمهم اللّٰه أنهم سَيُوسِرُونَ وأن سَيُفْتَح عَلَيْهِمْ. وَأَبْدَلَهُمْ بالعُسْرِ اليُسْرَ.

وقوله: ﴿فإذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾.

أي اجْعَل عينك إلى اللّٰه وحده.

سورة والتين
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله:﴿والتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾.

قيل التين دمشق والزيتون بيت المقدس، وقيل: التين جبل عليه دمشق، والزيتون جبل عليه بيت المقدس، وقيل والتين والزيتون جَبَلانِ، وقيل التين والزيتون هذا التين الذي نعرفه، وهذا الزيتون الذي نعرفُه.

و﴿طُورِ سِينِينَ﴾ جبل، وقرأ بعضهم و«طورِ سيناء»، وهذا القول - واللَّه أعلم - أشبه لقوله: ﴿وشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بالدُّهْنِ﴾[1].

﴿وَهَـذَا البَلَدِ الأمِينِ﴾، يعني مكة.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، أي في أَحْسَنِ صُورَةٍ.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾.

إلى أرذل العُمُر، وقيل إلى الضلال كما قال عز وجل:﴿إنَّ الإنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالحات﴾، وهو - واللَّه أعلم - أَنْ خلق الخلق على الفطرة فمن كفر وضل فهو المردود إلَى أَسْفَلِ السَّافِلِين.

(١) سورة المؤمنون /٢٠.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، أي إلَّا هَؤُلَاءِ فَلم يـردوا إلى أسفل سافلين.

وقوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

أي لا يُمَنُّ عَلَيْهِمْ، وقيل غير ممنون غير مقـطوع، وجـواب القسم في قوله: ﴿والتِّينِ والزيْتونِ﴾ قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ في أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾.

سورة العلق
مكية

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

قوله تعالى :﴿إقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ .

جـاء في التفسير أن أول آيـة نزلت من القـرآن ﴿إقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّـكَ الـذي خَلَقَ﴾ .

وقوله : ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ . أي الذي علم الكتابة .

وقوله : ﴿كَلَّا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى . أَنْ رَآه اسْتَغْنَى﴾ .

هذه نزلت في أَبي جَهْلٍ بنِ هِشَام ، وكذلك:﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى .عَبْداً إِذَا صَلَّى﴾ .

لأن أبا جهل قال : إنْ رَأَيْتُ مُحمداً يُصَلِّي تَوَطَّأْتُ عنقه .

وقوله : ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بالنَّاصِيَةِ﴾ .

أي لَنُجَرَّنَّ ناصيته إلى النَّار ، يقال : سَفَعْتُ بالشيء إذَا اقْبَضْتُ عليه وجذبته جَذْباً شديداً .

وقوله : ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ .

وتأويله بناصيةٍ صَاحِبُها كاذب خاطئ ، كما يقال فلان نهـارُه صائم وليلُه قائم ، المعنى هو صائم فِي نهاره وقائم في ليله .

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ .

معناه فليدع أهل ناديه، وهم أهل مجلسه، وَكَانُوا عَشِيرَتَـه أي فليستنصر بهم.

﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾

الزبانية الغلاظ الشداد، وَاحِدُهم زبينـة، وهم ههنا المـلائكة، قـال اللَّه عز وجل: ﴿يا أَيُّها الذين آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ناراً وَقُـودُهَا النَّـاسُ وَالحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ﴾[1] وَهُمُ الزَّبَانِيَةُ.

﴿كَلَّا﴾ أي ليس الأمر على ما عليه أبو جهل.

﴿لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ واقْتَرِبْ﴾.

أي وتقرب إلى ربك بالطّاعة.

(١) سورة التحريم /٦.

سُورَةُ القَدْرِ

مدنية وقيل الصحيح مكيّة

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

قوله تعالى :﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ ﴾.

الهـاء ضمير القـرآن ولم يجر لـه ذكَر في أول السـورة ولكنه جـرى ذكره فيما قبلها، وهو قوله:﴿حمٓ والْكِتَابِ المُبِينِ إنّا أَنْزَلْنَاهُ في لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾،وهي لَيْلة القَـدْرِ، ومعنى ليلَة القـدر ليلة الحكم قـال اللّٰه تعـالى :﴿فِيهَا يُفْـرَقُ كُـلُّ أَمْـرٍ حَكِيمٍ﴾.

نزل القرآن كله إلى السَّماء الدنيا في ليلة القَدْرِ، ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبي ﷺ في عشرين سنة. وقوله خير من أَلْف شَهْرٍ.

وقوله : ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

من ألف شهر ليس فيه لَيلةُ القَدْرِ.

وقوله:﴿تَنَزَّلُ المَلاَئِكَةُ والرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾.

تنزل الملائكة بما يقضي اللّٰه عز وَجَل في ليلَة القدرَ للسنة إلَى أن تـأتيَ ليلةُ القَدْرِ، وقُرِئَتْ مِنْ كُلّ امْرِئٍ، وهـذه القراءة تخـالف المصحف، إلاَّ أنها قد رويت عن ابن عباس.

وقوله:﴿سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ ﴾.

أي لا داء فيها، ولا يستطيع الشيطانُ أن يصنع فيها سَيِّئاً، والروح جبريل عليه السلام.

وقرئت مَطْلعَ الفَجْرِ، وَمَطْلِعَ الفَجْرِ - بفتح اللام والكسر - فمن فتح فَهُوَ المصدَرُ بمعنى الطلع. تَقُول: طلع الفجر طلوعاً وَمَطْلِعاً، ومن قال مَطْلِع فهو اسمٌ لوقت الطلوع وكذلك لمكان الطلوع، الاسم مَطْلِع بكسر اللام.

سُورَةُ القَيِّمَةُ

مَدَنية وقيل الصحيح مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قـوله عـز وجل :﴿لَمْ يَكُنِ الَّـذِينَ كَفَـرُوا مِنْ أَهْـلِ الكِتَـابِ والمُشْـرِكِينَ مُنْفَكِينَ﴾ .

﴿المشركين﴾ في موضـــع جر عـطف على أهل الكتـاب، المعنى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ومن المشركين.

وقوله :﴿مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ البَيِّنَةُ﴾ .

أي لم يكونوا منفكين من كفرهم، ومعنى منفكين منتهين عن كفرهم،

وقوله:﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو ﴾ .

يرتفع على ضربين أَحَدُهُمـا على البَدَلَ مِنَ البَيِّنَـةِ، المعنى حتى يأتيهم رسول من اللّه، والضرب الثاني على تفسير البينـة، والبينَةُ

﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْـلُو صُحُفاً مُطَهَّرةً﴾ .

أي مطهرة من الأدناس والباطل، قال اللّه عزوجل : ﴿في صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ، مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾(١) .

وقوله : ﴿فِيهَا كُتُب قَيِّمةٍ﴾ .

---

(١) سورة عبس الآية ١٣ ـ ١٤ .

أي كتب غير ذات عوج مستقيمة تُبَيِّنُ الحقّ من الباطل على الاستواء والبرهان.

قوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البيِّنَةُ﴾.

أي ما تفرقوا في ملكهم وكفرهم بالنبي عليه السلام إلا من بعد ان تبيَّنُوا أنه الذي وعدوا به في التوراة والانجيل.

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَه الدِّينَ﴾.

أي يعبدونه مُوحِّدين له لا يعبدون معه غيره ﴿حنفاء﴾ على دين إبراهيم ودين محمد عليه السلام.

﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾.

أي يؤمنوا مع التوحيد بالنبي ﷺ ويقيموا شرائعه.

﴿وذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ﴾.

أي وذلِكَ دين الأمة القيمَةِ بالحقِ فيكون ذلك دين الملَّةِ المستقيمة.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ البَرِيَّةِ﴾.

القراءة البرية بترك الهمزة، وقد قرأ نافع البريئة بالهمز، والقراء غيرُهُ مجمعُونَ على ترك الهمز، كما أجمعوا في النبي، والأصل البريئة، إلا أن الهمزة خففت لكثرة الاستعمال. يقولون: هذا خير البريِّةِ وشر البريِّةِ وما في البريَّة مِثْلُه، واشتقاقهُ من برأ اللَّه الخلق. وقال بعضهم: جائز أن يكون اشتقاقها من البَرَى وهو التراب، ولو كان كذلك لما قرأوا البريئة بالهمز، والكلام برأ اللَّه الخلق يبرؤهم، ولم يحك أحد براهم يبريهم، فيكون اشتقاقه من البَرَى وهو التراب[1].

وقوله: ﴿جنات عدن﴾: أي جنات إقامة.

---

(١) لم يقرأ أحد براهم حتى يمكن أن يكون مشتقاً من البرى.

سورة الزلزلة
مدنية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل:﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾.

إذا حـركت حركـة شديـدة، والقراءة زِلْـزَالَها بكسـر الزَاي، ويجـوز في الكلام زَلْزَالَهـا، وقرئت زَلْـزَالَها، وليس في الكـلام فَعْلَال بفتـح الفَـاء إلاَّ في المضاعف نحو الزلزال والصَّلْصَال. والاختيارُ كَسرِ الزاي، والفتح جائز.

﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾.

أخرجت كُنوزها وموتاهـــا.

﴿وَقَـــالَ الإِنْسَانُ مَالَها ﴾.

هذا قول الكافِرِ لأنه لم يكن يؤمن بالبعث، فقال: مَالَهـا، أي لأي شيء زلزالها.

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾.

﴿يَـوْمَئِذٍ﴾ منصـوب بقولـه: ﴿إِذَا زُلْزِلَت﴾، وأخـرجت، في ذلك اليـوم ومعنى ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، تخبرهُ بما عُمِلَ عَليها.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾.

أي يَصْـدُرون متفـرِّقينَ منهم مِن عمـل صـالحـاً ومنهم من عمـل شَـــرًّا

والقراءة ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ ويُرْوَى لِيَـرَوْا أعمالهم، ولا أعلم أَحَـداً قرأ بهـا، ولا يجوز أن يقرأ بما يجوز في العربية إذا لم يقرأ به من أُخِذَت عَنْهُ القراءة.

ومعنى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ تأويله أن اللّٰه جل وعز قد أحصى أعمال العباد من خَيْرٍ، وكل يـرى عمله، فمن أَحَبَّ اللّٰه أن يغفر لـه غَفَر لـه، ومن أحب أَنْ يُجَازِيَه جَـازَاهُ، وقيل من يعمـل مثقال ذرَّةٍ خَيـراً يَرَهُ في الـدنيا، وكذلك شَرًّا يره في الدنيا. واللّٰه أعلم.

سُورَةُ والعَادِيات
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً﴾.

يعنى بالعاديات ههنا الخيل، وهذَا قسمٌ جوابه: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾.

وقوله: ﴿ضَبْحاً﴾.

معناه والعاديات تضبح ضبحاً، وضبحها صوت أجوافها إذا عَدَتْ.

فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً.

إذا عدت الخيل بالليل وأصابت حوافرها الحجارة انقدح منها النيران.

﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً﴾.

يعنى الخيل. وجاء في التّفسير أنها سَرِيَّة كانت لرسول اللّه ﷺ إلى كندة.

﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً﴾.

النقع الغبارُ، فقال «بِهِ» ولم يتقدم ذكر المكان، ولكن في الكلام دَليلٌ عليه، المعنى فأثرن بمكان عَدْوِهَا نَقْعاً أَيْ غُباراً.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾.

القراءة ﴿فَوَسَطْنَ﴾ أي فتوسَّطْنَ المكان، ولو قال فَوَسَّطْنَ بِهِ جَمْعاً لجازَتْ، إلاَّ أَنِّي لاَ أَعْلَمُ أَحَداً قَرَأَ بها.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾.

معناه لكفورٌ، يعني بذلك الكـافِـرُ.

﴿وَإِنَّـهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾.

معنى ﴿لَشَدِيد﴾ لَبخيـلٌ، أي وإنه من أَجْل حُبِّ المال لبخيل، قال طـرفـة:

أرى المـوت يعتام الكـرام ويصطفي عقيلةَ مـال الفـاحش المتشَـدِّدُ[1]

وقوله: ﴿أَفَلاَ يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ ما فِي القُبُور﴾.

بعثر وبحثر بمعنى وَاحِدٍ، والمعنى أفلا يعلم إذا بعث الموتى.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمِئِذٍ لِخَبيرٌ﴾.

اللَّه عز وجل خبيـر بَهَم في ذلك اليـوم وَفي غيره، ولكن المعنى إن اللَّه يجـازيهم على كفرهم في ذلـك اليوم، وليس يجـازيهم إلَّا بِعِلْمِـهِ أعمـالهم، ومثله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَـا فِي قُلُوبِهِـمْ﴾[2]، فمعناه أولئك الذين لا يترك مجازاتَهُمْ.

---

(١) البيت الـرابع والستـون من معلقته انـظر شرح الزوزني ص ٦٣ (ط صبيـح). ويعتـام: يختـار، والعقيلة الكرية، والفاحش البخيل، والمتشدد يمكن أن يكون بمعنى البخيل كما ذكر فيفيد المبالغة، ويمكن أن يكون بمعنى المبالغ في البخل وهو أقرب ويمكن أن تكون الآية.
وأنه لكثير الحب لجمع المال.

(٢) سورة النساء /٦٣.

سورة القارعة
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل:﴿القَارِعَةُ وَما القَارِعَةُ﴾.

القارعة والواقعة والحاقَّة مِن صفات ساعة القيامَةِ، والقارعة التي تقرع بالأهوال. وقد فسرنا إعراب ﴿الحَاقَّةُ ما الحَاقَّةُ﴾ ومِثلها ﴿القَارِعَةُ ما القارعة﴾.

وقوله:﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالفَرَاشِ المَبْثُوثِ﴾.

﴿يَوْمَ﴾ منصوب على الظرف، المعنى يكون يوم يكون الناس كالفراش المبثوث، والفراش ما تراه كصغار البقّ يتهافت في النَّار، وشبه الناس في وقت البعث بالجراد المنتشر، والفراش المبثوث لأنهم إذا بعثوا يموج بعضهم في بعضٍ كالجرادِ الذي يموج بعضه في بعض.

وقوله :﴿كَالْعِهْنِ المَنْفُوشِ﴾.

﴿العِهْنِ﴾ الصوف،واحدته عِهنة ،يقالُ عِهْنة وعِهْنٌ، مثل صوفة وصوف.

وقوله:﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينَهُ، فَهُوَفِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾.

ذات رِضًى، معناه من ثقلت موازينه بالحسنات، كما تقول: لفلان عندي وزن ثقيلٌ،تأويله له وزن في الخير ثقيل،ومعنى ﴿في عيشة راضيةٍ﴾ ذات رضى يرضاها من يعيش فيها، وقال قوم: معناه مَرْضِيَّةٍ، وهو يعود إلى هذا المعنى في التفسير.

وقوله :﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ .

أي فَمَسْكَنَه النار، وقيل ﴿أُمُّه﴾ لَمَسْكِنِه لأن الأصل في السُّكونِ إلى الأُمَّهاتِ فَأُبْدَلَ فِيمَا يَسْكُنُ إلَيْه ﴿نَارٌ حَامِيَة﴾ .

وقوله : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ﴾ .

الوقف «هِيَه»، والوصل هي نار حَامِيَةٌ إلاَّ أن الهاء دخلت في الوقف تبين فتحة الياء[1]، والذي يجب اتّباع المصحف فيوقف عليها ولا توصل، فيقرأ:﴿وما أدراكَ ماهيه . نارٌ حامية﴾،لأن السنة اتباع المصحف، والهاء ثابتة فيه[2] .

---

(١) يريد : حيث دخلت هاء السكت وهي ساكنة فتحت الياء، إذ لم تعد الياء آخر الكلمة .

(٢) ويجوز الوصل ولكن ها السّكت باقية على ما هي عليه .

سورة ألهاكم
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾.

أي شَغَلكم التَّكَاثُر بالأموال والأولاد عن طاعة اللّهِ.

﴿حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ﴾.

أي حتى أَدْرَككم الموت على تلك الحال. وجاء في التفسير أن حَيَّينِ من العرب، وهم بنو عبد مناف وبنو سهم تَفاخروا وتكاثروا، ففخرت بنو عبد مناف على بني سهم بأن عدوا الأحياء، فقالت بنو سهم: فاذكروا الموتى. وَكَثَرَتْهُم بَنُو سهم بعد أن كان بنو عبد مناف قد كَثَرُوا بني سَهْمٍ[1].

وقوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿كَلَّا﴾ ردع وتنبيه، المعنى ليس الأمر الذي ينبغي أن يكونوا عليه التَّكَاثُرَ، والذي ينبغي أن يكونوا عليه طاعة اللّه والايمانُ بنبيه ﷺ.

وقوله عز وجل: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ﴾.

المعنى لو علمتم الشيء حق علمه، وصرفتُم التفهم إليه، لارْتَدَعْتُم.

ثم قال:

﴿لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ﴾.

---

(١) كثروهم زادوا عليهم في العدد.

كمـا قال: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾. والقـراءة لتـروُنَّ ـ بضم الـواو غيـر مهموزة ـ فضمت الواو لسكونها وسكـون النون ـ وقـد همزهـا بعضهم ـ لَترؤُنَّ ـ والنحـويـون يكرهون همزة الواو، لأن ضمتها غير لازمة لأنها حـركت لالتقاء الساكنين، ويهمزون الواو التي ضمتها لازمة نحـو أَدْؤُرٍ جمع دار، فيجـوز أدؤر بالهمز وادور بغيـر الهمز، وأنت مخيـر فيهما، فـأمـا «لَتـرؤنَّ» ثم لَتَرَوُنَّهـا فلا يختار النحويون إلَّا ترك الهمـزة، وقرئت: «لتُـرَؤُنَّ» الجحيم، على ما لم يُسَمَّ فاعِلُه.

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾.

أي يوم القيامة، عن كل مـا يتنعَم به في الـدنيا، وجـاء في الحديث أن النبي عليه السلام أكل هو وجمـاعةٌ من أصحـابه تمـراً ـ وروي بُسْراً[1] ـ وشربوا عليه ماء فقـال: الحمد للّه الـذي أطعمنا وسقـانا وجعلنـا مسلمين، . وجاء أن مما لا يسأل العبد عنه لباساً يواري سوْأَتَه وطعامـاً يقيم به صلبـه، ومكانـاً يكنه مِنَ الحَرِّ والبَرْدِ.

(١) البسر: بضم الباء ـ الغض من كل شيء ـ والتّمر قبل إرطابه، وقد تضم السين.

سورة والعصر
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله تعالى:﴿وَالْعَصْرِ، إنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ .

الانسان ههنا في معنى الناس، كما تقول: قد كثر الدرهم والدينار في أيدي الناس، تريد قد كثر الدراهم، وقوله:﴿لفي خُسْرٍ﴾ الخسرُ والخسْرانُ في معنى وَاحِدٍ، المعنى أن الناس الكفارَ والعاملين بغير طاعة اللّه لفي خُسرٍ.

﴿إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ﴾ .

تواصوا بالإقامة على تَوْحِيدِ اللّه والايمان بنبيه عليه السلام.

وَتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ على طاعة اللّه والجهاد في سبيله والقيام بشرائع نبيه.

والعصر هو الدهر، والعصران اليوم، والعصرُ الليلة، قال الشاعر:

ولن يَلْبثَ العَصْرانِ يَومٌ وليلةٌ   إذَا طلبا أَن يُدرِكا مَا تيمّما(١)

(١) نسبه في البحر المحيط ٨/٥٠٩ لحميد بن ثور، وهو مذكور في ميمية المتلمس، وانظر الخزانة ٤/٢١٥ والعيني ٤/٤١١، والقرطبي ٢/١٧٩، وطبقات النحويين ٣٣. والاصمعيات ١/٦٤ والقصيدة بالديوان ١٦٦، قال أبو عمرو وكانت العرب إذا أرادوا أن ينشدوا هذه القصيدة توضأوا لها. والمعنى أن الأيام تأتي مع كل شيء.

﴿وَالعَصْرِ﴾ قسم وجوابه ﴿إِنَّ الإنسانَ لَفِي خُسْرٍ﴾، وقال بعضهم: معناه وربَّ العصر كما قال جل ثناؤه: ﴿فَوَرَبِّ السَّماءِ والأَرْضِ﴾[1].

(١) سورة والذاريات الآية ٢٣.

الهُمَزَة(١)
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾.

﴿وَيْلٌ﴾ مرفوع بالابتداء والخبر ﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ ولو كان في غير القرآن جاز النصب، ولا يجوز في القرآن لمخالفة المصحف. فمن قال: ويْلًا للكافرين، فالمعنى جعل اللَّه له ويلاً، ومن قال: وَيْلٌ فهو أجود في العربية لأنه قد ثبت له الويل، والويل كلمة تقال لكل من وقع في هلكة.

والهُمَزَةُ اللُّمَزَةُ الذي يغتاب النَّاسَ وَيَعَضُّهم قال الشاعر:(٢)

إذا لقيتك عن كره تكاشرني وإن تغيبت كنت الهامز اللمزة

وقرئت: ﴿الذي جَمَّعَ مَالاً﴾، وقرئت ﴿جَمَعَ مَالاً﴾، بالتخفيف، وقرئت ﴿وَعَدَّدَه﴾ بالتشديد، وقرئت ﴿وَعَدَدَهُ﴾ ـ بالتخفيف، فمن قرأ ﴿وَعَدَّدَهُ﴾ فمعناه وَعَدَّدَهُ للدُّهور، ومن قرأ ﴿وَعدَدَهُ﴾ فمعناه جمع مالاً وَعَدَداً، أي وقوماً أَعَدَّهم نُصَّاراً.

---

(١) كذا في الأصل بدون ذكر سورة.

(٢) في اللسان (همز): إذا لقيتك عن شحط ـ وفي مجاز أبي عبيدة ٢/٤٣١١، «تدلى بودي إذا لاقيتني كذبا».

وانظر القرطبي ٣٠/١٨٢، والطبري ٣٠/١٦١.

وقوله: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَه أَخْلَدَهُ﴾.

أي يعمل عمل من لا يظن مع يساره أنه يَمُوتَ.

وقوله: ﴿لَيُنْبَذَنَّ فِي الحُطَمَةِ﴾.

أي يرمى به في النار، والحُطَمَةُ اسم من اسماء النار، وقرئت «لَيُنْبَـذَانِّ» في الحـطمـةِ، ورويت عن الحسن، على أن المعنى لينبــذنَّ هـو ومــالـه في الحُـطَمَةِ، وقـرئت لَتَنْبُذُنَّ، في الحـطمـة، فمعنـاه أنـه لينبـذ هـو وجمعُـه في الحطمة. والقراءة المعروفة ﴿لَيُنْبَذَنَّ﴾.

قوله: ﴿نَارُ اللَّهِ المُوقَدَةُ. الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأفئِدةِ﴾.

هذه نار معدة لهؤلاء الكفار ومن كان مثلهم، ومعنى ﴿تطَّلِعُ عَلَى الأفْئِدَةِ﴾ يبلغ ألمها وإحْرَاقُها إلى الأفئدة.

وقوله: ﴿إنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ﴾.

قرئت بالهمز وبغير همز، وقرئت مُوصَدَة، والعـرب تقول أَوْصَـدْتُه فعلى هذا مُوصَـدَةٌ، وتقول آصَـدْتُه فعلى هـذا مُؤْصَدَة. بـالهمزة، ومعنى «مُـوصَدَةٌ» مطبقة، أي العَذَابُ مطبَقٌ عليهم.

وقوله: ﴿في عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾.

وقرئت في عُمُدٍ وهو جمع عَمَادٍ وَعُمَد وَعُمُـد، كما قـالوا: إهَـابٌ وَأُهَبٌ وأُهُبٌ. ومعناه أنها في عُمَد مِنَ النَّارِ.

سورة الفيل
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ كيف فَعَلَ رَبُّك بِأَصْحَابِ الفِيلِ﴾.

﴿كيف﴾ في موضع نصب بـ ﴿فَعَلَ رَبُّكَ﴾ لا بِقَوْله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، لأن كيف من حروف الاستفهام، ومعنى ﴿أَلم تر﴾ ألم تعلم، فأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ رسوله ما كان مما سَلَفَ من الأقاصيص وما فيه دَالٌّ على توحيد اللَّه وتعظيمه أمر كعبته، وكان من قصة أصحاب الفيل أَنَّ قوماً من العرب ـ وكانوا ببلاد النجاشي ـ وكانوا بحضرة بيت هو مُصَلًّى للنَصَارَى وأصحاب النجاشي، فأججوا ناراً استعملوها لبعض ما احتاجوا إليه، ثم رحلوا ولم يطفئوها فحملتها الريح حتى أَحْرَقَتِ البَيْتَ الذي كان مصلاهم وَمَثَابَةً للنجاشي وَأَصْحَابِه، فقصد مكة مُقَدِّراً أَنْ يَحرقَ بيت الحَرَامَ ويستبيح أهل مكة. فلما قربوا من الحرم لَمْ تَسِرْ بهم دَوَابُّهم نحو البيتِ فإذا عطفوها راجعين سَارَتْ. فوعظهم اللَّه بِأَبْلَغ مَوْعظةٍ، فأقاموا على قصد البيت وعلى أن يحرقوه، فأرسل اللَّه عليهم طَيراً أَبابيل، فجعل كيدهم في تضليل، أي في ذهاب وهلاك، وكان مع كل طائر ثلاثة أحجار، حجر في منقاره وحَجران في رجليه، يقع الحجر منها على رأس الرجل فيخرج من دبره على كل حجر اسم الرجل الذي وقع عليه، فقال اللَّه جل ثناؤه: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيراً أَبَابِيلَ﴾: جماعات من ههنا وجماعات من ههنا والمعنى أرسل اللَّه عليهم هذا الطير بهذه الحجارة من كل جانب.

ومعنى ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾.

وصف اللَّه في كل من عَذَّبه بالحجارة أَنَّها مِنْ سِجِّيلٍ، فقال في قوم لُوطٍ: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾.

فالمعنى وأرْسَل عليهم ما يرميهم بحجارة من سِجّيل، أي من شديد عَذَابه، والعرب إذا وصفت المكروه بسِجِيلٍ كأنها تعني به الشِدَّةَ ولا يوصف به غير المكروه، قال الشاعر[٢].

وَرَجْلَةٍ يضربون البَيْضَ ضَاحِيَةً ... ضَرْباً تَوَاصَتْ به الأَبْطَالُ سجّيلاً

أَيْ ضَرْباً شَدِيداً.

وأما ﴿أبابيل﴾ قال أبو عُبَيْدَةَ: لا واحد لها، وقال غيره: إبَّالَةٌ وَأَبابيل. و «إبَّالَة» كأنها جماعة، وقَالَ بَعْضُهم واحدها «إبَّوْل» وأبابيل، مثل عجول وعجاجيل.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾.

أي جعلهم كورق الزرع الذي جُزَّ وأكل، أي وقع فيه الآكال. وجاء في التفسير أن اللَّه تعالى أرسل عليهم سيلاً فحملهم إلى البحر.

---

(١) سورة هود/ ٨٢.

(١) تقدم.

سورة قريش
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿لِإِيلافِ قُرَيْشٍ﴾.

فيه ثلاثة أوجه: لإِلَافِ قريش، ولإِيلاف قريش، ووجه ثالث «لِإِلْفِ قُرَيْشٍ». وقد قرئ بالوجهين الأولين.

وقوله: ﴿إِيلَافِهِمْ. رِحْلَةَ الشِّتَاءِ والصَّيْفِ﴾.

يجوز فيه ما جاز في «لِإِيلَافِ» إلَّا أَنَّه قد قرئ في هذه «إِلْفِهِمْ» و «إيلافهم» ويجوز إلَافِهم. وهذه اللام قال النحويون فيها ثلاثة أوجه، قيل هي موصولة بما قبلها، المعنى فجعلهم كعصف مأكول لالف قريش، أي أهلك اللّه أصحاب الفيل لتبقى قريش وما قَد أَلِفُوا من رحلة الشتاء والصيف.

وقال قوم: هذه لام التعجب فكان المعنى اعجبوا لايلاف قريش.

وقال النحويون الذين ترتضى عربيتهم: هذه اللام معناها متصل بما بعد فليعبدوا، والمعنى فليعبد[1] هؤلاء ربّ هذا البيت لِإِلْفِهِمْ رحلة الشتاء والصيف.

والتأويل أن قريشاً كانوا يرحلون في الشتاء إلى الشام وفي الصيف إلى

---

(١) في الأصل فليعبدوا هؤلاء.

اليمن فيمتارون، وكانوا في الرحلتين آمنين والناس يتخطفون، وكانوا إذا عرض لهم عارض قالوا نحن أهل حرم اللّٰه فلا يتعرض لهم. فأعلم اللّٰه سبحانه أن من الدلالة على وحدانيته ما فعل بهؤلاء لأنهم ببلد لا زرع فيه وأنهم فيه آمنون. قال اللّٰه ـ جل ثناؤه ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةَ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾(١) أي يؤمنون بالأصنام ويكفرون باللّٰه ـ عزوجل ـ الذي أنعم عليهم بهذه النِّعْمَةِ، فأمرهم بعبادته وحده لِأَنْ آلَفَهُم هاتين الرحلتين.

﴿وَأَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾.

وكانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الميتة والجيف.

﴿وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾.

آمنهم من أن يخافوا في الحرم، ومِن أَنْ يخافوا في رحلتهم يقال: أَلِفْت المكان آلفه إلفاً، وآلفت المكان بمعنى ألفت، أولِفهُ إيلافاً.

---

(١) سورة العنكبوت /٦٧.

سورة الدين
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى:﴿أَرَأَيْتَ الَّذي يُكَذِّبُ بالدِّينِ ﴾.

وقرئت «أَرَيْتَ»! والاختيارُ أَرَأيت بإثبات الهمـزة الثانيـة لأن الهمزة إنَّمَـا طـرحت للمستقبل في تـرى ويرى وأرى، والأصـل ترأى ويَـرأى، فـأمـا رأيت فليس يصـح عن العرب فيهـا ريت، ولكن ألف الاستفهام لمـا كـانت في أول الكلام سَهَّلَت إلقاء الهمزة، والاختيار إثباتها.

وقوله: ﴿يَدُعُّ اليَتِيمَ﴾.

معنى يدُع في اللغة يدفع، وكذلك قوله:﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ أي يدفعون إليها دفعاً بعنف، فذلك الذي يَدُعُّ اليَتِيمَ عن حَقِّه.

وقوله: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ المِسْكِينِ ﴾.

أي لا يطعم المسكين ولا يأمر بإطْعَامِه، ويقرأ فذلك الذي يَـدَعُ اليتيم، تأويله فذلك الذي لا يعبأ باليتيـم ويتركه مهملاً وقوله:﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَـلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾.

يُعْنَى بهـذا المنافقـون، لأنهم كانـوا إنَمَا يـراءون بالصـلاة إذَا هُمْ رآهم المؤمنـون صلوا معهم، وإذا لم يـروهم لم يصلوا، وقيـل هم عن صـلاتهم

ساهون يؤخرونها عن وقتهـا، ومن تعمَّد تـأخيرهـا عن وقتها حتى يـدخل وقت غيرها فالويل له أيضاً كما قال اللّه عز وجل.

وقوله عز وجل: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾.

أي يمنعـون ما فيـه منفعة، والمـاعون في الجـاهلية مـا فيه منفعـة حتى الفأس والدلو والقدر والقَدَّاحَة وكل ما انتفع به من قليل أو كثير، قال الأعشى:

بـأجـوَدَ منــه بمــاعُــونِــه   إذَا ما سماؤهمــو لـم تُغِـمْ[1]

والماعون في الاسـلام قيل هـو الزكـاة والطاعـة، قال الراعـي.

قـوم على الإسلام لمـا يمنعوا   ما عونهم ويضيعـوا التهليلا[2]

---

(١) في اللسان المراد بالماعون هنا متـاع البيت وكل مـا يعار. والـظاهر من البيت أن المـراد بــه مـاعون الطعام ـ لأن انقطاع الغيم وقلة المطر مهييء للمجاعة وتحوج الناس للطعام.

والبيت في اللسان (معن) والطبري ٣٠/١٧٥، والقرطبي ٢٠/٢١٤. ومجاز أبي عبيدة ٢/٣١٣. من قصيدته في مدح معاوية الأكرمين.

(٢) من لاميته التي في آخر ديوان جرير ـ ويروى البيت أيضـاً قوم عـلى التنزيـل ـ وهو في القـرطبي في الآيـة نفسها مـع بيتين من القصـدة. والمراد بـالتهليل كله لا إلـه إلا اللّه. ويروى التنـزيلا ـ أي القرآن.

سورة الكوثر
مكية

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ﴾.

جاء في التفسير أن الكوثر نهر في الجنة أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، حافَّتَاه قباب الدر، مجوف، وجاء في التفسير أيضاً أن الكوثر الاسلام والنبوّةُ. وقال أهل اللغة: الكوثر فوعل من الكثرة، ومعناه الخير الكثير. وجميع ما جاء في تفسير هذا قد أعطيه النبي عليه السلام. قد أعطي الاسلام والنبوة وإظهار الدين الذي أتى به على كل دين والنصر على عدوه والشفاعة، وما لا يحصى مما أعطيه، وقد أعطي من الجنة على قدر فضله على أهل الجنة.

ومعنى ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ﴾.

أي وانحر أيضاً لربك، وقيل يعنى به صلاة الغداة في يوم النحر، أي وانحر بعد صلاة الفجر، والأكثر فيما جاء «فَصَلِّ لِرَبك وانْحَرْ» صلاة يوم الأضْحَى ثم النحر بعد الصلاة. وقيل فصل لربك وانحر أي اجعل يمينك على شمالك إذا وقفت في الصلاة وضمهما إلى صدرك[1].

---

(١) في الأصل وضمها ـ والمراد اجعل يدك اليمنى فوق يدك اليسرى مضمومتين إلى صدرك ـ وهذا بعيد عن نص الآية.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾.

﴿شانئك﴾ مبغضك وهذا هو العاص بن وائل دخل النبي عليه السلام وهو جالس فقال: هذا الأبتر، أي هذا الذي لا عقب له، فقال اللّٰه تعالى: إن شانئك يا محمد هو الأبتر. فجائز أن يكون هو المنقطع العقب، وجائز أن يكون هو المنقطع عنه كل خير، والبتر استئصال القطع.

سورة الكافرين(١)
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَيُّها الْكَافِرُونَ، لَا أَعْبُدَ مَا تَعْبُدونَ، وَلَا أَنْتُم عَابِدُونَ ما أَعْبُدُ، وَلَا أَنَا [عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ]﴾.

أي لست في حالي هذه عابداً ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُم.

أي ولا أعبد فيما أستَقْبِل ما عبدتم، ولا انتم فيما تستقبلون عابدون ما أعبد - فهذا نفي الحال، وأن يكون أيضاً فيما يستقبل، ينتقل عن الحال، وكذلك نفى عنهم العبادة في الحال للَّه عز وجل وفي الاستقبال. وهذا واللَّه أعلم في قومه، أعلمه اللَّه أنهم لا يؤمنونَ كما قال عز وجل في قصة نوح: ﴿لَنْ يُؤمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِ﴾.

قيل هذا قبل أن يؤمر ﷺ بالقتال.

---

(١) هكذا جاءت في الأصل - على أن الكافرين مضاف إليه مجرور. والأولى ن تأتي على الحكاية «الكافرون» كما في المصاحف.

سورة النصر
مدنية

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ والفَتْحُ﴾.

قيل إن الفتح كَمَا جاء في التفسير أنه نعيت إلى النبي ﷺ نفسه في هذه السورة. فأعلم [اللّٰه - عز وجل -] أنه إذَا جَاء فتح مكة ودخل الناس في الاسلام أفواجاً فقد قرب أجله ﷺ وكان يقول ذلك إنه قد نعيت إلى نفسي في هذه السورة.

فأمره اللّٰه عز وجل أن يكثر التسبيحَ والاستغفار ليختم له في آخرِ عمره بالزيادة في العمل الصالح باتباع ما أمره به.

ومعنى: ﴿أفواجاً﴾ جماعات كثيرة، أي بعد أن كانوا يدخلون وَاحِداً واحِداً، واثنين اثنين، صارت القبيلة تدخل بأسرها في الإسلام.

سُورَة تَبَّتْ
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾.

معناه خسرت يدا أبي لهب، وَتَبَّ أي خسِرَ.

وجاء في التفسير أن النبي ﷺ دعا عمومته و
فقالوا: أحدنا وحده يأكل الشاة وإنما قدم إلينا
جميعاً ولم يُنْقَص منها إلا الشيء السير، فقالوا: ما
لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم، وإنما تَفَاضَ
لهب: تبًّا لك ألهذا دعوتنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿تَبَّتْ

وقوله: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾.

المفسرون قالوا: ما كسب ههنا ولَدُه. مـ
أغنى عنه ماله وكسبه.

﴿سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾

أي وولده سيصلى ناراً ذات لهب. ويقرأ سَيُصْ

﴿وامْرَأَتُه حَمَّالَةُ الحَطَبِ﴾.

ويقرأ حمالةَ الحطب ـ بالنصب ـ وامرأتـ
العطف على ما في «سيصلى» المعنى سيصلى ه
الحطب﴾ نعْتاً لها. ومن نصب فعلى الذم، والمعنى ...
ويجوز رفع وامرأته على الابتداء وحمالة من نعتها، ويكون الخبر ﴿في جِيدِهَا
حَبْلٌ مِن مَسَدٍ﴾ خبر الابتداء.

وجاء في التفسير حمالة الحطب أنها أم جميل وأنها كانت تمشي بالنميمة قال الشاعر:[1]

من البيض لم تُصْطَدْ على ظَهر لَأمَةٍ ولم تمس بين الحي بالحطب الجزل

أي بالنميمة.

وقيل إنها كانت تحمل الشوك، شوك العضاة فتطرحه في طريق النبي ﷺ وأصحابه.

وقوله عز وجل: ﴿في جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾.

الجيد العنق، وقيل في التفسير: ﴿حبل مِنْ مَسَدٍ﴾. سلسلة طولها سَبْعُونَ ذراعاً، يعنى أنها تسلك في السلسلة سبعون ذراعاً[2]، والمسد في لغة العرب الحبل إذا كان من ليف المقل[3]، وقد يقال لما كان من أدبار الأبل من الحبال مَسَدٌ، قال الشاعِرُ:

ومسد أُمِرَّ مِن أَيانق[4]

---

(١) اللامة اللوم ـ ولم تصطد ـ لم تُلْفَ. لم تر. من شواهد الكشاف/١٨.

(٢) هكذا جاءت العبارة في الأصل ـ ونقل صاحب اللسان عن الزجاج في تفسير هذه الآية: جاء في التفسير أنها سلسلة طولها سبعون ذراعاً يسلك بها في النار، والجمع أمساد ومساد. ثم نقل كلامه هنا أيضاً ـ انظر اللسان (مسد).

(٣) المقل هو شجر الدوم.

(٤) نقل اللسان عن ابن سيده ان المسد حبل من ليف أو خوص أو شعر أو وبر أو صوف أو جلود الابل أو من أوبارها. قال: وأنشد الأصمعي لعمارة بن طارق، وقال أبو عبيدة: هو لعقبة الهجيمي:

فاعجل بغرب مثل غرب طارق ومسد أمر من أيانق

يريد حبلا فتل من جلود نوق ليست من النيب ولا من الحقائق ـ والنيب والانياب جمع ناب وهو البعير الذي انشق نابه، والحقائق جمع حقة وهي التي دخلت السنة الرابعة، وليس جلدها قويا. فهو يريد مسدا فتل من جلد ابل ليست بالصغيرة ولا بالكبيرة. وجاء في مجاز أبي عبيدة:

ومسد أمر من أيانق صهب عناق ذات مخ زاهق

والمخ الزاهق هو المكتنز ـ وذكر الطبري هذين البيتين اللذين ذكرهما أبو عبيدة.

سورة الإخلاص
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل :﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ﴾.

بتنوين أحَدٍ، وقرئت بترك التنوين «أَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ» وقرئت بإسكان الدال. وحذف التنوين، أما حذف التنوين، فلالتقاء الساكنين أيضاً، إلا أنه سكون(١) الساكنين، فمن أسكن أراد الوقف ثم ابتدأ فقال: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ وأما «هو»، فإنما هو كناية عن ذِكْرِ اللَّه عز وجل. المعنى الذي سألتم تبيين نِسْبَته «هو اللَّه»، وأحد مرفوع على معنى هو أحد هو اللَّه فهو مبتدأ ويجوز أن يكون «هو» للأمر(٢) كما تقول هو زَيد قَائِمٌ، أي الأمر زيدٌ قائم، والمعنى الأمر اللَّه أَحَدٌ.

وقوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾.

رُوِيَ في التفسير أن المشركين قالوا للنبي ﷺ انسب لنا ربك، فأنزل اللَّه عز وجل :﴿قل هو اللَّه أَحدٌ اللَّهُ الصَمَدُ﴾، وتفسير الصمد السَيد الذي ينتهي إليه السُّؤدَدُ قال الشاعر(٣):

---

(١) بياض بالأصل ولم نجد ما نكمله منه.

(٢) للحال والشأن.

(٣) هو سبرة بن عمرو الاسدي، ويقال: انه لهند بنت معبد تبكي عمها وفي الأغاني أنها لنادبة الغربيين ـ وخيرهما معروف. وانظر الأغاني ٩٢/٢٢ (ط دار الكتب) ـ والخزانة ٥٠٩/٤، والطبري ١٩٧/٣٠ واللسان (صمد).

لقـد بكَّرَ النـاعِي بخيـري بني أَسـد ... بعمـرو بن مَسعود وبـالسَّيـد الصَّمَـد

وقيل الصمد الذي لا جوف له، وقيل الصمد الذي صَمَـدَ له كـل شيءٍ والذي خلق الاشياء كلها، لا يستغنى عنه شيء وكلها تدل على وحدانيته وهذه الصفات كلها يجوز أن تكون للّه عز وجل.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾.

فيها أربعة أوجه في القراءة.

﴿كُفُواً﴾[1] بضم الكاف والفاء، وكُفْواً بضم الكـاف وسكون الفـاء وكِفْـواً بكسر الكاف وسكون الفاء. وقد قرىء بهـا. وكِفَاء بكسـر الكاف. والكفء ـ بفتح الكاف وسكون الفاء اسم[2]. لم يقـرأ بها، وفيهـا وجه آخـر لا يجوز في القراءة. ويقال فلان كُفـءُ فلان مثل كُفِيّ فلان.

جاء في الحديث أن ﴿قل هو اللّه أحد﴾ تعدل بثلث القرآن، و ﴿قُلْ يـا أيها الكافرون﴾ تعدل ربع القرآن، و ﴿إذا زلزلت﴾ تعدل نصف القرآن.

---

(١) سقطت كلمة غير ظاهرة الكتابة في الأصل.

(٢) من كفأه صار له نظيراً.

سورة الفلق
مكية

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل:﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾.

وهو فلق الصبح وهو ضياؤه[1]، ويقال أيضاً فرق الصبح. يقال: «هو أبين من فلق الصبح». ومعنى الفلق الخلق: قال اللّٰه عز وجل :﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾[2] ﴿فَالِقُ الحَبِ والنَوَى﴾[2]. وكذلك فلق الأرض بالنبات والسحاب بالمطر، وإذا تأملت الخلق تبين لك أن خلقه أكثره عن انفلاق. فالفلق جميع المخلوقات وفلق الصبح من ذلك.

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾.

﴿غاسق﴾ يعنى به الليل، إذا وقب إذا دَخل، وقيل لليل غاسقٌ ـ واللّٰه أعلم ـ لأنه أبرد من النهار، والغاسق البارد.

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ﴾.

﴿النفاثات﴾ السواحر، تنفث: تتفل بلا ريق كأنه نفخ كما يفعل كل من يرقى.

---

(١) في الأصل وضيائه.

(٢) هما آيتان متتاليتان سورة الأنعام الأولى ﴿إِنَّ اللّٰهَ فَالِقُ الحَبِّ والنَّوَى﴾ آية ٩٥، و﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾ آية ٩٦.

تنبيه: لم يرد تفسير لسورة الناس.

سورة النَّاس (*)
مكية

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

﴿الوَسْوَاسِ﴾ : هو الشيطان، يقال وسوس في صدره ووسوس إليه، والوسوسة الكلام الخفي في اختلاط، والوسواس اسم منه ـ وفسرت هنا بأن المعنى من شرِ ذي الوسواس، أي الشيطان. فيكون الوسواس مصدراً، وهذا الوزن يأتي في المضعف نحو زلزال وهو قليل من غيره نحو تحنان.

﴿الخَنَّاسِ﴾ : صيغة مبالغة من خنس بمعنى انقبض وتأخر، والمصدر خنوس ـ كجلوس والمادة كلها تدور على هذا الأصل؛ فالنجوم الخُنَّسُ هي التي تخنس عَن مجراها وتختفي بضياء الشمس، وفي الحديث: الشيطان يوسوس إلى العبد فإذا ذكر اللّٰه خنس، أي انقبض وتأخر، والخنس في الأنف تأخره إلى الرأس وارتفاعه عن الشفة.

﴿والجِنَّةِ﴾ الجن، وسبق اللفظ كثيراً.

وذكر الجنة والناس للاستعاذة بكل ما يوسوس بسوء سواء كان من الشياطين أو الأناسي.

(*) سبق أن الزجاج لم يفسر هذه السورة، وكرهنا أن ندعها بدون تفسير فشرحنا هذه الكلمات شرحاً لغوياً قريباً من طريقته.

والحمد للّٰه الذي هدانا لهذا، وما كنا لِنَهْتَدِيَ لولا أن هدانا اللّٰه.

وصلى اللّٰه على سيدنا محمد النبيِ الأمي وعلى آله وصحبه وكل من اهتدى بهديه.

مراجع التحقيق والشرح

الإتقان في علوم القرآن: للسيوطي.

أخبار النحويين البصريين: للسيرافي.

الإرشاد ـ معجم الأدباء: لياقوت الحموي.

الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبد البر.

الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر.

الأصمعيات: مجموع أشعار العرب: للأصمعي.

الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني.

أمالي ابن الشجري: هبة الله بن علي بن حمزة.

الأمالي الصغرى للزجاجي: عبد الرحمن بن إسحاق.

أمالي القالي: أبو علي القالي.

أمالي المرتضى: أبو القاسم علي بن طاهر.

إنباه الرواة على انباه النحاة: للقفطي أبو الحسن علي بن يوسف.

بغية الوعاة في طبقات النحاة: للسيوطي.

البيان والتبيين: للجاحظ ـ أبو عثمان عمرو بن بحر.

تاج العروس من جواهر القاموس: محب الدين المرتضى.

طبقات الشعراء: لمحمد بن سلام الجمحي.

جمهور أشعار العرب: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب.

الحماسة: لأبي تمام حبيب بن أوس شرح التبريزي.

خزانة الأدب: لـ عبد القادر البغدادي.

دواوين الشعراء:

الأعشى (الصبح المنير).
ديوان امرىء القيس من الدواوين الستة في كتاب «العقد الثمين»
ديوان جرير شرح بعناية محمد الصاوي.
ديوان حسان بن ثابت.
ديوان زهير بن أبي سلمة: شرح ثعلب.
ديوان طرفة: من الستة (العقد الثمين).
ديوان الهذليين.
شرح العشر المعلقات، وقصائد للأعشى والنابغة وعبيد بن الأبرص: للزوزني.
شرح الكامل في اللغة والأدب للمبرد، ورغبة الآمل: للمرصفي.
شرح المفضليات.
شرح شواهد الكشاف.
شرح شواهد المغني: للسيوطي، ولمحمد الأمير.
العقد الثمين: دواوين الشعراء الستة الجاهليين، النابغة، عنترة، طرفة، زهير، علقمة، امرىء القيس.
العقد الفريد: لابن عبد ربه.
غاية النهاية في طبقات القراء: لابن الجزري (للمستشرق برجستراسر).
المزهر في علوم اللغة: للسيوطي.
معاني القرآن: للفراء.
كتاب سيبويه. بهامشه شرح الأعلم الشنتمري.
مجاز القرآن: لأبي عبيدة كتاب سيبويه. نسخة أخرى بتحقيق عبد السلام هارون.
معاهد التنصيص: عبد الرحيم العباسي.
المفضليات: للضبي مع عدد من الشروح.
وفيات الأعيان.

الفهارس

البحوث اللغوية

فهرس الأبيات الشعرية

أنصاف الأبيات

فهرس الموضوعات